دراسات منهجية في القرآن والتوراة والإنجيل

إبراهيم أبو عواد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله رب العالمين ، والصلاةُ والسلام على النبيِّ محمد وإخوته الأنبياء الكرام وآل كُلٍّ وصحب كلٍّ .

أشهد أن لا إله إلا الله ، وَحْدَه لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، وأشهد أن مُوسى عبد الله ورسوله، وأشهد أن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، ورُوح مِنه، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن الله يَبعث مَن في القبور .

يتكوَّن هذا الكتاب _ بشكل أساسي _ مِن أربعة فصول . يتحدَّث الفصلُ الأول عن أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ، ومدى ارتباطهم بالتَّوراة والإنجيل ، وطبيعة العلاقة معهم ، وأبرز عقائدهم وصفاتهم وخصائصهم . أمَّا الفصل الثاني فهو عبارة عن دراسة كاملة ومُوسَّعة وتفصيلية ، بعنوان " صورة اليهود في القرآن والسُّنة والإنجيل". والفصل الثالث يُقدِّم دراسات منهجية في التَّوراة . والفصل الرابع يُقدِّم دراسات منهجية في الإنجيل . ثُمَّ تأتي بعد ذلك مواضيع مُتفرِّقة، تتحدَّث _ بشكل عام _ عن نقد النصرانية (المسيحية) ، والاختلافات بين الطوائف المسيحية الكُبرى ، وتأثُّر مُشركي العرب الوثنيين باليهودية والنصرانية ، والنشأة الأسطورية للعقائد الدينية ، وتأثيراتها في الأنساق المعرفية والحياتية ، وتحليل مُكوِّنات الشخصية اليهودية ، وذلك كَي تكتمل الصورة المعرفية ، ويتَّضح المشهد الفكري . وفي هذا السياق ، ينبغي القول إن التَّوراة كتاب سماوي أنزله اللهُ على النبيِّ مُوسى ﷺ ، والإنجيل كتاب سماوي أنزله اللهُ على النبيِّ عِيسى ﷺ . وهذه عقيدة كُل مُسلم ، ومَن خالفها يَكفر . لكن التَّوراة تَمَّ تحريفها وتغييرها ، وصارت تُسمَّى العهد القديم ، وأسفارُ التَّوراة كُتِبت بعد النبيِّ مُوسى ﷺ بِمُدَّة زمنية طويلة . فأينَ التَّوراة الأصلية التي أنزلها اللهُ على النبيِّ مُوسى ﷺ ؟ . لا أحد يَعْلَم ذلك سِوى الله . والإنجيل تَمَّ تحريفه وتغييره، وصارَ أناجيل كثيرة مُتعارضة ومُتناقضة، كُتِبت بعد النبيِّ عِيسى ﷺ بِمُدَّة زمنية طويلة أيضًا . فأين الإنجيل الأصلي الذي أنزله اللهُ على النبيِّ عِيسى ﷺ ؟ . لا أحد يَعْلَم ذلك سِوى الله .

والكتابُ السماويُّ الوحيدُ الذي تَكَفَّلَ اللهُ بحفظه، هُو القُرآن الكريم. قالَ اللهُ تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون ﴾ [الحِجْر: ٩] . واللهُ تعالى إذا أرادَ شيئًا هَيَّأ أسبابَه وسهَّلها ويسَّرها . والقُرآن هو خاتَم الكُتب السماوية وآخرها ، وإذا ضاعَ أو حُرِّفَ أو بُدِّلَ أو غُيِّرَ ، فقد

ضاع كلامُ اللهِ إلى الأبد ، وذَهبت الهدايةُ إلى غَير رَجعة ، وعَمَّ الضلالُ والظلامُ في أنحاء العالَم إلى يوم القيامة، ولا تُوجد أيَّة فرصة للتصحيح ، ولا يُوجد أيُّ أمل لمعرفة الحق والصواب . لذلك، شَاءَ اللهُ أن يَحفظ القُرآنَ (آخر الكتب السماوية) مِن الزيادة والنُّقصان . وهذا يدل على رحمة الله بعباده ، وحِكمته البالغة ، ومشيئته النافذة في كُل شيء .

وهذا الأمرُ ليس كلامًا في الهواء ، ولا غُرورًا ، ولا استكبارًا ، ولا تَبَجُّحًا . إن القُرآن وَحْدَه هو الكتاب السماوي المحفوظ مِن التَّحريف والتبديل والتغيير إلى يوم القيامة ، والأدلة على ذلك كثيرة ومُستفيضة ، مِن أبرزها:أ_تدوين القُرآن في عصر النبيِّ محمد ﷺ، حيث اتَّخذَ كُتَّابًا للوَحْي، وأشرفَ عليهم بنفْسه. ب_تلاوة النبيِّ ﷺ للقُرآن في الصلوات الجهرية ، والصحابة يَسمعون ويَفهمون ويَحفظون. ج_ظُهور مجموعة من الصحابة يحفظون القُرآن كاملًا عن ظَهْر قلب . د _ المسلمون يَقرؤون قُرآنًا واحدًا مُنذ نُزوله على النبيِّ محمد ﷺ حتى يَوْمنا الحاضر ، بلا تغيير ولا تبديل ولا تناقض ولا شُبهات ولا مُشكلات . هـ _ وُجود سند مُتواتر للقُرآن ، حيث نَقلته طبقة عن طبقة ، وجيل عَن جيل، مِن المستحيل اجتماعهم على الكذب أو اتِّفاقهم على الباطل ، لأنهم معصومون عِصمةً عامَّة. وقد تميَّزت الأُمَّةُ المحمَّدية الإسلامية عَن باقي الأُمم بالأسانيد وعُلومِها ، فهي تَمْلك إسنادًا مُتَّصِلًا إلى نَبِيِّها محمد ﷺ ، وآلِ بَيْتِه ، وصحابَتِه والتابعين ، والعُلماء جميعًا . وهذه المَيْزةُ غَير مَوجودة عند باقي الأُمَم . بَل إن هذه الأُمَّةَ قَد رَوَت الشِّعْرَ بالأسانيد . وعلى الأُمَّةِ المُحمَّدية الإسلامية أن تَفخر بهذا أمامَ باقي الأُمَم . ولا يخفَى أن اليهود لا يَملِكون إسنادًا مُتَّصِلًا إلى النبيِّ موسى ﷺ ، وتَوْراتُهم المُحَرَّفة بلا سند. والنصارى لا يَملِكون إسنادًا مُتَّصِلًا إلى النبيِّ عِيسى ﷺ ، وإنجيلُهم المُحَرَّف بلا سند . و _ حاولتْ قُوى عُظمى مِن أعداء الإسلام أن يُبَدِّلوا القُرآنَ ، ويَتلاعَبوا بآياته ، ويَزيدوا عَلَيه ، ويُنقِصوا مِنه ، لكنهم فَشِلُوا ، ورَدَّ اللهُ كَيْدَهم في نُحورِهم. وحَسْبُكَ أن تَعرف أن كثيرًا مِن أطفالِ المسلمين يَحفَظون القُرآنَ كاملًا عن ظَهْر قلب، في حِينَ أن كِبار عُلماء اليهود والنصارى لا يَحفَظون سِوى مقاطع قصيرة مُنتقاة مِنَ التَّوراة والإنجيل (الأناجيل) . وفي هذا دَلالةٌ عظيمة على حِفظ القُرآن ، واللبيبُ مِنَ الإشارة يَفهم .

وإليكَ هذه القصة الحقيقية المُؤثِّرة ذات المغزى العميق : ((ذُكِرَ أن رَجُلًا أرادَ أن يَمتحن الأديانَ، أيُّها أصح وأحسن ؟ ، فَعَمَدَ إلى التَّوراة والإنجيل والقُرآن _ وكان خَطَّاطًا _ ، فنسخَ مِن كل كتاب نُسخة بخط جميل ، وزادَ فيها ونقصَ ، ثُمَّ عرضَ التَّوراةَ على علماء اليهود ، فقبلوها وتصفَّحوها ، وأكرموه بالمال ، ثُمَّ عرضَ الإنجيلَ الذي نسخه بيده على القُسُس ، فاشْتَرَوْهُ بثمن

كبير وأكرموه ، ثُمَّ عرضَ نُسخةَ القُرآن على شُيوخ المسلمين ، فنظروا فيه ، فلمَّا رَأَوْا فيه بعضَ الزيادة والنقص ، أمسكوا بِه ، فضربوه ، ثُمَّ رَفعوا أمرَه إلى السلطان ، فحكمَ بقتله ، فلمَّا أرادَ قتله أشهرَ إسلامه ، وأخبرهم بقصته ، وأنه امتحنَ الأديان ، فعرفَ أن الإسلام الدِّين الحق)) .

[صَفوة التفاسير (٧/ ٩و١٠) . وانظر القصة بالتفصيل في تفسير القرطبي (١٠/ ٨)] .

وهذه القصةُ العميقة لَيست مِن الخيال العِلمي . إنها قصة واقعية تدل بوضوح على حفظ القُرآن من الزيادة والنُّقصان ، كما تدل على تحريف التَّوراة والإنجيل . وهذا الأمرُ ليس غريبًا ، لأنَّ اللهَ تَكَفَّلَ بنفْسه بحفظ القُرآن ، ولَم يترك هذا الأمر للناس ، رحمةً بِخَلْقه ، وحمايةً لهم مِن الضلال ، فلا يُوجد كتاب سماويٌّ بعد القُرآن ، ولا يُوجد نبيٌّ بعد محمد ﷺ .

يَجيء هذا الكتابُ " دراسات منهجية في القُرآن والتَّوراة والإنجيل " كمنظومة فكرية تُسلِّط الضوء على الكتب الدينية ، والدراسات المُتعلِّقة بها . وهذا الموضوع عبارة عن بَحْر واسع لا ساحلَ له ، ولا يَقْدِر أيُّ مؤلف _ مهما علا كَعْبُه_ أن يُحيط بهذا الموضوع من كل جوانبه ، بسبب كثرة تفاصيله وتشعُّباته . ومعَ هذا ، ينبغي عدمُ اليأس ، والابتعادُ عن الإحباط ، ومُواصلةُ الأبحاث والدراسات والتحليلات من أجل الوصول إلى الحق والحقيقة . والعِلْمُ منهج شُمولي مُتكامل ، وعلى كل فرد أن يُساهم في العِلم والمعرفة بِقَدْر استطاعته، ويترك بصمته الخاصة في عالَم الفكر، ولا أحد يأخذ مكانَ أحد . والعِلْمُ تراكمات معرفية وإسهامات مُتواصلة لا تنقطع .

يقوم هذا الكتاب على منهجية البحث العِلمي المُنصِف ، المُوثَّق بالأدلة والبراهين ، والمُستنِد إلى نقل النصوص الدينية حرفيًا ، دُون زيادة ولا نُقصان ولا اقتطاع ولا تلاعب ولا لَف ولا دَوران. وهذا المنهجُ الشمولي يعتمد على مُقارَعة الحُجَّة بالحُجَّة ، بلا شتائم ولا صراخ ولا اتهامات عابرة ولا أحكام جُزافية . والحقُّ أحقُّ أن يُتَّبع . والحِكمة ضالَّة المؤمن أنَّى وجدها التقطها . وخُذ الحِكمةَ ، لا يَضُرُّكَ مِن أيِّ وعاء خَرَجَتْ . ويتناول هذا الكتاب التناقضات في التوراة والإنجيل، ونصوصهما التي تتَّصف بالتعارض وغياب المنطق ، كما يتناول نُبُوَّةَ محمد ﷺ الثابتة في التوراة والإنجيل، رغم المحاولات الحثيثة لعلماء اليهود والنصارى من أجل إخفائها ، وذلك للحفاظ على نفوذهم ، ومصالحهم الشخصية ، ومنافعهم الذاتية ، ومكتسباتهم المادية ، وامتيازاتهم الطبقية .

إن قضية التناقضات في التوراة والإنجيل (الأناجيل) صارت معروفةً على نطاق واسع ، ومكشوفة أمام أعين الباحثين المُنصِفين ، الذين تركوا العناد والأهواء والمصالح الشخصية ، وبحثوا عن الحق وَحْدَه، مُجَرَّدًا مِن كُل الشوائب. وهذا يدل _ بما لا يدع مجالًا للشك _ على

أن التوراة والإنجيل، تَمَّ تحريفهما وتبديلهما وتغييرهما والتلاعب بهما ، وتغيَّرت مضامينهما بشكل واضح. والتَّحريفُ ليس مُجرَّد كلمة عابرة تُلقَى هُنا وهناك دون دليل . لقد تكاثرت الأدلةُ الدامغة الفاضحة للتَّحريف في الشرق والغرب ، وظَهرت الحُجَجُ المُستنِدة إلى منهجية البَحث العِلمي . ولكن البعض يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كأن لَم يَسمعها . ويُعرِض عنها جهلًا أو تجاهلًا أو عِنادًا . والكُفر عِناد. وبدلًا مِن أن يُقارِع الحُجَّة بالحُجَّة ، نجده يُثير زوبعةً مِن التَّشكيك دون رأي عِلْمي يُعْتَدُّ به.

وعلى الرغم مِن التَّعتيم الذي يُمارسه كثير مِن علماء أهل الكتاب حول هذه القضية ، إلا أننا نجد عُلماء مُنصفين يُثيرون هذه القضية بشكل حازم وحاسم ، ويُظهرونها إلى العلن ، تحت شمس الحقيقة الساطعة . وصقيع الخرافةُ لن يصمد طويلًا أمام إشعاع الشمس الصاعق. إذ إن هذه الحياة مبنية على الحق والصدق والانتظام في كل مُكوِّناتها . ومَن يَطمح أن يَجعلها أُكذوبةً ، لا بُدَّ أن يقع في حُفرة ضَلاله. وهُناك في كل عصر مُناصرون للحق ، كما أن للباطل مُناصريه وشياطينه . ولا يَخلو زمن مِن قائم لله بِحُجَّة . والشمسُ لا تُغطَّى بِغِرْبال . والحقُّ قويٌّ بذاته .

والتناقض يُشكِّل حالة من الانفصام بين العناصر التَّوراتية والإنجيلية مِن جهة ، وبين المعطيات الفكرية المنطقية من جهة أخرى . لذلك ، إن المعطيات المتذبذبة في النص الذي يتمُّ تقديسه بشكل هُلامي، لا بُد أن تنقلب على رُوح النص وألفاظه ومَعانيه، وبالتالي تكوين حالة من انعدام التوازن، وتوليد رؤى مُشوَّشة يتمُّ إقحامها في العقل البشري بصورة مفضوحة ومُغرِضة .

وبالإضافة إلى التناقضات في التوراة والإنجيل ، وإثبات نُبُوَّة محمد ﷺ فيهما ، يُبيِّن هذا الكتابُ أبرز المواضيع الدينية والفكرية والفلسفية والاجتماعية في التوراة والإنجيل ، مع ربط الأصول بالفروع ، وبيان التفاصيل والمسائل المُتشعِّبة ، وإعادتها إلى القواعد الكُلِّية العامة .

لقد حاولتُ جاهدًا إخراج هذا الكتاب بدون خطأ ولا خلل ، ولكن الإنسان يظل كائنًا ناقصًا محدود القُدرات والإمكانيات، وكُل الإسهامات البشرية مَحكومة بالخطأ والسَّهو والنِّسيان ، والكمال لله وَحْدَه ، والمعصوم مَن عَصَمَه اللهُ . فإن وَجَدْتَ خَيْرًا فَمِن الله وَحْدَه ، وإن وَجَدْتَ غَير ذلك ، فَمِن نفْسي والشَّيطان . وشرفُ المحاولة يَكفيني ، وحُسن القَصْد شَفيعي .

واللهَ أسألُ أن ينفعنا بما عَلَّمَنا ، وأن يَجعل هذا الجُهد خالصًا لوجهه الكريم ، وحُجَّةً لي لا حُجَّةً عَلَيَّ . واللهُ وَلِيُّ التَّوفيق ، والحمدُ لله رب العالمين القائل في كتابه العزيز : ﴿ قُل يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم أَلا نَعْبُدَ إِلا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُون ﴾ [آل عِمران : ٦٤] .

الفصل الأول

أهل الكتاب (اليهود والنصارى)

تمهيد

إن الدِّين ذو أهمية قُصوى في حياة الشعوب ، لأنه يُعطي التصوراتِ عن الوجود والحياة والموت والمسار الإنساني والمصير النهائي، ويُوضِّح العلاقة بين الإنسان وباقي العناصر الداخلية والخارجية . ولا يمكن حصر الدِّين في العقيدة الشخصية ، أو الشعور الذاتي ، لأن التأثيرات الدينية لا بد أن تظهر على سلوك الأفراد والجماعات بقصد أو بدون قصد .

وفي هذا السياق ، نَبحث في طبيعة الديانَتَيْن اليهودية والنصرانية ، ونستعرض أحوال أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ، ومسار أفكارهم وحياتهم ، ونتطرق إلى التوراة والإنجيل باعتبارهما كتابَيْن سماوِيَّيْن في الأصل ، ثُمَّ طَرأ عليهما التحريف والتغيير والتبديل والزيادة والنقصان . مَعَ عدم إغفال وجود المؤمنين بين أهل الكتاب ، لأن الإنصاف يتطلب ذِكر الجانبَيْن المُظلم والمشرق عند أهل الكتاب.وبالتأكيد، إن الجانب المُظلم هو الأساسي في حياة اليهود والنصارى، لأن الشر فيهم كثير ، والخير قليل .

ثُمَّ ينتقل البحثُ إلى التخصيص ، فيأتي الحديث عن بني إسرائيل ، والأوامر الإلهية إليهم ، ومدى عنادهم ، والكوارث والجرائم والذنوب والآثام والخطايا ، التي ارتكبوها بدافع العناد والغرور والكُفر والضلال وحُب الدنيا ، والحِرص على المصالح الشخصية ، والمكتسبات المادية. وهذا يُساهم في تحليل الشخصية اليهودية المُضطربة عقائديًّا، والمُنحرفة عن السياق الاجتماعي .

ويأتي الحديث عن النصارى الضَّالين ، والعداوة فيما بينهم ، فهُم يَظهرون ككُتلة واحدة ، لكن قلوبهم شتَّى ، ومذاهبهم متضاربة ، وعقائدهم يُلغي بعضُها بعضًا ، مع تقديم أمثلة على ضلالهم وتطرُّفهم العقائدي ، وجُرأتهم على الله تعالى ، حيث نسبوا إليه الولدَ ، مِمَّا يدل على جهلهم وانحرافهم وتطرُّفهم في فهم النصوص الدينية . وفي ظِل هذا المناخ المُظْلِم ،نَذكر الحواريين ، باعتبارهم مثالًا للإيمان والتضحية والالتزام الحقيقي بتعاليم السيد المسيح ﷺ .

والجديرُ بالذِّكر أن الإسلام هو الدِّين السماوي الوحيد ، وما سِواه هو ديانات أرضية نتجت بفعل إفرازات بشرية واجتماعية وسياسية . وهكذا تسقط خرافة " الأديان السماوية " ، لأن الحق واحد لا يتعدَّد،والدِّينَ السماويَّ واحد لا يتعدَّد. وقد قال الله تعالى مُوَضِّحًا هذه الحقيقة الخالدة : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلامُ ﴾[آل عِمران : ١٩] .

أولًا : أهل الكتاب

١ـ إقامة التوراة والإنجيل :

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُم أقاموا التَّوراةَ والإنجيلَ وما أُنزِلَ إِلَيْهِم مِن رَبِّهم لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِم وَمِن تَحْتِ أرْجُلِهِم مِنْهُم أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وكثيرٌ مِنهُم سَاءَ ما يَعْمَلُون ﴾ [المائدة : ٦٦] .

ولو أن أهل الكتاب التزموا بأوامر الله ، واجتنبوا نَوَاهيه ، وعملوا بأحكام التَّوراة والإنجيل ، اللذين يتضمَّنان وصف النبيِّ محمد ﷺ ، وبما أُنزِل إليهم في القُرآن (آخر الكتب السماوية الذي أنزله اللهُ على خَاتَم الأنبياء محمد ﷺ) ، لَرَزَقهم اللهُ الرزقَ الواسع ، وأنعمَ عليهم بالنِّعَم الكثيرة ، وأرسلَ عليهم السماء بالقَطْر (المطر) ، وأخرجَ لهم بركات الأرض (النبات) ، مِن غير تعب ولا قلق . وهذا يدل على أن سُوء حالهم، وحالة القَحْط والضِّيق التي يعيشون فيها ، إنما هي بسبب كفرهم وضلالهم ومعاصيهم ، وليس بسبب قِلَّة رِزق الله . والآيةُ دليل على أن التقوى سبب في تَوسعة الرِّزق ، وكثرة النِّعَم ، ورَغَد العَيش . والجديرُ بالذِّكر أن اليهود والنصارى مُتَعَبَّدُون بما في القُرآن مِن أحكام وشرائع ، ومُكَلَّفُون بالإيمان به ، لذلك كان القُرآن في حُكم الكُتب المُنْزَلة عليهم ، معَ أنه نزل على العرب وبِلُغتهم . والقُرآن جاءَ للإنس والجِن كافة .

مِن أهل الكتاب جماعةٌ مُؤمنة فاضلة مُعتدلة ، وهُم الذين آمنوا بمحمد ﷺ ، وصدَّقوا بِنُبُوَّته ورسالته، مِثل: عبد الله بن سلام والنجاشي وغيرهما . وكثيرٌ مِنهم كُفَّار مُجرمون مُعاندون مُتمردون، مِثل كَعْب بن الأشرف وغيره ، كذَّبوا الرُّسل ، وحرَّفوا الكتاب ، وأكلوا الحرام .

وقال الطبري في تفسيره (٤/ ٦٤٤) : ((يعني تعالى ذِكْرُه بقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُم أقاموا التَّوراةَ والإنجيلَ ﴾ ، ولو أنهم عملوا بما في التوراة والإنجيل ، ﴿ وما أُنزِلَ إِلَيْهِم مِن رَبِّهم ﴾ . يقول : وعملوا بما أُنزِل إليهم من ربهم مِن الفُرقان ، الذي جاءهم به محمد ﷺ . فإن قال قائل : وكيف يُقيمون التوراة والإنجيل وما أُنزِل إلى محمد ﷺ ، مع اختلاف هذه الكُتب ونَسْخ بعضها بعضًا ؟.
قِيل: إنها وإن كانت كذلك في بعض أحكامها وشرائعها ، فهي مُتَّفقة في الأمر بالإيمان بِرُسُل الله ، والتصديق بما جاءت به مِن عِند الله . فمعنى إقامتهم التَّوراة والإنجيل ، وما أُنزِل إلى محمد ﷺ : تصديقهم بما فيها، والعمل بما هي مُتَّفقة فيه ، وبكل واحد منها، في الحين الذي فُرِض العمل به.
وأمَّا معنى قَوله : ﴿ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِم وَمِن تَحْتِ أرْجُلِهِم ﴾ ، فإنه يعني : لأنزلَ اللهُ عليهم مِن السماء قَطْرَها،فأنبتت لهم به الأرض حَبَّها ونباتها، فأخرج ثمارها.وأمَّا قَوله:﴿ وَمِن تَحْتِ أرْجُلِهِم ﴾

فإنه يعني تعالى ذِكْرُه : لأكلوا مِن بَركة ما تحت أقدامهم مِن الأرض ، وذلك ما تُخرِجه الأرض مِن حَبِّها ونباتها وثمارها وسائر ما يُؤكل مِمَّا تُخرِجه الأرض... . يعني تعالى ذِكْرُه بقَوله : ﴿ مِنْهُم أُمَّةٌ ﴾ مِنهم جماعة ﴿ مُقْتَصِدَةٌ ﴾ . يقول : مُقْتَصِدة في القَول في عيسى ابن مريم ، قائلة فيه الحق أنه رسول الله ، وكلمته ألقاها إلى مَريم ، ورُوح مِنه ، لا غالية قائلة إنه ابن الله ، تعالى اللهُ عمَّا قالوا مِن ذلك ، ولا مُقصِّرة قائلة : هو لغير رِشْدة (يعني ابن زنا) . ﴿ وكثيرٌ مِنهُم ﴾ يعني: مِن بني إسرائيل من أهل الكتاب اليهود والنصارى ﴿ سَاءَ ما يَعْمَلُون ﴾ يقول : كثير منهم سَيِّئ عملهم ، وذلك أنهم يَكْفرون بالله ، فتُكذِّب النصارى بمحمد ﷺ ، وتزعم أن المسيح ابن الله ، وتُكذِّب اليهودُ بعيسى وبمحمد صلى الله عليهما . فقال اللهُ تعالى فيهم ذامًّا لهم : ﴿ سَاءَ ما يَعْمَلُون ﴾ في ذلك مِن فِعْلهم)) اهـ .

وروى الحاكم في المُستدرَك (١/ ١٧٨) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي : عن عَوف بن مالك الأشجعي : أن رسول الله ﷺ نَظَرَ إلى السماء يَوْمًا ، فقال : ((هذا أوانُ يُرفَع العِلْم)) ، فقال له رَجل من الأنصار، يُقال له ابن لَبيد: يا رسول الله ،كيف يُرفَع العِلْم وقد أُثْبِتَ في الكتاب ، وَوَعَتْهُ القلوب ؟ ، فقال رسول الله ﷺ : ((إن كُنْتُ لأحْسَبُكَ مِن أفقه أهل المدينة)) ، ثُمَّ ذَكَرَ ضَلالة اليهود والنصارى على ما في أيديهم مِن كتاب الله .

إن رَفْع العِلْم يكون بموت العلماء (حَمَلَة العِلْم الشرعيّ) ، وليس انتزاع العِلْم مِن القُلوب ، فيكثر الجهل والفساد ، وتنتشر المعاصي والذنوب، ويَبقى في الناس رُؤوس جُهَّال ، ضَالُّون في أنفسهم ، ومُضِلُّون لِغَيرهم ، وهذا يعني انهيار الفرد والمجتمع على جميع الأصعدة .

وقد قدَّم النبيُّ ﷺ مثالًا واقعيًّا ، وهو ضلالة أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ، معَ أنهم يَمتلكون العلوم الدينية والمعارف الشرعية ، ودرسوا نصوصَ التوراة والإنجيل ، وهي في أيديهم ، ولكنهم حرَّفوا كلامَ الله ، وغيَّروه ، وبدَّلوه ، وزادوا فيه ، وأنقصوا مِنه ، وصارت التَّوراةُ والإنجيل خليطًا من الحق والباطل ، والصواب والخطأ ، والهدى والضلال ، فَضَلُّوا ، وأضَلُّوا غَيْرَهم .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ قُل يا أهلَ الكِتابِ لَسْتُم عَلى شَيء حتى تُقيموا التَّوراةَ والإنجيلَ وَمَا أُنزِلَ إلَيْكُم مِن رَبِّكُم ﴾ [المائدة : ٦٨] .

قُل يا محمد لليهود والنصارى : لَسْتُم على شيء مِن الدِّين حَتَّى تُؤمنوا بالتَّوراة والإنجيل ، وتُقيموا أحكامهما على الوجه الأكمل ، وتَعملوا بما فيهما مِن شرائع وتعاليم ، ومِن ضِمنها الإيمان بِنُبُوَّة محمد ﷺ، وتُؤمنوا بالقُرآن الذي هو خَاتَم الكتب السماوية،المحفوظ مِن الضَّياع والتحريفِ.

يجب على اليهود والنصارى الإيمان بجميع الكتب السماوية بلا تفريق ، والإيمان بجميع الأنبياء بلا تمييز ، والعمل بأحكام الكتب السماوية وشرائعها كاملةً ، بلا انتقائية . والإيمان بما ورد في التوراة والإنجيل مِن صفة النبيِّ محمد ﷺ ، فيجب الإيمان بِنُبُوَّته ، والالتزام بشريعته .

والآيةُ ﴿ لَسْتُم عَلى شَيء ﴾ تدل على مُنتهى التحقير والإهانة وانعدام قيمتهم وقِلَّة شأنهم .

إن كُل التصرفات الإنسانية التي لا تنبثق مِن الوَحْي السماويِّ (الكتب السماوية) ، هي سلوكيات شاذة مرفوضة ، ومُناوئة للإنسانية ، ومُضادة للقيم الحضارية ، ومُخالفة للأوامر الإلهية . والكتبُ السماوية جاءت لتصبح دستورًا حياتيًّا واقعيًّا ومَلموسًا ، لا أفكارًا هُلامية مُجرَّدة .

وهذه الكتب السماوية المُقدَّسة كفيلة بإنشاء المُجتمعات على أُسس صحيحة ومتينة ، حيث يَسُود الحق ، والعدل ، والمُساواة ، والسعادة الروحية ، والرخاء الاقتصادي .

واللهُ أعلمُ بالإنسان مِن نَفْسه ، يَعلم مفاتيحَ شخصية الإنسان ، ويَعرِف نقاطَ قُوَّته وضَعفه، لأن الله هو الخالق الذي يَعرف كُلَّ شيء عَن مخلوقاته ، وهو سُبحانَه الصانع الذي يَعرف كُلَّ شيء عن مَصنوعاته . أمَّا الإنسان فهو كائن ضعيف قاصر ، محدود الإمكانيات والقُدرات . ومَهْما عَلا شأنه في مجال العِلم والمعرفة والحضارة ، سيظل ضعيفًا وعاجزًا ، ذا تفكير محدود .

وقال الطبري في تفسيره (٤/ ٦٤٩) : ((يقول تعالى ذِكْرُه : ﴿ قُل ﴾ يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى ﴿ يا أهلَ الكِتابِ ﴾ التَّوراة والإنجيل ﴿ لَسْتُم عَلى شَيء ﴾ مِمَّا تَدَّعون أنكم عليه مِمَّا جاءكم به مُوسى ﷺ مَعْشَرَ اليهود ، ولا مِمَّا جاءكم به عيسى ﷺ معشرَ النصارى ، ﴿ حتى تُقيموا التَّوراةَ والإنجيلَ وَمَا أُنزِلَ إلَيْكُم مِن رَبِّكُم ﴾ مِمَّا جاءكم به محمد ﷺ مِن الفُرقان ، فتعملوا بذلك كُلِّه ، وتؤمنوا بما فيه من الإيمان بمحمد ﷺ ، وتصديقه ، وتُقِرُّوا بأن كل ذلك من عند الله ، فلا تُكذِّبوا بشيء منه ، ولا تُفرِّقوا بين رُسل الله ، فتؤمنوا ببعض ، وتكفروا ببعض ، فإن الكفر بواحد من ذلك كُفر بجميعه ، لأن كُتب الله يُصدِّق بعضُها بعضًا ، فمَن كذَّب ببعضها ، فقد كذَّب بجميعها)) اهـ . وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٣٤٨) : ((﴿ حتى تُقيموا التَّوراةَ والإنجيلَ وَمَا أُنزِلَ إلَيْكُم مِن رَبِّكُم ﴾ ومِن إقامتها الإيمان بمحمد ﷺ ، والإذعان لحُكمه ، فإن الكتب الإلهية بأسرها آمرة بالإيمان بِمَن صدَّقته المُعجزة ، ناطقة بوجوب الطاعة له . والمراد إقامة أصولها ، وما لم يُنسَخ من فروعها)) اهـ . يجب الإيمانُ بكُل الكتب السماوية المُنْزَلة على الأنبياء . وتكذيبُ كتابٍ سماويٍّ هو تكذيب لكل الكُتب السماوية ، وتكذيب لِمَن أنزلها . وتمثيلُ دَور المُؤمن بالتوراة والإنجيل دون القُرآن الكريم ، حِيلةٌ باطلة ومكشوفة ، ولا فائدة مِنها ، وعاقبتها وخيمة ،

ونهايتها العذاب . والإيمانُ بالأنبياء لا يتجزَّأ ولا يَتَبَعَّض ، وليس مخصوصًا بنبيٍّ دُون آخر ، وتكذيبُ نبيٍّ واحد هو تكذيب لكل الأنبياء ، لأنهم سائرون وَفْق منهاج إلهيٍّ واحد . واللهُ هو الذي أرسلهم . والشريعةُ الإلهية تُؤخَذ كَكُل لا يتجزَّأ ، لأنها وَحدة بناء متماسكة ، ومنظومة واحدة متكاملة، تُؤخَذ كاملةً، أو تُرفَض كاملةً، ولا يُوجد حَل وَسَط بين الأمْرَيْن، ولا تُوجد أنصاف حُلُول .

والأشخاصُ الذين يُقسِّمون الشريعةَ حَسَب أهوائهم ومصالحهم، فيأخذون ما يُوافقها ، ويَرفضون ما يُخالفها ، لا يُمكنهم استيعاب عَظَمَةِ النصوص الدينية ورُوحِ الشريعة ، والإحساس بالطمأنينة . وسوف يَظَلُّون تائهين بلا بُوصلة ولا هدف، غارقين في الشُّكوك والشُّبهات والشَّهوات والأهواء المُتضاربة . ولن يَذهبوا بعيدًا ، لأنهم لا يَعرفون أين هُم ذاهبون .

و[عن ابن عباس قال : جاء مالك بن الصَّيف وجماعة من الأحبار ، فقالوا : يا محمد ، ألستَ تزعُم أنك على مِلَّة إبراهيم ، وتُؤمن بما في التَّوراة ، وتشهد أنها حق ؟ ، قال : ((بلى، ولكنكم كتمتم منها ما أُمِرْتُم ببيانه ، فأنا أبرأ مِمَّا أحدثتموه)) ، قالوا : فإنا نتمسَّك بما في أيدينا من الهدى والحق ولا نؤمن بك ، ولا بما جِئت به] [1] . فأنزل اللهُ تعالى : ﴿ قُل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراةَ والإنجيل ﴾ الآية .

إن علماء اليهود يُحاولون إفحامَ النبيِّ ﷺ ، وإقامة الحُجَّة عليه ، لكنَّ كَيدهم رُدَّ في نحورهم. فالنبيُّ ﷺ على مِلَّة إبراهيم ﷺ (الحنيفية السمحة) ، ويؤمن بالتوراة التي أُنزِلت على موسى ﷺ ، لكنه يَبرأ من التحريفات التي اخترعها اليهودُ في كتابهم ، لأنها إسهامات بشرية لا تَمُتُّ للوَحْي بِصِلَة . أمَّا زَعْمُ الأحبار تمسُّكهم بالتوراة وكُفرهم بالنبيِّ ﷺ ، فهذا أمرٌ متناقض ينسف بعضُه بعضًا، لأن تكذيب محمد ﷺ هو تكذيب للتوراة التي أَخبرت عنه، وتكذيبٌ لموسى ﷺ الذي يزعم اليهودُ أنهم سائرون وَفْق شريعته . وهكذا يتضح التناقض في العقل اليهوديِّ المُعتمد على الأهواء والمصالح والتحايل والتلاعب ولَيِّ أعناق النصوص، للوصول إلى الأهداف الخبيثة .

وفي صحيح البخاري (٥/ ٢٣٧٤) أن سُفيان بن عُيَينة قال : ((ما في القرآن آية أشد عليَّ من ﴿ لستم على شيء حتى تقيموا التوراةَ والإنجيل وما أُنزل إليكم من ربِّكم ﴾)) .

---

١ ذكَره الحافظ في الفتح (٨/ ٢٦٩) وقال قبله : رواه ابن أبي حاتم بإسنادحسن من طريق سعيد ابن جُبَير . اهـ . وانظر الدُّر المنثور للسُّيوطي (٣/ ١٢٠) ، وقد جاء فيه أسماء الأحبار ، وهم : ((رافع ابن حارثة ، وسَلام بن مِشْكَم ، ومالك بن الصَّيف ، ورافع بن حَرْمَلَة)) .

هذا يُشير إلى ضرورة الالتزام بالتعاليم الدينية ، وأخْذها وَحدةً واحدة دون تفرقة أو اجتزاء ، لأن التقصير في أداء عبادة ينسحب على باقي العبادات . وهكذا تتجلى الرابطة الوثيقة بين العبادات ، بحيث لا يمكن فَصْلُها . كما أن التقصير في حَمْل الشريعة يؤدي إلى تدمير الروح الإنسانية ، ونسف القيم الاجتماعية . وهنا تتجلى أهمية الثبات على المنهج السماويِّ ، وحَمْله بكل أمانة وكفاءة، وإيصاله إلى جميع الناس لإنقاذهم، ومنحهم السعادة في حياتهم وبعد مماتهم . والإسلامُ لم يَجِئْ ليُدمِّر الناسَ ، بل جاء لإنقاذهم وضمان سعادتهم في الدنيا ونجاتهم في الآخرة.

وقال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٦٩) : ((يعني أنَّ مَن لَم يَعْمَل بما أنزل اللهُ في كتابه فليس على شيء ، ومُقتضاه أن مَن أخلَّ ببعض الفرائض فقد أخلَّ بالجميع ، ولأجل ذلك أطلق كَوْنها أشد من غيرها ، ويُحتمَل أن يكون هذا مِمَّا كان على أهل الكتاب من الإِصْر _ يعني العَهْد_)) .

إن الشريعة السماوية كُلٌّ لا يتجزَّأ ، فهي بناءٌ متماسك وشامخ . ومَن أخلَّ بجزء منها فهو يَهدم كلَّ أجزائها ، تمامًا كالبُنيان العظيم المُترابط ، إن أُزيلت منه لبنة فسوف ينهار . وهنا تبرز أهمية فهم التعاليم السماوية ، وتطبيقها كُلها دون اجتزاء أو مِزاجية أو انتقائية .

٢_ العلاقة معهم :

إن العلاقة معَ أهل الكتاب محكومةٌ بالنُّصوص الشرعية . والمسلمون لَيسوا وُحوشًا جاؤوا لقتل المُخَالِفين لهم ، وتدميرِ الحضارة الإنسانية ، والقضاءِ على الجِنْس البشريِّ . إن المسلمين وَحْدَهم على الحق ، نقلًا وعقلًا . وهذا الأمرُ تكليفٌ وتشريفٌ لهم في آنٍ معًا .

والمسلمون مُكَلَّفون شَرْعًا بنشر دِينِ الله (الإسلام) في هذا العَالَم ، وإخراج الناس مِن ظُلمات الجهل والكفر إلى نُور العِلم والإيمان . وقد كلَّفهم اللهُ بهذه المهمة الجليلة ، وشرَّفهم بأن اختارهم لحمل هذه الأمانة العظيمة . ووَفْقَ هذا المنظور ، فإن المسلمين يُدرِكون ثِقْلَ هذه الأمانة . ولا يخفَى أن أقرب الناس إلى المسلمين هُم اليهود والنصارى ، لأنهم أهل الكتاب . فاليهودُ لَدَيْهم التوراة ، والنصارى لَدَيْهم الإنجيل. وهذان الكِتابان سماويان _ في الأصل _ ، ولكن طَرَأ عليهما التَّحريفُ والتغيير والتبديل ، واختلطَ فيهما الحق بالباطل .

والعلاقةُ معَ أهل الكتاب ذات جوانب متعددة. وطبيعةُ هذه العلاقة تتحدَّد حَسَبَ مَوْقِف أهل الكتاب ، فإن اختاروا الحربَ فلا بُدَّ مِن قتالهم ، وإن اختاروا الحوار فلا بُدَّ من مُحاورتهم ، وإن اختاروا السلام فلا بُدَّ من مُسالَمتهم . وهذا لا يعني مُجاملتهم على حساب الإسلام ، أو الخضوع

لِكُفْرهم ، أو الاستسلام لهم . ولا بُدَّ من دَعْوتهم بالأسلوب الطَّيب ، وتفنيدِ حُجَجهم الواهية ، وكشفِ باطلهم، وتحليلِ طبيعة مشاعرهم وأسلوبِ تفكيرهم، والرَّدِّ على عقائدهم والتحذير مِنها .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ ما يَوَدُّ الذينَ كَفروا مِن أهلِ الكِتابِ ولا المُشركينَ أن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِن خَير مِن ربِّكم ﴾ [البقرة : ١٠٥] [٢] .

إن الله يُوضِّح شِدَّة عداوة اليهود والمشركين للمؤمنين ، حيث إنهم لا يُحِبُّون أن يحصل المؤمنون على الخير من عند الله تعالى . وأعظمُ الخير هو نُبُوَّة محمد ﷺ . وهذا يعكس الحقد المُتجذر في صدورهم ، وابتعادهم عن مفهوم الأخوة الإنسانية الخاضعة للخالق تعالى .

والمؤمنُ يحبُّ الخيرَ للجميع، لأنه يُدرك أن له رسالة في هذه الحياة محدودة بمُدة زمنية . فعليه أن يستغل هذا الوقت في الدعوة وإرشاد الناس إلى خالقهم، وإعادة القطار الاجتماعي المنحرف إلى السِّكة. والإسلامُ ليس سُلطةً كهنوتية مُغلَّفة بالأسرار والطلاسم، ومُغلقة في وجه الآخرين. إنه الدِّين العالمي للإنس والجن على السواء . ومقياسُ التفاضل بين الخلائق يعتمد على التقوى وليس الجنس أو العِرق أو اللون. وأهل الكتاب يَرَوْنَ أنفسهم أحق بأن يُوحَى إليهم ، وأنهم أعظم من العرب ، وهذا سَبَبُ حسدهم وعداوتهم للمؤمنين ، لذلك لا يُحِبُّون أن يَنْزِل على المؤمنين شيء من الوَحْي . والكفرُ ليس عقيدةً مخفية في الصدور فَحَسْب، بل هو أيضًا ذو انعكاس واضح على أرض الواقع، حيث يتجذر الحقد ضد المؤمنين ، وتتأجج الكراهية في أبشع صورها . والكافرُ يَوَدُّ لو كان الناسُ كلهم كفارًا ، وهذا مِن تَمَنِّي انتشار المُنكَرات في المجتمع ، لئلا يَشعر المنحرفون أنهم شاذون عن المسار الحياتي الإنساني . وفي الآية تحذيرٌ للمؤمنين من عداوة الكافرين ، وتنبيهٌ لهم لكي يَكونوا على حَذَر في التعامل معهم . والجديرُ بالذِّكر أن أهل الكتاب هُم مُشرِكون على الحقيقة ، لكنَّ كلمة " المشركون " في مُتعارف الناس صارت خاصةً بالمشركين من غير أهل الكتاب . وينبغي الحذر من اليهود والمشركين، بسبب قَسوة قلوبهم، وعنادهم، وضلالهم ، وحِقدهم، وخُبثهم ، وشِدَّة عداوتهم للإسلام والمسلمين. وينبغي التعامل

---

٢ قال البيضاوي في تفسيره (١/ ٣٧٦) : ((نزلت تكذيبًا لجمع من اليهود ، يُظهِرون مَوَدَّة المؤمنين ويزعمون أنهم يَودُّون لهم الخير ، والوُد : محبة الشيء مع تمنِّيه)) اهـ . وقال الزُّبيدي في تاج العروس (١/ ٨١٨٥) عن الآية : ((فِيها ﴿ مِن ﴾ ثلاث مرات ، الأولى للبيان ــ لأن الكفارَ نوعان : كتابيون ومشركون ــ ، والثانية زائدة ، والثالثة لابتداء الغاية)) اهـ .

معهم بانتباه ويقظة وفِطنة . إنهم لا يُحِبُّون إنزال الخير مِن الله على المسلمين المُوحِّدين . والخيرُ كلمة عامة شاملة ، غَير مَحصور في أمر مُعيَّن ، والمقصود هو كُل خَير . وهذا يدل على حِقدهم الفظيع ، وكراهيتهم للحق . لقد عادى اليهودُ الإسلامَ والمسلمين ، وطعنوا في نُبُوَّة محمد ﷺ ، بدافع الحقد والحسد ، لأن النبيَّ محمدًا ﷺ خرج من العرب (مِن وَلد إسماعيل ﷺ) ، ولَم يَظهر مِن بني إسرائيل (يعقوب ﷺ) . واليهودُ كانوا يَرَوْنَ أنفسهم الأحق بالنُّبُوَّة والوَحْي،لذلك اختاروا مُحاربة الإسلام والتَّشكيك فيه، وعداوة النبيِّ ﷺ ورفض نُبُوَّته، ومُقاومة الدَّعوة الإسلامية بكل الوسائل. وقد كان اليهودُ يُظهِرون محبة المؤمنين ومَوَدَّتهم ، وأنهم يُريدون لهم الخير والتقدم والازدهار والرِّفعة والنَّهضة ، فكذَّبهم اللهُ، وفضح باطلهم ، وكشف ضلالهم ، وأظهرَ ما في قلوبهم مِن الحقد والحسد والعداوة.والوُدُّ هو محبة الشَّيء معَ تَمَنِّيه.أمَّا سبب عداوة المشركين للنبيِّ ﷺ، فلأنه هَدَمَ تراثهم الوثني ، وعابَ آلهتهم (الأصنام) ، وأزالَ رياساتهم ومكاسبهم،وسفَّه أحلامهم، وبيَّن كُفرهم وضلالهم،وكشف جهل آبائهم وغبائهم . والجديرُ بالذِّكر أن كلمة ﴿ رَبِّكُم ﴾ تدل على رُبوبية الله تعالى ، وعَظَمَة الخير الذي يُنَزِّله اللهُ ، لأن شرف الشَّيء مِن شرف مَصدره. والإضافة إلى ضمير المؤمنين : ﴿ رَبِّكُم ﴾ تدل على شرفهم ورِفعة قَدْرهم ، وعُلُوِّ مَنْزلتهم ، وسُمُوِّ مكانتهم . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ١٢٦ و١٢٧): ((قَوله تعالى: ﴿ ما يَوَدُّ الذينَ كفروا مِن أهلِ الكتابِ ﴾ . قال ابن عباس : هُم يهود المدينة ونصارى نَجْران ، فالمشركون مُشركو أهل مكة . ﴿ أن يُنَزَّلَ عَلَيكم ﴾ ، أي : على رسولكم ﴿ مِن خَيْرٍ مِن رَبِّكُم ﴾ ، أرادَ النُّبُوَّةَ والإسلامَ . وقال أبو سليمان الدمشقي : أرادَ بالخير العِلم والفِقه والحِكمة)) اهـ .

وقالَ اللهُ تعالى: ﴿ يا أهلَ الكتابِ لِمَ تَكفرونَ بآياتِ اللهِ وأنتم تَشْهَدون ﴾[آل عِمران: ٧٠].

هـذا تقريعٌ لليهـود والنصـارى ، وإظهـارٌ لِسُـوء نِيَّـتهم وخُبـثهم وكُفرهم المُسـتنِد إلـى العِلْـم لا الجهل. فهُم يَكفرون بآياتِ الله عِنادًا وحِقْدًا على المؤمنين وحسدًا لهم، معَ عِلْمهم بأنها صِدْق وحق . وهُم يَجدون وَصْفَ محمد ﷺ في التوراة والإنجيل ، ومعَ هذا ، يَكفرون به .

وقال الطبري في تفسيره (٣/ ٣٠٧): ((وإنما هذا مِن عند الله ــ عز وجل ــ توبيخٌ لأهل الكتابَيْن على كُفرهم بمحمد ﷺ ، وجُحودهم نُبُوَّته ، وهُم يَجدونه في كُتبهم معَ شهادتهم أنَّ ما في كُتبهم حق ، وأنه مِن عِند الله)) اهـ .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ يا أهلَ الكتابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الحقَّ بالباطلِ وتَكْتُمونَ الحقَّ وأنتم تَعْلَمون ﴾ [آل عِمران : ٧١].

يا أيها اليهودُ والنصارى لِمَ تخلِطون الحقَّ بالباطل بالتحريفِ والتَّزوير. تخلطون الإيمانَ بموسى وعيسى بالكفر بمحمد _ عليهم الصلاة والسلام _ . ومَن كَفرَ بنبيٍّ فقد كفرَ بجميع الأنبياء ، وكفرَ باللهِ الذي أرْسَلَهم ، وتَكتمون ما في كُتبكم من وَصْف محمد ﷺ ، وأنتم تَعلمون أنَّه حَق .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير(١/ ٤٠٥): ((وفي الحق والباطل أربعة أقوال: أحدها أنَّ الحق إقرارهم ببعض أمر النبيِّ ﷺ ، والباطل كتمانهم بعض أمره. والثاني: الحق إيمانهم بالنبيِّ ﷺ غُدْوَةً ، والباطل كُفرهم به عَشِيَّةً، رُوِيا عن ابن عباس. والثالث: الحق التوراة ، والباطل ما كتبوه فيها بأيديهم،قاله الحسن وابن زيد.والرابع:الحق الإسلام،والباطل اليهودية والنصرانية،قاله قتادة)).

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ وقالت طائفةٌ مِن أهلِ الكتابِ آمِنُوا بالذي أُنزِلَ على الذينَ آمَنوا وَجْهَ النهارِ واكْفُروا آخِرَهُ لعلهم يَرْجِعُون ﴾[آل عِمران : ٧٢] [٣] .

هذه خُدعة ومكيدة من بعضِ أهل الكتاب . فهذه الطائفةُ تأمرُ بتصديق النبيِّ محمد ﷺ باللسان (ظاهرًا) والكفرِ بِه بالقلب (باطنًا) . إنهم يَأمرون أتْباعهم بإظهار الإيمان بمحمد ﷺ والصلاة معه في بداية النهار ، والكفرِ بِه في آخِرِ النهار ، كي يُشكِّكوا الضُّعفاء بالإسلام ، ويقول الناسُ : هؤلاء أهلُ كِتاب ، ولَدَيْهم عِلْم ، وقد تَرَكوا الإسلامَ وفارَقوا المسلمين بسبب اطِّلاعهم على عُيوب الإسلام وضلالِ المسلمين . وهذه الخطةُ الجهنمية تهدف إلى تشكيك المسلمين بدِينهم، لِكَوْنهم يعتقدون أن أهل الكتاب لَدَيْهم عُلوم دِينية، فإذا كفروا بعد إيمانهم ، فإن الشكوك والوساوس سَوْفَ تنتشر . واللهُ تعالى قد ثَبَّتَ قلوبَ المؤمنين ، وحَمَاهم من الشَّك والرِّيبة . وهذه

---

٣ قال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٥) : ((في سبب نزولها قَوْلان : أحدهما أن طائفة من اليهود قالوا : إذا لقيتم أصحاب محمد أول النهار فآمِنوا ، وإذا كان آخره فَصَلُّوا صلاتكم ، لعلهم يقولون : هؤلاء أهل الكتاب وهم أعْلم مِنَّا فينقلبون عن دِينهم، رواه عطية عن ابن عباس. وقال الحسن والسُّدي : تواطأ اثنا عشر حَبْرًا من اليهود ، فقال بعضُهم لبعض: ادخلوا في دِين محمد باللسان أول النهار واكفروا آخره ، وقولوا : إنَّا نظرْنا في كُتبنا وشاورنا علماءنا ، فوجدنا محمدًا ليس بذلك ، فَيَشُكُّ أصحابُه في دِينهم ، ويقولون : هُم أهل الكتاب وهم أعلم مِنَّا فيرجعون إلى دِينكم، فَنَزلت هذه الآية . وإلى هذا المعنى ذهب الجمهور . والثاني أن الله تعالى صَرَفَ نبيَّه إلى الكعبة عند صلاة الظُّهْر ، فقال قَوْم مِن علماء اليهود: ﴿ آمِنُوا بالذي أُنزِلَ على الذينَ آمَنوا وَجْهَ النهارِ ﴾ يقولون: آمِنوا بالقِبْلة التي صَلُّوا إليها الصُّبْح،واكفروا بالتي صَلُّوا إليها آخر النهار، لعلهم يرجعون إلى قِبْلتكم ، رواه أبو صالح عن ابن عباس)).

الحِيلة تدل على خُبث اليهود ، ومَكْرهم ، وحِقْدهم ، وحَسَدهم ، وقُدرتهم على التخطيط . وقال القرطبي في تفسيره (٤/ ١١٠) : ((ومعنى الآية أن اليهود قال بعضُهم لبعض : أَظْهِروا الإيمانَ بمحمد في أول النهار ، ثم اكفروا به آخره ، فإنكم إذا فعلتُم ذلك ، ظهر لمن يَتَّبعه ارتياب في دِينه ، فيرجعون عَن دِينه إلى دِينكم ، ويقولون : إن أهل الكتاب أعْلَم به مِنَّا)) اهـ .

و ﴿ وَجْهَ النهارِ ﴾ هو أحسنُ النهار ، وأوَّل ما يُواجِه الناظرَ ويراه . لذلك سُمِّيَ وَجْهًا . والمراد بـ﴿طائفةٌ ﴾كَعْب بن الأشرف(أحد زعماء اليهود)،ومالك بن الصَّيف(أحد أحبار اليهود).

إن هذه الحِيلة اليهودية كانت سِرًّا بينهم ، وقد فَضَحَها اللهُ تعالى وفَضَحَهم ، وهذا إخبارٌ بأمرٍ غَيبيٍّ ، مما يدل على صِدْق القُرآن ، وأنه مِن عِندِ الله الذي يَعْلَم الأمور الخفِيَّةَ التي لا يَطَّلع عليها الناس. واللهُ تعالى حين كَشَفَ هذه الحِيلةَ بَطَلَ أثَرُها، وانتهى تأثيرُها ، ولم تُؤثِّر على المسلمين بأي شكل، وقد انقلبَ السِّحْرُ على الساحر . وهذه الحِيلة _ لو لم تَظْهَر _ لكانَ من الممكن أن تؤثِّر على أصحاب الإيمان الضعيف ، وتُحدِث بَلْبلةً في صفوف الجماعة المُسْلمة ، ولكنَّ اللهَ تعالى أظْهَرَها، وأبطلَ مَفعولها ، وأراحَ المسلمين من التفكير فيها ، والانشغالِ بها . وبِمُجَرَّد ظُهورها انتهى وُجودُها. وإظهارُ هذه الحِيلة، وفَضْحُ اليهود، وكَشْفُ مَكْرِهم ، وإبطالُ خُطتهم الخبيثة ،كل هذه الأشياء تُشكِّل رادعًا لهم ، وتَمنعهم من التخطيط لِمِثْل هذه الحِيَل والمؤامرات مُسْتَقْبَلًا ، لأنهم أدْرَكوا أن الله لهم بالمِرْصاد ، وسَيَفْضحهم على رؤوس الأشهاد ، وسيجدون أنفسهم في مَوْقِف شديد الإحراج ، ولَن يَعودوا إلا بالخِزْيِ والعار والفضيحة .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَمِن أهلِ الكتابِ مَن إن تأمَنهُ بِقِنطارٍ يُؤدِّهِ إلَيكَ ومِنهم مَن إن تأمَنهُ بِدِينارٍ لا يُؤدِّهِ إلَيكَ إلا ما دُمتَ عَلَيْهِ قائمًا ذلك بأنهم قالوا لَيْسَ عَلَيْنا في الأُمِّيينَ سَبيلٌ ويقولونَ على اللهِ الكَذِبَ وهُم يَعْلَمون ﴾ [آل عِمران : ٧٥] [٤] .

إن اللهَ تعالى حَاكِمٌ عادل لا يَظْلِم الناسَ ، وهو سُبحانَه يُنصِف أحبابَه وأعداءَه ، ويُعامِل عباده بالعَدْل ، سواءٌ كانوا مسلمين أم كافرين . والقرآنُ يُوضِّح لنا أن أهل الكتاب لَيْسوا سَواءً ، ولا يمكن وَضْعهم في إطار واحد ، فهناك المُخلِص مِنهم، وهناك الخائن . وهذا يُشير إلى عَدْلِ الله

٤ قال القرطبي في تفسيره(٤/١١٤):((ليس في هذه الآية تعديل لأهل الكتاب ولا لبعضهم ، خِلافًا لمن ذهب إلى ذلك ، لأن فُسَّاق المسلمين يُوجد فيهم من يُؤدِّي الأمانة،ويُؤمَن على المال الكثير، ولا يكونون بذلك عُدولًا،فطريق العدالة والشهادة ليس يُجْزِئ فيه أداء الأمانة في المال مِن جِهة المعامَلة والوديعة)).

الذي يَذْكُر الناسَ بما لَهُم وما عَلَيْهم دون تمييز بن مسلم وكافر . وجميعُ الناس ـ مهما كانت أديانهم ـ هُم عِبَاد الله ، واللهُ خَلَقَهم وهو أعْلَم بعقائدهم مِنهم ، وَيَعْلَم المؤمنَ والكافرَ قبل أن يُولَدَا . ومِن اليهود أهلُ أمانةٍ يُؤدُّونها على أكْمِل وجْه ، ولا يَرتضون لأنفسهم الخِيانةَ والغَدْرَ ، وهؤلاء موجودون في كل زمان ومكان، لكنهم قِلَّةٌ قليلة . والغالبيةُ الساحقة من اليهود هُم خَوَنة .

والمشكلةُ أن المؤمنين لا يستطيعون التفريقَ بين الأمين والخائن في أهل الكتاب ، والحَل هو اجتنابهم جميعًا ، وأخذ الحِيطة في التعامل معهم ، والحذر مِنهم بِشَتَّى الوسائل ، ومَن اضْطُرَّ إلى التعامل معَهم ، فيجب عليه ألا يَفترضَ فِيهم حُسْنَ النِّية ولا البراءة .

مِن اليهود مَن إذا ائتَمَنْتَهُ على المال الكثير (القِنطار) يُرجعه إليك كاملًا غير منقوص بكل أمانة ونزاهة ، مِثْل: عبد الله بن سلام. وقد مَدَحَه اللهُ تعالى ، وأشادَ بأمانته ، وخَلَّد ذِكْرَها إلى يَوم القيامة . ومِنهم إذا ائتمنته على مالٍ قليل (دِينار) جَحَدَه وخانكَ ، مِثْل: فِنْحاص بن عازوراء. ولم يُرْجِعْه إليك، إلا إذا بَقِيتَ مُلازِمًا له، ومُلْتَصِقًا بِه ، وَمُشْهِدًا عليه ، وتُهدِّده بالتقاضي .

ومِن أهل الكتاب مَن يُؤدِّي الأمانةَ وَلَوْ كَثُرَتْ ، ومِنهم لا يُؤدِّيها وَلَوْ قَلَّتْ . ومعلومٌ أن الناس كُلَّهم فِيهم الأمين والخائن . وما تخصيص أهل الكتاب بالذِّكْر إلا لأنهم يَخونون المسلمين اسْتِحلالًا لذلك ، أي يَعتقدون أنهم لَيس عليهم إثم ولا حَرَج في خِيانة المسلمين ، والاستيلاءِ على أموالهم ومُمتلكاتهم .

وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٥٤): ((﴿ وَمِن أهلِ الكتابِ مَن إن تأمَنهُ بِقِنطارٍ يُؤدِّهِ إلَيكَ ﴾ كعبد الله بن سلام ، استودعه قُرَشِيٌّ ألفًا ومائتي أُوقِيَّةٍ ذهبًا فأدَّاه إليه، ﴿ ومِنهم مَن إن تأمَنهُ بِدِينارٍ لا يُؤدِّهِ إلَيكَ ﴾ كفِنْحاص بن عازوراء، استودعه قُرشي آخر دينارًا فجحده. وقِيل: المأمونون على الكثير النصارى، إذ الغالب فيهم الأمانة، والخائنون في القليل اليهود، إذا الغالب عليهم الخيانة)).

وفي صحيح البخاري (٢/ ٨٠١) : عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ : عن رسول الله ﷺ : ((أنه ذَكَرَ رَجُلًا من بني إسرائيل ، سأل بعضَ بني إسرائيل أن يُسْلِفَه ألفَ دينار ، فقال : ائتني بالشُّهداء أُشْهِدهم ، فقال : كفى بالله شهيدًا ، قال : فَأْتِني بالكفيل ، قال : كفى بالله كفيلًا . قال : صَدَقْتَ ، فدفعها إليه إلى أجل مُسمى ، فخرج في البحر ، فقضى حاجته ، ثم التمسَ مَرْكَبًا يركبها يَقْدَم عليه للأجل الذي أجَّله ، فلم يجد مَرْكَبًا ، فأخذَ خَشَبةً فنقرها ، فأدخلَ فيها ألف دينار ، وصَحيفة مِنه إلى صاحبه ، ثم زَجَّجَ مَوْضِعَها ، ثم أتى بها إلى البحر ، فقال : اللهمَّ إنكَ تَعْلَم أني كُنتُ تسلَّفْتُ فُلانًا ألفَ دينار ، فسألني كفيلًا ، فقلتُ : كفى بالله كفيلًا ، فَرَضِيَ بِكَ،

وسألني شهيدًا ، فقلتُ : كفى بالله شهيدًا ، فَرَضِيَ بِكَ ، وإني جَهِدْتُ أن أجدَ مَرْكَبًا أبعث إليه الذي له فلم أقْدِر ، وإني أَسْتَوْدِعُكَها ، فرمى بها في البحر ، حتى وَلجَتْ فيه ، ثم انصرفَ ، وهو في ذلك يلتمس مَرْكَبًا، يخرج إلى بلده ، فخرجَ الرَّجلُ الذي أسْلَفَهُ يَنظر لعلَّ مَرْكَبًا قد جاءَ بماله ، فإذا بالخشَبةِ التي فيها المال ، فأخذَها لأهله حَطَبًا ، فلمَّا نشرَها وَجَدَ المالَ والصحيفةَ ، ثُمَّ قَدِمَ الذي كان أسْلَفَه ، فأتى بالألف دينار، فقال : واللهِ ما زِلْتُ جاهدًا في طَلَبِ مَرْكَبٍ لآتِيَكَ بمالك ، فما وَجدتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الذي أتَيْتُ فيه ، قال : هل كُنتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بشيء ؟ ، قال : أُخبِرُكَ أني لم أجد مَرْكَبًا قَبْلَ الذي جِئتُ فِيه ، قال : فإن الله قد أدَّى عَنكَ الذي بَعَثْتَ في الخشَبة ، فانصرِفْ بالألفِ دينار راشدًا)) .

هذه كَرامةٌ ظَهَرتْ على يد أحد أولياء الله تعالى، وهي تدل على أهميةِ الوفاء، وعَظَمةِ الأمانة ، ووجوبِ تأديتها إلى أهْلها في الموعِد المُحدَّد ، كاملةً غير منقوصة . والأمانةُ ذات حضور مركزي في الشريعة الإسلامية ، والتفريطُ بِها يُعتبَر طَعْنًا في الدِّين ، وهَدْماً للمنظومة الأخلاقية ، وتدميرًا للعلاقات الإنسانية .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ إن الله لا يُحب كُلَّ خَوَّانٍ كَفُور ﴾[الحج : ٣٨] .

إن اللهَ تعالى لا يُحِبُّ الخوَنةَ وجاحدي النِّعَم. إنهم فئةٌ شاذةٌ ظَلَمتْ نفْسَها وظَلَمت الآخرين.

وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٠٢) : ((أي : لا يُحِب مِن عباده مَن اتَّصف بهذا ، وهو الخِيانة في العهود والمواثيق ، لا يَفِي بما قال ، والكُفْرُ الجَحْدُ للنِّعَم ، فلا يَعترف بها)) اهـ .

والخِيانةُ عاقبتها وخيمة، وهي لا تصدر إلا عن قلب مريض . كما أنها تدل على نفسية خبيثة تعتمد على التحايلِ والرَّوَغانِ وخرقِ العهود وتغييرِ الكلام لتحقيق مصلحة آنِيَّة فانية. والخيانةُ هي البِطانة البائسة . وقد كان من دعاء النبيِّ ﷺ : ((أعوذ بك من الخيانة فإنها بِئْسَت البِطانة)) [٥] .

والخِيانةُ مُتعارِضة تمامًا مع الإيمان ، فهي تطعن فيه ، ولا يمكن أن تنسجم مع خُلُق المسلم بأيَّة حال من الأحوال ، لأن المسلم شخصية متوازنة ظاهرها خيرٌ كباطنها دون تناقض ، أمَّا الخِيانة فتحمل في طَيَّاتها نقض العهود سِرًّا ، وطَعن الآخرين في ظُهورهم، وتضييع الأمانة ، وهذا يتنافى مع المنهجية الإسلامية في التعامل . والمؤمن قد توجد عنده بعض الأخلاق السيئة ، لكن الخيانة لا يمكن أن تكون ضمن دائرة أخلاقه ، ومُحَال أن تكون صِفةً له .

---

٥ رواه ابن حِبَّان في صحيحه (٣/ ٣٠٤) برقم (١٠٢٩) .

وعن سعد بن أبي وقاص ــ رضي الله عنه ــ أن النبيَّ ﷺ قال : ((المؤمن يُطبَع على كُلِّ خَلَّةٍ غَيْرِ الخِيانةِ والكذبِ)) [٦] **. والمنهجية الإسلامية ترفض مُقابلةَ الخيانة بالخيانة، فالنارُ لا تُطفِئ النارَ ، إنما يُطفئها الماء. ولا ينبغي مقابلة الأخلاق السيئة بِمِثْلِها ، لأن المؤمن هو منارة الحق والفضيلة ، وناشر الأخلاق الكريمة. وعن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : ((أَدِّ الأمانةَ إلى مَن ائتمنك ، ولا تَخُنْ مَن خانك))** [٧] **.**

وقد زَعَمَ اليهودُ أن اللهَ أحلَّ لهم أموالَ العرب (الأُمِّيين) ، وأباحَ ظُلْمَهم لأنهم مُشرِكون ، وهذا ما حَمَلَهم على الخِيانة . وهذه المبدأُ الباطل اخترعه اليهودُ ، ولا أساس له من الصِّحة ، وهو كَذِبٌ على الله تعالى، ويَعْلَمون أنه كذب . لقد زَعَموا أن هذا الأمر ثابت في التَّوراة ، وقد كَذَبوا، فإن الأمانة يجب أداؤها في كل الشَّرائع بلا استثناء . وقد تمسَّكوا بهذه الفكرة الضَّالة ، خضوعًا لأهوائهم ، وتحقيقًا لمصالحهم الشخصية . فالغايةُ عِندَهم تُبرِّر الوسيلةَ ، وغايتهم هي جَمْع المال بأيَّة وسيلةٍ كانت ، حتى لو كَذَبوا على الله تعالى ، وحرَّفوا كتابهم الدِّيني (التوراة) .

لقد اعتقدَ اليهودُ أن اللهَ أباحَ لهم أموالَ العرب (الأُمِّيين) ، باعتبار أن اليهود شعب الله المختار ، وصَفْوة خَلْقه ، والناس عبيد لليهود وخدم لهم ، وخاضعون لحُكمهم ، خصوصًا العرب.

﴿ ذلك بأنهم قالوا لَيسَ عَلَينا في الأُمِّيينَ سَبيلٌ ويقولونَ على اللهِ الكَذِبَ وهُم يَعْلَمون ﴾ [٨] **.**

---

٦ رواه البزَّار (٣/ ٣٤٠) برقم (١١٣٩) . وقال الحافظ في الفتح (١٠/ ٥٠٨) : ((وسنده قوي . وذكَر الدارقطني في العِلَل أن الأشْبه أنه موقوف)) .

٧ رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٣) برقم (٢٢٩٦) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

٨ قال السُّيوطي في الدُّر المنثور (٢/ ٢٤٤) : ((وأخرج عبد بن حُمَيد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جُبَيْر قال : لَمَّا نزلتْ : ﴿ وَمِن أهلِ الكتابِ مَن إن تأمَنهُ بِقِنطارٍ يُؤدِّهِ إلَيكَ ومِنهم مَن إن تأمَنهُ بِدِينارٍ لا يُؤدِّهِ إلَيكَ إلا ما دُمتَ عَلَيهِ قائمًا ذلك بأنهم قالوا لَيسَ عَلَينا في الأُمِّيينَ سَبيلٌ ﴾. قال النبي ﷺ : " كَذَبَ أعداءُ الله ، ما مِن شيء كان في الجاهلية ، إلا وهو تحت قَدَمَيَّ هاتَيْن، إلا الأمانة، فإنها مُؤدَّاة إلى البَر والفاجر")) اهـ . وفي تفسير ابن كثير (١/ ٤٩٧) : ((عن صَعْصَعة ابن يزيد أن رَجُلًا سأل ابن عباس فقال : إنَّا نُصيب في الغَزْو من أموال أهل الذِّمة ، الدَّجاجةَ والشَّاة ، قال ابن عباس : " فتقولون ماذا ؟ "، قال: نقول ليس علينا بذلك بأس ، قال:" هذا كما قال أهل الكتاب : ﴿ لَيسَ عَلَينا في الأُمِّيينَ سَبيلٌ ﴾ ، إنهم إذا أدُّوا الجزيةَ، لم تَحِلَّ لكم أموالُهم ، إلا بِطِيب أنفسهم ")) .

استحلَّ اليهودُ أموالَ عرب الجاهلية ، لأنهم وثنيون عُبَّاد أصنام . واستحلُّوا أموالَ المسلمين لأنهم يَعتبرونهم لَيسوا أهلَ كِتاب ، ويَكذب اليهودُ على الله عندما يقولون إن الله أحلَّ لهم أموالَ العرب وسرقتهم وخيانتهم ، وهُم يَعْلَمون أنهم كاذبون ، ويَعْلَمون أيضًا أن الله أنزلَ في التَّوراة الوفاءَ وأداءَ الأمانة وعدم الخيانة .

وقال النسفي في تفسيره (١/ ١٦١) : ((قَوْلهم : ﴿ لَيسَ عَلَينا في الأُمِّيينَ سَبيلٌ ﴾ أي : لا يتطرَّق علينا إثم وذَم في شأن الأُمِّيين ، يَعْنُون الذين لَيسوا من أهلِ الكتاب، وما فَعَلْنا بهم مِن حَبْس أموالهم والإضرار بهم، لأنهم لَيسوا على دِيننا. وكانوا يَستحلُّون ظُلْمَ مَن خالَفهم، وكانوا يقولون: لم يُجْعَل لهم في كتابنا حُرْمَة.وقِيل: بايعَ اليهود رِجالًا من قُرَيْش ، فلمَّا أسْلَموا تقاضَوْهُم، فقالوا : ليس لكم علينا حق حيث تركتم دِينكم ، وادَّعَوا أنهم وَجدوا ذلك في كتابهم)) اهـ .

ومن الأمور العجيبة أن العرب تَضْرِبُ المَثَلَ بالوفاء بشخصٍ يهودي ، هو السَّمَوْأَل . فيُقال في الأمثال : أوْفَى مِنَ السَّمَوْأَل. وهذا الرَّجلُ _ وقد كانَ شاعرًا _ أودَعَه امرؤ القَيس دُروعًا ، فلمَّا ماتَ، غَزَاه أحدُ الملوكِ، وخَيَّره بين أن يَقتل ابنه أو يُسلِّم له الدُّروع. فرفضَ تسليمَ الدُّروع ، فَقَتَلَ ابنَه وهو يَنظر إليه . ورجعَ المَلِكُ خائبًا . وبعد ذلك ، سَلَّمَ الدُّروعَ إلى وَرَثة امرئ القَيْس .

وقال الميداني في مجمع الأمثال (٢/ ٣٧٤): ((هو السَّمَوأل بن حيَّان بن عَادِياء اليَهُودي. وكان من وفائه أن امرأ القَيْس لَمَّا أراد الخُرُوجَ إلى قَيْصَر ، اسْتَوْدَعَ السَّمَوأَلَ دُرُوعًا وأحَيْحَةَ ابن الجُلاح أيضًا دروعًا، فلمَّا مات امرؤ القَيس ، غَزَاه مَلِكٌ من ملوك الشأم ، فتحرَّز مِنه السموأل ، فأخذ المَلِكُ ابنًا له ، وكان خارجًا من الحِصْن ، فصاح المَلِكُ بالسموأل ، فأشرفَ عليه ، فَقَالَ : هذا ابنُك في يَدَيَّ ، وقد عَلِمْتَ أن امرأ القَيس ابنُ عَمِّي ومن عَشيرتي ، وأنا أحقُّ بميراثه ، فإن دَفَعْتَ إلَيَّ الدُّروع ، وإلا ذَبَحْتُ ابنك ، فَقَالَ : أجِّلْني، فأجَّلَهُ، فَجَمَعَ أهلَ بيته ونساءه فشاوَرَهم، فكُلٌّ أشارَ عليه أن يَدفع الدُّروعَ ويستنقذ ابنه ، فلمَّا أصبحَ أشْرَفَ عليه ، وقَالَ : لَيس إلى دَفْعِ الدُّروع سبيل، فاصنعْ ما أنتَ صانع ، فذبَحَ المَلِكُ ابنَه وهو مُشْرِف يَنظر إليه ، ثم انصرفَ المَلِكُ بالخَيْبة ، فوافى السموألُ بالدُّروع المَوْسِمَ ، فدفعها إلى وَرَثة امرئ القَيس ، وقَالَ في ذلك :

وَفَيْتُ بأدْرُعِ الكِنْدِيِّ إني ... إذا ما خَانَ أقْوَامٌ وَفَيْتُ
وَقَالَوا : إنه كَنْزٌ رَغِيبٌ ... وَلا وَاللهِ أغْدِرُ مَا مَشَيْتُ
بَنَى لِي عَادِيَا حِصْنًا حَصينًا ... وَبِئْرًا كُلَّمَا شِئْتُ اسْتَقَيْتُ)) اهـ .

لقد كَسَرَ السَّموألُ القاعدةَ ، وخالَفَ غَدْرَ اليهود الذي ينتمي إليهم دِينًا ، ورفضَ خِيانتهم . وأبى إلا أن يَكون مُخلِصًا لِعُروبته [٩] ، مُتحَلِّيًا بالأمانة والوفاء. وصارَ مَثَلًا يُحْتَذَى على مَرِّ العصور . وصارت العربُ تَضْرِبُ به المَثَلَ بالوفاء ، وهذه رُتبة سامية لا يصل إليها أيُّ شخص . وقد ذَكَرَه الأعشى بالمدحِ ، فقال :

كُنْ كالسَّمَوْأَلِ إذْ طَافَ الهُمَامُ بِهِ   فِي جَحْفَلٍ كَسَوَادِ الليلِ جَرَّارِ
بالأَبلقِ الفَرْدِ مِنْ تَيْمَاءَ مَنْزِلُهُ   حِصْنٌ حَصينٌ وَجَارٌ غَيْرُ غَدَّارِ

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ قُل يا أهلَ الكتابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سبيلِ اللهِ مَن آمَنَ تَبغُونها عِوَجًا وأنتم شُهداءُ ﴾[آل عِمران : ٩٩] [١٠] . يا مَعْشَرَ اليهود ، لِمَ تَصْرِفُون عَن دِين الله (الإسلام) مَن آمَنَ، برفضكم الدَّعوة الإسلامية، وتكذيبِ النبيِّ ﷺ، وتَوَدُّون أن يَكون طريقُ اللهِ المستقيمُ مائلًا ، وذلك بالتلبيس على الناس وخِداعهم ، ومحاولةِ إقناعهم بوجود عُيوب في الإسلام ، وإخفاءِ وَصْفِ محمد ﷺ في التوراة. وأنتم تَعلَمون أن الإسلام حَق ، وأن مُحَمَّدًا نبيٌّ ، وَصْفُه مَذكور في التوراة ، وأنتم تَعلَمون هذه الحقيقة ثم ترفضونها.والصَّدُّ هو المنعُ. وقد كانوا يَبذُلون قُصارى جُهْدهم لمنع مَن أرادَ الدخولَ في الإسلام . وهذه الآيةُ توبيخٌ لأهل الكتاب ، إذ إنهم رَفضوا الإسلامَ وهُم يَعلَمون أنه حق . فكُفرهم كانَ مُستنِدًا إلى عِلْم ومعرفة ، ولم يَكونوا جُهلاء . وبالتالي، لا عُذرٌ لهم ولا حُجَّةٌ. ولم يَكتفوا بكُفرهم، بل _ أيضًا _ أرادوا منعَ الناس من اعتناق الإسلام، وجَعْلهم كُفَّارًا مِثْلَهم . وهكذا يتَّضح أنهم كانوا فاسدين ومُفْسِدين في آنٍ معًا .

---

٩ قال رُوكس العُزَيْزي: ((والحقيقة أنه كان يهوديًّا دِينًا، لكنه كانَ عربيًّا دَمًا، فأخواله الغساسنة. وهذا ما رواه لي أستاذنا العلامة الأشهر الأب أنستاس ماري الكرملي سنة ١٩٤٦ في القدس)) [مجلة العربي الكويتية ، العدد ٤٥١ ، يونيو ١٩٩٦م] .

١٠ قال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٢٩) : ((قال مُقاتِل : دَعَت اليهودُ حُذَيْفة وعمار بن ياسر إلى دِينهم، فَنَزلتْ هذه الآية.وفي المراد بأهل الكتاب هاهنا قَوْلان: أحدهما أنهم اليهود والنصارى، قاله الحسن، والثاني: اليهود، قاله زَيد بن أَسْلَم ومُقاتِل.قال ابن عباس: ﴿ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سبيلِ اللهِ ﴾ الإسلام والحج . وقال قتادة : لِمَ تصدُّون عن نبيِّ الله وعن الإسلام . قال السُّدي : كانوا إذا سُئلوا : هل تجدون محمدًا في كُتبكم ؟ ، قالوا : لا . فَصَدُّوا عنه الناس)) .

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٥١٤): ((هذا تعنيفٌ مِن الله تعالى للكَفَرة أهل الكتاب على عِنادِهم للحق ، وكُفْرِهم بآيات الله ، وصَدِّهم عن سبيل الله مَن أراده مِن أهل الإيمان بِجُهْدهم وطاقتهم،معَ عِلْمهم بأن ما جاء به الرسول حق من الله، بما عندهم من العِلْم عن الأنبياء الأقدمين، والسادة المُرْسَلين_صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين _ وما بَشَّروا بِه ونوَّهوا به،مِن ذِكْر النبيِّ الأُمِّيِّ الهاشميِّ العربِيِّ المَكِّيِّ ، سَيِّدِ وَلَدِ آدم ، وخَاتَمِ الأنبياء ، ورسولِ رَبِّ الأرض والسماء)).

وقالَ اللهُ تعالى: ﴿ وَلَو آمَنَ أهلُ الكتابِ لكانَ خَيرًا لَهُم مِنهُمُ المؤمنونَ وأكثرُهُمُ الفاسقون ﴾ [آل عِمران : ١١٠] .

لَو آمَنَ اليهودُ والنصارى بالقُرآن ومُحمَّد ﷺ لكانَ خَيرًا لهم في الدنيا والآخرة ، لأنهم عِندئذٍ سيحصلون على الطمأنينةِ في الدنيا، والسعادةِ الأبدية في الآخرة.ومِنهم فئةٌ قليلةٌ مُؤمنة كالنجاشي الذي كانَ نصرانيًّا ، وعبد الله بن سلام الذي كان يهوديًّا ، والغالبيةُ الساحقة من أهل الكتاب هُم على الكُفْر والفِسْق والعِصيان . والجديرُ بالذِّكر أن اللهَ تعالى خَلَقَ الناسَ ، ودعاهم إلى الإيمان رحمةً بهم ، وهو غنيٌّ عنهم . فإيمانُ المؤمنين لا يَنفَعُه ، وكُفْرُ الكافرين لا يَضُرُّه . ﴿ فَمَن شاء فليؤمن ومَن شاء فليكفر ﴾ [الكَهْف : ٢٩] .

وقال أبو السُّعود في تفسيره (٢/ ٧١) : ((أي : لَو آمَنوا كإيمانكم لكان ذلك خَيرًا لهم ، مِمَّا هُم عليه من الرِّياسة واستتباع العَوام ، ولازدادت رِياستهم وتمتُّعهم بالحظوظ الدُّنيوية ، معَ الفَوْز بما وُعِدوه على الإيمان من إيتاء الأجر مَرَّتَيْن)) اهـ .

وعن أبي هريرة _ رضي الله عنه _ عن النبيِّ ﷺ قال : ((لَو آمَنَ بِي عَشَرةٌ مِنَ اليهود ، لآمَنَ بِيَ اليهودُ)) [11] .

والمقصود بالعَشَرة هُم أحبارُهم (عُلماؤُهم) وزُعماؤهم . ولا يخفَى أن الناسَ تَبَعٌ للعُلماء والأمراء في كل زمان ومكان. وهذا العدد (عشرة) عددٌ مخصوص يدل على أشخاص مُحدَّدين ، إذ إن اليهود الذين آمَنوا بمحمد ﷺ كانوا أكثر من عشرة . وقال الحافظ في الفتح (٧/ ٢٧٥) : ((والذي يَظْهَر أنهم الذين كانوا حِينئذٍ رُؤساء في اليهود ومَن عَداهم كان تَبَعًا لهم ، فلم يُسْلِمْ منهم إلا القليل، كعبد الله بن سلام، وكان من المشهورين بالرِّياسة في اليهود عِند قُدوم النبيِّ ﷺ .

---

١١ رواه البخاري (٣/ ١٤٣٤) برقم (٣٧٢٥) واللفظ له، ومسلم (٤/ ٢١٥١) برقم (٢٧٩٣) بلفظ " لو تابَعَني عشرة من اليهود ، لم يَبْقَ على ظَهْرِها يهوديٌّ إلا أسْلَم ".

ومِن بَني النَّضير : أبو ياسر بن أخْطَب ، وأخوه حُيَي بن أخطب، وكَعْب بن الأشرف، ورافع ابن أبي الحُقَيق، ومِن بني قَيْنُقاع: عبد الله بن حُنَيف ، وفِنْحاص، ورِفاعة بن زَيد . ومِن بَني قُرَيْظَة : الزُّبَير بن باطِيَا ، وكَعْب بن أسد ، وشَمْويل بن زَيد. فهؤلاء لم يَثْبُتْ إسلام أحد منهم، وكان كلٌّ مِنهم رئيسًا في اليهود ، ولو أسْلَمَ لاتَّبعه جماعة منهم ، فَيُحْتَمَل أن يكونوا المُراد)) اهـ .

وقال السُّهَيلي في الرَّوْض الأُنُف (١/ ٢٤٧) : ((ولم يُسْلِمْ من أحبار يهود على عهد رسول الله ﷺ إلا اثنان)) اهـ . والاثنان المقصودان هُما : عبد الله بن سلام ، وعبد الله بن صُوريَا . وعبدالله بن سلام_رضي الله عنه_ إسلامُه ثابت، وهو صحابي جليل . أمَّا عبد الله بن صُورِيَا [١٢] ، فلم يَثْبُتْ إسلامه . قال الحافظ في الفتح (٧/ ٢٧٥): ((ولم أرَ لعبد الله بن صوريا إسلامًا من طريق صحيحة)) اهـ. وفي الرَّوْض الأُنُف للسُّهيلي (١/ ٢٤٤) : ((ولَيس في سِيرة ابن إسحق ذِكْرُ إسلامه)) اه .

وقالَ اللهُ تعالى:﴿لَيسَ بأمانِيِّكُم ولا أمانِيِّ أهلِ الكِتابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾[النِّساء: ١٢٣].

إن الأجرَ الإلهيَّ يُنال بالإيمان والعملِ الصالح ، ولا يُنال بالشِّعارات والأماني . وهذا الأجرُ الإلهي لا يُنال بأمانِيِّكم أيها المسلمون ولا أمانِيِّ اليهود والنصارى . والأماني جَمْع أُمْنِيَّة ، وهي ما يَشتهيه الإنسان ، ويَتوق إليه ، ويَطمع فيه .

والإيمانُ مَا استقرَّ في القلب ، وصدَّقه اللسانُ ، وظَهَرَ على الجوارح . ((وصَحَّ عن الحسن أنه قال: " لَيس الإيمان بالتَّمنِّي ولا بالتَّحلِّي ، ولكنْ ما وَقَرَ في القلب ، وصَدَّقه العملُ " . ونَحْوُه عن سُفيان الثَّوري)) [١٣] .

---

١٢ في سيرة ابن هشام (٣/ ٤٧) : ((عبد الله بن صوريا الأعور ، ولم يكن بالحجاز في زمانه أحد أعلم بالتوراة منه)) .

١٣ حاشية ابن القيم على سُنن أبي داود (١٢/ ٢٩٤) . وانظر تخريج الظِّلال (١/ ٤٠٧) . وقال الْمُناوي في فيض القدير (٥/ ٣٥٥): ((وبالمعرفة لا بالعمل ، تتفاوت الرُّتَب ، فإنما تفاضلت الأنبياء بالعِلْم بالله لا بالأعمال ، وإلا لكانَ المعروف من الأنبياء وأممهم أفضل من نبيِّنا وأُمَّته ، وإنما تقدَّمهم بفِضْل معرفته بالله وعِلْمه به وقوة اليقين. قال ابن عطاء : على قَدْر قُرْب الأولين والآخرين من التقوى أدْرَكوا من اليقين ، وقد كان المصطفى ﷺ في هذا المقام أعلى العالَمين . قال الغزالي : وفيه إيماء إلى أن أشرف العلوم معرفة الله تعالى، وأنه ليس المراد بها الاعتقاد الذي يتلقَّنه العامي روايةً وتلقُّنًا ، ولا تحرير=

والإيمانُ لَيس بالتَّشهِّي أو بالتَّزيُّن بالقَوْل.والإيمانُ لَيس قَوْلًا باللسان فقط، بل هو قَوْل وعمل. قَوْلٌ باللسان، ومعرفة في القلب. مما يَنعكس على أعمالِ الجوارحِ، ويَظهر في السُّلوك الاجتماعي . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٠٨و٢٠٩) عن الآية : ((في سبب نزولها ثلاثة أقوال : أحدها أن أهل الأديان اختصَموا ، فقال أهل التوراة : كتابنا خَير الكتب ، ونبِيُّنا خَير الأنبياء ، وقال أهل الإنجيل مِثْلَ ذلك ، وقال المسلمون : كِتابنا نَسخ كُلَّ كتاب ، ونبِيُّنا خاتَم الأنبياء ، فَنَزلت هذه الآية . ثُمَّ خَيَّرَ بين الأديان بقَوْله : ﴿ وَمَن أحسنُ دِينًا مِمَّن أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ ﴾ [النِّساء : ١٢٥] ، رواه العَوفي عن ابن عباس ، وإلى هذا المعنى ذهب مسروق وأبو صالح وقتادة والسُّدي . والثاني أن العرب قالت : لا نُبْعَث ، ولا نُعذَّب ، ولا نُحاسَب . فَنَزلت هذه الآية ، هذا قَول مجاهد . والثالث أن اليهود والنصارى قالوا : لا يَدخل الجنةَ غَيْرُنا ، وقالت قُرَيْش : لا نُبْعَث ، فَنَزلت هذه الآية ، هذا قول عِكْرِمة)) اهـ .

والإنسانُ مَجْزِيٌّ بعمله، فمن يَعْمَلْ خَيرًا يجدْ خَيرًا، ومَن يَعملْ سُوءًا يَجِدْ جَزاءَ عمله بلا ظُلْم. والإنسانُ حُر في اختياره ، ومسؤول عن أعماله في الدنيا والآخرة .

﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ . إن المؤمن والكافر كِلاهما مَجْزِيٌّ بعمله السُّوء _ عَاجِلًا أو آجِلًا _، ومُجَازَاةُ الكافر هي النار، أمَّا مُجازَاةُ المؤمن فهي مصائب الدنيا مثل الأمراض والمِحَن . ومِن فَضْل الله على المؤمن أن يُعجِّل له العُقوبة في الدنيا. والمؤمنُ الذي يأتي بأعمال سَيِّئة يَوْمَ القِيامة ، هو تحت المشيئة الإلهية، إن شاءَ اللهُ عذَّبه ، وإن شاءَ غَفَرَ له .

وهذه الآيةُ كانت شديدةً على المؤمنين لِمَا فيها من الوعيد العظيم، فقد أدْرَكوا أنهم سَيُجَازَوْنَ بكل أمرٍ ، صغيرًا كانَ أم كبيرًا . وبالتالي ، فالنَّجاةُ صعبة للغاية ، والهلاكُ يَنتظرهم .

وفي صحيح مسلم (٤/ ١٩٩٣) عن أبي هريرة قال: لَمَّا نزلتْ: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ بَلَغَتْ مِن المسلمين مَبْلَغًا شديدًا ، فقال رسول الله ﷺ : ((قَارِبُوا وسَدِّدوا ، ففي كُلِّ ما يُصاب به المسلم كَفَّارة ، حتى النَّكْبةُ يُنْكَبُها ، أو الشَّوْكةُ يُشَاكُها)) .

=الكلام ، ومُراوَغة الأخصام ، التي هو غاية المتكلِّم ، بل نوع يقين هو ثمر نور يَقذفه الله في قلب من طَهَّرَ بالمجاهَدة باطنَه))اهـ. وقال القرطبي في تفسيره(١٥/ ٣٠٨): ((وقال الحسن البصري: إن قَوْمًا ألهتهم الأماني ، حتى خرجوا من الدنيا ، وما لهم حسنة ، ويقول أحدُهم : إني أُحْسِنُ الظَّن بِرَبِّي ، وكَذَبَ ، ولو أحْسَنَ الظنَّ لأحسنَ العملَ)) اهـ .

قارِبُوا (اقْتَصِدُوا ولا تَغْلُوا ولا تُقصِّروا)، فخَيرُ الأمورِ الوسط،وسَدِّدوا (اقْصِدوا الصوابَ).
وهذا الحديثُ يُشير إلى فضيلة من فضائل الأُمَّة المُحمَّدية الإسلامية . فالمسلمُ إن حَدَثت له مُصيبة ، وصبرَ عليها ، فإن اللهَ يُكفِّر بِها ذَنْبًا مِن ذُنوبه . حتى الشَّوْكة إذا جَرحت المسلمَ ، فإنها تَكون كفَّارةً له من الذنوب. وهذا الأمرُ يدل على رحمة الله وفضله. فإن مَن حُوسِب في الدنيا ، خَفَّ عنه الحسابُ في الآخِرة. وكلما ازدادت المصائبُ على الإنسان ، وصبرَ عليها ابتغاءَ وَجْه الله ، فإنه سيخرج من الدنيا طاهرًا مُطَهَّرًا ، لا ذَنْبَ عليه ولا إثم .

وعن أبي بكر الصِّديق _ رضي الله عنه _ قال : قلتُ يا رسول الله : كيف الصلاحُ بعد هذه الآية: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ ؟، فكُلُّ سُوءٍ عَمِلْناه جُزينا به. قال: ((غَفَرَ اللهُ لكَ يا أبا بكر ، _قاله ثلاثًا _ ، يا أبا بكر ألستَ تمرض ؟ ، ألستَ تحزن ؟ ، ألستَ تَنْصَب ؟، ألستَ تُصيبك اللأواء _ يعني الشِّدة _ ؟)) ، قلتُ : نعم ، قال : ((فهو ما تُجْزَوْنَ به في الدنيا)) [١٤] .

إن المسلم إذا صبر على المصائب والكوارث والأزمات والشدائد ابتغاءَ وجه الله ، فإن الله يُكفِّر بها ذُنوبه وآثامه ومعاصيه . وهذه عمليةُ تَطهير إلهية للمسلم ، لإيصاله إلى حالة النقاء الإيماني ، والطهارة الروحية ، والنظافة الحِسِّية .

والحديثُ يدل على حِرص أبي بكر الصِّديق _ رضي اللهُ عنه _ على فهم النصوص الدينية، والالتزام بها ، والتعامل معها . وهو يَعيش النَّصَّ رُوحًا ومعنى ، مَفهومًا ومَنطوقًا .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ يَسألُكَ أهلُ الكتابِ أن تُنَزِّلَ عَلَيْهِم كِتابًا مِنَ السماءِ فقد سألوا مُوسَى أكبرَ مِن ذلكَ فقالوا أرِنا اللهَ جَهرةً فأخَذَتْهُمُ الصاعقةُ بِظُلْمِهِم ﴾[النِّساء : ١٥٣] [١٥] .

إن أحبارَ اليهود (عُلماءهم) سألوا النبيَّ ﷺ أن يُنَزِّلَ عليهم كِتابًا من السماء دَفْعةً واحدة ، كما جاءَ مُوسى ﷺ بالتَّوراة دَفْعةً واحدة . وهُم لم يَطلبوا هذا الأمر بحثًا عن الإيمان ، أو للتأكد

١٤ رواه الحاكم في المستدرك (٣ / ٧٨) برقم (٤٤٥٠) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

١٥ قال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٤٠) : ((في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها أنهم سألوه أن يُنَزِّل كتابًا عليهم خاصة،هذا قول الحسن وقتادة.والثاني أن اليهود والنصارى أتَوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: لا نُبايعك حتى تأتِيَنا بكتاب من عند الله إلى فُلان أنك رسول الله ، وإلى فُلان بكتاب أنك رسول الله ، فَنَزلت هذه الآية، هذا قول ابن جُرَيْج. والثالث أن اليهود سألوا النبيَّ ﷺ أن يُنَزِّل عليهم كِتابًا مِن السماء مَكتوبًا ،كما نزلت التوراة على موسى ، هذا قول القُرَظِيِّ والسُّدي)) .

مِن صِحة نُبُوَّة محمد ﷺ ، وإنما طَلَبُوه عِنادًا وتَعَنُّتًا وتضييعًا للوقت . وقال الطبري في تفسيره (٤/ ٣٤٥) بعدما ساقَ أقوال المفسِّرين : ((وأوْلَى الأقوال في ذلك بالصواب أن يُقال : إن أهل التوراة سألوا رسولَ الله ﷺ أن يَسأل رَبَّه أن يُنَزِّل عليهم كتابًا من السماء، آيةً مُعجِزةً جميعَ الخَلْق عن أن يأتوا بمِثْلها ، شاهدة لرسول الله ﷺ بالصِّدق ، آمِرة لهم باتِّباعه)) اهـ .

ولا تَسْتَعْظِمْ يا محمد ما طَلَبوه ، فقد سألوا موسى أكبرَ من هذا الطلب ، فقد طَلَبوا منه أن يُرِيَهم اللهَ عِيانًا ، وهذا دليلٌ واضح على طُغيانهم وعِنادهم . وهذا الأمرُ يَحْمِل تخفيفًا عن النبيِّ محمد ﷺ ، وتَسْليةً له . فلا تَنْزعج يا محمد من سؤال اليهود ولا تتضايق ، فهذه عادتهم وعادة آبائهم مِن قَبْلِهم ، وهذا هو أسلوبهم الشَّاذ في التعامل مع الأنبياء . ومعَ أن آباءَهُم هُم الذين طلبوا من موسى ﷺ أن يُرِيَهم اللهَ جَهْرةً ، إلا أن هذا القَوْل أُسنِد إليهم ، لأنهم سائرون على خُطى آبائهم ، وتابعون لهم في كُل صغيرةٍ وكبيرة ، إذ إن دِينهم مبنيٌّ على التقليد الأعمى للآباء . وجاءَتْهُم العقوبةُ الإلهية ، وهي نارٌ نَزلت عليهم من السماء فأهْلَكَتْهُم بسبب ظُلْمهم ، وهو عِنادهم وتَعَنُّتهم ، وطلبهم ما يَستحيل في تلك الحالة التي كانوا عليها . والعذابُ الذي أصابَ هؤلاء القَوم الذين طَلَبوا رؤية الله تعالى ، كان بسبب عِنادهم وتعنُّتهم وتكبُّرهم ، وتطاولهم على رسولهم موسى ﷺ ، وطلبهم لشيء في غَير مَوْضعه [16] .

وقال الطبري في تفسيره (٤/ ٣٤٥) : ((﴿ فقد سألوا مُوسَى أكبرَ مِن ذلكَ ﴾ ، فإنه توبيخ من الله جَلَّ ثناؤه سائلي الكتاب الذي سألوا رسولَ الله ﷺ أن يُنَزِّله عليهم من السماء في مسألتهم إيَّاه ذلك ، وتقريع مِنه لهم . يقول الله لِنَبِيِّه ﷺ : يا محمد لا يَعْظُمَنَّ عليك مسألتهم ذلك، فإنهم

---

١٦ قال الأشعري في الإبانة (١/ ٤٨) : ((فإن قال قائل : قد استكبرَ اللهُ تعالى سؤالَ السائلين له أن يُرى بالأبصار فقال: ﴿ يَسألُكَ أهلُ الكتابِ أن تُنَزِّلَ عَلَيْهِم كِتابًا مِنَ السماءِ فقد سألوا مُوسَى أكبرَ مِن ذلكَ فقالوا أرِنا اللهَ جَهرةً ﴾ . فيُقال لهم : إن بني إسرائيل سألوا رؤية الله _عز وجل _ على طريق الإنكار لِنُبُوَّة موسى ﷺ ، وتركِ الإيمان به حتى يَرَوا الله ، لأنهم قالوا : ﴿ لَن نُؤمِنَ لَكَ حتى نرى اللهَ جَهرةً ﴾ [البقرة : ٥٥]. فلمَّا سألوه الرؤية على طريق ترك الإيمان بموسى ﷺ، حتى يُرِيَهم اللهُ نفْسَه ، استعظم اللهُ سؤالهم من غير أن تكون الرؤية مستحيلة عليهم ، كما استعظم سؤالَ أهل الكتاب أن يُنَزِّل عليهم كتابًا من السماء، من غَير أن يكون ذلك مستحيلًا . ولكن لأنهم أبَوْا أن يُؤمنوا بنبيٍّ الله حتى يُنَزِّل عليهم من السماء كتابًا)) .

من جَهْلهم بالله ، وجَراءتهم عليه ، واغترارهم بحِلْمه ، لو أَنزلتُ عليهم الكتاب الذي سألوك أن تُنَزِّله عليهم ، لخالَفوا أمرَ الله، كما خالفوه بعد إحياءِ اللهِ أوائلَهم مِن صَعْقتهم ، فَعَبَدوا العِجْلَ، واتَّخَذوا إلهًا يَعبدونه من دون خالقهم وبارئهم ، الذي أراهم مِن قُدرته وعظيم سُلطانه ما أراهم ، لأنهم لن يَعْدُوا أن يَكونوا كأوائلهم وأسلافهم)) اهـ .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ يا أهلَ الكتاب لا تَغلُوا في دِينكم ﴾[النِّساء : ١٧١] [١٧] .

إن الله يَأمر أهلَ الكتاب بعدم الغُلُوِّ في الدِّين، أي عدم مُجاوَزة الحد ، والتطرف ، والانحراف عن الطريق المستقيم . فالغُلُوُّ طريقُ الضلال والابتعاد عن جادَّة الصواب ، وله تأثيرات سلبية على الحياة والأفكار والإنسان والمجتمع .

إن اللهَ يَنهَى النصارى عن المُبالَغة في تعظيم المسيح ﷺ ، والغُلُوِّ فِيه ، فقد أخرَجوه من حَيِّز النُّبُوَّة إلى مقام الأُلوهية ، وجَعَلوه إلهًا وابنًا للهِ تعالى . وهذا باطل نقلًا وعقلًا .

وقال الطبري في تفسيره (٤/ ٣٧٢) : ((لا تُجاوِزوا الحقَّ في دِينكم فتُفرِّطوا فيه ، ولا تقولوا في عيسى غير الحق ، فإنَّ قِيلَكم في عيسى إنه ابنُ اللهِ قَوْلٌ مِنكم على اللهِ غَيرُ الحق ، لأن الله لم يتَّخذ ولدًا ، فيكون عيسى أو غَيْرُه مِن خَلْقِه لا ابنًا)) اهـ .

وروى البخاري في صحيحه (٣/ ١٢٧١) عن عمر بن الخطاب _ رضي الله عنه _ قال : سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول : ((لا تُطروني كما أَطْرَت النصارى ابْنَ مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا عبدُ اللهِ ورسولُه)) .

إن الإطراء المقصود في الحديث الشريف مُقَيَّد بإطراء النصارى للمسيح ﷺ ، ومعروف أن إطراءَ النصارى هو تأليهُ المسيح ﷺ ، واتخاذُه إلهًا وابنًا لله تعالى . أمَّا المسلمون فَيَمدحون النبيَّ محمدًاﷺ وباقي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بما فِيهم، وليس فِيهم إلا الحقُّ والخير والشَّرف والسِّيادة والنُّبُوَّة . إنهم عِبادُ اللهِ وأنبياؤه الطاهرون.وقال الحافظ في الفتح (٦/ ٤٩٠): ((قَوْله : " لا تُطروني " ، بضم أوَّله . والإطراء المدح بالباطل ، تقول : أطْرَيْتُ فُلانًا مَدَحْتُه فأفرطتُ في مَدْحه . قَوْله :كما أطْرَت النصارى ابن مريم ، أي في دِعواهم فيه الإلهية ، وغير ذلك)) اهـ .

---

١٧ قال البغوي في تفسيره(١/ ٣١٣): ((نزلت في النصارى ، وهم أصناف: الماريعقوبية، والمَلْكانية، والنُّسطورية ، والْمُرقوسية . فقالت اليعقوبية : عيسى هو الله ، وكذلك الملكانية . وقالت النُّسطورية : عيسى هو ابن الله ، وقالت المرقوسية: ثالث ثلاثة . عَلَّمهم رَجل من اليهود ، يقال له بُولُس)) .

واستنادًا إلى هذا المعنى ، قال البوصيري في مَدْح النبيِّ محمد ﷺ :

دَعْ ما ادَّعته النصارى في نَبِيِّهِم   واحْكُم بما شِئتَ مَدْحًا فيه واحْتَكِمِ

وانسُب إلى ذاته ما شِئتَ مِن شَرَفٍ   وانسُب إلى قَدْره ما شِئتَ مِن عِظَمِ

وكما أن النصارى بالَغوا في تعظيم المسيح ﷺ وغَلَوا فِيه ، حتى جعلوه إلهًا مَعبودًا ، ولم يَقنَعوا بِكَوْنه عبدَ اللهِ ورسولَه ، غَلا اليهودُ في المسيح ﷺ من الجهة الأخرى ، وأهانوه ، وأنزَلوه عن رُتبة النُّبُوَّة ، وجَعَلوه ابْنَ زِنا ، والعِياذُ باللهِ تعالى . وبذلك يَكونون قد احْتَقَروه هُوَ وأُمَّه مريم .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَبِكُفرِهِم وَقَوْلِهِم عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾[النِّساء :١٥٦] .

اتَّهَمَ اليهودُ السيدةَ الطاهرة مَرْيَمَ _ عليها السلام _ بالزِّنا بدون دليل ولا برهان . وقال الشَّوْكاني في فتح القدير (١/ ٨٠٦) : ((هو رَمْيُها بِيُوسُف النَّجار ، وكان من الصالحين . والبُهتان : الكذب المُفْرِط الذي يُتعجَّب مِنه)) اهـ . وهذا البُهتانُ الذي ألصقوه بها ، يُشير إلى النفسية الخبيثة لليهود الذين يعتمدون على ترويج الإشاعات المُغرِضة ، بهدف القضاء على الآخرين، وتفتيتِ أوصال المجتمع ، وتشكيكِ الناس بدينهم وأنبيائهم وأوليائهم وتاريخهم .

إن اليهود والنصارى مُتطرِّفون في نظرتهم إلى المسيح ﷺ . فاليهودُ أنزَلوه عن رُتبة النُّبوَّة ، وجَعَلوه ابْنَ زِنا ، والنصارى رَفَعوه فوق رُتبة النُّبوَّة ، وجَعَلوه إلهًا . وكِلا الأمرَيْن تطرُّفٌ وغُلُوٌّ من جهتَيْن متعاكستَيْن . وَوَحْدَهم المسلمون هُم الذينَ اختاروا الطريقَ الحق ، فهم يَعتقدون أن المسيحَ عَبْدُ اللهِ ورسولُه ، وكَلِمَتُه ألقاها إلى مريم ، ورُوحٌ مِنه . قالَ اللهُ تعالى : ﴿ إِنَّما المسيحُ عِيسى ابْنُ مَرْيَمَ رَسولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ ألقاها إلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنهُ ﴾ [النِّساء : ١٧١].

حَمَلَ النصارى" الكلمةَ والرُّوح " على المعنى الحِسِّي ، فاعتقَدوا أن المسيحَ جُزءٌ مِنَ الله ، ويُشارِكُه الأُلوهيةَ ، كما يُشارِكُ الابنُ أباه في النَّسَب والجِينات والخصائص المعنوية والمادية . ووَفْقَ التَّصور النصراني فإن المسيحَ كلمةُ اللهِ . وكلامُ اللهِ قديمٌ ، إذن ، فالمسيحُ قَديمٌ يُشارك اللهَ تعالى بالقِدَم (لا أوَّلَ له)، وهذا يعني أن المسيحَ إلهٌ معَ الله مُنذ الأزلِ . وَوَفْقَ تصوُّرهم أيضًا ، فإن المسيحَ رُوحٌ مِنَ الله ، أي إنه جُزء من الله . وبما أن المسيحَ جُزءٌ مِنَ الإله . إذن ، هو إلهٌ معَ الله ، لأنَّ الجزءَ يَحمل صِفاتِ الكُل . وهذه المتاهةُ العَقدية قادت النصارى إلى التثليث ، فصارَ الابنُ إلهًا ، والأبُ إلهًا ، والرُّوحُ القُدُسُ إلهًا. والغريبُ بأن النصارى يؤمنون بأن اللهَ واحدٌ، لكن من منظور منحرفٍ مضاد لمفهوم التوحيد عند المسلمين . فهم يزعمون أن اللهَ تعالى واحدٌ ذو ثلاثة أقانيم (الآب ، الابن ، الرُّوحُ القُدُس). تعالى اللهُ عُلُوًّا كبيرًا .

إن اللهَ وَحْدَهُ هو القديمُ (لا أوَّل له) ، وكُل شيء سِوى اللهِ حادثٌ (وُجد بعد إذ لم يَكُنْ) . فاللهُ وَحْدَه هو الخالق، وكُل شيء سِواه مخلوق . واللهُ وَحْدَه هو الصانع ، وكُل شيء سِواه مَصنوع، واللهُ وَحْدَه هو القديم ، وكُل شيء سِواه حادث . وكانَ اللهُ في الأزلِ ، ولا شَيْءَ معه .

إن النصارى اعتمدوا لتفسير النصوص الدينية على تأويل مُنحرِف ، وهو سبب ضَلالهم، وقد قادهم إلى الكفر . وإن السبب الرئيسي لكُفر النصارى هو عَجْزُهم عن فَهْم دَلالات اللغة ، وعدمُ قُدرتهم على فهم الكلام الإلهيِّ وَفْقَ السِّياق اللغوي السليم . فالمسيحُ ﷺ كلمةُ اللهِ ، بمعنى أن اللهَ تعالى خلقَه بكلمةٍ مِنه، لا أن المسيحَ هُوَ ذاتُ الكلمة . والمسيحُ ﷺ هو رُوحٌ مِنَ الله، أضافَهُ اللهُ إلى نفْسه تشريفًا له ، ورَفْعًا لمكانته . فالمسيحُ نبيٌّ كريم ، ورحمةٌ مِن الله . خَلَقَه اللهُ تعالى بكلمةٍ مِنه ، فَوُلِدَ بلا أب . واللهُ على كُل شيء قدير . يتصرَّف في هذا العالَم بالأسباب ، وبدون الأسباب ، وضِدِّ الأسباب .

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٧٨٤) : ((﴿ إِنَّما المسيحُ عِيسى ابْنُ مَرْيَمَ رَسولُ اللهِ وكَلِمَتُهُ ألقاها إلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنهُ ﴾ [النِّساء : ١٧١]. أي : إنما هو عَبْدٌ مِن عِباد الله، وخَلْقٌ مِن خَلْقِه ، قال له : كُن ، فكانَ . ورَسولٌ مِن رُسُلِه ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، أي خَلَقَه بالكلمة التي أرسلَ بها جِبْريلَ _ عليه السلام _ إلى مَرْيَمَ ، فَنَفَخَ فِيها مِن رُوحِه (رُوحِ الله) بإذن رَبِّه _ عز وجل _ فكان عيسى بإذنه _ عز وجل _، وكانت تِلكَ النَّفخةُ التي نفخها في جَيْبِ دِرْعِها، فَنَزلتْ حتى وَلِجَتْ فَرْجَها بِمَنْزِلة لِقاحِ الأب والأم . والجميعُ مخلوقُ اللهِ _ عز وجل _ ، ولهذا قِيل لعيسى : إنه كلمةُ الله ورُوحٌ مِنه، لأنه لم يكن له أب تَوَلَّدَ مِنه، وإنما هو ناشئ عن الكلمةِ التي قال له بها: كُن ، فكانَ ، والرُّوحِ التي أُرْسِلَ بها جِبْريل)) اهـ .

قال أبو زهرة في تاريخ المذاهب الإسلامية (ص ٤٩٦) : ((كَثُرَ القَول حَوْلَ القُرآن في كَونه مخلوقًا أم غير مخلوق ، وقد عمل على إثارة هذه المسألة النصارى الذين كانوا في حاشية البيت الأموي ، وعلى رأسهم يُوحَنَّا الدِّمشقي [١٨] ، الذي كان يبثُّ بين علماء النصارى في البلاد

---

١٨ ((كان من أعظم الرجال الذين ساهموا في نقل بعض النَّزعات النصرانية والأفكار الإغريقية . وكانَ يُلقَّب لفصاحته بدقَّاق الذهب. ولم يكن القَدِّيس يُوحَنَّا إغريقيًّا وإن كتبَ باليونانية ، بل كان سوريًّا ، آرامِيَّ اللسان . وجَدُّه منصور بن سرجون كان القائم على إدارة المال في دمشق خلال الفتح العربي، وهو الذي شجَّع على تسليم المدينة للمسلمين، فأبقى المسلمون له منصبَه الذي خلف فيه ابنُه، وحفيدُه =

الإسلامية طرقَ المناظَرات التي تُشكِّك المسلمين في دِينهم ، وينشر بين المسلمين الأكاذيبَ عَن نَبِيِّهم مِثْلَ زَعْمِه عِشق النبيِّ ﷺ لِزَينب بنتِ جَحْش. فقد جاءَ في القرآن أن عيسى بن مريم كلمتُه ألقاها إلى مريم، فكانَ يبثُّ بين المسلمين أن كلمةَ اللهِ قديمة، فيسألهم : أكلمتُه قديمة أم لا ؟، فإن قالوا : لا.. فقد قالوا إن كلامَه مخلوق ، وإن قالوا : قديمة .. ادَّعى أن عيسى قديم)) اهـ.

والنصارى طوائف شتَّى مُختلفة في العقائد (الأصول) والفُروع . كُل طائفةٍ تُكفِّر الأخرى ، وتلعن الأخرى ، وتعتقد أنها وَحْدَها على الحق . وقد صدق القائل : لو اجتمعَ عشرة من النصارى لافترَقوا على أحد عشر قَوْلًا .

وهناك تياران رئيسيان في الفكر النصراني القديم : التيار الأول _ اليعقوبية [١٩] ، التي نشأت في الشام .

=القِدِّيس يُوحَنَّا . وكان يُوحَنَّا في شبابه نديمَ يزيد بن معاوية . ثم خلف أباه وجَدَّه في استلام زمام الإدارة المالية في الدولة العربية بدمشق . وبقي فيها حتى خلافة هشام بن عبد الملك ، فاعتزلَ الإدارةَ وانصرفَ إلى حياة الزُّهد والتعبُّد في دَير القِدِّيس سابا ، بالقرب من بيت المقدس حيث قضى نَحْبَه قديسًا سنة ٧٤٨م (١٣١هـ). مِن مؤلفاته: مُحاوَرة معَ مسلم في موضوع أُلوهية المسيح ، وحرية الإرادة البشرية دفاعًا عن النصرانية. ومِنها كتاب لإرشاد النصارى في مُجادَلاتهم مع المسلمين . وقد نُوقشت كثير من هذه المسائل في حضرة الخليفة. وله تأثير في تكوين المدرسة القَدَرية))[فيليب حتِّي،تاريخ العرب ١: ٣١٤. نقلًا عن / حِزب الكلامية في أدب العصر الأموي ، د.ثُرَيَّا مَلحَس ، ص ٥٤] .

١٩ ((نُسبت هذه الفِرقة إلى يعقوب البرادعيِّ (_ ٥٧٨م) ، وهو سيريانيُّ الأصل ، سوريٌّ . وكان مُطران الرُّها ، وصاحب البِدعة المونوفيزيّة التي تؤمن بالطبيعة الواحدة للمسيح . أمَّا الأقانيم الثلاثة وهي الوجود والعِلْم والحياة ، أي : الأبُ والابنُ ورُوحُ القُدُس ، فهي الصفات مع الذات، أي : الله الواحد . ويُطلقون على الأقانيم الثلاثة الكلمةَ التي انقلبت لحمًا ودمًا ، فصار المسيح . فالمسيح ذو طبيعة واحدة من طبيعتَين : جَوهرُ الإلهِ القديمِ ، وجوهرُ الإنسانِ الْمُحْدَث ، مُرَكَّبًا تركيبًا كما تركَّبت النَّفْس والبدن فصار جوهرًا واحدًا ، أُقنومًا واحدًا ، وهو إنسانٌ كُلُّه ، وإلهٌ كُلُّه . ونصَّب الحارثُ بن المنذر يعقوبَ البرادعيَّ (أو البردعيَّ) أُسقفًا على الكنيسة السورية العربية)) [الشَّهرستاني، المِلَل والنِّحَل، ١: ٢٢٥_٢٢٦ . محمد بهاء الدين العامليّ ، الكشكول ، ص ٥٢٠ . فيليب حتِّي ، تاريخ العرب ١: ١٠٤. نقلًا عن/ حزب الكلامية في أدب العصر الأمويِّ ، د.ثريا مَلحَس ، ص١١٣] .

والتيار الثاني ـ النُسطورية [٢٠] ، التي نشأت في العراق .

إن الفضيلةَ هي المَنْزلة الوسط بين خُلُقَيْن ذميمَيْن . وصدق القائل :

ولا تَغْلُ في شَيء مِنَ الأمرِ واقتصِدْ كلا طَرَفي قَصْدِ الأمورِ ذَميمُ

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَلَو أنَّ أهلَ الكتابِ آمَنُوا واتَّقَوْا لَكَفَّرْنا عَنهُم سَيِّئاتِهِم ولأدْخَلْناهُم جَنَّاتِ النعيمِ ﴾[المائدة : ٦٥] .

وَلَوْ أن اليهود والنصارى آمَنُوا باللهِ ورَسوله محمد ﷺ ، وعَمِلوا بالشَّريعة المُحمَّدية الإسلامية ، وابتَعدوا عن المعاصي خاصةً الشِّرْك، لَمَحَا اللهُ ذُنوبَهم ـ مهما كانت كثيرةً ـ ولم يُؤاخِذهم بها ، وسَتَرَها عليهم في الدَّارَيْن ، كأنها لم تَكُن ، وما فَضَحَهم ولا وَبَّخهم ، وأدْخَلَهم جنَّاتِ النعيم خالدين فيها أبَدًا . واللهُ لم يُكَلِّفْهم فوق طاقتهم. فقد أرادَ مِنهم أن يُؤمنوا بما أنزلَ اللهُ، ويَجتنبوا الذنوبَ والآثامَ والمعاصي . والشِّرْكُ هو أعظم الذنوب .

وقال البيضاوي في تفسيره(٣٤٧/١):((وفيه تنبيه على عِظَم معاصيهم، وكَثرةِ ذُنوبهم ، وأن الإسلام يَجُبُّ ما قَبْلَه وإنْ جَلَّ ، وأن الكِتابِيَّ لا يَدْخُل الجنةَ ما لَم يُسْلِمْ)) اهـ .

وقال الشَّوكاني في فَتح القدير (٢/ ٨٥) : ((﴿ وَلَو أنَّ أهلَ الكتابِ ﴾ أي : لَوْ أن المُتمسِّكين بالكتاب ، وهُم اليهود والنصارى على أن التعريف للجِنس ﴿ آمَنُوا ﴾ الإيمان الذي طلبه اللهُ منهم ، ومِن أهم الإيمان بما جاء به محمد ﷺ ، كما أُمِرُوا بذلك في كُتب الله المُنزلة عليهم ﴿ واتَّقَوْا ﴾ المعاصي التي مِن أعظمها ما هُم عليه مِن الشِّرْك بالله ، والجُحود لِمَا جاء به رسول الله ﴿ لَكَفَّرْنا عَنهُم سَيِّئاتِهِم ﴾ التي اقترفوها ، وإن كانت كثيرة مُتنوِّعة)) اهـ .

---

٢٠ ((نُسبت هذه الفِرقة إلى نُسطور الحكيم (ـ ٤٥١م) ، بَطْرِيَرْك القُسطنطينية. وهو آراميُّ الأصل ، أشوريٌّ ، سوريُّ المولِد . والنُّسطورية أصحاب الطبيعتَين للمسيح ، غير مُتَّحدتين ، وهما اللاهوتيَّة والناسوتيَّة ، أي : رُوح وجسد . والله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة : الوجود والعِلْم والحياة . لَيست زائدة على الذات ، واتَّحدت الكلمةُ بجسد المسيح ، لا عن طريق الامتزاج ، ولا عن طريق الظهور ، وإنما كإشراق الشمس من كُوَّة على بِلَّوْرة ، وكظهور النقش في الشمع . فالقتلُ والصَّلْب وقع على ناسوت المسيح ، أي على جسده ، لا على لاهوته ، أي رُوحِه . ولا يجوز أن تُدعى مريم أُمَّ الإله ، بل أُم المسيح الإنسان)) [الشَّهرستاني ، المِلَل والنِّحَل ، ١: ٢٢٤ـ٢٢٥، العامليّ ، الكشكول ص : ٥٢١ ، وفيليب حتِّي، تاريخ العرب ٢: ١٠٧و١١٣و١٤٩. نقلًا عن / حِزب الكلامية في أدب العصر الأموي].

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ وأنزلَ الذينَ ظاهَرُوهم مِن أهلِ الكتابِ مِن صَياصِيهِم وقَذَفَ في قُلوبِهِمُ الرُّعْبَ فريقًا تَقْتُلونَ وتأسِرُونَ فريقًا ﴾[الأحزاب : ٢٦] . أنزلَ اللهُ يهودَ بني قُرَيظة مِن حُصونهم (صياصيهم) . وهؤلاء اليهودُ خانوا النبيَّ ﷺ ، ونَقَضوا عَهْدهم معه ، وأعانوا الأحزابَ (قُرَيْشًا وغَطَفَان) وساندوهم ضِدَّ النبيِّ ﷺ والمسلمين . وقد قامَ حُيَي بن أخْطَب سَيِّد بني النَّضير بزيارة كَعْب بن أسد سَيِّد بني قُرَيظة الذي كانَ يربطه بالنبيِّ ﷺ والمسلمين عَهْدٌ ومِيثاق. ونجحَ حُيَي ابن أخطب في إقناع كَعْب بضرورة خِيانة النبيِّ ﷺ ونقْضِ عَهْده ، وأن الفرصة جاءت لاستئصال الدعوة المحمَّدية الإسلامية ، وأن الأحزابَ قد حَشَدوا كاملَ قُوَّتهم لإنهاء أمر محمد ﷺ مرَّة واحدة ، وإلى الأبد . وهذا الوهمُ قادَ بني قُرَيظة إلى الهلاك ، وهذه الخِيانةُ كانت المِسمارَ الأخير في نعش يهود بني قُرَيظة . وهنا تبرز خطورة الخِيانة والغَدْر ونقْض العهود . وهذه الصِّفاتُ السَّيئة مزروعة في اليهود في كل زمانٍ ومكان ، وهي أسلحتهم الفتَّاكة . وعلى أهلها تَجني بَراقشُ ، ومَن سَلَّ سَيْفَ البَغْي صُرِعَ بِه . وفي زاد المسير (٦/ ٣٧٤):((قال ابن قُتَيبة: وأصل الصَّياصي قُرون البقر، لأنها تمتنع بها وتَدْفع عن أنفسها)) اهـ. وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٦٣٠): ((إن بني قُرَيظة لَمَّا قَدِمَتْ جنودُ الأحزاب ، ونزلوا على المدينة، نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد، وكان ذلك بسِفارة حُيَي بن أخطب النضري لعنه اللهُ ، دخلَ حِصنهم ، ولم يَزَلْ بِسَيِّدهم كَعْب بن أسد ، حتى نقض العهدَ وقال له فيما قال : وَيْحَكَ قد جِئْتُكَ بِعِزِّ الدَّهْر أتيتُكَ بِقُرَيْش وأحابيشها، وغَطَفان وأتباعها، ولا يزالون ههنا حتى يستأصلوا محمدًا وأصحابه ، فقال له كعب : بل واللهِ أتَيْتَني بِذُلِّ الدَّهْر ، وَيْحَكَ ياحُيَي ، إنك مشؤوم ، فدعنا مِنكَ ، فلم يَزَلْ يَفْتِلُ في الذِّرْوَة والغارب حتى أجابه ، واشترطَ له حُيَي إن ذهبَ الأحزاب، ولم يكن من أمرهم شيء ، أن يَدخل معهم في الحِصْن، فيكون له أُسوتَهم ، فلمَّا نَقضت قُرَيظةُ ، وبَلَغَ ذلك رسولَ الله ﷺ ، ساءه ، وشَقَّ عليه وعلى المسلمين جِدًّا، فلمَّا أيَّده اللهُ تعالى ونصَرَه ، وكَبَتَ الأعداءَ ، ورَدَّهم خائبين بأخسر صَفقة ، ورجعَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينة مُؤيَّدًا مَنصورًا ، ووضعَ الناسُ السِّلاحَ)) اهـ .

وعن عائشة_رضي اللهُ عنها_ قالت: لَمَّا رجعَ النبيُّ ﷺ مِنَ الخندق،ووضعَ السِّلاحَ، واغتسلَ، أتاه جِبريل _ عليه السلام _ فقال: ((قَد وَضعتَ السِّلاحَ ؟ ، واللهِ ما وَضَعْناه ، فاخْرُجْ إليهم)). قال: ((فإلى أين ؟)) . قال : ((هَهُنا)) . وأشارَ إلى بني قُرَيظة ، فخرجَ النبيُّ ﷺ إليهم [٢١] .

---

٢١ متفق عليه . واللفظ للبخاري (٤/ ١٥١٠) برقم (٣٨٩١). ومسلم(٣/ ١٣٨٩) برقم (١٧٦٩) .

وفي صحيح البخاري (١/ ٣٢١) : عن ابن عمر ــرضي الله عنهما ــ قال: قال النبيُّ ﷺ لنا لَمَّا رَجَعَ مِنَ الأحزاب: ((لا يُصَلِّيَنَّ أحَدٌ العَصْرَ إلا في بني قُرَيظة)) . فأدركَ بعضُهم العَصْرَ في الطريق ، فقال بعضُهم : لا نُصلِّي حتى نأتيَها . وقال بعضُهم : بَل نُصلِّي ، لم يُرِدْ مِنَّا ذلك . فَذُكِرَ للنبيِّ ﷺ ، فلم يُعَنِّفْ وَاحدًا مِنهم .

حاصَرَ النبيُّ ﷺ بني قُرَيظة ، وقَذَفَ اللهُ في قلوبهم الرُّعْبَ ، وخافوا خَوْفًا شديدًا حتى سَلَّموا أنفسَهم للقتل ونساءَهم للسَّبْي . وروى الحاكم في المُستدرك (٣/ ٣٧) وصحَّحه ووافقه الذهبي أن النبيَّ ﷺ قال : ((... ولكنه جبريل ، أُرْسِلَ إلى بني قُرَيظة لِيُزَلْزِلَهُم ، ويَقْذِفَ في قلوبهم الرُّعْبَ)) .

وروى الطبري في تفسيره(١٠/ ٢٨٣): ((عن محمد بن إسحاق عن مَعْبَد بن كعب ابن مالك الأنصاري قال : وحاصرَهم رسولُ الله ﷺ خمسًا وعشرين ليلة حتى جَهَدَهم الحصارُ ، وقذف اللهُ في قلوبهم الرُّعْبَ. وقد كان حُيَي بن أخطَب دخلَ على بني قُرَيظة في حِصْنهم حين رَجعتْ عنهم قُرَيش وغَطَفان ، وفاءً لكَعْب بن أسد ، بما كان عاهَده عليه ، فلمَّا أيْقَنوا بأن رسول الله ﷺ غير مُنْصَرِف عنهم حتى يُناجِزَهم ، قال كَعْب بن أسد لهم : يا مَعْشَرَ يهود ، إنه قد نزَلَ بكم من الأمر ما تَرَوْنَ ، وإني عارض عليكم خِلالًا ثلاثًا ، فخذوا أيَّها ، قالوا : وما هُنَّ ؟ قال : نُبايع هذا الرَّجلَ ونُصَدِّقه ، فواللهِ لقد تَبَيَّن لكم أنه لَنَبِيٌّ مُرسَل ، وأنه الذي كُنتم تجدونه في كتابكم، فتأمَنوا على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم ، قالوا : لا نُفارِقُ حُكْمَ التوراة أبدًا ، ولا نستبدل به غَيْرَه ، قال : فإذا أبيتُم هذه عليَّ ، فَهَلُمَّ فلنقتلْ أبناءنا ونساءنا ، ثم نَخرج إلى محمد وأصحابه رِجالًا مُصْلِتين بالسُّيوف ، ولم نترك وراءنا ثِقْلًا يَهُمُّنا حتى يَحكم اللهُ بَيْنَنا وبين محمد ، فإن نَهْلِك نَهْلِك ولم نترك وراءنا شيئًا نخشى عليه ، وإن نَظْهَر فَلَعَمْري لَنَتَّخِذَنَّ النِّساءَ والأبناءَ ، قالوا : نقتلُ هؤلاء المساكين فَما خَير العَيْش بعدهم ؟ ، قال : فإذا أبيتُم هذه عليَّ ، فإن الليلة لَيْلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمِنُوا ، فانزلوا ، لعلنا أن نُصيب من محمد وأصحابه غِرَّةً ، قالوا : نُفْسِدُ سَبْتَنا ونُحدِث فيه ما لم يكن أحدثَ فِيه مَن كان قَبْلَنا ؟)) اهـ .

ورَفَضوا أن يَنْزِلوا إلا على حُكْم سَيِّد الأوس سَعْد بن مُعاذ ــ رضي الله عنه ــ . وكان يومئذٍ قد أُصيبَ بسهم. والسببُ أن بني قُرَيظة كانت حُلفاء للأوس، فاعتقدَ يهود بني قُرَيظة أن سَعْدًا سَوْفَ يَحكم عليهم حُكْمًا مُخَفَّفًا، ويُجاملهم ، باعتبار الحِلْف القديم بين بني قُرَيظة والأوس ، وباعتبار أن سَعْدًا كان حَليفًا لبني قُرَيظة في الماضي .

وعن أبي سَعيد الخُدْرِيِّ _ رضي اللهُ عنه _ قال : نَزَلَ أهلُ قُرَيظة على حُكْم سعد بن مُعاذ ، فأرسلَ النبيُّ ﷺ إلى سعد ، فأتى على حِمار ، فلمَّا دنا من المسجد ، قال للأنصار : ((قُوموا إلى سَيِّدِكم أو خَيْرِكم)). فقال: ((هؤلاءِ نزَلوا على حُكْمِك)) . فقال : تُقْتَل مُقَاتِلَتُهُم ، وتُسْبَى ذراريهم ، قال : ((قَضَيْتَ بِحُكْمِ الله)) [22] .

رَضِيَ هؤلاء أن يَحْكم فيهم سعد بن مُعاذ ، وقَبِلوا بذلك ، لأنه كان حليفهم ، فَحَكَمَ فيهم بأن يُقتَل البالغون الذين مِن شأنهم أن يُقَاتِلُوا ، وأن يُؤخَذ النساء والصبيان سَبْيًا أرِقَّاء ، ويتم توزيعهم على الغانمين المسلمين . والذُّرِّيةُ تُطلَق على النساء والصبيان معًا . وقد أصابَ سعد حُكْمَ الله ، وقضى به ، وهذا يدل على مكانة سعد العظيمة ، ومنزلته الشريفة ، وعِلْمه الواسع .

وقال البيضاوي في تفسيره(١/ ٣٧١):((فَقُتِلَ مِنهم ستمائة أو أكثر، وأُسِرَ مِنهم سبعمائة)).

وقد قُتل كَعْب بن أسد وحُيَي بن أخطَب (رأس الأفعى) الذي حَسَّنَ لبني قُرَيظة الغدرَ . وكانَ حُيَي بن أخطَب قد جِيءَ بِه، ويداه مجموعتان إلى عُنُقِه بحبل ، فلمَّا نَظَرَ إلى النبيِّ ﷺ ، قال له اللعينُ : " أمَا واللهِ ما لُمْتُ نفْسي في عداوتك ، ولكنه مَن يَخْذُلِ اللهُ يُخْذَلْ " . ثُمَّ جلَسَ ، فَضُرِبَت عُنُقُه [23] .

إن المُعَاهَدَ والذِّمِّيَّ إذا نَقض العَهْدَ صارَ حربيًّا، تُجرَى عليه أحكام الحرب. وقد كانت بنو قُرَيظة آمنين مُطمئنين، فخانوا النبيَّ ﷺ والمسلمين ، ونَقضوا عَهْدَهم ، وساعَدوا قُرَيْشًا على قِتال النبيِّ ﷺ . ففَقَدوا عِصْمةَ الدَّم ، وصاروا كُفَّارًا مُحارِبين، يجب التصدي لهم وتأديبهم على خيانتهم للعَهْد ، ونقْضهم للميثاق .

وسياقُ الأحداث يُثبِت معرفة اليهود اليقينية بِصِدْق النبيِّ ﷺ،وصِحَّة رِسالته،وتبشير التَّوراة به . ولكنَّ اليهود آثَروا العِناد والتَّكبر معَ عِلْمهم الأكيد بأن محمدًا ﷺ نبيٌّ صادق،ولكنَّ الكُفْرَ عِناد .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ لِئَلا يَعْلَمَ أهلُ الكتابِ ألا يَقدِرُونَ على شَيْءٍ مِن فَضْلِ اللهِ وأنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤتِيهِ مَن يشاءُ ﴾[الحديد : ٢٩] .

يجب على أهل الكتاب أن يَعلموا أنهم لا يَقْدِرون على مَنع ما أعطاه اللهُ تعالى ، ولا إعطاء ما مَنَعَه . ويجب أن يَعْلَم الذين لَم يُؤمنوا أنهم لا أجر لهم ، ولا نصيب لهم في فضل الله تعالى .

---

٢٢ متفق عليه. البخاري(٤/ ١٥١١) برقم (٣٨٩٥) ، ومسلم (٣/ ١٣٨٨) برقم (١٧٦٨).

٢٣ انظر تفسير القرطبي(١٤/ ١١٦)، وتفسير البغوي(١/ ٣٣٨)،والبداية والنهاية (٤/ ١٢٥) .

وفي الدُّر المنثور (٨/ ٦٨): ((وأخرَجَ عبد بن حُمَيد وابن المنذر عن مجاهد_ رضي الله عنه_ قال: قالت اليهود: يُوشِك أن يَخرج مِنَّا نبيٌّ فَيَقطع الأيدي والأرجل، فلمَّا خَرَجَ من العرب كفروا ، فأنزل اللهُ : ﴿ لِئَلا يَعْلَمَ أهلُ الكتابِ ﴾ الآية ، يَعني بالفَضْل النُّبُوَّة)) اهـ .

هذا يدل على أن كُفر اليهود قائم العناد والاستكبار،وحَسد العرب،والحِقد عليهم،واحتقارهم.

إن اليهود والنصارى كانوا يَعتقدون أنهم أحبابُ الله ، وأن الله اختارهم مِن بين الناس ، وفضَّلهم على جميع الأُمم ، وخصَّهم بالوَحْي والنُّبُوَّة والرِّسالة دُون غَيرهم. وهذا الوهمُ الذي عاشَ فيه أهلُ الكتاب أعمَى أبصارَهم . وجاءَ القُرآنُ لِيُوقظهم من أحلامهم السَّاذَجة ، ويَكشف لهم الحقيقة . والحقيقةُ هي أن أمر النُّبُوَّة والرسالة والهدى والإيمان بيد الله وَحْدَه ، يُعطيه لِمَن يشاء مِن خَلْقه ، فضلًا مِنه ورحمة . وقد خَصَّ اللهُ العربَ بأعظم أنبيائه ، محمد ﷺ ، وشَرَّفَ الأُمَّةَ المُحمَّدية بالإسلام ، وجَعَلَها خَيرَ الأُمم ، وآتاها مِن الفضل والكرامة ما لَم يُؤْتِ أهلَ الكتاب . وهذا هو سبب غَيْظ أهل الكتاب ، وحِقْدهم ، وحسدهم ، وكُفْرهم بالقرآنِ ومُحمَّدٍ ﷺ .

وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٣٠٦) : ((﴿ لِئَلا يَعْلَمَ أهلُ الكتابِ ﴾ أي : لِيَعْلموا ، و " لا " مزيدة ﴿ ألا يَقدِرُونَ على شَيْءٍ مِن فَضْلِ اللهِ ﴾ ، والمعنى : أنه لا ينالون شيئًا مِمَّا ذُكِرَ مِن فضله ، ولا يتمكنون مِن نَيْله ، لأنهم لم يؤمنوا برسوله ، وهو مشروط بالإيمان به ، أو: لا يَقْدِرون على شيء مِن فضله، فَضْلًا عن أن يتصرَّفوا في أعْظَمه، وهو النُّبُوَّة ، فَيَخُصُّوها بمَن أرادوا))اهـ .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٧٩) : ((قَوله تعالى : ﴿ لِئَلا يَعْلَمَ ﴾ " لا " زائدة ، قاله الفَرَّاء . والعرب تَجعل " لا " صِلَة في كُل كلام دخل في آخره أو أوله جَحْد ، فهذا مِمَّا جُعِل في آخره جَحْد . والمعنى : ﴿ لِئَلا يَعْلَمَ أهلُ الكتابِ ﴾ الذين لم يؤمنوا بمحمد ﴿ ألا يَقْدِرُونَ ﴾ ، أي أنهم لا يَقْدِرون ﴿ على شَيْءٍ مِن فَضْلِ اللهِ ﴾ ، والمعنى أنه جعل الأجْرَيْن لِمَن آمنَ بمحمد ﷺ ، لِيَعْلم مَن لَم يُؤمن بِه أنه لا أجرَ لهم ولا نصيب في فضل الله ، ﴿ وأنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤتيهِ مَن يشاءُ ﴾ ، فآتاه المؤمنين . هذا تلخيص قول الجمهور)) اهـ .

وفي صحيح البخاري (١/ ٢٠٥) : عن أبي موسى عن النبيِّ ﷺ : ((مَثَلُ المسلمين واليهود والنصارى، كَمَثَلِ رَجُلٍ استأجر قَوْمًا يعملون له عَمَلًا إلى الليل، فَعَمِلوا إلى نِصْف النهار ، فقالوا : لا حاجةَ لنا إلى أجرك ، فاستأجرَ آخرين ، فقال : أكْمِلوا بَقِيَّةَ يَوْمِكم، ولكم الذي شَرَطْتُ ، فَعَمِلوا حتى إذا كان حين صلاة العَصْرِ ، قالوا : لكَ ما عَمِلْنا ، فاستأجرَ قَوْمًا ، فَعَمِلوا بَقِيَّةَ يَوْمِهم حتى غابت الشمس ، واسْتَكْمَلُوا أجْرَ الفريقَيْن)) .

إن المسلمين هُم الذين قَبِلوا هُدى الله ، وحَمَلوا كَلمته في هذا العالَم ، لذلكَ استحقوا الأجرَ كاملًا . أمَّا اليهود والنصارى فقد ترَكوا أوامرَ الله تعالى ، وخلطوا الحقَّ بالباطل . وهذا يدل على تفضيل الأُمَّة المحمَّدية الإسلامية على اليهود والنصارى ، ومُضَاعَفة أجْرِها رَغْم قِلَّة عملها . كما يدل على أن النصارى أفضل من اليهود ، لأن النصارى آمَنوا بموسى وعيسى _ عليهما الصلاة والسلام _. أمَّا اليهودُ فقد كفروا بعيسى ﷺ عندما جاءهم [٢٤] .

وقال الحافظ في الفتح (٤/ ٤٤٩) : ((واسْتُدِل به على أن بقاء هذه الأُمَّة يزيد على الألف، لأنه يقتضي أن مُدَّة اليهود نظير مُدَّتَي النصارى والمسلمين . وقد اتفق أهلُ النقل على أن مُدَّة اليهود إلى بَعثة النبيِّ ﷺ كانت أكثر من ألْفَي سنة، ومُدَّة النصارى من ذلك ستمائة وقِيل أقل، فتكون مُدَّة المسلمين أكثر من ألف قَطْعًا ... . وفي الحديث تفضيل هذه الأُمَّة ، وتَوفير أجرها ، معَ قِلَّة عملها)) .

---

٢٤ هناك تشابه واضح ودقيق بين معنى الحديث النبويِّ الشريف والنص الإنجيليِّ[مَتَّى ٢٠ : ١_ ١٦]: ((فإن ملكوت السماوات يُشبَّه بإنسان رَب بَيت خَرج في الصباح الباكر ليستأجر عُمَّالًا لِكَرمه ، واتفقَ مع العُمَّال على أن يدفع لكل منهم دينارًا في اليوم ، وأرسلهم إلى كَرمه . ثم خرج نَحو الساعة التاسعة صباحًا ، فَلَقِيَ في ساحة المدينة عُمَّالًا آخرين بلا عمل ، فقال لهم : اذهبوا أنتم أيضًا واعملوا في كَرمي فأُعطيَكم ما يَحِق لكم ! فذهبوا . ثم خرج إلى الساحة أيضًا نَحو الساعة الثانية عشرة ظُهرًا ، ثم نَحو الثالثة بعد الظُّهر ، وأرسلَ مزيدًا مِن العُمَّال إلى كَرمه . ونَحو الساعة الخامسة بعد الظُّهر ، خَرج أيضًا فَلَقِيَ عُمَّالًا آخرين بلا عمل ، فسألهم : لماذا تقفون هنا طُول النهار بلا عمل ؟ أجابوه : لأنه لم يستأجرنا أحد . فقال : اذهبوا أنتم أيضًا إلى كَرمي ! وعندما حلَّ المساء ، قال رَب الكَرم لوكيله : ادعُ العُمَّال وادفع الأُجرةَ مُبتدئًا بالآخِرين ومُنتهيًا إلى الأولين . فجاءَ الذين الذين عملوا من الساعة الخامسة وأخذَ كلُّ منهم دينارًا . فلمَّا جاءَ الأولون ، ظَنُّوا أنهم سيأخذون أكثر . ولكن كُل واحد منهم نالَ دينارًا واحدًا. وفيما هُم يَقبِضون الدينار ، تذمَّروا على رَب البَيت ، قائلين : هؤلاء الآخِرون عملوا ساعة واحدة فقط ، وأنت قد ساوَيْتَهم بنا نحنُ الذين عَمِلْنا طُولَ النهار تحت حَر الشمس ! فأجابَ واحدًا منهم : يا صاحبي ، أنا ما ظلمتك ، ألم تتَّفق معي على دينار ؟ خُذ ما هو لكَ وامضِ في سبيلك : فأنا أُريد أن أُعطيَ هذا الأخيرَ مِثلَك . أمَا يَحِق لي أن أتصرَّف بمالي كما أُريد ؟ أَم أن عَينَك شِرِّيرة لأنني أنا صالح ؟ فهكذا يصير الآخِرون أوَّلين ، والأولون آخِرين ، لأن المدعُوِّين كثيرون ، والمُختارين قليلون .))

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ هو الذي أَخرجَ الذين كفروا مِن أهلِ الكتاب مِن ديارهم لأوَّلِ الحَشْر ما ظننتُم أن يَخرجوا وظنُّوا أنهم مَانِعَتُهم حُصُونُهم من الله فأتاهُمُ اللهُ مِن حيث لم يَحْتَسِبُوا وقَذَفَ في قلوبهمُ الرُّعبَ يُخْرِبون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبِروا يا أُولي الأبصار ﴾[الحَشْر : ٢].

أخرجَ اللهُ يَهودَ بني النَّضير مِن ديارهم، بسبب نقْضهم للعهد بينهم وبين النبيِّ ﷺ . وقد غَدَروا بالنبيِّ ﷺ بعد أن عاهَدوه ، وتعاوَنوا مع المشركين ضد الإسلام والمسلمين ، فحاصَرَهم النبيُّ ﷺ ، حتى خَضَعوا لِحُكْمه . وقد صَالَحَهم النبيُّ ﷺ على أن يَخرجوا إلى الشام . فَرَضُوا بالجَلاء، ومغادرةِ ديارهم في المدينة المُنوَّرة ، وتركِ أراضيهم . وكانت هذه أوَّل مرَّة يُطرَدون مِن ديارهم، ولم يُصِبْهُم هذا الذُّل قبل ذلك. وهنا تتجلى العَظَمَة الإلهية، وتتَّضح آثارُ القُدرة الرَّبانية . فقد طَرَدَهم اللهُ تعالى مِن حُصونهم الحصينة ، وديارهم المنيعة .

وقال الطبري في تفسيره (١٢/ ٢٧) : ((اللهُ الذي أخرجَ مَن جَحَدوا نُبُوَّةَ محمد ﷺ من أهل الكتاب_ وهُم يهود بني النَّضير _ مِن ديارهم ، وذلك خروجهم عن منازلهم ودُورهم حين صالحوا رسولَ الله ﷺ على أن يُؤمِّنهم على دمائهم ونسائهم وذراريهم ، وعلى أن لهم ما أقَلَّت الإبلُ من أموالهم ، يُخَلُّوا له دُورَهم وسائر أموالهم ، فأجابهم رسول الله ﷺ إلى ذلك ، فخرَجوا من ديارهم ، فمِنهم مَن خَرَجَ إلى الشام ، ومِنهم مَن خَرَجَ إلى خَيْبَر)) اهـ .

وقال الواحدي في الوجيز (١/ ١٠٨٠) : ((وقَوْله : ﴿ لأوَّلِ الحشْر ﴾ ، كانوا أوَّلَ مَن حُشر إلى الشام من اليهود من الجزيرة العرب . وقِيل: إنه أوَّلُ حَشْرٍ إلى الشام . والحشر الثاني حَشْرُ القيامة . والشام أرضُ المَحْشَر)) اهـ .

وقد حَدَثَت غَزوة بني النضير في السَّنة الرابعة للهجرة على المشهور ، وكان سَببها هو خيانة يهود بني النضير الذين حاوَلوا قتلَ النبيِّ ﷺ ضاربين بعُرْض الحائط المواثيق والعهود ، وهذا دَيْدن اليهود على مدار التاريخ . وقد نالوا جزاءَهم المُستحَق، ووَقَعَت عليهم العُقوبة الإلهية بسبب مَكْرهم وغَدْرهم وحِقدهم وخِيانتهم ، ونقْضهم للعُهود والمواثيق .

وفي الدُّر المَنثور للسُّيوطي (٣/ ٣٦و٣٧) : ((خرجَ رسولُ الله ﷺ إلى بني النضيرِ يستعينهم على دِيَةِ العَامِرِيَّيْن اللذين قتلهما عَمْرو بن أُمَيَّةَ الضَّمْريُّ، فلمَّا جاءهم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا محمدًا أقربَ مِنه الآن ، فمُروا رَجُلًا يَظهر على هذا البيت ، فَيَطْرَح عليه صخرةً فَيُريحنا مِنه . فقال عمرو بن جِحاش بن كَعْب : أنا . فأتى النبيَّ ﷺ الخبرُ ، فانصرفَ)) اهـ .

وأمرَ النبيُّ ﷺ بإجلائهم من المدينة ، وأمهلهم وقتًا ، فَمَن شُوهد بعد ذلك ضُربت عُنُقُه . وأخذوا يستعدون للخروج ، لكنَّ رأس النفاق ابن سَلُول طلب منهم عدم الخروج ، والإقامة في حصونهم ، ووعدهم بمساندتهم في قتال النبيِّ ﷺ . فعدلوا عن الخروج . فاستعد المسلمون لقتالهم . وهكذا يتَّضح أن المنافقين واليهود وَجْهان لِعُمْلة واحدة .

وعن عائشة_ رضي الله عنها_ قالت : ((كانت غزوة بني النضير ، وهم طائفة من اليهود ، على رأس ستة أشهر مِن وَقْعة بَدْر ، وكان مَنْزِلُهم ونخلُهم بناحية المدينة ، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجَلاء، وعلى أن لهم ما أقلَّت الإبلُ من الأمتعة والأموال، إلا الحَلْقَة _ يعني السلاح_ ... فقاتلهم النبيُّ ﷺ حتى صالَحهم على الجلاء، فأجلاهم إلى الشام ، وكانوا مِن سِبْطٍ لم يُصبهم جلاء فيما خلا ، وكان الله قد كَتب عليهم ذلك ، ولَوْلا ذلك لَعَذَّبَهم في الدنيا بالقتل والسَّبْي، وأمَّا قَوْلُه : ﴿ لأول الحشر ﴾، فكان جلاؤهم ذلك أوَّلَ حَشْرٍ في الدنيا إلى الشام))[٢٥] .

﴿ ما ظننتُم أن يَخرجوا ﴾. يُخاطِبُ اللهُ الصحابةَ _ رضي الله عنهم _ : ما ظننتُم أن يَخرج هؤلاء من ديارهم وبلادهم بكل خِزْي وعار، وذلك بسبب شِدَّةِ بأسهم، وحصونهم المنيعة ، وكثرةِ عددهم وعُدَّتهم . وقال القرطبي في تفسيره (١٨/ ٦) : ((يُريد لِعِظَمِ أمر اليهود ، ومَنَعَتِهم ، وقُوَّتهم في صدور المسلمين ، واجتماعِ كلمتهم)) اهـ .

﴿ وظنُّوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ﴾ . إن اعتماد اليهود _دائمًا _ على الأسباب لا خالق الأسباب . وقد وُكِلوا إلى أسبابهم المادية ، فخسروا ، وباؤوا بالخِزْي والهوان ، وغرقوا في الهزيمة . ومِن مَأمَنِه يُؤتَى الحَذِرُ. لقد ظَنُّوا أن حصونهم المنيعة وأسلحتهم الكثيرة ستحميهم مِن سُلطان الله ، فلم يَستفيدوا مِنها شيئًا ، وكانتْ عليهم لَعْنةً ووَبَالًا . وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٣١٦) : ((وتغيير النَّظْم _ يعني نَظْم الآية _ ، وتقديم الخبر وإسناد الجُملة إلى ضميرهم ، للدَّلالة على فَرْط وُثوقهم بحصانتها واعتقادهم في أنفسهم أنهم في عِزَّة ومَنَعَة بسببها)) اهـ .

---

٢٥ رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٢٥) برقم (٣٧٩٧) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

وقد اختلفت الأقوال في سنة حدوث غزوة بني النضير . ففي صحيح البخاري (٤/ ١٤٧٦) : عن عُروة بن الزبير: كانت على رأس ستة أشهر من وَقْعة بَدْر قبل أُحُد .اهـ. وقال ابن حجر في تلخيص الحبير(٤/ ٩٠): ((وعن ابن شهاب أنها كانت في المحرَّم سنة ثلاث، وبه جزم ابن الجوزي في التلقيح، والنووي في الروضة وغيرها ، وقال الماوَردي : كانت في ربيع الأول سنة أربع ، وهذا قول ابن إسحاق)).

﴿ فأتاهم اللهُ من حيث لم يحتسبوا ﴾ . جاءهم العذابُ الإلهيُّ مِن حيث لم يَخطُر ببالهم ، ولم يَقْدِروا على توقُّعه ، وذلك بسبب اعتمادهم الكُلِّي على قُوَّتهم المادية ، وأسلحتهم ، وحصونهم . وقال الواحدي في الوجيز (١/ ١٠٨٠) : ((﴿ من حيث لم يحتسبوا ﴾ مِن جهة المؤمنين ، وما كانوا يَحْسَبون أنهم يَغلبونهم ويَظهرون عليهم)) اهـ .

﴿ وقذف في قلوبهم الرُّعبَ ﴾ . ألقى اللهُ تعالى في قلوب بني النَّضير الخوفَ الشديد ، فانهارت روحهم المعنوية ، وفقدوا الشُّعورَ بالأمن والأمان . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٠٥) : ((لخوفهم من رسول الله ﷺ . وقِيل: لقتل سَيِّدهم كَعْب بن الأشرف)) اهـ .

وعن جابر بن عبد الله_رضي الله عنه_أن النبيَّ ﷺقال:((نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسيرةَ شَهْر)) [٢٦] .

أي إن اللهَ تعالى يُلقي في قلوب الأعداء الخَوْفَ ، فَيَسْقطون ، وتنهار رُوحهم المعنويةُ ، وينتصر النبيُّ ﷺ عليهم .

﴿ يُخرِبون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ﴾ . يَهدم يَهودُ بني النَّضير بأيديهم بيوتهم من الداخل، ويَهدم المؤمنون بيوتَ هؤلاء اليهود من الخارج . إنهم يُخرِبون بيوتَهم ماديًّا ومعنويًّا . والإخرابُ المادي يَكون بهدمها، وهو أمرٌ واضح. أمَّا الإخراب المعنوي فَبِسُوء رأيهم ، وخِيانتهم ، وغَدْرهم . والجديرُ بالذِّكر أن إخراب اليهود لبيوتهم بأيديهم دليلٌ واضح على بُخْلهم وحسدهم للمسلمين وكُرْههم لهم، فَهُم لا يُريدون أن يَنتفع المسلمون بأي شيء من بيوتهم بعد أن يُغادروها.

وقال الواحدي في الوجيز (١/ ١٠٨٠) : ((وذلك أن النبيَّ ﷺ صالَحهم على أن لهم ما أَقَلَّت الإبلُ.وكانوا ينظرون إلى الخشَبة والشيء في منازلهم، مِمَّا يَستحسنونه فَيَقلعونه، وينتزعونه ويهدمون البيوتَ لأجله ، فذلك إخرابهم بأيديهم ، ويُخْرِب المؤمنون باقيها)) اهـ .

وفي تفسير البغوي (١/ ٦٩) : ((قال ابن زَيْد : كانوا يَقلعون العَمَد ، ويَنقضون السقوف، ويَنقبون الجدران ، ويَقلعون الخشب ، حتى الأوتاد يُخرِبونها لئلا يَسكنها المؤمنون حسدًا منهم وبُغضًا . قال قتادة : كان المسلمون يُخرِبون ما يليهم مِن ظاهرها ، ويُخرِبها اليهودُ من داخلها .

قال ابن عباس _ رضي الله عنهما_ : كلما ظَهَرَ المسلمون على دار مِن دُورهم هدموها لِتَتَّسع لهم المَقَاتِل، وجعل أعداءُ الله يَنقبون دُورهم في أدبارها ، فَيَخرجون إلى النبيِّ بَعْدها ، فيتحصنون فيها، ويَكسرون ما يَليهم ، ويَرْمون بالتي خَرجوا منها أصحابَ رسول الله ﷺ)) اهـ .

---

٢٦ متفق عليه . البخاري (١/ ١٢٨) برقم (٣٢٨) ، ومسلم (١/ ٣٧٠) برقم (٥٢١).

وهذا دَرْسٌ بَليغ لكل شخص يُريد الاعتبارَ ، وأخذَ العِظَة . والعاقلُ مَن اتَّعظ بغَيْره ، والجاهلُ مَن اتَّعظ بنفْسه . وقد قال اللهُ تعالى : ﴿ فاعتبِروا يا أولي الأبصار ﴾ . فاتَّعِظوا بما جرى لهم يا أصحاب العقول .

إن اليهودَ دفعوا ثمنَ خيانتهم ، وقد كانوا آمنين مطمئنين ، يعيشون بسلام في المدينة مع المسلمين . لكنَّ مغامرات زعمائهم الطائشة قادتهم إلى فقدان ممتلكاتهم ، وخروجهم من ديارهم بكل خِزي وعار . وهذا يُدل على أهمية القيادة ذات السُّلطة المعنوية والمادية . فالقيادةُ الرشيدة تقود الناسَ إلى بَر الأمان ، أمَّا القيادةُ الطائشة فتقضي على نفْسها وشعبها في آن معًا . وقد كان رأس الأفعى هو كَعْب بن الأشرف سَيِّد بني النَّضير وطاغوت اليهود ، وقد أمرَ النبيُّ ﷺ بقتله .

قال البخاري : حَدَّثنا عليُّ بن عبد الله حَدَّثنا سفيان قال عمرو : سَمعتُ جابر بن عبد الله ــرضي الله عنهما ــ يقول : قال رسول الله ﷺ : ((مَن لِكَعْب بن الأشرف ، فإنه قد آذى اللهَ ورسولَه)). فقام مُحَمَّدُ بن مَسْلَمَة، فقال: يا رسول الله أتحبُّ أن أقتله ؟، قال : ((نعم)) . قال : فائذَنْ لي أن أقول شيئًا ، قال : ((قُلْ)) ، فأتاه محمد بن مسلمة ، فقال إن هذا الرَّجلَ ــ يعني النبيَّ ﷺ ــ قد سَألَنا صَدقةً ، وإنه قد عَنانا، وإني قد أتيتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ ، قال : وأيضًا واللهِ لَتَمَلَّنَّهُ ، قال : إنَّا قد اتَّبعناه فلا نحبُّ أن نَدَعَه حتى نَنظر إلى أي شيء يَصير شأنُه ، وقد أرَدْنا أن تُسْلِفَنا وَسْقًا (ستين صاعًا أو حِمْل بعير) أو وَسْقَيْن ــ وحدَّثنا عمرو غير مَرَّة فلم يَذكر وَسْقًا أو وسقين ، أو فقلتُ له: فيه وسقًا أو وسقين ؟ ، فقال : أرى فيه وسقًا أو وسقين ــ ، فقال : نعم ، أرْهِنوني . قالوا : أي شيء تريد ؟ ، قال: أرهنوني نساءكم، قالوا: كيف نَرْهَنُكَ نساءنا وأنتَ أجمل العرب ؟، قال: فأرهنوني أبناءكم، قالوا: كيف نَرْهَنُكَ أبناءنا فَيُسَبُّ أحَدُهم فَيُقال : رُهِنَ بوسق أو وسقين ؟، هذا عار عَلَيْنا ، وكُنَّا نَرْهَنُكَ اللأمةَ ــ قال سفيان يعني السلاح ــ ، فواعده أن يأتيَه فجاءه لَيْلًا ، ومعه أبو نائلة ، وهو أخو كَعْب مِن الرَّضاعة ، فدعاهم إلى الحِصْن ، فَنَزل إليهم ، فقالت له امرأته : أين تخرج هذه الساعة ؟ ، فقال : إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة ، وقال غَيْرُ عمرو : قالت : أسمع صَوتًا كأنه يَقْطُرُ منه الدم ، قال : إنما هو أخي محمد بن مسلمة ، ورضيعي أبو نائلة ، إن الكريم لَوْ دُعِيَ إلى طَعْنةٍ بِلَيْلٍ لأجابَ . قال : ويدخل محمد بن مسلمة معه رَجُلَيْن ــ قِيل لسفيان: سَمَّاهم عمرو ؟ قال : سَمَّى بعضهم ــ قال عمرو: جاء معه بِرَجُلَيْن ، وقال غَيْرُ عمرو : أبو عَبْس بن جبر، والحارث بن أوس ، وعَبَّاد بن بِشْر . قال عمرو : جاء معه برجلين ، فقال : إذا ما جاء ، فإني قائل بِشَعْره فأشُمُّه ، فإذا رأيتموني استمكنتُ من رأسه ، فَدُونَكم

فاضربوه . وقال مَرَّة : ثُمَّ أُشِمُّكم ، فَنَزَلَ إليهم مُتَوَشِّحًا ، وهو يَنْفَحُ مِنه رِيحُ الطِّيب ، فقال : ما رأيتُ كاليوم رِيحًا ، أي أطْيَب، وقال غير عمرو : قال : عِندي أعطرُ نساء العرب وأكملُ العرب . قال عمرو : فقال: أتأذنُ لي أن أشُمَّ رَأسَكَ ؟ ، قال : نعم . فَشَمَّه ثم أشَمَّ أصحابَه ، ثم قال : أتأذن لي ؟، قال: نعم. فلمَّا استمكنَ مِنه ، قال : دُونَكم ، فقتلوه ، ثُمَّ أتَوا النبيَّ ﷺ فأخبَروه [٢٧] .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ أَلَم تَرَ إلى الذينَ نافَقوا يقولونَ لإخوانِهمُ الذينَ كفروا مِن أهلِ الكتابِ لَئِن أُخْرِجْتُم لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُم ولا نُطيعُ فِيكُم أحَدًا أبَدًا وإِن قُوتِلْتُم لَنَنصُرَنَّكُم واللهُ يَشْهَدُ إنهم لَكَاذِبُون﴾ [الحَشْر : ١١] .

---

٢٧ رواه البخاري (٤/ ١٤٨١) واللفظ له ، ومسلم (٣/ ١٤٢٥).

يُفهَم من هذا الحديث الشريف ما يلي: أـ جواز استخدام الحِيلة والكذب في الحرب تصريحًا أو تلميحًا . وهذا يُفهم من قول محمد بن مسلمة : ((فائذن لي أن أقول شيئًا)) وموافقة النبيِّ ﷺ . بـ جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم الدعوة، ولكن يُستحب إنذارهم . أمَّا الذين لم تبلغهم الدعوة فلا يجوز الإغارة عليه. وإيَّاك أن تفهم من هذا الحديث الشريف أن الإسلام يدعو إلى قتل الكفار واغتيالهم دون وجه حق. إن كعب بن الأشرف كان عدوًّا مُحاربًا لأنه نقض العهد وأعان على حرب النبيِّ ﷺ وهجاه . أمَّا الكافر غير المحارِب فله حقوقه كاملة ، ويُعرَض عليه الإسلام عَرْضًا يجيب عن كافة الأسئلة ، ويُفنِّد كلَّ الشُّكوك والشُّبهات والوساوس . فإن أبى فالجِزْية نظير حمايته تحت ظل الدولة الإسلامية ورعايته والاعتناء به ، وصيانة ماله وعِرْضه ، والدفاع عنه ضد الأعداء ــ حتى إن المسلم يموت في سبيل الدفاع عنه ــ ، وتوفير فرص العمل له ولأبنائه، وإعطائه من مال بيت المسلمين في حالة احتياجه، وتأمين العيش الكريم له ولعائلته ، فإن أبى فالقتل . والرافض لهذا يصير مُحاربًا يجب التصدي له ، وخائنًا خيانة عُظمى . وانظرْ إلى الدُّول التي تتشدق بحقوق الإنسان، تحكم بالموت أو السِّجن مدى الحياة على الخونة والعُملاء كَي تحميَ نظامها المتهالك . ومن حق الإسلام أن يُشرِّع الأنظمة التي تحمي وجوده وأتباعه، وهذا منتهى العدالة الاجتماعية ، والتي عَرَضت كلَّ الخيارات أمام الشخص عَرْضًا كريمًا طَيِّبًا يحترم إنسانيته. وبالتالي، لا فائدة من ترويج الإشاعات الفارغة والأكاذيب التي تتهم الإسلام بالإرهاب وعدم احترام حقوق الإنسان . وهذه الأكاذيبُ يَخترعها المستشرقون من بنات أفكارهم، ثُمَّ يتلقَّفها صبيانهم من أبناء جِلْدتنا. ولا يخفَى أن المغلوب مُولَع بتقليد الغالب، وأن عُقدة الخواجة لها تأثير واضح في الأنساق الفكرية. وقارِنْ بين الرحمة الإسلامية وبين الإرهاب اليهونصراني (اليهودي ــ النصراني) الذي تنادي به التوراة والإنجيل .

إن المنافقين بائعو كَلامٍ . حياتهم مبنية على الكلام المعسول ، والخُطبِ الرَّنانة ، والشِّعاراتِ البَرَّاقة، والأوهام الجذابة. والآيةُ تعجيبٌ من الله لِرَسوله من حال المنافقين الذين يُظهِرون الإيمانَ، ويُبطِنون الكفرَ . وهؤلاء المنافقون كعبد الله بن أُبَي وشِيعته بَعَثوا إلى اليهود ، يَرفعون معنوياتهم ، ويَعِدُون بمساعدتهم ضد النبيِّ ﷺ والمسلمين . والمنافقون واليهود إخوان ، لأن الكفر جَمَعَهم معَ اختلاف نوع الكفر . وقد بَعَثَ المُنافقون إلى اليهود ــ حِين أرادَ النبيُّ ﷺ قِتالَهم ــ أن اثْبُتوا وقاوِمُوا ونحن معكم . إنْ خَرَجْتُم من المدينة خَرَجْنا معكم ، ولا نُطيع أيَّ شخص يريد التفريقَ بيننا وبينكم ، أو يُريد مَنْعَنا من نُصْرتكم . وإنْ قُوتلتُم قاتَلْنا معكم . وقد كَذَّبهم اللهُ تعالى ، ووَصَمَهم بالكذب والغَدْر والخِيانة والخِزي والعار .

وقال السُّيوطي في الدُّر المنثور (٨/ ١١٥) : ((وأخرجَ ابن مَرْدَوَيْه عن ابن عباس: ﴿ أَلَم تَرَ إلى الذينَ نافَقوا ﴾ ، قال : عبد الله بن أُبَي بن سَلُول ، ورِفاعة بن تابوت ، وعبد الله بن نَبْتَل ، وأَوْس بن قَيْظِيّ ، وإخوانهم بنو النضير)) اهـ. وقال الواحدي في الوجيز (١/ ١٠٨٤): ((وذلك أن المنافقين ذهبوا إلى بني النضير، لَمَّا حَاصَرَهم رسولُ الله ﷺ ، وقالوا : لا تَخرُجوا مِن دياركم ، فإن قاتلكم محمد كُنَّا معكم ، وإن أخرَجَكم خَرَجْنا معكم)) اهـ .

وقالَ اللهُ تعالى:﴿لم يَكُن الذينَ كفروا من أهلِ الكتابِ والمشركينَ مُنفَكِّينَ حتى تأتِيَهُمُ البَيِّنةُ(١) رَسولٌ مِنَ اللهِ يَتلو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٢) فِيها كُتبٌ قَيِّمةٌ (٣) وما تَفَرَّقَ الذينَ أُوتوا الكِتابَ إلا مِن بَعدِ ما جاءَتهُمُ البَيِّنةُ (٤) ﴾ [البَيِّنة] .

وَقَفَ أهلُ الكتابِ (اليهودُ والنصارى) موقفًا سلبِيًّا تجاه الدَّعوة المُحمَّدية الإسلامية ، بعد ظهور الحق أمامهم ، وقيام الحُجَّة عَلَيهم ، وانقطاع أعذارهم . فقد جاءهم النبيُّ محمد ﷺ الذي عرفوا أوصافَه في التَّوراة والإنجيل ، ومَعَ هذا كفروا بِه حسدًا وعِنادًا . فكانَ كُفرُهم كُفرَ العَالِمِ لا كُفر الجاهل ، وهذا أكثر سُوءًا .

فَإن كُنتَ لا تدري فَتِلْكَ مُصيبةٌ وإن كُنتَ تَدري فالمُصيبةُ أعظمُ

﴿ لم يَكُن الذينَ كفروا من أهلِ الكتابِ والمشركينَ مُنفَكِّينَ حتى تأتِيَهُمُ البَيِّنةُ ﴾ . لَم يَكُن الكفارُ من اليهود والنصارى والمشركين عبدة الأوثان (العرب) وعبدة النار (العَجَم) مُنتهين عَن كُفرهم ومُنفصلين عنه حتى تأتيَهم البَيِّنةُ الواضحةُ والحُجَّةُ الساطعةُ،وهي بَعثة محمد ﷺ. جاءهم بالقُرآن المُعْجِزِ المُفْحِمِ ، وأظهرَ النبيُّ ﷺ الحقَّ ، وبَيَّنَ جَهْلَهم وكُفْرَهم ، ودَعاهم إلى الإيمان .

وفي تفسير القرطبي (٢٠/ ١٢٩) : ((قال ابن عباس : (أهل الكتاب) اليهود الذين كانوا بِيَثْرِب وهُم قُرَيظة والنَّضير وبَنُو قَيْنُقاع ، والمشركون : الذين كانوا بمكة وحَوْلَها ، والمدينة والذين حَوْلَها ، وهم مُشركو قُرَيش)) اهـ .

ومعَ أنَّ لفظ " المشركين " يُقصَد بِه العرب عَبَدة الأوثان ، إلا أنَّ اليهود والنصارى مُشرِكون أيضًا ، فَمِن اليهود مَن قال : عُزَيز ابنُ اللهِ ، وَمِن النَّصارى مَن قال : عيسى هُوَ اللهُ ، ومِنهم مَن قال : هو ابْنُه ، ومِنهم مَن قال : ثالثُ ثلاثة . والنَّصارى غارقون في عقائد التثليث ، واليهودُ غارقون في عقائد التَّشبيه . وكُلُّهم مُشرِكون ، حرَّفوا التَّوراةَ والإنجيلَ ، ورَفَضوا مَنهجَ أنبيائهم .

وقال البغوي في تفسيره(١/ ٤٩٥):((فهذه الآية فِيمَن آمَنَ مِن الفريقَيْن. أخبرَ أنهم لَم يَنتهوا عن الكفر حتى أتاهم الرسول، فدعاهم إلى الإيمان فآمنوا، فأنقذهم الله من الجهل والضلالة)).

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٩٦) : ((وهذا بيان عَن نِعمة الله على مَن آمنَ مِن الفريقَيْن إذْ أنقذَهم. وذهب بعض المفسِّرين إلى أنَّ معنى الآية: لَم يختلفوا أن الله يَبعث إلَيهم نبيًّا حتى بُعث فافترقوا . وقال بعضُهم : لَم يكونوا لِيُتْرَكُوا مُنْفَكِّين عَن حُجَجِ الله حتى أُقيمت عَلَيهم البَيِّنة ، والوجه هو الأول)) اهـ .

﴿ رَسولٌ مِنَ اللهِ يَتلو صُحُفًا مُطَهَّرةً ﴾ . فَسَّرَ اللهُ البَيِّنةَ ، وهي محمد ﷺ رسولُ اللهِ ، يَقرأ صُحُفًا مُنَزَّهةً عن الباطل والشُّكوك والشُّبهات والضلالة . وهذا النبيُّ الأُمِّيُّ الذي لا يَقرأ ولا يَكتب،إنما يَقرأ القُرآنَ عَن ظَهْرِ قَلْبٍ،والنبيُّ ﷺ هو البَيِّنةُ الواضحة،والحُجَّةُ الباهرة،والآيةُ العُظمى.

وقال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٦٩٥) : ((ثُمَّ فَسَّرَ البَيِّنةَ بِقَوْلِه : ﴿ رَسولٌ مِنَ اللهِ يَتلو صُحُفًا مُطَهَّرةً ﴾ يعني مُحَمَّدًا ﷺ وما يَتلوه مِنَ القرآن العظيم الذي هو مُكْتَتَب في الملأ الأعلى في صُحُفٍ مُطَهَّرة ... قال قتادة : ﴿ رَسولٌ مِنَ اللهِ يَتلو صُحُفًا مُطَهَّرةً ﴾ يَذكر القُرآنَ بأحسن الذِّكْر ، ويُثني عَلَيهِ بأحسن الثَّناء)) اهـ . ﴿ فِيها كُتبٌ قَيِّمةٌ ﴾ . في الصُّحُفِ المُطَهَّرةِ كُتُبٌ إلهيةٌ عادلةٌ ومُحْكَمَةٌ ناطقةٌ بالحق ، لا خطأ فِيها ولا تناقض . والمقصودُ بالكتبِ الآياتُ والأحكامُ المكتوبة فيها . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٩٦) : ((﴿ فِيها ﴾ أي : في الصُّحُفِ ﴿ كُتبٌ قَيِّمةٌ ﴾ أي: عادلة مستقيمة تُبَيِّن الحقَّ من الباطل، وهي الآيات. قال مُقاتِل : وإنما قِيل لها : كُتب ، لِمَا جَمَعَتْ مِن أُمورٍ شَتَّى)) اهـ. وفي صَفوة التفاسير (٢٠/ ٨٦): ((قال الصاوي : المراد بالصُّحُف القراطيس التي يُكتَب فيها القُرآن ، والمراد بالكُتُب الأحكام المكتوبة فيها، وإنما قال : ﴿ فِيها كُتبٌ قَيِّمةٌ ﴾ لأنَّ القُرآن جَمَعَ ثمرةَ كُتبِ اللهِ المُتقدِّمةِ)) اهـ .

﴿ وما تَفَرَّقَ الذينَ أُوتوا الكِتابَ إلا مِن بَعدِ ما جاءَتهُمُ البَيِّنةُ ﴾ . كانَ اليهودُ والنصارى مُتَّفقين على ظُهور النبيِّ محمد ﷺ، ومُجتمعين على الإيمان به، لأنَّ وَصْفَه ثابت في التوراة والإنجيل، فلمَّا بَعَثَ اللهُ محمدًا ﷺ آمَنَ به بَعْضُهم ، وكَفَرَ أكثرُهم مَعَ عِلْمِهم بِصِدْقِه وصِحَّةِ نُبُوَّته . وكُفْرُهم يَنطلق مِن الحسد والحِقْد والعِناد والعداوة والمصالح الشخصية وحُبِّ الرِّئاسة والزَّعامة وطلب الدُّنيا. والكُفْرُ المبنيُّ على العِلْمِ أسوأ مِنَ الكُفر المبنيِّ على الجهل . وأهلُ الكتابِ (اليهود والنصارى) لَدَيهم التَّوراة والإنجيل ، وهُناك عُلماء كِبار بَيْنَهم ، وبَيْنَ أيديهم العلوم الدِّينية والمعارف ، بِعَكْسِ العرب عُبَّاد الأصنام الجُهَّال التائهين في الصحاري بِلا عِلْمٍ ولا كُتب دِينية . لذلك خُصَّ أهلُ الكتاب بالذِّكر لِتَوبيخهم والتَّشنيع عَلَيهم وفَضْحهم ، لأنَّ كُفْرَهم مَبنيٌّ على عِلْمٍ ومَعرفة ، ولَم يَكونوا جُهَّالًا كالعرب الوثنيين . لقد اتَّضح الحقُّ أمامَهم ، وظَهر الصواب ، وأُقيمت عَلَيهم الحُجَّةُ ، وانقطعت أعذارُهم . وبعد كُلِّ هذا اختاروا الكُفْرَ . وإذا تفرَّقوا وهُم أهلُ كِتاب ، فَغَيْرُهم مِمَّن لا كِتاب له تابعٌ لهم ، وأوْلَى بالتَّفرُّق والاختلاف .

وقال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٦٩٥) : ((يَعني بذلك أهل الكُتب المُنْزَلة على الأُمم قَبْلَنا بعدما أقامَ اللهُ عَلَيهم الحُجَج والبَيِّنات ، تفرَّقوا واختلفوا في الذي أراده اللهُ مِن كُتبهم ، واخْتَلَفوا اختلافًا كثيرًا)) اهـ . وقال البَيضاوي في تفسيره (١/ ٥١٦) : ((﴿ وما تَفَرَّقَ الذينَ أُوتوا الكِتابَ ﴾ عمَّا كانوا عَلَيه، بأن آمنَ بعضُهم ، أو تردَّد في دِينه ، أو عن وَعدهم بالإصرار على الكفر ﴿ إلا مِن بَعدِ ما جاءَتهُمُ البَيِّنةُ ﴾ ... وإفراد أهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدَّلالة على شَناعة حالهم ، وأنهم لَمَّا تفرَّقوا معَ عِلْمِهم ، كان غَيْرُهم بذلك أوْلَى)) اهـ .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٩٧) : ((قَوله تعالى : ﴿ وما تَفَرَّقَ الذينَ أُوتوا الكِتابَ ﴾ يَعني : مَن لَم يُؤمِن مِنهم ﴿ إلا مِن بَعدِ ما جاءَتهُمُ البَيِّنةُ ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها أنها محمد ﷺ . والمعنى : لَم يَزالوا مُجتمعين على الإيمان به حتى بُعِث ، قاله الأكثرون . والثاني: القُرآن ، قاله أبو العالية . والثالث: ما في كُتبهم مِن بَيان نُبُوَّته ، ذَكَره الماوردي . وقال الزَّجَّاج: وما تفرَّقوا في كُفرهم بالنبيِّ إلا مِن بَعد أن تَبَيَّنوا أنه الذي وُعدوا بِه في كُتبهم)) اهـ .

والآيةُ دَليلٌ على ذَم الاختلافِ بعد قِيام الحُجَّة . قال الشافعي في جِماع العِلْم (١/ ٦٩) : ((فإنما رَأيتُ اللهَ ذَمَّ الاختلافَ في الموضع الذي أقامَ عَلَيهم الحُجَّةَ ، ولَم يَأذَن لهم فيه)) اهـ .

وعن أُبَيِّ بن كَعْب ـ رضي اللهُ عنه ـ قال: قال لي رسول الله ﷺ : ((إن الله ـ تبارك وتعالى ـ أمَرَني أن أقرأ عَلَيك)) ، قال : فقرأ عليَّ : ((﴿ لم يَكُن الذينَ كفروا من أهلِ الكتابِ والمشركينَ

مُنفكّين حتى تأتِيَهُمُ البَيِّنةُ (١) رَسولٌ مِنَ اللهِ يَتلو صُحُفًا مُطَهَّرةً (٢) فِيها كُتبٌ قَيِّمةٌ (٣) وما تَفَرَّقَ الذينَ أُوتوا الكِتابَ إلا مِن بَعدِ ما جاءَتهُمُ البَيِّنةُ (٤) ﴾، إن الدِّينَ عِندَ اللهِ الحنيفيةُ غَيْرُ المُشرِكة ولا اليهودية ، ولا النصرانية ، ومَن يَفعل خَيرًا فلن يُكْفَرَه)) [٢٨] . والحنيفية هي التَّوحيد.

وقالَ اللهُ تعالى: ﴿ إنَّ الذينَ كَفروا مِن أهلِ الكِتابِ والمشركينَ في نارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيها أُولئكَ هُم شَرُّ البَرِيَّة ﴾ [البَيِّنة : ٦] .

إن الذينَ كذَّبوا بالقُرآن (الوَحْي السَّماويِّ) ، وجَحدوا نُبُوَّةَ محمد ﷺ مِن اليهود والنصارى والمُشركين عَبَدَة الأصنامِ والأوثان ، ماكثون في نار جهنم إلى الأبد ، وخالدون فيها ، بلا خُروج ولا مَوْت ، أُولئك هُم شَر الخَلْق على الإطلاق ، ولا يُوجد أسوأ مِنهم . وهذا مصيرُ المُكذِّبين بالوَحْي والنُّبُوَّة . ومَن كَذَّبَ القُرآنَ ، فقد كَذَّبَ الكُتبَ السماوية جميعها ، ومَن كَفَرَ بمحمد ﷺ فقد كفرَ بجميع الأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ ، حتى لَو زعم غَير ذلك. و﴿ أُولئكَ ﴾ اسم إشارة للبعيد . وهو يدل على بُعد مَنْزلة الكافرين في الضلال والشَّر ، فهُم البعيدون المطرودون مِن رحمة الله تعالى . وهُم أسوأ الخليقة أعمالًا . لقد وصلوا إلى قاع الكفر ، الذي لا قاع بعده .

هؤلاء الكُفَّار (اليهود والنصارى والمشركون) خالدون في نار جهنم ، لا يَخرجون مِنها أبدًا. إنهم أسْوَأ المخلوقاتِ ، وأحطُّها . وكَفَرَةُ أهل الكتاب والمشركون يَجمعهم العذابُ ، ولكنْ يُفرِّقهم نوعُ العذاب ، فالعذابُ مُتفاوِت لِتفاوُت كُفْرِهما . وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٥١٦) : ((﴿ إنَّ الذينَ كَفروا مِن أهلِ الكِتابِ والمشركينَ في نارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيها ﴾ . أي : يوم القيامة ، أو في الحال لِمُلابستهم ما يُوجب ذلك، واشتراك الفريقين في جِنس العذاب لا يُوجِب اشتراكهما في نَوْعه، فلعله يختلف لتفاوت كفرهما . ﴿ أُولئكَ هُمْ شَرُّ البَرِيَّة ﴾ أي : الخليقة)) اهـ .

وقال الفخر الرازي في التفسير الكبير (٣١/ ٤٩) : ((فإن قيل : لِمَ ذكر ﴿ كَفروا ﴾ بلفظ الفعل ، ﴿ والمشركينَ ﴾ باسم الفاعل ؟ . فالجواب تنبيهًا على أن أهل الكتاب ما كانوا كافرين من أول الأمر ، لأنهم كانوا مُصدِّقين بالتَّوراة والإنجيل ، ومُقِرِّين بمَبعَث محمد ﷺ ، ثم إنهم كفروا بذلك بعد مبعثه عليه السلام ، بخلاف المشركين ، فإنهم وُلدوا على عبادة الأوثان، وإنكار الحشر والقيامة ، وقَوله : ﴿ أُولئكَ هُم شَرُّ البَرِيَّة ﴾ لإفادة الحصر ، أي : شَر مِن السُّرَّاق ، لأنهم سرقوا من كتاب الله صفةَ محمدﷺ، وشَر من قُطاع الطريق،لأنهم قطعوا طريق الحق على الخَلْق)).

---

٢٨ رواه أحمد في مسنده (٥/ ١٣٢)، والحاكم في المستدرَك (٥٧٩/٢) وصحَّحه، ووافقه الذهبي.

٣ـ وجود المؤمنين بينهم :

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ ومِن قَوم موسى أُمَّةٌ يَهدون بالحق وبه يَعدِلون ﴾ [الأعراف : ١٥٩] [٢٩].

إن القُرآن حاكمٌ مُنصِف . فقد أثبتَ أن قوم مُوسى (بني إسرائيل) ليسوا جميعًا في خانة واحدة ، بل منهم جماعة مؤمنة ، يَلتزمون أوامرَ الله ، ويَجتنبون نَوَاهيه ، وَيَدْعُون الناسَ إلى الحق والهدى والصواب ، ويَعْدِلون في الحُكم فلا يَظْلِمُون. وهؤلاء ثابتون على الطريق المستقيم ، لذلك استحقوا أن يُمدَحوا في القرآن ، ويُخلَّد ذِكْرهم الطَّيب إلى يوم القيامة . ولا شَك أن ناصر الحق منصور ، وناصر الباطل مَخذول . والقُرآنُ يُؤسِّس مَنهجَ الإنصاف وإطلاق الأحكام العادلة ، وإعطاء كُل ذي حق حقَّه ، ويُعْلِي قَدْرَ المؤمنين في كُل زمان ومكان ، كي يُشجِّع الآخرين على السَّير في طريق الحق والخير ، والالتزام به ، والتَّشَبُّه بالمؤمنين في ثباتهم على الإيمان والتقوى .

وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٦٦) : ((والمراد بها : الثابتون على الإيمان ، القائمون بالحق من أهل زمانه ، أتبعَ ذِكْرَهم ذِكْرَ أضدادهم ، على ما هو عادة القرآن، تنبيهًا على أن تعارُض الخير والشر ، وتزاحُم أهل الحق والباطل ، أمرٌ مستمر . وقِيل : مُؤمنو أهل الكتاب. وقِيل : قَوم وراء الصين رآهم رسول الله ﷺ لَيْلةَ المِعراج ، فآمَنُوا به)) اهـ . وقال الزمخشري في الكشَّاف (١/ ٤٣٠) : ((هُم المُؤمنون التائبون مِن بني إسرائيل . لمَّا ذَكَرَ الذين تزلزلوا مِنهم في الدِّين وارتابوا،حتى أقدموا على العظيمتين عِبادة العِجْل واستجازة رؤية الله تعالى،ذَكَرَ أن مِنهم أُمَّة مُوقنين ثابتين، يَهْدُون الناس بكلمة الحق، ويَدُلُّونهم على الاستقامة، ويُرشدونهم . وبالحق يعدلون بينهم في الحُكم، لا يَجُورون . أو أراد الذين وصفهم مِمَّن أدركَ النبيَّ ﷺ ، وآمنَ به مِن أعقابهم. وقِيل: إن بني إسرائيل لَمَّا قَتلوا أنبياءهم وكفروا ، وكانوا اثني عشر سِبْطًا ، تَبَرَّأَ سِبْط منهم مِمَّا صَنعوا ، واعتذروا، وسألوا اللهَ أن يُفرِّق بينهم وبين إخوانهم، ففَتح اللهُ لهم نفقًا في الأرض، فساروا فيه سنة ونِصْفًا ، حتى خرجوا من وراء الصين ، وهُم هُنالك حُنفاء مسلمون ، يَسْتقبلون قِبْلتنا)) .

---

٢٩ قال ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٧٤) : ((قَوْلُه تعالى : ﴿ ومِن قَوم موسى أُمَّةٌ يَهدون بالحق ﴾ فِيه قَوْلان : أحدهما يَدْعُون إلى الحق ، والثاني يَعملون به . قَوْله تعالى : ﴿ وبه يَعدِلون ﴾ ، قال الزَّجاج : وبالحقِّ يَحْكُمون . وفي المشار إليهم بهذا ثلاثة أقوال : أحدها أنهم قوم وراء الصين لم تبلغهم دعوة الإسلام ، قاله ابن عباس والسُّدي . والثاني أنهم مَن آمَنَ بالنبيِّ ﷺ مِثل ابن سلام وأصحابه، قاله ابن السائب . والثالث أنهم الذين تمسَّكوا بالحق في زمن أنبيائهم ، ذكَره الماوردي)) .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ الذينَ آتَيناهُمُ الكتابَ مِن قَبلِهِ هُم بِهِ يُؤمِنون ﴾[القَصَص : ٥٢] [٣٠].

هؤلاء مُؤمنو أهل الكتاب ، الذينَ آمَنُوا من اليهود والنصارى بالنبيِّ محمد ﷺ . لقد أعطاهم اللهُ التوراةَ والإنجيل مِن قَبْل القُرآن ، وهُم يُصدِّقون بالقرآن ، ويُصدِّقون بِنُبُوَّة محمد ﷺ . وهذا لَيس غريبًا ، إذ إن ذِكْرَ النبيِّ محمد ﷺ كانَ موجودًا في التَّوراة والإنجيل ، فآمَنوا بِه ، وخَضَعوا للحق الإلهيِّ،ورَفضوا الكُفرَ والعِنادَ والمُكَابَرَة،وفضَّلوا نعيمَ الآخرةِ الباقي على حُطام الدنيا الفاني.

وقال القرطبي في تفسيره (١٣/ ٢٦٢): ((أخبرَ أن قَوْمًا مِمَّن أُوتوا الكتاب مِن بني إسرائيل مِن قَبْل القرآن ، يؤمنون بالقرآن كعبد الله بن سلام وسلمان ، ويَدخل فيه مَن أسلم من علماء النصارى وهم أربعون رَجُلًا قَدِموا مع جَعفر بن أبي طالب المدينة، اثنان وثلاثون رَجُلًا مِن الحَبَشَة، وثمانية نفَرٍ أقْبَلوا مِن الشام وكانوا أئمة النصارى : منهم بَحِيراء الراهب ، وأبْرَهة ، والأشْرَف ، وعامر ، وأيمن ، وإدريس ، ونافع ، كذا سَمَّاهم الماوَردي)) اهـ .

وقالَ اللهُ تعالى:﴿وَجَعَلْنا مِنهُم أئمةً يَهدُونَ بأمْرِنا لَمَّا صَبَروا وكانوا بآياتِنا يُوقِنُون﴾[السَّجدة: ٢٤].

إن اللهَ تعالى جَعَلَ مِن بني إسرائيل قادةً يَهدون إلى الخير والرَّشاد، يُقْتَدَى بهم،ويُهْتَدَى بِهَدْيهم. والأئمةُ جَمْع إمام ، وهو الذي يُؤتَمُّ به في الخير أو الشَّر. وقد جَعَلَهم اللهُ أئمةً بسبب صبرهم على أوامر الله تعالى ، والسَّير على خُطى الأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ ، والأمرِ بالمعروف ، والنهي عن المُنكَر. وقد كافأَهم اللهُ في الدُّنيا بأن جَعَلهم قادةً لأقوامهم وسادةً لهم، وخَلَّد ذِكْرَهم الطَّيب إلى الأبَد . ويَوْمَ القِيامة يُدخِلهم اللهُ جَنَّته خالدين فيها . لقد فازوا بسعادة الدنيا ونعيمِ الآخرة معًا .

وإمامةُ الدِّين _كما هو واضح في الآية_ لا تُنال إلا بالصَّبْر واليقين . فالصبرُ يَدفع الشهواتِ، واليقينُ يَدفع الشُّبهاتِ. والصَّبْرُ كالرأس في الجسد ، وإذا قُطع الرأسُ ماتَ الجسدُ ، ولا معنى للإيمان بدون الصَّبْر. ولا شَكَّ أن العلماء مأمورون بإرشاد الناس إلى الحق والخير والصواب ، وانتشالهم من مستنقع الذنوب والآثام ، وقيادتهم في طريق الإيمان ومحاسن الأخلاق .

---

٣٠ قال ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٢٢٩) : ((﴿ الذينَ آتَيناهُمُ الكتابَ ﴾ وفيهم ثلاثة أقوال : أحدها أنهم مُؤمنو أهل الكتاب ، رواه العَوفي عن ابن عباس وبه قال مجاهد. والثاني مُسلمو أهل الإنجيل، روى سعيد بن جُبَير عن ابن عباس أن أربعين من أصحاب النجاشيِّ قَدِموا على رسول الله ﷺ فشهدوا معه أُحُدًا ، فَنَزلت فيهم هذه الآية ، والثالث : مسلمون كعبد الله بن سلام وغَيره ، قاله السُّدي)) .

وهنا تَبْـرُز الصِّفات الواجب توفُّرها في الإمام (القائد) : الصَّبْرُ على العِبادة ، والزُّهْد في الدُّنيا ، والتزام أوامر الله ، والابتعاد عن المُحَرَّمات ، وإرشاد الناس إلى الخير ، وتحذير الناس من الشَّر ، وتقديم النَّصائح المُخلِصة للجميع ، والتَّصديق بآياتِ الله تعالى . ومَن يَزْعُم أنه إمام بدون هذه الصِّفات ، فهو إمامُ شَرٍّ لا إمام خَيْر . وهو ضال مُضِل ، سَيَقود نفْسَه والناسَ إلى الهلاك .

والآيةُ تَحمل دَرْسًا عمليًّا لِقُرَيش ، فإذا أرادوا أن يُصبحوا أئمةً وقادةً وسادةً وأشرافًا ، فلا بُدَّ أن يَعتنقوا الإسلامَ . وهذا هو الطريقُ الوحيد لكي يَنالوا شَرَفَ الإمامة ، ويَحصلوا على السِّيادة ، ويَقُودوا الناسَ . وهذه القضيةُ شديدة الأهمية في المجتمع العربي القائم على الفخر بالأنساب ، والتفاخر بالأحساب ، والتنافس بين القبائل على احتكار الشَّرف والمجد والقيادة والسِّيادة .

وقال النَّسفي في تفسيره (٣/ ٢٩٣) : ((يَهدون بذلك الناس ويَدعونهم إلى ما في التوراة من دِين الله وشرائعه بأمرنا إيَّاهم بذلك . ﴿ لَمَّا صَبَروا ﴾ حِينَ صَبروا على الحق بطاعة الله ، أو عن المعاصي ... لصبرهم على الدنيا . وفيه دليل على أن الصَّبْر ثمرته إمامة الناس ، ﴿ وكانوا بآياتِنا ﴾ التَّوْراة ، ﴿ يُوقِنُون ﴾ يَعْلَمون عِلْمًا لا يُخالِجُه شَك)) اهـ .

وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٦١١) : ((وقال ابن بِنْت الشافعي : قرأ أبي على عَمِّي أو عمي على أبي : سُئل سُفيان عن قَوْل عليٍّ ــ رضي الله عنه ــ : " الصبرُ من الإيمان بِمَنْزِلة الرأس من الجسد " [٣١]. ألم تسمع قَوْلَه : ﴿ وَجَعَلْنا مِنهُم أئمةً يَهدُونَ بأمْرِنا لَمَّا صَبَروا ﴾ قال : لَمَّا أخذوا برأس الأمر صاروا رُؤساء.قال بعض العلماء: بالصبر واليقين تُنال الإمامةُ في الدِّين)) اهـ.

وعن مالك بن أنس ــوتلا قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّــ: ﴿ وَجَعَلْنا مِنهُم أئمةً يَهدُونَ بأمْرِنا لَمَّا صَبَروا ﴾. فقال : حدَّثني الزُّهري أن عطاء بن يزيد حَدَّثه عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول : ((مَا رُزِقَ عَبْدٌ خَيرًا له ولا أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْر)) [٣٢].

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَجَعَلْنا في قُلوبِ الذينَ اتَّبَعُوهُ رَأفةً ورَحمةً وَرَهبَانِيَّةً ابتَدَعُوهَا مَا كَتَبنَاهَا عَلَيهِم إلا ابتِغَاءَ رِضوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَينَا الذِينَ آمَنُوا مِنهُم أَجرَهُم وَكَثِيرٌ مِنهُم فَاسِقُون ﴾ [الحديد : ٢٧] .

---

٣١ رُوِيَ عن أنس مرفوعًا . وقد ضعَّفه العراقي في تخريج الإحياء (٤/ ٢٤) . وفي تذكرة الموضوعات (١/ ١٥٢٩) أن الحديث ضعيف .

٣٢ رواه الحاكم في المستدرَك (٢/ ٤٤٩). وقال الذهبي : ((على شَرْط البخاري ومسلم)) .

إن اللهَ تعالى جَعل في قلوب الحَوَارِيِّين الذين اتَّبعوا النبيَّ عيسى ﷺ رِقَّةً وخَشيةً ورحمةً بالناس. وهذا مديحٌ لهم وإعلاء لشأنهم ، فقد كانوا أصحابَ عيسى ﷺ وأتباعَه المُخلِصين ، وساروا في طريقه بلا انحراف ، وكانوا رُحماء فيما بَيْنَهم ، لا مكان في قلوبهم للحسد والحِقد والبغضاء .

وقال القرطبي في تفسيره (١٧/ ٢٢٣) : ((﴿ رَأفةً ورَحمةً ﴾ أي مَوَدَّةً ، فكان يُوادُّ بعضُهم بعضًا . وقِيل : هذا إشارة إلى أنهم أُمِروا في الإنجيل بالصُّلح وتركِ إيذاء الناس ، وألانَ اللهُ قلوبَهم لذلك، بِخِلاف اليهود الذين قَسَت قلوبهم ، وحَرَّفوا الكَلِمَ عن مَواضعه)) اهـ .

وقد ابتدعَ النصارى الرَّهبانيةَ(اعتزال النساء والانقطاع عن الدُّنيا والتَّعَبُّد في الأماكن النائية)، وهذه الرَّهبانيةُ لم يَفْرِضْها اللهُ عليهم ، ولم يأمرهم بها ، وإنما التزموها مِن تِلقاء أنفسهم .

وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٣٠٤) : ((وابْتَدَعُوا رَهبانيةً ابْتَدَعُوها ، أو رَهبانيةً مُبْتَدَعَة ، على أنها من المجعولات، وهي المُبَالَغة في العبادة ، والرِّياضة ، والانقطاع عن الناس ، منسوبة إلى الرَّهبان ، وهو المُبَالِغ في الخوف ، مِن " رَهَبَ " ، كالخَشيان مِن " خَشِيَ " ، وقُرِئت بالضَّم ، كأنها مَنسوبة إلى الرُّهبان ، وهو جَمْع راهب ، كراكِب ورُكْبان)) اهـ .

وروى النَّسائي في سُننه (٨/ ٢٣١) : عن ابن عباس قال : كانت ملوك بعد عيسى بن مريم _عليه الصلاة والسلام_ بَدَّلوا التوراةَ والإنجيلَ،وكان فيهم مؤمنون يَقرؤون التوراةَ. قِيل لملوكهم: ما نجد شتمًا أشدَّ مِن شَتْمٍ يَشتمونا هؤلاء ، إنهم يقرؤون : ﴿ وَمَن لم يَحْكم بما أَنزل اللهُ فأُولئكَ هم الكافرون ﴾ . وهؤلاء الآيات معَ مَا يَعيبونا بِه في أعمالنا في قراءتهم ، فادْعُهُم فليقرؤوا كما نقرأ ، وَلْيُؤْمِنوا كما آمَنَّا ، فدعاهم ، فجمعهم ، وعرض عليهم القتلَ ، أو يتركوا قِراءةَ التوراة والإنجيل، إلا ما بَدَّلوا مِنها ، فقالوا : ما تُريدون إلى ذلك ؟، دَعُونا ، فقالت طائفة منهم : ابْنُوا لنا أُسطوانةً ثم ارفعونا إليها ، ثم أعطونا شيئًا نرفع بِه طعامَنا وشرابَنا ، فلا نَرِدُ عليكم . وقالت طائفة منهم : دَعُونا نَسِيح في الأرض ونَهيم، ونَشرب كما يَشرب الوحشُ، فإن قَدِرْتُم عَلَيْنا في أرضكم فاقتلونا، وقالت طائفة مِنهم : ابْنُوا لَنا دُورًا في الفَيافي ، ونحتفرُ الآبارَ ، ونحترثُ البُقولَ، فلا نَرِدُ عليكم ولا نمرُّ بكم ، وليس أحد من القبائل إلا وله حميم فيهم . قال : ففعلوا ذلك ، فأنزلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:﴿وَرَهبَانِيَّةً ابتَدَعُوهَا مَا كَتَبنَاهَا عَلَيهِم إلا ابتِغَاءَ رِضوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ [٣٣].

---

٣٣ قال السُّيوطي في الدُّر المنثور (٨/ ٦٥) : أخرَجه النَّسائي والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن جرير وابن المنذر وابن مَرْدَوَيْه عن ابن عباس .

﴿ إِلا ابتِغَاءَ رِضوَانِ اللهِ ﴾ . لقد ابْتَدَعُوا الرَّهبانيةَ ابتغاءَ رِضوان الله ، وطَلَبًا لِرضاه . وهناك تفسير آخَر ، وهو : ما كَتَبْنا عليهم الرَّهبانيةَ ، إنما كَتَبْنا عليهم ابتغاءَ رِضوان الله .

وقال أبو السُّعود في تفسيره (٨/ ٢١٣) : ((وقَوْله تعالى: ﴿ إِلا ابتِغَاءَ رِضوَانِ اللهِ ﴾ استثناء منقطع ، أي : ما فرضناها نحن عليهم رأسًا ، ولكنهم رأسًا ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ، فَذَمَّهم حينئذ بِقَوْلِه تعالى : ﴿ فَمَا رَعَوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ مِن حيث إن النَّذْرَ عَهْدٌ مع الله ، لا يَحِلُّ نكثُه ، لا سِيَّما إذا قُصِدَ به رِضاه تعالى . وعلى الوجه الثاني مُتَوَجِّه إلى قَيْده لا إلى نفْسه. والاستثناء مُتَّصل من أعم العِلَل، أي : ما كتبناها عليهم بأن وفَّقناهم لابتداعها لشيء من الأشياء، إلا ليبتغوا بها رضوانَ الله،ويستحقوا بها الثواب. ومن ضرورة ذلك أن يحافظوا عليها ويُراعوها حَقَّ رِعايتها)).

﴿ فَمَا رَعَوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ . إنهم لم يَقوموا بما التزموا بِه حَقَّ القِيام .

وقال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٠٤) : ((وهذا ذَمٌّ لهم مِن وَجْهَيْن (أحدهما) _ الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله ، و (الثاني)_ في عدم قيامهم بما التزموا مِمَّا زَعموا أنه قُربة يُقَرِّبهم إلى الله عز وجل)) اهـ .

وهذه فئةٌ مخصوصة انحرفتْ عن الطريق ، واتَّخذت الرَّهبانيةَ وسيلةً للرِّئاسة والشُّهرة وزيادة النفوذ وأكل أموال الناس بالباطل ، لأن الذينَ لم يَرْعَوْها حقَّ رِعايتها هُم بَعْض القوم وليس الكُل .

إنهم ابْتَدَعُوا الرهبانية ، وهُم لم يُؤْمَروا بذلك. لكنهم سَنُّوا هذه الطريقة تقرُّبًا إلى الله تعالى ، وابتغاءَ رِضوانه، فما قاموا بأداء حَقِّها، فبدَّلوا وغيَّروا ، وظلموا أنفسهم بانحرافهم عن الصراط المستقيم ، فآتَى اللهُ المؤمنين الذينَ ابْتَدَعُوها ، وَرَعَوْها ، وقاموا بِحَقِّها على أكْمَل وَجْهٍ أجْرَهم ، كاملًا غَير منقوص. وكثيرٌ مِن النصارى مُنْحَرِفون عن طريق الحق، وغارقون في الذنوب والمعاصي.

وقد اختلف أهل التأويل في هُوية الذين لم يَرْعَوا الرَّهبانيةَ حَقَّ رِعايتها . فقال ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٧٦): ((قَوْله تعالى : ﴿ فَمَا رَعَوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ ، في المُشار إليهم قَوْلان : أحدهما أنهم الذين ابتدعوا الرهبانية، قاله الجمهور . ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال : أحدها أنهم ما رَعَوْها لتبديل دَيْدنهم وتغييرهم له ، قاله عطية العَوفي. والثاني لتقصيرهم فيما ألزموا أنفسهم، والثالث: لِكُفْرهم برسول الله ﷺ لَمَّا بُعث، ذَكَرَ القَوْلَيْن الزَّجاج.والثاني: أنهم الذين اتَّبعوا مُبتدِعِي الرَّهبانية في رَهبانيتهم ما رَعَوْها بسلوك طريق أوَّلِيهم ، روى هذا المعنى سعيد بن جُبَير عن ابن عباس)) اهـ . وقال الطبري في تفسيره (١١/ ٦٨٩) : ((وأوْلَى الأقوال في ذلك بالصِّحة أن يقال : إن الذين وصفهم الله بأنهم لم يَرْعَوا الرهبانيةَ حق رعايتها بعض الطوائف التي ابتدعتها ،

وذلك أن الله _ جل ثناؤه _ أخبر أنه آتى الذين آمنوا منهم أجرهم ، .. فدلَّ بذلك على أن منهم مَن قَد رعاها حق رعايتها ، فلو لم يكن منهم مَن كان كذلك ، لم يكن مستحق الأجر الذي قال _ جَل ثناؤه _ : ﴿ فَآتَيْنَا الذِينَ آمَنُوا مِنهُم أَجْرَهُم ﴾)) اهـ . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٧٧) : ((قَوْله تعالى : ﴿ فَآتَيْنَا الذِينَ آمَنُوا مِنهُم أَجْرَهُم ﴾ فِيهم ثلاثة أقوال: أحدها الذين آمنوا بمحمد ، ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْهُم فَاسِقُونَ ﴾ وهُم الذين لم يؤمنوا به . والثاني أن الذين آمَنوا المؤمنون بعيسى ، والفاسقون المشركون . والثالث أن الذين آمَنوا مُبتدعو الرَّهبانية ، والفاسقون مُتَّبعوهم على غير القانون الصحيح)) اهـ .

وعن أبي أُمامةَ البَاهِليِّ _ رضي الله عنه _ قال : سَمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : ((إنَّ الله فَرَضَ عليكم صَوْمَ رَمضان ، ولم يَفْرِضْ عليكم قِيامَه ، وإنما قِيامُه شيء أحدثتموه ، فَدُوموا عليه ، فإن ناسًا مِن بني إسرائيل ابْتَدَعُوا بِدْعةً ، فعابهم اللهُ بِتَرْكِها ، وقال : ﴿ وَرَهبَانِيَّةً ابتَدَعُوهَا مَا كَتَبنَاهَا عَلَيهِم إلا ابتِغَاءَ رِضوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ _ إلى آخر الآية _)) [٣٤].

وبما أنهم قد التزموا بالرهبانية وألزَموا أنفسهم بها ، فعليهم أن يقوموا بأداء حقها ، وتطبيقها على أرض الواقع دون إخلال بها. وإذا كانوا عاجزين عن رعايتها حق الرعاية فلماذا ألزموا أنفسهم بها ؟. فاللهُ تعالى لم يَفْرِضْها عليهم. وهذا يَقودنا إلى خطورة أن يُشدِّد الإنسانُ على نفْسه ، ويُحمِّل نفْسه فوق طاقتها. فقد قال النبيُّ ﷺ : ((لا تُشدِّدوا على أنفسكم فيُشدِّدَ اللهُ عليكم ، فإن قَوْمًا شَدَّدوا على أنفسهم فَشُدِّدَ عليهم ، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات ﴿رَهبَانِيَّةً ابتَدَعُوهَا مَا كَتَبنَاهَا عَلَيهِم ﴾))[٣٥] .

لقد هَلَكَ كثير من الناس بسبب تشديدهم على أنفسهم ، وتحميلها فوق ما تَحتمل . فعلى المسلمين ألا يُوقِعوا أنفسَهم في الحَرَج،ويَحْشُروها في الزاوية الضَّيقة، ويُلْزِموها بالمشاق

---

٣٤ رواه الطبراني في الأوسط (٧/ ٢٦٢) . وفي سنده زكريا بن أبي مريم . قال الهيثمي في المجمع (٣/ ٣٣٩) : ((ضعَّفه النَّسائي وغَيْرُه)) اهـ . وقال ابن حجر في لسان الميزان (٢/ ٤٨٢): ((وقال الساجي : تكلَّموا فيه . وقال أبو داود : لم يَرْوِ عنه إلا هُشَيم ، وقال الدارقطني : يُعْتَبَر به ، وقد ذكَره ابن حِبَّان في الثِّقات)) .

٣٥ رواه أبو يعلى (٦/ ٣٦٥) برقم (٣٦٩٤) بسند حسن . قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٣٩٠) : ((ورجاله رجال الصحيح غير سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء وهو ثقة)) .

والمصاعب مِثْل : صِيام الدَّهْر ، واعتزال النساء ، وقِيام الليل كُلِّه ، لئلا يتمَّ فَرْضُ هذه الأمور عليهم ، وعندئذٍ يَقعون في الشِّدة والتعب والهلاك . فالشريعةُ سَهْلَةٌ لا مكان فيها للتعقيد والتطرف.والحديثُ يَحْمِل نَهْيًا عن التَّشدد في الدِّين بالزِّيادة عن المشروع ، والمُبَالَغةِ في أداء العبادات. وعن أنسِ بن مالك : أن رسول الله ﷺ قال : ((لِكُلِّ أُمَّةٍ رَهبانيةٌ ، ورَهبانيةُ هذه الأُمَّةِ الجِهادُ في سبيل الله)) [٣٦].

والمعنى : لكل أُمَّةٍ تبتُّلٌ وانقطاعٌ للعِبادة . ورهبانيةُ هذه الأُمَّة لَيست كرهبانية النصارى ، حيث الانقطاع عن الناس ، والتجمع في الأديرة ، والعُزوف عن الزواج ، والتَّطرف في العِبادة . إن رَهبانية هذه الأُمَّة هي التزام الجهاد في سبيل الله ، وقتال أعداء الله ، من أجل رفع راية الحق .

والجديرُ بالذِّكر أن تشديد النصارى كانَ تشديدًا في العبادة والقُرُبات ، أمَّا تشديدُ اليهود فكانَ نابعًا مِن التَّعنت والعِناد . وكلاهما مذموم ، وخَير الأمور الوسط ، ولا بد من الاعتدال في العبادة بلا إفراط ولا تفريط .

ولا بُدَّ مِن القَول إن الآية : ﴿ وَرَهبَانِيَّةً ابتَدَعُوهَا مَا كَتَبنَاهَا عَلَيهِم إلا ابتِغَاءَ رِضوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَينَا الذِينَ آمَنُوا مِنهُم أَجْرَهُم ﴾ ، هي دليلٌ باهرٌ على وجود بِدْعة حسنة في الدِّين . والبعضُ يستدلون بهذه الآية على تحريم البِدْعة مُطْلَقًا ، وهذا الاستدلال فيه نظر ، لأن الأمر ذو منحى عكسي تمامًا ، فهذه الآية مَدحت أولئك الذين سَنُّوا هذه البِدْعة الدِّينية .

والبِدْعةُ جاءت من الفعل " بَدَعَ " _ بَدَعَهُ : أنشأه على غَير مِثال . والبِدْعة : ما اسْتُحْدِث في الدِّين . واللهُ تعالى لم يَعِبْ على أولئك الذين ابْتَدَعوا الرَّهبانيةَ مِن أجل ابتداعها ، بل لأنهم لم يتمسَّكوا بهذه البِدْعة الحسنة ولم يَرْعَوْها حَقَّ رِعايتها . ولو كانت هذه البِدْعة مذمومة لَمَا آتى اللهُ تعالى الذين آمَنوا مِنهم أجْرَهم ، كما يتضح من الآية الشريفة . وهذه الآية دليل قاطع على جواز الابتداع بشَرْط عدم مُخالَفة هذه البِدْعة لأصول الدِّين وفُروعه ، كما أن هذه الآية دليل واضح على وجود بِدْعة حسنة يُؤْجَر صاحبها إذا قام بها حَقَّ القِيام . وفي صحيح البخاري (٢/ ٧٠٧) عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال : خرجتُ مع عمر بن الخطاب _ رضي الله عنه _ ليلةً في رمضانَ إلى المسجد فإذا الناسُ أوزاعٌ متفرقون يُصلِّي الرَّجل لنَفْسه ، ويُصلِّي الرَّجلُ فيُصلِّي بصلاته

---

٣٦ رواه أبو يعلى في مسنده (٧/ ٢١٠) برقم (٤٢٠٤). وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ٥٠٥) : ((وفيه زيد العمّي وثَّقه أحمد وغَيْرُه ، وضعَّفه أبو زُرعة وغَيْرُه ، وبقية رجاله رجال الصحيح)) .

الرَّهْط ، فقال عمر : ((إني أرى لو جمعتُ هؤلاء على قارئ واحد لكان أمْثَل)) ، ثم عزم فجمعهم على أُبَيِّ بن كَعْب ، ثم خرجتُ معه ليلة أخرى والناس يُصلُّون بصلاة قارئهم ، قال عمر: ((نِعْمَ البِدْعةُ هذه)) .

إن عمر بن الخطاب _ رضي الله عنه _ قد استحدثَ هذا الأمرَ في الدِّين ، ولم يقم الصحابةُ بالإنكار عليه . كما أنه سمَّى هذا الأمر بِدْعةً ، أي إن النبيَّ ﷺ لم يَسُنَّها . وهذه البِدْعةُ تَمَّ إنشاؤها على غير مثال سابق . وعِبارةُ " نِعْمَ البِدْعةُ " تدل بوضوح على فَضْلها ، وأنَّ مِن البِدَع ما هو مَقبول وحَسَن، إذا كان ينضوي تحت أصل شرعي. وقال الحافظ في مقدمة فتح الباري (١/ ٨٥) عن البِدْعة : ((هو فِعْل ما لم يُسبَق إليه ، فما وافق السُّنةَ فحَسَن ، وما خالفَ فضلالة ، وهو المراد حيث وَقَعَ ذَمُّ البِدْعة ، وما لم يوافق ولم يُخالِف فعلى أصل الإباحة)) اهـ . وقال الحافظ في الفتح (٤/ ٢٥٣) : ((والبِدْعة أصلها ما أُحْدِث دون مثال سابق ، وتُطلَق في الشَّرْع في مقابل السُّنة فتكون مذمومة ، والتحقيق أنها إن كانت مما تندرج تحت مُسْتَحْسَن في الشَّرْع فهي حسنة ، وإن كانت مما تندرج تحت مُسْتَقْبَح في الشَّرْع فهي مُسْتَقْبَحَة، وإلا فهي مِن قِسْم المباح وقد تنقسم إلى الأحكام الخمسة)) اهـ. وهذا التقسيمُ ضروري جدًّا في موضوع البِدعة ، لأنه يُؤَسِّس منهجًا شَرعيًّا وسطيًّا قادرًا على إزالة كافة الإشكاليات التي قد تنشأ في أذهان البعض حول هذه القضية . ولم يقف العلماءُ عند تقسيم البِدعة إلى حسن وقبيح، بل ذهبوا إلى تقسيمها وفق الأحكام الخمسة، فصارت البِدْعةُ واجبةً أو مَندوبةً أو مُحرَّمةً أو مكروهة أو مُباحة .

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم (٦/ ١٥٤) : ((قال العلماء : البدعة خمسة أقسام : واجبة ، ومَندوبة ، ومُحرَّمة ، ومَكروهة ، ومُباحة)) اهـ .

٤_ وُجوب التَّساهل مع غَير المُحَارِبين منهم

إن القُرآنَ حاكمٌ عادل،وَحَكَمٌ مُنصِف. وهذا يتَّجلى في التفريق بين المُحَارِب وغير المُحَارِب. وأهلُ الكِتابِ هُم قَوْمٌ لهم وَضْع خاص في الشريعة الإسلامية ، وقد أضافَهم اللهُ إلى الكِتاب ، وكأنه سُبحانَه يُذكِّرهم بأن يَعمَلوا بالتَّوْراة والإنجيل . ولَوْ عَمِلوا بأحكامهما حقًّا لآمَنُوا بالقُرآن .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ ولا تُجادِلوا أهلَ الكتاب إلا بالتي هِيَ أحسنُ إلا الذين ظلموا مِنهم ﴾ [العنكبوت : ٤٦] . لا تُجادِلوا أيها المؤمنون أهلَ الكتاب (اليهود والنصارى) إلا بالأسلوب الحسن ، والحُجَّةِ الدامغة ، وبيانِ وُجوه القُصور في عقائدهم الباطلة بالحِوار الطَّيب ، وإظهارِ تماسك العقيدة الإسلامية ، وإبراز عَظَمَة آيات القُرآن وإعجازها، دُون إكراه ولا غِلْظة ولا خُشونة.

أمَّا الأعداء المُحَارِبُون مِن أهل الكتاب الذين يُناصبون المؤمنين العَدَاءَ ، ويُقاتلونهم ، فهؤلاء لا حِوار ولا نقاش معهم . ويجب مواجهتهم بالسَّيف والقُوَّة ، والتعامل معهم بالشِّدة والغِلْظة [٣٧].

وفي الدُّر المنثور للسُّيوطي (٦/ ٤٦٨) : ((عن مجاهد في قَوْلِه : ﴿ ولا تجادِلوا أهلَ الكتاب إلا بالتي هِيَ أحسن ﴾ قال : إن قالوا شَرًّا فقولوا خَيْرًا ، إلا الذين ظَلموا منهم ، فانتصِروا مِنهم)) اهـ . وقال الفخر الرازي في التفسير الكبير (٢٥/ ٧٥) : ((إن المُشْرِك لَمَّا جاء بالمُنكَر الفظيع، كان اللائق أن يُجادَل بالأخشَن ، ويُبالَغ في تَوْهين شُبَهه وتهجين مذهبه ، وأمَّا أهلُ الكتاب فإنهم آمَنوا بإنزال الكُتب وإرسال الرُّسُل، إلا الاعتراف بالنبيِّ عليه السلام ، فَلِمُقابَلة إحسانهم يُجادَلون بالأحسَن ، إلا الذين ظَلَموا مِنهم بإثبات الولد لله ، والقَوْل بثالث ثلاثة، فإنهم يُجادَلون بالأخشَن مِن تهجين مقالتهم ، وتبيين جهالتهم)) اهـ .

٥_ عدم رضاهم عمَّن لم يتَّبع مِلَّتَهم :

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَلَن تَرضَى عَنكَ اليهودُ ولا النَّصارى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم قُل إنَّ هُدى اللهِ هُوَ الهُدى وَلَئِنِ اتَّبَعتَ أهواءَهُم بَعدَ الذي جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ ولا نصيرٍ ﴾ [البقرة: ١٢٠] .

لَوْ جَاءَ النبيُّ ﷺ بِكل الآياتِ والمُعجِزات ، وقَدَّمَ كُلَّ البراهين النقلية والعقلية على صِدْقه وصِحَّة رِسالته، فَسَوْفَ يَرفضه أهلُ الكتاب (اليهود والنصارى)، ولَن يَعترفوا بِه، ولَن يَرْضَوْا عنه، لأنهم يَستندون إلى موقف مُسبق رافض للإيمان ، ولا يَبحثون عن الحق ، ولا يَطلُبون الآياتِ للتأكد مِن صِدْقِ النبيِّ ﷺ ، فَهُم يُدرِكون أنه صادق ، ولكنَّ الحسدَ مُسيطِر على قُلوبهم ، والعِنادَ يُهيمِن على أقوالهم وأفعالهم . وَلَن يَرْضَوْا عن النبيِّ ﷺ حتى يَترك الإسلامَ ، ويتَّبع مِلَّتَهم الباطلة .

وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٣٩٣):((مُبالَغة في إقناط الرسول ﷺ مِن إسلامهم، فإنهم إذا لَم يَرْضَوْا عنه حتى يَتَّبع مِلَّتَهم،فكيف يَتَّبعون مِلَّتَه ؟،ولعلهم قالوا مِثْلَ ذلك،فحكى اللهُ عنهم)).

---

٣٧ قال ابن الجوزي في زاد المسير(٦/٢٧٥):((في التي هي أحسن ثلاثة أقوال، أحدها أنها لا إله إلا الله، رواه الضَّحاك عن ابن عباس، والثاني أنها الكَفُّ عنهم إذا بَذَلوا الجِزْيَةَ، فإن أَبَوا قُوتِلوا ، قاله مجاهد، والثالث أنها القرآن والدعاء إلى الله بالآياتِ والحُجَج.قَوْله تعالى:﴿ إلا الذين ظلموا مِنهم ﴾ ، وهُم الذين نصَبوا الحربَ،وأبَوا أن يُؤَدُّوا الجِزْيَةَ ، فَجَادِلوا هؤلاء بالسَّيف ، حتى يُسلِموا أو يُعْطُوا الجِزْيَةَ)).

ولا يُمكن إرضاؤهم باتِّباع مِلَّتهم ، لأنَّ اليهودية والنصرانية دِينان مُتعارِضان ومُتنافران ، وبين اليهود والنصارى عداوات ونِزاعات وتناحُر وحِقد وكراهية ، لكنهم اجتمعوا على محاربة الإسلام ، فهذا الهدفُ هو الذي يُوحِّدهم . ومِن المُحال أن يَتَّبع النبيُّ ﷺ مِلَّتَهم لأنه مَعصوم ، كما أن الشخصَ الواحد لا يُمكِن أن يَجتمع فِيه دِينان متعارِضان . ومن المستحيل أن يَكون الشخصُ يهودِيًّا ونصرانِيًّا في نفْس الوقت. إذن، لا يَنبغي الالتفات إلى أهواء أهل الكتاب، ولا يُمكن نَيل رضاهم. والآيةُ تَدعو النبيَّ ﷺ إلى التركيز على نشر الدَّعوة الإسلامية، وعدم الانشغال بأهل الكتاب وأهوائهم المتضارِبة ، وعقائدهم المتناقضة ، فإرضاؤُهم غاية لا تُدرَك .

وقال الطبري في تفسيره (١/ ٥٦٥) : ((وليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبدًا ، فدع طلبَ ما يُرضيهم ويوافقهم ، وأَقْبِلْ على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك اللهُ به من الحق ، فإن الذي تدعوهم إليه من ذلك لَهُوَ السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الأُلفة والدِّين القيِّم ، ولا سبيل لك إلى إرضائهم باتباع مِلَّتهم ، لأن اليهودية ضد النصرانية ، والنصرانية ضد اليهودية، ولا تجتمع النصرانية واليهودية في شخص واحد في حال واحدة، واليهود والنصارى لا تجتمع على الرضا بك إلا أن تكون يهوديًّا نصرانيًّا ، وذلك مِمَّا لا يكون منك أبدًا لأنك شخص واحد ، ولن يجتمع فيك دِينان مُتضادان في حال واحدة ، وإذا لم يكن إلى اجتماعهما فيك في وقت واحد سبيل،لم يكن لك إلى إرضاء الفريقين سبيل،وإذا لم يكن لك إلى ذلك سبيل، فالزم هدى الله الذي لجميع الخَلْق إلى الأُلفة عليه سبيل)) اهـ.وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٢٥) : ((وَلَيست اليهود يا محمد ولا النصارى بِراضية عَنك أبدًا ، فَدَعْ طَلَبَ ما يُرضيهم ويُوافقهم ، وأَقبِلْ على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بَعثك اللهُ بِه مِنَ الحق)) اهـ .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ١٣٨) : ((قَوْلُه تعالى : ﴿ وَلَن تَرضَى عَنكَ اليهودُ ولا النَّصارى ﴾ . في سبب نزولها ثلاثة أقوال : أحدها أنَّ يهود المدينة ونصارى نَجْران ، كانوا يَرجون أن يُصَلِّيَ النبيُّ ﷺ إلى قِبلتهم ، فلمَّا صُرف إلى الكعبة يَئِسوا مِنه ، فَنَزلت هذه الآية ، قاله ابن عباس. والثاني أنهم دَعَوْهُ إلى دِينهم ، فَنَزلت ، قاله مقاتل . والثالث أنهم كانوا يسألونه الهُدنة ويُطمعونه في أنه إن هَادَنَهم وافقوه ، فَنَزلت . ذَكَرَ معناه الزَّجاج)) اهـ .

وفي الدُّر المَنثور للسُّيوطي (١/ ٢٧٢) : ((عن ابن عباس أن يهود المدينة ونصارى نَجْران كانوا يرجون أن يُصَلِّيَ النبيُّ ﷺ إلى قِبلتهم ، فلمَّا صَرف اللهُ القِبلةَ إلى الكعبة شَقَّ ذلك عليهم وأيسوا منه أن يوافقهم على دينهم،فأنزل اللهُ: ﴿ ولن ترضى عنكَ اليهودُ ولا النصارى ﴾ الآية)).

وأهلُ الكتابِ قُلوبُهم قاسية ، وطِباعُهم خشنة ، وهُم ثابتون على الكُفر حتى الموت ، والآيةُ تُشير إلى شِدَّة شَكيمتهم في الكُفر والضلال . واليهودُ أسوأ مِن النصارى ، وأشدُّ مِنهم . وقلوبُ اليهود هِيَ مَضرب المَثَل في القَسوة والصلابة ، وحِقْدُ اليهودِ لا يُماثِله أيُّ حِقد .

وفي الآيةِ دليلٌ على أنَّ الكفر مِلَّةٌ واحدة، لأنَّ اللهَ تعالى ذَكَرَ المِلَّةَ بصيغة المُفرَد:﴿ مِلَّتهم ﴾، معَ أنَّ اليهود والنصارى فريقان . وقال القرطبي في تفسيره (٢/ ٩١) : ((والمِلَّة : اسم لِمَا شَرَعَه اللهُ لعباده في كُتبه ، وعلى ألسنة رُسله ، فكانت المِلَّةُ والشريعةُ سَواء)) اهـ .

﴿ قُل إنَّ هُدى اللهِ هُوَ الهُدى ﴾ . قُل يا محمد لليهود والنصارى ، إنَّ هُدى اللهِ (الإسلام) الذي بَعثني بِه هو الهدى الحقيقيُّ، والإسلامُ وَحْدَه هو الدِّين الحق، وليس اليهودية ولا النصرانية . واللهُ تعالى يُرشد النبيَّ ﷺ إلى كيفية الرَّد على أهل الكتاب، وإفحامهم، وكشف باطلهم. ولا يُوجد عاقل يُساوي بين شريعة الخالق الكاملة الصحيحة ، وبين أفكار المخلوقين الناقصة المُتعارِضة .

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٢٥) : ((أي : قُل يا محمد إنَّ هُدى الله الذي بَعثني بِه هو الهدى، يعني : هُوَ الدِّين المستقيم الصحيح الكامل الشامل . قال قَتادة في قَوله : ﴿ قُل إنَّ هُدى اللهِ هُوَ الهُدى ﴾ ، قال: خُصومة عَلَّمها اللهُ محمدًا ﷺ وأصحابَه، يُخاصِمون بها أهلَ الضلالة)) .

﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعتَ أهواءَهُم بَعدَ الذي جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ ﴾ . الخِطابُ للنبيِّ ﷺ ، والمقصودُ أُمَّته ، لأنَّ النبيَّ ﷺ مَعصوم . وهذا تَهديدٌ ووعيدٌ لِمَن يَسير على خُطى اليهود والنصارى، ويَتَّبع آراءهم الواهية، وعقائدهم الباطلة، وأفكارهم المتعارِضة، بعد أن اتَّضحت له آياتُ القُرآنِ والسُّنةُ النبوية .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ١٣٨) : ((وفي الذي جاءه مِنَ العِلْم أربعة اقوال : أحدها أنَّه التَّحَوُّل إلى الكعبة ، قاله ابن عباس . والثاني أنَّه البيان بأنَّ دِينَ الله الإسلام . والثالث أنَّه القرآن . والرابع العِلْم بِضَلالة القَوم)) اهـ .

﴿ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ ولا نصيرٍ ﴾ . الخطابُ للنبيِّ ﷺ ، والمقصودُ أُمَّته . ففي حال اتِّباع أهواء اليهود والنصارى بعد وُضوح الهدى ، ما لَكَ وَلِيٌّ يَحفظك ، ولا نَصير يَحميك مِنَ اللهِ .

وهو جواب ﴿ لَئِنِ ﴾ . وقال الطبري في تفسيره (١/ ٥٦٥) : ((﴿ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ ﴾ يعني بذلك: ليس لَكَ يا محمد مِن وَلِيٍّ يَلِي أمرَك ، وقَيِّمٍ يَقوم به . ﴿ ولا نصيرٍ ﴾ ينصرك مِنَ اللهِ ، فَيَدفع عَنكَ ما يَنْزِل بِكَ مِن عُقوبته ، ويَمنعك من ذلك ، إنْ أَحَلَّ بِكَ ذلك رَبُّك)) اهـ .

إن اليهود والنصارى يتحركون بدافع الأهواء المُتضاربة ، والمصالح الشخصية ، ويُحاولون جاهدين التحايلَ على الحقيقة ، والالتفاف على الحق . وهُم يَنظرون إلى أنفسهم على أنهم صَفوة

اللهِ مِن الخَلْق ، ويعتقدون أنهم على الحَق المُطْلَق ، وغيرهم على الباطل المُطْلق . وهذه الأوهام نابعة من ثقافة " احتكار الحقيقة " المُستقاة من التوراة والإنجيل اللذين أصابهما التحريف . كما أن اليهود والنصارى ينطلقون من موقف فَوْقي استعلائي رافض للحق ، ويَنظرون إلى الآخرين على أنهم أتباع وعوام وعبيد وخدم . فهُم يَعتبرون أنفسهم الأصلَ ، وغيرَهم الفرع أو الصورة أو النُّسخة المُقلَّدة.وهكذا يتجلى البُعْدُ الأسطوري عند أهل الكتاب. وللأسف فإن أوهامهم مصبوغة بالدِّين، وأهواءهم مختلطة بالعقائد. وهذا يجعلهم غارقين في ضلالهم ، غير مستعدين نفسيًّا لِتَقَبُّل الحق ، أو التزام الحقيقة . والناسُ أعداءُ ما يَجهلون ، والحُكم على الشَّيء فَرْع عن تَصَوُّره .

٦_ حُجَجُهم الواهية :

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ فَمَن حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعدِ ما جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُل تَعَالَوْا نَدْعُ أبناءَنا وأبناءَكُم ونِساءَنا ونِساءَكُم وأنفُسَنا وأنفُسَكُم ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعنةَ اللهِ على الكاذبين ﴾ [آل عِمران: ٦١].

فَمَن جادلَكَ يا محمد في شأن المسيح عيسى بن مريم ، مِن بَعد أن ظَهر الحقُّ أمامَكَ ، وعَلِمْتَ أنه عبدُ اللهِ ورسولُه ، فادعُوهم إلى الاجتماع والمُبَاهَلَة ، ثُمَّ نلتعن (نَدعو اللهَ أن يَلعنَ الكاذبَ فِينا). وفي الآية : ﴿ نَدْعُ أبناءَنا وأبناءَكُم ﴾ لَم تُذكَر البنات ، وإنما ذُكر الأبناء فقط . إمَّا لأنَّ البنات داخلات في النِّساء ، أوْ لأنَّ الأبناء هُم الذين يَحضُرون مواقف الخِصام دُون البنات .

والجديرُ بالذِّكر أنَّ الأبناء والنِّساء تَمَّ تقديمهم على الأنفُس ، لأنَّ الإنسانَ يُخاطِر بحياته دفاعًا عن الأبناء والنِّساء ، ويُقاتل من أجل حمايتهم. وأصلُ الابتهال الاجتهاد في الدُّعاء باللعن . وقد كانت المُبَاهَلَة بعد إقامة الحُجَّة عَلَيهم . وفي زاد المسير (١/ ٣٩٩) : ((فأمَّا الابتهال فقال ابن قُتَيبة : هو التَّداعي باللعن . يُقال : عَلَيْهِ بَهْلةُ اللهِ ... وقال الزَّجاج : معنى الابتهال في اللغة المُبَالَغة في الدعاء ، وأصله الالتعان . يُقال : بَهَله اللهُ ، أي لَعَنَه)) اهـ .

وقد نزلت هذه الآية في نصارى نَجْران،حيث قَدِموا إلى النبيِّ ﷺ،وزَعموا أنَّ المسيحَ ابْنُ اللهِ ، وإلهٌ مَعَ اللهِ، تعالى اللهُ عُلُوًّا كبيرًا. وقد أقامَ النبيُّ ﷺ عَلَيهم الحُجَّةَ ، ثُمَّ دعاهم إلى المُبَاهَلَة ، فخافوا من العذاب ، ورَفضوا المُبَاهَلَة ، ورَضوا بأن يَدفعوا الجِزيةَ، وهذا يُشير إلى إيمانهم بأنَّ محمدًا نبيٌّ صادق، وأنهم على باطل ، وَلَوْ كان النصارى واثقين من دِينهم ، لَقَبِلُوا بالمُبَاهَلة ، ولكنهم يَعرفون أنَّ دِينهم باطل .

وقال القرطبي في تفسيره (٤/ ١٠٤) : ((هذه الآية مِن أعلام نُبُوَّة محمد ﷺ ، لأنه دعاهم إلى المُبَاهَلة ، فَأَبَوْا مِنها ، ورَضوا بالجِزية بعد أن أعلمهم كبيرُهم (العاقب) أنهم إنْ بَاهَلوه اضطرمَ عليهم الوادي نارًا، فإنَّ محمدًا نبيٌّ مُرسَل، وقد تعلمون أنه جاءكم بالفَصْل في أمر عيسى، فتركوا المُبَاهَلة ، وانصَرَفوا إلى بلادهم على أن يُؤدُّوا في كُلِّ عام ألف حُلَّةً في صَفَر ، وألف حُلَّة في رَجَب ، فصالحهم رسولُ الله ﷺ على ذلك بَدَلًا مِن الإسلام)) اهـ .

وفي صحيح مسلم (٤/ ١٨٧٠) : عن سعد بن أبي وقاص ــ رضي اللهُ عنه ــ قال : وَلَمَّا نزلت هذه الآية : ﴿ فَقُل تَعَالَوْا نَدْعُ أبناءَنا وأبناءَكُم ﴾ ، دعا رسولُ الله ﷺ عَلِيًّا وفاطمةَ وحَسَنًا وحُسَيْنًا ، فقال : ((اللهُمَّ هؤلاء أهلي)) .

هذا دليلٌ على صِدْقِ النبيِّ ﷺ وصِحَّةِ رِسالته ، وَلَوْ كانَ كاذبًا ــ وحاشاه ــ لَمَا خَاطَرَ بحياته وحياة أقرب الناس إلَيه ، والحديثُ يُشير إلى فَضْلِ عَليٍّ وفاطمة والحَسَن والحُسَين ، إذْ إنهم صَفوة الصَّفوة ، وأهلُ النبيِّ ﷺ ، وَلَوْ لَم يَكونوا كذلك لَمَا اختارهم للمُبَاهَلة . وفي الحديث أيضًا دليلٌ على أنَّ أبناء البنات يُسَمَّوْنَ أبناء ، لأنَّ النبيَّ ﷺ اعتبرَ الحسنَ والحسينَ ابْنَيْه [٣٨] .

وفي تفسير القرطبي (٤/ ١٠٤) : ((قال كثير من العلماء : إنَّ قَوله عليه السلام في الحسن والحسين لَمَّا بَاهَلَ: ﴿ نَدْعُ أبناءَنا وأبناءَكُم ﴾ ، وَقَوْلَه في الحسن : " إنَّ ابني هذا سَيِّد " [صحيح البخاري (٢/ ٩٦٢)] مَخصوص بالحسن والحسين أن يُسَمَّيا ابْنَي النبيِّ ﷺ دُون غَيْرِهما)) اهـ .

لقد دعا النبيُّ ﷺ نصارى نَجْران إلى المُبَاهَلَة لِدَحْض باطلهم، وفضحهم أمام الناس، وكشف عقائدهم الزائغة ، واختارَ أهلَ بَيْته المُقرَّبين لهذا الأمر العظيم ، وهنا تَظهر ثقة النبيِّ ﷺ باللهِ ، وإيمانه الراسخ بالتأييد الإلهيِّ، لكنَّ نصارى نَجْران ، تهرَّبوا مِنَ الموضوع بسبب ما يُشكِّله مِن خُطورة على حياتهم.وترك النصارى للمُبَاهَلة(المُلاعَنة) يدل على عِلْمهم بِصِدق النبيِّ ﷺ ، وهذا دليلٌ واضح على صِحَّة نُبُوَّة محمد ﷺ. كما يُشير إلى اتِّباع أهل الكتاب لأهوائهم، وحِرْصهم على مصالحهم الشخصية وحُبِّ الزَّعامة وشَهوةِ الرِّئاسة ، وهذه هي الحواجز التي مَنعتهم مِن الإيمان.

---

٣٨ قال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٩٩): ((قَوله تعالى : ﴿ وأنفُسَنا ﴾ فيه خمسة أقوال : أحدها أراد عليَّ بن أبي طالب ، قاله الشَّعبي ، والعرب تُخبِر عن ابن العم بأنه نفْس ابن عَمِّه . والثاني أراد الإخوان، قاله ابن قُتَيبة . والثالث أراد أهل دِينه، قاله أبو سُلَيمان الدمشقي. والرابع أراد الأزواج. والخامس أراد القَرابة القريبة ، ذكرهما عليُّ بن أحمد النَّيسابوري)) .

وقال الواحدي في الوجيز (١/ ٢١٤) : ((دعا رسولُ الله ﷺ وفد نَجْران إلى المُبَاهَلة ، وهي الدعاء على الظالم من الفريقين ، وخرج رسولُ الله ﷺ ومعه الحسن والحسين وعليٌّ وفاطمة عليهم السلام ، وهو يقول لهم : " إذا أنا دَعَوْتُ فَأمِّنوا " فذلك قَوْلُه : ﴿ نَدْعُ أبناءَنا ﴾ الآية . وَقَوله : ﴿ وأنفُسَنا وأنفُسَكُم ﴾ يعني : بني العَم . ﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ ﴾ نتضرَّع في الدُّعاء . وقِيل : ندعو بالبَهْلة وهي اللعنة ، فندعو اللهَ باللعنة على الكاذبين ، فلم تُجِبْه النصارى إلى المُبَاهَلة خَوفًا مِن اللعنة ، وقَبِلوا الجِزية)) اهـ .

وَلَوْ قَبِلَ النصارى بالمُبَاهَلة ، لَحَلَّ عليهم العذاب بما كَسبت أيديهم ، وبسبب أكاذيبهم ، حيث جعلوا المسيحَ ابنًا للهِ وإلَهًا مَعَه، وهذا كَذِبٌ على اللهِ، وكَذِبٌ على المسيح عَبْدِ اللهِ ورسولِه.

وعن ابن عباس ــرضي اللهُ عنهماــ قال: ((وَلَوْ خَرَجَ الذين يُباهِلون رسولَ الله ﷺ ، لَرَجعوا لا يَجدون مالًا ولا أهلًا)) [٣٩].

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ عَليمٌ بالمُفسِدين ﴾[آل عِمران : ٦٣] .

فإن أعرضَ هؤلاء النصارى الذي حَاجُّوا النبيَّ ﷺ في أمر عِيسى ﷺ عن الحق، ورَفضوا تَوحيدَ اللهِ، وأصَرُّوا على تأليه عيسى واعتباره ابنًا للهِ تعالى، فإنهم مُفسِدون، وغارقون في الكُفر والضلال. واللهُ عليمٌ بِهم وبفسادهم . يُحصي أعمالَهم ، وسَيُحاسبهم عَلَيها ، ويُعذِّبهم أشدَّ العذاب . والآيةُ وعيدٌ شديدٌ لهم . وقال البَيضاوي في تفسيره (١/ ٤٨) : ((وَعيد لهم ، ووَضْع المُظْهَر مَوْضِع المُضْمَر، ليدل على أنَّ التَوَلِّي عن الحُجَج والإعراض عن التوحيد إفسادٌ للدِّين، والاعتقاد المؤدِّي إلى فساد النَّفْس ، بَل وإلى فساد العالَم)) اهـ . إنَّ أصلَ الكلام " فإن تَوَلَّوا فإن الله عليم بِهم " ، فجاءت ﴿ بالمُفسِدين ﴾ وهي مُظهَر مكانَ المُضمَر"بِهم" للتَّنبيه على أنهم مُفسِدون في غاية الإفساد، وأنَّ رفض البراهين مُنتهى الفساد. والمراد هو تَقرير المعنى ، وتثبيته في قلب السامع .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٠) : ((قَوْلُه تعالى : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها : عن المُلاعَنة ، قاله مقاتل . والثاني أنه : عَن البيان الذي أتى به النبيُّ ﷺ ، قاله الزَّجاج. والثالث : عَن الإقرار بِوَحدانية الله وتَنْزيهه عن الصاحبة والولد ، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي الفساد هاهنا قَولان: أحدهما أنه العمل بالمعاصي، قاله مقاتل. والثاني: الكفر، ذَكَره الدمشقي)).

---

٣٩ رواه أحمد في مسنده(١/ ٢٤٨) برقم (٢٢٢٥)، وأبو يعلى في مسنده(٤/ ٤٧١) برقم(٢٦٠٤). وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٤١٨) : ((رجال أبي يعلى رجال الصحيح)) .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ يا أهلَ الكِتابِ لِمَ تُحَاجُّونَ في إبراهيمَ وما أُنزِلَتِ التَّوراةُ والإنجيلُ إلا مِن بَعدِه ﴾ [آل عِمران : ٦٥] .

في هذه الآية إفحامٌ لأهل الكتاب (اليهود والنصارى) الذين زعموا أن إبراهيم ﷺ كان على دينهم . فاليهودُ قالوا إن إبراهيم كان يهوديًّا ، والنصارى قالوا إنه كان نصرانيًّا . وقد كَذَّبهم اللهُ تعالى ، ودَحَضَ زَعْمَهم . فالتوراةُ والإنجيلُ أُنزلا بعد إبراهيم ﷺ بمُدَّة طويلة جدًّا ، فكيف يَكون إبراهيم على دِينهم وقد ظَهر قبلهم بقُرون طويلة ؟ . إن اللاحق مُتأثِّر بالسابق ، وليس السابق مُتأثِّرًا باللاحق .

وهذه الحُجَّةُ القرآنية الباهرة تفضح جهلَ أهل الكتاب ، وتُبرز أن كلامهم نابع من الأهواء المُتضاربة ، ويفتقد إلى المنهج العِلميِّ المُتوازن والحُجَجِ السليمة ، وكلُّ كلامٍ لا دليل عليه فهو كلامٌ ساقط لا تقوم له قائمة . والحُجَّةُ لا تقوم بالصراخ أو الخُطب الرَّنانة ، وإنما تقوم بالبراهين والأدلة الساطعة المتوافقة مع النقل والعقل .

وهذه الآيةُ أبرز حُجَّة على اليهود والنصارى، وتشتمل على مبدأ الاستدلال بالتاريخ. فهناك فرق زمني واضح بين الأنبياء _عليهم الصلاة والسلام _. إن إبراهيم وموسى بينهما ألف سنة ، وبين موسى وعيسى ألفا سنة .

وقال الطبري في تفسيره (٣/ ٣٠٢) : ((وكان حِجاجهم فيه : ادِّعاء كل فريق من أهل هذين الكتابين أنه كان منهم ، وأنه كان يَدِين دِينَ أهل نِحْلته ، فعابهم اللهُ _ عز وجل _ بادعائهم ذلك، ودَلَّ على مُناقضتهم ودَعْواهم، فقال: وكيف تدَّعون أنه كان على مِلَّتكم ودِينكم ، ودِينكم إمَّا يهودية أو نصرانية ، واليهودي منكم يزعم أن دينه إقامة التوراة والعمل بما فيها ، والنصراني منكم يزعم أن دينه إقامة الإنجيل وما فيه ، وهذان كتابان لم ينزلا إلا بعد حين من مَهْلَك إبراهيم ووفاته ؟ ، فكيف يكون منكم ؟ ، وما وجه اختصامكم فيه وادعاؤكم أنه منكم ، والأمر فيه على ما قد علمتم ؟)) اهـ .

وفي الدُّر المَنثور للسُّيوطي (٢/ ٢٣٥): [أخرج ابن إسحق وابن جرير والبَيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال : ((اجتمعت نصارى نَجْران وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ، فتنازعوا عنده ، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديًّا ، وقالت النصارى : ما كان إبراهيم إلا نصرانيًّا . فأنزلَ اللهُ فيهم : ﴿ يا أهل الكتاب لِمَ تُحاجون في إبراهيم وما أُنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده﴾)) _ الآية _] .

إن القرآنَ الكريم يخاطب العقلَ الإنساني بما يَعلم ، فلم يجئ الخطابُ القرآنيُّ بعيدًا عن الواقع أو الموضوع ، ولم يجئ مُخَاطِبًا الإنسان بما هو فوق قدرته . والحُجَّةُ القرآنية واضحة ، لا يوجد فيها تزويق فلسفي هُلامي ، ولا هروب من الموضوع .

وأهلُ الكتاب الذين يزعمون انتماءَ إبراهيم ﷺ إليهم ، تَمَّ بيان باطلهم بأسلوب واضح يُدركه العقلُ البشري . فإبراهيمُ ﷺ ظَهر قبل اليهود والنصارى . وبالتالي ، لا يمكن أن يكون يهوديًّا أو نصرانيًّا ، فقد كان حنيفًا مُسْلِمًا ، ولم يكن من المشركين. وهذا الخطابُ القرآنيُّ الذي دَحَضَ شُبهاتِ الخصوم ، يدل على إعجاز القرآن لَفْظًا ومَعْنًى ، ويدل على عَظَمَة الله مُنْزِلِ القرآن الذي يَغلب ولا يُغلَب .

وفي هذا السِّياق ينبغي الانتباه إلى أزمنة ظهور الأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ ، فهم لم يظهروا في فترة واحدة ، بل كان يَتْبَع بعضُهم بعضًا ، لكنهم جميعًا سائرون على منهاج واحد ، وهو الدعوة إلى عبادة الله وَحْدَه لا شريك له ، دِينهم واحدٌ وهو الإسلام ، وشَرائعهم مختلفة .

وفي الدُّر المَنثور للسُّيوطي (٢/ ٧٤٩) : ((أخرج ابن أبي حاتم عن قَتادة قال : كان بين آدم ونوح ألف سنة ، وبين نوح وإبراهيم ألف سنة ، وبين إبراهيم وموسى ألف سنة ، وبين موسى وعيسى أربعمائة سنة ، وبين عيسى ومحمد ستمائة سنة)) اهـ .

إن الأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ قادةُ البشرية . وما وجودُهم إلا دليل باهر على رحمة الله بعباده . فاللهُ تعالى أرسل أنبياءه لِيُخرجوا الناسَ من ظُلمات الجهل والكفر إلى نُور العِلم والإيمان . وهكذا ، أُقِيمت الحُجَّة على الناس ، وانقطعت أعذارهم . ولا عُذر لأيِّ إنسان في الكفر أو رفض الدَّعوة .

واللهُ تعالى قادر على وضع الخلائق في الجنة أو النار مُباشرةً بدون إرسال أنبياء ، ولا أحد يَملك الاعتراضَ على القرار الإلهيِّ. ولكن الرحمة الإلهية وَسعت كُلَّ شيء، واللهُ تعالى أرحم بالعباد من أمهاتهم ، ولم يَخلقهم ليُعذِّبهم . أمَّا مَن اختار طريق الكفر والعذاب فعليه أن يتحمَّل مسؤولية اختياره ، وقد ساعده اللهُ تعالى على سلوك طريق الحق ، وأرشده إلى الصراط المستقيم ، لكنه أبى أن يَسْلكه ، فلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسه .

وإذا أدخلَ اللهُ العبدَ الجَنَّةَ ، فبِفَضْل الله ، وله المِنَّة . وإذا أدخلَه النارَ ، فَبِعَدْل الله ، وله الحُجَّة .

الفصل الثاني
صُورة اليهود في القُرآن والسُّنة والإنجيل

تمهيد

كان موضوع هذا البحث بعيدًا عن ذهني ، لأنني كنتُ غير مُطَّلع على الدراسات النصرانية التي تتناول اليهودَ . صحيحٌ أن لديَّ معلومات عنهم مُستقاة من القرآن والسُّنة ، ولكن جَهْلي بالنصوص الإنجيلية في السابق حال دون الخوض في هكذا بحث . فقد طمحتُ إلى تقديم دراسة مستندة إلى الإسلام والنصرانية. وفي أحد الأيام زرتُ صديقًا قديمًا في بيته ، فأطلعني على مكتبته ، حيث وجدتُ الإنجيل ضمن الكتب الموجودة . أمسكتُ به وبدأت أقرأ . لاحظَ صديقي ذلك ، فأخبرني بإمكانية أن آخذه ، وتَمَّ ذلك . صار عندي إحساس بإمكانية أن أصبح ذا اطِّلاع على الآخَر، اطِّلاع يَنقلني من وضعية الجاهل إلى الحاصل على نصيب من العِلم. يَوْمها اتَّضحتْ لي معالم الطريق الظاهرية ، ولم يَبْقَ لتحقيق مَسعاي إلا أن أكتشف بنفْسي ذلك الطريق . أريدُ القراءة بعيوني ، لا أن يقرأ الآخرون نيابةً عني. أُريد الاطِّلاع على النصوص بنفْسي من مصادرها الأصلية ، من أجل الدِّقة والمصداقية. ثُمَّ عكفتُ على القراءة والدراسة والتحليل ومقابلة النصوص _ الإسلامية والنصرانية_ بعضها ببعض. ولاحظتُ التقارب الواضح الذي يصل أحيانًا إلى التطابق لَوْلا الفارق البسيط . والحق يُقال إنهما يَنهلان من مصدر واحد . ولَوْلا الأيادي العابثة بالإنجيل لَمَا ظَهَرَ تناقضٌ إطلاقًا بين القرآن والإنجيل . والكتب السماوية مصدرها الله تعالى، وهو مُنَزَّه عن التناقض والخطأ . والقرآنُ هو الكتاب السماوي الوحيد المحفوظُ من التغيير والتحريف. قال اللهُ _ عَزَّ وَجَلَّ _ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون ﴾ [الحِجْر : ٩] . وهذا الفضلُ الإلهيُّ مُختص بالقرآن حصريًّا ، دُون باقي الكتب السماوية .

استندتُ إلى النصوص الدينية المُقدَّسة لدى المسلمين والنصارى ، لأن كل جانب خاضعٌ لنصوصه . والنصوصُ المُقدَّسة لدى المسلمين هي نصوص الكتاب والسُّنة . والنصوص المُقدَّسة لدى النصارى هي نصوص " الكتاب المُقدَّس " الذي يتكوَّن من التَّوراة (العهد القديم) والإنجيل (العهد الجديد) . والتوراةُ والإنجيل اللذان أنزلهما اللهُ على موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام كتابان سماويان معصومان ومُقدَّسان ، ويجب الإيمان بهما . ولكنهما غَير مَوْجُودَيْن في هذا العالَم . والتوراةُ والإنجيلُ الموجودان الآن عبارة عن كتابَيْن مُحَرَّفَيْن ، ليس لهما قُدسية ، ولا يُعْتَرَف بهما . والجديرُ بالذِّكر أن اليهود وغَيرهم بدَّلوا التوراة "العهد القديم" بحيث تُلَمِّعُ سيرتهم وصورتهم وتتماشى مع أهوائهم. والإنجيلُ ليس أحسن حالًا . ورغم التحريف في الإنجيل إلا أنه

يُعطينا صورة عن اليهود متوافقة مع الحقيقة في أحيان كثيرة. مع الانتباه إلى أن اليهود يؤمنون بالتَّوراة وَحْدَهَا، ويكفرون بالإنجيل. أمَّا النصارى فيؤمنون بالتوراة (العهد القديم) والإنجيل (العهد الجديد) معًا . وهناك ملاحظة في غاية الأهمية ، وهي أن القرآن هو الحَكَم ، فما وافقه مِن النصوص التَّوراتية أو الإنجيلية كان حقًّا ، وما خالفه كان باطلًا . وقد عرضتُ النَّصَّ الديني المُلْزِم لمُعتنقه ، مع الاطِّلاع على دراسات كثيرة لمؤلفين من الشرق والغرب . وإنني أريد من عملي إبراز الصورة والشكل الحقيقي لليهود . وذلك من أجل معرفة حجم الانهيار والانتكاسة التي أصابت عقولهم جرَّاء تحريف النصوص الدينية ، وتحديد متاهة الكفر والضلال والضَّياع التي يَغرق فيها أهل الكتاب عامة ، واليهود خاصة . ويَحْسَبُون أنهم على الطريق المستقيم . وهذا وَهْم كبير .

هذه رسالتي إلى كل مُنصِف ، أمَّا الذين أعْطَوْا عقولهم إجازةً مفتوحة ، وحقنوا أعمارهم بالخرافات حتى تكلَّستْ في أرواحهم وقلوبهم وأجسادهم، فَسَيَعْبُرون كالعادة مُعرِضين ساخرين يَنظرون ولكنهم لا يُبصرون.حاولتُ تكوين تشكيل فكري يَسبرُ غَوْرَ الشخصية اليهودية_الصهيونية بواسطة تحليل النَّفسية البنائية مُرورًا بالطِّباع والسَّجايا المُستندة إلى العقيدة والتفكير والسلوك . وقد عَزَّزْتُ رؤيتي بالتوثيق، حيث رددتُ النصوص إلى مصادرها. ولَمَّا كان السلوك الظاهري يُنبئ عن الباطن في الغالب _ فالنادرُ لا حُكمَ له _ ، أستطيع القول إن هذا البحث يُمثِّل دراسةً منطقية للذات اليهودية مُمثَّلة بأهم أطوارها تاريخيًّا، وصولًا إلى واقعنا الذي نعيشُ. إنه التاريخُ مرةً أخرى ، يأخذ بأيدينا إلى اكتشافِ عوالم الذات الإنسانيةِ . وللأسف ، فالبشرُ قد حَوَّلوا الأرضَ إلى مدفن مُوحِش وكئيب . وإذا كان الأنبياءُ بُناةَ الحضارة الإنسانية قد أسَّسوا منهاجًا رَبَّانِيًّا مَعْصومًا ، فإن غالبية البشر شرعوا يهدمون الحضارة، ويُنازعون خالقهم في حُكْمه وأمْره ومُلْكه . ومعَ هذا ، فما بَنَاه اللهُ ما له مِن هادم . ولكن الإنسان المغرور والمُصاب بوهم القُوَّة سقى نَفْسَه كأس الهلاك ، فسقطَ في الهاوية ، وعمَّت الفوضى ، واختفى الهدف ، وانهار الوعي ، وغاب المصير. واللهَ أسألُ أن يَهديَنا جميعًا إلى الحق ، لَعَلَّنا نشهدُ رجوع الإنسانية عَن غَيِّها وضلالها وافتتانها بحُطام الدنيا الزائل ، معَ ضرورة تحكيم منطق العقل ، وتعزيز ثقافة الحوار والتفكير والنقد البَنَّاء . ولا حوار معَ مَن يُوجِّهون بنادقهم إلى صدورنا في هذا العالَم التائه في مصانع الأسلحة ، والبورصات ، والبنوك الرَّبوية ، وصالات القِمار ، وممالك الموت والأوبئة . يحتاجُ سادةُ العالَم الجُدد السائرون على خطى فِرْعَوْن بكل تكبُّر وغرور ، إلى الاقتناع بأن الرصاصة لن تَقتل الفكرةَ ، والدَّبابة لن تَسحق المعنى ، والاغتيال لن يُنْهِيَ القضيةَ ، والحق مُنتصر لا مَحَالة ، عاجلًا أو آجِلًا .

كلمة لا بُد منها

الفرقُ هائلٌ بين مصادر التشريع في الأديان المختلفة . وما يُميِّز الشريعة الإسلامية عن غيرها من الشرائع أن مصدرَيْها القرآن والسُّنة نُقلا إلينا بواسطة السَّنَد . وهذا يُفيد اليقين التام القاطع ، بلا شُكوك ولا شُبهات .

والقُرآنُ الكريم منقولٌ بالتَّواتر ، حيث نقلته طبقات مِن الناس ، وليس شخصًا واحدًا ، وهذا يعني استحالةَ الكذبِ واستبعادَ الخطأ . والقُرآن [٤٠] : ((كلام الله تعالى ، المُنَزَّل على سَيِّدنا محمد ﷺ، بوساطة جِبريل عليه السلام بلفظه، المُتَعَبَّد بتِلاوته ، المُعجِز [٤١]، المنقول بالتواتر [٤٢]، المَبدوء بسورة الفاتحة ، والمختوم بسورة الناس)) [٤٣].

وهذا الخصائص التي لم تجتمع لغير القرآن ، تجعله فوق مستوى النقد والطعن والتشكيك والشُّبهات . وهذا ليس من باب الاستعلاء بالباطل ، أو التعصُّب الأعمى للقُرآن ، أو الهروب من الحق والحقيقة . إن القُرآن هو الحق الكامل بلا رَيْب ، والحقيقة المعصومة بلا شَك . وقد تناقله الناسُ طبقةً عن طبقة ، بلا انقطاع ولا غُموض . وعمليةُ جمع القرآن وكتابته ونَقْله عبر الأجيال والقُرون ، تمَّت وَفْق منهج فكري دقيق وصارم ، يتضمَّن سلامة النَّقْل وضَبْطه وتواتره . وهذا ما يُميِّز القُرآن عن التَّوراة والإنجيل المُحَرَّفَيْن . والتشريعُ الإسلاميُّ لم يغب طيلة وجود الأمَّة ، ولَم تَغفَل الأمَّةُ عنه. وهذا الترابط الحتمي أدَّى إلى نفْي أيَّة فرصة للطعن في التشريع الإسلامي ، الذي لا يتسلَّل إليه الشك أو الاحتمال ، لأن ما طَرَأه الاحتمالُ ، سقط به الاستدلال .

---

٤٠ لفظ القرآن في العربية مصدر قرأ. قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَإِذَا قَرَأناهُ فَاتَّبِعْ قُرآنه ﴾ [القيامة : ١٨].

٤١ هو الذي لا يمكن أن يُؤتى بمِثْله ، أو بسورة واحدة منه . وفي اللغة (أعجزَ) الشيء فلانًا أي فاته ولم يُدركه [انظر المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ص ٤٠٧] ، وقد تعدَّدت مستويات التَّحدي . وأقل ما وقع فيه التَّحدي هو سورة ، ولم يقع التحدي بآية . [انظر كتاب / حقيقة القرآن ، إبراهيم أبو عواد ، دار الأيام للنشر والتوزيع ، عَمَّان _ الأردن] .

٤٢ التواتر(لُغَةً) : التتابع . يُقال : تواترت الأخبار ، أي تتابعت . والمتواتر : ما رواه جَمع لا يُخشى تواطؤهم على الكذب .

٤٣ قراءة القرآن ، محمد نبهان ، ص ٨ .

أمَّا السُّنة النبوية الشريفة ، فقد هيَّأ اللهُ لها علماء جهابذة درسوها ، وميَّزوا الصحيحَ من الضعيف ، وهي منقولة بالسَّند المُتَّصل إلى النبيِّ ﷺ . وهي وَحْيٌ إلهيٌّ كالقُرآن ، وهي مَحفوظة كالقُرآن ، لأنها مُفسِّرة له ، ومُبيِّنة لآياته وأحكامه . والسُّنة (لُغةً) هي الطريقة المُعتادة . أمَّا في الاصطلاح الشرعي فهي: ((ما صدر عن رسول الله ﷺ مِن قَول أو فِعل أو تقرير أو صِفة))[44].

إن القُرآن والسُّنة مَصْدَرا التشريع الإسلاميِّ ، وقد نُقِلا وَفْق منهجي عِلمي مُتماسك وصارم . كما أنهما لَم يغيبا عن الأُمَّة طوال هذه القرون الطويلة . لذلك لا توجد ثغراتٌ في تاريخ المسلمين تُشكِّك في قيمة التشريع السماويِّ ، أو فراغاتٌ تستدعي الرِّيبةَ والشك والارتباك . والتشريعُ الإسلاميُّ موجودٌ في النُّور ، كما أن المسلمين يتحركون في النُّور ، ومَن كان هذا موقفه فلا يخاف من شيء ، لأن النُّور هو الحقيقة الظاهرة للجميع ، أمَّا الظلام فهو مَبعث الشُّبهات والشكوك .

وفي الإسلام لا تُوجد أسرار كهنوتية ، ولا طُقوس خَفِيَّة ، ولا شعائر مُخصَّصة لرجال الدِّين دُون الناس العاديين . لقد جاءَ الإسلامُ للفَيلسوف وراعي الغنم على السَّواء ، والقُرآن يَحفظه الدُّكتور في كُلِّية الشريعة ، ويَحفظه الطِّفل في المدرسة الابتدائية . وهذا ما يُميِّز القُرآن المحفوظ عن التَّوراة والإنجيل المُحَرَّفَيْن . وأيضًا هذا ما يُميِّز الإسلام (الدِّين السماوي الوحيد) عن اليهودية والنصرانية (الديانتَيْن الأرضِيَّتَيْن الوَضْعِيَّتَيْن) .

والجديرُ بالذكر أن الله قد هَيَّأ علماء أجِلَّاء قَضَوْا حياتهم لدراسة السُّنة والحديث ، ووضَّحوا الفرق بينهما ، وبيَّنوا ما هو صحيح ، وما هو غير ذلك . مِمَّا يعكس مدى العناية المُحيطة بمصادر التشريع الإسلاميِّ في كل الأطوار الزمنية التي مَرَّت على الأُمَّة المُحمَّدية الإسلامية[45].

أمَّا في اليهودية والنصرانية ، فمصادر التَّشريع مُشوَّشةٌ وغامضة ومجهولة ، لأنها تستندُ إلى نصوص دينية مقطوعة السَّند ، ولا سند صحيحًا لها . يُخَيِّمُ عليها الكثير من الغموض والشُّكوك. وما يُسمَّى بالكتاب المُقدَّس (التَّوراة / العهد القديم ، والإنجيل / العهد الجديد) مَقطوع السَّند باتفاق العلماء المسلمين واليهود والنصارى معًا . كما أن الإنجيل صار أربعة أناجيل (مَتَّى ، مَرْقُس، لُوقَا ، يُوحَنَّا) . بالإضافة إلى رسائل وأسفار ، مُتعدِّدة ومُتناقضة ومُضطربة ، تَمَّت إضافتها إلى الإنجيل ، ولا يُعرَف تاريخ كتابتها ، ولا مَن كَتَبَها .

---

٤٤ دراسات في الفكر العربي الإسلامي . د. إبراهيم زيد الكيلاني وزَميلاه ، ص ٨٧ .

٤٥ الحديث أعم من السُّنَّة ، فكل سُنَّة حديث ، وليس كُل حديث سُنَّة [المرجع السابق ، ص ٩١].

وهذا الخليطُ غير المتجانس تعتريه الكثير من علامات الاستفهام . مِمَّا يجعل التعويل عليه أو الاستدلال به أمرًا غير منطقي ، ويتعارض مع أبسط قواعد المنهج العِلمي في النقل والتحليل . وهذا يُشير بوضوح إلى كثرة الأيدي التي عَبثت بالإنجيل [٤٦]، الذي أنزله اللهُ على عبده ورسوله عيسى المسيح ﷺ . فإنجيلُ عيسى واحد ، ولكنه الآن أناجيل مُتعدِّدة ومُتناقضة ومُختلفة .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ ومِن الذين قالوا إنَّا نصارى أخذنا ميثاقَهم فنسوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّروا به فأغرَينا بينهم العداوةَ والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾ [المائدة : ١٤] [٤٧].

هؤلاء الذين سَمَّوْا أنفسَهم بالنصارى (يعني أنصار الله السائرين على خُطى المسيح ﷺ) _ وهُم عَكْس ذلك _ نقضوا العهدَ الإلهيَّ ، وفرَّطوا في تعاليم الإنجيل ، فلم يمتثلوا أوامرَ الله تعالى، فتركوا الطاعات،والتزموا المعاصي.فقد سلكوا مَسلك اليهود في رفض اتباع النبيِّ محمد ﷺ وحملِ الشريعة الإلهية . وهذا الانحراف عن الصراط المستقيم عاد عليهم بالضياع والضلال .

ادَّعَوْا أنهم أحباب الله ، وزعموا أنهم أنصار الله ، وسَمَّوْا أنفسَهم بذلك ، لإظهار أنهم أولياء الله الذين حملوا الشريعةَ الإلهية حقًّا وصِدْقًا . وقد أخذَ اللهُ مِنهم الميثاق (العهد) على تَوحيد الله ، وتصديق محمد ﷺ ، والاعتراف برسالته ونُبُوَّته ، فتركوا أوامرَ الله في الإنجيل ، وأعرضوا عنها ، ولم يُؤمنوا بالأنبياء . وهذه خيانة واضحة للإنجيل ، ورفض لشريعة المسيح وتعاليمه. ونقضوا الميثاقَ ، وخانوا العهدَ ، وأخلَفوا الوعدَ . لقد زعموا أنهم نصارى يُحِبُّون المسيحَ ، ويَسيرون على خُطاه ، ويتمسَّكون بمنهجه وشريعته ، وهُم كاذبون في ذلك . وقد أخذَ اللهُ عليهم المِيثاقَ والعهدَ على الإيمان بالنبيِّ محمد ﷺ ، ودَعْمه ومُساندته ومُناصرته ، وعلى الإيمان بجميع الأنبياء بلا تمييز ، فتركوا أمرَ الله ، وساروا على خُطى اليهود في رفض الميثاق ونقض العهد .

---

٤٦ لفظة " إنجيل " باليونانية مُركَّبة من كلمتين" إيف " ومعناها حسن أو خير ، و" إنجليون " ومعناها الإخبار . ويكون تعريب اللفظتين معًا " الإخبار بالخير " أو " الخبر الحسن ". أمَّا السبب في إطلاق هذا الاسم عليه فهذا النص الإنجيلي الخُرافي : ((لأنه هكذا أحب اللهُ العالَمَ حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يَهلِك كُل مَن يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية)) [يُوحَنَّا ٣ : ١٦] .

٤٧ استدل بعضُ العلماء بقَوله تعالى: ﴿ فأغرَينا بينهم العداوةَ والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾ على عدم قَبول شهادة مِلَّة على مِلَّة، وتُقبَل بعض المِلَّة على بعضها، وهو قَول الحسن وابن أبي ليلى والليث وإسحاق. وقال الحافظ في الفتح (٥/ ٢٩٢) بعد أن أورد هذه المسألة: ((وهذا أعدل الأقوال لبُعده عن التُّهمة)).

وقال الطبري في تفسيره (٤/ ٤٩٩) : ((يقول عَزَّ ذِكْرُه : وأخذنا مِن النصارى المِيثاقَ على طاعتي وأداء فرائضي واتِّباع رُسلي والتصديق بهم، فسلكوا في ميثاقي الذي أخذته عليهم منهاج الأُمَّة الضَّالة من اليهود، فبدَّلوا كذلك دِينَهم ونقضوه نقضهم ، وتركوا حَظَّهم من ميثاقي الذي أخذته عليهم بالوفاء بِعَهْدي وضيَّعوا أمري)) اهـ. وقال القرطبي في تفسيره (٦ / ١١٤) : ((قَوله تعالى:﴿ ومِن الذين قالوا إنَّا نصارى أخذنا ميثاقَهم ﴾ أي: في التوحيد والإيمان بمحمد ﷺ إذْ هو مكتوب في الإنجيل . ﴿ فنسوا حَظًّا ﴾ وهو الإيمان بمحمد _ عليه الصلاة والسلام _ . أي : لم يَعملوا بما أُمِرُوا به ، وجعلوا ذلك الهوى والتحريف سببًا للكفر بمحمد ﷺ)) اهـ .

وقد عاقبهم اللهُ بسبب عدم وفائهم بعهده وتَركهم أمْرَه ونَهْيَه ، بأن جَعل الحِقدَ والكراهيةَ والعداوةَ بين فِرَق النصارى وطوائفها ، وكُل فِرقة تُكفِّر الفِرقةَ الأُخرى ، وكُل طائفة تَلعن الطائفةَ الأخرى . وإن الواقع يُصدِّق هذا ، فالأُمم النصرانية (المسيحية) تنتمي إلى دِين واحد ، لكنها حاربت بعضَها بعضًا ، والشعوبُ المسيحية غرقت في الحروب المتبادلة والقتل وسَفك الدماء .

وأيضًا ، لقد نَشَرَ اللهُ بين طوائف النصارى البَغضاءَ بالأهواء المختلفة والجِدال في الدِّين ، والتفرُّق ، والتحزُّب ، وتعارُض المصالح . ولو تمسَّكَ النصارى بالإنجيل الأصلي الذي نزل على المسيح ، لآمَنوا بمحمد والقرآنِ الذي جاء به ، ولَمَا تفرَّقوا ، ولا تباغضوا ، ولا تَقَاتَلوا .

وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٤٥) : ((أي : ومن الذين ادَّعَوْا لأنفسهم أنهم نصارى مُتابِعون المسيح بن مريم _ عليه السلام _ وليسوا كذلك ، أخذنا عليهم العهود والمواثيق على متابعة الرسول ﷺ ومناصرته ومؤازرته واقتفاء آثاره ، وعلى الإيمان بكل نبيٍّ يُرسله الله إلى أهل الأرض ، ففعلوا كما فعل اليهود : خالفوا المواثيق ، ونقضوا العهود . ولهذا قال تعالى : ﴿ فنسوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّروا به فأغرَينا بينهم العداوةَ والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾ . أي : فألْقَيْنا بينهم العداوةَ والبغضاء لبعضهم بعضًا ، ولا يزالون كذلك إلى قيام الساعة ، وكذلك طوائف النصارى على اختلاف أجناسهم ، لا يزالون مُتباغضين مُتعادين ، يُكفِّر بعضُهم بعضًا ، ويلعن بعضُهم بعضًا ، فكل فِرقة تَحْرِم الأخرى ولا تدعها تَلِج معبدها ، فالملكية تُكفِّر اليَعقوبية ، وكذلك الآخرون ، وكذلك النُّسطورية والآريوسية، كُل طائفة تُكفِّر الأخرى في هذه الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد)) اهـ .

إن النصارى يَزعمون أنهم سائرون على خُطى السَّيد المسيح ﷺ ، لكنهم غارقون في الوَهْم والادِّعاء بدون تطبيق فِعلي على أرض الواقع . فاتِّباعهم المزعوم محصور في زاوية الكلام والشعارات الرَّنانة ، والعبارات الجميلة ، والخطابات المُؤثِّرة ، ولكنَّ كلامهم لا يتجاوز حناجرَهم .

وبالتأكيد ، إن الكلام سَهل ، والجميعُ يُتقنه ، لكنَّ العِبرة بالتطبيق والامتثال الحقيقي ، وليس رفع الشعارات الصُّوَرية . ولو كان النصارى صادقين في اتباعهم للمسيح ﷺ لالتزموا بالعهود ، وقاموا بتنفيذها على أكمل وجه. لكنهم فعلوا عكسَ ذلك ، واقْتَدَوْا باليهود الذين خانوا العهود ، ورفضوا المواثيق ، وأخلَفوا الوعود ، ولا يَعرفون احترامَ العهود والمواثيق . وهذه عادتهم المشهورة.

وفي الدُّر المنثور للسُّيوطي (٣/ ٤٢):((عن قَتادة في قوله :﴿ ومن الذين قالوا إنَّا نصارى ﴾ قال : كانوا بقرية يقال لها ناصرة ، نزلها عيسى ، وهو اسم تَسَمَّوْا به ، ولم يُؤمَروا به)) اهـ .

والجديرُ بالذِّكر أن الله لَم يقل : مِن النصارى . وهذا يدل على أنهم ابتدعوا هذا الاسم " النصارى " وأطلقوه على أنفسهم ، وتَسَمَّوْا بِه ، ادِّعاءً لنُصرة الله ، والدفاع عن شريعته . وكلمةُ "النصارى" إنما هي بتسميتهم لا بتسمية الله. واللهُ لم يُسَمِّهم بهذا الاسم ، وإنما سَمَّوْا أنفسَهم به.

وفي زاد المسير لابن الجوزي (٢/ ٣١٥) : ((قَوله تعالى : ﴿ ومِن الذين قالوا إنَّا نصارى أخذنا ميثاقَهم ﴾ . قال الحسن : إنما قال : ﴿ قالوا إنَّا نصارى ﴾ ، ولَم يقل : من النصارى ، لِيَدُلَّ على أنهم لَيْسوا على منهاج النصارى حقيقة ، وهُم الذين اتَّبعوا المسيح . وقال قتادة: كانوا بقرية يقال لها ناصرة ، فَسُمُّوا بهذا الاسم . قال مُقاتل : أُخِذَ عليهم الميثاق كما أُخِذَ على أهل التوراة أن يؤمنوا بمحمد ، فتركوا ما أُمِرُوا به ... . ومَعنى : ﴿ فأغرَينا بينهم العداوةَ والبغضاء ﴾ أنهم صاروا فِرَقًا يُكفِّر بعضُهم بعضًا . وفي الهاء والميم مِن قَوله : ﴿ بينهم ﴾ قَولان : أحدهما أنها ترجع إلى اليهود والنصارى ، قاله مجاهد وقَتادة والسُّدي . والثاني : أنها ترجع إلى النصارى خاصة ، قاله الربيع . وقال الزَّجاج : هُم النصارى مِنهم النُّسطورية واليعقوبية والملكية ، وكُل فِرقة مِنهم تُعادي الأخرى . وفي تمام الآية وعيد شديد لهم)) اهـ .

هذا دليل على أنهم اخترعوا لفظةَ " النصارى " في محاولة منهم للالتصاق بالسَّيد المسيح ﷺ ومُساندته ونَصْر الشريعة الإلهية . وفي الحقيقة ، إنهم جُزء شاذ عن المسار الحضاري، يخترعون التسمياتِ والأحكامَ الخاصة بهم، ويسيرون وَفْقَ أهوائهم الذاتية بلا إرشاد سماويٍّ .

واللهُ تعالى لم يُسَمِّهم " النصارى"، بل هم الذين سَمَّوْا أنفسَهم بذلك ، لخداع الرأي العام ، وتلميع صورتهم ، وجَعْل الناس يتقبَّلونها . فهم يَرْتَدون قِناعَ الإيمان والطهارة ، لكن قلوبهم مليئة بالكفر والضلال . لذلك ، إن إيمانهم الشَّكلي عبارة عن مَظهر مُخَادِع بلا جوهر نقيٍّ حقيقي .

وقد عُوقبوا بأن ضُربت قلوبهم فانتشرت العداوة والبغضاء بين فِرَق النصارى ، حيث تُكفِّر كل طائفة الأخرى وتُعاديها وتُعلن الحرب عليها . وانتشر بينهم الجدال في الدِّين والخصومات ،

والأهواء المتضاربة . وكلٌّ فِرقة تعتقد أنها على الحق ، وغيرها على الباطل . وهذا أدى إلى نشوء صراع عنيف على احتكار النصرانية ، واندلاع حروب دموية طاحنة ، لتحديد الفِرقة التي تُمثِّل تعاليمَ المسيح ﷺ ــ حَسَب اعتقادهم وتصوُّرهم ــ .

وهذه العداوة مستمرة حتى الآن . فالنزاعات قائمة بضراوة بين الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس . وكُل طائفة تزعم أنها على الحق ، وأن طريقها هو الصراط المستقيم ، وغيرها على الباطل والضلال ، وهذا أدَّى إلى تفرُّقهم وتفشِّي الكراهية بينهم ، وانقسامهم الشديد ، فالشمال الأوروبي بروتستانتي ، والجنوب كاثوليكي ، وبريطانيا تتبع المذهب الأنكليكاني (الخليط) . وقد انتشرت الحروب الدينية الطاحنة بين الكاثوليك والبروتستانت التي أكلت أوروبا ودمَّرتها خلال الفترة (١٥٤٥ م ــ ١٦٤٨ م) ، وذهب ضحيتها ملايين البشر . ويَصْدُق فيهم قول الشاعر :

وكُلٌّ يَدَّعي وَصْلًا لِلَيْلى   ولَيْلى لا تُقِرُّ لهم بذاكا

والجديرُ بالذِّكر أن كبار علماء أوروبا فشلوا في معرفة متى كُتبت الأناجيل، أو بأي لُغة أُلِّفت ، أو معرفة هُوِيَّة كُتَّابها الحقيقيين . والأناجيلُ مَقطوعة السند بالاتفاق . واتَّهَمَ بعضُهم بُولُسَ بوضع أكثرها ، كما جاء في دائرة المعارف الفرنسية وغيرها .

ويقول المفكر والباحث إيفار لستر : ((إن الأناجيل كُتِبت باللغة الإغريقية في القرنين الرابع والخامس))[٤٨] .

ويقول الباحث الفرنسي المتخصص في تاريخ النصرانية شارل جنيبر في كتابه المسيحية نشأتها وتطورها (ص ٣٤) : ((إن أغلب فِقرات الإنجيل إنما صدرت عن الذين كتبوا الإنجيلَ وليس عن عيسى ، وأمَّا الفِقرات التي نُرجِّح أن عيسى هو الذي قالها فلا تزيد على أربع أو خمس فِقرات)) اهـ .

وفي تاريخ الفكر المسيحي (١/ ١٦) يقول عالم الأنساق الإنجيلية بولتمان : ((لا يمكن أن نُثبت صِحَّة أي كلمة من كلام المسيح ، وكل ما يمكن أن نقوله عن حياة يَسُوع وشخصيته هو أن لا نقول شيئًا)) اهـ.[الدكتور القَس حنَّا جرجس الخضري . تاريخ الفكر المسيحي ١/ ١٦].

---

٤٨ العودة إلى النصرانية ، د. يوسُف شويحات ، ص ٥ .

وينبغي الإشارة إلى توصيات المجمع المسكوني الثاني للفاتيكان الذين انعقدَ في روما خلال الفترة (١٩٦٢_ ١٩٦٥)للبحث في مشكلة تعارض الكتاب المُقدَّس مع الاكتشافات العلمية الحديثة، وحضره ٢٣٥٠ شخصًا كُلهم من رجال الدين النصارى . فقد ورد في مقررات المؤتمر ما يلي: إن الكتاب المُقدَّس فيه شوائب وشيء من البُطلان. وقد وافق على هذا النص ٢٣٤٤ واعترض ستة فقط.[موريس بوكاي، دراسة الكتب المُقدَّسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٦٠].

ولا شَك أن الاعتراف بتحريف الكتاب المُقدَّس يعني اعترافًا بتحريف التوراة والإنجيل معًا . وهناك كثير من العلماء الذين شَكَّكوا في تاريخ كتابة الأناجيل ، وهم في ذلك مُحِقُّون . فالأناجيل تاريخُ كتابتها غامضٌ ، حتى على علماء اللاهوت ورجال الدين المُتبحِّرين في دراسة الأسفار الدينية والكتب القديمة [٤٩].

إن التقاليد الكنسية المُحاطة بالكَهَنُوت الفوضوي الغامض والهُلاميةِ المُستترة والأسرار الخفية، قادت إلى انعدام الشفافية ، وغياب الوضوح ، وانهيار المنهج العِلمي في مسيرة كتابة النصوص الإنجيلية ، خصوصًا مع سيطرة رجال الدِّين على منهجية تأويل الميثولوجيا الدينية،وقيامهم باحتكار سُلطة التأويل الأيديولوجي لأساطير الإنجيل وخُرافاته ، بكل إفرازاتها السياسية والاجتماعية ، التي كرَّست الطبقيةَ وانقسامَ المجتمع إلى طوائف متناحرة، وانفصال الدِّين عن الدنيا، وابتعاد الكنيسة العائشة في الأحلام عن الواقع المرير . وفي ظل هذا الانكسار الشامل المُتَشَظِّي ، ليس غريبًا أن تُصبح الكنيسة مؤسسة إقطاعية ، وشركة تجارية ، تستغل العوام والأتباع والجُهَّال ، وتسرق ممتلكاتهم ، وتنهب أحلامَهم ، وتُهيمن على أفكارهم وتفاصيل حياتهم . وللأسف الشديد ، لقد كرَّس الإنجيلُ البشري المُحرَّف مبدأ " أكل الدُّنيا بالدِّين " . وصارَ هذا المبدأ هو شعار رجال الدين النصارى في مُختلف الأزمنة والأمكنة . وقد اعتنقوه فِكْرًا وتنظيرًا وواقعًا وسُلوكًا ومُمَارَسَةً .

ومِن مصلحة رِجال الدِّين النصارى أن يُحاط الإنجيل والكنيسة بالأسرار والكَهَنُوت الخَفِيِّ. فهذا يضمن السيطرة على الأتباع ، والتلاعب بالنصوص الدينية حَسَب مصلحة عِلْية القوم. مِمَّا يؤدي إلى تثبيت سُلطة المؤسسة الكنسية على المؤمنين بها ، واستغلالهم روحيًّا وماديًّا .

---

٤٩ إن ضغوطات الكنيسة وسيطرتها على الموارد المالية ، جَعلتْ من رجال الدين أسرى في قيود الراتب الشهري ، والمأكل والملبس ، وتفاصيلِ الحياة الاستهلاكية اليومية ، مِمَّا أدَّى إلى تكاثر القيود حول حرية التفكير المنهجي في نقد الإنجيل البشري ، وبيانِ الطبيعة الخُرافية الْمُسيَّسة للنصوص الدينية النصرانية .

إن تَحرُّك النَّص الإنجيلي بكل امتداداته الكنسية والكهنوتية تحت جُنح الظلام ، من شأنه تكوين سياج حماية لسُلطة رجال الدين ، فهم سيكونون بعيدين عن سهام النقد والنقض ، وسيكون من الصعوبة اكتشاف باطلهم . فالذي يتحرك في الخفاء بصمت أقدر على إنجاز عمله . وهذا هو منطق رجال السُّلطة الكنسية . فعوالمُ الأسرار التي تم زرعها في الديانة النصرانية (المسيحية) بكل فروعها الاجتماعية لم تَجِئْ بمحض الصُّدفة، أو حُسن النِّية . وإنما هي خُطة مُبيَّتة مُسْبَقًا للتلاعب بالأتباع والعوام والجُهَّال وإبعادهم عن نور الحقيقة ، كَي يظلُّوا غارقين في الظلام ، وخاضعين لابتزاز رجال الدِّين الذي يحتكرون " شرعية " تأويل النص الإنجيلي والتعامل معه .

ولا يخفى أن رؤية الشيء على حقيقته تتطلب أمرَيْن : الأول _ أن يكون الشخص مُبْصِرًا يتمتَّع بنور عينيه ، والثاني _ أن يكون الشيء موجودًا في النُّور .

وهذان الشرطان_ للأسف_ تَمَّ تغييبهما عمدًا في العالَم النصراني (المسيحي) . وهذا زرع الحَيرة والقلق والفوضى والشك في نفوس الناس ، وجعلهم ينفرون من الكنيسة ، فصار الإلحادُ دِينًا مُعترفًا به في أوروبا وأمريكا ، ولا يستدعي الخجل أو اللوم . وهذه هي النتيجة الحتمية لغياب الرؤية ، وانتحارِ البصيرة في الطبيعة الإنجيلية الكنسية. والسُّلطة الكنسية النصرانية عاجزة عن تقديم نموذج يُحتذى ، وغير قادرة على تكوين مَثَل أعلى أو قُدوة سامية . لذلك ، تغرق الكنيسةُ في الفضائح الجنسية والمالية ، التي تَطفو على السَّطح بين الحِين والآخر . بالإضافة إلى انتشار الشُّكوك والفوضى العَقَدِيَّة ، وتفشِّي المشكلات في طبيعة التفكير والسُّلوك على أرض الواقع .

وقد توالت الردود من داخل العالم النصراني (المسيحي) وخارجه لتُبيِّن الأخطاءَ الفادحة والإشكاليات الكثيرة في الأناجيل المتناقضة ، والمشكلات الجذرية في النصوص الدينية التي تهدم نفْسها بنفْسها ، وتتعارض مع الحق والمنطق والعِلم .

إن مُؤرِّخي النصرانية (المسيحية) أجمعوا على أنه كان في القرون الأولى للمسيح عليه السلام أناجيل كثيرة ، وأن رجال الكنيسة قد اختاروا منها أربعة أناجيل ، ورفضوا الباقي . والمقبولة هي : إنجيل مَتَّى ، وإنجيل مَرْقُس ، وإنجيل لُوقَا ، وإنجيل يُوحَنَّا . وإن هذه الأناجيل تناولت الكتابة عن سيرة النبيِّ عيسى عليه السلام ، وقرَّر نُقَّاد النصارى أنفْسهم أن عقائد الأناجيل هي رأي بُولُس ، دون سائر الحواريين ، ودون أقرب الأقربين إلى عيسى [٥٠].

٥٠ العقائد الإسلامية ، السيد سابق ، ص ١٦٨ .

إن الكثيرين من علماء اللاهوت والمفكرين رفضوا النصرانية (المسيحية) ، وطعنوا فيها ، لتعارضها مع العقل والعِلم ، واعتنقوا الإسلام بعدما تبيَّن لهم الحق الدامغ والنُّور الساطع[٥١] .

وما دفعني للتنقيب عن صورة اليهود بالذات ، هو التقارب الغريب بين النصارى واليهود وعلى أعلى المستويات، رغم كل التناقضات الصَّارخة بين الجانبَيْن ، والاختلاف العظيم في العقائد عند الفريقَيْن، والاتهامات المتبادلة ، وعدم وجود أيَّة خلفية مشتركة قد تدفع إلى التلاقي والمودة والهيام المتبادل . وهذا يشير إلى حجم الاختراقات في المؤسسة الدينية ، وتغلغلِ المصالح الشخصية في طبيعة النصوص الدينية ، مِمَّا أدى إلى تقارب مَصْلحي قائم على تسجيل المواقف ، واكتساب أماكن نفوذ أكبر ، والتلاعب بوُجهة الرأي العام من أجل تجذير سُلطة الكنيسة ، التي تحتكر أصولَ تأويل النصوص الدينية وفروعَها .

والجديرُ بالذِّكر أن الفاتيكان قد بَرَّأ اليهود الحاليين من دم المسيح [٥٢] .

---

٥١ عَثَرَ الراهبُ اللاتيني فرامينو على رسائل (الإبريانوس)، ويُذكر فيه إنجيل بَرنابا ويُستشهَد به ، فدفعه حب الاستطلاع إلى البحث عن هذا الإنجيل ، وقد توصَّلَ إلى مبتغاه حينما صار أحد المقرَّبين إلى البابا (سكتش الخامس) حيث وجده في مكتبة هذا البابا، وقد كُتب بالإيطالية وعلى الورق الإيطالي المعروف بالآثار المائية التي فيه، والتي يمكن اتخاذها دليلًا صادقًا على تاريخ النسخة الإيطالية. فأخذ الراهب فرامينو هذا الإنجيل، وإذا فيه ((وسيبقى هذا إلى أن يأتيَ محمد رسول الله الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله)) [انظر صفحة ٣١٨ من إنجيل بَرنابا ، الفصل العشرون بعد المئتين] . وأيضًا الدكتور الفرنسي الشهير موريس بوكاي الذي اعتنق الإسلامَ ، فقام بواحدة من أهم الدراسات التي بيَّنتْ خُلُوَّ القرآن الكريم من أي خطأ ـــ ونحن لا ننتظر شهادة براءة ذِمَّة من الآخرين ، فالقرآن الكريم محفوظ خالٍ من أي نقص أو خطأ ولا يحتاج إثباتًا ـــ ، ووضَّحت امتلاء التوراة والإنجيل بالأخطاء . [انظر كتابه (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعِلم)] .

٥٢ المسلمون يؤمنون أن اليهود حاولوا قتل المسيح ﷺ ، ولكن الله تعالى أنقذه من أعدائه. بَيْدَ أنني في هذا المقام أعرض ما في كتبهم . فقرار تبرئة الفاتيكان لليهود الحاليين يتعارض مع النَّص الإنجيلي الذي يحكي عن اليهود قولهم : ((ليكن دمُه علينا وعلى أولادنا !))[مَتَّى ٢٧ : ٢٥] . صحيحٌ أن الابن لا يتحمَّل مسؤولية أفعال أبيه ، لكن الإشكالية تكمن في خضوع المؤسسة البابوية للابتزاز السياسي اليهوديِّ ، فلم يتم توضيح دَلالات النصوص الدينية المتعلقة باليهود ، خضوعًا للنفوذ اليهودي الذي =

كما أن بابا الفاتيكان الراحل يُوحَنَّا بُولُس الثاني [٥٣] اعتذر لليهود !، مما يدل بشكل قاطع على أن الفاتيكان تم اختراقُه من اليهود ، وصِرْنا نشهد " لوبي صهيوني" في المؤسسة الكنسية العُليا على غرار اللوبي الصهيوني الموجود في أمريكا .

=يُسيطر على وسائل الإعلام. ومِن هُنا تبرز خطورة تداخلات المصالح السياسية في لغة النُّصوص الدينية. كما أن النَّص الإنجيلي السابق يؤكِّد دعمَ اليهود الكلامي للجريمة ، وكما هو معلوم فإن تشجيع الجريمة بأي شكل يُعتبَر مساهمة في الجريمة . ولا ندري لماذا غاب هذا المنطق عن الفاتيكان ! .

٥٣ اسمه الحقيقي كارلوس فويتيلا (١٩٢٠م ــ ٢٠٠٥م) . وُلد في بولونيا. تربَّعَ على كُرسي البابوية منذ العام ١٩٧٨م حتى وفاته . اعتذر لليهود وللطوائف النصرانية الأخرى. رفض الاعتذار للمسلمين عن الحروب الصليبية ، مما يدل على اعتقاده بأنها ليست جريمة ولا ذَنْبًا ! . والجديرُ بالذِّكر أن البابا يُوحَنَّا بُولُس الثاني كان مُنحرفًا أخلاقيًّا، إذ إنه كان على علاقة بامرأة مُتزوجة . وقد جاء في جريدة السبيل الأردنية (الاثنين ١٥ فبراير ٢٠١٦ م) الخبر التالي : [أظهرت رسائل يتضمَّنها فيلم وثائقي تَبُثُّه هيئة "بي بي سي" الاثنين أن البابا يُوحَنَّا بُولُس الثاني أقام علاقة صداقة "قوية" مع امرأة متزوجة استمرَّت ثلاثين عامًا . وقال إدوارد ستورتن وهو صحافي مخضرم في "بي بي سي" أعدَّ الفيلم الوثائقي الذي يُعرَض في إطار برنامج " بانوراما " أن هذه الرسائل تُشكِّل "نافذة رائعة تُطِل على الحياة الخاصة لأحد أشهر شخصيات التاريخ ". وقد وُجِدت أكثر من ٣٥٠ رسالة كتبها يُوحَنَّا بُولُس الثاني إلى آنا تيريزا تيمينييكا، الفيلسوفة الأميركية من أصل بولندي في مكتبة بولندا الوطنية . وكانت هذه الاخيرة تلقتها من تيمينييكا في العام ٢٠٠٨ . ومعَ أن الوثائقي لا يدَّعي أن البابا انتهك نذور العِفَّة مع آنا تيريزا تيمينييكا ، إلا أن لهجة بعض رسائله إليها ، تُشير إلى مشاعر قوية بينهما على ما قالت المحطة . وكتبَ البابا في إحدى الرسائل العائدة إلى العام ١٩٧٦ "عزيزتي تيريزا لقد تلقيتُ الرسائل الثلاث. تكتبين قائلة إنَّكِ مُمزَّقة ، لكني لم أجد جوابًا على هذه الكلمات " . واصفًا إيَّاها بأنها " هبة من الله " . وأوضحَ ستورتن " أقول إنهما كانا أكثر من صديقين ، لكن أقل من عشيقين " ، مُشيرًا إلى عدم تضمُّن الرسائل أي دليل على أن يُوحَنَّا بُولُس الثاني أخلَّ بنذر العِفَّة . وأضافَ أن " الرسائل تُظهِر صراعًا لاحتواء ما كان بالتأكيد علاقة قوية جِدًّا " . وقال الأب بونييكي الذي أدارَ لسنوات في رُوما النسخة البولندية من صحيفة " أوسرفاتوري رومانو " قبل أن يُصبح رئيس تحرير المجلة الأسبوعية الكاثوليكية البولندية " تيغودنيك بوفزينيكني " لوكالة فرانس برس:" الكثير من النساء يَقَعْنَ في غرام كَهَنة ، وهذا يُخلِّف دائمًا مصاعب". =

واللوبي : جماعات الضغط اليهودية ، ولها نفوذ قوي في المؤسسات الرسمية ومنظمات المجتمع المدني في أمريكا، وتهدف بشكل خاص إلى دعم الكيان الصهيوني في فلسطين ، ولا أقول : " إسرائيل " ، لأن إسرائيل هو النبيُّ يَعقوب ﷺ ، ولا يجوز أن ننسب كيانًا إرهابيًّا مُحْتَلًّا غَاصِبًا إلى نبيٍّ كريم . ومن الخطأ كذلك لفظة "إسرائيليات" الموجودة في تفاسير المسلمين، لأنها منسوبة إلى نبيٍّ كريم . وجماعات الضغط هذه مُخْتَرِقَةٌ للحزبَيْن الجمهوري والديمقراطي من خلال التَّبرعات المالية الفلكية التي تُقدِّمها ، والشخصيات الحزبية القيادية الخاضعة لها .

هذا الجو الرهيب من الغرائبية كان حافزًا على الكتابة والتمحيص والتدقيق . وينبغي القول إن كثيرًا من النصارى غير مُقتنعين بنصوص الإنجيل التي بين أيديهم ، وهُم يَعْلَمون _ في قرارة أنفسهم _ أنها غارقة في التحريف والتبديل والتغيير والتلاعب ، وأنها ضِد العقل والمنطق والعِلم، ولكن التعصُّب الأعمى ، وتقليد الآباء ، والأهواء الذاتية ، والمصالح الشخصية ، والحرص على حُطام الدنيا الزائل ، يَحُول دُون الاعتراف والإعلان والبَوْح . والنصارى _ بشكل عام _ يُلْقُون بالنصوص الإنجيلية وراء ظهورهم متى عارضت مصالحهم ومنافعهم ومكاسبهم وأهدافهم . إنهم مُحَاصَرُون بالضغوطات النَّفسية والبيئية والاجتماعية والفكرية والروحية والمادية مِن كل الجهات . لذلك يحاولون جاهدين دفن صوت العقل ، وطَمْس الفِطرة السليمة ، لِكَيْلا يَخسروا مُمتلكاتهم ، ويَفقدوا امتيازاتهم ونفوذهم ومصالحهم ومكتسباتهم ومناصبهم .

وكما قالَ اللهُ تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاستَيقَنَتهَا أَنفُسُهُم ظُلمًا وَعُلُوًّا فَانظُر كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُفسِدِين ﴾ [النَّمْل : ١٤] .

لقد كفروا بالحق ، وأنكروا الهدى ، وطَمسوا معالمَ النُّور ، وجَحدوا الحقَّ بألسنتهم ، واستيقنوه في قلوبهم ، وأدركوا _في قرارة أنفسهم _ بُطلان نصوص الإنجيل ، وأنها مُحرَّفة ، ولكنهم جَحدوا الحقَّ ، ظُلْمًا مِن أنفسهم ، وتَعَظُّمًا ، واستكبارًا مِن اتِّباع الحق ، وتكبُّرًا عن الإيمان ، واتِّباعًا لأهوائهم ومصالحهم الشخصية ، وغرقوا في المُكَابَرة والاستكبار والغرور والعِناد. والكُفر عناد .

= وأضافَ صاحب كتاب مُفصَّل عن حياة يُوحَنَّا بُولُس الثاني اليومية "إن كانت مُغرمة بالكاردينال فويتيلا ، فهي لم تكن الوحيدة على الأرجح " . وتعود الرسالة الأولى إلى العام ١٩٧٣ السنة التي شهدت أول لقاء بينهما ، والأخيرة إلى أشهر قليلة قبل وفاة البابا في العام ٢٠٠٥] .

وقال الفراهيدي في العَين (٥/ ٣٥٦) : ((والكُفْرُ أربعةُ أنحاء : كُفْرُ الجُحُود مع معرفة القلب ، كقَوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاستَيقَنَتهَا أَنفُسُهُم ﴾ . وكُفْرُ المُعَانَدَة : وهو أن يَعْرِفَ بقلبه ويأبَى بلسانه . وكُفْرُ النِّفاق : وهو أن يؤمَن بلسانه والقلبُ كافر . وكُفْرُ الإنكار : وهو كُفْرُ القَلْب واللسان)) اهـ .

وتظل أوهام أهل الكتاب (اليهود والنصارى) تتكسَّر ، وتتهاوى أمام الحقيقة الثابتة التامة : ﴿ وَقَولِهِم إِنَّا قَتَلْنَا المَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُم وَإِنَّ الذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنهُ مَا لَهُم بِهِ مِن عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا(١٥٧) بَل رَفَعَهُ اللهُ إِلَيهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) ﴾ [سُورة النِّساء] [٥٤] .

زَعَمَ اليهودُ أنهم قَتلوا المسيح عيسى بن مريم رسول الله . وقد قالوا ذلك على سبيل التهكم والسخرية والاستهزاء . أو قد تكون العِزَّةُ بالإثم قد أخذتهم ، فافتخروا بالقتل وارتكاب الجريمة ــ وَفْق اعتقادهم ــ. فهم لا يؤمنون برسالة عيسى ﷺ ، ويعتقدون أنه ابن زنا ، وأُمه زانية .

وقد نجَّى اللهُ المسيحَ ﷺ من القتل والصَّلْب . غير أنهم صَلبوا شبيهَه . وأهلُ الكتاب غارقون في الرِّيبة والشكوك . فهم يفتقدون إلى الأحكام القاطعة والبراهين الساطعة ، لذلك تتلاعب بهم الأهواء والتناقضات والظُّنون والشُّكوك والشُّبهات . وكما يُقال : لا يَذهب بعيدًا مَن لا يَعرف إلى

---

٥٤ قال ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٨٧) : ((فإن المسيح ــعليه السلامــ لَمَّا رَفعه اللهُ إلى السماء تفرَّقت أصحابه شِيَعًا بعده ، فمنهم من آمن بما بعثه اللهُ به على أنه عبد الله ورسوله وابن أَمَتِه ، ومنهم من غلا فيه فجعله ابن الله ، وآخرون قالوا : هو الله ، وآخرون قالوا : هو ثالث ثلاثة . وقد حكى الله مقالاتهم في القرآن، وردَّ على كل فريق، فاستمروا على ذلك قريبًا من ثلاثمائة سنة ، ثم نبغ لهم مَلِك من ملوك اليونان يقال له قُسطنطين فدخل في دِين النصرانية، قِيل: حِيلة، ليُفسده، فإنه كان فيلسوفًا. وقيل : جهلًا منه ، إلا أنه بَدَّل لهم دِين المسيح ، وحرَّفه ، وزاد فيه ، ونقص منه ، ووُضِعت له القوانين والأمانة الكبرى التي هي الخيانة الحقيرة، وأحلَّ في زمانه لحم الخِنزير ، وصَلُّوا له إلى المشرق ، وصَوَّروا له الكنائس والمعابد والصوامع ، وزاد في صيامهم عشرة أيام من أجل ذَنْب ارتكبه ــفيما يزعمونــ ، وصار دِين المسيح دِين قُسطنطين ، إلا أنه بنى لهم من الكنائس والمعابد والصوامع والديارات ما يزيد على اثني عشر ألف معبد ، وبنى المدينة المنسوبة إليه ، واتَّبعه الطائفة الملكية منهم ، وهم في هذا كُله قاهرون لليهود ، أيَّدهم الله عليهم ، لأنهم أقرب إلى الحق منهم ، وإن كان الجميع كُفَّارًا)) .

أين هو ذاهب . وهذا المنطق يكشف طبيعة المتاهة التي يضيع فيها أهلُ الكتاب ، خصوصًا النصارى ، الذين افترقوا إلى طوائف مُتقاتلة ، وأحزاب مُتناحرة ، وفِرَق مُتباغضة ، وكُل طائفة تُكفِّر الطائفةَ الأخرى ، وكُل فِرقة تَحْرِم الطائفةَ الأخرى من الخلاص ودخول الجنة . وقد أحسنَ القائل:

عجبًا للمسيحِ بين النصارى — وإلى أي والد نسَبوه !
أسلموه إلى اليهود وقالوا — إنهم بعد ضَرْبه صلبوه
فإذا كان ما يقولون حقًّا — وصحيحًا فأين كان أبوه ؟
حين خلَّى ابنه رهين الأعادي — أتراهُم أرْضَوْهُ أم أغضبوه ؟
فلئن كان راضيًا بأذاهم — فاحمدوهم لأنهم عذَّبوه
ولئن كان ساخطًا فاتركوه — واعبدوهم لأنهم غلبوه

﴿ وَقَوْلِهِم إِنَّا قَتَلْنَا المَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ ﴾ . قال اليهود إنَّا قَتَلْنا المسيحَ عيسى بن مريم ، الذي يَزعُم أنه رسول الله . وهذا استهزاء وسُخرية وتهكُّم ، فاليهودُ لا يَعترفون بِنُبُوَّة المسيح ولا رسالته ، ولا يَعتقدون أن المسيح رسول الله . وإنما يَعتبرونه ابن زنا ، وأُمه مريم زانية . وهذا يدل على وقاحتهم وعِنادهم وغرورهم واستكبارهم وسعادتهم بقتل النبيِّ ، وفرحهم بذلك . وهذا مُنتهى الكفر والضلال . وهؤلاء مُعترفون بالذنب ، ومُقِرُّون بالإثم ، وهُم يتحمَّلون مسؤولية الذنب ، لأنهم اعتقدوا أنهم قتلوا المسيحَ ، معَ أنهم لم يَقتلوا المسيحَ حقيقةً . ونِيَّتُهم الفاسدةُ قادتهم إلى الهلاك والعذاب الأبديِّ .

وقال الشَّوكاني في فتح القدير (١/ ٨٠٦) : ((وهو مِن جُملة جناياتهم وذُنوبهم ، لأنهم كَذَبُوا بأنهم قَتَلوه ، وافتخروا بقتله ، وذَكَروه بالرسالة استهزاءً ، لأنهم يُنكرونها ، ولا يعترفون بأنه نبيٌّ ، وما ادَّعَوْهُ مِن أنهم قتلوه قد اشتمل على بيان صفته ، وإيضاح حقيقته الإنجيل ، وما فيه هو من تحريف النصارى ، أبعدهم الله فقد كذبوا)) اهـ .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٤٤): ((قَوله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِم إِنَّا قَتَلْنَا المَسِيحَ ﴾. قال الزَّجاج : أي باعترافهم بقتلهم إيَّاه ، وما قتلوه . يُعذَّبون عذاب مَن قَتَلَ لأنهم قَتلوا الذي قَتلوا على أنه نبيٌّ . وفي قَوله : ﴿ رَسُولَ اللهِ ﴾ قَولان : أحدهما أنه من قول اليهود ، فيكون المعنى أنه رسول الله على زَعْمه ، والثاني أنه من قول الله ، لا على وجه الحكاية عنهم)) اهـ .

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُم ﴾ . وما قتلوا عيسى ، وما صَلبوه ، ولكنهم قَتلوا وصَلبوا شَبيهَ عيسى ، واعتقدوا أنه عيسى . وقد ألقى اللهُ شَبَهَ عيسى على غَيْره ، لِيُنَجِّيَ عيسى .

وقال البغوي في تفسيره (١/ ٣٠٦) : ((وذلك أن الله تعالى ألقى شَبَهَ عيسى عليه السلام على الذي دَلَّ اليهودَ عليه.وقِيل : إنهم حبسوا عيسى عليه السلام في بيت، وجعلوا عليه رقيبًا، فألقى الله تعالى شَبَهَ عيسى عليه السلام على الرقيب ، فقتلوه . وقِيل غَير ذلك)) اهـ .

وما يُثبِت سهولة وجود شبيه للمسيح ، وإلقاء شَبَه المسيح على غَيْره ، القصة التي وردت في [مَتَّى ١٧ : ١_ ٨] : ((وبعد ستة أيام ، أخذَ يَسوعُ بُطرُسَ ويعقوبَ ويُوحَنَّا أخاه ، وصَعِدَ بهم على انفراد إلى جبل عال ، وتجلَّى أمامهم ، فشعَّ وجهُه كالشمس ، وصارت ثيابُه بيضاءَ كالنُّور . وإذا مُوسى وإيليَّا قد ظهرا لهم يتحدَّثان معه . فبدأ بُطرسُ يقول لِيَسوع : ((يا رب ، ما أحسنَ أن نبقى هنا ! فإذا شِئتَ ، أنصُبُ هنا ثلاث خِيام : واحدةً لك ، وواحدة لموسى ، وواحدة لإيليَّا)). وبينما كان يتكلم ، إذا سحابةٌ مُنيرة قد خَيَّمت عليهم ، وصَوتٌ مِنَ السَّحابة يَهتِف : ((هذا هو ابني الحبيبُ الذي سُرِرْتُ به كُلَّ سُرور ، له اسمعوا !)) فلمَّا سَمِعَ التلاميذُ الصَّوت ، وقعوا على وجوههم مُرتعبين جِدًّا . فاقتربَ منهم يَسوعُ ولَمَسَهُم وقال : ((انهَضُوا ولا ترتعبوا !)) فرفعوا أنظارَهم ، فلم يَرَوْا إلا يَسوعَ وَحْدَه)) .

وقال عبد الوَهَّاب النجار في قصص الأنبياء (ص ٥٠٨) : ((وقد ذكر هذه الحادثة أو المُعجزة كُل مِن مَرْقُس ولُوقَا ، وأغفلها يُوحَنَّا ، ومن العجب أنه كان أحد شهودها . ومع ما بينهم من التناقض في عدد الأيام ، فقد اتفقوا على حصولها في الجُملة ... . وما كان من الأمر ، فقد عهد تغيُّر هيئة المسيح تغيرًا كُلِّيًّا في وجهه وثيابه ، وهذا التغيُّر الذي يُقِرُّون به ، يُفسِّر لنا باجلي بيان إلقاء شَبَهه على غَيره ، وتغيُّر هيئته ، حتى إن الذين أتَوْا للقبض عليه ، أخذوا مَن أُلْقِيَ عليه شَبَه المسيح ، فوقع في الورطة ، ونجا عيسى صلوات الله عليه)) اهـ .

﴿ وَإِنَّ الذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنهُ ﴾ . وإن الذين اختلفوا في شأن عيسى ، لفي شَك مِن قَتْله . لقد غرق اليهودُ الذين زعموا قتل عيسى وجُهَّالُ النصارى الذي ساهموا في تَسْليم عيسى إلى أعدائه اليهود ، في الشَّك والحَيرة والارتياب ، ولم يَصلوا إلى اليقين ، ولم يَشعروا بالطمأنينة ، ولم يَقْدِرُوا على حَسْم الأمر بشكل واضح وقاطع.حيث قالت طائفة : إنه عيسى ، وقالت طائفة : ليس عيسى. وأيضًا ، إن الإنجيل أثبتَ الشَّكَّ. ففي[مَرْقُس ١٤ : ٢٧] قال المسيحُ لتلاميذه : ((كُلُّكم ستَشُكُّون ، لأنه قد كُتِب : سأضربُ الراعي ، فتَتَشَتَّتُ الخِراف)) اهـ .

وقال القرطبي في تفسيره (٦ / ١١) : ((والإخبار . قيل : إنه عن جميعهم ، وقيل : إنه لم يختلف له إلا عَوَامُّهم . ومعنى اختلافهم قول بعضهم : إنه إله ، وبعضهم هو ابن الله.قاله الحسن: وقيل: اختلافهم أن عوامَّهم قالوا : قَتَلْنا عيسى، وقال مَن عَايَنَ رَفْعَه إلى السماء: ما قتلناه.وقيل : اختلافهم أن النُّسطورية من النصارى قالوا : صُلِبَ عيسى من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته . وقالت الملكانية : وَقَعَ الصَّلْبُ والقتلُ على المسيح بكماله ناسوته ولاهوته . وقيل : اختلافهم هو أنهم قالوا : إن كان هذا صاحبنا فأين عيسى؟ وإن كان هذا عيسى فأين صاحبنا ؟.وقِيل: اختلافهم هو أن اليهود قالوا : نحن قتلناه، لأن يهوذا رأس اليهود، وهو الذي سعى في قَتْله . وقالت طائفة من النصارى : بل قتلناه نحن، وقالت طائفة منهم:بل رَفَعَه اللهُ إلى السماء ونحن ننظر إليه)) اهـ .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٤٥ و٢٤٦) : ((قَوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ في المُخْتَلِفِين قَولان : أحدهما أنهم اليهود، فعلى هذا في هاء ﴿ فِيهِ ﴾ قَولان : أحدهما: أنها كِناية عن قَتْله ، فاختلفوا هل قتلوه أم لا . وفي سبب اختلافهم في ذلك قَولان : أحدهما : أنهم لمَّا قتلوا الشخصَ المُشَبَّه كان الشَّبَه قد أُلْقِيَ على وجهه دون جسده ، فقالوا : الوجه وجه عيسى ، والجسد جسد غَيره، ذكره ابن السائب . والثاني أنهم قالوا : إن كان هذا عيسى ، فأين صاحبنا ؟ ، وإن كان هذا صاحبنا ، فأين عيسى ؟ . يَعْنُون الذي دخل في طلبه ، هذا قول السُّدي . والثاني أن الهاء كِناية عن عيسى واختلافهم فيه . قول بعضهم:هو ولد زنى . وقال بعضهم: هو ساحر . والثاني أن المُخْتَلِفِين النصارى، فعلى هذا في هاء ﴿ فِيهِ ﴾ قَولان : أحدهما: أنها ترجع إلى قَتْله ، هل قُتِل أم لا . والثاني أنها ترجع إليه ، هل هو إله أم لا . وفي هاء ﴿ مِنهُ ﴾ قَولان : أحدهما أنها ترجع إلى قتله . والثاني إلى نفْسه هل هو إله ، أم لِغَير رِشْدة (يعني ابن زنا) ، أم هو ساحر)) اهـ .

﴿ مَا لَهُم بِهِ مِن عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾ . ليس لهم بقتل عيسى عِلْم حقيقي،ولا إدراك صحيح، ولا يَملِكون يقينًا، ولكنهم يتَّبعون الظَّنَّ الذي تخيَّلوه ، والوَهْمَ الذي تصوَّروه. حيث إنهم قَتلوا شَبِيهَ عيسى ، ظنًّا مِنهم أنه عيسى . وقال البَيضاوي في تفسيره (١/ ٢٧٦) : ((﴿ مَا لَهُم بِهِ مِن عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾ استثناء منقطع . أي : لكنهم يتَّبعون الظنَّ . ويجوز أن يُفسَّر الشك بالجهل، والعِلم بالاعتقاد الذي تسكن إليه النفس جَزْمًا كان أو غَيره ، فيتَّصل الاستثناء)) اهـ .

وقال النسفي في تفسيره (١/ ٢٦٠) : ((﴿ مَا لَهُم بِهِ مِن عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾ استثناء منقطع ، لأن اتباع الظن ليس مِن جِنس العِلْم. يعني : ولكنهم يتَّبعون الظن . وإنما وُصِفوا بالشك،

وهو أن لا يترجَّح أحد الجانبين ، ثُمَّ وُصِفوا بالظن وهو أن يترجَّح أحدهما ، لأن المراد أنهم شاكُّون ما لهم به من عِلم ، ولكن إن لاحت لهم أمَارة فظنُّوا)) اهـ .

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ . وما قَتلوه واثقين ومُتَيَقِّنين أن الرَّجل هو عيسى ، بَل شاكِّين مُتوهِّمين . واليهودُ لَم يَقتلوا عيسى حقًّا ، وإنما قَتلة شَبيهه ، وتوهَّموا أنه عيسى ، وتخيَّلوا ذلك . وقد نجَّى اللهُ عيسى منهم . والآيةُ تَنْفي قتل عيسى بكل وضوح .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٤٦) : ((قَوله تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ ﴾ . في الهاء ثلاثة أقوال : أحدها أنها ترجع إلى الظن ، فيكون المعنى : وما قَتلوا ظَنَّهم يقينًا ، هذا قول ابن عباس. والثاني أنها ترجع إلى العِلم ، أي : ما قتلوا العِلْمَ به يقينًا . تقول : قتلته يقينًا، وقتلته عِلْمًا، للرأي والحديث . هذا قول الفَرَّاء وابن قُتَيبة . قال ابن قُتَيبة : وأصل هذا أن القتل للشيء يكون عن قهر واستعلاء وغَلَبة . يقول : فلم يكن عِلْمُهم بقتل المسيح عِلْمًا أُحِيط به ، إنما كان ظنًّا . والثالث أنها ترجع إلى عيسى ، فيكون المعنى : وما قتلوا عيسى حقًّا ، هذا قول الحسن. وقال ابن الأنباري : اليقين مُؤخَّر في المعنى ، فالتقدير : وما قتلوه ، بل رَفعه اللهُ إليه يقينًا)) اهـ .

﴿ بَل رَفَعَهُ اللهُ إِلَيهِ ﴾ . لقد نجَّى اللهُ عيسى مِن شَر اليهود ، ورفعه إلى السماء حيًّا بروحه وجسده . ولم يَقتلوه ، ولم يَصلبوه . واللهُ مُنَزَّهٌ عن المكان ، ومُنَزَّهٌ عن الحُلول في السماء ، فاللهُ أكبر من كل شيء . وقال الواحدي في الوجيز (ص ٣٠١) : ((﴿ بَل رَفَعَهُ اللهُ إِلَيهِ ﴾ أي : إلى الموضع الذي لا يجري لأحد سوى الله فيه حُكم . وكان رَفْعُه إلى ذلك الموضع رَفْعًا إليه ، لأنه رُفع عن أن يَجريَ عليه حُكم أحد من العباد)) اهـ .

﴿ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ . وكان اللهُ عزيزًا في مُلكه ، مُنْتَقِمًا من أعدائه ، لا يَغلبه أحد ، حكيمًا في صُنعه وقضائه وتدبيره النجاة لعيسى ﷺ. وقال البغوي في تفسيره(١/ ٣٠٧):((﴿ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا ﴾ منيعًا بالنِّقمة من اليهود ﴿ حَكِيمًا﴾ حَكم باللعنة والغضب عليهم ، فَسَلَّطَ عليهم ضيطوس بن إسبسيانوس الرومي ، فقتل منهم مقتلة عظيمة)) اهـ .

لقد كَذَبَ اليهودُ بأنهم قتلوا المسيحَ ﷺ ، وافتَخروا بِقَتْله ، وَوَصَفوه بأنه رسول الله سُخريةً مِنه، واستهزاءً وتَهَكُّمًا به ، فَهُم لا يَعترفون برسالته ، ولا يؤمنون بِه . وهذه الكوارث مُجتمِعةً تدل على وقاحة اليهود ، وخُبثهم ، وعنادهم ، وغرورهم ، واستكبارهم ، وتبجُّحهم ، وافتخارهم بالذنوب والآثام والمعاصي . والنَّصارى اعتقدوا أن المسيح صُلِبَ ، مع أنهم يُؤمنون بأنه إله ، وابن الله ، وقد جاء ليُخلِّصهم من الذنوب ، ويُطهِّرهم مِن الآثام . وهذا يُظهر بُطلان عقائدهم .

وقد كذَّب اللهُ أهلَ الكتاب (اليهود والنصارى). قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ﴾. هذا هو الرَّدُّ الإلهيُّ على اليهود الذي زَعموا أنهم قَتَلوا المسيحَ ، وأيضًا على النصارى الذين زَعَموا صَلْبَ المسيح . لقد كَذَّبَ اللهُ اليهودَ والنصارى مَعًا ، وأفحمَهُم ، وفضحَ باطلَهم ، وكشفَ خُرافاتهم . إن اللهَ ألقى شَبَهَ المسيح على غَيْره فَصُلِبَ شبيه المسيح ، ولم يُصْلَب المسيح ﷺ .

وإن الذينَ اختلَفوا في شأن المسيح غارقون في التناقضات والشُّكوك والشُّبهات . وهُم لا يَملكون اليقينَ ، لذلك لا يَستطيعون أن يُرشِدوا الآخرين إلى الحق، لأن فاقدَ الشيء لا يُعطيه . كما أن كلامَهم مبنيٌّ على الظن لا اليقين . والظنُّ لا يُغني من الحق شيئًا ، والظنُّ أكذبُ الحديث .

وعن أبي هريرة ـ رضي اللهُ عنه ـ عن النبيِّ ﷺ قال : ((إيَّاكم والظن ، فإن الظنَّ أكذبُ الحديث)) [55] . هذا يُشير إلى ضرورة الابتعاد عن ظَن السَّوْء ، وترتيبِ أحكام بدون أدلة مُعتبَرة.

وقال الحافظ في الفتح (٥/ ٣٧٦) : ((ومعنى قوله " أكذب الحديث " ، أي أكذب في الحديث من غَيْره ، لأن الصدق والكذب يُوصَف بهما القَول لا الظن)) اهـ .

إن المسيح حَي في السماء . وسَوْفَ يَنزل في نهاية الزمان . ويَحكم بالإسلام والشريعة المُحمَّدية ، فيكسر الصليب ، ويَقتل الخِنزير ، ويَضع الجِزية ، ولا يَقبل إلا الإسلام .

وقال اللهُ تعالى : ﴿ وإن مِن أهلِ الكتابِ إلا لَيُؤمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ القِيامةِ يَكونُ عَلَيْهِم شَهيدًا ﴾[النِّساء : ١٥٩] [56].

ليس أحدٌ من اليهود والنصارى إلا ويُؤمِن بعيسى ﷺ إذا رأى المَلَكَ ، ولكنَّ هذا الإيمان غير مقبول ، لأنه إيمان عند اليأس (حالة الموت) ، أي إنه إيمانٌ بعد إغلاق باب التَّوبة . والآيةُ دليلٌ على أنه لا يموت يهودي أو نصراني إلا وقد آمَنَ بعيسى ﷺ. ويَوْمَ القِيامة، يَشهد عيسى ﷺ على اليهود والنصارى بأنه بَلَّغهم الرِّسالةَ الإلهية بلا زِيادة ولا نُقصان ، وأقرَّ بالعبودية على نفْسه . ويمكن القَوْل : يَشهد عيسى ﷺ على اليهود بأنهم كَذَّبوه ، وعلى النصارى بأنهم دَعَوْهُ ابْنَ الله .

---

٥٥ متفق عليه. البخاري (٥/ ٢٢٥٣) برقم (٥٧١٧) ، ومسلم (٤/ ١٩٨٥) برقم (٢٥٦٣) .

٥٦ قال القرطبي في تفسيره (٦/ ١٣): ((رُوِيَ أن الحجَّاج سألَ شَهْرَ بن حَوْشَب عن هذه الآية، فقال: إني لأُوتَى بالأسير من اليهود والنصارى ، فآمرُ بضَرْب عُنقه، وأنظر إليه في ذلك الوقت، فلا أرى منه الإيمان.فقال له شَهْر بن حَوْشَب: إنه حِينَ عايَنَ أمرَ الآخرة، يُقِرُّ بأن عيسى عبدُ اللهِ ورسولُه، فيؤمن به، ولا يَنفعه ، فقال له الحجَّاج : مِن أيْنَ أخذتَ هذا ؟ ، قال : أخَذْتُه مِن محمد بن الحنفية)) .

وهناك تفسيرٌ آخَر : إن اليهود والنصارى سَيُؤمِنون بعيسى ﷺ عِند نزوله من السماء في آخر الزمان ، فتختفي اليهوديةُ والنصرانيةُ ، ولا يَبقى إلا الإسلام .

وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٢٧٨): ((أي: وما مِن أهل الكتاب مِن أحد إلا ليؤمنن به . فقَوْله : ﴿ لَيُؤمِنَنَّ بِهِ ﴾ جملة قسمية وقعت صِفة لأحد ، ويعود إليه الضمير الثاني ، والأول لعيسى _ عليه الصلاة والسلام _ . والمعنى : ما مِن اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمنن بأن عيسى عبدُ الله ورسولُه قبل أن يموت ، ولو حِين أن تزهق رُوحُه ، ولا يَنفعه إيمانه . ويُؤيِّد ذلك أنه قُرِئ : ﴿ إلا لَيُؤمِنُنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ بِضَم النُّون ، لأن أحدًا في معنى الجمع . وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معالجة الإيمان بِه قبل أن يَضطروا إليه ، ولم يَنفعهم إيمانهم . وقِيل : الضميران _ لعيسى عليه أفضل الصلاة والسلام _ ، والمعنى أنه إذا نَزَلَ من السماء آمَنَ به أهل المِلَلِ جميعًا)) اه .

وعن أبي هُرَيرة_رضي الله عنه_قال: قال رسول الله ﷺ:((والذي نفْسي بيده، لِيُوشِكَنَّ أن يَنْزِلَ فِيكم ابنُ مَرْيَمَ،حَكَمًا عَدْلًا،فَيَكْسِرَ الصليبَ،ويَقتلَ الخِنْزيرَ، ويَضَعَ الجِزْيَةَ . ويَفيضَ المالُ حتى لا يَقْبَلَهُ أحَدٌ ، حتى تَكونَ السَّجدةُ الواحدةُ خَيرًا مِنَ الدنيا وما فِيها)) . ثُمَّ يقول أبو هريرة : واقرؤوا إن شِئْتُم: ﴿ وإن مِن أهلِ الكتابِ إلا لَيُؤمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ القِيامةِ يَكونُ عَلَيْهِم شَهِيدًا ﴾ [٥٧] .

في آخرِ الزمان، يَنْزِل النبيُّ عيسى ﷺ من السماء ، فَيَحْكُم بالشَّريعة المُحمَّدية الإسلامية بالعَدْل والإنصاف ، ويكسر الصليبَ حقيقةً، وهو الخَشَبة التي يُعظِّمها النصارى، أي إنه يُبطِل النصرانيةَ ، ويَقتل الخِنْزير ، في إشارة قوية لتحريم أكْلِه ، وأيضًا توبيخ النصارى الذين يَزْعُمون أنهم سائرون في طريق المسيح ﷺ ، ثُمَّ يَستحِلُّون أكْلَ الخِنْزير . وقَتْلُ الخِنْزير يدل على تحريم

---

٥٧ متفق عليه. واللفظ للبخاري(٣/ ١٢٧٢) برقم (٣٢٦٤). ومسلم (١/ ١٣٥) برقم (١٥٥). وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم (٢/ ١٩١) : ((ففِيه دَلالة ظاهرة على أن مذهب أبي هُرَيرة في الآية أن الضمير في ﴿ مَوْتِهِ ﴾ يعود على عيسى عليه السلام ، ومعناها : وما مِن أهل الكتاب يَكون في زمن عيسى عليه السلام إلا مَن آمَنَ بِه ، وعَلِمَ أنه عبدُ الله وابْنُ أَمَته. وهذا مذهب جماعة من المفسِّرين.وذهب كثيرون أو الأكثرون إلى أن الضمير يَعود على الكِتابِيِّ. ومعناها: وما مِن أهل الكتاب أحَدٌ يحضره الموتُ إلا آمَنَ عند الموت قبل خُروج رُوحِه بعيسى ﷺ وأنه عبدُ الله وابْنُ أَمَته ، ولكن لا يَنفعه هذا الإيمان لأنه في حَضْرة الموت وحالةِ النَّزْع ، وتلك الحالة لا حُكْمَ لِمَا يَفعل أو يُقال فِيها ، فلا يَصِحُّ فِيها إسلام ، ولا كُفر ، ولا وَصِيَّة ، ولا بَيْع ولا عِتْق ، ولا غَيْر ذلك مِن الأقوال)) .

أكْلِ الخِنْزير وتحريم اقتنائه ، وأنه نَجِسٌ ، لأن الشيء الذي يُنْتَفَع بِه ، لا يَجوز إتلافُه . والنبيُّ عيسى ﷺ لا يَقْبَل الجِزْيَةَ مِنَ الكفار ، ولا يَقْبَل إلا الإسلامَ . وفي زمنه ، يُصبحُ الإسلامُ هو الدِّينَ الوحيد . وتعمُّ البركاتُ والخيراتُ حتى يَفيض المالُ ، ويَختفي الفَقْرُ والظلمُ . وجميعُ الناس في حالة الغِنى ، ولا أحد يَقبَل المالَ لأنه غير محتاج إليه . وعندئذٍ ، يُقبِل الناسُ على الصلاةِ وأداءِ العِبادات بكل قوة ونشاطٍ ، لأنهم يَعْلَمون أن يوم القيامة قد اقتربَ ، وأنهم في سِباق مع الزمن . وتقلُّ الرغبةُ في الدنيا ، لأن الناسَ لا يَحتاجون إليها ، ويزداد التعلقُ بالآخرةِ والإقبالُ عليها .

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم (٢/ ١٩٠) : ((وأمَّا قَوْله ﷺ : (ويضع الجِزية) فالصواب في معناه أنه لا يَقْبَلُها ولا يَقْبَل من الكفار إلا الإسلام . ومَن بَذل مِنهم الجِزية لم يَكُفَّ عنه بها، بل لا يَقْبَل إلا الإسلام أو القتل،هكذا قاله الإمام أبو سليمان الخطابي وغَيره من العلماء رحمهم الله تعالى.وحكى القاضي عِياض رحمه الله عن بعض العلماء معنى هذا، ثم قال : وقد يَكون فَيْضُ المال هنا مِن وَضْعِ الجِزية وهو ضَرْبُها على جميع الكفرة، فإنه لا يُقاتِله أحدٌ، فتضع الحربُ أوزارها.وانقياد جميع الناس له إمَّا بالإسلام وإمَّا بإلقاء يد فيضع عليه الجِزية ويضربها.وهذا كلام القاضي وليس بمقبول.والصواب ما قدَّمناه وهو أنه لا يَقْبَل منه إلا الإسلام.فعلى هذا قد يُقال : هذا خِلاف حُكْم الشَّرع اليَوم، فإن الكِتابِيَّ إذا بَذل الجِزيةَ وَجَبَ قَبُولُها ، ولم يَجُزْ قَتْلُه ، ولا إكراهُه على الإسلام . وجوابه أن هذا الحُكْم ليس بمستمر إلى يوم القيامة ، بل هو مُقيَّد بما قَبْل عِيسى عليه السلام)) اهـ .

وبعد أن يَنْزِل النبيُّ عيسى ﷺ من السماء في نهاية الزمان، يَعتنق الكافرون الإسلامَ حتى تَكونَ الدَّعوةُ واحدةً.فالنبيُّ عيسى ﷺ لا يَقْبَل إلا الإسلام،ولا يَكون هناك دِينٌ آخَر. فقد قال النبيُّ ﷺ: ((وتَكونُ الدَّعْوةُ واحدةً)) [٥٨] .

وعن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ : ــ ﴿ وإِن مِن أهلِ الكتابِ إلا لَيُؤمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ قال : ((خُروج عيسى ابنِ مريم ، صلواتُ الله عليه)) [٥٩] .

---

٥٨ رواه أحمد في مسنده (٢/ ٣٩٤) برقم (٩١١٠) . وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ١٢) : ((وفيه كَثير بن زَيد ، وثَّقه أحمد وجماعة ، وضعَّفه النَّسائي وغَيْرُه ، وبقية رجاله ثقات)) اهـ . وقال شُعَيب الأرناؤوط : ((المرفوع منه صحيح ، وهذا إسناد حسن)) .

٥٩ رواه الحاكم في المستدرَك (٢/ ٣٣٨) برقم (٣٢٠٧) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

ومن الأمور الهامة التي تَمَّ اكتشافها ، مخطوطات البحر الميت ، والتي عُثر عليها داخل أواني فَخَّارية بحالة جيدة، وهي تضم كتابات حول الكثير من العقائد. وتتناول المخطوطاتُ مواضيع متعلقة بالإنجيل ستُحدِث انقلابًا فكريًّا جذريًّا في العقائد النصرانية والنصوص الإنجيلية .

[وقد قال عنها الدكتور د.ف. ألبرايت المتخصص في علم آثار الإنجيل : ((إنه لا يوجد أدنى شك في العالم حول صحة هذه المخطوطات ، وسوف تعمل هذه الأوراق ثورة في فكرتنا عن المسيحية)) اهـ . وقال عنها القَس أ. باول ديفز رئيس كنيسة كُل القديسين في واشنطن في كتابه (مخطوطات البحر الميت) : ((إن مخطوطات البحر الميت وهي من أعظم الاكتشافات أهمية منذ قرون عديدة قد تُغيِّر الفهم التقليدي للإنجيل)) اهـ . وفي كتاب تَوحيد الخالق للزنداني وآخرين (ص ٩٦_٩٩، قطر ١٩٧٧ م) : ((وقد جاء في هذه المخطوطات: ((إن عيسى كان مِسِيّا للمسيحيين ، وإن هناك مِسِيّا آخر)) . وكلمة مِسِيّا بالآرامية تعني رسولًا] [٦٠].

ومن الواجب التنبيه على خُطورة بعض الألفاظ الخاطئة المُستخدمة على نطاق واسع من قبيل" المسيحية " أو " المسيحيين "، اللتَيْن يتم تداولهما من أجل نَيْل شرعية وهمية مستمدة من الالتصاق باسم المسيح ﷺ .

وهاتان اللفظتان ما أنزل اللهُ بهما من سُلطان، فهما لم تَرِدَا في القُرآن ولا السُّنة. بل هما تطعنان في العقيدة الإسلامية طعنًا واضحًا. فاللهُ أرسلَ المسيحَ وَكُلَّ الأنبياء بالإسلام ، ولم يُرسله بشيء يُدعى المسيحية . وأيضًا لا يجوز أن ننسب كفارًا إلى السيد المسيح ﷺ ، فندعوهم بالمسيحيين ، فهو بريء منهم ، ولا علاقة لهم بِه . ولا يمكن أن يكون دِين المسيح هو المسيحية ، لأن الشخص لا ينتسب إلى نفْسه . وإذا كان النصارى يَنْسبون أنفسهم إلى شخص السيد المسيح ﷺ، ويُسَمُّون أنفسهم مسيحيين ، فإن المسلمين لا يَنْسبون أنفسهم إلى شخص النبيِّ محمد ﷺ ، ولا يُسَمُّون أنفسهم مُحمَّديين. فالنبيُّ محمد وأُمَّته يَنْتسبون إلى الإسلام (الدِّين السماوي الوحيد) . وهكذا يتجلى الفرق الجوهري بين لفظة " مُحَمَّديين " ولفظةِ " مُسْلِمين " . والجديرُ بالذِّكر أن مُحمَّدًا وموسى وعيسى _ عليهم الصلاة والسلام _ ، كُلُّهم يَدينون بالإسلام ، لكن شرائعهم مختلفة بِحَسَب الزمانِ والمكانِ وطبيعةِ القَوم الذين يَتَلَقَّوْنَ الوَحْيَ السَّماويَّ .

---

٦٠ عقيدة المسلم وما يتصل بها ، عبد الحميد السائح ، ص ٢٤٦_ ٢٥١ . وانظر كتاب توحيد الخالق للزنداني وآخرين، جزء ٣ للمرحلة الإعدادية ص ٨٩ .

ومن الأخطاء الشائعة استخدام عبارة " الأديان السماوية" . وهذه عبارة كُفرية تُكَذِّبُ قولَ الله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عِمران : ١٩] . فالإسلامُ هو الدِّينُ السماويُّ الوحيد . وباقي الأديان أرضية وَضْعية بشرية أُسطورية ، لا وزن لها ، ولا قيمة لها .

والإسلامُ هو الاستسلام للهِ ، والإخلاص له وَحْدَه ، وعبادته بلا شريك ، والانصياع لأمره ، والانقياد بالتَّذلل والخشوع . وهذا يَتحقق بشهادة أن لا إلهَ إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، ثُمَّ فِعل الطاعات : الصلاة والزكاة والحج والصِّيام ... إلخ . والإسلامُ هو الدِّين الوحيد المقبول عند الله تعالى . وهو دِين جميع الأنبياء بلا استثناء ، أرسلهم اللهُ لنشره ، ولا يَقْبَل غَيْرَه . وَمَن اختارَ دِينًا غَير الإسلام فهو كافر خالد في النار ، إن ماتَ على ذلك . ولا تُوجد أيَّة فرصة أمامه للنجاة .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٦٢) : ((قال أبو سليمان الدمشقي: لَمَّا ادَّعت اليهود أنه لا دِين أفضل من اليهودية ، وادَّعت النصارى أنه لا دِين أفضل من النصرانية ، نزلت هذه الآية. قال الزَّجاج: الدِّين اسم لجميع ما تَعَبَّدَ اللهُ بِه خَلْقَه ، وأمرهم بالإقامة عليه ، وأن يكون عادتهم ، وبه يَجزيهم)) اهـ . وقال الطبري في تفسيره (٣/ ٢١١) : ((فتأويل قوله : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإسلامُ ﴾ . إنَّ الطاعة التي هي الطاعة عِنده ، الطاعة له ، وإقرار الألسُن والقلوب له بالعبودية والذِّلة، وانقيادها له بالطاعة فِيما أَمَرَ ونهى، وتَذَلُّلها له بذلك، مِن غير استكبار عليه ، ولا انحراف عنه ، دون إشراك غَيره مِن خَلْقه معه في العُبودة والأُلوهة)) اهـ .

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٧١) : ((وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإسلامُ ﴾ ، إخبار مِنه تعالى بأنه لا دِين عِنده يَقبله مِن أحد سِوى الإسلام، وهو اتِّباع الرُّسُل فِيما بَعثهم الله به في كُل حِين حتى خُتموا بمحمد ﷺ ، الذي سَدَّ جميع الطرق إِلَيه إلا مِن جهة محمد ﷺ ، فَمَن لَقِيَ اللهَ بعد بَعثة محمد ﷺ بِدِين على غَير شريعته ، فليس بِمُتَقَبَّل)) اهـ .

وعن أُبَيِّ بن كَعْب ــ رضي الله عنه ــ قال : قال لي رسول الله ﷺ : ((... وأنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الحنيفيةُ غَيْرُ اليهوديةِ ولا النصرانية)) [٦١].

والحنيفيةُ هي الدِّين المائل عن كل دِين مُنحرف ، وهذا يعني أنه على الصراط المستقيم ، فلا يزيغ ، ولا يَضِل طريقَه. وهذا الدِّين المعصوم ــ وَحْدَه ــ مَن يَملك القدرة على هداية البشرية نحو الهدف الصحيح (عبادة الله وَحْدَه) ، وَمِن ثَمَّ نَيْل رضا الله تعالى ، ودخول الجنة في الآخِرة .

---

٦١ رواه الحاكم في المستدرَك (٢/ ٢٤٤) برقم (٢٨٨٩) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

واليهوديةُ والنصرانية دِينان مُنحرِفان عن الحق ، بسبب غرقهما في الأهواء الشخصية والأغراض الدنيوية التي لا تَمُتُّ للحق بِصِلة . فهما أداتان في أيدي رجال الدِّين المتحالفين مع عِلْية القوم لتحقيق منافع متبادلة على حساب العوام ، والمتاجرة بمصائرهم وأحلامهم . وقد رأينا حجمَ التغييرات الطارئة على اليهودية والنصرانية ، وتحريف نصوص التَّوراة والإنجيل ، مِمَّا يُشير إلى كثرة الأيدي المتلاعبة بهما ، وكثرة المصالح المادية التي تفرض نفْسها على القيم الدينية عند أهل الكتاب . وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي (١٠/ ٢٧٢) عن الحنيفية : ((أي الشريعة المائلة عَن كُل دِين باطل ، فهي حنيفية في التوحيد . وأصل الحَنَف المَيْل . والحنيف المائل إلى الإسلام ، الثابت عليه)) اهـ . وعن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قال : قِيل لرسول الله ﷺ : أيُّ الأديانِ أحبُّ إلى الله ؟ ، قال : ((الحنيفية السَّمحة)) [٦٢] .

هذا يعني استحالة الوصول إلى اللهِ إلا عن طريق الإسلام، وهو الدِّين الحق،والحنيفية السمحة، والصراط المستقيم . والإسلامُ هو الدِّين السماويُّ الوحيد ، ويَتضمَّن توحيدَ اللهِ تعالى ، وتَنْزيهه عَن كُل نقص وعَيب . وقد اختارَ اللهُ الإسلامَ دِينًا وحيدًا مُعْتَمَدًا عِنده ، وَرَضِيَه لعباده ، بسبب اشتماله على الكَمالات اللامتناهية ، وعلى رأسها التَّوحيد الخالص الذي لا تَشوبه شائبة شِرْك، بعكس اليهودية والنصرانية اللتين تَنْسُبان إلى الله تعالى النقائص والعُيوب والصفات الذميمة.

أمَّا الشَّرائع فمُتعددة ومختلفة باختلاف الزمان والمكان وطبيعة الناس. قال الله تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُم شِرعَةً وَمِنهَاجًا ﴾[المائدة : ٤٨] . جَعَلَ اللهُ لكل أُمَّة ومِلَّة شريعةً خاصة بها ، وطريقًا واضحًا لا اعْوِجَاج فيه ولا لَبْس . والدِّينُ واحد ، لكن الشرائع مُختلفة. وهناك شرائع سماوية وكتب سماوية ، ولكن لا توجد أديان سماوية. وتتحدث الآيةُ عن اختلاف الأُمم والشعوب دِينيًّا . واللهُ جَعَلَ لكل أُمَّةٍ شَريعةً ومنهاجًا . والشريعةُ هي ما شَرَعَ اللهُ لعباده من الدِّين . وهذه البُنية الدينية تتناسب مع إمكانيات كُل أُمَّة وثقافتها وتركيبها الاجتماعي . ولا شَكَّ أن الأُمم مُتفاوِتة في

---

٦٢ رواه أحمد في مسنده (١/ ٢٣٦) برقم (٢١٠٧) ، وحسَّنه الحافظ في الفتح (١/ ٩٤). وقال العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٥١) : ((ورواه أحمد في مسنده بسند حسن عن عائشة أيضًا لكن بلفظ" إني أُرسلتُ بالحنيفية السمحة ")). وقال الحافظ في الفتح (١/ ٩٤): ((والمراد بالأديان الشرائع الماضية قبل أن تُبدَّل وتُنسَخ . والحنيفية مِلَّة إبراهيم . والحنيف في اللغة مَن كان على مِلَّة إبراهيم. وسُمِّيَ إبراهيم حنيفًا لِمَيْله عن الباطل إلى الحق ، لأن أصل الحَنَف الْمَيْل)) .

الإمكانيات الجِسمية والعقلية ، ومُختلفة في القُدرات الرُّوحية والمادية . وقال القرطبي في تفسيره (٦/ ١٩٨) : ((يدلُّ على عدم التعلق بشرائع الأولين . الشِّرْعة والشريعة الطريقة الظاهرة التي يُتوصَّل بها إلى النجاة)) اهـ . وأُمَّةُ موسىﷺ لها شريعة، وأُمَّةُ عيسىﷺ لها شريعة، وأُمَّةُ محمدﷺ لها شريعة. أمَّا الدِّينُ فواحد. لقد جعل اللهُ التوراةَ لأهْلها ، والإنجيلَ لأهْله ، والقُرآنَ لأهْله ، معَ أن الأصل واحد، وهو توحيد الله تعالى . والقُرآنُ آخِرُ الكتب السماوية نُزولًا ، وهو ناسخٌ لِمَا قَبْلَه . فالشَّرائعُ مُتعدِّدة ، لكنَّ الدِّينَ واحدٌ وهو الإسلام (دِين جميع الأنبياء بلا استثناء) . قال اللهُ تعالى : ﴿ إن الدِّين عند الله الإسلام ﴾ [آل عِمران : ١٩]. وهذا يُشير إلى وَحْدانية الخالق تعالى ، ووَحْدانية الدِّين السماوي الصحيح (الإسلام) . وما سواه هو إسهامات بشرية تمَّ تجميعها على شكل أديان في الشرق والغرب ، وهذه الأديان البشرية كالنصرانية واليهودية والبوذية والهندوسية ... إلخ ، هي تياراتٌ فكرية وفلسفية اختلط فيها الحابل بالنابل دون وُجهة صحيحة ، لأن البُوصلة مفقودة . لقد بَعَثَ اللهُ الرُّسُلَ بشرائع مُختلفة لاختلاف الزمان والمكان وطبائع الناس، وهذه الشرائع مُختلفة في الفروع، ومُتَّفقة في الأصول كَتَوحيد اللهِ ، والبعث ، والجنة ، والنار . وقد يَكون الشَّيء في هذه الشريعة حرامًا ، ثُمَّ يُصبح في الشريعة الأخرى حلالًا ، وبالعكس . وهذا الأمر يَجري على مُقتضى حِكمة اللهِ البليغة . والشريعةُ المُحمَّديةُ الإسلاميةُ قد نَسَخت كُلَّ الشرائع قَبْلها . ولا شِرعة ولا مِنهاج إلا ما جاء بِه محمد ﷺ . والآيةُ دليلٌ على أنَّ المسلمين غَير مُتعبَّدين بشرائع الأنبياء السابقين. وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣٧٢) : ((قال مجاهد : الشِّرْعة السُّنة ، والمنهاج الطريق . وقال ابن قُتَيبة : الشِّرْعة والشريعة واحد ، والمنهاج الطريق الواضح . فإن قِيل : كيف نَسَقَ المِنهاجَ على الشِّرْعة ، وكلاهما بمعنى واحد. فعَنه جوابان: أحدهما أن بينهما فَرْقًا من وَجْهين : أحدهما أن الشِّرْعة ابتداء الطريق ، والمنهاج الطريق المستمر، قاله المُبَرِّد. والثاني أن الشِّرْعة الطريق الذي رُبَّما كان واضحًا وربما كان غير واضح ، والمنهاج الطريق الذي لا يكون إلا واضحًا ، ذَكَره ابن الأنباري. فلمَّا وَقَعَ الاختلاف بين الشِّرْعة والمنهاج حَسُنَ نسْق أحدهما على الآخر . والثاني أن الشِّرْعة والمنهاج بمعنى واحد ، وإنما نَسَقَ أحدهما على الآخر لاختلاف اللفظَيْن . قال الحُطَيْئة : ألا حَبَّذا هند وأرض بها هند ... وهند أتى من دونها النأي والبَعْدُ. فنَسَقَ البُعدَ على النأي لَمَّاخالفه في اللفظ ، وإن كان مُوافقًا له في المعنى، ذَكَره ابن الأنباري . وأجاب عنه أرباب القَوْل الأول ، فقالوا : النأي كل ما قَلَّ بُعْدُه أو كَثُرَ كأنه المُفارَقة ، والبُعدُ إنما يُسْتَعْمَل فيما كَثُرت مسافة مُفارَقته)) اهـ .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَمَن يَبتَغِ غَيْرَ الإسلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنهُ وَهُوَ في الآخرةِ مِنَ الخاسرين ﴾ [آل عِمران: ٨٥] [٦٣] .

ومَن يطلب دِينًا غَيْرَ دِين الإسلام لِيَعبد اللهَ وَفْقَه ، ومَن يَطلب شريعة غَير الشريعة المُحمَّدية الإسلامية بعد بَعثة محمد ﷺ ، فلن يَتقبَّل اللهُ مِنه ، وهو خاسر وهالك يوم القيامة ، لأن مصيره الخلود في النار ، ولا فرصة للخروج مِنها ، ولا أمل في النجاة . والآيةُ دليل واضح على أن الدِّين الوحيد المقبول عند الله هو الإسلام. والدِّين يقوم على الرِّضا والتسليم والقَبول والتصديق والعمل.

وقال البَيضاوي في تفسيره (١/ ٦١) : ((﴿ وَمَن يَبتَغِ غَيْرَ الإسلامِ دِينًا ﴾ أي غَير التوحيد والانقياد لِحُكم الله ﴿ فَلَن يُقْبَلَ مِنهُ وَهُوَ في الآخرةِ مِنَ الخاسرين ﴾ الواقعين في الخُسران . والمعنى أنَّ المُعْرِض عن الإسلام، والطالب لِغَيره، فاقد للنفع ، واقع في الخُسران ، بإبطال الفِطرة السليمة التي فُطِرَ الناس عليها. واستدل به على أن الإيمان هو الإسلام، إذْ لو كان غَيْرَه لَم يُقْبَل، والجواب إنه يَنفي قَبول كُل دِين يُغايره، لا قَبول كُل ما يُغايِره . ولعل الدِّين أيضًا للأعمال)) اهـ .

وعن أبي هريرة _ رضي اللهُ عنه _ قال : قال رسولُ الله ﷺ : ((أنا أَوْلى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة ، والأنبياء إخْوَة لِعَلَّات ، أُمهاتهم شَتَّى ، ودِينهم واحد)) [٦٤] .

الأنبياءُ _ عليهم الصلاة والسلام _ يَنطلقون من مَصْدر واحد (الوَحْي السَّماويّ) وَفْق منهج واحد (التوحيد)، يُبلِّغون دِينًا واحدًا (الإسلام). وبالتالي، لا تعارض بينهم ولا تضاد ولا تناقض . فهم إخوةٌ متحابون يتصدرون الوجودَ البشري ، إذ إنهم القادة الذين اختارهم اللهُ تعالى لإخراج

---

٦٣ قال البغوي في تفسيره (١/ ٦٤) : ((نزلت في اثني عشر رَجلًا ارتدوا عن الإسلام ، وخرجوا من المدينة ، وأَتَوْا مكة كُفَّارًا ، مِنهم الحارث بن سُوَيد)) .

٦٤ متفق عليه.واللفظ للبخاري(٣/ ١٢٧٠)برقم(٣٢٥٩).ومسلم (٤/ ١٨٣٧) برقم (٢٣٦٥). وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم (١١٩/١٥) : ((قال العلماء : أولاد العَلَّات _ بفتح العَين المهملة وتشديد اللام _ هم الإخوة لأب من أمهات شتَّى ، وأمَّا الإخوة من الأبوين ، فيُقال لهم أولاد الأعيان)) اهـ. وقال الحافظ في الفتح (٦/ ٤٨٩): ((هو أَوْلى الناس بعيسى، ذاك من جهة قوة الاقتداء به ، وهذا من جهة قوة قُرب العهد به ... والعَلَّات_ بفتح المهملة _ الضرائر ، وأصله أن مَن تزوَّجَ امرأة ثم تزوج أخرى كأنه عَلَّ منها ، والعَلَلُ الشُّرب بعد الشرب. وأولاد العَلَّات الإخوة من الأب وأمهاتهم شتى ... ومعنى الحديث: أن أصل دِينهم واحد ، وهو التوحيد ، وإن اختلفت فروع الشرائع)).

الناس من الظلمات إلى النُّور. لكنَّ شرائعهم مختلفة بسبب اختلاف الزمان والمكان وطبيعة الأمم المُتلقِّية للبلاغ الإلهيِّ المُشتمل على الترغيب (البِشارة) والترهيب (الإنذار) . وهكذا اتَّضحت تفاصيل دينية كثيرة ، أزالت الضَّبابية المغروسة في بعض العقول ، وكشفت عن جوانب فكرية في غاية الأهمية .

وللأسف الشديد ، إن هادمًا واحدًا كفيلٌ بتدمير نتاج حضارة كاملة ، والتلاعب بشريعة سماوية إلهية ، وتبديلها وتغييرها . فمثلًا ، شخص مِثل بُولُس مُؤلِّف غالبية العقائد النصرانية (المسيحية) ، قد قام بأخس عمل وهو تحريف نصوص الإنجيل وتغيير شريعة المسيح . وكَم عدد الذين تَبِعوه فأضَلَّهم وضَلُّوا معه وأضَلُّوا مَن بَعْدهم ؟! .

وسَوْفَ أُقدِّم مسألةً واحدة ، على سبيل المثال لا الحصر ، وهي غَيض مِن فَيض . كي يُدرك القارئ حجمَ الكوارث المسيطرة على عقائد النصارى ونصوصهم الدينية ، ومِن أجل معرفة طبيعة النصارى ، وذلك من خلال نصوص الإنجيل المُحرَّف .

إن قضية تحريم لحم الخِنزير ثابتة في التوراة ، واليهود يأخذون بها . ففي [تَثنية ١٤ : ٨] : ((والخِنْزِيرُ لأنهُ يَشُقُّ الظِّلْفَ لكنه لا يَجْتَرُّ فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ . فَمِن لحمها لا تأكلوا وجُثَثَهَا لا تَلْمِسُوا)) اهـ .

في لحم الخِنزير أضرار كثيرة ، وهو يأكل الأوساخ والفضلات والقاذورات بشراهة، وهو بيئة للجراثيم والبكتيريا والأمراض ، وكُل الحيوانات عندها غَيرة على إناثها إلا الخنازير . وقد أكلَ النصارى لحم الخِنزير ، فسقطوا في الدِّياثة وعدم الغَيرة على أعراضهم ، والإنسانُ يأخذ من صفات الحيوانات التي يأكلها .

وتحريمُ لحم الخِنزير ثابت في القرآن . والمسلمون يأخذون به . والخنزيرُ مُحَرَّمٌ كُلُّه ، وإنما خُصَّ اللحم بالذِّكر لأنه مُعظَم ما يُؤكَل من الحيوان . قالَ اللهُ تعالى : ﴿ إنما حَرَّمَ عَلَيكُمُ المَيْتَةَ والدَّمَ وَلَحْمَ الخِنزِيرِ ﴾[البقرة : ١٧٣] . يَذكر اللهُ في هذه الآية بعضَ الأمور المُحرَّمة كي يبتعد عنها الناس،ويلتزموا بالطيبات. إذ إن الخبائث والمُحرَّمات لها أثر سلبي على الإنسان، روحيًّا وماديًّا. حيث تنقله إلى عوالم الفساد والضيق، وهذا ينعكس على السلوك الاجتماعي بشكل عام ، مِمَّا يُولِّد حالة ارتباك في المجتمع، وغياب معاني الطهارة عن مَساره وهويته. وإذا غرق المجتمع في مستنقع الخطايا، فإن الجميع سيدفع الثمن، وعندئذ تقترب نهاية المجتمع وانكسار الحضارة. وإذا انتشرت في المجتمع حالة الانهيار والفوضى والشَّك فلن يَنجوَ أحدٌ ، وسوف تعمُّ الكارثةُ

الجميعَ بلا تمييز . وعندما يقوم الفردُ بحماية مجتمعه من السلبيات ، فهو في الحقيقة يحمي نفْسه وأُسرته قبل كُل شَيء. والذنوبُ لا تنحصر خطورتها في ذاتها فَحَسْب ، لأن ضررها يصل إلى سلوك الفرد والجماعة ، ويتسلل خطرها ليشمل كل مفاصل المجتمع البشري ، مِمَّا يؤدي إلى انتشار الفوضى ، وبث الفُرقة والتنازع بين الأفراد . وعندئذ تتوقف حركة الإنتاج ، وتؤول حركةُ التاريخ الاجتماعي إلى شكل للفراغ والعبث . والخطايا لها تأثير بالغ على الطبيعة النفسية للبشر ، والحراك الاجتماعي ، والروابط الإنسانية ، وعلاقاتِ الإنتاج والإعمار والتنمية. إنها مِثل النار المنتشرة في الهشيم لا يمكن التَّنبؤ بمداها . كما أن الذنوب تستأصل النقاءَ والطهارة من مفاصل المجتمع ، فيتحول الفرد إلى آلة استهلاكية متوحشة، ويتكرس المجتمعُ كمستنقع للروائح الكريهة والمناظر القبيحة والمحتوى السَّيئ. وعندئذ يندم الجميعُ على تقصيرهم ، ولكن بعد فوات الأوان.

وقال القرطبي في تفسيره (٢/ ٢١٠) : ((أجمعت الأُمَّة على تحريم شَحْم الخِنزير . وقد استدل مالك وأصحابه على أن مَن حلف ألا يأكل شحمًا فأكل لحمًا لَم يَحْنَثْ بأكل اللحم . فإن حَلف ألا يأكل لحمًا فأكل شَحْمًا حَنَث ، لأن اللحم معَ الشَّحم يقع عليه اسم اللحم، فقد دخل الشَّحمُ في اسم اللحم ، ولا يَدخل اللحم في اسم الشحم . وقد حَرَّم اللهُ تعالى لحمَ الخنزير ، فنابَ ذِكر لحمه عن شحمه ، لأنه دخل تحت اسم اللحم)) اهـ .

لقد اتَّفقت الشرائعُ السماوية على نجاسة الخِنزير وتحريم أكله . وهذا أمرٌ ثابتٌ في جميع الكتب السماوية التي أنزلها اللهُ على أنبيائه الكرام . وتحريمُ الخِنزير غير قابل للنَّسْخ ، لأن النَّسْخ لا يَقع على المُحرَّمات القَطْعية . والشَّرائعُ السماوية لا يُمكن أن تُحِلَّ أكلَ الشيء النَّجِس .

وقد وَرَدَ في إنجيل مَتَّى [٧ : ٦] أن السَّيد المسيح قال: ((لا تُعطُوا ما هُوَ مُقدَّسٌ للكلاب، ولا تَطرَحُوا جَواهِرَكُم أمامَ الخنازير، لكي لا تَدوسَها بأرجُلِها وتَنقلبَ علَيكم فتُمَزِّقَكم)).

وفي [رسالة بُطرُس الثانية ٢ : ٢٢] : ((وينطبق على هؤلاء ما يقوله المثَل الصادق: ((عادَ الكلبُ إلى تناول ما تقيَّأه ، والخِنزيرةُ المُغْتَسِلَةُ إلى التَّمَرُّغ في الوَحْل !)))) .

هذا النَّصان المذكوران في الإنجيل ، يُشيران بوضوح إلى قذارة الخِنزير ، وأنه حيوان وضيع وحقير ، ويُنفِّران مِنه ، ويُبعدان الناسَ عنه . لكنَّ نصوص التَّوراة (العهد القديم) جاءت بتحريم الخِنزير والحُكم بنجاسته بشكل واضح وحاسم . والمفروضُ أن يلتزم النصارى بهذا التحريم ، لأنهم يؤمنون بالتَّوراة (العهد القديم) إيمانهم بالإنجيل (العهد الجديد) . وفي [مَتَّى ٥: ١٧] قال المسيح: ((لا تظنُّوا أني جئتُ لأُلغيَ الشَّريعةَ أو الأنبياءَ . ما جئتُ لأُلغيَ ، بل لأُكمِل)) .

ومعَ كُل هذا ، اختفى تحريم الخِنزير من الإنجيل ، وقامَ النصارى بتحليل أكل الخِنزير . إذن، الحلقة المفقودة تَكمن في الإنجيل . وتحريمُ الخِنزير لم يُنْسَخْ ، وكان مِن المُنتظَر أن نجده في الإنجيل ، فكيفَ تمَّت الخُطَّة الخبيثة لإزالة تحريم الخِنزير مِن الإنجيل ، وتحليل أكله ؟ .

لقد نسبوا إلى المسيح مقولة ذات أبعاد مُوغلة في العبث الأيديولوجي : ((لَيْسَ مَا يَدخل الفم يُنَجِّسُ الإنسانَ)) [مَتَّى ١٥: ١١] .

وهذا معناه أن الخمر والخنزير وكل الخبائث لا تُنجِّس الإنسان . وهذا يدل على غرق النصارى في الأهواء الذاتية والمصالح الشخصية ، مِمَّا أدى إلى تحليل الحرام الواضح ، واستباحة المُحرَّمات القَطْعية ، ومُخالفة التَّوراة (العهد القديم) ، وتغيير شريعة المسيح التابعة لشريعة مُوسى ، بإقرار المسيح .

ثُمَّ قال بُطرُس ــ أو وُضِع الكلام على لسانه من أجل تفسير تلك المقولة ــ : ((ألا تُدرِكون بعد أن الطعامَ الذي يَدْخل الفمَ ينزل إلى البطن ثم يُطرَح إلى الخلاءِ ؟ أَمَّا ما يخرج من الفم فإنه من القلب يصدر وهو الذي يُنَجِّسُ الإنسانَ)) [مَتَّى ١٥ : ١٧و١٨] .

هذا النَّص محاولة خبيثة للتحايل على الحرام من أجل تحليله وشَرْعنته ، اتِّبَاعًا للأهواء والأمزجة والآراء الذاتية والمصالح الشخصية والمنافع المادية . والشخصُ الطَّيب يَختار الطعام الطَّيب لحرصه على النقاء الجسدي والروحيّ ، والطهارةُ تشمل الرُّوح والجسد معًا ، وهي كُلٌّ لا يتجزَّأ ، والعقلُ السليم في الجسم السليم . فهل يُعقَل أن شُرب الخمر أو التبغ أو أكل لحم الخِنزير لا تأثير له وأن تناوله كعدمه لأنه لا يُنجِّس الإنسانَ ؟. وكيف سيكون قلبٌ طَيِّبٌ في جسد خبيث عامر بالنجاسات والمُحرَّمات ؟ . كيف ستصدر كلمة الحق مِن جَسَد غُذِّيَ بالشرور والخبائثِ ؟. وكيف سينبعث الخيرُ مِن جِسم غارق في المُحرَّمات والنجاسات ؟ . إن فاقد الشَّيء لا يُعطيه ، وإنَّكَ لن تَجنيَ مِن الشَّوكِ العنبَ ، والغايةُ الشريفةُ يجب أن يكون الطريقُ إليها شريفًا. والغايةُ لا تُبَرِّر الوسيلةَ . حتى إن عَرَبَ الجاهلية عَبَدَةَ الأوثان والأصنام ، الوثنيين المقطوعين عن الوَحْي الإلهيّ ، والذين ليس لهم كتاب سماويٌّ ، حَرَّموا بَعْضَ الحيوانات تَقَذُّرًا واستقباحًا لها [٦٥] .

---

٦٥ روى الحاكم في المستدرَك(٤/ ١٢٨) وصحَّحه ووافقه الذهبي : عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما_قال: ((كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء، ويتركون أشياء تَقَذُّرًا، فبعث اللهُ تعالى نَبِيَّه ﷺ ، وأنزلَ كتابه، وأحلَّ حَلاله، وحَرَّمَ حَرامه،فما أَحَلَّ فهو حلال، وما حَرَّمَ فهو حرام، وما سكت عنه فهو عَفو)).

لقد حَكَّموا عقولهم في ظل غياب الشرائع. فالفِطرة والعقل لا يَقبلان أن يكون لحم الخنزير ولحم الضأن في نفس الرُّتبة، ولا تأثير لهما بحُجَّة أنهما " داخل إلى الإنسان وليس خارجًا منه ". أي عقلٍ يرضى أن يتساوى الماء النقي مع ماء المجاري ؟ وهل شُرب الشَّاي مثلًا كشرب الخُمر؟. هل من المعقول أنهما بلا تأثير لو دَخَلا جوف إنسان ؟ .

إن هذه الفوضى في العقائد النصرانية (المسيحية) تتعارض مع الفِطرة السليمة ، وتتصادم مع النصوص الدينية الصريحة ، وتتناقض مع العقل الصريح ، وهي ضِد المنطق السليم . وهذا الخلل في بُنية السياق اللغوي العَقَدي في الإنجيل البشري المُحرَّف ، يُنشِئ تياراتٍ فكرية منحرفة تُدخل الإنسانَ في متاهة صناعة مصطلحات خاطئة ، ومفاهيم مُلتبسة ، من شأنها تجذير فلسفة الوهم في العقول المُعتنقة لميثولوجيا الكتب الدينية المُحرَّفة الغارقة في الأوهام والخرافات والأساطير .

وفي الجهة المُقابلة حَرَصَ الإسلامُ على أن يتناول الإنسان الطيبات وأن يستمد قوته من مصدر حلال شرعي . قالَ اللهُ تعالى : ﴿ يا أيُّها النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأرْضِ حَلالًا طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ إنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [البقرة : ١٦٨] .

هذا توجيهٌ ربانيٌّ جليل بأن يأكل الناسُ الأطعمةَ الحلال التي أحلَّها الشَّرْعُ الإلهيُّ . وهذه الأطعمة الطيبة التي تتقبلها النَّفْسُ البشرية دون مشقة من شأنها توفير النفع واللذة والفائدة للعقل والجسم معًا . فما أحلَّه اللهُ سيكون في مصلحة الإنسان روحيًّا وماديًّا . وعلى الإنسان ألا يقتديَ بالشيطان في تحليل الحرام وتحريم الحلال . وَدَوْرُ الشيطان يتجلى في جعل الفرد ينحرف عن الطريق المستقيم، كي يصبح تائهًا بلا توجيه، يَحتكم إلى أهوائه الشخصية ، وأحكامِه العقلية القاصرة ، ومصالحه الشخصية الوهمية . يَمُنُّ اللهُ على عباده أن أباحَ لهم الطيبات ، فأمرهم بأن يأكلوا من الخيرات الطيبة الحلال الموجودة في الأرض . فلا يوجد ضيقٌ أو حَرج في تناول الطيبات ، فهي تُعين على العبادة ، وتبعث البهجة في النَّفْس ، فيستقبل الإنسانُ يومَه بإشراق وتفاؤل دون تحجير للرحمة الإلهية ، أو تحريم للطعام الحلال بدافع الزهد أو التقوى . فالتقوى في اتِّباع الأوامر الشرعية ، وليس في تحريم الحلال ، أو التضييق على النَّفْس وتعذيبها وحِرمانها من الطيبات . وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٧٧) : ((أباحَ لهم أن يأكلوا مِمَّا في الأرض في حال كَوْنه حلالًا مِن الله طَيِّبًا ، أي : مُسْتَطَابًا في نفْسه ، غير ضار للأبدان ولا للعقول)) اهـ .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ١٧٢) عن الآية : ((نزلت في ثَقِيف وخُزاعة وبني عامر بن صَعْصَعَة فِيما حَرَّموا على أنفسهم مِن الحَرْث والأنعام ... ، قاله ابن السائب)) اهـ .

وأهلُ الجاهلية كانوا مُولَعين بتحليل الحرام وتحريم الحلال ، وقد اخترعوا أحكامًا كثيرة ما أنزلَ اللهُ بِها مِن سُلطان، وربطوها بعقائدهم وعاداتهم ومصالحهم وحياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وهذا يعكس مدى التخلف العَقَدي نتيجة غياب الهداية الإلهية ، وغَبَشِ الوعي الإنساني . والقاعدةُ الفقهية الشهيرة تقول إن الأصل في الأشياء الإباحة . والمعنى : كُل شيء حلال ، ما لَم يَأتِ نصٌّ بتحريمه .

إن عملية الابتعاد عن الحلال الطيب والغرقِ في الحرام ، من شأنها تدمير الكيان الإنساني والقضاء على حياته الدنيوية ، وإضاعته يوم القيامة . فالحرامُ له تأثير سلبي للغاية على مسار حياة الفرد وعواطفه وطموحاته وإمكانياته . فهو يَحْرِمه التوفيق ، ويجعل صدرَه ضَيِّقًا حَرَجًا ، ويجعل نظرته للحياة غارقة في المادية الآنية والاستهلاكية الفَجَّة بلا هدف ولا مسار ولا مصير ، مِمَّا يُؤدِّي إلى تكوين سلوكيات منحرفة ، تُعمِّق أزمات الإنسان على الصعيدَيْن : المعنويِّ والماديِّ .

وفي صحيح مسلم (٢/ ٧٠٣): عن أبي هريرة_ رضي الله عنه_ قال : قال رسول الله ﷺ : ((أيها الناسُ ، إن اللهَ طَيِّبٌ لا يَقبل إلا طَيِّبًا ، وإن اللهَ أَمَرَ المؤمنين بما أَمَرَ بِه المُرسَلين ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[المؤمنون :٥١] . وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُم ﴾ [البقرة : ١٧٢] . ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجلَ يُطيل السَّفرَ، أشعثَ أَغبر ، يمدُّ يديه إلى السماء : يا رَب يَا رب ، ومَطْعَمُه حرامٌ ، ومَشْرَبُه حرام ، ومَلْبَسُه حرام ، وغُذِّيَ بالحرام ، فأنَّى يُستجابُ لذلك ؟)) .

إنَّ اللهَ طَيِّبٌ (قُدُّوس) مُنَزَّهٌ عن العُيوب والنقائص ، لا يَقبل إلا الأعمال الصالحة الطيبة . وأوامرُ اللهِ شاملةٌ للأنبياء المُرسَلين والمؤمنين على حَد سَواء، فاللهُ لا يُجامِل أولياءه ولا يُحابي أحَدًا. لقد أمرَ اللهُ جميعَ الناس بِتَحَرِّي الحلال والالتزام به ، والابتعاد عن الحرام ، لأن الحرام يُلوِّث الفردَ ، ويُدمِّر المجتمع . والحرامُ من شأنه أن يُعرِّض الإنسان لغضب الله تعالى ، ويُفقِده طُمأنينة الإيمان . فَيُصبح دُعاؤه مَرفوضًا غَير مُستجاب ، وهذا يقوده إلى الهاوية السحيقة على الصعيدين المعنوي والمادي، لأن الإنسان سيضيع إذا تخلى عنه اللهُ تعالى، فيفقد توازنه الروحي، ويغرق في مستنقع الحياة الدنيا ، بلا مسار ولا هدف ولا أمن ولا أمان ولا طُمأنينة ولا سلام .

وينبغي أن يكون الفردُ والمجتمع في غاية النقاء والطهارة . والحديثُ يُشير إلى ضرورة أن يَكون المَطعَم والمَشرَب والمَلبَس مِن الحلال الطَّيِّب ، لأن الحلال الطَّيِّب هو طريق استجابة الدُّعاء .

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم (٧/ ١٠٠) : ((قَوله ﷺ: " إن الله طَيِّب لا يَقْبَل إلا طَيِّبًا ". قال القاضي: الطَّيِّب في صِفة الله تعالى بمعنى المُنَـزَّه عن النقائص ، وهو بمعنى القُدُّوس. وأصل الطَّيب الزكاة والطهارة والسلامة مِن الخُبث.وهذا الحديث أحد الأحاديث التي هي قواعد الإسلام ومباني الأحكام ، وفيه الحث على الإنفاق من الحلال، والنهي عن الإنفاق مِن غَيره ، وفيه أن المشروب والمأكول والملبوس ونحو ذلك ينبغي أن يكون حلالًا خالصًا لا شُبهة فيه ، وأن مَن أرادَ الدُّعاء كان أولى بالاعتناء بذلك مِن غَيره. قَوله :" ثم ذَكَر الرَّجل يُطيل السَّفر أشعث أغبر يمدُّ يديه إلى السماء يا رَب يا رَب " إلى آخره، معناه والله أعلم أنه يُطيل السَّفر في وجوه الطاعات كحج وزيارة مُستحبة وصلة رَحِم وغَير ذلك.قَوله ﷺ:" وَغُذِّيَ بالحرام". قَوله ﷺ: " فأنَّى يُستجاب لذلك ؟ "، أي : مِن أين يُستجاب لِمَن هذه صفته ؟ ، وكيف يُستجاب له ؟)).

﴿ ولا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيطانِ إنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُبِين ﴾ .

كُل معصية لله هي مِن خُطوات الشيطان (آثاره) . فينبغي الالتزام بالطاعات ، والابتعاد عن المعاصي، وعدم السَّير في طُرق الشَّيطان، لأنه عدو ظاهر العداوة، يَجلب الشَّر للإنسان، ولا يُحِب له الخير. وقِيل : أظهرَ عداوته برفضه السجود لآدم ﷺ ، حيث حَسده ، وحقد عليه ، وعلى ذُرِّيته . واتَّباعهم لِخُطُوات الشَّيطان (سبيله ومَسلكه) أنهم كان يُحرِّمون أشياء أحَلَّها اللهُ ، ويُحلِّلون أشياء حرَّمها اللهُ . وهذا هو التلاعب بالشريعة الإلهية في أسوأ صُوَره وأقبح أشكاله .

وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٤٤٤):((﴿ ولا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيطانِ ﴾ . لا تَقتدوا به في اتِّباع الهوى ، فَتُحرِّموا الحلال ، وتُحَلِّلوا الحرام ... . ﴿ إنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُبِين ﴾ ظاهر العداوة عِند ذَوي البصيرة ، وإن كان يُظْهِر المُوالاة لِمَن يُغويه)) اهـ .

اعتنى الإسلامُ اعتناءً فائقًا بما يدخل إلى جوف الإنسان . فالتقوى عملية متكاملة تتضافرُ فيها جهود كل الجوارح . ولا يتم الوصول إلى النقاء إلا بتنقية الأرواح والقلوب والأبدان، فهذه علامة هامة على الخضوع لأوامر الله تعالى، مِمَّا يجعل المسلم جديرًا بأن يُستجاب دُعاؤه. وشَتَّان بين المنهج الإسلاميّ في تنقية الفرد وتطهيره روحيًّا وبدنيًّا ، وبين المناهج المنحرفة الغارقة في النجاسات ، وأكل المُحرَّمات . وقد تكاثرت الأيدي العابثة بنصوص الإنجيل تحريفًا وتبديلًا وحذفًا وإضافةً . ويدل ذلك على خضوع الدين النصراني للمصلحة والشهوة . والمنهجُ الإسلاميُّ المتكامل يقوم على إخضاع الرغبات والشهوات للنصوص الدينية المُقدَّسة ، دُون الالتفاف حَوْلها ولا التَّحايل عليها لتطويعها لخدمة النزوات البشرية . فالكتب السماوية وُجدت لِتُخْدَمَ لا لِتَخْدِمَ .

وهذه مُقارنة سريعة ، من أجل اكتشاف المناهج والقيم المُختلفة عند الأمم وأصحاب الأديان. والإنجيلُ البشريُّ المُحرَّف خليط من الحق والباطل . والقُرآن هو الحَكَم الحاكم . وإذا أدركنا المعنى السابق ، فلن نتعجَّب من وجود نصوص إنجيلية تكاد تتطابق مع نصوص القرآن ، لأن الحق لا يُعارِض الحقَّ . وفي المقابل هناك نُصوص مُتعارضة ومُختلفة ، لا يُمكن الجمع بينها ، ولا التوفيق بين مَعانيها ودَلالاتها ، لأن الحق في القرآن يَرفض الباطلَ في الإنجيل . والحقُّ أحق أن يُتَّبع . وعلى المرء أن يُطهِّر نَفْسَه من الأهواء الذاتية والمصالح الشخصية ، ويُكرِّس نَفْسَه للحق والحقيقة ، إذا أراد الوصولَ إلى الحق والصواب والخير فعليًّا ، لا شِعارًا صُوريًّا .

ولا تخفى أهميةُ الإلمام بالجوانب المحيطة بأي عمل ، فالعملُ ليس منفصلًا عن محيطه . والأشياءُ لا يمكن أخذها مُجْتَزَأةً ، ولا تناولها بشكل مُفرَّق ، لأن لها سياقًا فكريًّا ، ومُحيطًا اجتماعيًّا ، وزمنًا مُحَدَّدًا له طبيعة خاصة به ، ومكانًا محصورًا له مفاهيمه الخاصة .

والنَّصُّ التالي يُوضِّح الفِكرةَ : ((لا فَرْقَ بَيْنَ الزواج والزِّنا من ناحية التفاعلِ الجنسيِّ . ولكنْ ما الذي جَعَلَ الزَّواجَ حَلالًا والزِّنا حرامًا ؟ . المرأةُ المتزوِّجةُ تَمنح جَسَدَها لِرَجُلٍ ، والمُومِسُ تَمْنَحُ جَسَدَها لِرَجُلٍ ، فما الذي جَعل الناسَ يَحترمون الأُولَى ولا يَحترمون الثانية ؟ . إنَّها الشريعةُ التي وَفَّرَت الغِطاءَ الشَّرْعِيَّ للزواج ، وَسَلَبَتْهُ عَن الزِّنا . إنَّ الأمور لا تُؤْخَذ مُجْتَزَأةً ومُنْفَصِلَةً عَن سِياقِها الفكريِّ ومُحيطها الاجتماعيِّ . فالجوُّ العام الذي يُحيط بالأمور له تأثيرٌ بالغٌ . ويوجدُ مسائلُ كثيرةٌ خُلِقَتْ تابعةً لا تتمتعُ باستقلاليةٍ . فلا مَعْنَى لمنبع النهر بلا رَوافد ، ولا معنى للشَّجرة بِلا جُذور أو أغصان ، ولا مَعنَى للجزءِ الظاهر مِنَ الجبالِ دُون امتدادها في باطن الأرض ، ولا مَعْنَى للخِيَام بِلا أوتاد . والأشياءُ غَيْرُ المُكْتَفِيَةِ بِذَاتها ، مِنَ الخطأ اعتبارُها كيانًا مُسْتَقِلًّا وقائمًا بِذاته . إنَّ مَعرفة الكُلِّ الجمعيِّ لا تَتحقَّق إلا بمعرفة التفاصيل المرتبطة بهذا الكُلِّ)) [٦٦].

إن الشريعة هي التي تُوفِّر الغطاءَ الشرعي للأشياء والعلاقات . ولا يُمكن تجاهل أهمية الرؤية العامة والأهداف المُجمَلة والتفاصيل الدقيقة . ولن يجد الإنسانُ الحقَّ إلا إذا وضع الأمورَ في نِصابها الصحيح. أمَّا لَوْيُ أعناقِ النصوص، واجتزاؤها، وفصلها عن سياقها، وإفراغها من مُحتواها، فسوفَ يُؤدِّي إلى انحراف الإنسان ، وتطرُّفه ، ومُعاداته للحق . وقد يتوهَّم الإنسانُ أنه توصَّلَ إلى الحق الباهر والحقيقة الساطعة . وهذا الوَهْمُ (وَهْم المعرفة) أكثر خطورةً من الجهل .

---

٦٦ صرخة الأزمنة (سِفر الاعتراف) ، إبراهيم أبو عواد ، ص ١٩٠ ، دار الأيام للنشر والتوزيع، عَمَّان.

وينبغي القَول : لا فائدة مِن سُرعة الإنسان إذا كان يسير في الطريق الخاطئ . والمشكلةُ الجذرية في هذا السياق أن الكثيرين يَسيرون إلى الوراء سُعَداء فَرِحين ، ظَنًّا منهم أن خُطواتهم إلى الأمام. وهذا الوهمُ يَقتل رُوحَ الإنسان ، ويُدمِّر المُنجزات الحضارية ، وله تأثير سلبي على الفرد والجماعة والمجتمع ، لأنه _ أي الوهم _ عبارة عن مرايا مُتعاكسة ، تُحيل الحق إلى باطل ، وتَجعل اليقينَ شَكًّا ، مِمَّا يُؤدِّي إلى تحوُّل الأحلام الطموحة إلى كوابيس . وعندئذ ، يُصاب الناس بمرض الوهم القاتل، ويَهربون من مواجهة الحقيقة المُرَّة،ويتهرَّبون من علاج المشكلات والأزمات.

لقد تضافرت جهودُ علماء أهل الكتاب (اليهود والنصارى) على إزالة وصف النبيِّ محمد ﷺ مِن التَّوراة والإنجيل، حسدًا من عند أنفسهم، وكراهيةً لظهور الحق، واتِّباعًا لأهوائهم ومصالحهم ، وحِفاظًا على مُكتسباتهم المادية وزعامتهم ورئاستهم وسُلطتهم ونفوذهم . وسيكونون في غاية السعادة وقمة السرور لو رَدُّوا المؤمنين عن الحق. قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ من أَهْلِ الكِتَابِ لَو يَرُدُّونَكُم من بَعْدِ إِيمَانِكُم كُفَّارًا حَسَدًا من عِندِ أَنفُسِهِم من بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ ﴾ [البقرة: ١٠٩] . وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [الصَّف : ٦] .

إن تحريف كلام الله أكبر جريمة تُرتكب بحق الإنسانية . وكلامُ اللهِ المُوَجَّهُ إلى البشر الذين هُم عبيده ، حين تطاله يَدُ التحريف والتبديل والتغيير والتلاعب ، تنتكسُ البشرية ، وتَهْوي في الضلال السحيق ، وتغرق في أحقر مرتبة وأخس منزلة . وغالبيةُ البشر على كوكب الأرض ضائعون بلا هدف ، وسائرون في الطريق الخاطئ . وأهلُ الباطل يُنفِقون أموالهم لمُعاداة الخالق ، ومُحاربة دِينه (الإسلام) ، عن عِلْم أو عن جَهْل . وكَم مِن عَدُو لله ، يظن أنه عابد الله ، ويُنفِّذ أوامِرَه . إمبراطوريات وحضارات ودُوَل وبلادٌ بُيِّتَت لإعلان الحرب على الله تعالى . يعبدون آلهةً من دون الله ، صبغوها بالألوهية والرُّبوبية والقداسة ، ويسجدون لأهوائهم المُتَشعبة ، ثم يُسَمُّون ذلك إيمانًا وخلاصًا . وبالتأكيد ، لن تنفع النوايا الصالحة_ على فرض وجودها _ ، لأن النية الصالحة لا تُصلِح العملَ الفاسد ، وما بُني على باطل فهو باطل . كما أن الطريق إلى جهنم مُعبَّد بالنوايا الحسنة . وكَم مِن مُريد للخير لا يُصيبه ! .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ إنَّ الذينَ كَفروا يُنفِقُونَ أموالَهُم لِيَصُدُّوا عَن سَبيلِ اللهِ فَسَيُنفِقُونها ثُمَّ تَكُونُ عَلَيهم حَسْرَةً ثُمَّ يُغلَبُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٦] .

إن الذين أنكَروا وَحدانيةَ الله ، وجَحدوا نُبُوَّةَ محمد ﷺ ، يَصرفون أموالهم ، ويَبذلون الغالي والنَّفيس ، لمنع الناس مِن اعتناق الإسلام، والصَّد عن طريق الحق والهدى، بقتال النبيِّ ﷺ ومُحاربته، ومُحاولة اجتثاث دَعوته ، وتفريق أصحابه . فسيُنفقون هذه الأموال ، ثُمَّ تصير ندامةً عليهم ، لأن أموالهم تَذهب بدون تحقيق أيِّ هدف لهم . ستصيرُ عاقبة نفقتهم ندامةً وحسرةً لأنهم لَم يَظْفروا ، ولَم يُحقِّقوا مُرادهم في إعلاء كلمة الكفر على كلمة الله، وهزيمة الإسلام والمسلمين . إن اللهَ أعلى كلمته ، ورفع راية الإسلام ، ولا تُوجد قُوَّة تستطيع إطفاء نُور الإسلام . ومَن يُحاول إطفاء نُور الإسلام كمن يُحاول إطفاء نُور الشمس. ثُمَّ يُهزَم المشركون ويُغلَبون في الدنيا . وهذا إخبار بأمرٍ غَيْبِيٍّ، فنهايتهم هي الهزيمة والانكسار والاندحار. وهذا يدل على صِدق النبيِّ ﷺ، وأن القُرآن مِن عِند الله تعالى ، فقد أخبرَ اللهُ عن هذا الأمر قبل وُقوعه ، فكانَ كما أخبرَ . وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٤٠٦) : ((قال محمد بن إسحاق : حَدَّثني الزُّهري ومحمد بن يحيى بن حِبَّان وعاصم بن عُمر بن قَتادة والحُصَين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعيد ابن مُعاذ قالوا : لَمَّا أُصِيبت قُرَيش يوم بَدْر ، ورجع فلُّهم إلى مكة ، ورجع أبو سُفيان بِعِيره ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعِكرمة بن أبي جهل وصَفوان بن أُمَيَّة في رجال مِن قُرَيش، أُصِيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببَدْر، فكلَّموا أبا سُفيان بن حرب ، ومَن كانت له في تلك العِير مِن قُرَيش تجارة، فقالوا: يا مَعْشَرَ قُرَيش ، إن محمدًا قد وَتَرَكم ، وقَتل خِياركم ، فأعينونا بهذا المال على حَرْبه ، لَعَلَّنا أن نُدرِك مِنه ثأرًا بِمَن أُصِيب مِنَّا ، ففعلوا . قال: فَفِيهم كما ذُكِر عن ابن عباس أَنزلَ اللهُ عز وجل : ﴿ إنَّ الذينَ كَفروا يُنفِقُونَ أموالَهُم لِيَصُدُّوا عَن سَبيلِ اللهِ فَسَيُنفِقُونها ثُمَّ تَكُونُ عَلَيهم حَسْرَةً ثُمَّ يُغلَبُونَ ... ﴾ ، وكذا رُوِيَ عن مجاهد وسعيد بن جُبَير والحكم بن عُيَينة وقتادة والسُّدي وابن أبزى أنها نزلت في أبي سُفيان ونفقته الأموال في أُحُد، لقتال رسول الله ﷺ. وقال الضَّحاك : نزلت في أهل بَدْر . وعلى كُل تقدير ، فهي عامة ، وإن كان سبب نزولها خاصًا ، فقد أخبرَ تعالى أن الكفار يُنفِقون أموالهم لِيَصُدُّوا عن اتِّباع طريق الحق ، فسيفعلون ذلك ، ثُمَّ تذهب أموالهم ، ثُمَّ تكون عليهم حَسْرة ، أي ندامة ، حيث لَم تُجْدِ شيئًا ، لأنهم أرادوا إطفاء نور الله ، وظُهور كلمتهم على كلمة الحق ، واللهُ مُتِمُّ نُوره ولو كَرِهَ الكافرون ، وناصر دِينه ، ومُعلِن كلمته ، ومُظهِر دِينه على كُل دِين ، فهذا الخِزي لهم في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب النار ، فَمَن عاش مِنهم رأى بِعَينه ، وسمع بأُذنه ما يَسوؤه ، ومَن قُتِل مِنهم أو مات ، فإلى الخِزي الأبدي والعذاب السرمدي)) اهـ .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم أَلا نَعْبُدَ إِلا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُون ﴾ [آل عِمران : ٦٤] . يُقَدِّمُ القُرآنُ الحُجَجَ الدامغةَ ، والبراهين الباهرة . فقد دعا أهل الكتاب (اليهود والنصارى) إلى كلمةٍ عَدْلٍ يستوي أمامها الجميعُ بلا تمييز أو مُجامَلة . وهذه الكلمة التي ينبغي الاتفاق عليها من كل البشر _على اختلاف أديانهم وأجناسهم_ هي عبادة الله وَحْدَه، وعدم الشِّرك به ، وعدم اتخاذ البشر أربابًا من دون الله تعالى . فلا أحد يملك حقَّ التشريع والتحليل والتحريم سوى الله تعالى . وكلُّ ما عُبِد من دون الله تعالى هُم آلهة باطلة لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضَرًّا ، فلا مَعبودَ بحق إلا الله . وللأسف ، فقد عَبَد اليهودُ عُزَيْرًا ، وعَبَدَ النصارى المسيحَ ، واتَّخذوا أحبارَهُم ورُهبانهم أربابًا مِن دُون اللهِ تعالى ، أحَلُّوا لهم الحرامَ ، وحرَّموا عليهم الحلالَ . ومن يتفكر في هذه الدعوة العظيمة سيجد أنها مُنصِفة لا ظُلْمَ فيها ، ولا تغليب لأُناس على آخرين . فاللهُ تعالى هو خالق كلِّ الناس ، فعليهم أن يَعبدوه وَحْدَه ، وألا يُشرِكوا به . فلا يجوز عبادة محمد أو موسى أو عيسى _ عليهم الصلاة والسلام _، بل يتوجب عبادة الذي أرسلهم. والالتزامُ بهذا المبدأ الراقي سَيُوحِّد الناسَ على الحق ، ولا فضل لإنسان على إنسان إلا بالتقوى ، والتقوى سِرٌّ بين العبد وربِّه . وهذه الدعوة عالمية لأنها لا تختص بقَوم دون قَوم . فهي لا تجامل المسلمين على حساب أهل الكتاب ، لأن اللهَ خالقُ الجميع لا المسلمين وَحْدَهم. ولا تُنقِص من قَدْر التوراة والإنجيل، لأنهما كتابان سماويان_ في الأصل _ يُؤيِّدان القرآنَ مِثلما القُرآن يؤيِّدهما ، ولا تحطُّ من مَنْزلة موسى وعيسى _ عليهما الصلاة والسلام _ ، لأن الأنبياء كلهم دِينهم واحد ، يتشرفون بعبادة الله الذي أرسلهم لإخراج الناس من ظُلمات الجهل والكفر إلى نُور العِلم والإيمان. ولو كان محمد ﷺ كاذبًا لدعا الناس إلى عبادته مثل فِرْعَوْن ، أو طعن في موسى وعيسى لإعلاء مَنْزلته عليهما ، أو طعن في التوراة والإنجيل لبيان تفوُّق الكتاب الذي جاء به . لكن هذه الأمور لم تحدث، فقد كان النبيُّ ﷺ أشد المدافعين عن التوراة والإنجيل وموسى وعيسى _ عليهما السلام _. ولا يُقبَل الإسلام من أحد إلا إذا آمَنَ بالكُتب السماوية كُلِّها والأنبياءِ كُلِّهم . وهذا هو الأساس للدعوة الإسلامية العالمية الكَوْنية الشاملة لكل زمان ومكان .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم ﴾ . الخطابُ الإلهيُّ للنبيِّ ﷺ . قُل يا محمد لليهود والنصارى(أهل التَّوراة والإنجيل) : يا أهل الكتاب ، هَلُمُّوا إلى كلمة عادلة واضحة مستقيمة بيننا وبينكم ، فيها إنصاف من بعضنا لبعض ، ولا يَختلف فيها الرُّسل والكتب السماوية.

﴿ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ﴾ . أن نَعبد اللهَ وَحْدَه، بلا شريك، ولا نِد ، ولا صاحبة ، ولا ولد.وهذه هي الكلمة العادلة التي لا ظُلم فيها ولا جَوْر. و﴿ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ﴾ هي كلمة التَّوحيد.

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٩٤) : ((هذا الخطاب يَعُمُّ أهلَ الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم ﴿ قُل يا أهل الكتاب تعالَوْا إلى كلمة ﴾ والكلمة تُطلَق على الجملة المفيدة كما قال هَهُنا ، ثم وصفها بقوله : ﴿ سواء بيننا وبينكم ﴾، أي عَدْل ونَصَف _ يعني إنصاف _ ، نستوي نحن وأنتم فيها ، ثم فسَّرها بقوله : ﴿ ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ﴾ ، لا وثنًا ولا صليبًا ولا صنمًا ولا طاغوتًا ولا نارًا ولا شيئًا ، بل نُفرِد العبادةَ لله وَحْدَه لا شريك له ، وهذه دعوة جميع الرُّسُل)) اهـ .

﴿ وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللهِ ﴾ . ولا يُطيع بعضُنا بعضًا في معصية الله ، ولا يَسجد بعضُنا لبعض ، ولا يَعبد بعضُنا بعضًا ، كما عَبد اليهود عُزَيرًا ، وعبدَ النصارى المسيحَ ، وأطاعوا أحبارهم ورُهبانهم في تحليل الحرام ، وتحريم الحلال . فالتحليلُ والتحريم لله وَحْدَه ، وهُما من خصائص الأُلوهية، ولا علاقة للبشر بهما. والآيةُ توبيخ شديد لليهود الذين عبدوا عُزَيرًا ، والنصارى الذين عبدوا المسيحَ ، وكلاهما بشر ، يأكل ويشرب ويقضي حاجته وينام . وأيضًا ، توبيخ شديد لِمَن أطاعَ الرجالَ في دِين الله ، فَحَلَّلَ ما حَلَّلوه من الحرام ، وحرَّم ما حرَّموه مِن الحلال ، بلا دليل نقلي ، ولا حُجَّة عقلية . ومَن فَعَلَ هذا ، فقد اتَّخَذَ مَن قَلَّدَه إلَهًا وربًّا ومعبودًا مِن دون الله تعالى . والجديرُ بالذِّكر أن مظاهر العبودية لا يجوز صَرْفها لأحد من المخلوقين . واتخاذُ الناس بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله ، يحتمل عِدَّة مَعَانٍ . فاتِّباع عِلْية القوم (الأمراء والعلماء) في التحليل والتحريم بلا دليل هو نوع من عبادتهم، لأن تشريع الحلال والحرام بيد الله وَحْدَه . وهناك معنى مشهور مِثل عبادة النصارى للمسيح ﷺ ، فقد اتخذوه إلهًا ، وذلك لجهلهم وتحريفِ الإنجيل ، حيث دخلت فيه العوامل البشرية . ولا يَخفى أن سُوء تأويل النصوص الدينية أدَّى إلى كوارث عَقَدية ، وانحرافات أخلاقية .

وقد أمرَ اللهُ أهلَ الكتاب (اليهود والنصارى) في التَّوراة والإنجيل ، أن يَعبدوا اللهَ وَحْدَه ، لا شريك له . لكنهم خالفوا الأمرَ الإلهيَّ ، فَحَرَّفوا التَّوراةَ والإنجيلَ ، وأشركوا بالله تعالى . فقد اعتبرَ اليهودُ عُزَيْرًا ابن الله،واعتبرَ النصارى عيسى ابن الله.وجَحَدَ أهلُ الكتابِ نُبُوَّةَ محمدﷺ، وعَبدوا أحبارَهم ورُهبانهم. كما قالَ الله عنهم: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهُم أَرْبَابًا من دُونِ اللهِ ﴾ [التَّوبة: ٣١].أي إنهم أطاعوهم كما يُطاع الرَّبُّ تعالى،فأَحَلُّوا لهم الحرام، وحرَّموا عليهم الحلال.

وعن عَدِيِّ بنِ حاتِم قال : أتيتُ النبيَّ ﷺ وفي عُنُقي صَليبٌ مِن ذَهَب ، فقال : ((يا عَدِيُّ ، اطْرَحْ عَنكَ هذا الوَثَنَ)) ، وسَمِعْتُه يَقرأ في سُورة براءة : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهُم أَرْبَابًا من دُونِ اللهِ ﴾ ، قال : ((أمَا إنهم لَم يَكونوا يَعبدونهم ، ولكنهم كانوا إذا أحَلُّوا لهم شيئًا اسْتَحَلُّوه ، وإذا حَرَّموا عَليهم شيئًا حَرَّموه)) [٦٧].

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُون ﴾ . فإن رفضوا تَوحيدَ الله ، وأعرضوا عن هذه الدَّعوة العادلة المستقيمة المُنصِفة ، فأشهدوهم أنكم مُوحِّدون مُسلمون ، ثابتون على الإسلام (الدين السماوي الوحيد) ، ومُتمسِّكون به ، ومُقِرُّون لله بالوَحدانية والأُلوهية والرُّبوبية ، ومُخلِصون له الدِّين والعبادة والطاعة ، ومُنقادون لشريعة الله وأحكامه وأوامره ونَوَاهيه . وقد قامت عليهم الحُجَّة ، ولَزِمَتهم البَيِّنة ، وانقطعَ عُذرهم . والآيةُ تَدفع الجِدالَ والمُحَاجَجَة ، وتُثبِت أن النبيَّ محمدًا ﷺ وأصحابه على الطريق المستقيم ، ودِينهم هو اليقين الكامل الذي لا يَقبل الشَّك .

وقال القرطبي في تفسيره (٤/ ١٠٥): ((قَوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ أي : أعرَضوا عمَّا دُعُوا إليه ، ﴿ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ ، أي : مُتَّصفون بدين الإسلام ، مُنقادون لأحكامه ، مُعترفون بما لله علينا في ذلك من المِنَن والإنعام ، غير مُتَّخذين أحدًا ربًّا ، لا عيسى ولا عُزَير ولا الملائكة ، لأنهم بشر مِثلنا ، مُحْدَث كَحُدوثنا ، ولا نَقبل مِن الرُّهبان شيئًا بتحريمهم علينا ما لم يُحرِّمه اللهُ علينا ، فنكون قد اتَّخذناهم أربابًا)) اهـ .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٠ و٤٠١ و٤٠٢): ((قَوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ ﴾ فيه ثلاثة أقوال : أحدها أنهم اليهود ، قاله قتادة وابن جُرَيج والربيع بن أنس . والثاني وفد نَجْران الذين حَاجُّوا في عيسى ، قاله السُّدي ومُقاتل. والثالث أهل الكتابَيْن جميعًا ، قاله الحسن. وقال ابن عباس: نزلت في القِسِّيسين والرُّهبان ، فبعثَ بها النبيُّ ﷺ إلى جعفر وأصحابه بالحبشة ، فقرأها جعفر والنَّجاشي جالس وأشراف الحبشة ، فأمَّا الكلمة فقال المُفسِّرون : هي " لا إله إلا الله " . فإن قِيل : فهذه كلمات ، فَلِمَ قال : ﴿ كَلِمَةٍ ﴾ فعنه جوابان : أحدهما أن الكلمة تُعبِّر عن ألفاظ وكلمات. قال اللغويون: ومعنى" كلمة "كلام فيه شرح قصة وإن طال ... . والثاني أن المراد بالكلمة كلمات ، فاكتفى بالكلمة مِن كلمات.قَوله تعالى:﴿ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم ﴾

---

٦٧ رواه الترمذي في سُننه (٥/ ٢٧٨) برقم (٣٠٩٥) ، والبَيهقي في سُننه الكبرى (١٠/ ١١٦) برقم (٢٠١٣٧) ، والطبراني (١٧/ ٩٢) برقم (٢١٨) .

قال الزَّجاج : يعني بالسَّوَاء العَدْل ، وهو من استواء الشيء. ويُقال للعَدْل: سواء وسواء وسواء ... قَوله تعالى : ﴿ وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللهِ ﴾ فيه ثلاثة أقوال : أحدها أن سُجود بعضهم لبعض ، قاله عِكرمة . والثاني لا يُطيع بعضُنا بعضًا في معصية الله ، قاله ابن جُرَيج . والثالث أن نجعل غير الله ربًّا ، كما قالت النصارى في المسيح ، قاله مقاتل والزَّجاج)) اهـ .

إن القاعدة الأساسية العالمية هي عبادة الله وَحْدَه ، وعدم الإشراك به . ومن تفكَّرَ في هذه القاعدة الذهبية سيجد أنها منطقية ، ومتوافقة مع العقلِ والفِطْرة الإنسانية معًا . والمخلوقات كلها عاجزة مفتقرة إلى خالقها الذي أوجدها . إذن ، فالعبادةُ ينبغي أن تتوجَّه إلى الخالق العظيم الذي صَنَعَ الموجودات ، وليس إلى الموجودات. ولو جئنا إلى الحياة العامة لوجدنا أن مِن غَير المنطقي أن يتساوى الكرسي مع النَّجار الذي صنعه ، أو يتعادل الحديد مع الحدَّاد الذي شكَّله ، أو تتساوى اللوحة مع الفنان الذي رسمها . وهذه الأشياء كلها محصورة في عالم المخلوقات الناقصة العاجزة ، فكيف يتساوى المخلوقُ المصنوعُ مع الخالق الصانع ؟ . وكيف يُصبح المخلوقُ إلهًا وهو لا يَملك من أمره شيئًا ؟! . وكيف يصبح المخلوقُ ربًّا وهو لا يَقْدِر على حماية نفْسه من الموت ؟! . وإذا كانت هذه الآلهة لا تَستطيع حمايةَ نفْسها ، فكيف ستحمي المؤمنين بها ؟! .

ومن الأمثلة الواضحة في هذا السياق اعتقاد النصارى أن المسيحَ إلهٌ وقد تمَّ صلبُه . فإذا كان هذا الإله _ حَسَبَ اعتقاد النصارى _ لم يَقْدِر على حماية نفْسه من الصلب والإهانة ، فكيف سيحمي المؤمنين به ويدافع عنهم ؟! .

وفي تفسير البغوي (١/ ٤٩) : ((قال المُفسِّرون : [قَدِمَ وفدُ نَجْران المدينة فالْتَقَوْا مع اليهود ، فاختصموا في إبراهيم _ عليه السلام _ فزعمت النصارى أنه كان نصرانيًّا ، وهُم على دِينه وأَوْلَى الناس به ، وقالت اليهود : بل كان يهوديًّا ، وهُم على دِينه وأَوْلَى الناس به ، فقال رسول الله ﷺ: ((كِلا الفريقين بريء من إبراهيم ودِينه ، بل كان إبراهيم حنيفًا مُسلمًا ، وأنا على دِينه ، فاتَّبعوا دِينَه دِينَ الإسلام)) ، فقالت اليهود : يا محمد ، ما تريد إلا أن نتَّخذك رَبًّا كما اتخذت النصارى عيسى رَبًّا ، وقالت النصارى : يا محمد ، ما تريد إلا أن نقول فيك ما قالت اليهود في عُزَيْر ، فأنزلَ اللهُ تعالى : ﴿ قُل يا أهل الكتاب تعالَوْا إلى كلمة ﴾ _ الآية _])) اهـ .

والصراعُ بين اليهود والنصارى قديمٌ جدًّا . وعندما التقى وفد نَجْران (النصارى) مع اليهود تجادلوا بشأن إبراهيم ﷺ ، فهو أبو الأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ ، وكلُّ طرف يحاول تقديم إبراهيم مُمَثِّلًا لعقيدته ، وذلك من أجل نَيْل الشرعية الدينية ، والمشروعية الأخلاقية . وقد زعم

النصارى أن إبراهيم ﷺ كان نصرانيًّا ، وأنه منهم ، وهُم سائرون على عقيدته ، ويَحملون ميراثه النبويَّ ، وهم أحق الناس به لأنه يدين بالنَّصرانية _ حَسَب اعتقادهم _ . وزعَمَ اليهودُ _ كرَدَّة فِعْل _ أن إبراهيم ﷺ كان يهوديًّا ، وهُم تابعون له ، وهُم أَوْلَى الناس به .

وهذه المزاعم العريضة لا أساس لها من الصحة ، وهي مُضحكة ومُبكية في آنٍ معًا . إذ إن إبراهيم ﷺ وُجد قبل موسى وعيسى _عليهما الصلاة والسلام _ . وقد أُنزلت التوراةُ والإنجيل بعد إبراهيم ﷺ ، فكيف يَدين إبراهيم باليهودية أو النصرانية ؟!. المنطق يقول إن اللاحق تابعٌ للسابق ، وليس السابقُ تابعًا للاحق . وقد رَدَّ عليهم النبيُّ ﷺ ، وبيَّن لهم أن إبراهيمَ ﷺ كان حنيفًا مُسْلِمًا يَدين بالتَّوحيد ، ويَعبد اللهَ وَحْدَه بلا شريك. وكُل الأنبياء مسلمون ، لأن الدِّين عند الله الإسلام ، فالدِّينُ واحدٌ لا يتعدد ، أمَّا الشرائع فهي مختلفة باختلاف الزمان والمكان وطبيعة الناس.ومَن أرادَ السَّيْرَ على منهاج إبراهيمﷺ فَلْيَتَّبع الإسلامَ ، دينَ جميع الأنبياء ، والدِّينَ السماوي الوحيد .

وبما أن اليهود والنصارى يَفتقدون إلى البراهين ، ولا يَملكون حُجَّةً . فقد أخذوا يُلْقُون التُّهَمَ بلا دليل . فادَّعت اليهود أن محمدًا يريد أن يتخذه اليهودُ ربًّا، كما اتخذت النصارى عيسى رَبًّا . وزَعمَ النصارى (كرَدَّة فعل) أن محمدًا يريد أن يتخذه النصارى ابنًا لله تعالى ، وهذا ما قاله اليهود في عُزَيْر . فقد قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وقالت اليهودُ عُزَيْرٌ ابنُ الله ﴾[التَّوبة : ٣٠] .

وهذه التُّهم العريضة نابعة من الأهواء الشخصية لا المنهج العِلمي . إذ إن محمدًا ﷺ لم يَدْعُ الناسَ إلى عبادته ، أو اتخاذه شريكًا لله تعالى . ونصوصُ القُرآن والسُّنة ظاهرة للجميع ، وغير سِرِّية ، ويمكن للجميع أن يَطَّلع عليها . ولا يوجد فيها أي نَص يدعو إلى تأليه محمد أو أي مخلوق آخر .

والدعوةُ المُحمَّدية الإسلامية قائمة بالأساس على التَّوحيد ، أي عبادة الله وَحْدَه ، بلا شريك ، ولا نِد ، ولا صاحبة ، ولا ولد . وبدون التوحيد ، لا معنى لرسالات الأنبياء كُلِّها . ومَن عَبَدَ محمدًا ، أو اتَّخذه إلَهًا ، فهو كافر وخالد في النار ، وهو مُكذِّب بالقُرآن والسُّنة .

لقد دعا النبيُّ محمد ﷺ الناسَ جميعًا إلى توحيد الله (عبادته وَحْدَه بلا شريك) ، وأرسلَ الرسائل إلى المُلوك والحُكَّام والقادة. ومِن تلك الرسائل النبوية الشريفة الخالدة، رسالة النبيِّ ﷺ إلى هِرَقْل . وقد جاء فيها : ((بسم الله الرحمن الرحيم ، مِن محمد عبد الله ورسوله ، إلى هِرَقْلَ عَظيمِ الرُّوم ، سلامٌ على مَن اتَّبَعَ الهُدى . أمَّا بَعْد ، فإنِّي أدعوكَ بِدِعَايةِ الإسلام . أَسْلِمْ تَسْلَمْ ، وأَسْلِمْ يُؤتِكَ اللهُ أجرك مَرَّتَيْن ، فإن تَوَلَّيْتَ ، فعليكَ إثمُ الأريسيين . و﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى

كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم أَلا نَعْبُدَ إِلا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُون ﴾)) [٦٨] .

هذه الرسالة النبوية العظيمة تدل على سُلطة النبيِّ ﷺ ومكانته الجليلة ، فهو المُتَحَدِّث باسم الله ، وهو عبد الله ورسوله ، يُخاطب المُلوكَ والحُكَّامَ والزعماء ، بكل إيمان وثقة ، وبلا خَوف ولا تردُّد، ويَدعوهم إلى الإسلام (دِين التَّوحيد). وقد دعا النبيُّ ﷺ هِرَقْلَ عظيمَ الرُّوم بِدِعاية الإسلام، أي : بِدَعْوته ، وهي كلمة الشَّهادة ، التي يُدعَى إليها أهل المِلَل الكافرة . والتَّوحيدُ هو أصل الإسلام وأساسه وعُنوانه . والإسلامُ هو الدين السماويُّ الوحيد ، ولا يَقْبل اللهُ غَيْرَه . فإن أسلمَ هِرَقْل ، فله أجران ، واللهُ يُضاعف أجرَه بعدد أفراد شَعبه الذين سَيَقتدون به في اعتناق الإسلام ، ويسيرون على خُطاه . وإن أعرضَ هِرَقْلُ عن الإسلام ، ورفضَ الدَّعوة النبوية ، فهو يتحمَّل المسؤولية في الدنيا والآخرة ، وعليه إثم استمرار أتباعه وشعبه ورَعَاياه على الكفر والضلال والباطل ، لأنهم تابعون له ، وخاضعون لأمره ، ومُقتدون به ، فهو سيِّدهم وزعيمهم وقائدهم .

قال النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٢/ ١٠٧_ ١١٠) _ معَ بعض التصرُّف _ :

((في هذا الكتاب جُمَل من القواعد وأنواع من الفوائد مِنها : ١_ دُعاء الكفار إلى الإسلام قبل قتالهم ، وهذا الدعاء واجب ، والقتال قَبْله حرام ، إن لم تكن بلغتهم دعوة الإسلام ، وإن كانت بلغتهم ، فالدعاء مُستحب ، هذا مذهبنا . وفيه خلاف للسَّلَف . ٢_ وجوب العمل بخبر الواحد، وإلا فلم يكن في بَعْثه مع دِحْية فائدة ، وهذا إجماع مَن يُعْتَد به . ٣_ استحباب تصدير الكتاب ببسم الله الرحمن الرحيم ، وإن كان المبعوث إليه كافرًا . ٤_ يجوز أن يُسافر إلى أرض العدو بالآية والآيتين ونحوهما ، وأن يبعث بذلك إلى الكفار ، وإنما نهى عن المُسَافَرَة بالقرآن إلى أرض العدو أي بِكُلِّه ، أو بجملة منه ، وذلك أيضًا محمول على ما إذا خِيف وقوعه في أيدي الكفار. ٥_ يجوز للمُحْدِث والكافر مَس آية أو آيات يسيرة مع غَير القرآن . ٦_ إن السُّنة في المُكَاتَبَة والرسائل بين الناس أن يبدأ الكاتب بنفْسه، فيقول: من زيد إلى عمرو . ٧_ التَّوَقِّي في المُكَاتَبَة ، واستعمال الورع فيها فلا يَفْرُط ولا يُفرِّط . ولهذا قال النبيُّ ﷺ : " إلى هِرَقْلَ عَظيمِ الرُّوم " ، فلم يقل : مَلِك الرُّوم ، لأنه لا مُلك له ولا لِغَيره إلا بحُكم دِين الإسلام ، ولا سُلطان لأحد إلا لمن وَلَّاه رسول الله ﷺ ، أو وَلَّاه مَن أَذِنَ له رسول الله ﷺ بشرط . ولم يَقُل : إلى هِرَقْل فقط ، بل أتى

٦٨ متفق عليه. البخاري (٣/ ١٠٧٤) برقم (٢٧٨٢) ، ومسلم (٣/ ١٣٩٣) برقم (١٧٧٣) .

بنوع من المُلاطَفَة ، فقال : عظيم الروم . أي الذي يُعظِّمونه ويُقدِّمونه . وقد أمرَ اللهُ تعالى بإلانة القول لمن يُدعَى إلى الإسلام . ٨ _ استحباب البلاغة والإيجاز ، وتحرِّي الألفاظ الجَزْلة في المُكَاتَبَة ، فإن قوله ﷺ : " أَسْلِمْ تَسْلَمْ " في نهاية من الاختصار ، وغاية من الإيجاز والبلاغة وجمع المعاني ، معَ ما فيه من بديع التجنيس ، وشُموله لسلامته مِن خِزْي الدنيا بالحرب والسَّبْي والقتل وأخذ الديار والأموال ومن عذاب الآخرة ... . ٩_ إنَّ مَن أدركَ مِن أهل الكتاب نَبِيَّنَا ﷺ ، فآمنَ به فله أجران كما صَرَّحَ به هُنا . ١٠_ البيان الواضح أنَّ مَن كان سببًا لضلالة أو سبب منع مِن هداية كان آثمًا،لِقَولهﷺ:"وإن تَوَلَّيْتَ فإن عليك إثم الأريسيين"(رواية مسلم). ١١_ استحباب " أمَّا بَعْد " في الخُطَب والمُكَاتَبَات . قَوله ﷺ : " وإن تَوَلَّيتَ فإنَّ عَلَيْكَ إثمَ الأريسيين " . واختلفوا في المراد بهم على أقوال ، أصَحُّها وأشهرها أنهم الأكَّارون ، أي : الفلاحون والزَّراعون . ومعناه : أن عليك إثم رعاياك الذين يتَّبعونك ، وينقادون بانقيادك . ونبَّه بهؤلاء على جميع الرعايا، لأنهم الأغلب، ولأنهم أسرع انقيادًا ، فإذا أسلم أسلموا ، وإذا امتنع امتنعوا . وهذا القول هو الصحيح . قال أبو عُبَيد : ليس المراد بالفلاحين الزَّراعين خاصة ، بل المراد بهم جميع أهل مملكته . الثاني أنهم اليهود والنصارى وهُم أتباع عبد الله بن أريس الذي تُنسَب إليه الأروسية من النصارى ، ولهم مقالة في كُتب المقالات ويقال لهم الأروسيون. الثالث أنهم الملوك الذين يقودون الناس إلى المذاهب الفاسدة، ويأمرونهم بها. قَوله ﷺ:" أدعوك بِدِعاية الإسلام"،وهو بكسر الدال. أي : بِدَعوته ، وهي كلمة التوحيد . قَوله ﷺ : " سلامٌ على مَن اتَّبَعَ الهُدى". هذا دليل لمن يقول: لا يُبْتَدَأ الكافر بالسلام. وفي المسألة خِلاف، فمذهب الشافعي وجمهور أصحابه وأكثر العلماء أنه لا يجوز للمسلم أن يَبتدئ كافرًا بالسلام، وأجازه كثيرون من السلف.وهذا مردود بالأحاديث الصحيحة في النَّهْي عن ذلك . وجوَّزه آخرون لاستئلاف ، أو لحاجة إليه ، أو نَحْو ذلك)) اهـ .

إن هذه الرسالة النبوية الشريفة تعكس حرصَ النبيِّ ﷺ على تبليغ الدعوة الإسلامية كاملةً غَير منقوصة لكل الناس ، على اختلاف أجناسهم وأعراقهم ومكانتهم الاجتماعية. كما تُشير إلى حُسن الأسلوب في الدَّعوة ، حيث اللين والرِّفق ، بلا تطرُّف ولا خشونة في التعامل . وتُشير أيضًا إلى حِرص النبيِّ ﷺ على دَعوة عِلْية القَوم وزعماء الناس،إذ إن إسلامهم يعني إسلامَ أقوامهم وأتباعهم، ودخولهم جميعًا في دِين الله ورحمته ورِضوانه. والنبيُّ ﷺ لم يَسْعَ لمُخاطبة الحُكَّام والقادة والملوك من أجل مصلحة شخصية، أو وجاهة اجتماعية،أو إبراز نفْسه في عالم الرِّياء والشُّهرة والمجتمعات المخملية الراقية ، لأنه ﷺ كان ينظر إلى نعيم الآخرة الباقي ، ولا ينخدع بِحُطام الدنيا الفاني .

والنصارى غرقوا في عقائد التَّثليث الباطلة ، ورفضوا شريعة المسيح القائمة على تَوحيد الله ، وعبادته وَحْدَه ، بلا شريك ، ولا نِد ، ولا صاحبة ، ولا ولد . وسببُ كفرهم وضلالهم هو الإنجيل البشري المُحرَّف ، الذي تغلغلت فيه العقائد الوثنية ، والانحرافات الدينية والفكرية والأخلاقية .

قال حاجي خليفة في كشف الظنون (١/ ١٧٥) : ((الإنجيل : كتاب أنزله الله سُبحانَه وتعالى ، على عيسى بن مريم عليهما السلام . وذكر في (المواهب) : أنه أُنزِل باللغة السِّريانية ، وقُرِئ على سبع عشرة لغة. وفي (البخاري) في قصة وَرَقَة بن نَوْفَل ما يدل على أنه كان بالعِبرانية. وعن وَهْب بن مُنبِّه : أُنزِل الإنجيل على عيسى عليه السلام لثلاث عشرة ليلة من رمضان ، على ما في (الكشَّاف) . وقِيل : لثمان عشرة ليلة خلت منه ، بعد الزَّبُور بألف عام ومائتي عام . واخْتُلِف في : أنه هل نَسَخَ حُكْمَ التوراة ؟ . فقِيل : إن عيسى عليه السلام لم يكن صاحب شريعة لمَّا جاء لتبديل شرع موسى عليه السلام بل لتكميله . لكن في (أنوار التنزيل) ما يدل على أن شَرْعه ناسخ لشرع موسى عليه السلام ، لأنه أتى بما لم يأته موسى عليه السلام . وأول الإنجيل : (باسم الأب والابن ... إلخ) . والذي بأيديهم : إنما هو سيرة المسيح ، جمعها أربعة ، وهُم : مَتَّى ، ومَرْقُس ، ولُوقَا ، ويُوحَنَّا . قال صاحب (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب) : وهؤلاء الذين أفسدوا دين عيسى عليه السلام ، وزادوا ونقصوا ، وليسوا من الحواريين الذين أثنى الله تعالى عليهم في القرآن . أمَّا مَتَّى : فما أدركَ عيسى ولا رآه قَط ، إلا في العام الذي رفعه الله تعالى إليه . وبعد أن رُفع كَتب مَتَّى الإنجيلَ بِخَطِّه في مدينة الإسكندرية ، وأخبر فيه بمولد عيسى عليه السلام وسيرته ، وغَيره لم يَذكر ما ذَكَرَه . وأمَّا مَرْقُس فما رأى عيسى عليه السلام قَط ، وكان تَنَصُّره بعد الرَّفْع ، وتَنَصَّرَ على يد بترو الحواري ، وأخذ عنه الإنجيل بمدينة رومة ، وخالف أصحابه الثلاثة في مسائل جَمَّة . وأمَّا لُوقَا فلم يُدرِك عيسى عليه السلام ، ولا رآه البَتَّة ، وإنما تَنَصَّرَ بَعْدَه على يد بُولُس ، مُعرَّب : باولوس الإسرائيلي ، وهو أيضًا لم يُدرك عيسى عليه السلام ، بل تَنَصَّرَ على يد أنانيا ... . وأمَّا يُوحَنَّا [٦٩] ، فهو ابن خالة عيسى عليه السلام ، وزعم النصارى أن

---

٦٩ كان الرأي المعتمد في العصور الماضية ، هو اعتبار يُوحَنَّا (صاحب إنجيل يُوحَنَّا) ابن خالة عيسى عليه السلام.وهذا الإنجيلُ المزوَّر نسبته الكنيسة إلى يُوحَنَّا بن زَبَدي. وبحسَب التقليد النصراني(المسيحي) فإنه كاتب إنجيل يُوحَنَّا ، لذلك يُلقَّب بالإنجيلي ، وكاتب الرسائل الثلاث التي تُنسَب إليه ، وأخيرًا كاتب سِفْر الرُّؤيا .

عيسى عليه السلام حَضَرَ عُرْسَ يُوحَنَّا ، وأراه تَحَوُّلَ الماء خمرًا ، وهو أول معجزة ظهرت له ، فلمَّا رآه ، ترك زوجته وتبع عيسى عليه السلام في دِينه وسياحته ، وهو الرابع مِمَّن كتب الإنجيل ، لكنه كَتبه بالقلم اليوناني في مدينة أفَسُوس . وهؤلاء الأربعة الذين جعلوا الإنجيل أربعة وحرَّفوها وبدَّلوها وكذبوا فيها . وأمَّا الذي جاء به عيسى عليه السلام إلا إنجيل واحد ، لا تدافُع فيه ، ولا اختلاف ، وهؤلاء كذبوا على الله سُبحانَه وتعالى ، وعلى نَبِيِّه عيسى عليه السلام ، وما هو معلوم ، والنصارى على إنكاره . فأمَّا كذبهم : فمنه ما قال مَرْقُس في الفصل الأول من إنجيله : أن في كتاب إشَعْيا النبيِّ عن الله تعالى يقول : إني بَعثتُ مَلِكي أمام وجهك ، يريد وجه عيسى عليه السلام . وهذا الكلام لا يوجد في كتاب إشَعْيا ، وإنما هو في كتب ملخيا النبيِّ . ومنه ما حكى مَتَّى في الفصل الأول ، بل الثالث عشر من إنجيله : أن عيسى عليه السلام قال : يكون جسدي في بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال بعد مَوْتي ، كما لبث يُونُس في بطن الحوت ، وهو من صريح الكذب ، لأنه وافق أصحابه الثلاثة : أن عيسى عليه السلام مات في الساعة السادسة من يوم الجُمُعة ، ودُفِن في أول ساعة من ليلة السبت ، وقام من بين الموتى في صبيحة يوم الأحد ، فَبَقِيَ في بطن الأرض يومًا واحدًا وليلتين . ولا شك في كذب هؤلاء الذين كتبوا الأناجيل في هذه المسألة ، لأن عيسى عليه السلام لم يُخبِر عن نفْسه ، ولا أخبرَ اللهُ سُبحانَه وتعالى عنه في إنجيله بأنه يُقتَل ويُدفَن ، بل هو كما أخبر اللهُ سُبحانَه وتعالى في كتابه العزيز أنهم : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُم وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنهُ مَا لَهُم بِهِ مِن عِلْمٍ إلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَفَعَهُ اللهُ إِلَيهِ ﴾ . فلعنة الله على الكاذبين . ولذلك اختلف النصارى بعده وتفرَّقوا فِرَقًا ، وعقائدهم كُلها كذب وكفر وحماقة عظيمة . وفي أناجيلهم من تبكيتهم : ما هو مذكور في (تحفة الأريب) . وأيضًا القواعد التي لا يرغب عنها منهم إلا القليل ، وعليها إجماع جمعهم الغفير ، وهي التغطيس ، والإيمان بالتثليث ، واعتقاد التحام أُقنوم الابن في بطن مَرْيم ، والإيمان بالفطيرة ، والإقرار بجميع الذنوب للقِسِّيس ، وهي خمس قواعد بُنِيَت النصرانية عليها ، كلها كذب وفساد وجهل ، عَصَمَنا اللهُ تعالى عنها)) .

الإنسان أمام الله

الإنسانُ لفظٌ مُشتقٌ من الكلمة " أَنِسَ " ، ومعناها : سَكَنَ وفَرِحَ ، وهي نقيض التوحش . وهذا يلزم أن يكونَ ظاهرًا غير مُستتِر. والقرآنُ ذَكَرَ كلمة " الإنس " في مقابل كلمة " الجِن " التي تدل على الخفاء والاستتار وعدم الظُّهور. قال اللهُ تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إلا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذَّاريات: ٥٦] [٧٠]. أي : إن الغاية من خَلْق الخَلْق هي عبادة الله وَحْدَه ، لا شريك له ، والتزام أوامره ، واجتناب نَوَاهيه ، وليس جمع حُطام الدنيا الفاني ، أو الانهماك في الشهوات والملذات . وهذا لا يتعارض مع عدم عبادة الكافرين ، لأن الغاية لا يَلزم وجودها . لقد خَلَقَ اللهُ السُّعداءَ مِن الجِن والإنس للإيمان به وعبادته وطاعته ، ومصيرهم الجنة . وخَلَقَ الأشقياءَ مِنهم للكفر به ، ومعصيته ، ومصيرهم النار .

---

٧٠ قال البغوي في تفسيره (١/ ٣٨٠) : ((قال الكلبي والضَّحاك وسُفيان : هذا خاص لأهل طاعته من الفريقين ... وقال بعضهم : وما خَلقتُ السُّعداءَ مِن الجن والإنس إلا لعبادتي ، والأشقياء منهم إلا لمعصيتي. وهذا معنى قول زيد بن أسلم . قال : هو على ما جُبِلوا عليه من الشَّقاوة والسعادة . وقال عليُّ ابن أبي طالب ﴿ إلا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي : إلا لآمرهم أن يعبدوني وأدعوهم إلى عبادتي ... وقال مجاهد : إلا ليعرفوني . وهذا أحسن ، لأنه لو لم يخلقهم لم يُعرَف وجوده وتوحيده ... وقيل : معناه إلا ليخضعوا إليَّ، ويتذللوا . ومعنى العبادة في اللغة : التَّذَلُّل والانقياد ، فكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله ، مُتَذَلِّل لمشيئته ، لا يملك أحد لنفْسه خروجًا عمَّا خُلِق عليه . وقيل : ﴿ إلا لِيَعْبُدُونِ﴾ إلا لِيُوَحِّدُونِي . فأمَّا المؤمن فيُوحِّده في الشِّدة والرخاء، وأمَّا الكافر فيُوحِّده في الشِّدة والبلاء دون النِّعمة والرخاء)) اهـ . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢ و٤٣) : ((واختلفوا في هذه الآية على أربعة أقوال : أحدها إلا لآمرهم أن يعبدوني، قاله عليُّ بن أبي طالب، واختاره الزَّجاج . والثاني إلا لِيُقِرُّوا بالعبودية طَوْعًا وكَرْهًا، قاله ابن عباس ... والثالث أنه خاص في حق المؤمنين. قال سعيد بن المسيِّب : ما خَلَقْتُ مَن يعبدني إلا لِيَعبدني . وقال الضَّحاك والفَرَّاء وابن قُتَيبة : هذا خاص لأهل طاعته. وهذا اختيار القاضي أبي يعلى ، فإنه قال : معنى هذا الخصوص لا العموم ، لأن البُلْه (جمع أبله) والأطفال والمجانين ، لا يدخلون تحت الخطاب ، وإن كانوا من الإنس ، فكذلك الكفار يخرجون من هذا ... . فمن خُلِق للشقاء ولجهنم لم يُخْلَق للعبادة . والرابع إلا ليخضعوا إليَّ ويَتَذَلَّلوا. ومعنى العبادة في اللغة: الذُّل والانقياد.وكل الخلق خاضع ذليل لقضاء الله عَزَّ وَجَلَّ،لا يملك خروجًا عمَّا قضاه اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.هذا مذهب جماعة من أهل المعاني)).

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُم هُوَ وَقَبِيلُهُ مِن حَيْثُ لا تَرَوْنَهُم ﴾ [الأعراف : ٢٧] [٧١].

إن الجِن والشَّياطين يَرَوْنَكم من الجهة التي لا تَرَوْنَهم مِنها ، ويُبصِرونكم من الناحية التي لا تُبصِرونهم مِنها ، وذلك بسبب لطافة أجسادهم أو عدم ألوانهم . وإذا كان العدوُّ يَرى الإنسانَ ، والإنسان لا يَراه ، فهذا يدل على أنه عدو شديد الخطورة . ورُؤيةُ الجن والشَّياطين للبشر مِن حَيث لا يَرَوْنَهُم ، لا يَلزم منه امتناع رُؤيتهم وتمثُّلهم للبشر . إن الجِن موجودون ، وقد يراهم بعضُ البشر . ورُؤيةُ الجن لَيست مُحَالًا . وفي زاد المسير (٣/ ١٨٤) : ((قال مجاهد : قَبِيلُهُ الجِن والشياطين . قال ابن عباس : جَعلهم اللهُ يَجْرُون من بني آدم مجرى الدم ، وصدور بني آدم مساكن لهم ، فهم يَرَوْنَ بني آدم ، وبنو آدم لا يَرَوْنَهُم)) اهـ .

وفي [مَتَّى ١٢ : ٤٥] : ((فيَذهَب ، ويُحضِر معه سبعة أرواح أخرى أكثر شرًّا ، فتدخل جميعًا وتسكن ذلك الإنسان)) اهـ .

إن النصوصُ تُبرِز معنى الخفاء وعدم الظهور للجِن ، وإن كان نَصُّ مَتَّى يتناول الشياطين الذين هم قِسْمٌ من الجِن . فقوله : " أكثر شرًّا " يدل على الشياطين خاصةً . والجِنُّ فيهم المؤمن والكافر، والشياطين لا يكونون إلا كُفَّارًا . والخلاصة هي الاتِّفاق على موضوع الظُّهور للإنس ، والخفاء للجِن. والجديرُ بالذِّكر أن كلمة " إنسان " تُطلَق على ذلك الجنس البشري الحي المُفكِّر، المُؤهَّل للخِلافة في الأرض ، وتحمُّل تَبِعات التكاليف ، والقيام بواجب الأمانة التي تحمَّلها ، فهو ليس مُجرَّد بَشَر يأكل الطعام ، ويشرب الماء ، ويمشي في الأسواق ، وينام ، ويَستيقظ ، ويموت.

---

٧١ قال القرطبي في تفسيره (٧/ ١٦٥) : ((قال بعض العلماء : في هذا دليل على أن الجِن لا يُرَوْنَ لقوله : ﴿ مِن حَيْثُ لا تَرَوْنَهُم ﴾. وقيل: جائز أن يُرَوْا ، لأن الله تعالى إذا أراد أن يُرِيَهم كشفَ أجسامهم حتى تُرى. قال النَّحاس : ﴿ مِن حَيْثُ لا تَرَوْنَهُم ﴾ يدل على أن الجِن لا يُرَوْنَ إلا في وقت نبيٍّ ليكون ذلك دَلالة على نُبُوَّته ، لأن الله ــ جَلَّ وَعَزَّ ــ خلقهم خَلْقًا لا يُرَوْنَ فيه، وإنما يُرَوْنَ إذا نُقِلوا عن صُوَرهم، وذلك من المعجِزات التي لا تكون إلا في وقت الأنبياء ــ صلوات الله وسلامه عليهم ــ . قال القُشَيري : أجرى اللهُ العادةَ بأن بني آدم لا يَرَوْنَ الشياطين اليوم)) اهـ . وقال الشَّوكاني في فتح القدير (٢/ ٢٨٨): ((وقد استدل جماعة من أهل العِلم بهذه الآية على أن رؤية الشياطين غير ممكنة ، وليس في الآية ما يدل على ذلك . وغاية ما فيها أنه يرانا من حيث لا نراه ، وليس فيها أنَّا لا نراه أبدًا ، فإن انتفاء الرؤية مِنَّا له في وقت رؤيته لنا لا يستلزم انتفاءها مُطْلَقًا)) .

والتكريمُ حاصلٌ للإنسانِ كإنسان ، سَواءٌ كان مُسْلِمًا أم كافرًا . قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَلَقَد كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُم فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُم عَلَى كَثِيرٍ مِمَّن خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء : ٧٠] .

إن التكريم الإلهيَّ للإنسان عامٌّ يشمل البَرَّ والفاجرَ ، والمسلمَ والكافر . وهذا من فضل الله على بني آدم ، فقد منحهم الشكلَ الحسن ، وأعطاهم العقلَ والقدرةَ على التمييز والتخيُّل ، وزوَّدهم بالأعضاء والحواس ، وسخَّر لهم الكائنات الحية ، وبسط لهم الأرضَ وجعلها صالحةً للحياة كَي يعيشوا فيها بسعادة دون مُنغِّصات.وكُل البشر باعتبارهم بشرًا تحت فضلِ الله ورحمته .

والإنسانُ يَمشي مُنْتَصِبًا على رِجْلَيْه ، ويأكل بيديه، على عكس الحيوانات التي تزحف أو تمشي على أربع ، وتأكل بفمها . وهذا من مظاهر التكريم الباهرة الواضحة للعِيان. ولكنَّ الإنسان مِن فَرْط تعوُّده على رؤية الأشياء ببصره ، لم يعد قادرًا على رؤيتها ببصيرته. وفي الدُّر المنثور (٥/ ٣١٦) : [وأخرج الحاكم في التاريخ والدَّيلمي عن جابر بن عبد الله _ رضي الله عنه _ قال : قال رسول الله ﷺ في قَوْله : ﴿ ولقد كَرَّمْنا بني آدم ﴾، قال: ((الكرامة الأكل بالأصابع))] .

وقضيةُ الأكل بالأصابع لَيْست قضيةً بسيطة أو عادية ، فهي تكريمٌ للإنسان ، وتمييز له عن الحيوانات التي تأكل بفمها . وهذا يدل على رُقِيِّ الإنسان ، وعُلُوِّ مكانته ، ووجوده في قمة هَرَم الكائنات الحية . وقال القرطبي في تفسيره (١٠/ ٢٥٤) : ((كَرَّمْنا تضعيف كرم ، أي : جعلنا لهم كَرَمًا ، أي شرفًا وفضلًا . وهذا هو كَرَم نَفْي النُّقصان لا كَرَم المال . وهذه الكرامة يدخل فيها خَلْقهم على هذه الهيئة في امتداد القامة ، وحُسن الصورة ، وحَمْلهم في البَر والبحر)) اهـ .

وقد سَخَّر اللهُ للإنسان الدواب كي تَحْمله لقضاء حوائجه ، وتحقيق مصالحه . وأيضًا ، تَمَّ تسخير السُّفن للإنسان لتحمله في البحر . وكلُّ هذا يتم بيُسر وسلاسة دون عوائق ولا موانع .

وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٤٥٧) : ((... أو حَمَلْناهم فيهما حتى لم تُخسَف بهم الأرض ، ولم يُغرقهم الماء)) اهـ . واللهُ تعالى قد رَزق الإنسانَ مِن الطَّيِّبات (المأكولات الشَّهية ، والمشروبات اللذيذة ، والملبوسات الأنيقة) . وكُلها حلالٌ طَيِّب ، تَجلب المنفعةَ للإنسان ، وتُسهِّل عليه الحياة . وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٧٢) : ((أي من زروع ثمار ولحوم وألبان من سائر أنواع الطُّعوم ، والألوان المُشتهاة اللذيذة ، والمناظر الحسنة ، والملابس الرفيعة من سائر الأنواع على اختلاف أصنافها وألوانها وأشكالها، مِمَّا يصنعونه لأنفسهم ، ويَجلبه إليهم غيرهم من أقطار الأقاليم والنواحي)) اهـ .

وهذه النِّعَمُ الجليلةُ التي يَغرق فيها البشرُ لا تتوفر لكثير من المخلوقات . وهذا يُشير إلى أفضلية البشر على كثير من المخلوقات ، فهُم أفضل من البهائم والوحوش . ولكنَّ البشر لَيْسوا أفضل من كُل المخلوقات . فالأفضليةُ لَيْست مُطْلَقة .

وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٤٥٧): ((﴿ وفَضَّلناهم على كَثير مِمَّن خَلَقْنا تفضيلًا ﴾ [٧٢]، بالغَلبة ، والاستيلاء ، أو بالشرف والكرامة. والمُستثنَى جِنس الملائكة_ عليهم الصلاة والسلام _ أو الخواص منهم)) اهـ .

وفي [مَتَّى ٥ : ٤٥] قال المسيح : ((فإنه يُشرقُ بشمسه على الأشرار والصالحين ، ويُمطر على الأبرار وغير الأبرار)) اهـ .

إن اللهَ كرَّم الإنسانَ كإنسان ، مهما كانَ دِينه وعقيدته ومَذهبه ، واللهُ يُشرِق بشمسه على جميع الناس بلا تمييز ، ويُمطِر على الصالحين والطالحين بلا تَفرِقة . وهذا يدل على كَرَم الله ، وتفضُّله على خَلْقه ، وإنعامه عليهم ، ورحمته بهم ، وإحسانه إليهم .

واللهُ لم يَجعل المُسلمَ يمشي على قدميه، والكافر يزحف على بطنه . ولم يَجعل الطائعَ يأكل بيديه ، والعاصي يأكل بفمه . لقد خلقهم جميعًا (مؤمنهم وكافرهم) في أحسن صورة ، وأجمل هيئة ، وزوَّدهم بنفْس الأجهزة والأعضاء والجوارح والحواس . وذلك لكي يُقيمَ اللهُ الحُجَّةَ على عباده ، ويَقطع أعذارهم . ولو لم يكن الأمر كذلك ، لجاءَ الكافرُ يوم القيامة حاملًا كومةَ أعذار، يقول لِرَبِّه الكريم : لو خَلَقْتَ لي عقلًا لكنتُ آمنتُ بك ، ولو جَعلتَ لي أُذنين لأصغيتُ إلى كلامك ، ولو أعطيتني عينين ، لرأيتَ آياتك وآثار صُنعك ، ولو خَلقتَ لي فمًا لدعوتُ إليك ، وهكذا . واللهُ قد أقام الحُجَّةَ على الإنسان ، وأغلقَ طريق الأعذار أمامه . والإنسان مَجْزِيٌّ بما يفعل ، إنْ خَيْرًا فخير ، وإن شَرًّا فَشَرٌّ .

---

٧٢ قال الشوكاني في فتح القدير (٣/ ٣٥٠): ((وقد شُغل كثير من أهل العِلم بما لم تكن إليه حاجة ولا تتعلق به فائدة، وهو مسألة تفضيل الملائكة على الأنبياء، أو الأنبياء على الملائكة. ومن جُملة ما تمسَّك به مُفضِّلو الأنبياء على الملائكة هذه الآية،ولا دَلالة لها على المطلوب لِمَا عرفت من إجمال الكثير وعدم تبيينه. والتعصُّب في هذه المسألة هو الذي حَمل بعض الأشاعرة على تفسير الكثير هنا بالجميع ، حتى يتم له التفضيل على الملائكة . وتمسَّك بعض المعتزلة بهذه الآية على تفضيل الملائكة على الأنبياء ، ولا دَلالة بها على ذلك ، فإنه لم يقم دليل على أن الملائكة من القليل الخارج عن هذا الكثير)) .

ومِن آثار الرحمة الإلهية ، أن جَعَلَ اللهُ الإنسانَ حسن الصورة ، مُنتصب القامة ، قادر على استخدام عقله لتحصيل قُوت يَوْمه، ويستطيع نُطق الكلام واستقباله وفهمه ، والتَّصَرُّف وَفْق ذلك. وقد فضَّل اللهُ البشر على الحيوانات،فالحيوانُ يتناول طعامه بفمه، أمَّا الإنسان فإنه يَرفعه إليه بيده.

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ بَلِ الإنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (١٥) ﴾ [القيامة].

إن الإنسانَ شاهدٌ على نفسه ، تَشْهدُ عليه جوارحُه وحواسُّه . ولو جاء بكل الأعذار لتبرير جرائمه، فإن ذلك لا يَنْفعه، لأنه يَشْهد على نفْسه، ولا يُمكنه الهرب من أعضائه. وأيضًا ، لا فائدة من محاولة إخفاء آثامه، وارتكاب جرائمه خلف الأبواب المُغلَقة، فكُلُّ شيء مكشوفٌ يوم القيامة.

والإنسانُ يَعلم أقوالَه وأفعالَه وذنوبه وآثامه ومَعَاصيه ، وهو شهيدٌ على نفْسه ، حتى لو اعتذرَ عن أعماله السَّيئة وأنكرَ مَعَاصيه ، لا يُقبَل مِنه ، والحُجَّةُ مُقامة عليه . والإنسانُ حُجَّةٌ على نفْسه ، وسَوْفَ يَدِين نَفْسَه بنفْسه . وجوارحه ناطقة بأحواله وتفاصيل حياته .

والهاءُ في ﴿ بَصِيرَةٌ ﴾ للمُبالَغة ، أو على معنى : عَين بصيرة .

وقال الواحدي في الوجيز (١/ ١١٥٤) : ((أي: شاهد عليها بعملها، يَشهد عليه جوارحه، وأُدخلت الهاء في البصيرة للمُبالَغة . وقِيل : لأنه أراد بالإنسان الجوارح)) اهـ. وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٨ / ٤٢٠ و٤٢١) : ((قَوله تعالى : ﴿ بَلِ الإنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ . قال الفَرَّاء: المعنى: بل على الإنسان مِن نفْسه بصيرة، أي: رُقَباء يَشْهدون عليه بعمله ، وهي الجوارح. قال ابن قُتَيبة: فلمَّا كانت جوارحه مِنه أقامها مَقامه. وقال أبو عُبَيدة: جاءت الهاء في ﴿ بَصِيرَةٌ ﴾ في صفة الذَّكَر كما جاءت في رَجل راوية و طاغية وعلَّامة . قَوْله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾ . في المَعاذير قَوْلان : أحدهما أنه جمع عُذر ، فالمعنى : لو اعتذرَ وجَادَلَ عن نفْسه ، فَعَلَيْه مَن يُكذِّب عُذْرَه، وهي الجوارح. وهذا قول الأكثرين . والثاني أن المعاذير جمع مِعذار وهو السِّتر ، والمعاذير السُّتور ، فالمعنى : ولو أرخى سُتوره ، هذا قول الضَّحاك والسُّدي والزَّجاج)) اهـ .

والمُضحكُ المُبكي أن الإنسان بصيرٌ بعيوب غَيْره ، جاهل بعيوب نفْسه . ولو اشتغلَ بتصحيح أخطائه ، وإزالةِ عيوبه ، لَمَا وَجد وقتًا لمراقبة الناس وتصنيفهم إلى صالحين وفاسدين . وكما قِيل :

ولا تكن لِعُيوب الناس مُنتقِدًا	وإن يَكن ظاهرًا بين الوجود بَدَا
وانظرْ بعَين كمال لا تَعِبْ أحدًا	ولا تَرَ العَيبَ إلا فِيكَ مُعتقِدا

وفي الحديث : " طُوبى لِمَن شَغَلَه عَيْبُه عن عيوب الناس " [٧٣].

معنى الحديثُ صحيحٌ بغضِّ النظر عن درجته . وعلى الإنسان أن يَشتغل بعَيْبه ، ويُصحِّح مساره ، ويَعمل جاهدًا على تطهير نَفْسه مِن الذنوب والآثام والمعاصي والعُيوب . وإذا اشتغلَ بتصحيح الأخطاء في حياته الخاصة ، فسوفَ يبتعد عن عُيوب الناس وانتقادهم .

وفي فَيض القدير (٤/ ٢٨١) : ((قال البَيْهَقي : ذُكر رَجل عند الربيع بن خَيْثَم ، فقال : ما أنا عن نَفْسي براضٍ فأتفرغ منها إلى ذَم غَيرها . إن العباد خافوا الله على ذُنوب غَيرهم ، وأَمِنُوه على ذُنوب أنفسهم)) اهـ .

إن الصالحين مشغولون بتنقية أنفسهم ، وعلاجِ عيوبهم ، وليس لديهم وقت للتفتيش في عُيوب الناس ، وإصدارِ الأحكام عليهم . فهُم دُعاة لا قُضاة . وصدقَ القائلُ :

لنفْسي أبكي لستُ أبكي لغَيْرها ... لنفْسي في نفْسي عن الناس شاغل

وعن أبي هريرة _ رضي الله عنه _ قال : قال رسول الله ﷺ : ((يُبصِر أحدُكم القَذاةَ في عَين أخيه ، ويَنسى الجِذْعَ في عَينه)) [٧٤].

وهذه الكارثةُ المُنتشرة في المجتمعات ، سببها حُب الإنسان لنفْسه ، والحبُّ أعمى . مِمَّا يَجعل الإنسانَ محجوبًا بنفْسه ، مُتَقَوْقِعًا عليها ، لذلك فهو لا يَرى عَيْبه الكبير ، ولكنه يَرى العَيب الصغير لأخيه . ولا يرى ذُنوبه ، وإنما يرى ذُنوبَ الآخرين . وهذا مُنتهى الفشل والخِذلان .

وهذا النَّصُّ النبويُّ متوافق مع مَا ورد على لسان المسيح : ((لماذا تلاحظ القَشَّةَ في عَين أخيك ، ولكنك لا تتنبَّه إلى الخَشَبة الكبيرة في عَينك ؟)) [مَتَّى ٧ : ٣] .

---

٧٣ قال الهيثمي في المجمع(١٠/ ٣٩٤):((رواه البَزَّار وفيه النصر بن مُحْرِز وغيره من الضعفاء)) اهـ. وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٣/ ١١٦): ((أخرجه البزار من حديث أنس بسند ضعيف)) اهـ. وفي كشف الخفاء (٢/ ٦٦٢) للعجلوني : ((قال في التمييز : وأخرجه البزار عن أنس مرفوعًا بإسناد حسن)) اهـ.وقال العجلوني في كشف الخفاء (١/ ١): ((وحيث أقول: قال في التمييز، فمُرادي الكتاب المسمَّى بتمييز الطَّيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث،للحافظ عبد الرحمن بن الدَّيْبَع تلميذ الإمام السَّخَاوي، فإنه اختصر المقاصد الحسنة لشيخه المذكور لكنه أخل بأشياء مما فيه مسطور)).

٧٤ رواه ابن حبان في صحيحه (١٣/ ٧٣) برقم (٥٧٦١) .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ(٨)﴾ [سُورة الزَّلزلة] .

فَمَن يَعمل في الدنيا وَزْنَ ذَرَّة مِن خَيْر ، فإنه سَيَحْصل على الأَجر في الآخرة . والمؤمنُ يجد ثوابَه في الآخرة ، أمَّا الكافرُ فيجده في نفْسه وأهله وماله ، وليس له نصيب في الآخرة .

ومَن يَعمل وَزْنَ ذَرَّة مِن شَر ، فسوفَ يُلاقي سُوءَ عَمله في الآخرة . وبشكل عام ، مَن يعمل في الدنيا مِثقالَ ذَرَّة مِن الخير أو الشر يَرَه .

وقال القرطبي في تفسيره (٢٠/ ١٤٠ و١٤١) : ((قَوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ . كان ابن عباس يقول : مَن يعمل مِن الكفار مِثقال ذَرَّة خيرًا يَرَه في الدنيا ، ولا يُثاب عليه في الآخرة . ومَن يعمل مِثقال ذَرَّة مِن شَر ، عُوقِب عليه في الآخرة معَ عِقاب الشِّرك . ومَن يعمل مِثقال ذَرَّة مِن شَر مِن المؤمنين يَرَه في الدنيا ، ولا يُعَاقَب عليه في الآخرة إذا مات ، ويتجاوز عنه . وإن عمل مِثقال ذَرَّة من خير يُقبَل منه ، ويُضَاعَف له في الآخرة ... . وهذا ضَرَبَه اللهُ تعالى : أنه لا يُغفِل من عمل ابن آدم صغيرةً ولا كبيرة ... . وذكر بعض أهل اللغة أن الذَّر : أن يَضرب الرَّجل بيده على الأرض فما عَلِقَ بها من التراب فهو الذَّر . وكذا قال ابن عباس : إذا وضعت يدك على الأرض ورفعتها ، فكل واحد مما لزق به من التراب ذَرَّة . وقال محمد بن كعب القُرَظي: فمَن يَعمل مِثقال ذَرَّة مِن خير من كافر ، يَرى ثوابه في الدنيا في نفْسه وماله وأهله وولده، حتى يخرج من الدنيا ، وليس له عند الله خير . ومَن يعمل مِثقال ذَرَّة مِن شَر مِن مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفْسه وماله وولده وأهله ، حتى يخرج من الدنيا ، وليس له عند الله شَر ... . وروى كعب الأحبار أنه قال : لقد أنزلَ اللهُ على محمد آيتين أحصتا ما في التوراة والإنجيل والزَّبُور والصُّحُف : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ(٨)﴾)) اه .

وفي [مَتَّى ٧ : ٢] أن المسيح قال : ((فإنكم بالدَّينونةِ التي بها تَدينون تُدانون)) اه .

لا شَيء يَضيع عند الله ، واللهُ أحصى أعمالَ الناس في الدنيا، وسوف يُجازيهم بها في الآخرة، إنْ خَيْرًا فخير ، وإنْ شرًّا فشر . والجديرُ بالذِّكر أن حساب العِباد على رَبِّ العِباد ، وليس للأنبياء مُحاسبةُ الناس . والإنسانُ لا يُحاسب أخاه الإنسان .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الحَقُّ قُل لَسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ [الأنعام: ٦٦].

كَذَّبت قُرَيش (قَوم النبيِّ ﷺ) بالقُرآن ، وهو الكتابِ المُعجز الذي أنزلَه اللهُ على محمد ﷺ بالحق . والقُرآنُ هو الحقُّ الواضحُ ، والصِّدقُ الظاهرُ ، والواقعُ بلا شَك .

قُل يا محمد : لستُ عَلَيكم بجبَّار ، ولا بحافظ أعمالكم فأُجازيكم عَلَيها، ولا أقْدِرُ أن أُجبِركم على الإيمان، إنما أنا مُنذِر ، واللهُ الحفيظ . والمعنى : لستُ عليكم بحفيظ وُكِلَ إليَّ أمركم فأُجازيكم . وقال البغوي في تفسيره (١/ ١٥٤): ((﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ ﴾ أي بالقُرآن. وقِيل: بالعذاب. ﴿ وَهُوَ الحقُّ قُل لَسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ برقيب . وقِيل : بِمُسَلَّط أُلزِمكم الإسلامَ شِئتُم أو أبيتُم ، إنما أنا رسول)) اهـ .

ومعنى الآية القُرآنية يتَّفق مع ما ورد على لسان المسيح : ((وإذا سَمِعَ أحدٌ كلامي ولم يُؤمنْ به ، فأنا لا أَحكمُ عليه ، فقد جِئتُ لا لأحكمَ على العالَم)) [يُوحَنَّا ١٢: ٤٧] .

وهذا يعني أن مهمة الأنبياء محصورة في الدَّعوة والتَّبليغ والإرشاد ، وليس مُحاسبة الناس . قالَ اللهُ تعالى : ﴿ مَا عَلى الرَّسولِ إلا البَلاغ ﴾[المائدة : ٩٩] . ومَن شاء فليُؤمن ، ومَن شاءَ فليكفر . وكُل إنسان يتحمَّل مسؤولية أعماله في الدنيا والآخرة . واللهُ وَحْدَه هو الذي يُحاسب العبادَ ، ويُجازيهم بأعمالهم ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر . يَهْدي مَن يشاء ، ويُضِل مَن يشاء . ويَغفر لمن يشاء ، ويُعذِّب مَن يشاء . واللهُ وَحْدَه هو الحَكَم الحاكم .

وعن ابن عمر _ رضي الله عنهما _ أن رسول الله ﷺ قال : ((أُمرتُ أن أُقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، ويُقيموا الصلاةَ ، ويُؤتوا الزَّكاةَ ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مِنِّي دماءَهم وأموالهم ، إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله)) [٧٥] .

الحسابُ ليس على الأنبياء وإنما على الله تعالى . والمخلوقُ لا يُحاسِبُ مخلوقًا . كما أن الأمور تُحمَل على الظاهر ، دُون السيطرة على الخَلْق ، والتَّجَبُّر عليهم ، وإكراههم على الإيمان . وحِسابُ الناس بيد الله وَحْدَه ، ودَوْرُ النبيِّ ﷺ هو إقامة الأحكام وَفْق الظاهر ، لأنه ﷺ لا يملك السيطرة على قلوب الناس وبواطنهم .

والقتالُ في الإسلام يكون بضوابط تُحدِّدها الشريعة، ولا يُجبَر أحدٌ على اعتناق الإسلام. أمَّا الكفار المُحَارِبُون، الذين يَحُولون دون وصول الدعوة ، فهؤلاء يُقَاتَلُون.وينبغي أن توضع النصوص المتعلقة بالقتل والقتال في نِصابها الصحيح دِينيًّا وتاريخيًّا لئلا يَطعن الجُهَّالُ والعوام في الإسلام .

---

٧٥ متفق عليه . واللفظ للبخاري (١/ ١٧) برقم (٢٥) . ومسلم (١/ ٥٣) برقم (٢٢) .

وقال الحافظ في الفتح (١/ ٧٧) : ((وحسابهم على الله ، أي في أمر سرائرهم ... وفيه دليل على قَبول الظاهر ، والحُكم بما يقتضيه الظاهر)) .

والمقصود بالناس في الحديث هُم المشركون أهل الأوثان والأصنام مِن غَير أهل الكتاب (اليهود والنصارى). والحديثُ محمول على قَول الشهادتين. وتَمَّ ذِكر إحداهما " لا إله إلا الله " والاستغناء بها عن الأخرى " محمد رسول الله " ، لارتباطهما ، وشُهرتهما، والعلاقة الوثيقة بينهما .

وعلى الجهة المُقابِلة، نجد أن الإنجيل البشري المُحرَّف ، قد كرَّس الإرهابَ والقتلَ باسم الدِّين. وهذا غير مُستغرب، لأن النصرانية (المسيحية) انتشرت بالقتل والقتال والإبادة الجماعية.

في [مَتَّى ١٠ : ٣٤] قال المسيح : ((لا تظنُّوا أَني جئتُ لأُرسيَ سلامًا على الأرضِ . ما جِئتُ لأُرسيَ سلامًا بل سَيفًا)) اهـ .

هذا النصُّ الإنجيليُّ المكذوب على المسيح ، يَدعو بشكل واضح وصريح إلى استخدام العُنف والقتل والإرهاب وتَرويع الآخرين باسم الدِّين والعقيدة. كما أنه يشير إلى فلسفة النصرانية (المسيحية) التي انتشرت بالسَّيف ، ورَفضت إحلالَ السلام على الأرض . والنصُّ يُشَوِّه صورةَ السيد المسيح ، ويُصَوِّره كقائد مُتعطِّش للقتل والذبح وسَفك الدماء ، ولا يعترف بالسلام على الأرض ولا يسعى لتحقيقه ، بل يؤمن بأن الكلمة الفصل للسَّيف ، ولا شيء سواه . وهذه _للأسف_ هي فلسفة النصرانية (المسيحية) في كل العصور، والتي تَمَّ تطبيقها على أرض الواقع، كما في الحروب الصليبية وجرائم محاكم التفتيش . وهذا على سبيل المثال لا الحصر .

والعجيبُ أن آية السَّيف واضحة وثابتة وصريحة في الإنجيل البشري المُحرَّف ، في حِينَ أن القُرآن يَخلو مِن كلمة " السَّيف " ، وهذه الكلمةُ غير موجودة في القُرآن . ومعَ هذا ، قِيل : آية السَّيف في القُرآن ! . معَ أن آية السَّيف في الإنجيل ، وليس في القُرآن . وكما يُقال : " رَمَتْني بدائها وانسَلَّت " . وهذا المَثَل يُضرَب لِمَن يُعيِّر صاحبَه بِعَيْبٍ هو فيه .

والإنسانُ هو الإنسانُ ، مهما كان دِينه وعقيدته ومذهبه . والتكريمُ الإلهيُّ له ثابت وحاصل ، وملموس على أرض الواقع .

وقد كرَّم اللهُ آدمَ (أصل البشرية) ، وجعله خليفةً في الأرض ، كي يُعمِّرها ، ويُقيم شرعَ الله فيها . قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة : ٣٠] .

وقال البغوي في تفسيره (١/ ٧٨): ((والمراد بالخليفة هاهُنا آدم ، سمَّاه لأنه خَلَفَ الجِنَّ. أي : جاء بعدهم . وقِيل : لأنه يَخْلُفُه غَيْرُه . والصحيح أنه خليفة الله في أرضه ، لإقامة أحكامه ، وتنفيذ وصاياه)) اهـ . ومفهومُ الخلافة يتضمَّن إقامة الشريعة . وأفضل مَن طَبَّقَ الشريعةَ هم الأنبياء عليهم الصلاة والسَّلام . وهذا المبدأ مُجمَع عليه في الشَّرائعِ السماوية .

وفي [مَرْقُس ١٢ : ٢٩و٣٠ و٣١] : فأجابه يَسوع : ((أُولى الوصايا جميعًا هي : اسمعْ يا إسرائيل ، الرَّبُّ إلهنا رَبٌّ واحد _ فأحب الرَّبَّ إلهك بكل قلبك وبكل نفْسك وبكل فكرك وبكل قُوَّتك . هذه هي الوَصِيَّةُ الأُولى. وهناك ثانيةٌ مِثْلُها، وهي أن تُحِبَّ قريبك كنفْسك . فما مِن وصية أخرى أعظمُ من هاتَيْن)) اهـ .

لقد أسَّسَ المسيحُ ﷺ قواعد راسخة ، ومبادئ رفيعة ، من شأنها النهوض بالخلافة على أكمل وجه . والتَّوحيدُ هو الركيزة التي إن غابت ، غاب كل شيء واضمحلَّ ، وأيضًا محبة الله ليست شِعارًا يُرفَع ، أو شُعورًا مُؤَقَّتًا ، أو إحساسًا مُتَقَلِّبًا . إنها عقيدة راسخة تسيطر على الفرد بشكل كامل ، وينقاد إليها بكل جوارحه . ثم أن تُحِبَّ الآخَر . ولفظة " قريبك " لا يمكن حصرها في قَرابة النَّسَب ورابطةِ الدَّم . بل إن كل آدميٍّ قريبك وأخوك في الإنسانية . وكيف تُبنَى الأرضُ دون المحبة بين أبناء الجنسِ البشري ؟ . ولو كان الحقدُ مُسيطرًا وسائدًا ، لهدم الطرفُ الثاني ما يَبنيه الطرف الأول ، وعندها ستكون الأرضُ خرابًا لا عَمارًا . لذلك ، فالمحبة بين الإنسان وخالقه ، والمحبة بين الإنسان وأخيه الإنسان ، تبنيان الأرضَ ، وتحقِّقان معنى الخلافة على أرض الواقع ، في ظل العَدْل الإلهيِّ . وقد قال النبيُّ ﷺ : ((فمن يَعْدِلُ إذا لم يَعْدل اللهُ ورسولُه ؟)) [٧٦].

وهذه الحقيقةُ السَّاطعةُ تدل على أن وظيفة البشرِ هي الخُضوع للشرع لا التشريع. وبالتأكيد ، إن الخضوع للشرع يستلزم تَقْنين الشريعة ، أي جعل أحكامها على شكل قوانين ومواد دستورية ، وذلك لتسهيل الرجوع إليها، وتحويلها إلى واقع ملموس على الأرض [٧٧].

---

٧٦ متفق عليه . البخاري (١١٤٨/٣) برقم (٢٩٨١) ، ومسلم (٧٣٩/٢) برقم (١٠٦٢) .

٧٧ وظيفة البرلمانات في العالَمَيْن العربي والإسلاميِّ : تقنينُ الشريعة ، وتأطير أحكامها ضمن قوانين ومواد يسهل الرجوع إليها.وليست وظيفتها تشريع أحكام استقلالية مستندة إلى العقول الناقصة، ومحكومة بمصالح الطبقة الحاكمة . وهكذا ، يتَّضح فساد ما يُسمَّى بالمجالس التشريعية في الدول المتخلفة، حيث يُنازعون الله في أحكامه، ويذهبون ويُشرِّعون قوانين وأحكامًا ودساتير تُكرِّس استغلالَ الشعب لصالح عِلْية القوم . يتركون الشَّريعة السماوية، ويذهبون إلى حفنة من المحامين ورجال قانون كي يجعلوا آرائهم شريعةً لازمةً للعباد المغلوب على أمرهم. وهذا التوظيف للقوانين إنما يخدم أصحاب النُّفوذ والسُّلطة على حساب الطبقات المسحوقة التي لا صوت لها ، ووجودها تحصيل حاصل ، ورَقْم من بين الأرقام دون وجود إنساني حقيقي ومحترم . والمجالسُ التشريعية موجودة كي يَستغل السياسيون الشعبَ، ويسرق الأغنياءُ الفقراءَ .

والنبيُّ محمد ﷺ أَسَّس العدلَ شعارًا وواقعًا ، باعتباره أهم ركائز النهضة الإنسانية، والاضطلاع بمسؤولية التكليف والخلافة . وكلُّ نبيٍّ يُكملُ مسيرة النبيِّ السابق باقتدار ، بلا تعارُض أو صراع .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَقَفَّينَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وآتَينَاهُ الإنجيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوراةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً للمُتَّقِين﴾[المائدة: ٤٦] .

أرسلَ اللهُ المسيحَ (عيسى بن مريم) مُتَتَبِّعًا آثار الأنبياء الذين سبقوه (أنبياء بني إسرائيل)، وسائرًا على خُطاهم . والنبيُّ عيسى ﷺ سائر على خُطى الأنبياء السابقين ، يُكمِل مسيرتهم ، ويُتمِّم منهجهم ، بكل إخلاص وإتقان ، وبلا تقصير ولا انحراف . وقد جاء عيسى مؤمنًا بالتوراة ، حاكمًا بما فيها ، يُصدِّق نصوصَها وأحكامَها ، ويَدعو إليها . وهذا يدل _ بلا شك _ على تضافر جهود الأنبياء الدعوية ، وانعدام فرصة تعارضها أو تصادمها . والجديرُ بالذِّكْر أن الإنجيل نَسَخَ بَعْضَ أحكام التَّوراة . وقال الطبري في تفسيره (٤/ ٦٠٤) : ((يقول : أتْبَعْنا عيسى ابن مريم على آثار النبيين الذين أسلموا مِن قَبلك ، يا محمد ، فبعثناه نبيًّا مُصَدِّقًا لكتابنا الذي أنزلناه إلى مُوسى مِن قَبْله أنه حق ، وأن العمل بما لم يَنسخه الإنجيلُ مِنه فرضٌ واجب)) اهـ .

وأنزلَ اللهُ الإنجيلَ على عيسى ، فيه هُدى إلى الحق والرَّشاد ، ونُور يُزيل ظُلمات الكفر والضلال والجهل، ويُستضاء بِه في إزالة الشُّكوك والوساوس والشُّبهات والمشكلات، والإنجيلُ يُصدِّق أحكامَ التَّوراةِ وشرائعَها ، ولا يُكذِّبها . وقد جَعَلَ اللهُ الإنجيلَ هُدًى يُهْتَدَى به، وزاجرًا عن ارتكاب الذنوب والآثام والمعاصي لِمَن اتَّقَى الله، وخافَ عذابه وعِقابه، وأطاعَ أوامرَه، واجتنبَ نَوَاهيه. وتخصيص المُتَّقين بالذِّكْر ، لأنهم المُستفيدون مِن الهدى، والمُنتفعون بالموعظة .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣٦٩): ((قَوله تعالى: ﴿ وَقَفَّينَا عَلَى آثَارِهِم ﴾ أي: وأتْبَعْنا على آثار النَّبيين الذين أسْلَمُوا ﴿ بِعِيسَى ﴾ فجعلناه يَقفو آثارهم ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ أي : بَعَثْنَاه مُصَدِّقًا ﴿ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ . ﴿ وآتَيْنَاهُ الإنجيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا ﴾ ليس هذا تَكرارًا للأول ، لأن الأول لعيسى ، والثاني للإنجيل ، لأن عيسى كان يَدعو إلى التصديق بالتوراة ، والإنجيلُ أُنزِل وفيه ذِكْر التَّصديق بالتَّوراة)) اهـ .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَلْيَحْكُم أَهْلُ الإنجيلِ بِمَا أَنزَلَ اللهُ فِيهِ وَمَن لَم يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فأُولئكَ هُمُ الفَاسِقُون ﴾ [المائدة : ٤٧] . أنزلَ اللهُ الإنجيلَ على النبيِّ عيسى ﷺ ، وأمَرَه وأتباعَه أن يَحكموا بما أنزلَ اللهُ فيه مِن أحكام وتعاليم. لقد أمرَ اللهُ النصارى بالإيمان بالإنجيل كاملًا بدون اجتزاء ، وإقامة أحكامه وتعاليمه ، والتَّصديق بِنُبُوَّة محمد ﷺ الثابتة فيه ، واتِّباعه ، ومُناصرته .

ومَن لم يَحكم بما أنزلَ اللهُ ، وخالفَ الأحكامَ الإلهية ، وعارضَ التعاليمَ السماوية ، فأُولئك هُم المُتمرِّدون ، التاركون لأمر الله ، الخارجون عن طاعته ، المائلون إلى معصيته .

والآيةُ تشتمل على أمرٍ إلهيٍّ عظيم لأهل الإنجيل (النصارى) أن يَحكموا بما أنزلَ اللهُ فيه ، فهو حَق واجب التطبيق قبل البَعثة المُحمَّدية الإسلامية . وبعد هذه البَعثة المُبارَكة ، أمرَ اللهُ النصارى أن يَحكموا بالقُرآن الذي أنزله اللهُ على النبيِّ محمد ﷺ . واللهُ أنزلَ الكُتبَ السماوية للعمل بها ، وتطبيق أحكامها وتعاليمها على أرض الواقع . والقُرآنُ ناسخٌ لكل الكتب السماوية السابقة بلا استثناء .

وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٣٣١) : ((والآية تدل على أن الإنجيل مُشتمل على الأحكام ، وأن اليهودية مَنسوخة ببَعثة عيسى عليه الصلاة والسلام ، وأنه كان مُسْتَقِلًّا بالشَّرع . وحَمْلها على : وليحكموا بما أنزلَ اللهُ فيه مِن إيجاب العمل بأحكام التوراة ، خِلافُ الظاهر)) .

وفي [مَتَّى ٥ : ١٧] قال المسيح : ((لا تظنُّوا أني جئتُ لأُلغيَ الشَّريعةَ أو الأنبياءَ . ما جئتُ لأُلغيَ ، بل لأُكمِل)) اهـ .

إذن ، الأنبياء أصحاب منهج واحد ، وسائرون في طريق واحد ، ويَدْعُون إلى دِين واحد ، وهو الإسلام . ومُرسِلهم واحد ، وهو الله تعالى . لذلك كان تكذيبُ أي نبيٍّ تكذيبًا لكل الأنبياء ، وتكذيبًا لله الذي اختارهم ، واصطفاهم ، وأرسلهم ، وكلَّفهم بحمل النُّبُوَّة ، وشرَّفهم بها .

والأنبياءُ لا يَأتون بشيء مِن عِندهم ، ولا يَخترعون أديانًا ، ولا يُؤلِّفون شرائع . إنما يُبلِّغون الوَحْيَ الإلهيَّ كاملًا ، ويُوصلون كلمةَ الله إلى الناس ، بلا زيادة ولا نُقصان .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ وما يَنطِقُ عَنِ الهوى ﴾ [النَّجْم : ٣] .

إنَّ النبيَّ ﷺ لا يَنطق عَن هَواه ، أي بِهَواه وشَهوته ، ولا يتكلم بالباطل ، ولا يَأتي بشيء مِن تِلقاء نفْسه . وقد زَعم المشركون أنَّ القُرآنَ مِن تأليف محمد ﷺ. والنبيُّ ﷺ لا يأتي بشيء مِن عِنده ، وإنَّما يَقول كما يُلقِّنه الوَحْيُ ويُعلِّمه بلا زيادة ولا نقصان .

وقال الشَّوكاني في فتح القدير (٥/ ١٤٩) : ((أي : ما يَصدر نُطْقُه عن الهوى ، لا بالقرآن ولا بِغَيره ... وقال أبو عُبَيدة : إنَّ ﴿ عَنِ ﴾ بمعنى الباء : أي بالهوى . قال قتادة : أي ما يَنْطِقُ بالقراءة عَن هَواه)) اهـ .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ إنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النَّجْم : ٤]. إنَّ ما يَنْطِقُ بِهِ النبيُّ ﷺ وَحْيٌ مِنَ اللهِ، لا يُنقِص مِنهُ ولا يَزيد. وهذا الوَحْيُ هو القُرآنُ والسُّنَّة ، ولا يُقبَل أحدُهما دُون الآخَر .

وقد احتجَّ بهذه الآية مَن لا يُجيز للنبيِّ ﷺ أن يَجتهد في الحوادث .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٦٢):((وليس كما ظَنُّوا،لأنَّ اجتهاد الرأي إذا صَدر عن الوَحْي، جازَ أن يُنسَب إلى الوَحْي)) اهـ .

وقال الشَّوكاني في فتح القدير(٥/١٤٩):((﴿ يُوحَى ﴾ صِفة لِوَحْي ، تفيد الاستمرار التَّجددي، وتفيد نَفْيَ المجاز : إنْ هُوَ وَحْيٌ ، حقيقةً لا لِمُجَرَّد التَّسمية)) اهـ .

وفي [يُوحَنَّا ١٢ : ٤٩] قال المسيحُ : ((لأني لم أتكلمْ بشيء من عندي ، بل أقول ما أوصاني به الآبُ الذي أرسلني)) اهـ .

ومعنى الآب : السَّيد الخالق العظيم ، وليس كما يزعم النصارى أنها تحمل معنى الأُبُوَّة الحِسِّية . فهذا تجديفٌ على الشَّريعةِ ، لأن الله هو الخالق الذي لم يلد ولم يُولَد ، وهو سُبحانَه مُنَزَّهٌ عن الشريك والنِّد والصاحبة والولد . والولدُ يُجانِس أباه ، ويَحمل خصائصه وجِيناته ، واللهُ لا يُجانسه أحد ، ولا يُماثله مخلوق . فالخالقُ خالق ، والمخلوق مخلوق . ويجب التفريق بينهما .

لقد شَيَّدَ الأنبياءُ بناءَ الحق والحقيقة والعدل والنَّجاة ، من احتمى به نجا ، ومن رفضه رُفِضَ . كلهم يد واحدةٌ أعطت البشريةَ معناها ، ولا يمكن تصوُّر الحياة البشرية بدون أنبياء ولا وَحْي السماء . ستكون جحيمًا لا يُطاق .

وَحْدَهُ الإسلامُ هو الذي احتوى جميع الأنبياء بلا استثناء ، ووضعهم في مكانتهم اللائقة . كما أنه الدين الوحيد القائم على الإيمان بالكتب السماوية كُلِّها بلا تفرقة ولا تمييز . وهذا يدل على أن الإسلام هو الدِّين السماوي الوحيد . والجديرُ بالذِّكر أن عدد الكتب السماوية غير معروف ، لكنَّ أشهرها : القُرآن والتَّوراة والإنجيل والزَّبُور .

وهكذا ، يتَّضح مَن يَتَّبعون الحق ، مِمَّن يَتَّبعون أهواءهم ومصالحهم الشخصية ، ويعتقدون أن الإيمان بنبيٍّ يعني النَّيلَ من نبيٍّ آخر، والانتقاص من مكانته . ومنهجُ النُّبُوَّة بناء واحد ومتماسك ، والأنبياءُ جسد واحد ، جاؤوا برسالة التَّوحيد الخالدة (لا إله إلا الله) .

وعن أبي هريرة _ رضي اللهُ عنه _ أنَّ رسول الله ﷺ قال : ((إنَّ مَثَلي ومَثَلَ الأنبياء مِن قَبْلي كَمَثَلِ رَجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله ، إلا مَوْضِعَ لَبِنةٍ مِن زاوية ، فَجَعل الناس يَطوفون به ، ويُعجَبون له ، ويقولون : هَلَّا وَضعتَ هذه اللبِنَةَ ، فأنا اللبِنَةُ ، وأنا خَاتَمُ النَّبيين)) [٧٨].

---

٧٨ متفق عليه.واللفظ للبخاري(٣ / ١٣٠٠)برقم(٣٣٤٢).ومسلم(٤ / ١٧٩٠)برقم (٢٢٨٦).

النُّبُوَّةُ بِناءٌ شامخٌ وخالدٌ إلى يوم القِيامة. وشَريعةُ كُلِّ نبيٍّ كاملةٌ ، لا نَقْصَ فِيها ولا عَيْب ، وهي تُشكِّل جُزءًا مِنَ البناء النبويِّ ، ولا تُشكِّل كُلَّ أجزاء البناء النبويِّ . وكُلُّ نبيٍّ يُضيف جُزءًا في هذا البناء الشامخ، وَيَترك بصمته الشريفة في تاريخ الحضارة الإنسانية. وكُلُّ نبيٍّ يُكمِل ما بَدأه النبيُّ السابق ، بلا تناقض ولا نَقْص ، ومحمد ﷺ هو اللبنةُ الأخيرةُ ، وبِه اكتملَ البناءُ النبويُّ ، فصارَ كاملًا ، وسيظلُّ كاملًا إلى يوم القيامة ، ولَن يَأتِيَ أيُّ نبيٍّ لِيُضيف شَيئًا على هذا البناء ، لأنَّ محمدًا ﷺ هُوَ خَاتَمُ النَّبيين ، ومِسْكُ الخِتام، ولا نبيَّ بَعْدَه .

وفي الحديث ضَرْبٌ للأمثال لتقريب المعنى إلى العقول، وتَوصيل الفكرة إلى الأذهان بسهولة، كما يُشير إلى أفضلية النبيِّ محمد ﷺ على باقي الأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ ، وأنَّ اللهَ خَتم بِه الأنبياءَ ، وأكملَ بِه شَرائعَ الدِّين . والدِّينُ كاملٌ إلى يوم القِيامة ، لا نَقْصَ فِيه ولا عَيْب .

وبِبَعثة النبيِّ ﷺ وشريعته السَّمحاء ، اكتملَ البناءُ الإيمانيُّ ، وتَكَرَّسَ الهَدْيُ الإلهيُّ على هذه الأرض ، وشُيِّدت مكارم الأخلاق وأركان الحق والعدل والمساواة ، وسيظلُّ نُورُ الشريعة المُحمَّدية الإسلامية خالدًا إلى الأبد ، يَهدي الناسَ إلى الإيمان ، ويُوفِّر للبشرية أسباب السعادة في الدُّنيا ، ويُرشدها إلى نعيم الجنة الأبديِّ .

والطعنُ في أي نبيٍّ هو طعن في كل الأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ ، لأنهم يُمثِّلون منهجًا إلهيًّا واحدًا . والإسلامُ دِين جميع الأنبياء بلا استثناء . وهذه الوَحدة في المسار والمصير تؤدي إلى تشييد البناء الإيماني المتراص على أسس مِن التكاملية لا التضاد ، والوعي المصيري لا تضارب وجهات النظر ، ومعرفة الطبائع البشرية المتغيرة حَسَب تعاقب الأجيال، وإدراك الظروف الزمنية والمكانية المختلفة باختلاف العصور . ولا شك أن شريعة كل نبيٍّ كاملة بالنسبة إليه . لكننا حين ننظر إلى تاريخ الوجود البشري نجد أن الرسالات السماوية متكاملة ومُتَّحدة ضمن نسق متماسك ومترابط ، بلا تناقض ولا تعارُض ولا اضطراب .

وفي [أعمال الرُّسل ٤ : ١١] وَرَدَ نَصٌّ إنجيلي يتضمَّن معنى البناء : ((يَسوعُ هذا الحَجَرُ الذي رفضتموه أيها البُناةُ ، وهو نفْسُه صار حَجَرَ الزاويةِ الأساسيِّ)) اهـ .

هذا النصُّ المنسوب لبُطرُس ، يمكن فهمه ضمن أكثر من مستوى . والغريبُ أن بُطرُس كان يُخاطبُ زعماءَ اليهودِ، فكيف يصفهم بالبُناة ؟. معَ العِلم أن بُطرُس يقول كما في [أعمال الرُّسل ٤: ١٠]: ((فاعلَموا جميعًا ، وليَعرِف شعبُ إسرائيلَ كُلُّه ، أنه باسم يسوعَ المسيحِ الناصريِّ الذي صَلبتموه أنتم ...)) .

لقد هاجمَ بُطْرُسُ اليهودَ ، وفضحهم ، واعتبرهم هُم الذين صَلَبوا المسيحَ ، وَفْق عقيدة النصارى . وأيضًا ، اليهود قتلوا الأنبياءَ ، وهدموا المذابحَ . ففي [الرِّسالة إلى روما ١١: ٢و٣]: ((أمَا تعلمون ما يقوله الكتابُ في أمر إيليَّا لمَّا رَفع إلى الله شَكوى على إسرائيلَ قائلًا : ((يا رب! قتلوا أنبياءك ، وهَدَمُوا مذابحك ، وبَقِيتُ أنا وَحدي ، وهُم يَسْعَوْنَ إلى قَتلي !)))) اهـ .

هذا يعني أن اليهود أعداء الله ، الذين خانوا أنبياءه ، وقتلوهم ، وهدموا أماكن العبادة ، واستخدموا كلَّ وسائل التخويف والترهيب والترويع ضِد خُصومهم . ووَفْق النص الإنجيلي ، إن إيليَّا رفع إلى الله شَكوى على اليهود (بني إسرائيل) بسبب أعمالهم الشريرة ، وصفاتهم السَّيئة .

إن الإنجيلَ يكشف صورةَ اليهود القائمة على الكفر والضلال وقتل الأنبياء وهدم أماكن العبادة ، ورفض المسيح ، وعدم الاعتراف به ، فكيفَ يصف بُطْرُسُ اليهودَ بأنهم بُناة ؟ . ((يسوعُ هذا الحجرُ الذي رفضتموه أيها البُناةُ)) اهـ .

لقد بيَّن الإنجيلُ أن اليهود هَدَّامُون لا بُناة،وقَتَلة لا أبرياء،ومجرمون لا ضَحايا،وكُفَّار لا مؤمنون. ومُحال أن يكون المسيح حَجَرًا في بناءٍ يبنيه اليهودُ قَتَلةُ الأنبياء ، وهادمو المذابح . فالهادمُ لا يبني. وفاقدُ الشَّيء لا يُعطيه. وعبارة " حجر الزاوية الأساسي " تقتضي أن مركز البناء هو المسيح. وهذا يُفهَم وَفْق مَنظورَيْن : الأول _ إن المسيح أعظم أنبياء بني إسرائيل في وقته ، وأفضل المخلوقات في عصره . وهذا معنى صحيح ومقبول. والثاني _ إن المسيح أعظم الأنبياء وأفضل المخلوقات . وهذا معنى مرفوض، لأن هناك أنبياء يَفُوقونه في العَظَمَة والمجد والمكانة والرُّتبة .

وفي [مَتَّى ٢١ : ٤٢ و٤٣ و٤٤] : ((الحَجَرُ الذي رفضه البُناة هو نَفْسُه صار حجرَ الزاوية الأساسي... . لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله سيُنزَع من أيديكم ويُسَلَّم إلى شعب يُؤدِّي ثمرَه . فأيُّ مَن يَقع على هذا الحَجَر يتكسَّر ، ومَن يَقع الحَجَرُ عليه يَسحقه سَحْقًا !)) اهـ .

إن المقصود بملكوت الله الذي سيُنزَع من بني إسرائيل ، ويُعطى لأُمَّة أخرى تُؤدِّي ثمارَه ، هو الإسلام. وسياقُ الكلام المُستقبليُّ يُشير إلى أن الحَجَر هو النبيُّ محمد ﷺ . وهذا يتوافق مع قَول النبيِّ محمد ﷺ : ((فأنا اللبِنَةُ ، وأنا خَاتَمُ النَّبيين)) .

والنصُّ الإنجيلي السابق يُبشِّر بمحمد ﷺ . وقد يكون الحَجَر المرفوض هو إسماعيل ﷺ ، لأن اليهود رفضوه ، وقالوا إنه ابن جارية (هَاجَر) ، وإسحاق ابن الحُرَّة (سارة) . واليهودُ يَنسبون أنفسهم إلى إسحاق باعتباره والد يعقوب (إسرائيل) كذبًا وزُورًا . واليهودُ والنصارى معًا يَكفرون بِنُبُوَّة إسماعيل ، ولا يَعترفون به كنبيٍّ ورسول ، وإنما يَعتبرونه مُجرَّد شخصية تاريخية قديمة .

إن الأنبياء أسَّسوا مفهومَ الخِلافة على الأرض ، ومنهجيةَ التطبيق والتنفيذ ، وجعلوا " خِلافة الله في الأرض " واقعًا جَميلًا مُعاشًا ، وتطبيقًا عمليًّا مُستندًا إلى تعاليم الشَّريعة الإلهية، فلا تناقض ولا تضاد ، ولا ظُلم ولا صِراع . والأنبياءُ كُلُّهم يسيرون في خط واحد ، وليس خطوطًا متوازية أو مُتقاطعة . وكُل نبيٍّ يُكملُ ما بدأه النبيُّ السابق ، ويَبدأ مِن حيث انتهى مَن قَبْله ، وصولًا إلى النبيِّ محمد ﷺ خَاتَم الأنبياء،وبه خُتِمَت النُّبُوَّة، ولا نبيَّ بعده، وانقطعَ وَحْيُ السماء عن الأرض. ويجب على المؤمنين في كُل زمان ومكان اقتفاءُ آثار الأنبياء ، والسَّير على خُطاهم ، والتزام تعاليمهم ومناهجهم.وهذا الأمرُ يقودنا إلى موضوع في غاية الأهمية،وهو" النَّسْخ " أو " الناسخ والمنسوخ".

" النَّسْخ " في اللغة يعني الإزالة والمَحْو . يُقال : نَسخت الشمسُ ظِلَّها ، يعني أزالته ومحته، وأحلَّت الضَّوْءَ مَحَلَّه . وقد أشار ابنُ الفارض [٧٩] إلى هذا المعنى ، عندما قال :

نَسَخْتُ بِحُبِّي آيةَ العِشْقِ مِن قَبْلي

فأهلُ الهوى جُنْدي و حُكْمي على الكُلِّ

والنَّسْخ (في الشَّرْع) : وقفُ العمل بحُكم أفاده نَص شرعي سابقٌ من القرآن أو من السُّنة ، وإحلال حُكم آخر مَحَلَّه ، أفاده نص شرعي آخر لاحق من الكتاب أو السُّنة ، لحكمة قصدها الشَّرعُ ، مع صحة العملِ بحُكم النَّصِّ السَّابقِ قبل ورود النص اللاحق [٨٠].

إنَّ النَّسْخَ في القرآن ثابتٌ بلا نكير . وهو يعني إثبات آية معَ تغيير حُكمها . فالأحكامُ تتغير بتغيُّر الظروف ، ولا يخفى أن الشريعة جاءت لتحقيق مصالح الناس . ولا أحد يملك حَقَّ النَّسخ إلا الله وَحْدَه . وبموتِ النبيِّ ﷺ أُغلِق باب النَّسخ إلى الأبد .

---

٧٩ أحد أشهر الشعراء المتصوِّفين ، وكانت أشعاره غالبها في العِشق الإلهيِّ حتى إنه لُقِّب بـ "سلطان العاشقين". والده من حماة في سوريا، وهاجر لاحقًا إلى مصر. وُلِدَ بمصر سنة ٥٧٦ هـ الموافق ١١٨١م .

٨٠ هذا التعريف اختاره كِبار علماء الأزهر الشَّريفِ ، وفيه جمع ما تفرَّق من تعريفات الأصوليين مع مراعاة الدقائقِ والوضوح . وهناك تعابير مختلفة تصبُّ في نفْس المعنى ، ولكنها في أحيان كثيرة تحتاج إلى مستوى عالٍ من العِلم حتى تُفهم ، وإليك إحداها : ((النَّسْخ في اصطلاح الأصوليين هو : إبطالُ العمل بالحُكم الشرعي بدليلٍ مُتراخٍ عنه ، يدل على إبطاله صراحةً أو ضِمْنًا ، إبطالًا كُلِّيًّا أو إبطالًا جزئيًّا لمصلحة اقتضته ، أو هو إظهار دليل لاحق نَسخ ضِمْنًا العملَ بدليل سابق)) [انظر عِلم أصول الفقه ، عبد الوَهَّاب خَلَّاف ، ص ٢٢٢] .

وذهبَ البعضُ إلى نفْي وقوع النَّسْخ في القرآن [81]. ورأيهم لا تقوم له قائمة ، ولا يُعْتَدُّ به ، لِمُخالفته نصوص الشريعةِ . كما أن جمهور الفقهاء وعلماء الأصول يُقِرُّون النَّسخَ بلا أدنى حَرَج .

وقد حاول بعض المستشرقين اتخاذ النَّسخ وسيلةً للطعن في القرآن ، وقد أوردوا شُبهتهم كالتالي : ((القرآن يتميَّز بوجود الناسخ والمنسوخ فيه، معَ أن كلامَ اللهِ الحقيقيَّ لا يجوز فيه الناسخ والمنسوخ، لأن الناسخ والمنسوخ في كلام الله هو ضد حِكمته وصِدْقه وعِلْمه، فالإنسان القصير النظر هو الذي يضع قوانين ويُغيِّرها ويُبدِّلها بحسَب ما يبدو له من أحوال وظروف. لكن الله يَعلَم بكل شيء قبل حدوثه. فكيف يُقال إن الله يُغيِّر كلامه ويُبدِّله ويَنسخه ويُزيله، فليس الله إنسانًا فيكذب)) اهـ .

إن النَّسْخَ لا يَقدح في حِكمة اللهِ تعالى، بل هو مِن حِكمته. فتطوُّر الأحكام التشريعية والتَّدَرُّج بما يُزيل الحرَج عن الناس مِن صميم المنهجِ الإسلاميِّ. والشريعة جاءت لرفع الحَرَج لا لتعقيد حياة الناس . ولأن الناس تختلف قدراتُهم وإمكانياتهم خاصةً وأنهم خارجون للتوِّ من جاهلية عمياء جاءت الشَّريعة تنتشلهم رُوَيدًا رُوَيدًا . فمهما بلغت القوةُ الإيمانية للفرد ، فهو _ أوَّلًا وأخيرًا _ إنسان تتنازعه الشهوات والغرائز ، وله نقاط ضَعف ، وله قدرة تحمُّل محدودة .

فمثلًا ، إن الجاهليَّ الذي قضى عُمره في شرب الخمر وتعوَّد عليه إلى حد الإدمان، ويعيش في مجتمع غارق _ إلى شحمة أُذنيه _ في الخمور والحانات ، من الصعب عليه في يوم وليلة أن تأمره بترك الخمر قطعيًّا، فكان التدرج في تحريم الخمر حتى الوصول إلى التحريم الكُلِّي النهائي . وهذا المنهج التدريجي (على شكل مراحل) يأخذ بعين الاعتبار قدرات البشرِ، ويُخفِّف عنهم، ويَبنيهم لَبِنةً لبنةً ، ولا يحشرهم في الزاوية الضيقة . ولا يَخفى أن صُعود السُّلَّم يكون درجة درجة.

((وهذا النَّسْخُ وقع في التشريع الإلهيِّ، ويقع في كل تشريع وضعي، لأن المقصودَ من كل تشريع سواء أكان إلهيًّا أم وضعيًّا تحقيق مصالح الناس. ومصالح الناس قد تتغيَّر بتغيُّر أحوالهم . والحُكم قد يُشْرَع لتحقيق مصالح اقتضتها أسباب _ قد تظهر لنا وقد لا تظهر _ فإذا زالت هذه الأسباب ، فلا مصلحة في بقاء الحُكم)) [82].

---

٨١ منهم الدكتور عبد الْمُتعال الجبري ، وله فيه كتاب خاص نشرته مكتبة وهبة بالقاهرة ، والدكتور محمد البهي ، ومنهم الشيخ محمد الغزالي .

٨٢ عِلم أصول الفقه ، عبد الوَهَّاب خَلَّاف ، ص ٢٢٢ .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ ما نَنسَخْ مِن آيةٍ أو نُنسِها نَأتِ بِخَيْرٍ مِنها أو مِثْلِها ﴾ [البقرة : ١٠٦][٨٣].

إنَّ اللهَ تعالى لا يُبَدِّلُ حُكْمَ آيةٍ إلا ويَأتي بِحُكْمٍ خَيرٍ مِنه (بالنِّسبة إلى مصلحة الناس) . وكُلُّ آيةٍ يَنسخها اللهُ (يُبْطِل حُكْمَها) أو يَمحوها من القلوب، يأتي بآيةٍ أكثر نَفعًا للعباد، وأكثر ثوابًا ، أو مِثْل الآية المنسوخة في الثواب . أي : أصْلَحَ لِمَن تعبَّدَ بها ، وأسْهَل ، وأفضل ، وأكثر فائدةً ونفعًا .

وقد وَرَدَ أن الآية نَزلت في حادثة تحويل القِبْلة ، حيث قال اليهود إن محمدًا يُحِلُّ لأصحابه إذا شاءَ ، ويُحرِّم عليهم إذا شاءَ . وهُم يُريدون الطعن بالنبيِّ ﷺ ، وتصوير الأحكام الشرعية كإجراءات خاضعة لِمزاج النبيِّ ﷺ ، وهواه ، ومصلحته ، ورَأيِه الشخصيِّ .

وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٣٧٧) : ((﴿ ما نَنسَخْ مِن آيةٍ أو نُنسِها ﴾ نزلت لَمَّا قال المشركون أو اليهود: ألا تَرَوْنَ إلى محمد، يأمر أصحابَه بأمرٍ، ثُمَّ يَنهاهم عنه،ويأمر بِخِلافه)) اهـ.

والجديرُ بالذِّكر أن النَّسْخ مُتعلِّق بالأوامر والنَّواهي ، وذلك من أجل تحقيق مصلحة الناس ، ورفع الحَرَج عنهم ، أمَّا الأحداث التاريخية فلا يُوجد فِيها ناسخ ومنسوخ ، لأنَّ النَّسْخ (التبديل) في الأحداث التاريخية يعني تَكذيب القُرآن ، وهذا مُحال .

وقال ابن كثير في تفسيره (١/٢٠٧) : ((قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ﴿ ما نَنسَخْ مِن آيةٍ ﴾: ما نُبدِّل مِن آية، وقال ابن جُرَيج عن مجاهد ﴿ ما نَنسَخْ مِن آيةٍ ﴾: أي ما نمحو مِن آية، وقال ابن أبي نَجيح عن مجاهد ﴿ ما نَنسَخْ مِن آيةٍ ﴾ قال : نُثبِت خَطَّها ونُبدِّل حُكْمَها)) اهـ . وقال القرطبي في تفسيره (٢/ ٦١) : ((قَوْله تعالى : ﴿ نَأتِ بخير منها ﴾ لفظة " بِخَيْرٍ " هنا صفة تفضيل ، والمعنى: بأنفع لكم أيها الناس في عاجلٍ إن كانت الناسخة أخف، وفي آجلٍ إن كانت أثقل ، وبِمِثْلِها إن كانت مُستوية ... . وقِيل : ليس المراد بأخْيَر التفضيل ، لأن كلام الله لا يتفاضل وإنما هو مِثْل قوله : ﴿ مَن جاءَ بالحسنةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنها ﴾ [النَّمْل : ٨٩]. أي فلهُ مِنها خَير ، أي نفع وأجر ، لا الخير الذي هو بمعنى الأفضل . ويدل على القول الأول قَوْله : ﴿ أو مِثْلِها ﴾)) اهـ .

---

٨٣ قال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ١٢٧و١٢٨) : ((قَوْله تعالى : ﴿ أو نُنسِها ﴾ ... والمعنى نُؤخِّرها... وفي معنى نؤخرها ثلاثة أقوال: أحدها نُؤخِّرها عن النَّسْخ فلا نَنسخها، قاله الفرَّاء. والثاني: نُؤخِّر إنزالَها فلا نُنْزِلها البَتَّة . والثالث نُؤخِّرها عن العمل بها بِنَسْخِنا إيَّاها ، حكاهما أبو علي الفارسي)).

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ وإذا بَدَّلْنا آيةً مَكانَ آيةٍ واللهُ أعلمُ بِمَا يُنَـزِّلُ قالوا إنَّما أنتَ مُفترٍ بَل أكثرُهُم لا يَعْلَمُون ﴾ [النَّحْل : ١٠١] [٨٤].

إذا نَسَخَ اللهُ حُكْمَ آيةٍ ، وغيَّره إلى حُكْمٍ آخَر ، واللهُ أعلمُ بما هو أصْلَح لِعِباده ، قال كفار قُرَيش للنبيِّ ﷺ إنك كاذب تختلق القُرآنَ وتَنْسُبه إلى اللهِ ، وذلك لَمَّا رَأَوا تبديلَ الأحكامِ ، وهذا يُشير إلى صِغَر عقولهم ، وانهيار عقيدتهم ، وضَعف يَقينهم ، وعدم ثباتهم ، وغرقهم في مستنقع الجهل والوهم .

ومَن كان سائرًا في هذه المتاهة، لا يَقْدِر على اعتناقِ الحق،والسَّيْرِ في طريق الإيمان. واللهُ يَفعل ما يُريد ، وهو سُبحانَه يُريد جَلْبَ المنافع للناسِ وتحقيق مصالحهم بتغيير الأحكام ، فهو خالقُهم وأعلمُ بِهم مِن أنفسهم ، يُريد مُساعَدَتَهم وهو غنيٌّ عنهم .

والمشركون اعتبَروا تغييرَ الأحكام دليلًا على التناقض والسُّخرية، حيث اعتقَدوا بكل جهلٍ ، أن النبيَّ ﷺ يَسخر من أصحابه ، يأمرهم اليوم بأمرٍ ، ثُمَّ يَنهاهم عنه غدًا . وهذا دليلٌ _ وَفْق نظرتهم القاصرة _ على أن القُرآن كلام محمد ، وليس كلام الله ، وأن محمدًا يَأتي بالقُرآن مِن عِند نفْسه . وأكثرُ المشركين لا يَعرفون حقيقةَ القُرآنِ ، ولا يَفقهون قَضيةَ تبديل الأحكام ، والناسُ أعداء ما يَجهلون ، والحُكم على الشيء فَرع عَن تصوُّره .

وقال البَيضاوي في تفسيره (١/ ٤١٩) : ((﴿ واللهُ أعلمُ بِمَا يُنَـزِّلُ ﴾ مِنَ المصالح ، فلعلَّ ما يكون مَصلحة في وقت ، يَصير مفسدةً بَعْدَه فَيَنسخه ، وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآنَ فَيُثْبِتُه مكانَه ... ﴿ قالوا ﴾ أي الكَفَرة ﴿ إنَّما أنتَ مُفْترٍ ﴾ مُتَقَوِّل على الله ، تأمر بشيء ، ثم يبدو لك فَتَنهى عنه ... ﴿ واللهُ أعلمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم ، والتنبيه على فساد سندهم ، ويجوز أن يكون حالًا ، ﴿ بَل أكثرُهُم لا يَعْلَمُون ﴾ حِكمةَ الأحكام ، ولا يُمَيِّزون الخطأ من الصواب)) اهـ .

أمَّا قَول البعض إن النَّسخَ لم يَحدث إلا في القُرآن ، فهذا لا نُسَلِّمُ به، ويتعارضُ مع الحقيقة، والواقعُ يُكذِّبه . وهي عبارة خاطئة ، الهدف منها التَّشكيك في القُرآن ، والطعن فيه .

---

٨٤ قال ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٤٩١) : ((سبب نزولها أن الله تعالى كان يُنَزِّل الآيةَ فَيُعْمَل بها مُدَّة ثم يَنسخها ، فقال كفار قُرَيش : واللهِ ما محمد إلا يَسخر من أصحابه ، يَأمرهم اليوم بأمرٍ ، ويأتيهم غدًا بما هُوَ أهْوَن عليهم مِنه ، فَنَزلت هذه الآية ، قاله أبو صالح عن ابن عباس)) .

وفي هذا السياق ، سَوْفَ أستخدم مفهومًا جديدًا لَم يَسبقني إليه أحد ، وهو النَّسْخ الداخلي والخارجي [٨٥]. وتَقسيم النَّسْخ ضروري لفهم النص في سياقه ، وفهم المعنى في مجاله ، وضمن أُفُقِه الخاص به .

وفي القُرآن، وَقَعَ النَّسخُ على نطاق ضَيِّق. وإليك المثال التالي المتعلق بنسخٍ داخلي حصل داخل القرآن، فالآية القرآنية الكريمة: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النُّور:٢] نَسخت الآيةَ: ﴿ وَاللاتِي يَأتِينَ الفَاحِشَةَ مِن نسَائِكُم فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنكُم فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي البُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ المَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾[النِّساء:١٥].

وإليكَ مثالٌ على نسخٍ داخلي حصل في السُّنةِ النبوية ، ووقع في أكثر من مسألة .ففي صحيح مسلم (٢/ ٦٧٢) : عن بُرَيْدة عن أبيه قال : قال رسولُ الله ﷺ : ((نَهَيْتُكم عن زيارة القبورِ فزوروها، ونهيتكم عن لحومِ الأضاحي فوقَ ثلاث فأمسِكوا ما بدا لكم، ونهيتكم عن النبيذ _أي نقيع التمر والزبيب ونحوهما_ إلا في سِقاء فاشربوا في الأسقية كُلِّها ، ولا تَشربوا مُسْكِرًا)).

في الحديثِ نَسْخ واضح وقع في أكثر من قضية . الأولى : زيارة القبور ، والثانية : لحوم الأضاحي ، والثالثة: النبيذ (نقيع التمر والزبيب ونحوهما) .

وهناك نَسْخ داخلي في الإنجيل . ففي [مَتَّى ١٢ : ٣٠] : ((مَن ليس معي فهو ضِدِّي)). وفي [مَرْقُس ٩ : ٤٠] : ((فإن مَن ليس ضِدَّنا فهو مَعَنا)) .

هذان النَّصَّان بينهما نَسْخ ، على فرض أنهما من كلام المسيح حقًّا وصِدْقًا . فلا يُعقَل الجمعُ بينهما . إذن ، أحدهما أبطلَ الآخَرَ ، ونَسَخَه . لكننا لا نعلم الناسخ من المنسوخ ، لأن الأناجيل مُزوَّرة ، وعشوائية الترتيب والجمع، ولا تاريخ لها يُعتد به . وهناك غموض هائل يُحيط بها من حيث زمان كتابتها ، ومكان تدوينها ، ومَن قام بهذا العمل ، لذلك لا يُعلَم السابق من اللاحق .

والنَّسْخُ لا يَصدر إلا عن الله أو أنبيائه (المُتحدِّثين باسمه) . وإذا كانت المقولتان السابقتان من كلام المسيح ، فهناك نَسْخ شرعي . وإذا كانتا مَنسُوبَتَيْن إلى المسيح كذبًا وزُورًا ، فالنَّسْخُ باطل ، بسبب عدم صدوره عن الله أو أنبيائه . وهذا يعني وجود تناقض وتعارُض بين المَقُولَتَيْن .

٨٥ النَّسْخ الداخلي يكون في نفْس الكتاب أو في نفْس الشريعة (مَثلًا النَّسخ في القرآن الكريم أو النَّسْخ في الإنجيل) ، أمَّا النَّسْخُ الخارجي فيتعدَّى إلى أكثر من كتاب أو أكثر من شريعة (مثلًا كأن ينسخ نَص في القرآن نَصًّا في الإنجيل ، أو أن يَنسخ نَص في الإنجيل نصًّا في التوراة) .

والنصارى يُجادلون بالباطل مُحاولين إثبات انعدام النَّسْخ في الإنجيل . وسِفْرُ أعمال الرُّسل يُخبرُ بأن اليهودَ قدَّموا شهادة زُور على إستفانوس [86] : ((فقد سَمِعناه يقول إن يسوعَ الناصريَّ سَيَهْدِمُ هذا الهَيكلَ ويُغَيِّرُ الطُّقوسَ التي تَسَلَّمْناها مِن موسى)) [أعمال الرُّسل ٦ : ١٤] .

---

٨٦ إستفانوس ــ حَسَب اعتقاد النصارى ــ هو أول الشمامسة، وأول شهيد في النصرانية (المسيحية). اسمه معناه تاج أو إكليل من الزهور، وهو مُكرَّم في المسيحية . وهو واحدٌ من السبعة الذين تم اختيارهم لمساعدة " الرُّسل "ــ حَسَب كلام لُوقا مؤلف سِفر أعمال الرُّسل ــ . والجديرُ بالذِّكر أن كلمة " الرُّسل" يُقصَد بها التلاميذ الذين اختارهم المسيح. وقد سمَّاهم القرآنُ الحواريين.قالَ اللهُ تعالى:﴿ فلمَّا أحسَّ عيسى منهم الكفرَ قال مَن أنصاري إلى الله قال الحوارِيُّون نحن أنصارُ الله آمنَّا بالله واشهد بأنَّا مسلمون ﴾ [آل عِمران : ٥٢] . حِينَ أحسَّ عيسى ﷺ أن اليهود مُصمِّمون على الكفر دون وجود أيَّة رغبة لديهم في الإيمان ، أراد معرفة أنصاره في الدعوة إلى الله تعالى . وهؤلاء الأنصار الصادقون هم الحواريون الذين آمنوا بالله ربًّا ، وبالإسلام دِينًا ، وبالمسيح نبيًّا ورسولًا ، وثبتوا على الصراط المستقيم ، وحملوا شريعة المسيح الحقيقية بلا غُلُوٍّ ولا تحريف ولا تبديل . وهُم صَفوةُ بني إسرائيل في زمن السيد المسيح ﷺ ، وصحابته الكرام الذين حملوا مِشْعَلَ النُّبُوَّة إلى الناس ، وهُم أنصار المسيح الصادقون ، وأتباعه الْمُخلِصون . وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٨٦) : ((وهكذا عيسى ابن مريم ــ عليه السلام ــ انتدب له طائفة من بني إسرائيل ، فآمنوا به ، ووازروه ــ أي أعانوه ــ ، ونصروه ، واتَّبعوا النُّورَ الذي أُنزِل معه)) اهـ . والدعوة الإسلامية لا يمكن أن يحملها نبيٌّ بمفرده ، فلا بُد له من أتباع يسيرون على خُطاه ، ويُبلِّغون التعاليم الإلهية ، ويُطبِّقونها على أرض الواقع . فالشريعةُ السماوية لا تقوم إلا على أكتاف الجميع . وهكذا نفهم قول السيد المسيح ﷺ : ﴿ مَن أنصاري إلى الله ﴾ . فهو يريد معرفة أتباعه المؤمنين به ، الْمُستعدين لحمل دعوة المسيح القائمة على التَّوحيد ، بكل إيمان وصبر ونشاط . وَقال اللهُ تعالى : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الحواريينَ أَن آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُون﴾[المائدة: ١١١]. اللهُ يمنُّ على عيسى ﷺ، ويُذكِّره بالنعمة الإلهية العظيمة ، فقد هيَّأ اللهُ له أصحابًا صادقين وتلاميذ مُخلِصين ، وألقى في قلوبهم التَّصديقَ بالله وبرسوله عيسى بن مريم ، وقد صدَّقوا بذلك ، وخضعوا لله ، مُخلِصين له ، ومُطيعين لأمره . والحواريون هُم أصحاب عيسى والأُمناء على دِينه (التَّوحيد). وقال ابنُ كثير في تفسيره (١٥٧/٢) : ((وهذا أيضًا مِن الامتنان عليه ــ عليه السلام ــ بأن جعل له أصحابًا وأنصارًا، ثم قِيل: إن المراد بهذا الوَحْي وَحْي إلهام، كما قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَينَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَن أَرْضِعِيهِ ﴾[القَصَص : ٧] وهو وَحْي =

=إلهام بلا خِلاف ، وكما قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ [النَّحل:٦٨])) اهـ . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٤٥٥): ((وفي الوَحْي الى الحواريين قَولان : أحدهما أنه بمعنى الإلهام ، قاله الفَرَّاء . وقال السُّدي: قَذف في قلوبهم . والثاني أنه بمعنى الأمر، فتقديره : أمرتُ الحواريين.و﴿ إِلَى ﴾ صِلَة ، قاله أبو عُبَيدة . وفي قَوله : ﴿ وَاشْهَدْ ﴾ قَولان : أحدهما أنهم يَعْنُون الله تعالى ، والثاني عيسى عليه السلام . وقَوله : ﴿ بِأَنَّنَا مُسْلِمُون ﴾ أي : مخلصون للعبادة والتَّوحيد)) اهـ . وقال ابن حزم في الفِصَل في المِلَل والأهواء والنِّحَل (٢/ ٣٣): ((وأمَّا الحواريون الذين أثنى الله عليهم ، فأولئك أولياء الله حقًّا ، ندين لله عز وجل بحبهم ، ولا ندري أسماءهم ، لأن الله تعالى لم يُسمِّهم لنا)) اهـ . وقد اخْتُلِف في سبب تسميتهم بالحواريين . فقال بعضهم : سُمُّوا بذلك لبياض ثيابهم ، وقال آخرون : لأنهم كانوا قصَّارين يُبيِّضون الثياب. وقال الطبري في تفسيره (٣/ ٢٨٢): ((الحَوَر عند العرب شِدَّة البياض . قِيل للرَّجل الشديد بياض مُقلة العينين أحْوَر، وللمرأة حَوْراء . وقد يجوز أن يكون حَوَارِيُّو عيسى كانوا سُموا بالذي ذكرنا من تبييضهم الثياب ، وأنهم كانوا قصَّارين ، فعُرفوا بصُحبة عيسى واختياره إياهم لنفْسه أصحابًا وأنصارًا ، فجرى ذلك الاسم لهم)) اهـ . والمعنى الذي نختاره لكلمة " الحواريين " هو الأنصار. فالحواريُّ هو الناصر .وهكذا يتَّضح أن تلاميذ المسيح ليسوا أنبياء ، وبالتالي ليسوا رُسلًا. وقد يكون المراد بلفظة " الرُّسل " أي رُسل المسيح ﷺ إلى الآخرين ، وهذا ما أراه . وتلاميذه ليسوا معصومين ، فيهوذا الإسخريوطي ــ وَفق الإجماع النصراني ــ كان ضمن تلاميذه الاثني عشر ومعَ هذا خانه . وهذه قائمة أسماء تلاميذ المسيح عند [مَتَّى ١٠ : ٢و٣و٤] : ((وهذه أسماء الاثني عشر رسولًا : أوَّلًا ، سِمعانُ الذي دُعِيَ بُطرُس ، وأندَراوسُ أخوه، ويَعقوبُ بن زَبَدي، ويُوحَنَّا أخوه ، فيلبُّسُ، وبَرثُلماوُس ، تُوما ، ومَتَّى جابي الضرائب، يَعقوبُ بن حَلفى ، وتَدَّاوس، سِمعان القانَوِيّ، ويَهُوذا الإسخَريوطِيُّ الذي خانه)). وقد ذكر بَرنابا أسماء التلاميذ في الفصل الرابع عشر من إنجيله مع حذف اسمَيْ تُوما وسِمعان القانَوِيّ ، ووضع اسمه واسم تَدَّاوس : [أندَراوس ، وبُطرُس الصَّياد(سِمعان)، وبَرنابا، ومَتَّى جابي الضرائب، ويُوحَنَّا بن زَبَدي ، ويَعقوب بن زَبَدي ، وتَدَّاوس ، ويَهُوذا ، وبَرثُلماوُس ، وفيلبُّس ، ويعقوب بن حَلفى ، ويَهُوذا الإسخَريوطِي].وهناك ملاحظة بالنسبة لأسماء الرُّسل الاثني عشر. فهي عند متَّى[١٠: ١ــ ٤] مع ذِكر تَدَّاوس. وهي عند مَرْقُس[٣: ١٦ــ ١٩] مع ذِكر تَدَّاوس. وهي عند لُوقَا [٦: ١٤ــ ١٦] بدون ذِكر تَدَّاوس، وإنما ذُكر شخصٌ آخر: يهوذا أخو يعقوب !. ويقول علماء الإنجيل : ((إن العهد الجديد كُتِب في مدة لا تتعدى المئة من السنين ، وباللغة اليونانية التي كانت في أيام المسيح اللغةَ الأدبية والتجارية السائدة في فلسطين . وتعود أقدم النصوص إلى القرن الثاني بعد المسيح)) اهـ . قلتُ: وبما أن الكنيسة =

وهذا القولُ اعتبره لُوقَا_ مؤلف سِفْر أعمال الرُّسلِ _ تهمة باطلة . بمعنى أن تغيير الطقوس باطلٌ. إذن ، فالحق _ حَسَب لُوقا _ أن الطقوس التي تسلَّمها اليهودُ من مُوسى ، هي التي نادى بها المسيح ، وهذا يعني أنه ليس هناك نَسْخ نهائيًّا . لكن الأمر فيه نظر . فتحريمُ لَحم الخِنزير في شريعة موسى، نراه اختفى في الإنجيل (الأناجيل والرسائل والأسفار) . وأيضًا ، الخِتانُ كان ثابتًا في شريعة مُوسى ، واختفى في الإنجيل .

وفي [لُوقَا ٢ : ٢١] : ((وَلَمَّا تَمَّت ثمانيةُ أيامٍ لِيُختنَ الطِّفلُ، سُمِّيَ يَسوع)) اهـ . هذا النص دليل على أن الخِتان ثابت في شريعة مُوسى. ولَو لَم يكن كذلك لَمَا أقدمت السيدة مريم ، وهي التَّقِيَّة العالمة بالشَّريعة على خِتان ابنها.وأيضًا تَمَّ خِتان يَسوع بلا اعتراض ولا إنكار مِن أحد . مِمَّا يدل على أن أمر الخِتان كان واضحًا أمام الناس ، ومشهورًا بينهم ، وثابتًا في شريعة مُوسى .

لَكِنَّنا نجد أن الخِتان أُلْغِيَ بمزاجية طائشة صَدرت مِن قِدِّيس النصارى بُولُس . وهذه المزاجية مُغرِضة ، وخاضعة للهوى والمصلحة الشخصية، وواقعة تحت ضغط العناصر الاجتماعية المُنحرفة. وفي [الرسالة الأُولى إلى كُورِنثُوس ٧: ١٩] قال بُولُس : ((إنَّ الخِتانَ لَيسَ شيئًا)) اهـ . وهذا انقلاب واضح من بُولُس على شريعة مُوسى وشريعة عيسى ، ورفض لهما ، لأن شريعة عيسى مُكمِّلة ومُتمِّمة لشريعة مُوسى . ومهما كانت مكانة بُولُس عند النصارى ، فلن تصل إلى مستوى أن يُلْغِيَ شريعةَ مُوسى وشريعة عيسى ، وينقلب عليهما ، ويُلغيهما . وفي [يُوحَنَّا ٧ : ٢٢] قال المسيح : ((إن موسى أوصاكم بالخِتان)) اهـ . وهذا النص الوارد على لسان المسيح شخصيًّا يُثبِت أن الخِتان ثابت في شريعة مُوسى ، وأن المسيح لم يُقم بإلغائه ولا إبطاله ، وأن شريعة المسيح لم تَنْسَخْ أمرَ الخِتان الثابت في شريعةَ مُوسى ، وأن المسيح سائر على خُطى مُوسى ، وأن شريعة المسيح تابعة لشريعة مُوسى ، ومُكمِّلة لها ، ومُتمِّمة لأحكامها .

إن بُولُس شخصية غامضة وخطيرة ، ولا شَك أنه جاسوس لليهود ، ومدَسوس في النصرانية (المسيحية) لإبطال شريعة المسيح ، وإفسادها ، وإلغاء عقائد المسيح الصحيحة .

=قد اختارت الأناجيل التي تؤيِّد وجهةَ نظرها الأسطورية ، فمِمَّا لا شك فيه أنها اختارت أسماء الرُّسل (تلاميذ المسيح) بما يتوافق مع فلسفتها الخرافية . فالاختلاف بين أسماء الرُّسل بين إنجيل وآخر ، يدل بشكل قاطع على وجود علماء يختارون الأسماءَ المرضي عنها داخل المؤسسة الكنسية، مما يُشير إلى أن مسار النص الإنجيلي خاضع للأهواء ، والمصالح الشخصية ، وسُلطة رجال الدِّين الاستغلالية الابتزازية .

وبُولُس مُولَع باختراع العقائد الباطلة المُخالفة لشريعة المسيح ، والمُعارِضة لها ، وهو بذلك ينقلب على تعاليم مُوسى وعيسى معًا .

وفي [الرسالة إلى رُوما ٢ : ٢٨] قال بُولُس : ((ولا بِختَان ما كان ظاهرًا في اللحم)) اهـ . ثُمَّ قال : ((والخِتان هو ما كان خِتانًا للقلبِ بالرُّوحِ لا بالحرف))[الرِّسالة إلى روما ٢: ٢٩] .

لقد حوَّل بُولُس اليهودي (المُتستِّر بالمسيحية) الخِتانَ مِن إجراء مادي ملموس إلى فكرة معنوية هُلامية غير ملموسة . وهذا انحرافٌ واضحٌ ، وضلال مُبين . والخِتانُ هي عملية خَتن قُلفَة الذَّكَر(أي إزالته). وهذا الأمرُ مُنتشر بين كثير من الأجناس والشعوب، ويُمَارَس على نطاق واسع.

والعجيبُ أن النصارى تركوا تعاليمَ مُوسى وعيسى معًا ، واتَّبعوا بُولُس اليهودي [٨٧]. مِمَّا يُشير إلى اختراق اليهود للإنجيل، وتكريس عملية صَهْينة نصوص الإنجيل . وهذا غير مُستغرب ، لأن اليهود يَلعبون بالنصارى مِن أجل السيطرة عليهم ، وقيادتهم ، واستغلالهم ، والتَّحَكُّم بهم .

---

[٨٧] بُولُس شخصية غامضة وخبيثة وماكرة ، لكن الأكيد أنه انحرف بالكنيسة إلى وُجهة كان يُريدها ، وبَدَّلَ وغَيَّرَ في شريعة المسيح ، وتلاعبَ بالنصوصِ الإنجيلية . فالكثير من العقائد الباطلة إنما جاءت على لسانه، ومِن صُنع يديه . يقول بُولُس عارضًا سيرته الذاتية : ((أنا رَجل يهودي ، وُلدتُ في طَرسوس الواقعة في مقاطعة كيليكيّة ، ولكني نشأتُ في هذه المدينة وتعلَّمتُ عند قَدَمَي غَمالائيلَ التربية الموافقة تمامًا لشريعة آبائنا. وكنتُ غيورًا في أمور الله ، مِثْلَكُم جميعًا اليوم. فاضْطَهَدْتُ هذا الطريقَ حتى الموت، فكنتُ أَعتقلُ أتباعَه من الرجال والنساء، وأَزُجُّ بهم في السجون . ويشهدُ رئيسُ الكَهَنة ومجلسُ الشيوخ على صِدق كلامي هذا . فقد أخذتُ منهم رسائل إلى إخوانهم في دمشق ليعاونوني في القبضِ على الذين هناك، لأسوقهم إلى أورُشَليمَ فينالوا عقابهم. ولَمَّا وصلتُ إلى مَقرُبة من دمشق ، وكان الوقت نحو الظُّهر، أضاء حَوْلي فجأة نورٌ باهر، فوقعتُ على الأرضِ، وسمعتُ صوتًا يقول لي : شاوُل ، شاوُل ، لماذا تضطهدني؟ فأجبتُ : مَن أنتَ يا سَيِّد ؟ فقال : أنا يَسوعُ الناصريُّ الذي أنت تضطهده. وقد رأى مُرافقيَّ النور، ولكنهم لم يسمعوا صوتَ مُخاطبي. فسألتُ: ماذا أفعل يا رب ؟ فأجابني الرب: قُم وادخل دمشق،وهناك يُقال لك ما يجب عليك أن تفعله))[أعمال الرُّسل ٢٢: ٣ــ ١٠]. حَسَب هذه القصة، كان بُولُس يهوديًّا مُطَّلِعًا على الشَّريعةِ، ثم اضطهد الكثيرين ممن يَنسبون أنفسهم للمسيح ، وفي يومٍ من الأيام ــ وفق زَعم بُولُس ــ سمع صوت المسيح ، لكن من معه لم يسمعوا !، وبعدها صار من الذين يُسَمُّون أنفسهم أتباع المسيح. وهذا الكلام مليء بالشكوك. فبُولُس جاء بأمور كثيرةٍ مُضادة لدعوة=

وحَسَب عقائد النصارى ، هناك اختلاف بين شريعة مُوسى وشريعة عيسى . وهذا يُثبِت التلاعب بالنصوص الدينية، والتناقض ، والتعارض. ويُشير إلى كثرة الأيدي التي تلاعبت بالإنجيل، حذفًا وإضافةً . والسبب في ذلك هو اتِّباع الأهواء الذاتية ، والحرص على المصالح الشخصية . وهذا يعكس حجم التجاذبات التي تتصارع في نصوص الإنجيل البشري المُحرَّف ، معَ ضرورة إبراز دور المؤسسة الكنسية في لُعبة تحريف النصوص الإنجيلية . وهي لُعبة دنيئة وقاتلة .

وفي [مَرْقُس ١٠ : ٤] : ((سمحَ موسى بأن تُكْتَبَ وثيقةُ طلاقٍ ثم تُطَلَّق الزوجةُ)) اهـ . وقد علَّل المسيحُ هذا الأمر بسبب قساوة قلوب اليهود : ((بسببِ قساوةِ قلوبكم كَتب لكم موسى هذه الوصيةَ))[مَرْقُس ١٠: ٥].وقد نُسِخَ هذا الحُكم بقول المسيح _حَسَب الإنجيل_: ((إذن ، لا يُفَرِّقَنَّ الإنسانُ ما قد قَرَنَهُ اللهُ)) [مَرْقُس ١٠: ٩] .

هذا يعني وجود نَسْخ خارجي يَطال شريعتَيْن . أي إن نصًّا في الإنجيل نَسَخَ حُكْمًا في شريعة مُوسى . وبعبارة أخرى ، إن كلام المسيح نَسَخَ كلام مُوسى .

وأيضًا ، سأُورِد مثالًا آخر للرد على المُكابِرين المُعانِدين القائلين بعدم وجود نَسْخ مُتعلِّق بشريعَتي مُوسى وعيسى _عليهما الصلاة والسلام _ .

((كَتبَ لنا موسى : إنْ مات لأحد أخٌ متزوج وليس له ولد، فعلى أخيه أن يتزوجَ بأرملته ويُقيمَ نسلًا على اسم أخيه)) [لُوقَا ٢٠: ٢٨] .

هذا الحُكم الثابت في شريعة مُوسى ، نَسَخَه بُولُس، قِدِّيس النصارى، والذي يُعْتَبَر كلامه نصًّا مُنْزَلًا ومُقَدَّسًا: ((إنَّ الزوجةَ تظل تحت ارتباط ما دام زوجها حيًّا. فإذا رقد زوجُها، تصير حُرَّة يَحِق لها أن تتزوج من أي رَجل تريده، إنما في الرب فقط)) [الرِّسالة الأولى إلى كُورنثُوس ٧: ٣٩].

=المسيح حيث إنه يُسمِّي السيدَ المسيح إلهًا في أكثر من موضع وهذا قمة التجديف والافتراء.فتارةً يقول: ((من بُولُس عبد يسوع المسيح))[الرسالة إلى روما (١:١)].وتارةً أخرى يقول: ((وإلى جميع الذين يدعون باسم ربنا يسوع المسيح)) [الرسالة الأولى إلى كُورنثُوس (١: ٢)]. ومرة يُمعن في تجديفه فيقول: ((لتكن لكم النعمة والسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح)) [الرسالة إلى أَفَسُوس (١: ٢)] . والنصوص السابقة التي اخترعها بُولُس من خياله المريض وأوهامه المتكاثرة تُعارضُ نصوصًا كثيرة ضد تأليه المسيح ، مِنها: ((فقد كُتب: للرب إلهك تسجد، وإياه وَحْدَه تَعبد!))[إنجيل مَتَّى (٤: ١٠)]. والعجيبُ أن بُولُس جعل سيرته الذاتية نصًّا إنجيليًّا مُقَدَّسًا ، ولا يُعقَل أن يكون هذا كلام الله ولا إنجيل المسيح .

والاعتقادُ الصحيح أن لا أحد يَملِك حقَّ النَّسْخ إلا الله ورُسله ، وبُولَس قَطْعًا ليس منهم . وقَوله مردود عليه . لَكِنَّنا نسردُ ما يقوله ، لأن النصارى يُقدِّسونه ويُقدِّسون كلامَه . والاعتقادُ الصحيح أيضًا أن الإنجيل الحقيقي (الأصلي) قد نَسَخَ بعضَ أحكامِ التوراة وشرائعِها .

قال اللهُ على لسان المسيح ﷺ : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُم ﴾[آل عِمران : ٥٠] .

لقد جاءَ المسيحُ مُصَدِّقًا لرسالة مُوسى وشريعته ، ومُؤيِّدًا للتَّوراة . ومِن أجل أن يُحِلَّ بعضَ المُحرَّمات التي كانت في شريعة موسى . وهذا دليل واضح على أن المسيح ﷺ ، قد نَسَخَ بَعْضَ الأحكام في شريعة مُوسى ﷺ .

وقال الطبري في تفسيره (٣/ ٢٨٠) : ((وإنما قِيل: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾ لأن عيسى صلوات الله عليه ، كان مؤمنًا بالتوراة، مُقِرًّا بها ، وأنها من عند الله ، وكذلك الأنبياء كُلهم يُصدِّقون بكل ما كان قبلهم مِن كُتب الله ورُسله ، وإن اختلف بعض شرائع أحكامهم ، لمُخالفة الله بينهم في ذلك ، معَ أن عيسى كان _ فيما بَلَغنا _ عاملًا بالتوراة ، لَم يُخالِف شيئًا من أحكامها ، إلا ما خَفَّفَ اللهُ عن أهلها في الإنجيل ، مِمَّا كان مُشَدَّدًا عليهم فيها)) اه .

إن عيسى أحلَّ لهم بعضَ الأطعمة ، التي حُرِّمت عليهم بسبب ذُنوبهم وقَسوة قلوبهم ، ولم يُحِلَّ لهم السرقة ولا القتل ولا الجرائم . لقد أحَلَّ لهم عيسى بَعْضَ ما حُرِّمَ عليهم في شريعة مُوسى ، كاللحوم والشُّحوم والعمل في السَّبْت . وهذا دليل على أن شريعة المسيح ناسخة لبعض شريعة مُوسى ، وهذا لا يتعارض معَ كَوْن المسيح مُؤمِنًا بالتَّوراة ، ومُصَدِّقًا بها ، وسائرًا على خُطى مُوسى. كما أن النَّسْخ في القُرآن لا يعني التناقض والكذب والاضطراب، لأن النَّسْخ مِن حِكمة الله تعالى، وهو تشريع إلهيٌّ للتخفيف على الناس ، ومُساعدتهم ، وإزالة الحَرَج عنهم . وقد جاءت الشريعةُ الإلهيةُ لرفع الحَرَج على الناس ، والأمرُ كُلَّما ضَاقَ اتَّسَعَ .

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٨٥) : ((فيه دَلالة على أن عيسى _ عليه السلام _ نَسَخَ بَعْضَ شريعة التَّوراة ، وهو الصحيح من القولَيْن . ومن العلماء من قال : لم يَنسخ منها شيئًا ، وإنما أحَلَّ لهم بَعْضَ ما كانوا يتنازعون فيه خطأ ، فكشف لهم عن المُغطَّى في ذلك)) اه .

وذَكَرَ الواحدي في الوجيز (١/ ٢١٢) أن اللهَ تعالى ((أَحَلَّ لهم على لسان المسيح لُحومَ الإبل، والثُّروب _ يعني الشَّحْم الرَّقيق الذي يُغَشِّي الكَرِشَ والأَمْعَاءَ _ وأشياء من الطَّير والحيتان ، مِمَّا كان مُحَرَّمًا في شريعة موسى _ عليه السلام _)) اه .

والجديرُ بالذِّكر أن النصارى يَسْتندون إلى التوراة في كثير من الأحكام ، وذلك لأن الإنجيل رسالة رُوحية وفِكرية ، ولَيْسَ كتابَ أحكام وشرائع وقوانين . وهذا يَجْعل النصارى خاضعين ومُنصاعين ــ بإرادتهم ورَغمًا عنهم ــ للتوراة (العهد القديم) [88].

إن التَّدَرُّج في النَّسْخ ، وكَوْن الشريعة اللاحقة تَنسخ الشريعةَ السابقة ، كاملةً أو بعضًا منها ، يُؤدِّي حتمًا إلى آخر الرسالات ، وخاتمة الشرائع ، وهي الشريعة المُحمَّدية الإسلامية ، فهل نَسخت الشَّرائعَ السابقةَ ومحتها أم لا ؟ .

للإجابة عن السؤال السابق ــ والذي يتمنى كثيرٌ من أهل الكتاب لو كانت الإجابة بالنَّفْي هروبًا من الحق الأبلج ــ ، عَلَيْنا أوَّلًا الإقرار بوجود النَّسْخ الذي اتَّضحت أدلته بالحُجَّة والبُرهان . ولَوْلا الدليل لقالَ مَن شاء ما شاء ، استنادًا إلى هواه ومِزاجه ورأيه ومصلحته الشخصية .

إن الشريعة المُحمَّدية الإسلامية تميَّزت بأنها ناسخة لِما قَبْلها بفضل القرآن الكريم ، فهو الكتاب السماويُّ الوحيد المَحفوظ ، وبالتالي هو المَرجعية والحَكَم والحاكم . وما وافقه كان حقًّا، وما خالفه كان باطلًا . ولأن النبيَّ محمدًا ﷺ أُوتيَ القُرآن ، فشريعته ناسخة لجميع الشرائع السابقة بلا استثناء . قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بالحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة : ٤٨].

يُخاطب اللهُ النبيَّ ﷺ: وأنزلنا إلَيْكَ يا محمد القُرآنَ بالعَدْل والصِّدق، فلا شَكَّ فِيه ولا شُبهة ، والقُرآنُ كلامُ اللهِ حَقًّا وصِدقًا ، يُصدِّق الكُتبَ السماوية السابقة ، وأمينًا وشاهدًا وحاكمًا عليها . والقرآنُ هو الرَّقيبُ على الكتب السماوية السابقة ، ويَحكم عَلَيها .

---

٨٨ في صحيح مسلم (٢/ ٧٩٧) أن ابن عباس ــرضي الله عنهــ قال: ((حِين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه ، قالوا : يا رسول الله ، إنهُ يَوْمٌ تُعظِّمه اليهودُ والنصارى)) . والمعروفُ أن يوم عاشوراء نَجَّى اللهُ فيه موسى ، وأغرقَ فِرْعَوْن . [انظر صحيح البخاري (٣/ ١٢٤٤) ، وصحيح مسلم (٢/ ٧٩٥)].وقضيةُ نجاة موسى وغرق فِرْعَوْن هي قضية خاصة باليهود، فما علاقة النصارى بتعظيم هذا اليوم ؟! . قال الحافظ في الفتح (٤/ ٢٤٨) : ((وَاسْتُشْكِل بأن التعليل بنجاة موسى وغرق فِرْعَوْن يختص بموسى واليهود. وأُجيب باحتمال أن يكون عيسى كان يَصومه، وهو مِمَّا لم يُنسَخ مِن شريعة موسى، لأن كثيرًا منها ما نُسِخَ بشريعة عيسى لِقَوْله تعالى : ﴿ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُم ﴾ . ويقال : إن أكثر الأحكام الفَرعية إنما تتلقَّاها النصارى من التوراة)) اهـ .

إنَّ القُرآن هُوَ المرجعيةُ العُليا ، وهُوَ الحَكَمُ الحاكِمُ الذي يَحْكُمُ ، ولا يُحْكَمُ عَلَيه ، والنبيُّ محمد ﷺ مُؤتَمَن على القُرآن. وما وَافقَ القُرآنَ كانَ حقًّا ، ومَا خَالَفَهُ كانَ باطلًا . وذلك لأن القرآن هو الكتاب السماويُّ الوحيد المحفوظ من التغيير ، زيادةً أو نُقصانًا . وهو الكتابُ السماويُّ الوحيد الباقي إلى يوم القيامة ، حيث يَشتمل على الأمر والنَّهْي ، والوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب، والبِشارة والنِّذارة ، وأحوال الدنيا والآخرة ، يَدعو إلى كُلِّ خَير ، ويَنهى عَن كُلِّ شَر. وبِفَضْلِ القُرآنِ الكريم، كانت الشريعةُ المُحمَّديةُ الإسلاميةُ ناسخةً لِمَا قَبْلَها من الشرائع.
وصدقَ القائل :

إنَّ الكِتابَ مُهَيْمِنٌ لِنَبِيِّنا والحقُّ يَعْرِفُهُ ذَوُو الألبابِ

وقال الطبري في تفسيره (٤/ ٦٠٦) : ((﴿ وَمُهَيمِنًا عَلَيْهِ ﴾ ، يقول : أنزَلْنا الكتابَ الذي أنزَلْناه إلَيك يا مُحَمَّد ، مُصَدِّقًا للكُتب قَبْلَه ، وشَهيدًا عَلَيها أنها حَق مِن عِندِ الله ، أمينًا عَلَيها ، حَافظًا لها)) اهـ . وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٩٠) : ((فإنَّ اسم المُهَيْمِن يَتضمَّن هذا كُلَّه، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قَبْله . جَعل اللهُ هذا الكتابَ العظيم الذي أنزله آخِرَ الكتب ، وخَاتِمها ، وأشملها ، وأعظمها ، وأكملها ، حيث جَمع فيه مَحاسنَ ما قَبْله ، وزَاده من الكمالات ما ليس في غَيْره ، فلهذا جَعله شاهدًا وأمينًا وحاكمًا عَلَيها كُلِّها ، وتَكَفَّلَ تعالى بِحِفْظه بِنَفْسه الكريمة ، فقال تعالى : ﴿ إنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ وإنَّا لَهُ لَحَافِظُون ﴾ [الحِجْر : ٩])) اهـ .
وقال اللهُ تعالى : ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَد أَطَاعَ اللهَ ﴾[النِّساء : ٨٠].
مَن أطاعَ الرسولَ محمدًا ﷺ فقد أطاعَ اللهَ ، ومَن عصى الرسولَ فقد عصى اللهَ ، لأنَّ الرسولَ لا يأتي بشيء مِن عِنده ، إنه مُبَلِّغٌ عن اللهِ تعالى . وهذا يُشير إلى المكانة الجليلة للرسول ﷺ ، إذ إنَّ اللهَ جَعل طاعةَ الرسولِ طاعةً للهِ تعالى ، فالرسولُ لا يَأمرُ إلا بما أمرَ اللهُ بِه ، ولا يَنهى إلا عَمَّا نهى اللهُ عنه . وأقوالُ الرسول وأفعالُه ، كُلُّها خاضعة للوَحْي الإلهيّ . ومَن رَدَّ كلامَ الرسول ، فقد رَدَّ كلامَ اللهِ . وفي الشِّفا للقاضي عِياض (١/ ١٧): ((رُوِيَ عن عمر _ رضي اللهُ عنه_ أنه قال : مِن فضيلتك عند اللهِ أنْ جَعل طاعتك طاعته، فقال تعالى: ﴿ مَن يُطِعِ الرسولَ فَقَد أطاعَ اللهَ ﴾)).
ويُفهَم من الآية السابقة أن الذي يَعصي الرسولَ فقد عصى الله تعالى . ومِن طاعة الرسول الخضوع لشريعته جُملةً وتفصيلًا . وبسبب وجود اختلاف وتناقض وتعارُض وتحريف في شريعة

مُوسى وشريعة عيسى ، بسبب تلاعب رجال الدين اليهود والنصارى بنصوص التوراة والإنجيل ، اتِّبَاعًا لأهوائهم ومصالحهم الشخصية، ومُكتسباتهم المادية، كان القول الفصل لشريعة محمد ﷺ، لأنها الشريعة الخاتمة المحفوظة من التغيير والتحريف والتبديل ، والصالحة للإنس والجن في كل زمان ومكان، والناسخة لكل الشرائع السابقة بلا استثناء .

وتأييدًا للمعنى السابق صنَّف الإمامُ مُسلم في صحيحه (١/ ١٣٤) بابًا سمَّاه " باب وجوب الإيمان برسالة نبيِّنا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونَسخ المِلَل بِمِلَّته " .

والشمسُ حين تظهر ، فإن النجوم تختفي تمامًا . وهكذا ، إن الحق الساطع يكون ظهوره باهرًا وساطعًا ، يُزيل ما يجده أمامه بسبب امتلاكه قوة الإزالة، وتثبيت نفْسه ، وترسيخ وجوده .

وليس هذا استكبارًا ولا غُرورًا ولا غَطرسة ، وإنما هو سياق فكري واضح ، فحتميةُ النَّسْخ مستمدة من تغيُّر الأزمنة والأمكنة وعقول الناس. وبما أن الشريعة قد جاءت لإنقاذ الناس ، فشيء طبيعي أن تكون قادرة على التعامل مع طِباع البشر، وتوضيح الصراط المستقيم ، عالِمةً بالشهوات الإنسانية ، والشُّبهات البشرية ، والوضوحِ والغُموض ، وطرائقِ التفكير البشري السائر في عوالم مختلطة من الحق والباطل ، والإيمان والكُفر ، واليقين والشَّك .

وفي صحيح مسلم (١٣٤/١): عن أبي هريرة_ رضي اللهُ عنه_ عن رسول الله ﷺ أنَّه قال : ((والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَده ، لا يَسمعُ بي أحدٌ مِن هذه الأُمَّة ، يَهوديٌّ ولا نصرانِيٌّ ، ثُمَّ يَموت وَلَم يُؤمِن بالذي أُرْسِلْتُ بِه ، إلا كان مِن أصحاب النار)) .

هذا يُشير إلى عُموم رِسالة محمد ﷺ ، وأنَّه جاءَ للناسِ كافَّةً ، وأنَّ الإسلامَ نَسَخَ الأديانَ السابقةَ كُلَّها ، وأنَّ القُرآنَ نَسَخَ الكُتبَ السماويةَ كُلَّها ، وأن الشريعة المُحمَّدية نَسَخَت الشرائعَ السابقة كُلَّها . وفي الحديثِ دليلٌ على أنَّ مَن لَم تَبلغه دَعوةُ الإسلام فهو مَعذور ، ولا حُكم قبل وُرود الشَّرْع . والحديثُ لا يَحصُر الدَّعوةَ في اليهود والنصارى، بَل هو شامل لكل كافر مَهما كانَ دِينُه.وإنما ذُكر اليهود والنصارى ، لأنهم الأقرب إلى المسلمين مِن غَيرهم ، حيث إنهم أهل كتاب رغم كل ما أَصاب التوراةَ والإنجيلَ مِن تَحريف . ولَفظة الأُمَّة في الحديث تعني أهل الكتاب .

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم (٢/ ١٨٨) : ((وَقَوله ﷺ : " لا يَسمع بي أحد مِن هذه الأُمَّة "، أي مَن هُوَ موجود في زمني وبعدي إلى يوم القيامة ، فَكُلُّهم يَجب عليهم الدخول في طاعته ، وإنما ذُكر اليهودي والنصراني تنبيهًا على مَن سِواهما ، وذلك لأن اليهود النصارى لهم كتاب، فإذا كان هذا شأنهم معَ أنَّ لهم كِتابًا ، فَغَيْرُهُم مِمَّن لا كِتاب له أَوْلَى ، والله أعلم)) اه.

والجديرُ بالذِّكر أنَّ كُلَّ مَن بَلَغَهُ القُرآنُ فكأنما رَأى النبيَّ ﷺ وسَمِعَ مِنهُ . ولا شَكَّ أنَّ أحكامَ القُرآن صالحةٌ لجميع الناس في كُل زمان ومكان .

وهناك حِكَمٌ كثيرة جَعلتْ شريعةَ النبيِّ محمد ﷺ ناسخة ، مِنها أنها شريعة عالمية إلى يوم القيامة ، للإنس والجن معًا.قالَ اللهُ تعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً للعَالَمِين ﴾[الأنبياء : ١٠٧] .

إن محمدًا ﷺ هو الرحمة الإلهية المُهداة إلى العَالَمين . وهذه الرحمة تشمل المسلمين والكافرين ، وكُل الكائنات الحية ، وكل الجمادات. ووجودُ محمد ﷺ دليلٌ واضح على رحمة الله بمخلوقاته . واللهُ أرحم بالعبد مِن أُمِّه . ولَم يُرسِل اللهُ محمدًا ﷺ بأحكام الشريعة إلا رَحمةً للمخلوقاتِ كافَّةً . لقد رَحِمَ اللهُ المخلوقاتِ بالنبيِّ ﷺ . فالنبيُّ ﷺ رَحمةٌ للمؤمنين، إذْ هداهم اللهُ بِه، وأنقذَهم من النار، ومَنحهم الجنةَ الأبديةَ. وأيضًا، النبيُّ ﷺ رَحمةٌ للكافرين ، فاللهُ لَم يُعاجِلْهم بالعُقوبة والعذاب كما كان حال الأمم الكافرة في الماضي، وذلك إكرامًا للنبيِّ ﷺ . وهكذا ، فازَ المؤمنون في الدَّارَيْن ، وسَلِمَ الكافرون من الخَسْف والمَسْخ والفَناء. وقِيل : النبيُّ ﷺ رَحمة للمؤمنين خاصَّة . والصحيح أنه ﷺ رحمة للمؤمنين والكافرين كُلِّهم جميعًا .

وفي الدُّر المنثور(٥/ ٦٨٧) أن ابن عباس _ رضي الله عنهما _ في قَوْله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً للعَالَمِين ﴾ ، قال : ((مَن آمَنَ تَمَّت له الرحمة في الدنيا والآخرة ، وَمَن لم يُؤمن عُوفِيَ مِمَّا كان يُصيب الأمم في عاجل الدنيا من العذاب ، مِنَ المَسْخ والخَسْف والقَذف)) اهـ .

إن النبيَّ محمدًا ﷺ رَحمة للعالَمين . ومَن قَبِلَ الرحمةَ المُحمَّدية ، وعرف قيمتها ، وشَكَرَ اللهَ على هذه النِّعمة الإلهية العظيمة ، حصل على سعادة الدُّنيا ونعيمِ الآخرة (الجنة). ومَن رَفضها ، ولَم يَشكرها ، فقد قادَ نَفْسَه إلى شَقاءِ الدنيا ، وعذابِ الآخرة (النار) .

وفي تفسير القرطبي (١١/ ٣٠٦):((قال سعيد بن جُبَير عن ابن عباس قال: كان محمد ﷺ رحمةً لجميع الناس ، فَمَن آمنَ به وصَدَّقَ بِه سَعِدَ ، وَمَن لَم يُؤمن بِه سَلِمَ مِمَّا لَحِقَ الأمم من الخسف والغرق . وقال ابن زيد : أراد بالعالَمين المؤمنين خاصَّة)) اهـ .

إنَّ النبيَّ ﷺ رَحمةٌ للإنس والجِن ، مُؤمنهم وكافرهم ، ورحمةٌ للحيوان والجماد وكُلِّ عناصر هذا الوجود.إنَّه ﷺ رَحمة للمُؤمن بالهداية، ورحمة للمنافق بالأمان ، ورحمة للكافر بتأخير العذاب.

وقال البَيضاوي في تفسيره (١/ ١١١) : ((لأنَّ ما بُعِثْتَ بِه سبب لإسعادهم ، ومُوجِب لصلاح مَعاشهم ومَعادهم . وقِيل : كَوْنُه رحمةً للكفار ، أمَّنَهم بِه مِن الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال)) اهـ .

وعن أبي هريرة _ رضي اللهُ عنه _ قال : قال رسول الله ﷺ : ((يا أيها الناس ، إنما أنا رحمة مُهداة)) [89].

إنَّ النبيَّ ﷺ رَحمةٌ عظيمة، أهداها اللهُ للخَلْق تكريمًا للنبيِّ ﷺ ، وتَعظيمًا لِشَأنه ، وإحسانًا إلى الخَلْق، ورحمةً بِهم ، وإكرامًا لهم . والهدِيَّةُ إنما تُبعَث على وَجْه الإكرام. وبسبب عَظَمة النبيِّ ﷺ وكثرة إحسانه إلى الناس ، صارَ هُوَ الرَّحمةَ بِعَيْنها . ومَن قَبِلَ هذه الهديةَ الإلهية فازَ في الدَّارَيْن ، ومَن رَفضها خَسر في الدَّارَيْن .

وفي صَفوة التفاسير (٩/ ٢٦): ((لَم يَقُل الله تعالى : رحمةً للمؤمنين ، وإنما قال : ﴿ رَحمةً للعَالَمِين ﴾ ، فإنَّ اللهَ سُبحانَه وتعالى رَحِمَ الخَلْقَ بإرسال سَيِّد المُرسَلين ﷺ ، لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى ، والنجاة من الشقاوة العظمى ، ونالوا على يَدَيه الخيرات الكثيرة في الآخرة والأُولى ، وعَلَّمهم بعد الجهالة ، وهداهم بعد الضلالة ، فكان رحمةً للعالَمين، حتى الكفار رُحِموا به ، حيث أَخَّرَ اللهُ عقوبتهم ، وَلَم يستأصلهم بالعذاب ، كالمسخ والخسف والغرق)) اهـ .

وفي صحيح مسلم (٤/ ٢٠٠٦): عن أبي هريرة_رضي اللهُ عنه_ قال : قِيل : يا رسول الله ، ادْعُ على المشركين ، قال : ((إنِّي لَم أُبعَث لَعَّانًا ، وإنما بُعِثْتُ رَحمةً)) .

اللعنُ يَتعارض تمامًا معَ منهجية النبيِّ ﷺ في الدَّعوة والإرشاد، والنبيُّ ﷺ لَم يُبعَث إلى الناس لِيُدمِّرهم ، ويَقضيَ عليهم ، ويَجعل حياتهم جحيمًا لا يُطاق ، وإنما بُعث لإخراجهم من الظُّلمات إلى النُّور ، ومِن الجهل إلى العِلم ، ومِن الكفر إلى الإيمان . ومِن ضِيق الدُّنيا إلى سَعة الدُّنيا والآخرة . والبَعثةُ المُحمَّديةُ الإسلاميةُ إنما هي رَحمة للخَلْق ، وإنقاذ لهم مِن العذاب والهلاك ، وإرشاد لهم إلى جَنَّة الدُّنيا وجنةِ الآخرة . وقال المُناوي في فَيض القدير(٢/ ٥٧٣): ((لأنه حُشِيَ بالرحمة والرأفة، فاستنار قلبه بِنُور الله ، فَرَقَّت الدنيا في عَينه ، فَبَذل نَفْسَه في جَنْبِ الله ، فكان رحمةً ومَفْزَعًا ومَأمَنًا وغِياثًا وأمانًا ، فالعذاب لَم يُقصَد مِن بَعْثه)) اهـ .

والنبيُّ ﷺ رحمةٌ متحركة على الأرض . قد بُعث إلى الإنس والجن ، وكان الرُّسل قَبْله يُبعَثون إلى أقوامهم خاصة. وهذا المعنى يُوضِّح عُلُوَّ رُتبة شريعة محمد ﷺ وتفوُّقها على الشرائع السابقة التي لا تصلح لكل زمان ومكان. وإنما حملها أنبياء كِرام لأقوام مُعيَّنين في أزمنة مُعيَّنة. في حين أن الشريعة المُحمَّدية الإسلامية الناسخة لِمَا قَبْلها مِن الشرائع، صالحة لكل زمان ومكان بلا استثناء.

---

٨٩ رواه الحاكم في المستدرَك (١/ ٩١) برقم (١٠٠) وصَّححه ، ووافقه الذهبي .

وفي صحيح البخاري (١/ ١٢٨) عن جابر بن عبد الله _ رضي اللهُ عنهما _ أنَّ النبيَّ ﷺ قال : ((وكانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمه خَاصَّةً ، وبُعِثْتُ إلى الناسِ عَامَّةً)) [٩٠].

هذا تَكريمٌ للنبيِّ ﷺ ، وتَشريفٌ له ، وتَعظيم لِشَأنه . فقد أرسَلَه اللهُ إلى الناسِ كُلِّهم بلا استثناء ، وهذا يُشير إلى مكانة النبيِّ ﷺ المرموقة ، وتَمَيُّزِه عَن باقي الأنبياء ، وتَفَوُّقِه عَلَيهم . وهذه خاصية للنبيِّ محمد ﷺ وَحْدَه ، دُون سائر الأنبياء الكرام _ عليهم الصلاة والسلام _ .

إنَّ الرسالةَ المُحمَّدِيةَ الإسلاميةَ هِيَ اللقاءُ الأخيرُ بين السماء والأرض . لذلك كانت مَحفوظةً من التغيير والتلاعب والتَّحريف، لأنَّ أيَّ تلاعب فِيها بأي شكل، يَعني أنَّ البشرية سَوْفَ تَضِلُّ طَرِيقَها إلى الأبد، ولا فُرصة للنَّجاة، فَلَن يَأتِيَ نبيٌّ بعد محمد ﷺ. وهنا تتجلى حِكمةُ اللهِ في حفظ الرسالة المُحمَّدية الإسلامية، ورحمته بعباده . فَقَد أرادَ لهم الهدايةَ والتَّوفيقَ ، وإنقاذَهم مِنَ النار .

وظُهورُ النبيِّ محمد ﷺ كالشمسِ التي غطَّت بنورها كُلَّ النجوم الأخرى . ولو وُجِد الأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ في زمن محمد ﷺ لَمَا وَسِعَهم إلا أن يتَّبعوه. فالرِّسالةُ العامة تحوي كُلَّ الرِّسالات الخاصة،والشريعة الشاملة لكل الأمور تخضع لها كُلُّ الشرائعِ المُؤقَّتة وغير الشاملة.

وفي هذا السياق ، يظهر سؤال في غاية الأهمية : هل نَسخت الشريعةُ المُحمَّديةُ الإسلاميةُ ما قَبْلها من الشرائع نَسْخًا كُلِّيًّا أم جُزئيًّا ؟ . هذه القضية مُخْتَلَفٌ فيها ، وتتمحور حول مفهوم " شَرْع مَن قَبْلنا " .

إن الشريعة المُحمَّدية الإسلامية قد نَسَخَتْ ما يُخالفها فقط، أمَّا إذا ذَكَرَ القُرآنُ أو السُّنَّةُ الصحيحةُ حُكْمًا شرعيًّا سابقًا ، ولم يَرِدْ نَص بنسخه فهو مُلزِم للأُمَّة المحمدية ، ويجب اتِّباعه . وهو قول جمهور الحنفية وبعض المالكية والشافعية . والحديثُ عن نَسْخ الشرائع السابقة ، يعني ضمنيًّا نَسْخَ ما يُخالف الشريعةَ المحمَّدية فقط . وقضيةُ " النَّسْخ " دقيقة ومهمة . حتى النصارى يعتقدون بها من الجانب المُقابل ، بمعنى أنهم يكتفون بما يعتقدون أنها رسالة المسيح ﷺ، ولا يهتمون بما جاء به محمد ﷺ على الرغم من إيمان الكثيرين من النصارى بمحمد نبيًّا ورسولًا ! .

---

٩٠ قال الحافظ في الفتح (١/ ٤٣٦) : ((ولا يعترض بأنَّ نُوحًا عليه السلام كان مَبعوثًا إلى أهل الأرض بعد الطوفان، لأنه لم يبقَ إلا مَن كان مؤمنًا معه، وقد كان مُرْسَلًا إِلَيهم،لأنَّ هذا العُموم لم يَكُن في أصل بِعثته ، وإنما اتَّفق بالحادث الذي وقع ، وهو انحصار الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس ، وأمَّا نَبِيُّنا ﷺ فعُموم رِسالته مِن أصل البِعثة ، فَثَبت اختصاصُه بذلك)) .

وبالنسبة لموقف الإنجيل من النَّسْخ ، فمن الواضح للمُتخصصين في الدراسات الإنجيلية أن الإنجيل يُقِرُّ بأنه سيُنسَخ يوم مجيء الشريعة الخاتمة شريعة محمد ﷺ . أمَّا مُكابرة علماء اللاهوت ورجال الدين النصارى ، فهي ليست في مكانها ، فالنصوص تُعارِض وُجهةَ نظر الكنيسة وعلمائها ورجالها . ومن العبث محاولة تطويع النُّصوص وَلَوْي أعناقها لتتأقلم مع انحرافات رجال الدِّين النصارى . وفي [يُوحَنَّا ١٤ : ١٥و١٦] قال المسيحُ : ((إن كُنتم تُحِبُّونني فاعملوا بوصاياي ، وسوف أَطلُب من الآبِ أن يُعطيَكم مُعينًا آخَرَ يبقى معكم إلى الأبد)) .

وفي [يُوحَنَّا ١٥ : ٢٦] قال المسيحُ : ((وعندما يأتي المُعينُ ، الذي سأُرسله لكم من عند الآب ، روحُ الحق الذي ينبثق من الآب ، فهو يؤدِّي لي الشَّهادة)) اهـ .

هَذان النَّصَّان في إنجيل يُوحَنَّا ، يَتَحَدَّثان عن " المُعين " [٩١] ، ويُشيران إلى عِدَّة أُمور :

أ ـ إن المُخلِصين حقيقةً للمسيح ﷺ هُم الذين سَيَتَّبعون الْمُعينَ (النبيَّ محمد ﷺ) الذي سَيُرْسله الله تعالى .

ب ـ "وسوف أطلُب من الآب أن يُعطيَكم مُعينًا آخَر" تُمثِّل دعاءَ نبيٍّ بأن يُرسل اللهُ نَبِيًّا آخَر لِيُتمِّمَ ما مضى. ويُشبه دعاءَ إبراهيم ﷺ أن يَبعث اللهُ رسولًا : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِم رَسُولًا مِنهُم يَتْلُو عَلَيْهِم آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِم ﴾ [البقرة: ١٢٩]. هذه دَعوة النبيِّ إبراهيم ﷺ أن يَبعَث اللهُ في الأُمَّة المسلمة رَسولًا مِنهُم، يَقرأ عليهم آياتِ الله ، ويُعلِّمهم القُرآنَ والسُّنةَ ، ويُطهِّرهم من الذنوب والمعاصي والشِّرْك ، ويَهديهم إلى التَّوحيد . وقد استجابَ اللهُ لهذه الدَّعوة الكريمة الصادرة عن النبيِّ إبراهيم ﷺ تَفَضُّلًا مِنه ، ورَحمةً بِعِباده .

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِم رَسُولًا مِنهُم ﴾ . استجابَ اللهُ لِدَعوة النبيِّ إبراهيم ﷺ ، فَبَعَثَ فيهم رَسولًا مِن أنفسهم، يَعرِفون نَسَبَهُ وحَسَبَه، ويُدرِكون تفاصيلَ حياته دون مناطق غامضة ولا نِقاط

٩١ لفظة" الْمُعين "هي الترجمة للكلمة اليونانية"براكليتيس"، وأيضًا تعني " الْمُعزِّي" و"الشفيع"و"المحامي". ويزعم النصارى أنها تشير إلى عمل رُوح القُدُس لأجلهم [انظر قاموس الكتاب المقدَّس، ص ٦٢٦] . وهم واهمون أو يتصنعون التوهم ، فرُوح القُدُس في الأصل اليوناني " بنيوما PENUMA " . وللتحايل وإخفاء الحقائق قام النصارى بتغيير كلمة مُعزِّي (مساعد COMFORTER) إلى كلمة وسيط (MEDIATOR) في الإنجيل باللغة الأفريقية، وأقحموا فيها جملة الرُّوح القُدُس، وهكذا يصنع النصارى كلماتِ الله . [انظر : محمد الخليفة الطبيعي للمسيح ، ص٩٠و٩١] .

مُظلِمة. يُخرِجهم مِن ظُلمات الكُفر إلى نُور الإيمان . والآيةُ تُشير إلى مكانة النبيِّ محمد ﷺ ، ودَوْرِه البارز في الحضارة الإنسانية ، ومَعرفة الأنبياء الأقدمين بِه . والجديرُ بالذِّكر أنَّ مُحَمَّدًا ﷺ هُوَ النبيُّ الوحيد الذي جاءَ مِن نَسْلِ إسماعيل بن إبراهيم _ عليهما الصلاة والسلام _ . وقَد أحاطَ بِه الشَّرفُ مِن كُل الجوانب .

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٥٢) : ((يَقول تعالى إخبارًا عَن تَمام دَعوة إبراهيم لأهل الحَرَم أن يَبعث اللهُ فِيهم رسولًا مِنهُم ، أي مِن ذُرِّية إبراهيم ، وقد وَافقت هذه الدَّعوةُ المُستجابة قَدَرَ اللهِ السابقَ في تعيين محمد _ صلوات الله وسلامه عليه _ رسولًا في الأُمِّيين، إلَيهم ، وإلى سائر الأعجميين من الإنس والجن)) اهـ .

وعن العِرْباض بن سَارية_ رضي اللهُ عنه_ صاحب رسول الله ﷺ قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقول : ((إنِّي عَبْدُ اللهِ وخَاتَمُ النَّبيين ، وأبي مُنْجَدِلٌ في طِينته ، وسأخبركم عَن ذلك، أنا دَعوةُ أبي إبراهيم ، وبِشارةُ عِيسى)) [٩٢] .

كَتب اللهُ نُبُوَّةَ مُحَمَّد ﷺ بعد خلق جسد آدم ﷺ وقبل نفخ الرُّوح فِيه.وقد كانَ آدم ﷺ صُورةً مِن طِين ، مَطروحةً على الأرض ، لَم تَجْرِ فِيه الرُّوح . وقال ابن الأثير في النِّهاية في غريب الأثَر (١/ ٧٠٧) عن معنى " مُنْجَدِلٌ في طِينته " : ((أي مُلْقى على الجَدَالة، وهي الأرض)) اهـ.

و" دَعوة أبي إبراهيم " تتجلى في قَول الله على لسان إبراهيم ﷺ : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِم رَسُولًا مِنهُم ﴾ . أمَّا " بِشارة عِيسى" فتتجلى في قَوْلِ الله على لسان عِيسى ﷺ : ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصَّف : ٦] .

﴿ يَتْلُو عَلَيْهِم آيَاتِكَ ﴾ . يَقرأ عليهم آياتِ كتابك (الوَحْي الإلهيِّ) .

﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ ﴾ . يُعلِّمهم القُرآنَ والسُّنةَ . وقِيل : الحِكمةُ هي المعرفة بالدِّين والفِقْه فِيه . والنبيُّ ﷺ هُوَ المُعَلِّمُ الذي يُؤسِّس العُلومَ الشَّرعية والمعارفَ الكَونية وَفْقَ الوَحْي الإلهِيِّ الذي يَتلقَّاه . وسُمِّيت الحِكمةُ بهذا الاسم لأنها تَمنع مِنَ الجهل . وقال القرطبي في تفسيره (٢/ ١٢٩) : ((الكِتاب : القرآن . والحِكمة : المعرفة بالدِّين والفِقه في التأويل والفَهْم الذي هُوَ سَجِيَّة ونُور مِنَ الله تعالى ، قاله مالك. ورواه عنه ابن وَهْب، وقاله ابن زَيد . وقال قَتادة : الحِكمة السُّنة وبيان الشرائع)) اهـ . وقال الطبري في تفسيره (١/ ٦٠٦): ((والصَّواب مِنَ

---

٩٢ رواه الحاكم في المستدرَك (٢/ ٤٥٣) برقم (٣٥٦٦) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

القَول عِندَنا في الحِكمة أنها العِلْم بأحكام الله التي لا يُدرَك عِلْمُها إلا ببيان الرسول ﷺ ، والمعرفة بها ، وما دَلَّ عليه ذلك مِن نظائره ، وهو عِندي مأخوذ مِنَ الحُكْمِ الذي بمعنى الفَصْل بين الحق والباطل)) اهـ . ﴿ وَيُزَكِّيهِم ﴾ . يُطهِّرهم مِن الذنوب والآثام وعبادة الأصنام . وقِيل : يَأخذ مِنهم الزكاة . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ١٤٦) : ((وفي قَوله تعالى : ﴿ وَيُزَكِّيهِم ﴾ ثلاثة أقوال : أحدها أنَّ معناه يَأخذ الزكاةَ مِنهم فَيُطهِّرهم بها ، قاله ابن عباس والفَرَّاء ، والثاني : يُطهِّرهم مِنَ الشِّرْك والكفر ، قاله مُقاتِل . والثالث : يَدعوهم إلى مَا يَصيرون به أزكياء)) اهـ .

ج ـ معنى " يبقى معكم إلى الأبد " ، أي إن شريعته خالدة وخاتِمة لكل ما سبق ، فليست بعدها شريعة ، وهذا النبيُّ (محمد) ليس بعده نبيٌّ ، وهذا الأمر واقع إلى قيام الساعة ، وفي العبارة دلالة واضحة على النبيِّ محمد ﷺ. فمن غير المعقول وجود نبيٍّ يبقى للأبد، لأن الموت حق على المخلوقات ، وبالتالي فمعنى البقاء الأبدي هو بقاء الشريعة المُحمَّدية الخاتِمة إلى يوم القيامة . وأيضًا مِمَّا يدل على أن الشريعة المُحمَّدية ناسخة لكل الشرائع السابقة هذا النص الإنجيلي:((وموسى هذا هو الذي قال لبني إسرائيل: سَيَبْعَثُ اللهُ لكم مِن بين إخوتكم نبيًّا مِثلي)) [أعمال الرُّسل ٧ : ٣٧] .

ويزعم النصارى أن هذه النُّبوءة مُتعلِّقة بالمسيح ، ولكن كلامهم مردود ، ولا تقوم له قائمة ، فالمسيح ليس مِثْلَ موسى ، وإنما محمد مِثْل موسى ، وَفْق الأدلة التالية :

١ـ محمد ومُوسى وُلِدا ولادة طبيعية ، ولكن المسيح وُلد بمُعجِزة إلهية مُميَّزة .

٢ـ كان لمحمد والدان، وكان لموسى والدان : ((وأخذَ عَمْرَامُ يوكَابَدَ عَمَّته زوجةً له فَوَلَدَتْ له هارون ومُوسى)) [خُروج ٦ : ٢٠] [٩٣] . أمَّا المسيح فله أُم ، وليس له أب .

٣ ـ لقد تزوَّجَ محمد ومُوسى وأنجبا ذُرِّية ، أمَّا المسيح فَظَلَّ أعزب طيلة حياته .

٤ـ النص : " مِن بين إخوتكم نبيًّا " يُشير إلى النبيِّ محمد ﷺ . إذ إن إخوة بني إسرائيل هُم العرب . إسماعيل وإسحاق أخوان، وابنا إبراهيم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ . ومن ذُرِّية إسماعيل جاء العرب ، ولم يَظهر نبيٌّ مِن ذُرِّية إسماعيل سِوى محمد . ومِن ذُرِّية إسحاق جاء اليهود .

٩٣ بعض ترجمات التوراة قالت إن زوجته هي ابنة عَمَّته، وهذا تحريف هدفه إظهار عدم حدوث عَيب في نسَب موسى، لأن الزواج من العَمَّة حرام بحسَب ما جاء في [لاويين ١٨ : ١٢ و ٢٠ : ١٩] . ثم أن الترجمة السامرية واليونانية زادت على هذه الآية " ومريم أختهما " .

د _ النص : " فهو يؤدِّي لي الشَّهادة " . يعني أن محمدًا يَشهد للمسيح ، ويُدافع عنه ، ويَمدحه ، ويعترف بِنُبُوَّته ورسالته ، وفضله ، ومكانته . وهذا ما حدث على أرض الواقع ، فقد دافعَ النبيُّ ﷺ عن المسيح ﷺ ، وأشادَ به ، ووضَّح نُبُوَّته ورسالته في نصوص كثيرة . ولو كان محمد نبيًّا كاذبًا ، لهاجمَ المسيحَ ، وطَعن في رسالته ، وأهانه ، ولم يَعترف به ، مُحَاوِلًا إبراز نفْسه ورسالته على حساب المسيح ورسالته . ولكن هذا لم يَحدث ، مِمَّا يدل على أمانة محمد في تبليغ وَحْي السماء كاملًا ، بلا زيادة ولا نُقصان. وهذا دليل على صِدْق النبيِّ محمد وصِحَّة نُبُوَّته.

إنها أدلة واضحة ودامغة ، تُزيل الشَّك والرِّيبة من صُدور المُرتابين . ولكن في كل زمان ومكان سيظل هناك مُعانِدون مُكابِرون ، هَمُّهم إخفاء الحق، والجدال بالباطل اتِّبَاعًا لأهوائهم ومصالحهم.

لقد أغلقوا قلوبهم وعقولهم ، وهاموا في وديان الضلال السحيقة ، بلا اتِّجاه ولا بُوصلة ، فَضَلُّوا وأضَلُّوا . ومِن الطبيعي أن يَرفضوا الحقَّ ويُعادوه ، ويُحاولوا طَمْسَه بكل الوسائل . والناسُ أعداء ما يَجْهَلون ، وأعداء ما يَتعارض مع أهوائهم الذاتية ومصالحهم الشخصية ومنافعهم المادية. والحُكم على الشيء فَرْع عن تَصَوُّره . ولن يَستفيد مِن العِلم والإيمان إلا الذين يُعمِلون عُقولَهم بحثًا عن الحق والحقيقة ، ويَخلصون في طلبهما بكل تَجَرُّد . واللهُ يَهْدي مَن يَشاء ، ويُضِل مَن يَشاء . ومَن هداه الله ، فَبِفَضْله ، وله المِنَّة . ومَن أضَلَّه ، فَبِعَدْله ، وله الحُجَّة .

وقد كان عندي _ في الماضي _ تلميذٌ نصراني (مسيحي) ، فقال لي يومًا إنه على الرغم من تمسُّكه بالنصرانية فهو يشهدُ أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، وسألني هل يكون بذلك مسلمًا ؟ . فأجبتُه : لا . حيث إن نُطق الشهادتين معتقدًا بهما لا يَنفع ولا يُفيد مع وجود النواقض ، مِثل اعتقاد أُلوهية المسيح أو صَلْبه أو أنه ابن الله .

وكثير من النصارى يؤمنون بأن اللهَ واحدٌ، لكن من منظور منحرفٍ مضاد لمفهوم التوحيد عند المسلمين . فهم يزعمون أن اللهَ واحدٌ ذو ثلاثة أقانيم (الآب ، الابن ، الرُّوح القُدُس) . تعالى اللهُ عُلُوًّا كبيرًا . وقد قرأتُ لعالِم نصراني (مسيحي) كلامًا مُضحكًا حول هذا الموضوع، فقد ضَرَبَ مَثَلًا لهذه العقيدة الفاسدة فَشَبَّهها بالشُّعاع الواحد الذي يتَّخذ ثلاثة مسارات !. وكأن التَّوحيدَ مسألة فيزياء مُتعلقة بانكسار الضوء والتَّشَتُّت ! .

إن الاعترافَ بِنُبُوَّةِ محمد ﷺ ورسالته لا يَنفع الذين يَرفضون الشَّريعةَ المُحمَّدية الإسلامية منهجًا لهم . ولو جاء شخص في هذا العصر ، وقال إنه يتمسَّك برسالة مُوسى أو برسالة عيسى ، فهذا مرفوض ، وبلا فائدة ، لأن الشريعة المُحمَّدية الإسلامية نَسَخَتْ ما قبلها من الشرائع ،

وأبطلت العملَ بها . ولا توجد في العالَم الآن شريعة مقبولة عند الله ، إلا الشريعة المُحمَّدية . لذلك ، كان لا بُد من توضيح مفهوم " النَّسْخ " . وكُل مَن لا يَعتنق الإسلامَ ، ومات على ذلك ، فهو خالدٌ في النار، ولا تُوجد أمامه فرصة للنجاة ، مَهما تميَّزت أعماله بالصلاح والخير والأخلاق الحميدة . والإسلامُ يقوم على عبادة الله وَحْدَه ، لا شريك له ، والالتزام بِسُنَّة النبيِّ محمد ﷺ .

واللهُ لم يَخلق الناسَ عبثًا ، ولم يتركهم للضياع والهلاك . وإنما أرشدهم ، ووضَّح لهم الطريق، وبيَّن لهم الأوامرَ والنَّواهي ، وأقامَ عليهم الحُجَّة ، وقَطَعَ أعذارهم . وقد أرشدَ اللهُ بني إسرائيل ، وبيَّن لهم الحق .

قالَ اللهُ تعالى: ﴿ يا بَنِي إسرائيلَ اذكُرُوا نِعْمَتِيَ التي أنعَمْتُ عَلَيْكُم وأوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكم وَإيَّايَ فارْهَبُون ﴾[البقرة : ٤٠] .

يأمرُ اللهُ بني إسرائيل أن يَذكُروا نِعمته عليهم ، فيتفكروا فيها ، ويقوموا بشُكرها . والنِّعَمُ الإلهية لا يمكن إحصاؤها. وقد مَنَّ اللهُ عليهم بأن اختار منهم أنبياء ، ونجَّاهم مِن فِرْعَوْن والغرقِ ، وعفا عن اتخاذ العِجْل إلَهًا مِن دُونه تعالى ، وتجاوزَ عنهم رحمةً بهم ، وتفضُّلًا عليهم .

وقال الطبري في تفسيره (١/ ٢٨٦) : ((يعني بِقَوْله جَلَّ ثناؤه : ﴿ يا بَنِي إسرائيلَ ﴾ وَلَد يعقوب بن إسحق بن إبراهيم خليل الرحمن . وكان يعقوب يُدعَى إسرائيل ، بمعنى عبد الله وصَفْوته مِن خَلْقه ، وإيل هو الله ، وإسرا هو العبد . كما قِيل : جِبريل بمعنى عبد الله)) اهـ .

وقد نَسَبَهم اللهُ تعالى إلى إسرائيل(يعقوب ﷺ) كَي يُذكِّرهم بانتمائهم إليه، وهو النبيُّ الطاهر ، فعليهم أن يقتفوا أثرَه ، ويسيروا على خُطاه، ويلتزموا بمنهجه ، فهو أبوهم الصالح . وهذا التذكير من شأنه أن يُحفِّز هِمَّتَهم نحو العمل . وحِين يتذكرون أن أباهم كان تقيًّا نقيًّا صالحًا عظيمًا ، سترتفع معنوياتهم، ويُقبلوا على العمل والإنجاز بكل إخلاص ونشاط وحيوية . كما تقول لشخص : يا ابنَ الشريفِ ، قُم بعملك.فهذه العبارة التي تُذكِّره بأصله الكريم ونَسَبه العظيم ، ستكون دافعًا له على العمل،واقتفاء آثار مَن سَبَقَه في الحق والإخلاص والتقوى،والتزام أوامر الله، واجتناب نَواهيه.

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ١٢١) : ((يقول تعالى آمِرًا بني إسرائيل بالدخول في الإسلام ، ومُتابعة محمد _ عليه من الله أفضل الصلاة والسلام _، ومُهَيِّجًا لهم بِذِكْر أبيهم إسرائيل ، وهو نبيُّ الله يعقوب _ عليه السلام _ . وتقديره : يا بَنِي العبد الصالح المُطيع لله ، كونوا مِثل أبيكم في مُتابعة الحق . كما تقول : يا ابن الكريم افعل كذا ، يا ابن الشجاع بارِز الأبطال ، يا ابن العَالِم اطلُب العِلْمَ ، ونَحْو ذلك)) اهـ .

وهذا الأسلوبُ القرآني الرفيع ، يعمل على تحفيز الناس ، ودفعهم في طريق العمل الدؤوب ، ورفع مستوى الجهود البشرية ، وبث الإيمان في النفوس ، ونشر العمل الصالح ، وتفعيل دور العقل في تغيير الواقع نحو الأفضل . والإنسانُ عندما يتذكر أصلَه الرفيع ونَسَبه الشريف ، وتَجُول في خاطره أعمال آبائه الكِرام العُظَماء، سوف يندفع باتِّجاه التَّشَبُّه بهم، وتقليد أعمالهم الصالحة.

والجدير بالذِّكر أن الإنسان يُحِب الافتخارَ بآبائه لأنهم المرجعية التي تنبثق منها شرعيةُ وجوده في هذه الحياة ، وتواجده على خارطة البُنية الإنسانية للمجتمع . وصدق القائلُ :

فَتَشَبَّهُوا إن لم تكونوا مِثْلَهُم إنَّ التَّشَبُّهَ بالكِرَامِ فَلاحُ

وعن ابن عباس ـ رضي اللهُ عنهما ـ قال : ((كان الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة : نُوح ، وصالح ، وهُود ، ولُوط ، وشُعَيب ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، ومُحمَّد ، ـ عليهم الصلاة و السلام ـ . ولم يكن مِن الأنبياء مَن له اسمان إلا إسرائيلَ وعيسى ، فإسرائيلُ يعقوب ، وعيسى المسيح)) [٩٤] **.**

هذا الحديثُ يشير إلى أن غالبية الأنبياء كانوا من بني إسرائيل ، وهذه نِعمة إلهية كُبرى ، كما تدل على قَسوة طِباع بني إسرائيل الذين احتاجوا إلى هذا العدد الكبير من الأنبياء لغاية التوجيه والإرشاد والهداية . كما يدل على أن يعقوب اسم آخر لإسرائيل ، والمسيح اسم آخر لعيسى .

وقد أمرَ اللهُ بني إسرائيل أن يَذكروا نِعمته عليهم ، وذِكر النِّعمة يكون بالقلب واللسان معًا ، وهذا يستلزم شُكر المُنعِم واحترام النِّعمة وتقديرها ، وعدم جَحْدها ولا إهمالها ولا نسيانها [٩٥] **.**

---

٩٤ رواه الحاكم في المستدرَك (٢/ ٤٠٥) برقم (٣٤١٥) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

٩٥ قال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٧٢و٧٣) : ((وفي المراد بهذه النِّعمة ثلاثة أقوال: أحدها أنها ما استودعهم من التوراة التي فيها صِفة رسول الله ﷺ ، قاله ابن عباس. والثاني أنها ما أنعمَ به على آبائهم وأجدادهم، إذ أنجاهم مِن آل فِرْعَوْن، وأهلكَ عدوهم، وأعطاهم التوراة، ونَحْو ذلك، قاله الحسن والزَّجاج. وإنما مَنَّ عليهم بما أعطى آباءهم، لأن فخر الآباء فخر للأبناء، وعار الآباء عار على الأبناء . والثالث أنها جمع نِعمة على تصريف الأحوال . والمراد مِن ذِكرها شُكرها ، إذ مَن لم يَشكر فما ذَكَرَ)) اهـ . وقال القرطبي في تفسيره (١/ ٣٧٠) : ((قال أرباب المعاني : رَبَطَ سُبحانَه وتعالى بني إسرائيل بِذِكْر النِّعمة،وأسقطه عن أُمَّة محمد ﷺ، ودعاهم إلى ذِكْره ، فقال : ﴿ فاذكُرُوني أذْكُرْكُم ﴾ [البقرة : ١٥٢]، ليكون نظرُ الأمم مِن النِّعمة إلى الْمُنعِم ، ونظرُ أُمَّة محمد ﷺ من الْمُنعِم إلى النِّعْمَة)) .

وشُكر النِّعمة يكون بطاعة الله ، والتزام أوامره ، واجتناب نَواهيه . وتخصيص النِّعمة ببني إسرائيل ، لأنهم كانوا غارقين في نِعَم الله الكثيرة ، يتقلَّبون فيها من كل الجوانب . ومعَ هذا ، كانوا أشد الناس كُفْرًا وضَلالًا وعِصيانًا وجُحودًا للنِّعَم ، وتَمَرُّدًا على المُنعِم .

والآيةُ تُشير إلى أن بني إسرائيل قد نَسُوا النِّعَمَ الإلهية ، وأهملوها ، واعتبروها أمرًا عاديًّا رُوتينيًّا ، ولم يَشكروا الله عليها .

وإضافةُ النِّعْمة وإسنادها إلى ضمير الله تعالى : ﴿ نِعْمَتِيَ ﴾ ، لتشريفها ، وتعظيمها ، وضرورة شُكر صاحبها ، وهو الله المُنعِم المُتَفَضِّل على عباده .

واللهُ أحسنَ إلى بني إسرائيل ، ورزقهم ، ومَنَّ عليهم بنِعم كثيرة لا تُعَدُّ ولا تُحصَى ، مِنها :

أ ـ تفجير الحَجَر لهم . ب ـ إنزال المَن والسَّلوى عليهم . ج ـ إنقاذهم مِن عُبودية آل فِرْعَوْن . د ـ اختيار الأنبياء والرُّسُل مِنهم . هـ ـ إنزال الكُتب عليهم . و ـ العَفْو عن اتِّخاذ العِجْل إلَهًا لهم . ز ـ فَلْق البحر . ح ـ تَظليل الغَمَام . وغَير ذلك .

وقال الطبري في تفسيره (١/ ٢٨٦) : ((ونِعمته التي أنعم بها على بني إسرائيل ـ جَلَّ ذِكْرُه ـ اصطفاؤه منهم الرُّسل ، وإنزاله عليهم الكتب، واستنقاذه إيَّاهم مِمَّا كانوا فيه من البلاء والضَرَّاء من فِرْعَوْن وقَوْمه ، إلى التمكين لهم في الأرض ، وتفجير عيون الماء مِن الحَجَر ، وإطعام المَن والسَّلْوى)) اهـ .

وكُل هذه النِّعَم وغَيرها تُشير إلى عَظَمَة الرحمة الإلهية وسَعَتها. ولو أراد اللهُ تعالى أن يُحاسب العبادَ بما اكتسبوه لأحرقهم نتيجة أفعالهم الشريرة ، ولكنه هو العَفُوُّ الرحيم الذي يقبل التوبةَ ، ويعفو عن السيئات . فاللهُ تعالى هو أهل التقوى وأهل المغفرة ، أمَّا العبادُ فهُم أهل المعاصي والذنوب . ومعَ هذا ، يُنعِم اللهُ عليهم بكل أنواع النِّعَم ، رحمةً بهم ، وتفضُّلًا عليهم .

وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٣٠٧) : ((﴿ اذكُرُوا نِعْمَتِيَ التي أنعَمْتُ عَلَيْكُم ﴾ أي : بالتفكر فيها والقيام بشُكرها. وتقييد النِّعمة بهم، لأن الإنسان غيور حسود بالطبع، فإذا نظر إلى ما أنعمَ اللهُ على غَيره حَمَله الغَيْرة والحسد على الكُفران والسخط، وإن نَظَرَ إلى ما أنعمَ اللهُ به عليه حَمَله حُب النِّعمة على الرضى والشُّكر. وقِيل: أراد بها ما أنعمَ اللهُ به على آبائهم مِن الإنجاء من فِرْعَوْن، والغَرَق، ومِن العَفْو عن اتخاذ العِجْل ، وعليهم مِن إدراك زمن مُحمَّد ﷺ)) اهـ .

﴿ وأوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكم ﴾ . وأوفوا بعَهْدي الذي عَهِدْتُ إليكم في التَّوراة مِن اتِّباع النبيِّ محمد ﷺ ، وأطيعوني ، ولا تَعصوني ، أُوفِ بما ضَمَنْتُ لكم مِن الثواب ، وهو نعيم الجنة .

وقد أُمِرُوا بالوفاء بالعَهْد الإلهيِّ المُقدَّس ، وعدم نَقْضه . وهذا العهدُ هو الإيمان بالله والتزام أوامره، واجتناب نَوَاهيه. وعَهْدُه تعالى أن يُدخِلهم الجنة. واللهُ لا يُخلِف العَهْدَ، ولا يَنكث بالوعد. وهذا الوفاءُ بالعهد الإلهيِّ مِن شأنه أن يَمنحهم شَرَفَ الدنيا ، ونعيمَ الآخرة .

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ١٢١) : ((﴿ وأوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكم ﴾ . قال : بِعَهْدي الذي أخذتُ في أعناقكم للنبيِّ ﷺ إذا جاءكم ، أُنجِزْ لكم ما وعدتكم عليه مِن تصديقه واتِّباعه ، بوضع ما كان عليكم مِن الآصار والأغلال التي كانت في أعناقكم بذنوبكم ، التي كانت مِن إحداثكم . وقال آخرون : هو الذي أخذَ اللهُ عليهم في التَّوراة أنه سَيَبعث مِن بني إسماعيل نبيًّا عظيمًا يُطيعه جميع الشعوب . والمُراد به محمد ﷺ . فَمَن اتَّبعه غَفَرَ اللهُ له ذَنْبَه ، وأدخله الجنةَ ، وجعل له أجْرَيْن . وقد أوردَ الرازي بشارات كثيرة عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بمحمد ﷺ . قال أبو العالية : ﴿ وأوْفُوا بِعَهْدِي ﴾ . قال : عَهْده إلى عباده دِين الإسلام ، وأن يتَّبعوه . وقال الضَّحاك عن ابن عباس : ﴿ أُوفِ بِعَهْدِكم ﴾ . قال : أَرْضَ عنكم ، وأُدْخِلكم الجنة . وكذا قال السُّدي والضَّحاك وأبو العالية والربيع بن أنس)) اهـ .

إن بني إسرائيل فيهم الحاكم والمحكوم، والعالِم والجاهل. وعلماؤهم هُم الأحبار الذين يَفهمون النصوص الدينية، وينشرونها بين الناس، ويَشرحونها، ويُفسِّرونها. والإنسانُ العادي لا يَقْدِر على استيعاب النصوص الدينية بشكل كامل ، فهذه العملية بحاجة إلى مَنهج عِلْمي ، وقُدرات ذهنية ، ومَلَكَات فكرية ، لا تتوفَّر إلا لدى العلماء بسبب دراساتهم الواسعة ، وتبحُّرهم في مجال العلوم الدينية ، وقضاء أعمارهم في الدراسة والتدريس . وهذه الخصائص غير متوفرة عند السَّواد الأعظم من الناس،بسبب غرقهم في الحياة المادية الاستهلاكية، وجَمْع حُطام الدنيا الفاني.

لذلك ، كان العلماءُ وَرَثَة الأنبياء ، أي إنهم يَسيرون على خُطى الأنبياء ، ويَحْملون دعوتهم إلى الناس ، ويُبلِّغونها كاملةً ، بلا زيادة ولا نُقصان . وإذا فَسَدَ العُلماءُ فَسَدَ الناسُ . فالعُلماءُ هُم الرأس ، وإذا زال الرأسُ من الجسد ، مات الجسدُ . كما أن العلماء هُم الدَّواء لكل المشكلات والأمراض ، وإذا فَسَدَ الدواءُ فَسَوْفَ تنتشر الأمراضُ بشكل كارثي ، ولن يتصدَّى لها أحد . لذلك فإن فَسَاد العَالِم هو فَسَاد العَالَم .

وصدقَ القائلُ :

وراعي الشَّاةِ يَحمي الذِّئبَ عَنها ... فَكَيْفَ إذا الرُّعاة لها ذِئاب

وصدقَ القائل :

يا مَعْشَرَ القُرَّاءِ يا مِلْحَ البلد ما يُصْلِحُ المِلْحَ إذا المِلْحُ فَسَد

واللهُ يُذَكِّرهم بِنَعمه الجليلة التي أسبغها عليهم وعلى آبائهم ، وهذا التذكير من شأنه بعث التقوى في النفوس الطاهرة ، ومساعدة الإنسان على التفكير والتأمل والتروي في اتخاذ القرارات المصيرية . فقد نجَّاهم اللهُ مِن فِرْعَوْن الطاغية الذي أَهلك الحَرْثَ والنَّسْلَ، وحفظَ أنفسهم من القتل . ولا يوجد أكبر مِن حفظ النَّفْس وحمايتها من الهلاك . ومَن أدركَ عَظَمَةَ النِّعَم الإلهية التي يراها بأُم عينيه ، فلا بُد أن يقوم بواجب شُكر الله تعالى ، قَوْلًا وفِعْلًا . وبالشُّكر تَدوم النِّعَم . والشُّكر لا يكون باللسان فقط ، بل أيضًا بجميع الجوارح .

والمطلوبُ هو الإيفاء بالعهد (وهو أحد أشكال شُكر الله تعالى) . أي : اتِّباع محمد ﷺ خاتَم الأنبياء ، واللبنة الأخيرة في البناء النبويِّ المتماسك الذي جَعله اللهُ على كوكب الأرض منارةً للحائرين ، ودليلًا للتائهين، وإنقاذًا للبشرية، وتخليصًا له مِن مأزقها الوجودي الحَرِج .

وإذا التزموا بالعهد الإلهيِّ المُقدَّس ، فإن الله تعالى سَيُكافئهم ، ويُوفِي بعهدهم ، أي : إن الله سَيُنْجِز لهم ما وعدهم بتصديقهم للنبيِّ محمد ﷺ واتِّباعه ، بوضع ما عليهم من الأحمال الثقيلة، والتكاليف الشديدة (الإصر والأغلال) التي كانت عليهم عقوبةً ، بسبب جهلهم ، وعنادهم ، وغَطْرستهم ، وعدم امتثالهم للأوامر الإلهية .

ويأتي الترهيب بعد الترغيب : ﴿ وَإِيَّايَ فارْهَبُون ﴾ . خَافُوني في نَقْض العهد ، واحرصوا على طاعتي وعدم معصيتي ، واحذروا مِن مُخالفة أمري . والأمرُ بالخوف يتضمَّن معنى التهديد .

وتقديم ضمير المتكلم : ﴿ إِيَّايَ ﴾ لإفادة التخصيص ، وأن الله وَحْدَه هو الذي يستحق الخوف منه .

وعليهم أن يتذكروا ما نَزل بآبائهم من نِقمات ومِحَن ومصائب وكوارث ، وعليهم أن يتَّعظوا بما جرى لهم ، ولا يُكرِّروا نَفْسَ أخطاء آبائهم ، لِئلا يُلاقوا نَفْسَ مصيرهم الأليم . وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٣٠٧):((والآية مُتضمِّنة للوعد والوعيد ، دالة على وجوب الشُّكر والوفاء بالعهد ، وأن المؤمن ينبغي أن لا يخاف أحدًا إلا الله تعالى)) اهـ . وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ١٢١): ((قال ابن عباس في قَوله تعالى: ﴿ وَإِيَّايَ فارْهَبُون ﴾ أي : أُنزِل بكم ما أنزلتُ بِمَن كان قبلكم من آبائكم من النِّقمات ، التي قد عرفتم مِن المَسْخ وغَيْره . وهذا انتقال من الترغيب إلى الترهيب .

فدعاهم إليه بالرَّغبة والرَّهبة لعلهم يرجعون إلى الحق ، واتِّباع الرسول ﷺ ، والاتِّعاظ بالقرآن وزواجره ، وامتثال أوامره ، وتصديق أخباره . واللهُ يَهدي مَن يشاء إلى صراط مستقيم)) .

وفي الدُّر المنثور للسُّيوطي (١/ ١٥٤) : [وأخرج ابن إسحق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : ﴿ يا بني إسرائيل ﴾ ، قال : ((للأحبار من اليهود ، ﴿ اذكروا نِعمتيَ التي أنعمتُ عليكم ﴾ أي آلائي عِندكم وعند آبائكم لِمَا كان نجَّاهم به مِن فِرْعَوْن وقَومه ، ﴿ وأوفوا بعهدي ﴾ الذي أخذتُ بأعناقكم للنبيِّ ﷺ إذ جاءكم ، ﴿ أُوفِ بعهدكم ﴾ أُنجِز لكم ما وعدتكم عليه بتصديقكم معه واتِّباعه ، بوضع ما كان عليهم من الإصر والأغلال ، ﴿ وإيَّايَ فارهبون ﴾ أن أُنزل بكم ما أنزلتُ بِمَن كان قبلكم مِن آبائكم مِن النِّقمات))] .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ وأنِّي فَضَّلْتُكُم على العَالَمِين ﴾[البقرة : ٤٧] .

فضَّل اللهُ بني إسرائيل على العَالَمِين، فقد اختارَ مِن بينهم أنبياء ورُسُلًا ، وأنزلَ عليهم الكُتب، ومَنَحَهم المجدَ والمُلْك والسيادة . وهذا التفضيلُ كان للآباء ، ومعَ هذا فهو شرفٌ ورِفعة للأبناء ، لأن شرف الأب شرف لابنه . واللهُ يُذكِّرهم بِنَعمه على آبائهم وأسلافهم ، وتفضيلهم على سائر الأمم من أهل زمانهم ، كَي يَشكروا اللهَ ، ويلتزموا بأوامره ، ويَجتنبوا نَوَاهيه . وهذا التَّفضيلُ يعني على عَالَم زمانهم . وهو من العام الذي أُرِيد به الخاص .

وللأسف ، لم يُقدِّر بنو إسرائيل النِّعَمَ الإلهية العظيمة ، ولم يعرفوا قيمةَ كُتبهم ، ومكانة أنبيائهم ورُسلهم . ومَن لم يَشكر النِّعمة سيفقدها ، فالشُّكر هو الطريقة المُثلى لتحصين النِّعَم وحمايتها من الزوال ، وبالشُّكر تَدوم النِّعَم . وقال الطبري في تفسيره (١/ ٣٠٢) : ((وهذا أيضًا مِمَّا ذكَّرهم جَلَّ ثناؤه مِن آلائه ونعمه عندهم، ويعني بِقَوله : ﴿ وأنِّي فَضَّلْتُكُم على العَالَمِين ﴾ أنِّي فَضَّلْتُ أسلافكم ، فنسبَ نِعمه على آبائهم وأسلافهم إلى أنها نِعم مِنه عليهم ، إذ كانت مآثر الآباء مآثر للأبناء ، والنِّعَم عند الآباء نِعَمًا عند الأبناء، لِكَوْن الأبناء من الآباء. وأخرجَ جَلَّ ذِكْرُه قَوْلَه: ﴿ وأنِّي فَضَّلْتُكُم على العَالَمِين ﴾ مخرج العموم ، وهو يريد به خصوصًا ، لأن المعنى : وأنِّي فَضَّلْتُكُم على عَالَم مَن كُنتم بَيْن ظَهْرَيه وفي زمانه)) اهـ .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ وإذْ نَجَّينَاكُم مِن آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونكُم سُوءَ العَذَابِ يُذَبِّحُونَ أبناءكُم وَيَسْتَحْيُونَ نِساءكُم ﴾ [البقرة : ٤٩] .

يُعدِّد اللهُ نِعَمَه الجليلة على بني إسرائيل . فقد نجَّاهم مِن آل فِرْعَوْن ، أي أنقذهم من قوم فرعون وحاشيته والمُوالين له وأهل دِينه ، فقد كانوا يُذيقونهم شتَّى صُنوف العذاب ، يُذبِّحون

أبناءهم ، ويُبقون النِّساء على قَيْد الحياة . واللهُ تعالى يُذكِّر بني إسرائيل بإنقاذهم مِن فِرْعَوْن الذي نَصَّبَ نَفْسَه عَدُوًّا لبني إسرائيل، وقد عَذَّبهم أشد العذاب، ونكَّل بهم دون رحمة. واللهُ يَمُنُّ عليهم بإنقاذهم من هذا الكَرْب الشديد، وجَعْلِهم أصحابًا لموسى ﷺ. والمُخَاطَبُون في الآية أبناء مَن نجَّاهم اللهُ مِن فِرْعَوْن. وهُم لم يَرَوْا فِرْعَوْنَ، ولم يُدرِكوه. وقد جَعَلَ اللهُ النِّعْمَةَ على الآباء نِعْمَةً على الأبناء ، لأن الأبناء مِن سُلالة الآباء ، وتابعون لهم، ويَحملون أسماءهم. وقد أضافَ اللهُ الجرائمَ التي ارْتُكِبَت بحق بني إسرائيل إلى آل فِرْعَوْن دُون فِرْعَوْن ، لأنهم هُم الذين باشروها ، واقترفوها ، وارتكبوها بأنفسهم ، وإن كان ذلك بقُوَّة فِرْعَوْن وسُلطانه وأمْرِه . وهذا دليل على أنَّ مَن طَبَّق أوامرَ الآخرين في ارتكاب الجرائم ، يتحمَّل المسؤولية كاملةً . ومسؤولية المأمور كمسؤولية الآمِر .

قال ابن كثير في تفسيره (١/ ١٣١) : ((يقول تعالى : اذكُروا يا بني إسرائيل نِعمتي عليكم إذ نَجَّيْناكم من آل فِرْعَوْن يَسُومونكم سُوء العذاب ، أي خَلَّصْتُكم منهم ، وأنقذتكم من أيديهم صُحبة موسى عليه السلام ، وقد كانوا يَسُومونكم أي يُوردونكم ويُذيقونكم ويُولُونكم سُوء العذاب. وذلك أن فِرْعَوْن _ لَعَنَه اللهُ _ كان قد رأى رؤيا هالته ، رأى نارًا خَرجت من بيت المقدس ، فدخلت بُيوت القِبط ببلاد مصر إلا بيوت بني إسرائيل ، مَضمونها أن زوال مُلكه يكون على يَدَي رَجل من بني إسرائيل ، ويُقال بَعْد تحدَّثَ سُمَّاره عنده بأن بني إسرائيل يتوقعون خروج رَجل منهم يكون لهم به دولة ورِفعة ... فعند ذلك أمر فِرْعَوْن _ لعنه اللهُ _ بقتل كل ذَكَر يُولَد بعد ذلك من بني إسرائيل ، وأن تُترَك البنات ، وأمر باستعمال بني إسرائيل في مَشَاق الأعمال وأرذلها)) اهـ .

يُذكِّر اللهُ بني إسرائيل بِنَعمه العظيمة على آبائهم وأسلافهم ، فقد نجَّاهم مِن العذاب والهلاك. والنِّعمةُ على الآباء نِعمة على الأبناء ، لأنهم نَجَوْا بنجاتهم ، ولو قُتِلَ الآباء لَمَا ظَهَر الأبناء . وهذا التَّذكير بنعمة الله لِيُؤمنوا ، ويُطيعوا اللهَ ، ولا يَعصوه .

كان آل فِرْعَوْن يُذيقون بني إسرائيل العذابَ الشديد . يَقتلون أبناءهم الذُّكُور ، ويَتركون بناتهم أحياءً للخدمة والمهانة. أي : إن ذُكور بني إسرائيل قَتلى ، وإناثهم خادمات . وتفضَّلَ اللهُ على بني إسرائيل، وأحسنَ إليهم، وأنقذهم مِن العذاب ، وخلَّصهم مِن الشقاء ، وحرَّرهم مِن آل فِرْعَوْن .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٧٧ و٧٨) : ((تقديره : واذكُروا إذ نَجَّيْنَاكم . وهذه النِّعَم على آبائهم كانت . وفي آل فِرْعَوْن ثلاثة أقوال : أحدها أنهم أهل مِصْر ، قاله مقاتل . والثاني أهل بَيْته خاصَّة ، قاله أبو عُبَيدة . والثالث أتباعه على دِينه ، قاله الزَّجاج ... . وفِرْعَوْن اسم أعجمي، وقِيل: هو لقبه. وفي اسمه أربعة أقوال : أحدها الوليد بن مُصعَب ، قاله الأكثرون .

والثاني فيطوس، قاله مقاتل . والثالث مُصعَب بن الرَّيان، حكاه ابن جرير الطبري . والرابع مُغيث، ذَكَرَه بعض المفسرين . قَوله تعالى : ﴿ يَسُومُونكُم ﴾ أي: يُولُونكم. يُقال: فُلان يَسُومك خَسْفًا، أي يُولِيك ذُلًّا واستخفافًا . وسُوء العذاب شديده ، وكان الزَّجاج يرى أن قَوله : ﴿ يُذَبِّحُونَ أبناءَكُم ﴾ تفسير لِقَوله : ﴿ يَسُومُونكُم سُوءَ العَذَابِ ﴾ . وأبى هذا بعضُ أهل العِلم ... . وإنما سُوء العذاب استخدامهم في أصعب الأعمال ... . قَوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِساءَكُم ﴾ أي : يَسْتَبقون نساءكم أي : بناتكم . وإنما اسْتَبْقَوْا نِساءهم للاستذلال والخدمة)) اهـ .

إن الطُّغاةَ المُتمسكين بعروشهم بالأظافر والأسنان، هُم مرضى نفسيًّا غارقون في العُقد النفسية والاجتماعية، ومُصابون بجنون العَظَمَة ، والوساوس التي لا تنتهي . وهُم غارقون في الشُّكوك وتَخَيُّل المؤامرات ، ولا يَثقون إلا بأنفسهم ، ويَنظرون إلى الجميع على أنهم تهديد مُحْتَمَل لحُكمهم وسُلطتهم ونفوذهم ومُلْكهم ، وبالتالي يُصبحون من حيث لا يَشعرون عبيدًا للكراسي والعروش ، وخُدَّامًا لها ، وعبيدًا للصَّوْلجان ، بدلًا مِن أن يكون خادمًا لهم .

والطاغية فِرْعَوْن من هذا الصِّنف.فمِن فَرْط تمسُّكه بالكرسي صار مرعوبًا من أي تهديد، سواءٌ كان حقيقيًّا أم وهميًّا . لذلك ، تَعَلَّقَ بالأحلام والرُّؤى ، معَ أن الأحكام لا تَثْبُت بها . وما يراه الإنسانُ في منامه قد يَصْدُق وقد لا يَصْدُق . ولكن فرعون جعل ما رآه في المنام شرعًا لازمًا واجبَ النفاذ، واعتبره حقيقةً لا مِراء فيها، وبدأ بترتيب أحكام واقعية مُستندة إلى ما رآه في منامه. وهذا إن دَلَّ على شيء ، فإنما يدل على خَوْفه الشديد ، وشِدَّة حِرصه على كُرسي الحُكم . فأمرَ _ لعنه اللهُ _ بقتل كل مولود ذَكَر يُولَد مِن بني إسرائيل ، وذلك من أجل ضمان اختفاء الرجال من بني إسرائيل، فلا أحد يَسْلبه الكرسيَّ ، كما أمر بترك البنات أحياءً للخدمة والمهانة ، لأنه اعتبرهنَّ غير خطيرات ، ولا يُشكِّلنَ أيَّ تهديد . وأمرَ باستعمال بني إسرائيل في الأعمال الشَّاقة المُهينة التي تتطلب جُهدًا كبيرًا ، وذلك من أجل كَسْرهم وإخضاعهم وإذلالهم . ومن أجل أن تصبح لقمةُ العَيش وكيفية تحصيلها هِيَ هَمَّهم الشاغل ، فلا يَنشغلون بالقضايا السياسية والاجتماعية والفكرية، ولا يَملكون الوقتَ للتفكير والنقد وطرح الأسئلة .

وهذه هي سياسةُ الطُّغاة في كل زمان ومكان ، وهذه السياسة الشيطانية البائسة تقوم على فكرتَيْن مركزيتَيْن : الأُولى _ العقل المُفكِّر يُشكِّل خطرًا على نظام الحُكم . فيجب أن يظل الشعبُ قطيعًا مِن الأغنام بلا عقول ولا تفكير ، ويُساق إلى الذبح _ عند الحاجة _ بلا رفض ولا اعتراض . والثانية _ جَوِّعْ كَلْبَكَ يَتْبَعك .

والشعبُ إذا شَبِعَ سيُفكِّر ، ويبدأ بالمطالبة بحقوقه ، وانتقاد نظام الحُكم الفاسد . إذن ، يجب أن يظل الشعبُ جاهلًا وجائعًا وخاضعًا لنظام الحُكم، من أجل الحصول على رغيف الخُبز. وهذا الإذلال مقصود ومُتَعَمَّد .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ خُذوا ما آتَينَاكم بقُوَّة واذكروا ما فيه لعلكم تتَّقون ﴾ [البقرة : ٦٣] .

يأمرُ اللهُ بني إسرائيل بأخذ التوراة (الكتاب السماويِّ الذي أنزله اللهُ على مُوسى ﷺ) بِصِدْق، وحق ، وجِد ، وإخلاص ، دُون تقاعُس أو كَسَل أو تخاذُل ، والعمل بما فيها، والالتزام بالتعاليم الإلهية الجليلة سواءٌ كانت أمرًا بطاعة أو اجتنابًا لمعصية. ولا يمكن للإنسان أن يَمشيَ على هواه، لأنه كائن خاضع لخالقه تعالى . والخالقُ هو الذي يَضع الشروط على المخلوق .

خُذوا التَّوراةَ بِقُوَّة، وادرسوها، وتدبَّروها ، واعملوا بما فيها ، وطَبِّقوا أوامرها ، ونفِّذوا تعاليمها، واعرفوا ما فيها من الثواب والعقاب ، والوعد والوعيد ، ولا تُهملوها ، ولا تُضيِّعوها ، ولا تَنسوها ، ولا تُعرِضوا عنها ، لكي تتَّقوا المعاصي والنارَ ، وتُصبحوا أتقياء وصالحين ومُصلِحين ، وتنجوا مِن عذاب الدَّارَيْن، وتفوزوا بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة .

وقال الطبري في تفسيره(١/٣٦٥):((واذكُرُوا ما فيما آتَيْناكم مِن كتابنا مِن وعد ووعيد شديد، وترغيب وترهيب ، فاتلوه ، واعتبروا به ، وتدبَّروه إذا فعلتم ذلك ، كي تتَّقوا وتخافوا عِقابي بإصراركم على ضَلالكم ، فتنتهوا إلى طاعتي ، وتنزعوا عمَّا أنتم عليه مِن معصيتي)) اهـ .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٩٣ و٩٤) : ((وفي المراد بالقوة أربعة أقوال ، أحدها : الجِد والاجتهاد ، قاله ابن عباس وقَتادة والسُّدي ، والثاني : الطاعة ، قاله أبو العالية، والثالث: العمل بما فيه ، قاله مجاهد ، والرابع : الصدق ، قاله ابن زيد . قَوله تعالى: ﴿ واذكروا ما فيه ﴾ فيه قَولان : أحدهما اذكُروا ما تَضَمَّنه من الثواب والعقاب ، قاله ابن عباس . والثاني معناه : ادْرُسوا ما فيه، قاله الزَّجاج. قَوله تعالى : ﴿ لعلكم تتَّقون ﴾ . قال ابن عباس: تتَّقون العقوبة)) اهـ.

إن هذه المعاني مُتضافرة، وكتلة واحدة متماسكة . فالقوةُ لها أشكالٌ متعددة ، وصورٌ مختلفة. فالاجتهاد أحد أشكال القوة ، لأنه ينبعث من قوة الإرادة الإنسانية ، والثقة بالنَّفْس ، ويتمثَّل في انطلاق القلب والجسد نحو الخير . والطاعةُ قُوَّة ، لأن الطائع ينتصر على شهواته الجامحة ، ويَقهر نَفْسَه الآمِرة بالمُنكر والسُّوء ، ويتغلَّب على أهوائه ومصالحه الشخصية من أجل الحق المُتجسِّد في الطاعة وامتثال الأوامر واجتناب النَّوَاهي . والعملُ قُوَّة ، لأنه تحويل الإرادة إلى تطبيق واقعي ملموس ، وتحويل الكلام إلى فِعل محسوس .

والصدقُ قُوَّة ، فالصادقُ مُتصالحٌ مع نَفْسه، لا يستسلم لرغباتها، وهو ينصاع للحق والحقيقة بغض النظر عن حسابات الربح والخسارة .

وقال البغوي في تفسيره (١/ ١٠٣) : ((﴿ لعلكم تتَّقون ﴾ لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العُقبى (الآخرة) . فإن قبلتم وإلا رضختم بهذا الجبل ، وأغرقتكم في هذا البحر، وأحرقتكم بهذه النار ، فلمَّا رَأَوْا أن لا مَهرب لهم عنها ، قَبِلوا ، وسجدوا ، وجعلوا يُلاحظون الجبل وهُم سُجود ، فصار سُنَّة لليهود ، ولا يَسجدون إلا على أنصاف وجوههم ، ويقولون : بهذا السُّجود رُفع العذاب عَنَّا)) اهـ .

والتَّوراةُ (وكل الكتب السماوية) لم تَجِئْ لتوضع على الرفوف أو القراءة لِنَيل البركة فقط . فالكتبُ السماوية _ بما فيها التوراة الأصلية غير المُحرَّفة _ هي الدستور الإلهيُّ الشامل الكامل ، الذي لا يَعتريه نقصٌ أو تناقض . وهذا الدستورُ جاء من السماء مِنحةً ربانية لإنقاذ البشرية، ورسم خط سَيرها إلى سعادة الدنيا، ونعيم الآخرة . وواضعُ هذا الدستور الكامل هو الله الكامل . والكاملُ لا يَصْدُر إلا عَن الكامل . أمَّا الدساتير البشرية الوضعية ، فيضعها رجال قانون ومُفكِّرون أصحاب عقول قاصرة ، وقدرات محدودة . يطرأ عليهم الخطأ والنِّسيان والتناقض بسبب عِدم عِصمتهم . كما أنهم قد يَسْقُطون في سُوء النِّية، وخُبث المقصد، والتأويل المُغرِض، والأهواء الذاتية، والمصالح الشخصية، أو قد يتعرَّضون لضغوط مِن هُنا وهُناك للتلاعب بنصوص الدستور ، أو كتابتها بما يخدم فئة دون أخرى . وبشكل عام ، إن الدساتير البشرية الوَضْعية يتمُّ تصميمها لصالح الأغنياء والأقوياء على حساب الفقراء والضعفاء.والدُّستورُ البشري الوضعي مِثل شِباك العنكبوت، لا تقع فيه إلا الكائنات الصغيرة ، أمَّا الكائنات الكبيرة فتُمزِّقه .

وهذا لا يمكن أن يكون في الدَّساتير الإلهية (الكُتب السماوية) ، لأن الله مُنَزَّه عن العبث والخطأ والنسيان والظُّلم والمُجاملة والمُحاباة ، ولا يمكن أن يخضع لأيَّة قوة ولا أيِّ ضغط . فاللهُ هو الخالق العظيم العزيز ، وكُلُّ ما سِواه مخلوق ذليل خاضع .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ وإذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ اذكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُم إذْ جَعَلَ فِيكُم أنبياءَ وَجَعَلَكُم مُلُوكًا وآتَاكُم ما لَم يُؤتِ أحَدًا مِنَ العَالَمِين ﴾[المائدة : ٢٠]. اذكُر يا محمد إذْ قالَ مُوسى لبني إسرائيل: يا قَوْمِ ، اذكُروا نِعمة الله عليكم ، وإحسانه إليكم، واشكروه ، وأطيعوه ، ولا تَعصوه.والآيةُ تدل على صِدق محمد ﷺ وصِحَّة نُبُوَّته،لأنها إعلام بأمر غَيبي لم يَشهده محمد ﷺ، مِمَّا يدل على أن هذا كلام الله لا كلام محمد . وهذا يُؤدِّي إلى تحقُّق اليهود مِن نُبُوَّة محمد ﷺ

ورسالته.واللهُ يُبيِّن أن آباء اليهود الموجودين في عصر محمد ﷺ، قد تمرَّدوا على الله ، وأعرضوا عن أوامره،وأهملوا شُكر نِعَمه الكثيرة،وعَصَوا مُوسى،ولم يَستجيبوا له.وهذه تسلية للنبيِّ محمدﷺ، ورفع لمعنوياته، وتخفيف عنه . وكأن الله يقول : إنْ رَفَضَ اليهودُ أوامرك يا محمد ، وعَصَوْكَ ، فقد رَفَضَ آباؤهم وأسلافهم أوامر مُوسى(وهو نَبِيُّهم صاحب التَّوراة) وعَصَوْه، فلا تنزعج يا محمد، ولا تتضايق،ولا تعبأ بهم، ولا تأبه لهم،فإن العصيان والعِناد والتمرُّد والكفر والضلال من طبيعة اليهود.

وقال الطبري في تفسيره (٤/ ٥٠٩) : ((وهذا أيضًا مِن الله تعريف لِنَبِيِّه ﷺ قديم تمادي هؤلاء اليهود في الغَي ، وبُعدهم عن الحق ، وسُوء اختيارهم لأنفسهم ، وشِدَّة خِلافهم لأنبيائهم ، وبُطء إنابتهم إلى الرَّشاد مع كثرة نِعَم الله عِندهم،وتتابُع أياديه وآلائه عليهم، مُسَلِّيًا بذلك نَبِيَّه محمدًا ﷺ عمَّا يَحِل به مِن علاجهم، وينزل به مِن مُقاساتهم في ذات الله. يقول الله له ﷺ: لا تَأسَ على ما أصابك مِنهم ، فإن الذهاب عن الله ، والبُعد من الحق ، وما فيه لهم الحظ في الدنيا والآخرة ، مِن عاداتهم وعادات أسلافهم وأوائلهم ، وتَعَزَّ بما لاقى منهم أخوك موسى ﷺ)) اهـ .

﴿ إذْ جَعَلَ فِيكُم أنبياءَ وَجَعَلكُم مُلُوكًا ﴾ . جَعَلَ اللهُ فيهم أنبياءَ يأتونهم بالوَحْي الإلهيِّ ، لهدايتهم إلى الحق ، وإرشادهم إلى الهدى، والأخذ بأيديهم إلى الله تعالى . وسخَّر لهم مِن غَيرهم خَدَمًا يَخدمونهم ، ويَسهرون على راحتهم ، وجَعَلهم مُلوكًا وسادةً ، بعدما كانوا خَدَمًا لِفِرْعَوْن، وعبيدًا له ، ذَوِي مكانة وضيعة حقيرة لا يُعْبَأ بهم ، ولا قيمة لهم .

لقد أنقذَ اللهُ بني إسرائيل مِن فِرْعَوْن بإغراقه وإهلاكه ، وجَعلهم مُلوكًا على رِقاب الناس ، وسادةً يَملكون أمرهم ، ولا يَغلبهم ولا يَقهرهم أحد ، بعد أن كانوا مَملوكين لِفِرْعَوْن ، مَقهورين تحت سُلطانه ، خاضعين لحُكمه . والجديرُ بالذِّكر أن الرَّجل في بني إسرائيل إذا كان له بَيت وزوجة وخادم اعْتُبِرَ مَلِكًا ، وعُدَّ مِن المُلوك. وأكثر أُمَّة في تاريخ البشرية ظهر فيها أنبياء هُم بنو إسرائيل . فماذا يريدون أكثر من النُّبُوَّة والمُلْك ؟! . لقد أكرمَ اللهُ بني إسرائيل وشرَّفهم بكثرة الأنبياءِ والمُلوكِ . والملوكُ تكاثروا فيهم تكاثُر الأنبياء . والمُلْك شرف الدنيا ، والنُّبُوَّةُ شرف الدنيا والآخرة . والواجبُ عليهم أن يَشكروا الله على نِعَمه، بامتثال أوامره ، واجتناب نَوَاهيه .

وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٠) : ((كُلَّما هَلَكَ نبيٌّ قامَ فيكم نبيٌّ مِن لَدُن أبيكم إبراهيم ، إلى مَن بعده ، وكذلك كانوا ، لا يزال فيهم الأنبياء يَدْعُون إلى الله ، ويُحذِّرون نِقمته ، حتى خُتِموا بعيسى بن مريم عليه السلام ، ثُمَّ أوحى اللهُ إلى خَاتَم الأنبياء والرُّسُل على الإطلاق ، محمد بن عبد الله المَنسوب إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وهو أشرف مِن كُل مَن

تقدَّمه مِنهم ﷺ)) اهـ . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣٢١ و٣٢٢) : ((قَوله تعالى : ﴿ إذْ جَعَلَ فِيكُم أنبياءَ ﴾ فيهم قَولان : أحدهما أنهم السبعون الذين اختارهم موسى ، وانطلقوا معه إلى الجبل ، جعلهم اللهُ أنبياء بعد مُوسى وهارون ، وهذا قول ابن السائب ومقاتل . والثاني أنهم الأنبياء الذين أُرْسِلُوا من بني إسرائيل بعد مُوسى ، ذَكَره الماوردي . وبماذا جعلهم ملوكًا ؟ . فيه ثمانية أقوال : أحدها بالمَن والسَّلْوى والحَجَر . والثاني بأن جعل للرَّجل منهم زوجة وخادمًا . والثالث بالزوجة والخادم والبيت ، رُوِيَت هذه الثلاثة عن ابن عباس . وهذا الثالث اختيار الحسن ومجاهد. والرابع بالخادم والبيت ، قاله عِكرمة . والخامس بتمليكهم الخدم ، وكانوا أوَّل مَن تَمَلَّكَ الخدم . ومَن اتَّخَذَ خادمًا فهو مَلِك ، قاله قَتادة . والسادس بكَوْنهم أحرارًا يَملك الإنسان منهم نَفْسَه وأهله وماله ، قاله السُّدي . والسابع بالمنازل الواسعة فيها المياه الجارية ، قاله الضَّحاك . والثامن بأن جَعل لهم المُلْك والسُّلطان ، ذَكَره الماوردي)) اهـ .

وعن أبي هريرة _ رضي اللهُ عنه _ عن النبيِّ ﷺ : ((كانت بنو إسرائيل تَسُوسُهم الأنبياء ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ)) [٩٦] .

هذا يُشير إلى كثرة الأنبياء في بني إسرائيل ، حيث كانت تَسُوسُهم الأنبياء ، أي : يَتَوَلَّوْنَ أُمورَهم ، ويَرْعَوْنَ مصالحهم . ويقومون بشؤونهم . والسياسة القيام على الشيء بما يُصلحه . والأنبياءُ هُم القادة ، ورأس النظام السياسي . وحقيقة السياسة لهم ، والمُلوك تَبَعٌ ونُوَّابٌ لهم ، وسائرون على خُطَاهم . والنبيُّ هو القائد ، والمَلِكُ نائبه ومُساعده .

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٢/ ٢٣١) : ((أي : يَتَوَلَّوْنَ أُمورَهم ، كما تفعل الأُمراء والوُلاة بالرَّعِيَّة . والسياسة القيام على الشيء بما يُصلحه . وفي هذا الحديث جواز قَول : هَلَكَ فُلان ، إذا مات)) اهـ .

وقال الحافظ في الفتح (٦/ ٤٩٧) : ((قَوله : " تَسُوسُهم الأنبياء " أي أنهم كانوا إذا ظَهَرَ فيهم فساد ، بَعَثَ اللهُ لهم نبيًّا يُقيم لهم أمرَهم ، ويُزيل ما غيَّروا مِن أحكام التوراة . وفيه إشارة إلى أنه لا بُد للرَّعِيَّة من قائم بأمورها يَحْملها على الطريق الحسنة ، ويُنصِف المظلوم من الظالم)) اهـ .

إن كثرة الأنبياء في بني إسرائيل ، لَيس عبثًا ولا صُدفة . فكثرةُ الأنبياء وتتابعهم يُشير إلى فساد بني إسرائيل وضلالهم ، وكثرة ذنوبهم ومعاصيهم . وعندما تَكثر الأمراضُ يَكثر الأطباء .

---

٩٦ متفق عليه . البخاري (٣/ ١٢٧٣) برقم (٣٢٦٨)، ومسلم (٣/ ١٤٧١) برقم (١٨٤٢) .

وحيث يكون الدَّاء يَظهر الدَّواء . وهذا العدد الكبير من الأنبياء يُشير إلى أن بني إسرائيل غارقون في مُستنقع الإثم . وهذا يتطلَّب وُجود المُرشدين والمُنقذين لإخراج الناس مِن الظُّلمات إلى النُّور، وهدايتهم إلى الحق والصواب. والأنبياءُ أعظم المُرشِدين ، وأفضل المُنقِذين .

﴿ وآتَاكُم ما لَم يُؤتِ أحَدًا مِنَ العَالَمِين ﴾ . هذا خِطاب مُوسى ﷺ لبني إسرائيل . وأعطاكم اللهُ النِّعَمَ الكثيرة ، وخصَّكم بِفَلْق البحر ، وإغراق العَدُوِّ ، وتَظليل الغمام ، وإنزال المَن والسلوى، وكثرة الأنبياء وكثرة المُلوك . والمرادُ عَالَم زمانهم . أي إن اللهَ آتَى بني إسرائيل ما لم يُؤتِ أحدًا مِن عَالَم ذلك الزمان . ولا شَكَّ أن شرف الآباء ومجدهم ، يَعود على الأبناء بحُسْن السُّمعة .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣٢٢) : ((قَوله تعالى : ﴿ وآتَاكُم ما لَم يُؤتِ أحَدًا مِنَ العَالَمِين ﴾ . اختلَفوا فِيمَن خُوطِب بهذا على قَوْلَيْن : أحدهما أنهم قوم مُوسى ، وهذا مذهب ابن عباس ومجاهد . قال ابن عباس : ويعني بالعَالَمين الذين هُم بين ظَهْرانيهم ، وفي الذي آتاهم ثلاثة أقوال : أحدها المَن والسَّلوى والحَجَر والغمام ، رواه مجاهد عن ابن عباس ، وقال به . والثاني أنه الدار والخادم والزوجة ، رواه عطاء عن ابن عباس . قال ابن جرير : ما أُوتيَ أحد مِن النِّعَم في زمان قوم مُوسى ما أُوتُوا . والثالث كثرة الأنبياء فيهم ، ذكَره الماوردي . والثاني أن الخِطاب لأُمَّة مُحمَّد ﷺ . وهذا مذهب سعيد بن جُبَير وأبي مالك)) اهـ .

وعن ابن عباس_ رضي اللهُ عنهما_ في قَوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ جعل فيكم أنبياء ﴾ ، قال : جَعَلَ مِنكُم أنبياء، ﴿ وجعلكم مُلوكًا ﴾ ، قال: المرأة والخادم، ﴿ وآتَاكُم ما لَم يُؤتِ أحَدًا مِنَ العَالَمِين ﴾ قال: الذين هُم بين ظَهْرانيهم يومئذ [٩٧] .

إن وجود الزَّوجة التي تصنع الأُسرةَ ، وتعتني بالرَّجل والأولاد ، مَعَ تَوَفُّر خادم يقوم بالواجبات المَوكولة إليه ، يَجعل من الإنسان مَلِكًا . وهذا يعكس حياة الرفاهية بلا مُنغِّصات ولا عوائق .

ومفهوم " المَلِك " لا يُمكن حَصْره في رأس النظام السياسي ، لأن مَعناه يشتمل على أبعاد كثيرة، وجوانب مُتعدِّدة . وقد فضَّل اللهُ بني إسرائيل على عَالَم زمانهم ، والواجبُ عليهم أن يَشكروه .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ يا بَنِي إسرائيلَ قَد أنجَينَاكُم مِن عَدُوكُم وواعَدناكُم جَانِبَ الطُّورِ الأيمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ المَنَّ والسَّلْوى ﴾[طه : ٨٠] .

---

٩٧ رواه الحاكم في المستدرَك (٢/ ٣٤١) برقم (٣٢١٤) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

الخطابُ الإلهيُّ لبني إسرائيل بعد إخراجهم من البحر وإغراق فِرْعَوْن وجُنوده ، وهُم يَنظرون إليهم سُعَداء فَرِحين . واللهُ يُذكِّر بني إسرائيل بِنَعمه العظيمة عليهم ، كَي يَشكروه ، ويُطيعوه، ولا يَعصوه، فقد أنقذهم مِن فِرْعَوْن وجُنوده ، الذين عذَّبوهم وأهانوهم واستعبدوهم واحتقروهم ، وذبَّحوا أبناءهم ، واسْتَحْيَوْا نساءهم .

ويَجوز أن يكون الخطاب الإلهيُّ لليهود الموجودين في زمن محمد ﷺ ، وخُوطِبوا بما أنعمَ اللهُ به على آبائهم وأسلافهم الذين كانوا في زمن مُوسى ﷺ . وذلك لأن النِّعمة على الآباء نِعمة على الأبناء ، وشرفُ الأب شرف لابنه .

وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢١٧) : ((يَذكر تعالى نِعَمَه على بني إسرائيل العِظَامَ ، ومِنَنه الجِسام ، حيث أنجاهم من عدوهم فِرْعَوْن ، وأقرَّ أعينهم مِنه ، وهُم يَنظرون إليه وإلى جُنده ، قد غَرِقوا في صبيحة واحدة لَمْ يَنْجُ منهم أحد)) اهـ .

﴿ وواعَدناكُم جَانِبَ الطُّورِ الأيمَنَ ﴾ . وَعَدَ اللهُ مُوسى للمُناجاة وإنزال التَّوراة عليه جانب طُور سَيناء الأيمن ، مِن أجل مصلحة بني إسرائيل . لذلك خُوطِبوا بِه ، ونُسِبَت المُوَاعَدَة إليهم . إذ إن إنزال التَّوراة فيه منفعة بني إسرائيل وصلاحهم دينيًّا ودُنيويًّا ، وسعادتهم في الدَّارَيْن. والتَّوراةُ كتابٌ سماويٌّ عظيم أنزله اللهُ على النبيِّ مُوسى ﷺ ، فيه الحلال والحرام والأحكام الشرعية ، لهداية بني إسرائيل وإرشادهم وتَوجيههم إلى الحق والهدى والصواب . والنبيُّ مُوسى ﷺ أعظم أنبياء بني إسرائيل على الإطلاق . والتَّوراةُ هو الكتاب السماويُّ الأساسيُّ لبني إسرائيل ، والإنجيل تابعٌ له ، كما أن عيسى تابعٌ لمُوسى ــ عليهما الصلاة والسلام ــ .

وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢١٧) : ((ثُمَّ إنه تعالى وَاعَدَ مُوسى وبني إسرائيل بَعد هلاك فِرْعَوْن إلى جانب الطُّور الأيمن ، وهو الذي كلَّمه اللهُ تعالى عليه ، وسألَ فيه الرؤية ، وأعطاه التَّوراة هنالك . وفي غضون ذلك عبد بنو إسرائيل العِجْلَ)) اهـ .

وقال النسفي في تفسيره (٣/ ٦٣) : ((وذلك أن الله عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَ مُوسى أن يأتيَ هذا المكان ، ويختار سبعين رجلًا يَحضرون معه لنزول التَّوراة ، وإنما نَسَبَ اليهم المُوَاعَدَة ، لأنها كانت لِنَبِيِّهم ونُقبائهم ، وإليهم رَجعت منافعها التي قام بها شَرْعهم ودِينهم)) اهـ .

وقال القرطبي في تفسيره (١١/ ٢٠٦) : ((و﴿ الأيمَنَ ﴾ نُصِبَ لأنه نَعْت للجانب، وليس للجبل يمين ولا شِمال . فإذا قِيل : خُذ عن يمين الجبل، فمعناه: خُذ على يمينك مِن الجبل. وكان الجبل على يمين موسى إذْ أتاه)) اهـ .

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ المَنَّ والسَّلْوى ﴾. لقد تفضَّلَ اللهُ على بني إسرائيل، وأكرمهم، وأحسنَ إليهم، بأن نزَّل عليهم في التِّيه المَنَّ (حَلْوى كانت تَنزل عليهم من السماء) والسَّلْوى (طائر يَسقط عليهم فيأكلون مِنه حَسَب الحاجة إلى الغد).وسُمِّيَ اللحم سَلْوى لأنه يُتسلَّى به عن جميع الطعام.

وفي الدُّر المنثور للسُّيوطي (١/ ١٧١) : ((وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : "كان المَن ينزل عليهم بالليل على الأشجار ، فَيَغْدُون إليه ، فيأكلون منه ما شاؤوا . والسَّلوى طائر شبيه بالسُّمَانَي ، كانوا يأكلون منه ما شاؤوا)) اهـ .

واللهُ تعالى لم يترك بني إسرائيل للهلاك والضياع والمُوت جوعًا ، بل أنعمَ عليهم بالمَن والسلوى تفضُّلًا مِنه عليهم ، ورحمةً بهم ، وإحسانًا إلَيهم . واللهُ أرحم بالعباد مِن أُمَّهاتهم ، يفتح لهم أبوابَ الخير والنعيم والسعادة على الرغم من تقصير الناس ، وعَجْزهم عن شُكر الله حَقَّ الشُّكر . واللهُ هو أهل التقوى وأهل المغفرة . ولو أراد سُبحانَه أن يُعامل الناس بما هُم أهْلُه (وهُم أهل الذنوب والمعاصي) لَجَعَلَ حياتهم جحيمًا لا يُطاق .

وفي الآيةُ يَظهر تَرتيب النِّعَم بشكل بديع ومُحكَم : ١_ نِعمة الإنجاء (الإنقاذ مِن العَدُوّ) . ٢_ النِّعمة الدينية (المُوَاعَدَة جانب الطُّور الأيمن) . ٣_ النِّعمة الدُّنيوية (المَن والسَّلْوى) .

***

أوّلًا : التَّخطيطُ لارتكابِ الجرائمِ

يحتاج التَّخطيط إلى عقلية استشرافية ، تَدرس الواقع بانضباط ، وتستطلع المستقبلَ بدقة ، وتضع أهم الركائز للتعامل معه وَفْق ما تقتضيه المَصلحة . وأيَّةُ عقلية _ كما هو معلوم _ قد تُستغَل في الخير أو الشر . واليهودُ في كُل زمان ومكان أصحابُ دَهاء وخُبث ومَكر وذكاء ومعرفة. ومِن الطبيعي أن يَستخدموا عقولَهم ، ويَنقلوا فكرهم ورؤيتهم مِن الذهن إلى الواقع ، للحصول على المصالح والمنافع والمكاسب والنفوذ والسُّلطة والزعامة والرئاسة والسيادة .

واليهوديُّ كأي إنسانٍ آخر ، ليس له جيناتٌ خاصةٌ باليهودية ، فيتميَّز عن سائر البشر ، ولم يَأتِ إلى الأرضِ مختومًا بطابَع بريد يُسمَّى اليهودية ، فيتيه على المخلوقات فخرًا ، زاعمًا أنه من عُنصر مُتميِّز ومُتفوِّق وراقٍ . وقد وضَّح النبيُّ ﷺ حقيقةَ الأمر حِين قال : ((مَا مِن مَولودٍ إلا يُولَد على الفِطْرة ، فأبواه يُهَوِّدَانِه ، أو يُنَصِّرَانِه ، أو يُمَجِّسَانِه)) [٩٨] .

وفيه إشارة إلى الاكتساب من المحيط والبيئة، وتأثير البيئة في صياغة شخصية الفرد وسلوكه ، ودور الوالدَيْن والتربية في توجيه الطفل إلى اعتناق العقيدة . فالفِطرة المزروعة في الذات البشرية تدعو إلى التَّوَجُّه إلى إله واحد ، لا شريك له . وهذا هو المعنى النَّقلي والعقلي .

وَلَوْ تُرِكَ المَولودُ وَحِيدًا دُون مُؤثِّرات خارجية ، فإنه سيهتدي إلى وجود الخالق الواحد الأحد ، الذي ليس له شريك . ولكنَّ تَوجيه الأبَوَيْن ذو تأثير حاسم في عقيدة هذا المولود .

ومعنى : " يُهوِّدانه " يُعلِّمانه اليهودية ، ويَجْعلانه يهوديًّا . " يُنصِّرانه " : يُعلِّمانه النصرانية ، ويَجْعلانه نصرانيًّا . " يُمجِّسانه " : يُعلِّمانه المجوسية ، ويَجْعلانه مجوسيًّا .

واللهَ فَطَرَ خَلْقَه على الإسلام ، ولكنَّ كثيرًا منهم اعتنقَ الأديانَ الأرضية الباطلة كاليهودية والنصرانية والمَجُوسية والبُوذية والهندوسية ... إلخ ، بسبب تأثيرات الأبوين والبيئة ، أو مصالح شخصية ، أو اتِّباع الشهواتِ والأهواءِ الفاسدة ، أو التقليد الأعمى ، أو وجود شُكوك ووساوس ،

---

٩٨ متفق عليه . البخاري (١/٤٥٦) برقم (١٢٩٢) ، ومسلم (٤/٢٠٤٧) برقم (٢٦٥٨) .

وقال الشَّوكاني في فتح القدير (٤/ ٣١٨) : ((فكل فرد من أفراد الناس مَفطور : أي مخلوق على مِلَّة الإسلام ، ولكن لا اعتبار بالإيمان والإسلام الفِطْرِيَّيْن ، وإنما يُعتبَر الإيمان والإسلام الشَّرعيان . وهذا قَول جماعة من الصحابة ومَن بَعْدهم ، وقَول جماعة من المفسرين ، وهو الحق)) اهـ .

أو كُلها مَعًا أو بعضها . والفِطرةُ هي ما أُخِذَ عليهم في أصلاب آبائهم ، حتى يحصل التغيير بتأثير الأبَوَيْن . أو : هي ما قضى اللهُ عليه مِن سعادة أو شَقاوة يصير إلَيها . والعقيدةُ الصحيحة في هذا السياق أن المُهتدي هو مَن هَداه اللهُ ، والإنسانُ لا يَهتدي بذكائه أو مهاراته الشخصية، وإنما بِهَدْيِ اللهِ اهتدى. واللهُ تعالى أرادَ هدايةَ بعض عباده، وهُم المُهتدون ، ولَم يُردْ هَدايةَ الآخرين ، ولو أرادَ اللهُ هدايةَ الناس جميعًا لاهْتَدَوْا فَوْرًا بلا تأخير .

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٦/ ٢٠٨) : ((وقال ابن المبارك : يُولَد على ما يَصير إليه من سعادة أو شَقاوة ، فَمَن عَلِمَ اللهُ تعالى أنه يصير مُسلمًا ، وُلِدَ على فِطرة الإسلام . ومَن عَلِمَ أنه يصير كافرًا وُلِدَ على الكفر . وقِيل : معناه : كُل مولود يُولَد على معرفة الله تعالى ، والإقرار به، فليس أحد يُولَد إلا وهو يُقِرُّ بأن له صانعًا، وإن سمَّاه بغير اسمه ، أو عَبَدَ معه غَيْرَه . والأصح أن معناه أن كل مولود يُولد مُتَهَيِّئًا للإسلام، فمَن كان أبواه أو أحدهما مُسلمًا، استمر على الإسلام في أحكام الآخرة والدنيا ، وإن كان أبواه كافرَيْن جرى عليه حُكمهما في أحكام الدنيا . وهذا معنى يُهوِّدانه ويُنصِّرانه ويُمجِّسانه ، أي : يُحكَم له بحُكمهما في الدنيا ، فإن بلغ استمر عليه حُكم الكفر ودينهما ، فإن كانت سبقت له سعادة أسلمَ ، وإلا مات على كُفره ، وإن مات قبل بُلوغه ، فهل هو من أهل الجنة أم النار أم يتوقف فيه ... . الأصح أنه من أهل الجنة)) اهـ .

وفي صحيح مسلم (٤/ ٢١٩٧) أنَّ النبيَّ ﷺ قال حِكايةً عن اللهِ تعالى : ((وإني خَلقتُ عبادي حُنفاءَ كُلَّهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عَن دِينهم)) .

إنَّ العباد مخلوقون حُنفاء بلا استثناء . أي إنهم مَوْلودون على الفِطرة (توحيد الله) . لكنَّ الشياطين أوردتهم المهالك ، فانحرفوا عن الطريق المستقيم . واللهُ خَلق عبادَه كُلَّهم حُنَفاء ، أي مُسلمين.وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٧/ ١٩٧):((وقِيل: طاهرين من المعاصي، وقِيل : مُستقيمين مُنيبين لقَبول الهداية ، وقِيل : المُراد حين أخذ عليهم العهد في الذَّر)) .

وإن الشياطين أزالوا الناسَ عن الحق ، وجالوا معهم في الباطل . فالشياطين دفعوا الناسَ إلى الانحراف ، ضمن فوضى عبثية ضاع فيها الإنسان بسبب ابتعاده عن المنهج الإلهيِّ . وإذا ابتعدَ الإنسانُ عن التعاليم الإلهية ، فإن الشَّيطان سيلعب به ، كما يَلعبُ الصَّبِيُّ بالكُرَة .

والنظام البديع السائد في الكَون لا يصدر إلا عن إله واحد، فالواحد لا يَصدر إلا عن الواحد. ولو كانت هناك آلهة ، لذهب كل إلهٍ يخلق كيفما يشاء ، وبالتالي ستظهر الاختلافات والتناقضات في الكون ، ويَظهر التعارض والتنافر والتصادم في حركة الأجسام والأجرام . وهذا لا نجده .

إذن ، انعدامُ التعارض في ظواهر الكَون ، وعدمُ وجود خلل في مظاهر الحياة ، وحركةُ العناصر والمخلوقات وَفْق نظام دقيق مُتناسق ، بلا تناقض ولا تعارُض . كُل هذه الأشياء تدل على صانع قدير، وخالق حكيم، وإله واحد ، لا شريك له . وهو الله تعالى . والنظامُ الواحدُ يدل على الصانع الواحد . واليهوديُّ _ مُنْفَرِدًا _ لا يَملك منظومة التخطيط للجرائم ، وتنفيذها على أرض الواقع . ولكنه حِين يُوجَد في بيئة مُزدحمة باليهود (أبناء جِلْدته) ، فإنهم سَوْفَ يُوَجِّهون مَسارَه نحو أهدافهم الخبيثة ، وهكذا يتَّضح دَور الفرد لخدمة حُلم الجماعة ، وتَبرز أهمية العقل الفردي في منظومة العقل الجمعي . وبالتالي ، يَتحرَّك الفرد كجُزء من الجماعة ، ينتمي إليها ، ويَسعى لتحقيق مصلحتها ، ومصلحةُ الجماعة هي _ بالضرورة _ مصلحة الفرد [٩٩] . وهذه الفكرة تنطبق على باقي العناصر البشرية ، بل إنها تشمل الحيواناتِ في الغابة ، لذلك رأينا القَطيعَ كمجتمع مِن الأفراد ، يتحرَّك معًا نَحْو هدف واحد ، ووُجهة مُحدَّدة ، ضِمن نظام له قائد ، وترأسه إدارة عُليا .

وتُوضِّح الآيةُ التالية بِدِقَّة بليغة عمليةَ التخطيط اليهودي لارتكاب الجرائم : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُم رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُم فَفَرِيقًا كَذَّبْتُم وَفَرِيقًا تَقْتُلُون ﴾ [البقرة : ٨٧] .

إن اليهود (بني إسرائيل) غارقون في اتِّباع أهوائهم ، وحريصون على مصالحهم المادية الدنيئة . وحِينَ يأتيهم رسولٌ بما يُخالف مُيولَهم الفاسدة ، فإنهم يَستكبرون أن يتَّبعوه ، ويرفضون تعاليمه وإرشاداته ونصائحه . وهُم يَعتمدون على تكذيب الأنبياء وقَتْلهم ، اعتقادًا مِنهم أنهم بذلك يُطْفِئون نُورَ الدَّعوة الإسلامية (والإسلام دِين جميع الأنبياء) ، ويُحافظون على فوضى حياتهم الغارقة في الذنوب والآثام والخطايا ، كَي يَفعلوا ما يَحْلُو لهم دون نكير أو مُساءلة .

وهُم يَنطلقون من موقف مبدئي رافض للحق ، ويَسْعَوْنَ بكل الوسائل للتَّحايل على النصوص الدينية ، ومُضايقة الأنبياء ، وإضلال الناس ، وإخفاء طريق الهدى والصواب . وكُل هذا مِن أجل المحافظة على نفوذهم، وسُلطتهم، وزعامتهم، ورئاستهم، ومُكتسباتهم المادية، وأرباحهم المالية .

---

٩٩ الواقع التاريخي في فلسطين يُقدِّم صُورةً حيَّة عن هذا الموضوع. فقد كان اليهود في فلسطين خلال عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين أقلية مُبعثرة، بلا فاعلية ولا وزن. وحين ازداد عددهم جرَّاء قُدومهم من أنحاء العالَم تساندوا سويًّا ، وأسَّسوا العصابات مِثل الهاجانا والأرغون وغيرهما ، وبدؤوا بالتخطيط الإجراميِّ مُتكاتفين ، بعد أن استقطبوا المترددين والخائفين . وكُل المعاناة التي لَقِيَها اليهودُ في أوروبا صَبُّوها على الفلسطينيين ، وكأنَّ الضحية تتقمَّص قاتلَها ، وتقوم بنفْس دَوره حين تملك القُدرة والنُّفوذ والمال .

وقال القرطبي في تفسيره (٢/ ٢٦) : ((﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُم رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُكُم ﴾ ، أي : بما لا يُوافقها ويُلائمها، وحُذفت الهاء لطول الاسم ، أي بما لا تَهْواه . ﴿ اسْتَكْبَرْتُم ﴾ عن إجابته احتقارًا للرُّسُل ، واستبعادًا للرسالة ، وأصل الهوى المَيل إلى الشيء)) اهـ .

كُلَّما جاء رسولٌ إلى اليهود (بني إسرائيل) ، بما يتعارض مع أهوائهم الفاسدة ، ويتصادم معَ مصالحهم المادية ، تكبَّروا عليه ، وجَحدوا نُبُوَّته ، ورفضوا رسالته ، وأعرَضوا عن الإيمان . وظاهرُ الآية الاستفهام ، ومَعناه التَّوبيخ والتَّقريع. وسُمِّيَ الهوى بهذا الاسم ، لأنه يَهْوي بصاحبه إلى النار.

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ١٧٢) : ((فكانت بَنُو إسرائيل تُعامل الأنبياء أسوأ المُعاملة، ففريقًا يُكذِّبونه ، وفريقًا يَقْتلونه . وما ذاك إلا لأنهم يَأتونهم بالأمور المُخالفة لأهوائهم وآرائهم وبالإلزام بأحكام التوراة ، التي قد تصرَّفوا في مُخالفتها ، فلهذا كان ذلك يَشُقُّ عليهم ، فكذَّبوهم، وقَتلوا بعضهم)) اهـ .

وقامَ اليهودُ بتكذيب عيسى ومحمد _عليهما السلام _ ، وقاموا بقتل يَحيى وزكريا_ عليهما السلام _ . وهذا يُشير إلى طبيعة اليهود الإجرامية ، والتمادي في الظلم والاعتداء، دُون وُجود وازع ديني أو رادع أخلاقي . وهذا السُّلوكُ صارَ علامةً مُميَّزة لليهود (بني إسرائيل) ، ويدل على البيئة الفكرية المَوْبوءة التي يعيشون فيها ، دُون الاستفادة مِن تعاليم الأنبياء ونصائحهم .

والجديرُ بالذِّكر أن الفِعل ﴿تَقْتُلُون ﴾ جاءَ بالمُضارع وليس بالماضي ، فلم يَقُل اللهُ تعالى : وفريقًا قتلتم ، وذلك استحضارًا للمشهد الفظيع في النفوس ، أو لتنبيه السامع على محاولات اليهود المستقبلية لقتل النبيِّ مُحمَّد ﷺ، وسَعْيهم الدؤوب للتخلص منه، وهذا يستلزم قدرة على حَبْك الخُطط الخبيثة ، ورَسْمها بِدِقَّة لإزالته مِن طريقهم . وهُم بذلك يَستندون إلى قُدرات عقلية، ودهاء بالغ ، ومكر عميق. إذْ إن الأغبياء عاجزون عن رسم المكائد وخُطط التصفية الجسدية، وهذا يدل على ذكاء اليهود ومَكْرهم وخُبثهم ، وامتلاكهم عقولًا خطيرة ، وتفكيرًا واسعًا . لكنهم _ للأسف _ يَستخدمون عقولهم وأفكارهم في الكُفر والضلال والشر والأذى ، لأن شَهوة السَّيطرة على الموارد البشرية والطبيعية تملأ حياتهم وكيانهم . ومعلومٌ أن اليهود _ في كل زمان ومكان _ يستغلون مَكْرَهم كي ينتقلوا مِن حالة الضعف والذل ، إلى حالة القوة والسَّيطرة .

وقال البيضاوي في تفسيره(١/ ٣٥٧):((وإنما ذُكِرَ بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارًا لها في النفوس ، فإن الأمر فظيع ، أو مُراعاة للفواصل، أو للدَّلالة على أنكم بَعْد فيه ، فإنكم تَحُومُون حول قتل محمد ﷺ لَوْلا أنِّي أعْصِمُه منكم،ولذلك سحرتموه وسَمَّمْتُم له الشَّاة)).

إنَّ اتِّباع اليهود لأهوائهم الشخصية ومصالحهم المادية ، جَعَلَهم غارقين في الكفر والضلال. وهُم يَعتبرون الأنبياءَ أعداءً لهم ، لأنهم جاؤوا بالحق الذي يُعارِض مَسيرةَ اليهود،ويَنسف أهواءهم. لذلك بدؤوا بالتخطيط للتخلص من الأنبياء الواقفين سَدًّا منيعًا في وجه الباطل .

والاستكبارُ المُتغلغل في نفوس اليهود ، أدَّى إلى تكذيب فريق من الأنبياء ، وقَتْل فريق آخَر ، في محاولة لإسكات صوت الحق ، وإسقاطِ راية الحرية . وهذه المعاملة السيئة تشير إلى طبيعة الشخصية اليهودية المُعَانِدَة للهدى ، والمُتَمَرِّدة على الحق ، وعدم وجود نِيَّة صادقة للالتزام بالأحكام الشرعية ، لأنهم يَنظرون إلى الشريعة على أنها عِبْء ثقيل ينبغي التخلص منه ، كَي يُمارسوا حياتهم وَفْق أهوائهم الفاسدة ، وكَمَا يَحْلُو لهم ، دُون وازع ديني ، أو رادع أخلاقي .

((وذَكَرَ عبد الله بن جعفر بن المِسْوَر بن مَخْرَمة عن أبي عَون قال : كان من أمر بني قَيْنُقاع أن امرأة من العرب قَدِمَتْ بِجَلْب لها [١٠٠] ، فباعته بسوق بني قَيْنُقاع ، وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ، فَأَبَتْ ، فَعَمَدَ الصائغُ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظَهْرها ، فلمَّا قامت انكشفت سَوْءتها ، فضحكوا بها ، فصاحتْ . فوثبَ رَجلٌ من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهوديًّا ، وشَدَّت اليهودُ على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون ، فوقع الشر بينهم وبين بني قَيْنُقاع)) [١٠١] .

إن اليهود يَعشقون الذهب ، لأنهم يَعتبرونه وسيلتهم للسيطرة على العَالَم ، وإخضاع الشعوب وإذلالها والتَّحَكُّم بها . والتُّجَّارُ اليهود _ عل مدار التاريخ _ ارتبطَ اسمُهم بالذهب والفِضَّة والمال والإقراض بالربا ، وانتزاع مُمتلكات الآخرين ، والسيطرة على مُقدَّرات الشعوب ، والهَيمنة على ثروات البلاد . وهذا الصائغُ يُمثِّل عقليةَ اليهود التجارية الغارقة في الذهب والفِضَّة والمجوهرات والحُلِيِّ . ولا شَكَّ أن المال هو العمود الفِقري للمجتمعات ، واليهودُ يَعرفون أن امتلاكهم للمال ، يَجعلهم يُسيطرون على الشعوب والدول والمجتمعات . والناسُ يَحترمون الغنيَّ _ مهما كانت أخلاقه سيئة _ ، ويَحتقرون الفقيرَ _ مهما كانت أخلاقه حسنة _ . وذلك لأن الناس غارقون في العقلية المادية الاستهلاكية ، ولاهثون وراء جمع حُطام الدنيا الفاني ، وتفكيرهم مَحصور في مَتاع الدنيا الزائل . ومَن أرادَ الدنيا ، فسوفَ يَخضع للناس الذين يَمتلكونها .

---

١٠٠ ما يُجلَب إلى السوق من بضاعة أو مَتاع بقصد البيع .

١٠١ سيرة ابن هشام (٣/ ٣١٤) ، وسيرة ابن كثير (٣/ ٥) .

إن هذا الصائغ عَمَدَ إلى طرف ثوب المرأة المسلمة ، وعَقَدَه إلى ظَهْرِها بهدف أن تُكشَف عَوْرتها . وهذا يدل على أن المرأة المسلمة طاهرة وشريفة ومُحتشمة في ثيابها ، وهذا ما ضايقَ اليهوديَّ وأزعجه ، فنفَّذ خُطَّته الخبيثة التي تدل على ذهنية الانحراف المُستندة إلى التخطيط المُسبق ، والتنفيذ بحرفية على أرضِ الواقع . واليهود ليسوا أغبياء . إنهم في غاية المكر والدهاء. ولا تأتي أفعالهم في سياق المُصَادَفَة أو البراءة أو حُسن النِّية . إنهم يُعمِلون عقولهم ، ويَبذلون قُصارى جُهدهم ، ويَضعون إمكانياتهم في أقصى طاقتها ، مِن أجل تكريس الانحراف ، وتَجذير المعاني السَّيئة ، ونشر الرذيلة والفاحشة . وهُم يُعَوِّلُون كثيرًا على تصميم الحِيَل، ونَسْجها بحيث تُصيب هدفها المرسوم بِدِقَّة . وهذا الأمرُ غير متوقف على مرحلة زمنية مُعيَّنة ، وإنما يَظْهر في كل مراحل وجودهم ، فالحاجةُ أُم الاختراع . إنهم يحتاجون إلى فرض نمطهم وأهوائهم وانحرافاتهم ، فيندفعون باذلين ما بوُسْعهم للوصول إلى طموحاتهم الشريرة وأهدافهم الدنيئة . والعجيب أن الذي يَبذلونه من مال وجُهد ووقت وتفكير للالتفافِ على الحق ومحاولة طَمْسه ، كاف لإشعال جَذوةِ الحق في قلوبهم ، لَوْ وَجَّهُوا جهودهم في الطريق الإيجابيِّ . وإن الوقت الذي يأخذه الإنسانُ لتبرير أخطائه وخَطاياه والتَّحايل عليها عِنادًا وتكبُّرًا، يَكفي لإصلاحها وتجاوزها وتصحيح المسيرة.

وتمتلأ كتب النصارى بعبارات كثيرة عن محاولات اليهود وسَعْيهم وتصميمهم على القتلِ ، وتسخير عقولهم في التحضير لارتكاب الجرائم ، وتجهيز التربة الخصبة لاحتضان بِذرة الجريمة .

وفي [مَتَّى ٢ : ٢٠] : ((فقد ماتَ الذين كانوا يَسْعَوْنَ إلى قَتْله !)) اهـ .

إنها عبارةٌ مؤلمة توضِّح درجةَ الانهيار الأخلاقي الذي وصل إليه اليهود ، الذين كانوا يَسْعَوْنَ جاهدين لقتل المسيح، والتخلص مِنه، وإنهاء دَعوته إلى الأبد. وكما حاولَ اليهودُ قَتْلَ محمد ﷺ فقد حاولَ آبائهم قتلَ المسيح ﷺ . وهذا يُشير بوضوح إلى أن مُحاولة قتل الأنبياء والتخلص منهم، منهجية يهودية أساسية ، وسياسة ثابتة ، وليست حالة فردية ، أو مُجرَّد خطأ ، أو نزوة .

وكلمة " يَسْعَوْن " جاءت فِعْلًا مُضَارِعًا ، والفِعلُ المُضارِع يدل على الاستمرار التَّجددي ، ويَكشف الجُهدَ اليهودي الحثيث والمتواصل والدائم والمستمر ، كما يَكشف حِرص اليهود على قتل المسيح ، وإصرارهم على ارتكاب هذه الجريمة البشعة بكل تصميم وعِناد ، بدون رادع ، ولا خَوف من العواقب.ورُبَّما ذلك يعود إلى عدم وجود عشيرة للمسيح ، ولا قَبيلة تُدافع عنه وتَحميه.

والجَرْيُ المَحموم وراء القتل ، والهوس به ، يتطلَّبان تخطيطًا مُسبقًا ، وتأسيس مشروعات مبنية على المَكْر والخديعة ، لتضييق الخناق على الهدف المنشودِ ، وإزالته من الوجود .

لقد حاولَ اليهودُ (أسياد المال والمكر والدهاء) قتلَ المسيح ، وحاكوا المُؤامرات الرامية إلى تحقيق هدفهم . وبقتل المسيح ، ستنتهي دَعوة المسيح الإسلامية . والمسيحُ دِينه الإسلام ، الذي هو دِين جميع الأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ .

إنها محاولاتٌ محمومةٌ مسعورةٌ لا مكان للعقلِ فيها ، إلا بقَدْر ما يُقدِّم مِن تخطيط للجريمة ، وحَبْك للمُؤامرة ، ونَسْج لخُيوط التصفية الجسدية ، وحِياكة لثوب العار الذي سيظل مُلْتَصِقًا باليهودِ إلى أبد الآبدين نتيجة أفعالهم القبيحة. والخيانات مستمرة بشكل متواليات تكاثرية لأن عقلية الانهيار مستمرة من رأس الهرم حتى القاعدة ، أي مِن عِلْية القَوم حتى قاع المجتمع .

وفي [مَتَّى ١٢ : ١٤] : ((ولكنَّ الفَرِّيسيِّين خرجوا وتآمروا على يَسوعَ لِيَقتلوه)) [١٠٢] .

إن الفَرِّيسيِّين كِبار علماء اليهود ، ويُفترَض أن لديهم عِلْمًا بالكتاب والشريعة ، قد خَرجوا وتآمروا على قتل المسيح . فإذا كان هؤلاء العلماءُ يتصرَّفون بهذا الشكل ، فكيفَ سيتصرَّفُ اليهودُ العادِيُّون والعَوَام مِن بني إسرائيل ؟ .

وبدلًا مِن أن يُوجِّه الفَرِّيسِيُّون عقولهم وقلوبهم نَحْو الإيمان بالمسيح ، والتَّصديق بِنُبُوَّته ورسالته، وجَّهوها نَحْو التآمر على المسيح من أجل قتله ، والتخلُّص مِنه ، وإنهاء دَعوته إلى الأبد. وقد بحثوا عن طريقة ناجحة وفعَّالة لقتل المسيح ، لإزالته من طريقهم ، كي يتفرَّغوا للسَّيطرة على الشعب ، وإفساده ، واستغلاله ، واستعباده باسم الشريعة ، والقِيام باستنزاف خَيرات البلاد وثرواتها ، وبسط نفوذهم على الجميع بلا نكير ، وكُل هذا تحت أقنعة الأحبار والعلماء الأتقياء !.

ويَظْهر نوعٌ جديدٌ مِن التآمر ، وهو التآمر الفكري ، الذي يقوم على مُحاولة إفحام الخصم بالباطل ، وإقامة الحُجَّة عليه بِدُون وَجْه شرعي .

وفي [مَتَّى ٢٢ : ١٥] : ((فذهبَ الفَرِّيسيُّونَ وتآمروا كيف يُوقعونه بكلمة يقولها)) اهـ .

تآمرَ الفَرِّيسيُّون على المسيح ، وحاولوا إيقاعَه بأيَّة كلمة يَقولها ، مهما كانت . وذلك لأنهم ينطلقون من موقف مسبق رافض للحق ، سواءٌ ظَهَرَ لهم أَم لم يَظهر . ولو كانوا يبحثون عن الحق بصدق وإخلاص وتجرُّد، لوَجَدوا الحقَّ، واعتنقوه ، ولكن الهوى والمصلحة مانعان من ذلك .

---

١٠٢ الفَرِّيسيُّون والصَّدُّوقيون هُما الصِّنفان الرئيسِيَّان اللذان ينتمي إليهما زعماء اليهودِ وعلماؤهم، ويوجد فرقٌ بينهم: ((فإن الصَّدُّوقيين يُنكرون القيامة والملائكة والأرواح ، أمَّا الفَرِّيسيُّون فَيُقِرُّون بها كُلِّها)) [أعمال الرُّسل ٢٣ : ٨] .

هذا النَّوع من المؤامرات شديد الخصوصية ، لأنه قائم على الاصطياد في الماء العَكِر ، وتَصَيُّد ما يُظَنُّ أنها عثرات أو سقطات . وهذا غير وارد في حالة التعامل مع الأنبياء ، لأنهم مَعصومون فيما يُبلِّغون عن الله ، ومُطهَّرون عن العُيوب ، ومُنَزَّهون عن الذنوب . وهُم فوق مستوى النقد والطعن ، ولا يُمكن الاستدراك على كلامهم ، ولا نقد أفعالهم وأقوالهم . والجاهلُ لا يَحكم على العَالِم ، ومَن يَعْلَم حُجَّة على مَن لا يَعْلَم .

والفَرِّيسيون يُحاولون التقاط أيَّة كلمة من المسيح ، يُسجِّلونها كتهمة أو تجديف ، وهَمُّهم تَشكيك الناس بالمسيح ، والطعن في رسالته ودَعوته . وهُم غير حريصين على الحق ، ولا يُريدون الاستفادة من تعاليم المسيح ، ولا التَّعَلُّم مِنه . والجاهلُ عدوُّ نفْسه ، والحُكم على الشيء فَرْع عن تصوُّره . إنهم يَسْعَوْنَ بشتَّى الوسائل إلى إفحام المسيح ، وتَخْوينه ، وتَشكيك الناس بِه ، وسَلْب الثقة مِن دَعوة المسيح ، وبالتالي تَسقط الدَّعوة وصاحبها ، لأن سُقوط الدَّعوة يعني بالضُّرورة بُطلان أمر صاحبها الذي يَدعو إليها . ويأبى اللهُ تعالى إلا أن ينصر أنبياءه ويُثَبِّتهم .

لقد أسَّس اليهودُ نمطًا إجراميًّا في أذهانهم ، وقاموا بتطبيقه على أرض الواقع ، وتكريسه بلا رادع مِن دِين أو ضمير . والنَّسقُ الفِكري اليهودي قائم على الجريمة والقتل والتصفية الجسدية والهجوم اللفظي . وهذا النسق يتم توظيفه في رؤية التخطيط وابتكارِ الأباطيل وحياكة المؤامرات.

ومُحاولات الاستدراج اليهودي واضحة جدًّا مِن أجل إفقاد الخصمِ الشرعية ، وَسَلْب الحق مِنه، وتَشويه سُمعته ، وتلطيخ صُورته . وكُل هذه الأشياء أركان المؤامرة الراسخة في قلوب اليهود. ونحن لا نَعْلم الغَيْبَ ، لكن الأفعال الظاهرية مع القرائن ، تدل على ما في القلوب والضمائر.

وفي [أعمال الرُّسل ٢٠ : ١٩] قال بُولُس : ((وأنا أُعاني المِحَنَ التي أصابتني بها مؤامرات اليهود)) اهـ . إن مؤامرات اليهود منتشرة في كُل مكان ، وقد سبَّبت الآلام والمتاعب والمصائب لكثير من الناس . وهذه المؤامرات منهجية ومقصودة ومُتعمَّدة ومُستمرة ، وليست حالات فردية ، أو لحظات غضب . إنها سياسة يهودية منهجية تَهدف إلى إرهاب الآخرين ، وقتلهم ، والتخلص منهم ، وتَرْمي إلى نشر ثقافة الخوف والكراهية والحقد والانقسام في المجتمع ، من أجل السيطرة على الناس ، واستعبادهم ، واستغلالهم ، وابتزازهم ، والاستحواذ على مُمتلكاتهم ، والهيمنة على تفاصيل حياتهم ، بحيث يبقون عبيدًا لأسيادهم ، وخدمًا لهم . لا يَرفعون رؤوسهم أمام جلَّاديهم وسادتهم وزعمائهم . وبهذا ، يَضمن عِلْية القَوم (الحُكَّام والعلماء) السيطرةَ الشاملة على الأفراد والجماعات ، والهيمنة الكاملة على المجتمعات ، ونهب ثروات البلاد ، وسرقة أموال العباد .

وفي[مَتَّى ٢٢ : ٣٥]:((وسأله واحد منهم، وهو من علماء الشريعة، يحاول أن يَستدرجه)).

حاولَ أحد علماء الشريعة اليهود استدراجَ المسيح ، وإفحامه ، وإقامة الحُجَّة عليه ، والطعن فيه ، وذلك من أجل تَشكيك الناس بالمسيح ، وإبطال دَعوته ، وإنهاء رسالته . وإذا كان عُلماء الشريعة يتصرَّفون بهذا الشكل المُخزي ، فكيفَ سيتصرَّف العوام والجُهَّال والرَّعاع ؟ . وهذا العَالِم _ وإن كان شخصًا واحدًا _ إلا أنه يُمثِّل علماء الشريعة جميعًا (الفريسيين والصدوقيين) حَسَب سياق النص الإنجيلي . أي إنه بمثابة المُتحدِّث باسمهم ، من أجل إحراج المسيح وإفحامه وفَضْحه والطعن فيه ، وتشويه سُمعته ، وتلطيخ صورته ، وإنهاء دَعوته ، وتنفير الناس عنه ، حَسَب التفكير القاصر لعلماء الشريعة اليهود . ولا يخفى أن علماء الشريعة هُم الزعماء الدينيون ، والقادة الروحيون ، ورُؤوس الناس وسادتهم . والناسُ تَبَعٌ للعلماء ، يُقلِّدونهم ، ويسيرون على خُطاهم ، ويخضعون لأمرهم وحُكمهم . وإذا كان الرأس فاسدًا ، فمن الطبيعي أن ينهار الجسم . وإذا كان منبع النهر مُلَوَّثًا ، فمن الطبيعي أن تتلوَّث الروافد . وفي هذا دَلالة على أن الإرهاب اليهودي تَمَّ تكريسه وتجذيره مِن قِبَل علماء اليهود وزعمائهم وسادتهم،وليس مِن قِبَل العوام والجُهَّال والأتباع. لذلك ، ضَلَّ اليهودُ طريقَهم ، وانتكستْ أخلاقهم ، وفسدت طباعهم ، وانهارت عقائدهم . وهذا الإرهاب اليهودي سياسة منهجية عامة ، مقصودة ومُتعمَّدة ، وليس حالة فردية ، أو نزوة عابرة .

لذلك قال المسيح : ((الوَيلُ لكم يا عُلماءَ الشريعة ، فإنكم خَطِفتُم مِفتاحَ المعرفة ، فلا أنتم دخلتم ، ولا تركتم الداخلين يَدخُلون !)) [لُوقَا ١١ : ٥٢] .

هذا النص الوارد على لسان المسيح ، يَفضح علماء الشريعة اليهود ، ويَكشف باطلهم ، ويُبرز صورتهم الحقيقة الغارقة في الخِسَّة والدناءة والضلال . لقد خَطفوا مِفتاحَ المعرفة ، لأنهم علماء يَملكون المعارف والعلوم، ويَحتكرون تأويل النصوص الدينية وفهمها ، ويُحدِّدون مسارها ووُجهتها. ولكنهم كانوا كالحِمار يَحمل أسفارًا . إذ إنهم لم يستفيدوا مِن عِلْمهم بسبب غياب الهداية ، وانعدام التوفيق . ولَم يَعتنقوا الإيمانَ ، ولم يتركوا الآخرين يعتنقونه . لقد ضَلُّوا وأضَلُّوا . فهُم ضَالُّون في أنفسهم ، مُضِلُّون لغَيرهم . لم يُؤمنوا ، ومَنعوا الآخرين من الإيمان ، وصَدُّوهم عن الحق والهدى والصواب ، وكانوا عقبةً في طريقهم . وهؤلاء العلماء الفاسدون الذين خانوا أمانةَ تبليغ العِلم ، وحاربوا الأنبياءَ ، وأكلوا الدنيا بالدِّين ، واستغلوا علومهم الدينية لجمع حُطام الدنيا الفاني، يُمثِّلون أكبرَ خطر على المجتمع، لأنهم أعداء في ثياب أصدقاء،وذئاب في ثِياب حِملان.

وَدَعِ الذينَ إذا أتَوْكَ تَنَسَّكُوا وإذا خَلَوْا فَهُم ذِئابُ خِرَافِ

وفي [لُوقَا ١١ : ٥٣ و٥٤] : ((وفيما هُوَ خارج من هناك ، بدأ الكَتَبَةُ والفَرِّيسيُّون يُضيِّقون عليه كثيرًا ، وأخذوا يَستدرجونه إلى الكلام في أمور كثيرة ، وهُم يُراقبونه سَعيًا إلى اصطياده بكلام يقوله)) .

بدأ علماءُ الشريعة اليهود يُضيِّقون على المسيح كثيرًا ، ويُحاصرونه باستخدام الوسائل الدنيئة، وأخذوا يَستدرجونه إلى الكلام في أمور كثيرة ، لإقامة الحُجَّة عليه ، وإهانته ، وفَضْحه ، وتشويه سُمعته ، وتحطيم صورته ، وَفْق رُؤيتهم القاصرة . ولم يكتفوا بهذا ، بل إيضًا كانوا يُراقبونه من أجل اصطياده بكلام يقوله، ثم استغلال هذا الأمر لصالحهم ، ومِن أجل تثبيت سُلطتهم ومكانتهم عن طريق التخلص من المسيح ، وإنهاء دَعوته قبل أن تنتشر. إنهم يُحاولون استدراج المسيح (النبيِّ الكريم المعصوم الطاهر المُطهَّر) ، واصطياده بكلام يقوله . وهذا يعني أنهم ينطلقون من موقف مسبق رافض للحق ، سواءٌ ظَهر لهم أَم لم يَظهر . وهؤلاء العلماء الفاسدون لَيسوا حريصين على طلب الحق والهدى ، وإنما هدفهم إحراج المسيح ، وإبطال أمره ، وإسقاط رسالته ، اتِّبَاعًا لأهوائهم ، وللحفاظ على مصالحهم الشخصية ، ومُكتسباتهم المادية ، ورئاستهم وزعامتهم . ولو كانوا حريصين على طلب الحق ، لَحَاوَرُوا المسيحَ بأدب واحترام ، وناقشوه في القضايا المختلفة، وطرحوا عليه الأسئلة بحثًا عن الحق ، ولَيس من أجل إحراجه ، ومحاولة اصطياده بكلمة يقولها .

إن تفكير علماء الشريعة اليهود محصور في المؤامرات والاستدراج والمكر والخديعة والدهاء، ولم يستغلوا عقولهم في البحث عن الإيمان واعتناقه ، وإنما استغلُّوها لطمس الإيمان ، ومُحاربة الأنبياء ، وإخفاء الحق ، وإلباسه ثوب الباطل ، تَلبيسًا على العوام والجُهَّال والأتباع . وهذا مُنتهى الفساد والخيانة . لقد ضَلُّوا ، وأضَلُّوا الآخرين ، وخانوا تعاليمَ الأنبياء ، ولم يُطبِّقوا نصوص الكتب الدينية ، ولم يَحْملوا أمانةَ الدَّعوة والتَّبليغ ، ولم يَجعلوا علومهم ومعارفهم طريقًا للوصول إلى الله ، وإنما جَعلوها طريقًا لجمع حُطام الدنيا الفاني،وأكل الدنيا بالدِّين،وتحقيق مكاسب مادية شخصية.

اعتمدَ علماء الشريعة اليهود على منهجية الاستدراج ، لعجزهم عن المُواجهة ، وعدم قُدرتهم على تقديم الأدلة والبراهين ، وفشلهم في إقامة الحُجَّة على الآخرين . والشخصُ الذي لا يَملك الحُجَّةَ والبُرهان والدليل ، لا يَقْدِر على الحوار والمُوَاجَهَة والمُجَابَهَة ، ولا يَستطيع مُقَارَعَة الحُجَّة بالحُجَّة ، لذلك ، يُهرع إلى كلام خصمه ليُفسِّره وَفْق هواه ، ويتأوَّله على مِزاجه ، مُسْتَنِدًا إلى سُوء نِيَّة مُبَيَّتة ، مِن أجل الاصطياد في الماء العَكِر . أو قد يَلجأ إلى الهجوم اللفظي والشتائم والاتهامات بلا دليل . أو قد يَلجأ إلى القتل والاغتيال والتصفية الجسدية .

وفي [لُوقَا ٦ : ٧] : ((فأخذَ الكَتَبَةُ والفَرِّيسيُّون يُراقبون يَسوع : هل يشفي في السَّبتِ ، لكي يجدوا ما يتَّهمونه به)) .

السَّبْتُ _ حَسَب عقائد اليهود _ يوم مُخصَّص للراحة والعبادة.ووَفْق[خُروج ٢٠: ٨_ ١١] إن السَّبت مُقدَّس ، لا يجوز العمل فيه ، لأن الله صَنع السماءَ والأرضَ والبحرَ وكُلَّ ما فيها في سِتَّة أيام ، واستراحَ في اليوم السابع (السَّبت) . واليهودُ يَزعمون أن الله تعالى خَلق السماواتِ والأرضَ في ستة أيام ، أوَّلها يوم الأحد ، وآخرها الجُمُعة ، واستراحَ يوم السَّبت ، فجعلوه يوم راحة . وهذا يدل على أهوائهم وأكاذيبهم وخُرافاتهم .

ومِن إفراطهم في مُراعاة التوراة وإخراجها عن روحها المُراد لله تعالى ، أنهم كانوا يتحرَّجون من عمل الخير في السبت باعتباره يوم عُطلة لا يجوز العمل فيه ، ففوَّتوا طاعات كثيرة بتلك الحُجَّة ، والله يُريد الكَفَّ عن الأعمال الدُّنيوية. وأمَّا فِعل الخير فإنه لا حرج فيه، وليس من الأفعال المنهيِّ عنها ، لذلك جاءَ المسيحُ ليرد اليهود عن ذلك التَّنَطُّع المُفضي إلى تعطيل الخير في ذلك اليوم .

أخذَ علماءُ الشريعة اليهود يُراقبون المسيحَ ، كي يُسجِّلوا عليه موقفًا ، ويُقيموا عليه الحُجَّة ، ويَفضحوه ، ويُشهِّروا به _ حَسَب رُؤيتهم القاصرة _ . وأرادوا معرفةَ هَل يَشفي المسيحُ في السَّبت أم لا. والمسيحُ يُساعد الناسَ، ويمدُّ لهم يَدَ العَون في كُل الأيام،وفِعل الخير لا يتوقَّف عند يومٍ مُحدَّد أو شهر مُعيَّن . وإذا شفى المسيحُ في السَّبت ، فهذا يعني _ حَسَب وُجهة نظر علماء الشريعة اليهود _ أن المسيح لا يَحترم السَّبت ، ولا يتَّخذه يوم عُطلة وراحة ، كما نصَّت التوراةُ . وهذا يدل على أن المسيح خَالَفَ التَّوراة ، ورَفض تطبيق نصوصها . وهذه تُهمة واضحة ، وسوف يقوم علماءُ اليهود باقتناصها واستغلالها وتكبيرها ، حتى يُسقِطوا المسيحَ ، ويُنهوا دَعوته ، ويقضوا على رسالته . وبالتالي ، يتخلَّصون مِنه ، ويَرتاحون مِن دَعوته إلى الأبد . هذه هي رُؤية اليهود المنحرفة ، التي تدل على فساد عقيدتهم ، وخُبث طباعهم ، وقُبح صفاتهم . وسياستهم المنهجية الضَّالة تعتمد على إلقاء التُّهم جُزَافًا ، بدون دليل ، ورَمْي الافتراءات دُون وَجْه حق . والشتائمُ ، والاتهامات بلا دليل ، والهجوم اللفظي العبثي ، والاصطياد في الماء العَكِر ، كُلها أسلحة العاجز الضعيف . أمَّا القوي الواثق بنفْسه ، فيعتمد على الأدلة ومُقَارَعَة الحُجَّة بالحُجَّة .

إن إلقاء التُّهم بلا دليل هو إعلان فشل خُطَّة الاستدراج.والاستدراج الباطل هو عملية استباقية خَفِيَّة نتائجها مَوجودة سَلَفًا، يُحدِّدها صاحبها بما يتلاءم مع أهوائه ومصالحه. كما أن إلقاء التُّهم بلا دليل ، يُمثِّل حربًا علنية مكشوفة لإحداث بَلْبلة واضطراب في المجتمع ، ونشر الشائعات ،

وإشاعة جَو من الشَّك وفقدان الثقة، ونشر الفوضى، وتكريس غياب اليقين. وهذه الأسلحة الفتَّاكة مِن شأنها تحطيم النَّفْس الإنسانية ، وتدمير المجتمع . إنها حرب شاملة على الفرد والجماعة والمجتمع. وهذا الأمرُ في غاية الخطورة ، وإذا لم يتم التَّنَبُّه له ، فسوفَ يحرق الأخضر واليابس.

إن اليهود قد أقاموا منهجَ الخديعة وَفْقَ مَنْظُورَيْن : الأول _ البُنية التحتية المُتمثلة في إيجاد أرضية استقطابية تعمل عمل المِصْيَدة . والثاني _ البُنية الفَوْقية التي تهدف إلى لَوْي أعناق النصوص وتأويل الحق وَفْق الأهواء الذاتية والمصالح الشخصية والمنافع المادية .

وبعد تأسيس هذا المنهج الشَّيطاني ، يتكرَّس التآمر والمُؤامرة كمنظومة ثنائية ، ومنهجية وجودية، الهدف منها القتل، والتصفية الجسدية، ووأد الدَّعوة في مَهْدها قبل أن تنتشر بين الناس، ويُقبلوا على اعتناقها. وجميعُ مراحل التخطيط اليهودي الإجرامي ، تَرْمي إلى قتل المسيح، وإنهاء دَعوته ، بشكل نهائي وحاسم ، ومَرَّة واحدة إلى الأبد .

وفي [مَتَّى ٢٦ : ٣ و٤و٥] : ((وعندئذٍ اجتمعَ رُؤساءُ الكَهَنَة وشيوخُ الشَّعب في دار رئيس الكَهَنَة المَدعُوِّ قَيافا ، وتآمروا ليقبضوا على يَسوعَ بمكر ويقتلوه . ولكنهم قالوا : ((لا نَفعَلْ ذلك في العيد ، لِئَلا يَحدُثَ اضطراب بين الشَّعب !)))) .

إن قادة اليهود وعلماءهم فاسدون ، وعندما يَضرب الفسادُ الرأسَ ، سينهار الجسدُ حَتْمًا ، لأن الجسد تابع للرأس . وعندما يُسيطر الفسادُ على عِلْيَة القوم (الحُكَّام والعلماء) ، سيضيع العوام والأتباع والجُهَّال حَتْمًا، لأنهم تابعون لحُكَّامهم وعُلمائهم . وهذا ما حدث في بني إسرائيل. فقد وقع قادة اليهود وعلماؤهم في الكفر والضلال والفساد ، واجتمعوا ، وتآمروا للقبض على المسيح بمكر وخُبث ، مِن أجل قَتْله ، والتَّخَلُّص منه ، وإنهاء دَعْوته ، ووأد رسالته ، قبل أن تنتشر في بني إسرائيل . وانتشارُ دَعوة المسيح في أوساط اليهود يُشكِّل خطرًا حقيقيًّا على حُكَّام اليهود وزعمائهم وعُلمائهم ، لأن دَعوة المسيح قائمة على تَوحيد الله ، وعبادته وَحْدَه بلا شريك ، وامتثال أوامره ، واجتناب نَوَاهيه . وهذه المعاني الجليلة تعني أن سُلطان حُكَّام اليهود سيَزُول ، وسُلطة علمائهم ستنهار، لأن حُكَّام اليهود وعلماءهم استعبدوا الشعبَ، واتَّخذوهم عبيدًا وخدمًا ، من أجل استغلالهم وابتزازهم وسرقتهم ، والاستحواذ على ثرواتهم وممتلكاتهم وحاضرهم ومُستقبلهم . وبما أن الإسلام (دِين المسيح ، ودِين جميع الأنبياء) أعظم حركة تحرُّرية في التاريخ ، وأكبر انقلاب في العَالَم . فلا بُد أن يَصطدم بالطغاةِ (مُحتكري السُّلطة السياسية) والعلماءِ الفاسدين (مُحتكري السُّلطة الدينية) .

والأساسُ الفكري للإسلام يقوم على مبدأ إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله وَحْدَه . وهذا المبدأ يُمثِّل خطرًا على الأنظمة الفاسدة التي اتَّخذت الشعبَ عبيدًا لاستغلالهم وسرقتهم. لذلك ، تقومُ هذه الأنظمة (المُكوَّنة من تحالف الطغاة والعلماء الفاسدين) بمحاربة الإسلام قَوْلًا وفِعْلًا ، بلا هَوَادة ، لأن تطبيق الإسلام يعني أن هذه الأنظمة ستفقد امتيازاتها ومصالحها ومكاسبها المعنوية والمادية ، ويَخسر الطغاةُ سُلطتهم ، ويَفقد العلماءُ الفاسدون مكانتهم . وحَسَب هذه الرؤية ، تصل الأنظمةُ الفاسدةُ إلى قناعة بضرورة محاربة الدَّعوة الإسلامية وحَمَلَتها بشتَّى الوسائل ، وأعظمُ مَن حَمَلَ الدَّعوة الإسلامية هُم الأنبياء . لذلك ، يجب محاربتهم والتخلص منهم ، وإنهاء دعوتهم ورسالتهم ، كي يظل الشعبُ عبيدًا وخدمًا للطغاة والعلماء الفاسدين المتحالفين معهم ، اتِّبَاعًا للأهواء والمصالح الشخصية ، وحِفَاظًا على الرئاسة السياسية، والزعامة الدينية. وقد رَفَضَ حُكَّامُ اليهود وعلماؤهم دَعوة المسيح ، وأنكَروا نُبُوَّته ودَعوته ورسالته، حِفاظًا على مصالحهم المادية، ومناصبهم، وامتيازاتهم، ونفوذهم، وسُلطتهم، وزعامتهم، ورئاستهم.

وقد خطَّطوا لقتل المسيح ، وتآمروا لإنهاء دَعوته . والتصفيةُ الجسديةُ والمؤامراتُ لُعبة يهودية معروفة على مَدار التاريخ ، واليهودُ مؤمنون بها ، ومُقتنعون بأنها الوسيلة الفعَّالة للحفاظ على نفوذهم، وسُلطتهم، ومكتسباتهم المعنوية والمادية،وضمان سيطرتهم على الأمم والدُّوَل والشعوب.

ولكنهم امتنعوا عن قتل المسيح في العيد ، ليس خَوْفًا مِن الله ، وليس احترامًا وتقديرًا للمسيح ، وإنما خَوْفًا من الشعب ، وحِرْصًا على عدم حُدوث اضطراب بين الشعب ، فتخرج الأمور عن السيطرة ، وينقلب السِّحر على الساحر . وهذا يَكشف عقلية اليهود في التَّخطيط والمؤامرات والتحليل والاستنباط . فهُم قَوم أصحاب مكر ودهاء وخُبث وعِلْم ومعرفة ، ويَدْرسون جميع الاحتمالات والظروف ، ويُحلِّلون الطبيعة النفسية للناس ، ولا يَتركون شيئًا للصُّدفة .

وفي [مَتَّى ٢٧ : ١] : ((ولَمَّا طَلع الصباحُ، عَقد رُؤساءُ الكَهَنَة وشيوخُ الشعب اجتماعًا آخَر ، وتآمروا على يَسوع لِيُنْزِلُوا به عقوبةَ الموت)) .

إن رُؤساء الكَهَنَة وشيوخ الشعب مُصِرُّون على قتل المسيح ، والتخلص منه ، وإنهاء دَعوته إلى الأبد . وهُم مُتمسِّكون بهذا الهدف الخبيث ، ويَعْملون مِن أجله ليلًا ونهارًا ، ولم يَشعروا بالمَلَل واليأس وخَيبة الأمل.والدليلُ أنهم عَقدوا اجتماعًا آخَر ، وتآمروا على قتل المسيح ، والتخلُّص منه،وذلك بإنزال عقوبة الموت به . وتعدُّد الاجتماعات يدل على تركيز على الهدف ، وإصرار على تنفيذه. وهذا لا يتأتَّى إلا بإعمال العقل الجمعي في المؤامرات والتخطيط للجريمة .

إن التآمر عملية مُتقدِّمة، والمؤامرات بُنية فَوقية ، تحتاج إلى أساس وأرضية ثابتة ، تَكون بمثابة بُنية تحتية . وأيَّةُ مُؤامرة تحتاج إلى قاعدة (ركيزة) ، ويلزمها دعمٌ لوجستي، أي: دعمٌ يقوم به أشخاص على الأرضِ لتهيئة الظروف والمناخ الملائم لارتكاب الجريمة ، وتنفيذ المؤامرة الذهنية على أرض الواقع . وهؤلاء الأشخاص يُسيطرون على دَفَّة التَّوجيه والإسناد ، ويُقدِّمون المساعدة والمُساندة القَبْلِيَّة التي تُساهم في إنجاح الخُطَّة البَعْدِيَّة ، وتحويلها إلى واقع ملموس ومُعاش . ونُقطة القُوَّة عند اليهود أنهم يَضعون الخُطَط على الورق ، ويُطبِّقونها على أرض الواقع . في حِين أن شُعوبًا كثيرة تضع الخُطَط على الورق ، ثُمَّ تضعها في أدراج المكاتب المُغْبَرَّة ، وتَذهب إلى النَّوم ، على أمل التغيير وصناعة مستقبل أجمل ! . وهذا هو الجنون بِعَيْنه .

وفي [مَرْقُس ٣ : ٦] : ((وفي الحال خرج الفَرِّيسيُّون من المَجمَع ، ومَعَهُم مُحازِبو هِيرُودُس ، وتآمروا عليه لِيَقتلوه)) [١٠٣] .

إنَّ خُروجهم من المَجمَع ومعهم مُحازبو هِيرُودُس _ أي الذين تَحَزَّبوا والْتَفُّوا حول قيادته _ يُشكِّل بَدْءَ اقتراب ساعة الصِّفر كما يَنظرون إليها . وهذا تطبيقٌ واقعي عملي ، نقل معركتهم ضِد الحق إلى أرضِ الواقع ، لاتخاذ إجراءاتٍ ملموسة. وذلك لأن الفكر قيمة معنوية غير محسوسة ، ولا يُلمَس ، وإنما يَقُود إلى مَادة ملموسة ، وواقع مُعاش . والتآمرُ لقتل المسيح مبدأ أساسي عند اليهود ، ومنهج جماعي ، يُمثِّل العقلَ الجمعي اليهودي الغارق في الكفر والضلال والفساد ، وليس الأمرُ حالةً فردية ، أو نَزوة عابرة ، أو خطأ عابر . إن التآمر لقتل المسيح منهج يهودي مُؤسَّس مِن قِبَل النظام الفاسد المُتكوِّن من الحُكَّام والعلماء الفاسدين المتحالفين معهم ، من أجل تبادل المصالح والمنافع ، وجمع حُطام الدنيا الفاني . وكإجراء رسمي ، جاء مَرسوم عِلْيَة القَوم الذي ينصُّ على أمور عملية تُهدِّد حياةَ المسيح : ((وكان رُؤساءُ الكَهَنَة والفَرِّيسيُّون قد أصدروا أمرًا بأن على كل مَن يجد يَسوعَ أن يُبَلِّغَ عنه لِيُلْقُوا القبضَ عليه)) [يُوحَنَّا ١١: ٥٧] .

١٠٣ هيردوس أنتيباس ثاني ملوك عائلة هِيرُودُس، تقاسمَ مع أخويه مملكة أبيه، وكانت حِصَّته حَسَب القِسمة الجليل وشرق الأردن . وهو إحدى الشخصيات الواردة في الإنجيل (العهد الجديد) . وقد دُعِيَ في الإنجيل بأمير الرُّبْع [لُوقَا ٣ : ١] . أي : مَلِك رُبع بلاد فلسطين . وقد ساكنَ زوجة أخيه فِيلِبُّس فكان ذلك سبب كُره له في الشارع اليهودي ، كذلك فقد تسبَّبَ له بتوبيخ يُوحَنَّا الْمَعْمَدان (يحيى) [مَرْقُس ٦ : ١٧] . وكان هو مَن أصدرَ الأمر بقتله . نَعَتَه المسيحُ بالثعلب [لُوقَا ١٣ : ٣٢] .

إن رُؤساء الكَهَنَة والفَرِّيسيين هُم أصحاب السُّلطة الدينية اليهودية ، وهُم الذين يتصدَّرون المشهدَ الديني في بني إسرائيل . وهذه الطبقةُ الدينيةُ العُليا تَملك المالَ والنفوذَ والسيادة والمكانة العِلمية العظيمة ، والمنزلة الاجتماعية الرفيعة . أي إنها تَملك تأثيرًا هائلًا ، وتَقْدِر على تَوجيه الرأي العام ، والتحكم بالأفراد والجماعات ، عن طريق استغلال الدِّين ، واحتكار تأويل النصوص الدينية ، والسيطرة على ثنائية (الإعطاء / المنع) أو (المَنْح / الحرمان) .

أصدرَ رُؤساءُ الكَهَنَة والفَرِّيسيُّون (أعلى هيئة دينية يهودية) أمرًا واجب التطبيق ، وقرارًا حاسمًا لا رَجعة فيه ، وتَعميمًا سياديًّا على الجميع ، بأن على كُل مَن يَجِد المسيحَ ، أن يُبلِّغ عنه للسُّلطات ، ويُخبرهم بمكان وجوده ، من أجل إلقاء القبض عليه ، والتخلُّص مِنه ، وإنهاء دَعوته ورسالته . وهذا يعني أن السُّلطة الدينية اليهودية تُمَارِس إرهابًا مكشوفًا ضد المسيح ، من أجل التَّضييق عليه ، ومُحاصرته ، وخَنْق دَعوته ، ووأد رسالته في مَهْدها . وهذا يُشير بوضوح إلى عَجْز السُّلطة الدينية اليهودية عن مُناقَشة المسيح ، ومُقَارَعَة الحُجَّة بالحُجَّة ، وعدم قُدرتها على الحوار معه بأسلوب عِلمي بنَّاء . والعاجزُ عن الحوار والنِّقاش وإقامةِ الحُجَّة ، يَلْجأ إلى استخدام وسائل العُنف والإرهاب . وهذه الوسائلُ حُجَّة الضعيف ، وسلاح العاجز . ولو كان علماءُ اليهود باحثين عن الحق والحقيقة بصدق وإخلاص وإنصاف وتجرُّد ، لناقشوا المسيحَ ، وحَاوَروه ، وَفْق المنهج العِلمي القائم على مُقَارَعَة الحُجَّة بالحُجَّة . ولو كانوا صادقين في اتِّهامهم للمسيح ، لبيَّنوا أمرَه للناس بالأدلة ، وكشفوا باطلَه ، وفضحوه ، وأقاموا عليه الحُجَّة بالبراهين العِلمية ، وحذَّروا الناسَ مِنه ، ووضَّحوا بُطلان دَعوته بالعقل والمنطق والتحليل العِلمي . ولكنهم لم يَفعلوا شيئًا مِن ذلك ، لأنهم لا يَبحثون عن الحق ، ولا يَقْدِرون على الحوار والنقاش ومُقَارَعَة الحُجَّة بالحُجَّة . إنهم يُعادون الحقَّ ، لأنه يُشكِّل خطرًا على أهوائهم ومصالحهم ومناصبهم وسُلطتهم وزعامتهم ورئاستهم ومكتسباتهم المعنوية والمادية . لذلك ، لَجَؤوا إلى العنف والإرهاب والترهيب والتخويف والترويع، واستخدام منطق القوة لا قوة المنطق . وهذه هي أسلحة الضعفاء العاجزين في كل زمان ومكان .

إن مُسَلْسَل الإرهاب الديني اليهودي ضِد المسيح ، يتكوَّن مِن حلقات فكرية مُتطرِّفة ، ومراحل عملية عنيفة . والأحداثُ مرسومة بِدِقَّة ، والإرهابُ اليهوديُّ يَستهدف النَّيْلَ مِن المسيح (خَاتَم أنبياء بني إسرائيل) ، الذي جاء لإنقاذ اليهود ، وإخراجهم مِن ظُلمات الجهل والكفر إلى نُور العِلم والإيمان . ولم تكن أفعالُ اليهود الشريرة ارتجالية ، أو حالات فردية ، أو نَزوة عابرة . إنها أفعال إرهابية منهجية ومقصودة ، ونابعة مِن سُلطة عِلْية القَوم (الحُكَّام والعلماء الفاسدين)،

وليست حركات فوضوية همجية مِن قِبَل العوام والجُهَّال والأتباع . وهذا يَكشف التنظيمَ الدقيق الصادر عن قِمَّة هَرَم السُّلطة ، ودَور الزعماء السياسيين والقادة الدينيين وأصحاب القرار وصُنَّاع الرأي العام ، الذين يَمْلُكون الإمكانيات الهائلة : المال والسُّلطة والأتباع ووسائل الإعلام ... إلخ.

والمجرمُ عندما يكون ذكيًّا وماكرًا وخبيثًا وعَالِمًا ، يكون خَطَرُه عظيمًا ، وتأثيره كبيرًا . وسوفَ يكون عقبةً كَأداء في طريق الحق والخير والصواب ، ولكنَّ الحق ساطع ، والخير لا يَنقطع ، والصواب واضح . والحقُّ _ بكل أشكاله _ قادر على شَقِّ طريقه كالنهر الذي لا يُوقفه شيء ، وذلك لأن قوة الحق دائمة وذاتية كامنة فيه ، والحقُّ قائم بذاته . أمَّا قُوَّة الباطل فهي مُؤقَّتة وزائلة ومستمدة من عوامل خارجية ، والباطلُ غير قائم بذاته ، وإنما قائم بِفِعْل الإسناد الخارجي .

ومَهْما كانت الغيومُ كثيرة ومتماسكة ، فهي لا تَقْدِر على طَمْس شمس الحقيقة . والباطلُ سحابة صَيف عابرة ، والحق هو الشمس التي لا يُمكن إزالتها ولا حَجْب نُورها . ودولةُ الباطل ساعة ، ودَولة الحق إلى قيام الساعة. والتقدُّم في البداية لا يعني شيئًا ، لأن الحياة سباق مسافات طويلة ، والفائزُ هو الذي يُنهي السباق أوَّلًا ، مَهْما كان ترتيبه أثناء السباق . والعِبرةُ بالخواتيم ، والأعمال بمآلاتها ، وكُل شيء انتهى على خَير فهو خير ، ومَن يَضحك أخيرًا يَضحك كثيرًا .

وقد يَتقدَّم الباطلُ على الحق في بعض المراحل، ولكن هذا انتصار وهمي ، لأنه مُؤقَّت وزائل. والحقُّ هو الغالب الذي لا يُغلَب ، والقاهر الذي لا يُقهَر . ومَهْما عَلَتْ كلمةُ الباطل ، فسوفَ تسقط وتنهار عاجلًا أو آجِلًا . والحقُّ هو المُنتصر في النهاية . ولا يَصِحُّ إلا الصحيح .

والكفرُ مِلَّة واحدة ، والكُفَّار يَنطلقون من موقف مُسبق رافض للحق والحقيقة . وقلوبهم مُتشابهة ، وأعمالهم الدنيئة مُتشابهة ، بغض النظر عن الزمان والمكان وطبيعة الأُمم والشعوب .

وكما أن اليهود (كُفَّار بني إسرائيل) حاولوا قتلَ المسيح، وإنهاء دَعوته ، وإلغاء رسالته ، فقد حاولَ المشركون (كُفَّار العرب) قَتل محمد ، وإنهاء دَعوته ، وإلغاء رسالته ، والقضاء على الإسلام . والإسلامُ دِين جميع الأنبياء بلا استثناء . وهو دِين محمد وعيسى ، وكِلاهما جاءَ بالإسلام والتَّوحيد ، والدَّعوة إلى عبادة الله وَحْدَه ، بلا شريك ، ولا نِد ، ولا صاحبة ، ولا ولد .

ومَن طَعَنَ في المسيح ، فهو يَطعن في محمد ، والعكس صحيح. وأيُّ تَهديدٍ لنبيٍّ يُمثِّل تهديدًا لجميع الأنبياء،وكُل مُحاولة للقضاء على دَعوة أيِّ نبيٍّ ورسالته ، تُعْتَبَر مُحاولة للقضاء على الإسلام ، وإزالته من الوجود. ومِن المُستحيل حُدوث هذا الأمر ، لأن الإسلام هو الدِّين السماويُّ الوحيد،والدِّين الوحيد المقبول عند الله،وهو دِين جميع الأنبياء والرُّسل. وقد جاء ليبقى إلى الأبد.

وكما أن الإنسانُ لا يَقْدِر على إطفاء نُور الشمس ، كذلك لا يَقْدِر على إطفاء نُور الله (الإسلام). وَالشخصُ الذي يُريد إطفاءَ نُور الإسلام ، يُشبِه شخصًا يَنفخ على الشمس لإطفائها.

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِم وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ ﴾ [الصَّف : ٨] [١٠٤] .

يُريد الكافرون إبطالَ الحق ، وإطفاءَ دِين الله (الإسلام) ، وإنهاءَ دَعوة التَّوحيد ، بتكذيبهم للإسلام ، وأقوالهم الطاعنة في محمد ﷺ ، وكلامهم المُسيء إلى الدَّعوة والنُّبُوَّة والرسالة . وفي الآية تهكُّم بالكافرين، وسُخرية مِنهم، واستهزاء بهم. وقال الفخر الرازي في التفسير الكبير (٢٩/ ٣١٤) : ((وإطفاء نور الله تعالى تهكُّم بهم ، في إرادتهم إبطال الإسلام ، بقولهم في القرآن إنه سِحْر ، شُبِّهت حالهم بحال مَن يَنفخ في نور الشمس بِفِيه (بفمه) لِيُطفئه)) اهـ .

واللهُ مُعلِن الحق في الآفاق ، ومُظهِر الإسلام في العَالَم ، ودِين الله يَعْلو ولا يُعلَى عليه ، وناصر محمد على أعدائه ، ولو كره الكافرون المجرمون الضَّالُّون من شَتَّى الأصناف والأديان والمِلَل والنِّحَل . واللهُ ناشرٌ دِينَه الإسلام في كُل زمان ومكان ، وجاعله أعلى من كل شيء ، رغم أنوف الكافرين ، وإرغامًا لهم . ولا شَكَّ أن النصر الإلهيَّ لمحمد نصرٌ لجميع الأنبياء والرُّسُل . وانتشارُ الإسلام يُمثِّل نجاحًا لكل الأنبياء الذين حَمَلُوه قَوْلًا وفِعْلًا ، وعلى رأسهم محمد ﷺ .

---

١٠٤ قال القرطبي في تفسيره (١٨/ ٧٦) : ((الإطفاء هو الإخماد، يُستعملان في النار،ويُستعملان فيما يجري مجراها من الضياء والظهور . ويفترق الإطفاء والإخماد من وجه ، وهو أن الإطفاء يُستعمَل في القليل والكثير، والإخماد إنما يُستعمَل في الكثير دُون القليل. فيُقال: أطفأتُ السِّراج، ولا يُقال: أخمدتُ السِّراج . وفي نور الله هنا خمسة أقاويل: أحدها أنه القرآن،يُريدون إبطاله وتكذيبه بالقَول، قاله ابن عباس وابن زيد. والثاني أنه الإسلام، يُريدون دفعه بالكلام،قاله السُّدي. الثالث أنه محمد ﷺ ، يُريدون هلاكه بالأراجيف، قاله الضَّحاك . الرابع حُجَج الله ودلائله، يُريدون إبطالها بإنكارهم وتكذيبهم ، قاله ابن بحر. الخامس أنه مَثَل مَضروب ، أي : من أراد إطفاء نور الشمس بِفِيه ، فوجده مستحيلًا مُمتنعًا ، فكذلك مَن أراد إبطال الحق ، حكاه ابن عيسى . وسبب نزول هذه الآية ما حكاه عطاء عن ابن عباس : أن النبيَّ ﷺ أبطأ عليه الوَحْيُ أربعين يومًا ، فقال كَعْب بن الأشرف : يا معشر يهود ، أبشِروا ! ، فقد أطفأ اللهُ نورَ محمد فيما كان ينزل عليه، وما كان لِيُتِمَّ أمْرَه ، فَحَزِنَ رسولُ الله ﷺ ، فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآية ، واتَّصَلَ الوَحْيُ بعدها . حكى جميعه الماوردي ، رحمه الله)) .

وفي حاشية زادة على البيضاوي (٣/ ٤٩٠) : ((كان كفارُ مكة يَكْرهون هذا الدِّين الحق ، من أجل توغُّلهم في الشِّرك والضلال ، فكان المناسب إذلالهم وإرغامهم بإظهار ما يَكْرهونه من الحق ، وليس المراد من إظهاره ألا يبقى في العَالَم مَن يَكفر بهذا الدين ، بل المُراد أن يكون أهله عالين غالبين على سائر أهل الأديان بالحُجَّة والبُرهان ، والسَّيف واللسان ، إلى آخر الزمان)) اهـ .

إن بعض المستشرقين وعلماءِ أهل الكتاب ، أعرَضوا عن دراسة مُعاناة المسيح معَ اليهود ، وابتعدوا عن تَوجيه النقد لليهود بسبب إرهابهم وحربهم على المسيح ودعوته ، وسَعْيهم إلى قتله ، واستئصال رسالته . وهُم يتغافلون عن ذلك خوفًا من غضب اليهود ، أصحاب المال والنفوذ والسُّلطة ووسائل الإعلام . وللأسف الشديد ، لقد انتحلَ هؤلاء العلماء الفاسدون خُطَطَ مُحاربة المسيح التي أسَّسها اليهودُ ، وقاموا بِتَبَنِّيها واعتناقها ، واستخدموها لمُحاربة دعوة الحق التي جاء بها النبيُّ محمد ﷺ . وكأن التاريخ يُعيد نَفْسَه،والضَّحِيَّة تتقمَّص أسلوبَ قاتلها في القتل والإجرام.

وكما أن اليهود أنكروا المسيحَ ، وشكَّكوا فيه ، وشَكُّوا فيه : ((وكانوا يَشُكُّون فيه)) [مَتَّى ١٣ : ٥٧] ، فأيضًا جاء أحد المُستشرقين المعروفين وهو شبرنجر [١٠٥] ، وشَكَّكَ في اسم النبيِّ محمد ﷺ ، وزعم أن لفظة (محمد) لم تكن اسم عَلَم للرسول ﷺ قبل الهجرة ، وإنما اتَّخذه بتأثير قراءته للإنجيل واتِّصاله بالنصارى ! . وإذا كان كلام شبرنجر صحيحًا ، فلماذا اختفى اسم " محمد " مِن الإنجيل ؟ ، ولماذا أخفى النصارى هذا الاسم وأنكَروه ولم يعترفوا به ؟ .

هذا دليل على أن شبرنجر والمستشرقين غير المُنصِفين غارقون في الأهواء الذاتية والمصالح الشخصية ، وكارهون للإسلام ، وحاقدون على النبيِّ ﷺ . وكتاباتهم غير مُوثَّقة عِلْمِيًّا ، ولا تقوم على الأدلة النقلية والبراهين العقلية . ويَستطيع كُل شخص أن يقول ما شاء . والاتهاماتُ سهلة ، لكن إثباتها هو المِحَك الحقيقي . وصدقَ القائلُ :

والدَّعاوى إن لم تُقيموا عليها بَيِّناتٍ أبناؤها أدعياءُ

((وقد يتوجَّب أن نسأل شبرنجر هنا: إذا كان النبيُّ ﷺ قد التقط اسم (محمد) من خلال قراءاته لنبوءات الإنجيل ، فأين ذهب إذًا (محمد) الحقيقي الذي بَشَّرَ به العَهْدان القديم والجديد)) [المستشرقون والسيرة النبوية ، د . عماد الدين خليل ، ص ١٣١] .

---

١٠٥ ألويس شبرنجر (١٨١٣ م ــ ١٨٩٣ م) مستشرق نمساوي . اشتغل في مدرسة دهلي ، ومطبعة كالكوتا في الهند عام ١٨٤٢ م . تجنَّسَ بالجنسية الإنجليزية ، واشتُهر بكتابه عن حياة النبيِّ محمد .

وبشكل عام ، يجب على علماء أهل الكتاب أن يرفضوا خُطط اليهود الشريرة لا أن يُروِّجوها، ويُعيدوا إنتاجها بأسلوب عصري . وصناعةُ المؤامرات مهنةٌ يتفوَّق فيها اليهود ، وهي لُعبتهم على مَدار التاريخ . وعلى العلماء الذين يُسَمُّون أنفسهم مُفكِّرين أحرارًا ، وأصحاب مَنهج عِلْمي أن يَذُمُّوا إرهابَ اليهود تجاه المسيح ﷺ ، ويَكشفوا حِقد اليهود على المسيح ، وعداوتهم له ، وحربهم عليه ، ومُحاربتهم لدعوته ورسالته ، ولا يقوموا بإعادة تبنِّي أفعال اليهود القذرة القائمة على التآمر وحياكة المؤامرات، ولا يُعيدوا استنساخ مؤامرات اليهود وتطويرها في محاربة دَعوة الإسلام. والعاقلُ مَن اتَّعَظَ بِغَيره،والجاهلُ مَن اتَّعَظَ بنفْسه.ومَن لم يقرأ التاريخ ويَفهمه،مَحكوم عليه بإعادته.

وأخرجَ ابنُ إسحاق وابن جرير وابن المنذر عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر قالا : ((خرجَ رسولُ الله ﷺ إلى بني النضيرِ ، يستعينهم على دِيَةِ العَامِرِيَّيْنِ اللذين قتلهما عمرو ابن أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، فلمَّا جاءهم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوا محمدًا أقرب منه الآن، فَمُروا رَجُلًا يَظهر على هذا البيت ، فيطرح عليه صخرة فيُريحنا منه . فقال عمرو بن جِحَاش ابن كَعْب : أنا . فأتى النبيَّ ﷺ الخبرُ ، فانصرف . فأنزل الله فيهم وفيما أراد هو وقَومه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُم إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُم أَيْدِيَهُم ﴾ [المائدة: ١١])) ١٠٦ .

خَرج النبيُّ ﷺ إلى بني النَّضير (قبيلة يهودية كانت تسكن غرب الجزيرة العربية حتى القرن السابع الميلادي في المدينة المُنوَّرة " يَثْرِب ") ، من أجل الاستعانة بهم على دفع دِيَة شخصَيْن قَتيلَيْن، وهذا يدل على التَّحالف والتعاون بين المسلمين واليهود ، الذين يعيشون في بيئة واحدة . وقد تعاملَ النبيُّ ﷺ بأدب ولُطف وحُسن نِيَّة ، ولكن الخيانة في طَبْع اليهود ، والغَدْر مُسيطر على قلوبهم وعقولهم . وقد تآمروا على النبيِّ ﷺ ، مِن أجل قَتْله ، والتخلص مِنه ، وإنهاء دَعوته .

---

١٠٦ الدُّر المنثور للسُّيوطي، (٣/ ٣٦ و٣٧). وروى الطبري في تفسيره (٤/ ٤٨٥) في سبب نزول الآية عن يزيد بن أبي زياد قال:[جاء رسولُ الله ﷺ بني النَّضير يستعينهم في عَقْل _ يعني دِيَة_ أصابه ، ومعه أبو بكر وعمر وعليٌّ ، فقال : ((أعينوني في عَقْل أصابني)) ، فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، قد آنَ لَكَ أن تأتِيَنا وتسألنا حاجة !، اجلس حتى نُطعمك ونُعطيَك الذي تسألنا ! ، فجلس رسولُ الله ﷺ ، وأصحابه ينتظرونه، وجاء حُيَي بن أخْطَب، وهو رأس القوم، وهو الذي قال لرسول الله ﷺ ما قال، فقال حُيَي لأصحابه: لا تَرَوْنَهُ أقرب منه الآن ، اطرحوا عليه حجارة فاقتلوه ، ولا تَرَوْنَ شَرًّا أبَدًا ! ، فجاؤوا إلى رَحًى لهم عظيمة لِيَطرحوها عليه ، فأمسكَ اللهُ عنها أيديَهم ، حتى جاءه جِبريلُ ﷺ ، فأقامه] .

إن اليهود مهووسون بالمؤامرات والقتل والتصفية الجسدية للتخلُّص مَن خصومهم وأعدائهم، وقد قادهم تفكيرهم الخبيث إلى فكرة رَمْي صَخرة على النبيِّ ﷺ ، وتَمَّت حياكة المؤامرة بكل تفاصيلها ، ووُضِعت الخُطة بِدِقَّة وحرفية وخُبث ومكر . وهذا يدل على أن اليهودَ يَملكون العقلية الإجرامية لتصميم الخُطَط الشريرة ، وحياكة المؤامرات الدنيئة ، وتنفيذها على أرض الواقع .

وحَبْكُ خيوطِ التآمر _ نزولًا عند رأي عِصابة العَقْل الجَمْعي المُدبِّر [١٠٧] _ مِن أهم أُسس العمل الإجرامي الصامت . ومَن يَعمل في الصمت والظلام أقْدَر على إنجاز أفعاله الخَفِيَّة ، بسبب بُعده عن الضَّوء والإعلام والضَّجيج وكلام الناس .

وتبادلُ الأدوارِ وتوزيعها بين المُخطِّطين والمُنفِّذين ، يدل بما لا يدع مجالًا للشك على اتِّساق واضح ، وتنظيم دقيق ، ومكر عميق ، وخُبث ظاهر . وأركانُ الجريمة إنما تقوم على الهدوء والتَّرَوِّي والتحليل ودراسة المُقدِّمات والنتائج ، وصولًا إلى الهدف المنشود (الجريمة الواقعية) .

والجريمةُ اليهودية لَيست عملًا عشوائيًّا أو فرديًّا _ مِثْلَما يَزعم البعضُ _ ، ولكنها ثمرة إرهاب جماعي منهجي مُنظَّم . وبشكل عام ، إن شياطين الإنس أشد خُطورةً من شياطين الجِن ، وهُناك بَشَر أكثر شَرًّا وسُوءًا مِن إبليس نَفْسِه . لذلك ، يجب مُقاومة الشياطين ، ومُحاربة أعمالهم الشريرة ، خصوصًا شياطين الإنس الذين يَسيرون بيننا. وقد يبتسمون في وُجوهنا ، ويُخفون حِقْدًا مَجنونًا في قلوبهم ونفوسهم . وليس الهدف مِن هذا الحِقد تدمير شخص هُنا أو هُناك . وإنما إجهاض الدَّعوة الإسلامية (عبادة الله وَحْدَه بلا شريك)، التي حَمَلَها جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . لكنَّ الله غالب على أمره ، ولن يترك دِينه عُرضةً لحِقد الأعداء ، وعَداوة الطامعين .

والجديرُ بالذِّكر أن بني النضيرِ (وَهُم من يهود المدينة) يُشكِّلون مع بني قُرَيْظَة وبني قَيْنُقاع مثلث الإرهاب اليهودي . وصدقَ القائل :

وكُنتُ فَتًى مِن جُند إبليس فارتقتْ
بِيَ الحالُ حتى صار إبليسُ مِن جُندي

---

١٠٧ العقل الجمعي: التصرف كعقل واحد. وهذا لا يحدث إلا داخل مجتمع أو جماعة مُتَّفقة على مصلحة واحدة ، ومُتَّحدة على هدف واحد ، وتسعى إلى تحقيقه . ولو اختلف الأسلوب ، فهذا لا يُلغي العقل الجمعي . إذ إن وَحْدة الهدف كافية لأن يتصرَّف الناس كعقل جمعي . وتبرز هذه الخاصية عند حصول تهديد حقيقي شامل يَطال وجود الجماعة ، ويُهدِّد مصيرها .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ يا أيُّها الذينَ آمَنُوا اذْكُروا نِعمةَ اللهِ عَلَيْكُم إذْ هَمَّ قَوْمٌ أن يَبْسُطُوا إلَيْكُم أيْدِيَهُم فَكَفَّ أيْدِيَهُم عَنكُم واتَّقُوا اللهَ وعلى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المؤمنون ﴾ [المائدة : ١١] ١٠٨ .

يا أيُّها المؤمنون الذين يَعبدون اللهَ وَحْدَه ، ويُصدِّقون برسالة محمد ﷺ ، اذكُروا فَضْلَ اللهِ عَلَيكم ونِعمته الجليلة ، حيث حَمَاكم مِن أعدائكم ، وحَفِظَكم مِن كُلِّ شَر . فقد حاولَ قَوْمٌ أن يَقتلوكم ويؤذوكم ، فَمَنَعَهم اللهُ مِن ذلك ، ومَنع أيديَهم أن تَمتدَّ إلَيكم بالشَّر والضَّرر والسُّوء . واتَّقُوا اللهَ بامتثال أوامره واجتناب نَواهيه، وتَوَكَّلُوا عَلَيه، فهو الكافي والناصرُ والقادرُ على جَلْب الخير ودَفْع الشَّر .

واللهُ لَم يَقل : فَكَفَّها عنكم . بَل قال سُبحانَه وتعالى : ﴿ فَكَفَّ أيْدِيَهُم عَنكُم ﴾ . لقد جاءت كلمة ﴿ أيْدِيَهُم ﴾ وهي مُظهَر مكانَ المُضمَر ، لزيادة التقرير. والمعنى: إنَّ اللهَ كَفَّ أيديَهم عنكم ، ومَنَعَها أن تَمتدَّ إلَيك بِسُوء بعد هَمِّهم ، لا أنه سُبحانَه كَفَّها بَعد أن مَدُّوها .

---

١٠٨ قال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣٠٨و٣٠٩) : ((في سبب نزولها أربعة أقوال : أحدها أنَّ رَجلًا مِن (مُحَارِب) قال لِقَومه : ألا أقتلُ لكم محمدًا ، فقالوا : وكيف تَقتله ؟، فقال : أفتِكُ به . فأقبلَ إلى رسول الله ﷺ وسَيفه في حِجْره ، فأخذَه وجَعل يَهُزُّه ويَهِمُّ بِه ، فَيَكْبِتُه اللهُ ، ثُمَّ قال:يا محمد، ما تَخافني؟، قال : " لا ". قال : لا تَخافني وفي يدي السَّيف ؟ ، قال : " يَمنعني اللهُ مِنكَ "، فأغمدَ السَّيف،فَنَزلت هذه الآية،رواه الحسن البصري عن جابر بن عبد الله.وفي بعض الألفاظ: فسقطَ السَّيفُ مِن يَده . وفي لفظ آخَر : فما قال له النبيُّ ﷺ شَيئًا ولا عَاقَبَه. واسم هذا الرَّجل غَوْرَث بن الحارث مِن (مُحَارِب خَصَفَة).والثاني أنَّ اليهود عزَموا على الفَتْك برسول الله ﷺ فكفاه اللهُ شَرَّهم . قال ابن عباس: صَنعوا له طعامًا ، فأُوحِيَ إلَيه بشأنهم ، فلم يأتِ . وقال مجاهد وعِكْرمة: خَرج إلَيهم يَستعينهم في دِيَةٍ ، فقالوا : اجْلِسْ حتى نُعْطِيَكَ ، فجلس هو وأصحابه ، فخلا بعضُهم ببعض، وقالوا : لن تجدوا محمدًا أقربَ مِنه الآن، فَمَن يَظهر على هذا البَيت، فَيَطرح عليه صَخرةً ، فقال عمرو بن جِحَاش : أنا، فجاءَ إلى رَحًى عظيمة لِيَطرحها عَلَيه ، فأمسكَ اللهُ يَدَه ، وجاء جِبريل فأخبره ، وخَرج . ونزلت هذه الآية . والثالث أنَّ بني ثَعْلَبة وبني مُحَارِب أرادوا أن يَفْتِكوا بالنبيِّ وأصحابه وَهُم بِبَطْن نخلة في غَزاة رسول الله ﷺ السابعة، فقالوا : إنَّ لهم صلاةً هي أحبُّ إلَيهم من آبائهم وأمهاتهم ، فإذا سَجدوا وَقَعْنا بِهم ، فأطلعَ اللهُ نَبِيَّه على ذلك ، وأنزلَ صلاةَ الخوف ، ونزلت هذه الآية، هذا قول قتادة . والرابع أنها نَزلت في حَقِّ اليهود حِينَ ظَاهَروا المشركين على رسول الله ﷺ ، هذا قول ابن زَيد)) اهـ .

وهذا يدل على كمال العناية ، وتمام الرعاية ، والحِفظ الإلهيّ ، والعِصمة الرَّبانية. فقد حَمَى اللهُ المؤمنين ، وعَصَمَهم مِن كُلِّ شَر . وعاد الكافرون بالفشل والخِزْي والعار .

وقال الطبري في تفسيره (٤/ ٤٨٥) : ((﴿ يا أيُّها الذينَ آمَنُوا ﴾ يا أيُّها الذين أقَرُّوا بتوحيد الله ، ورسالةِ رسوله ﷺ ، وما جاءهم به مِن عِند رَبِّهم ﴿ اذْكُروا نِعمةَ اللهِ عَلَيْكُم ﴾ اذْكُروا النِّعمةَ التي أَنعمَ اللهُ بِها عَلَيكم ، فاشكروه عَلَيها بالوفاء له بِمِيثاقه الذي وَاثَقكم بِه، والعُقودِ التي عاقدتم نَبِيَّكم ﷺ عليها . ثُمَّ وَصف نِعمته التي أمَرَهم جَلَّ ثناؤُه بالشُّكر عَلَيها معَ سائر نِعَمه ، فقال : هِيَ كَفُّه عَنكم أيدي القَوم الذين هَمُّوا بالبَطْش بِكم ، فَصَرَفهم عَنكم ، وحالَ بَيْنَهم وبين ما أرادوه بكم ... ﴿ وعلى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المؤمنون ﴾ يقول : وإلى اللهِ فَلْيُلْقِ أزِمَّةَ أمورهم ويستسلم لقضائه ويثق بِنُصرته وعَوْنه المُقِرُّون بِوَحدانية الله ورسالة رسوله ، العاملون بأمره ونَهْيِه ، فإنَّ ذلك مِن كمال دِينهم ، وتَمام إيمانهم ، وأنهم إذا فَعلوا ذلك كلأهم ورَعَاهم وحَفِظَهم مِمَّن أرادَهم بِسُوء كما حَفِظَكم ، ودَافَعَ عَنكم أيها المؤمنون مِن اليهود الذين هَمُّوا بما هَمُّوا بِه مِن بَسْط أيديهم إلَيكم ، كَلاءةً مِنه لكم ، إذْ كُنتم من أهل الإيمان بِه وبرسوله دُون غَيْره ، فإنَّ غَيْرَه لا يُطيق دَفْعَ سُوء أراده بكم رَبُّكم ، ولا اجتلاب نَفْع لكم لَم يَقْضِه لكم)) اهـ .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ وكذلك جَعَلْنا لكل نبيٍّ عَدُوًّا شياطينَ الإنس والجِن يُوحي بعضُهم إلى بعض زُخرفَ القَول غُرورًا ﴾ [الأنعام : ١١٢] [١٠٩] .

في هذه الآية دعمٌ للنبيِّ ﷺ ، وتَسْلية له . فكما جَعل اللهُ للنبيِّ ﷺ أعداءً يُبارزونه بالعداوة العَملية والقَوْلية، جَعل _سُبحانَه وتعالى_ أعداءً مِن الإنس والجِن لكل الأنبياء_ عليهم السلام _. وهذا يدل على أن عداوة الكافرين للأنبياء بِفِعْل الله وخَلْقِه . وهؤلاء شياطين يُوَسْوِس بعضهم لبعض _ بشكل خفيٍّ _ بالكلام المُزيَّن المَعسول ، كَي يَخدعوا الناسَ ، ويُغْرُوهم ، ويُضِلُّوهم .

---

١٠٩ في تفسير ابن كثير (١/ ١٦) : ((وقال سِيبَوَيْه : العرب تقول : تَشَيْطَنَ فُلان ، إذا فَعل فِعل الشياطين . ولو كان مِن شاط لقالوا : تشيَّط . فالشَّيطان مُشتق مِن البُعد ، على الصحيح . ولهذا يُسَمُّون كُل مَن تمرَّد مِن جِنِّي وإنسي وحيوان شيطانًا)) اهـ.وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ١٠٨): ((وفي شياطين الإنس والجن ثلاثة أقوال : أحدها أنهم مَرَدَة الإنس والجن ، قاله الحسن وقَتادة . والثاني أن شياطين الإنس الذين مع الإنس ، وشياطين الجِن الذين مع الجن ، قاله عِكْرمة والسُّدي . والثالث أن شياطين الإنس والجن كُفَّارهم ، قاله مجاهد)) .

وقال الواحدي في الوجيز (١/ ٣٧١) : ((إن شياطين الجِن الذين هُم مِن جُند إبليس ، يُوحُون إلى كفار الإنس ومَرَدَتهم ، فَيُغرونهم بالمؤمنين . وزُخْرُف القَوْل : باطله الذي زُيِّنَ وَوُشِّيَ بالكذب . والمعنى أنهم يُزيِّنون لهم الأعمال القبيحة غُرورًا)) اهـ .

وقد قدَّم اللهُ ذِكْرَ الإنس على الجِن، لأن شياطين الإنس أشد خطورةً، لأنهم منتشرون بين الناس ، ويتم الاحتكاك بهم على الدوام ، ويتحركون في المجتمع طُولًا وعَرْضًا مِثل الآخرين ، ويتعاملون مع كافة الأصناف ، ويَنشرون الآثام والضلال في المجتمع ، ولا يُميِّزون بين فرد وفرد ، أو جماعة وجماعة . ورِفاقُ السُّوء أشد خطرًا من شياطين الجن . ولا شَكَّ أن الإنسان يَحِنُّ إلى جِنْسه ، والنَّفْسُ البشرية تشتهي المعاصي والمُحرَّمات ، وتَميل إلى الراحة والمُتعة والانفلات .

وفي الكشَّاف للزمخشري (١/ ٣٧٤) : ((وعن مالك بن دينار : إن شيطان الإنس أشد عليَّ من شيطان الجِن ، لأني إذا تَعَوَّذْتُ بالله ذَهَبَ شيطان الجِن عنِّي ، وشيطان الإنس يجيئني ، فَيَجُرُّني إلى المعاصي عِيانًا)) اهـ .

وَشَيطانُ الإنس أشدُّ خطرًا وضلالًا وسُوءًا من شيطان الجِن ، لأن شَيطان الجِن يَهْرب بقراءة القرآن عليه ، أمَّا شَيطان الإنس فقد يُفسِّر لكَ القُرآنَ ، ويُناقِش مَعَك الطاعات والعبادات ! .

وفي تفسير القرطبي (٧/ ٦٠) : ((قال النَّحاس : ورُوِيَ عن ابن عباس بإسناد ضعيف أنه قال في قَوْل الله ــ عز وجل ــ : ﴿ يُوحي بعضُهم إلى بعض ﴾ قال : " معَ كُلِّ جِنِّيٍّ شَيطان ، ومعَ كُل إِنسيٍّ شَيطان ، فَيَلقى أحدُهما الآخَر ، فيقول : إني قد أضللتُ صاحبي بكذا ، فأضِلَّ صاحبك بِمِثْلِه ، ويقول الآخَرُ مِثْلَ ذلك ، فهذا وَحْيُ بَعْضِهم إلى بعْض)) اهـ .

ومِن المُضحك أن يأتيَ أحد كبار المُستشرقين (إسرائيل ولفنسون) [١١٠] ، والذي يُفترَض أنه مُفكِّر يَملك عقلًا تحليليًّا قائمًا على الأدلة النقلية والبراهين العقلية وقواعد المنهج العِلمي ،

١١٠ وُلد الباحث اليهودي إسرائيل ولفنسون (١٨٩٩ م ــ ١٩٨٠ م) في القدس ، لأسرة يهودية من المهاجرين الأشكناز القُدامى نزحت مِن بيلاروسيا إلى الأراضي الفلسطينية عام ١٨٠٩ م . درسَ في فلسطين ، وتعلَّمَ اللغة العربية والعلوم الإسلامية واليهودية ، ثم سافر إلى مصر والتحق هناك بالجامعة المصرية، وصار أول طالبٍ يهودي يحصل على شهادة الدكتوراة من الجامعة المصرية عن أطروحته " تاريخ اليهود في بلاد العرب " . عمل أستاذًا للغات السامية في نفْس الجامعة . ثم توجَّه إلى ألمانيا ، وحصل هناك على درجة دكتوراة ثانية من جامعة غوته عام ١٩٣٣م ، عن أطروحته " كعب الأحبار وأثره في =

فَيَدَّعِيَ بأن محاولة يهود بني النَّضير اغتيال رسول الله ﷺ ، ما هي إلا من كذب المُؤرِّخين العرب[111]. وهذا القولُ الساقطُ لا يَصْمد أمام المنهج العِلمي الذي يُعرِّي حقيقةَ تعصبه الأعمى وتعاطفه غير المُبصِر معَ اليهودِ (قَوْمه وأبناء جِلْدته) الذين يُسيطرون على مراكز الأبحاث في كُبرى جامعات العالَم.ومِن المُؤسف وجود مستشرقين ومُفكرين رَمَوا المَنهجَ العِلمي وراء ظهورهم، واعتمدوا على أهوائهم الشخصية ، وخَضعوا لأفكار الذين يَمْلكون المالَ والسُّلطةَ والإعلام ، من أجل الحصول على منافع معنوية ، ومصالح مادية ، ومناصب رفيعة .

ومِن الواضح أن كثيرًا مِن العلماء والمفكرين والباحثين والمستشرقين ، لم يجدوا في المنهج العِلمي حاجتهم المتمثلة في الطعن بدعوة الحقِ ، فراحوا يُحلِّلون النصوص ويَدْرسون العلوم بعقليةِ مُغرِضة نَفعية مصلحية ، تحتوي على أفكار مُسبقة بعيدة عن الوَعْي والإنصاف والبحث العِلمي الدقيق . وهذا الأمر يَقتل قيمةَ البحث العِلمي ، ويَجعل العِلْمَ وسيلةً للسيطرة والاستغلال .

ولا يخفى أن اللوبي الصُّهيوني (النَّصراني المُتَصَهْيِن ــ اليهودي الصُّهيوني) المُسيطِر على كبرى جامعات العالَم ، له بصمة واضحة في مسار الفكر الاستشراقي وفلسفته . وإذا أردتَ معرفة حقيقة المُستشرق ، ومدى التزامه بالمنهج العِلمي وولائه للبحث الفِكري المتماسك ، فانظر من أين يأخذ راتبَه ، وما هي الجهة التي تَدْعمه .

إنها شبكةٌ من التخطيطِ الإجرامي العابر للقارات والأمم والشعوب . واليهودُ لهم نفوذ واسع في أهم جامعات العَالَم ، وهُم يُسيطرون على العلوم الإنسانية والاجتماعية . ومَن يَستعرض أهم الشخصيات المُؤثِّرة في عَالَم الفلسفة وعِلم الاجتماع في القرن العشرين ، سيكتشف أن نِسبة كبيرة منهم يهود دِينًا ، أو يهود ثقافةً ، أو من أصول يهودية .

=كتب الحديث والقصص الإسلامية ". وعاد بعد ذلك إلى مصر أستاذًا للغات السامية بكلية دار العلوم العُليا (الجامعة المصرية) ، واشتغل بالتدريس في الجامعة العِبرية بالقدس بشكل مُتقطع حتى انتقاله بشكل نهائي إلى فلسطين عام ١٩٤١ م . عندما كُلِّفَ بمهمة الإشراف على تدريس اللغة العربية في المدارس اليهودية . وعند قيام دولة إسرائيل استعاد اسمه الأصلي "يزرائيل بن زئيف " ، وبقي يعمل في المجال التعليمي والأكاديمي كأستاذ في اللغات العربية والسامية حتى ١٩٦٥ م ، وتفرَّغَ بعد ذلك تقريبًا للتبشير اليهودي في أفريقيا ، والعناية بالمهاجرين الجدد ، حتى وفاته عام ١٩٨٠ م .

١١١ المستشرقون والسيرة النبوية ، د. عماد الدين خليل ، ص ١٣١ .

وهذا يدل بوضوح على تركيز اليهود على العلوم الإنسانية ، لأنها الأكثرة قُدرة على التعامل مع الناس والجماهير والشعوب ، وتَوجيهها ، والتأثير بها ، وقيادتها ، والتحكُّم بها ، والهيمنة على أفكارها وحاضرها ومُستقبلها . وهذا يَكشف خُطَّة اليهود الخبيثة للسيطرة على الأمم والشعوب والدُّوَل، والتحكم بها، واستغلالها، وتسخيرها لخدمة الأهداف اليهودية الخبيثة [١١٢] . وقد عاشَ اليهودُ فترةً طويلةً منبوذين مُحْتَقَرِين، بسبب مكرهم وخيانتهم وخُبثهم ، وعبادتهم للمال والذهب ، وتقديسهم للربا ، من أجل السيطرة على الأفراد والجماعات . لذلك ، سَعَوْا جاهدين لامتلاك عناصر القوة المادية، كَي يُصبحوا أُمَّةً قوية مرهوبة الجانب ، ويَخرجوا مِن الذل إلى العِز ، ومِن الضعف إلى القُوة ، ومِن التخلُّف إلى التقدُّم ، ومِن المهانة إلى المجد . وقد نجحوا في ذلك بسبب قُدرتهم على التَّخطيط ، وحياكة المؤامرات ، وتطبيق المشاريع الخبيثة على أرض الواقع .

---

١١٢ ((إن الحركة الإسلامية غنية بالنوابغ من أبنائها ، ولكنهم لا يُوزَّعون على المواقع الهامة والمؤثرة والمحتاج إليها توزيعًا عادلًا . فكثيرًا ما نرى تكديسًا في جانب من الجوانب كالطب مثلًا ، أو الصيدلة ، أو الهندسة المدنية ، أو المعمارية ، على حين نجد أنواعًا من التخصصات العلمية النادرة لا يوجد فيها إلا أفراد يُعَدُّون على أصابع اليد الواحدة ، وقد لا يوجد فيها أحد قَط .ومِثل ذلك التخصصات المتعلقة بالدراسات الإنسانية والاجتماعية ، مِثل : علوم النَّفْس ، والتربية ، والاجتماع ، والاقتصاد ، والعلوم السياسية ، والإعلام ، ونَحْوها ، وهي التي أصبحت مرغوبًا عنها من نوابغ الشباب ، حيث يُقْبلون على التخصصات العِلمية وَحْدَها . في حين أن هذه العلوم أوصل بالمجتمع وأكثر تأثيرًا فيه ، ولهذا اهتم اليهودُ في أمريكا وغيرها أن يُسيطروا على كراسيها ، ويستأثروا بنصيب الأسد منها ، لِيَقْدروا على توجيهها لحسابهم كما يريدون . وكَم مِن شباب أذكياء متفوقين تتَّجه ميولهم وقدراتهم الخاصة إلى الدراسات الإنسانية والأدبية ، فوجَّههم ضغط المجتمع إلى الدراسات العِلمية ، ولو وُجِّهوا حيث وجَّههم ميولهم وقدراتهم لكان إنتاجهم أغزر ، وإثمارهم أوفر . والحقيقة أن هناك نقصًا ظاهرًا في العلوم الإنسانية مع ما لها من أهمية وخطر . بل ميدان الأدب ، والقصة والنقد ، يكاد يخلو من نوابغ الشباب في عدد من الأقطار ، ومَن يوجد منهم لا يُتاح له البروز بالقَدْر الكافي ، وبالشكل المناسب ، خِلافًا لِمَا يَفعل اليساريون وغيرهم ، الذين يُروِّج بعضُهم لبعض ، ويَرفع بعضهم من شأن بعض ، على حَد قول الشاعر :

وبَقِيتُ في خَلْفٍ يُزيِّن بعضُهم ... بعضًا ليدفع مُعْور عن مُعْور !))

[أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة ، د. يُوسُف القَرَضاوي ، مؤسسة الرسالة ، ص ٢٠١]

وقال غوغنو ده موسو في كتابه (اليهودي واليهودية وتهويد الشعوب المسيحية) ما يشير إلى ما ذهبنا إليه : ((لقد وُجد دَوْمًا عند اليهود، مُنذ تشتيتهم حتى اليوم ، مركز قيادة وتوجيه بين أيدي أمراء خفيين خَلفوا بعضهم بعضًا بكل انتظام . وهكذا فإن الأُمَّة اليهودية كانت دائمًا مُسَيَّرة كجمعية سِرِّية هائلة تُعطي بدورها الاندفاع للجمعياتِ السرية الأخرى)) [١١٣] .

إن اليهود عاشوا منبوذين مُشتَّتين ضعفاء مقهورين مَكروهين ، بسبب صفاتهم السيئة ، ومؤامراتهم الدنيئة ، وأعمالهم الشريرة . ودائمًا ، كان يَشعر اليهودُ بالغربة في المكان والزمان ، والاختلاف عن الناس . إنهم أغراب وأغيار ومُميَّزون عن الآخرين ، سواءٌ بالمعنى الإيجابي أم السلبي . وهذا دَفعهم إلى التعاون فيما بينهم ، وتوحيد جهودهم ، والتَّجَمُّع تحت راية واحدة ، كي يَحموا أنفسَهم مِن الذوبان والسَّحْق والاختفاء . لذلك ، صارَ اليهودُ (الطائفة المنبوذة) يتحركون كجماعة خَفِيَّة وحِزب سِرِّي ، من أجل تحقيق مصالحهم الذاتية التي تضمن بقاءهم ووجودهم، وتحفظ هويتهم، وتجعلهم أُمَّةً قومية قوية ومُؤثرة، ومرهوبة الجانب ، ويُحسَب لها ألف حساب . وهذا ما حدث بفضل إصرار اليهود وذكائهم ومَكْرهم وخُبثهم وألاعيبهم ومُؤامراتهم ، وسيطرتهم على الثالوث المُرعِب : المال والسُّلطة والإعلام . والحاجة أُم الاختراع .

لقد فَضح القُرآنُ ضلالَ اليهود ، وبيَّن انحراف بني إسرائيل ، وتبديلهم لِنَعَم الله . وهذا يدل على كُفرهم وضلالهم وعنادهم واستكبارهم ، ورفضهم لأوامر الله ، واستهانتهم بِنَعَمه وآلائه .

والأنبياءُ نِعمة ، فقامَ اليهودُ بقتلهم ، والتوراةُ نِعمة فحرَّفوها ، والمرأة نِعمة فَحَوَّلوها إلى بَغِيٍّ، والعقل نِعمة ، إلا أنهم استعملوه في التخطيط للمؤامرات وارتكاب الجرائم ، واقتراف الآثام .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَم آتَيناهُم مِن آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾ [البقرة : ٢١١] .

هذا السؤال ليس طلبًا للإجابة والمعلومات . وإنما لتوبيخ بني إسرائيل وتقريعهم وفَضْحهم .

---

١١٣ نقلًا عن كتاب "مؤامرة اليهود على المسيحية" لإميل الخوري حرب، ص ٤٠، دار العِلم للملايين ، بيروت ١٩٤٧م . وقد ذكر المؤلف أسماء كتب اعتمدها لفضح خطط اليهود الإجرامية ومؤامراتهم :
١ـ مذكرة في تاريخ الجاكو بينيسم، بقلم بارويل، لندن ١٧٩٦م . ٢ـ الكنيسة الرومانية أمام الثورة ، بقلم كرتينو جولي ، باريس ١٨٦٣م . ٣ـ الجمعيات السرية والمجتمع ، بقلم ديشان ، باريس ١٨٨٣م . ٤ـ مسألة اليهود في ألمانيا ، بقلم فالبر، ١٨٨٠م .

آتاهم اللهُ الآياتِ الواضحة ، والحُجَج الساطعة ، والمُعجِزات الظاهرة : عصا مُوسى ، ويده ، وجَعَلَهم يَقْطعون البَحر ، وأغرقَ عَدُوَّهم فِرْعَوْن ، وهُم يَنظرون إليه ، وظلَّلهم بالغمام ، وأنزلَ عليهم المَن والسَّلوى . كُل هذه الآيات البَيِّنات مَنَحَها اللهُ لبني إسرائيل ، رحمةً بهم ، وتفضُّلًا عليهم، وإحسانًا إلَيهم، وتثبيتًا لهم.وهذه الآياتُ البَيِّنات دليل على صِدْق مُوسى ﷺ وصِحَّةِ نُبُوَّته.

والأمرُ الإلهيُّ للنبيِّ محمد ﷺ بسؤال اليهود عن الآيات الإلهية الباهرة ، من أجل توبيخهم ، وتقريعهم ، وإقامة الحُجَّة عليهم . ولا شَكَّ أن النِّعمة على الآباء نِعمة على الأبناء .

﴿ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ ﴾ . هذه الآيةُ عامَّة وشاملة للجميع ، وإن كان سياق الآية يتحدَّث عن بني إسرائيل ، حيث إنهم حرَّفوا التَّوراةَ ، وجَحدوا وَصْفَ النبيِّ محمد ﷺ الثابت فيها ، وكفروا بِنَعَم الله الكثيرة ، ولم يَعترفوا بها ، ولم يَشكروا اللهَ عليها .

ومَن يُغيِّر نِعمةَ الله ويُبدِّلها ويَجحدها ويَطْمسها . وبعبارة أكثر تحديدًا ، ومَن يُبدِّل كتابَ الله ، ويُغيِّر عَهْدَ الله ، ويُنكِر نُبُوَّةَ محمد ﷺ الثابتة في التَّوراة ، فإن الله سيُعاقبه أشدَّ العِقاب ، ويَجْزيه أسوأ الجزاء . ونِعمة الله هي آياته الباهرة ، وهي سبب الهداية ، وطريق الحق ، وأساس الهدى ، وتبديلُ النِّعَم الإلهية سبب الضَّلالة ، وانتشار الذنوب والآثام [١١٤] .

والآية : ﴿ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾ خبر يتضمَّن الوعيد الشديد والعِقاب الأليم . وإظهار لفظ الجلالة في الآية ، لتثبيت خَشية الله في القلوب ، وتعظيمه في النُّفوس ، والتَّخويف من عذابه .

وبسبب شِدَّة كُفر اليهود وضلالهم وعنادهم واستكبارهم ،كانت الآياتُ الإلهيةُ الباهرةُ تتوالى عليهم، كَي ينتقلوا مِن ظُلمات الجهل والكُفر إلى نُور العِلم والإيمان، ويعتنقوا الإسلامَ ، ويلتزموا الحقَّ، لكنهم اعتمدوا مَنهجَ تبديل النِّعَم الإلهية وتغييرها ، والالتفاف عليها ، وجَحْدها ، وإنكارها. وهذا يدل على قَسوة قلوبهم ، وإصرارهم على الكفر ، وغرقهم في الضلال والعناد والمُكَابَرَة .

---

١١٤ قال ابن الجوزي في زاد المسير(١/ ٢٢٧):((قَوله تعالى: ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ الخِطاب للنبيِّ ﷺ. والمعنى له وللمؤمنين ... . وفي المراد بالسؤال قَولان : أحدهما أنه التقرير والإذكار بالنِّعَم. والثاني التوبيخ على ترك الشُّكر . والآية البَيِّنة العلامة الواضحة ،كالعصا والغَمَام والمن والسَّلوى والبحر. وفي المراد بنِعمة الله قَولان: أحدهما أنها الآيات التي ذكرناها، قاله قَتادة . والثاني أنها حُجَج الله الدَّالة على أمر النبيِّ ﷺ ، قاله الزَّجاج . وفي معنى تبديلها ثلاثة أقوال : أحدها أنه الكفر بها ، قاله أبو العالية ومجاهد . والثاني تغيير صِفة النبيِّ ﷺ في التَّوراة، قاله أبو سليمان الدمشقي. والثالث تعطيل حُجَج الله بالتأويلات الفاسدة)) .

لقد شَاهَدَ بنو إسرائيل معَ مُوسى ﷺ الآيات الباهرة ، والمُعجِزات الظاهرة ، والحُجَج القاطعة، التي تدل على صِدق مُوسى ﷺ ، وصِحَّة نُبُوَّته ، وتأييده بالوَحْي الإلهيِّ ، كعصا مُوسى ، وفَلْقه البحر، وضَرْب الحَجَر ، وتَظليل الغَمَام عليهم في شِدَّة الحَر ، وإنزال المَن والسلوى ، وغَير ذلك مِن الآيات والمُعجِزات التي تدل على عَظَمَة الله ، وتفضُّله عليهم، ورحمته بهم، وإحسانه إليهم ، كما تدل على المكانة الجليلة للنبيِّ مُوسى ﷺ المُؤيَّد مِن الله تعالى . وبعد كُل هذه الآيات الواضحة ، أعرضَ كثيرٌ مِن بني إسرائيل عن الحق ، واختاروا الكفرَ على الإيمان ، وساروا في طريق الضلال والذنوب والآثام ، بلا وازع ديني ، ولا رادع أخلاقي . وقتلوا أنبياءَ الله ورُسله ، وخالفوا عَهْدَه ، وبدَّلوا وصيته إليهم .

إن اليهود بدَّلوا نِعمة الله كُفرًا ، وقاموا بتحريف التَّوراة ، وتلاعبوا بالنصوص الدينية على ثلاثة مستويات : الحذف ، الإضافة ، سُوء التأويل . وجَحدوا نُبُوَّةَ محمد ﷺ الثابتة في التَّوراة ، في محاولة يائسة منهم لطمس نُور الحق ، وإخفاء الحقيقة ، وإبعاد الناس عن العِلم والإيمان .

وقال الطبري في تفسيره (٢/ ٣٤٤) : ((يعني بذلك جَلَّ ثناؤه : سَلْ يا محمد بني إسرائيل الذين لا ينتظرون _ بالإنابة إلى طاعتي والتوبة إليَّ بالإقرار بِنُبُوَّتك وتصديقك فيما جِئْتَهُم بِه مِن عندي _ إلا أن آتِيَهم في ظُلَل مِن الغَمَام وملائكتي ، فأفصِل القضاء بينك وبين مَن آمن بك ، وصدَّقك بما أنزلتُ إليكَ مِن كُتبي ، وفرضتُ عليك وعليهم من شرائع دِيني وبينهم . كَم جِئْتُهُم به مِن قَبلك من آية وعلامة على ما فرضتُ عليهم مِن فرائضي ، فأمرتهم به من طاعتي، وتابعتُ عليهم مِن حُجَجي على أيدي أنبيائي ورُسُلي مِن قَبلك ، مُؤيِّدة لهم على صِدْقهم ، بَيِّنة أنها مِن عندي ، واضحة أنها مِن أدلتي على صِدْق نُذُري ورُسُلي فيما افترضتُ عليهم مِن تصديقهم وتصديقك، فكفروا حُجَجي، وكذَّبوا رُسلي ، وغيَّروا نِعَمي قِبَلهم ، وبدَّلوا عهدي ووصيتي إليهم ... قال اللهُ:﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعمَةَ اللهِ مِن بَعدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾. قال أبو جعفر(الطبري): وإنما أنبأ اللهُ نَبِيَّه بهذه الآيات ، فأمره بالصبر على مَن كذَّبه ، واستكبرَ على رَبِّه ، وأخبره أن ذلك فِعْل مَن قَبْله مِن أسلاف الأمم قَبْلهم بأنبيائهم مع مُظاهرته عليهم الحُجَج ، وأن مَن هو بين أظهرهم من اليهود ، إنما هُم مِن بقايا مَن جَرَتْ عاداتهم بذلك ، مِمَّن قَصَّ عليه قصصهم من بني إسرائيل . يعني بالنِّعَم جَلَّ ثناؤه : الإسلام وما فرض من شرائع دِينه . ويعني بقَوله : ﴿ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ ﴾ ، ومَن يُغيِّر ما عَاهَدَ اللهَ في نِعمته التي هي الإسلام من العمل والدخول فيه،فيكفر به ، فإنه مُعَاقِبه بما أوعدَ على الكفر به مِن العقوبة ، واللهُ شديدُ عقابه ، أليمٌ عذابه ، فتأويل الآية إذًا :

يا أيها الذين آمنوا بالتَّوراة ، فصدَّقوا بها ، ادخلوا في الإسلام جميعًا ، ودَعُوا الكفر وما دعاكم إليه الشيطان مِن ضلالته . وقد جاءتكم البَيِّنات مِن عِندي بمحمد ، وما أظهرتُ على يَدَيه لكم مِن الحُجَج والعِبَر ، فلا تُبدِّلوا عَهْدي إليكم فيه ، وفيما جاءكم به من عندي في كتابكم ، بأنه نَبِيِّي ورسولي ، فإنه مَن يُبدِّل ذلك مِنكم فيُغيِّره ، فإني له مُعَاقِب بالأليم من العُقوبة)) اهـ .

أُعجِب اليهود بفسادهم وضلالهم وعنادهم واستكبارهم ، واعتمدوا الكفرَ منهجًا حياتيًّا ثابتًا ، وعَتَوْا وتجبَّروا ، وعَلَوْا في الأرض بغير الحق . وهذا كُلُّه يدل على قلوب مُتحجِّرة ، وأمزجة فاسدة، وأهواء باطلة، ومصالح مادية فانية. واليهودُ لا يُقيمون للحق وزنًا، ولا يَبحثون عن الحقيقة.

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٤] [١١٥] .

إن معنى القضاء في الآية لا يعني الإجبارَ أو سَلْبَ إرادة الإنسان . بل يحمل معنى الإعلام والإخبار. فاللهُ تعالى أخبرَ بني إسرائيل في التَّوراة بأنهم سَيُفْسِدُون، وأعْلَمَهم بذلك دُون إجبارهم.

ولا شَك أن بني إسرائيل يتحمَّلون المسؤولية كاملةً ، لأنهم يَمتلكون الإرادةَ والقدرة على فِعل الخير والشر ، وقد اختاروا طريقَ الشر . وعِلْمُ اللهِ عِلْمُ إحاطةٍ بما كان ويكون وسيكون، وليس عِلمَ إجبارٍ ، أو قَهرٍ للإرادة الإنسانية وسَلْبها . وقال البغوي في تفسيره (١/ ٦٧) : ((أعلمناهم وأخبرناهم فيما آتيناهم من الكتب أنهم سيُفْسِدون)) اهـ .

إن الله لم يُجبِر أحدًا على الفساد والإفساد ، لكنَّ بني إسرائيل ساروا في طريق الضلال والإفساد ، بسبب ضعف إيمانهم ، وابتعادهم عن الحق، وعدم التزامهم بتعاليم أنبيائهم . فقد اعتنقوا الإفسادَ شريعة لهم سَعْيًا وراء حُطام الدنيا الزائل . وهذا جعلهم يَرفضون الحق ويُعادونه .

وقضاءُ الله على بني إسرائيل بالإفساد مرَّتين ، هو إخبار مِن الله لهم بما سيكون مِنهم ، وإعلام لهم بأنهم سَيُفْسِدُون ، وَفْق العِلْم الإلهيِّ السابق الأزليِّ ، وليس إجبارًا ولا قَهْرًا لهم .

---

١١٥ روى الحاكم في المستدرَك (٢/ ٣٩٢) وصحَّحه ووافقه الذهبي [عن طاوس قال : كنتُ عند ابن عباس ـ رضي اللهُ عنهما ـ ومعنا رَجل مِن القَدَرية ، فقلتُ : إن أناسًا يقولون : لا قَدَر ، قال : " أَوَ في القوم أحد منهم ؟ " ، قلتُ : لو كان ما كُنتَ تصنع به ؟ ، قال : " لو كان فيهم أحد منهم لأخذتُ برأسه ، ثم قرأتُ عليه آية كذا وكذا : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لَتُفْسِدُنَّ في الأرض مرَّتَيْن ولتَعْلُنَّ عُلُوًّا كبيرًا ﴾ "] .

والقضاء له وجوه كثيرة ومعانٍ مُتعدِّدة ، مِنها : الأمر ، والحُكم ، والخَلْق ، والأجر ، والوفاء ، والصُّنع ، والإتمام ، والإحصاء ، والتقدير ، والإعلام ، والإخبار .

والفسادُ والإفساد مُقترنان ببني إسرائيل ، إذ إنهم يَعتقدون أن الالتفاف على الحق ، وتغيير الحقائق ، أفضل وسيلة لتثبيت وجودهم ، وضمان استمرار نفوذهم ، وتحقيق أهدافهم دون مُعارَضة . والعِزَّةُ بالإثم تُسيطر على مفاصل حياتهم ، وتدفعهم إلى اتخاذ القرارات الخاطئة ، وارتكاب الجرائم والذنوب والآثام والخطايا . وهذا يُفسِّر عُلُوَّهم في الأرض بغير الحق ، وغرقهم في متاهة الاستكبار والجُحود والتطرف والكفر والضلال والعناد والاستكبار .

أخبرَ اللهُ بني إسرائيل وأعلَمَهم في التَّوراة ، أنهم سيُفْسِدُون في أرض الشام وبيت المقدس مرَّتين ، وسَيَطْغَوْنَ في الأرض المُقدَّسة طُغيانًا كبيرًا ، ويَرتكبون الجرائم والذنوب والآثام ، ويَنتهكون مَحارم الله ، ويَستكبرون عن طاعته ، ويَظلمون الناسَ .

والجديرُ بالذِّكر أن إنزال التَّوراة على مُوسى ﷺ يعني إنزالها على بني إسرائيل لأنهم قَوْمه .

وروى الطبري في تفسيره (٤/ ٦٣٩) عن الربيع قال: ((كان الفساد الأول، فَبَعَثَ اللهُ عليهم عدوًّا، فاستباحوا الديار، واستنكحوا النساء ، واستعبدوا الوِلدان، وخرَّبوا المسجد ، فغبروا زمانًا ، ثم بَعَثَ اللهُ فيهم نبيًّا ، وعاد أمرهم إلى أحسن ما كان ، ثم كان الفساد الثاني بقتلهم الأنبياء ، حتى قتلوا يحيى بن زكريا ، فَبَعَثَ اللهُ عليهم بُخْتُنَصَّر ، فقتل مَن قتل منهم ، وسبى من سبى ، وخرَّب المسجد ، فكان بُخْتُنَصَّر الفساد الثاني)) اهـ .

وفساد اليهود وإفسادهم للآخرين ليس له نهاية . أمَّا المَرَّتان المُوضَّحتان في الآية الشريفة فهُمَا قِمَّتا الفساد ، وأكثرهما غَطْرسة وسُوءًا . وقد ذَكَرَ اللهُ هاتَيْن المَرَّتَيْن لِيُعطيَهما الأهمية التي تشير إلى الشخصية اليهودية المتطرفة الغارقة في الكفر والضلال والعناد والاستكبار .

إن بني إسرائيل مَشهورون بقتل الأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ . وهذه ليست تهمةً عابرة، أو كلامًا حاقدًا ، أو تشويهًا لسُمعتهم وصورتهم . فالنصوص الدينية والتاريخية متضافرة في هذا المجال ، ولا يمكن إخفاؤها، أو التحايل عليها. والجميعُ يَعلم أن زكريا ويحيى _ عليهما الصلاة والسلام _ كانا من أنبياء بني إسرائيل ، وقد قُتِلا بكل خِسَّة ودناءة على أيدي اليهود .

ولا يمكن أن تمر قضية قتل الأنبياء مرورًا عابرًا. فالنبيُّ ليس شخصًا عاديًّا. إنه إنسان يتلقى خبرَ السماء، ويَهبط عليه الوَحْي، ويُبلِّغ الأوامرَ الإلهية بكل أمانة وصدق، وهو معصوم. وتكذيبُ النبي تكذيبٌ لمن أرسله ، وقتلُ النبيِّ رفضٌ لأوامر الله تعالى . لذلك كان قتلُ النبيِّ كُفرًا مُخْرِجًا

من الإسلام ، ومُقترف هذه الفِعلة خالد في جهنم . وفساد بني إسرائيل وإفسادهم ارتد عليهم سلبًا ، وقد عُوقبوا جزاء أفعالهم السيئة . وهذا الانحراف الروحي والمادي كان نتيجةً حتمية لغياب منهج التفكير عن عقول بني إسرائيل، فهم يتخندقون في اللحظة الآنية دون أن ينظروا إلى عواقب الأمور ، وهذا قادهم إلى السقوط المريع في أوحال الخطيئة والضلال ، ودَفْع الثمن غاليًا .

أمَّا قَوْله تعالى : ﴿ ولتَعْلُنَّ عُلُوًّا كبيرًا ﴾ فيُشير إلى قَسْوة طِباع بني إسرائيل وتماديهم في الطغيان حيث الاستكبار على طاعة الله تعالى ، وظُلم الناس والاستعلاء عليهم بالباطل . وقال الطبري في تفسيره (٨/ ١٩) : ((ولتستكبرنَّ على الله باجترائكم عليه استكبارًا شديدًا)) اه .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٧و٨ و٩) : ((قَوله تعالى : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ فيه قَولان : أحدهما أخبرناهم ، رواه الضَّحاك عن ابن عباس . والثاني قَضَيْنا عليهم ، رواه العَوفي عن ابن عباس ، وبه قال قتادة . فعلى الأول تكون ﴿ إِلَى ﴾ على أصلها ، ويكون الكتاب التوراة . وعلى الثاني تكون ﴿ إِلَى ﴾ بمعنى " على " ، ويكون الكتاب الذِّكر الاول . قَوله تعالى : ﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ ﴾ يعني : أرض مِصْر ﴿ مَرَّتَيْنِ ﴾ بالمعاصي ومُخالفة التوراة . وفي مَن قَتلوه مِن الأنبياء في الفساد الأول قَولان : أحدهما زكريا ، قاله السُّدي عن أشياخه . والثاني شعيا (إشَعْياء)، قاله ابن إسحاق . فأمَّا المقتول مِن الأنبياء في الفساد الثاني فهو يحيى بن زكريا. قال مُقاتل : كان بين الفسادَيْن مائتا سنة وعشر سنين ، فأمَّا السبب في قَتْلهم زكريا ، فإنهم اتَّهموه بمريم ، وقالوا : مِنه حَمَلَتْ ، فهربَ منهم ، فانفتحت له شجرة ، فدخل فيها ، وبَقِيَ مِن ردائه هُدْب ، فجاءهم الشَّيطان فدلَّهم عليه ، فقطعوا الشجرة بالمِنشار وهو فيها . وأمَّا السبب في قتلهم شعيا (إشَعْياء) فهو أنه قام فيهم برسالة مِن الله ينهاهم عن المعاصي . وقِيل: هو الذي هرب منهم فدخل في الشجرة حتى قطعوه بالمِنشار ، وإن زكريا مات حَتْفَ أنفه . وأمَّا السبب في قَتْلهم يحيى بن زكريا ، ففيه قَولان : أحدهما أن مَلِكَهم أراد نِكاحَ امرأة لا تَحِلُّ له ، فنهاه عنها يحيى . ثم فيها أربعة أقوال : أحدها أنها ابنة أخيه . قاله ابن عباس . والثاني ابنته ، قاله عبد الله ابن الزبير . والثالث انها امرأة أخيه ، وكان ذلك لا يَصْلُح عندهم ، قاله الحسين بن علي عليهما السلام . والرابع ابنة امرأته ، قاله السُّدي عن أشياخه . وذكر أن السبب في ذلك أن مَلِكَ بني اسرائيل هَوِيَ بنت امرأته ، فسأل يحيى عن نِكاحها ، فنهاه ، فحنقت أُمُّها على يحيى حين نهاه أن يتزوَّج ابنتها ، وعَمَدَت إلى ابنتها ، فزيَّنتها ، وأرسلتها إلى المَلِك حين جلس على شرابه ، وأمرتها أن تَسْقِيه ، وأن تَعْرِض له ، فإن أرادها على نفْسها أبت ، حتى يُؤتى برأس يحيى بن زكريا

في طَسْت ، ففعلت ذلك ، فقال : وَيْحَكِ ، سَلِيني غَير هذا ، فقالت : ما أُريد إلا هذا ، فَأَمَرَ فَأُتِيَ برأسه ، والرأس يتكلم ويقول : لا تَحِلُّ لك ، لا تَحِلُّ لك . والقول الثاني أن امرأة المَلِك رأت يحيى عليه السلام ، وكان قد أُعْطِيَ حُسْنًا وجَمَالًا ، فأرادته على نفْسه ، فأبى ، فقالت لابنتها : سَلِي أباكِ رأسَ يحيى ، فأعطاها ما سألت . قاله الربيع بن أنس . قال العلماء بالسِّيَر : ما زال دم يحيى يَغْلي حتى قُتِلَ عليه من بني اسرائيل سبعون ألفًا ، فسكن . وقِيل : لم يَسْكُن حتى جاء قاتله ، فقال : أنا قتلتُه ، فَقُتِلَ ، فسكن . قوله تعالى : ﴿ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ ، أي : لَتَعْظُمُنَّ عن الطاعة ، وَلَتَبْغُنَّ)) اهـ .

إن بني إسرائيل غرقوا في الكفر والضلال والعِناد ، فعاقبهم اللهُ ، وعذَّبهم ، وسلَّط عليهم الوَبَاءَ كي يَرتدعوا ، ويُعيدوا حساباتهم ، ويَخلعوا الباطل ، ويَعتنقوا الإيمانَ . والوَبَاءُ تَنبيه مِن الله لبني إسرائيل، وتحذير لهم. وفي صحيح مسلم (٤ / ١٧٣٧): قال أسامة _ رضي اللهُ عنه _ : قال رسولُ الله ﷺ : ((الطاعونُ رِجْزٌ أو عذابٌ أُرْسِلَ على بني إسرائيل)) [١١٦] .

وفي تنوير الحوالك للسُّيوطي(١/ ٢٠٧):((قال النووي : وَكَوْنه_ أي الطاعون _ عذابًا مُختصًّا بمن كان قَبْلنا، وأمَّا هذه الأُمَّة فهو لها رحمة وشهادة، كما بُيِّن في الأحاديث الصحيحة)) اهـ .

واليهودُ لا يتميَّزون بالتخطيط للجرائم وحياكة المؤامرات فَحَسْب ، بل أيضًا يتمتعون بالحيوية والقُدرة على التَّحرك والتنفيذ على أرض الواقع، بلا مَلَل ولا كَسَل.وهذا يتَّضح في النص الإنجيلي: ((ولَمَّا طَلع الصباحُ حَاكَ بعضُ اليهود مُؤامرةً لِقَتل بُولُس)) [أعمال الرُّسل ٢٣: ١٢] .

شَهِدَ هذا التوقيتُ المُبكِّر (طلوع الصباح) تخطيطًا يهوديًّا لمؤامرة قتل بُولُس ، مِمَّا يُشير إلى نشاط اليهود ، وحَيَويتهم ، وانطلاقهم ، واستغلالهم للوقت ، وانتهاز الفُرَص ، وعدم إضاعتها.

واليهودُ _ مَثَلًا _ لم يناموا في هذا الوقت ، أو يتفرَّغوا للأحاديث الجانبية . بل بَدَؤوا يَوْمَهم بحِياكة هذه المؤامرة لقتل بُولُس. وفي هذا دَلالة واضحة على امتلاكهم لعقلية التخطيط للمُؤامرات ، وسَيطرتهم على الوقت ، وقُدرتهم على تطبيق المشاريع الذهنية على أرض الواقع .

---

١١٦ قال النووي في شرحه على صحيح مسلم (١/ ١٠٥) : ((وأمَّا الطاعون ، فوباء معروف ، وهو بَثْر ، وورم مؤلم جدًّا يخرج مع لهب ، ويَسْوَدُّ ما حَوْله أو يَخْضَرُّ أو يَحْمَرُّ حُمرة بنفسجية كَدِرة ، ويحصل معه خفقان القلب والقَيء)) اهـ . وقال العَيني في عمدة القاري (١٤/ ١٢٩) : ((وإنما سُمي طاعونًا لعموم مُصابه وسُرعة قَتله)) اهـ .

ثانيًا : اضطهاد الأنبياء وقتلهم

لا نَكون ظالمين إذا قُلنا إن مهنةَ اليهود هي قتلُ الأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام_، فلم يَعرف التاريخُ فئةً مُتخصصةً في قتلِ الأنبياء والرُّسل كاليهود . إنهم مُحترِفون في هذه الصَّنعة الكُفرية، التي تُرسِل صاحبها إلى جهنم خالدًا مُخَلَّدًا فيها ، ولا مجال للخروجِ مِنها . ومَن قَتَلَ نبيًّا فهو كافرٌ،وهالك،وخالد في النار،وقد أضاعَ الدنيا والآخرة معًا،ولا تُوجد فرصة للنجاة أو التعويض.

إن الاضطهاد فِعل وحشي غير إنساني ولا أخلاقي ، وهو تنفيذ واقعي للأفكار الشريرة الهادفة إلى خَنْق دَعوة الأنبياء ، ووَأدها في مَهْدها . والاضطهادُ له أشكال كثيرة ، وصُوَر مُتعدِّدة ، مِن أبرزها : التضييق المعنوي والمادي على الأنبياء ، وإغلاق الطُّرُق أمام الحق ، ومنع الناس من الوصول إليه ، والتصفية الجسدية دون وجه حق .

إن الاضطهاد حصارٌ بشع وهمجي ، ومرتبط بالشراسة والعنف والإرهاب والتطرف والترهيب والعذاب، فتضيق الأرضُ على دُعاة الحق بما رَحُبَتْ، وقَد يُصاب بعضُ الدُّعاة بالإحباط والضعف، ويَتَخَلَّوْنَ عن أهدافهم وأحلامهم ، ويَنسحبون من الحياة العامة ، ويَتركون طريقَ الدَّعوة الشاق .

ولكنَّ الأنبياءَ مُؤيَّدون بالوَحْي الإلهيِّ ، ومَحفوظون بأمر الله الذي أرسلهم ، ولن يتخلَّى عنهم، ولن يتركهم . ورغم كل الصعوبات والتحديات والعقبات في طريق الأنبياء، يبقى الأنبياءُ ثابتين معنويًّا وماديًّا ، لا يُهزَمون ، ولا يَتراجعون ، ولا يَستسلمون . قد يشعرون بالألم ، لكنهم لا ينكسرون . قد يُصابون بالمَرضِ والتعب ، لكنهم لا يَسْقطون . قد يُصابون في المعارك والحروب، لكنهم لا يُهزَمون ، وليس لديهم راية استسلام يرفعونها . وهذه المزايا ما كانوا لِيَحصلوا عليها لَوْلا تأييد الله لهم ، حيث إنه سُبحانَه وتعالى اختارهم مِن بين الناس ، وأيَّدهم ، وثبَّتهم ، واعتنى بهم ، ورعاهم ، ووفَّقهم إلى الحق والهدى والصواب . ورعايةُ الله لأنبيائه كاملة وشاملة لكل الأمور ، صغيرها وكبيرها . وإن لاحظتكَ عِنايةُ اللهِ تعالى فالوقتُ صافٍ والزمان أمان. لا قلق ولا اضطراب.

وإذا العِنايةُ لاحظتكَ عُيونُها   نَمْ فالحوادثُ كُلُّهُنَّ أمانُ

ومَن اعتنى اللهُ به ، ورعاه ، وهداه ، ووفَّقه ، وحَمَاه ، فإنه سَيصل إلى هدفه ، ويحصل على مطلوبه ، وهو غالب غير مَغلوب ، ومُنتصر غير مهزوم . ومؤامراتُ الأعداء ستكون في صالحه . فلا معنى للهَم والحزن والضِّيق والانكسار . ومَن كانَ اللهُ مَعَه ، سخَّر عناصرَ الكَوْن مِن أجله .

وقالَ اللهُ تعالى: ﴿ وَلَوْلا أن ثَبَّتنَاكَ لَقَد كِدتَ تَركَنُ إلَيهِم شَيئًا قَليلًا ﴾ [الإسراء: ٧٤] [١١٧] .

ثباتُ النبيِّ ﷺ ليس بذكائه ومهاراته الشخصية ، وإنما هو بِفَضل الله ورحمته . ومعنى الآية : لَوْلا أن ثَبَّتَكَ اللهُ يا محمد على الحق ، وعَصَمَكَ مِن فِتنة المشركين وإغرائهم ، لقد قَارَبْتَ أن تَميل إلَيهم شيئًا قَليلًا . والرُّكون هُوَ أدنى مَيْل .

والنبيُّ ﷺ مَعصوم مِن الوقوع في الفِتنة، والآيةُ تُعلِّم المؤمنين وتُحذِّرهم من الخضوع لانحرافات الكافرين والاستجابة لضغوطاتهم الدنيئة .

وقد يَقول أحدُهم: إنَّ النبيَّ ﷺ معصوم ، فكيفَ يَجوز أن يَقْرَب مِمَّا طَلَبوه وما طَلَبوه كُفْر؟.

هذا حَديثُ نَفْسٍ ، ومُجرَّد خاطر سريع في الصَّدْر ، لَم يَستقر في القلب . واللهُ يَغفِر حديثَ النَّفْس ، ولا يُؤاخِذ بِه . هذا رَأْي . والرأيُ الراجح ، هو أنَّ المعنى على النَّفْي التام ، أي إنَّه ﷺ لَم يَقْرَب مِمَّا طَلَبوه . إذْ إنَّ ﴿ لَوْلا ﴾ تُفيد انتفاءَ الشَّيء لوجود غَيْره . يعني : نَفْيُ الرُّكون القليل لوجود العِصمة . فلا يُوجد رُكون مُطْلَقًا . لا رُكون ولا مُقارَبة .

وقال القرطبي في تفسيره (١٠/ ٢٦٠) : ((وقِيل: ما كان مِنه هَمٌّ بالرُّكون إلَيهم، بَل المعنى : ولَوْلا فضل الله عَلَيك لَكَانَ مِنكَ مَيْلٌ إلى مُوافقتهم ، ولكن تَمَّ فَضْلُ الله عَلَيك فلم تَفعل، ذَكَره القُشَيري . وقال ابن عباس : كان رسول الله ﷺ مَعصومًا، ولكن هذا تعريف للأُمَّة لئلا يَرْكَن أحدٌ مِنهُم إلى المشركين في شَيء مِن أحكام الله تعالى وشَرائعه)) اهـ .

وقال البَيضاوي في تفسيره (١/ ٤٦٠) : ((﴿ وَلَوْلا أن ثَبَّتنَاكَ ﴾ ولَوْلا تَثبيتُنا إيَّاك . ﴿ لَقَد كِدتَ تَرْكَنُ إلَيهِم شَيئًا قَليلًا ﴾ لَقَارَبْتَ أن تَميل إلى اتِّباع مُرادهم.والمعنى أنَّكَ كُنتَ على صَدَد

---

١١٧ في البُرهان في علوم القرآن للزركشي (٤/ ١٣٧): ((فالمعنى على النَّفْي، وأنه ﷺ لَم يَرْكَنْ إلَيهم، لا قليلًا ولا كثيرًا ، مِن جهة أنَّ " لَوْلا " الامتناعية تَقتضي ذلك ، وأنه امتنع مُقارَبة الرُّكون القليل لأجل وُجود التثبيت،لِينتفيَ الكثيرُ مِن طريق الأَوْلَى. وتأمَّلْ كيف جاء "كاد" المقتضية الْمُقارَبة للفِعْل بِقَدْر الظاهرة للتقليل.كُلُّ ذلك تَعظيمًا لشأن النبيِّ ﷺ، وما جُبِلت عليه نَفْسُه الزَّكية مِن كَوْنه لا يَكاد يَرْكَن إلَيهم شَيئًا قليلًا للتثبيت مَعَ ما جُبِلت عَلَيه))اهـ. وفي تفسير القرطبي (١٠/ ٢٦٠) : ((قال قَتادة : لَمَّا نَزلت هذه الآية ، قال عليه السلام : " اللهمَّ لا تَكِلْني إلى نَفْسي طَرْفَةَ عَيْن ")) اهـ . وقد روى ابن حِبَّان في صحيحه (٣/ ٢٥٠) أنَّ النبيَّ ﷺ قال : ((اللهُمَّ رَحْمَتَكَ أرجو ، فلا تَكِلْني إلى نَفْسي طَرْفَةَ عَيْن ، وأَصْلِحْ لِي شَأني كُلَّه ، لا إلهَ إلا أنت)) .

الرُّكون إِلَيهم ، لِقُوَّة خَدْعِهم ، وشِدَّةِ احتيالهم ، لكن أَدْرَكَتْكَ عِصمتنا ، فَمُنِعْتَ أن تَقْرَب مِن الرُّكون ، فَضْلًا عَن أن تَرْكَن إِلَيهم ، وهو صريح في أنه _ عليه الصلاة والسلام_ ما هَمَّ بإجابتهم مَعَ قُوَّة الدَّواعي إِلَيها ، ودليل على أنَّ العِصْمة بتوفيق اللهِ وحِفظه)) اهـ .

كان إغراءُ المشركين شديدًا، واحتيالُهم واضحًا، وإلحاحُهم قَوِيًّا. ولَوْلا تثبيت اللهِ للنبيِّ ﷺ على الحق بالعِصْمة لَقَارَبَ أن يَميل إِلَيهم . وهذا صريحٌ في أنَّه ﷺ لَم يَرْكَنْ ولا قَارَبَ .

وقال عِياض في الشِّفا (١/ ٢٨) : ((قال بعضُ المتكلِّمين : عَاتبَ اللهُ تعالى الأنبياءَ عليهم السلام بعد الزَّلات ، وعاتبَ نَبِيَّنا عليه السلام قَبْل وُقوعه ، لِيَكون بذلك أشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة ، وهذه غاية العناية . ثُمَّ انظُر كيف بَدأ بثباته وسلامته قبل ذِكْر ما عَاتَبَه عَلَيه ، وخِيفَ أن يَركن إِلَيه ، ففي أثناء عَتَبه براءتُه ، وفي طَيِّ تَخويفه تأمينُه وكرامته)) اهـ .

إن التثبيت الإلهيَّ للنبيِّ ﷺ هو المَنارة الهادية . وبدونه لا يمكن للأنبياء أن يتحركوا في مجال الدعوة والإرشاد.فالعِصمةُ هي التي تحفظ مقامَ النُّبُوَّة في وجه التحديات الهائلة والعقبات الصعبة.

والنبيُّ ﷺ معصومٌ ، ولكن هذا إرشاد للأُمَّة بأن لا يَركَن أحدٌ منهم إلى الكافرين الذين يحاولون استقطاب الأتباع والأذناب وَفْقَ منهجية الإغراء المُعتمِدة على المال والإغراءات ، واستخدام الشَّهوات المُحبَّبة للنَّفْس .

وفي الآية دليل على وجوب الثبات على العقيدة الإسلامية ، وعدم إدخال المُجامَلات فيها، أو موافقة الكافرين. بل من الواجب مُخالفتهم في كل أمر باطل ومُحرَّم ، سواءٌ كان صغيرًا أم كبيرًا.

والإسلام (الدِّين السماوي الوحيد) ضِد كُل الانحرافات الموجودة في اليهودية والنصرانية . ولا يُمكن مُقارَنة الإسلام (الدِّين الوحيد المقبول عند الله) بالأديان الوضعية الأرضية البشرية كاليهودية والنصرانية وغَيرهما . لذلك كانت الهُوية الدينية الإسلامية مُتميِّزة ، ومُتفوِّقة ، ومُكتفية بنفْسها، وقائمة بذاتها، لأنها كاملة ومتكاملة، وتَملك الحقَّ المُطْلَق ، وغير مُصابة بالعَجْز والضعف أمام الهُويات الدينية الأخرى ، وغير مُصابة بعُقدة الشُّعور بالنقص أمام الديانات الأُخرى [١١٨] .

١١٨ مِن المبادئ الإسلامية الأساسية مُخالفةُ الكُفار في عقائدهم، وعاداتهم، وثقافاتهم ، لأن الإسلام هو صاحب السِّيادة والهيمنة على باقي الأديان، بغض النظر عن عِزَّة المسلمين أو ذُلِّهم. والمسلمون هُم الذين يتنقلون في أطوار الانتصار والهزيمة ، والمجد والعارِ ، والتقدم والتخلف . أمَّا الإسلام فهو في قِمَّة المجد والعَظَمَة،سواءٌ انتصرَ المسلمون أم هُزِمُوا . والإسلامُ هو الغالبُ والقاهرُ دائمًا وأبدًا . يَعلو ولا يُعلَى عليه.

إن شخصية المسلم الحقيقي مُتميِّزة ومُتفرِّدة ومُتفوِّقة ، بلا غُرور ولا استكبار ولا خُرافة نَقاء العِرْق . فالمسلمُ واثق بالله ، ومُعتز بإسلامه ، وفخور بأخلاقه الحميدة . وهذه هي العِزَّة الإسلامية بلا كِبْر، والشُّموخ بدون احتقار للآخرين ، ولا تكبُّر عليهم . ولا شَكَّ أن العِزَّة والشُّموخ هُما ثمرتا التطبيق العملي للعقيدة الإسلامية . وهذه العقيدةُ المُقدَّسة يجب أن تترافق مع السلوك القويم .

وعن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال : إن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ اليهودَ والنَّصارى لا يَصْبُغون فخالفوهم)) [١١٩] .

---

١١٩ متفق عليه . البخاري (٣/١٢٧٥) برقم (٣٢٧٥) ، ومسلم (٣/١٦٦٣) برقم (٢١٠٣). وقال الحافظ في الفتح (٦/ ٤٩٩) : ((" إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم " يقتضي مشروعية الصَّبغ، والمراد به صَبغ شَيْب اللحية والرأس. ولا يُعارضه ما ورد من النهي عن إزالة الشَّيْب، لأن الصَّبغ لا يقتضي الإزالة، ثم إن المأذون فيه مُقيَّد بغير السواد لما أخرجه مسلم ــ (٣/ ١٦٦٣) برقم (٢١٠٢) ــ من حديث جابر أنه ﷺ قال : ((غَيِّروه وَجَنِّبوه السواد)).ولأبي داود ــ (٢/ ٤٨٦) برقم (٤٢١٢) ــ وصَحَّحه ابن حِبَّان من حديث ابن عباس مرفوعًا : ((يَكون قوم في آخر الزمان يَخْضِبُون كحواصل الحمَام ، لا يجدون ريح الجنة)) ، وإسناده قوي ... ولهذا اختار النووي أن الصبغ بالسواد يُكره كراهية تحريم . وعن الحليمي أن الكراهة خاصة بالرجال دون النساء، فيجوز ذلك للمرأة لأجل زوجها ... وليس المراد بالصبغ في هذا الحديث صبغ الثياب ولا خضب اليدين والرجلين بالحناء مثلًا، لأن اليهود والنصارى لا يتركون ذلك . وقد صرَّح الشافعية بتحريم لبس الثياب المزعفرة للرَّجل،وبتحريم خضب الرجال أيديهم وأرجلهم إلا للتداوي)) اهـ . وقال السُّيوطي في شرحه على صحيح مسلم (٥/ ١٤٣): ((قال القاضي ــ عِياض ــ اختلف السلف من الصحابة والتابعين في الخِضَاب، فقال بعضهم : ترك الخضاب أفضل ، ورَوَوْا فيه حديثًا مرفوعًا في النهي عن تغيير الشيب، ولأنه ﷺ لم يُغيِّر شَيبَه، ورُوِيَ هذا عن عمر وعلي وأُبَي وآخرين . وقال آخرون : الخِضَاب أفضل، وخَضَبَ جماعة من الصحابة. قال : قال الطبري : الأحاديث في الأمر بتغيير الشيب والنهي عنه كلها صحيحة ، وليس فيها تناقض ، ولا ناسخ ومنسوخ ، بل الأمر بالتغيير لمن شَيْبه كشيب أبي قُحافة ، والنهي لمن شمط فقط . قال : واختلاف فِعل السلف في الأمرين بحسَب اختلاف أحوالهم ، ولهذا لم يُنكر بعضهم على بعض، قاله القاضي . وقال غيره : هو على حالَيْن ، فمن كان في موضع عادة أهله الصبغ أو تركه فخروجه عن العادة شُهرة ومكروه ، والثاني أن يختلف باختلاف نظافة المشيب ، فمن كانت شَيْبته نقية أحسن منها مصبوغة ، فالترك أَوْلى ، =

والأمرُ غَير مَقصورٍ على الصَّبْغ ، بل يُستفاد مِن الحديث مُخالفة اليهود والنصارى وغير المسلمين في كُل عاداتهم وسُلوكياتهم ، إلا إذا وَرد نَص شرعيٌّ يُقِرُّها ، فعندئذ تُعتبر عادات الكافرين ضمن المنظومة الإسلامية الشرعية .

والمنهجُ الإسلاميُّ واضحٌ في مُخالفة الكافرين ، والشريعةُ الإسلامية كاملة بنفْسها ، وقائمة بذاتها ، والمسلمُ مُميَّز ، ومُعتز بدينه وهُويته وتاريخه وقِيَمه . لا يُقلِّد الآخرين ، ولا يَستورد عادات الأمم والشعوب ، وليس مُصَابًا بِعُقدة الشعور بالنقص ولا عُقدة الخواجة . وهذه هي أركان الشخصية الإسلامية المُتعالية بلا تكبُّر ، والواثقة بلا غُرور ، والتَّقِيَّة بدون خُرافة نَقاءِ العِرْق .

إن الله اختارَ الأنبياء من بني البشر، وأيَّدهم بالوَحْي الإلهيِّ، واعتنى بهم، ورعاهم ، وحَمَاهم . وعندما يُقتَل نبيٌّ ، فهذا لا يعني البَتَّة أن الله تَخَلَّى عنه أو خَذله أو تركه لمصيره . إنها عملية رفع مَقام لهذا النبيِّ في الدنيا والآخرة . لقد ضحَّى بحياته في الدنيا في سبيل الله ، ومِن أجل نشر الدَّعوة الإسلامية . وفي الآخرة ، سيحصل على المكانة العظيمة والمنزلة الرفيعة والنعيم الأبديِّ .

والألمُ والمُعاناة في طريق الدَّعوة لنشر الإسلام ، يَرفعان مَقامَ العبد . واللهُ يُريد أن يُعلِّم الناسَ أن الأنبياء (زعماء الإنسانية وسادة البشرية) تعرَّضوا للأذى الشديد ، والألم العميق ، وعَانَوْا أشدَّ المُعاناة في سبيل الله ، وكثير منهم دفع حياته ثمنًا لنشر الدعوة الإسلامية . وقد كانوا طيلة حياتهم ثابتين على الحق ، لا يلينون ، ولا يَضعُفون ، ولا يَستسلمون . إنهم القُدوة العُليا والأُسْوَة الحسنة والمَثَل السَّامي ، وعلى المؤمنين أن يَقتدوا بهم ، ويسيروا على خُطاهم ، ويَهتدوا بِهَدْيهم ، في التَّمَسُّك بالإسلام ، ونشر الدَّعوة ، والدفاع عن الحق والفضيلة ، ومُساعدة الناس وإرشادهم .

فَتَشَبَّهُوا إن لم تَكُونوا مِثْلَهُم　　　إنَّ التَّشَبُّهَ بالكِرامِ فَلاحُ

وقَتَلَةُ الأنبياء لن يَهْربوا بِفِعْلتهم الشنيعة. إنهم مُجَلَّلون بالخِزي والعار في الدنيا ، وفي الآخرة لهم عذاب النار الدائم بلا انقطاع،وهُم خالدون في جهنم،ولا أمل في النجاة،ولا فرصة للتَّعويض . ولا أحد يَهْرُب مِن الله تعالى. ومَن استطاعَ الهربَ بفِعلته في الدنيا، لن يَستطيع الهرب في الآخرة.

=ومن كانت شَيْبته تُستبشع ، فالصبغ أَوْلى . وقال النووي : الأصح الأوفق للسُّنة وهو مذهبنا ، استحباب خِضاب الشَّيْب للرَّجل والمرأة بحُمرة أو صُفرة ، ويَحرم خِضابه بالسواد ، وقيل : يُكرَه)) .

قالَ اللهُ تعالى:﴿ ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لانتَصَرَ مِنهُم وَلَكِن لِيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [مُحمَّد: ٤].

لو شاءَ اللهُ لقضى على الكافرين ، وأزالَ سُلطانهم ، وجعلَ السِّيادة للمسلمين دون أن يَتعبوا ، ولكنَّ الحِكمة الإلهية اقتضتْ أن يَكون الجِهاد والأخذ بالأسباب والجِد والاجتهاد هي العوامل الأساسية في الصِّراع مع الأعداء ، من أجل اختبار الأَفراد ، وتمييز الصادق من الكاذب ، فيصير قَتلى المؤمنين إلى الثواب ونعيم الجنة ، ويصير قَتْلى الكافرين إلى العقاب وعذاب النار .

واللهُ قادرٌ على الانتقام من الكافرين ، وتدميرهم ، وإهلاكهم ، وتعذيبهم ، دُون أن يقوم المؤمنون بقتالهم . ولكنه سُبحانَه أمرَ بجهاد أعدائه لاختبار إيمان المؤمنين ، وامتحانهم ، وكشف قُدرتهم على الصمود والثبات، فيَعلم المُجاهدين الصادقين الصابرين على الألم والشِّدة والابتلاء ، ويَمنحهم المجدَ والشرف في الدنيا ، ويُكْرِمهم بالشَّهادة ، ويُعظِم لهم الأجرَ والثوابَ في الآخرة ، ويُدخِلهم الجنة ، ويُخزي الكافرين بالقتل والعذاب ، ويُعذِّبهم بأيدي المؤمنين . ويُعْلِي كلمةَ الحق على كلمة الباطل .

وقال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٢١) : ((ولو شاءَ اللهُ لانتقمَ من الكافرين بعقوبة ونَكال من عنده ... ولكن شَرَعَ لكم الجهاد وقتال الأعداء ليختبركم ويَبْلوَ أخباركم)) اهـ . وفي حاشية ابن عابدين (٧/ ١٦٢) : ((اعلم أن من القواعد القطعية في العقائد الشرعية أن قتل الأنبياء ، أو طعنهم في الأشياء، كُفر بإجماع العلماء. فَمَن قَتل نَبِيًّا، أو قَتله نبيٌّ فهو أشقى الأشقياء)) اهـ .

إن الأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ معصومون ، ولا يَتحدَّثون باسمهم ، بل يتحدثون باسم الله الذي أرسلهم ، فهُم يَتَلَقَّوْنَ الوَحْيَ الإلهيَّ ، ويُمثِّلون الشريعةَ الإسلامية القائمة على التَّوحيد ، ويُطبِّقونها على أرض الواقع . لذلك ، إن الطعن فيهم ، أو الاعتداء عليهم بأي شكل ، يُعتبَر رفضًا لأوامر الله ، واستكبارًا عليه ، وتمرُّدًا على شريعته . وهذا هو الكُفرُ بعَيْنه .

إن الله يَعتني بأنبيائه ورُسله ، ويَرْعاهم ، ويُؤيِّدهم ، ولا يَتركهم . فهُم صَفوة خَلْقه ، وزعماء البشرية ، وقادة الإنسانية . وهذه حقيقة واقعية ، وليست شعارًا برَّاقًا مُفرَغًا مِن معناه . وإذا أدركنا هذه الحقيقةَ بشكل كامل ، عَرَفْنا البُعْدَ الخُرافي الأسطوري في النص الإنجيلي الباطل : ((وفي الساعة الثالثة ، صَرخ يَسوعُ بصوت عظيم: ((أَلُوِي أَلُوِي ، لَمَا شَبَقتَني ؟)) أي: ((إلهي إلهي ، لماذا تركتني ؟)))) [مَرقُس ١٥: ٣٤].

هذا النص الإنجيلي المُحرَّف مُصَادِم للنقل والعقل معًا ، وضِد الحقيقة . وفيه إساءة إلى الله وأنبيائه الكرام.فالنصُّ يَزعم أن الله يتخلَّى عن أنبيائه ورُسله ، ويتركهم لمصيرهم المجهول وَحْدَهم.

إن هذا النص الإنجيلي الباطل قائم على الوقاحة والتطاوُل وعدم الأدب ، وهذه المعاني السيئة تَمَّ إسنادها إلى المسيح ﷺ ، وهو نبيٌّ معصوم ، ورسول كريم ، وعَالِم بالسُّنن الإلهية التي لا تتبدَّل ولا تتغيَّر . وعِلْمُ المسيح يَقُوده إلى اليقين التام والحقيقة الحتمية اللازمة ، وهي أن الله لا يتخلَّى عن أنبيائه ورُسله في الدنيا والآخرةِ ، والمُرْسِل لا يَترك رَسُولَه. والأنبياءُ أعلم الناس بالله، ويُخاطبونه بأدب واحترام وتعظيم ، ولا يُخاطبونه بوقاحة وسُوء أدب ، ولا يَنسِبون معاني الشر إلى الله المُنَزَّه عن العُيوب والنقائص .

ومِن أجل معرفة بُطلان الإنجيل البشري المُحرَّف ، ينبغي مُقارَنة النص الإنجيلي الذي يَزعم أن الله تخلَّى عن المسيح وتركه لمصيره وَحْدَه بلا مُساعدة ولا إعانة ، بالآية القرآنية التي يُخاطِب اللهُ فيها مُوسى وهارون : ﴿ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرى ﴾ [طه : ٤٦] .

إن الله أرسلَ مُوسى وهارون _ عليهما الصلاة والسلام _ إلى فِرْعَوْن ، ولم يَتركهما ، وقد طَمْأنهما : لا تخافا مِن سَطْوة فِرْعَوْن وبَطْشه ، ولا تَقْلَقا ، إنني مَعكما بالنُّصرة والتأييد والإعانة ، أسمعُ أقوالكم ، وأرى أفعالكم . واللهُ لا تخفى عليه خافية ، ولا يَغيب عنه شيء ، وهو حافظ أنبيائه ، ومُؤيِّدهم ، وناصرهم ، ومُعينهم . لا يتخلَّى عنهم ، ولا يَخذلهم ، ولا يتركهم .

إن مُوسى وهارون واثقان بالله ، لذلك لم يقولا : لماذا تتركنا نواجه هذا المصير ؟ ، أو : لماذا تُلْقِينا إلى الهلاك ؟ . أو : لماذا تتخلَّى عنَّا ؟ . إن الله اختارهما وأرسلهما إلى فِرْعَوْن ، وطَمْأنهما بأنه معهما، يَسمع ويَرى ويُدافع عنهما.والطاغيةُ فِرْعَوْن مقهور في قَبضة الله، خاضع لأمره وحُكمه.

قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٠٨) : ((أي : لا تخافا مِنه ، فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه ، وأرى مكانكما ومكانه ، لا يخفى عليَّ من أمركم شيء ، واعلما أن ناصيته بيدي ، فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا بإذني وبعد أمري ، وأنا معكما بحِفظي ونصري وتأييدي)) اهـ .

إن الكذبة الكُبرى التي أوردها مَرْقُس في إنجيله المُزوَّر مكشوفة ومفضوحة ، وهي تُسيء إلى المسيح أوَّلًا وأخيرًا ، فهي تُصوِّر المسيحَ كشخص عامي جاهل ، يُخاطب الله بوقاحة وسُوء أدب، ويَعتقد أن الله تركه لمصيره ، وتخلَّى عنه ، وخَذله . وهذا موقف ميثولوجي خرافي لا أساس له من الصِّحة ، ورُبَّما كان مَرْقُس يَرْمي من وراء ذلك إلى اختراع مأساة مُؤلمة ، تتكامل فيها عناصر تراجيدية وَهمية مُستقاة من الوهم الذهنيِّ ، وتصوير ألم المسيح ومُعاناته ، حيث إن الله أرسله ونَسِيَه ، وتخلَّى عنه ، وتركه لمصيره المجهول . وها هُوَ المسيح يتألم وحيدًا ، بعد أن تخلَّى اللهُ عنه ، وتخلَّى عنه الناسُ .

وهذه المسرحية التراجيدية التي اخترعها مَرْقُس تتماهى مع سِماتِ المأساة والتضحية والكَفَّارة والفِداء والصَّلب والإهانة.وهذه المعاني الوهمية الباطلة تُمثِّل الأساسَ الفلسفي للإنجيل المُحرَّف.

إن الكُفر هو الخلفية الفكرية لقتل الأنبياء_ عليهم الصلاة والسلام_. وليس بعد الكفر ذَنْب.

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيهِمُ الذِّلَّةُ وَالمَسْكَنَةُ وبَاؤوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُم كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وكَانُوا يَعْتَدُون ﴾ [البقرة : ٦١] .

فُرِضَتْ على اليهود الذِّلة والمَسْكَنةُ ، ووُضِعَتْ عليهم ، وأُلْزِمُوا بها ، شَرْعًا وَقَدَرًا . والذِّلَّةُ هي الذُّل والصَّغار. والمَسْكَنةُ هي الفقر. وسُمِّيَ الفقير مِسْكينًا ، لأن الفقرَ أسكنه وأقعده عن الحركة.

واليهودُ غارقون في الخِزي والعار والذُّل والمهانة. حتى وإن كانوا أغنياء، فإنهم يَظهرون كأنهم فقراء ومحتاجون بسبب ذُلِّهم ومهانتهم ، وحِرصهم على المال ، وعبادتهم له ، وتقديسهم للمادة.

وقد غضبَ اللهُ عليهم ، ولعنهم ، وأخزاهم ، وأذَلَّهم ، واستحقوا هذه العقوبات الإلهية ، لأنهم كانوا يَجحدون آياتِ الله ، ويُكذِّبون بها ، ويَكْفرون بالقُرآن والإنجيل ، ويُنكِرون صفةَ محمد الثابتة في التَّوراة، ويَرْفضون مُعجِزات الأنبياء ، ويَقتلونهم بلا ذَنْب ولا جريمة ، كإشَعْياء وزكريا ويحيى . واليهودُ قَتلوا الأنبياءَ ظُلْمًا وعُدوانًا، واتِّبَاعًا للأهواء الذاتية،والمصالح الشخصية، وحِرْصًا على جمع حُطام الدنيا الفاني .

والأنبياءُ مُؤيَّدون بالوَحْي، ومَعصومون ، وطاهرون ، ومُطهَّرون ، ومُنَزَّهُون عن الذنوب والخطايا والآثام والعُيوب والنقائص.وقد أرسلهم اللهُ لهداية الناس وإرشادهم وإنقاذهم وإخراجهم من ظُلمات الجهل والكفر إلى نُور العِلم والإيمان . ولم يَأتِ نبيٌّ بشيء يُوجب قتله . ولا يُوجد نبيٌّ قُتِلَ بحق ، وإنما يُقتَل بسبب دفاعه عن الحق ، وثباته عليه ، وتمسُّكه به . والآيةُ : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الحَقِّ ﴾ وَصْف لقُبح جريمة قتل الأنبياء ، حيث كان اليهودُ يَقتلونهم ظُلْمًا بلا ذَنْب ، جاحدين لِنُبُوَّتهم ، مُنكِرين لرسالتهم . وليس المعنى للتفريق : هناك قتل للأنبياء بحق ، وهناك قتل لهم بغير حق. ولا يُوجد نبيٌّ قُتِلَ بحق ، وإنما قُتِلَ على الحق . وهذا التَّقييد ﴿ بِغَيْرِ الحَقِّ ﴾ للدَّلالة على أن اليهود أنفسهم كانوا يَعتقدون أن قَتلهم للأنبياء بغير الحق . ولا يُوجد عاقل يَعتقد أن الأنبياء مُستحقون للقتل . وقد قامَ اليهودُ بقتل الأنبياء ، وارتكاب هذه الجريمة الشنيعة ، اتِّبَاعًا للأهواء والمصالح ، وحُبًّا للدنيا . وهذا يدل على غرقهم في الذنوب والآثام والمعاصي .

واللهُ قادر على حماية أنبيائه من القتل، ولكن هذا رَفْع لدرجات الأنبياء ، وكرامة لهم ، وزيادة في أجرهم وثوابهم ومنازلهم العظيمة في الجنة. وإذا كان الشهداء يُضَحُّون بحياتهم في سبيل الله ،

فما بالك بالأنبياء الذين يَفوقون الشُّهداءَ مجدًا ومكانةً ؟! . والأنبياءُ سادة البشرية ، وزعماء الناس، والقُدوة العُليا ، والمَثَل الأسمى ، والأُسْوُة الحسنة.وقال القرطبي في تفسيره (١/ ٤٦٠) :

((قَوله تعالى : ﴿ بِغَيْرِ الحَقِّ ﴾ تعظيم للشُّنْعة والذَّنْب الذي أَتَوْه . فإن قِيل : هذا دليل على أنه قد يَصِح أن يَقتلوا بالحق ، ومعلوم أن الأنبياء معصومون مِن أن يَصْدُر منهم ما يُقتَلون به، قِيل له : ليس كذلك ، وإنما خرج هذا مخرج الصفة لقتلهم أنه ظُلم ، وليس بحق ، فكان هذا تعظيمًا للشُّنْعة عليهم، ومعلوم أنه لا يُقتَل نبيٌّ بحق، ولكن يُقتَل على الحق، فصرَّح قَوله: ﴿ بِغَيْرِ الحَقِّ ﴾ عن شُنْعة الذَّنْب ووضوحه ، ولم يأت نبيٌّ قَط بشيء يُوجب قتله . فإن قِيل : كيف جاز أن يُخلَّى بين الكافرين وقتل الأنبياء ؟ . قِيل : ذلك كرامة لهم ، وزيادة في منازلهم ، كمثل مَن يُقتَل في سبيل الله مِن المؤمنين ، وليس ذلك بخِذلان لهم . قال ابن عباس والحسن : لم يُقتَل نبيٌّ قَط مِن الأنبياء إلا مَن لم يُؤمَر بقتال ، وكُل مَن أُمِرَ بقتال نُصِر)) اهـ .

ذلك بعِصيان اليهود وكفرهم وارتكابهم المعاصي . والاعتداءُ مُجاوزة القَدْر في كل شيء .

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ١٤٥): ((يقول تعالى: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيهِمُ الذِّلَّةُ وَالمَسْكَنَةُ ﴾ أي : وُضِعَتْ عليهم ، وأُلْزِمُوا بها شَرْعًا وقَدَرًا ، أي : لا يزالون مُستذلين . مَن وَجدهم استذلَّهم وأهانهم وضَرب عليهم الصَّغار (الذُّل) ، وهُم مع ذلك في أنفسهم أذلاء مُتمسكنون . قال الضَّحاك عن ابن عباس : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيهِمُ الذِّلَّةُ وَالمَسْكَنَةُ ﴾ ، قال : هُم أصحاب النيالات ، يعني : الجِزْية . وقال عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الحسن وقتادة في قوله تعالى : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيهِمُ الذِّلَّةُ ﴾ . قال: يُعْطُون الجِزيةَ عن يَد وهُم صاغرون . وقال الضَّحاك : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيهِمُ الذِّلَّةُ ﴾، قال : الذُّل . وقال الحسن : أَذَلَّهم اللهُ ، فلا مَنَعَة لهم ، وجَعَلَهم تحت أقدام المسلمين ، ولقد أدركتهم هذه الأُمَّة وإن المَجُوس لتجبيهم الجِزية . وقال أبو العالية والربيع بن أنس والسُّدي : المسكنة الفاقة ، وقال عطية العَوفي : الخَراج . وقال الضَّحاك : الجِزية . وقَوله تعالى : ﴿ وبَاؤوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ﴾ . قال الضَّحاك : استحقوا الغضب من الله . وقال الربيع بن أنس : فحدث عليهم غضب من الله . وقال سعيد بن جُبَير : ﴿ وبَاؤوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ﴾ يقول : استوجبوا سخطًا. وقال ابن جرير : يعني بقوله : ﴿ وبَاؤوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ﴾ انصرفوا ورجعوا ... . فمعنى الكلام : إذا رجعوا مُنصرفين مُتحملين غضب الله ، قد صار عليهم من الله غضب ، ووَجب عليهم من الله سخط . وقَوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُم كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الحَقِّ ﴾ يقول تعالى : هذا الذي جَازَيْناهم مِن الذِّلة والمَسْكَنة وإحلال الغضب بهم مِن الذِّلة ، بسبب استكبارهم

عن اتباع الحق ، وكُفرهم بآيات الله ، وإهانتهم حَمَلة الشَّرع وهُم الأنبياء وأتباعهم ، فانتقصوهم إلى أن أفضى بهم الحال إلى أن قتلوهم ، فلا كفر أعظم من هذا ، إنهم كفروا بآيات الله ، وقتلوا أنبياء الله بغير الحق... . لَمَّا ارتكب بنو إسرائيل ما ارتكبوه من الكفر بآيات الله ، وقتلهم أنبياءه ، أحَلَّ اللهُ بهم بأسه الذي لا يُرَد ، وكساهم ذُلًّا في الدنيا مَوصولًا بِذُل الآخرة جَزاءً وِفَاقًا . قال أبو داود الطيالسي : حدَّثنا شُعبة عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي مَعْمَر عن عبد الله بن مسعود قال : كانت بنو إسرائيل في اليوم تقتل ثلاثمائة نبيٍّ ، ثُم يُقيمون سُوق بَقْلهم من آخر النهار . وقد قال الإمام أحمد : حَدَّثَنا عبد الصمد حَدَّثَنا أبان حدثنا عاصم عن أبي وائل عن عبد الله يعني ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : " أشد الناس عذابًا يوم القيامة رَجل قتله نبيٌّ ، أو قَتل نبيًّا ، وإمام ضَلالة ، ومُمثِّل من المُمثِّلين " . وقَوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وكَانُوا يَعْتَدُون ﴾ ، وهذه عِلَّة أخرى في مُجازاتهم بما جُوزوا به ، أنهم كانوا يَعْصُون ويَعتدون ، فالعِصيان فعل المَنَاهي ، والاعتداء المُجاوزة في حَد المأذون فيه والمأمور به ، والله أعلم)) اهـ .

إن قتل الأنبياء ظُلْمًا وعُدوانًا بلا ذَنْب مِنهم ولا جريمة ، كان نتيجةً لكفر اليهود وضلالهم ، وتكذيبهم بآيات الله ، وليس بعد الكفر ذَنْب . وغيابُ الهداية الإلهية عن عقول اليهود وقلوبهم أدى إلى انحراف تفكيرهم، وسَيْرهم في طريق الكفر والضلال والعِناد والاستكبار والذنوب والآثام، مُحاولين استئصال الدعوة الإسلامية ، عن طريق قتل الأنبياء حاملي كلمةَ الله إلى الناس .

وقد كان باستطاعة اليهود أن يُناقشوا الأنبياءَ ، ويَتحاوروا معهم، ويُجادلوهم بالتي هي أحسن . وبعد الحوار القائم على الأدب والأدلة والبراهين ، يختارون ما يريدون ، إمَّا الإيمان وإمَّا الكفر . لكنهم اختاروا الكفرَ بآيات الله وقتل الأنبياء . وهذا يُشير إلى موقفهم المُسْبق الرافض للنُّور الإلهيِّ . فهُم لا يَبحثون عن الحق ، وإنما يبحثون عن مصالحهم وكيفية الحفاظ عليها بأي ثمن .

وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٣٣١) : ((﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيهِمُ الذِّلَّةُ وَالمَسْكَنَةُ ﴾ أُحِيطت بهم إحاطة القُبَّة بِمَن ضُرِبَتْ عليه ، أو أُلْصِقَت بهم . مِن : ضَرَبَ الطينَ على الحائط. مُجازاة لهم على كُفران النِّعمة . واليهودُ في غالب الأمر أذلاء مساكين ، إمَّا على الحقيقة ، أو على التكلف مَخافة أن تُضَاعَف جِزْيتهم ، ﴿ وبَاؤوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ﴾ رجعوا به ، أو صاروا أحِقَّاء بغضبه ... . ﴿ ذَلِكَ ﴾ إشارة إلى ما سَبَقَ مِن ضَرْب الذِّلة والمَسْكنة والبَوْء (الرجوع) بالغضب ﴿ بِأَنَّهُم كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الحَقِّ ﴾ بسبب كُفرهم بالمُعجزات التي مِن جُملتها ما عَدَّ عليهم مِن فَلْق البحر ، وإظلال الغمام ، وإنزال المَن والسَّلوى ، وانفجار العُيون مِن الحَجَر ، أو

بالكُتب المُنزلة : كالإنجيل والفُرقان ، وآية الرَّجْم ، والتي فيها نَعْت محمد ﷺ مِن التَّوراة ، وقَتْلهم الأنبياء ، فإنهم قتلوا إشَعْياء وزكريا ويحيى وغَيرهم بغير الحق عندهم ، إذ لم يَرَوْا منهم ما يعتقدون به جواز قَتْلهم ، وإنما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحُب الدنيا، كما أشار إليه بقَوله : ﴿ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وكَانُوا يَعْتَدُون ﴾ أي : جَرَّهم العِصيان والتمادي والاعتداء فيه إلى الكفر بالآيات ، وقتل النَّبيين ، فإن صِغار الذنوب سبب يُؤدِّي إلى ارتكاب كِبارها ، كما أن صِغار الطاعات أسباب مُؤدِّية إلى تحرِّي كِبارها . وقِيل : كَرَّر الإشارة للدَّلالة على أن ما لَحِقَهم كما هو بسبب الكفر والقتل ، فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله تعالى)) اهـ .

إن الكفر ليس موقفًا عابرًا يمرُّ دُون حساب أو عقاب . إن له ثمنًا باهظًا يجب دفعُه ، عاجلًا أو آجِلًا . واليهودُ حين اختاروا طريقَ الكفر ، فحاربوا اللهَ ، وقَتلوا أنبياءه ، حَلَّ عليهم العقابُ الإلهيُّ ، فَضُرِبَت عليهم الذِّلة والمَسْكَنة ، فهُم قومٌ أذلاء لأنهم أهانوا الحقَّ ، فأهانهم اللهُ تعالى . والجِزاءُ مِن جِنس العمل . ولو أنهم نَصروا الحقَّ ، لصاروا أعزَّ قومٍ ، وأعظم أُمَّة ، وأرقى شعب .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَمَن يُهِنِ اللهُ فما له مِن مُكْرِمٍ ﴾ [الحج : ١٨] .

أهانَ اللهُ اليهودَ وأذَلَّهم وأخزاهم ، ولَن يُكْرِمهم أحد مهما امتلكوا من الأموال ، والنفوذ ، والسُّلطة ، وأسباب القوة ، ووسائل الإعلام ، لأن هذه أعراض مُؤقَّتة وزائلة ، والعَرَضُ لا يَدُوم زَمَانَيْن، والدُّنيا دوَّارة، واللهُ يُدَاوِل الأيامَ بين الناس. والقويُّ لا يَظل قويًّا، والضعيف لا يَظل ضعيفًا.

وقال الطبري في تفسيره (٩/ ١٢٢) : ((يقول تعالى ذِكْرُه : ومَن يُهِنْهُ اللهُ مِن خَلْقه فَيُشْقِه ﴿ فما له مِن مُكْرِمٍ ﴾ بالسعادة يُسْعِده بها ، لأن الأمور كُلَّها بيد الله ، يُوفِّق مَن يشاء لطاعته ، ويَخذل مَن يشاء ، ويُشْقِي مَن أراد ، ويُسْعِد مَن أحب)) اهـ .

إن اليهود خَسِروا كُلَّ شيء ، وأضاعوا الدنيا والآخرةَ . وقتلُ الأنبياء بالنسبة إليهم تحصيل حاصل ، وليس بعد الكفر ذَنْب . وقد غرقوا في فسادهم ، ورفضوا الإيمان، والغريقُ لا يَخشى البَلَل ، كما أن الغريق الذي لا يُبالي بوجود طَوْق نجاة ، ولا يَبحث عن مُنقِذ ، سوف يُوغل في عناده واستكباره ، لدرجة أنه لو رأى شخصًا مارًّا لمنعته نَفْسُه أن يَطلب مِنه الغَوث والمساعدة والنجدة ، عِنادًا واعتدادًا أحمق بهذه النَّفْس المُتَغَطْرِسة .

واليهودُ الذين قَتلوا الأنبياءَ الكرام ، كان يُنكِرون نُبُوَّتهم ، ويَجحدون رسالاتهم ، ولم يعترفوا بهم ، ولم يَحرصوا على تعاليمهم وإرشاداتهم . إنهم أشخاص فقدوا قيمةَ الإنسانية ، فسقطوا في انتكاسة أخلاقية عنيفة ، ولم يُحاولوا الخروجَ منها . وإذا لم يَسْتَحِ الإنسانُ ، فليفعل ما شاء .

والإرهابُ اليهوديُّ حقيقة ذهنية وواقعية ، ولَيس دِعاية مُغْرِضة ، أو اتهام زائف ، أو مُعاداة للسَّامِيَّة _كما يتصوَّر البعض _ . وإذا كان التاريخُ اليهوديُّ مُظْلِمًا وغارقًا في القتل وارتكاب الجرائم واقتراف الذنوب والخطايا ، فما ذَنْبُ الباحثين والمُؤرِّخين الذين يَدْرُسون هذا التاريخ الأسْوَد، ويُحلِّلونه لأخذ الدروس والعِبَر؟. إن اليهود أساؤوا إلى أنفسهم وأهانوها بارتكاب الجرائم.

وفي[مَتَّى ٥ : ١٢] قال المسيح عن اليهود:((فإنهم هكذا اضْطَهَدوا الأنبياءَ مِن قَبْلِكم!)).

إن منهج اليهود قائم على اضطهاد الأنبياء وقتلهم ، للتخلص منهم ، ووأد الدعوة في مَهْدها. والنصُّ الإنجيلي السابق يَفضح اليهودَ، ويُبيِّن إرهابهم وكُرههم لظهور الحق ، لأنه يتعارض مع أهوائهم المنحرفة، ويتصادم مع أمانيهم الكاذبة ، ويُهدِّد مصالحهم ومكتسباتهم المعنوية والمادية.

ووَفْق النص الإنجيلي ، إن كلام المسيح _ الذي فَضح اليهودَ وكشفَ جرائمهم _ علنيٌّ ، وقِيل على الملأ ، ليتم أخذُ الحِيطة والحذر ، والانتباه إلى ألاعيب اليهود وجرائمهم وذنوبهم . وهذا الأمرُ لا يُعالَج في الخفاء ، وإنما يُعالَج علانيةً لتحذير الناس وإرشادهم وتنبيههم ، وحماية أنفسهم من غدر اليهود وجرائمهم ، واعتمادهم " اضطهاد الأنبياء وقَتْلهم " منهجًا فكريًّا وحياتيًّا . ولا بُد من خطاب حازم وحاسم لمواجهة إرهاب اليهود ، واضطهادهم للأنبياء ، ووضع الأمور في نِصابها الصحيح ، ودراسة تاريخ اليهود المُظْلم لأخذ الدروس والعِبَر ، وتجنُّب الأخطاء والخطايا . والعاقلُ مَن اتَّعَظَ بِغَيْره ، والجاهل مَن اتَّعَظَ بنفسه . وقد وجَّه الإنجيلُ خطابًا شديد اللهجة ضِد اليهود ، وفضحهم ، وكشف جرائمهم ، وأظهرَ سيرتهم السَّيئة ومكانتهم الدُّونية: ((أيها الحيَّات ، أولادُ الأفاعي ! كيف تُفلتون من عِقاب جهنم؟ لذلك : ها أنا أُرسِل إليكم أنبياءَ وحُكماء ومُعلِّمين، فبعضهم تَقتلون وتَصلِبون ، وبعضهم تجلِدون في مجامعكم ، وتطاردونهم من مدينة إلى أخرى . وبهذا يقع عليكم كل دم زكيٍّ سُفك على الأرض : من دم هابيلَ البارِّ إلى دم زكريا بن بَرَخِيَّا الذي قتلتموه بين مِحراب الهَيكل والمَذبَح)) [مَتَّى ٢٣ : ٣٣_ ٣٦] [١٢٠] .

١٢٠ نُسِب هذا الكلام للمسيح ﷺ، والحقيقة أنه ليس كذلك. فالمسيح عبد الله ورسوله ، ولا يَمْلك أن يُرسِل الأنبياء، لأن مُرسِلهم هو اللهُ تعالى ، لكن مَتَّى حاول عبثًا تأليه المسيح ﷺ عبر إحاطته بالألوهية ، وجَعْله قادرًا على إرسال الأنبياء ، ومحاسبة الناس . والمسيحُ نبيٌّ كريم ، ورسول عظيم . وهذا يعني خُضوعه لله الذي أرسله . وكُل رسول خاضع لِمُرْسِلِه ، ولا يُوجد رسول يتحدَّث باسم نفْسه ، ويتَّخذ قرارات مِن تِلقاء نفْسه، وإنما يتحدَّث باسم الله الذي أرسله، ويُنفِّذ أوامر الله كاملةً بلا زيادة ولا نُقصان.

وَفْق النص الإنجيلي ، إن المسيح وجَّه خطابه لعلماء اليهود (الكَتَبَة والفَرِّيسيين المُرائين) ، وقد وصفهم بالحيَّات وأولاد الأفاعي ، وهذا يدل على أن اليهود (الأبناء والآباء) مُتَّصفون بالغَدْر والحِقد والمكر والخُبث والخِيانة وسُوء الأخلاق ، وغارقون في الجرائم والذنوب والآثام .

وإذا كان علماءُ اليهود وسادتهم وقادتهم الدينيون وزُعماؤهم الروحيون بهذا الإجرام والخُبث والخِسَّة والدَّناءة ، فما هو حال اليهود العاديين (الأتباع والجُهَّال والعوام) ؟ . وفي هذا دَلالة على أن فساد اليهود_ بالأساس _ متمركز في القادة والزعماء والرؤوس الكبيرة ، ثُمَّ ينسحب على عامة اليهود ، والناسُ تَبَعٌ لعلمائهم وزعمائهم . والجسدُ تابعٌ للرأس .

كيفَ تُفلتون أيها اليهود مِن عِقاب جهنم ؟ . لقد أرسلَ اللهُ إليكم أنبياءَ وحُكماء ومُعلِّمين ، فعاملتموهم أسوأ المُعاملة ، وأعلنتم عليهم الحرب ، وقَتلتم بعضهم . ووَفْق النص الإنجيلي ، إن اليهود ارتكبوا جرائم مُتنوعة ضِد الأنبياء والحُكماء والمُعلِّمين : القتل ، والصَّلْب ، والجَلْد ، والمُطاردة من مدينة إلى أُخرى . وهذا يدل على قسوة قلوبهم ، وشِدَّة إرهابهم ، وكثرة جرائمهم . وبسبب هذا التاريخ المُخزي من الجرائم والذنوب ، غرقوا في الدم ، وصارت سُمعتهم في الوَحْل.

والنصُّ الإنجيلي كشفَ إرهابَ اليهود، وفضح جرائمهم وعنادهم واستكبارهم. وهُم لم يكتفوا بالقتل ومُقدِّماته ، بل نَوَّعوا أساليبه . فهناك قَتلٌ وَصَلْب وجَلْد ومُطارَدة ، وجرائم أُخرى اخترعوها، وصارت منهجًا ثابتًا في حياتهم . وقد حَمَّلهم النَّصُّ الإنجيلي مسؤوليةَ كُل دم زكي سُفك على الأرض . إلا أن الإسلام يُعامِل الناسَ بالعدل سَواءٌ كانوا مؤمنين أم كافرين . وبالتالي لا نُحمِّل اليهودَ مسؤولية كل الجرائم التي ارتُكبت على الأرض ، فَكُلُّ إنسان يتحمَّل مسؤولية أعماله . واليهودُ يتحمَّلون مسؤوليةَ جرائمهم ، كما يتحمَّلون ذنوبَ مَن اقتدى بهم في ارتكاب الجرائم .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [الإسراء : ١٥] .

لا تُؤخَذ نَفْسٌ بِذَنْبِ غيرها ، بَيْدَ أن هناك مَن يَحمل إثمه وإثم رَعِيَّته إذا سَهَّل لهم ارتكاب المعاصي وغشَّهم وأفسدهم ، ولم يَرْعَ حقَّ الله فيهم . وكُل إنسان راعٍ ، ومسؤول عن رَعِيَّته .

إن قتل الأنبياء صار إجراءً روتينيًّا في أوساط اليهود بَدْءًا من رأس الهرم حتى القاعدة ، وهذا يدل على كفر اليهود وفسادهم وضلالهم وعنادهم واستكبارهم، وغرقهم في الذنوب والآثام، وقد استمرؤوا ارتكابَ الجرائم فلم تعد تُؤثِّر فيهم،وذلك بسبب غياب الوازع الديني والرادعِ الأخلاقي . وهُم يتعاملون بأريحية وسلاسة مع الجرائم وتبعاتها ، كأن شيئًا لم يكن . وللأسف ، صارَ اضطهاد الأنبياء وقتلهم عملًا عاديًّا ، لا يَدعو إلى القلق ، ولا يستحق الشعور بالذَّنْب .

والتَّعَوُّدُ على اقتراف الجرائم وارتكاب الذنوب والآثام ، يَطمس الفِطرةَ الإنسانية السليمة ، ويَجعل العُيون لا ترى الإثمَ ، ويَجعل القلوبَ لا تَشعر بالذَّنْب ولا تتأثَّر به ، ولا تندم عليه . وهكذا، تظهر أهمية تغيير البيئة إذا كانت البيئة لا تساعد على الخير والصلاح.والفردُ الباحث عن الحق،والحريص عليه، سَيَرْحل في طلبه،غير عابئ بالأهواء والمصالح الشخصية وصعوبات الرحلة.

ورَوى أبو داود الطيالسي بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود _ رضي الله عنه _ قال : ((كانت بنو إسرائيل في اليوم تَقتل ثلاث مئة نبيٍّ، ثُمَّ يُقيمون سُوقَ بَقْلهم مِن آخر النهار)) [١٢١].

هذه الوقاحة مَرجعها إلى تخصُّص اليهود في قتل الأنبياء ، وغرقهم في الجرائم والذنوب والآثام ، وقد وصلوا إلى درجة استمراء الإثم ، واعتباره أمرًا عاديًّا وشيئًا رُوتينيًّا ، لا يستحق الندم ، ولا يَدعو إلى القلق . وهذه المرحلة لا يصل إليها إلا مَن احترف القتلَ ، وخاض فيه بشكل روتيني اعتيادي مُتكرِّر دون أن يَتحرَّك له جَفْن، ولا يَشعر بألم أو ندم ، مِمَّا يُشير إلى قَسْوة قلوب اليهود، وانتكاسة بني إسرائيل على كافة المستويات،وغرقهم في مستنقع الكفر والضلال والعناد والمُكَابَرة.

وفي هذا دَلالة واضحة على تغلغل الإثم في نفوس اليهود ، واحترافهم للقتل والتصفية الجسدية ، كأسلوب حياتي وجودي ، لحماية مكتسباتهم المعنوية والمادية . واليهودُ كانوا يَقتلون الأنبياءَ بلا إثم ولا ذَنْب، اتِّبَاعًا لأهوائهم الذاتية ، وحِرْصًا على مصالحهم الشخصية ، وحُبًّا للدنيا.

وغرقهم في هذا المستنقع المُوحش العميق، جَعلهم لا يَشعرون بفداحة ما يرتكبونه من جرائم. فالتَّعَوُّدُ على قتل الأنبياء ، أدى إلى موت المشاعر الإنسانية عند اليهود،فصاروا جَمادات، بلا أحاسيس . وما يُثير الدهشة والاشمئزاز والقَرَف ، أن اليهود كانوا لا يَشعرون بالندم أو تأنيب الضمير _ بعد قتلهم الأنبياء _ ، بَل يذهبون لمُمارسة أعمالهم كالمعتاد كأن شيئًا لم يكن . والوصول إلى هذه المنزلة الوضيعة ، يدل على الحرفية العالية في ارتكاب الجرائم بدم بارد .

قال ابن كثير في تفسيره (١/ ١٤٥) : ((لَمَّا ارتكبَ بنو إسرائيل ما ارتكبوه من الكفر بآيات الله وقتلهم أنبياءه ، أحلَّ اللهُ بهم بأسه الذي لا يُرَد ، وكساهم ذُلًّا في الدنيا ، مَوصولًا بِذُل الآخرة جَزاءً وِفاقًا)) اهـ .

ويأتي الإنذار شديد اللهجة لعل القلوب الحجرية تَرِقُّ : ((يا أُورُشَليم ، يا أورُشَليم ، يا قاتلةَ الأنبياءِ وراجمةَ المُرسَلين إليها !)) [مَتَّى ٢٣ : ٣٧] . وهذا إنذار مِن المسيح لأُورُشَليم .

---

١٢١ تفسير ابن كثير (١/ ١٤٥) ، والدُّر المنثور للسُّيوطي (١/ ١٧٨) .

والمقصودُ أهل أُورُشَليم من اليهود، فالمدينة _كما هو معلوم_ جماد لا تقوم بالقتل، وبما أن أُورُشَليم هي مكان تجمُّع اليهود ومُستقرهم ، أو سبب اجتماعهم ، تَمَّ النداء عليها ، والتعبير عنهم بها. وهذا الأسلوب اللغوي مُتداول، وهو شبيه باللغة القرآنية الكريمة في قَوْله تعالى : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُون ﴾ [يُوسُف : ٨٢] . أي : اسأَلْ أهلَ القرية ، وحُذفت أهل للبلاغة ، كما أن ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ مَجَازٌ مُرْسَلٌ علاقته المحلية .

ومِن كثرة ما اقترفه اليهود مِن جرائم ، صُبِغت أُورُشَليم بالقتل والرَّجْم . وهذه وصمة عار في تاريخ اليهود ، حيث كانوا يَقتلون الأنبياءَ بلا ذَنْب ، ويَرجمون المُرسَلين إليهم ، اتِّبَاعًا لأهوائهم ، وحِرْصًا على جمع حُطام الدنيا الفاني .

والنصُّ الإنجيلي يُصوِّر أورُشَليم غارقةً في قَتل الأنبياء ورَجْم المُرسَلين وسَفك الدماء ، أي إن اليهود غارقون إلى آذانهم في القتل والإبادة والجرائم والذنوب والمعاصي .

واليهودُ شوَّهوا سُمعة أورُشَليم ، وجَعلوا سيرتها سيئة ، بسلوكهم الشاذ عن مسار الإنسانية والحضارة . ولو قيل لشخص : ما أول ما يتبادر إلى ذهنك عند ذكر أُورُشَليم ؟ فسيقول : قتل الأنبياء ورَجْم المُرسَلين. وهذا يدل على كفر اليهود وضلالهم وعنادهم واستكبارهم وغرورهم .

والغريبُ في الأمر أن اليهود يَفتخرون بقتل الأنبياء ، ويُوافقون على جرائم آبائهم ، دون خجل أو حياء أو ندم أو شُعور بالذَّنْب أو اعتذار ، أو مُحاولة للتَّنَصُّل مِن جرائم آبائهم ، والتَّبَرُّؤ مِنهم .

وفي [لُوقَا ١١ : ٤٧و٤٨] قال المسيحُ مُخَاطِبًا علماءَ الشريعة اليهود : ((الوَيْلُ لكم ، فإنكم تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم قتلوهم . فأنتم إذن تشهدون موافقين على أعمال آبائكم : فَهُم قتلوا الأنبياء ، وأنتم تبنون قبورهم)) .

إذا كان علماءُ اليهود وقادتهم الروحيون وزعماؤهم الدينيون بهذا الكفر والضلال والفساد والانحراف ، فما هو حال اليهود العاديين (الأتباع والجُهَّال والعوام) ؟ .

هذا النص الإنجيلي مليء بالإشارات العميقة والدَّلالات الواضحة . إن علماء اليهود حريصون على المظهر دُون الاهتمام بالجوهر ، وقد حوَّلوا الدِّينَ إلى إجراءات ظاهرية ، وفلكلور ، وتقاليد شعبية ، ومظاهر خادعة . إنهم يبنون قُبورَ الأنبياء ، ويُزخرفونها ويُجمِّلونها ، وآباؤهم قَتلوهم .

والظاهرُ إيمان وتقوى وجَمالٌ وزخرفة وأناقة وتعظيم للأنبياء.وفي حقيقة الأمر ، إن اليهود غارقون في الكفر والضلال والظُّلْم وكراهية الحق ، والحِقد على الأنبياء . إنهم يَكرهون الأنبياءَ ولكنهم يَسْعَوْنَ إلى المظهر الاجتماعي البَرَّاق ، والمكانة العالية ، والمنزلة الرفيعة ، حيث يظنون

أن الزخارف والفنون المعمارية ستُخفي حِقدهم الدفين ، وكُفرهم المتأصِّل في قلوبهم ، وجرائمهم ضِد الأنبياء والمُرسَلين . وعن عائشة وابن عباس _ رضي الله عنهم _ قالا : قال رسول الله ﷺ : ((لعنةُ الله على اليهود والنصارى ، اتَّخَذوا قُبورَ أنبيائهم مساجد)) [122] .

إن أهل الكتاب كان إذا مات فيهم رَجلٌ صالح جعلوا قبره مسجدًا ، وَصَوَّروا فيه التصاوير، وقاموا بزخرفته وتزيينه . وهذه المُغالاة في التعظيم مُجرَّد واجهة برَّاقة لا جوهر لها. فهم يُقدِّسون الصالحين لكنهم لا يَسيرون وَفْق منهج الصلاح ، ويَعتنون بالمظاهر الشكلية في حين أن جوهرهم عامر بالفساد. وهذا التناقض في حياتهم قادهم إلى اختراع العبادات والشرائع من بنات أفكارهم .

قال السُّيوطي في شرحه لِسُنن النَّسائي (٢/ ٤٠): ((" كانوا يتَّخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد " [123] . أو المراد بالاتخاذ أعم مِن أن يكون ابتداعًا أو اتِّباعًا ، فاليهود ابتدعتْ، والنصارى اتَّبعتْ، ولا رَيْبَ أن النصارى تُعظِّم قُبورَ جَمْع من الأنبياء الذين يُعظِّمهم اليهود)) اهـ . وفي المُهذَّب (١/ ٢٥٧) : ((قال الشافعي رحمه الله : وأَكْره أن يُعظَّم مخلوق حتى يُجعل قبره مسجدًا مَخافة الفِتنة عليه ، وعلى مَن بعده مِن الناس)) اهـ .

واتخاذ القبور مساجد محاولة يائسة من اليهود لتجميل أعمالهم القبيحة، وصَبْغها بصبغة الإيمان والجَمال والمحبة. والأدهى من هذا أن النصارى تبعوا اليهودَ في ضلالهم الواضح رغم معرفتهم بالكوارث والجرائم التي ارتكبوها. مِمَّا يشير إلى غَبَش الرؤية ، والتضارب الأيديولوجي في البُنية الفكرية عند أهل الكتاب . وبشكل عام ، إن النصارى تابعون لليهود ، ونُسخة مُقلَّدة عنهم .

وقال المُناوي في فَيض القدير (٤/ ٤٦٦): (((قاتلَ اللهُ اليهودَ) أي أبعدهم عن رحمته لأنهم (اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) أي اتَّخذوها جهة قِبلتهم مع اعتقادهم الباطل، وأن اتخاذها مساجد لازم لاتخاذ المساجد عليها كَعَكسه ، وهذا بُيِّن به سبب لَعنهم لِمَا فيه مِن المُغالاة في التعظيم . وخُص هنا اليهود لابتدائهم هذا الاتخاذ،فهُم أظلم، وضُم إليهم في رواية للبخاري "النصارى"، وهُم وإن لَم يكن لهم إلا نبيٌّ واحد ، ولا قبر له ، لأن المراد النبيُّ وكبار أتباعه كالحواريين ، أو يُقال : الضمير يعود لليهود فقط لتلك الرواية ، أو على الكُل . ويُراد بأنبيائهم: مَن أُمِرُوا بالإيمان بهم وإن كانوا من الأنبياء السابقين كَنُوح وإبراهيم . قال القاضي : لَمَّا كانت

---

١٢٢ متفق عليه . البخاري (٣/ ١٢٧٣) برقم (٣٢٦٧) ، ومسلم (١/٣٧٧) برقم (٥٣١) .

١٢٣ رواه مسلم في صحيحه (١/ ٣٧٧) برقم (٥٣٢) من حديث جُندب مرفوعًا .

اليهود يسجدون لقبور الأنبياء تعظيمًا لشأنهم، ويَجعلونها قِبلةً، ويَتوجَّهون في الصلاة نَحْوها، فاتَّخذوها أوثانًا ، لعنهم اللهُ ، ومَنع المسلمين عن مِثل ذلك ، ونهاهم عنه ، أمَّا مَن اتَّخذ مسجدًا بجوار صالح ، أو صلى في مقبرته وقَصد به الاستظهار بروحه،أو وصول أثر من آثار عبادته إليه لا التعظيم له والتَّوَجُّه نَحْوه، فلا حرج عليه. ألا ترى أن مدفن إسماعيل في المسجد الحرام عند الحَطِيم ؟! ، ثم إن ذلك المسجد أفضل مكان يتحرى المُصلِّي لصلاته، والنَّهي عن الصلاة في المقابر مختص بالمنبوشة لِمَا فيها مِن النجاسة، انتهى. لكن في خبر الشيخين كراهة بناء المسجد على القبور مُطْلَقًا ، والمراد قبور المسلمين خَشية أن يُعبَد فيها المقبور لقرينة خَبر :" اللهُمَّ لا تجعل قبري وَثَنًا يُعبَد ". وظاهره أنها كراهة تحريم. لكن المشهور عند الشافعية أنها كراهة تَنْزيه ، فَيُحمَل ما تقرَّر عن القاضي على ما إذا لَم يُخَف ذلك)) اهـ .

شَهِدَ اليهودُ على أنفسهم ، واعترفوا بكُفرهم وضلالهم . ومِن أفواههم نُدينهم. والاعترافُ سَيِّد الأدلة. وعلى الرغم من كل محاولات التدليس والظهور بمظهر الأتقياء الأبرياء ، إلا أن اليهود وقعوا في شَر أعمالهم ، وفضحوا أنفسَهم بأنفسهم . والمكرُ السَّيئ لا يَحِيق إلا بأهله وصانعيه .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ قَالُوا شَهِدنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتهُمُ الحَيَاةُ الدُّنيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِم أَنَّهُم كَانُوا كَافِرِين ﴾ [الأنعام : ١٣٠] .

هذه الآيةُ عامَّة وشاملة لجميع الكافرين مِن الجِن والإنس . لقد اعترفوا وشَهِدوا على أنفسهم أن رُسل الله قد جاءتهم ، وبلَّغتهم ، وخوَّفتهم من عذاب يوم القيامة الآتي لا مَحَالة ، فكذَّبوهم ، وجَحدوا نُبُوَّتهم ورسالاتهم ، وأعرضوا عن آيات الله، ولم يُؤمنوا بها ، اتِّبَاعًا لأهوائهم ، وحِرْصًا على مصالحهم الشخصية، وحُبًّا للدنيا . وظنُّوا أن الدنيا تدوم لهم ، وخافوا أن يَخسروها إن آمنوا. وتفكيرهم محصور في جمع حُطام الدنيا الفاني . وقد انخدعوا بزينة الدنيا الوهمية وشهواتها وملذاتها ، وغرقوا فيها ، واغتروا بِحِلْم الله عليهم ، وإمهاله لهم ، حتى داهمهم الموتُ وفاجأهم ، وانتهى كُل شيء ، وليس أمامهم إلا الخلود في عذاب النار، بدون فرصة للنجاة ، ولا التعويض ، ولا العَودة إلى الدنيا للتصحيح وتدارُك ما فات . وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين في الدنيا بالأنبياء والرُّسُل والآياتِ التي جاؤوا بها . وقد أقَرُّوا بأن الله تعالى أقام عليهم الحُجَّةَ ، وقَطَعَ عُذرَهم ، فلا عُذر لهم ولا حُجَّة . ويَشهدون على أنفسهم أنهم كفروا بتعاليم الرُّسل في الدنيا، وأعرضوا عنها . وعندما يَشهد الإنسانُ على نفْسه بأنه كافر وضال وفاسد ومُقصِّر ، فهذا مُنتهى الخِزي والعار والذُّل والحَسرة والندم . والاعترافُ سيِّد الأدلة .

وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٤٣٥) : ((﴿ شَهِدنَا عَلَى أَنفُسِنَا ﴾ بالجُرْم والعِصيان ، وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب ﴿ وَغَرَّتهُمُ الحَيَاةُ الدُّنيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِم أَنَّهُم كَانُوا كَافِرِين ﴾ ، ذَم لهم على سُوء نظرهم وخطأ رأيهم ، فإنهم اغتروا بالحياة الدنيوية واللذات المُخْدَجَة (الناقصة) وأعرضوا عن الآخرة بالكُلِّية ، حتى كان عاقبة أمرهم أن اضطُروا إلى الشَّهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المُخَلَّد . تحذير للسامعين مِن مِثل حالهم)) اهـ .

وبدلًا مِن أن يتبرَّأ اليهودُ مِن جرائم آبائهم ، أظهروا الموافقةَ عليها ، والسعادة بها . وَلَوْ رَجع الزمان لقاموا بنفْس الجرائم ، وارتكبوا الذنوب والمعاصي والآثام ، بلا تردُّد ولا خجل ولا ندم .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنهُ وَإِنَّهُم لَكَاذِبُون ﴾ [الأنعام : ٢٨] .

هذه الآيةُ رَدٌّ لِتَمَنِّي الكافرين ، وإبطالٌ له ، وفَضْحٌ لهم ، وَكَشْفٌ لأعمالهم السَّيئة . وهؤلاء الكافرون لَيسوا حريصين على الإيمان ، ولكنَّهم تَمَنَّوا الرجوعَ إلى الدنيا والإيمان بسبب شِدَّة العذاب الذي رَأَوْه ، وهَوْلِ الموقفِ الفظيع الذي عَايَنوه . لذلك ، كان تَمَنِّي الكافرين مُجرَّد كلام للخلاص مِن عذاب النار . وحِينَ عَرَفوا أنهم هالكون في العذاب بسبب كُفرهم ، لَجَؤوا إلى الوعد الكاذب ، والتَّمَنِّي الباطل . وقد ظَهَرَت لهم يوم القِيامة المعاصي والذنوب والشُّرور والآثام ، التي كانوا يُخْفُونها عن أعين الناس ، وقد كَشَفَها اللهُ ، وفَضَحَهم على رؤوس الأشهاد ، وجازاهم بِها، وعاقبَهم أسوأ العِقاب ، وعذَّبهم أشد العذاب.وهذا يدل على عَظَمَة يوم القيامة، وهَوْل الموقف، وشِدَّة الأحوال وصعوبتها. وَلَوْ عادوا ورَجعوا إلى الدنيا بعد مُعايَنة العذاب_فَرَضًا _، لأنه لا رَجعة إلى الدنيا بعد الموت، لَرَجعوا إلى الكفر والضلال وفِعل المعاصي والآثام التي كانوا يَقومون بِها . وقد رَأى إبليس آياتِ الله بأُم عينيه ، ثُمَّ عاندَ وَكَفر بعد مُعاينتها . وصِفةُ الكذب مُلتصقة بهم مهما رَأَوْا مِن الآيات. وفي الآية : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنهُ ﴾، أخبرَ اللهُ عَمَّا لَم يَكُن، لَوْ كان فكيفَ يَكون . وهذا دليل على سَعَة العِلْم الإلهيّ وإحاطته بكل شيء . والآيةُ تُشير إلى أن كُفرهم كان بعد معرفة الحق وإدراك الصواب ، ولَم يكن عن جهل أو شُبهة . وبذلك ، تكون الحُجَّةُ القاطعةُ للعُذر مُقامةً عليهم ، ولا مجال للتَّهَرُّب ، ولا اختلاق الأعذار الكاذبة .

وقال الثعالبي في تفسيره (١/ ٥١٣) : ((وقَولُه سُبحانَه : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا ﴾ إخبار عن أمر لا يكون، كيف كان يوجد. وهذا النَّوع مِمَّا استأثرَ اللهُ تعالى بِعِلْمه. قال الفخر:قال الواحدي: هذه الآية مِن الأدلة الظاهرة على فساد قول المعتزلة ، لأن الله تعالى حكى عن هؤلاء أنهم لو رُدُّوا لعادوا لِمَا نُهُوا عنه ، وما ذلك إلا للقضاء السابق فيهم)) اهـ .

وإنهم لَكَاذبون في تَمَنِّيهم العَودة إلى الدنيا مِن أجل تَوحيد اللهِ وتصديق محمدﷺ، إذ إن تَمَنِّيهم الباطل كان بهدف التخلص مِن العذاب، وليس حِرْصًا على الإيمان . إذن ، نِيَّتهم فاسدة ، وقلوبهم غير صادقة، ولَم يكونوا مُخْلِصين في اعتقادهم ، وأنظارهم مَحصورة فِيما يُشاهِدونه ، ولا يُفكِّرون فِيما يَغيب عنهم . أي إن تفكيرهم مُقتصِر على الشَّاهد دُون الغائب .وإنهم لَكَاذبون فِيما وَعدوا بِه مِن أنفسهم، حيث قالوا : ﴿ يا لَيتَنا نُرَدُّ ولا نُكَذِّبَ بآياتِ رَبِّنا ونَكُونَ مِنَ المؤمنين ﴾ .

إن المُوافقة على الفِعل بمثابة الاشتراك فيه ، والمُتستِّر على المُجرم شريك معه في جريمته . وإذا كان هذا حال المُتستِّر على المجرم،فكيفَ يكون حال المُوافِق والمُؤيِّد والدَّاعم والمُخطِّط؟!.

وتجيء المُفارَقة بكل ما تَحمله من مأساة : " فهم قتلوا الأنبياءَ ، وأنتم تبنون قبورهم " . مُفارَقة من نوع خاص جدًّا ، تضم في طَيَّاتها غَدْر اليهود ، وسُخريتهم ، وعدم مُبالاتهم . وكأن قتل الأنبياء مسألة عادية أو قضية روتينية ، لا تَدعو إلى الألم ولا القلق ولا الندم ولا الشعور بالذنب .

والإغراقُ في المعاصي يَطمس الفِطرة السليمة ، ويُطفِئ نُورَ القلب . ومِن ثَمَّ يَستمرئ الإنسانُ الذنوبَ والمعاصي ، ويتوغَّل فيها ، ويَغرق فيها بلا طَوق نجاة ، وتُصبح شُغلَه الشاغل وعالَمَه الخاص ، فلا يعود يرى أيَّة فضيلة خارج نطاق شَرْنقة الإثم . كما أن تزيين النَّفْس والشَّيطان للمعصية يُساهم في إضفاء نَوع من الشرعية الوهمية عليها . والمَعصيةُ تَضرب حصارَها الشرس على الأنساق البشرية ، فيتعطل نظام التفكير البشري ، أو يسير في الاتجاه المعاكس للفِطرة السَّليمة والعقل الواعي والسلوك الاجتماعي المستقيم .

وروى أحمد في مُسنده (١/ ٤٠٧) : عن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : ((أشدُّ الناس عذابًا يوم القيامة : رَجل قتله نبيٌّ ، أو قَتل نَبِيًّا ، ...)) .

والمقصود: أن يَقتل النبيُّ شخصًا كافرًا ، كما قَتل النبيُّ محمد ﷺ أُبَيَّ بن خَلَف يوم بَدْر ، وليس المقصود مَن قَتله النبيُّ تَطهيرًا له في الحَد كماعز بن مالك ، وقد اعترفَ بالزنا ، فرجمه النبيُّ عُقوبةً وتطهيرًا له .

وقال الخطابي في غريب الحديث (١/ ٦٠٩) : ((معناه : أن الأنبياء لا يَقْتلون إلا مَن يستحق القتل ، لأن الغلط في الأحكام لا يجوز عليهم ، والأئمة إنما يجتهدون في الأحكام ، والغلط غير مأمون عليهم . وهذا فيمن قتله النبيُّ عقوبةً له على كُفره كأُبَي بن خلف ، قتله رسول الله عقوبةً ، لا فيمن قتله تطهيرًا له كماعز ، رَجمه النبيُّ عليه السلام طُهرةً له ، وكَفَّارة لذنبه ، ألا تراه قد صلى عليه ، واستغفر له)) .

وقال ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ : ((اشتدَّ غَضَبُ الله على مَن قَتله نبيٌّ ، واشتد غضب الله على مَن دَمَى وَجْهَ رسولِ الله ﷺ)) [124] .

الغضبُ الإلهيُّ نازلٌ على مَن قُتِلَ على يد نبيٍّ . وبالتأكيدُ ، إن النبيَّ لا يَقتل أحدًا إلا إذا كان كافرًا مُحَارِبًا . أمَّا الكفارُ المُسالِمون فهُم أحرار في اختيار عقيدتهم ، وحسابهم على الله تعالى .

والقتلُ لا يكون لإرغام الآخرين على اعتناق دِين الإسلام وعقيدة التَّوحيد . قالَ اللهُ تعالى : ﴿ فَمَن شاءَ فَلْيُؤمِن ومَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكَهْف : ٢٩] .

أظهرَ اللهُ الحقَّ ، ووضَّح الهدى ومعالِمَ الرَّشاد ، وقَدَّمَ البراهين والأدلة ، وأقامَ الحُجَّةَ على الناس ، وقطع أعذارَهم . فَإن شئتم فآمِنوا ، وإِن شِئتم فاكفروا . وهذا تَخيير معناه التهديد.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٣٤) : ((قوله تعالى: ﴿ فَمَن شاءَ فَلْيُؤمِن ومَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ . فيه ثلاثة أقوال : أحدها فَمَن شاءَ اللهُ فليؤمن ، رُوِيَ عن ابن عباس . والثاني أنه وعيد وإنذار وليس بأمر ، قاله الزَّجاج . والثالث أن معناه لا تَنفعون اللهَ بايمانكم ولا تَضُرُّونه بِكُفركم ، قاله الماوردي . وقال بعضُهم : هذا إظهار للغِنى ، لا إطلاق في الكفر)) اهـ .

والآيةُ لا تَحْمِل ترخيصًا ولا تَخييرًا بين الإيمان والكفر ، وإنما تهديد ووعيد . فَمَن آمنَ فهو حُر في اختياره ، وله الجنة والنعيم . وَمَن كَفر فهو حُر في اختياره ، وله النار والعذاب .

والجديرُ بالذِّكر أن الله تعالى لا يَنفعه إيمان المؤمن وطاعته ، ولا يَضُرُّه كُفر الكافر ومعصيته . ونتيجةُ عمل العبد تَعود على العبد إيجابًا أو سَلْبًا . واللهُ غنيٌّ عَن إيمان المؤمن ولا يَحتاجه ، ولا يَتأثَّر بِكُفر الكافر ولا يُبالي بِه. والعبدُ يختار الإيمان أو الكُفر بكل حُرِّية، وهو يَتحمَّل مسؤولية اختياره في الدنيا والآخرة . وهذا منتهى الحرية الممنوحة للإنسان الذي بإمكانه أن يختار الدرب الذي يريده، ويتحمل مسؤولية اختياره أمام الله تعالى وأمام الناس . كما يدل على تكريم الله تعالى لبني البشر، حيث أعطاهم حرية تقرير مصيرهم وَفْقَ ما يَرَوْنَه بلا جَبْر ولا إكراه ، وعليهم أن يتحمَّلوا تَبِعَاتِ اختيارهم . والجزاءُ حَسَب العمل . فَمَن وَجَدَ خَيْرًا فليشكر اللهَ ، وَمَن وَجَدَ غَيْرَ

١٢٤ رواه البخاري موقوفًا (٤/ ١٤٩٦) برقم (٣٨٤٨) . أمَّا الجزء الثاني من الحديث فرواه ابن حِبَّان مرفوعًا (١٥/ ٤٣٦) برقم (٦٩٧٩)، وأحمد (١/ ٢٨٧) برقم (٢٦٠٩). وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٣٦) تعليقًا على الجزء الثاني من الحديث : ((وقد تقدَّم شواهد ذلك من الأحاديث الصحيحة بما فيه الكفاية)) .

ذلك فلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَه . وقال النَّسفي في تفسيره (٣/ ١٢): ((أي: جاء الحق، وزاحت العِلَل ، فلم يَبْقَ إلا اختياركم لأنفسكم ما شِئتم مِن الأخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك . وجِيء بلفظ الأمر والتخيير ، لأنه لَمَّا مَكَّنَ مِن اختيار أيِّهما شاء ، فكأنه مُخَيَّر مأمور بأن يَتَخَيَّر ما شَاء مِن النَّجْدَيْن ـ يعني طريق الخير والنجاة أو طريق الشر والهلاك ـ)) اهـ .

إن أقوال الفرد وأفعاله ، هي التي تُحدِّد موقفَ الإسلام مِنه . ومِن حق الأُمَّة الإسلامية أن تَحميَ وجودَها مِثلما تفعل جميع أُمم الأرض . فلا بُد للعقيدة مِن قُوَّة تحميها ، ولا بد للقوة من عقيدة تُوجِّهها .

وغضبُ الله سَيَنْزل بِمَن دمى وجهَ النبيِّ ﷺ . وإذا كان هذا حال مَن يُدمي وجه نبيٍّ ، فما هو حال مَن يُقْدِم على قتل نبيٍّ ؟! . يجب التعامل مع الأنبياء باحترام بالغ ، وتقدير عميق ، وتعظيم كبير ، فهُم مُختارون مِن الله ، ومُؤيَّدون بِوَحْي السماء ، ومَعصومون مِن الذنوب والآثام ، ومُنَزَّهون عن النقائص والعيوب . يَتحدَّثون باسم الله تعالى ، وليس باسم أنفسهم . وقد جاؤوا لإخراج الناس من ظُلمات الجهل والكفر إلى نُور العِلم والإيمان ، وإرشادهم ، وتعليمهم ، وإنقاذهم مِن النار . ولم يَجيئوا لقتل الناس ، وتدمير الحضارة ، وإعلان الحروب ، وبَث الفَوضى والانقسام .

وعن أبي هريرة ـ رضي اللهُ عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: ((اشتدَّ غضبُ الله على قَوم فعلوا بِنَبِيِّه ـ يُشير إلى رَبَاعِيَتِه ـ. اشتدَّ غضبُ الله على رَجل يَقتله رسول الله ﷺ في سبيل الله)) [١٢٥] .

اشتدَّ انتقامُ الله وعقابه لِمَن آذى النبيَّ ﷺ ، وارتكبَ هذا الذنب العظيم والخطيئة الكُبرى . واشتدَّ انتقامُ الله وعقابه لِمَن يَقتله النبيُّ ﷺ في سبيل الله . وهذا يعني أن المقتول كان شخصًا كافرًا مُحَارِبًا لله ورسوله ﷺ، فهو خالدٌ في عذاب النار . ولا أمل في نجاته ولا خلاصه . والنبيُّ معصوم مِن الذنوب،ومُنَزَّه عن الظُّلم،ولا يُمكن أن يَقتل شخصًا بريئًا،وإنما يَقتل مَن يستحق القتل.

وفي صحيح مسلم (٣/ ١٤١٧) : عن أنس أنَّ رسول الله ﷺ كُسِرَت رَبَاعِيَتُهُ يوم أُحُد ، وَشُجَّ في رأسه، فَجَعَلَ يَسْلِتُ الدَّمَ عنه، ويقول:((كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُم ، وَشَجُّوا رَبَاعِيَتَهُ، وهو يَدعوهم إلى الله ؟!)) . فأنزلَ اللهُ تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمرِ شَيْءٌ ﴾ ـ الآية ـ .

---

١٢٥ متفق عليه . البخاري (٤/١٤٩٦) برقم (٣٨٤٥) . ومسلم (٣/١٤١٧) برقم (١٧٩٣) . وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم(١٢/١٥٠) : ((فقَوْله : " في سبيل الله " احتراز مِمَّن يَقتله في حَد أو قِصاص ، لأن مَن يَقتله في سبيل الله كان قاصدًا قَتل النبيِّ ﷺ)) .

كانَ المسلمون في ضِيق شديد في غَزوة أُحُد ، وقد كُسِرت رَبَاعِيَةُ النبيِّ ﷺ ، وهي السِّن التي تَلِي الثَّنِيَّة مِن كل جانب ، وللإنسان أربع رَبَاعِيَات . وجُرِحَ في رأسه الشريف ، فجعلَ يَمسح الدَّمَ عنه . وهذا الابتلاء الشديد والمُعاناة المؤلمة من أجل زيادة أجر النبيِّ ﷺ ، ورفع درجته .

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٢/ ١٤٨): ((وفي هذا وقوع الانتقام والابتلاء بالأنبياء _ صلوات الله وسلامه عليهم _ لينالوا جزيل الأجر ، وَلِتَعرف أُمَمهم وغَيرهم ما أصابهم ويَتَأسُّوا بِهم . قال القاضي : وَلِيُعْلَم أنهم مِن البشر، تُصيبهم مِحَن الدنيا، ويطرأ على أجسامهم ما يطرأ على أجسام البشر ، لِيَتَيَقَّنُوا أنهم مخلوقون مربوبون ، ولا يُفْتَتَن بما ظهر على أيديهم من المُعجزات ، وتلبيس الشيطان مِن أمرهم ، ما لَبَّسه على النصارى وغَيرهم)) اهـ .

وقد استبعدَ النبيُّ ﷺ توفيقَهم إلى الهداية بعدما جَرحوه وآذَوْهُ يوم أُحُد ، وكأنه قد يَئِسَ مِن إيمانهم . فأرادَ اللهُ أن يُقرِّب ما استبعده النبيُّ ﷺ ، ويَمنح النبيَّ ﷺ الأملَ والرجاءَ في إسلامهم وهِدايتهم.وعِندما أدركَ النبيُّ ﷺ هذا المعنى،قالَ:((اللهم اغْفِرْ لِقَومي فإنهم لا يَعْلَمون)) [١٢٦] .

والكفارُ يوم أُحُد قاتلوا النبيَّ ﷺ والمسلمين ، وسبَّبوا لهم الألم والمعاناة . وبِفَضْل الله ، أسلمَ مِنهم الكثيرون فِيما بعد، وصاروا صحابةً أجِلاء، حملوا الدَّعوة الإسلامية ، ونشروا الحقَّ والهدى. وحتى الذين ماتوا على الكفر ، خرج مِن أصلابهم مؤمنون صادقون ، قاموا بأداء واجبهم في نشر الدعوة الإسلامية في كل مكان . لذلك على المرء ألا يَيأس مِن دَعوة الكافرين مهما بَلَغَ كُفرُهم .

وتنطلق الشكوى إلى الخالق على لسان إيليَّا في [الرسالة إلى رُوما ١١ : ٣] : ((يا رَب ! قتلوا أنبياءك ، وهَدَموا مذابحك ، وبَقِيتُ أنا وَحْدي ، وهم يَسْعَوْن إلى قتلي !)) اهـ .

هذا النصُّ الإنجيلي يَحمل تنبيهًا لأهل رُوما ، وإرشادًا لهم حول طبيعة دور اليهود في مُحاربة الأنبياء عليهم السلام، حتى يأخذوا الحِيطة والحذر، ولا يقعوا في براثن دعايات اليهود الإعلامية ، والفقاعات الإعلانية. إن اليهود قتلوا الأنبياء ، وهدموا المذابح وأماكن العبادة ، ولم يَكتفوا بهذا ، بل إنهم يَسْعَوْن إلى قَتل الأنبياء بشتَّى الوسائل ، والتخلص منهم، واستئصال الدَّعوة مِن جُذورها ، وذلك من أجل أن يَحتفظ اليهود بمناصبهم ، ورئاستهم ، ومكتسباتهم المعنوية والمادية .

---

١٢٦ رواه ابن حبان في صحيحه (٣/ ٢٥٤) . وقال: ((يعني هذا الدعاء أن قال يوم أُحُد لَمَّا شُجَّ وَجْهُه ، قال : ((اللهمَّ اغفر لِقَومي)) ذَنْبَهم بي مِنَ الشَّج لِوَجهي ، لا أنه دعاء للكفار بالمغفرة ، ولو دعا لهم بالمغفرة لأسْلَموا في ذلك الوقت لا مَحالة .

إن هذا النص الإنجيلي تنبيه وإرشاد وتحذير من اليهود ، من أجل معرفة تاريخهم الدموي ، وعدم الوقوع ضحية التزوير التاريخي . وكثيرٌ من الناس يَسْقطون ضحايا لعمليات النَّصْب الفكري والاحتيال التاريخي ، المُدعَّمة بغسيل الأدمغة على نطاق واسع ومُبَرْمَج ومُخطَّط له مُسبقًا . ولا يَسقط في هذا الفخ إلا الجُهَّال والعوام والعُميان الذين فقدوا نُورَ البصيرة . وقد تعرَّضَ التاريخ لكثير مِن عمليات التزييف والتحريف والتلاعب ، لأن التاريخ يَكتبه الأقوياء الذين يَمْلكون المالَ والسُّلطةَ والقوة والنفوذ ووسائل الإعلام ، وهُم يَفرضون التاريخَ حَسَب رُؤيتهم ، ويقومون بتعميمه . ولا يَملك الفقراء والضعفاء والبُسطاء والعوام والجُهَّال والأتباع إلا التطبيل والتزمير ، لِمَن يَملك المال والعصا . وهذه قاعدة ثابتة وراسخة ومُطَّرِدَة ، وتتكرَّر في كل زمان ومكان ، مع اختلاف أسماء الأشخاص وطبيعتهم ، وطبيعة الأمكنة والأزمنة .

إن اليهود لا يَكْرهون ويُعادون الأنبياءَ فَحَسْب ، بل أيضًا ، يَكرهون ويُعادون المؤمنين في كل زمان ومكان . قالَ اللهُ تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً للذين آمَنُوا اليَهُودَ وَالَّذِينَ أَشرَكُوا ﴾ [المائدة : ٨٢] . اللام للقَسَم . قَسَمًا لَتَجِدَنَّ يا محمد اليهودَ والمشركين عَبَدَة الأصنام والأوثان ، أشدَّ الناس عَداوةً للمؤمنين الذين أقَرُّوا بِوَحدانية الله وصدَّقوا بِنُبُوَّتك ، وذلك لِقَسوة قلوبهم، وخُشونة طِباعهم ، وشِدَّة كُفرهم ، وإصرارهم على العِناد والتقليد الأعمى والغرق في الشهوات والملذات.وقُدِّمَ اليهود على المُشركين مع أنهم أهل كتاب لبيان شِدَّة عداوتهم، وأنهم العَدُوُّ الأول. ولا يَخفى أن اليهود قد ساندوا المشركين في حَرْبهم على الإسلام ، ودَعَمُوهم في حِقْدهم على المؤمنين وحسدهم لهم . واليهود مَعروفون تاريخيًّا بتكذيب الأنبياء وقَتلهم . ودِينُ اليهود قائم على الخُبث والعِناد والحسد والحِقد والغدر والخيانة والمكر والمؤامرات. لذلك، هُم أشد الناس عداوةً للمؤمنين . والمشركون يَعبدون الأصنامَ والأوثانَ والآلهة المتعدِّدة، لذلك يُحارِبون ويُعَادُون المؤمنين الذين يُوحِّدون اللهَ ، ويَعبدونه وَحْدَه بلا شريك ولا نِد . والعرب المشركون في الجاهلية ليس لهم أي كتاب دِيني ، فهُم أمةٌ أُمِّية وثنية . لذلك كانوا ألعوبة بيد اليهود، يُحرِّكونهم كَيْفما شاؤوا ، ويبثُّون فيهم عقائدهم الباطلة، وتعاليم كُتبهم المُحرَّفة .

إن العداوة تنبع من القلب المُتأجِّج بالحقد والكراهية. واليهودُ(القادة)والمشرِكون (الأتباع) كانت صدورُهم تغلي حِقْدًا على المؤمنين ، وعداوةً لهم بسبب إيمانهم واتِّباعهم لمنهج الحق المُضاد لانحرافات اليهود والمشركين، والمُهدِّد لمصالحهم.ولَم تقف العداوةُ عند الشعور الداخلي أو السلوك اللفظي، بل تحوَّلت إلى واقع عملي ملموس ، فتمَّت حِياكة المؤامرات الرامية إلى وأد

الدعوة الإسلامية ، وقتل رجالها . وهذا يدل على أن عداوة المؤمنين وكراهية الحق رُكنان أساسِيَّان في فلسفة اليهود والمشركين. وبالتأكيد، إن الذي لا يَملك نورَ الحق ، ولَيست لديه القُدرة على مقارعة الحُجَّة بالحُجَّة ، سوف يَلجأ إلى الأساليب القذرة والمؤامرات الخبيثة والعمل السِّري .

وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ١١٧) : ((ما ذاكَ إلا لأن كُفر اليهود كُفر عِناد وجُحود ومُباهَتة للحق ، وغَمْط للناس ، وتَنَقُّص بِحَمَلة العِلم . ولهذا قتلوا كثيرًا من الأنبياء ، حتى هَمُّوا بقتل رسول الله ﷺ غَير مَرَّة ، وسَمُّوه ، وسَحَروه ، وأَلَّبوا عليه أشباههم من المشركين ، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة)) اهـ .

وفي صحيح البخاري (٣/ ١١٥٦) : قال رسول الله ﷺ مُخَاطِبًا اليهود : ((هل جعلتُم في هذه الشَّاةِ سُمًّا ؟)) ، قالوا : نَعَم . قال: ((ما حَمَلَكم على ذلك ؟)) ، قالوا : أردنا إنْ كُنْتَ كاذبًا نستريح مِنك ، وإنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَم يَضُرَّك .

إن اليهود أهلُ مَكر وغَدْر وخِداع، وقد حاولوا قَتْلَ النبيِّ ﷺ بِدَس السُّم له، حيث أهْدُوا له على يَد امرأة شاةً مَسمومة . أرادوا قَتْلَ النبيِّ ﷺ ، والاستراحة مِنه ، وإطفاء نُور الإسلام ، ووأد الدَّعوة المُحمَّدية الإسلامية، وتفريق كلمة المسلمين ، وتَمزيق وَحْدتهم ، وتشتيت جهودهم. وهذا يُشير إلى رُسوخ العداوة في قلوب اليهود لكل المؤمنين بلا تمييز ، وسَعْيهم الدؤوب إلى التشويش على الحق، ومحاولة وَأده قبل ظُهوره . لكن الحق لا يمكن إيقافه ، والشمس لا تُغطَّى بِغِرْبال .

واليهود غارقون في الكُفر والضلال والعناد والاستكبار والمُجَادَلَة بالباطل . وهُم يَعتمدون منهجَ لَوْي أعناق النصوص ، وتحريفها ، والتلاعب بها . كما أنهم يستثمرون كُلَّ نقاط قوتهم في سبيل طمس الحق . وهُم قوم شديدو الذكاء والمكر والخُبث ، ويُتقنون رسم الخُطط والمؤامرات. وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٣٥٦): ((لِشِدَّة شكيمتهم ، وتضاعُف كُفرهم ، وانهماكهم في اتباع الهوى،وركونهم إلى التقليد، وبُعدهم عن التحقيق،وتمرُّنهم على تكذيب الأنبياء ومُعاداتهم)).

وعقيدةُ اليهود الباطلة قائمة على الكفر والضلال والتكذيب بآيات الله وقتل الأنبياء والمؤمنين. قالَ اللهُ تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عِمران : ٢١] .

ضَلَّ اليهودُ طريقَهم ، وأضَلُّوا الناسَ عن عِلْم لا جهل ، ولَم يكتفوا باختيار الكفر والضلال ، بَل جَعلوا ضلالهم شريعةً لازمة ومنهجًا حياتيًّا ، وارتكبوا أسوأ أنواع الجرائم والآثام ، حيث إنهم جَحدوا آيات الله وأنكروها،وقَتلوا الأنبياء بالباطل، وقَتلوا المؤمنين الذي يَدْعُون إلى الحق والخير.

إن الذين يَجحدون آياتِ الله، ويُنكرونها، ويُكذِّبون بما أنزلَ اللهُ تعالى . وقال الطبري في تفسيره (٣/ ٢١٥) : ((أي : يَجْحدون حُجَج الله وأعلامَه ، فيُكذِّبون بها من أهل الكتابَيْن التَّوراة والإنجيل)) اهـ .

ويَقتلون أنبياء الله بالباطل ، بلا ذَنْب ولا جريمة ، اتِّبَاعًا للأهواء الذاتية والمصالح الشخصية ، وحُبًّا للدنيا ، وكُرْهًا للحق والهدى ، ولأنهم دَعَوْهُم إلى الإيمان والرشاد ، وهُم اليهود قَتلوا زكريا وابنه يحيى وكثيرًا مِن الأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام ــ. وقتل النبيِّ لا يكون حقًّا . وقال الطبري في تفسيره (٣/ ٢١٥): ((فإنه يعني بذلك أنهم كانوا يَقْتلون رُسُلَ الله ــ الذين كانوا يُرْسَلُون إليهم بالنَّهْي عمَّا يأتون مِن معاصي الله ، وركوب ما كانوا يركبونه من الأمور التي قد تقدَّمَ اللهُ إليهم في كُتبهم بالزَّجْر عنها ــ نحو زكريا وابنه يحيى ، وما أشبههما من أنبياء الله)) اهـ . وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٧٣):((هذا ذَم من الله تعالى لأهل الكتاب بما ارتكبوه من المآثم والمحارم في تكذيبهم بآيات الله قديمًا وحديثًا، التي بَلَّغتهم إيَّاها الرُّسل استكبارًا عليهم ، وعِنادًا لهم ، وتعاظمًا على الحق ، واستنكافًا على اتِّباعه ، ومع هذا قَتلوا مَن قَتلوا من النَّبيين حين بَلَّغوهم عن الله شَرْعه بغير سبب ، ولا جريمة منهم إليهم ، إلا لكَوْنهم دَعَوْهم إلى الحق)) اهـ .

ويَقْتُلون المؤمنين الدُّعاةَ إلى الله الذين يأمرون بالخير والعدل والمعروف، ويَنْهَوْنَ عن المُنكَر. وهذا مُنتهى الغرور والعِناد والاستكبار . والآيةُ تدل على أن الأمر بالمعروف والنَّهْي عن المُنكَر كان واجبًا في الأمم السابقة . فأخْبِرْهُم بما يَسُرُّهم ويُفْرِحهم ، وهو عذاب النار الشديد المُوجِع المُهين . والجزاءُ مِن جِنس العمل. وذِكر البِشارة للتَّهَكُّم بهم، والسُّخرية منهم ، والاستهزاء بهم .

وقد استحقوا العذابَ الشديد لأنهم جَمعوا بين ثلاث جرائم في غاية السُّوء والقُبح :

١ــ الكفر بآيات الله . ٢ــ قتل الأنبياء بغير حق . ٣ــ قتل الدُّعاة إلى الله .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير(١/ ٣٦٥):((قَوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ﴾ قال أبو سليمان الدمشقي : عنى بذلك اليهود والنصارى . قال ابن عباس : والمراد بآيات الله محمد والقرآن ... . وروى أبو عُبَيدة بن الجَرَّاح عن النبيِّ ﷺ أنه قال : " قَتلتْ بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيًّا من أول النهار في ساعة واحدة ، فقام مائة واثنا عشر رَجُلًا مِن عُبَّاد بني اسرائيل ، فأَمَرُوا مَن قَتلهم بالمعروف ، ونَهَوْهُم عن المُنكَر ، فَقُتِلُوا جميعًا في آخر النهار ، فهُم الذين ذكَرهم اللهُ في كتابه ، وأنزلَ الآيةَ فيهم " . وإنما وبَّخ بهذا اليهودَ الذين كانوا في زمن النبيِّ ﷺ ، لأنهم تَوَلَّوْا أُولئك ، ورَضُوا بِفِعْلهم)) اهـ .

إن جرائم اليهود الكثيرة والمُتنوِّعة تدل على الغرور والاستكبار والغَطْرَسة ، والأخلاق الذميمة التي صَبغت أفعالَ اليهود في أطوار وجودهم المختلفة . واليهودُ لا يملكون أيَّة حضارة ، أو آثار تدل على وجودهم الحضاري ، بل إنهم كانوا على الدوام مِعْول هدم في الحضارة الإنسانية .

وإذا كان المسلمون قد تركوا المساجد العظيمة ، والآثار الهائلة في الأندلس وغَيرها ، والنصارى تركوا الكنائسَ الكبيرة مِثل كنيسة آيا صوفيا وغَيرها ، والفراعنة تركوا الأهرام ، والأنباط تركوا البتراء ، فماذا تَرك اليهودُ ؟! . لقد تركوا وراءهم تاريخَ قتل الأنبياء ، وحَبْك المؤامرات لإسقاط الحضارات الإنسانية المختلفة .

وفي هذا دَلالة واضحة على حِقد اليهود ، وغَدْرهم ، وخيانتهم ، وحسدهم ، واستكبارهم ، وسُوء نِيَّتهم ، وخُبث مقصدهم ، ومُعاداتهم للإيمان والمدنية والإنسانية والحضارة .

وفي صحيح مسلم (١/ ٩٣) أنَّ النبيَّ ﷺ قال : ((الكِبْرُ بَطَرُ الحقِّ ، وغَمْطُ الناسِ)) .

الكِبْرُ هو رُؤيةُ الحق باطلًا ، وإنكاره تَكَبُّرًا وتجبُّرًا وترفُّعًا ، وعدم القَبول به . وغَمْطُ الناس يعني احتقارهم وازدراءهم ، والنظر إليهم نظرةً دُونية .

وقال ابن الأثير في النهاية في غريب الأثر (١/ ٣٤٩) : ((هُوَ أن يَجعل ما جَعَله الله حَقًّا مِن تَوْحِيده وعبادته باطلًا . وقِيل : هُوَ أن يَتَجَبَّر عند الحق فلا يراه حَقًّا. وقِيل: هُوَ أن يَتكبَّر عن الحق فلا يَقبلُه)) اهـ .

وعن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ : في قَوْله ــ عَزَّ وَجَلَّ ــ : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأمُرُونَ بِالقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾ [آل عِمران : ٢١] . قال : ((بَعَثَ عيسى بن مريم في اثنَي عشر رَجُلًا مِن الحواريين ، يُعلِّمون الناس ، فكان ينهاهم عن نِكاح ابنة الأخ. وكان مَلِك له ابنة أخ تعجبه فأرادها، وجعل يقضي لها كل يوم حاجة ، فقالت لها أمها : إذا سألك عن حاجتك فقولي له: أن تقتل يحيى بن زكريا، فقال لها المَلِك : حاجتك ؟ ، فقالت : حاجتي أن تقتل يحيى بن زكريا ، فقال : سَلِي غير هذا ، فقالت : لا أسألك غير هذا . فلمَّا أَتى أُمِرَ به ، فذُبح في طَسْت ، فبدرت قطرة من دمه ، فلم تزل تغلي حتى بعث اللهُ بُخْتُنَصَّر ، فدلَّت عجوز عليه ، فألقى في نفْسه أن لا يزال القتل حتى يسكن هذا الدم ، فَقَتل في يوم واحد مِن ضَرْب واحد وبيت واحد سبعين ألفًا)) [١٢٧] .

---

١٢٧ رواه الحاكم في المستدرَك (٢/ ٣١٨) برقم (٣١٤٦) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

وفي رواية أخرى عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ : ((فجاءته عجوز من بني إسرائيل فدلَّته على ذلك الدم ، فألقى اللهُ في قلبه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن ، فقتل سبعين ألفًا منهم من سِن واحدة حتى سَكن)) [١٢٨] .

إن الأنبياء حريصون على دَعوة الناس وإرشادهم وتعليمهم ، وأمْرهم بالمعروف ، ونَهْيهم عن المُنكَر . والأنبياءُ مُتمسِّكون بالحق والهدى ، لا يَستسلمون ، ولا يَضعفون ، ولا ينهارون ، ولا يَهْرُبون من المُواجهة،وهُم على استعداد لدفع حياتهم ثمنًا لمبادئهم وأفكارهم وتبليغ وَحْي السماء.

وإن أعداء الأنبياء في كُل العصور ، إنما يُعادونهم ، ويُعلنون الحرب عليهم ، اتِّبَاعًا للأهواء الذاتية والمصالح الشخصية ، وحُبًّا للدنيا ، وحِرْصًا على حُطامها ومَتَاعها وشهواتها وملذاتها . وقتلُ الأنبياء ليس نُزهةً ، ولا أمرًا عاديًّا ، ولا يُمكن أن يمر دُون حساب ولا عِقاب . إنها جريمة شنيعة لا يقوم بها إلا كافر ضال، خسر الدنيا والآخرة معًا. والدَّمُ لا يَهدأ ولا يَنام . واللهُ بالمِرصاد، وهو المُنتقم مِن أعدائه ، المُدافِع عن أنبيائه . ولن يَذهب دمُهم هَدَرًا ، ولن يَذهب إلى النسيان .

والأنبياءُ يُبلِّغون رسالاتِ الله للناس ، ويُوصِلون الوَحْيَ الإلهيَّ إليهم ، بشكل كامل ، بلا زيادة ولا نقصان . وهُم القُدوة العُليا ، والمَثَل الأسمى ، والأُسْوَة الحسنة . يعملون بلا مَلَل ولا كَسَل ولا يأس ، مِن أجل إيصال التعاليم الشرعية إلى الجميع ، ويبذلون الوقتَ والجُهد في سبيل إنجاح مسيرة الدعوة الإسلامية . والحديثُ يدل على خطورة الاستماع إلى الأشرار وأهدافهم الخبيثة، وهنا يَظهر قُبحُ التواطؤ على الخيانة والقتل . وهناك إشارة واضحة إلى أن الغضب الإلهيَّ إذا نزل بقوم فلا راد له . وتَسليط بُخْتُنَصَّر [١٢٩] على بني إسرائيل، وقتله لليهود، كان عقوبةً إلهية لهم بسبب سُوء أفعالهم ، وتماديهم في الإثم والعدوان ، وغرقهم في الكفر والضلال والعناد والجرائم.

وَمَا مِن يَدٍ إلا يَدُ اللهِ فَوْقَها ولا ظَالِمٍ إلا سَيُبْلَى بظالِمِ

---

١٢٨ رواه الحاكم في المستدرَك (٢/ ٦٤٧) برقم (٤١٥١) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

١٢٩ نبوخذ نصَّر ، أو بُخْتُنَصَّر : أحد الملوك الكِلدان الذين حكموا بابل، وأكبر أبناء نبوبولاسر، ويُعتبر بُخْتُنَصَّر أحد أقوى الملوك الذين حكموا بابل ، وبلاد ما بين النهرين ، حيث جعل من الإمبراطورية الكِلدانية البابلية أقوى الإمبراطوريات في عهده ، بعد أن خاض عِدَّة حروب ضد الآشوريين والمصريين، كما أنه قام بإسقاط مدينة أورُشَليم (القُدس) مَرَّتَيْن : الأولى في سنة ٥٩٧ ق . م ، والثانية في سنة ٥٨٧ ق.م ، إذ قام بِسَبْي سُكَّان أورُشَليم ، وأنهى حُكم سُلالة داود .

وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٥٤ و٥٥) : ((المحفوظ في بعض ألفاظ الصحيح في حديث الإسراء : " فمررتُ بابنَي الخالة يحيى وعيسى " ، وهما ابنا الخالة على قول الجمهور، كما هو ظاهر الحديث ، فإن أم يحيى أشياع بنت عِمران أُخت مريم بنت عِمران. وقِيل: بل أشياع وهي امرأة زكريا أُم يحيى هي أُخت حَنَّة امرأة عِمران أُم مريم ، فيكون يحيى ابن خالة مريم ، فالله أعلم . ثُمَّ اخْتُلِف في مقتل يحيى بن زكريا ، هل كان في المسجد الأقصى أم بغيره ، على قَوْلَيْن : فقال الثوري عن الأعمش عن شِمْر بن عطية : قال : قُتل على الصخرة التي ببيت المقدس سبعون نبيًّا منهم يحيى بن زكريا عليه السلام . وقال أبو عُبَيد القاسم بن سَلَّام : حَدَّثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المُسيِّب ، قال : قَدِمَ بُخْتُنَصَّر دمشق ، فإذا هو بدم يحيى بن زكريا يغلي ، فسأل عنه ، فأخبروه ، فَقَتَلَ على دمه سبعين ألفًا ، فسكن . وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن المُسيِّب . وهو يقتضي أنه قُتِل بدمشق ، وأن قصة بُخْتُنَصَّر كانت بعد المسيح ، كما قاله عطاء والحسن البصري . فالله أعلم . وروى الحافظ ابن عساكر من طريق الوليد بن مسلم عن زيد بن واقد قال : رأيتُ رأس يحيى بن زكريا حين أرادوا بناء مسجد دمشق ، أُخْرِج من تحت ركن من أركان القِبلة الذي يَلِي المِحراب ، مِمَّا يَلي الشرق ، فكانت البَشَرَةُ والشَّعْرُ على حاله لم يتغيَّر . وفي رواية : كأنما قُتِل الساعة)) اهـ .

وقالَ اللهُ تعالى: ﴿ مِن أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَن أحياها فكأنما أحيا الناسَ جميعًا ﴾ [المائدة : ٣٢].

مِن أجل قَتْل ابن آدم أخاه ظُلْمًا (حادثة قتل قابيل لهابيل) ، فَرَضَ اللهُ على بني إسرائيل ، وحَكَمَ عليهم أنه مَن قَتل نَفْسًا بريئة ظُلْمًا وعُدوانًا ، أو قَتَلَها بغير فساد في الأرض (مِثل الشِّرك أو قَطْع الطريق) فكأنه قَتل جَميعَ الناس ، لأنه لا فرق بين نَفْسٍ ونفْس . ومَن سَاهَمَ في الإبقاء على حياة نَفْس بشرية، وأنقذها من الهلاك، كالقتل أو الغرق أو الحرق أو الهدم ، فكأنه أحيا جَميعَ الناس . وهذا هو المعنى المقصود . أمَّا إحياءُ النَّفْس بعد موتها ، فلا يَقْدِر عليه إلا الله .

وهذا التشريعُ الإلهيُّ العظيمُ يدل على أن الاعتداء على النَّفْس الإنسانية عدوانًا وظُلْمًا ، هو اعتداء على جميع النُّفوس بلا استثناء، فالكيانُ الآدميُّ كُلٌّ لا يتجزَّأ ، ووَحدة واحدة لا انفصال فيها . وقد كرَّم اللهُ الإنسانَ مهما كان دِينه وعقيدته وجِنسه وعِرْقه. وقتلُ الفرد هو تكريسٌ لقتل الجماعة ، وهدم للمُنجزات الحضارية ، وتدمير لمعالم المدنية والإنسانية ، كما أنه يَفتح البابَ أمام الأحقاد الاجتماعية ، وثقافة الانتقام ، والثأر ، والقتل ، والإبادة . وإذا زال الجُزءُ زال الكُلُّ .

وقال ابن كثير في تفسيره (٢ / ٦٥) : ((يقول تعالى : مِن أجل قَتْل ابن آدم أخاه ظُلْمًا وعُدوانًا ، ﴿ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ أي : شَرَعْنا لهم وأعلمناهم ﴿ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَن أحياها فكأنما أحيا الناسَ جميعًا ﴾ أي: مَن قَتل نَفْسًا بغير سبب مِن قِصاص ، أو فساد في الأرض ، واستحل قَتْلَها بلا سبب ولا جِناية ، فكأنما قَتل الناسَ جميعًا ، لأنه لا فرق عنده بين نفْس ونفْس . ﴿ وَمَن أحياها ﴾ أي : حَرَّمَ قَتْلَها واعتقدَ ذلك فقد سَلِمَ الناسُ كُلُّهم مِنه بهذا الاعتبار)) اهـ .

إن الآيةُ تُنفِّر مِن قتل الأبرياء ، وسَفْكِ الدم الحرام . وجريمةُ القتل في غاية السُّوء والقُبح . وقتلُ شخص واحد وقتل جميع الناس سواءٌ في نزول غضب الله ، واستحقاق العذاب والعِقاب .

والشريعةُ الإلهيةُ تُحرِّم القَتْلَ إلا في ثلاث حالات : كُفر بعد إيمان ، أو زنا بعد إحصان ، أو قتل نَفْس بريئة. وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٣١٩) : ((﴿ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ أي : بغير قتل نفْس يُوجب الاقتصاص ، ﴿ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ ﴾ أو بغير فساد فيها كالشِّرْك أو قطع الطريق ﴿ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ مِن حَيث أنه هَتك حُرمةَ الدماء،وَسَنَّ القتلَ،وجَرَّأَ الناسَ عليه، أو مِن حيث أن قتل الواحد وقتل الجميع سَواء في استجلاب غضب الله سبحانه وتعالى والعذاب العظيم ﴿ وَمَن أحياها فكأنما أحيا الناسَ جميعًا ﴾ أي: ومَن تَسَبَّبَ لبقاء حياتها بعَفْو أو مَنْع عن القتل، أو استنقاذ من بعض أسباب الهَلَكة، فكأنما فَعل ذلك بالناس جميعًا.والمقصود منه تعظيم قتل النَّفْس، وإحيائها في القلوب ترهيبًا عن التعرُّض لها ، وترغيبًا في المُحاماة عليها)) اهـ.

وقال القرطبي في تفسيره (٦ / ١٣٩) : ((وخُص بني إسرائيل بالذِّكْر، وقد تقدَّمتهم أمم قبلهم كان قتل النَّفْس فيهم محظورًا،لأنهم أول أُمَّة نزل الوعيد عليهم في قتل الأنفُس مكتوبًا،وكان قبل ذلك قَوْلًا مُطْلَقًا، فغُلِّظ الأمر على بني إسرائيل بالكتاب بحَسَب طُغيانهم وسَفْكهم الدماء)).

في هذا دَلالة واضحة على أن بني إسرائيل استمرؤوا القتلَ ، ومارسوه بكثرة ، واعتمدوا سَفْكَ الدماء منهجًا حياتيًّا ثابتًا وراسخًا ، فكانَ لا بُد من تَوجيههم ، والتَّشديد عليهم ، وتحذيرهم ، وتنبيههم ، ورَدْعهم ، وتخويفهم من خطورة قتل الأبرياء معصومي الدم ، وضرورة الابتعاد عن سفك الدم الحرام. وجاءَ التَّشديد عليهم،وتخصيصهم بالذِّكْر ، بسبب كثرة جرائمهم وضلالهم وعنادهم.

والآيةُ تُشير إلى خطورة القتل وسفك الدماء ، وأن الكيان الإنساني له احترامه في المنظور الإسلاميِّ ، ولا فَرْق بين الفرد والجماعة من حيث المكانة الاعتبارية ، إذ إن قتل الفرد قتلٌ للجماعة . وهذه النظرة الشرعية تقود إلى تدعيم الوَحدة الاجتماعية ، وتقوية الروابط بين أفراد

المجتمع ، وإحاطة الكيان البشري بسورٍ واقٍ يَحميه من عبث العابثين وجرائم الفاسدين . وكُل إنسان معصوم الدم حتى يَثبت العكس ، ولا يُهْدَر دَم إنسان ولا يُراق إلا بأحكام الشريعة الإلهية . وهذه الحصانة الإلهية الممنوحة للإنسان تُشير إلى مركزيته في الأرض ، ودَوره المحوري في إعمارها ، وأهميته في بناء الحضارة الإنسانية ، وأنه كائن محترم وشريف ومُكرَّم .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣٤٠ و٣٤١ و٣٤٢) : ((ومعنى ﴿ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ أي : قَتلها ظُلْمًا ، ولم تَقْتل نَفْسًا ، ﴿ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ ﴾ فساد مَنسوق على نفْس . المعنى: أو بغير فساد تستحق به القتل.وقِيل: أراد بالفساد هاهُنا الشِّرْك.وفي معنى قَوله: ﴿ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ خمسة أقوال : أحدها أن عليه إثم مَن قَتَلَ الناسَ جميعًا ، قاله الحسن والزَّجاج . والثاني أنه يَصْلى النار بقتل المُسلم كما لو قَتل الناس جميعًا ، قاله مجاهد وعطاء . وقال ابن قُتَيبة : يُعذَّب كما يُعذَّب قاتل الناس جميعًا . والثالث أنه يجب عليه مِن القِصاص مِثل ما لو قَتل الناسَ جميعًا ، قاله ابن زيد . والرابع أن معنى الكلام ينبغي لجميع الناس أن يُعينوا وَلِيَّ المقتول حتى يَقِيدوه منه ، كما لو قَتل أولياءهم جميعًا ، ذَكَره القاضي أبو يعلى . والخامس أن المعنى مَن قَتل نبيًّا أو إمامًا عادلًا ، فكأنما قَتل الناسَ جميعًا ، رواه عِكْرمة عن ابن عباس. والقول بالعموم أصح . فإن قِيل : إذا كان إثم قاتل الواحد كإثم مَن قَتل الناسَ جميعًا ، دَلَّ هذا على أنه لا إثم عليه في قَتْل مَن يَقْتله بعد قتل الواحد إلى أن يفنى الناس ، فالجواب أن المِقدار الذي يستحقه قاتل الناس جميعًا معلوم عند الله مَحدود ، فالذي يَقتل الواحدَ يلزمه ذلك الإثم المعلوم . والذي يَقتل الاثنين يلزمه مِثْلاه ، وكُلما زاد قتلًا زاده الله إثمًا . ومِثل هذا قوله : ﴿ مَن جَاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمثالها ﴾ [الأنعام : ١٦٠] . فالحسنة معلوم عند الله مِقدار ثوابها ، فعاملها يُعطَى بِمِثْل ذلك عشر مرات ، وهذا الجواب عن سؤال سائل إن قال: إذا كان مَن أحيا نَفْسًا فله ثواب مَن أحيا الناس، فما ثواب مَن أحيا الناس كُلَّهم؟. هذا كُله منقول عن المُفسِّرين . والذي أراه أن التَّشبيه بالشيء تقريب منه ، لأنه لا يجوز أن يكون إثم قاتل شخصَيْن كإثم قاتل شخص ، وإنما وقع التشبيه بِ " كأنما " لأن جميع الخلائق مِن شخص واحد ، فالمقتول يُتصوَّر منه نشر عدد الخلق كُلِّهم . وفي قَوله : ﴿ وَمَن أحياها ﴾ خمسة أقوال : أحدها استنقذها مِن هَلَكة ، رُوِيَ عن ابن مسعود ومجاهد . قال الحسن : مَن أحياها مِن غرق أو حرق أو هلاك ، وفي رواية عِكرمة عن ابن عباس : " مَن شَدَّ عَضُدَ نبيٍّ أو إمام عادل ، فكأنما أحيا الناس جميعًا" . والثاني تَرَكَ قَتْلَ النَّفْس المُحرَّمة ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد في رواية . والثالث أن يَعفوَ

أولياء المقتول عن القِصاص ، قاله الحسن وابن زيد وابن قُتَيبة. والرابع أن يزجر عن قَتْلها ويَنهى . والخامس أن يُعِين الوَليَّ على استيفاء القِصاص، لأن في القِصاص حياة، ذكَرهما القاضي أبو يعلى. وفي قَوله : ﴿ فكأنما أحيا الناسَ جميعًا ﴾ قَولان : أحدهما فله أجر مَن أحيا الناس جميعًا ، قاله الحسن وابن قُتَيبة . والثاني فعلى جميع الناس شُكره ، كما لو أحياهم ، ذكَره الماوردي)) اهـ .

إن بني إسرائيل غرقوا في القَتْل وسَفْك الدماء ، وتعاملوا معَ الأنبياء الكرام بوقاحة وعِناد ، وتكبَّروا عليهم ، وأهانوهم ، وكذَّبوهم ، وقتلوهم. وقد اعتنقَ بنو إسرائيل القتلَ منهجًا حياتيًّا وجوديًّا راسخًا لا رجعة عنه ، وارتكبوا أسوأ أنواع الجرائم ، واقترفوا الذنوب والآثام والمُوبِقات .

لقد أرسلَ اللهُ الأنبياءَ إلى بني إسرائيل لهدايتهم إلى الحق ، وإرشادهم إلى الصواب ، وإخراجهم من ظُلمات الجهل والكفر إلى نُور العِلم والإيمان ، وإنقاذهم من النار ، وقيادتهم إلى الجنة . فماذا كانت النتيجة ؟ . تعاملَ اليهودُ معهم باحتقار وازدراء واستكبار ، وقتلوهم بدم بارد ، بلا إثم ولا ذَنْب ولا جريمة ، دُون وازع ديني أو رادع أخلاقي ، ودُون التفات إلى الشريعة ، أو العلاقات الاجتماعية ، أو القيم الإنسانية .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنهُم يَتَوَلَّوْنَ الذينَ كَفروا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُم أَنفُسُهُم أَن سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِم وَفِي العَذَابِ هُم خَالِدُونَ ﴾ [المائدة : ٨٠] .

ترى كثيرًا مِن اليهود _ مِثل كَعْب بن الأشرف وأصحابه_ يُوالُون مُشركي مكة عَبَدَة الأصنام والأوثان ، ولَيسوا على دِينهم ، وذلك كُرْهًا للإسلام ، وبُغْضًا للنبيِّ محمد ﷺ ، وعداوةً له ، وحِقْدًا على المؤمنين ، وحسدًا لهم . بِئْسَ ما قدَّموا من العمل لِمَعَادهم في الآخرة ، أن غَضِبَ اللهُ عليهم . وفي عذاب جهنم يوم القيامة هُم خالدون إلى الأبد ، بلا انقطاع ولا نهاية .

وقال الطبري في تفسيره (٤/ ٦٥٩) : ((يقول تعالى ذِكْرُه : ﴿ تَرَى ﴾ يا محمد ﴿ كَثِيرًا ﴾ مِن بني إسرائيل ﴿ يَتَوَلَّوْنَ الذينَ كَفروا ﴾ يقول : يَتَوَلَّوْنَ المشركين مِن عَبَدَة الأوثان ، ويُعَادون أولياء الله ورُسله ، ﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُم أَنفُسُهُم ﴾ يقول تعالى ذِكْرُه : أُقْسِم : لَبِئْسَ الشَّيء الذي قَدَّمت لهم أنفسُهم أمامَهم إلى مَعَادهم في الآخرة ﴿ أَن سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِم ﴾ يقول : قَدَّمَتْ لهم أنفسهم سخط الله عليهم بما فعلوا ... . ﴿ وَفِي العَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ يقول : وفي عذاب الله يوم القيامة ﴿ هُم خَالِدُونَ ﴾ دائم مُقامهم ومُكثهم فيه)) اهـ .

إن العِناد والاستكبار والغرور والحِقد والحسد والخُبث والمكر مِن أبرز صفات اليهود ، وهي علامات دالة عليهم في كُل مراحل وجودهم . واليهودُ لا يَقْدِرُون على العَيش بدون مؤامرات .

واضطهادُ الآخرين وتهديدهم ومُمارسة الإرهاب والتَّرويع ضِدهم ، كُلها قيم مركزية في بُنية التفكير اليهودي الرامي إلى إسكات الأصوات المُعَارِضة ، ونَفْيها، وإبعادها عن الساحة، كي يَخْلُوَ الجو لليهود لممارسة الأعمال الشريرة، وحياكة المؤامرات ، وبَسْط نفوذهم وهيمنتهم على الناس، والحصول على المكتسبات المعنوية والمادية ، وضمان المصالح الشخصية ، والاستئثار بالزعامة .

وفي [أعمال الرُّسل ١٣ : ٥٠] : ((ولكن اليهود حرَّضوا النساءَ النبيلات والمُتعبِّدات ووُجهاء المدينة ، وأثاروا الاضطهاد على بُولُس وبَرنابا ، حتى طردوهما من بلدهم)) .

هذا النص الإنجيلي يُظهِر منهجية اليهود الشريرة في مُقاوَمة المُعارضين وإعلان الحرب عليهم، فقد اعتمدوا على تحريض الشخصيات المهمة والمُؤثِّرة ، وإحداث بَلبلة واضطراب في المجتمع ، ومارسوا الاضطهاد ضِد بُولُس وبَرنابا (وكلاهما مِن أبرز أتباع المسيح حَسَب اعتقاد النصارى) ، حتى تسبَّبوا بطردهما من بلدهم، من أجل أن تصبح الساحة خالية تمامًا لليهود ، وعندئذ يُمارسون إرهابهم بلا نكير ، ويبتزون الناسَ ويستغلونهم لتحقيق المصالح الشخصية ، وجمع حُطام الدنيا الفاني بلا مُعارَضة ولا مُساءلة ولا اعتراض . وهذا يدل على خُبث اليهود ومَكْرهم ومؤامراتهم .

وفي [الرسالة الأولى إلى تَسالُونيكي ٢: ١٤_ ١٦] قال بُولُس : ((فأنتم أيضًا قاسَيتُم على أيدي بني جِنسكم ما قاسَوْه هُم على أيدي اليهود الذين قَتلوا الربَّ يَسوعَ والأنبياءَ واضطهدونا نحن أيضًا ، وهم لا يُرضون الله ويُعادون الناسَ جميعًا ، إذ يمنعوننا من تبشير الأمم لِيَخلصوا ، وبذلك يَستكملون خطاياهم كُلَّ حِين ، ولكن الغضب قد حَلَّ عليهم إلى الغاية)) اهـ .

هذا النص الإنجيلي يُبيِّن صفات اليهود السَّيئة، فقد قَتلوا المسيحَ _حَسَب عقيدة النصارى_، وقتلوا الأنبياء ، وارتكبوا أسوأ أنواع الجرائم ، ومارسوا الإرهاب والترويع والاضطهاد على نطاق واسع.واليهودُ أعداء لدعوة الأنبياء ، يُحاولون وأدها في مَهْدها . وغضب الله نازل عليهم ، وعذابه واقع بهم. وهذا يدل على العداوة الأبدية بين اليهود والنصارى، والحُب بينهم مُجرَّد وَهْم ومشروع تجاري لتحقيق مصالح متبادلة . وفي [مَتَّى ٢٣ : ٢٩ _ ٣٢] قال المسيح : ((الوَيْلُ لكم أيها الكَتَبة والفَرِّيسيون المراؤون ! فإنكم تبنون قبورَ الأنبياء وتُزيِّنون مَدافِنَ الأبرار ، وتقولون : لو عِشنا في زَمَن آبائنا لَمَا شارَكْناهم في سَفك دَمِ الأنبياء . فبهذا تَشهدون على أنفسكم بأنكم أبناءُ قاتلي الأنبياء! فأَكمِلوا أنتم ما بَدأه آباؤكم لِيَطفح الكَيل!)) اهـ. هذا النص يُبيِّن أن اليهود قَتَلة الأنبياء ، وأن آباء اليهود وأبناءهم سلسلة مُتَّصلة وفاسدة وقائمة على الإرهاب ، والقتل ، وسَفْك الدماء ، وارتكاب الجرائم ، واقتراف الذنوب والآثام والمُوبقات ، بدون وازع ديني ، ولا رادع أخلاقي .

ثالثًا : تاريخ أسْوَد

يُمثِّل التاريخُ الامتدادَ الإنساني الطبيعي ، ومعنى سُلالة الشخص ، والخلفية التي جاء منها ، والوعاءُ المُحتوي على أصْله ووجوده. وتكمن أهميةُ التاريخ في قُدرته على تشكيل حالة الطمأنينة لدى الفرد ، والشعور بالقيمة والأهمية والوجود الفعَّال. ومَن لا يملك تاريخًا ، يَشعر بالنقص والحرمان ، وحاله مِثل كَومة أعشاب طافية على سطح الماء ، ليس لها جذور ، ولا أصل .

وعلى الرغم من كثرة المحاولات لتكوين رؤية مُوجِّهة للتاريخ ، تخدم بعض الفئات ، عن طريق طمس الحقيقة ، وإحلالِ الأساطير المُوظَّفة سياسيًّا ودينيًّا مكانها ، إلا أن التاريخ ما زال يُشكِّل صورة ذات مِصداقية . وكُل شَخص يُزوِّر الأحداثَ التاريخية ، يُفْتَضَح أمره ، وينكشف كذبه ، بسبب عوامل البحث والتمحيص والفحص والتدقيق ، التي يقوم بها الباحثون المُنصفون ، والمُؤرِّخون المُبْصِرون ، والعلماء المُحقِّقون . وهؤلاء قادرون على غَرْبَلة أحداث التاريخ رغم كُل عمليات التزوير والتلاعب والتَّحريف والكذب والخداع ، وتمييز الغَث من السمين . ولا يَخلو زمن مِن قائم لله بِحُجَّة . والشخصُ الكاذبُ المُحتال يَستطيع أن يَخدع بعضَ الناس لبعض الوقت ، ولكنه لا يَستطيع _ مهما كان مَكره وخُبثه وعبقريته _ أن يَخدع جميعَ الناس في كل زمان ومكان. ولا تُوجد جريمة كاملة. والتاريخ يُعيد بناء نفْسه عن طريق نبذ الخرافات والتخلص من الأكاذيب ، والتاريخُ قادر على تصحيح مساره بشكل ذاتي.وكما أن البحر لا يتنجَّس، مهما أُلْقِيَت فيه الأوساخ والقاذورات، كذلك التاريخ لا يُمكن تزويره، مهما أُلْقِيَت فيه الأكاذيب والألاعيب . والشمسُ لا تُغطَّى بِغِربال. ولكن الأمر يحتاج إلى دراسة التاريخ مِن كُل الزوايا ، وَفْق قواعد المنهج العِلمي القائم على التدقيق والتمحيص والأدلة والبراهين ومُقارَعة الحُجَّة بالحُجَّة ، بعيدًا عن الأهواء الذاتية والمصالح الشخصية . ولا يُمكن القَبول بأيِّ شيء بِدُون دليل . والبَيِّنةُ على مَن ادَّعى .

والجماعاتُ اليهوديةُ لا ترقى إلى مستوى الشعب، فالشعبُ بُنية مُتجانسة ذات هُوية واضحة غير مُلتبسة ، تتأسَّس في وطن حقيقي . والمقصود بالوطن الحقيقي هو امتلاك السيادة على الأرض ، وليس سرقة أرض الآخرين والاعتداء عليهم . والجماعاتُ اليهودية هي طوائف مُبعثرة ومُشتَّتة قائمة على المصالح المادية فقط ، وهي نقيض الشعب، حيث يظهر المال والنفوذ كهُوية ، وتَحِلُّ سرقة بلاد الآخرين محل الوطن، ويصير التاريخُ سكينًا حادة على رقاب حامليه ، وعِبئًا ثقيلًا على ظُهور رافعيه ، بدلًا مِن أن يكون امتدادًا راقيًا وفَعَّالًا للوجود البشري بكل تفاصيله وتجلياته .

إن تاريخ اليهود قائم على الخزي والعار والذُّل ، لأنهم الثغرةَ ونُقطةَ الضعف في المجتمعات التي عاشوا فيها. واليهودُ يتصرَّفون كجمعية سِرِّية وطابور خامس ، وهذا جعلهم مُحْتَقَرِين ومَنبوذين ومَكروهين على نطاق واسع . وكُل مَن يَحترم اليهودَ ويُعظِّمهم ، إنما يَفعل ذلك بسبب أموالهم وقُوَّة تأثيرهم ونفوذهم وسيطرتهم على وسائل الإعلام، وليس حُبًّا فيهم، أو احترامًا لهم، أو اعترافًا بفضلهم ، أو تقديرًا لمكانتهم . وتعظيمُ اليهود مشروع مالي سُلطوي بَحْت لا علاقة له بالأخلاق.

إن كُل الأحداث هي تاريخية الطابع، والتاريخُ وعاء مَرِن يتَّسع لكل التفاصيل والأحداث . وفي هذا السياق ، سيتم الاقتصار على ذِكر أبرز ملامح الخلفية التاريخية لليهود ، ولا شك أن الزمن كاشف عن طبيعة الشخصيات ، ودورها في صناعة الأحداث ، وبيان أقوالها وأفعالها .

وقصةُ " البقرة" التي أمرَ اللهُ بني إسرائيل بذبحها، هي مُلخَّص كامل وشامل عن طبيعة العقلية والنَّفسية اليهودية . والامتحانُ والابتلاءُ يَكشفان جوهرَ الناس ، ويُظهِران حقيقةَ النَّفْس البشرية .

١ــ المرحلة الأولى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأمُرُكُم أَن تَذبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَن أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِين ﴾ [البقرة : ٦٧] [١٣٠] .

تكشف لنا المرحلةُ الأولى الأمرَ الإلهيَّ المُقدَّس الذي نقله النبيُّ موسى ﷺ لبني إسرائيل ، فقد أمرهم اللهُ أن يذبحوا بقرة ، ولم يتم تحديد التفاصيل ، لترك المجال لهم على اتِّساعه ، دُون التضييق عليهم . وكان رَد بني إسرائيل وقحًا ، حيث اعتقدوا ــ وبِئْسَ ما اعتقدوا ــ أن النبيَّ موسى ﷺ يَستهزئ بهم ، ويَسخر مِنهم ، وهو الرَّسول العظيم المعصوم مِن أُولي العَزْم . امتصَّ النبيُّ مُوسى ﷺ رعونتهم ، واستعاذ بالله تعالى أن يكون جاهلًا بالشريعة، مُفتريًا على الخالق تعالى .

---

١٣٠ في تفسير ابن كثير (١/ ١٥٣) : ((وقال آدم بن أبي إياس في تفسيره : أنبأنا أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية في قَوْل الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأمُرُكُم أَن تَذبَحُوا بَقَرَةً ﴾ . قال : كان رَجلٌ من بني إسرائيل وكان غنيًّا ، ولم يكن له ولد ، وكان له قريب وكان وارثه ، فقتله ليرثه ، ثم ألقاه على مجمع الطريق . وأتى موسى ــ عليه السلام ــ فقال له: إن قريبي قُتل ، وإني إلى أمر عظيم ، وإني لا أجد أحدًا يُبَيِّنُ لي مَن قَتله غَيْرَكَ يا نبيَّ الله ، قال : فنادى موسى في الناس ، فقال: ((أَنشُد اللهَ مَن كان عنده مِن هذا عِلم إلا يُبَيِّنه لنا)) ، فلم يكن عندهم عِلم ، فأقبلَ القاتل على موسى ــ عليه السلام ــ فقال له : أنتَ نبيُّ الله ، فَسَلْ لنا رَبَّكَ أن يُبَيِّن لنا، فسألَ رَبَّه ، فأوحى الله : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأمُرُكُم أَن تَذبَحُوا بَقَرَةً ﴾ ، فعجبوا من ذلك)) .

ويظهر لنا من طبائعهم عدم أخذهم الأوامر الإلهية بِجِدِّية وحماس ، والتَّهَوُّرُ بإطلاق سؤال أحمق وطائش يدل على جهلهم وعنادهم وغرورهم : ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ ؟ . ولو أنهم أخذوا أية بقرة وذبحوها لانتهت القضية، لكنهم عقَّدوا القضية ، وغلَّفوها بثوب الاستهزاء والتعقيد ، وشدَّدوا على أنفسهم وضيَّقوا عليها، فشدَّد اللهُ عليهم، وأوقعهم في الحَرَج والضِّيق عُقوبةً لهم.والجزاءُ مِن جِنس العمل.وكان كلامُهم يَفتقد إلى الإيمان واليقين،مِمَّا يدل على أن قلوبهم مضطربة، ونفوسهم مهزوزة، وعقائدهم مُخَلْخَلَة، لأن الكلام صفة المُتكلِّم . ومُحتوى القلب يَظهر على اللسان غالبًا .

((وقد أخرج البزَّار وابن أبي حاتم في تفسيره من طريق أبي رافع عن أبي هريرة مرفوعًا : " لَو اعترضَ بنو إسرائيل أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ، ولكن شَدَّدوا فَشَدَّدَ اللهُ عليهم ")) [١٣١] .

إن بني إسرائيل معروفون بالعِناد ، وعدم المُبَادَرَة إلى الطاعات والعبادات ، وعدم الاستجابة للأوامر مِن أوَّل مَرَّة، لأنهم أصحاب قلوب قاسية، وأخلاق خشنة، وطِبَاع صلبة،ونفسيات مُتكبِّرة.

لقد وُجِدَ في بني إسرائيل قتيل لا يُعرَف قاتله ، فسألوا نَبِيَّهم ورسولهم مُوسى ﷺ أن يَدعوَ اللهُ لِيُبَيِّن لهم ذلك . فسألَ مُوسى رَبَّه ، فأمرهم اللهُ على لسان مُوسى أن يَذبحوا بقرةً ، فتعجَّبوا أشد العَجَب ، وذُهِلوا ، واندهشوا ، واعتقدوا أن مُوسى يَلعب ويَستهزئ بهم ويَسخر منهم ، فقد سألوه عن القتيل ، فأمرهم بذبح بقرة . ووَفْق تفكيرهم ، إن الأمرَيْن غير مُترابطَيْن ، ولا علاقة بينهما ، وبعيدان كُل البُعد في الظاهر . وهُم لا يَعْلمون الحِكمة في الموضوع ، حيث إن الله أمرهم أن يَذبحوا بقرةً ، ويَضربوا القتيلَ ببعضها ليحيا ، فيُخبرهم بقاتله . وقد نفى مُوسى عن نفْسه أن يكون من اللاعبين أو المُستهزئين أو الساخرين . والأنبياءُ لا يَلعبون بأوامر الله ، ولا يمزحون في أحكام الدِّين ، ولا يَستهزئون بالعقائد والشرائع . وهذا فِعل الجاهلين . والأنبياءُ مَعصومون مِن الذنوب، ومُنَزَّهون عن النقائص والعيوب ، ويُبلِّغون الوَحْيَ الإلهيَّ كاملًا ، بلا زيادة ولا نقصان .

وقال الطبري في تفسيره (١/ ٣٧٨) : ((وهذه الآية مِمَّا وبَّخ اللهُ بها المُخَاطَبِين من بني إسرائيل في نَقْض أوائلهم الميثاق ، الذي أخذه اللهُ عليهم بالطاعة لأنبيائه ، فقال لهم : واذكروا أيضا مِن نكثكم مِيثاقي ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ﴾ ، وقَومه بنو إسرائيل ، إذ ادَّارؤوا في القتيل الذي قُتِل فيهم إليه _ والتَّدَارُؤ هو التدافع في الخصومة _ . ﴿ إِنَّ اللهَ يَأمُرُكُم أَن تَذبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾. والهُزُؤ اللعب والسخرية ... . ولا ينبغي أن يكون من أنبياء الله فيما أخبرت عن

١٣١ فتح الباري(١٣/٢٦١).وقال ابن حجر:((وفي السند عَبَّاد بن منصور،وحديثه من قبيل الحسن)).

الله مِن أمر أو نَهْي هُزُؤ أو لعب ، فظنُّوا بموسى أنه في أمره إيَّاهم عن أمر الله تعالى ذِكْرُه بذبح البقرة عند تدارئهم في القتيل إليه، أنه هازئ لاعب، ولم يكن لهم أن يظنُّوا ذلك بنبي الله ، وهو يُخبرهم أن الله هو الذي أمرهم بذبح البقرة ... . فأخبرهم موسى إذ قالوا ما قالوا أن المُخْبِر عن الله جَل ثناؤه بالهُزْء والسُّخرية من الجاهلين ، وبرَّأ نَفْسَه مِمَّا ظَنُّوا به مِن ذلك، فقال: ﴿ أَعُوذُ بِاللهِ أَن أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِين ﴾ يعني : مِن السُّفهاء الذين يَرْوُون عن الله الكذبَ والباطلَ)) اهـ .

٢_ المرحلة الثانية : ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤمَرُون ﴾ [البقرة : ٦٨] [١٣٢] .

بدؤوا بطلب تفاصيل حول الموضوع، وطلبوا مِن نَبِيِّهم مُوسى ﷺ أن يَدعوَ الله بذلك ، ولم يقوموا بالدعاء لأن نَبِيَّهم معهم،وهو الأقرب إلى الله تعالى، وهو نَبِيُّهم ورسولهم وقائدهم وزعيمهم، وهو المُتَحَدِّث باسم الله ، والمُمَثِّل للشريعة الإلهية على الأرض . ويمكن ملاحظة أن كلماتهم خالية من حرارة الإيمان والمُبَادَرَة إلى فعل الطاعات وأداء العبادات .

ولَمَّا طلبوا تفاصيل جاءتهم التفاصيل، ولَمَّا ألزموا أنفسهم بأشياء تَمَّ التشديد عليهم وإلزامهم بها عُقوبةً لهم ، وتهذيبًا لأخلاقهم الجافة ، وتأديبًا لهم . إذ إن التكاليف الشاقة هي عقوبة إلهية عادلة بسبب ضَعف الوازع الإيماني في النُّفوس، وانعدامِ الإقبال على حَمْل الشريعة الإلهية بكل تفاصيلها ومعانيها وألفاظها ، وعدم تقدير قُدسيتها البالغة ، وأهميتها الجَلِيَّة .

قال أنس ابن مالك _ رضي الله عنه_ إن رسول الله ﷺ كان يقول : ((لا تُشَدِّدوا على أنفسكم ، فَيُشَدِّدَ اللهُ عَلَيْكُم)) [١٣٣] . هذا يُشير إلى خطورة أن يُشدِّد الإنسانُ على نفْسه ، ويُحمِّلها فوق طاقتها . وقد هَلَكَ كثير من الناس بسبب تشديدهم على أنفسهم ، وتحميلها فوق ما تَحتمل . والشريعةُ الإلهية واضحة ، لا مكان فيها للتَّعقيد والتَّطَرُّف والأهواء الشخصية . والحديثُ يَحْمِل نَهْيًا عن التَّشَدُّد في الدِّين بالزِّيادة عن المَشروع ، والمُبالَغةِ في أداء العبادات .

---

١٣٢ قال القرطبي في تفسيره (١/ ٤٨٥) : ((﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ . في هذا دليل على جواز النَّسْخ قبل وقت الفِعل ، لأنه لَمَّا أَمَرَ ببقرة اقتضى أي بقرة كانت ، فلمَّا زادَ في الصِّفة نُسِخَ الحُكم الأول بغَيْره)) .

١٣٣ رواه أبو يعلى(٦ / ٣٦٥) برقم(٣٦٩٤) بسند حسن. وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٣٩٠): ((رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء ، وهو ثقة)) .

لقد عَلِمَ بنو إسرائيل وأيقنوا أن كلام مُوسى ﷺ جِد وحَق وصِدق ، فبدؤوا بطلب تفاصيل عن البقرة ، وهذا تشديد مِنهم على أنفسهم وتضييقًا عليها . طلبوا مِن مُوسى ﷺ أن يَدعوَ لهم اللهَ أن يُوضِّح لهم طبيعة هذه البقرة وخصائصها وصفاتها . وقد كان يَكفيهم أن يَذبحوا أيَّةَ بقرة دون تفاصيل مُحدَّدة ولا صفات مُعيَّنة ، ولكنَّهم شدَّدوا على أنفسهم ، فشدَّد اللهُ عليهم ، بسبب قسوة قلوبهم ، وسُوءِ أخلاقهم ، وخُشونة طِباعهم ، وتكاسلهم عن أداء الطاعات والعبادات ، ووجود خلل في طريقة تفكيرهم . قال مُوسى : إن الله يقول إنها بقرة لا مُسِنَّة (لا فارض) ، ولا فَتِيَّة (لا بِكْر) ، وإنما بين ذلك. والمعنى: إن البقرة لا كبيرة ولا صغيرة، وإنما في حالة وسط بين الأمْرَيْن . فافعلوا ما تُؤمَرون مِن ذَبْح البقرة ، وابتعدوا عن العِناد والمُكَابَرة وكثرة الأسئلة وتضييع الوقت .

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ١٥٧) : ((أخبرَ تعالى عن تَعَنُّت بني إسرائيل ، وكثرة سؤالهم لرسولهم ، لهذا لمَّا ضيَّقوا على أنفسهم ضيَّق اللهُ عليهم ، ولو أنهم ذَبحوا أيَّ بقرة كانت، لوقعت الموقع عنهم ، كما قال ابن عباس وعُبَيدة وغَير واحد ، ولكنهم شدَّدوا فَشُدِّدَ عليهم . فقالوا : ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَنَا مَا هِيَ ﴾ أي : ما هذه البقرة وأي شيء صفتها . قال ابن جرير حدَّثنا أبو كُرَيْب حدَّثنا عَثَّام بن علي عن الأعمش عن المِنهال بن عمرو عن سعيد بن جُبَير عن ابن عباس قال : " لو أخذوا أدنى بقرة لاكتفوا بها ، ولكنهم شدَّدوا فَشُدِّدَ عليهم " . إسناد صحيح . وقد رواه غير واحد عن ابن عباس ، وكذا قال عُبَيدة والسُّدي ومجاهد وعِكرمة وأبو العالية وغير واحد ... . قال : ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ ﴾ أي : لا كبيرة هَرِمة ولا صغيرة لم يَلْحقها الفَحْل ، كما قاله أبو العالية والسُّدي ومجاهد وعِكرمة وعطية العَوفي وعُطاء الخراساني ووَهْب بن مُنَبِّه والضَّحاك والحسن وقَتادة ، وقاله ابن عباس أيضًا . وقال الضَّحاك عن ابن عباس : ﴿ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ يقول : نَصَف بين الكبيرة والصغيرة، وهي أقوى ما يكون من الدواب والبقر ، وأحسن ما تكون)) اهـ . وقال الطبري في تفسيره (١/ ٣٨٢): ((﴿ فَافْعَلُوا مَا تُؤمَرُون ﴾ . يقولُ اللهُ لهم جَل ثناؤه: افعلوا ما آمركم به ، تُدْرِكوا حاجاتكم وطلباتكم عندي ، واذبحوا البقرة التي أمرتكم بذبحها ، تَصِلوا بانتهائكم إلى طاعتي بذبحها إلى العِلم بقاتل قتيلكم)) اهـ .

٣_ المرحلة الثالثة : ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لنا مَا لَونُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَونُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِين ﴾ [البقرة : ٦٩] .

اختاروا السؤالَ عن لَوْنها (وهو أمر دقيق) ، لِيَظْهروا حريصين على طاعة الله وعبادته وتنفيذ أوامره بِدِقَّة . وكُلَّما شَدَّدوا على أنفسهم بطلب التفاصيل الدقيقة ، شَدَّدَ اللهُ عليهم وضَيَّقَ عليهم .

طَلَبَ بنو إسرائيل من موسى ﷺ أن يَدعوَ لهم اللهُ ليُوضِّح لهم ما لَوْن البقرة التي أمرهم اللهُ بذبحها. وهذا يدل على عنادهم وتعنُّتهم وتكلُّفهم ، وتشديدهم على أنفسهم ، وتَضييقهم عليها ، بالبحث عن تفاصيل دقيقة لم يُؤمَروا بها أصلًا ، فلمَّا ضَيَّقوا على أنفسهم ضَيَّقَ اللهُ عليهم .

قال مُوسى إن الله يقول إنها بقرة شديدة الصُّفرة،لَوْنُها خالص وصافٍ،لا لَوْنَ فيها إلا الأصفر. تُعجِب الناظرين، وتُدخِل عليهم الفرحَ والسُّرورَ،إعجابًا بجمالها وصفاء لَوْنها، واستحسانًا لمنظرها.

وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٣٤٠): ((الفُقُوع نُصُوع الصُّفْرة ، ولذلك تُؤكَّد به، فيُقال : أصفر فاقع ، كما يُقال : أسْوَد حالك . وفي إسناده إلى اللون وهو صفة صفراء لمُلابسته بها ، فَضْل تأكيد ، كأنه قِيل : صفراء شديدة الصُّفرة صُفرتها ... ﴿ تَسُرُّ النَّاظِرِين ﴾ أي : تُعْجِبهم . والسُّرور أصله لَذَّة في القلب عند حصول نفع أو توقُّعه ، مِن السِّر)) اهـ .

٤ــ المرحلة الرابعة: ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لنا مَا هِيَ إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَينَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُون ﴾ [البقرة : ٧٠] .

إن بني إسرائيل لَيسوا حريصين على المُبَادَرَة إلى عمل الطاعات وأداء العبادات، كما أنهم يُضيِّقون على أنفسهم ، ويُشدِّدون عليها ، بكثرة الأسئلة وطلب التفاصيل الدقيقة . وكثرةُ التَّدقيق والاستقصاء أمرٌ سيِّئ ومَكروه في الشريعة . ويدل على التعنُّت والجهل والعناد والوساوس . وهذه المَرَّةُ تَشابهَ البقرُ عليهم ــ وَفْق رؤيتهم وحَسَب تقديرهم ــ، فلم يَستطيعوا تحديد البقرة المطلوبة.

طَلب بنو إسرائيل الذين أُمِرُوا بذبح البقرة مِن نبيِّهم ورسولهم مُوسى ﷺ أن يَدعوَ لهم اللهَ ليُوضِّح لهم ما هي هذه البقرة ، فقد تَشابهَ البقر عليهم لكثرتها ، واختلطَ عليهم الأمر .

واستثناؤهم : ﴿ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُون ﴾ دليل على وجود الخير فيهم ، ورجوعهم إلى الله، وندمهم على تفريطهم وتقصيرهم ، وحِرصهم على ذبح البقرة امتثالًا لأمر الله تعالى .

والمعنى العام : مَيِّزْ لنا هذه البقرة ، وحدِّدها لنا ، وإذا بَيَّنْتَها ووضَّحتها لنا لَمُهْتَدُون .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٩٧) : ((وروى أبو هريرة ــ رضي اللهُ عنه ــ عن النبيِّ ﷺ أنه قال : " لَوْلا أن بني اسرائيل اسْتَثْنَوْا ، لَم يُعْطَوْا الذي أُعْطُوا " . يعني بذلك قَولهم : ﴿ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُون ﴾ . وفي المراد باهتدائهم قَولان : أحدهما أنهم أرادوا المُهْتَدون إلى البقرة ، وهو قول الأكثرين . والثاني : إلى القاتل ، ذَكَره أبو صالح عن ابن عباس)) اهـ .

٥ــ المرحلة الخامسة : ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلا تَسْقِي الحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُون ﴾ [البقرة : ٧١] .

يستمر التَّشديدُ والتَّضييقُ عليهم . وتأتي صفات جديدة للبقرة أكثر تفصيلًا ودِقَّةً . فهذه البقرة غير مُعَدَّة للحِراثة (لا ذَلُول) ولا للسَّقْي . وهي سليمة مِن العُيوب وآثارِ العمل (مُسَلَّمة)، ولا لون فيها غير لَوْن جِلْدها (لا شِيَة فيها) . وبعد كل هذه التفاصيل التي ألزموا أنفسهم بها ، ذَبحوا البقرةَ بِشِق الأنفُس. وقد كانوا قريبين مِن عدم ذَبحها. وهذا ذَمٌّ لهم على جهلهم ، وتعنُّتهم، وضَعف إقبالهم على العبادات والطاعات،وغياب رُوح المُبَادَرَة إلى تنفيذ أوامر الله فَوْرًا بلا تأخير .

إن البقرة التي أمرَ اللهُ بني إسرائيل بذبحها ليست مُذَلَّلَة بالحراثة والعمل ، ولا تَقلب الأرضَ للزراعة ، وغير مُعدَّة للسَّقْي ، وسالمة من العيوب والأمراض ، ومُكرَّمة حسنة لا مُهانة ذليلة . وهي صفراء بشكل كامل ، ولا يوجد فيها لَوْن آخر. وهذه الصفاتُ الدقيقة في البقرة سببها أن بني إسرائيل شدَّدوا على أنفسهم ، فشدَّد اللهُ عليهم . وبعد كل هذا البيان الوافي ، قالوا : الآن بَيَّنْتَ الحقَّ ، ووضَّحتَ الحقيقةَ ، وجِئْتَ بالوصف الشامل الكامل التام ، فوجدوا البقرةَ التي تحمل هذه الأوصاف . فذبحوها ، وما كادوا أن يَذبحوها لغلاء ثمنها ، أو خوفًا من الفضيحة بمعرفة القاتل .

وبعد كُل هذه الأسئلة والأجوبة والتفاصيل والتوضيحات، كادَ بني إسرائيل أن لا يَذبحوا البقرة، وهذا يدل على عنادهم وتعنُّتهم، وعدم مُبادرتهم إلى أمر الله ، وتكاسلهم عن العبادات والطاعات.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٩٨ و٩٩) : ((قَوله تعالى : ﴿ وَمَا كَادُوا يَفْعَلُون ﴾ فيه قَولان: أحدهما لغلاء ثمنها، قاله ابن كَعْب القُرَظي . والثاني لخوف الفضيحة على أنفسهم في معرفة القاتل مِنهم ، قاله وَهْب . قال ابن عباس : " مكثوا يطلبون البقرة أربعين سنة حتى وجدوها عند رَجل ، فأبى أن يبيعها إلا بمِلء مَسْكها _ جِلْدها _ ذهبًا ". وهذا قول مجاهد وعِكرمة وعُبَيدة ووَهْب وابن زيد والكَلبي ومقاتل في مقدار الثمن. فأمَّا السبب الذي لأجله غلا ثمنها فيُحتمَل وجهين: أحدهما أنهم شدَّدوا فشدَّد اللهُ عليهم . والثاني لإكرام الله عز وجل صاحبها فإن كان بَرًّا بوالديه)) اهـ .

وكما أن النبيَّ مُوسى ﷺ (أعظم أنبياء بني إسرائيل) قد عانى أشدَّ المُعاناة معَ قَومه ، وتَحَمَّلَ عِنادَ اليهود وتعنُّتهم وغرورهم وتكبُّرهم، كذلك عانى النبيُّ محمد ﷺ معَ اليهود، الذين أساؤوا إليه، بأقوالهم وأفعالهم . وقد حرَّف اليهودُ صيغةَ السلام ، فعن عائشة _ رضي الله عنها _ أن اليهود دخلوا على النبيِّ ﷺ فقالوا : ((السَّامُ عَلَيْكَ)) [١٣٤] . والسَّامُ هو الموتُ .

---

١٣٤ متفق عليه . البخاري (٣/ ١٠٧٣) برقم (٢٧٧٧) ، ومسلم (١٧٠٦/٤) برقم (٢١٦٥) .

إن اليهود حرَّفوا التحيةَ ، وأدخلوا فيها حِقْدَهم الدفين ، وهذا يدل على مكرهم وخُبثهم . كما يعكس الانهيارَ الأخلاقي في المستويات الفكرية ، التي تقوم بتوفير الأرضية الحاضنة للإرهاب اليهوديِّ ، سواءٌ على الصعيد المعنوي أم المادي .

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٤/ ١٤٤) : ((اتفق العلماء على الرد على أهل الكتاب إذا سلَّموا، لكن لا يُقال لهم : وعليكم السلام . بل يُقال : عليكم ، فقط . أو وعليكم. وقد جاءت الأحاديث التى ذكَرها مسلم عليكم وعليكم ، بإثبات الواو وحذفها، وأكثر الروايات بإثباتها.وعلى هذا في معناه وَجهان:أحدهما أنه على ظاهره،فقالوا:عليكم الموت، فقال: " وعليكم أيضًا " أي: نحن وأنتم فيه سواء وكُلنا نموت. والثاني أن الواو هنا للاستئناف لا للعطف والتشريك وتقديره:وعليكم ما تستحقونه من الذَّم . وأمَّا حذف الواو، فتقديره بل عليكم السَّام)).

والتاريخ اليهودي حافل بالحقد والبغضاء ومُعاداة الأنبياء والتطاول عليهم.وفي[مَتَّى ٩: ٣٤]: أمَّا الفَرِّيسيُّون فقالوا : ((إنه يَطرد الشياطين برئيس الشياطين !)) .

لقد طَعَنَ علماءُ اليهود في المسيح ، وقالوا إنه يَطرد الشياطين برئيس الشياطين . أي إن المسيح ليس شخصًا طاهرًا ولا شريفًا ، فهو يتعامل مع الشياطين ، ويُمارس أعمالًا قذرة . وهذا الكلام الجارح نابع من الأهواء الذاتية والمصالح الشخصية ، ويَفتقر إلى المنطق والدليل ، ويَهدف إلى تزوير الواقع،ونشر الشَّائعات المُغرِضة الحاقدة لتشويه صورة المسيح ، وتَلويث سُمعته وسيرته.

وفي ظل انهيار تاريخ اليهود الأسْوَد ، وغرقهم في الكفر والضلال والفساد ، ليس غريبًا أن يتم اعتبار إبليس هو الأب الروحي لليهود ! .ففي يُوحَنَّا [٨: ٤٤] أن المسيح قال لليهود : ((إنكم أولادُ أبيكم إبليس))اهـ. هذا دليل على ضلال اليهود وفساد أخلاقهم وخُبثهم ومَكْرهم وعداوتهم للحق . فهُم يَنتمون إلى إبليس، وهو مُعلِّمهم وأبوهم الرُّوحي ، وهُم سائرون على خُطاه.

واليهودُ مُعتادون على الطعن في الأنبياء والتطاول عليهم ومُعاملتهم بشكل سيِّئ،والانتقاص مِن قَدْرهم.وهذا الطعنُ لا يَصدر إلا عن قلوب خالية من الإيمان ، وتَعُجُّ بالحِقد وكراهية ظهور الحق.

وعن أبي هُرَيرة ــ رَضِيَ اللهُ عنه ــ عن النبيِّ ﷺ قال : ((كانتْ بنو إسرائيلَ يَغتسلون عُرَاةً يَنظر بعضُهم إلى بعض ، وكان موسى يَغتسل وَحْدَه ، فقالوا : والله ما يمنع موسى أن يَغتسل معنا إلا أنه آدَر [١٣٥] . فذهب مَرَّة يغتسل ، فوضع ثوبَه على حَجَر ، فَفَرَّ الحجرُ بثوبه ، فخرج موسى

١٣٥ الآدَر : مَن انتفخت خُصْيَتاه ، لتسرُّب مائع بين طبقتَي الغلاف الذي يحيط بهما .

في إثره يقول : ثَوْبي يا حَجَر . حتى نظرتْ بنو إسرائيل إلى موسى ، فقالوا : واللهِ ما بموسى مِن بأس . وأخذَ ثَوْبَه ، فَطَفِقَ بالحَجَر ضَرْبًا)) [١٣٦] **. لقد وصل كلام اليهود إلى أعضاء الأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ ، وهذا يدل على المأزق الأخلاقي الخطير ، وضَعْفِ مبدأ مُقارعة الحُجَّة بالحُجَّة عند اليهود . والفرد حِين يُصبح عاجزًا عن تقديم مبادئ أخلاقية سامية ، ويَفقد قدرته على المُشاركة في النظام الأخلاقي الكَوْني ، فإنه سيتخذ موقفًا سلبيًّا من الأخلاق ، ويبدأ في محاولة نَقْدها ثم نَقْضها ، والناس أعداء ما يَجهلون . والحُكم على الشَّيء فَرْع عن تصوُّره .**

---

١٣٦ متفق عليه.واللفظ للبخاري(١/ ١٠٧)برقم (٢٧٤).ومسلم(١/ ٢٦٧)برقم (٣٣٩). وقال الحافظ في الفتح (١/ ٣٨٦) : ((" يغتسلون عُراة" ظاهره أن ذلك كان جائزًا في شَرْعهم وإلا لَمَا أَقَرَّهم مُوسى على ذلك ، وكان هو _عليه السلام _ يَغتسل وَحْدَه أخذًا بالأفضل ...قوله : " ثَوْبي يا حَجَر" أي : أعطني ، وإنما خاطبه لأنه أجراه مجرى مَن يَعقِل لكَوْنه فَرَّ بثوبه، فانتقل عنده من حُكم الجماد إلى حُكم الحيوان ، فناداه ، فلمَّا لم يُعْطِه ضَرَبه . وقيل : يحتمل أن يكون موسى أراد بضربه إظهار المعجزة بتأثير ضربه فيه، ويحتمل أن يكون عن وَحْي ... وأبدى ابن الجوزي احتمال أن يكون كان عليه مِئزَر لأنه يظهر ما تحته بعد البلل ، واستحسن ذلك ناقلًا له عن بعض مشايخه، وفيه نظر)). وقال العَيْني في عمدة القاري (٣/ ٢٣١) : ((وفيه دلالة على معجزة موسى_عليه الصلاة والسلام_ وهو مَشْي الحجَر بثوبه إلى ملأ من بني إسرائيل ونداؤه _ عليه الصلاة والسلام _للحجر، وتأثير ضربه فيه. وفيه دليل على أن الله تعالى كَمَّل الأنبياء خَلْقًا وخُلُقًا ، ونزَّههم عن المعايب والنقائص . وفيه ما غلب على موسى من البشرية حتى ضرب الحجر . فإن قلت : كشف العَورة حرام في حق غير الأنبياء_ عليهم الصلاة والسلام_ فكيف الذي صدر من موسى ؟ ، قلت : ذاك في شَرْعنا ، وأمَّا في شَرْعهم فلا، والدليل عليه أنهم كانوا يَغتسلون عُراة، ومُوسى يراهم لا يُنكِر عليهم ، ولو كان حرامًا لأنكره.فإن قُلْت: إذا كان كذلك فَلِمَ كان موسى ينفرد في الخلوة عند الغُسل ؟، قلت: إنما كان يفعل ذلك من باب الحياء، لا أنه كان يجب عليه ذلك ، ويحتمل أنه كان عليه مِئزَر رقيق ، فظهر ما تحته لَمَّا ابتلَّ بالماء ، فَرَأَوْا أنه أحسن الخَلْق، فزال عنهم ما كان في نفوسهم . فإن قلت : ما هذا الحجَر ؟ ، قلت : قال سعيد ابن جُبَير: الحجَر الذي وضع موسى ثَوبه عليه هو الذي كان يحمله معه في الأسفار فيضربه فيتفجَّر منه الماء ، والله أعلم)) اه . وقال الشَّوكاني في نيل الأوطار (١/ ٣١٩) : ((قوله " حتى نظرتْ " ظاهره أنهم رَأَوْا جسده _ أي جسد موسى _ ، وبه يتم الاستدلال على جواز النظر عند الضرورة)) اه .

ولا شَك أن الفرد المُنحرِف يودُّ لو كان كُل الناس مُنحرِفين ليجد نَوْعًا مِن المُواساة، ولا يَشعر بأنه شاذ أو غريب، وهذا يَجعل جرائمه عادية ومُبرَّرة وكُل الناس يقومون بها ، وَفْق تفكيره القاصر.

وفي صحيح البخاري(٥/ ٢٢٦٨) أن النبيَّ ﷺ قال:((إنَّ مِمَّا أدركَ الناسُ مِن كلام النُّبُوَّة الأُولَى : إذا لَم تَسْتَحِ فاصنعْ ما شِئْتَ)) [١٣٧] .

واليهودُ معروفون بالوقاحة والعِناد والتعنُّت والغرور والاستكبار . كما أنهم معروفون بالتطاول على الأنبياء الكرام ، وعداوتهم ، والطعن في شرائعهم ودَعوتهم . وفي حادثة تحويل القِبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المُشرَّفة. صار السُّفهاء وهم اليهود يُثيرون البلبلة والفوضى والاضطراب، ويحاولون استغلال الموقف للتشكيك بالنبيِّ ﷺ وشريعته ، فَنَزل قَوْله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُم عَن قِبلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيهَا قُل للهِ المَشْرِقُ وَالمَغرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة : ١٤٢] .

سَيَقول الجُهَّال مِن الناس،وهُم اليهود : أيُّ شَيء صَرَفَ المسلمين وحَوَّلهم عن قِبلتهم (بيت المقدس) التي كانوا يَستقبلونها في صلاتهم ؟. والسِّينُ في ﴿ سيقولُ ﴾ تدل على الاستقبال مِن الإخبار بالغَيب. والهدف مِن سُؤالهم الاستنكاري هو تَشكيك الناس بمحمد ﷺ والطعن في رِسالته. وإثارة الشُّبهات حول عقائد المسلمين بُغية هدمها، وصَرْفِ الناس عنها، وإخراج الناس مِن مِن الإيمان إلى الكُفر عَن طريق إثارة الشُّكوك والشُّبهات . والقلوبُ ضعيفة ، والشُّبهات خَطَّافة . وهذه الآيةُ تُشير إلى صِدْقِ النبيِّ ﷺ وصِحَّةِ رِسالته، وأنه مُؤيَّد بالوَحْي الإلهيِّ. فقد أعلمه اللهُ بكلام هؤلاء الجُهَّال قبل أن يَقولوه . وهذا إخبار بالغَيب ، مِمَّا يدل على صِحَّة نُبُوَّة محمد ﷺ ،

---

١٣٧ قال الحافظ في الفتح(١٠/ ٥٢٣): ((قال الخطابي: الحِكمة في التعبير بلفظ الأمر دون الخبر في الحديث أن الذي يكفُّ الإنسان عن مُواقعة الشر هو الحياء، فإذا تركه صار كالمأمور طبعًا بارتكاب كل شر ... قال النووي في الأربعين : الأمر فيه للإباحة ، أي إذا أردت فِعل شيء ، فإن كان مما لا تستحي إذا فَعلته من الله ولا من الناس فافعله ، وإلا فلا . وعلى هذا مدار الإسلام ، وتوجيه ذلك أن المأمور به الواجب والمندوب يستحي من تركه ، والمنهي عنه الحرام والمكروه يستحي من فِعله ، وأمَّا المباح فالحياء مِن فِعله جائز، وكذا مِن تركه ، فتضمَّن الحديث الأحكام الخمسة.وقيل: هو أمر تهديد كما تقدَّمَ توجيهه، ومعناه : إذا نُزع منك الحياء فافعل ما شِئت ، فإن الله مُجازيك عليه ، وفيه إشارة إلى تعظيم أمر الحياء . وقيل : هو أمر بمعنى الخبر ، أي مَن لا يستحي يصنع ما أراد)) .

وتأييده مِن السماء ، وأنه لا يأتي بشيء مِن عِنده . وقد أرشدَ اللهُ محمدًا إلى الرد المُفْحِم والحُجَّة الباهرة ، والدليل القاطع . قُل يا محمد لهؤلاء اليهود السُّفهاء أصحاب العقول الخفيفة والآراء الفاسدة والأهواء المُتضارِبة: إنَّ المشرق والمغرب مِلْك لله وَحْدَه، والخلق عَبيده. وكُل الجهات خاضعة لله تعالى ، وهو مالكها ، والمسيطِر عَلَيها ، يَأمر بالتَّوَجُّه إلى الجهة التي يُريدها، ولا اعتراض على حُكم الله ولا نِقاش. واللهُ أعلمُ بالناسِ ومصالحهم مِن أنفسهم ، لأنه خالقهم الغنيُّ عنهم ، وهُم فقراء إلَيه . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١/١٥٣): ((قوله تعالى: ﴿ سيقولُ السُّفهاءُ مِنَ الناسِ ﴾ فِيهم ثلاثة أقوال : أحدها أنهم اليهود ... . والسُّفهاء الجهَلة. ﴿ ما وَلَّاهم ﴾ أي: صَرَفَهم عَن قِبلتهم، يريد قِبلة المقدس ... . وفي سبب اختياره بيت المقدس قَولان: أحدهما لِيَتَألَّف أهلَ الكتاب،ذَكَره بعضُ المفسِّرين. والثاني لامتحان العرب بِغَير ما أَلِفُوه ، قاله الزَّجاج... . واختلفوا في سبب اختيار النبيِّ الكعبةَ على بيت المقدس على قَوْلَيْن : أحدهما أنها كانت قِبلة إبراهيم، رُوِيَ عن ابن عباس. والثاني لمخالفة اليهود ، قاله مجاهد)) اهـ .

وقال السُّيوطي في لُباب النُّقول (١/ ١٣٥) : ((أخرجَ ابنُ إسحاق وابنُ جرير من طريق سعيد أو عِكْرِمة عن ابن عباس قال : أتى النبيَّ ﷺ ابْنُ مِشْكَم في عَامَّةٍ مِنَ اليهود _ سَمَّاهم _، فقالوا : كيف نتَّبعك وقد تركتَ قِبْلَتنا ؟)) اهـ. وقال الحافظ في الفتح (٨/ ١٧١): ((واختلف في المراد بالسُّفهاء . فقال البراء ... وابن عباس ومجاهد : هُم اليهود . وأخرج ذلك الطبري عنهم بأسانيد صحيحة)) اهـ .

إن اليهود يَعتبرون بيت المقدس قِبْلتهم ، معَ أنهم أعداء الله ، وقَتَلَة الأنبياء . ولكنهم يُحاولون الظهور كأنهم حريصون على الإيمان والقِبلة والالتزام بالأحكام الدينية والشرعية . وقد قالوا : خَالَفَ محمد قِبلةَ الأنبياء ، ولو كان نَبِيًّا لَمَا خَالَفَ . وهذا كلام غير منطقي ، لأن النبيَّ محمدًا ﷺ يُنفِّذ أمرَ الله ، ولا يُجَامِل في دِين الله ، ولا يُحابي أحدًا في شريعة الله . واليهودُ يُجادلون بالباطل ، فقد جَعلوا سببَ كُفرهم أنَّ النبيَّ ﷺ تركَ التَّوَجُّهَ في صلاته إلى بَيْتِ المقدس ، وصارَ يتوجَّه إلى الكعبة ، وهذه حُجَّةٌ داحضة ، لأنَّ اليهودَ لَم يُؤمنوا بالنبيِّ ﷺ أثناءَ تَوَجُّهه إلى بيت المقدس ، وأيضًا بَيت المقدس قِبْلةُ المؤمنين لا قِبلة اليهود الكافرين .

ومَن يَسمع كلامَ اليهود حول التَّمَسُّك بالقِبلة (بيت المقدس) ، يعتقد أن اليهود حريصون على قِبلة الأنبياء، ومُتمسِّكون بمنهجهم، مع أنهم قَتلوا الأنبياءَ ، وحَاكوا ضِدَّهم المؤامراتِ . فلماذا لَم يتمسَّكوا بِدِين الأنبياء ويُدافعوا عن قِبلتهم ؟! .

وقال القرطبي في تفسيره (٢/ ١٤٤): ((أعلمَ اللهُ تعالى أنهم سيقولون في تحويل المؤمنين من الشام إلى الكعبة : ﴿ ما ولَّاهم ﴾ . وسيقول بمعنى قال . جعل المستقبلَ موضع الماضي دلالة على استدامة ذلك ، وأنهم يستمرون على ذلك القول . وخَصَّ بقَوله : ﴿ من الناس ﴾ لأن السَّفَه يكون في جمادات وحيوانات . والمراد من السُّفهاء جميع مَن قال : ﴿ ما ولَّاهم ﴾ ، والسُّفهاء جمع. واحده سَفِيه ، وهو الخفيف العقل)) اهـ .

وقالَ اللهُ تعالى:﴿قُل مَن كان عَدُوًّا لِجبريلَ فإنه نزَّله على قلبكَ بإذن الله ﴾[البقرة: ٩٧] [١٣٨] .

إن هذه الآية نَزلت في اليهود الذين زَعموا أن جِبريل ــ عليه السلام ــ عدو لهم ، وأن ميكائيل وَلِيٌّ لهم . وهذا الزعمُ الباطل ناتج عن طبيعة أهواء اليهود المُتضاربة . حيث إنهم يَخترعون العقائدَ تَبَعًا لأمزجتهم ومصالحهم . ولو استندوا إلى التوراة الصحيحة في أخذ عقائدهم لخرجوا مِن الظُّلمات إلى النُّور ، ولكنهم اتَّخذوا التَّوراةَ وراءهم ظِهْرِيًّا، وراحوا يَخترعون عقائدهم الدينية، ومواقفهم الاجتماعية ، وفلسفتهم الحياتية ، وَفْق أهوائهم الذاتية ومصالحهم الشخصية ومنافعهم المادية الزائلة . وكُل تفكير اليهود مُركَّز على جمع حُطام الدنيا الفاني .

قال الطبري في تفسيره (١/ ٤٧٦) : ((أجمع أهل العِلم بالتأويل جميعًا على أن هذه الآية نزلت جوابًا لليهود من بني إسرائيل، إذ زَعموا أن جبريل عدو لهم، وأن مِيكائيل وَلِيٌّ لهم)) اهـ.

إن اليهود لا يَحترمون مكانةَ الملائكة ــ عليهم السلام ــ لذلك يَعْمَدون إلى انتقاصهم والحط من قَدْرهم ، والطعن فيهم. وهذا مرجعه إلى الأهواء الباطلة والأماني التافهة، والتَّنَصُّلِ من تحمُّل المسؤولية . فقد اتَّخذوا جبريل الأمين ــ عليه السلام ــ عَدُوًّا لهم، وهُم بذلك يُعادون اللهَ تعالى ، لأن الملائكة لا يتصرفون مِن تِلْقاء أنفسهم ، بل يُنفِّذون الأوامر الإلهية كَمَا هِيَ .

---

١٣٨ قال القرطبي في تفسيره (٢/ ٣٧) : ((سبب نزولها أن اليهود قالوا للنبيِّ ﷺ : إنه ليس نبيٌّ مِن الأنبياء إلا يأتيه مَلَك من الملائكة مِن عند ربه بالرسالة وبالوَحْي ، فمن صاحبك حتى نُتابعك ؟ قال : "جِبريل " . قالوا : ذاك الذي ينزل بالحرب وبالقتال ، ذاك عَدُوُّنا !، لو قُلْتَ : ميكائيل الذي ينزل بالقَطْر وبالرحمة تابعناكَ ، فأنزل اللهُ الآية ... . أخرجه الترمذي . وقَوله تعالى: ﴿ فإنه نزَّله على قلبكَ ﴾ الضمير في " إنه " يحتمل معنيين : الأول فإن الله نزَّل جبريل على قلبك . الثاني فإن جِبريل نَزَلَ بالقُرآن على قلبك . وخُصَّ القلب بالذِّكْر ، لأنه موضع العقل والعِلْم وتلقِّي المعارف . ودلَّت الآية على شرف جِبريل عليه السلام وذَم مُعاديه . وقَوله تعالى : ﴿ بإذن الله ﴾ أي : بإرادته وعِلْمه)) .

مَن كان عَدُوًّا لجبريل ويَكْرهه ويُبغِضه ، فَلْيَمُتْ غَيْظًا ، إن جبريل مَلَكٌ كريمٌ عظيم ، نزَّل القُرآنَ على قلبِ النبيِّ محمد ﷺ بأمر الله . والأنبياءُ والملائكةُ لا يَأتون بشيء مِن عِندهم ، وإنما يُنفِّذون أوامرَ الله كاملةً، بلا زيادة ولا نُقصان .

وفي هذا السياق ، لا بُد مِن ذِكر عبد الله بن سلام _ رضي اللهُ عنه _ الذي كانَ مِن كِبار أحبار اليهود ، وقد كانَ عالِمًا بالتَّوراة التي فِيها ذِكْر محمد ﷺ ، فأدركَ أن القُرآنَ مِن عِند الله ، لأنَّ القُرآن والتَّوراة الأصلية كتابان سماويان يَشتملان على التَّوحيد والأخلاق وأنظمة التشريع .

وعن عَوْف بن مالك الأشجعيِّ قال: انطلقَ النبيُّ ﷺ وأنا مَعَهُ حتى دَخَلْنا كنيسةَ اليهود فقال : ((يا مَعْشَرَ اليهود ، أروني اثني عَشر رَجُلًا يَشهدون أن لا إلهَ إلا الله ، وأنَّ محمدًا رسولُ الله ، يَحُطَّ اللهُ عَن كُلِّ يَهوديٍّ تحت أديم السماء الغضبَ الذي غَضِبَ عَلَيهِم)) ، قال : فَأُسْكِتُوا ، ما أجابه مِنهم أحد ، ثُمَّ رَدَّ عَلَيهم فَلَم يُجِبْهُ مِنهم أحد ، فقال : ((أبيتُم ، فَوَاللهِ لأنا الحاشرُ ، وأنا العاقبُ ، وأنا النبيُّ المُصطفَى ، آمنتُم أو كَذَّبْتُم)) ، ثُمَّ انصرفَ وأنا مَعَهُ حتى كِدْنا أن نَخرج، فإذا رَجلٌ مِن خَلْفِنا يقول : كما أنتَ يا محمد ، فقال ذلك الرَّجل : أيُّ رَجُلٍ تَعْلَموني فِيكم يا مَعْشَرَ اليهود ؟ ، قالوا : واللهِ ما نَعْلَمُ أنَّهُ كان فِينا رَجُلٌ أعلمُ بكتاب الله مِنكَ ، ولا أفقهُ مِنكَ ، ولا مِن أبيك قَبْلَك ، ولا مِن جَدِّكَ قَبْلَ أبيك ، قال : فإني أَشهدُ له باللهِ أنَّهُ نبيُّ الله ، الذي تجدونه في التَّوراة ، فقالوا : كَذَبْتَ ، ثُمَّ رَدُّوا عَلَيهِ قَوْلَه ، وقالوا فيه شرًّا . فقال رسول الله ﷺ : ((كَذَبْتُم، لَن يُقْبَلَ قَوْلُكم ، أمَّا آنِفًا فَتُثنون عَلَيه مِن الخَير ما أثنيتُم ، وأمَّا إذا آمنَ فَكَذَّبْتُموه ، وقُلتم فيه ما قُلتم ، فَلن يُقْبَلَ قَوْلُكم)) ، قال : فَخَرجنا ونحن ثلاثة : رسول الله ﷺ وأنا وعبد الله ابن سلام . وأنزلَ اللهُ تعالى فِيه : ﴿ قُل أرأيْتُم إن كانَ مِن عِندِ اللهِ وَكَفَرتُم بِهِ ﴾ [١٣٩] .

هؤلاء الاثنا عشر هُم زُعماء اليهود ، سواءٌ كانوا قادةً سياسيين أم دِينيين . وهؤلاء هُم رُؤساء اليهود ، ولوْ أسْلَموا لَتَبِعهم اليهودُ كُلُّهم . ولا يخفَى أن الناس تَبَعٌ للأمراء والعلماء . وَلَوْ أسلَموا لَكَفَّرَ اللهُ ذُنوبَ اليهود ، وبَدَّلَ سَيِّئاتِهم حسنات . وقد رَفض اليهودُ دَعوةَ النبيِّ ﷺ ، وآثَروا الكُفرَ على الإيمان ، وفضَّلوا حُطامَ الدُّنيا الزائل على نعيم الآخِرة الباقي .

وقد وبَّخهم النبيُّ ﷺ على كُفرهم، وصَدَّقَ نفْسَه بنفْسه لأنَّ اللهَ مُؤيِّدُه، وذَكَرَ أنَّهُ هو الحاشر: الذي يُحشَر الناسُ خَلْفَه يَوْمَ القيامة ، والعاقبُ: آخِرُ الأنبياء ، والنبيُّ المُختار الذي اصطفاه اللهُ

---

١٣٩ رواه الحاكم في المستدرَك (٣/ ٤٦٩) برقم (٥٧٥٦) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

وزكَّاه . وهذا رَدٌّ بَليغ على اليهود ، ودَحْضٌ لِكُفرهم . والنبيُّ ﷺ صادقٌ ، سَواءٌ آمنَ بِهِ اليهودُ أم كَفروا . وقد تَبعَ النبيَّ ﷺ عبدُ الله بن سلام (وكان مِن كِبار أحبار اليهود) ، وقد مَدَحَه اليهودُ لأنَّهُ حَبْرُهم الكبير ، وسَيِّدُهم العظيم . وحِينَ عَلِموا بإسلامه ، كَذَّبوا أنفسَهم بأنفسهم، وانتَقَصُوه، وطَعنوا فيه عِنادًا واستكبارًا ، خُضوعًا للأهواء الشخصية، والمصالح الذاتية.وقد وَبَّخهم النبيُّ ﷺ على تصرُّفهم الدَّنيء الذي يدل على جَهلهم وعِنادهم وتناقضهم .

وفي صحيح البخاري(٤/١٦٢٨):عن أنس قال: سمع عبد الله بن سلام بِقُدوم رسول الله ﷺ، وهو في أرضٍ يَخْتَرِفُ ــ يعني يَجتني مِن ثمارها ــ ، فأتى النبيَّ ﷺ فقال : إني سائلك عن ثلاثٍ لا يَعلمهُنَّ إلا نبيٌّ، فما أوَّلُ شَرَطِ الساعة ؟، وما أوَّلُ طعامِ أهل الجنة ؟، وما يَنْزِعُ الولدَ إلى أبيه أو إلى أُمِّه ؟ ، قال : ((أخبَرَني جِبريلُ آنِفًا)). قال: جِبريل ؟، قال : ((نعم)) . قال : ذاكَ عَدُوُّ اليهودِ مِنَ الملائكة، فقرأ هذه الآية : ((﴿ مَن كان عَدُوًّا لجبريل فإنه نزَّله على قلبكَ بإذن الله ﴾ . أمَّا أوَّلُ أشراط الساعة ، فنارٌ تَحْشُر الناسَ من المشرق إلى المغرب ، وأمَّا أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد حُوت ، وإذا سَبَقَ ماءُ الرَّجل ماءَ المرأة نَزع الولدَ ، وإذا سَبق ماءُ المرأة نَزعت)) . قال : أشهد أن لا إلهَ إلا الله ، وأشهد أنك رسول الله ، يا رسول الله إنَّ اليهودَ قَوْمٌ بُهْتٌ ، وإنهم إنْ يَعلموا بإسلامي قَبل أن تسألهم يَبهتوني ، فجاءت اليهودُ ، فقال النبيُّ ﷺ : ((أيُّ رَجُلٍ عبدُ الله فِيكم)) . قالوا : خَيْرُنا وابنُ خَيْرِنا ، وسَيِّدُنا وابنُ سَيِّدِنا . قال : ((أرأيتُم إن أسلمَ عبدُ الله ابن سلام ؟)) . فقالوا: أعاذه اللهُ مِن ذلك، فخرجَ عبدُ الله، فقال:أشهد أن لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمدًا رسولُ الله. فقالوا: شَرُّنا وابنُ شَرِّنا،وانتَقَصُوه . قال: فهذا الذي كُنتُ أخافُ يا رسول الله .

وعبد الله بن سلام كان حَبْرًا يهوديًّا باحثًا عن الحق، وعندما وَجده أعلن إسلامَه فصار صحابيًّا جليلًا ــ رضي الله عنه ــ. وها هو يريد سؤال النبيِّ ﷺ عن ثلاث مسائل لا يَعلمها إلا نبيٌّ ، وذلك لكي يتأكد مِن نُبُوَّة محمد ﷺ . وهذا هو أسلوب الباحثين عن الحق ، الساعين بكل إخلاص إلى النُّور الرَّبانِيِّ . وقد كان بإمكان عبد الله بن سلام أن يفعل مِثل قومه اليهود ، فيتخذ موقفًا مسبقًا من الدعوة المُحمَّدية الإسلامية ، فيُكذِّب النبيَّ ﷺ مباشرةً وبلا مقدِّمات ولا حوار. ولكنه اتَّخَذَ الحوارَ والتحقق من أمر محمد ﷺ طريقًا له نحو الحق ، وهذا يدل على رجحان عقله ، وثقته بنفْسه . فالحوارُ هو لغة الأقوياء الواثقين ، والهروبُ منه لغة العاجزين الذين ليس لديهم ما يُقدِّمونه مِن حُجَج وبراهين وأدلة نقلية وعقلية . والنبيُّ ﷺ لا يَقْدِر على الإتيان بالأجوبة من تِلقاء نفْسه ، بَل ينتظر الوَحْيَ لإخباره . وقد أخبرَه جِبريلُ ــ عليه السلام ــ بأجوبة المسائل الثلاث التي سَأل

عنها عبد الله بن سلام . واليهودُ يَعتبرون جَبريل عَدُوَّهم مِنَ الملائكة ، وهذا جَهل قبيح مِنهم ، وكفر واضح ، لأنَّ الملائكة يُنفِّذون أوامرَ اللهِ تعالى ، ولا يَفعلون شَيئًا مِن تِلقاء أنفسهم . وقال الحافظ في الفتح (٨/ ١٦٥) : ((قيل : سبب عداوة اليهود لِجبريل أنه أُمِر باستمرار النُّبُوَّة فِيهم فَنَقلها لِغَيرهم.وقِيل: لِكَونه يَطَّلع على أسرارهم. قلت : وأصحُّ مِنهما ... لِكَوْنه الذي يَنْزِل عليهم بالعذاب)) اهـ .

القضيةُ الأولى : أَوَّلُ علامات الساعة هي نارٌ عظيمة تَجمع الناسَ من المشرق إلى المغرب . والأشراطُ هي العلامات التي يَعقبها قِيامُ القِيامة . والثانية : أَوَّلُ طعام أهل الجنة هو طَرَف كبد الحوت ، وهو أطيبُ جُزء في الكبد . والثالثة : ما يَنْزِعُ الولدَ إلى أبيه أو إلى أُمِّه ؟ . يعني : ما الذي يَجعل الولدَ يُشبِه أباه أو أُمَّه ؟ . إذا علا ماءُ الرَّجل (المَنِيُّ) ماءَ المرأة أشبهَ الولدُ أباه وأعمامَه ، وإذا علا ماءُ المرأةِ ماءَ الرَّجل أشبهَ الولدُ أُمَّه وأخوالَه .

وعِندما سَمع عبدُ الله بن سلام هذه الأجوبة تأكَّدَ أنَّ محمدًا ﷺ رسول مِنَ الله . وأرادَ أن يَفضح اليهودَ الذين هُم كَذَّابون ومُعانِدون. وقد فَضحوا أنفسَهم بأنفسهم ، إذ إنهم مَدحوا عبد الله ابن سلام قبل أن يَعْلَموا بإسلامه ، وحِين عَلِموا بإسلامه طَعَنوا فِيه . وهذا مُنتهَى التناقض والجهل المكشوف والعِناد الظاهر والكفر القبيح . وهذا يدل _ بكل وضوح _ على أن اليهودَ قَوْمٌ بُهْتٌ ، وأهلُ غدرٍ وكذب وفُجور . وقال ابن الأثير في النهاية في غريب الأثر (١/ ٤٣٣) في معنى " قَوْمٌ بُهْتٌ " : ((هو جَمْع بَهُوت ، مِن بِنَاء المُبالَغة في البَهْت _ الكذب المُفْتَرَى _)) اهـ .

إن عداوة الملائكة صارت صفةً لازمة لليهود الذين لا يعرفون قَدْر الشريعة ومنزلة الأنبياء والملائكة ، لذلك يقتلون الأنبياء ، ويحاولون تشويه صورتهم بكل قوتهم ، ويطعنون في الملائكة بدافع الأهواء والآراء الشخصية التي ما أنزل اللهُ بها مِن سُلطان. وهم لا يُحاولون الخروج من المُستنقع الذي يَغرقون فيه، لأنهم رضوا بالحياة بالحياة الدنيا واطْمَأنُّوا بها. فهي مَبلغهم مِن العِلم، ونقطة بدايتهم ونهايتهم .

واليهودُ لم يَكتفوا بمُعاداة الأنبياء والملائكة ، والطعن فيهم ، والإساءة إليهم . بل أيضًا طَعنوا في أولياء الله الصالحين . وقد طَعنوا في السَّيدة مريم العذراء _ عليها السلام _، وحاولوا إلصاق أسوأ الصفات بها ، دون دليل ولا بُرهان. وهي الصِّديقة الشريفة الطاهرة أُم النبيِّ عيسى ﷺ .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَبِكُفْرِهِم وَقَوْلِهِم عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ [النِّساء : ١٥٦] .

كَفَرَ اليهودُ بالنبيِّ عيسى ﷺ ، واتَّهموا أُمَّه مريم بالزنا ، وقد فضَّلها اللهُ على نساء العَالَمين .

لم يَكْتَفِ اليهود بالكفر بالمسيح ﷺ [140] ، وإنكار نُبُوَّته ، وجَحْد رسالته ، بل أيضًا طعنوا في أُمِّه مريم الصِّديقة الشريفة الطاهرة ، حيث رَمَوْهَا بالزنا بدافع الهوى والحِقد والاعتداء على الشريعة ، دُون أن يُقدِّموا دليلًا على قَولهم . واليهودُ يَنظرون إلى النبيِّ عيسى ﷺ على أنه ابن زنا ، وأمه زانية . وهذا هو منهج اليهود المُعادي للحق في كل زمان ومكان ، فهُم يُصدرون أحكامًا في الهواء دون أدلة نقلية ولا براهين عقلية ، ثم يُرَوِّجونها بين الناس مُستخدمين وسائل قُوَّتهم ، وسَطْوة إعلامهم ، وأموالهم ، ونفوذهم . واليهودُ في غاية الذكاء والدهاء والمكر والخُبث ، وهُم أصحاب خِبرة واسعة في التخطيط للمؤامرات ، مِن أجل نشر باطلهم ، وتلميع صورتهم ، وتشويه صورة أعدائهم .

لقد اتَّهموا السيدةَ مريم _ عليها السلام _ بالزنا ، اتِّبَاعًا لأهوائهم الذاتية ومصالحهم الشخصية ، ومنافعهم المادية ، بدون دليل نقلي ولا حُجَّة عقلية. وهذا البُهتانُ الذي ألصقوه بالسَّيدة مريم ، يُشير إلى النفسية الخبيثة لليهود الذين يعتمدون على ترويج الإشاعات المُغرِضة بهدف القضاء على الآخرين، وتحطيمهم ، وتَلويث سُمعتهم ، وتَشويه صورتهم ، وتدمير المجتمع.

قال ابن كثير في تفسيره (١/ ٧٦٢) : ((قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : يعني أنهم رَمَوْهَا بالزنا ، وكذلك قال السُّدي وجويبر ومحمد بن إسحاق وغير واحد ، وهو ظاهر من الآية أنهم رَمَوْهَا وابنها بالعظائم، فجعلوها زانية وقد حملت بولدها من ذلك، زاد بعضهم: وهي حائض، فعليهم لعائن الله المُتتابعة إلى يوم القيامة)) اهـ .

وفي [يُوحَنَّا ٨ : ٤١] قال اليهود للمسيح : ((نحنُ لم نُولَد مِن زِنى !)) اهـ . هذا تعريض صريح بالمسيح . والمعنى إن اليهود لم يُولَدوا مِن زِنى ، في حِين أن المسيح وُلِدَ مِن زِنى . وهذا كفر واضح ، وضلال ظاهر ، وإهانة صريحة للمسيح، وهو عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم، ورُوح مِنه. وأُمُّه السيدة مريم الصِّديقة الشريفة الطاهرة العابدة التَّقِيَّة ، مَعصومة مِن الفاحشة. والمسيحُ وأُمُّه في قِمَّة الطهارة والشرف والأخلاق ، ومُنَزَّهان عن العيوب والنقائص والفواحش .

لقد غَرِقَ اليهودُ في الكفر والضلال والخِزي والعار والإثم . وهذا يدل على خِفَّة عقولهم ، وقَسوة قلوبهم ، وغِلْظة طِباعهم ، وفساد أهوائهم ، وبُطلان طريقة تفكيرهم ، وسُوء أخلاقهم .

---

١٤٠ ((سُمي مسيحًا لأن جبريل _ عليه السلام _ مسحه بالبركة فهو ممسوح ، أو لأنه كان يمسح المريض والأكمه والأبرص فيبرأ ، فَسُمِّيَ مسيحًا بمعنى الماسح)) [تفسير النسفي (١/ ٢٦٠)] .

إن اليهودَ ضَالُّون ، وفاسدون ، وغارقون في الشِّر والعِناد ، ضِمن فوضى أخلاقية مُتشظية، مُنعكسة عن انهيار نفْسي، وانكسار روحي، وفساد قلبي ، وطَيش عَقلي . وفي [مَتَّى ١٢: ٣٩] قال المسيح عن اليهود : ((جِيلٌ شِرِّير خائن)) اهـ . هذا يُشير إلى ضلال اليهود وفسادهم ، وأنهم معروفون بالشَّر ، ومَشهورون بالخِيانة . وهاتان الصِّفتان (الشَّر والخِيانة) مِن أبرز صفات اليهود في كُل المجتمعات التي عاشوا فيها على مَدَار تاريخهم ، سواءٌ كانت مجتمعات شرقية أَم غربية . وقد تجمَّعت في اليهود كُل الصفات القبيحة والأوصاف الدنيئة، التي تَقُود إلى انكسار الفرد ، وانهيارِ المجتمع . ((أَمَّا أعمال الجسد فظاهرة ، وهي : الزنى والنجاسة والدعارة، وعبادة الأصنام والسِّحْر، والعداوة والنِّزاع والغَيرة والغضب، والتَّحزب والانقسام والتَّعَصُّب ، والحسد والسُّكْر والعربدة ، وما يُشبه هذه . وبالنظر إليها، أقول لكم سَلَفًا، كما سبق أن قُلتُ أيضًا إن الذين يفعلون مثل هذه لن يَرِثُوا مَلَكُوت الله !)) [الرسالة إلى غَلاطِيَّة ٥ : ١٩ _ ٢٢] .

اجتمعت الصفات القبيحة في اليهود ، فعجزوا عن خلافة الله في الأرض ، ووراثة ملكوته. ومن هنا حاولوا رسم هالة القداسة حَوْلهم لئلا يُنظَر إليهم على أنهم شَوَاذ عن المسار الحضاري العالمي ، فأحاطوا أنفسهم بالعديد من الأساطير ذات التوظيف السياسي . فمثلاً عقيدة " شعب الله المختار " جاءت كرد فعل على خيانتهم ، فحاولوا إحاطة أنفسهم بالعِصمة والقداسة لِيُفْلِتُوا من النقد والنقض والإدانة . وهذه محاولة مكشوفة لا تنطلي على أحد . وكُل الأساطير اليهودية الصهيونية المدعومة بالآلة الإعلامية الجبَّارة لن تُزيل حقيقة أن اليهود هُم شعب الشيطان المختار.

إن اليهود يُسيطرون على المُثَلَّث الرهيب : المال والجِنس والإعلام . وقد بَنَوْا إمبراطوريتهم على إيجاد علاقات مركزية وحتمية بين هذه الأضلاع الثلاثة ، وتوظيف هذه العلاقات للسيطرة على الأفراد والجماعات، وتحطيم المجتمعات من الداخل، وتفجيرها ذاتيًّا. وكما أن اليهود معروفون بالفساد الخارجي، فهُم أيضًا معروفون بالفساد الداخلي ، إذ إن قلوبهم مليئة بالحقد والحسد والحِقد والخُبث والمكر والخيانة،ولَدَيهم قُدرة هائلة على التفكير والتخطيط ورسم الأزمات وحياكة المؤامرات. وهُم يَعتقدون أن هذا هو الطريق الوحيد لبسط نفوذهم، وهَيمنتهم على الشعوب والأمم والدُّوَل.وقد عاشَ اليهودُ منبوذين مُحْتَقَرِين ، بسبب أعمالهم الشريرة وخياناتهم المستمرة ومُؤامراتهم الدنيئة، لذلك تكاثقوا وتعاونوا، وحوَّلوا اليهودية إلى منظمة سياسية وجمعية سِرِّية، واشتركوا جميعًا فيها، وعملوا ليلًا نهارًا ، للخروج مِن الضعف إلى القُوَّة ، ومِن الذُّل إلى العِز ، ومِن التبعية إلى السيطرة . ولكنَّ هذا وَهْم كبير ، وخدعة بصرية ، ومجد باطل .

رابعًا : قيادات فاشلة

الناس تَبَعٌ لقادتهم . والناسُ على دِين ملوكهم . وأيضًا على دِين علمائهم. والقيادة أو السُّلطة نَوعان : عسكرية وفكرية . يَضطلع بالمسؤولية العسكرية الحاكم ، أمَّا الفكرية فغالبًا ما تكون بيد علماء الدِّين . وهذان الصِّنفان يُوجِّهان الشعبَ إلى الوُجهة المُخطَّط لها مُسبقًا .

والغالبيةُ العُظمى مِن أيِّ شَعب عبارة عن أشخاص عاديين وعوام وأتباع ، يَنساقون وراء الحُكام والعلماء ، دُون أن يُعمِلوا عقولهم ، فهم لا يُفكِّرون ، لأن هناك مَن يُفكِّر نِيابةً عنهم ، ويتَّخذ القرارات باسمهم . ودَوْرهم مَحصور في التقليد الأعمى ، والطاعة الكاملة بلا نِقاش ، وتنفيذ الخُطَط الجاهزة. وهذه النَّوعية مِن البشر مُفضَّلة لدى أصحاب السُّلطة ، لأنها لا تُسبِّب مشكلات لنظام الحُكم الفاسد . ولا شَك أن العقل المُفكِّر يُشكِّل خَطَرًا على أنظمة الحُكم المتخلفة القائمة على الفساد والسرقة والاستبداد ، بسبب انتقاده للانحرافات الكثيرة ، وفتح أعين الناس عليها، ونشر الوَعْي في المجتمع، ونَقله من حالة قطيع الغنم إلى مُحاسبة الراعي .

وفي الأنظمة القمعية البوليسية ، يَستخدم الحُكامُ العلماءَ وبالعكس ، مِن أجل تحقيق أهداف مشتركة ، والحصول على منافع مُتبادلة ، وتوسيع مناطق النفوذ والهيمنة والسيطرة والاستغلال . وكُل طرف يظن أن الطرفَ الآخَرَ تَبَعٌ له . إنها علاقة تعايُش متبادلة على حساب شعب أعمى ، يرفض أن يفتح عينيه ، لأنه يَخاف مِن رؤية الحقيقة الصادمة المُرَّة . وهذا الشعبُ الأعمى يُفضِّل الوَهْمَ اللذيذ الذي فيه هلاكه، على الدواء المُر الذي فيه شفاؤه . وهذا يدل على انعدام البصيرة، وعدم تقدير الأمور بشكل صحيح. ولا شَك أن صديقك مَن صَدَقَك لا مَن صَدَّقَك ، ومَن خوَّفك حتى تَلقى الأمنَ ، أفضل مِمَّن أمَّنك حتى تَلقى الخوفَ .

وبشكل عام ، إن المجتمعات البدائية المتخلفة قائمة على ثنائية (السَّيف / القلم) ، وكِلاهما واقع تحت سَطوة الآخَر وتأثيره . والعلاقةُ بينهما مصلحية ومُلتبسة ، ويتمُّ توظيفها دينيًّا وسياسيًّا لإحكام السيطرة على الفرد والجماعة والمجتمع .

ومِن الأمثلة على خُضوع الحاكم للسُّلطة الدينية ، خُضوع بيلاطُس لضغط رُؤساء الكَهَنة والشيوخ (زُعماء اليهود وقادتهم) : ((فلمَّا رأى بيلاطُسُ أنه لا فائدة ، وأن فِتنةً تكاد تنشُب بالأحرى ، أخذَ ماءً وغَسَلَ يَدَيه أمام الجَمْع ، وقال : ((أنا بريء من دم هذا البارِّ . فانظروا أنتم في الأمر !)))) [متَّى ٢٧: ٢٤] .

إنه استسلام مُهين لزعماء اليهود الذين نفَّذوا أجندتهم الخاصة ، اتِّبَاعًا لأهوائهم ، وحِرْصًا على مصالحهم الشخصية ومنافعهم المادية وزعامتهم ورئاستهم ، وحُبًّا لِمَتَاعِ الدنيا الزائل . حيث إنهم حرَّضوا العوام والأتباع والجُهَّال للمُطالبة بقتل المسيح . وهذا يدل على أن زعماء اليهود كانوا مُجرمين مُحترفين ، ومُحتالين حقيقيين ، استغلوا الدِّينَ لتحقيق أهداف شخصية تخدم مصالحهم ، ونفَّذوا أجندتهم الخاصة ، وفرضوا إيقاعهم الذاتي مُستغلين جهل العوام والأتباع .

ويَظهر الحُكَّامُ الذين استخدموا السُّلطة الدينية ، لتنفيذ المُخططات ، وتطبيق المؤامرات ، وتصفية الحسابات . ففي [مَتَّى ٢ : ٣و٤] : ((ولمَّا سَمِعَ المَلِكُ هِيرُودُسُ بذلك _ أي بنبأ ولادة المسيح _ اضطربَ واضطربت معه أُورُشَليمُ كُلُّها . فَجَمَعَ إليه رُؤساءَ كَهَنة اليهود وكَتَبَتَهم جميعًا ، واستفسر منهم أين يُولَد المسيح)) .

كانَ المَلِك هِيرُودُس (رأس النظام الحاكم) يُريد شراء ولاء رؤساء الكَهَنة (الزعماء الروحيين لليهود وقادتهم الدينيين) ، وضمان مُناصرتهم لقتل المسيح، وهكذا يضمن عدم انقلاب الرأي العام عليه . والهدفُ مِن لُعبة شراء ذِمَم العلماء (قادة الناس) هو ضمان تمرير المشاريع السَّيئة الخبيثة ، وتغليفها بالشرعية والقداسة والبركة ، دون اعتراض شعبي ، ولا مُساءَلة مِن أحد . وإذا كان العلماءُ (أصحاب السُّلطة الدينية ومُحتكرو تأويل النصوص المُقدَّسة) قَد أفْتَوْا بالموضوع ، فهذا يعني أن الموضوع قد حُسِمَ وانتهى . ولا مُجال للنقد ولا النقض ولا الاعتراض.

وهذه لُعبة قديمة جديدة ، ومُنتشرة في جميع الأمم والشعوب . ومَن يَملك مُخطَّطات سَوداء خبيثة، فإنه يَبحث عن غطاء أخلاقي وغلاف شرعي لها ، لتظهر الجريمةُ ناصعةَ البياض في وَضَح النهار، وتمرُّ دون مشكلات ولا اعتراض ولا مُساءَلة . لذلك كان المَلِك الحاكم هِيرُودُس حريصًا على شراء مُوافقة العلماء ، وضمان ولائهم ، ودفع ثمن صمتهم ، من أجل تنفيذ المُخطَّط الشِّرير الذي يَسْبح في ذهنه : ((فإن هِيرُودُسَ سيبحث عن الصبيِّ ليقتله)) [متَّى ٢: ١٣]. أي إن هذا المَلِك الحاكم يُريد قَتل المسيح عندما كان صبيًّا ، لضمان وأد الدَّعوة في مَهْدها قبل انتشارها.

وقالَ اللهُ تعالى:﴿وقالوا رَبَّنا إنَّا أطَعنا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنا فأضَلُّونا السَّبيلا﴾[الأحزاب: ٦٧].

نَدِمَ الكافرون يوم لا يَنفع النَّدَم ، واعترفوا بخطيئتهم العظيمة . لقد أطاعوا أشرافهم وزعماءهم وقادتهم ، فأبْعَدُوهم عن طريق الحق والإيمان ، وأضَلُّوهم عن سبيل الهدى ، وذلك بتزيين الكفر والضلال والمعاصي ، وتجميل صورة الباطل ، والتَّلبيس على الأتباع وخِداعهم ، واستغلال جهلهم وولائهم.وهؤلاء الأتباع العُميان اعتقدوا أن زعماءهم على الحق،وأن الأنبياء على الباطل ،

فاكتشفوا أن الأمر عكس ذلك تمامًا، ولكن بعد فوات الأوان. لقد امتثلوا أمرَ رُؤسائهم في الدنيا، وخضعوا لِحُكمهم ، ونفَّذوا توجيهاتهم،واقْتَدَوْا بهم ، وخالفوا الأنبياءَ ــ عليهم الصلاة والسلام ــ. فكانت النتيجة الهلاك الحتمي والعذاب الدائم . وهذا نَهْيٌ شديد عن التَّقليد الأعمى ، وتحذيرٌ مِنه ، لأنه يُعطِّل نِعمة العقل ، والعقل مَناط التَّكليف . وإذا لَم يُعمِل المرءُ عَقْلَه في التفكير والتأمُّل والتحليل والاستنباط ، فقد قادَ نفْسه إلى الضياع الشامل ، والهلاك الأكيد .

وقال الطبري في تفسيره (١٠ / ٣٣٥) : ((يقول تعالى ذِكْرُه : وقال الكافرون يوم القيامة في جهنم : رَبَّنا إنَّا أَطَعْنا أئمتنا في الضلالة ، وكُبَراءنا في الشِّرك، ﴿ فأضَلُّونا السَّبيلا ﴾ يقول: فأزالونا عَن مَحَجَّة الحق، وطريق الهدى، والإيمان بِك، والإقرار بِوَحدانيتك ، وإخلاص طاعتك في الدنيا)) اهـ .

وضَّح اللهُ دورَ القيادة البشرية الفاشلة في تدمير رَعِيَّتها، ودَور الرَّعية الخاضعة للقيادة بلا تفكير ولا مُحاسبة ولا مُساءلة ، ودُون مُقاومة للباطل ، ولا مُواجهة للظُّلْم . وهذه الطاعةُ العمياء لِعِلْية القوم تنطلق من الرغبة في تحقيق منافع مادية آنِيَّة ، وذلك أن الكُبَرَاء والزعماء والقادة ، يَمْلكون مَفاتيحَ السُّلطة بكل أشكالها ، لذلك يَلهث وراءهم الناسُ ، ويتبعونهم بُغية الحصول على مكاسب ونفوذ وشُهرة ، وغير ذلك مِن حُظوظ النَّفْس . وعلى المرء أن يسعى إلى معرفة الحق بغضِّ النظر عن المستوى المادي لأصحابه ، فالرِّجالُ يُعرَفون بالحق ، والحقُّ لا يُعرَف بالرجال .

وقال الشوكاني في فتح القدير (٤/ ٤٣٥): ((والمراد بالسَّادة والكُبَرَاء هُم الرؤساء والقادة الذين كانوا يمتثلون أمرهم في الدنيا، ويَقْتدون بهم. وفي هذا زَجْر عن التقليد شديد. وَكَم في الكتاب العزيز من التنبيه على هذا، والتحذير منه، والتنفير عنه، ولكن لمن يفهم معنى كلام الله ويقتدي به ويُنصِف من نفْسه، لا لمن هو مِن جِنس الأنعام في سُوء الفهم ، ومزيد البلادة ، وشِدَّة التعصب)) اهـ .

إن السادة والرُّؤساء والزعماء إذا كانوا مُتَّصفين بالطَّيْش والسَّفَه والرُّعونة والإجرام ، فسوفَ يُرسِلون رَعِيَّتَهم وشُعوبهم إلى الهلاك الحتمي والدمار الشامل . وهذا ما حصل مع اليهود الذين ابْتُلُوا بزعماء مجرمين ، وقادة خَوَنَة ، وعلماء ضَالِّين مُضِلِّين ، أوردوهم المهالك ، وقادوهم إلى الهاوية السحيقة.وقد قادوا اليهودَ إلى المصائب والكوارث، ودفعوهم إلى ارتكاب الجرائم والآثام. وماذا تنتظر البشريةُ والحضارةُ مِن أشخاص كاليهود ، قادتهم مجرمون ومُتَنَفِّذُون ومُطَاعون ؟! .

إذا كان رَبُّ البَيْتِ بالطَّبلِ ضَارِبًا   فَشِيمةُ أهلِ البَيْتِ كُلِّهم الرَّقْصُ

وتستمر الكوارث والمصائب في تاريخ اليهود المُظلم.وها هُم الفَرِّيسيُّون (كِبار علماء اليهود) يَقُودون الرأي العام نحو الهاوية السحيقة : ((وإذْ أراد الفَرِّيسيُّون أن يَشتكوا عليه بتهمة ما)) [مَتّى ١٢: ١٠] . وَفْق هذا النص الإنجيلي ، لقد حاولَ الفَرِّيسيُّون أن يَوقعوا المسيحَ بأيَّة كلمة يقولها ، وأرادوا أن يَشتكوا عليه بأيَّة تهمة ، مِن أجل تشويه صورته ، وتَلويث سُمعته ، والتَّشكيك في دَعوته ورسالته ، وإبعاد الناس عنه . وبذلك ، يَضمنون نهاية المسيح وسُقوطه ، وزوال دَعوته .

إن اليهود حريصون أشدَّ الحِرص على ارتكاب الجرائم واقتراف الآثام ، ويَسْعَوْنَ إلى تدبير تُهمة سريعة للمسيح ، وتقديم شكوى ضده بلا أدلة حقيقية . كما أن الزُّعماء ينظرون إلى النصوص الدينية المُقدَّسة مِن منظور تحقيق مصالح شخصية ومنافع مادية . وما وافقَ أهواءهم ومُيولهم ومصالحهم مِن النصوص الدينية، قَبِلوا به، وقدَّسوه،وما عارضها، ضَربوا به عُرْضَ الحائط.

وينبغي في هذا المَقام أن نُمَيِّزَ بين أمْرَيْن : صورة اليهود كما جاءت في كلام السيد المسيح ، وصورة اليهود كما جاءت في كلام أصحاب الأناجيل ، وبينهما فرق هائل . لذلك ، ينبغي فهم السياق اللغوي للنصوص الدينية ، ضمن الظروف التاريخية والاجتماعية ، معَ الأخذ بعين الاعتبار طبيعة الزمانِ والمكانِ ، ونَوعية الناس.وفي[مَتَّى ١٥ : ١٢] أن تلاميذ المسيح قالوا له: ((أَتعلمُ أن هذا القولَ قد أثار استياء الفَرِّيسيِّين ؟)) .

إن الفَرِّيسيِّين (كِبار علماء اليهود) غارقون في الأهواء والمصالح والشهوات والملذات ، وحريصون على سُلطتهم ونفوذهم ومناصبهم وزعامتهم الدينية ، وسَيُدافعون عن حُطام الدنيا الفاني حتى النهاية ، وسَيُقاوِمون كُلَّ مَن يُهدِّد مصالحهم بشتى الوسائل والسُّبُل .

وعلماءُ اليهودُ يَأكلون الدنيا بالدِّين ، ويتحكَّمون بتأويل النصوص الدينية المُقدَّسة حَسَب مصالحهم الشخصية ومنافعهم المادية ، دون أن يمتلكوا منهجًا عِلميًّا قائمًا على الدليل والبحث عن الحق . وبالتالي تتداخل الأهواء الشخصية مع النصوص الدينية ، وتتنافس السُّلطتان الدينية والسياسية على احتكار تأويل النصوص والأيديولوجيات ، من أجل تحقيق مكاسب مادية أكثر .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهُم أَرْبَابًا مِن دُونِ اللهِ ﴾ [التَّوبة : ٣١] .

إنهم أطاعوهم كما يُطاع الله تعالى ، فأحلُّوا لهم الحرام ، وحرَّموا عليهم الحلال . فكلامهم مُقدَّس لا يُناقَش ، وأفعالهم معصومة لا يُسأل عنها . وهذا الاتِّباع الأعمى جعل من علمائهم فوق مستوى النقد ، لا يُسْتَدْرَك عليهم، فأقوالهم نصوصٌ معصومة ، وأفعالهم حُجَّة ثابتة ، يأمرون الناسَ بالإثم فيطيعهم الناسُ بلا تفكير . والحلالُ ما رآه علماؤهم حلالًا ، والحرام ما رَأَوْهُ حرامًا .

وعلماء أهل الكتاب يُشرِّعون حَسَب أهوائهم ومصالحهم الشخصية ، ويجعلون من أفكارهم وآرائهم الشخصية شريعةً لازمة للناس . والمُشكلة أن الشعب الخانع جَعل الآخرين يُفكِّرون نِيابةً عنه ، ويتَّخذون القرارات المصيرية باسمه . فقد رَكَنَ إلى تحليل الحرام وتحريم الحرام ، بدافع التقليد الأعمى ، دون إعمال العقل ، والبحث عن الدليل ، وعَرْض الأحكام على الشريعة .

والأحبارُ عُلماء اليهود ، والرُّهبانُ عُبَّاد النصارى [١٤١] . وصَدَقَ القائل :

وهل أفسدَ الدِّينَ إلا المُلوكُ وأحبارُ سَوْءٍ ورُهبانها

قال ابن كثير في تفسيره (١/ ٥٠١) في تفسير الآية : ((فالجَهَلة من الأحبار والرُّهبان ومشايخ الضلال يدخلون في هذا الذم والتوبيخ ، بخلاف الرُّسل وأتباعهم من العلماء العاملين ، فإنهم إنما يأمرون بما يأمر اللهُ به ، وبلَّغتهم إيَّاه رُسله الكرام ، وإنما يَنْهَوْنَهم عمَّا نهاهم اللهُ عنه ، وبلَّغتهم إيَّاه رُسله الكرام ، فالرُّسل _ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين _ هُم السُّفراء بين الله وبين خَلْقه في أداء ما حملوه من الرسالة ، وإبلاغ الأمانة ، فقاموا بذلك أتم القيام ، ونصحوا الخَلْق ، وبلَّغوهم الحق)) اهـ .

إن العلماء الفاسدين قد ضَلُّوا وأضَلُّوا، وذلك لأنهم قادة الناس الروحيون ، وزُعماؤهم الدينيون، ورُؤوسهم، ومرجعياتهم ، وإذا فسدَ الرأسُ انتهى الجسدُ . وهؤلاء العلماء كالحِمَار يَحْمل أسفارًا ، يَحفظون الكُتبَ ، ويَملكون ناصيةَ اللغة، وفَصْلَ الخطاب، ومع هذا لم يستفيدوا شيئًا من عِلْمهم . فكان عِلْمُهم حُجَّةً عليهم لا لهم ، لأنهم اتَّخذوا العِلم طريقًا لتحقيق منافع شخصية ، وليس ابتغاءَ وجه الله تعالى . وهؤلاء يَنظرون إلى الدِّين بوصفه مشروعًا تجاريًّا استثماريًّا يَدُرُّ أرباحًا وفيرة ، ويَضمن ولاءَ الناس وتبعيتهم ، ويَحشد الجماهير . وهكذا صار علماءُ السُّوء دُعاةً على أبواب النار ، مَن أطاعهم قذفوه فيها . وصَدَقَ القائل :

لو أنَّ أهل العِلم صانوه صانهم ولو عظَّموه في النُّفوس لَعُظِّما
ولكن أهانوه فهانوا ودنَّسوا مُحَيَّاه بالأطماع حتى تَجَهَّما

---

١٤١ قال القرطبي في تفسيره (٨/ ١١٠) : ((الأحبار جمع حَبْر ، وهو الذي يُحسِن القَول وينظمه ويتقنه بحُسن البيان عنه، ومنه ثوب مُحَبَّر ... وقد قيل في واحد الأحبار: حِبر بكسر الحاء، والمفسرون على فتحها ، وأهل اللغة على كسرها ... والرُّهبان جمع راهب ، مأخوذ من الرهبة وهو الذي حمله خوف الله تعالى على أن يخلص له النية دون الناس ، ويجعل زمانه له ، وعمله معه ، وأُنسه به)) .

وعن عَدِيِّ بنِ حاتِم قال : أتيتُ النبيَّ ﷺ وفي عُنُقي صَليبٌ مِن ذَهَب ، فقال : ((يا عَدِيُّ ، اطْرَحْ عَنكَ هذا الوَثَنَ)) ، وسَمِعْتُه يَقرأ في سُورة براءة : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهُم أَرْبَابًا من دُونِ اللهِ ﴾ ، قال : ((أمَا إنهم لَم يَكونوا يَعبدونهم ، ولكنهم كانوا إذا أحَلُّوا لهم شيئًا اسْتَحَلُّوه ، وإذا حَرَّموا عَليهم شيئًا حَرَّموه)) [سبق تخريجه] .

إن قضية التحليل والتحريم لا أحدٌ يَمْلكها إلا الله تعالى . فهي تشريعٌ إلهيٌّ لا علاقة للمخلوقات به. والشخصُ الذي يقوم بالتحليل والتحريم إنما هو يُنازع الله تعالى، ويعتدي على شريعة السماء ، ويَجعل عَقْلَه الناقص المحدود مُسَاوِيًا لعِلْم الله المُطْلَق ، وقدرته اللامحدودة . وإطاعة ذلك الشخص إنما هي استسلام له ، وخضوع لأفكاره ، وعبادة له من دون الله تعالى .

وقد أضاعَ فِرْعَوْنُ نَفْسَه وقَوْمَه ، وأهلكهم بقيادته الفاسدة . قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَجَعَلنَاهُم أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ القِيَامَةِ لا يُنصَرُون ﴾ [القَصَص : ٤١] .

جَعلهم اللهُ في الدنيا رؤساء في الضلال وزعماء في الكفر ، يَقتدي بهم الفاسدون الضَّالون ، ويَدعون إلى الكفر الذي عاقبته النار . وقال القرطبي في تفسيره (١٣/ ٢٥٧): ((أي: جعلناهم زُعماء يُتَّبعون على الكفر ، فيكون عليهم وِزْرهم ووِزْر مَن اتَّبَعهم حتى يكون عِقابهم أكثر)) اهـ .

وفي يوم القيامة ، لا أحد يَحميهم من العقوبة ، وليس لهم ناصر يَدفع عنهم عذاب النار الشديد . لقد خسروا الدنيا والآخرة معًا . وهُم مُجَلَّلُون بالخِزي والعار في الدَّارَيْن .

وأيضًا،الشعب يتحمَّل المسؤولية بسبب خضوعه للاستبداد وقَبوله بسياسة الأمر الواقع، وعدم سَعْيه إلى التغيير الإيجابي بشَتَّى الوسائل. والشعبُ يتحمَّل مسؤولية ذُلِّه وخُنوعه ، ورُضوخه للظالم دون التفكير بإزالة الظُّلم، ورَدْع المُعتدي . وعلى الفرد والجماعة أن يتعاونوا لرفع الظلم بالأسلوب الحَسَن بعيدًا عن الفوضى، ولا يَستسلموا للأمر الواقع بحُجَّة العجز عن التغيير وعدم القُدرة عليه.

قال اللهُ تعالى عن فِرْعَوْن:﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُم كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِين﴾[الزُّخْرُف: ٥٤].

دعا قَومه إلى الخِفَّة والطَّيْش فأطاعوه ، فَسَمَّاهم اللهُ قَوْمًا فاسقين ، لأنهم لم يُقاوموا الظُّلم والطغيان ، بل أيَّدوه باطنًا وظاهرًا . والشعبُ غير معذور إذا أيَّدَ الطاغيةَ ، بل يجب عليه أن يعمل بكل الوسائل مِن أجل التغيير ، وإقامة شعائر الدِّين ، وتطبيق الشريعة . أمَّا اللهاث وراء رغيف الخُبز، والانشغال بالزوجات والأولاد، والغرق في الحياة المادية الاستهلاكية ، وترك الحُكَّام الظالمين يُسيطرون على البلاد ، ويَسرقون العبادَ ، ويَنشرون الفساد ، فمِن شأنه تحطيم الفرد وتدمير المجتمع ، والنهايةُ كارثية، والعاقبة وخيمة. وستكون النتيجة سيِّئة للغاية في الدنيا والآخرة.

والعاقلُ مَن اتَّعظ بغيره ، والجاهل مَن اتَّعظ بنفْسه . وقال ابن كثير في تفسيره (٤/ ١٦٥) : ((أي : استخفَّ عقولهم ، فدعاهم إلى الضَّلالة ، فاستجابوا له)) اهـ .

والحديثُ عن جرائم اليهود وآثامهم ومُؤامراتهم وأخلاقهم السَّيئة ، إنما هو بهدف الاتِّعاظ وأخذ الدروس والعِبَر ، والاستفادة من أخطائهم وخطاياهم ، بالابتعاد عنها ، وعدم تَكرارها .

ولا يُمكن إنكار أهمية الحاكم ، فهو القائد والزعيم والرأس . وصلاحه صلاح للأُمَّة ، وفساده تدمير للأُمَّة . وعن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ عن النبيِّ ﷺ قال: ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُم اللهُ في ظِلِّه يَوْمَ لا ظَلَّ إلا ظِلُّه : الإمامُ العادل ، ...)) [١٤٢] .

إن الله سيُحيطهم برعايته وعنايته ، ويُدخلهم في كَنَفه وحمايته ، فبدأ بالإمام العادل لأنه بصلاحه تصلح الرعية ، وبفساده تفسد الرعية. فهو الرأسُ الذي تتبعه باقي الأعضاء، وهو رُبَّان السفينة ، إمَّا أن يُوصلها إلى بَر الأمان ، أو يُغرِقها . لذلك كان الحاكمُ العادلُ هو خليفة الله في الأرض، يَحمل الشريعةَ السماوية كي يُطبِّقها واقعًا ملموسًا.وقُل لي مَن حاكمك أقُلْ لَكَ مَن أنت!. والناسُ على دِين ملوكهم.وفي شرح النووي على صحيح مسلم (٧/ ١٢١):((قَوله ﷺ : " الإمام العادل " . قال القاضي : هو كُل مَن إليه نظر في شيء من مصالح المسلمين مِن الوُلاة والحُكام ، وبدأ به لكثرة مصالحه ، وعُموم نفعه)) اهـ .

وفي الدُّر المنثور للسُّيوطي (٥/ ٣٢٩) : ((وأخرج الخطيب عن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ قال : واللهِ لَمَا يَزَعُ اللهُ بالسُّلطان أعظمُ مِمَّا يَزَعُ بالقُرآن)) .

إن الله يَمنع بالسُّلطان (الحاكم) عن ارتكاب الجرائم ، واقتراف الذنوب ، ما لا يمتنع كثيرٌ من الناس بالقُرآن الذي يحتوي على الترهيب والوعيد والحساب الشديد .

وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٨٢) : ((أي: لَيَمْنع بالسُّلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام ما لا يمتنع كثير من الناس بالقرآن،وما فيه من الوعيد الأكيد والتهديد الشديد.وهذا هو الواقع)).

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمَنوا إنَّ كثيرًا مِن الأحبارِ والرُّهبانِ لَيَأكلون أموالَ الناسِ بالباطل وَيَصُدُّون عن سَبيلِ الله ﴾ [التَّوبة : ٣٤] .

يا أيُّها الذين صدَّقوا بِوَحدانية الله ، وأقَرُّوا بِنُبُوَّة محمد ﷺ ، إن كثيرًا مِن عُلماء اليهود وعُبَّاد النصارى ، يَأكلون الدُّنيا بالدِّين ، ويُحرِّفون كلامَ الله ، ويَمنعون الناسَ مِن الدخول في الإسلام .

---

١٤٢ متفق عليه . البخاري (٢٣٤/١) برقم (٦٢٩) ، ومسلم (٢/ ٧١٥) برقم (١٠٣١) .

إنَّ كثيرًا مِن الأحبار(علماء اليهود) والرُّهبان (عُبَّاد النصارى) يأكلون أموالَ الناس بالحرام، وذلك باسم البِيَع والكنائس ، وفرض الضرائب على الأتباع ، وخِداعهم بأن يقولوا لهم إن هذه الأموال قُربة إلى الله تعالى ، وتُستعمَل للإنفاق على دور العبادة ودعمِ المؤمنين . وهذه الحِيَل موجودة في كل زمان ومكان .

ولا تزال " صُكوكُ الغُفران " عالقةً في الأذهان ، وهي مثال واضح على أكل أموال الناس بالوسائل المُحرَّمة ، وتوظيف الدِّين لتحقيق مكاسب مادية والحصول على مصالح شخصية . وكثيرٌ مِن الأحبار والرُّهبان يَكذبون على الناس ، ويَخدعونهم ، ويَستغلونهم ، باسم الدِّين والإيمان والتقوى ، وهُم يأكلون الدنيا بالدِّين مُستغلين مناصبهم وسُلطتهم ونفوذهم ومكانتهم الاجتماعية .

وقال الطبري في تفسيره (٦ / ٣٥٧) : ((يقول تعالى ذِكْرُه : يا أيُّها الذين صدَّقوا اللهَ ورسوله ، وأقَرُّوا بِوَحْدانية ربهم ، إن كثيرًا من العلماء والقُرَّاء من بني إسرائيل من اليهود والنصارى، ﴿ لَيَأكلون أموالَ الناسِ بالباطل ﴾ . يقول : يأخذون الرِّشى في أحكامهم ، ويُحرِّفون كتابَ الله ، ويكتبون بأيديهم ثُمَّ يقولون:(هذه من عند الله)، ويأخذون بها ثمنًا قليلًا مِن سَفِلتهم، ﴿ وَيَصُدُّون عن سَبيلِ الله ﴾ .يقول: ويمنعون مَن أراد الدخول في الإسلام الدُّخولَ فيه بِنَهْيِهم إيَّاهم عنه)) اهـ.

إن كثيرًا من الأحبار والرُّهبان يَسْرقون أموالَ الناس،ويَقومون بابتزازهم واستغلالهم باسم الدِّين. حيث إنهم يأخذون الأموالَ باسم العقيدةِ والدِّينِ ، ويُوهمون الأتْباع أن تلك الأموال سَتَكون في سبيل الإيمان والتقوى والتَّقرُّب إلى الله تعالى . وَهُم يَصْرفون الناسَ عن الإيمان الحقيقيِّ، الإيمانِ بالإسلامِ دِينِ كُلِّ الأنبياء _ بلا استثناء _ . والمقْصودُ بالباطل في الآية هو الظُّلْم والكذب وأخذ الرِّشى في الأحكام . وسُمِّيَ أخذ المال أكْلًا ، لأنه الهدف الأبرز مِنه ، وتنفيرًا مِن حالهم السَّيئة .

وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٤٦١) : ((وذلك أنهم يأكلون الدنيا بالدِّين ومناصبهم ورياستهم في الناس ، يأكلون أموالهم بذلك ، كما كان لأحبار اليهود على أهل الجاهلية شَرَف ، ولهم عندهم خَرْج وهدايا وضرائب تجيء إليهم ، فلمَّا بَعث اللهُ رسولَه ﷺ استمروا على ضلالهم وكُفرهم وعنادهم طمعًا منهم أن تبقى لهم تلك الرياسات ، فأطفأها اللهُ بنُور النُّبُوَّة ، وسلبهم إيَّاها وعَوَّضهم الذُّلَّ والصَّغار، وباؤوا بغضب من الله تعالى. وقَوله تعالى : ﴿ وَيَصُدُّون عن سَبيلِ الله ﴾ ، أي : وهُم مع أكلهم الحرام يَصُدُّون الناس عن اتِّباع الحق ، ويَلبسون الحق بالباطل ، ويُظهِرون لِمَن اتَّبعهم مِن الجَهَلة أنهم يدعونه إلى الخير ، وليسوا كما يَزْعُمون ، بَل هُم دُعاة إلى النار ، ويوم القيامة لا يُنصَرون)) اهـ .

كثيرٌ مِن الأحبار والرُّهبان استغلوا الدِّين لأهداف شخصية ، ومِن أجل تحقيق مكاسب مادية. وقد أخذوا الرِّشى في أحكامهم ، وحرَّفوا كلامَ الله ، وبدَّلوا نصوصَ الكُتب الدينية ، وغيَّروها ، وضَحِكوا بها على العوام والجُهَّال والأتباع ، مِن أجل استغلالهم معنويًّا وماديًّا ، والسيطرة عليهم ، والاستحواذ على ممتلكاتهم ، ومنعوا الناسَ من الدخول في الإسلام ، وصَدُّوهم عن اتِّباع النبيِّ محمد ﷺ ، خوفًا على زعامتهم ورئاستهم ونفوذهم وسُلطتهم ومناصبهم وأرباحهم المالية ، ومكاسبهم المادية ، ومصالحهم الشخصية . وقد خافوا أن يَخسروا كُلَّ هذه المزايا إن آمنَ الناسُ بالإسلام،وصدَّقوا بالنبيِّ محمد ﷺ.وهذا يعني بالضرورة أن الناس ستبتعد عنهم،وتنفض مِن حَوْلهم.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٢٨) : ((وفي الباطل أربعة أقوال : أحدها أنه الظُّلْم، قاله ابن عباس . والثاني الرِّشى في الحُكم، قاله الحسن. والثالث الكذب،قاله أبو سليمان. والرابع أخْذه مِن الجهة المحظورة ، قاله القاضي أبو يعلى . والمراد أخذ الأموال ، وإنما ذكر الأكل ، لأنه معظم المقصود من المال . وفي المراد بسبيل الله هاهُنا قَولان : أحدهما الإيمان برسول الله ﷺ ، قاله ابن عباس والسُّدي . والثاني أنه الحق والحُكم)) اهـ .

واللهُ حاكم عادل ، وحَكَم مُنصِف ، قال : ﴿ إنَّ كثيرًا مِن الأحبارِ والرُّهبانِ لَيَأكلون أموالَ الناسِ بالباطل وَيَصُدُّون عن سَبيلِ الله ﴾ . ولم يَقُل : جميع الأحبار والرُّهبان .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أقْرَبَهُم مَوَدَّةً للذينَ آمنوا الذينَ قالوا إنَّا نصارى ذلك بأنَّ مِنهُم قِسِّيسِينَ ورُهْبَانًا وأنهم لا يستكبرون ﴾ [المائدة : ٨٢] .

وَلَتَجِدَنَّ يا محمد أقربَ الناس مَوَدَّةً ومحبةً للمؤمنين الذين صَدَّقوا بِوَحدانية الله وأقَرُّوا بِنُبُوَّتك، الذين قالوا إنَّا نصارى . والسببُ في قُرب مَودة النصارى أنهم قليلو الحِرص على الدنيا ، ويهتمون بالعِلم والعمل ، ففِيهم القِسِّيسون (علماؤهم) والرُّهبان (عُبَّادهم) ، وهم يمتازون بالتواضع والوَدَاعة ولِين الجانب، ولا يتكبَّرون على الحق كاليهود . وهذا يُشير إلى أن التواضع وطلب العِلم والعمل به، صِفات محمودة ، ولو كانت مِن كافر . والنصارى أصحاب قلوب رقيقة ، تميل إلى الإسلام. واليهودُ مُعَانِدُون ، وقلوبهم قاسية ، ومِن الصعب أن يَستجيبوا للحق ، ويَعتنقوا الإسلامَ .

وهُناك مَثَل قديم أشبه بحكمة يقول : " كُلْ عند اليهودي ، ونَمْ عند النصراني " ، وذلك لأن اليهود يَعتنون بنظافة الأكل ، ويُحرِّمون لحمَ الخِنزير ، ولا يأكلون بعض أنواع الطعام المُحرَّمة عند المسلمين ، ولكن اليهود مَعروفون بالغدر والمكر ، وإذا نامُ المسلمُ عندهم رُبَّما يَقتلونه أثناء نَوْمه. أمَّا النصارى فمعروفون بِرِقَّة القلب وعدم الغَدْر . والحُكم على الأغلب ، ولكل قاعدة استثناء .

وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ١١٧) : ((أي الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع المسيح وعلى منهاج إنجيله، فيهم مَوَدَّة للإسلام وأهله في الجُملة ، وما ذاك إلا لِمَا في قلوبهم ، إذْ كانوا على دين المسيح مِن الرِّقة والرأفة)) اهـ .

والآيةُ نزلت في النجاشي مَلِك الحَبَشَة وأصحابه . وفي لُباب النُّقول للسُّيوطي (١/ ٨٦) : ((أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن المُسيِّب وأبي بكر بن عبد الرحمن وعُروة بن الزُّبَير قالوا : " بعث رسولُ الله ﷺ عمرو بن أُمَيَّة الضَّمْرِيَّ، وكتب معه كتابًا إلى النجاشيِّ، فَقَدِمَ على النجاشيِّ ، فقرأ كتابَ رسول الله ﷺ ، ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه ، وأرسل إلى الرُّهبان والقِسِّيسين ، ثم أمرَ جعفر بن أبي طالب ، فقرأ عليهم سورة مريم ، فآمنوا بالقرآن ، وفاضت أعينهم من الدمع ، فهُم الذين أنزل اللهُ فيهم : ﴿ ولتجدنَّ أقربهم مَوَدَّةً ﴾ _ الآية _")) اهـ .

إن النبيَّ ﷺ حريص على الاتصال بمحيطه من أجل نشر الدَّعوة المُحمَّدية الإسلامية . والحَبَشَة_ التي كان يَحكمها النجاشي _ ، يمكن اعتبارها جارة للجزيرة العربية ، فلا يَفْصل بينهما إلا البحر الأحمر . والنجاشيُّ _ رضي الله عنه _ كان نصرانيًّا ، ولكن عندما ظهر له الحق اعتنق الإسلامَ. وعندما سَمِعَ الرُّهبانُ والقِسِّيسون سُورةَ مريم ، أدركوا أن هذا القرآن هو كلام الله تعالى ، وأن مصدره سماويٌّ لا أرضيٌّ، لذلك آمنوا جميعًا،وفاضت الدموعُ في عيونهم مِمَّا عَرفوا من الحق.

والمُخلِصون في طلب الحق ، والصادقون في البحث عن الحقيقة ، يَبتعدون عن الأهواء الذاتية ، والمصالح الشخصية ، ولا يَلْجَؤون إلى التحايل والمكر والخداع والمُراوغة ، ولا يتهرَّبون مِن الاستحقاقات المصيرية . وإذا ظَهر الحقُّ أمامهم ، فإنهم يَخضعون له . وإذا أُقِيمت عليهم الحُجَّة ، فإنهم يُسلِّمون بها ، ولا يَخترعون تبريرات واهية أو أعذارًا كاذبة للهروب مِن الموقف .

وقال البغوي في تفسيره (١/ ٨٥) : ((لم يُرِدْ به جميع النصارى ، لأنهم في عداوتهم للمُسلمين كاليهود، في قتلهم المسلمين ، وأسْرِهم، وتخريب بلادهم، وهدم مساجدهم، وإحراق مصاحفهم ، لا ولاء ولا كرامة لهم ، بل الآية فيمن أسلمَ مِنهم مِثل النجاشي وأصحابه)) اهـ .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٤٠٨) : ((فأمَّا ﴿ الذينَ قالوا إنَّا نصارى ﴾ فهل هذا عام في كل النصارى أم خاص ؟ . فيه قولان : أحدهما أنه خاص ثم فيه قَولان : أحدهما أنه أراد النجاشي وأصحابه لمَّا أسلموا ، قاله ابن عباس وابن جُبَير . والثاني أنهم قوم من النصارى كانوا متمسكين بشريعة عيسى،فلمَّا جاء محمد عليه السلام أسلموا ، قاله قتادة. والقول الثاني أنه عام، قال الزَّجاج : يجوز أن يُراد به النصارى ، لأنهم كانوا أقل مُظَاهَرة للمُشركين من اليهود . قَوله

تعالى : ﴿ ذلك بأنَّ مِنهُم قِسِّيسِينَ ﴾ . قال الزَّجاج : القَس والقِسِّيس مِن رؤساء النصارى. وقال قُطْرُب : القِسِّيس العَالِم بلغة الروم ، فأمَّا الرُّهبان فهُم العُبَّاد أرباب الصوامع . قال ابن فارس : التَّرَهُّب التَّعَبُّد. فإن قِيل: كيف مدحهم بأن منهم قسيسين ورُهبانًا ، وليس ذلك من أمر شريعتنا ؟. فالجواب أنه مدحهم بالتَّمَسُّك بدين عيسى حين استعملوا في أمر محمد ما أُخِذَ عليهم في كتابهم. وقد كانت الرَّهبانية مُسْتَحْسَنَة في دِينهم . والمعنى بأن فيهم عُلماء بما أوصى به عيسى من أمر محمد ﷺ . قال القاضي أبو يعلى : وربَّما ظَنَّ جاهل أن في هذه الآية مدح النصارى ، وليس كذلك ، لأنه إنما مَدَحَ مَن آمنَ مِنهم . ويدل عليه ما بعد ذلك ، ولا شك أن مَقالة النصارى أقبح مِن مَقالة اليهود)) اهـ .

إن اليهود مُعَانِدُون ، ومُتكبِّرون على الحق ، وأصحاب قلوب قاسية . ومَن يَستعرض تاريخ اليهود يجده مُمتلئًا بالطُّغاة والحُكام الظالمين الفاسدين ، وعُلماء السُّوء المُرْتَزِقَة ، الذين دمَّروا كيانَ الإنسان اليهوديِّ ، وحوَّلوه إلى مَسْخ ، بلا عقيدة ولا قِيَم ولا أخلاق، بحيث صار شخصًا وضيعًا ذليلًا ، دِينه المال ، وعقيدته جَمْع حُطام الدنيا الفاني . ﴿ أَم تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُم يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِن هُم إِلا كَالأَنْعَامِ بَل هُم أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفُرقان : ٤٤] .

إنهم أسوأ حالًا من البهائم ، لأنَّ البهائم تَهتدي إلى المراعي ، وتَخضع لأصحابها الذين يَعتنون بها وتَنقاد لهم، وهؤلاء لا يُؤمنون بالله بشكل صحيح ، ولا يَخضعون لأمْرِه ونَهْيه، وهو المُنعِم المُتفضِّل عليهم ، ولا يَشكرون نِعَمَه الكثيرة. والبهائمُ تعرف الغايةَ مِن خَلْقها، وتُمارِس وَظيفتها في الحياة بلا انحراف ولا تقصير . كما أن البهائم لا تَتحدَّى اللهَ ، ولا تَقتل الأنبياء ، ولا تطعن في رسالاتهم . أمَّا هؤلاء فقد كفروا بالله ، عِنادًا واستكبارًا واتِّبَاعًا لأهوائهم ومصالحهم .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٩٢): ((﴿ بَل هُم أَضَلُّ ﴾ ، لأن الأنعام تُبصِر منافعها ومضارها، فتلزم بعض ما تُبصِره ، وهؤلاء يَعلم أكثرهم أنه مُعانِد ، فَيُقْدِم على النار)) اهـ .

إن رأس الأفعى إذا ظل موجودًا فالخطر موجود . ومُحَالٌ أن تجد جماعةً ناجحة يَرأسها حاكم فاشل. ومُحَالٌ أن تجد حاكمًا ناجحًا وشَعبه مُتخلِّف . إن غُرفة القيادة في القطار هي التي تُحدِّد المسارَ الذي تسير فيه كل المَقطورات ، ولو كان المسار خاطئًا ، فإن مصيبة كارثية ستلحق بالجميع . ولا فائدة مِن سُرعة القطار ، إذا كان سائرًا في الطريق الخاطئ . والشخصُ الفاسد في السُّلطة بإمكانه القضاء على آمال الجميع ، وإن تَصَرُّفًا أحمق مِن شخص عادي قد يُغرِق الكُلَّ .

أرى أَلْفَ بَانٍ لا يَقوم بهادم   فكيفَ ببانٍ خَلْفه ألفُ هادم

والجديرُ بالذِّكر أن الخيرَ يَخُصُّ ، والشر يَعُمُّ . وهذه القاعدة تشير إلى خطورة الفِعل السلبي الشخصي على مسيرة الجماعة البشرية كُلِّها . وَعُودُ ثِقاب صغير قد يتسبب بإحراق غابة كبيرة . ومُعظم النار مِن مُسْتَصْغَر الشَّرَر . ولا ينبغي الاستهانة بالأمور السلبية مهما بَدَتْ صغيرة أو حقيرة.

وفي صحيح البخاري (٢/ ٨٨٢): عن النُّعمان بن بشير ـــ رضي الله عنهما ـــ عن النبيِّ ﷺ قال : ((مَثَلُ القائمِ على حدود الله والواقعِ فيها كَمَثَلِ قوم اسْتَهَمُوا على سفينة ، فأصابَ بعضُهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا اسْتَقَوْا من الماء مَرُّوا على من فوقهم، فقالوا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنا في نصيبنا خَرْقًا ، ولم نُؤذِ مَن فَوْقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا ، وإن أخذوا على أيديهم نَجَوْا ونَجَوْا جميعًا)) ١٤٣ .

إن الحُمق بلغ مَبلغًا عظيمًا في نفوس الجاهلين الذين أرادوا عمل خَرْق في نصيبهم ظَنًّا منهم أنهم يُحسنون صُنعًا، والواقع أنهم يَقُودُون أنفسَهم وغيرَهم إلى الهلاك والدمار الشامل . وعلى الرغم مِن نِيَّتهم الصالحة ، إلا أن هذا لا يعني شيئًا ، لأن النِّية الصالحة لا تُصلِح العملَ الفاسد . وكَم مِن مُريد للخير لا يُصيبه. والطريق إلى جهنم مُعبَّد بالنوايا الصالحة . وهُنا تكمن أهمية القيادة في منع العَبَث والطَّيْش، والأخذ على أيدي العابثين وإيقاف مُخططاتهم المأساوية ، وتَوجيههم إلى المسار الصحيح. وهؤلاء كانوا أصحاب نِيَّة صالحة ، فما بالكَ باليهود أصحاب النِّية الفاسدة ؟! . لَوْ تُرِكَ اليهود يُنفِّذون مُؤامراتهم وخُططهم الشريرة ، فسوفَ تغرق سفينة البشرية ، وتنهار قيم الحضارة ، وتَسقط عناصر المدنية ، وتضيع المُنجَزات الإنسانية . لذلك ، يجب مَنْع اليهود من ارتكاب الجرائم ، وتنفيذ المؤامرات ، واقتراف الآثام ، لأن هذا مِن شأنه تدمير البشرية جَمْعاء . والبشريةُ كُلُّها في سفينة واحدة . إمَّا النجاةُ معًا ، أو الغرق معًا .

وفي هذا السِّياق ، ينبغي معرفة أهمية دور القيادة البَيْتِيَّة المُتمثلة في الأم (القائدة الحقيقية للأُسرة) ، إذ إن الأب يغيب عن البيت لوقت طويل من أجل كَسْب الرزق، وبالتالي فلن يُؤثِّر بنفْس الدرجة التي تُؤثِّر فيها الأُم . وهذا يَدفع باتجاه توضيح مسار القيادة الأُسَرية في المجتمع اليهودي المُتماسك ظاهريًّا ، المُفكَّك حقيقةً .

---

١٤٣ (القائم على حدود الله) الْمُلْتَزِم بأوامر الله ، والْمُجْتَنِب لِنَوَاهيه ، والآمِر بالمعروف ، والنَّاهي عن المنكَر . (الواقع فيها) التارك للمعروف المرتكب للمُنكَر . (استهموا) اقترعوا ليأخذ كل منهم سَهْمًا ، أي نصيبًا . (أخذوا على أيديهم) مَنعوهم مِن خَرْق السفينة .

والأمهات في المجتمع اليهودي المنهار ، لا يَتَمَتَّعْنَ بكفاءة في التربية والتَّنشئة ، لذلك يَخرج أبناؤهن غير أسوياء فكريًّا،ولا يَتَمَتَّعُون بالأخلاق الحميدة.فهم مُنحرفون، ونَتاج أُسَر مُمزَّقة. وذلك يعود إلى أن النساء اليهوديات فاسدات أخلاقيًّا ، ومُنحرفات اجتماعيًّا . فقد انتشر الزنا والبِغاء في المجتمع اليهودي،وضَرب الفسادُ الأخلاقي أساسَ المجتمعِ المائل أصْلًا إلى الانحلال والفساد والتَّسَيُّب. وبالتالي، انهارت قيم المجتمع، وسَقط معنى الأخلاق ، وانتكست فِطرة الفرد.

وفي صحيح مسلم (٤/ ٢٠٩٨) : عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ ــ رَضِيَ اللهُ عنه ــ عن النبيِّ ﷺ قال : ((فإن أولَ فِتْنَةِ بني إسرائيل كانت في النِّساء)) .

صارَ وجود المرأة اليهودية مَحصورًا في المُتعة والشَّهوة واللذة . وهذا أدَّى إلى انهيار أخلاق اليهود وضياعهم. وكُل فوضى جنسية إنما هي بسبب سلوك المرأة بالدرجة الأولى ، فالمرأة هي المصنع الجنسي الأكبر والأخطر. ولا نُقلِّل من دور الرَّجل في الفوضى الجنسية إلا أن دوره محدود لأنه تابع لمصدر الإغراء.والزنا أو الاغتصاب تتحمَّل المرأةُ مسؤوليتهما بنسبة أكبر،لأن إغراءها هو الطُّعْم الذي يبتلعه الرَّجل.والمرأةُ هي مصدر الإغراء والإغواء ، ومَوضع الشهوة واللذة. والفِتنةُ بالنساء أشد مِن الفِتنة بغيرهنَّ. ولَوْلا النساء لَعُبِدَ الله حَق عبادته ، ولم يَرتكب الناسُ الآثام.

وقال الحافظ في الفتح (٩/ ١٣٨) : ((قال بعض الحكماء : النِّساء شَر كُلهن ، وأشرُّ ما فيهنَّ عدم الاستغناء عنهنَّ . ومعَ أنها ناقصة العقل والدِّين ، تَحْمل الرَّجل على تعاطي ما فيه نَقْص العقل والدِّين ، كشَغله عن طلب أمور الدِّين ، وحَمْله على التهالك على طلب الدنيا ، وذلك أشد الفساد)) اهـ .

وقال المُناوي في فَيض القدير (٢/ ١٨٠) : (((فإن أول فِتنة بني إسرائيل كانت في النساء) . يُريد قَتل النَّفْس التي أُمِرَ بنو إسرائيل فيها بذبح البقرة ، واسم المقتول عاميل ، قتله ابن أخيه أو عَمُّه ليتزوَّج ابنته أو زوجته . وقال في المطامح : يُحتمل كَوْنه أشارَ إلى قصة هاروت وماروت، لأنهما فُتِنَا بسبب امرأة من بني إسرائيل ، ويُحتمل أنه أشار إلى قضية بَلْعام بن باعوراء ، لأنه إنما هَلك بمُطاوَعة زوجته . وبسببهنَّ هَلك كثير من العلماء)) اهـ .

وقالت السَّيدة عائشة ــ رضي الله عنها ــ : ((لَوْ أن رسولَ الله ﷺ رأى ما أحدثَ النِّساءُ لَمَنَعَهُنَّ المَسجدَ ، كما مُنِعَتْ نِساءُ بني إسرائيل)) [١٤٤] .

---

١٤٤ متفق عليه. واللفظ لمسلم (١/ ٣٢٩) برقم (٤٤٥) . البخاري (١/ ٢٩٦) برقم (٨٣١).

أحدثَ النساءُ مِن إظهار الزِّينة والتَّعَطُّر وحُسن الثياب، وهذا يُسبِّب الفِتنة، ويَنشر الذنوبَ والآثام والفواحش ، ويُؤَدِّي إلى فساد اجتماعي كبير ، ولو رآهُنَّ النبيُّ ﷺ في هذه الحالة المُخالِفة لأحكام الإسلام وآدابه ، لَمَنَعَهُنَّ مِن الخروج إلى المسجد ، كما مُنِعَتْ نساءُ بني إسرائيل، وهُنَّ في هذه الحالة . وقال السُّيوطي في تنوير الحوالك (١/ ١٥٧) : ((قال الباجي: تعني الطِّيب والتَّجَمُّل وقِلَّة التَّستُّر ، وتسرُّع كثير منهن إلى المناكر ... . قال الباجي : يُحتمل أن يكون في شريعة بني إسرائيل مَنع النساء من المساجد ، ويُحتمل أنهنَّ مُنِعْنَ بعد الإباحة)) اهـ .

وعن عائشة _ رضي الله عنها _ قالت : ((كان نساء بني إسرائيل يَتَّخِذْنَ أرْجُلًا مِن خشب ، يَتَشَرَّفْنَ للرجال في المساجد ، فَحَرَّمَ اللهُ عليهنَّ المساجد ، وسُلِّطت عليهنَّ الحَيْضَة)) [١٤٥] .

إن نساء بني إسرائيل مُنِعْنَ مِن دُخول المساجد ، وحرَّمها اللهُ عليهن ، بسبب سُلوكهن السَّيئ، القائم على التفكير بالرجال ، والإغراء ، والإغواء ، والتَّعَطُّر ، والتَّجَمُّل ، وإبداء الزِّينة .

وهذا الحديث يُشير إلى تاريخ " مُوضة الكَعْب العالي " التي أحدثت هَوَسًا عند النساء في الشرق والغرب ، وقد اتَّضحت دلالة هذه الموضة من الناحية الجنسية والإغرائية ، وهذا يتجلى في سُلوك نساء بني إسرائيل . ثُمَّ حدث التقليد الأعمى في عالَم الأنوثة وصولًا إلى وقتنا المعاصر.

وللأسف ، إن بعض نساء المسلمين غَرِقْنَ في التقليد الأعمى والاتِّباع غير السليم . ولكن ، لا يخلو مجتمع مِن قائم لله بِحُجَّة ، خصوصًا المجتمع الإسلامي الذي يملك عناصر تصحيح ذاتية لسلوك أفراده ، والعُلماءُ المُخلِصون كُثُر على الرغم مِن ظُهور عُلماء السَّلاطين وامتلاكهم للمنابر الإعلامية ، بدعم مِن الحُكَّام الفاسدين (عبيد الغرب) ، حيث إنهم يُوالونه ، ويخدمونه ، ويُنفِّذون أوامره ، مُقابل السماح لهم بالبقاء على عروشهم . وهذا أمرٌ مُتوقَّع ، لأن الغربَ هو الذي وَضَعَ الحُكَّامَ العرب في سُدَّة الحُكم ، وهو الذي يُزيلهم إن أراد ذلك . وبالتالي ، يجب على الحُكَّام العرب خدمة الغرب (على رأسه أمريكا) إذا أرادوا البقاءَ في مناصبهم وحماية عروشهم .

ولكنَّ العلماء الشُّرفاء المُخلِصين موجودون في كل زمان ومكان ، وسوفَ يَقُودُون الأُمَّة المُحمَّدية الإسلامية _ خَيْر أُمَّة أُخْرِجت للناس _ إلى بَر الأمان ، ويُرشدونها إلى ما فيه صلاح الدُّنيا والآخرة ، وهذا ما لا يتوفر في المجتمع اليهودي المنهار والمُفكَّك والغارق في الفساد .

---

١٤٥ رواه عبد الرزاق في مُصنفه (٣/ ١٤٩) برقم (٥١١٤) موقوفًا بسند صحَّحه الحافظ في الفتح (٢/ ٣٥٠) وقال : ((وهذا وإن كان موقوفًا فحُكمه حُكم الرفع لأنه لا يُقال بالرأي)) .

إن الإسلام بنى مجتمعَ الحق والفضيلة والشرف والطهارة ، وحصَّنه ، وسَدَّ الذرائعَ المُوصلة إلى الفساد والحرام والإثم والانحلال الأخلاقي ، وشَرَعَ العقوبات الرادعة ضِد مُرتكبي الجرائم والمعاصي . والحدودُ الشرعية في الإسلام مُخيفة ورادعة وفعَّالة ، وهذا هو الهدف من وجودها .

وعلى سبيل المثال لا الحصر ، إن المسلم _ على عكس اليهودي والنصراني _ يَخاف مِن مُجرَّد التفكير بالزنا ، لأن عقوبة الزاني البِكْر مئة جَلْدة ، أمَّا الثَّيب فالرَّجْم حتى الموت . ونحن نتحدَّث عن المجتمع الإسلاميِّ الذي يُطبِّق أحكامَ الشريعة على الجميع بلا استثناء ولا مُحَابَاة .

وعلى الجهة الأُخرى ، نجد أن الانفلات والتَّسَيُّب والانحلال الأخلاقي وانهيار نظام العقوبات في الديانة اليهودية الباطلة ، قد قَلَبَ الموازين ، وساهمَ في نشر الفساد الأخلاقي والسقوط الاجتماعي ، ووجَّه البوصلةَ البشرية نحو الجهة الخاطئة، خاصةً مع كثرة التلاعب بنصوص التَّوراة وتحريفها ، وَلَوْي أعناق النصوص ، ورفض تطبيق الأحكام الشرعية ، والتحايل على تنفيذ الحدود التي تتعارض مع أهواء اليهود ومصالحهم .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ يا أهلَ الكتابِ قَد جَاءَكُم رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُم كَثيرًا مِمَّا كُنتم تُخْفُونَ مِنَ الكِتابِ وَيَعفو عَن كَثيرٍ قَد جَاءَكُم مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتابٌ مُبِين ﴾ [المائدة : ١٥] .

الخِطابُ الإلهيُّ مُوَجَّه لأهل الكتاب (اليهود والنصارى). فقد جاءهم النبيُّ محمد ﷺ بالإسلام (الدِّين الحق) لِيُوضِّح كثيرًا من الأمور التي أخفاها أهل الكتاب وحرَّفوها وتلاعبوا بها (مِثل : آية الرَّجْم ، وقصة أصحاب السَّبْت الذين مُسِخوا قِرَدةً) . والإضافةُ في قَوله تعالى : ﴿ رَسُولُنا ﴾ لِتَشريف النبيِّ ﷺ ، ورفع مكانته ، وتعظيم شأنه . وأيضًا ، لِدَعوة الناس إلى اتِّباعه ، فهو المُتحدِّث بِاسْمِ اللهِ تعالى . ويتجاوز النبيُّ ﷺ عن كثير من باطلهم وتحريفهم للكتاب لعدم وجود فائدة في بيانه ، وبسبب عدم اشتماله على أحكام شرعية، ولو بَيَّنَه لَفَضَحَهم. وإنما يُبيِّن النبيُّ ﷺ ما فِيه حُجَّة على صِدقه وصِحَّة رسالته [١٤٦].

---

١٤٦ قال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣١٦):((فإن قِيل:كيف كان له أن يُمسِك عن حَق كتموه فلا يُبيِّنه؟.فعنه جوابان: أحدهما أنه كان مُتلقِّيًا ما يُؤمَر به،فإذا أُمِرَ بإظهار شيء مِن أمرهم أظهرَه وأخذهم به، وإلا سكت.والثاني أنَّ عَقْد الذِّمة إنما كان على أن يُقَرُّوا على دِينهم، فلمَّا كتموا كثيرًا مِمَّا أُمِروا بِه واتَّخذوا غَيْرَه دِينًا ، أظهرَ عليهم ما كتموه مِن صفته وعلامة نُبُوَّته لتتحقق مُعجزته عندهم. واحتكَموا إلَيه في الرَّجْم ، فأظهرَ ما كتموا مِمَّا يُوافق شريعته ، وسكت عن أشياء ليتحقق إقرارُهم على دِينهم)).

وإظهارُ ما أخفاه أهلُ الكتاب دليلٌ باهر على نُبُوَّة محمدﷺ ، لأنه أُمِّيٌّ لم يَقرأ التوراةَ والإنجيلَ. إذن ، هذه المعلومات التي أظهرَها النبيُّ ﷺ ليس لها أيُّ مَصْدَرٍ إلا الوَحْيَ السماويَّ المُوَجِّه لسلوك النبيِّ ﷺ وتعاملاتِه . وقد أخْفَوا آيةَ الرَّجْمِ ، وصِفَةَ محمد ﷺ في كُتبهم .

وقال القرطبي في تفسيره (٦/ ١١٥) : ((﴿ ويعفو عن كثير ﴾، أي يَتركه ولا يُبَيِّنه ، وإنما يُبَيِّن ما فيه حُجَّةٌ على نُبُوَّته ، وللدَّلالةِ على صِدْقه ، وشَهادةٌ بِرِسالته ، ويترك ما لم يكن به حاجة إلى تبيينه)) اهـ .

والمنهجُ النبويُّ قائمٌ على النَّقْل والعقل ومُقارَعة الحُجَّة بالحُجَّة ، ولا يَقوم على الشتائم والفضائح. وقد جاءهم مِنَ اللهِ نُور (ضِياء) ، وهو القرآنُ المُعجِزُ الذي يُبيِّن الأحكامَ ، فهو ظاهرٌ في إعجازه ، وواضحٌ في أحكامه . وقِيل : النُّور هو محمد ﷺ ، لأنه الهادي إلى طريق اللهِ تعالى . وتنوينُ ﴿ نُورٌ ﴾ للتَّفخيم .

وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٣٠٧) : ((﴿ قَد جَاءَكُم مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتابٌ مُبِين ﴾ ، يعني القرآن ، فإنه الكاشف لِظُلمات الشَّك والضلال، والكتاب الواضح الإعجاز . وقِيل : يُريد بالنُّور محمد ﷺ)) اهـ .

وعن ابن عباس _ رضي الله عنهما _ أنه قال : ((مَن كَفَر بالرَّجْم فقد كفر بالرحمن ، وذلك قَوْل الله :﴿ يا أهلَ الكتاب قد جاءكم رسولُنا يُبيِّن لكم كثيرًا مِمَّا كنتم تُخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ﴾ ، فكان مِمَّا أَخْفَوا الرَّجمُ)) [١٤٧] .

أخفى اليهودُ حَدَّ رَجْم الزَّاني، لأنهم عجزوا عن تطبيقه على الشريف والوضيع ، خُصوصًا أن الزنا كَثُرَ في أشراف اليهود ، وهؤلاء فوق القانون ، لأنهم الزعماء والقادة والسَّادة ، مِمَّا جَعل اليهود يُزيلون حَدَّ الرَّجْم مِن التَّوراة . وهذا يدل على تحريفهم للتوراة ، وتغيير أحكامها وحدودها ، بما يتوافق مع أهوائهم الذاتية ، ومصالحهم الشخصية ، ومكتسباتهم المعنوية والمادية .

وعن ابن عمر _ رضي الله عنهما _ أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فَذَكروا له أن رَجُلًا مِنهم وامرأةً زَنَيا ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ((ما تجدون في التَّوراة في شأن الرَّجْم ؟)) ، فقالوا :

---

١٤٧ رواه ابن حِبَّان في صحيحه(١٠/ ٢٧٦) برقم(٤٤٣٠).ورواه الحاكم في المستدرك(٤/ ٤٠٠) برقم (٨٠٦٩) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي ./ ملاحظة : الكفرُ لا يكون إلا بإنكار نصٍّ قَطعيِّ الوُرود (القرآن الكريم والحديث المتواتر) وقَطعيِّ الدَّلالة .

نفضحهم ويُجْلَدون ، فقال عبد الله بن سلام : كذبتم ، إنَّ فيها الرَّجْمَ ، فأتَوْا بالتوراة فنشروها ، فوضعَ أحدُهم يَدَهُ على آية الرَّجْم ، فقرأ ما قَبْلَها وما بَعْدَها ، فقال له عبد الله بن سلام : ارفعْ يَدَك ، فرفعَ يَدَهُ فإذا فيها آيةُ الرَّجْم ، فقالوا : صَدَقَ يا محمد ، فيها آيةُ الرَّجْم . فأمرَ بهما رسول الله ﷺ فرُجِمَا ١٤٨ . إن ضِعاف النفوس يُحاولون إخفاءَ النصوص الدينية والتحايلَ عليها من أجل تحقيق مصالح شخصية،وبسطِ السيطرة والنفوذ على الأتباع الجُهَّال الذين لا يملكون حصيلةً عِلمية ، وهؤلاء العوام يَتْبعون كلَّ ناعق دون إعمال عقولهم، فَدِينهم مبنيٌّ على التقليد الأعمى. وتظهرُ مسألةُ الرَّجْم في هذا السياق لتعكس طبيعةَ تفكير أهل الكتاب العائشين في الأوهام والعقائد المُتضارِبة ، والخاضعين لسُلطة رِجال الدِّين وعِلْيَةِ القوم في تفسير النصوص والتلاعب بها حَسَب الأهواء والمصالح الشخصية ، حيث يتم تمييعُ النصوص الدينية وإعادةُ تأويلها أو إخفاؤها لتتناسب مع الظروف ، فتصبح البيئةُ المحيطةُ هي الحاكمةَ على النص الديني ، وليس العكس .

إن أهل الكتاب أَخْضَعُوا كلامَ اللهِ لأهواء البشر، وآراءِ النُّخبة الدينية المحصورة في الضغوطات السياسية والاجتماعية . فتكرَّسَ التحريفُ في التوراة والإنجيل ، وصار كلامُ الإنسان _ عند أهل الكتاب _ هو الحاكمَ على كلام الله تعالى. وهذا مُنْتهى الضلال والكفر . وهذا الانحرافُ ناتج عن ضغط المصالح الشخصية . وفي صحيح مسلم(٣/ ١٣٢٧):عن البَراء ابن عَازِب_ رضي الله عنه_ قال: مُرَّ على النبيِّ ﷺ بيهوديٍّ مُحَمَّمًا _ أي مُسْوَدَّ الوَجْه_ مَجلودًا، فدعاهم ﷺ فقال : ((هكذا تجدون حَدَّ الزاني في كتابكم ؟))، قالوا: نعم. فدعا رَجُلًا من عُلمائهم فقال: ((أَنشُدُكَ باللهِ الذي أَنزل التوراةَ على موسى ، أهكذا تجدون حَدَّ الزاني في كتابكم ؟))، قال : لا، ولَوْلا أنكَ نَشَدْتني بهذا لَم أُخْبِرْكَ . نجده الرَّجْم، ولكنه كَثُرَ في أشرافنا ، فَكُنَّا إذا أخَذْنا الشريفَ تركناه ، وإذا أخَذْنا الضعيفَ أَقمنا عليه الحدَّ . قُلنا : تعالَوْا فلنجتمعْ على شيء نُقيمه على الشريف والوضيع ، فَجَعَلْنا التحميمَ والجَلْدَ مَكانَ الرَّجْم .

---

١٤٨ رواه البخاري(٣/ ١٣٣٠) برقم(٣٤٣٦) واللفظ له، ومسلم(٣/ ١٣٢٦)برقم(١٦٩٩). وقال الحافظ في الفتح (١٢/ ١٦٨): ((قال الباجي: يُحْتَمَل أن يكون عَلِمَ بالوَحْي أن حُكْم الرَّجْم فيها ثابت على ما شُرِع لم يَلْحَقْه تبديل.ويُحتمَل أن يكون عَلِمَ ذلك بإخبار عبد الله بن سلام وغَيْرِه ممن أسلم منهم على وجه حصل له به العِلْمُ بصحة نقْلهم. ويُحتمَل أن يكون إنما سألهم عن ذلك لِيَعْلَم ما عِندَهم فيه ، ثم يتعلم صِحَّةَ ذلك مِن قِبَل الله تعالى)) .

هذا الحديثُ يُشير إلى الأيدي العابثة بالنصوص الشرعية ، خُضوعًا لاعتباراتٍ دينية أو سياسية أو اجتماعية ، فتصبح فلسفةُ تغيير الأحكام الإلهية شريعةً جديدة عند أهل الكتاب نزولًا عند ضغط الأهواء والمنافع الدنيوية القاصرة .

والأساس الفكري لتحريف التوراة والإنجيل ، يتمحور حول التلاعب بالعوام الجُهَّال عبر خداعهم، وتثبيت خُضوعهم للسُّلطة الدينية المُشوَّشة، والسُّلطةِ السياسية المُتحالِفة مع طبقة رجال الدِّين لضمان استمرارية حاكمية الطغاة دون تغيير . وبالتأكيد ، إن الشعب هو مَن يَدفع الثمن .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الكِتابِ قَد جَاءَكُم رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُم عَلى فَتْرةٍ مِنَ الرُّسُلِ أن تَقُولوا مَا جَاءَنا مِن بَشيرٍ ولا نذيرٍ فَقَد جَاءَكُم بَشيرٌ ونذيرٌ واللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة : ١٩] .

اللهُ تعالى يُخاطِب أهلَ الكتاب (اليهود والنصارى) ، ويَمُنُّ عليهم أن أرسل محمدًا ﷺ لبيان الشريعة الإلهية الصحيحة بعد انتشار عبادة الأوثان ، وتحريفِ التوراة والإنجيل ، وتفشِّي العقائد الزائغة التي ما أَنزل اللهُ بها مِن سُلطان. وقد حَدَثَ انقطاع من الرُّسل . والبَعثةُ المُحمَّدية الإسلامية جاءت بعد مدة زمنية طويلة مُنذ عيسى ﷺ (أقرب الأنبياء زمنيًّا إلى النبيِّ الخَاتَم محمد ﷺ). وهذا فضلٌ إلهيٌّ جليل . فالخالقُ الرحيم بعباده لَم يتركهم للشياطين تتلاعب بهم ، ولم يَكِلْهُم إلى أنفسهم وأهوائهم . بل أرسل إليهم خَيرَ رُسله محمدًا ﷺ ، لِيُخرجهم من ظُلماتِ الكفرِ والبِدائيةِ إلى نورِ الإيمانِ والحضارةِ . وبالتالي ، لا عُذر لأهل الكتاب ولا حُجَّة . فقد جاءهم محمد رسول الله ، وأقامَ عليهم الحُجَّةَ ، وقَطع أعذارَهم ، لئلا يَقولوا: ما جاءنا مِن رسول يُبشِّر بالخير ، ويُنذِر مِن الشَّر. فقد جاءهم محمد ﷺ يُبشِّر المؤمنين بالجنة، ويُخوِّف الكافرين من النار، وقد أعلى شَأنَ موسى وعيسى _ عليهما الصلاة والسلام_ ، وكشفَ تلاعبَ أهل الكتاب بالتوراة والإنجيل . واللهُ يَقْدِرُ على عِقاب مَن عَصاه ، وثوابِ مَن أطاعه . وهو سُبحانَه على كُل شيء قدير .

وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٠) : ((والمقصود أنَّ اللهَ بَعث محمدًا ﷺ على فَترة مِنَ الرُّسُل ، وطُموسٍ مِنَ السُّبُل ، وتَغَيُّرِ الأديان ، وكثرة عِبادة الأوثان والنيران والصُّلبان ، فكانت النِّعمةُ بِه أتَمَّ النِّعَم، والحاجة إليه أمر عَمَم (عام تام) ، فإنَّ الفساد كان قَد عَمَّ جميعَ البلاد ، والطغيان والجهل قد ظهر في سائر العِباد ، إلا قليلًا مِن المُتمسِّكين ببقايا من دِين الأنبياء الأقدمين ، مِن بعض أحبار اليهود وعُبَّاد النصارى والصابئين)) اهـ .

أمَّا سببُ نزول الآية . فقد روى الطبري في تفسيره (٤/ ٥٠٧) عن ابن عباس قال : ((قال مُعاذ بن جَبَل وسَعْد بن عُبادة وعُقْبة بن وَهْب لليهود : يا مَعْشَرَ اليهود ، اتَّقوا اللهَ ، فواللهِ إنكم

لَتَعْلَمون أنه رسول الله ، لقد كُنتم تَذْكُرونه لنا قَبْلَ مَبْعَثِه ، وتصفونه لنا بِصِفته ، فقال رافع ابن حُرَيملة ووَهْب بن يَهُوذا : ما قُلْنا هذا لكم ، وما أنزلَ اللهُ مِن كِتاب بعد موسى ، ولا أرسلَ بشيرًا ولا نذيرًا بَعْدَه)) اهـ .

وبعد رفع عيسى ﷺ إلى السماء انقطع وجود الأنبياء لمدة ستمائة سنة [149] ،حتى جاء محمد ﷺ. وفي فترة الانقطاع انتشرت الأديانُ الباطلة ، واتَّسعت رُقعةُ عبادة الأصنام حيث انتشرت الوثنية والعقائد المنحرفة.وأضحى وجهُ الأرض كئيبًا جرَّاء العقائد الكُفرية ، وغيابِ الهداية الإلهية ، واتِّباعِ الناس لأهوائهم ومصالحهم وشياطينهم. فجاءَ محمد ﷺ لِيُخرِجَ الناسَ من ظُلمات الجهل والكفر إلى نُور العِلم والإيمان بإذن الله تعالى وتوفيقِه ، ويُخْرِجَهم مِن عبادة العِباد إلى عبادة رَبِّ العِباد .

وفي صحيح مسلم (٤/ ٢١٩٧) : عن عِياض بن حِمار ــ رضي الله عنه ــ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: ((وإنَّ اللهَ نظرَ إلى أهل الأرض فَمَقَتَهُم ، عَرَبَهُم وعَجَمَهُم ، إلا بقايا من أهل الكتاب)) .

هذا الحديثُ يتعلق بالفترة الزمنية التي سَبقت البَعثةَ المُحمَّدية الإسلامية . فقد أبغضَ اللهُ أهلَ الأرض أشدَّ البُغْض ، بسبب انحرافهم ، واتِّباعهم للشيطان ، وعدم التزامهم بشرائع الأنبياء السماوية ، إلا بقايا من أهل الكتاب المُتمسكين بالدِّين الحق من غير تحريف. وهذا يدل على أنه لا يَخلو زَمَنٌ مِن قائم للهِ بِحُجَّة . واللهُ أرحم بالعباد مِن أُمَّهاتهم ، لذلك أرسل إليهم محمدًا ﷺ خَاتَم الأنبياء والمُرْسَلين، لإرشادهم إلى الحق، وتَوجيههم إلى الصواب، وإنقاذهم مِن عذاب النار.

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم(١٧/ ١٩٧و١٩٨) : ((المَقْتُ : أشدُّ البُغض. والمراد بهذا المَقْتِ والنظرِ ، ما قَبْلَ بَعْثة رسول الله ﷺ . والمراد ببقايا أهل الكتاب الباقون على التَّمَسُّك بدِينهم الحق مِن غير تبديل)) اهـ .

---

١٤٩ روى البخاري في صحيحه (٣/ ١٤٣٥) عن سلمان الفارسيِّ ــ رضي الله عنه ــ قال: ((فَتْرةُ بين عيسى ومحمد ــ صَلَّى الله عليهما وسَلَّم ــ ستمائة سنة)) . وقال الحافظ في الفتح (٧/ ٢٧٧): ((والمراد بالفترة المدة التي لا يُبعَث فيها رسولٌ من الله، ولا يُمْتَنَع أن يُنَبَّأ فيها مَن يدعو إلى شريعة الرسول الأخير . ونقل ابن الجوزي الاتفاق على ما اقتضاه حديث سلمان هذا)) اهـ. وذهبَ علماء التفسير إلى وجود أنبياء بعد عيسى ﷺ مُستدِلِّين بقَوْل الله تعالى : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهما فَعَزَّزْنا بثالثٍ ﴾ [يس : ١٤]. وقال الشَّوْكاني في فتح القدير (٤/ ٥١٧): ((فأضافَ اللهُ سُبحانه الإرسالَ إلى نفْسه...لأن عيسى أرْسَلَهم بأمرِ الله سُبحانه،ويَجوز أن يكون اللهُ أرسَلَهم بعد رَفع عيسى إلى السماء)).

وتتكرس العلاقة بين محمد وعيسى _ عليهما الصلاة والسلام _ باعتبارهما رسولَيْن كريمَيْن ، وباعتبار الفترة الزمنية بينهما. فعن أبي هريرة_ رضي اللهُ عنه_ قال: سَمعتُ رسول الله ﷺ يَقول : ((أنا أوْلَى النَّاسِ بابن مريم ، والأنبياءُ أولادُ عَلَّات ، لَيْسَ بَيْني وبَيْنَه نبيٌّ)) [١٥٠] .

أولاد عَلَّات:الإخوة لأب مِن أمهات شتَّى. وأمَّا الإخوة من الأبوَيْن ، فيُقال لهم أولاد الأعيان.

إن الأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ إخوةٌ ، دِينهم واحدٌ . يَحْملون كلمةَ الله تعالى إلى الناس لإنقاذهم ، وإخراجهم من ضِيق الدنيا إلى سَعة الدنيا والآخرة . وكلُّ نبيٍّ يُصدِّق مَن قَبْلَه . وكُلُّهم يَصنعون البُنيانَ الإيمانيَّ على سطح الأرض دون تعارُض أو تنافُر . ومعنى الحديث أنَّ أصل إيمانهم واحد ، وشرائعهم مختلفة . فهُم مُتَّفقون في أصول التَّوحيد ، ومُختلفون في فروع الشَّرائع، لأنَّ الشَّرائع تختلف باختلاف الزمان والمكان وطبيعة الناس،وقد جاءت الشَّرائع لتحقيق مصالح الناس، ولَم تَجِئ للتَّضييق عَلَيهم. وحيث تكون المصلحة فَثَمَّ شَرْع اللهِ تعالى . وكُلُّ الأنبياء بلا استثناء دِينهم الإسلام ، قال اللهُ تعالى:﴿ إن الدِّين عند الله الإسلام﴾ [آل عِمران:١٩]. أمَّا الشرائعُ فمتعدِّدة ، قال الله تعالى : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُم شِرعَةً وَمِنهَاجًا﴾ [المائدة : ٤٨] .

وفي [مَتَّى ٢١ : ١٥]:((فتضايقَ رُؤساءُ الكَهَنةِ والكَتَبةُ عندما رَأَوْا العجائبَ التي أجراها)).

إن علماء اليهود تضايقوا مِن المسيح ، وانزعجوا بسبب العجائب والمُعجِزات التي أجراها ، وقامَ بها . وبالتأكيد ، سيكون تضايقهم مِن عجائب المسيح ، وانزعاجهم مِن مُعجِزاته ، فاتحةً للمؤامرات ، وحشدًا للعوام والأتباع والجُهَّال لمُواجهة المسيح ، ومُقاومة دَعوته ، والتَّشكيك برسالته . وانزعاجُ اليهود من المسيح ، يعني رفض تعاليمه وشريعته . والشخصُ إذا اعتقد أن الشَّريعة تُهدِّد مصالحه ، وتُشكِّل خطرًا عليه ، سيُقاومها بكل الوسائل ، ويُواجهها بشتَّى السُّبل . وإذا اعتقد أنها سَتَحميه وتُنقِذه ، سيخضع لها ، ويَلتزم بأحكامها . ومن الضروري أن يتجرَّد الشخصُ الباحث عن الحقيقة مِن أهوائه ومصالحه الشخصية ، كَي يَقْدِر على معرفة الحق ، وإيجاد الحقيقة ، ويتقبَّلها بصدر رحب .

إن ضلال العَالِم هو ضلال العَالَم . وعلماءُ اليهود حرَّكوا الرأي العام في المسار المُنحرف ، وحشدوا الأتباع والجُهَّال والعوام لمُواجهة المسيح ومُقاومته والتصدِّي له. وهذا يُوضِّح دورَ العلماء الخطير في توجيه الرأي العام ، وحشد الناس، وتجميع الطاقات.والناسُ يتبعون العلماءَ واثقين بهم،

---

١٥٠ متفق عليه . البخاري(٣/ ١٢٧٠)برقم(٣٢٥٨).ومسلم (٤/ ١٨٣٧) برقم (٢٣٦٥) .

دُون نقد أقوالهم وأفعالهم . وغالبيةُ الناس لا تملك الحصيلةَ العِلمية ومُقوِّماتِ التحليل والنقد . ولا شَك أن كوارث اجتماعية كُبرى ستظهر وتتكرَّس ، إذا كان العُلماءُ خائنين لدينهم وأُمَّتهم .

وعُلماءُ اليهود كانوا يعتقدون أن تعاليم المسيح ﷺ ستُلغي نفوذهم ، وتُدمِّر مكانتهم ، وتَسلبهم الأرباحَ المالية،والمكاسب الاجتماعية، والمنافع المادية ، وتَنْزع منهم زعامتهم ورئاستهم. لذلك،أخذوا على عاتقهم مُحاربة المسيح ، ومُقاومة دَعوته ، ومُجابهة رسالته، وتشكيك الناس به، بشتَّى الوسائل . ومِن أجل تحقيق هذا الهدف السَّيئ ، ارتكبوا كُل أنواع الجرائم والآثام والخطايا .

إن العوام هُم الأرضية المَسحوقة التي يقف عليها المُتنفذون (علماء الدين) . وإيمانُ العوام بالحق ، يعني انعتاقهم مِن عبادة أسيادهم ، وتحرُّرهم مِن الخضوع لهم . وهذا يعني أن العلماء الفاسدين سيخسرون مكانتهم ومكاسبهم ومصالحهم ، ويَفقدون زعامتهم ورئاستهم ونفوذهم . لذلك ، راحوا يمنعون نور الشريعة من الوصول إلى الناس عن طريق إثارة الشُّبهات ، والتَّشكيك بالشريعة ، ومُحاربة المسيح ، ومُحاولة تَلويث سُمعته وتشويه صُورته ، وحياكة المؤامرات لقتله والتخلص منه، ظنًّا مِنهم أن قَتْله سَيُنْهي القضية إلى الأبد. ﴿ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ للذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ [ص : ٢٧] . ولكي نكون مُنصِفين فإن هناك مؤمنين أتقياء شُرفاء ، وعلماء مُخلِصين من بني إسرائيل ، ومِن أهل الكتاب عمومًا ، إلا أنهم خارج دائرة صُنع القرار، فأصحاب النفوذ والسُّلطة والسَّطْوة والكلمة المَسموعة هُم العلماء الفاسقون ، الذين يَأكلون الدنيا بالدِّين .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ لَيسوا سَواءً مِن أهل الكتاب أُمَّةٌ قائمة يتلون آياتِ الله آناءَ الليل وهُم يَسجدون ﴾ [آل عِمران : ١١٣] .

إنَّ هناك فِئةً مِن أهل الكتاب، يُؤمنون باللهِ تعالى ، ولا يُشرِكون بِه ، وهُم سائرون على الصراط المستقيم (طريق الأنبياء) ، ولا يَنْحَرِفون عنه . وهؤلاء المؤمنون يَقومون الليلَ ويَتلون القُرآنَ في صلواتهم . وقد أشادَ بِهم القُرآنُ ، وأعطاهم حَقَّهم ، وخَلَّدَ ذِكْرَهم إلى الأبد . وهنا تَبْرُز منهجيةُ الإنصاف في القُرآن بِلا مُجامَلات أو محسوبيات .

وقال البَيضاوي في تفسيره (١/ ٨٠) : ((يَتْلُونَ القُرآنَ في تَهَجُّدِهم . عَبَّرَ عَنهُ بالتِّلاوة في ساعات الليل معَ السُّجود ، لِيَكونَ أبْيَنَ وأبلغَ في المدح . وقِيل : المراد صلاة العِشاء ، لأن أهل الكتاب لَيُصَلُّونها)) اهـ .

إنَّ أهلَ الكتاب والأمَّةَ المُحمَّدية الإسلامية ليسوا سَواء ، فلا يمكن المساواة بينهم ، لأن الإيمان والكفر ضِدَّان لا يجتمعان . والأمةُ المُحمَّدية الإسلامية هي الحاملة للشريعة السماوية

المحفوظة ، وإذا ذهبت فإن الله تعالى لن يُعبَد في الأرض ، لذلك هي مستمرة وثابتة حتى يوم القيامة رغم حالات الضعف التي تمر فيها بين الحين والآخر .

وروى ابن حِبَّان في صحيحه (٤/ ٣٩٧) : عن ابن مسعود _ رضي الله عنه _ قال : أَخَّر رسولُ الله ﷺ صلاةَ العِشاء ، ثم خرج إلى المسجد والناس ينتظرون الصلاة ، فقال : ((أمَا إنه ليس من أهل الأديان أحَدٌ يَذكر اللهَ هذه الساعة غَيْرُكم)) ، ثم نزلت عليه : ﴿ ليسوا سواءً مِن أهل الكتاب أُمَّةٌ قائمة يتلون آياتِ الله آناء الليل وهم يسجدون ﴾ .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٤١و٤٤٢) : ((في سبب نزولها قَوْلان : أحدهما أن النبيَّ ﷺ احتبسَ عن صلاة العشاء لَيْلةً حتى ذهب ثُلُثُ الليل ، ثم جاء فبشَّرهم ، فقال : " إنه لا يُصلِّي هذه الصلاةَ أحَدٌ من أهل الكتاب " ، فَنَزلت هذه الآية، قاله ابن مسعود . والثاني أنه لَمَّا أسلمَ ابنُ سلام في جماعة من اليهود، قال أحبارُهم: ما آمَنَ بمحمد إلا أشرارُنا، فَنَزلت هذه الآية، قاله ابن عباس ومُقاتِل)) اهـ .

وعن ابن عباس _ رضي الله عنهما _ قال : لَمَّا أسْلَمَ عبد الله بن سلام ، وثَعْلَبة بن شُعْبة ، وأسد بن عُبَيد ، ومَن أسلمَ مِن يهود ، فآمَنوا وصَدَّقوا ورَغِبوا في الإسلام ، قالت أحبارُ يهودٍ أهلُ الكفر : ما آمَنَ بمحمد ولا تَبِعَه إلا شِرارُنا ، ولَوْ كانوا مِن خِيارنا ما تَركوا دِينَ آبائهم ، فأنزل اللهُ _عَزَّ وجَلَّ_في ذلك مِن قَوْلِهم:﴿ليسوا سواءً مِن أهل الكتاب﴾ إلى قَوْله:﴿ مِنَ الصالحين ﴾ [151].

وأهلُ الكتاب مُتفاوِتون ، ولَيْسوا في إطار واحد، ففيهم المؤمن والكافر، والبَر والفاجر. فَمِن أهل الكتاب مَن هو مُتمسِّك بالشريعة الإلهية ، يُطَبِّق التعاليم الدينية ، ولا ينحرف عنها . وهذه الفئةُ تتلو آيات الله تعالى ، وتقوم الليلَ ، وتُكثِر التَّهجدَ . و﴿ ليسوا سواءً ﴾ جُملة مُسْتَأنَفَة لتوضيح الصِّفات الطَّيبة لمؤمني أهل الكتاب . ولا شَكَّ أن الإشادة بمؤمني أهل الكتاب ، وذِكْر محاسنهم ، وتخليد فضائلهم ، مِن شأنه تشجيع الآخرين على اعتناق الإسلام الذي يَرْفَع الناسَ .

والتفاوُتُ سُنَّةٌ إلهية ثابتة. فالناس مختلفون في قدراتهم العقلية، وإمكانياتهم الجسمية، ومستواهم المادي . وأهلُ الكتاب يَجري عليهم ما يَجري على الآخرين ، فلا يمكن وضعهم في سَلَّة واحدة. ففيهم المؤمن والكافر، والصالح والفاسد. والقرآنُ الكريم مُنصِفٌ في أحكامه ، فهو يُبرِز مكانةَ أهل الخير ويُشيد بهم ، ويُخلِّد أفعالهم الطَّيبة ، ويَذكر أهلَ الشَّر ويَذُمُّهم ويَفضح

---

١٥١ رواه الطبراني في الكبير (٢/ ٨٧) . وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٥٠) : ((رجاله ثقات)).

باطلَهم . وقال الطبري في تفسيره (٣/ ٣٩٧) : ((ليس فريقا أهلِ الكتاب أهل الإيمان منهم والكفر سواء ، يعني بذلك : أنهم غير متساوين ، يقول : لَيسوا متعادلين ولكنهم مُتفاوِتون في الصلاح والفساد ، والخير والشر)) اهـ .

أمرَ اللهُ العلماءَ بأن يأمروا بالمعروف ، ويَنْهَوْا عن المُنكَر ، وألا يقفوا صامتين مُتفرجين . ويجب عليهم إرشاد الناس إلى الحق ، وتوجيههم إلى الصواب ، وعدم التعامل بسلبية مع الأحداث، وإنما التفاعل معها وإخضاعها للشرعِ الحنيف .

وهُرُوبُ قادة الفكر والرأي إلى قلاعهم البعيدة وأبراجهم العاجية ، سيجعل من المجتمع قاعدةً للجُهَّال ، ومُستنقعًا للحمقى ، وتَكَتُّلًا للرَّعاع الفوضويين ، الذين لا يُدرِكون أبعادَ الأمور ، ولا يَعرفون كيف يتعاملون مع تفاصيل الحياة ، مِمَّا يُنذِر بانهيار المجتمع على جميع الأصعدة .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ لَوْلا يَنهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة : ٦٣] .

هَلَّا يَنهاهم أئمةُ بني إسرائيل وأحبارهم وعلماؤهم ويَزجرونهم عن المعاصي والآثام والذنوب وأكل الحرام . وبِئْسَ صَنيع وفِعل العلماء الذين تركوا النَّهْيَ عن المُنكَر ، ولم يُحذِّروا الناسَ مِن ارتكاب المعاصي واقتراف الآثام . وفي هذه الآية توبيخٌ شديد للعلماء والعُبَّاد الذين تركوا الأمرَ بالمعروف والنَّهْيَ عن المُنكَر ، واكتفوا بالمُشَاهَدة ، ولم يقوموا بزجر أصحاب المعاصي . والآيةُ تدل على أن إثم تارك النَّهْي عَن المُنكَر ، مِثْل إثم مُرتكِب المُنكَر . وقد جَمَعَ اللهُ بينهما في الذم والوعيد . ((وكان العلماء يقولون : ما في القرآن آية أشد توبيخًا للعلماء من هذه الآية ، ولا أخوف عليهم منها)) [١٥٢] .

والعلماءُ ينبغي أن يكونوا في طليعة الآمِرين بالمعروف والناهين عن المُنكَر ، لعِلْمهم الشرعي، وكَوْنهم أصحابَ مكانة اجتماعية رفيعة ، وهُم قُدوةُ الناس والمَثَل الأعلى في كُل زمان ومكان .

وكما قال ابن المبارك ــ رحمه الله ــ :

وهل أفسدَ الدِّينَ إلا الملوكُ	وأحبارُ سَوْءٍ ورهبانُها
فباعُوا النُّفوسَ ولم يَرْبحوا	ولم تَغْلُ في البيعِ أثمانُها

---

١٥٢ تفسير الطبري (٦/ ٢٩٨). وانظر تفسير ابن كثير (٢/ ٧٥)، والدُّر المنثور (٣/ ١١٢).

وقال الطبري في تفسيره (٤/ ٦٣٨) : ((يقول تعالى ذِكْرُه : هَلَّا يَنهى هؤلاء الذين يُسارعون في الإثم والعدوان وأكل الرِّشى في الحُكم من اليهود مِن بني إسرائيل ، رَبَّانِيُّوهم ــ وهُم أئمتهم المؤمنون وساستهم العلماء بسياستهم ــ وأحبارهم وهُم عُلماؤهم وقُوَّادهم ﴿ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ ﴾ يعني : عن قَول الكذب والزُّور ، وذلك أنهم كانوا يَحْكمون فيهم بغير حُكم الله ، ويكتبون كُتُبًا بأيديهم ، ثم يقولون : هذا مِن حُكم الله ، وهذا مِن كُتبه . يقول الله : ﴿ فَوَيْلٌ لَهُم مِمَّا كَتَبَتْ أيديهم وَوَيْلٌ لهم مِمَّا يَكْسِبُون ﴾ [البقرة: ٧٩] [١٥٣] . وأمَّا قَوله:﴿ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ﴾ فإنه يعني به الرِّشوة التي كانوا يأخذونها على حُكمهم بغير كتاب الله لمن حَكموا له به ... ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ . وهذا قَسَم مِن الله أقسمَ به . يقول تعالى ذِكْرُه : أُقْسِم : لَبِئْسَ الصنيع كان يَصنع هؤلاء الرَّبَّانِيُّون والأحبار ، في تَركهم نَهْي الذين يُسارعون مِنهم في الإثم والعدوان ، وأكل السُّحْت ، عمَّا كانوا يفعلون من ذلك)) اهـ .

وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٣٤٤) : ((﴿ لَوْلا يَنهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ﴾ تَحضيض لعلمائهم على النَّهْي عن ذلك ، فإن " لَوْلا " إذا دخل على الماضي أفاد التوبيخ ، وإذا دخل على المستقبل أفاد التحضيض . ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ أبلغ مِن قَوله : ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُون ﴾ ، مِن حَيث إن الصُّنع عمل الإنسان بعد تَدَرُّب فيه ، وتروٍّ وتَحَرِّي إجادة ، ولذلك ذَم به خَوَاصَّهم ، ولأن ترك الحسنة أقبح مِن مُواقعة المعصية ، لأن النَّفْس تلتذ بها وتميل إليها ، ولا كذلك ترك الإنكار عليها ، فكان جديرًا بأبلغ الذم)) اهـ .

---

١٥٣ حرَّف اليهودُ التوراةَ ، وبدَّلوها ، وأضافوا فيها ، وحذفوا مِنها ، وأزالوا اسم النبيِّ " محمد " مِنها ، وقد غضبَ اللهُ عليهم ، ولعنهم ، وأعدَّ لهم عذابًا عظيمًا . والعذابُ على الذين كتبوا الكذبَ والافتراءَ ، ونسَبوه إلى الله تعالى زُورًا وبُهتانًا ، والعذابَ عليهم بسبب أكلهم الدنيا بالدِّين ، وأخذ الرِّشى في الأحكام. وقال ابن الجوزي في زاد المسير(١/ ١٠٦) : ((هذه الآية نزلت في أهل الكتاب الذين بدَّلوا التَّوراةَ ، وغيَّروا صِفةَ النبيِّ ﷺ فيها. وهذا قول ابن عباس وقتادة وابن زيد وسفيان. فأمَّا الوَيْل فروى أبو سعيد الخُدْرِيُّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال : " وَيْل واد في جهنم، يَهْوي الكافر فيه أربعين خريفًا قبل أن يَبلغ قَعْرَه". وقال الزَّجاج: الوَيْل كلمة تقولها العرب لكل مَن وَقع في هَلَكة ... والكتاب هاهنا التَّوراة. وذِكْر الأيدي توكيد ، والثمن القليل ما يفنى من الدنيا . وفيما يكسبون قَولان : أحدهما أنه عِوَض ما كتبوا ، والثاني إثم ما فعلوا)) .

وعن أبي بكر الصِّديق _ رضي الله عنه_ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الناس إذا رَأَوا الظالمَ فلم يأخذوا على يَدَيه ، أَوْشَكَ أن يَعُمَّهم اللهُ بعِقاب مِنه)) [١٥٤] .

إن الناس إذا استمرؤوا الظلمَ ، ولم يقوموا بمُقاومة الظالم والتَّصدي له ، فهم مُعرَّضون للعقوبة الإلهية جزاءَ تقاعسهم ، وابتعادهم عن الدعوة المشتملة على الأمر بالمعروف والنَّهْي عن المُنكَر. وانتشارُ الظلم دون نكير أو مُقاومة من شأنه إحالة الحياة إلى جحيم لا يُطاق ، وتضييع كل المُكتسبات الإنسانية ، وتحطيم الإنجازات البشرية ، وإبادة المعاني البشرية الراقية . مِمَّا يدفع باتجاه إفساد الدنيا ، وفقدانِ معنى إعمارها بالفضائل ، وهذا يُؤَثِّر سَلْبًا على الفرد والجماعة ، فيضعف الإيمانُ في النُّفوس ، وتفقد الحياةُ معناها .

والظالمُ مهما كان سفَّاحًا وقاسيًا وطاغيةً، فهو شخص ضعيف مهزوز، مُنهار مِن الداخل، وخائف مِمَّن حَوْله، ويَشُك في الجميع. وهو يَحرِق نَفْسَه بنفْسه، وبِذرة الضعف كامنة فيه، ومُسيطرة عليه.

وقال المُناوي في فَيض القدير (٢/ ٣٩٩) : (((إن الناس) المُطيقين لإزالة الظُّلم مع سلامة العافية (إذا رَأَوا الظالم) أي عَلِموا بظُلمه (فلم يأخذوا على يَدَيه) أي لَم يَمنعوه مِن الظُّلم بفِعل أو قَول . قال ابن جرير : وخُص الأيدي لأن أكثر الظلم بها كقتل وجرح وغَصْب (أَوْشَكَ) بفتح الهمزة والشِّين ، أي: قَارَبَ أو أسرعَ (أن يَعُمَّهم اللهُ بعِقاب منه) إمَّا في الدنيا أو الأُخرى ، أو فيهما ، لتضييع فَرْض الله بغير عُذر)) اهـ .

وفي [مَتَّى ٢١ : ٢٥و٢٦ و٢٧] أن المسيحَ سأل رُؤساءَ الكَهَنَة وشيُوخَ الشعب : ((مِن أينَ كانت مَعْمودِيَّةُ يُوحَنَّا ؟ مِنَ السماء أم مِن الناس ؟)) ، فتشاوروا في ما بينهم قائلين : ((إن قُلنا له إنها مِنَ السماء، يقول لنا: فلماذا لم تُصدِّقوه ؟ وإن قُلنا : مِنَ الناس ، نخشى أن يثورَ علينا جُمهور الشعب ، لأنهم كُلَّهم يَعتبرون يُوحَنَّا نبيًّا .)) فأجابوه : ((لا ندري !)) .

إن علماء اليهود أسَّسوا دِينهم على التحايل ، وبَنَوْا عقيدتهم على التلاعب . وقد استغلوا الدِّينَ لتحقيق مصالح شخصية ، وجمع حُطام الدنيا الفاني . والنصوصُ الإنجيلية تُوضِّح مُرَاوَغَة اليهود ، وتهرُّبهم مِن الحق ، وعدم اعترافهم بالحقيقة ، خَوْفًا مِن خسارة مصالحهم وامتيازاتهم ، وحِرْصًا على مكاسبهم المادية ، ونفوذهم ، وسُلطتهم ، وزعامتهم ، ورئاستهم ، وهَرَبًا مِن أن تُقام عليهم الحُجَّة، ويُلْزَمُوا بها. لذلك ، آثروا كِتمان الحق وطَمْس الحقيقة ، والإجابة بِ " لا ندري !".

---

١٥٤ رواه الترمذي(٤/ ٤٦٧)برقم(٢١٦٨) وصحَّحه،وابن حِبَّان في صحيحه(١/ ٥٣٩)برقم(٣٠٤).

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وإذا لَقُوا الذينَ آمَنوا قالوا آمَنَّا وإذا خلا بعضُهم إلى بَعْض قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُم لِيُحَاجُوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُم أَفَلا تَعْقِلُون ﴾ [البقرة : ٧٦] [١٥٥].

كان مُنافقو اليهود إذا لَقُوا المؤمنين الذين صدَّقوا بِوَحدانية الله ، وأقَرُّوا بِنُبُوَّة محمد ﷺ ، ادَّعَوا الإيمانَ نِفَاقًا لخداع المؤمنين ، وإذا رَجع هؤلاء المنافقون إلى زعمائهم ورؤسائهم ، وكانوا وَحْدَهم ، قالوا : أتُحَدِّثُون أصحابَ محمد بما ذَكَرَ اللهُ في التَّوراة أن محمدًا نبيٌّ صادق ، وهو المُبَشَّر به في كتابنا (التَّوراة) ، ليُجادلوكم ويُخاصموكم ويَحْتَجُّوا عليكم بِقَولكم ، ويُقيموا عليكم الحُجَّةَ في تَرْك الإيمان به معَ عِلْمكم بِصِدْقه ، ويقولوا لكم : لقد اعترفتم أن محمدًا حق ، وكلامه صِدق ، ثم كفرتم بِه ، وأعرضتم عن دَعوته ؟!. أفلا تَعْقِلُون أن أصحاب محمد يُقيمون عليكم الحُجَّةَ إذا حدَّثتموهم بذلك ، وهذه حُجَّة عليكم ، حيث إنكم تعترفون بتبشير التَّوراة بمحمد ثُمَّ لا تُتابعونه ، ولا تُؤمنون به ، ولا تُصدِّقون بِنُبُوَّته ورسالته. ويجب أن تنتهوا عن ذلك فَوْرًا .

ومِن حُكْم الله على اليهود أنه أخذَ عليهم الميثاقَ بضرورة الإيمان بالنبيِّ محمد ﷺ ، الذي بشَّرت به التَّوراة . ومِن قَضائه فيهم أنه عذَّبهم ، وجَعل مِنهم القِرَدة والخنازير ، وغَير ذلك مِن الأحكام والأقضية . وهذا كُلُّه حُجَّة للنبيِّ ﷺ وللمؤمنين على اليهود . وقد أقامَ اللهُ الحُجَّةَ على اليهود ، وقَطع أعذارهم ، وفضحهم ، وكَشَفَ باطلهم ، وجلَّلهم بالخِزي والعار والذُّل والمهانة .

---

١٥٥ قال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ١٠٤) : ((هذه الآية نزلت في نَفَر من اليهود كانوا إذا لَقُوا النبيَّ والمؤمنين قالوا : آمَنَّا ، وإذا خلا بعضُهم إلى بعض ، قالوا : أَتُحَدِّثونهم بما فَتح اللهُ عليكم ، هذا قَول ابن عباس وأبي العالية ومجاهد وقَتادة وعطاء الخراساني وابن زيد ومُقاتل . وفي معنى : ﴿ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُم ﴾ قَولان : أحدهما بما قضى اللهُ عليكم ، والفتح القضاء . قال السُّدي عن أشياخه : كان ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا ، فكانوا يُحَدِّثون المؤمنين بما عُذِّبوا به ، فقال بعضُهم لبعض : أَتُحَدِّثونهم بما فَتح اللهُ عليكم من العذاب ليقولوا : نحن أحب إلى الله منكم وأكرم على الله مِنكم ؟ . والثاني أن معناه بما عَلَّمكم اللهُ. قال ابن عباس و أبو العالية وقَتادة: الذي فَتحه عليهم ما أنزله من التوراة في صفة محمد ﷺ. وقال مُقاتل : كان المسلم يلقى حليفه أو أخاه مِن الرَّضاعة مِن اليهود ، فيسأله : أتجدون محمدًا في كتابكم ؟ ، فيقولون : نعم ، إنه لحق ، فسمع كَعْب بن الأشرف وغَيره ، فقال لليهود في السر : أَتُحَدِّثون أصحابَ محمد بما فَتح اللهُ عليكم ، أي : بما بيَّن لكم في التوراة من أمر محمد ، لِيُخاصموكم به عند ربكم باعترافكم أنه نبيٌّ ، أفلا تعقلون أن هذا حُجَّة عليكم ؟)) .

وقال الطبري في تفسيره (١/ ٤١٢) : ((أمَّا قَوله : ﴿ وإذا لَقُوا الذينَ آمَنوا قالوا آمَنَّا ﴾ ، فإنه خَبَر مِن الله جَلَّ ذِكْرُه عن الذين أيأسَ أصحابَ محمد ﷺ مِن إيمانهم ، مِن يهود بني إسرائيل، الذين كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يُحرِّفونه مِن بَعْد ما عقلوه وهُم يَعْلمون ، وهُم الذين إذا لَقُوا الذين آمنوا بالله ورسوله ﷺ ، قالوا : ﴿ آمَنَّا ﴾ يعني ذلك : أنهم إذا لَقُوا الذين صَدَّقوا بالله وبمحمد ﷺ ، وبما جاء به مِن عِند الله ، قالوا : ﴿ آمَنَّا ﴾ أي : صَدَّقْنا بمحمد ، وبما صَدَّقْتُم به، وأقررنا بذلك . أخبرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عنهم أنهم تَخَلَّقوا بأخلاق المنافقين ، وسَلكوا مِنهاجهم)) اه .

وهؤلاء المنافقون كتموا العِلْمَ خَوْفًا مِن الاحتجاج عليهم بِه.وهُم يضحكون على أنفسهم ظَنًّا منهم أنهم بذلك يُحافظون على مكانتهم بين الناس ، ويَخدعون المؤمنين من أجل تحقيق مصالحهم الدنيئة . وهذه هو منهج المنافقين في كل زمان ومكان . وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٣٤٨) : ((﴿ وإذا لَقُوا الذينَ آمَنوا ﴾ يعني : مُنافقيهم ،﴿ قالوا آمَنَّا ﴾ بأنكم على الحق ، وإن رسولكم هو المُبَشَّر به في التَّوراة ، ﴿ وإذا خلا بعضُهم إلى بَعْض قَالُوا ﴾ ، أي : الذين لم يُنافقوا منهم عاتبين على مَن نافق ﴿ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُم ﴾ بما بيَّن لكم في التوراة مِن نَعْت محمد ﷺ ، أو الذين نافقوا لأعقابهم إظهارًا للتَّصَلُّب في اليهودية ، ومَنْعًا لهم عن إبداء ما وَجدوا في كتابهم، فيُنافقون الفريقَيْن،فالاستفهام على الأول تقريع، وعلى الثاني إنكار ونَهْي)) اهـ.

إن هؤلاء اليهود يَلعبون بمصيرهم ، ويحاولون جاهدين الالتفاف على الحق . وهُم _ بذلك_ يَخدعون أنفسهم ، ويُغرِقون ذواتهم _عن سَبْق الإصرار _ في ظُلمات الكفر والضلال والجُحود والإنكار والخداع والتحايل . والعاقلُ قد يَخدع الآخرين ، ولكنْ لا يمكن أن يَخدع نَفْسَه . وكُلُّ إنسان عليه أن يُنقِذ نَفْسَه بنفسه ، وهذا لا يَتَأتَّى إلا بالإيمان ، ولا مَهْرَب مِن الله إلا إليه .

وفي الدُّر المنثور (١/ ١٩٨) أن ابن عباس _رضي الله عنهما_ قال: ((قالوا : لا تُحدِّثوا العربَ بهذا ، فإنكم قد كُنتم تستفتحون به عليهم ، فكان مِنهم لِيُجادلوكم به عند ربكم ، أي : يُقِرُّون أنه نبيٌّ . وقد علمتم أنه قد أُخِذَ عليكم المِيثاق باتِّباعه ، وهو يُخبِرهم أنه النبيُّ الذي كان يُنْتَظَر ، ونجده في كتابنا ، اجْحَدُوه ، ولا تُقِرُّوا به)) .

إن اليهود يَرفضون الحقَّ اتِّبَاعًا لأهوائهم ، وحِفَاظًا على مصالحهم ، ويخترعون الأكاذيب ، ويُصِرُّون على التحايل والخداع ، ويقودون أنفسَهم إلى الهاوية . وحُرَّاسُ الشرعية الدينية الوهمية في بني إسرائيل_الذين هُم نخبة المُجتمع_ يَحتكرون تأويلَ النصوص الدينية،ويُوجِّهون الرأيَ العام نَحْو أهدافهم الخبيثة ، ويَصرِفون اليهودَ عن الإيمان ، للإبقاء على مكاسبهم ومناصبهم ونفوذهم .

وفي [يُوحَنَّا ٧ : ٣٢] : ((وسَمِعَ الفَرِّيسيُّونَ ما يَتَهامَسُ بِهِ الجَمعُ عَنْه ، فأرسَلوا هُم ورؤساءُ الكَهَنَةِ بَعضَ الحُرَّاسِ ليُلقوا القَبضَ علَيه)) .

أرسلَ علماءُ اليهود (الفَرِّيسيُّون ورُؤساء الكَهَنَة) بعض الحُرَّاس ، مِن أجل إلقاء القَبْض على المسيح . لقد عَجِزُوا عن مُواجهته بالدليل والبُرهان ، وفشلوا في مُقارَعة الحُجَّة بالحُجَّة ، ولم يجدوا وسيلةً لإيقاف دَعوة المسيح غَيْرَ مُمارَسة الإرهاب ضِدَّه ، واستخدام القُوَّة لإنهاء أمره، ووأد دعوته . وعلماءُ اليهود الفاسدون يَملكون المالَ والسُّلطة والأتباع والنفوذ ، فأرسلوا الحُرَّاس التابعين لهم ، والمُوالين لهم ، من أجل القبض على المسيح . وهذا يدل على إرهاب اليهود ، وخَوفهم مِن ظُهور الحق ، وبُروز الحقيقة ، لأن الحق والحقيقة يُشكِّلان خطرًا على أهل الباطل، خصوصًا علماء الضلالة ، حيث إن الناس سَيَهْرُبون مِنهم، وينفضُّون مِن حَوْلهم . وبالتالي ، يَخسر هؤلاء العلماء الفاسدون المالَ والسُّلطة والنفوذ والمناصب . لذلك قرَّروا إنهاء أمر المسيح باستخدام القوة والإرهاب.وكُل قيادة فاسدة لا تتحلَّى بالحِكمة،سَتَقُود نَفْسَها وأتباعها إلى الدمار.

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ مِن الذينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعنَا وَعَصَينَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِم وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أنهم قالوا سَمِعْنا وأطَعْنا واسْمَعْ وانظُرْنا لَكَانَ خَيْرًا لَهُم وأقْوَمَ ولَكِن لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِم فلا يؤمنونَ إلا قليلًا ﴾ [النِّساء : ٤٦] .

مِنَ اليهودِ جماعة ، يُبدِّلون كلامَ اللهِ تعالى ، فيحذفون منه ، ويزيدون فيه ، أو يَعْمَدون إلى تفسير الكلام الإلهيِّ ضِدَّ مُراد اللهِ عَمْدًا ، وليس جَهْلًا أو نِسيانًا . وَهُم يقومون بهذا العمل القبيح لإقحام وجهة نظرهم الباطلة وأهدافِهم الخبيثة في النصوص الدينية من أجل صَبْغ باطلهم بالقداسة والعِصمة . وهكذا تنطلي هذه الحِيَل على العوام والجُهَّال والأتباع ، فيحافظ رجالُ الدِّين على مناصبهم ونفوذهم ومكانتهم الاجتماعية ، ويستمرون في استغلال الدِّين لتحقيق مكاسب شخصية على حساب أتباعهم الجُهَّال . وقد حَذَفوا صِفَةَ النبيِّ ﷺ في التوراة ، وأزالوا حَدَّ الرَّجْم . وذلك من أجل المحافظة على ولاء الأتباع وعدم تفرُّقهم ، وهكذا يَضمن الزعماءُ والسادةُ أن يظل الشعب خاضعًا لهم ، وتحت رحمتهم واستغلالهم ، وعاجزًا عن التفكير ونقد الأوضاع ، وبذلك يستمر نفوذُ عِلْية القوم دون وجود تهديد من أية جهة. وتَحريفُ كلام الله مشروعٌ تجاري استثماري وضيع قائم على المُتاجرة بالكلام الإلهيِّ المُقدَّس ، مِن أجل جَمْع حُطام الدنيا الفاني .

وهؤلاء اليهود الذين يُحرِّفون كلامَ الله ليسوا من العامة بالتأكيد ، إنهم من القيادات والعلماء العَالِمين بالشريعة ، لأن السُّلطة الدينية في أيديهم يتلاعبون بها كَيْفما شاؤوا ، وهم يحتكرون

التوراةَ ، ويُحرِّفون نصوصَها ، ويُوَجِّهونها إلى حيث أرادوا . والعوام لا يملكون حصيلةً عِلميةً واطِّلاعًا كافيًا على محتويات التوراة ، وهذا جَعلهم يُغمضون أعينهم ، ويسيرون وراء العلماء الفاسقين والكَهَنة الضالين ، الذين نفَّذوا خُطتهم في التحريف والتلاعب بنصوص التوراة لغاية في أنفسهم المريضة . وعلى الرغم من عِلْمهم بالكتاب ، إلا أنهم يأخذون ما يُوافق أهواءهم ويتركون ما يُخالفها، فَهُمْ سَمِعوا وعَصَوْا إمعانًا في العِناد والكفر والتمرد . وتحريفُ الكَلِم له عِدَّة أشكال ، مثل إزالة كلام اللهِ ، أو وَضْع كلام بشري في التوراة ، أو تأويل النصوص الدينية بدافع الهوى والمصلحة الشخصية . ولَم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن اليهود قاموا بتحويل مسار كلامهم إلى شتائم كعادتهم في التدليس والمكر والتحايل والمُرَاوَغَة .

﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ ﴾ [١٥٦]. مِنَ اليهودِ قَوْمٌ يُغيِّرون الكلامَ الذي أنزله اللهُ في التَّوراة، فقد بَدَّلوا صِفَةَ محمد ﷺ كي يُبْطِلوا نُبُوَّتَه_ وَفْقَ نظرتهم القاصرة _ ، وحَذَفوا حَدَّ الرَّجْم . إنهم حَرَّفوا كلامَ اللهِ عَن أماكنِه ووُجوهِه . وقال البَيضاوي في تفسيره (١/ ١٩٦) : ((مِنَ الذين هَادوا قَوْمٌ يُحرِّفون الكَلِمَ، أي يُميلونه عن مَواضعه التي وضعه اللهُ فيها، بإزالته عنها، وإثبات غَيره فيها ، أو يُؤَوِّلونه على ما يَشتهون ، فَيُميلونه عمَّا أَنزلَ اللهُ فيه)) اهـ .

﴿ وَيَقُولُونَ سَمِعنَا وَعَصَينَا ﴾ . ويَقولون للنبيِّ ﷺ : سَمِعْنا قَوْلَك ، وعَصَيْنا أَمْرَك . وهذا أشدُّ في العِناد والكُفر، لأن كُفْرَهم ناتجٌ عَن عِلْم لا جَهْل. لقد عَرَفُوا الحقَّ بشكل واضح ثُمَّ جَحَدوه .

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٦٧٤) : ((أي : يَقولون : سَمِعْنا ما قُلْتَه يا محمد ، ولا نُطيعك فيه ، هكذا فسَّره مجاهد وابن زَيد ، وهو المراد . وهذا أبلغ في كُفرهم وعِنادهم، وأنهم يَتَوَلَّوْنَ عن كتاب اللهِ بعدما عَقَلوه ، وهُم يَعلمون ما عليهم في ذلك مِنَ الإثم والعقوبة)) اهـ .

هذا يعني أن الحُجَّة مُقامة عليهم ، ولا عُذر لهم في الكفر ، فهُم عَالِمُون لا جاهلون .

---

١٥٦ قال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٩٩) : ((قال مُقاتل : نزلت في رِفاعة بن زَيد ، ومالك ابن الصَّيف ، وكعب بن أُسَيد ، وكُلُّهم يهود... فأمَّا التحريف فهو التغيير . والكَلِمُ جمع كَلِمة، وقِيل إن الكلام مأخوذ مِنَ الكَلْم ، وهو الجُرْح الذي يَشُقُّ الجِلْدَ واللحمَ ، فَسُمِّيَ الكلام كلامًا لأنه يَشُقُّ الأسماعَ بوصوله إليها . وقِيل : بَل لتشقيقه المعاني المطلوبة في أنواع الخِطاب . وفي معنى تحريفهم الكَلِم قَولان : أحدهما أنهم كانوا يسألون النبيَّ ﷺ عن الشيء ، فإذا خَرجوا حَرَّفوا كلامَه ، قاله ابن عباس. والثاني أنَّه تبديلُهم التوراة ، قاله مجاهد)) .

﴿ وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ ﴾ . اسْمَعْ ما نقول يا محمد لا سَمِعْتَ . وهذه الصيغة تُستخدَم للخَير في الأصل، أي لا سَمِعْتَ مكروهًا، ولكنَّ اليهودَ المُخادِعين كانوا يُريدون بها الدعاء على النبيِّ ﷺ بِفِقْدان السَّمْع أو بالموت . وهذا استهزاءٌ مِنهم بالنبيِّ ﷺ ، نابعٌ مِنَ الحِقد والحسد والاستهتار .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٠٠) : ((قَوْلُه تعالى : ﴿ وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ ﴾ فِيه قَولان : أحدهما أنَّ معناه : اسْمَعْ لا سَمِعْتَ ، قاله ابن عباس وابن زَيد وابن قُتَيبة. والثاني أنَّ معناه اسْمَعْ غَير مقبول ما تقول ، قاله الحسن ومجاهد)) اهـ .

﴿ وَرَاعِنَا ﴾ . كان خُبثاءُ اليهود يقولون للنبيِّ ﷺ : (رَاعِنا)، وهي لفظة قريبة مِن معنى الرُّعونة. وفي العِبرية (راعي) معناها شرير، و (راعينو) تعني شريرنا. وهكذا يَلْوُون ألسنتهم بكلام يحتمل المَعْنَيَيْن الصالح والسَّيئ.وهُم يقصدون المعنى السَّيئ سُخريةً بالنبيِّ ﷺواستهزاءً بِه.

وقال ابن عطية في البحر المحيط (٣/ ٢٦٤) : ((وهذا موجود حتى الآن في اليهود، وقد شاهدناهم يُرَبُّون أولادهم الصغار على ذلك ، ويُحفِّظونهم ما يُخاطبون به المسلمين مِمَّا ظاهره التَّوقير ، ويُريدون به التَّحقير)) اهـ . وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٦٧٤) : ((أي يُوهِمون أنهم يقولون : رَاعِنا سَمْعَكَ بِقَولهم : رَاعِنا ، وإنما يُريدون الرُّعونةَ بِسَبِّهم النبيَّ)) اهـ .

وفي الدُّر المنثور للسُّيوطي (١/ ٢٥٣) : ((أخرج ابن جرير وابن المنذر عن السُّدي قال : " كان رَجلان مِنَ اليهود مالك بن الصَّيف ورِفاعة بن زَيد إذا لَقِيَا النبيَّ ﷺ قالا له وهُما يُكلِّمانه : رَاعِنا سَمْعَك ، وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَع ، فظنَّ المسلمون أنَّ هذا شيء كان أهل الكتاب يُعظِّمون به أنبياءهم،فقالوا للنبيِّ ﷺ ذلك،فأنزلَ اللهُ:﴿يا أيها الذين آمَنوا لا تقولوا رَاعِنا ﴾[البقرة: ١٠٤])).

إنَّ الآية تُرشد إلى حُسن السلوك ، وانتقاءِ الألفاظ الطَّيبة ، والابتعادِ عن المعاني القبيحة وتقليدِ الكافرين في كلامهم المليء بالنفاق والحقد والمعنى الباطل الخفيِّ . واليهودُ كانوا يَلْجَؤون إلى الكلام المُبَطَّن الذي فيه تَوْرِية ، ((لِمَا يَقصدونه مِنَ التنقيص _ عليهم لعائن الله _، فإذا أرادوا أن يقولوا : اسْمَعْ لنا ، يقولون : رَاعِنا ، ويُوَرُّون بالرُّعونة)) [تفسير ابن كثير ١/ ٢٠٦] .

﴿ لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِم وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ﴾ . أي: مَيْلًا مِنَ الحق إلى الباطل، وقَدْحًا في الإسلام . وهُم يَصْرِفُون الكلامَ إلى معنى الشَّتيمة،حيث إنهم يَستخدمون العباراتِ التي ظاهرها الاحترام والتعظيم، وباطنها التَّحقير والإهانة والسَّب ، وهذا مرجعه إلى السُّخرية والاستهزاء والحِقد والحسد .

وقال القرطبي في تفسيره (٥/ ٢٣٣): ((أي يَلْوُون ألسنتَهم عن الحق، أي: يُميلونها إلى ما في قلوبهم ، وأصلُ الليِّ الفَتْلُ... ﴿وَطَعْنًا﴾ أي يَطْعَنون في الدِّين ، أي يَقولون لأصحابهم : لَوْ

كان نَبِيًّا لَدَرى أنَّنا نَسُبُّه ، فأظهرَ اللهُ تعالى نَبِيَّه على ذلك، فكان مِن علامات نُبُوَّته، ونهاهم عَن هذا القَول)) اهـ . إنَّ التلاعب بالألفاظ والعبارات صفة لازمة لليهود عبر كل المراحل الزمنية . فهم يستعملون الكلامَ الباطِنِيَّ الفَضفاض الذي يَحتمل المعاني المتعددة ، ويقصدون المعنى القبيح . وهُم بذلك يَكشفون عن حِقدهم الخفيِّ وسُخريتهم الدنيئة ، ويَسْعَوْنَ إلى تنفيذ مخططاتهم الشريرة ذات الطبيعة المُستتِرة . وهُم يلجؤون إلى هذه الطُّرق للتنفيس عن حِقدهم واحتراقِ صدورهم بالضغينة وكراهية الحق . وهُم يعتقدون أن هذه الأساليب تعكس ذكاءهم وانتصارهم ، لكن الحقيقة عكس ذلك تمامًا .

﴿ وَلَوْ أنهم قالوا سَمِعْنا وأطَعْنا ﴾ . ولو أن اليهود قالوا : سَمِعْنَا ما قُلْتَهُ يا محمد ، وأطَعْنا أمْرَكَ ، وقَبِلْنا القُرآنَ الذي جِئْتَ به مِن عِند الله . ولم يقولوا العبارة السَّيئة: ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ .

﴿ واسْمَعْ وانظُرْنا ﴾ . ولو أن اليهود قالوا للنبيِّ ﷺ هذا القول الجميل اللطيف : واسْمَعْ وانظُرْ إلَيْنا . ولم يقولوا له العبارة السَّيئة : ﴿ وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا ﴾ .

﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَهُم وأقْوَمَ ﴾ . لكانَ ذلك القَول خَيْرًا لهم عِند الله، وأفضل وأعدل وأصوب .

﴿ ولَكِن لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِم فلا يؤمنونَ إلا قليلًا ﴾ . ولكن أبعدهم اللهُ عن الهدى ، وطردهم من رحمته ، بسبب كُفرهم بالقُرآن ، وجَحْدهم لِنُبُوَّة محمد ﷺ ، فلا يُؤمنون إلا إيمانًا قليلًا غير نافع ، وهو إيمانهم ببعض الكُتب والرُّسل ، وهو إيمان ضعيف مهزوز ، لا يُعبَأ به ، ولا فائدة مِنه .

وقال الطبري في تفسيره (٤/ ١٢٠) : ((ولو أن هؤلاء اليهود الذين وَصف اللهُ صِفتهم قالوا لنبيِّ الله : سَمِعْنا يا محمد قَوْلَك ، وأطَعْنا أمْرَك ، وقَبِلْنا ما جِئتنا به من عند الله، واسْمَعْ مِنَّا، وانظُرْنا ما نقول ، وانتظرنا نفهم عنك ما تقول لنا ﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَهُم وأقْوَمَ ﴾ . يقول : لكانَ ذلك خَيْرًا لهم عند الله ﴿ وأقْوَمَ ﴾ يقول : وأعدل وأصْوَب في القَول ... ولكنَّ الله تبارك وتعالى أخزى هؤلاء اليهود الذين وَصف صِفتهم في هذه الآية ، فأقصاهم ، وأبعدهم مِن الرُّشد واتِّباع الحق ﴿ بِكُفْرِهِم ﴾ يعني : بِجُحُودهم نُبُوَّة نَبِيِّه محمد ﷺ ، وما جاءهم به من عند ربهم من الهدى والبَيِّنات)) اهـ . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٠٠و١٠١) : ((قال ابن عباس : ﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَهُم ﴾ مِمَّا بَدَّلوا ، ﴿ وأقْوَمَ ﴾ أي : أعدل. ﴿ ولَكِن لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِم ﴾ بمحمد . قَوله تعالى : ﴿ فلا يؤمنونَ إلا قليلًا ﴾ فيه قَولان: أحدهما: فلا يُؤمن منهم إلا قليل ، وهُم عبد الله ابن سلام ، ومَن تَبِعَه ، قاله ابن عباس . والثاني : فلا يُؤمنون إلا إيمانًا قليلًا ، قاله قَتادة والزَّجاج . قال مقاتل: وهو اعتقادهم أن الله خَلَقَهم ورزقهم)) اهـ .

خامسًا : كراهية ظُهور الحق

الحق يستلزم التضحية من أجله ، لأنه ليس ثَوْبًا يُلبَس ويُخلَع متى شاء صاحبه ، أو شعارًا مُفرَغًا مِن أبعاده يُرفَع هنا وهناك . إن ضريبة قَبول الحق باهظة ، ومُخطئٌ مَن يظن أن الوصول إلى الحق واعتناقه وحَمْله ونشره أمرٌ عادي ، وتحصيل حاصل . إن هذه العملية شاقة وصعبة للغاية .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[الأحزاب : ٧٢] .

الأمانةُ هي التكاليفُ الشرعية ، والطاعةُ ، والفرائضُ التي فَرَضَها اللهُ على عباده ، وحَمْلُ الشريعة بأحكامها كاملةً . والشَّريعةُ هي الحق المُطْلَق. والأمانةُ هي الحق . وقد قصَّر الإنسانُ في حَمْلها ، فاستحق أن يكون ظَلُومًا لنفْسه جهولًا . وتسميتها بالأمانة لأنها واجبة الأداء ، وعظيمة الشأن ، وجليلة القَدْر ، وثقيلة الحِمْل .

قال القرطبي في تفسيره (١٤/ ٢٢٥) : ((والأمانة تعمُّ جميعَ وظائف الدِّين على الصحيح من الأقوال ، وهو قول الجمهور)) اهـ .

وعَرْضُ الأمانة على السماوات والأرض والجبال إمَّا أن يكون حقيقةً أو مَجازًا . المعنى الحقيقي أن الله تعالى خَلق شُعورًا في هذه الأجرام العظيمة ، وعَرَضَ عليها الأمانة ، فإن قامت بحقها أُثيبت ، وإن قصَّرت عُوقبت ، فرفضتْ حَمْلَها لِعِظَمِ شأنها . وهذا الرفضُ لا يدخل في باب العصيان ، بل مرجعه إلى ثِقْل الأمانة وعَظَمَة المسؤولية . وقد كان عَرضُ الأمانة للتخيير لا للإلزام . ولو كان على وجه الإلزام لَمَا قَدِرَتْ هذه الأجرامُ على رفض الأمر الإلهيِّ .

أمَّا المعنى المَجَازي فيعني أن الأمانة لو عُرِضَت على هذه الأجرام العظيمة وكانت ذات قدرة عقلية وإدراكية لأبَتْ حَمْلَها لِعِظَمِ المسؤولية وخطورةِ التقصير .

والإنسانُ حَمَلَ الأمانةَ ، ولم يُؤدِّ حَقَّهَا ، ولم يَقُم بواجبها ، فهو ظَلوم لنفْسه ، وغارقٌ في تقصيره ، وجاهلٌ بعواقب الأمور .

وقال الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٣٨) عن الآية : ((اختلف أهل التأويل في معنى ذلك . فقال بعضهم : معناه : إن الله عَرَضَ طاعته وفرائضه على السماوات والأرض والجبال على أنها إن أحسنت أُثيبت وجُوزِيَتْ ، وإن ضَيَّعت عُوقِبَت ، فأبَتْ حَمْلَها شفقًا منها أن لا تقوم بالواجب عليها ، وحَمَلها آدم ﴿ إنه كان ظَلومًا ﴾ لنفْسه ﴿ جهولًا ﴾ بالذي فيه الحظ له)) اهـ .

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : ﴿ إِنَّا عَرَضْنا الأمانةَ على السماوات والأرض والجبال فأبَيْنَ أن يَحْملنها وأشفقنَ منها ﴾، قال : ((قيل لآدم : أتأخذها بما فيها فإن أطعتَ غَفرتُ لك وإن عصيتَ عَذَّبْتُك ؟ ، قال : قَبِلْتُ ، قال : فما كان إلا كما بين صلاة العَصْر إلى أن غَرَبَت الشمسُ حتى أصابَ الذَّنْب)) [157] .

يتجلَّى الضعفُ الإنساني ، وتَظهر قُدرات الإنسان المحدودة . ومهما علا شأنُ الإنسان يظل مُحتاجًا إلى الهداية الربانية العاصمة مِن الذنوب والمعاصي . والإنسانُ منظومة متكاملة من القوة العقلية ، والمشاعر العاطفية ، والأشواق الروحية ، والغرائز الشهوانية . لكن هذه المنظومة محدودة وقاصرة ، ولا يمكن أن يتكامل عملُها وتصمد في وجه الفِتَن إلا بالتوفيق الربانيِّ .

والسؤالُ الذي يفرض نَفْسَه : لماذا يَكره الإنسانُ ظُهورَ الحق ؟ . الجواب ببساطة : بسبب سَير الإنسان والحق في مَسارَيْن مُتعاكسَيْن ، وكُل مسار ذو طبيعة خاصة به لا تتلاءم مع المسار الآخر . وفي أحيان كثيرة ، يتعارض الحقُّ مع أهواء الإنسان ومصالحه الشخصية ، ويُدرِك الإنسانُ أن اعتناق الحق سَوْفَ يَسلب مِنه مكتسباته ومناصبه وأرباحه ونفوذه وسُلطته ، فيقف الإنسانُ ضِد الحق ، ويُحاربه حِفَاظًا على مصالحه الشخصية ، ومكتسباته المعنوية والمادية . لكن العاقل يَعْلَم أن الحَقَّ هو الخلاص الأكيد ، والطريق الوحيد للنَّجاة . لذلك ، يَعتنقه طواعيةً ، ويَلتزم بِه بكل رَحابة صَدْر . ومهما كان الدواءُ مُرًّا ، فيجب شُربه ، لأن فيه الشفاء التام والعلاج الأكيد .

وقد تبلغ كراهيةُ ظهور الحق درجةً جنونية إلى أقصى حَد مُمكن ، تُثير البُكاء والضَّحك في آنٍ معًا ، وشَر البَلِيَّة ما يُضْحِك .

ففي صحيح البخاري(٣/ ١٤٢٣): قال رسول الله ﷺ: ((يا مَعْشَرَ اليهود ، وَيْلَكُم اتقوا اللهَ ، فواللهِ الذي لا إله إلا هو إنكم لَتعلمون أني رسولُ الله حقًّا ، وأني جِئتكم بحقٍّ ، فأسلِموا))، قالوا: ما نَعْلمه. قالوا للنَّبي ﷺ . قالها ثلاث مِرار . قال: ((فَأَيُّ رَجُلٍ فيكم عبد الله بن سلام؟)). قالوا : ذاك سَيِّدنا وابن سَيِّدنا وأعْلَمُنا وابن أعْلَمِنا ، قال : ((أفرأيتم إنْ أَسلمَ)) ، قالوا : حاشى لله، ما كان لِيُسْلِم ـ وكرَّرها النبيُّ ثلاثًا وكُل مَرَّة يسمع نفْس الرد ـ قال : ((يا ابْنَ سلام اخرجْ عليهم)) ، فخرج، فقال : يا مَعْشَرَ اليهود ، اتقوا الله ، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لَتعلمون أنه رسول الله ، وأنه جاء بحق ، فقالوا : كَذَبْتَ . فأخرجهم رسول الله ﷺ .

---

١٥٧ رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥٨) برقم (٣٥٨٠) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

يُوضِّح الحديثُ المأزق الفكري اليهودي ، والمنطق الأعوج في معالجة الأمور . واليهودُ قَوم غارقون في الخداع والمكر والخُبث والتحايل ، فهُم يتَّبعون أهواءهم الذاتية ، ويَحرصون على مصالحهم الشخصية ، ولا يَبحثون عن الحق ، ولا يُفتِّشون عن الحقيقة . واتِّباعُ الحق لا يشغل بالهم ، ولا يُسيطر على تفكيرهم . وما يُسيطر على تفكيرهم هو كيفية الهروب مِن الحُجَّة الدامغة، والالتفاف على الحق الواضح ، والتحايل على الدليل والبُرهان . إنهم يستندون إلى موقف مُسبق رافض للحق ، سواءٌ ظَهر لهم أَم لَم يَظهر . وهذا يَعكس غيابَ منهجيةِ البحث عن الحق ، والتضحيةِ في سبيل الحصول على الحقيقة ، ونَيْل الخلاص في الدنيا والآخرة . ولو أنهم داروا مع الحق حيث دار ، لنزلت عليهم رحمات الله وبركاته ، وفازوا بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة .

إن الاستناد إلى موقف مُسبق رافض للحق ، يَجعل القلوبَ المريضة غير مُستعدة للإيمان ، ولا الالتزام به ، كما يَجعل الكلامَ الطَّيب لا يُلاقي صَدًى في النفوس المُلَوَّثة بعشق الدنيا .

قالَ اللهُ تعالى:﴿إنَّ الذينَ كفروا سَواءٌ عَلَيهم أأنذَرْتَهُم أم لَم تُنذِرْهُم لا يُؤمِنون ﴾[البقرة: ٦].

إن الكافرين لَدَيهم موقف مُسبق رافض للإيمان، سواءٌ ظهر الحق أم لَم يَظهر. والنتيجةُ واحدة سواءٌ تَمَّت دَعوتهم أَم لا. إنهم متمسكون بضلالهم وجهلهم وعنادهم، والكفر عناد. ولا يَبحثون عن الحق، وليسوا حريصين على معرفة الصواب . والحوار مع هذه الفئة مَضيعة للوقت وبلا فائدة، فالحق لن يُؤثِّر فيهم،ولَن يستفيدوا شيئًا من الآيات والأدلة والبراهين والحُجَج،ولَن ينفعهم الهدى.

إنهم يَعتبرون الإيمان خطرًا على وجودهم ، وتهديدًا لمصالحهم الشخصية ، وإزالةً للعبودية التي يُمارسونها على الضعفاء والمسحوقين والمنبوذين ، لذلك يُحاربون الإيمانَ بكل الوسائل المُتاحة . وهذا يعني أن كُفرهم عن عِلْم وإصرار وتَعَمُّد ، وليس بسبب جهل أو شُبهة أو غموض .

لقد سَتَرَ الكافرون نِعَمَ الله عليهم ، وأنكروا الآيات والبراهين ، لذلك لَم يستحقوا شرفَ الإيمان. وقد خذلهم اللهُ في حياتهم ومَماتهم ، فعاشوا كافرين ، وماتوا كافرين .

إن اللهَ يَعلم بِعِلْمه السابق أنهم لَن يُؤمنوا ، وسيموتون على الكفر . وقد أرادَ اللهُ التخفيفَ عن النبيِّ ﷺ وإراحته ، وقَطْع طَمعه في إيمانهم، فالنبيُّ ﷺ كان مُتضايقًا للغاية من عدم إيمانهم ، ومُنْزعجًا من إصرارهم على الكفر،فأخبره اللهُ أن المشكلة هي مشكلة الكافرين، وليست مشكلتك يا محمد. والعيب في الكافرين ، وليس في الدعوة الإسلامية . إنهم مُتمسِّكون بالكفر بأظافرهم وأسنانهم ، وسيموتون عليه ، سواءٌ أرشدتهم يا محمد أم لَم تُرشدهم .

وفي العُجاب في بيان الأسباب (١/ ٢٢٩) : ((قال الكلبي : نَزَلت في اليهود)) اهـ .

والإنذارُ هو الإبلاغ والإعلام مع تخويف . وهؤلاء لا يستحقون البِشارة لقساوة قلوبهم ، وسُوء أخلاقهم ، وقُبح صفاتهم ، وفساد طِباعهم ، ولا يتم التعامل معهم إلا بالإنذار والزَّجر عن الذنوب والآثام والمعاصي ، والتخويف من عذاب الله وعقابه، لأن الإنذار أشد وقعًا في النفوس، وأقوى تأثيرًا في القلوب.وحتى التَّخويف مِن عذاب النار الشديد لَم يُؤثِّر فيهم، ولَم يأتِ بنتيجة.

والحكمة مِن الإنذار _ مَعَ أنه لَن يأتيَ بنتيجة_ هو إقامة الحُجَّة عليهم ، وقطع أعذارهم . ووظيفةُ النبيِّ ﷺ مَحصورة في البلاغ والتَّبليغ ، ولا يَقْدِر على إدخال نور الإيمان إلى قلوبهم ، لأن هذا الأمر بيد الله وَحْدَه . والنبيُّ ﷺ يُؤدِّي مهمته في دعوة الناس على أكمل وَجْه، ويحصل على الأجر الإلهيِّ العظيم، وينال المكانة الرفيعة في الدنيا والآخرة . وكُل إنسان حُر في اختياره، يختار الإيمانَ أو الكفر، بكامل قواه العقلية، ودون ضغط من أحد ، ويتحمَّل مسؤولية هذا الاختيار المصيري في الدنيا والآخرة .

تساوى عند الكافرين إنذارك لهم يا محمد وعدم إنذارك، ففي الحالتين لا يُؤمنون،وسيبقون مُتمسِّكين بالكفر كمنهج حياتي لا مَحيد عنه ، ومُتمسِّكين بالضلال كخيار وحيد لا رَجعة عنه .

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٧٣) : ((يَقول تعالى : ﴿ إنَّ الذينَ كفروا ﴾ أي : غَطُّوا الحقَّ وستروه . وقد كَتب اللهُ تعالى عليهم ذلك ، سواءٌ عليهم إنذارك وعدمه ، فإنهم لا يؤمنون بما جِئتهم به ... . إن مَن كَتب اللهُ عليه الشقاوة، فلا مُسعِد له، ومَن أضَلَّه فلا هادي له ، فلا تذهب نفْسك عليهم حسرات ، وبَلِّغْهم الرسالة ، فمَن استجاب لك فله الحظ الأوفر ، ومَن تَوَلَّى فلا تحزن عليهم ، ولا يَهُمَّنك ذلك ... . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ إنَّ الذينَ كفروا سَواءٌ عَلَيهم أأنذَرْتَهُم أَم لَم تُنذِرْهُم لا يُؤمِنون ﴾ . قال: " كان رسول الله ﷺ يحرص أن يُؤمن جميع الناس ، ويُتابعوه على الهدى ، فأخبره اللهُ تعالى أنه لا يؤمن إلا مَن سَبَقَ له مِن الله السعادة في الذِّكر الأول ، ولا يَضِل إلا مَن سَبَقَ له من الله الشقاوة في الذِّكر الأول)) اهـ.

وقال القرطبي في تفسيره (١/ ٢٣٠) : ((واختلف العلماء في تأويل هذه الآية ، فقِيل : هي عامَّة ، ومعناها الخصوص فِيمن حقَّت عليه كلمة العذاب ، وسَبَق في عِلم الله أنه يموت على كُفره. أراد اللهُ تعالى أن يُعلِم أن في الناس مَن هذه حاله ، دُون أن يُعيِّن أحدًا. وقال ابن عباس والكلبي : نزلت في رُؤساء اليهود مِنهم : حُيَي بن أخطب وكَعْب بن الأشرف ونظراؤهما.وقال الربيع ابن أنس : نزلت فيمن قُتِل يوم بَدْر مِن قادة الأحزاب . والأول أصَح ، فإن مَن عَيَّنَ أحدًا ، فإنما مَثَّلَ بِمَن كَشف الغَيب عنه بِمَوته على الكفر ، وذلك داخل في ضمن الآية)) اهـ .

وعن ابن أبي طلحة عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قال: ((إن رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ، ويُتابعوه على الهدى، فأخبره الله أنه لا يؤمن إلا مَن سَبَقَ له مِن السعادة في الذِّكْر الأول ، ولا يَضِل إلا مَن سَبَقَ له مِن الشَّقاء في الذِّكْر الأول)) [١٥٨] **.**

كان النبيُّ ﷺ حريصًا على إيمان الناس ، ونجاتهم من النار ، وفَوزهم بالجنة ، وبَذَلَ قُصارى جُهده لإنقاذهم وإرشادهم إلى الحق والهدى والرَّشاد . وهدايةُ الدَّلالة للنبيِّ ، أمَّا هداية القلوب فهي بيد الله وَحْدَه. ولا يؤمن إلا مَن كَتَبَ اللهُ له السعادةَ في الأزل، والسعيدُ هو المؤمن. ولا يَكفر إلا مَن كَتَبَ اللهُ له الشقاءَ في الأزل ، والشقيُّ هو الكافر .

ومَن سَبَقَ له السعادة في الأزل، يسَّر اللهُ له الأسبابَ التي تقوده إلى الجنة، وأماته على الإيمان.ومَن سَبَقَ له الشقاء في الأزل، هيَّأ اللهُ له الأسبابَ التي تقوده إلى النار،وأماته على الكُفر.

واللهُ يَعلم أهلَ الجنة وأهلَ النارِ قبل أن يَخلق الناسَ والجنةَ والنارَ ، إلا أنَّه سُبحانَه لَم يُجبِر أحدًا على الطاعة أو المعصية، والإنسانُ اختارَ طريقَه بِمِلْءِ إرادته . لذلك لا معنى للاحتجاج بالقَدَرِ السابق ، لأنَّ القَدَرَ لا يَنفع ولا يَضُرُّ ، واللهَ وَحْدَهُ هو النافع والضار . ومَن كانَ في عِلْمِ اللهِ مِن أهل الجنة،فإنَّ اللهَ يُوَفِّقُه لأداء العبادات والطاعات ، ويُثبِّته على هذا الطريق حتى الموت، فَيَدخل الجنةَ. ومَن كان في عِلْمِ اللهِ مِن أهل النار لأنَّهُ مُستحِقٌّ لها ، يَخْذُله اللهُ ، فيَغرق في المعاصي والآثام حتى يَموت على المعصية ، فَيَدخل النارَ . والعِبْرةُ بالخواتيم ، ومصيرُ الإنسانِ يتحدَّد وَفْقَ العقيدة التي ماتَ عليها. والحياةُ لا تُحدِّد مصيرَ الإنسان ، وإنما الموتُ هو الذي يُحدِّد مصيرَ الإنسان. ومَن عاشَ على شَيء ماتَ عليه ، ومَن ماتَ على شَيء بُعِث عليه .

وفي فَيض القدير (٢/ ٣٣١) : ((الله تعالى سَبَقَ في عِلْمِه الأزليِّ ، سَعيدُ العالَم وشَقِيُّه ، ثُمَّ رَتَّبَ على هذا السَّبْقِ الخاتِمةَ عند الموت بِحَسَبِ صلاح العمل وفساده عندها ، وعلى الخاتمة سعادة الآخرة وشَقاوتها)) اهـ .

---

١٥٨ رواه الطبراني في الكبير (١٢/ ٢٥٤) برقم (١٣٠٢٥). وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٩٦): ((رواه الطبراني ، ورجاله وُثِّقوا ، إلا أن علي بن أبي طلحة قيل لم يسمع من ابن عباس))اهـ. وقال ابن حجر في تلخيص الحبير (٤/ ١١٠) عن علي بن أبي طلحة : ((يُقال : لم يسمع من ابن عباس ، لكنه إنما أخذ التفسير عن ثِقات أصحابه مجاهد وغيره،وقد اعتمده البخاري وأبو حاتم وغيرهما في التفسير))اهـ. قلتُ : صحَّح الحاكمُ حديثَ علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في المستدرك (٣/ ٢٥)، ووافقه الذهبي.

وعن عليِّ بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ أنَّ النبيَّ ﷺ قال : ((ما مِنكُم مِن أحدٍ إلا وقد كُتب مَقْعَدُه مِنَ الجنة ، ومَقْعَدُه مِنَ النار)). فقالوا: يا رسولَ الله، أفلا نَتَّكِل ؟، فقال : ((اعْمَلوا فَكُلٌّ مُيَسَّر)) [١٥٩].

لا ينبغي تركُ العمل ، والاتِّكالُ على القَدَر السابق . يجب الامتثال للشريعة الإلهية في أوامرها ونواهيها.وكلٌّ مُيَسَّر لِمَا خُلق له. فَمَن كان من أهل الجنَّة يسَّره اللهُ لعمل الطاعات فينال السعادةَ، ومَن كان من أهل النار يسَّره اللهُ للمعاصي فَيَنال التعاسة .

والإيمانُ لا يُكتسَب بعبقرية الإنسان وقدراته الذاتية ، بَل هُوَ فضلٌ ربانِيٌّ مَحْض ، يُعطيه اللهُ لِمَن يَشاء ، ويَحجبه عمَّن يشاء . ومعَ هذا فالإنسان يتحمَّل مسؤوليةَ اختياره ، لأن الله لَم يُجبِر المؤمنَ على الإيمان ، ولَم يُرغِم الكافرَ على الكفر . وإن هدى اللهُ العبدَ إلى الإيمان فَبِفَضْلِ الله وله المِنَّة . وإن هداه إلى الكفر فَبِعَدْل الله ، وله على العبد الحُجَّة .

والأعمال بالخواتيم ، والمؤمنُ لا يَدخل الجنةَ بذكائه وعبادته ، وإنما يَدخلها برحمة الله. وعلى الطائع ألا يَرْكَن إلى طاعته، ويَعتمد على مستواه الشخصي، لأنَّ القلوب مُتقلِّبة، واحتمالُ انقلابِ الحال واردٌ بقوة . وعلى العاصي ألا يَقْنَط مِن رحمة الله ويَستسلم للكآبة واليأس ، ويَعتبر ذُنوبَه عَقَبةً في طريق التوبة ، لأنَّ رحمة الله أعظم مِن كُلِّ شيء ، واللهُ أكبرُ مِنَ الإيمانِ والكُفرِ .

وقد قِيل : إذا المَرء لم يُخلَق سعيدًا من الأزل ... فقد خَابَ مَن رَبَّى وخَابَ المُؤَمِّلُ
فمُوسى الذي ربَّاه جِبريلُ كافر ... ومُوسى الذي ربَّاه فِرْعَوْنُ مُرْسَلُ [١٦٠]

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ خَتَمَ اللهُ عَلى قُلوبِهم وعلى سَمْعِهم وعَلى أبصارِهم غِشَاوةٌ ولهم عَذابٌ عظيم ﴾ [البقرة : ٧] .

---

١٥٩ متفق عليه واللفظ للبخاري(٤/ ١٨٩٠)برقم(٤٦٦١).ومسلم(٤/ ٢٠٣٩)برقم(٢٦٤٧).

١٦٠ موسى نبيُّ الله تَرَبَّى في بيت فِرْعَوْن. وأمَّا مُوسى السامري (صاحب العِجْل) فلا يُوجد خبر صحيح أن جبريل هو الذي ربَّاه، وإنما ورد في كتب القصص والتاريخ أن أُمَّه ربَّته بين الجبال فربَّاه جبريل عليه السلام . وسواء كانت تربية جبريل لموسى السامري صحيحة أم غير صحيحة ، فهذا ليس غريبًا ولا عجيبًا ، لأن الهداية بيد الله وَحْدَه ، يجعلها حيث شاء .

إن الإيمان شرف لا يَمنحه اللهُ لأيِّ شخص، وإنما يَمنحه لأشخاص مُحدَّدين . وهناك أشخاص يَمنعهم اللهُ مِن الإيمان ، ويَحجب عنهم النُّور ، فيُغرقهم في ظُلمات الكفر والضلال والجهل ، ويعيشون كفارًا ، ويموتون كفارًا . لقد حَكَمَ اللهُ على قلوبهم بالكفر وَفْق عِلْمه الأزلِيِّ فيهم. طَبَعَ اللهُ على قلوبهم ، وغطَّى عليها ، وخلق فيها الكفرَ ، فلا يصل إليها النُّور ، ولا يَدخلها الإيمان ، ولا تستوعب الخير والحق والهدى ، ولا تفهم معناه ، ولا تُدرِك أبعاده ، ولا تعرفه .

والقلبُ هو مَلِك الأعضاء ، وأشرف الجوارح ، وهو موضع العقل والفهم والفكر . وسُمِّيَ قلبًا لتقلُّبه . لذلك ، كانت القلوب في الآية أول ما ذُكِر .

وأيضًا ، طَبَعَ اللهُ على موضع سَمْعهم ، فلا يَسمعون الحق ، ولا يَفهمونه ، ولا يستفيدون مِنه. والمقصود بالسَّمْع هو الأسماع، ولكن جِيء السَّمع بصيغة المُفرَد، لأنه مصدر، والمصدر لا يُثنَّى ولا يُجمَع . وعلى أبصارهم غطاء وحجاب ، فلا يَرَوْنَ الحق ، ولا يَعرفونه ، ولا يَشعرون بِه . ولهم عقابٌ شديد في الدنيا بالقتل والأسر،ولهم عذابٌ مُؤلم ورهيب ودائم في نار جهنم،في الآخرة.

وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ١٤٣) : ((﴿ خَتَمَ اللهُ عَلى قُلوبِهِم وعلى سَمْعِهِم وعَلى أبصارِهِم غِشَاوةٌ ﴾ ، تعليل للحُكم السابق، وبيان لِمَا يقتضيه. والخَتْم الكَتْم. سُمِّيَ به الاستيثاق من الشيء ، يُضرَب الخاتَم عليه ، لأنه كَتْم له والبلوغ آخره ، نظرًا إلى أنه آخر فِعل يُفعَل في إحرازه . والغِشاوة : فِعالة مِن غِشاء ، إذا غطَّاه ... . وإنما المراد بهما أن يُحدِث في نفوسهم هيئة تُمرِّنهم على استحباب الكفر والمعاصي ، واستقباح الإيمان والطاعات ، بسبب غَيِّهم وانهماكهم في التقليد ، وإعراضهم عن النظر الصحيح ، فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها ، وأسماعهم تعاف استماعه ، فتصير كأنها مُسْتَوْثَق منها بالخَتْم ، وأبصارهم لا تجتلي الآيات المنصوبة لهم في الأنفس والآفاق كما تجتليها أعين المُستبصرين، فتصير كأنها غُطِّيَ عليها، وحِيل بينها وبين الإبصار)) اهـ .

إن اليهود يَنظرون إلى الحق على أنه تهديد خطير لوجودهم ، لذلك يقاومونه بكل قُوَّتهم ونفوذهم وسُلطتهم . والذين تعوَّدوا على العيش في الظلام سيعتبرون الشمسَ أكبر الأعداء . ومن هنا تنبثق فلسفة كراهية ظهور الحق . وفي [مَتَّى ١٣ : ١٤و١٥] قال المسيح عن اليهود : ((ففيهم قد تمَّت نُبوءةُ إشَعْياءَ حيث يقول : ((سَمْعًا تَسمعون ولا تَفْهمون ، ونَظَرًا تَنْظُرون ولا تُبصِرون. لأن قلبَ هذا الشَّعبِ قد صار غليظًا ، وصارت آذانهم ثقيلةَ السَّمع، وأغمَضوا عيونهم ، لئلا يُبصِروا بعيونهم ، ويسمعوا بآذانهم ، ويفهموا بقلوبهم ، ويرجعوا إلَيَّ ، فأَشفِيَهم !)) .

إن اليهود يَسمعون الكلامَ، ولكن لا يَفهمونه ، ولا يَستوعبونه ، لأن قلوبهم فاسدة ، ونِيَّاتهم مُلَوَّثة، ويَنظرون ولا يُبصِرون ، لأن بصائرهم مَطموسة ، وجوارحهم وأعضاءهم مُثقَلة بالذنوب والآثام ، ولأن قلوب اليهود غليظة وقاسية ومليئة بالحِقد والحسد والكراهية والمكر والخداع والفساد ، وصارت آذانهم ثقيلةَ السمع ، ولا تَسمع الخيرَ والحقَّ ، وأغمضَوا عيونهم لئلا يُبصِروا بها الحقَّ ، ويُشاهدوا الهدى . وهُم لا يُريدون سماعَ النصائح والإرشادات والتَّوجيهات ، ولا رؤية الآيات والمُعجِزات ، ولا فهم معاني الإيمان بقلوبهم . وهذا يدل على غرق اليهود في مُستنقع الكفر والضلال والفساد والعناد ، ولا أمل فيهم ، ولا فائدة منهم . فقد صاروا عِبْئًا على أنفسهم وعلى الحياة . ومَن لا يَعْلم الحق ، ويُحاربه ، فتلك مصيبة صغيرة ، أمَّا أن يَعْلم الحقَّ ، ويُحاربه ، فهذه هي الكارثة الكُبرى .

فَإِن كُنتَ لا تدري فَتِلْكَ مُصيبةٌ   وإِن كُنتَ تَدري فالمصيبةُ أعظمُ

وَصَلَ اليهودُ إلى الحضيض ، واستقروا في قاع الكفر، وغرقوا في الفساد ، بلا أمل ، ولا طَوْق نجاة ، ولا فُرصة لتصحيح المسار . وذلك لأنهم عطَّلوا حَوَاسَّهم وجوارحهم ووظائفَ أعضائهم ، ولم يَستخدموها في الخير والبحث عن الحق ، ولم يستفيدوا مِنها في طريق الإيمان ، فانتكسوا حتى وصلوا إلى الدَّرْك الأسفل من الإنسانية ، وصاروا أخسَّ وأحقرَ مِن الدَّواب والأنعام .

قالَ اللهُ تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأنا لِجَهَنَّمَ كَثيرًا مِنَ الجِنِّ والإنسِ لهم قُلوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها ولهم أعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها ولهم آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها أُولئكَ كالأنعامِ بَل هُم أضَلُّ أُولئكَ هُمُ الغافِلُون ﴾ [الأعراف: ١٧٩] . خَلَقَ اللهُ لجهنم خَلْقًا كثيرًا مِن الجن والإنس ، وجَعَلَهم وَقُودًا لها ، يُعذَّبون فيها أشد العذاب. وهؤلاء هُم الذين حقَّت عليهم كلمة العذاب الأزلية، وسَبَق في عِلم الله أنهم مِن الأشقياء الذين يموتون على الكفر . وهذا يدل على شُمول عِلم الله لكل شيء . واللهُ يَعلَم أهلَ النار قبل أن يَخلقهم ، ويَعلَم قَبْل خَلْقهم أنهم يَصِيرون إلى النار بكفرهم وضلالهم .

والآيةُ تُبيِّن نفاذَ عِلْم الله فيهم . وعندما خَلَقَهم هيَّأهم للنار لأنهم مُستحقون لها،وبعمل أهل النار يَعملَون، حتى يَموتوا على الكفر، ويَدخلوا النارَ خالدين فيها. وكُلٌّ مُيَسَّر لِمَا خُلِقَ له . وهذا كُلُّه خاضع لِعَدْل الله ، لأن الله مُنَزَّه عن الظلم . لقد حقَّت عليهم الكلمة الأزلية بالشَّقاوة بما كَسَبت أيديهم، واللهُ لَم يَظلمهم، ولَم يُجبِرهم على اختيار الكفر ، وإنما اختاروه بمحض إرادتهم ، وبكامل قواهم العقلية ، ودُون ضغط مِن أحد .

وقال النسفي في تفسيره (٢/ ٤٧) : ((فالحاصل أن مَن عَلِمَ اللهُ مِنه في الأزل أنه يكون مِنه العبادة خَلَقَه للعبادة ، ومَن عَلِمَ مِنه أن يكون منه الكفر خَلَقَه لذلك)) اهـ .

لهم قلوبٌ لا يتفكرون بها في قُدرة الله وآياته ومُعجِزاته ، ولا يَفهمون بها الحق والهدى والخير والصواب، ولا يَعرِفون بها منفعتهم ومصلحتهم . وقال الطبري في تفسيره (٦/ ١٢٩) : ((وأمَّا قَوله : ﴿ لهم قُلوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها ﴾ ، فإن معناه: لهؤلاء الذين ذَرَأهم اللهُ لجهنم مِن خَلْقه قُلوب ، لا يتفكرون بها في آيات الله، ولا يتدبَّرون بها أدلته على وَحدانيته، ولا يعتبرون بِها حُججه لِرُسله، فيعلموا توحيد ربهم ، ويعرفوا حقيقة نُبُوَّة أنبيائهم ، فَوَصفهم رَبُّنا جَل ثناؤه بأنهم : ﴿ لا يَفْقَهُونَ بِها ﴾ لإعراضهم عن الحق ، وتركهم تدبُّر صِحَّة نُبُوَّة الرُّسل ، وبُطول الكفر)) اهـ .

ولهم أعين لا يُبصِرون بها مظاهر قُدرة الله وإبداعه بَصَرَ اعتبار، ولا يَرَوْنَ طريقَ الحق وسبيلَ الهدى ، ولا يَنظرون إلى مخلوقات الله الباهرة نَظَرَ تأمُّل واعتبار .

وقال الطبري في تفسيره (٦/ ١٢٩) : ((ولهم أعين لا يَنظرون بِها إلى آيات الله وأدلته ، فيتأملوها ويتفكروا فيها، فيعلموا بها صِحَّة ما تَدعوهم إليه رُسلهم ، وفساد ما هُم عليه مُقيمون مِن الشِّرك بالله، وتكذيب رُسله،فوصفهم الله بتركهم إعمالها في الحق أنهم لا يُبصِرون بِها)) اهـ .

ولهم آذان لا يَسمعون بها الآيات والمواعظ والإرشادات سَمَاعَ فَهْم وتدبُّر واتِّعاظ . وقال الطبري في تفسيره (٦/ ١٢٩) : ((﴿ ولهم آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها ﴾ آياتِ كتاب الله فَيعتبروها ويتفكروا فيها ، ولكنهم يُعرِضون عنها)) هـ .

إنهم لَم يَنتفعوا بِجَوارحهم وحواسِّهم ، ولَم يَستفيدوا مِنها في معرفة الحق والهدى ، فصار وجودها كعدمه. وقد جَعل اللهُ الجوارحَ والحواسَّ طريقًا للهداية ، لكنهم أغلَقوا هذا الطريق بتعطيلهم لجوارحهم وحواسِّهم ، وعدم استخدامها لمعرفة نُور الإيمان .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٩٢) : ((لَمَّا أعرضَ القَوم عن الحق والتفكر فيه ، كانوا بِمَنْزلة مَن لَم يَفقه ، ولَم يُبصِر ، ولَم يَسمع . وقال محمد بن القاسم النحوي : أراد بهذا كُلِّه أمرَ الآخرة ، فإنهم يَعقِلون أمر الدنيا)) اهـ .

أُولئك كالحيوانات في عدم الفهم والبصر والاستماع ، هَمُّهم الأكل والشُّرب والتَّمَتُّع بالشهوات والملذات ، لا يَرْجُون ثوابًا ، ولا يَخافون عِقابًا ، ولا يَهْتَمُّون بالآخرة . بَل هُم أسوأ حالًا مِن الحيوانات ، لأن الحيوانات تَعرِف منفعتها ومصلحتها ، وتُميِّز بن المنفعة والمضرَّة ، وتتبع صاحبها ومالكها،أمَّا هؤلاء الكفار فلا يَعرِفون منفعتهم ولا مصلحتهم، ويَعصون اللهَ خالقهم ،

ولا يُطيعونه ، ويسيرون إلى عذاب النار ، ويُهلِكون أنفسهم بأنفسهم عِنادًا وجهلًا واستكبارًا . والحيوانات تعرف اللهَ وتُطيعه ، أمَّا الكفار فلا يَعرِفون اللهَ ولا يُطيعونه . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٩٢): ((قَوله تعالى: ﴿ أُولئكَ كالأنعامِ ﴾ ، شَبَّههم بالأنعام، لأنها تَسمع وتُبصِر ، ولا تَعتبر ، ثُمَّ قال : ﴿ بَل هُم أضَلُّ ﴾ ، لأن الأنعام تُبصِر منافعها ومضارها، فتلزم بعض ما تُبصِره، وهؤلاء يَعلم أكثرهم أنه مُعانِد ، فَيُقْدِم على النار)) اهـ .

وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٥٦) : ((﴿ بَل هُم أضَلُّ ﴾ أي : مِن الدَّواب ، لأنها قد تستجيب لراعيها إذا أَنِسَ بِها ، وإن لَم تفقه كلامه ، بِخِلاف هؤلاء ، ولأنها تفعل ما خُلِقت له ، إمَّا بطبعها وإمَّا بتسخيرها بِخِلاف الكافر ، فإنه إنما خُلِق لِيَعبد اللهَ ويُوحِّده، فكفر بالله وأشركَ به ، ولهذا مَن أطاعَ اللهَ مِن البشر ، كان أشرف مِن مِثْله مِن الملائكة في مَعَاده ، ومَن كَفر بِه مِن البشر كانت الدَّواب أتَمَّ مِنه)) اهـ .

أُولئك الكاملون في الغفلة ، الذين غرقوا في الكفر والضلال والجهل والعِناد والاستكبار ، وتركوا الفهمَ والتَّدَبُّرَ والاتِّعاظ ، وأعرَضوا عن الإيمان ، وغَفِلوا عن آيات الله وحُجَجه ومظاهر وَحدانيته وقُدرته ، ولَم يُفكِّروا بالجنة والنار ، وغَفِلوا عن أمر الآخرة . وقد أضاعوا مصيرهم بأيديهم ، وساروا إلى العذاب بإرادتهم .

والجديرُ بالذِّكر أن ﴿ أُولئكَ ﴾ اسم إشارة للبعيد ، للدَّلالة على بُعدهم في الغَفْلة والضَّلال.

وفي [مَتَّى ١٥ : ١٤] قال المسيح عن علماء اليهود : ((دَعوهم وشأنَهم ، فهُم عُميان يَقُودون عُميانًا . وإذا كان الأعمى يَقُود أعمى ، يَسقطان معًا في حُفرة)) .

إن علماء اليهود ضالُّون في أنفسهم ، مُضِلُّون لغيرهم . وهُم يقودون الأتباع الجُهَّال الغارقين في التقليد الأعمى ، إلى الهاوية السحيقة، والعلماءُ والعوام مُشتركون في العَمَى والكفر والضلال ، فهُم يُعادُون الحقَّ، ولا يَبحثون عنه بإخلاص وصِدق . فالحقُّ يُخالف أهواءهم ، ويُهدِّد مصالحهم.

وهذا لا يَمنع مِن الدعوة إلى الله بالأسلوب الجميل ، واللغة الراقية ، والتعامل الحسن . والإنسانُ لا يَعْلم مَن سيموت مؤمنًا أو كافرًا . فهذا أمر غَيبيٌّ ، يَعْلَمه الله ، ولا يَعْلَمه الناس . وتتجلَّى حِكمة الله في إخفاء مصائر البشر وخاتمتهم ونهايتهم ، كي يَستمر الإرشادُ والتَّوجيه ، وتتواصل مسيرة الدَّعوة ، بلا كسل ولا مَلَل ولا يأس ، حتى يأتيَ الموت . ومَن عاشَ على شيء مات عليه . ومَن ماتَ على شيء بُعِثَ عليه . وعلى الإنسان أن يستمر في دعوة الناس إلى الخير والحق حتى آخر لحظة، ويقوم بواجب الأمر بالمعروف والنَّهْي عن المُنكَر. واللهُ الهادي والمُضِل.

وقالَ اللهُ تعالى:﴿ ادْعُ إلى سَبيلِ رَبِّكَ بالحِكْمةِ والمَوْعِظَةِ الحسَنَةِ وَجَادِلْهُم بالتي هِيَ أحْسَنُ ﴾ [النَّحْل: ١٢٥] .

ادْعُ يا محمد الناسَ إلى الشريعة الإلهية (الإسلام) بالبراهين القطعية والأدلة الحاسمة الموجودة في القرآن والسُّنة ﴿ والمَوْعِظَةِ الحسَنَةِ ﴾ ، وهي الدُّعاء إلى اللهِ بالترغيب والترهيب ، وذِكْر العِبَر الجميلة التي تُؤثِّر في نَفْسِ السامع ، وتَدخل إلى قلبه، وتُغيِّر سُلوكَه. والحِكمةُ والموعظةُ الحسَنة هُما الرُّكنان اللذان تَقوم عليهما الدَّعوة الإسلامية .

وهُناك أفراد لا يَقبلون بهذين الرُّكنين، ولا يَخضعون للحق، ولا يُسلِّمون له.وهؤلاء يَحتاجون إلى جِدال ومُناظَرة ومُقارَعة الحُجَّة بالحُجَّة، فَجَادِلْهم يا محمد وخَاصِمْهم بأسلوبٍ جَميلٍ وهادئ ومُؤَيَّدٍ بالنصوص الدينية والحُجَج العقلية. وأعْرِضْ عَن أذاهم ، وَوَاصِل تَبليغَ الرسالةِ بكل نشاط وقُوَّة. والهدفُ من الجِدال بالأسلوب الحسَن الطَّيب هو إظهار الحقِّ الذي جاءَ بِه محمد ﷺ ، وكَشف الباطل الموجود عِند الخصم . ولا شَكَّ أنَّ المُجادَلة الحسَنة تُوقِظ القلوبَ مِن غفلتها، وتُؤثِّر في النفوس بشكل إيجابي، وتُنقِّي العقلَ من الشوائب.

والآيةُ : ﴿ وَجَادِلْهُم بالتي هِيَ أحْسَنُ ﴾ رَدٌّ على الرافضين للمُناظَرة في الدِّين .

وقال الثعالبي في تفسيره (٢/ ٣٢٧) : ((وقَوْلُه سُبحانَه : ﴿ ادْعُ إلى سَبيلِ رَبِّكَ بالحِكْمةِ والمَوْعِظَةِ الحسَنَةِ ﴾ هذه الآية نَزلت بمكة . أُمِرَ ـ عليه السلام ـ أن يَدعوَ إلى دِين الله وشَرْعه بِتَلَطُّف ، وهكذا ينبغي أن يُوعِظ المسلمون إلى يوم القيامة)) اهـ .

وقال البَيضاوي في تفسيره (١/ ٤٢٦) : ((﴿ ادْعُ ﴾ مَن بُعِثْتَ إلَيهم ﴿ إلى سَبيلِ رَبِّكَ ﴾ إلى الإسلام ﴿ بالحِكْمةِ ﴾ بالمقالة المُحْكَمة ، وهو الدليل المُوضِّح للحق ، المُزيح للشُّبهة ، ﴿ والمَوْعِظَةِ الحسَنَةِ ﴾ الخطابات المُقنِعة والعِبَر النافعة ، فالأُولَى لِدَعوة خَواص الأُمَّة الطالبين للحقائق، والثانية لِدَعوة عَوَامِّهم . ﴿ وَجَادِلْهُم ﴾ وَجَادِلْ مُعانِديهم ﴿ بالتي هِيَ أحْسَنُ ﴾ بالطريقة التي هي أحسن طُرق المُجادَلة ، مِن الرِّفق واللين ، وإيثار الوَجْه الأيسر ، والمُقدِّمات التي هي أشهر ، فإن ذلك أنفع في تسكين لهبهم وتبيين شَغبهم))اهـ .

وقال النَّسفي في تفسيره (٢/ ٢٧٦): ((﴿ والمَوْعِظَةِ الحسَنَةِ ﴾ وهي التي لا يَخفى عليهم أنَّك تُناصحهم بها ، وتقصد ما يَنفعهم فيها ، أو بالقرآن ، أي: ادْعُهم بالكتاب الذي هو حِكمة ومَوعظة حَسَنة ، والحِكمة المعرفة بمراتب الافعال ، والمَوعظة الحسنة أن يَخلط الرَّغبة بالرَّهبة والإنذار بالبِشارة)) اهـ .

ومَن يقوم بواجب الدَّعوة إنما يُخْلي ذِمَّته أمام الله تعالى، وبالتالي يكون له عُذر قوي وحُجَّة ظاهرة يوم القيامة. وإذا اختارَ الصمتَ ، فإنه يأتي يوم القيامة عاصيًا آثِمًا ، بسبب صَمته المُخزِي، وتقاعسه عن الدَّعوة ، وتفريطه بأمانة التبليغ ، وتقصيره في نُصح الناس وإرشادهم وهدايتهم . والدَّعوةُ مُستمرة حتى يوم القيامة ، ولا يَخلو زمن مِن قائم لله بِحُجَّة .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنهُم لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُم أَوْ مُعَذِّبُهُم عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُم وَلَعَلَّهُم يَتَّقُون ﴾ [الأعراف : ١٦٤] .

انقسمت بنو إسرائيل إلى ثلاث فِرَق : الأُولَى _ فِرْقة عاصية ارتكبت المَحظورَ (الاحتيال على اصطياد السمك يوم السَّبْت) . والثانية _ فِرْقة قامت بالنَّهْي عن المُنكَر واعتزال العُصاة. والثالثة_ فِرْقة سَكَتَتْ ، لم تفعل المُنكَر ولم تَنْهَ عنه .

وهذه الفِرقة الساكتة قالت للفِرقة المُنْكِرَة : لِمَ تَنْهَوْنَ هؤلاء العُصَاة عن المُنكَر، وتُرشدونهم ، وتُنبِّهونهم ، وأنتم تَعْلَمون أنهم هالكون ومُستحقون للعُقوبة الإلهية ، ولا فائدة مِن نُصحهم ومَوعظتهم وإرشادهم ونَهْيهم عن المُنكَر ؟ . قال الناهون عن المُنكَر : إنَّنا ننصحهم ونَعِظُهم ونُرشِدهم لِنُعْذَر عِند الله ، بقيامنا بواجب الأمر بالمعروف ، والنَّهْي عن المُنكَر ، وتَكون الحُجَّة لنا يوم القيامة لا عَلَيْنا ، ولعلَّ هؤلاء العُصاة أن يتَّقوا اللهَ ، ويُقْلِعُوا عن الذَّنْب ، ويَعُودوا إلى الطاعة .

وفي تفسير القرطبي (٧/ ٢٧٠) : ((قال جمهور المفسرين : إن بني إسرائيل افترقت ثلاث فِرَق ، وهو الظاهر من الضمائر في الآية . فِرْقة عَصَتْ ... وكانوا نَحْوًا من سبعين ألفًا ، وفِرقة نَهَتْ واعتزلتْ، وكانوا اثني عشر ألفًا، وفِرقة اعتزلت ولم تَنْهَ ولم تَعْصِ ، وأن هذه الطائفة قالت للنَّاهية : لِمَ تعظون قومًا _ تريد العاصية _ الله مُهلِكهم أو مُعذِّبهم على غَلَبَة الظن ، وما عُهِدَ مِن فِعل الله تعالى حينئذ بالأمم العاصية، فقالت الناهية : مَوْعظتنا مَعذرة إلى الله لعلهم يتَّقون . ولو كانوا فِرقتين لقالت الناهية للعاصية : ولعلكم تتقون ، بالكاف، ثم اختلف بعد هذا، فقالت فِرقة : إن الطائفة التي لم تَنْهَ ولم تَعْصِ هَلكت مع العاصية عُقوبةً على ترك النَّهْي)) اهـ .

عَن عِكْرمة قال : دخلتُ على ابن عباس _ رضي اللهُ عنهما _ وهو يقرأ في المُصْحَف قبل أن يذهب بصرُه وهو يبكي . فقلتُ : ما يُبكيك يا ابن عباس جعلني الله فِداك ؟ ، قال : فقال : ((هل تعرف أَيْلَة ؟)) ، قُلتُ : و ما أَيْلَة ؟ ، قال : ((قرية كان بها ناس من اليهود ، فحرَّم اللهُ عليهم الحِيتان يوم السَّبْت ، فكانت حيتانهم تأتيهم يوم سَبْتهم شُرَّعًا بيضاء سِمَان ، كأمثال المَخَاض بأفنائهم و أبنيائهم ، فإذا كان في غَير يوم السَّبْت لم يجدوها ، ولم يُدركوها ، إلا في

مَشَقَّة ومئونة شديدة، فقال بعضهم لبعض ، أو مَن قال ذلك منهم : لَعَلَّنا لو أخذناها يوم السَّبْت ، وأكلناها في غير يوم السبت ، ففعل ذلك أهل بَيت منهم ، فأخذوا فَشَوَوْا ، فوجد جيرانهم رِيح الشِّوى ، فقالوا : و اللهِ ما نرى إلا أصاب بني فلان شيء ، فأخذها آخرون ، حتى فشا ذلك فيهم وكَثُرَ ، فافترقوا ثلاثًا : فِرقة أكلتْ ، وفِرقة نَهَتْ ، وفِرقة قالت : لِمَ تعظون قَوْمًا اللهُ مُهلِكهم أو مُعذِّبهم عذابًا شديدًا ، فقالت الفِرقة التي نَهَتْ : إنما نُحذِّركم غضبَ الله وعقابه أن يصيبكم بخَسْف ، أو قَذْف ، أو ببعض ما عِنده مِن العذاب ، واللهِ لأنبأتكم في مكان أنتم فيه ، وخرجوا مِن السُّور ، فَغَدَوْا عليه مِن الغد ، فضربوا باب السُّور ، فلم يُجِبْهم أحد ، فأَتَوْا بسبب ، فأسنده إلى السُّور ، ثُمَّ رَقِيَ مِنهم راقٍ على السُّور ، فقال : يا عِبادَ الله قِرَدَةٌ ، واللهِ لها أذناب تَعَاوَى ، ثلاث مرات ، ثُمَّ نزل مِن السُّور ، فَفَتَحَ السُّورَ ، فدخل الناسُ عليهم ، فعرفت القِرَدَةُ أنسابَها مِن الإنس ، ولم يَعرِف الإنسُ أنسابَهم مِن القِرَدَة . قال : فيأتي القِرْدُ إلى نسيبه وقريبه من الإنس ، فَيَحْتَكُّ به ، ويَلْصَق ، ويقول الإنسان : أنتَ فُلان ، فيُشير برأسه أي نعم ، ويبكي ، وتأتي القِرْدَةُ إلى نسيبها وقريبها من الإنس فيقول لها : أنتِ فُلانة ، فتُشير برأسها أي نعم ، وتبكي ، فيقول لهم الإنس : أمَا إنَّا حذَّرناكم غَضَبَ اللهِ وعِقابَه أن يُصيبكم بخَسْف ، أو مَسْخ ، أو ببعض ما عِنده مِن العذاب)) . قال ابن عباس : ((فأسْمَعُ اللهُ أن يَقول : ﴿ أنجَيْنا الذينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وأخَذْنا الذينَ ظَلَمُوا بعذابٍ بَئيس بِمَا كانوا يَفْسُقُون ﴾ [الأعراف : ١٦٥] ، فلا أدري ما فعلت الفِرْقة الثالثة)) . قال ابن عباس : ((فكَم قد رَأيْنا مِن مُنكَر ، فلم نَنْهَ عنه)) . قال عِكرمة : فقلتُ : ما ترى جعلني الله فِداك ؟ . إنهم قد أنكَروا وكَرِهوا حِين قالوا : لِمَ تَعِظون قَوْمًا اللهُ مُهلِكهم أو مُعذِّبهم عذابًا شديدًا . فأعجبه قَوْلي ذلك ، وأمرَ لي بِبُرْدَيْن غليظَيْن ، فكَسَانِيهُما [١٦١].

إن الأمر بالمعروف والنَّهْي عن المُنكَر هُما النظامان الأساسيان المُتكاملان ، لإصلاح الفرد والمجتمع ، وتجذير الصفات الحسنة ، وتكريس الأخلاق الحميدة ، ونَيل رضا الله ، والابتعاد عن غضبه وعذابه وعقوبته . وهذان النظامان يَدْفعان عَجَلَةَ التقدم إلى الأمام ، ويَعْملان على إنقاذ الناس ، وحمايتهم من الهلاك . ولا بُد مِن وجود الدَّعوة والإرشاد إلى الخير والحق ، كي تستقيم حالُ الإنسان ، ويَصْلُح المجتمع بكل تفاصيله. ولا يُمكن ترك الحَبْل على الغارب ، فعندئذ سوف تنهار القيم الأخلاقية، وتنتشر المفاسد ، ويعمُّ الضلال ، ويَغرِق الجميعُ بلا طَوْق نجاة .

---

١٦١ رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٢) برقم (٣٢٥٤) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

وفي [مَتَّى ١٦ : ٤] قال المسيحُ عن علماء اليهود : ((جِيلٌ شِرير خائن يَطلب آية)) .

إن اليهود معروفون بالشَّر والخيانة ، وهُم يَطْلُبون الآياتِ والمُعجِزات عنادًا وتكبُّرًا وتعنُّتًا ، مُحاولة للتحكُّم بأنبيائهم ، وإضاعة الوقت ، ولا يَطلبونها بحثًا عن الحق ، وحِرْصًا عليه ، وللتأكد منه . فهُم يَعرِفون الحقَّ ، ولكنهم يُحاربونه اتِّبَاعًا لأهوائهم ، وتمسُّكًا بمصالحهم الشخصية . وكُفرهم مبني على عِلم ومعرفة ، وليس نابعًا مِن الجهل وعدمِ المعرفة . وهذه هي المُصيبة الكُبرى.

ومهما يكن مِن أمر ، فيجب على المُسلم أن يَدعوَ إلى الله بالحِكمة والموعظة الحسنة والأسلوب الهادئ الجميل الجَذَّاب، بغض النظر عن طبيعة الناس وصفاتهم وأخلاقهم وعقائدهم . والمسلمُ يَدعو نَفْسَه للثبات على الإيمان، ويدعو غَيْرَه إلى الإيمان ، بعيدًا عن الأهواء والمصالح، الشخصية والمنافع المادية . وهذا هو الإيمانُ الحقيقيُّ الذي لا يصير أُلعوبةً بيد العلماء الضَّالين .

صحيحٌ أن اليهود أصحاب قلوب حَجَرية وطِباع خشنة ، ومع هذا هُناك نماذج مُشرقة خالدة ، آمنت بالله ربًّا ، وبالإسلام دِينًا ، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا ، مِثل : السيدة صَفِيَّة بنت حُيَي ابن أخْطَب ــ رضي الله عنها ــ، وهي ابنة زعيم اليهود حُيَي بن أخطب، وقد رفعها الإسلامُ فصارتْ أُم المؤمنين . وهناك مِن زُعماء اليهود مَن أسلمَ وحَسُنَ إسلامه ، مِثل سيِّد اليهود وحَبْرهم الكبير عبد الله بن سلام ــ رضي اللهُ عنه ــ الذي اعتنقَ الإسلام ، وصار صحابيًّا جليلًا . والأمثلة كثيرة ، ولكن في هذا المقام تم الاقتصار على شخصيتين مِن الجيل الذهبي الذي تخرَّج في المدرسة المُحمَّدية النبوية . ويمكن الرجوع إلى كتب السيرة وغيرها لمعرفة أسماء اليهود الذين أسلَموا ، ومراكزهم الاجتماعية . وأيضًا يمكن العودة إلى المراجع المعاصرة ومراكز الأبحاث لمعرفة عدد اليهود الذين أعلنوا إسلامَهم في مشارق الأرض ومغاربها . والإسلامُ هو الدِّين الأسرع انتشارًا على وجه الأرض . أمَّا الذين خَتَمَ اللهُ على قلوبهم، فقد استمروا في طغيانهم ومُقاومتهم للحق الواضح.

وفي [مَرْقُس ١٢ : ١٣] : ((ثُمَّ أَرْسَلوا إليه بعضًا مِنَ الفَرِّيسيِّينَ ومُحازِبي هِيرُودُس ، لِكَي يُوقِعُوه بكلمة يقولها)) اهـ . حاولَ اليهودُ إيقاع المسيح بكلمة يقولها . إنهم يَصطادون في ماء أفكارهم العَكِر ، ويَحرِصون أشد الحِرص على توظيف كلام المسيح ضِدَّه ، مِن أجل النَّيل مِنه ، وتَشكيك الناس به، وتصويره كشخص فاسد وضال وخارج على القانون. وبالتالي ، يتخلَّصون مِنه ، ويُوقِفون دَعوته، مَرَّةً واحد وللأبد . وتفكيرُ اليهود محصور في المكر والخداع وحياكة المؤامرات. وهُم لم يستفيدوا مِن المواعظ ، ولم تُؤثِّر فيهم الإرشادات . وقد اعتمدوا على الأقوال السَّيئة والأفعال الدنيئة ، في محاولة يائسة مِنهم لتشويه الصورة الحسنة للسيد المسيح ﷺ .

ولم يقف اليهودُ عند هذا الحد ، وتجاوزوا كُل الخطوط الحمراء ، واغتروا بقوتهم ونفوذهم وسُلطتهم ، التي وظَّفوها لبسط هيمنتهم على الأتباع والجُهَّال والعوام ، دُون مُعارَضة مِن أحد .

وفي [لُوقَا ٤ : ٢٩] : ((وقاموا يَدفعونه إلى خارج المدينة ، وسَاقُوه إلى حافَة الجبل الذي بُنِيَت عليه مَدينتُهم لِيَطرحوه إلى الأسفل)) .

قامَ اليهودُ بدفع المسيح إلى خارج المدينة ، وساقُوه إلى حافَة الجبل ، لِيَطرحوه الأسفل ، لِيُنهوا حياته ، ويتخلَّصوا مِن دَعوته . وقيامُ اليهود بإخراج المسيح مِن المدينة ، فِعلٌ شائع ، يتكرَّر في كُل الأقوام التي حاربت أنبياءها ، وقاومتهم ، وأرادت التخلص مِنهم ، وإنهاء دَعوته .

وقد أُخرِج النبيُّ محمد ﷺ مِن بَلده مكة ، لأنه قال كلمةَ الحق ، وواجهَ أهلَ الكفر والضلال والفساد . وقالَ النبيُّ ﷺ مُخَاطِبًا مكة المُكرَّمة _ بَلده العزيز المُحبَّب إلى نفْسه الشَّريفة _ : ((واللهِ إنَّكِ لَخَيْرُ أرض الله، وأحبُّ أرضِ الله إلى الله، ولَوْلا أنِّي أُخْرِجْتُ مِنكِ ما خَرَجْتُ)) [١٦٢] .

هذا يدل على عَظَمة مكة، وتفوُّقها على سائر البلاد . فهي أعظمُ بُقعة على كوكب الأرض، وأحبُّ مكان إلى اللهِ تعالى. وكُل هذه الدلائل تشير إلى مكانة مكة الدينية والحضارية والتاريخية والجغرافية، ومركزيتها العظيمة ذات القداسة في الأرض والسماء، وأهميةِ الوطن في حياة الإنسان.

ولا شَكَّ أن إخراج الإنسان مِن وَطنه يُعادِل قَتْلَه . إنه القتلُ المعنويُّ ، حيث تتمُّ مُصادَرة تاريخه ، وتهشيم مراحل عُمره ، وتحطيم ذِكرياته ، وقطع العلاقات الاجتماعية مع أهله وبيئته .

ومُعاناة الأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ لا مفر مِنها في سبيل الدَّعوة . فالكفار مستمرون في ضلالهم وتمرُّدهم. وهُم يَدْفعون باتجاه إخراج الأنبياء والمؤمنين من البلاد لاعتقادهم أنهم بذلك يُدمِّرون معنوياتِهم ، ويَكْسرون إرادتهم ، ويُحطِّمون حياتهم، ويُفرِّقون الأتباع ويُشتِّتونهم في بِقاع الأرض، مِمَّا يَضمن زوال الدَّعوة الإسلامية _ حَسَب رؤيتهم القاصرة وتفكيرهم الضَّحْل _ .

وعلى سبيل المثال لا الحصر، قرَّر الكافرون إخراج النبيِّ لُوط ﷺ والمؤمنين مِن القرية ، للتخلص مِنهم، وإنهاء الدَّعوة ، وضمان استمرارهم في المعاصي والذنوب بلا مُعَارَضَة ولا نصائح.

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ أَخْرِجُوهُم مِن قَرْيَتِكُم إِنَّهُم أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُون ﴾ [الأعراف : ٨٢] .

إن قَوم لُوط ﷺ عاجزون تمامًا عن مُقارَعة الحُجَّة بالحُجَّة ، وإثبات صِحَّة معتقداتهم بالدليل والبُرهان. لذلك كان موقفهم ضعيفًا،ولم يجدوا وسيلةً لإثبات باطلهم غير طرد المؤمنين وإبعادهم.

---

١٦٢ رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٨) برقم (٤٢٧٠) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

وهذا دَيْدَن الأقوام العاجزة عن تقديم الأدلة والبراهين. لقد أرادوا إخراج آل لُوط من القرية كوسيلة للضغط عليه ، ونَفْيه ، والتخلص من وعظه وإرشاده.وإخراجُ الإنسان من بلده نظير قَتْله . ولم تكن تهمتهم إلا أنهم أناس يتطهرون . ففي عُرف قوم لوط صارت الطهارة تهمةً تستدعي مواجهتها بحزم ودون تأخير ! . وهذا يدل على انتكاسة الفِطرة ، واختلال الموازين ، ورؤية الحق باطلًا والباطل حقًّا . وفي هذا دلالة واضحة على تلاعب الأهواء بقَوم لُوط ، وغرقهم في الآثام ، وضلالهم المُبين الذي أعماهم عن رؤية الحق والهدى .

وقَوْلهم : ﴿ إنهم أُناسٌ يتطهَّرون ﴾ يحتمل معنيَيْن : الأول _ أنهم أرادوا أن هؤلاء يَتَنَزَّهون عن ممارسة الفاحشة (إتيان الرجال في أدبارهم). والثاني_ أنهم قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء.

لقد غَرِقَ قَوم لُوط في الفاحشة ، وانهارَ المجتمع ، وانتحرَ المعنى الإنساني ، وغابت وظيفةُ الشَّهوة بعدما وُضِعَت في غَير مَوضعها . وصارت أهواءُ الناس وشهواتهم هي الشريعة التي أسَّست للباطل ، ووفَّرت له الغطاء الاجتماعي بلا نكير ، فضاعت قُدسية العلاقة بين الرَّجل وزوجته ، واستغنى الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء . وأضاعَ المجتمعُ فرصةَ التعويض وتصحيح المسار ، لأنه لَم يَحفظ خطَّ الرَّجعة ، فكان العذابُ الأليم هو النتيجة العادلة الحاسمة .

وَوَصَلَ إرهابُ الكافرين إلى جميع الأنبياء _ عليهم الصَّلاةُ والسلام _ . وقد تَمَّ تهديد النبيِّ شُعَيب ﷺ والمؤمنين بإخراجهم وطَرْدهم . فإمَّا الإخراجُ أو العودة إلى الكفر والضلال .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ في مِلَّتِنَا ﴾ [الأعراف : ٨٨] .

والجديرُ بالانتباه أن كَلِمَتَي : ﴿ قَرْيَتِكُم ﴾ و﴿ قَرْيَتِنَا ﴾ تم إسنادهما إلى ضمير المُخَاطَب الجمع ، وضمير المُتكلم الجمع ، وكأن هذه القرى ليست قُرى الأنبياء _ عليهم السلام _ . وفي هذا إقصاء ونَفْي وطَرْد مُتعمَّد، ومحاولة لسلب الشرعية عن حق النبيِّ في بلده . وكأن النبيَّ شخص غريب ومُشَرَّد ودخيل ، ليس له وطن ولا بلد ولا أهل ! .

وفي [مَتَّى ١٣ : ٥٧] قال المسيح: ((لا يكونُ النَّبيُّ بلا كَرامةٍ إلا في بَلْدتِه وبَيْته !)) .

إن الأنبياء صالحون ومُصْلِحُون ، جاؤوا لإرشاد الناس وإنقاذهم وتوجيههم إلى الحق والهدى والصواب والرشاد، وتحريرهم مِن عُبودية البشر، وهدايتهم إلى عبادة الله وَحْدَه، بلا شريك ولا نِد. وهذا يُشكِّل خطرًا على الحُكام الظالمين والعلماء الفاسقين، لأنه سيُزيل سُلطتهم ، ويُلغي نفوذهم، ويُحطِّم عُروشهم ومناصبهم التي حصلوا عليها عن طريق سرقة الناس واستغلالهم واستعبادهم .

والكافرون يُهدِّدون بإخراج النبيِّ والمؤمنين مِن بلده ، لِعِلْمهم أن ذلك يُؤلمه ، ويُسبِّب له المُعاناة والضِّيق الشديدَيْن . وإخراجُ الشخص من بلده قَتْلٌ معنويٌّ له . لذلك نجد الطواغيت _في كُل العصور _ يَطْرُدون المُؤمنين مِن بلادهم ويُنْفُونهم ، وصار هناك ما يُعرَف بالمنفى . وكأن الطواغيت اتَّفقوا على هذه الجريمة النَّكراء ، وأُعجبوا بها ، واقتنعوا بفوائدها . وبالتأكيد ، إن النَّفْي والطَّرْد يهدفان إلى تدمير الفرد حتى ينهار ، ويستسلم ، ويُعلن رُضوخه للسُّلطة الحاكمة .

وأحيانًا يُعمَد إلى التَّدليس والتَّلبيس على الجُهَّال والعوام ، فيُنسَب صاحب الحق إلى الشَّعوذة أو السِّحْر أو الجنون.وفي[يُوحَنَّا ٨ : ٥٢]قال اليهود للمسيح:((الآن تأكَّدَ لنا أن فِيكَ شَيْطانًا)).

عَجِزَ اليهودُ عن مُواجَهة المسيح بالدليل والبُرهان والحُجَّة والكلام المنطقي ، لذلك لَجَؤوا إلى أسهل الوسائل : الكذب والشتائم . وزعموا أن في المسيح شَيطانًا ، يُسيطر عليه ، ويتحكَّم في تصرُّفاته . وهذا كلام مرفوض وغير منطقي ، لأن أقوال المسيح حكيمة ، وأفعاله مُتَّزِنة ، وهو يتصرَّف بهدوء وعقلانية وأدب واحترام . ومَن كان فيه شَيطان ، لا يتصرَّف بهذا الشكل الرَّاقي . مِمَّا يدل على بُطلان كلام اليهود ، واتِّباعهم لأهوائهم ومصالحهم الدنيئة .

واليهودُ يَعْلَمون أن المسيح نبيٌّ صادق ، ورسول مِن عِند الله ، ولكنهم كذَّبوه وحاربوه حِفَاظًا على مصالحهم ومنافعهم ومناصبهم ورئاستهم وزعامتهم . وكُفرُ اليهودُ مبني عِلى عِلْم لا جهل .

وحتى لو كان اليهودُ جُهَّالًا ، فهذا ليس عُذرًا لهم . فعلى الجاهل طلب العِلْم ، وسُؤال أهل العِلْم المعروفين بالإيمان والتقوى وغزارة العِلْم ، وعدم التَّذَرُّع بالجهل وعدم المعرفة . وليس عَيْبًا أن يكون الإنسان جاهلًا ، لكن العَيْبَ أن يظل جاهلًا .

إن الكافرين (أعداء الحق) _ في كُل زمان ومكان _ يُلقون الاتهامات جُزَافًا بلا دليل . وهذا مُتَوَقَّع ، لأن العاجز عن مُقارَعة الحُجَّة بالحُجَّة يلجأ إلى أسهل الوسائل المجانية : الكذب والشتائم . وكُل الأقوام التي كذَّبت أنبياءها وحاربتهم ، كذبت عليهم ، وشتمتهم بأسوأ الألفاظ ، واتَّهمتهم بأبشع الاتِّهامات. فمثلًا، اتَّهَمَ العربُ الوثنيون (عَبَدَةُ الأصنام والأوثان) النبيَّ محمدًا ﷺ بالسِّحر والجنون والكذب بلا دليل . وكُل اتِّهام بلا دليل هو مَحْض كَذِب ، ولا يُعبَأ به ، وصاحبه كاذب ودجَّال . والمنهج العِلمي في مُقارَعة الحُجَّة بالحُجَّة قائم على أُسُس معرفية واضحة ، وأعظم هذه الأُسُس على الإطلاق هو تقديم الأدلة والبراهين .

والدَّعَاوى إنْ لم تُقيموا عليها بيِّناتٍ أبناؤُها أدعيـاءُ

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِن رَسُولٍ إلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُون ﴾ [الذاريات : ٥٢] .

هؤلاء الكافرون غارقون في الضلال والاستكبار والعِناد . وهذه الدَّعاوَى بالسِّحر أو الجنون مُفرَغة من معناها ، لأنها قائمة على الأهواء الذاتية والأمزجة الشخصية والأوهام الباطلة ، ولا تستند إلى دليل نقلي ولا حُجَّة عقلية ، كما أن الواقع يُكذِّبها ، ويَكشف باطلها . وهي مَحْض افتراءات نابعة مِن الحِقد والهوى لا المَنهج العِلمي المتكامل والمشتمل على النقد والنقض . فلم يُقدِّم الكفارُ دليلًا واحدًا على أن الرسول ساحر أو مجنون . إنها مُجرَّد اتهامات وأكاذيب وشتائم.

وقال الشَّوكاني في فتح القدير (٥/ ١٣٠): ((في هذا تسلية لرسول الله ﷺ، بيان أن هذا شأن الأمم المُتقدمة ، وأن ما وَقَعَ من العرب من التكذيب لرسول الله ﷺ ، ووَصْفه بالسِّحر والجنون ، قد كان مِمَّن قَبْلهم لرُسلهم)) اهـ .

وفي [لُوقَا ٢٣ : ١و٢] : ((فقامت جَماعتُهم كُلُّها، وساقوا يَسوعَ إلى بِيلاطُس . وبدأوا يتّهمونه ، قائلين : ((تبيَّنَ لنا أن هذا يُضَلِّلُ أُمَّتَنا ، ويَمنع أن تُدفَعَ الجِزْيةُ للقَيصَر ويدَّعي أنه المَسيحُ المَلِك !)) .

إن اليهود يَكرهون ظُهورَ الحق ، ويُعادُون المُصلِحين ، ويُحارِبون الأنبياءَ ، ويتآمرون عليهم ، من أجل التخلص مِنهم ، وإنهاء دَعوتهم . وما يَدفع اليهود إلى هذه الأفعال الإجرامية الخبيثة هو اتِّباعهم لأهوائهم الباطلة ، وحِرصهم على مصالحهم الشخصية ، وعِشقهم لحُطام الدنيا الزائل ، وتمسُّكهم بالمناصب والرئاسة والزعامة ، واعتقادهم أن ظُهور الحق سَيَحْرِمهم مِن كل المُكتسبات المعنوية والمادية . لذلك ، يُحارِبون الحقَّ بشتَّى الوسائل ، ويَنشرون الأكاذيب والإشاعات بكل حماس، مِن أجل السيطرة على الأتباع والجُهَّال والعوام، وضمان ولائهم ، واستغلالهم ، وابتزازهم، وسرقتهم باسم الدِّين والوطن والولاء للحاكم . وكُل هذه الأفعال الدنيئة دليل على كراهية ظُهور الحق . والحُكمُ على الشَّيء فَرْع عن تصوُّره .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ يا أيُّها الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الذينَ يُسَارِعُونَ في الكُفْرِ مِنَ الذينَ قالوا آمَنَّا بأفواهِهِم ولم تُؤمِن قُلوبُهُم وَمِنَ الذينَ هادوا سَمَّاعُونَ للكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لم يَأتُوكَ يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إن أُوتِيتُم هذا فَخُذُوهُ وإن لَم تُؤتَوْهُ فاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا أُولئكَ الذينَ لَم يُرِدِ اللهُ أن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُم لَهُم في الدُّنيا خِزْيٌ ولَهُم في الآخِرَةِ عَذَابٌ عظيم ﴾ [المائدة : ٤١] .

الآيةُ تَسليةٌ للرسول ﷺ، وتَخفيفٌ عنه، وتثبيتٌ له على منهج الحق،وقَطْع لرجائه في إسلامهم. لا تَحْزَنْ يا محمد، ولا تتضايق ، ولا تتأثَّر ، بسبب مُسارَعة المنافقين إلى الكفر،والوقوع فِيه سريعًا حِرْصًا عَلَيه . إنهم كُلما وَجدوا فُرصةً أظْهَروا الكفرَ . وَهُم يَضُرُّون أنفسَهم باختيارهم الكفر على الإيمان ، لأنهم يَقودونها إلى الهلاك والعذاب الأبديِّ ، ولَن يَضُرُّوك ، ولَن يَقْدِروا على إيذائك .

وهؤلاء المنافقون إيمانُهم ظاهريٌّ، لا يُجاوِز أفواهَهم. يَقولون بألسنتهم آمَنَّا لِخَداع المسلمين، والطعنِ الخفيِّ في الإسلام ، والكَيد له . وقلوبُهم كافرةٌ ، تَغرق في ظُلمات الضلال والانحراف .

وقال الطبري في تفسيره (٤/ ٥٧٢) : ((يَقول جَلَّ ثناؤه لِنَبِيِّه محمد ﷺ : يا أيها الرسول لا يَحْزُنكَ تَسَرُّع مَن تَسَرَّعَ مِن هؤلاء المنافقين _ الذين يُظهِرون بألسنتهم تصديقَك وهُم مُعتقِدون تكذيبَك _ إلى الكفر بك ، ولا تَسَرُّع اليهود إلى جُحود نُبُوَّتك . ثُمَّ وَصَفَ جَلَّ وَعَزَّ له صِفتهم ، ونَعَتَهُم له بِنُعوتهم الذميمة ، وأفعالهم الرديئة . وأخبره مُعَزِّيًا له على ما يناله مِن الحزن بتكذيبهم إيَّاه مَعَ عِلْمهم بِصِدْقه ، أنهم أهل استحلال الحرام والمآكل الرديئة والمطاعم الدنيئة، مِن الرِّشى والسُّحْت ، وأنهم أهل إفْك وكَذِب على الله ، وتحريف لكتابه ، ثُمَّ أعلمه أنه مُحِل بهم خِزْيَه في عاجل الدنيا ، وعِقابه في آجِل الآخرة)) اهـ .

﴿ وَمِنَ الذينَ هادوا ﴾ . ومِن اليهود (أعداء الإسلام والمسلمين) .

﴿ سَمَّاعُونَ للكَذِبِ ﴾ . غارقون في سَماع الأكاذيب ، ومُستجيبون لها ، وخاضعون لكذب علمائهم على الله ، وتحريفهم للتَّوراة . أي إنهم قابلون لكذب زعمائهم الذين حرَّفوا التَّوراةَ .

﴿ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لم يَأتُوكَ ﴾ . مُبَالِغُون في قَبول كلام قومٍ آخرين لم يَحضروا مجلسَ النبيِّ ﷺ عِنادًا واستكبارًا وعداوةً للنبيِّ ﷺ وكُرْهًا له ، وحِقْدًا على الإسلام والمسلمين ، وهُم يهود خَيْبَر . والسَّمَّاعون للكذب بَنُو قُرَيظة .

إن اليهود مُتفاعلون تمامًا مع الكذب ، ومُندمِجون به إلى أقصى حد . وهُم يعتقدون أن الكذب أسهل وسيلة لمواجهة الحق ، وطَمْسه ، وقلب الحقائق . لذلك يَسْعَوْنَ جاهدين لتغيير الحقائق ، ونشر الأكاذيب ، لتحقيق أهدافهم الخبيثة ، والحصول على مُرادهم . وهُم ينتهجون أسلوبَ الكذب لتغيير الوقائع ، وتشكيك الناس بدِينهم ، وتقديم أنفسهم كأصحاب حَق ، وغيرُهم أصحاب باطل مُنحرفون عن الطريق المستقيم والمَنهج القويم . وهؤلاء طابور خامس ، يعتمدون على نقل الأكاذيب، ونشر الأباطيل، وبَث الإشاعات، لإثارة البلبلة والاضطراب، وتمزيق المجتمع الإسلاميِّ وتدميره. كما أنهم يَتَلَقَّوْنَ التعليمات مِن زُعمائهم الفاسدين، المُحارِبين للحق والحقيقة.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣٥٧ و٣٥٨): ((﴿ وَمِنَ الذينَ هادوا ﴾ وهُم اليهود ﴿ سَمَّاعُونَ للكَذِبِ ﴾ . قال سِيبَوَيْه : هو مرفوع بالابتداء . قال أبو الحسن الأخفش : ويجوز أن يكون رَفْعه على معنى: ﴿ وَمِنَ الذينَ هادوا سَمَّاعُونَ للكَذِبِ ﴾. وفي معناه أربعة أقوال: أحدها : سَمَّاعون مِنك لِيَكْذبوا عليك . والثاني : سَمَّاعون للكَذِب ، أي : قائلون له ، والثالث : سَمَّاعون للكَذِب الذي بَدَّلوه في تَوْراتهم . والرابع: سَمَّاعون للكَذِب ، أي : قابلون له . ومِنه سَمِعَ اللهُ لِمَن حَمِدَه ، أي : قَبِلَ . وفي قَوْله : ﴿ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ﴾ قَوْلان: أحدهما : يسمعون لأولئك ، فهُم عُيون لهم، والثاني : سَمَّاعون مِن قوم آخرين ، وهُم رؤساؤهم المُبَدِّلُون التَّوراة . وفي السَّمَّاعين للكذب وللقوم الآخَرِين قَوْلان ، أحدهما : أن السَّمَّاعين للكَذِب يهود المدينة ، والقَوم الآخَرُون الذين لم يأتوا رسول الله ﷺ يهود فَدَك _ اسم مَوْضع _ ، والثاني بالعكس من هذا)) اهـ .

إن شمس الحق لا تُغَطَّى بِغِرْبال ، وأعداء الحق مهزومون عاجلًا أو آجِلًا ، وناصرُ الحق مَنصور ، وناصرُ الباطل مَخْذول . وعواملُ انهيار الباطل كامنة فيه مَهْما علا ضجيجُه وسَطْوته . ولا يخلو زمنٌ مِن قائم لله بِحُجَّة . والمبادئُ المُنحرِفة تشتمل على عناصر ضَعْفها وانهيارها في داخلها، ومهما علا صَوْتُ الظُّلْم فسينطفئ لا مَحَالة ، وتبقى السِّيادةُ والغَلَبَةُ للحق ، لأن دَولة الباطل ساعة، ودَولة الحق إلى قيام الساعة، ومَن يَضْحك أخيرًا يَضْحك كثيرًا . والعِبرةُ بالخواتيم.

وفي صحيح مسلم (٣/ ١٣٢٧) : عن البراء بن عازب قال : مُرَّ على النبيِّ ﷺ بيهوديٍّ مُحَمَّمًا _ مُسْوَدَّ الوَجْه _ مَجلودًا، فَدَعاهم ﷺ فقال: ((هكذا تَجِدُونَ حَدَّ الزاني في كتابكم ؟))، قالوا: نعم، فَدَعا رَجلًا مِن علمائهم، فقال: ((أنشُدُكَ باللهِ الذي أنزلَ التوراةَ على موسى ، أهكذا تَجِدُونَ حَدَّ الزاني في كتابكم ؟))، قال: لا، وَلَوْلا أنَّكَ نَشَدْتَني بهذا لَم أُخْبِرْكَ، نَجِدُه الرَّجْمَ ، ولكنَّه كَثُرَ في أشرافنا، فَكُنَّا إذا أخَذْنا الشريفَ تركناه، وإذا أخذنا الضعيفَ أقَمْنا عليه الحدَّ، قُلْنا: تَعَالَوْا فلنجتمعْ على شَيء نُقيمه على الشريف والوضيع ، فَجَعَلْنا التَّحميمَ والجَلْدَ مَكانَ الرَّجْم . فقال رسول الله ﷺ: ((اللهُمَّ إنِّي أوَّلُ مَن أحيا أمْرَكَ إذْ أمَاتُوه))، فَأُمِرَ بِه، فَرُجِمَ ، فأنزل اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:﴿يا أيُّها الرَّسولُ لا يَحْزُنكَ الذينَ يُسَارِعُونَ في الكُفْرِ ﴾إلى قَوله:﴿ إن أُوتيتُم هذا فَخُذوه ﴾. يَقول : ائتُوا محمدًا ﷺ ، فَإن أمَرَكم بالتَّحميم والجَلْد فَخُذوه ، وإن أفتاكم بالرَّجْم فاحْذَروا .

هذا الحديث يدل على تحريف اليهود للتَّوراة ، والتلاعب بأحكامها ، اتِّبَاعًا لأهوائهم ، وتحقيقًا لمصالحهم. ويدل على حِرص النبيِّ على إقامة أحكام الله ، وتطبيق شريعته في الأرض .

وذَكَرَ ابن الجوزي في زاد المسير (٢ / ٣٥٧) أقوالًا أُخرى فِيمَن نَزلت الآية : ((والثاني أنها نزلت في ابن صُوريَا (مِن كِبار أحبار اليهود) آمنَ ثُم كَفر،وهذا المعنى مرويٌّ عن أبي هريرة . والثالث أنها نزلت في يهوديٍّ قَتل يهوديًّا ، ثُمَّ قال : سَلُوا محمدًا ، فإن كان بُعِثَ بالدِّيَة اختصمنا إليه ، وإن كان بُعِثَ بالقتل لم نأته ، قاله الشَّعْبي . والرابع أنها نزلت في المنافقين، قاله ابن عباس ومجاهد . والخامس أن رَجُلًا من الأنصار أشارت إليه قُرَيظة يوم حصارهم على ماذا ننزل ، فأشار إليهم أنه الذَّبْح ، قاله السُّدي . قال مُقاتل : هو أبو لُبَابة بن عبد المنذر ، قالت له قُرَيظة : أَنَنْزِلُ على حُكم سعد ؟ ، فأشارَ بيده أنه الذَّبْح . وكان حليفًا لهم . قال أبو لُبَابة : فَعَلِمْتُ أنِّي قد خُنْتُ اللهَ ورسولَه ، فنزلت هذه الآية)) اهـ .

﴿ يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ . حرَّف اليهودُ التَّوراةَ ، وتلاعبوا بها ، وغيَّروا أحكامَها ، وبدَّلوا شرائعها ، وتأوَّلوا نصوصها على غَير تأويلها ، بعد فَهْمها ، والعِلْم بها ، وأزالوا حُدودَ الله مِنها كالرَّجْم ، وجَعلوا مكانَه الجَلْدَ وتَسويد الوجه .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣٥٨) : ((وفي تحريفهم الكَلِم خمسة أقوال : أحدها أنه تغيير حدود الله في التَّوراة ، وذلك أنهم غيَّروا الرَّجْم ، قاله ابن عباس والجمهور . والثاني تغيير ما يَسمعونه من النبيِّ ﷺ بالكذب عليه، قاله الحسن. والثالث إخفاء صِفة النبيِّ ﷺ . والرابع إسقاط القَوَد (القِصاص) بعد استحقاقه . والخامس سُوء التأويل . وقال ابن جرير: المعنى يُحرِّفون حُكْمَ الكَلِم ، فحذف ذِكر الحُكم لمعرفة السامعين بذلك . قَوله تعالى : ﴿ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ . قال الزَّجاج : أي مِن بَعد أن وَضَعَه اللهُ مَواضعه، فأحلَّ حَلالَه، وحَرَّمَ حَرامَه)) اهـ .

﴿ يَقُولُونَ إن أُوتِيتُم هذا فَخُذُوهُ وإن لَم تُؤتَوْهُ فاحْذَرُوا ﴾ . يقول اليهودُ : إن أمركم محمد بالجَلْد ، فاقبلوا حُكْمَه . وإن أمركم بالرَّجْم ، فارفضوا حُكْمَه .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣٥٨) : ((في القائلين لهذا قَولان : أحدهما أنهم اليهود ، وذلك أن رَجُلًا وامرأة مِن أشرافهم زَنَيا ، فكان حَدُّهما الرَّجْم ، فكرهت اليهودُ رَجْمَهما ، فبعثوا إلى النبيِّ ﷺ يسألونه عن قضائه في الزانيَيْن إذا أُحْصِنا ، وقالوا : إن أفتاكم بالجَلْد فَخُذوه، وإن أفتاكم بالرَّجْم ، فلا تعملوا به ، هذا قول الجمهور . والثاني أنهم المُنافقون . قال قتادة : وذلك أن بني النضير كانوا لا يُعطون قُرَيظة القَوَدَ (القِصاص) إذا قَتلوا منهم ، وإنما يُعطونهم الدِّيَة ، فإذا قَتلت قُرَيظة مِن النَّضير لم يَرْضَوْا إلا بالقَوَد تَعَزُّزًا عليهم ، فَقَتَلَ بنو النضير رَجُلًا مِن قُرَيظة عَمْدًا ، فأرادوا رفع ذلك إلى النبيِّ ﷺ . فقال رَجل من المنافقين : إن قتيلكم قتيل عَمْد ،

ومتى ترفعوا ذلك إلى محمد خَشيتُ عليكم القَوَد،فإن قُبِلت منكم الدِّيَة فأعْطُوا ، وإلا فكونوا مِنه على حَذَر.وفي معنى ﴿ فاحْذَرُوا ﴾ ثلاثة أقوال:أحدها فاحذروا أن تعملوا بقوله الشديد . والثاني فاحذروا أن تُطْلِعوه على ما في التَّوراة فيأخذكم بالعمل به . والثالث فاحذروا أن تسألوه بعدها)) .

﴿ وَمَن يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا ﴾ . وَمَن يُرِد اللهُ كُفْرَه وضلالَه ، فلا أحد يَقْدِر على حمايته وإنقاذه ، ودَفْع ذلك عنه . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣٥٩) : ((قَوله تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ ﴾ . في الفِتنة ثلاثة أقوال : أحدها أنها بمعنى الضَّلالة، قاله ابن عباس ومجاهد. والثاني العذاب، قاله الحسن وقَتادة. والثالث الفضيحة، ذكَره الزَّجاج . قَوله تعالى : ﴿ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا ﴾ أي : لا تُغني عنه ، ولا تَقْدِر على استنقاذه . وفي هذا تسلية للنبيِّ ﷺ مِن حُزنه على مُسارعتهم في الكفر)) .

﴿ أُولئكَ الذينَ لَم يُرِدِ اللهُ أن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُم ﴾ . لم يُرِد اللهُ أن يَهديَهم إلى الإيمان ، ولا أن يُطهِّر قُلوبَهم مِن الكفر والضلال ، بسبب أقوالهم السَّيئة ، وأفعالهم الدنيئة ، وسُوء اختيارهم .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣٥٩) : ((قال السُّدي: يعني المنافقين واليهود . لم يُرِدْ أن يُطهِّر قلوبهم مِن دَنَس الكُفر ووسخ الشِّرك بطهارة الإيمان والإسلام)) .

﴿ لَهُم في الدُّنيا خِزْيٌ ﴾ . لليهود في الدنيا ذُل وفضيحة وخِزي وعار . وتنكيرُ ﴿ خِزْيٌ ﴾ للتعظيم والتفخيم. ﴿ ولَهُم في الآخِرَةِ عَذَابٌ عظيم ﴾ . ولليهود أيضًا في الآخرة عذاب شديد ، وهو الخلود في نار جهنم. وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣٥٩): ((أمَّا خِزْيُ المُنافقين فَبِهَتْك سَتْرهم وإطْلاع النبيِّ على كُفرهم . وخِزْيُ اليهود بفضيحتهم في إظهار كذبهم ، إذْ كتموا الرَّجْمَ، وبأخذ الجِزية منهم. قال مُقاتل : وخِزْي قُرَيظة بقتلهم وسَبْيهم ، وخِزْي النضير بإجلائهم)).

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ سَمَّاعُونَ للكَذِبِ أَكَّالُونَ للسُّحْتِ فإن جَاؤوكَ فَاحْكُم بَينَهُم أوْ أعْرِضْ عَنْهُم وإن تُعْرِضْ عَنهُم فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وإن حَكَمْتَ فاحْكُم بَينَهُم بالقِسْطِ إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِين ﴾ [المائدة : ٤٢] .

هؤلاء اليهود سَمَّاعون للكذب والباطل . والتَّكرار لتأكيد قُبحه وشناعته . أكَّالون للحرام كالرِّشْوَة والرِّبا وغَيرهما ، وصِيغة المُبالَغة (أكَّالون / فعَّالون) للتَّكثير . أي يتكرَّر أكلُهم ويَكْثُر . والسُّحْت كُل ما لا يَحِلُّ كَسْبُه مِن المال .

وحُكَّامُ اليهود كانوا يُحرِّمون الحلالَ ، ويُحلِّلون الحرامَ ، ويَسْمعون الكَذِبَ ، ويَقْبلون الباطل مِن المُتَخَاصِمين ، ويأخذون الرِّشوة مِن الخصم ، لإصدار حُكم في صالحه .

فإن تحاكموا إليكَ يا محمد في الخصومات التي حدثت بينهم ، فاحْكُم بينهم بشريعة الله ، أو أعْرِضْ عنهم، ولا تَحْكُم بينهم ، لأنهم يُريدون اتِّباع أهوائهم وتحقيق مصالحهم ، ولا يُريدون الحق ، ولا يَبحثون عن العدل . والنبيُّ ﷺ مُخَيَّر بين الحُكم بينهم أو الإعراض عنه . وإن أعرضتَ عنهم يا محمد ، فلن يَقْدِروا على إيذائك ، ولا سبيل لهم عليك ، لأن الله حافظك ومُؤيِّدك وناصرك وعاصمك من الناس . وإن اخترتَ الحُكْمَ بينهم فاحْكُم بالعدل والحق والإنصاف ، وطبِّق أحكامَ الله وشريعته التي أنزلها عليك ، حتى لَوْ كانوا ضَالِّين ظالمين ، لأن الله يُحِب العادلين في الحُكْم ، ويُعظِّمهم ، ويَحْفظهم ، ويُكْرِمهم بالأجر العظيم والثواب الجزيل . واللهُ هو العَدْلُ الحاكمُ بالحق والإنصاف .

أمَّا عن سبب النُّزول ، فقد قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : ((كانت قُرَيْظة والنَّضير، وكان النَّضيرُ أشرفَ مِن قُرَيظة، فكان إذا قَتل رَجلٌ مِن قُرَيظةَ رَجُلًا مِن النَّضير قُتِلَ به ، وإذا قَتل رَجلٌ من النضير رَجُلًا مِن قُرَيظة قالوا : ادفعوه إلَينا نقتله . فقالوا : بَيْنَنا وبينكم النبيُّ ﷺ فَأَتَوْه، فَنَزلت : ﴿ وإن حَكَمْتَ فاحْكُم بَينَهُم بالقِسْطِ إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِين ﴾ [المائدة: ٤٢]... ، ثُمَّ نزلت: ﴿ أفحُكم الجاهلية يبغون ﴾)) [١٦٣].

وعن ابن عباس ـ رضي اللهُ عنهما ـ قال : ((آيتانِ مَنسوختانِ مِن سُورةِ المائدة : ﴿ فاحْكُم بَينَهُم أوْ أعْرِضْ عَنهُم ﴾ [المائدة : ٤٢] . فأنزلَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : ﴿ وأنِ احْكُم بَينَهُم بِمَا أنزلَ اللهُ ولا تَتَّبِعْ أهواءَهُم ﴾ [المائدة : ٤٩])) [١٦٤].

هذا يعني أن النبيَّ ﷺ كان مُخَيَّرًا بين الحُكْم بَيْنَهم أو تَرْكهم لِمَن يَحكم بَيْنَهم ، وهُم إنما يَتحاكمون إلى النبيِّ ﷺ طَلَبًا لِمَا يُوافق أهواءهم لا طَلَبًا للحق. ووَفْق ابن عباس، نُسِخَتْ هذه الآية بِقَوله تعالى:﴿ فاحْكُم بَينَهُم بِما أنزلَ اللهُ ﴾،وهذا يَعني وُجوب الحُكْم بما أنزلَ اللهُ،ولا شيءَ غَيْرُه. والحُكْمُ بما أنزلَ اللهُ هو الحُكم بالقُرآن الذي أنزله اللهُ على محمد ﷺ ، وهو الكتاب السماويُّ المحفوظ مِن التغيير والتَّحريف ، والناسخ لكل الكُتب قَبْله ، والمُشتمل على الأحكام والشرائع والمواعظ والحِكَم ، وجميع ما شَرَعَه اللهُ لعباده في جميع الكتب السماوية السابقة . والقُرآنُ هُوَ الحاكمُ على الكتب السماوية ، والمُهيمِن عليها ، والناسخ لها . ولا حُكْم إلا حُكْم القُرآن .

---

١٦٣ رواه الحاكم في المستدرَك (٤/ ٤٠٧) برقم (٨٠٩٤) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

١٦٤ رواه الحاكم في المستدرَك (٢/ ٣٤١) برقم (٣٢١٧) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

وقال القرطبي في تفسيره (٦/ ١٧٤): ((قَوْلُه تعالى : ﴿ فإن جاؤوكَ فاحْكُم بَينَهُم أوْ أعْرِضْ عَنهُم ﴾ هذا تخيير مِنَ الله تعالى، ذَكَرَه القُشَيري ، وتقدَّم معناه أنهم كانوا أهل مُوادَعة لا أهل ذِمَّة، فإن النبيَّ ﷺ لَمَّا قَدِمَ المدينةَ وادعَ اليهودَ ، ولا يجب علينا الحُكم بين الكفار إذا لم يكونوا أهل ذِمَّة ، بل يجوز الحُكم إن أردنا ، فأمَّا أهل الذِّمة فهل يجب علينا الحُكم بينهم إذا تَرَافَعوا إلينا ؟. قَولان للشافعي . وإن ارتبطت الخُصومة بمسلم يجب الحُكم . قال المهدوي : أجمع العلماء على أن على الحاكم أن يَحكم بين المسلم والذِّمي ، واختلفوا في الذِّميين ، فذهبَ بعضُهم إلى أن الآية مُحْكَمَة ، وأن الحاكم مُخَيَّر ، رُوِيَ ذلك عن النَّخعي والشَّعبي وغيرهما ، وهو مذهب مالك والشافعي وغَيرهما)) اهـ .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير(٢/ ٣٦٠ و٣٦١): ((قَوله تعالى: ﴿ سَمَّاعُونَ للكَذِبِ ﴾ . قال الحسن : يعني حُكَّام اليهود يَسمعون الكذبَ مِمَّن يَكذب عندهم في دَعْواه ، ويأتيهم برِشوة، فيأخذونها . وقال أبو سليمان : هُم اليهود يَسْمعون الكذبَ ، وهو قول بعضهم لبعض : محمد كاذب وليس بنبيٍّ . وليس في التَّوراة رَجْم ، وهُم يَعْلمون كَذِبَهم. قَوله تعالى: ﴿ أَكَّالُونَ للسُحْتِ﴾ وفي المراد بالسُّحْت ثلاثة أقوال : أحدها الرِّشوة في الحُكم . والثاني الرِّشوة في الدِّين . والقَولان عن ابن مسعود . والثالث أنه كُل كَسْب لا يَحِلُّ ، قاله الأخفش . قَوله تعالى : ﴿ فإن جَاؤوكَ فَاحْكُم بَينَهُم أوْ أعْرِضْ عَنهُم ﴾ فِيمَن أُريد بهذا الكلام قولان : أحدهما اليهوديان اللذان زَنَيا ، قاله الحسن ومجاهد والسُّدي . والثاني رَجُلان مِن قُرَيظة والنَّضير ، قَتل أحدُهما الآخَرَ ، قاله قتادة . وقال ابن زيد : كان حُيَي بن أخْطَب قد جعل للنَّضيري دِيَتَيْن ، والقُرَظي دِيَة ، لأنه كان مِن النَّضير. فقالت قُرَيظة: لا نرضى بحُكم حُيَي، ونتحاكم إلى محمد. فقالَ اللهُ تعالى لِنَبِيِّه: ﴿ فإن جَاؤوكَ فَاحْكُم بَينَهُم ﴾ الآية . فصل . اختلفَ عُلماءُ التفسير في هذه الآية على قَوْلَيْن : أحدهما أنها منسوخة ، وذلك أن أهل الكتاب كانوا إذا ترافعوا إلى النبيِّ ﷺ كان مُخَيَّرًا ، إن شاءَ حَكَمَ بينهم ، وإن شاء أعرضَ عَنهم ، ثُمَّ نُسِخَ ذلك بقَوله : ﴿ وأنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أنزلَ اللهُ ﴾ فلزمه الحُكم ، وزال التَّخيير . وهذا مرويٌّ عن ابن عباس وعطاء ومُجاهد وعِكرمة والسُّدي . والثاني أنها مُحْكَمَة ، وأن الإمام ونُوَّابه في الحُكم مُخَيَّرون إذا ترافعوا إليهم ، إن شاؤوا حَكَموا بينهم ، وإن شاؤوا أعرضوا عنهم. وهذا مرويٌّ عن الحسن والشَّعبي والنَّخعي والزُّهري، وبه قال أحمد بن حنبل. وهو الصحيح ، لأنه لا تنافي بين الآيتين ، لأن إحداهما خَيَّرَتْ بين الحُكم وتَرْكه ، والثانية بَيَّنَتْ كيفية الحُكم إذا كان)) .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوراةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولئكَ بالمؤمنين ﴾ [المائدة : ٤٣] . وكَيف يُحكِّمك اليهودُ يا محمد ويَقبلون بِحُكمك وعِندهم التَّوراةُ (الكتاب السماويُّ الذي أنزله الله على مُوسى)، فيها حُكْم الله ولا يَعْمَلون به ؟ . ثُمَّ يُعرِضون عَن حُكمك المُوافق لكتابهم (التَّوراة) بعد ظُهور الحق أمامهم وقيام الحُجَّة عليهم ، وهؤلاء اليهود لَيسوا بمؤمنين ، لأنهم يَرفضون حُكم التَّوراة ، ويَرفضون حُكم النبيِّ محمد ﷺ المُوافق للتَّوراة . ومَن أعرضَ عن كتاب الله ، ورَفَضَ أحكامَه ، فهو كافر ، حتى لو ادَّعى الإيمان والتقوى والإخلاص. والآيةُ تَحمل تَوبيخًا شديدًا لليهود ، فكيفَ يَقبلون بِحُكم النبيِّ محمد ﷺ وهُم يَجحدون نُبُوَّتَه ويُكذِّبونه ؟ . وفي نفْس الوقت يَتركون حُكم التَّوراة وهُم يَعتقدون أنها حق وهُدى ! . هذا مُنتهى الجهل والتناقض، ويدل على اتِّباع اليهود لأهوائهم ومصالحهم بلا بصيرة . والعجيبُ أن اليهود يُحكِّمون النبيَّ ﷺ ، وهُم يُكذِّبونه ، ولا يؤمنون بالقُرآن الذي جاء به !. إنهم يَطلبون الأحكامَ المُخفَّفة التي تتوافق مع آرائهم الفاسدة وأمزجتهم الباطلة وأهوائهم المُتضاربة، ولا يَطْلُبون الحقَّ ، ولا يَحرِصون على إقامة أحكام الشريعة . وقال الفخر الرازي في التفسير الكبير (١١/ ٢٣٦): ((هذا تَعجيب من الله تعالى لِنَبِيِّه ﷺ بتحكيم اليهود إيَّاه ، بعد عِلْمهم بما في التَّوراة مِن حَد الزاني ، ثم تَركهم قَبول ذلك الحُكم ، فعدلوا عمَّا يعتقدونه حُكْمًا حقًّا إلى ما يَعتقدونه باطلًا طلبًا للرُّخصة ، فظهرَ بذلك جهلهم وعنادهم)) اهـ. وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣٦٢) : ((قَوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوراةُ ﴾ . قال المُفسِّرون : هذا تَعجيب من الله عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّه مِن تحكيم اليهود إيَّاه بعد عِلْمهم بما في التَّوراة مِن حُكم ما تحاكموا إليه فيه ، وتقريع لليهود إذ يتحاكمون إلى مَن يَجْحَدُون نُبُوَّتَه، ويتركون حُكْمَ التوراةَ التي يعتقدون صِحَّتها . قَوله تعالى : ﴿ فِيهَا حُكْمُ اللهِ ﴾ فيه قَولان : أحدهما حُكْم الله بالرَّجْم ، وفيه تحاكموا ، قاله الحسن. والثاني حُكْمه بالقَوَد (القِصاص) وفيه تحاكموا، قاله قَتادة . قَوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ فِيه قَولان : أحدهما مِن بَعْد حُكْم الله في التَّوراة . والثاني مِن بعد تحكيمك . قَوله تعالى : ﴿ وَمَا أُولئكَ بالمؤمنين ﴾ قَوْلان : أحدهما لَيْسُوا بمؤمنين لتحريفهم التَّوراة . والثاني لَيْسُوا بمؤمنين أن حُكْمَكَ من عند الله لِجَحْدهم نُبُوَّتَك)) .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ إنَّا أنزَلْنا التَّوراةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِها النَّبِيُّونَ الذينَ أسْلَمُوا للذينَ هادوا وَالرَّبَّانِيُّونَ والأحبارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللهِ وكانوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ولا تَشْتَرُوا بآياتي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَم يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فأُولئكَ هُمُ الكافرون ﴾ [المائدة : ٤٤] .

هذا مديحٌ إلهيٌّ عظيم للتَّوراة(الكتاب السماويِّ المُقَدَّس الذي أنزله اللهُ على النبيِّ مُوسى ﷺ).

أنزلَ اللهُ التَّوراةَ على مُوسى ، فيها هُدى مِن الضلال ، يُرشِد إلى الحق والصواب والرشاد ، ونُور يُستضاء به ، ويُبيِّن الأحكامَ الإلهية ، ويُوضِّح الشرائعَ الدينية . يَحْكُم بالتَّوراة أنبياءُ بني إسرائيل الذين اسْتَسْلَمُوا للهِ ، وانقادوا لحُكمه ، وخضعوا لأمره . يَحْكُمون بالتَّوراة لليهود ، بصدق وإخلاص ، لا يُبدِّلونها ، ولا يُحرِّفونها ، ولا يُغيِّرونها ، ولا يتلاعبون بها ، والعلماءُ مِنهم والفُقهاءُ ، بسبب أمر الله إيَّاهم بحفظ التَّوراة مِن التَّحريف والتغيير ، وكانوا شُهداء على التَّوراة أنها حق ، ورُقَباء عليها لِكَيْلا تُحرَّف ولا تُغيَّر ، فلا تخافوا يا علماء اليهود الناسَ في إظهار ما عِندكم مِن وَصْف النبيِّ محمد ﷺ،وحَد الرَّجْم، بَل خافوا الله في كُتمان ذلك وإخفائه، ولا تستبدلوا بآيات اللهِ وأحكامه وفرائضه وشرائعه مَتَاعَ الدنيا الزائلِ وحُطَامَهَا الفاني ، مِن المال والرِّشَى والمناصب والجاه والسُّلطة والنُّفوذ والرئاسة والزعامة ، ولا تأخذوا عِوَضًا يسيرًا مِن الدُّنيا على كِتمان الحق وإخفائه . وكُل ثمن قليل، لأن النتيجة هي الخُلود في عذاب النار. ومَن لم يَحكم بالشريعة الإلهية فهو كافرٌ.

وهذه الآيةُ نزلت في مَن غيَّر حُكم الله مِن اليهود . والآية عامة وشاملة لليهود وغَيرهم ، والعِبرة بعُموم اللفظ، لا بخصوص السبب . ومَن جَحَدَ ما أنزلَ اللهُ أو استهانَ بِهِ فهو كافرٌ، أمَّا مَن أقرَّ بما أنزلَ اللهُ ولَم يحكم به فهو فاسقٌ. وأمرُه إلى الله ، إن شاءَ عَذَّبه ، وإن شاءَ غفر له. والمسلمُ لا يَكْفر بارتكاب الكبيرة إلا إذا اعتقد أنها حلال (اسْتَحَلَّها) . وكلُّ آيةٍ تتحدَّث عن الكافرين ، فإنَّها تحذيرٌ لِعُصاة المسلمين . وقال الزمخشري في الكشَّاف (١/ ٤٩٦) : ((ومَن لم يَحكم بما أنزلَ اللهُ مُستهينًا به ، فأولئك هُم الكافرون والظالمون والفاسقون. وصفٌ لهم بالعُتُوِّ في كُفرهم ، حِين ظَلموا آياتِ الله بالاستهزاء والاستهانة ، وتمرَّدوا بأن حَكَمُوا بغيرها)) اهـ .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣٦٣ _ ٣٦٦) : ((قَوله تعالى : ﴿ إنَّا أنزَلْنا التَّوراةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ . قال المُفسِّرون : سبب نزول هذه الآية استفتاء اليهود رسول الله ﷺ في أمر الزانيَيْن . والهُدى البَيان ، فالتَّوراة مُبَيِّنة صِحَّة نُبُوَّة محمد ﷺ ، ومُبَيِّنَة ما تحاكموا فيه إليه ، والنُّور الضِّياء الكاشف للشُّبهات ، والمُوضِّح للمُشكلات . وفي النَّبيين الذين أسلموا ثلاثة أقوال: أحدها أنهم الأنبياء مِن لَدُن موسى إلى عيسى،قاله الأكثرون.فعلى هذا القول في معنى﴿ أسْلَمُوا ﴾ أربعة أقوال : أحدها سَلَّمُوا لحُكم الله ، ورضوا بقضائه . والثاني انقادوا لحُكم الله فلم يكتموه كما كَتم هؤلاء. والثالث أسْلَمُوا أنفسَهم إلى الله عز وجل. والرابع أسْلَمُوا لِمَا في التَّوراة ودانوا بها ، لأنه قد كان فيهم مَن لم يَعمل بكل ما فيها كعيسى عليه السلام . قال ابن الأنباري : وفي المُسلم

قَولان : أحدهما أنه سُمِّيَ بذلك لاستسلامه وانقياده لربِّه . والثاني لإخلاصه لربه . والثاني أن المراد بالنبيين نَبِيُّنا محمد ﷺ ، قاله الحسن والسُّدي . وذلك حِين حَكَمَ على اليهود بالرَّجْم ، وذَكَره بلفظ الجمع . وفي الذي حكم به مِنها قَولان : أحدهما الرَّجْم والقَوَد . والثاني الحُكْم بسائرها ما لم يَرِدْ في شَرْعِه ما يُخالف . والثالث النبيُّ محمد ﷺ ومَن قَبْله من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، قاله عِكرمة . قَوله تعالى : ﴿ للذينَ هادوا ﴾ . قال ابن عباس : تابوا من الكفر ، قال الحسن : هُم اليهود . قال الزَّجاج : ويجوز أن يكون في الآية تقديم وتأخير على معنى : إنَّا أنزلنا التوراةَ فيها هُدى ونور للذين هادوا يَحكم بها النبيون الذين أسلموا ... . قَوله تعالى : ﴿ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللهِ ﴾ . قال ابن عباس : بما اسْتُوْدِعُوا مِن كتاب الله ، وهو التَّوراة. وفي معنى الكلام قَولان : أحدهما يَحكمون بحُكم ما اسْتُحْفِظُوا . والثاني العلماء بما اسْتُحْفِظُوا . وفي قَوله تعالى : ﴿ وكانوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾ قَولان : أحدهما وكانوا على ما في التوراة مِن الرَّجْم شُهداء ، رواه أبو صالح عن ابن عباس . والثاني وكانوا شُهداء لمحمد عليه السلام بما قاله أنه حق ، رواه العَوفي عن ابن عباس . قَوله تعالى : ﴿ فلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾ . في المُخَاطَبِين بهذا قَولان : أحدهما أنهم رؤساء اليهود ، قِيل لهم : فلا تَخْشَوُا الناسَ في إظهار صِفة محمد ، والعمل بالرَّجْم، واخْشَوْني في كِتمان ذلك . روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس. قال مقاتل: الخطاب ليهود المدينة. قِيل لهم : لا تَخْشَوْا يهودَ خَيْبَر أن تُخبروهم بالرَّجْم ونَعْتِ محمد ، واخْشَوْني في كِتمانه. والثاني أنهم المسلمون قِيل لهم : لا تَخْشَوا الناسَ كما خَشِيَت اليهودُ الناسَ ، فلم يقولوا الحق ، ذكَره أبو سليمان الدمشقي. قَوله تعالى:﴿ ولا تَشْتَرُوا بآياتي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ في المراد بالآيات قَولان: أحدهما أنها صِفة محمد ﷺ والقُرآن . والثاني الأحكام والفرائض)) اهـ .

وقالَ اللهُ تعالى: ﴿ وأنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أنزلَ اللهُ ولا تَتَّبِعْ أهواءَهُم واحْذَرْهُم أن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ ما أنزلَ اللهُ إلَيْكَ فإن تَوَلَّوْا فاعْلَمْ أنَّما يُرِيدُ اللهُ أن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنوبِهِم وإنَّ كَثيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُون ﴾ [المائدة : ٤٩] . احْكُم يا محمد بين اليهود بِحُكْمِ اللهِ الذي أنزله إلَيْكَ في القرآنِ، ولا تَتَّبع أهواءَهم الفاسدة ، وآراءَهم المُنحرِفة ، وأمزجتهم المُتضارِبة ، وعقائدَهم الباطلة . واحْذَرْ يا محمد أعداءَكَ اليهود أن يَصُدُّوكَ عَن حُكْمِ اللهِ تعالى ، أو يُضِلُّوك، أو يَخدعوك، فإنهم أهلُ خِيانة وكَذِب وكُفر . والنبيُّ ﷺ مَعصومٌ وأمينٌ على الأحكام الإلهية، يُبلِّغها كما هِيَ، بلا زيادة ولا نقصان . وهذا التحذيرُ الإلهيُّ للنبيِّ ﷺ لتعظيم شَأن الأحكام الإلهية ، وبيانِ أهمية الحِرص عَلَيها ، وقَطْعِ أطماع اليهود ، وإغلاقِ الطريق أمامَهم ، وإرشاد الأُمَّة المحمَّدية إلى ضرورة الاقتداء

بالنبيِّ ﷺ في الثبات على المنهج الإلهيِّ ، وتبليغِ الأحكام الإلهية كاملةً ، بلا زِيادة ولا نقصان . وقال أبو السعود في تفسيره(٣/٤٦):((﴿ واحْذَرْهُم أن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ ما أنزلَ اللهُ إلَيْكَ ﴾ [١٦٥]. أي: يَصْرِفوكَ عن بَعْضِه ، وَلَوْ كان أقل قليل، بتصوير الباطل بصورة الحق . وإظهار الاسم الجليل ﴿ اللهُ ﴾ لتأكيد الأمر بتهويل الخَطْب)) اهـ . فإن أعرَضوا عَن الإيمان والحُكْمِ بالقُرآنِ ، وخَالَفوا شَرْعَ اللهِ ، ولَم يَخضعوا للحق ، وأَبَوْا إلا اتِّباع أهوائهم وآرائهم الشخصية المُنحرِفة، فاعْلَمْ أنَّ اللهَ يُريد أن يُعاقِبهم ببعض جرائمهم وآثامهم. يُريد اللهُ أن يُعجِّل لهم العقوبةَ في الدنيا ببعض ذُنوبهم . وكانَ عذابُهم الدُّنيويُّ هو الجلاء والنَّفْي. وفي الآخرة ، يُعاقِبهم اللهُ بكل ذُنوبهم ، ويُعذِّبهم أشدَّ العذاب. وإنَّ أكثرَ الناسِ تاركو العمل بالقرآن ، وخارجون عن طاعة الله إلى معصيته ، ومُتمرِّدون عن قَبول الحق . وقال البَيضاوي في تفسيره (١/٣٣٢): ((﴿ فإن تَوَلَّوْا ﴾ عَن الحُكْم المُنْزَل ، وأرادوا غَيْرَه ﴿ فاعْلَمْ أنَّما يُريدُ اللهُ أن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنوبِهِم﴾ يَعني:ذَنْب التَّوَلِّي عَن حُكْم الله سُبحانَه وتعالى، فَعَبَّرَ عنه بذلك تنبيهًا على أنَّ لهم ذُنوبًا كثيرة ، وهذا مَعَ عِظَمِه واحد مِنها ، مَعدود مِن جُملتها، وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير)) اهـ . وقال القرطبي في تفسيره (٦/ ٢٠٠) : ((قَوْلُه تعالى: ﴿ فإن تَوَلَّوْا ﴾ أي : فَإن أبَوْا حُكْمَكَ وأعرَضوا عنه .﴿ فاعْلَمْ أنَّما يُريدُ اللهُ أن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنوبِهِم ﴾ أي: يُعذِّبهم بالجلاء والجِزية والقتل ، وكذلك كان . وإنما قال : ﴿ بِبَعْض ﴾ لأنَّ المُجازاة بالبَعْض كانت كافيةً في التدمير عليهم.﴿وإنَّ كَثيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُون ﴾ يعني اليهود)) اهـ . أمَّا سبب نزول الآية . فقد قال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣٧٤ و٣٧٥) : ((إن جماعة من اليهود منهم كَعْب بن أُسَيد ، وعبد الله بن صُوريَا ، وشاس بن قيس ، قال بعضُهم لبعض : اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نَفْتِنه عن دِينه ، فَأَتَوْهُ ، فقالوا : يا محمد ، قَد عَرفتَ أنَّا أحبارُ اليهود وأشرافُهم ، وأنَّا إن تبعناك اتَّبعك اليهود ، وإنَّ بيننا وبين قَوم خُصومة ، فَنُحاكمهم إلَيك، فتقضي لنا عليهم ، ونَحن نُؤمن بِك ، فأبى ذلك رسولُ الله ﷺ ، ونزلت هذه الآية ، هذا قول ابن عباس. وذكر مقاتل أنَّ جماعة من بني النضير قالوا له : هل لك أن تَحكم لنا

---

١٦٥ قال الحافظ في الفتح (١٣/ ٣):((قال الراغب: أصْلُ الفَتن إدخال الذهب في النار لِتَظهر جَودته مِن رداءته ... وقال أيضًا : الفِتنة تكون من الأفعال الصادرة مِن اللهِ ، ومِن العبد كالبَلِيَّة والمصيبة والقتل والعذاب والمعصية وغَيرها مِن المكروهات ، فَإن كانت مِن الله فهي على وجه الحِكمة ، وإن كانت من الإنسان بغير أمر الله فهي مذمومة،فقد ذَمَّ اللهُ الإنسانَ بإيقاع الفِتنة كَقَوله:﴿ واحْذَرْهُم أن يَفْتِنُوكَ ﴾)).

على أصحابنا أهل قُرَيظة في أمر الدِّماء كما كُنَّا عليه مِن قَبْل ونُبايعك ؟ ، فَنزلت هذه الآية... .
قَوْلُه تعالى:﴿ واحْذَرْهُم أن يَفْتِنُوكَ ﴾ أي: يَصْرِفُوك ﴿ عَن بَعْضِ ما أنزلَ اللهُ إلَيْكَ ﴾ ، وفِيه قَولان : أحدهما أنه الرَّجْم ، قاله ابن عباس . والثاني : شَأن القِصاص والدماء، قاله مُقاتل . قَوْلُه تعالى : ﴿ فإن تَوَلَّوْا ﴾ فِيه قَولان : أحدهما عن حُكْمك ، والثاني عن الإيمان . ﴿ فاعْلَمْ ﴾ أن إعراضَهم من أجل أن الله يُريد أن يُعذِّبهم ﴿ بِبَعْضِ ذُنوبِهِم ﴾. وفي ذِكْر البَعْض قَولان : أحدهما أنه على حَقيقته ، وإنما يُصيبهم ببعض ما يَستحقونه. والثاني أنَّ المراد به الكُل ، كما يُذكَر لَفْظ الواحد ، ويُراد به الجماعة ، كَقَوله تعالى : ﴿ يا أيها النبيُّ إذا طَلَّقتم النساءَ﴾[الطلاق: ١].والمراد جميع المسلمين. وقال الحسن: أرادَ ما عَجَّله مِن إجلاء بني النَّضير ، وقَتْل بني قُرَيظة)) اهـ .

وفي [الرسالة إلى العِبرانيين ٣ : ١٦ و١٧] : ((فمَن هُمُ الذين أثاروا غَضبَ الله عندما سَمِعوا الدَّعوةَ ورفضوها ؟ إنهم ذلك الشعبُ الذي خرج من مِصْر بقيادة موسى ! وعلى مَن ثار غضبُ الله مُدَّةَ أربعين سَنة ؟ على أولئك الذين أخطأوا، فسَقطت جُثثهم مُتناثرةً في الصحراء !)).

يُبيِّن الإنجيلُ أن اليهود (بني إسرائيل) قَوم مغضوب عليهم ، فقد غَضِبَ اللهُ عليهم عندما سَمِعوا دَعوة مُوسى ، ورفضوها ، وتمرَّدوا على أحكامها ، وأعرَضوا عن شرائعها . إنهم الشعب الذي خَرَجَ مِن مِصْر بقيادة مُوسى ، وتعاملوا مع نبيِّهم بشكل سيِّئ ، وأسلوب خشن . وقد عاقبهم اللهُ ، وعذَّبهم،بسبب عنادهم وتَعَنُّتهم واستكبارهم، وجَعلهم يَتيهون في الأرض أربعين سنة.

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ قَالَ فإنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِم أربعينَ سَنَةً يَتِيهُونَ في الأرضِ فلا تَأسَ عَلى القَوْمِ الفاسقين ﴾ [المائدة : ٢٦] .

غَضِبَ مُوسى حِينَ قال له قَوْمُه : اذهب أنتَ ورَبُّك ... ، فدعا عليهم لأوَّل مَرَّة ، واستجابَ اللهُ دُعاءه، وعاقبهم في التِّيه أربعين سنة . لقد منعهم اللهُ مِن دُخول الأرض المُقدَّسة أربعين سنة ، يَتَحَيَّرُون في الأرض ، ويَضِلُّون فيها ، ولا يَستطيعون الخُروجَ مِنها ، فلا تحزن عليهم يا مُوسى ، ولا تأسف لحالهم ، ولا تَندم على دُعائك عليهم ، فإنهم فاسقون مُستحقون للعقوبة والعذاب .

حرَّم اللهُ على هؤلاء العُصاة المُذنِبين دُخولَ الأرض المُقدَّسة بسبب امتناعهم مِن قتال الجبَّارين . يَتَحَيَّرُون في الأرض، ويَضِلُّون فيها ، ولا يَدخلون الأرضَ المُقدَّسة ولا يَملكونها ، بسبب عصيانهم . ولبثوا أربعين سنة في سِتَّة فراسخ (مساحة صغيرة مِن الأرض) ، وهُم ستمائة ألف مُقاتل . وكانوا يُمْسُون حيث أصبحوا ، ويُصْبِحُون حَيث أَمْسَوْا . وهُم مستمرون في الحركة على هذه الحال ، لا قرار لهم ، ولا يَصِلُون إلى شيء .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣٣٠):((قال ابن عباس: حرَّم اللهُ على الذين عَصَوْا دُخولَ بيت المقدس فلبثوا في تيههم أربعين سنة، وماتوا في التيه، ومات موسى وهارون،ولم يدخل بيت المقدس إلا يُوشَع وكَالِب بأبناء القوم، وناهضَ يُوشَع بِمَن بَقِيَ معه مدينة الجبَّارين فافتتحها . وقال مجاهد: تاهوا أربعين سنة يُصبِحون حيث أَمْسَوْا، ويُمسِون حيث أصبحوا. وقال السُّدي: لمَّا ضَرَبَ اللهُ عليهم التِّيه نَدِمَ مُوسى على دُعائه عليهم، وقالوا له:ما صَنَعْتَ بنا؟ أين الطعام؟فأنزلَ الله المَنَّ. قالوا: فأين الشراب؟ فأُمِرَ موسى أن يَضرب بعصاه الحَجَر. قالوا: فأين الظِّل؟ فَظَلَّلَ عليهم الغَمَام. قالوا: فأينَ اللباس؟ وكانت ثيابهم تطول معهم كما تطول الصِّبيان ولا يتخرَّق لهم ثوب. وقُبِضَ موسى ولم يَبْقَ أحد مِمَّن أبى دُخول قرية الجبَّارين إلا مات، ولم يشهد الفتح. وفيه قول آخر أنه لمَّا مضت الأربعون خَرَجَ مُوسى ببني إسرائيل مِن التِّيه،وقال لهم:ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رَغَدًا ، وادخلوا الباب سُجَّدًا، وقولوا : حِطَّة، إلى آخر القصة. وهذا قول الربيع ابن أنس وعبد الرحمن بن زيد. قال ابن جرير الطبري وأبو سليمان الدمشقي: وهذا الصحيح، وأن موسى هو الذي فَتَحَ مدينة الجبَّارين مع الصالحين مِن بني إسرائيل، لأن أهل السيرة أجمعوا على أن موسى هو قَاتِل عُوج، وكان عُوج مَلِكهم، وكان بَلْعم بن باعوراء فيمن سباه موسى وقتله، ولم يدخل مع موسى مِن قدمائهم غير يُوشَع وكَالِب، وإنما حُرِّمَتْ على الذين لم يُطيعوا)) اهـ . وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٠): ((وقوله تعالى: ﴿ فلا تَأسَ عَلى القَوْمِ الفاسقين ﴾ تَسلية لموسى عليه السلام عنهم. أي: لا تأسف ولا تحزن عليهم فيما حَكَمْتُ عليهم به، فإنهم مستحقون ذلك. وهذه القصة تضمَّنت تقريع اليهود، وبيان فضائحهم، ومُخالفتهم لله ولرسوله،ونُكُولهم عن طاعتهما فيما أمراهم به من الجهاد، فضعفت أنفسهم عن مُصابرة الأعداء ومُجالدتهم ومقاتلتهم،معَ أن بين أظهرهم رسول الله ﷺ وكَلِيمَه وصَفِيَّه مِن خَلْقه في ذلك الزمان ، وهو يَعِدهم بالنَّصْر والظَّفَر بأعدائهم، هذا معَ ما شاهدوا مِن فِعل الله بعدوهم فِرْعَوْن مِن العذاب والنَّكال والغرق له ولجنوده في اليَم ، وهُم يَنظرون لتقرَّ به أعينهم ، وما بالعهد مِن قِدَم ، ثم يَنكُلون عن مُقاتلة أهل بلد هي بالنِّسبة إلى ديار مِصْر لا تُوازي عُشْر المِعشار في عُدَّة أهلها وعددهم ، فظهرت قبائح صنيعهم للخاص والعام، وافْتُضِحُوا فضيحة لا يُغطِّيها الليل، ولا يسترها الذَّيْل ، هذا وهُم في جهلهم يَعْمَهون ، وفي غَيِّهم يترددون ، وهُم البُغَضَاء إلى الله وأعداؤه ، ويقولون معَ ذلك : نحن أبناءُ الله وأحباؤه ، فقبَّح اللهُ وجوهَهم التي مُسِخَ منها الخنازير والقرود ، وألزمهم لعنة تصحبهم إلى النار ذات الوقود ، ويَقضي لهم فيها بتأييد الخلود ، وقد فعل . وله الحمد في جميع الوجود)) .

سادسًا : مُمارَسة الإرهاب والتَّرويع

إن الأشخاص الذين يَعْجَزُون عن الحوار والنِّقاش ، ولا يَقْدِرُون على تقديم الأدلة والبراهين ، ولا يَستطيعون مُقارَعة الحُجَّة بالحُجَّة، ولا يَبحثون عن الحق، ولا يُريدون معرفةَ الحقيقة، سَوْفَ يَندفعون باتِّجاه مُمارَسة العُنف والإرهاب وتَرويع الآخرين، اعتمادًا على منطق القوة لا قوة المنطق.

وتفكيرُهم يُشبِه تفكيرَ قابيل (القاتل المُجرِم) الذي لم يستطع مواجهة أخيه هابيل (التَّقِيِّ البريء) بالدليل والحُجَّة والبُرهان ، فواجهه بالإرهاب والتَّخويف ، وأقدمَ على قَتْله بلا ذَنْب .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيهِم نَبَأَ ابنَي آدَمَ بِالحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُربَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَم يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المُتَّقِين ﴾ [المائدة : ٢٧] .

لَم يجد قابيل حُجَّةً أو رأيًا سديدًا ، فعَمَدَ إلى التهديد بقتل أخيه هابيل ، وقد نفَّذ تهديدَه بكل وحشية . وهذا يُشير إلى أن التصفية الجسدية دليل العجز عن مواجهة الكلمة بالكلمة .

وقِصَّةُ ابْنَي آدم ﷺ (هابيل وقابيل) تعكس الصراعَ بين الخير والشر . فقد قرَّبا قُربانًا فتُقُبِّل من هابيل ، ولم يُتقبَّل من قابيل ، فأراد قابيل قتلَ أخيه . وقد نفَّذ جريمته بالفِعل ، فأقدم على قتل أخيه ثُمَّ ندم أشد الندم . وعلى المرء أن يُفكِّر في عواقب الأمور قبل الخوض فيها ، لئلا يَندم يوم لا يَنفع الندم ، ولا تُفيد الحسرة .

وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٣١٤): ((أوحى اللهُ ــ سُبحانَه وتعالى ــ إلى آدم أن يُزوِّج كُلَّ واحد منهما توأمة الآخَر ، فسخط منه قابيل لأن توأمته كانت أجمل ، فقال لهما آدم : قَرِّبا قُربانًا ، فَمِن أيِّكما قُبِلَ تزوَّجها، فقُبِلَ قُربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته ، فازداد قابيل سُخطًا ، وفعل ما فعل)) اهـ .

إن أصل المشكلة كامنٌ في الطمع والشهوةِ الإنسانية المُتأجِّجة . والنَّفْسُ البشرية لا تشبع ، وهي تريد المزيدَ باستمرار . وقابيل تحركت غَريزته بكل شراسة ، وغضب على أخيه بسبب موضوع الزواج . ثم ازداد حنقًا وغضبًا لأن قُربانه لم يُتَقَبَّلْ ، وهذا قاده إلى اقتراف أول جريمة قَتل في العالَم . فالغضبُ الشديد سَلب منه العقلَ ، والقُدرةَ على التفكير بعواقب الأمور ومآلاتها.

والجديرُ بالذِّكر أن اسْمَي هابيل وقابيل لم يَرِدا في القرآن الكريم ، لكنهما وردا في التوراة : ((وَعَرَفَ آدمُ حَوَّاءَ امرأته فَحَبِلَتْ وَوَلدتْ قَايِين . وقالت اقْتَنَيْتُ رَجُلًا مِن عِند الرَّب . ثم عادت فولدت أخاه هابيل)) [تكوين ٤ : ١و٢] .

وقد قال النبيُّ ﷺ : ((لا تُقتَل نَفْسٌ ظُلْمًا إلا كان على ابن آدمَ الأوَّلِ كِفْلٌ مِن دمها ، وذلك لأنه أولُ مَن سَنَّ القتلَ)) [١٦٦].

قابيلُ هو إمام القاتلين ، لأنه أول من ارتكب جريمةَ القتل في التاريخ ، فسنَّ سُنةً قبيحة سيظل عليه وِزْرها حتى يوم القيامة . وبارتكابه لهذه الجريمة يكون قد فَتح بابَ القتل ، وكلُّ من اقتدى به في هذا المجال سيكون آثِمًا ، كما أن قابيل سيتحمل آثامهم أيضًا ، لأنه قد أرشدهم إلى طريق القتل . وفي هذا دَلالةٌ على أن الإمام يتحمَّل آثامَ الأتباع إنْ أرشدهم إلى الضلال والمعاصي والآثام والجرائم، لأنه قُدوة ومَثَل أعلى لأتباعه . وفي الجهة المقابلة إنْ فتح لهم أبوابَ الخير والصلاح فسوف ينالَ الأجر ، وأجر مَن يتبعه إلى يوم القيامة . والكِفْلُ هو النصيب .

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم (١١/ ١٦٦) : ((وهذا الحديث من قواعد الإسلام، وهو أن كل مَن ابتدع شيئًا مِن الشر كان عليه مِثْل وِزْر كُل مَن اقتدى به في ذلك العمل ، ومِثْله مَن ابتدع شيئًا مِن الخير ، كان له مِثْل أجر كُل مَن يَعمل به إلى يوم القيامة)) اهـ .

وحِين يَغيب العقلُ والمنطق ، تَتأجَّج قوى الشر في عقل الإنسان وجسده ، والتي تدفعه إلى التخطيط لارتكاب جريمة القتل ، باعتبارها الحل الوحيد _ وَفْق رؤية المجرمين الفاسدين _ . وهذا ما فعله زعماء اليهود. ففي [مَرْقُس ١١ : ١٨]: ((وسَمع بذلك رؤساءُ الكَهَنة، والكَتَبةُ ، فأخذوا يبحثون كيف يقتلونه : فإنهم خافوه لأن الجَمعَ كُلَّهُ كان مَذهولًا مِن تعليمه)) .

إن زعماء اليهود لا يُمارسون الإرهاب إلا على الأتباع الضعفاء ، والعوام الجُهَّال . وقد بحثوا كيفية قتل المسيح ، والتخلص مِن دَعوته إلى الأبد . وقد خافوه ، لأن الناس كانوا مُتعلِّقين به ، ومَذهولين مِن حِكَمه وإرشاداته وتعليمه . ولم يجرؤ زعماءُ اليهود على قتل المسيح ، لأنه كان مَحْمِيًّا ، والجَمْع مُلتف حَوْله، ويَدعمه، ومُعجَب بكلامه، ومَذهول مِن تعليمه. ووجودُ المسيح بين جَمْع مِن الناس ، يُكسبه مزيدًا مِن القُوة والحماية ، فلا يَقْدِر زعماء اليهود على إلحاق الأذى به .

واليهودُ لا يَقْدِرون على مُحاسبة الزعماء والرؤساء وعِلْية القوم، وإنما يُطبِّقون الحُدود على الفقراء والضعفاء والمنبوذين (قاع المَجتمع المسحوق) . وهذا ما يحصل في عصور الانحطاط ، حيث ينتشر الظُّلْم والحِقد والكراهية ، ويَغيب الحق والعدل والمحبة . والقانونُ لا يَسْري إلا على الضعفاء . أمَّا الأشراف فلا يخضعون له مُطْلَقًا .

---

١٦٦ متفق عليه. البخاري(٣ / ١٢١٣) برقم (٣١٥٧)،ومسلم (٣/ ١٣٠٣) برقم (١٦٧٧).

والقانون (الدُّستور) مِثل شِبَاك العنكبوت ، لا تقع فيه إلا الكائنات الصغيرة ، أمَّا الكائنات الكبيرة فتُمزِّقه . وهذا مبدأ ثابت ومنتشر في كُل المجتمعات القائمة على الظُّلْم والفساد والمحسوبية . وقد قال النبيُّ ﷺ : ((إنَّما أَهْلَكَ الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سَرَقَ فِيهم الشَّريفُ تركوه ، وإذا سَرَقَ فيهم الضعيفُ أقاموا عليه الحَد)) [١٦٧].

يجب تطبيق الحدود الشرعية (عُقوبات مُقدَّرة في الشَّرْع فرضها اللهُ) بدون مُحاباة ولا مُجاملة . وقد كانت الأقوامُ السابقة إذا سَرَقَ فيهم الشريف القوي صاحب المال والنفوذ والجاه والعشيرة تركوه . وإذا سَرَقَ الوضيعُ الضعيف الذي ليس له مال ولا جاه ولا عشيرة ، أقاموا عليه الحَد . وهذه المُحاباة في تطبيق أحكام الله ، انتشرت في بني إسرائيل بصورة كبيرة وملحوظة .

وقال المُناوي في فَيض القدير (٢/ ٥٦٨) : (((إنما أهلك) في رواية هَلَك (الذين من قبلكم) مِن بني إسرائيل (أنهم كانوا) بفتح الهمزة فاعل أهلك (إذا سرق فيهم الشريف) أي الإنسان العالي المَنزلة الرفيع الدرجة (تركوه) يعني لم يَحُدُّوه (وإذا سرق فيهم الضعيف) أي الوضيع الذي لا عشيرة له ولا مَنَعَة (أقاموا عليه الحَد) أي قطعوه. قال في المطامح : وهذا جارٍ في عَصْرنا، فلا قوة إلا بالله ، وهذه مُدَاهَنة في حدود الله ، وتبعيض فيما أُمِرَ بنفي التبعيض فيه . قال ابن تيمية : قد حَذَّرَنا المُصطفى ﷺ عَن مُشَابَهة مَن قَبْلنا في أنهم كانوا يُفرِّقون في الحدود بين الأشراف والضعفاء ، وأمرَ أن يُسَوَّى بين الناس في ذلك ، وإن كان كثير مِن ذَوِي الرأي والسياسة قد يظن أن إعفاء الرؤساء أجْوَد في السياسة . واعلم أن الحَصْر (إنَّما) قد أُشْكِل على كثير، لأن الأمم السالفة كان فيهم أشياء كثيرة تقتضي الهلاك غير المُحَابَاة في الحدود . وأُجِيب إمَّا بمنع اقتضائه الحَصْر ، أو بأن المحصور هَلاك خاص ، باعتبار خاص على حَد)) اهـ .

وفي [لُوقَا ١٩ : ٤٧و٤٨] : ((وسعى إلى قتله رؤساءُ الكَهَنةِ والكَتَبَةُ ووُجهاءُ الشعب . ولكنهم لم يهتدوا إلى ما يفعلون ، لأن الشعبَ كُلَّهُ كان مُلتصقًا به للاستماع إليه)) .

إن السَّيف لا يَستطيع نزع الفكرة من العقل، والتصفية الجسدية لا تَقْدِر على استئصال الثَّورة مِن الجسد . ومُحاولةُ زُعماء اليهود قتل المسيح فَشِلَتْ ، لأن الشعب كُلَّه كان مُلتصقًا بالمسيح، للاستماع إلى تعاليمه وإرشاداته وحِكَمه ومواعظه. وزعماءُ اليهود لم يرتدعوا عن فِعْلتهم بسبب وازع ديني ، أو رادع أخلاقي ، أو مُراجعة حسابات. لقد خافوا مِن الشعب المُلتف حول قيادة المسيح.

---

١٦٧ متفق عليه . البخاري (١٢٨٢/٣) برقم (٣٢٨٨) ، ومسلم (١٣١٥/٣) برقم (١٦٨٨) .

والمُخلِصون من الشعب هُم السند الحقيقي للسَّيد المسيح ﷺ الذي لم تكن له عشيرة تحميه، ولا قبيلة تُدافع عنه . فهو بدون أَب . ولكنَّ اللهَ تَكَفَّلَ بحمايته والدفاع عنه ، فالمسيحُ عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مَريم ، ورُوح مِنه .

والشخصُ إن لم يكن له سندٌ عائلي أو شَعبي ، فَسَوْفَ يُقضَى عليه . وبالتأكيد ، إن مشيئة الله نافذة في كُل شيء . ولكنْ هناك قوانين مُتَعَارَف عليها ، وأسباب واقعية تُؤخذ بعين الاعتبار . والدنيا مبنية على منظومة الأسباب والمُسَبِّبَات . والعاقلُ لا يعيش في الخَيَال والأحلام والأماني ، بل يجب عليه أن يأخذ بالأسباب ، ويُحلِّل العلاقات الاجتماعية . ولا ينام في بيته ويقول : إن الله رَزَّاق،فالسماءُ لا تُمطِر ذَهَبًا ولا فضة.أو يخرج إلى المعركة بدون سَيف، ويقول: إن الله سيحميني.

وكان لعشيرة النبيِّ محمد ﷺ دورٌ هام في حمايته والدفاع عنه ، وَتَوفير الغطاء الاجتماعي له ، وبنو هاشم (زُعماء قُرَيش وأشراف العرب) يُحسَب لهم ألف حساب . صحيحٌ أن الحماية العشائرية لا تَجعل طريق الدَّعوة مفروشًا بالورود ، إلا أنها تُقَلِّل التهديدات ، وتُخفِّف المشكلات.

والسند العائلي مِن شأنه توفير الدعم والحماية للأنبياء ، وتقديمهم إلى الناس كأبناء عائلات مُحترمة وراقية ، ذات نَسَب رفيع ، ومكانة اجتماعية مرموقة ، لِئَلا يتم اتِّهامهم بأنهم أبناء طبقات مُتدنِّية ومنبوذة ، يَسْعَوْنَ إلى مكاسب شخصية لتغيير وضعهم العائلي ، واكتساب المال والسُّلطة .

وقد حاولت قُرَيْش قَتْلَ النبيِّ ﷺ ، والتخلُّص مِن دَعوته . وفي أثناء تخطيط قُرَيش لمؤامرتها الدنيئة ، بَرزت مكانة عشيرة النبيِّ (بني هاشم) كعشيرة قوية ، ذات سُلطة ونفوذ ومنزلة رفيعة .

((فقال أبو جهل : والله لأُشِيرَنَّ عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعد ، ما أرى غيره ! ، قالوا : وما هو ؟، قال : نأخذ مِن كُل قبيلة غلامًا وسيطًا شابًّا نَهْدًا _ يعني قويًّا _ ، ثم يُعطَى كُلُّ غلام منهم سَيْفًا صارمًا ، ثُمَّ يَضربونه ضَربة رَجل واحد ، فإذا قتلوه تفرَّقَ دمه في القبائل كُلِّها ، فلا أظن هذا الحَي من بني هاشم يَقْدِرون على حرب قُرَيش كُلِّها ، فإنهم إذا رَأَوْا ذلك قَبِلوا العَقْل _ يعني الدِّيَة _ ، واسترحنا ، وقطعنا عنَّا أذاه)) [١٦٨].

إن كُل هذه التفاصيل في الخُطة الجهنمية والمؤامرة القذرة ، مَرجعها إلى كَوْن عائلة النبيِّ ﷺ هي بني هاشم ، المشهورين بالمجد والقُوَّة والمَنَعَة والمكانة والسُّلطة والشرف والسيادة . ولو كانت عائلة عادية ، لَمَا التفتَ إليها أحد ، ولتمَّ قتل محمد ﷺ بضَربة رَجل واحد ، وما احتاجت

---

١٦٨ تفسير الطبري (٦/ ٢٢٥) ، وانظر أيضًا تفسير ابن كثير (٢/ ٤٠٠) .

قُرَيش إلى رجال كثيرين ، كي يتفرَّق دَمُه في القبائل . إذ إن العائلة الضعيفة البائسة سَتُضَيِّعُ دماءَ أبنائها دون أن تُطالِب بها . وهذه إحدى الحِكَم الإلهية العظيمة في جَعْل الأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ مِن قبائل معروفة وعائلات ذات مَكانة اجتماعية مرموقة . والعجيب أن قَيْصَر الرُّوم تَنَبَّهَ لهذا الأمر حِين جاءه أبو سُفيان ، وكان حِينها على الكُفر . وكُل الأنبياء_ عليهم الصلاة والسلام_ كانوا مِن عائلات عريقة وعشائر معروفة ، وهذا لا يتعارض مَعَ المِهَن التي امتهنوها كرَعْي الغنم أو النِّجارة أو الحِدَادة .. إلخ . فالعمل الشريف لا يُخفِض مَنْزلةَ صاحبه مُطْلَقًا .

قال قَيْصَرُ الرُّوم لتُرجمانه: قُلْ له_ لأبي سُفيان _ : ((إني سَأَلْتُكَ عن حَسَبه فيكم _ يقصد النبيَّ محمدًا ﷺ _ فزعمتَ أنه فِيكم ذو حَسَب، وكذلك الرُّسُل تُبعَث في أحساب قَوْمها)) [١٦٩].

جميع الأنبياء والمُرسَلين يَنتمون إلى عشائر مرموقة وشريفة ومعروفة ، وأنسابُهم في قِمَّة الشرف والمجد . والنَّسَبُ الشريفُ يَمْنع صاحبَه من ارتكاب الأفعال القبيحة ، كما أنهُ يُساهم في جذب الأتْباع واستقطابهم ، ويَجعل الناسَ يَقتربون مِن الأنبياء، ويُؤمنون بِدَعوتهم ، ويَتَّبعونهم .

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٢/ ١٠٥) : ((قِيل : الحِكمة في ذلك أنه أبعد مِن انتحاله الباطل ، وأقرب إلى انقياد الناس له)) .

إن الإرهاب والتَّرويع والاضطهاد لا يُمارَس إلا على الضعفاء (قاع المجتمع) ، أمَّا أشراف الناس الذين يَنتمون إلى العشائر الكبيرة ، والعائلات المُتَنَفِّذة ، فَيَحْتَمُون بعشائرهم وعائلاتهم التي تُوفِّر لهم الدعم والإسناد والحماية . وإن حَصل اضطهاد وإرهاب بحق أبناء العائلات الكبيرة فسيكون أقل حِدَّةً مِن ذلك الإرهاب الذي يُمَارَس على أبناء قاع المجتمع مِن الضعفاء والبُسَطاء .

والعائلاتُ العريقة ذات القوة والمكانة والنُّفوذ ، لا ترمي أبناءها في الشارع ، ولا تتخلَّى عنهم في الأزمات والشدائد ، ولا تترك دماء قَتلاها تَذهب هَدَرًا ، لأن قوة الدم _ مدعومة بِقِيَم الشرف والمجد والمكانة والعَصَبِيَّة القَبَلِيَّة _ تزيد مِن قُوَّة الروابط العائلية ، ومتانة العلاقات الاجتماعية، مع الحرص الشديد على إبراز مكانة العائلة بين العائلات ، وتقديمها في أحسن صورة .

ولا يخفى أن أسوأ مراحل الإرهاب : القَتْل (التصفية الجسدية) ، وهذا المعنى كان يشعر به المسيحُ ، وهو يتألم ويُعاني، لأن اليهود خَذَلُوه، وكذَّبوه، وسَعَوْا إلى قَتْله . وفي [يُوحَنَّا ٨ : ٤٠] قال المسيح : ((ولكنكم تَسْعَوْنَ إلى قَتْلي وأنا إنسان كَلَّمْتُكم بالحق الذي سَمِعْتُه مِن الله)) .

---

١٦٩ متفق عليه . البخاري (١٦٥٨/٤) برقم (٤٢٧٨) ، ومسلم (١٣٩٥/٣) برقم (١٧٧٣).

سعى اليهودُ إلى قتل المسيح ، لأنه كلَّمهم بالحق الذي سَمِعَه مِن الله ، وأرشدهم بالوَحْي الذي أنزله اللهُ عليه . وهذا يدل على عداوة اليهود للحق ، ومُحاولتهم لَطَمْسه وإخفائه ، لأنه يُشكِّل خطرًا على نفوذهم ومصالحهم الشخصية ومناصبهم ورئاستهم وزعامتهم . ولم يكن ذَنْب المسيح الذي أزعجَ اليهودَ ، وجعلهم يُخطِّطون لقتله ، إلا أنه قال الحق ، وهداهم إليه ، وأرشدهم إلى الصواب . وبالتالي ، صار إعلان الحق جريمة عند اليهود . وهذا يُشير إلى كُفرهم وعنادهم .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ قُل يَا أَهْلَ الكِتَابِ هَل تَنقِمُونَ مِنَّا إِلا أَن آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَينَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُم فَاسِقُون ﴾ [المائدة : ٥٩] [١٧٠] .

يا أهلَ الكتاب ، هَل تكْرهون مِنَّا وتَعيبون عَلَيْنا ، إلا الإيمانَ بالله وكُتُبِه ورُسُلِه ؟ ، وأن أكثركم خارجون عن الطريق المستقيم. وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٠١) : ((هل لكم عَلَيْنا مَطْعَن أو عَيْب إلا هذا ؟ ، وهذا ليس بعَيْب ولا مَذَمَّة ، فيكون الاستثناء مُنْقَطِعًا)) اهـ .

وهذا يُشير إلى فساد عقائد أهل الكتاب ، وحِقْدِهم على المؤمنين ، وحَسَدِهم لهم ، وظُلمهم لأنفسهم وللآخرين.وقد أعماهم حُبُّ المالِ وعِشْقُ السُّلطة، فجاءت أحكامُهم جائرةً غَيْرَ مُنصِفة.

وفي [أعمال الرُّسل ٤ : ١٧ و١٨] : ((ولكن لئلا يزداد هذا الأمر انتشارًا بين الشَّعب ، فَلْنُهَدِّدْهُمَا_ يعني بُطرُس ويُوحَنَّا _ ألا يَذكرا هذا الاسمَ لأحد من الناس بعد الآن . ثم أحضَرُوهما وأمَرُوهُما ألا يَنطِقا باسمِ يَسوع ولا يُعَلِّما الناس به)) .

حاولَ اليهودُ جاهدين إرهاب بُطرُس ويُوحَنَّا (مِن أبرز تلاميذ المسيح) لمنع انتشار دَعوة المسيح بين الشعب (بني إسرائيل) ، ومارسوا ضِدَّهما كُلَّ أنواع الإرهاب والتَّرويع والتَّخويف ، لإجبارهما على ترك دَعوة المسيح ، وقاموا بتهديدهما ألا يَذكرا اسم المسيح لأحد مِن الناس ، وأحضروهما لإخافتهما ، وأمروهما ألا يَنطقا باسم المسيح ، ولا يُعلِّما الناسَ به .

يعتمد اليهودُ على منهجية الإرهاب والترويع والتخويف والتعتيم الإعلامي والتَّكَتُّم الشديد، وذلك مِن أجل وأد دعوة المسيح في مَهدها، ومَنع انتشارها بين الشعب . ولا بُد أن تبرز الحقيقة، ويَظهر الحق ، لأن قوته ذاتية ، وعوامل سَطوته وانتشاره كامنة فيه ، وليست مُستمدة من خارجه .

---

١٧٠ في زاد المسير لابن الجوزي (٢/ ٣٨٦) : ((أن نَفَرًا من اليهود أَتَوْا رسولَ الله ﷺ فسألوه عَمَّن يُؤمن به من الرُّسل ، فَذَكَرَ جميعَ الأنبياء، فلمَّا ذَكَرَ عيسى جَحدوا نُبُوَّته، وقالوا: واللهِ ما نعْلم دِينًا شَرًّا من دِينكم ، فَنَزلتْ هذه الآية)) .

وقد استخدمَ اليهودُ منطقَ القوة ، من أجل استئصال كلمة الحق ، وإشاعة مناخ من الخوف والرهبة والقلق ، وإخفاء دَعوة المسيح وطَمْسها لئلا تَجذب الأتباعَ . وأعداءُ الحق _ في كل زمان ومكان _ يَعْلَمون أهمية وسائل الإعلام في نقل الحقيقة ونشرها ، لذلك يُحاولون كتمانها بكل وسيلة مُمكنة . وهُم حريصون على وأد الدَّعوة مُبَكِّرًا لمنع انتشارها بين الناس . وعندئذ ، يُصبح مِن المستحيل مُواجهتها أو استئصالها ، لأن الناس صاروا الحاضنين لها ، والمُدافعين عنها .

إن اليهود غارقون في عقلية التهديد والإرهاب والترويع ، وهُم ماكرون وبارعون في حياكة المؤامرات،والتخطيط لمُواجهة دعوة المسيح بشكل استباقي ، والتَّصدي لها مُبَكِّرًا لمنع انتشارها. وهذا يعني أن سياسة الترهيب والتخويف وتَكميم الأفواه والتعتيم الإعلامي ، هي المنهج اليهودي السائد والمُعْتَمَد . وهذه السياسة الخبيثة مُتماهية مع مبدأ ابتزاز الآخرين واستغلالهم وتَخويفهم وتَهديدهم واضطهادهم والتَّضييق عليهم، وتعذيبهم نفسيًّا تمهيدًا لتصفيتهم جسديًّا ، إذا لزم الأمر.

والتهديدُ له أشكال كثيرة وصُوَر مُتعددة ، وهو مُندمج مع مبدأ الإغراء . فقد يتم التلويح بالمال والإغراءات المادية ، وقد يتم التلويح بالسَّيف والتصفية الجسدية . والتهديدُ له دَور فاعل في تدمير معنويات الضعفاء وتثبيط عزائمهم . أمَّا الأقوياء الذين عرفوا هدفهم ، وآمنوا بمسارهم ، فهُم سائرون في طريقهم بكل إصرار وثبات. ومَن يَعرف طريقَه، لا يَلتفت أثناء سَيره . أمَّا الشخصُ الذي لا يَعرف طريقَه ، فسيظل ضائعًا حائرًا . ولا يَذهب بعيدًا مَن لا يَعرف إلى أين هو ذاهب .

والكُفرُ مِلَّة واحدة ، والكافرون لهم منهج فكري واحد _ مهما اختلفت الأمكنة والأزمنة _. وقد عَرَضَ مُشركو قُرَيش على النبيِّ محمد ﷺ عَرْضًا إغرائيًّا ، ولوَّحوا بالمال والشَّهوات ، حيث قالوا له : ((فَإِنْ كُنْتَ إنما جِئتَ بهذا الحديث تطلب مالًا جَمَعْنا لكَ مِن أموالنا حتى تكون أكثرَنا مالًا،وإن كُنتَ إنما تطلب الشَّرف فِينا سَوَّدْنَاكَ عَلَينا، وإن كُنتَ تريد به مُلْكًا مَلَّكْنَاكَ عَلَينا)) [١٧١].

إن أعداء الدَّعوة الإلهية في كُل العصور ، يُحاولون تقديم الإغراءات بشتَّى أصنافها من أجل وأد الدعوة في مَهْدها ، والقضاءِ على المجتمع الإيمانيِّ عبر اختراقه بِمَتَاع الدنيا الزائل ، وحُطامها الفاني . وسلاحُهم هو اللعب بورقة الشَّهوات والملذات وحُظوظ النَّفْس .

وقد عَرَضَ مُشركو قُرَيش الأموالَ الكثيرة على النبيِّ ﷺ، وعَرَضُوا عليه أن يكون سيِّدًا عليهم ، وزعيمًا لهم ، ومَلِكًا عليهم . وهُم مُوافِقون على هذا مُقابَل أن يَترك الدَّعوة ، ويتخلَّى عنها .

---

١٧١ تفسير الطبري (٨/ ١٤٨) ، وانظر أيضًا تفسير ابن كثير (٣/ ٨٧) .

ولو كان في مكان النبيِّ ﷺ شخص كاذب أو مُحتال أو مُتاجر بالدِّين ، لَقَبِلَ فَوْرًا بلا تردُّد ولا تفكير . ورفضُ النبيِّ ﷺ لعُرُوض قُرَيش المُغرية، يدل على أنه نبيٌّ صادق ، ورسول أمين ، جاءَ لنشر الدعوة الإسلامية بين الناس، وتَبليغ الوَحْي الإلهيِّ لهم بأمانة، بلا زيادة ولا نُقصان.والنبيُّ ﷺ لا يَملك مِن أمره شيئًا ، لأن الأمرَ كُلَّه لله . واللهُ يَختار الصادقين المُخلِصين لحمل كلامه ووَحْيه وشريعته ، ولا يختار الكاذبين والمُحتالين والمُتاجرين بالدِّين . واللهُ أعلم حيث يجعل رسالته .

وعلى سبيل المثال لا الحصر ، كان مُسَيْلَمة الكذَّاب يَزعم أنه نبيٌّ ورسول مِن عِند الله ، وقد ادَّعى النُّبُوَّة لتحقيق مكاسب شخصية وأرباح مادية ، والحصول على الزعامة والرئاسة والوجاهة بين القبائل . لذلك قال بكل وقاحة : ((إنْ جَعَلَ لي محمدٌ الأمرَ مِن بَعْده تَبِعْتُه)) [١٧٢].

وَلَوْ كان مُسَيْلمة الكذَّاب صادقًا ونبيًّا حقيقيًّا لَمَا قالَ هذه العِبارة. إنه يَنظُر إلى النُّبُوَّة باعتبارها مشروعًا تجاريًّا وراثيًّا لتحقيق مصالح شخصية، وبَسْط النفوذ على القبائل، والحصول على السيادة والسُّلطة والثروة . وقد فَضَحَ نَفْسَه بنفْسه ، وكشف عن حقيقة دَعوته الساقطة .

وأخرج ابن إسحق وابن جرير وابن المُنذر وابن أبي حاتم والبَيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال : قال أبو رافع القُرَظي حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نَجْران عند رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام:أتريدُ يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم ؟، فقال رَجل من أهل نَجْران نصراني يقال له الرئيس: أو ذاك تريده مِنَّا يا محمد ؟ ، فقال رسول الله ﷺ : ((مَعَاذَ الله أن نعبد غَير الله ، أو نأمر بعبادة غَيره ، ما بذلك بعثني ، ولا بذلك أمرني)) ، فأنزل الله في ذلك مِن قَوْلهما : ﴿ ما كانَ لِبَشَرٍ أن يُؤتِيَهُ اللهُ الكتابَ والحُكْمَ والنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقولَ للناسِ كُونوا عِبادًا لِي مِن دُونِ اللهِ ولكن كُونوا رَبَّانِيِّينَ بما كُنتم تُعلِّمونَ الكِتابَ وبما كُنتم تَدْرُسُون ﴾ [آل عِمران: ٧٩] [١٧٣].هذا دليل على صِدق محمد ﷺ وصِحَّة نُبُوَّته، ولو كانَ كاذبًا لاستغلَّ الناس. ومِن غَير المعقول أن يَدَّعي النبيُّ ــ أيُّ نبيٍّ ــ الأُلوهيةَ ، لأنَّ النبيَّ اختاره اللهُ لهدايةِ الناسِ ، وإرشادهم إلى عبادة اللهِ وَحْدَه ، فكيفَ يَكذب على اللهِ ويَدَّعي الأُلوهيةَ ويُضِل الناسَ ؟! . هذا أمرٌ ضد العقلِ ، ويتصادم مَعَ المنطق . إنَّ الأنبياءَ جميعًا يَدْعُون إلى توحيد اللهِ تعالى ، ويَمتازون بالصِّدق والأمانة في الدَّعوة والتَّبليغ والإرشاد . وعِصمتهم تَمنعهم مِن الضلال والزَّيْغ والانحراف.

---

١٧٢ متفق عليه . البخاري (١٣٢٥/٣) برقم (٣٤٢٤) ، ومسلم (١٧٨٠/٤) برقم (٢٢٧٣).

١٧٣ الدُّر المنثور للسُّيوطي (٢/ ٢٥٠).وانظر العُجاب في بيان الأسباب لابن حجر (٢/ ٧٠٥).

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤١٣) : ((﴿ ما كانَ لِبَشَرٍ ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها أنَّ قَومًا مِن رُؤساء اليهود والنصارى، قالوا: يا محمد، أتريد أن نتَّخذك رَبًّا، فقال: "مَعَاذَ الله ، ما بذلك بَعثني "، فَنَزلت هذه الآية ، قاله ابن عباس. والثاني أنَّ رَجلًا قال للنبيِّ ﷺ : ألا نَسجد لك ؟ ، قال : " لا ، فإنَّه لا يَنبغي أن يُسجَد لأحدٍ مِن دُون الله " ، فَنَزلت هذه الآية ، قاله الحسن البصري. والثالث أنها نزلت في نصارى نَجْران ، حيث عَبدوا عيسى ، قاله الضَّحاك ومقاتل . وفِيمَن عنى بِ " البشر " قَوْلان : أحدهما محمد ﷺ ، والكتاب القرآن ، قاله ابن عباس وعطاء. والثاني عيسى ، والكتاب الإنجيل ، قاله الضَّحاك ومقاتل)) اهـ .

والجديرُ بالذِّكر أن ثبات الأنبياء ليس بذكائهم وجُهودهم الشخصية وإمكانياتهم الذاتية ، وإنما هو بتوفيق الله وهدايته وتَثبيته ، وهو فضلٌ إلهيٌّ على الأنبياء ، وتكرُّم وإنعام عليهم . والخِطابُ الإلهيُّ للنبيِّ ﷺ في غاية الوضوح والبيان : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عِمران : ١٢٨] .

وإكمالًا لسلسلة الإرهاب اليهوديِّ المُوجَّه ضِد الآخرين لإخفاء أصواتهم ، ومَنع ظُهور الحق، تجيء الحَلْقة المفقودة وهي السِّجن . والسِّجنُ عالَم مُستقل بذاته لا ينتمي إلى الدنيا . إنه منفى يُهدَف منه إجبار الإنسان على التَّقوقع على نفْسه وانكماشه، وعدم امتداد أفكاره إلى الآخرين ، وبالتالي ، يختفي التأثير في الأتباع ، وينهار القلب والروح والجسد. والسِّجْنُ خُروجٌ مِن سَعَة الدنيا إلى ضِيقها . وقد قال أحدُهم وهو في السِّجْن :

خَرَجْنا عَن الدُّنيا وَعَن وَصْلِ أهْلِها	فَلَسْنَا مِن الأحياءِ وَلَسْنا مِن الموتى
إذا جاءنا السَّجَّانُ يَوْمًا لحاجةٍ	عَجِبْنَا وَقُلْنا : جَاءَ هذا مِن الدُّنيا

وفي [أعمال الرُّسل ٥ : ١٧ و١٨] : ((إلا أن رئيسَ الكَهَنة وجماعته المُنتمين إلى مذهب الصَّدُّوقيِّين مَلأتهم الغَيرةُ مِن الرُّسل ، فقبضوا عليهم وألقَوهُم في السِّجْن العام)) .

قلوبُ اليهود مليئة بالحسد والحِقد والغَيرة وكراهية ظُهور الحق ، وهذا دَفع رئيس الكَهَنة وجماعته إلى القَبض على الرُّسل (تلاميذ المسيح) وإلقائهم في السِّجْن ، لمنع انتشار دَعوة المسيح، وإرهاب الناس وإخافتهم،وفصل تلاميذ المسيح عنهم. وبالتالي، يظل الناسُ خاضعين لاستغلال زعماء اليهود وهَيمنتهم بلا تغيير، ولا أحد يُرشدهم إلى الحق،ولا أحد يَفتح عُيونهم على الحقيقة.وهذا الإرهاب اليهودي يَرْمي إلى تكريس الظلم والاضطهاد واستعباد الشعب بلا نكير.

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِم طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَهُم وَبِصَدِّهِم عَن سَبِيلِ اللهِ كَثِيرًا ﴾ [النِّساء : ١٦٠] .

يُخبِر اللهُ تعالى عن اليهود الذين ظَلموا أنفسهم، وارتكبوا الذنوبَ الجسيمة ، فتمَّ تحريم طيبات كانت حلالًا لهم كعقوبة وإجراء رادع . فقد حُرِموا الرزقَ الحلال بسبب غرقهم في المعاصي دون التفكير في التوبة والرجوع إلى الله تعالى . وكانوا كُلما ارتكبوا معصيةً ، عُوقِبُوا بتحريم شيء مِمَّا أُحِلَّ لهم . فالذنوبُ تُوصِد الأبوابَ أمام الإنسان ، وتجعل حياته محصورةً في زاوية ضيقة خانقة ، لا مكان فيها للتحرر والانطلاق، فتضيق عليه الأرضُ بما رَحُبت ، وينكمش صدرُه بحيث يصبح غير قادر على استيعاب الخير واحتضان المعروف . وهذه هي بداية النهاية المشتملة على الانكسار الكُلي الذي يضرب الفكر الإنساني ، فيجعل من المرء شبحًا لا وزن له ، وكائنًا مسخًا بلا هُوية ، لا يَعرف مسارَه، ولا يُدرِك مصيرَه . والمعاصي التي ارتكبها اليهودُ كانت سببًا في تحريم الطيبات التي كانت حلالًا لهم ، وذلك عقوبةً لهم على انحرافهم العَقَدي ، وسوءِ أخلاقهم . وهذا يدل على دور الذنوب في تحريم الحلال ، وسلبِ التوفيق ، وتحطيم الحياة .

وفي الآية، تَمَّ تقديم الظلم على التحريم ، لأن الظلم هو سبب التحريم ، وهو أصل المشكلة. و﴿ فَبِظُلْمٍ ﴾ للسَّببية ، والتنكير للتعظيم. أي : فبسبب ظُلْمٍ عظيمٍ ارتكبوه ، حَرَّمْنا عليهم طَيِّباتٍ كانت حلالًا لهم ، وليس بسبب آخَر . وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٧٧٧) : ((وهذا التحريم قد يكون قَدَرِيًّا ، بمعنى أنه تعالى قَيَّضهم لأن تأوَّلوا في كتابهم ، وحرَّفوا ، وبدَّلوا أشياء كانت حلالًا لهم ، فحرَّموها على أنفسهم تشديدًا مِنهم على أنفسهم ، وتضييقًا وتَنَطُّعًا. ويُحتمَل أن يكون شَرْعِيًّا ، بمعنى أنه تعالى حرَّم عليهم في التوراة أشياء كانت حلالًا لهم قبل ذلك)) اهـ .

وقال الطبري في تفسيره (٤/ ٣٦٢) : ((يعني بذلك جَلَّ ثناؤه : فَحَرَّمْنا على اليهود الذين نَقضوا ميثاقهم الذي وَاثَقوا ربهم ، وكفروا بآيات الله ، وقتلوا أنبياءهم، وقالوا البُهتان على مريم ، وفعلوا ما وصفهم الله في كتابه ، طَيِّبَاتٍ مِن المآكِل وغَيرها ، كانت لهم حلالًا ، عُقوبةً لهم بِظُلمهم الذي أخبرَ اللهُ عنه في كتابه)) اهـ .

﴿ وَبِصَدِّهِم عَن سَبِيلِ اللهِ كَثِيرًا ﴾ . وبمنعهم كثيرًا مِن الناس عن اعتناق الإسلام والدُّخول فيه. لقد ضَلُّوا في أنفسهم ، وأضَلُّوا غَيْرَهم ، وصَدُّوا أنفسَهم وغَيْرَهم عن اتِّباع الحق . وهذه عادة اليهود في كُل زمان ومكان . وقال الطبري في تفسيره (٤/ ٣٦٢) : ((يعني : وبِصَدِّهم عِبادَ الله عن دِينه وسُبُله التي شرعها لعباده صَدًّا كثيرًا . وكان صَدُّهم عن سبيل الله بقولهم على الله الباطل

وادِّعائهم أن ذلك عن الله، وتبديلهم كتاب الله، وتحريف معانيه عن وُجوهه، وكان من عظيم ذلك: جُحودهم نُبُوَّة نَبِيِّنا محمد ﷺ، وتَركهم بيان ما قد عَلِموا مِن أمره لِمَن جَهِلَ أمْرَه من الناس)) اهـ .

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٧٧٧) : ((أي : صَدُّوا الناسَ ، وصَدُّوا أنفسهم عن اتِّباع الحق، وهذه سَجِيَّة لهم ، مُتَّصفون بها مِن قديم الدَّهْر وحديثه ، ولهذا كانوا أعداء الرُّسُل ، وقَتلوا خَلْقًا من الأنبياء ، وكذَّبوا عيسى ومحمدًا ، صلوات الله وسلامه عليهما)) اهـ .

ومِن أسوأ جرائم اليهود، قيامهم بدسِّ السُّم للنبيِّ محمد ﷺ ، مُحاولين وأد الدعوة الإسلامية، كي يظل الناس في ظُلمات الكُفر والجهل ، يعبدون أهواءهم وأصنامَهم ، ويَظل العربُ أُلعوبة وأُضحوكة، واليهودُ والنصارى يَلعبون بهم . ويبقى أهل الكتاب يُحرِّفون كلام الله دون أن يَفضحهم أحد، والمُشركون يعبدون الأصنام ويأكلونها عندما يجوعون ، أو يبيعونها عندما يُصيبهم الفقر . وقد كان عربُ الجاهلية تائهين في ظُلمات الكفر والجهل ، فأنقذهم اللهُ بِخَاتَم أنبيائه محمد ﷺ . ولكن اليهود حَسدوه ، وكرهوا ظُهور الحق على يَدَيه ، فأعلنوا الحربَ عليه ، وحاولوا إنهاء الدَّعوة المُحمَّدية الإسلامية عن طريق اغتيال صاحبها ورافع لوائها النبيِّ محمدﷺ. ولكنهم فشلوا وخابوا.

في صحيح البخاري (٣/ ١١٥٦): قال رسول الله ﷺ مُخَاطِبًا اليهود الذين لا أمان لهم : ((هل جعلتم في هذه الشَّاةِ سُمًّا ؟)) ، قالوا : نَعَم ، قال: ((ما حَمَلكم على ذلك ؟))، قالوا : أردنا إنْ كُنتَ كاذبًا نستريح مِنك ، وإنْ كُنتَ نبيًّا لم يَضُرَّك .

إن التصفية الجسدية عن طريق السُّم أسلوب يهودي شهير ، لأن دَس السُّم يستلزم معنى الخفاء والدهاء والمكر والتخطيط السِّري ، وهذه صفات راسخة في العقلية اليهودية ، ومُتماهية مع الحقد الأعمى، وكراهية ظهور الحق ، وحِياكة المؤامرات بعيدًا عن الأضواء والضَّجةِ الإعلامية.

واليهودُ ــ في كل مراحل وجودهم ــ يَعتمدون على سياسة الاغتيال والتصفية الجسدية ، وذلك من أجل إخفاء الحق ، وطَمْسِ الحقيقة . فهُم يَفتقدون إلى الأدلة المُقنِعة والحُجَج الدامغة، لذلك يَلْجَؤون إلى الحروب السِّرية والمؤامرات الخَفِيَّة . ويعتمد اليهودُ تاريخيًّا على مبدأ الاغتيال بالسُّم كطريقة فعَّالة وسِرِّية وبعيدة عن الأنظار والضجيج الإعلاميِّ . وهذه الطريقةُ المُستترة يتمُّ التخطيط لها في الخفاء ، وتُنفَّذ بصمت وهدوء دُون إثارة شُكوك أو شُبهات . لذلك يُفضِّلها اليهودُ على غَيرها مِن طُرق القتل وأساليب الاغتيال .

لقد وَضَعَ اليهودُ في الشاة سُمًّا لعِلْمهم أن النبيَّ ﷺ سَيُقْدِم على أكلها. وهكذا يتخلصون منه ــ حَسَب رؤيتهم القاصرة ــ ، وتنتهي الدعوة المُحمَّدية الإسلامية إلى الأبد، ويَغيب النُّورُ الإلهيُّ

بلا رَجعة . وهكذا ، يسير اليهودُ على هواهم ، ويُحافظون على مصالحهم ومناصبهم ، ويَغرقون في ظُلمات الكفر والضلال والعِناد بلا نكير ولا مُعارَضة ، ويُضِلُّون الآخرين ، ويصدُّونهم عَن الحق . والأمرُ الذي لم يَخطر على بال اليهود هو أن الله أرسلَ محمدًا ﷺ ، وتكفَّلَ برعايته وحمايته . وما كانَ الله لِيَتْرك محمدًا ﷺ في هذه الحرب القذرة وحيدًا . لقد عَصَمَه اللهُ مِن الأذى ، وأعلمه بوجود السُّم . وقد اعترف اليهود علانيةً بوضع السُّم ، لكنهم قدَّموا تبريرًا واهيًا لعملهم الدَّنيء . فقالوا : " أردنا إنْ كُنتَ كاذبًا نستريح مِنك ، وإنْ كُنتَ نبيًّا لم يَضُرَّك " . وهذا مُنتهى الغرور والتكبُّر والاستعلاء والعَنجهية . فقد كان بإمكانهم أن يَعتذروا ، أو يَعترفوا بخطئهم ، ويَطلبوا السَّماحَ والصَّفحَ . لكنهم تَمَادَوا في غَيِّهم ، وأصَرُّوا على باطلهم وعنادهم . والكُفرُ عِناد .

إن اليهود كانوا مُتأكِّدين مِن صِحَّة نُبُوَّة محمد ﷺ ، وأنه رسول الله حقًّا وصِدْقًا ، لذلك حاربوه بشتَّى الوسائل . ولو كان كاذبًا لَتَركوه وشأنه . وكُلُّنا يَعْلم أن مُسَيْلمة الكذَّاب ادَّعى النُّبُوَّة، فلماذا لم يُحاول اليهودُ اغتيالَه ليرتاحوا منه ويتخلَّصوا مِن دَعوته ؟ . إن اليهود يُريدون طَمْسَ نُور الحق ، وليس طَمْس ظُلمات الباطل . إنهم أعداء النُّور ، وعُشَّاق الظُّلُمات .

واللهُ يَعْصِم رَسُولَه مِن كُل سُوء ، ويُطْلِعه على بَعض الغَيْبِيَّات في أوقات مُحدَّدة ، من أجل أن يأخذ الحِيطة والحَذر ، ويَعرف حقيقةَ الناس الذين يتعامل معهم .

وعن أنس أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فَجِيءَ بها إلى رسول الله ﷺ، فسألها عن ذلك، فقالت: أردتُ لأقتلك ، قال: ((ما كان اللهُ لِيُسَلِّطَكِ على ذاك)) [١٧٤].

في هذا دَلالةٌ واضحة على عِصمة النبيِّ ﷺ ، فهو محفوظٌ بأمر الله من الناس . كما أن هذه الحادثة تدل على صِدْق نُبُوَّة محمد ﷺ ، فإن السُّم القاتل لم يُؤثِّر فيه ، وقد أعلمه اللهُ تعالى بوجود السُّم. وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٤/ ١٧٩): ((فيه بيان عِصمته ﷺ من الناس كُلِّهم ... وهي مُعجِزة لرسول الله ﷺ في سلامته مِن السُّم المُهلِك لغَيْره، وفي إعلام الله تعالى له بأنها مسمومة)) اهـ . إن جُهود اليهود الحثيثة ومحاولاتهم المُتكررة لقتل النبيِّ ﷺ نابعة من الحقد الشديد على الدعوة الإسلامية، فهُم يُحاولون خَنْقَها في مَهْدها لكنهم فشلوا . ومع هذا

---

١٧٤ متفق عليه . واللفظ لمسلم (٤/ ١٧٢١) برقم (٢١٩٠).والبخاري(٢/ ٩٢٣)برقم (٢٤٧٤). اسم المرأة اليهودية (زَينب بنت الحارث) أخت مَرْحَب اليهودي الذي قُتِلَ يوم خَيْبَر. وقِيل : قُتِلَ أيضًا أبوها الحارث ، وعَمُّها بشار ، وأخوها زُبَير ، وزَوْجها سَلام بن مِشْكَم (أحد كِبار أحبار اليهود) .

استمروا في حياكة المؤامرات بكل نشاط،مِمَّا يدل على قَسوة قلوبهم وغرقهم في مُستنقع الجرائم والآثام. وركَّز اليهودُ جُهودَهم على قتل النبيِّ ﷺ لمعرفتهم أنه حاملُ لواء الإسلام ورأسُ المسلمين، وإذا سقط الرأسُ سقط الجسدُ بالكامل. وهذا ما كانوا يطمحون إليه، لكن الله تعالى عصمه من شرِّهم.واختاروا الاغتيالَ بالسُّم لعِلْمهم أنها طريقة فعَّالة وخَفِيَّة ، بعيدة عن الأنظار، ولا تُثير الانتباه ولا الشُّكوك . واليهودُ مَعروفون بحِياكة المؤامرات خَلْف الأبواب المُغلَقة ، عبر مراحل التاريخ المختلفة. وهُم يَعْملون في الخَفاء لاقتناعهم أن الذي يعمل في السِّر أقْدَر على إنجاز عمله بكفاءة ودُون تشويش ولا ضجيج.لكنَّ كَيدهم رُدَّ في نُحُورهم، وفشلوا في إنهاء الدَّعوة الإسلامية.

وفي صحيح البخاري (٤/ ١٦١١) : قالت عائشة _ رضي الله عنها _ : كان النبيُّ ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه : ((يا عائشة ، ما أزالُ أجِدُ ألَمَ الطعام الذي أكلتُ بخَيْبَر ، فهذا أوانُ وَجَدْتُ انقطاعَ أَبْهَري مِن ذلك السُّم)) .

كان النبيُّ ﷺ يشعر بآثار السُّم، ويُعاني من ألم الطعام المَسموم الذي أكله بخَيْبَر . ومن شِدَّة السُّم كان النبيُّ ﷺ يَحُسُّ أن أَبْهَرَه (الشِّريان الرئيسي الذي يَحمل الدم إلى القلب) سينقطع. وهذا الشِّريان إذا انقطع مات الإنسان بسبب عدم وصول الدم إلى القلب. وهذا الصبر يدل على رباطة جأش النبيِّ ﷺ في الشدائد ، كما تدل هذه المُعاناة على الحِقد اليهوديِّ الأعمى ، فقد اختارت المرأةُ اليهوديةُ المُجرِمة أشدَّ أنواع السُّموم فَتْكًا . وقد انضمَّ للنبيِّ ﷺ مَعَ النُّبُوَّة درجة الشَّهادة أيضًا . فهو نبيٌّ وشهيد . وقال البغوي في تفسيره (١/ ٣٠٦): ((وكان المسلمون يَرَوْنَ أن رسول الله ﷺ مات شهيدًا مَعَ ما أكرمه اللهُ مِن النُّبُوَّة)) اهـ .

هذه المؤامرةُ الدنيئة تعكس حجمَ الانهيار في العقلية اليهودية المُجرِمة الظلامية الرافضة للنُّور، والتي تُحاول وأد الدَّعوة الإسلامية ، والقضاء على المسيرة النبوية ، باستخدام كل الإمكانيات اليهودية المعنوية والمادية. ﴿ ويأبى اللهُ إلا أن يُتم نُورَه ﴾[التَّوْبة : ٣٢].

واليهودُ مَشهورون باستخدام وسائل الإرهاب والترهيب ، ومَعروفون بانتهاج أساليب التَّرويع والتَّخويف والتعذيب لحماية وُجودهم ونفوذهم ضِد أي تهديد مُحْتَمَل .

وفي [الرسالة الثانية إلى كُورنثُوس ١١: ٢٤] قال بُولُس : ((مِن اليهود تَلَقَّيْتُ الجَلْدَ خَمس مَرَّات ، كُلَّ مَرَّةٍ أربعين جَلْدة إلا واحدة)) .

هذا دليل واضح على إرهاب اليهود ضِد بُولُس الذي يَعتبره النصارى خليفةً للمسيح ورمزًا للتَّبشير المسيحي . واليهودُ لا يَملكون ثقافة الحوار وتقديم الأدلة ، لذلك يعتمدون على العنف .

سابعًا : الاستهزاء والسُّخرية

الاستهزاء والسُّخرية هُما النظر إلى الآخرين على أنهم درجة ثانية في المجتمع سواءٌ كان ذلك تصريحًا أم تلميحًا ، وهُمَا مَحمودان في بعض المواضع ، إلا أنهما مذمومان في أغلب الأحيان .

والهدف مِنهما هو تحطيم الآخَر وتدميره حتى يتهاوى كيانه النَّفْسي فينهار كُلِّيًّا . وهما أسلوبان ناجعان إذا كانا للرد على أعداء الله مِن الكفار والمنافقين ، وقد يُستخدمان لإشعار بعض الأطراف المُخْطِئة بذنْبها .

وقد أوردهما القُرْآنُ للرد الحازم على الأعداء . قالَ اللهُ تعالى : ﴿ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِم وَيَمُدُّهُم فِي طُغيَانِهِم يَعمَهُون ﴾ [البقرة : ١٥] [١٧٥] .

إن اللهَ تعالى يُجازيهم على استهزائهم ، فَيُنْزِل بهم جَزاءَ استهزائهم وسُخريتهم . ويُغرقهم في طغيانهم ، ويُمهلهم ، حتى إذا أَخذهم لم يُفْلِتْهم .

---

١٧٥ تُشير الآيةُ إلى مفهوم الْمُشَاكَلَة اللغوية(الْمُقَابَلَة في الألفاظ)،وهذا المفهوم مُعْتَمَد عند عُلماء اللغة. قال ابن حِجَّة الحموي في خِزانة الأدب (٢/ ٢٥٢) : ((الْمُشَاكَلَةُ في اللغة هي الْمُمَاثَلَة . والذي تَحَرَّر في المصطلَح عند علماء هذا الفن أن المشاكَلة هي ذِكْرُ الشيء بغَيْر لفظه ، لوقوعه في صُحبته)) اهـ .
قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَمَكَروا وَمَكَرَ اللهُ ﴾ [آل عِمران : ٥٤]. لا يَجوز القول إن اللهَ ماكرٌ يَمْكر بعباده، ويُريد إضلالهم . فالمكرُ مِن الله هو استدراج العبد، وأخذه بَغتةً مِن حَيْثُ لا يَدري. وفي تفسير القرطبي(٤/٩٩):((قال الزَّجاج: مَكْرُ الله مُجازاته على مَكْرهم ، فَسَمَّى الجزاءَ باسم الابتداء)) اهـ .
وكما في قَوْل الشاعر :

ألا لا يَجْهَلَنْ أحدٌ عَلَيْنا   فنجهل فَوْقَ جَهلِ الجاهلينا

وهنا تبرز المشاكَلةُ اللفظيةُ . فالمعروفُ أن التصدي للجهل ليس جَهْلًا ، وإنما هو عَيْن الحزم . كما أن العاقل لا يَفتخر بالجهل . وما وجودُ هذه الألفاظ في كلام الشاعر إلا من باب المشاكَلة . وقد قال القرطبي في تفسيره (١/ ٢٥٣) : ((فَسَمَّى انتصاره جَهْلًا ، والجهلُ لا يَفتخر به ذو عقل ، وإنما قاله ليزدوج الكلامُ فيكون أخف على اللسان من المخالَفة بينهما . وكانت العربُ إذا وضعوا لفظًا بإزاء لفظ جوابًا له وجزاءً ، ذَكَروه بمثل لفظه وإن كان مُخالِفًا له في معناه)) اهـ .

قال القرطبي في تفسيره (١/ ٢٥٣): ((﴿ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِم ﴾ ، أي : ينتقم مِنهم ، ويُعاقبهم، ويَسخر بهم، ويُجازيهم على استهزائهم ، فَسَمَّى العُقوبة باسم الذَّنْب ، هذا قول الجمهور من العلماء)) اهـ .

والحربُ بين الإيمان والكفر تتطلب أحيانًا أساليب هُجومية شديدة ، لتصغير الأعداء وتدميرهم ، وتحطيم معنوياتهم ، وسَحْق أنفسهم المُتعجرفة المُتعفِّنة ، تمهيدًا لإعلان هزيمتهم والانتصار عليهم . فالنبيُّ نُوح ﷺ رَدَّ على الكُفار مِن قومه باستخدام أساليب تحطيم نَفْسي قوية كما جاء في قَوله تعالى: ﴿ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُم كَمَا تَسْخَرُون ﴾ [هُود : ٣٨] .

ومعناه : إن تستجهلونا فإنا نستجهلكم كما تستجهلونا . وأنتم الجُهَّال الضَّالُّون لا نَحْن .

وفي بعض الأوقات تكون السُّخرية من أفراد مُخطئين ، ولكنهم لَيْسوا أعداء .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ الذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالذِينَ لا يَجِدُونَ إلا جُهْدَهُم فَيَسْخَرُونَ مِنهُم سَخِرَ اللهُ مِنهُم وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التَّوبة : ٧٩] .

أمَّا سبب نزول هذه الآية ، فعن ابن مسعود _ رضي الله عنه _ قال : ((لَمَّا نَزَلَتْ آيةُ الصَّدقة كُنَّا نُحَامِل ، فجاء رَجُلٌ فتصدَّقَ بشيء كثير، فقالوا : مُرائي، وجاء رَجل فتصدق بِصَاع، فقالوا : إنَّ اللهَ لغنيٌّ عن صاع هذا . فَنَزلت : ﴿ الذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالذِينَ لا يَجِدُونَ إلا جُهْدَهُم ﴾ _ الآية _)) [١٧٦] .

والسُّخريةُ حِينَ تأتي في سياقها الصحيح ، تكون دليلًا على القُوَّة وعُلُوِّ المكانة . وعندما تنطلق بدافع الهوى والتَّعَصُّب للباطل تكون دليلًا على الإفلاس ، وعدم امتلاك الأدلة والبراهين .

والمحاولات الحثيثة للسُّخرية من صاحب الحق ، هي انعكاس للأهواء الذاتية والمصالح الشخصية . ففي [مَتَّى ٢٧ : ٤١] : ((وسَخِرَ منه أيضًا رُؤساءُ الكَهَنةِ والكَتَبَةُ والشُّيوخُ)) .

سَخِرَ زُعماء اليهود مِن المسيح ، واستهزؤوا بِه ، لعجزهم عَن مُواجهته بالأدلة النقلية والبراهين العقلية ، وفشلوا في التَّصَدِّي له باستخدام أسلوب مُقارَعة الحُجَّة بالحُجَّة . ولو امتلكوا الحُجَّةَ الدامغة لقدَّموها أمام الجميع ، وأقنعوهم بالحوار والحُجج والبراهين ، ولكنهم عَمَدُوا إلى السُّخرية والاستهزاء ، لتغطية انكسارهم أمام الحقيقة ، وإخفاءِ أزمتهم الفكرية وانحطاط مستواهم العقلي

---

١٧٦ رواه البخاري (٢ / ٥١٣) برقم (١٣٤٩) واللفظ له ، ومسلم (٢ / ٧٠٦)برقم (١٠١٨).
(نُحامِل) : نَحْمل على ظُهورنا بالأُجرة لاكتساب ما نتصدَّق به . (يَلْمزون) : يَعيبون .

تحت ستار السُّخرية والتشويش على الحق والضجيج المُفْتَعَل . ومَن يَصرخ وينشر الفوضى والضجيج ، ويُطلِق الشِّعارات المُضلِّلة كفارغ البندق، ويَعتنق الجَعْجَعَة بلا طَحْن منهجَ حياة ، يريد أن يُخفيَ قُبح صوته الحقيقي وضعفه الذاتي وانهياره النَّفْسي ، لئلا تنكشف حقيقة أمره .

واليهودُ حريصون على السُّخرية مِن الآخرين ، ومُتمسِّكون بأسلوب الاستهزاء بِهم . وهُم في الحقيقة يَسخرون مِن أنفسهم ، ويُهينونها ، وما يَشْعرون . وقد ضيَّعوا دُنياهم وآخرتهم معًا . وعلى أهلها تَجْني بَرَاقِش .

وفي [مَرْقُس ١٥ : ٣١] : ((كذلك كان رؤساءُ الكَهَنة أيضًا يَسخرون مِنهُ مَعَ الكَتَبة)) .

يَعتقد زعماءُ اليهود أن سُخريتهم من المسيح سَتُحطِّم معنوياته ، وتُوقِف نشاطه الدَّعوي . وهي _ في الواقع _ لا تزيده إلا إصرارًا على الحق ، وتصميمًا على مُواصلة الدَّعوة . وقد جرَّب اليهودُ كل الوسائل لإجهاض دعوة المسيح ﷺ ، واستخدموا العنف الماديِّ القائم على المال والجنود والأسلحة ، كما استخدموا العنفَ اللفظي والحرب النفسية المُتمثِّلة في نشر الإشاعات والأكاذيب والاتهامات والسُّخرية والاستهزاء ، ولكن بلا فائدة ولا جَدْوى .

كناطحٍ صَخرةً يَوْمًا لِيُوهِنَها فَلَم يَضِرْها وأَوْهَى قَرْنَهُ الوَعِلُ

((وكان الفَرِّيسيُّون أيضًا، وهُم مُحِبُّون للمال، يَسمعون ذلك كُلَّه،فاستهزأوا به))[لُوقا ١٦: ١٤].

إن علماء اليهود الضَّالين يَعشقون المالَ ، ويَحرصون على جَمْعه بكل الوسائل ، المشروعة وغير المشروعة . وهُم يأكلون الدنيا بالدِّين ، ويُوظِّفون التَّوراةَ المُحرَّفة لجمع حُطام الدنيا الفاني ، وتحقيق مصالح شخصية ، والسيطرة على الجُهَّال والعوام والأتباع واستغلالهم وسرقتهم باسم الله . واللهُ بريء مِن ذلك . وقد كذبوا على الله ، وتلاعبوا بنصوص التَّوراة ، وسَخِرُوا مِن المسيح ، وهو عبد الله ورسوله . ودِينُ اليهود قائم على اللعب واللهو والسُّخرية والاستهزاء والمكر والخداع .

والنصُّ الإنجيلي يُوضِّح أن علماء اليهود كانوا يَقومون بأفعالهم الدنيئة من أجل المال والنفوذ والحفاظ على المناصب والرئاسة والزعامة . وعبارة " وهُم مُحِبُّون للمال " تعني أن المال هدفهم الأسمى وغايتهم العُليا، وكل أعمالهم إنما هي لتحصيل أكبر قَدْر من المال للسيطرة على الناس، وتجميع الأَتْبَاع ، والهَيمنة على مُمتلكاتهم ، وتكريس عُبوديتهم للزعماء والرؤساء . واليهودُ معروفون بتقديس المال وحُب الدُّنيا. وإذا كان علماءُ اليهود الضَّالُّون بهذه الصفات القبيحة ، فما بالك بالعوام والجُهَّال ؟.وحُب المال غريزة إنسانية، وكُل الناس يُحِبُّون المال، ولكنه وسيلة لدعم مسيرة الحق ، وتنفيذ مشاريع الخير ، ومُساعدة الناس ، والنهوض بالمجتمع ، وتحريك عَجَلة

الاقتصاد لبناء الحضارة الإنسانية وإعمار الأرض وتحقيق مفهوم خلافة الله في الأرض . وليس المالُ غايةً بحد ذاته . ويجب أن يكون المالُ في يد الإنسان ، وليس في قلبه . ومالُ الدنيا في الدنيا ، والكَفَنُ ليس له جُيوب . والهدف مِن وجود الإنسان على الأرض هو عبادة الله وَحْدَه ، وليس عبادة المال وتقديسه ، وجمع حُطام الدنيا الفاني . ومشكلة اليهود أنهم يَعبدون المالَ ويُقدِّسونه ، لأنهم يَعتبرونه القُوَّة الضاربة ، والضمانة الأكيدة للسيطرة على المجتمعات الإنسانية .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ المَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنيا وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكَهْف : ٤٦] .

هذه الزِّينة الشكلية يُوظِّفها الناسُ للتفاخر فيما بينهم في هذه الدنيا الفانية . ووجودها لا يدل على منزلة العبد عند الله تعالى،لأن مِعيار الأفضلية التقوى، والتقوى مكانها القلب،وهي التي تجعل للعبد مكانةً عند الله تعالى.وفي صحيح مسلم(٤/ ١٩٨٦): عن أبي هريرة_ رضي الله عنه_ قال: قال رسول الله ﷺ:((إن الله لا ينظر إلى صُوَرِكم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)).

ومِن غرائب اليهود وسخافة عقولهم وسُخريتهم واستهزائهم ، ما رواه ابن مسعود _ رضي الله عنه_ قال : جاء حَبْر _ عَالِم يهوديٌّ _ إلى رسول الله ﷺ فقال : يا مُحمَّد ، إنَّ اللهَ يضع السماء على إصبع ، والأرض على إصبع ، والجبال على إصبع ، والشجر والأنهار على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، ثم يقول بيده : أنا المَلِك ، فضحك رسول الله ، وقال: ((﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾)) [الزُّمَر: ٦٧] [١٧٧] .

---

١٧٧ متفق عليه.واللفظ للبخاري(٦/ ٢٧١٢)برقم(٧٠١٣).ومسلم(٤/ ٢١٤٧)برقم (٢٧٨٦). وفي بعض الألفاظ التي وردت في البخاري(٤/ ١٨١٢)برقم (٤٥٣٣): ((فضحك النبيُّ ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحَبْر)) . ولفظة " تصديقًا " هي مِن تصرُّف الرُّواة ، وهي مَردودة بشكل قاطع لأنها تُعارض العقيدة الإسلامية التي تُنَزِّه الخالق تعالى عن مُشابهة مخلوقاته . واليهود غارقون في التشبيه والتجسيم . وضحكُ النبيِّ ﷺ كان بسبب قِلَّة عقل اليهوديِّ وغرقه في الاستهزاء سواءٌ كان مقصودًا أم غير مقصود ، وعدم معرفته بربِّه تعالى ، وتأثره بعقائد التجسيم الموجودة في نصوص اليهود الدينية.لذلك تلا النبيُّ ﷺ الآية : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ . وفي فتح الباري (١٣/ ٣٩٨) : ((وأمَّا من زاد "وتصديقًا له" فليست بشيء ، فإنها مِن قول الراوي وهي باطلة لأن النبيَّ ﷺ لا يُصَدِّقُ الْمُحَال ، وهذه الأوصاف في حق الله مُحال. إذ لو كان ذا يد وأصابع وجوارح كان كواحد مِنَّا)) .

وسُخريةُ اليهود مِن الأوامر الإلهية دفعتهم إلى لَوْيِ أعناقِ النُّصوص ، وتحريف الكلام الذي أُمِرُوا بِقَوْله . وهذا يدل سُخريتهم مِن الدِّين ، واستهزائهم بأوامر الله ، وعدم الانصياع لها .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وادْخُلوا البابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُم خَطَايَاكُم ﴾[البقرة : ٥٨] .

أمرَ اللهُ بني إسرائيل أن يَدخلوا بابًا مِن أبواب بيت المقدس ، وكان لها سبعة أبواب ، خاضعين لله ، مُتواضعين له ، وساجدين له شُكْرًا على إخراجهم مِن التِّيه ، وإنقاذهم مِنه ، ويقولوا : حُط عنَّا خطايانا . أي إن الله أمرهم بالاستغفار ، كَي يَتُوب عليهم ، ويَغفِر لهم ذُنوبهم وآثامهم وخطاياهم . والغَفْرُ هُوَ السَّتْر . والمغفرةُ تَستر الذنوب وتُخفيها .

وهذا أمرٌ إلهيٌّ بأن يَطلبوا مِن الله تعالى أن يَحُطَّ عنهم آثامهم ، ويتضرَّعوا إليه مُخلِصين بقلوب مُنكسرة . وهذا الانكسار أمام الله تعالى هو طريق غُفران خطاياهم . فلا بُد من الخضوع لله تعالى ، كخطوة أساسية في طريق نَيل المغفرة . ولا يمكن الدخول في الرحمة الإلهية بدون الخضوع والانكسار والاستسلام لله تعالى . وينبغي تذكُّر أن الإسلام _ الدِّين الوحيد المقبول عند الله ودِين جميع الأنبياء _ يعني الاستسلام والانصياع والخُضوع لله وَحْدَه . واللهُ أرحم بالعباد مِن أُمَّهاتهم . وقد أراد _ سُبحانَه _ أن يُرشد بني إسرائيل ويغفر لهم خطاياهم رحمةً بهم، وإنقاذًا لهم من العقوبة والعذاب. لكنهم رَفضوا هذا الكَرَمَ الإلهيَّ، وجَعلوا كَلامَ الله في موضع السُّخرية والاستهزاء . وقد أمرهم اللهُ تعالى بالاستغفار، وأن يدعوا اللهَ تعالى بأن يَحُطَّ عَنهم خطاياهم . فما كان منهم إلا أن سَخِروا بهذا الأمر الإلهيِّ ، واستهزؤوا به .

وقال الواحدي في الوجيز (١/ ١٠٧) : ((وذلك أنهم أصابوا خطيئةً بإبائهم على موسى عليه السلام دخول القرية ، فأراد اللهُ تعالى أن يغفرها لهم فقال لهم : قولوا : حِطَّة ، أي : مسألتنا حِطَّة ، وهو أن تَحُطَّ عنَّا ذنوبنا)) اهـ .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٨٥) : ((قَوله تعالى : ﴿ وادْخُلوا البابَ ﴾ ، قال ابن عباس: وهو أحد أبواب بيت المقدس، وهو يُدعَى باب حِطَّة. وقَوله: ﴿ سُجَّدًا ﴾ أي: رُكَّعًا . قال وَهْب : أُمِرُوا بالسُّجود شُكْرًا لله تعالى إذْ رَدَّهم إليها . وفي معنى : ﴿ حِطَّةٌ ﴾ ثلاثة أقوال : أحدها أن معناه استغفِروا ، قاله ابن عباس ووَهْب . قال ابن قُتَيبة : وهي كلمة أُمِرُوا أن يَقولوها في معنى الاستغفار ، مِن حَطَطْت أي حُطَّ عنَّا ذُنوبنا . والثاني أن معناها قولوا هذا الأمر حق كما قيل لكم ، ذكَره الضَّحاك عن ابن عباس . والثالث أن معناها لا إله إلا الله ، قاله عِكرمة . قال ابن جرير الطبري : فيكون المعنى : قولوا الذي يَحُطُّ عنكم خطاياكم ، وهو قول لا إله إلا الله)) .

إن بني إسرائيل أصحاب قلوب صَخْرية شديدة القَسْوة . وهُم يعتمدون على العناد، والتحايل، ولَوْي أعناق النصوص . لذلك كَثُرَ الأنبياءُ فِيهم من أجل إرشادهم ، وتوجيههم ، والأخذ بأيديهم إلى النُّور الإلهيِّ . وحيث يكون الداءُ ، يَظهر الأطباءُ حاملين الدواء .

وقد رفضوا أمرَ موسى ﷺ القاضي بدخول بيت المقدس، وأعاقوا سَيْرَ دَعوة مُوسى الإسلامية. وأرادَ اللهُ أن يتجاوز عنهم رحمةً بهم ، وتفضُّلًا عليهم ، وإكرامًا للنبيِّ مُوسى ﷺ ، فأرشدهم اللهُ إلى طريق التَّوبة والمغفرة ، وأمرهم أن يَطلبوا مِن الله تعالى أن يَحُطَّ عنهم ذُنوبهم ليعودوا أنقياء .

ولكنهم رفضوا الأمرَ الإلهيَّ الذي فيه مصلحتهم ، وأَقْحَمُوا السُّخريةَ والاستهزاءَ في كلامهم. وهذا يُشير إلى قسوة قلوبهم، ورفضهم للمِنَح الإلهية التي تجيء لمُساعدتهم. فلم يقولوا : حِطَّة ، بل غيَّروا الكلامَ إمعانًا في الاستهزاء بأمر الله ، والسُّخرية مِن كلامه .

وعن أبي هريرة _ رضي الله عنه _ أن رسول الله ﷺ قال : ((قِيل لبني إسرائيل : ﴿ ادخلوا الباب سُجَّدًا وقولوا حِطَّة نغفر لكم خطاياكم ﴾، فَبَدَّلوا ، فدخلوا يَزْحَفُون على أَسْتَاهِهِم ، وقالوا : حَبَّة في شَعْرة)) [١٧٨] .

في هذا دَلالة واضحة على موقفهم المُسبق الرافض للحق ، والقائم على السُّخرية مِن أمر الله، والاستهزاء بكلامه وإرشاداته . وهُم لم يَفتحوا قلوبَهم لِتَلَقِّي الرحمة الإلهية ، لذلك عَمَدُوا إلى السُّخرية والاستهزاء (سلاح الضعيف الضَّال) . وبنو إسرائيل الغارقون في الذنوب والمعاصي والآثام ، أصحاب القلوب القاسية ، والطِّباع الخشنة ، والصفات السَّيئة ، لَم يَكتفوا بمُخالفة أمر موسى ﷺ، بل خالفوا الأمرَ الإلهيَّ أيضًا ، وسَخِرُوا منه . وهذا يدل على نظرة استعلائية مَمزوجة بالغُرور والعناد والاستكبار وسُوء الأخلاق وخُبث الضمائر . وعبارتهم " حَبَّة في شَعْرة " ليس لها معنى ، وإنما قالوها سُخريةً واستهزاءً ، ورَفْضًا لأمر الله تعالى .

سَقَطَ بنو إسرائيل في السُّخرية والاستهزاء والعِناد والوقاحة . وقد جاءتهم مِنحَة إلهية لغُفران ذُنوبهم رحمةً بهم ، وتفضُّلًا عليهم ، ولكنهم رَفضوها ، وأبَوْا إلا أن يكونوا أعداءً لله تعالى ، فضيَّعوا النِّعمةَ ، وحَوَّلوها إلى نِقْمة عليهم ، بعد تحريف الكلام ، وتغليفه بالاستهزاء اليهوديِّ .

---

١٧٨ متفق عليه . البخاري (١٧٠١/٤) برقم (٤٣٦٥) ، ومسلم (٢٣١٢/٤) برقم (٣٠١٥) .
قال النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٨/ ١٥٢) : ((يزحفون على أَستاههم ، جمع إِسْت ، وهي الدُّبُر)) . وقال ابن هشام في السيرة النبوية (٧٠/٣):((وتبديلهم ذلك مِن قَوْله استهزاء بأمره)).

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ فَبَدَّلَ الذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الذي قِيلَ لَهُم فَأنزَلْنا عَلى الذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُون ﴾ [البقرة : ٥٩] .

إن بني إسرائيل يتلاعبون بالكلام خُضوعًا لأهوائهم الشخصية ورغباتهم الدنيئة . وهُم لا يحترمون الكلام الإلهيَّ، ولا يُقدِّسون أوامرَ الله . وعقولُهم القاصرة تقودهم إلى الذنوب والآثام والعقوبة والعذاب . ولَدَيهم قناعة ثابتة بأن الغاية تُبرِّر الوسيلة ، وأن عليهم اتخاذ كُل الوسائل والإجراءات القذرة ، لتحقيق أحلامهم الآثمة ، والحفاظ على مصالحهم الشخصية الدنيئة .

غيَّر بنو إسرائيل الذين ظَلموا أنفسَهم بالذنوب والمعاصي ، قَوْلًا غير الذي أَمَرَهم اللهُ أن يَقولوه ، وقالوا شيئًا آخَر ، استخفافًا بأمر الله تعالى ، وسُخريةً مِن كلامه ، واستهزاءً به . حيث إنهم قالوا : حَبَّة في شَعْرة ، فأنزلَ اللهُ عليهم عذابًا شديدًا مِن السماء ، وأرسلَ عليهم الطاعون الذي قَتَلَ مِنهم في ساعة واحدة سبعين ألفًا أو أقل ، بسبب تمرُّدهم على أمر الله ، ومعصيته ، وعدم طاعته . وهذه العقوبة الشديدة جَزاء فِسْقهم بتغيير الكلمة التي أُمِرُوا بِقَوْلها . وهذا يدل على خُطورة الابتداع في الدِّين . وتغييرُ كلمة كان سببًا في هلاكهم ، فكيفَ بِمَن حرَّف الكُتب السماوية ، أو بدَّل صِفات الله تعالى ؟! .

واللهُ لَم يقل : فأنزَلْنا عليهم ، وإنما قالَ : ﴿ فَأنزَلْنا عَلى الذِينَ ظَلَمُوا ﴾ . ووضعُ المُظهَر مَوضع المُضمَر ، لتعظيم الأمر عليهم ، وبيان شَناعة فِعْلهم ، وقُبح صنيعهم .

وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٣٢٩):((﴿ فَبَدَّلَ الذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الذي قِيلَ لَهُم ﴾ بدَّلوا بما أُمِرُوا به مِن التَّوبة والاستغفار ، بطلب ما يَشتهون مِن أعراض الدنيا ﴿ فَأنزَلْنا عَلى الذِينَ ظَلَمُوا ﴾ ، كرَّره مُبالغة في تقبيح أمرهم ، وإشعارًا بأن الإنزال عليهم لِظُلمهم بوَضْع غير المأمور به موضعه ، أو على أنفسهم بأن تركوا ما يُوجب نجاتها إلى ما يُوجب هلاكها ﴿ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُون ﴾ عذابًا مِن السماء بسبب فِسْقهم ، والرِّجْز في الأصل : ما يُعَاف عنه ، وكذلك الرِّجْس . والمُراد به الطاعون ، رُوِيَ أنه مات في ساعة أربعة وعشرون ألفًا)) اهـ .

وعن ابن عباس ــ رضي اللهُ عنهما ــ : ﴿ وادْخُلوا البابَ سُجَّدًا ﴾ ، قال : ((بابًا ضَيِّقًا)) . قال: ((رُكَّعًا)) . ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ . قال : ((مغفرة ، فقالوا : حِنطة ، ودخلوا على أسْتَاهِهِم ، فذلك قَوله تعالى : ﴿ فَبَدَّلَ الذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الذي قِيلَ لَهُم ﴾)) [١٧٩] .

---

١٧٩ رواه الحاكم في المستدرك (٢ / ٢٨٨) برقم (٣٠٤٠) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

وعن عبد الله بن مسعود _ رضي الله عنه _ قال : ((إن أصحاب العِجْل قالوا : هطا سقماثا أزبه مزبا ، بالعربية : حِنطة حمراء قوية فيها شَعْرة سَوْداء ، فذلك قوله _ عَزَّ وَجَلَّ _ : ﴿ فَبَدَّلَ الذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الذِي قِيلَ لَهُم ﴾)) [١٨٠] **.**

قال القرطبي في تفسيره (١٦/ ١٣٨) مُوَضِّحًا معنى ﴿ رِجْزًا ﴾ : ((أي عذابًا ، وقِيل : الرِّجز القَذَر ، مِثْل الرِّجْس)) اهـ . لقد أرسلَ اللهُ الطاعونَ إلى بني إسرائيل عذابًا وعُقوبةً لهم ، بسبب سُلوكهم السَّيئ ، وخُروجهم عن طاعة الله إلى معصيته . وفي الحديث : ((الطاعون رِجْز أو عذاب أُرسِل على بني إسرائيل)) [سَبَق تخريجه] . أمَّا القَذَر فَيَعْتقد البعضُ أنه دَم الحَيْض ، مُستدلين على ذلك بما أورده البخاري مُعَلَّقًا ودُون تسمية قائله : ((كان أول ما أُرسِل الحَيْضُ على بني إسرائيل)) [١٨١] **. والبخاري الذي نقل هذه المقولة ، رَدَّها بالحديث الصحيح . فقد قالت عائشة _ رضي اللهُ عنها_ : خَرَجْنا لا نرى إلا الحَجَّ ، فلمَّا كُنَّا بِسَرِف _ اسم مَوْضع _ حِضْتُ ، فَدَخَلَ عليَّ رسولُ الله ﷺ وأنا أبكي. قال : ((ما لَكِ أَنَفِسْتِ ؟)) ، قلتُ : نعم ، قال : ((إنَّ هذا أمرٌ كتبه الله على بنات آدم))** [١٨٢] **.**

والحديث يُبيِّن أن الحَيْض مكتوب على بنات آدم ﷺ كُلِّهن ، أي قبل مجيء بني إسرائيل . ونساءُ بني إسرائيل لَسْنَ مَخصوصات بالحَيْض دُون سائر النساء . والحَيْضُ ليس عُقوبةً .

وبسبب ذُنوب بني إسرائيل وآثامهم ومعاصيهم وعنادهم وتمرُّدهم وضلالهم ، تَمَّ التشديد عليهم ومُعاقبتهم، وتحميلهم تكاليف شاقة وقاسية.وقال القرطبي في تفسيره (١/ ٤٢٩) مُتَحَدِّثًا عن بني إسرائيل : ((فكان مَن أذنبَ ذَنْبًا أصبح على بابه مكتوب : عَمِلْتَ كذا ، وكَفَّارته قَطْع عُضْو مِن أعضائك، يُسَمِّيه له، ومن أصابه بَوْل لم يَطْهُرْ حتى يَقْرِضَه، ويُزيل جِلْدَتَه مِن بَدَنه)) اهـ.

---

١٨٠ رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٢) برقم (٣٢٥٢) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي.

١٨١ أورد هذه المقولة البخاري في صحيحه (١ / ١١٣) . وقال الحافظ في الفتح (١/ ٢٥٦) : ((قائل ذلك هو ابن مسعود ، رواه ابن أبي شَيبة)) .

١٨٢ متفق عليه.واللفظ للبخاري(١ / ١١٣)برقم(٢٩٠).ومسلم(٢ / ٨٧٠) برقم (١٢١١). وقال الحافظ في الفتح (١/ ٤٠٣): ((قال الخطابي : أصل هذه الكلمة _ يقصد أَنَفِسْتِ_ مِن النَّفْس وهو الدم ، إلا أنهم فرَّقوا بين بناء الفِعل مِن الحيض والنِّفاس ، فقالوا : في الحيض نَفست بفتح النون ، وفي الولادة بضَمِّها)) .

وهذه عقوبات مفروضة على بني إسرائيل بسبب قَسوة قلوبهم ، وأعمالهم السَّيئة . وينبغي مُقارَنة هذه العقوبات الشديدة بمنهجية الاستغفار في الإسلام : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رحِيمًا ﴾[النِّساء : ١١٠] .

إن بني إسرائيل يستحقون العذاب الشديد والعقوبات القاسية والإجراءات الحازمة ، لأنهم اختاروا الضلالَ على الهدى ، وغرقوا في الذنوب والمعاصي عَمْدًا . ولَم يَقْبَلوا الشريعة ، بل سَعَوْا إلى التحايل عليها، والتلاعب بالنصوص الدينية، وتحريفها . فكانت النتيجة أن تضاعفت التكاليفُ الشاقة عليهم بسبب قلوبهم الفاسدة ، وأقوالهم السَّيئة، وأفعالهم الدنيئة، ورفض أوامر الله تعالى .

والمُحاولات الحثيثة لِلَوْيِ أعناق النصوص الدينية ، والتحايل عليها ، والالتفاف حَوْلها ، تدل على نِيَّة فاسدة مُبَيَّتة، وضلال مُتَعَمَّد، وعِناد مُتجذِّر. والإنسانُ إذا ظَلَمَ نَفْسَه بالذنوب والمعاصي، سيدفع ثمن أخطائه وخطاياه غاليًا ، ويَخسر دُنياه وآخرته معًا . وقد لا تأتيه الفرصة للتصحيح .

وعن أبي موسى الأشعريِّ عن النبيِّ ﷺ قال : ((إن بني إسرائيل كان إذا أصاب أحدَهم البَوْلُ قَرَضَه بالمِقْراض)) [١٨٣] . لقد ظلموا أنفسَهم ، وتمرَّدوا على أوامر الله ، واختاروا الضلال والمعاصي،فشدَّد اللهُ عليهم عُقوبةً لهم، وضيَّق عليهم،فصارت حياتهم عذابًا دائمًا وعِقَابًا مُستمرًّا.

كان بنو إسرائيل إذا أصابَ أحدَهم البَولُ ، قَطَعَ الجزءَ الذي أصابته النجاسةُ ، سواءٌ مِن جِلْده أو ثَوبه ، ولا يُقبَل مِنه أن يُطهِّره بالماء . وهذا التشديد عليهم بسبب عِنادهم ، وقَسوة قلوبهم ، وخُشونة طِباعهم . والجزاءُ مِن جِنس العمل .

وفي [مَتَّى ٥ : ٢٩ و٣٠] قال المسيح : ((فإن كانت عَيْنُكَ اليُمنى فَخًّا لك، فاقلَعْها وارمِها عَنك ، فخيرٌ لك أن تَفقِد عُضوًا من أعضائك ولا يُطرَحَ جَسَدُك كُلُّه في جهنم ! وإن كانت يدك اليمنى فخًّا فاقطعها وارمِها عَنك، فخيرٌ لك أن تَفقِد عُضوًا من أعضائك ولا يُطرَحَ جَسَدُك كُلُّه في جهنم !)) اهـ . إن الموت ذهابٌ بلا رَجعة . إمَّا الخلود في الجنة أو الخلود في النار، ولا تُوجد فرصة أُخرى . والطاعةُ هي العِز ، أمَّا المعصية فهي الذُّل الذي يلازم المَرْءَ فيُحيل حياته جحيمًا لا يُطاق . والغارقُ في الذُّنوب عَبْدٌ مخذول أهانه اللهُ تعالى بأن جعل الخطايا ثَوْبَه في الليل والنهار. ﴿ وَمَن يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُكْرِمٍ ﴾ [الحَج : ١٨] . ويجب على الإنسان أن يُطهِّر نَفْسَه مِن الذنوب قبل الموت . ومَن عاشَ على شَيء مَات عليه ، ومَن مات على شَيء بُعِثَ عليه.

١٨٣ رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٢٨) برقم (٥٩٦٤) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

ثامنًا : قلوب قاسية

قَسْوةُ القلوب هي البيئة المُلَوَّثة التي ينبثق عنها أفراد شاذُّون عن المسار الحضاري البشري . والقلوبُ القاسية مُتماهية مع انتكاسة الفِطرة الإنسانية . وعلى الجهة المُقابلة ، إن القلوب الحَيَّة وَحْدَها المُناسبة لاحتضان العِلْم والإيمان والحق والأخلاق الحميدة .

وإذا استحوذت القَسْوةُ على القلب ، وسَيطرت عليه ، فهذا يعني أن الإنسان قد ماتَ في الحياة . وهذه المرحلة الكارثية يكون فيها الإنسان قد شَطَبَ اسْمَه مِن سِجِل الحياة ، غير أنه ما زال يتحرَّك مِثل كُل الوحوش في الأدغال . وبذلك ، يكون الإنسانُ قد حوَّل قَلْبَه (السِّر الربانيَّ واللطيفة الإلهية) إلى مُجرَّد آلة ميكانيكية لضخ الدم _ لا أكثر _ ، والسبب في ذلك يعود إلى ذُنوب الإنسان وآثامه وخطاياه التي تكدَّست على القلب ، وطَمَسَتْ نُورَه . وكُلُّ ذَنْب لا يُغسَل بماء التَّوبة ، سيُصبح نقطةً سَوداء في القلب ، وعقبةً في طريق الإنسان إلى الله تعالى .

واللهُ تعالى يَطْبَع على قلوب الكافرين والفاسقين والضَّالِّين ، بأن يُغلِق كُلَّ المنافذ التي تُفضي إلى العَالَم الخارجي، فينكمش القلب ويتخندق حَوْل نفْسه ، ولا يَستطيع الاندفاعَ والانطلاقَ نَحْو النُّور، لأنه خالٍ مِن نُور الإيمان . والجنديُّ الذي لا يَملك سلاحًا ، يخاف أن يَذهب إلى المعركة.

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الذِينَ لا يَعْلَمُون ﴾ [الرُّوم : ٥٩] .

يَطْبع اللهُ على قلوب الذين لا يَمْلكون العِلْمَ النافع الذي يَنْتشلهم من الباطل ، ويَقودهم إلى الحق . وهدايةُ اللهِ المُقدَّسةُ لا تَهْبط في قلب قاسٍ أو قَذِر . يجب أن يكون لها مكان طاهر يَلِيق بها ، مِن حَيث النظافة والقداسة . وليس كُل شخص يَحصل على المِنحة الرَّبانية المتمثلة في الهداية. والإيمانُ شرف لا يَمنحه اللهُ إلا لأشخاص مُحدَّدين.والقلبُ المُزدحم بالشوائب والأوساخ لا تصله هدايةُ الله مُطْلَقًا . ﴿ كَلا بَل رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم ما كَانُوا يَكْسِبُون ﴾ [المُطَفِّفِين : ١٤] .

والرَّانُ الغِشاوة ، وهو الصَّدأ على الشَّيء الصقيل . والذنوبُ إذا توالت على القلب البشريِّ أغلقته ، وحاصرته من كل الجهات . فيصبح القلبُ مختومًا عليه ، لا يَدخله الإيمان ، ولا يَخرج منه الكفر . والذَّنْبُ وراء الذَّنْب عُقوبة إلهية ، ويؤدِّي إلى إحاطة القلب بغشاء سميك يَحجب عنه نور الحق ، فيصبح القلبُ أعمى ، لا يَعرف معروفًا ، ولا يُنكِر مُنكَرًا . ويجب على الإنسان أن يُحافظ على نظافة قلبه وطهارته ، ويُتبع كُل ذَنْب بِتَوبة صادقة سريعة بلا تأخير ولا تَسويف . والتَّوبةُ المُستمرةُ هي الضمانة الأكيدة للمُحافظة على نظافة القلب ، وتهيئته لاستقبال نُور الحق .

وعن أبي هريرة ــ رضي اللهُ عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال : ((إن المؤمن إذا أذنبَ ذَنْبًا كانت نُكتةٌ سَوداءُ في قَلْبه ، فإن تابَ و نَزَعَ واستغفرَ سُقِلَ مِنها قَلْبُه ، وإن زاد زادت ، حتى يَغْلَقَ بها قلبُه،فذلك الرَّان الذي ذَكَرَ اللهُ في كتابه : ﴿ كَلا بَل رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم ما كَانُوا يَكْسِبُون ﴾)) [١٨٤] .

هذا الأمرُ جِد لا هَزْل . وينبغي أن يُراقب الإنسانُ قَلْبَه ويتعهَّده بالرعاية والعناية والنظافة والطهارة . وينبغي أن يكون الإنسان أهْلًا للهداية حتى يَستحقها ويَفوز بها . وعندما يَنتظر الإنسانُ ضَيْفًا عزيزًا كريمًا ذا مكانة اجتماعية مرموقة ، فإنه يقوم بترتيب مَنزله ، وتجهيز غرفة الجلوس وتنظيفها وتنسيقها ، كي يَرتاح الضَّيف ، ويستمتع بالزيارة ، ويبقى لأطول وقت مُمكن ، فما بالك بالهداية والتوفيق الإلهيِّ ؟! .

وفي [مَتَّى ٧ : ٦] قال المسيح : ((لا تُعطُوا ما هُوَ مُقدَّسٌ للكلاب، ولا تَطرَحُوا جَواهِرَكُم أمامَ الخنازير ، لكي لا تَدوسَها بأرجُلِها وتَنقلبَ عليكم فَتُمَزِّقكم)) .

إن الجواهر لا تُعطَى لِمَن لا يَستحقون . واللهُ لا يَمنح الهدايةَ لأصحاب القلوب القاسية القذرة . ويجب أن يكون الإنسانُ شريفًا طاهرًا نقيًّا حتى يَستحق الحصول على الهداية والتوفيق .

إن المُومِس لم تعرف فضيلة الشَّرف لذلك ضَيَّعَتْه. واللص لم يعرف فضيلة الأمانة لذلك خانها . والطاغية لم يعرف ضَوء العدل لذلك حاربه. والزوجةُ الخائنة لم تعرف قيمة المحبة لذلك أهملتْ زَوجها.والعَالِمُ الفاسدُ لم يَعرف طهارة العِلْم لذلك اتخذه سُلَّمًا لتحقيق مصالحه الشخصية. واليهودُ لم يَعرفوا اللهَ تعالى لذلك رفضوا أوامره ، وتمرَّدوا ، واختاروا الكُفرَ والضلال والعِناد. وفي [مَتَّى ٦ : ١٩و٢٠و٢١] قال المسيحُ:((لا تَكنِزوا لكم كُنوزًا على الأرض ، حيث يُفسِدها السُّوسُ والصدأ،ويَنقُب عنها اللصوصُ ويَسرقون.بَل اكنِزوا لكم كُنوزًا في السماء، حيث لا يُفسِدها سُوس ولا يَنقُب عنها لصوص ولا يَسرقون . فحيث يكون كَنزُك هناك أيضًا قلبُك !)) .

إن الدنيا زائلة بكل ما فيها ، والآخرة هي الدار الباقية . والعاقلُ يَستثمر مِن أجل البقاء لا الفناء . ولو كانت الدنيا مِن ذَهَب ، والآخرة مِن حَديد ، لَفَضَّلَ العاقلُ الآخرةَ على الدنيا ، لأن الحديد الباقي أفضل مِن الذهب الفاني . فما بالك والدنيا هي الدار الحقيرة الفانية والآخرة هي الدار العظيمة الباقية ؟! . ولكن المشكلة أن الدُّنيا تَخدع الإنسانَ ، وتُوهمه ، وتَغُرُّه ، فيسقط في فَخِّها القاتل ، ويَغرق في مُستنقعها الآسِن . وفي أحيان كثيرة ، لا يَجِد الغريقُ طَوْقَ النَّجاة .

---

١٨٤ رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٦٢) برقم (٣٩٠٨) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

حيث يكون عملُك الصالح تكون حياتُك الحقيقية وقلبُك الحَي المُفعَم بنُور الإيمان والسعادة الأبدية.ومَن يَكنِز الكُنوزَ في الدنيا الفانية كَمَن يَحرُث في البحر ، ويَستثمر في الفراغ والعَدَم، وهو مِثْل شخص مَعصوب العينين يسير إلى حَافَة الجبل . وبالتأكيد ، ستكون النهاية مأساوية وكارثية ، لأنه مَنَحَ جُهده للشيطان مَجَّانًا، والأموال التي جَمَعَها ، ويَظُنُّ أنها سَتُنْقِذه وتَحْميه ، صارت سبب شقائه وهلاكه، بسبب احتلالها لقلبه، وتحوُّلها إلى غاية بحد ذاتها. ورُبَّ امرئ حَتْفه فيما تمنَّاه. والمال في اليد ذُخْرٌ وسند، والمالُ في القلب بؤس وشقاء. وكفى بالعمل الصالح فَخْرًا أنه يَحرسك وأنتَ نائم أو مستيقظ، في حين أن المال تَحْرسه في يقظتك ، ويُفسِد عليك نَوْمَك .

وعن النُّعمان بن بشير قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: ((ألا وإنَّ في الجسد مُضْغَةً ، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسدُ كُلُّه ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسدُ كُلُّه ، ألا وهي القَلْب)) [١٨٥] .

والمُضْغَة هي القطعة مِن اللحم . سُمِّيت بذلك لأنها تُمضَغ في الفم لصغرها . والقلبُ جُزء صغير بالمساحة بالنسبة إلى باقي الجسد ، ولكن تأثيره كبير جِدًّا . فالقلبُ مَلِك الأعضاء ، وزعيمها ، وصلاح الجسد وفساده تابعان للقلب . وإذا صَلَحَ القلبُ صَلَحَ باقي الجسد ، وإذا فَسَدَ القلبُ فَسَدَ باقي الجسد . وهذا يدل على الأهمية الكُبرى للقلب (السِّر الإلهيِّ) .

قال النووي في شرحه على صحيح مسلم (١١/ ٢٩) : ((واحتُج بهذا الحديث على أن العقل في القلب، لا في الرأس، وفيه خِلاف مشهور. مذهب أصحابنا _ يقصد السادة الشافعية _ وجماهير المُتكلِّمين أنه في القلب)) اهـ .

والحق أن العقل في القلب ، وليس في الرأس . والأدلةُ القُرآنية تُثبِت ذلك . قالَ اللهُ تعالى : ﴿ أَفَلَم يَسِيرُوا فِي الأرْضِ فَتَكُونَ لَهُم قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ [الحج : ٤٦] . وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ لَهُم قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٧٩] . وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ [ق : ٣٧] .

إن كل الناس لَدَيهم قلوب (المِضَخَّات العُضوية التي تَضُخُّ الدم) ، لكن الآيات الشريفة يُسْتَنْتَج منها أن هناك أشخاصًا بلا قُلوب، وآخرين لَدَيْهم قُلوب . وهذا يَجعل معنى القلب العَقْل. وأغلبُ المُفسِّرين ذهبوا إلى هذا المعنى. والعاقلُ هو الجامع لأموره ، العارف بما يَنفعه وما يَضُرُّه، الذي يَلتزم أوامرَ الله وطاعته،لأنه فيها نَجَاته ونعيمه،ويَبتعد عَن معصيته ، لأنها فيها هلاكه وعذابه.

١٨٥ متفق عليه . البخاري (١/ ٢٨) برقم (٥٢) ، ومسلم (٣/ ١٢١٩) برقم (١٥٩٩).

وقال الحافظ في الفتح (١/ ١٢٩): ((وعبَّر عنه _ يعني عن العقل _ بالقلب لأنه مَحَل استقراره)) اهـ . وقال ابن منظور في لسان العرب (١١/ ٤٥٨) : ((والعَقْلُ التَّثَبُّت في الأمور ، والعَقْلُ القَلْبُ ، والقَلْبُ العَقْلُ . وسُمِّيَ العَقْلُ عَقْلًا ، لأَنه يَعْقِل صاحبَه عن التَّوَرُّط في المَهالِك ، أَي يَحْبِسه . وقِيل : العَقْلُ هو التمييز الذي به يتميَّز الإنسان من سائر الحيوان)) اهـ .

إن القلب القاسي فاسد بالضرورة ، مِمَّا يُؤثِّر سَلْبًا على القُدرة العقلية . وهذا جعل قرارات اليهود أصحاب القلوب الصخرية كارثية وجُنونية . ومُؤامراتُ اليهود القذرة ، وأقوالهم السَّيئة ، وأفعالهم الدنيئة ، كُلُّها تُشير إلى غرقهم في الكفر والضلال والعناد والاستكبار والسُّخرية والاستهزاء. مِمَّا يدل على أن قلوبهم قاسية وفاسدة، لا مكان فيها للرحمة والحق والعِلم والإيمان.

واليهودُ بعيدون كُل البُعد عن الطريق المستقيم . وقد اختاروا الكُفرَ والضلال والانحراف بكل عِناد وتكبُّر وإصرار وتَعَمُّد . ولم يكونوا أشخاصًا جاهلين أو غير مُتعلِّمين أو مساكين . وصارُ الضلال صِفة مُميِّزة لليهود في كل مُراحل وجودهم الذي لم تستفد منه الإنسانيةُ شيئًاً ! . واليهودُ لم يتركوا حضارةً تدلُّ عليهم، ولم يَتركوا آثارًا عمرانية تَشهد على إبداعهم ودَورهم في إعمار الأرض. إن اليهود عِبْء على الحضارة ، ونُقطة سَوداء في تاريخ الإنسانية . ومَن يَعتقد أن لليهود حضارة ، فَلْيُرْشِدْنا إلى آثارِ هذه الحضارة ومعالمها الفكرية والعمرانية والروحية والمادية ، كَي نتعرَّف عليها ، ونَستفيد مِنها ! . وبشكل عام ، إن العَقْل السليم في القَلْب السليم ، وفاقد الشَّيء لا يُعطيه . ونُورُ الله لا يُعَطى للعُصَاة ، وهدايته لا تُمنَح لأصحاب القلوب القاسية الفاسدة .

قالَ اللهُ تعالى:﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[البقرة: ٧٤].

هذا توبيخٌ لليهود (بني إسرائيل) ، وتَقريع لهم، بسبب قَسوة قلوبهم، وغِلْظة طِباعهم، وخُبث نُفوسهم ، وسُوء أخلاقهم . إن قلوبهم خالية مِن الرحمة والخُشوع ، لأنها قاسية ويابسة ، لا تَعرف الاستجابةَ لأوامر الله ، ولا الخضوع له. وكثرةُ الذُّنوب جَعلتْ قُلوبَ اليهود كالحجارة التي لا تَلِين. ولا يُمكن للإنسان أن يُنفِّذ أوامرَ الله ، ويَقْبَل آياته ، إلا إذا كان صاحب قلب رقيق لَيِّن .

وقُلوبُ بني إسرائيل في الشِّدة والقَسوة والغِلْظة كالحجارة ، بَل هي أشد قَسوة .

وحتى الحجارةُ تَسْتحي أن تصل إلى مُستوى قَسوة قلوب اليهود ، لأن الجمادات تخشى اللهَ تعالى ، وتَعلم أنه خالقها وصانعها ، وكُلُّ شيء يُسبِّح اللهَ تعالى بطريقة يَجْهلها البشرُ ولا يَفْهمونها. قال القرطبي في تفسيره (١/ ٥٠٠):((القَسْوة: الصلابة والشِّدة واليَبَس، وهي عبارة عن خُلُوِّها من الإنابة والإذعان لآيات الله تعالى . قال أبو العالية وقتادة وغيرهما : المراد قلوب جميع بني

إسرائيل)) اهـ . وفي الدُّر المنثور (١/ ١٩٧) عن قَتادة قال : ((مِن بعد ما أراهم اللهُ من إحياء الموتى ، ومِن بعد ما أراهم من أمر القتيل ، فهي كالحجارة أو أشد قَسوة ، ثُمَّ عَذَرَ اللهُ الحجارة ، ولم يَعذِر شَقِيَّ ابن آدم ، ...)) اهـ .

وَصَلَ اليهودُ إلى الهاوية السحيقة ، وأهلَكوا أنفسَهم بأنفسهم ، لأنهم رَفضوا أوامر الله ، وتمرَّدوا على شريعته، وخاضوا في الذنوب والمعاصي والآثام عِنادًا وتكبُّرًا واستهانةً بأمر الله تعالى.

واليهودُ معروفون بالعِناد والحِقد وقَسوة القلوب ، وقلوبُهم خالية مِن الرحمة واللين والخُشوع والعِلم والإيمان ، ولا مكان فيها للحق . واليهودُ تاريخيًّا كانوا قبائل رعوية بدوية ، وجماعات مُشتَّتة ، وأحزاب مُبَعْثَرَة ، وطوائف منبوذة بسبب مَكْرهم وخِيانتهم وأعمالهم السَّيئة .

وعندما صار لليهود دَولة وقُوَّة، استغلُّوا أسلحتهم في قتل الآخرين ، وتدمير مُنجَزات الحضارة البشرية . والعَالَم صامت يُحصِي جرائمَ اليهود دُون أن يُحرِّك ساكنًا . وينبغي على البشرية الاقتداء بالأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ في كيفية التعامل مع اليهود (الذئاب البشرية) . ونحن نَعرِف عنهم ما لا يَعْرِفون عن أنفسهم. والجديرُ بالذِّكر أن أغلب الأنبياء أرسلهم اللهُ إلى بني إسرائيل تحديدًا . وهذا يدل على انحراف بني إسرائيل ، وقَسوة قلوبهم ، وفساد عقائدهم ، وسُوء طِباعهم . وهُم بحاجة إلى مُعلِّمين ومُرشِدين . والمريضُ هو الذي يحتاج إلى الطبيب .

وفي [مَرْقُس ٣ : ٥] : ((فأدارَ يَسوعُ نَظَرَه فيهم غاضبًا وقد تضايقَ مِن تَقسِية قُلوبهم)) .

غَضِبَ المسيحُ مِن اليهود ، وانزعجَ مِنهم بسبب قَسوة قلوبهم وصلابتها ، ورفضها للحق . واليهودُ بَنَوْا عقيدتهم الباطلة على العِناد والتكبُّر ، وكُفرهم قائم على العِلْم لا الجهل . إنهم غَير مؤمنين ، ولَيسوا حريصين على الإيمان ، ولا يَبحثون عن الحق ، ولا يَعرفون معروفًا ، ولا يُنكِرون مُنكَرًا . أخذتهم العِزَّة بالإثم فجحدوا الحق ، وأنكَروا الحقيقةَ ، عِنادًا وتعنُّتًا ، مستندين إلى قلوب حجرية يَخجل البشر الأسوياء أن يَمتلكوها . وقد كذَّب اليهودُ بآيات الله ، ورَفضوا أوامره ، وأنكَروا مُعجِزات الأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ الدَّالة على وَحدانية الله ، وصِدق الأنبياء . وهُم يَغرقون في الكفر والضلال والعِناد . ويتحركون في المجتمع ضائعين تائهين خائفين قَلِقين : ﴿ تَدُورُ أَعيُنُهُم كَالذِي يُغْشَى عَلَيهِ مِنَ المَوْتِ ﴾ [الأحزاب : ١٩] .

وقد استعاذَ النَّبِيُّ ﷺ من القلبِ القاسي لِعِلْمه أن القلب هو مَلِك الأعضاء ، وسيِّد الجوارح ، والركيزة الأساسية في قضية الإيمان والكُفر ، فقال ﷺ : ((اللهُمَّ إنِّي أَعوذُ بِكَ مِن عِلْمٍ لا يَنفعُ ، ومِن قَلْب لا يَخشَع)) [رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٨) برقم (٢٧٢٢)] .

والقلبُ القاسي يَمنع الإنسانَ مِن تلقِّي رحمة الله ، ويَحجبه عن العِلم والإيمان ، والخرابُ المُتجذِّر في أعماق القلب القاسي يُحوِّل الجَمَالَ إلى قُبح ، والهدى إلى ضلال ، والإيمان إلى كُفر ، والسعادة إلى شقاء ، لأن البيئة الفاسدة غير قادرة على احتضان الحق والمعاني الجميلة .

والقلبُ القاسي يَجعل الإنسانَ يَخسر كُلَّ شيء ، ويُضيِّع دُنياه وآخرته ، لأن الوعاء (القلب) الذي خُلِقَ لاستقبال النُّور الإلهيِّ صارَ قاسيًا يابسًا مُتَعَفِّنًا ، عاجزًا عن استقبال الخير والحق والإيمان . والعِطر ذو الرائحة الزكِيَّة لا يُوضَع في حاوية القُمامة المُخصَّصة للنفايات . والجديرُ بالذِّكر أن هناك رحمة إلهية عامَّة تَشمل جَميعَ الناس ، ورحمة إلهية خاصَّة بالمؤمنين وَحْدَهم .

وعن مالك أنه بَلَغه أن عيسى بن مريم _ عليه الصلاة والسلام _ كان يقول : ((لا تُكثِروا الكلام بغير ذِكر الله فتَقْسُوَ قلوبكم ، فإن القلب القاسي بعيد من الله ، ولكن لا تَعْلَمون ، ولا تَنظروا في ذُنوب الناس كأنكم أرباب ، وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد ، فإنما الناس مُبْتَلًى ومُعَافًى ، فارحموا أهل البلاء ، واحْمَدوا الله على العافية)) [١٨٦] .

إن عدم ذِكْر الله يُقسِّي القلبَ ، ويَجعله يابسًا صلبًا خاليًا مِن العِلْم والإيمان ، والقلب القاسي بعيد مِن الله ، وصاحب هذا القلب عبد مَخذول مَتروك لأهوائه وضلاله . وينبغي على الإنسان أن يُشفِق على الناس، خُصوصًا المُذنِبين ، ويَرْحمهم ، ويُساعدهم ، ويُرشِدهم ، ويأمرهم بالمعروف ، ويَنْهاهم عن المُنكَر، ويَكون داعيًا لا قاضيًا . واللهُ وَحْدَه هو الذي يُحَاسِب العبادَ. وصدقَ القائلُ:

ابْغِ للناسِ مِنَ الخَير كما تبغي لِنَفْسِك ... ارْحَم الناسَ جميعًا فَهُم أبناءُ جِنْسِك

وفي [مَرْقُس ١٠ : ٥] قال المسيح مُخَاطِبًا زُعماءَ اليهود : ((بسببِ قَسَاوَةِ قلوبِكم كَتَبَ لكم موسى هذه الوَصِيَّةَ)) .

هذا يُشير إلى دَور قَسوة القلوب في وضع تشريعات دينية خاصة . واليهودُ معروفون بقَسوة القلوب ، وإنسانيتهم المزعومة عِبارة عن قناع خارجي بلا جَوْهر ولا معنى . إنهم يَفتقدون إلى القيم الأخلاقية النبيلة النابعة مِن القلب الرحيم . ولا شَك فيه أن أنبياء بني إسرائيل _ عليهم الصلاة والسلام _ كانوا يتعاملون مع اليهود عَالِمِين بِقَسوة قلوبهم ، وعارفين بطباعهم الخشنة .

---

١٨٦ رواه مالك في المُوطَّأ مُعَلَّقًا(٢/٩٨٦)برقم(١٧٨٤)،وابن أبي شَيبة (٦ /٣٤٠)برقم(٣١٨٧٩)، وهَنَّاد في الزُّهد (٢/ ٥٤٢)برقم(١١٢٢)،وأبو نُعَيم في الحِلية (٦/ ٣٢٨).وله طُرق يَشُدُّ بعضها بعضًا.

وانطلاقًا من هذا المعرفة ، كانت تصدر الأوامر التي تُناسب حالة اليهود السَّيئة . وبعد كُل هذا يَظهر لنا سببُ كثرة الأنبياء الذين أُرسِلوا إلى بني إسرائيل . فعن أبي هريرة_ رضي الله عنه _: أن النبيَّ ﷺقال:((كانت بنو إسرائيل تَسُوسُهم الأنبياءُ، كُلَّما هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ))[سَبَق تخريجه].

هذا مُؤشِّر ذو دَلالة واضحة على الطبيعة القاسية لبني إسرائيل ، الذين لَم يَغِبْ عنهم طِيلة مرحلة وجودهم الأنبياءُ _ عليهم الصلاة والسلام _. وكُلَّما مات نبيٌّ ظَهَرَ نبيٌّ مكانه ، ليقوم بإصلاحهم وتوجيههم . فهُم بحاجة إلى الإرشاد النبويِّ المُكثَّف بسبب ضلالهم وعنادهم . وهنا تتجلَّى الرحمة الإلهية . واللهُ لَم يَتركهم لأهوائهم الباطلة ، ومصالحهم الشخصية الدنيئة ، وأحكامهم العقلية القاصرة ، بل أرسلَ إليهم الأنبياءَ كَي يُنقذوهم مِن ظُلمات الجهل والضلال .

إن بني إسرائيل أكثر أُمَّة في التاريخ عَطَّلَتْ مسيرةَ الإنسان الحُر ، ووَضعتْ في طريقه العَقباتِ من أجل القضاء عليه فكريًّا ، وإبقائه هائمًا تائهًا غارقًا في شهواته وشُبهاته وضلاله . وهي أكثر أُمَّة عاندت الأنبياءَ ، وعَصَتْ أوامرَ الله . واليهودُ مَعروفون بتكذيب آيات الله ، وقتل أنبيائه .

وقَسْوَةُ القلب تَجعل فِطرةَ الإنسان مَنكوسة ، ويتقبَّل الشَّرَّ والفسادَ بلا تردُّد. والطهارةُ القلبية هي خط الدفاع الأوَّل وجهاز المَنَاعة الفعَّال ، تَرُدُّ أيَّ عدوان آثِم على القلب ، وتُقاوِم الأفكارَ الشريرة فَوْرًا . وإذا زالت هذه الطهارة ، زال الجَيشُ الذي يَحمي دَولةَ القلب ، فيصبح الإنسانُ كالبيت المهجور المفتوح للغبار والحشرات ، ويُصبح قلبُ الإنسان وِعَاءً للأوساخ والقاذورات .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ العِجْلَ بِكُفْرِهِم ﴾ [البقرة : ٩٣] .

امتزجَ حُبُّ عِبادة العِجْل بقلوب اليهود ، وتغلغل فيها بحيث استحوذ على مشاعرهم وهواهم وامتلكها ، كما تتداخل الصَّبغةُ مَعَ الثَّوب ، وكما يتغلغل الشراب في أجزاء الإنسان . وحُبُّ الشيء يُعْمِي ويُصِم . وذلك عائدٌ إلى غياب المَناعة المُتمثِّلة في النقاء القلبي والطهارة الروحية ، فانتقلوا إلى جهة الكفر والضلال والعِناد . والقلبُ إن لم يتم مَلْؤُه بالإيمان والطاعات ، فلا بُد أن يَسقط في الكفر والمعاصي . والنَّفْسُ البشرية إن لم يتم تعبئتها بنُور الحق ، سَتَحْرِق صاحبَها بظُلمات الباطل . وهنا لا يمكن الوقوف في المُنتصف ، أو اتخاذ أنصاف الحُلُول . ولا معنى للحِياد حين يتعلق الأمر بالإيمان والكفر، أو الحق والباطل، أو الطاعة والمعصية، أو الجنة والنار.

أُدْخِل حُب العِجْل في قلوب اليهود ، وخالطها ، كما تُخَالِط الصَّبغةُ الثَّوْبَ ، وهذا يدل على شِدَّة الالتصاق ، وقُوَّة المُلازَمة ، بحيث يَستحيل الانفصال والافتراق ، بسبب كُفرهم وضلالهم وعنادهم واستكبارهم، واليهودُ مُجسِّمة، لذلك عَشِقُوا العِجْلَ ، ولَم يَرَوْا جِسْمًا أفضلَ مِنه للعبادة.

وقال الواحدي في الوجيز (١/ ١١٨) : ((وسُقوا حُب العِجْل ، وخُلِطوا بحُب العجل حتى اختلط بهم. والمعنى : حُبِّبَ إليهم العِجل ﴿ بِكُفْرِهِم ﴾ باعتقادهم التشبيه ، لأنهم طَلبوا ما يُتصوَّر في نفوسهم)) اهـ. وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ١١٥):((قَوله تعالى: ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ العِجْلَ﴾ أي: سُقُوا حُب العِجْل،فحذف المُضاف وهو الحب وأقام المُضاف إليه مَقامه)).

والقرآنُ الكريم يُوضِّح ثلاث قضايا في غاية الأهمية :

الأُولَى : إن الطواغيت يَنسخون بعضهم البعض ، ويُعيدون صياغة الأحداث بأسماء جديدة لكن الهدف واحد . والتاريخُ الأسود لشياطين الإنس يُعيد نفْسَه، مِن خلال انبعاثه من نوايا حاقدة لأشخاص يملكون نفْس الحقد مع اختلاف الأزمنة والأمكنة . والطواغيتُ لا يَتعلَّمون مِن التاريخ ، ولا يأخذون مِنه الدروسَ والعِبَرَ . ومَن لم يتعلَّم مِن التاريخ ، مَحكوم عليه بإعادته وتَكرار الأخطاء.

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وقالَ الذينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنا اللهُ أو تأتِينا آيةٌ كَذَلِكَ قالَ الذينَ مِن قَبْلِهِم مِثْلَ قَوْلِهِم تَشَابَهَت قُلُوبُهُم قَد بَيَّنَّا الآياتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُون ﴾ [البقرة : ١١٨] [١٨٧] .

اختلفَ العلماء في المقصود بالذين لا يَعْلَمون . ففي تفسير القرطبي (٢/ ٨٩) : ((قال ابن عباس : هُم اليهود . وقال مجاهد : النصارى ، ورجَّحه الطبري ، لأنهم المذكورون في الآية أوَّلًا . وقال الربيع والسُّدي وقتادة : مُشركو العرب)) اهـ .

أرادوا أن يُكلِّمهم اللهُ تعالى،فَيُخْبِرَهم أنَّ القُرآنَ كلامُه، وأنَّ محمدًا رسولُه، أوْ أن يأتِيَ النبيُّ ﷺ بعلامةٍ دالَّةٍ على صِدْقِه وصِحَّةِ نُبُوَّته . وهذا الطلبُ إنَّما هُوَ بدافع الاستكبار والعِناد والتَّعجيز والسُّخرية وإضاعة الوقت، وَفْقَ تفكيرهم القاصر . وقد وَصَفَهم اللهُ بعدم العِلْمِ لأنَّهم يَجهلون التَّوحيدَ والنُّبُوَّةَ ، أوْ لأنهم لَم يَعملوا بِعِلْمِهم ، فصاروا كالجُهَّال الذين لَم يَعْلَموا أصْلًا .

إن اللهَ تعالى لا يُكلِّم إلا الأنبياءَ والملائكة ، ولا يُكلِّم أعداءه الكفار ، فهذا شَرَفٌ لا يَستحقونه ، ولا يُؤيِّدهم بالمُعجِزات الداعمة لِكُفرهم وكَذِبهم ، وإنَّما يُؤيِّد أنبياءه بالمُعجِزات الداعمة لِصِدْقِهم .

---

١٨٧ في تفسير ابن كثير (١/ ٢٢٣):((قال محمد بن إسحاق : حَدَّثني محمد بن أبي محمد عن عِكرمة أو سعيد بن جُبَير عن ابن عباس قال : قال رافع بن حُرَيملة ــ أحد أحبار اليهود ــ لرسول الله ﷺ : يا محمد، إن كُنتَ رَسولًا مِنَ اللهِ كما تَقول فَقُل للهِ فَيُكلِّمنا حتى نسمعَ كلامَه.فأنزل اللهُ في ذلك مِن قوله : ﴿ وقالَ الذينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنا اللهُ أو تأتِينا آيةٌ ﴾)) .

لقد جاءهم النبيُّ ﷺ بالمُعجِزات ، وعلى رأسها مُعجِزة القُرآنِ الذي تَحَدَّاهم أن يَأتوا بِمِثْلِه ، فَعَجِزُوا . وبما أنَّ محمدًا ﷺ أُمِّيٌّ لا يَقرأ ولا يَكتب ، إذن ، فالقُرآنُ ليس مِن عِنده ، بَل مِن عِند اللهِ تعالى . إنَّ مَصْدَرَ القُرآنِ سماويٌّ لا أرضيٌّ ، لذلك لا يَستطيع الإنسُ والجِنُّ أن يَأتوا بِمِثْلِه ، وكُلُّ شَخص يُحاوِل أن يَتحدَّى القُرآنَ مَحكومٌ بالفشل، وسَوْفَ يَسخر الناسُ مِنه ، ويَفضح نَفْسَه بِنَفْسِه . والوقائعُ التاريخيةُ شَاهدةٌ على هذا الكلام ، إذْ إنَّ كُلَّ الذين حاولوا مُعارَضة القُرآن سَقطوا في الفشل، وصاروا مَثارًا للسُّخرية والاستهزاء، والناسُ يَضحكون عَلَيهم ، ويُورِدُون كلامَهم على سَبيل التَّندُّر والاستهزاء. وقال البَيضاوي في تفسيره (١/ ٣٩٢) : ((﴿ وقالَ الذينَ لا يَعْلَمُون ﴾ أي جَهَلة المشركين أو المُتجاهِلون مِن أهل الكتاب ﴿ لَوْلا يُكَلِّمُنا اللهُ ﴾ هَلَّا يُكلِّمنا اللهُ كما يُكلِّم الملائكةَ ، أو يُوحِي إلَينا بأنَّك رسولُه ﴿ أوْ تأتِينا آيةٌ ﴾ حُجَّة على صِدْقِك . والأول استكبار ، والثاني جُحود)) اهـ .

﴿ كَذَلِكَ قالَ الذينَ مِن قَبْلِهِم مِثْلَ قَوْلِهِم ﴾ . إذا قُلنا إنَّ الذينَ لا يَعلمون هُم مُشركو العرب، فإنَّ الذينَ مِن قَبْلِهم هُم اليهود والنصارى . وإذا قُلنا إنَّ الذين لا يَعلمون هُم اليهود والنصارى ، فإنَّ الذين مِن قَبْلِهم هُم الأُمم السابقة . وإذا قُلنا إنَّ الذين لا يَعلمون هُم النصارى ، فإنَّ الذينَ مِن قَبْلِهم هُم اليهود .

﴿ تَشَابَهَت قُلُوبُهُم ﴾ .كُلُّهم سَائرون في طريق الضلال بلا عِلْمٍ ولا بصيرة. أقوالُهم مُتشابِهة، لأنَّها صادرة عن قلوب نجسة ومُتشابِهة . ولا يُمكِن للأقوال أن تتشابه إلا إذا تشابهت القلوبُ . والكُفْرُ مِلَّةٌ واحدة ، والكفارُ يُقلِّدون بَعْضَهم بَعضًا ، ويَنسخون كلامَ بعضهم على مَر التاريخ ، ويَسرقون أفكارَ بعضهم كَي يَظهروا في صورة المُثقفين والعلماء وقادة الفِكر التَّنويري . تشابهت قلوبُهم في اتِّفاقهم على الكُفر ، كُلُّهم يَعتنقون العِنادَ والوقاحةَ والتَّبجُّح وطلب المُحال ، ولا يَبحثون عن الحق ، ولا يُناقِشون الأفكارَ ، ولا يُقارِعون الحُجَّة بالحُجَّة . والكُفرُ عِناد. وفي الآيةِ تَسليةٌ للنبيِّ ﷺ ، وتَخفيفٌ عَنه ، وتَثبيتٌ له ، ورَفْعٌ لمعنوياته . وقال البَيضاوي في تفسيره (١/ ٣٩٢) : ((﴿ تَشَابَهَت قُلُوبُهُم ﴾ قلوب هؤلاء ومَن قَبْلَهم في العَمى والعِناد)) اهـ .

﴿ قَد بَيَّنَّا الآياتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُون ﴾ . أظهرَ اللهُ الحقَّ ، ووضَّح الأدلةَ على صِدْقِ الرُّسل ، وأقامَ على الناسِ الحُجَّةَ ، وقَطَعَ أعذارَهم ، ولا مَعنى لطلب أسئلةٍ أُخرى ، لأنَّ الأمورَ قَد تَمَّت، وانتهى الأمرُ. ولا عُذر للكافرين في كُفرهم لأنَّ الحقَّ ظاهرٌ أمامَهم.أمَّا العِنادُ فَيَحجب نُورَ الإيمان. والآياتُ ظاهرةٌ للحريصين على اتِّباع الحقِّ ، ولا يَتَّبِعون أهواءهم الذاتية ، ولا يَركضون وراء

مصالحهم الدُّنيوية الشخصية . هؤلاء الذينَ يُوقِنون بآياتِ اللهِ ، ويُصدِّقون كلامَه ، ويَنتفعون بأحكامه. وقلوبُ المؤمنين عامرةٌ باليقين ، يَعلمون حقيقةَ آياتِ اللهِ فَيُؤمنون بِها ، ويَخضعون لها ، ولا يَطلبون آياتٍ أُخرى ، لأنَّ هذا تَعَنُّت وعِناد وإضاعة للوقت . وقال الثعالبي في تفسيره (١/ ١٠٣) : ((وقَوْله تعالى : ﴿ قَد بَيَّنَّا الآياتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُون ﴾ قرينة تقتضي أنَّ اليقين صِفة لِعِلْمِهم ، وقرينة أخرى أنَّ الكلام مَدْحٌ لهم)) اهـ . وقال الواحدي في الوجيز (١/ ١٢٨): ((مَن أيقنَ وَطَلَبَ الحقَّ ، فقد أَتَتْهُ الآياتُ ، لأنَّ القُرآنَ بُرهان شافٍ)) اهـ .

وقال البَيضاوي في تفسيره (١/ ٣٩٢) : ((﴿ قَد بَيَّنَّا الآياتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُون ﴾ أي : يطلبون اليقين ، أو يُوقِنون الحقائقَ ، لا يَعتريهم شُبهة ولا عِناد. وفيه إشارة إلى أنهم _أي الكفار_ ما قالوا ذلك لِخَفاء في الآيات ، أو لطلب مزيد اليقين ، وإنما قالوه عُتُوًّا وعِنادًا)) اهـ .

تشابهت قلوبُهم ، أَشْبَهَ بعضُها بعضًا في الكفر والضلال والعِناد والقَسوة وطلب المُحال .

ورجَّح الطبري بعد أن أورد أقوال الأئمة المختلفة في تأويل ﴿ وَقَالَ الذِينَ لا يَعْلَمُون ﴾ أن المقصود بهم النصارى. وقال الطبري (١/ ٥٥٩) في تفسير ﴿ الذِينَ مِن قَبْلِهِم ﴾: ((هُم اليهود، وسَألتْ مُوسى ﷺ أن يُرِيَهم رَبَّهم جَهْرة ، وأن يُسمِعهم كلامَ ربهم)) اهـ .

إن مذاهب اليهود والنصارى مُختلفة في الكفر ، وكُلٌّ يَكْفر على طريقته، لكن النوايا واحدة، والقلوب المُحركة للأفعال السَّيئة مُتشابِهة رغم اختلاف الأزمنة والأمكنة . والكفرُ مِلَّة واحدة .

والجديرُ بالذِّكر أن الطلب اليهوديَّ برؤية الله تعالى واضح في الآية : ﴿ وَإِذْ قُلْتُم يَا مُوسَى لَن نؤمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتم تَنظُرُون ﴾ [البقرة : ٥٥] .

أصحابُ هذه القِصة هُم السَّبعون المُختارون مِن بني إسرائيل ، للاعتذار عن عبادة العِجْل . وهؤلاء عُلماء بني إسرائيل وصَفْوتهم ، ونُخبة اليهود . وإذا كان العلماءُ يتصرَّفون بهذا الشكل ، فما بالكَ بالعوام ؟!. هذا يُشير بكل وضوح إلى تجذُّر الضلال والعِناد والاستكبار والتَّعَنُّت في نُفوس اليهود ، وقَسوة قلوبهم ، وخُشونة طِباعهم، وسُوء أخلاقهم، وغرقهم في الأخطاء والخطايا . مِمَّا يدل على أن الانحراف في المُجتمع اليهودي هو ثقافة مُجتمعية عامة ، مِن رأس الهرم حتى القاعدة.وهذا الانحرافُ اليهوديُّ ليس حالةً فردية عابرة،بَل هو تيَّار عريض نابع مِن العقل الجَمْعي.

واذكُروا إذْ قُلتم لنبيِّكم : يا مُوسى ، لَن نُصدِّقك ، حتى نرى اللهَ عِيانًا ، ونَنظر إليه بأبصارنا . وهؤلاء السَّبعون أسمعهم مُوسى كلامَ الله، لزيادة إيمانهم ، وتثبيت قلوبهم ، وهذه مُعجِزة إلهية لمُوسى ﷺ تدل على صِدْقه وصِحَّة نُبُوَّته ومكانته العظيمة عند الله تعالى .

لم يَقتنعوا بهذه المُعجِزة ، وَطلبوا رُؤيةَ الله بأبصارهم عِنادًا وتعنُّتًا وتَحَكُّمًا برسولهم مُوسى ﷺ ، وقد اعتقدوا أن الله جِسْم مِثل باقي الأجسام ، يُمكن رُؤيته محصورًا في جِهة أو مُتحَيِّزًا في ناحية، وهذا يدل على سيطرة عقيدة التجسيم والتشبيه على اليهود . وبالتأكيد ، إن الله لا يُمكن رؤيته في الدنيا . والإيمانُ بالأنبياء واجب بعد ظُهور مُعجِزاتهم الإلهية الدَّالة على صِدْقهم ، فأرسلَ اللهُ عليهم نارًا مِن السماء ، فأحرقهم ، وكان بعضُهم ينظر إلى بعض حِين أخذهم الموت. وقال الواحدي في الوجيز (١/ ١٠٦) : ((﴿ وَإِذْ قُلْتُم يَا مُوسَى ﴾ يعني : الذين اختارهم مُوسى عليه السلام ، لِيَعتذروا إلى الله سُبحانَه مِن عِبادة العِجْل ، فلمَّا سمعوا كلامَ الله تعالى ، وفَرَغَ مُوسى مِن مُناجاة الله عَزَّ وَجَلَّ ، قالوا له : ﴿ لَن نؤمِنَ لَكَ ﴾ لن نُصدِّقك ﴿ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً ﴾ أي : عِيانًا لا يَسْتره عنَّا شَيء ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ ﴾ وهي نار جاءت من السماء فأحرقتهم جميعًا ﴿ وَأَنتم تَنظُرُون ﴾ إليها حين نزلت ، وإنما أخذتهم الصاعقةُ لأنهم امتنعوا من الإيمان بموسى عليه السلام بعد ظهور مُعجزته حتى يُرِيَهم رَبَّهم جَهْرَةً . والإيمان بالأنبياء واجب بعد ظُهور مُعجِزاتهم ، ولا يجوز اقتراح المُعجِزات عليه ، فلهذا عاقبهم اللهُ تعالى . وهذه الآية توبيخ لهم على مُخالفة الرسول محمدﷺمع قيام مُعجِزته كما خَالَفَ أسلافُهم موسى ﷺ معَ ما أتى به مِن الآيات الباهرة)).

والثانية : القلبُ القاسي عُقوبة إلهية . ولَيست شيئًا خَلْقِيًّا يُوجَد مع الإنسان . وقد يُولَد الإنسانُ ليِّن القلب ، طاهر السريرة ، ومعَ مُرور الزمن يَقسو قلبُه بسبب كثرة الذنوب والمعاصي التي ارتكبها ، وقسوةُ القلب هي عِقاب إلهيٌّ عادل .

قالَ اللهُ تعالى:﴿ وَلا يَكُونُوا كَالذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأمَدُ فَقَسَت قُلُوبُهُم﴾ [الحديد : ١٦] . طُولُ الزمن أثَّر سَلْبًا في القلوب التي ليس لها خط دفاع ، ولا مناعة ذاتية. والأمر شبيه بعوامل التَّعرية والتَّجوية في الجيولوجيا ، حيث إن تلك العوامل على مَر السنوات تعمل على تغيير المَعالِم الطبيعية كالجبال والصحاري،وتُعيد صياغة شكلها بسبب عدم وجود المصدَّات والوسائل الوقائية . وطول الزمن لا تأثير له في القلب الطاهر المُحصَّن بوسائل الحماية والصيانة. إن اللهَ أعطى اليهودَ والنصارى التَّوراةَ والإنجيلَ، فطالَ عليهم الزمن بينهم وبين أنبيائهم ، فصارت قلوبُهم قاسيةً صلبةً ، لا مكان فيها للحق والعِلْم والإيمان ، وغير مُستعدة لتقبُّل الخير والطاعة . وابتعدَ أهل الكتاب عن الوَحْي السماويِّ ، وغرقوا في حُطام الدنيا الفاني ، وأعرَضوا عَن تعاليم الله ومَواعظه وإرشاداته . واللهُ يُحذِّر المؤمنين مِن مُشَابَهَة اليهود والنصارى ، الذين قَسَتْ قلوبُهم ، وساءت أخلاقهم ، وفَسَدَت عقائدهم ، عندما طالَ عليهم الزمن .

وقَسوةُ القلب مِن نتائج الذنوب والمعاصي . واليهودُ مشهورون بقَسوة قُلوبهم ، وخُشونة طِباعهم ، وعنادهم ، واستكبارهم . وعندما ابتعدوا عن زمن النبيِّ مُوسى ﷺ (أعظم أنبياء بني إسرائيل على الإطلاق) ، وطالت عليهم المُدَّة الزمنية بينهم وبينه، اخترعوا كتابًا مِن عِند أنفسهم ، اتِّبَاعًا لأهوائهم وشهواتهم ، وتحقيقًا لمصالحهم الشخصية ، وقَسَتْ قُلوبهم عن الطاعات والخيرات، وتغلغل فيها عِشْق الدنيا والحِرص على مَتَاعها الزائل وحُطامها الفاني ، وصارت قلوبهم صلبةً ، تَقْبَل السَّيئات والمعاصي ، وتَرْفُض الحسنات والطاعات .

وقال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٩٧) : ((نهى اللهُ تعالى المؤمنين أن يتشبَّهوا بالذين حَمَلوا الكتابَ مِن قَبلهم من اليهود والنصارى ، لمَّا تطاولَ عليهم الأمد ، بدَّلوا كتابَ الله الذي بأيديهم، واشتَرَوْا به ثمنًا قليلًا ، ونبذوه وراء ظُهورهم ، وأقبلوا على الآراء المختلفة ، والأقوال المُؤتَفِكَة (المُنْقَلِبَة) ، وقلَّدوا الرجال في دِين الله ، واتَّخذوا أحبارهم ورُهبانهم أربابًا مِن دُون الله ، فعند ذلك قَسَتْ قلوبُهم ، فلا يَقْبَلون موعظة ، ولا تَلِين قلوبُهم بوعد ولا وعيد)) اهـ .

وعن ابن مسعود ــ رضي اللهُ عنه ــ قال : ((لم يكن بين إسلامهم وبين أن نَزلت هذه الآية فعاتبهم اللهُ إلا أربع سنين:﴿وَلا يَكُونُوا كَالذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأمَدُ ﴾)) [١٨٨].

واللهُ يُعاتب المؤمنين لأنه يُحِبُّهم، ويُريد لهم الخير، ويُحذِّرهم مِن الشرك كي يَجتنبوه ، ويَنتبهوا، ويأخذوا الحِيطة والحَذَر ، ولا يُكرِّروا أخطاءَ أهل الكتاب (اليهود والنصارى) . والعاقلُ مَن اتَّعَظَ بِغَيْره . وينبغي على المؤمنين دراسة تاريخ الأمم السابقة لأخذ الدروس والعِبَر ، والاستفادة مِنها .

وقد أُخِذَ المِيثاق على اليهود ، لكنهم ــ للأسف ــ خانوا أمانةَ المِيثاق ، ولم يَقوموا بحَمْله وتطبيقه على أرض الواقع. قالَ اللهُ تعالى: ﴿ وَلَقَد أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ بني إسرائيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾[المائدة : ١٢] .

أخذَ اللهُ مِيثاقَ اليهود مِن أهل الكتاب ، بأن يلتزموا بتعاليم التوراة ، ويَعبدوا اللهَ وَحْدَه . وهذا العَهْد الوَثيق المُؤكَّد باليمين ، ينبغي تقديسه ، والالتزام به ، وعدم الانحراف عنه .

إن المِيثاق الإلهيَّ يتطلَّب التزامًا حقيقيًّا لا صوريًّا . وينبغي الوفاء بعهد الله الوثيق ، وتنفيذ مِيثاقه المُقدَّس . وهذا المِيثاق له أركان مُتعدِّدة مثل مُساندة الحق ، ونشر الحقيقة ، وتعميق جذور الخير في المجتمع ، ونشر العدالة بكل أشكالها .

---

١٨٨ رواه الحاكم في المستدرَك (٢/ ٥٢١) برقم (٣٧٨٧) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

ورفضُ المِيثاق الإلهيِّ ، أو التقصير في حَمْله وتطبيقه، أو الالتفاف عليه والتحايل على أركانه. كُلُّ ذلك من شأنه جَلْب الغضب الإلهيِّ ، والطرد مِن رحمة الله تعالى ، وفساد الحياة الدنيا ، وضياع المصير في الحياة الآخرة .

وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٤٥) : ((لَمَّا أمرَ تعالى عباده المؤمنين بالوفاء بعهده ومِيثاقه الذي أخذه عليهم على لسان عبده ورسوله محمد ﷺ ، وأمرهم بالقيام بالحق والشهادة بالعدل ، وذكَّرهم نِعمه عليهم الظاهرة والباطنة فيما هداهم له من الحق والهدى ، شرع يُبَيِّن لهم كيف أخذ العُهود والمواثيق على مَن كان قَبْلهم من أهل الكتابَيْن : اليهود والنصارى ، فلمَّا نقضوا عهوده ومواثيقه أعقبهم ذلك لَعْنًا منه لهم ، وطَرْدًا عن بابه وجَنابه، وحِجابًا لقلوبهم عن الوصول إلى الهدى ودِينِ الحق ، وهو العِلم النافع والعمل الصالح)) اهـ .

﴿ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ . أمرَ اللهُ مُوسى أن يأخذ مِن بني إسرائيل اثْنَيْ عشر نقيبًا ــ كبير القَوم القائم بأمورهم والراعي لمصالحهم وشُؤونهم ــ ، وكُل نقيب يَكون شاهدًا على قَومه، وكفيلًا عليهم بالوفاء بالعَهْد ، تأكيدًا له ، وتدقيقًا وتَوثقةً عليهم .

وقال الزمخشري في الكشَّاف (١/ ٤٧٨) : ((لمَّا استقرَّ بنو إسرائيل بمِصْر ، بعد هلاك فِرْعَوْن ، أمرهم اللهُ تعالى بالسَّير إلى أريحا ، بأرض الشام ، كان يَسكنها الكنعانيون الجبابرة ، وقال لهم : إنِّي كتبتُها لكم دارًا وقرارًا ، فجاهدوا مَن فيها ، فإنِّي ناصركم ، وأمرَ مُوسى بأن يأخذ مِن كُل سِبْط نقيبًا، فاختارَ النُّقباءَ وسار بهم ، فلمَّا دنا مِن أرض كَنْعان ، بعثهم يتجسَّسون الأخبارَ، فَرَأَوْا قَوْمًا أجسامهم عظيمة ، ولهم قُوة وشَوكة ، فهابوهم ، ورجعوا ، وحدَّثوا قَوْمَهم ، وكان مُوسى قد نهاهم أن يتحدَّثوا بما يَرَوْن ، فنكثوا المِيثاقَ وتحدَّثوا ، إلا اثنين مِنهم)) اهـ .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣١٠و٣١١ و٣١٢) : ((قَوله تعالى : ﴿ وَلَقَد أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ بني إسرائيلَ ﴾ . قال أبو العالية : أَخَذَ اللهُ مِيثاقهم أن يُخلِصوا له العبادةَ ، ولا يَعْبدوا غَيْرَه. وقال مُقاتل : أن يَعْملوا بما في التَّوراة . وفي معنى النَّقيب ثلاثة أقوال : أحدها أنه الضَّمِين، قاله الحسن ، ومعناه أنه ضَمِين ليعرف أحوال مَن تحت يده ، ولا يجوز أن يكون ضَمِينًا عنهم بالوفاء ، لأن ذلك لا يَصِح ضَمانه . وقال ابن قُتَيبة : هو الكفيل على القوم . والثاني أنه الشاهد، قاله قَتادة . وقال ابن فارس : النقيب شاهد القَوم وضمينهم . والثالث الأمين ، قاله الربيع بن أنس واليزيدي. وهذه الأقوال تتقارب . قال الزَّجاج : النقيب في اللغة كالأمين والكفيل ... وإنما قِيل : نقيب، لأنه يَعلم دَخيلة أمر القوم ، ويعرف مناقبهم ، وهو الطريق إلى معرفة أمورهم . ونُقِلَ أن الله

تعالى أمرَ موسى وقومه بالسَّير إلى الأرض المُقدَّسة، وكان يَسكنها الجبَّارون،فقال تعالى: يا موسى، اخرج إليها ، وجاهد مَن فيها مِن العدو ، وخُذ مِن قَومك اثْنَيْ عشر نقيبًا ، مِن كُل سِبْط نقيبًا ، يكون كفيلًا على قَومه بالوفاء بما أُمِرُوا به ، فاختار النُّقَباء . وفيما بُعِثوا له قَولان : أحدهما أن مُوسى بعثهم إلى بيت المقدس ليأتوه بخبر الجبَّارين ، قاله ابن عباس ومجاهد والسُّدي . والثاني أنهم بُعِثُوا ضُمَناء على قَومهم بالوفاء بمِيثاقهم ، قاله الحسن وابن إسحاق . وفي نُبُوَّتهم قَولان ، أصحهما أنهم ليسوا بأنبياء)) .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُم لَعَنَّاهُم وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُم قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّروا بِهِ ولا تزالُ تَطَّلِعُ عَلى خائنةٍ مِنهُم إلا قليلًا مِنهُم ﴾[المائدة: ١٣].

إن اليهود الذين خانوا اللهَ ورُسُلَه الكِرام ، نقضوا وخانوا مِيثاقَهم (العَهْد المُؤكَّد) بأن كفروا بالله تعالى ، وقتلوا الأنبياء ، وتمادَوْا في كُفرهم ، فكانت العقوبة هي اللعنة في الدنيا والآخرة ، وجَعْل قلوبهم قاسية ، لا تَلين لذِكْر الله ، ولا تَستقبل الخير . فَهُم لم يُطهِّروا قُلوبَهم مِن الذنوب والمعاصي ، ولَم يستفيدوا منها في الإيمان ومعرفة الحق .

بسبب نَقْض اليهود للمِيثاق ونَكْثهم للعهد ، طَردهم اللهُ مِن رحمته ، وجَعل اللهُ قُلوبَهم قاسيةً صلبة خشنة جافية ، لا تَلين للحق ، ولا تَستجيب للإيمان ، ولا تَقْبل الطاعة . وقد تلاعبَ اليهودُ بالتَّوراة ، وحرَّفوها ، وزادوا فيها ، وأنقَصُوا مِنها ، وتأوَّلوا نصوصَها بشكل مُنحرِف ، وكَذَبُوا على الله ، ولا جريمة أسوأ مِن تغيير كلام الله تعالى. وتركوا نصيبًا وافرًا مِمَّا أُمِرُوا بِه في التَّوراة . ولا تزالُ يا محمد تَظهر على خيانة مِن اليهود ، بنقض العهود ، ونكْث الوعود ، والتخطيط للمؤامرات وتدبير المكائد، والغدر،والخيانة.وهذه عادة اليهود في كل زمان ومكان إلا قليلًا مِنهم مِمَّن أسلمَ.

وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٤٥) : ((أخبرَ تعالى عمَّا حَلَّ بهم مِن العُقوبة عند مُخالفتهم مِيثاقه ونَقْضهم عهده ، فقال : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُم ﴾ أي : فبسبب نَقْضهم المِيثاق الذي أُخِذَ عليهم ﴿ لَعَنَّاهُم ﴾ أي : أبعدناهم عن الحق ، وطردناهم عن الهدى ، ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُم قَاسِيَةً ﴾ أي : فلا يتَّعظون بموعظة لغِلْظها وقَساوتها . ﴿ يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ ﴾ أي : فَسَدَتْ فُهومُهم ، وساء تصرُّفهم في آيات الله ، وتأوَّلوا كتابه على غَير ما أنزله ، وحَمَلوه على غير مُراده ، وقالوا عليه ما لم يَقُلْ ، عِياذًا بالله من ذلك ، ﴿ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّروا بِهِ ﴾ ، أي : وتركوا العمل به رغبة عنه. وقال الحسن: تركوا عُرى دِينهم ووظائف الله تعالى التي لا يَقْبل العمل إلا بها. وقال غَيره : تركوا العمل ، فصاروا إلى حالة رديئة ، فلا قلوب سليمة ، ولا فِطَر مستقيمة ، ولا

أعمال قويمة ، ﴿ ولا تزالُ تَطَّلِعُ عَلى خائنةٍ مِنهُم ﴾ يعني مَكرهم وغَدْرهم لك ولأصحابك . وقال مجاهد وغيره : يعني بذلك تمالؤهم على الفَتْك برسول الله ﷺ)) اهـ . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣١٣ و٣١٤) : ((قَوله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم ﴾ في الكلام مَحذوف تقديره : فنقضوا فَبِنَقْضهم ﴿ لَعَنَّاهُم ﴾ . وفي المراد بهذه اللعنة ثلاثة أقوال : أحدها أنها التعذيب بالجِزْية، قاله ابن عباس . والثاني التعذيب بالمَسْخ ، قاله الحسن ومقاتل. والثالث الإبعاد من الرحمة ، قاله عطاء والزَّجاج . قَوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُم قَاسِيَةً ﴾ ... والقَسْوة خِلاف اللين والرِّقة . وفي تحريفهم الكَلِم ثلاثة أقوال : أحدها تغيير حدود التوراة ، قاله ابن عباس . والثاني تغيير صفة محمد ﷺ ، قاله مقاتل. والثالث تفسيره على غَير ما أُنزِل، قاله الزجاج ... . قَوله تعالى : ﴿ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّروا بِهِ ﴾ ، النِّسيان هاهُنا التَّرْك عن عَمْد ، والحظ النصيب . قال مجاهد : نَسُوا كتابَ الله الذي أُنزِل عليهم ، وقال غَيره : تركوا نصيبهم مِن المِيثاق المأخوذ عليهم . وفي معنى ﴿ ذُكِّروا بِهِ ﴾ قَولان : أحدهما أُمِرُوا . والثاني أُوصُوا . قَوله تعالى : ﴿ ولا تزالُ تَطَّلِعُ عَلى خائنةٍ مِنهُم ﴾ ... . قال ابن عباس : وذلك مِثْل نَقْض قُرَيظة عَهْد رسول الله ﷺ ، وخُروج كعب ابن الأشرف إلى أهل مكة للتَّحريض على رسول الله ﷺ ، ﴿ إلا قليلًا مِنهُم ﴾ لَم يَنقُضوا العَهْد ، وهُم عبد الله بن سلام وأصحابه)) اهـ .

والثالثة : إن اللهَ تعالى أمرَ العبدَ بالخضوع له ، والاستسلام لأوامره في كل الحالات . ومهما ارتكب العبد من أخطاء وذُنوب ، فقد يتجاوز اللهُ عنه ، إذا كان خاضعًا لله تعالى ، مُستسلمًا له ، مُتضَرِّعًا إليه.وهذه الصفات سَتَقُوده لا مَحَالة إلى التَّوبة الصادقة، والعَودة إلى الله مكسورًا نادمًا .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُم بَأسُنا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُم وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ ما كانوا يَعْمَلُون ﴾ [الأنعام : ٤٣] .

فَهَلَّا تضرَّعوا حِين جاءهم العذاب ، ولَجَؤوا إلى الله تعالى ، ودَعَوْهُ بصدق وإخلاص ، ولكنهم لم يتضرَّعوا . وقَسَتْ قُلوبُهم ، وبَلغوا مِن القَسوة والعِناد والاستكبار مَبْلَغًا عظيمًا . وقَسوةُ قلوبهم قادتهم إلى الهلاك. وقد عابَ اللهُ عليهم قَسوةَ قلوبهم ، وعدم خضوعهم له ، ورفض دُعائه .

بَيَّنَ اللهُ لرسوله ﷺ ووضَّح له حال أحد الأقوام السابقة. فقد أرسلَ اللهُ إليهم،وقَطَعَ حُجَجهم، وأزالَ أعذارهم ، ولكنهم بَلغوا مِن القَسوة والعِناد والاستكبار مَبْلَغًا عظيمًا . فقد أُخِذُوا بالشِّدة والعذاب والعِقاب ، فلم يَخضعوا لله ، ولَم يُطيعوه . وأصَرُّوا على كفرهم ، وتكذيبهم بالوَحْي والنُّبوَّة . ولو أنهم عِند مَجيء العذاب خضعوا لله ، واستسلموا لأمره ، لَرَفَعَ اللهُ عنهم العذاب .

وحسَّن لهم الشيطانُ ما كانوا يَعملون مِن الكفر والمعاصي والآثام والذنوب ، وأغواهم بالإصرار على الكفر ، وأغراهم بالشَّهوات والملذات ، فتمسَّكوا بالكفر واستمرُّوا عليه .

ولَم يكن لديهم عُذر في ترك الدعاء إلا العِناد والاستكبار ، ولا مانع لهم مِن التَّضَرُّع إلا قَسوة قلوبهم ، وإعجابهم بأعمالهم الباطلة التي حسَّنها لهم الشَّيطان ، وجَمَّلها لهم .

وطبيعة النفس البشرية أنها تخضع لله عند الشدائد ، وتستسلم له في الأزمات والكوارث ، وتَلْجأ إليه في المصائب . أمَّا هؤلاء القَوم ، فقد رَفضوا أمرَ الله وخالفوا الطبيعةَ البشرية ، وذلك لقسوة قلوبهم وعنادهم واستكبارهم . وقَسوةُ القلبِ نتيجةٌ للمعاصي والذنوب والإصرار عليها.

وقال القرطبي في تفسيره (٦/ ٣٨٩) : ((قَوله تعالى: ﴿ فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُم بَأسُنا تَضَرَّعُوا ﴾ . لَوْلا تحضيض ، وهي التي تَلِي الفعل ، بمعنى هَلَّا . وهذا عِتاب على ترك الدعاء، وإخبار عنهم أنهم لَم يتضرَّعوا حين نزول العذاب. يجوز أن يكونوا تضرَّعوا تضرُّعَ مَن لَم يُخلِص ، أو تضرَّعوا حين لابسهم العذاب. والتَّضَرُّع على هذه الوجوه غير نافع. والدُّعاء مأمور به حال الرخاء والشدة. ﴿ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُم ﴾ . أي : صلبت وغلظت . وهي عبارة عن الكِبْر والإصرار على المعصية، نسأل الله العافية ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ ما كانوا يَعْمَلُون ﴾ أي أغواهم بالمعاصي وحَمَلهم عليها)).

وفي الدُّر المنثور (٣/ ٢٦٨) أن قَتادة قال: ((ولا تَعَرَّضوا لعقوبة الله بالقَسوة ، فإنه عابَ ذلك على قوم قَبْلكم)) اهـ .

لا يمكن للعاقل أن يستهين بقَسوة القلب ، أو يعتبر المشاعر والأحاسيس مُجرَّد رفاهية وكماليات لا وزن لها . فالأمرُ لا يتعلق بقصة حُب رومانسية ، أو أغنية عاطفية . إن القضية متعلقة بقدرة القلب على تقبُّل الإيمان أو عَجْزه عن ذلك . ومصيرُ الإنسان مُتوقِّف على مُحتويات قلبه ، والقلبُ هو مَحَل نَظَر الله تعالى . ومَن كان قلبُه صالحًا فهو ناجٍ ، ومَن كان قلبه فاسدًا فهو هالك.

وفي [يُوحَنَّا ١٢ : ٣٩ و ٤٠] : فلَم يَستَطِيعُوا أَن يؤمنوا ، لأنَّ إشَعياءَ قالَ أَيضًا : ((أَعمى عُيونَهم وقَسَّى قُلوبَهم ، لِئَلا يُبصِروا بِعُيونهم ويَفهَمُوا بِقُلوبِهم)) .

إن الله أعمى بصائرَ اليهود ، فصاروا عاجزين عن رؤية الحق ، وجَعَلَ قلوبهم قاسية ، فصارت عاجزة عن استقبال نُور الإيمان ، وفقدوا القُدرةَ على الإبصار والفَهْم ، بسبب كُفرهم وضلالهم وعنادهم وتكبُّرهم وذُنوبهم ومَعاصيهم . والمعصيةُ نذير شُؤم ، ولعنة تُطارد صاحبها ، وتُدمِّره .

إنَّه العِقاب الدُّنيويُّ العاجل ، والخِزْي والعار في هذه الحياة ، وما ينتظرهم بعد الموت أسوأ . ﴿ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُم لا يُنصَرُون ﴾ [فُصِّلَتْ : ١٦] .

تاسعًا : الجَهْل بالشَّريعة

مَصْدَرا التعاليم الدينية المُنحرفة : الجَهْل والعِناد . والجَهْل نوعان : مقصود وغير مقصود . وليس عَيْبًا أن يكون الإنسانُ جاهلًا ، لكن العَيب أن يظل جاهلًا . والبعضُ يَرفض التعلُّم ، ويُصِرُّ على الغرق في مُستنقع الجَهْل ، رغم تَوَفُّر كُل الوسائل للحصول على المعرفة ، لأن الجهل يُوفِّر له غطاءً وهميًّا يَضمن له العَبث واللعب، واتِّباع الأهواء والشهوات، وارتكاب المعاصي ، واقتراف الذنوب . وهناك مَن لا يملك وسائل المعرفة ، لأنه يعيش في بيئة فقيرة جاهلة ، تَلهث وراء رغيف الخُبز ، ومُتطلباتِ الحياة اليومية الاستهلاكية ، ولا تهتم بالعِلم ، ولا تحرص على المعرفة . ويجب على الإنسان أن يسعى بكل صِدق وإخلاص لطلب العِلم النافع ، والعمل به ، مهما كانت ظروفه الشخصية وأحوال بيئته ومُجتمعه ، وسواءٌ كان في يعيش مجتمع متقدم أم مُتخلِّف ، وسواءٌ وُضِعَت أمامه العراقيل أم لم تُوضَع .

واليهود لَيسوا قَوْمًا جُهَّالًا فاقدي العِلْم والمعرفة _ كما يظن البعض _ . إن لَدَيهم حصيلة ضخمة من العلوم والمعارف ، ولكنَّ منهجهم قائم على مُحاربة الحق وطَمْس الحقيقة ولَوْي أعناق النصوص الدينية والتلاعب بها ، والعناد ، والاستكبار . وجَهْلهم بالشَّريعة جَهْلٌ مقصود ، وهو جَهْل الرافض للعِلْم عِنادًا واستكبارًا وغُرورًا، وليس جَهل الغبيِّ أو الذي لا يَملك قُدرات عقلية .

والحقُّ نُور الله ، يَقذِفه في القلب الطاهر النقيِّ . والإيمانُ شرف ، لا يَمنحه اللهُ للمُتكبِّرين والمغرورين والمُعانِدين والغارقين في الذنوب والآثام . بَل يَمنحه للمُتواضعين الخاضعين لله ، والمُستسلمين لأوامره وأحكامه . قال الإمام الشافعي _ رضي الله عنه _ :

شَكوتُ إلى وَكيعٍ سُوءَ حِفْظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العِلمَ نُورٌ ... ونُورُ الله لا يُهْدَى لعاصي

قالَ اللهُ تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُم كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِين ﴾ [الأعراف : ١٤٦] .

إن الله تعالى سَيَمْنع المُتكبِّرين مِن فَهْم آياته الباهرة، ويَحْجُبهم عن نور الهداية . سيمنعهم مِن استيعاب كِتابه، ويَصْرفهم عن الإيمان. وهذه عقوبة إلهية شديدة لهم بسبب غرورهم وتكبُّرهم وعنادهم ورفضهم للحق . والتَّكَبُّرُ حاجز يَمْنع الإنسانَ مِن الوصول إلى الحق والعِلْم والإيمان .

قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٢٩) : ((أي : سأمنع فَهْمَ الحُجَج والأدلة الدالة على عَظَمتي وشريعتي وأحكامي قلوبَ المُتكبِّرين عن طاعتي ، ويتكبرون على الناس بغير حق ، أي كما استكبروا بغير حق ، أذَلَّهم الله بالجهل)) اهـ .

ولو أنهم أرادوا الحق ، لاجتهدوا في طلبه والبحث عنه من أجل تحصيله ، ولكنهم اسْتَمْرَؤوا التغابي لا الغباء ، وظَنُّوا أنهم بذلك يَزدادون نُفوذًا ، ويُحقِّقون مصالحهم الشخصية ، ويَحصلون على مكاسب معنوية ومادية ، ويُحافظون على زعامتهم ورئاستهم والتفاف العوام والأتباع حَوْلهم .

وجَهْلُ اليهود يأخذ صُوَرًا كثيرة لا تُحصَى ، مِنها اعتراضهم على تصرُّف تلاميذ المسيح . ففي [مَتّى ١٢ : ١و٢] : في ذلكَ الوقتِ مَرَّ يَسوعُ بينَ الحقولِ في يومِ سَبْت. فجاعَ تلاميذُه، فأَخذوا يَقطِفون سنابلَ القمحِ ويأكلون . ولَمَّا رآهم الفرِّيسيُّون ، قالوا له : ((ها إِنَّ تلاميذَكَ يَفعلون ما لا يَحِلُّ فِعْلُهُ في السَّبت !)) .

اعتقدَ اليهودُ أن اليوم الذي يُعظِّمونه (السَّبت) لا يجوز فيه أن يأكل الجَوعى من سنابل القمح . وهذا يُشير إلى الجهل الدينيِّ والتَّخَلُّف العَقَدِي المُتَجَذِّرَيْن في عقول اليهود وتفاصيل حياتهم . ويتَّضح مِن خلال المُعطيات المتوافرة أن اليهود يُدرِكون الحقائق ، ويَعرِفون الحقَّ ، ولكنهم مُعانِدون مُستكبِرون ، ويُحاولون _ حَسَب تفكيرهم المحدود وعقولهم القاصرة _ أن يُحرِجوا المسيحَ ، ويَطعنوا فِيه ، ويُظهِروه كمُعلِّم جاهل بالشريعة ، غَير قادر على إرشاد تلاميذه وتعليمهم . والطعنُ في التلاميذ السائرين مع مُعلِّمهم إنما هو طَعْنٌ في المُعلِّم بالدرجة الأولى ، وهذا ما كان اليهودُ يَسْعَوْنَ إليه بالتأكيد . واليهودُ لا يَهتمون إلا بالمظاهر ، ولا يَحرِصون إلا على الطقوس الظاهرية ، أمَّا قلوبهم فهي فاسدة وخالية مِن الإيمان والحق والتقوى . وهُم يزعمون أنهم حريصون على يوم السَّبْت (عيد اليهود المُقدَّس) ، وفي نفْس الوقت يُخالفون الأوامر الإلهية ، ويعترضون طريقَ الأنبياء، وينشرون الانحراف العَقَدي والأخلاقي بين الناس. وهذا التناقض هو صِفة لازمة لليهود في كل مُراحل حياتهم . وهو تناقض نابع من الغرور والاستعلاء والعناد والتكبُّر . إنهم يَغرقون في الأشكال الظاهرية البَرَّاقة ، دُون الاعتناء بجوهر الأشياء وحقيقتها . وهذه عادة الأشخاص الذين يتَّبعون أهواءهم الباطلة ، وأمانيهم الوهمية ، ومصالحهم الشخصية الدنيئة .

والتاريخُ يُعيد نَفْسَه بأشكال جديدة ومظاهر مُتعدِّدة ، لكنَّ الجوهر واحد ، وقلوبُ اليهود تتشابه في كل زمان ومكان . وكما أن اليهود أزعجوا النبيَّ عيسى ﷺ ، وضايَقوه ، وعاندوه ، وهو خَاتَم أنبياء بني إسرائيل، كذلك أزعجوا النبيَّ محمد ﷺ ، وضايقوه . وهو خَاتَم الأنبياء والمُرسَلين

وأعظمهم . ولم يَكتفوا بهذا ، بَل كذَّبوه ، وحاربوه ، وجَحدوا نُبُوَّته ، وأنكَروا رسالته . وجهلهم بالشريعة المقصود والمُتَعَمَّد ، أوصلهم إلى التشكيك بأفعال النبيِّ محمد ﷺ في غَزوة بني النَّضير،في مُحاولة يائسة مِنهم للطعن في النبيِّ ﷺ، وتَشكيك الناس فيه ، وإقامة الحُجَّة عليه .

وقد اعترضَ اليهودُ على قَطْع نَخْلهم وتحريقها ، جَهْلًا مِنهم بمقاصد الشَّريعة وأهدافها وأصولها وفروعها وضوابطها ، فقالوا بكل جهل : ((يا مُحَمَّد ، قد كُنتَ تنهى عن الفساد ، وتَعيبه على مَن صَنَعَه ، فما بالُ قَطْع النَّخْل وتحريقها ؟)) [١٨٩] . وعن ابن عُمر ــ رضي الله عنهما ــ : أن رسول الله ﷺ حَرَّقَ نخلَ بني النَّضير ، وقَطَع ، وهي البُوَيْرة ــ يعني حُصون بني النَّضير ــ ، فأنزلَ اللهُ تعالى:﴿ مَا قَطَعْتُم مِن لينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإذْنِ اللهِ وَلِيُخْزِيَ الفَاسِقِين ﴾ [الحَشْر : ٥] [١٩٠]. ما قطعتم أيها المؤمنون مِن شَجرة نخيل، أو تركتموها باقية على ما هِيَ عليه، وقائمة على جُذورها ، فبأمر الله وإرادته ومشيئته ورضاه ، لِيَغيظ اليهودَ ويُخزيَهم ويَقهرهم ويُذِلَّهم ، ويُرِيَهم أن أموالهم تحت سيطرة المسلمين ، يتحكَّمون فيها كما شاؤوا . والمعنى : إن الله هو الذي أباحَ لكم ذلك . والآيةُ دليل على جواز هدم ديار الكُفَّار ، وقَطْع أشجارهم ، وتخريب حُصونهم ، لمصلحة شرعية مُعْتَبَرَة ، مِثل إغاظتهم وقَهْرهم وهزيمتهم ، ولَيس مِن أجل العبث والتسلية واللعب . وقال الفخر الرازي في التفسير الكبير (٢٩ / ٢٨٣): ((إنما أَذِنَ اللهُ تعالى في ذلك حتى يزداد غَيظ الكُفَّار ، وتتضاعف حَسْرتهم ، بسبب نفاذ حُكم أعدائهم في أعز أموالهم)) اهـ . وقال القرطبي في تفسيره (١٨/ ٩): ((وقد عَلِمَ رسولُ الله ﷺ أن نخل بني النضير له ، ولكنه قطع وحرَّق ليكون ذلك نِكاية لهم ، ووَهْنًا فيهم ، حتى يَخرجوا عنها . وإتلافُ

---

١٨٩ تفسير الطبري (١٢/ ٣٢) . وانظر تفسير ابن كثير (٤/ ٤٢٣) .

١٩٠ متفق عليه . البخاري (١٨٥٢/٤) برقم (٤٦٠٢) . ومسلم (١٣٦٥/٣) برقم (١٧٤٦). وروى الترمذي في سُننه(٥/ ٤٠٨)وحَسَّنه عن ابن عباس ــرضي الله عنهما_قال:((اللينة النَّخْلة)). وقال الترمذي في سُننه (٤/ ١٢٢): ((وقد ذهب قوم من أهل العِلم إلى هذا ، ولم يَرَوا بأسًا بقطع الأشجار، وتخريب الحصون . وكَرِهَ بعضُهم ذلك . وهو قول الأوزاعي . قال الأوزاعي : ونهى أبو بكر الصِّديق يزيد ــ يعني يزيد بن أبي سفيان ــ أن يقطع شجرًا مُثمرًا أو يُخَرِّب عامرًا ، وعمل بذلك المسلمين بعده ، وقال الشافعي : لا بأس بالتحريق في أرض العدو ، وقطع الأشجار ، والثمار ، وقال أحمد : وقد تكون في مواضع لا يجدون منه بُدًّا ، فأمَّا بالعبث فلا تُحرق)) .

بعض المال لصلاح باقيه مصلحة جائزة شَرْعًا ، مقصودة عَقْلًا)) اهـ . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٨ / ٢٠٧) : ((وذكَر المفسرون أنه لمَّا نزلت ببني النضير ، تحصَّنوا في حُصونهم ، فأمَرَ بقطع نخيلهم وإحراقها ، فجَزِعوا ، وقالوا : يا مُحَمَّد ، زَعَمْتَ أنكَ تُريد الصلاح ، أفَمِن الصلاح عَقْر الشجر ، وقطع النَّخْل ؟ ، وهل وَجدتَ فيما أُنزِل عليك الفسادَ في الأرض ، فَشَقَّ ذلك على رسول الله ﷺ ، ووَجد المسلمون في أنفسهم مِن قَوْلهم . واختلف المسلمون، فقال بعضُهم : لا تقطعوا ، فإنه مِمَّا أفاءَ اللهُ عَلَينا . وقال بعضُهم: بل نَغيظهم بقطعها، فنزلت هذه الآية بتصديق مَن نهى عن قَطْعه ، وتحليل مَن قَطَعه مِن الإثم، وأخبرَ أن قَطْعه وتركه بإذن الله تعالى)) .

إن اليهود يُقدِّمون أنفسَهم كأشخاص حريصين على الشريعة ، ومُتمسِّكين بأحكام الله ، ويُحِبُّون الصلاحَ والإصلاحَ ، ويَكْرَهون الفسادَ والإفسادَ ، ولكن سُلوكهم يدل على عَكس ذلك. وأفعالُهم تُكذِّب أقوالَهم . وهذا يدل على أن الأهواء والمصالح تتلاعب بهم ، وتتحكَّم بحياتهم .

وهناك تشابه بين حال اليهود الذين عابوا على تلاميذ المسيح ﷺ قطفهم لسنابل القمح وهُم جِياعٌ ، جَهْلًا مِنهم بما يعنيه السَّبت وما يُمثِّله ، وللطعن في المسيح ﷺ وإحراجه ، وبين حال يهود بني النَّضير الذين استنكروا قَطْع نخلهم وتحريقها جَهْلًا بالقواعد الشَّرعية ، وللطعن في النبيِّ محمد ﷺ وإحراجه. وفي هذا دَلالة واضحة على تشابه قلوب اليهود ، وفسادهم ، وعنادهم، في كل زمان ومكان. واليهود (الآباء والأبناء) كُلُّهم سائرون في طريق الفساد والضلال والعناد .

قالَ اللهُ تعالى: ﴿ وَقَالَتِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُل فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾ [المائدة : ١٨] .

هذه الآيةُ تَكذيبٌ لأهل الكتاب ، ورَدٌّ إلهيٌّ بليغٌ عليهم ، فقد زعموا أنهم أبناء الله تعالى ، أي إنهم عبادُه المُخْلَصون الذين اختارهم وفضَّلهم على الخَلْق، وأحبابُه وصَفوته مِن بين الناس ، وأنهم مِنَ اللهِ بِمَنْزلة الأبناء مِنَ الآباء ، أي إِنَّهم كأبنائه سُبحانَه وتعالى في القُرب والمكانة ، وهو كأبيهم في الحُبِّ والرحمة . وهذا الزَّعْمُ الباطل تهاوى أمام الرَّد القرآنيِّ . فإن كانوا _ كما يزعمون _ فلماذا أعدَّ اللهُ لهم نارَ جهنم خالدين فيها جزاء كفرهم وكذبهم ورفضهم للرسالة المُحمَّدية الإسلامية المُصَدِّقة لِمَا قَبْلَها مِن الرسالات السماوية ؟ . وفي الآية معنى لطيفٌ أنَّ الله تعالى لا يُلقِي حبيبَه في النار . وَلَوْ كان اليهودُ والنصارى أحبابًا لله تعالى لَمَا عَذَّبَهم ، بَل حَمَاهم مِنَ الجحيم، وَمَنَحَهم الجنةَ. وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٤٨):((أي نحن مُنتَسِبون إلى أنبيائه، وهُم بَنُوه ، ولَهُ بِهم عِناية وهو يُحِبُّنا. ونقلوا عن كتابهم أنَّ الله تعالى قال لِعَبْده إسرائيل : أنتَ

ابني بِكْري. فَحَمَلوا هذا على غير تأويله ، وحرَّفوه ، وقد رَدَّ عليهم غَيْرُ واحد مِمَّن أسلمَ مِن عُقلائهم. وقالوا : هذا يُطلَق عِندَهم على التشريف والإكرام ، كما نقل النصارى عن كتابهم أن عيسى قال لهم : إني ذاهب إلى أبي وأبيكم ، يعني رَبِّي ورَبَّكم . ومعلوم أنهم لَم يَدَّعوا لأنفسهم مِنَ البُنُوَّة ما ادَّعَوْها في عيسى _ عليه السلام _ وإنما أرادوا من ذلك معزَّتهم لَدَيه ، وحَظوتهم عِندَه، ولهذا قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه)) اهـ .

وفي الدُّر المَنثور للسُّيوطي (٣/ ٤٤) : [أخرج ابن إسحق ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبَيهقي في الدلائل ، عن ابن عباس قال : ((أتى رسولَ الله ﷺ ابنُ أُبَي ، وبحري بن عمرو ، وشاس بن عَدِيٍّ ، فكلَّمهم وكلَّموه ، ودعاهم إلى الله ، وحذَّرهم نِقمته، فقالوا: ما تُخوِّفنا يا محمد ، نحن واللهِ أبناءُ اللهِ وأحباؤه ، كَقَول النصارى))] ، فأنزل الله فيهم : ﴿ وقالت اليهودُ والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قُل فَلِمَ يُعذِّبكم بذنوبكم ﴾ .

إنَّ هذا الغرور والاستعلاء والتحدث بكل عَنجهية وفَوْقية ،كل هذه الأمور تُعتبَر حواجز مانعة لوصول الحق.والإنسانُ الصادق في طلب الحق،ينبغي أن يَطلبه في كل زمانٍ ومكان بأدب وتواضع واستعداد نَفْسي لتقبُّله . أمَّا اتخاذ موقف استعلائي مُسبق ، فسوف يؤدي قطعًا إلى رفض الحق سواءٌ ظَهر أم لَم يَظهر. وهذا هو دَيْدن اليهود في كل العصور الذين يَنظرون إلى أنفسهم على أنهم صَفوةُ الله مِن خَلْقه ، وشَعْبُه المختار ، وأنَّ الآخرين مجرد عبيد ورَعاع وأصحاب مَنْزلة دُونية .

وعن أنسٍ _ رضي اللهُ عنه _ أنَّ النبيَّ ﷺ قال : ((واللهِ لا يُلقِي اللهُ حَبيبَه في النار)) [١٩١].

إنَّ اللهَ تعالى إذا أحبَّ عبدًا حَمَاه مِن كُلِّ سُوء ، ووفَّقه لِفِعل الخيرات حتى يَقبضه طاهرًا مُطَهَّرًا، ثُمَّ يُدْخِله الجنةَ، ولا يَجعل النارَ تأكل جسدَه . وهنا تتجلى الرَّحمةُ الإلهيةُ ، ويَظهر الفضلُ الرَّبانِيُّ العظيمُ ، فالمؤمنُ لا يَدخل الجنةَ بعبادته وتَقواه وذكائه ، وإنما يَدخلها برحمة اللهِ وفَضْلِه .

وجهل اليهود الممزوج بالغرور والتكبُّر والعِناد ، صوَّر لهم أنهم أحِبَّاءُ الله تعالى وأولياؤه المقرَّبون وأبناؤه الكِرام . وهُم لا يقصدون أن الله أنجبهم . ولكنهم يَعنون بكلامهم هذا أنهم مُنتسِبون إلى الأنبياء وشريعتهم ، وأنهم يُطبِّقون تعاليمَ الله الذي هو سَيِّدهم والمُعتني بهم والراعي لهم ، والذي يحيطهم بالأمن والأمان والمحبة ، ويرزقهم ، ويتغمَّدهم بالرحمة والعناية والرعاية . فهم أبناؤه وأحباؤه الذين لن يتخلى عنهم ، ولن يتركهم . وسوفَ يَمنحهم نعيمَ الجنة الأبديَّ .

١٩١ رواه الحاكم في المستدرَك (٤/ ١٩٥) برقم (٧٣٤٧) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

ولا شك أن هذه دعاوى عريضة واهية ، لا أساس لها من الصحة ، وأُمْنِيَّات في الهواء لا وزن لها . والإيمانُ ليس كلامًا مُجَرَّدًا ، أو خُطبةً إنشائية لا يُصدِّقها العملُ . إن الإيمان هو العمل بالعِلْم الشرعيِّ الذي ارتضاه اللهُ لعباده . أمَّا تنميق الألفاظ البَرَّاقة المُفرغة من معناها ، وترتيب المعاني الفخمة الخيالية ، فلا فائدة منه ، ولا طائل مِن ورائه . وقال الزركشي في البُرهان في علوم القرآن (٣ / ٣٧٤) : ((المعنى : فَلِمَ عذَّب آباءكم بالمَسْخ والقتل ؟ ، لأن النبيَّ ﷺ لم يُؤمَر بأن يَحتج عليهم بشيء لم يكن بعد ، لأن الجاحدَ يقول إني لا أُعذَّب ، لكنْ احْتَجَّ عليهم بما قد كان)) اهـ . إن الآية القُرآنية وضَّحت دَعوى أهل الكتاب (اليهود والنصارى) المُتهافتة التي لا دليل عليها ولا حُجَّة . ووضَّحت كذلك الرَّدَّ الإلهيَّ على هذه الدعوى الساقطة . والجهلُ والغرورُ يَخدعان الإنسانَ ، ويرسمان له طريقًا من الأحلام الوردية ، وهو غاطس في أوحال الخطيئة . وتزيينُ النَّفْسِ والشيطانِ للإنسان يُسْقطه في براثن التَّسويف والتَّمني . والأحمقُ مَن تَبع هواه ، وأقام على المعصية ، وتمنَّى على الله المَغفرة . وهذا هو مُنتهى الضياع . ولا يخفى أن الكلام سَهْل يُتقنه الجميع ، لكن المِحَك الحقيقيَّ هو الفِعْل الذي يَكشف الصادق من الكاذب .

وأحِبَّاءُ الله هُم الذين التزموا أوامره ، واجتنبوا نَوَاهيه ، ونصروا شَرْعَه وأنبياءه بكل ما أُوتوا من إمكانيات معنوية ومادية. وكيفَ يُصبح اليهودُ (قتلةُ الأنبياء) أحبابًا لله تعالى ؟ . أَم كيف يُصبح النصارى الذين يَشتمون اللهَ ، ويَجعلون له ابنًا شريكًا له في الأُلوهية أحبابًا لله تعالى ؟ .

إن أسوأ أنواع الجهل أن يغرق الفرد في الهوى الزائف، ويتمنى على الله الأماني . والكارثة الحقيقية هي أن يظن الجاهلُ نَفْسَه عَالِمًا لا يُجَارى ، لأنه في تلك الحالة يكون قد وصل إلى طريقٍ مسدود ، وأحاط نفْسَه بشرنقة متينة تَحول دون وصول نور العِلم والإيمان إلى رُوحه وقلبه . وهذا الشخصُ غارق في الظلمات ليس بخارجٍ منها إلا إلى ظُلماتٍ أكثر سَوادًا وظلامًا ، تستنزف كيانه شيئًا فشيئًا ، حتى تتركه هَيْكَلًا فارغًا ، بلا وزن ولا قيمة . وهذا هو الموت في الحياة .

وعن عُمر بن الخطاب أن رَجُلًا مِن اليهود قال له : يا أميرَ المؤمنين، آيةٌ في كتابكم تقرؤونها ، لَوْ علينا مَعْشَرَ اليهود نَزلتْ لاتَّخَذْنا ذلك اليومَ عِيدًا ، قال : ((أَيُّ آية ؟)) ، قال : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣]. قال عُمر: ((قد عَرَفْنا ذلك اليومَ والمكانَ الذي نزلتْ فيه على النَّبيِّ ﷺ ، وهو قائمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعة)) [١٩٢].

١٩٢ متفق عليه.واللفظ للبخاري(١ / ٢٥)برقم (٤٥).ومسلم(٤ / ٢٣١٣)برقم(٣٠١٧).

كان المسلمون لحظة تلقِّي هذه الآية في عِيدَيْن : يوم عَرَفة، ويوم الجُمُعة . وكُل واحد مِنهما يَوم عِيد للمسلمين . ولَم ينتبه اليهوديُّ إلى ذلك الأمر . لكنه أدرك عَظَمَةَ الآية الشريفة التي تحمل بِشارة إكمال الدِّين وإتمام النِّعمة، مِمَّا يدل على أهمية الأمة المُحمَّدية الإسلامية التي تلقَّت هذه المكافأة الرَّبانية الكريمة ، وكَوْنها الأُمَّة الوحيدة التي تحمل كلمة الله إلى الناس .

والحديث يدل على فِطنة عُمر بن الخطاب _ رضي الله عنه _ ، وسَعة عِلْمه . فهو عَالِمٌ بمكان نزول الآية وزمانها ، واستطاع استحضارهما دون تردد أو طُول تفكير. مِمَّا يُشير إلى ارتباطه الوثيق بالوَحْي القرآنِيِّ والظروفِ المحيطة به . ولا شك أن اليهودي كان يستشعر النقصَ في دِينه دون الإفصاح عنه.وكل شخص يَبحث عمَّا ينقصه ، وما تَعَلُّقه بآية إكمال الدِّين إلا مُؤشِّر باهر على شُعوره بالعجز والضعف وعُقدة النقص ، وأنه ينتمي إلى دِينٍ ناقصٍ تَمَّ التلاعب به . ومِن سِياق كلامه يظهر أنه يتمنى لو كانت اليهودية دِينًا كاملًا ، ولو نَزلت عليهم آيةٌ بهذا الخصوص لاتَّخذوا ذلك اليوم عيدًا ، واحتفلوا به ، ونشروه بين الناس . لكنَّ فاقدَ الشيء لا يُعطيه .

والآيةُ بِشارة عُظمى من الله تعالى تتضمَّن إكمال دِين الإسلام ، وجَعْله خاليًا مِن أيِّ نقص ، وإتمام النِّعمة على المسلمين الذين هداهم اللهُ إلى الدِّين الحق الذي رَضِيَه لعباده ، وهو الإسلام .

أظهرَ اللهُ الإسلامَ على سائر الأديان ، وأكملَ الشريعةَ ببيان الأوامر والنَّواهي ، والحلال والحرام ، والفرائض والأحكام والحدود ، وإرساء القواعد وتوضيحها . فلا لَبْسَ ولا غُموض ، ولا زيادة ولا نُقصان. والإسلام هو الدِّين الكامل المعصوم، والكاملُ لا يَحتاج إلى إكمال . ولَم يَنْزِل بعد هذه الآية حلال ولا حرام. والدِّينُ الإسلاميُّ قائم على القُرآن والسُّنة، وفِيهما بيان كُلِّ شيء بلا استثناء،إمَّا نَصًّا وإمَّا دَلالة.وكُل واقعة حتى يوم القِيامة لها حُكم شرعي قائم على الدليل. وبابُ الاجتهاد مفتوح لا يُغلَق، وهو يعني إلحاق الفروع بالأصول، وإرجاع التفاصيل إلى القواعد.

وهذا الكمالُ يَبعث في نُفوس المسلمين الراحةَ والطمأنينة.وَخُلُوُّ الإسلام من أي ثغرة _ بغضِّ النظر عن حجمها _ ، وعدم وجود أي خطأ فيه ، وتحدِّيه لكل أعدائه المُعانِدين . كُل ذلك يبث القوةَ في قلب المُسْلِم ، ويجعل منه أداة بناء لا تنكسر أمام الشدائد والمصاعب . وحين يُدرِك الفردُ أبعادَ اعتناقه للإسلام فإنه يتحول إلى طاقة جبَّارة لإعمار الأرض وصناعة الحضارة ، وليس لقهر الآخرين واستعبادهم وإذلالهم . وهذه القوةُ الدينية الكاملة لا يُمكن محاصرتها ، وهي غَير قابلة للاختراق أو التدجين . الأمر الذي يؤدِّي إلى ولادة أجيال واثقة بنفْسها وعقيدتها وتاريخها ، قادرة على مُمارسة فِعل البناء الإنساني ، والتشييد الحضاري ، وإنشاء البيئة المناسبة للإبداع.

إن الخوفَ يأتي مِن النقص . والمشكلاتُ تُولَد مِن الثغرات . واللصُّ لا يدخل إلا من خلال ثغرة ما . ولو كان البيتُ مُحَصَّنًا ضِد الاختراق ، فلا يمكن لأحد أن يقتحمه أو يَسرقه .

والإسلام (أعظم بناء حضاري) دِين كامل لا ثُقب فيه ولا ثغرة . ولا يمكن اختراقه أو التلاعب به ، أو تحريف نصوصه ، أو إجراء عمليات ترميم له . والكاملُ غير قابل للزيادة أو النقصان . وهذه هي قوة الدِّين الإسلاميِّ ، عقيدةً وفِكْرًا ومُمَارَسَةً .

واليهوديُّ جاهل بالشريعة ، لذلك لم يُدْرِكْ أن عَرَفَة والجُمُعة عِيدان للمُسلمين ولَيْسا عِيدًا واحدًا . واللهُ أنزلَ التَّوراةَ على اليهود ، فلماذا لم يتَّخذوا اليومَ الذي أُنْزِلَتْ فيه عِيدًا ؟ ، ولماذا حرَّفوا نصوصَها ، ورَمَوْا أوامرَ الله تعالى وراء ظهورهم ؟ . لَوْ كان اليهودُ حريصين على الحق ، وباحثين عن الحقيقة ، لاتَّخذوا التَّوراةَ الأصلية (قبل التَّحريف) أساسًا لوجودهم وحياتهم ، واحتفلوا باليوم الذي جاءهم فيه النُّورُ الإلهيُّ بَدَلًا مِن الإعراض عن الحق ، والغرق في الجهل المقصود ، وتحريف التَّوراة ، وقتل الأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ .

وفي [مَتَّى ٢٢ : ٢٩] قال المسيحُ مُوَبِّخًا عُلماءَ اليهود : ((أَنتُم في ضَلالٍ لأنكم لا تفهمونَ الكتابَ ولا قُدْرَةَ الله)) .

جهل اليهود راسخ ، وعِنادهم مُتجذِّر ، وصفاتهم السيئة معروفة . إنهم في ضلال واضح ، بسبب انحرافهم الدينيِّ وانهيارهم الأخلاقيِّ . وهُم لا يَفهمون الكتاب، ولا يُدرِكون عَظَمَةَ اللهِ وقُدرته . وَلَوْ أنهم آمنوا بالتَّوراة الأصلية غَير المُحرَّفة ، وعملوا بأحكامها ، وطَبَّقوا نُصوصَها على أرض الواقع ، لاهْتَدَوْا إلى الإيمان ومعرفة الحق . وإذا كان علماء اليهود في ضلال ولا يَفهمون الكتاب ولا قُدرة الله ، فما هو حال العوام والجُهَّال والأتباع ؟ .

وجَهْلُ اليهود بالشريعة ، ومُحاربتهم لله ، وعدم تعظيمهم له ، جَعلهم يَعتقدون أنهم أغنياء ، والله فقير . وهذا يُشير إلى كفرهم القائم على العِناد وتَحَدِّي الله تعالى . وبذلك ، يكون اليهود قد سقطوا في الهاوية السحيقة ، وكشفوا عن عقولهم القاصرة ، وقلوبهم الكافرة ، وأنفسهم المريضة. وَلَوْ كانوا أصحاب عقول واعية وقلوب مُؤمنة لَعَلِمُوا أن الله هو الخالق الرازق ، المُنَزَّه عن النقائص والعُيوب ، وهو رازق المخلوقات مُنذ خَلَقَها ، ولم يُصَبْ بالفقر ، ولم تَنفَد خزائنه . ولكن الكُفر عناد ، وتَحَدِّي الله صِفة معروفة لليهود الذين بَنَوْا كُفرهم على الاستكبار والتَّعَنُّت والغرور والعِناد.

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ لقد سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ ﴾ [آل عِمران : ١٨١] .

هذه الوقاحةُ تشير إلى قلوب مليئة بالجهل المَمزوج بالعِناد. وهذه الجرأةُ على الله تعالى تنطلق من كفر مُتأصِّل في قلوب اليهود وعقولهم وأنفسهم ، وهُم لا يُقيمون وزنًا للشرائع الدينية ، ولا يَحترمون الأنبياءَ ، سواءٌ كانوا مِن بني إسرائيل أَم مِن غَيرهم .

لقد سَمِعَ اللهُ مَقولةَ اليهود السَّيئة الذين زعموا أن الله فقير ، وذلك حِين نَزَلَ قَوْلُه تعالى : ﴿ مَن ذا الذي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [البقرة : ٢٤٥].والمعنى: إن الله لا يَخفى عليه شيء. وقد قالَ اليهودُ أعداءُ الله : إن الله فقير يقترض مِنَّا ، ولو كان غنيًّا ما اسْتَقْرَضَنَا أموالَنا . وقال القرطبي في تفسيره (٤/ ٢٨٦) : ((وإنما قالوا هذا تَمْويهًا على ضُعفائهم ، لا أنهم يعتقدون هذا ، لأنهم أهل كتاب ، ولكنهم كفروا بهذا القول ، لأنهم أرادوا تشكيك الضعفاء مِنهم ومِن المؤمنين ، وتكذيب النبيِّ ﷺ ، أي أنه فقير على قول محمد ﷺ ، لأنه اقترضَ مِنَّا)) اهـ .

وما يُثير العجب والاستغراب أن اليهود أكَّدوا كلامهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ ﴾ للمُبالَغة . في حِين أنهم قالوا : ﴿ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ ، حيث إنهم نَسَبُوا أنفسَهم إلى الغِنى بدون تأكيد . كأن الغِنى صفة لازمة لهم ، ووَصْف معروف لهم ، لا شَك فيه ولا نزاع ولا جِدال ، ولا يحتاج إلى تأكيد ، وهذا دليل على شِدَّة كفرهم وضلالهم وتمرُّدهم وغرورهم واستكبارهم .

﴿ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا ﴾ . سيأمر اللهُ الملائكةَ الحَفَظَة بكتابة كلام اليهود في صحائف أعمالهم، حتى يكون أوكد للحُجَّة عليهم ، ولا يَقدِروا على إنكاره ، وسيُجازيهم عليه .

﴿ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ . ونكتب جريمتهم السَّيئة (قتل الأنبياء) ، حيث إنهم رَضُوا بفِعل أسلافهم الذين قتلوا الأنبياء ، فصاروا شُركاء لهم في الجريمة . والرضا بالقتل قتل ، والمُوافق على الجريمة شريك فيها .

وهذا المَجَاز مَجَاز عقلي ، لأن الله لا يَكتب ، وإنما يأمر الملائكة بالكتابة ، وبما أن الله هو الآمِر بالفِعل نسَبه إليه . وقد أسندَ اللهُ الفِعْلَ إليه مَجَازًا.وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ١٢٣) : ((أي : سنكتبه في صحائف الكَتَبَة ، أو سنحفظه في عِلْمنا لا نُهمله ، لأنه كلمة عظيمة ، إذْ هو كُفر بالله عز وجل ، واستهزاء بالقرآن والرسول ، ولذلك نَظَمَه مع قتل الأنبياء . وفيه تنبيه على أنه ليس أول جريمة ارتكبوها ، وأن مَن اجترأ على قتل الأنبياء ، لَم يُستبعَد مِنه أمثال هذا القَول)) اهـ.

﴿ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ ﴾ . ويقول اللهُ لهم في الآخرة على لسان الملائكة : ذوقوا عذابَ النار المُحرقة المُلتهبة . وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ١٢٣) : ((أي : وننتقم منهم بأن نقول لهم : ذُوقوا العذاب المُحْرِق . وفيه مُبالغات في الوعيد . والذَّوْقُ إدراك الطُّعوم ، وعلى

الاتِّساع يُستعمل لإدراك سائر المَحسوسات والحالات . وذِكْره ها هُنا لأن العذاب مُرَتَّب على قَوْلهم الناشئ عن البُخل والتَّهالك على المال . وغالب حُجَّة الإنسان إليه لتحصيل المطاعم ، ومُعظم بُخله به للخوف مِن فقدانه ، ولذلك كَثُرَ ذِكْر الأكل مع المال)) اهـ .

وفي الدُّر المنثور (٢/ ٣٩٦) : ((عن ابن عباس قال: دخل أبو بكر بيت المِدْراس _ يعني الموضع الذي يُدرَس فيه كُتب اليهود _، فوجد يهود قد اجتمعوا إلى رَجل منهم يقال له فِنْحَاص ، وكان مِن علمائهم وأحبارهم . فقال أبو بكر : وَيْلَكَ يا فِنْحَاص ! اتَّقِ الله وأَسْلِم ، فوالله إنَّك لَتَعْلَمُ أن محمدًا رسول الله ، تجدونه مَكتوبًا عِندكم في التَّوراة ، فقال فِنْحَاص : والله يا أبا بكر ما بِنا إلى الله مِن فَقْر ، وإنه إلَيْنا لَفَقير ، وما نتضرَّع إليه كما يَتضرَّع إلَيْنا، وإنَّا عنه لأغنياء، ولو كان غَنِيًّا عنَّا ما استقرضَ مِنَّا ، كما يَزعُم صاحبكم ، يَنهاكم عن الرِّبا ويُعطينا، ولو كان غَنِيًّا عنَّا ما أعطانا الرِّبا . فغضبَ أبو بكر ، فَضَرَبَ وجه فِنْحَاص ضَربةً شديدة ، وقال : والذي نفْسي بيده لَوْلا العهد الذي بَيْنَنا وبَيْنَكَ لضربتُ عُنقكَ يا عدو الله، فذهب فِنْحَاص إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، انظُر ما صَنع صاحبك بي،فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر:" ما حَمَلك على ما صَنعت ؟"، قال : يا رسول الله ، قال قَوْلًا عظيمًا : يزعم أن الله فقير، وأنهم عنه أغنياء، فلمَّا قال ذلك غَضِبْتُ لله مِمَّا قال ، فَضَرَبْتُ وجهه، فَجَحَدَ فِنْحَاص ، فقال : مَا قُلْتُ ذلك. فأنزلَ اللهُ فيما قال فِنْحَاص تصديقًا لأبي بكر: ﴿ لقد سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الذينَ قَالُوا إنَّ اللهَ فَقِيرٌ ﴾ الآية .. [آل عِمران : ١٨١] . ونزل في أبي بكر وما بَلَغه في ذلك مِن الغضب : ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ من الذين أُوتوا الكتابَ مِن قبلكم ومن الذين أَشركوا أذًى كثيرًا ﴾ [آل عِمران : ١٨٦]))[١٩٣].

إن المؤمنين سيتعرَّضون مِن قِبَل اليهود والنصارى والمشركين لعنفٍ لفظي يتضمن تكذيبَ الله تعالى ، والطعنَ في الإسلام والنبيِّ ﷺ والمؤمنين . وهذا هو منهج الكافرين في اضطهاد المؤمنين لإيمانهم بالله تعالى ، وثباتهم على الحق . وأهلُ الكفر يقومون بهذه العملية الدنيئة ، في محاولة يائسة منهم لتشكيك المؤمنين بدِينهم ، وحَمْلهم على ترك الإسلام .

واليهود بَنَوْا كُفرهم وضلالهم على العِناد والاستكبار والغرور ، وهذا جَعلهم يتلفَّظون بالشتائم والكلمات الكُفرية ، التي تُكذِّب اللهَ ، وتُهين كتابه وشريعته ورسوله .

---

١٩٣ قال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٣١) : ((وروى ابن أبي حاتم وابن المنذر بإسناد حسن عن ابن عباس أنها نزلت فيما كان بين أبي بكر وبين فِنْحَاص اليهودي)) .

ما الذي تنتظره البشرية مِن اليهود الذين يُحاربون اللهَ قَوْلًا وفِعْلًا ؟ . حتَّى مُشركو العرب عَبَدَة الأصنام والأوثان في الجاهلية ، لَم يَجْرُؤوا على وصف الله بأنه فقير ، بل إنهم كانوا يَعبدون الأصنامَ لتُقرِّبهم إلى الله _ وَفْق رُؤيتهم القاصرة وتفكيرهم المحدود _ . وما يُثير الأسف أن تَصْدر الشتائم الكُفرية عن أهل الكتاب . والمفروضُ أنهم على علاقة بوَحْي السماء ، ولهم ارتباط بالأنبياء . ولكن الكُفر عِناد . والجَهْلُ بالله هو الطريق المُوصِل إلى الكفر والضلال . ومَن يَعرِف اللهَ يَعْبده ، ومَن لا يَعرِفه لا يَعْبده . والجدير بالذِّكر أن جَهل اليهود قائم على العِناد ، ورفض الحق ، واعتناق الباطل ، اتِّباعًا لأهوائهم ، وتحقيقًا لمصالحهم . ولم يكن جهلهم نابعًا مِن غياب العِلْم وعدم المعرفة . فاليهودُ لَدَيهم التَّوراة ، وبين أيديهم الكُتب الدينية ، ويَعرِفون ماذا يَقولون.

والإنسانُ قد يُذنِب ويَقع في الإثم بحُكم ضَعْفه الإنساني وتأثير شهواته ، ولكنْ عليه ألا يَستمرئ الذنوب ويَغرق فيها . بل يجب عليه أن يتوب إلى الله ، ويعود إلى الطريق المستقيم ، والرجوعُ إلى الحق خَير مِن التمادي في الباطل . والحقُّ أحقُّ أن يُتَّبع .

والمشكلة الجذرية في قلوب اليهود وعقولهم ، أنهم صاروا يَعتبرون الانحرافَ هو الطريق المستقيم ، وصاروا ينظرون إلى الإثم كأمر عادي روتيني لا يَدْعو إلى القلق ، ولا يُثير الاستنكار. وهذا يدل على جهلهم بالله ، ورفضهم للشرائع ، ومُحاربتهم للأنبياء ، وانتكاس فِطْرتهم ، وهذا أدى إلى ضياع اليهود في مَتاهة الكفر والضلالِ ، بلا وازع ديني ولا رادع أخلاقي .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لهم قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لنَا إِلَهًا كَمَا لَهُم آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُم قَوْمٌ تَجْهَلُون ﴾ [الأعراف : ١٣٨] .

بعد كُل الحُجَج البَيِّنات التي عاينها بنو إسرائيل بأبصارهم، وإنقاذهم من الطاغية فِرْعَوْن،ما زال عشق التجسيم والوثنية يَمتلكهم، ويُبعدهم عن معرفة الله تعالى . وما زال الجهلُ مُتغلغلًا في نفوسهم، وهذا ينعكس على سلوكهم ذي الطابع الوثنيّ ، جَرَّاء تأثرهم بأفكار مُنحرِفة متجذرة في قلوبهم الفاسدة. والآيةُ تُخبِر عن جَهْلهم حيث اعتقدوا جَواز عِبادة غَيْر اللهِ بعدما رَأَوا الآياتِ .

عَبَرَ اللهُ ببني إسرائيل بَحْرَ القُلْزُم _ عند خليج السويس الآن _ ، فَمَرُّوا على قَوم يُلازِمون عبادَة أصنام لهم . قالوا لنبيِّهم : يا مُوسى ، اجعل لنا صنمًا نَعبده كما لهم أصنام يَعبدونها . لقد أرادوا أن يتَّخذوا صنمًا إِلَهًا يُقرِّبهم إلى الله . ومن الواضح أنهم استحسنوا اتخاذ صَنمٍ للتقرُّب إلى الله تعالى . ومِن المُستبعَد أنهم طَلَبوا مِن مُوسى ﷺ اتخاذ صنم لإفراده بالعبادة . قال مُوسى : إنكم قَوم تَجهلون عَظَمَة الله ، ولا تُدرِكون معنى وَحدانيته ، ولا تَعرِفون شيئًا عَن أُلوهيته ورُبوبيته .

والقَومُ العاكفون على الأصنام كانوا مِن الكنعانيين ، أو مِن لَخْم . وكانوا يعبدون أصنامًا على صُوَر البقر (تماثيل بقر مِن نُحاس) ، وهذا أثارَ لبني إسرائيل شُبهة في عبادتهم العِجْل . ولمَّا كان عِجْل السامريِّ ، شُبِّهَ لهم أنه مِن تلك البقر ، وكانت هذه بداية قصتهم مع عبادة العِجْل . وقد أقامَ اللهُ عليهم الحُجَّة ، وقَطع أعذارهم ، وسينتقم منهم بعد ذلك . وبنو إسرائيل أشد الناس عِنادًا وغُرورًا واستكبارًا وجَهْلًا وتَلَوُّنًا ، وهُم يَجهلون عَظَمَة الله ووَحدانيته ، ووجوب إفراده بالعبادة ، وتنزيهه عن الشَّريك والمثيل والنِّد .

وقال الطبري في تفسيره (٦/ ٤٥) : ((يقول تعالى ذِكْرُه : وقَطَعْنا ببني إسرائيل البحر بعد الآيات التي أريناهُموها ، والعِبَر التي عاينوها على يَدَي نبيِّ الله مُوسى ، فلم تزجرهم تلك الآيات ، ولم تعظهم تلك العِبَر والبَيِّنات ! ، حتى قالوا _ معَ مُعاينتهم مِن الحُجَج ما يَحِق أن يذكُر مَعَها البهائم ، إذْ مَرُّوا على قوم يعكفون على أصنام لهم . يقول : يَقومون على مُثُل لهم يَعبدونها مِن دون الله _ : ﴿ اجْعَل لنَا ﴾ يا مُوسى ﴿ إلَهًا ﴾ . يقول : مِثَالًا نَعبده وصنمًا نتَّخذه إلَهًا ، كما لهؤلاء القوم أصنام يعبدونها ، ولا تنبغي العبادة لشيء سوى الله الواحد القَهَّار . وقال مُوسى صلوات الله عليه : إنكم أيها القوم قوم تَجهلون عَظَمَةَ الله ، وواجب حقِّه عليكم ، ولا تعلمون أنه لا يجوز العبادة لشيء سوى الله ، الذي له مُلْك السموات والأرض ... . وقِيل : إن القوم الذين كانوا عُكُوفًا على أصنام لهم الذين ذَكَرَهم اللهُ في هذه الآية قوم كانوا مِن لَخْم ... وقيل : إنهم كانوا مِن الكنعانيين الذين أُمِرَ مُوسى عليه السلام بقتالهم)) اهـ .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ العِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُم ظَالِمُون ﴾ [البقرة : ٥١] .

أنقذَ اللهُ بني إسرائيل من فِرْعَوْن ، ونجَّاهم من البحر . ومعَ هذا ، فقد اتخذوا العِجْلَ إلَهًا مِن بعد موسى ﷺ . وهذ الشِّرك هو مُنتهى الظُّلم ، ظُلْم الإنسان لنفْسه ، وذلك بوَضْعه العبادة في غير مَوْضعها ، والتوجهِ إلى إلهٍ وهميٍّ ، ونسيانِ الله الذي لا إلهَ غَيْرُه .

وقال الواحدي في الوجيز (١/ ١٠٥) : ((وهذا تنبيه على أن كفرهم بمحمد ﷺ ، ليس بأعجب مِن كُفرهم وعبادتهم العِجْل في زمن موسى عليه السلام)) اهـ .

وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٣٢٣) : ((لَمَّا عادوا إلى مِصْر بعد هلاك فِرْعَوْن ، وَعَدَ اللهُ موسى أن يُعطيَه التَّوراة ، وضَرَبَ له مِيقاتًا ذا القِعْدة وعَشْر ذي الحِجَّة ، وعَبَّر عنها بالليالي ، لأنها غُرَر الشُّهور)) اهـ .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٧٩و٨٠) : ((ومعنى الآية: وَعَدْنا مُوسى تتمة أربعين ليلة او انقضاء أربعين ليلة . ومُوسى اسم أعجمي أصله بالعِبْرانية " موشا " فمو: هو الماء ، وشا : هو الشجر ، لأنه وُجد عند الماء والشجر ، فَعُرِّبَ بالسين . ولماذا كان هذا الوعد ؟ ، فيه قَولان: أحدهما لأخذ التوراة ، والثاني للتكليم . وفي هذه المُدَّة قَولان: أحدهما أنها ذُو القِعدة وعَشْر مِن ذي الحِجَّة ، وهذا قول مَن قال : كان الوعد لإعطاء التوراة . والثاني أنها ذو الحِجَّة وعَشْر مِن المُحَرَّم ، وهو قول مَن قال : كان الوعد للتكليم . وإنما ذُكِرَت الليالي دون الأيام لأن عادة العرب التأريخ بالليالي ، لأن أول شهر لَيْلة ، واعتماد العرب على الأهلة، فصارت الأيام تَبَعًا لليالي. وقال أبو بكر النَّقاش : إنما ذكر الليالي لأنه أمره أن يصوم هذه الأيام ويُواصلها بالليالي، فلذلك ذَكَرَ الليالي . وليس بشيء ... . روى السُدي عن أشياخه أنه لمَّا انطلق مُوسى واستخلفَ هارون . قال هارون : " يا بني اسرائيل إن الغنيمة لا تَحِلُّ لكم ، وإن حُلِيَّ القِبْط غنيمة ، فاجمعوه ، واحفروا له حَفِيرة ، فادفنوه ، فإن أحَلَّه موسى فخذوه ، وإلا كان شيئًا لم تأكلوه "،ففعلوا. قال السُدي: وكان جِبريل قد أتى إلى مُوسى ليذهب به إلى رَبِّه ، فرآه السامريُّ فأنكره . وقال : إن لهذا شَأنًا ، فأخذَ قَبْضة مِن أثر حَافِر الفَرَس فقذفها في الحَفِيرة ، فظهرَ العِجْل . وقِيل : إن السامريَّ أمرهم بإلقاء ذلك الحُلِيِّ، وقال: إنما طالت غَيبة مُوسى عنكم لأجل ما معكم مِن الحُلِيِّ ، فاحفروا لها حَفِيرة، وقرِّبوه الى الله ، يبعث لكم نَبِيَّكم ، فإنه كان عَارِيَّة ، ذَكَرَه أبو سليمان الدمشقي . وفي سبب اتخاذ السامريِّ عِجْلًا قَولان: أحدهما أن السامريَّ كان مِن قَوم يَعبدون البقر، فكان ذلك في قلبه، قاله ابن عباس . والثاني أن بني إسرائيل لمَّا مَرُّوا على قوم يَعْكُفون على أصنام لهم أعجبهم ذلك ، فلمَّا سألوا موسى أن يَجعل لهم إلَهًا ، وأنكرَ عليهم، أخرج السامريُّ لهم في غَيْبته عِجْلًا لمَّا رأى مِن استحسانهم ذلك ، قاله ابن زيد . وفي كيفية اتِّخاذ العِجْل قَولان : أحدهما أن السامريَّ كان صَوَّاغًا فصاغه ، وألقى فيه القَبضة ، قاله عليٌّ وابن عباس . والثاني أنهم حَفروا حَفِيرة وألْقَوْا فيها حُلِيَّ قَوم فِرْعَوْن وعَوَارِيِّهم ، تَنَزُّهًا عنها ، فألقى السامريُّ القَبضة مِن التراب ، فصار عِجْلًا ، رُوِيَ عن ابن عباس أيضًا . قال ابن عباس : صار لحمًا ودَمًا وجسدًا ، فقال لهم السامريُّ : هذا إلهكم وإله موسى ، قد جاء وأخطأ موسى الطريق ، فعبدوه ، وزَفَنوا حَوْله _ يعني رَقَصوا حَوْله _)) اهـ .

وفي [مَرْقُس ٧ : ٩] قال المسيح لعلماء اليهود : ((حقًّا أنَّكم رَفَضتم وَصِيَّةَ اللهِ لِتُحافظوا على تقليدكم أنتم)) .

هذا توبيخٌ شديد مِن المسيح لعلماء اليهود الضَّالِّين في أنفسهم ، المُضِلِّين لغَيرهم .

إنهم رَفضوا وَصِيَّةَ الله ، وأعرَضوا عنها ، وأهملوها ، مِن أجل المُحافظة على تقليدهم ، وهذا نابع مِن اتِّباعهم لأهوائهم الباطلة ، وحِرصهم على مصالحهم الشخصية . والتقاليدُ البائسةُ التي لا طائل من ورائها ، ما زالت تلعب لُعبتها في عقول اليهود الهاربين مِن نُور الحق إلى ظُلمات الباطل.

وقد حلَّت تقاليدُ اليهود وعاداتهم السَّيئة مَكانَ العقيدة ، وصارت عَقيدةً بديلةً ، ودِينًا مُتَّبَعًا ، وشريعةً قائمة بذاتها . وهذا يدل على كُفر اليهود وضلالهم ، وفساد عقيدتهم القائمة على التقليد الأعمى وتقديس الأهواء والمصالح. وكَم مِن الناس الذين يَعْبُدون أهواءهم وهُم يَظنُّون أنهم على الصراطِ المستقيم ، وكَم من عادةٍ قبيحةٍ تُسيطر على المجتمع كما لو كانت شريعةً سماوية .

قَدْ تُنْكِرُ العَينُ ضَوْءَ الشَّمس مِنْ رَمَدٍ ... ويُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ المَاءِ مِنْ سَقَمِ

وانعكسَ جَهْلُ اليهود بالشريعة على الجَوِّ الأُسري، والعلاقةِ بين الرَّجل وزوجته . فعن جابر ابن عبد الله _ رضي الله عنه _ قال : ((كانت اليهود تقول إذا جامعها مِن ورائها ، جاء الولدُ أحْوَل ، فَنَزلت : ﴿ نِساؤكم حَرْثٌ لكم فَأتوا حَرْثَكم أنَّى شِئْتُم ﴾)) [194] .

هذه الآيةُ تُكذِّب اليهودَ ، وتفضح جَهْلَهم ، وتُظهر كلامَهم المُعتمِد على الأهواء الباطلة ، والآراء الشخصية ، بلا دليل نقلي ، ولا حُجَّة عقلية ، ودُون وجود منهجٍ شَرْعي أو عِلْمي . واليهودُ مَشهورون بتحكيم أهوائهم ومصالحهم الشخصية ، وإلباس أفكارهم الوهمية لِباسًا دِينيًّا مَعصومًا .

وحتى الطِّبُّ لم يَنْجُ من أوهام اليهود وأكاذيبهم ، التي تقوم على التخلف المُتأصِّل في عقولهم وأنفسهم . واليهودُ يُحاولون جاهدين ارتداء ثياب العلماء ، وتغليف آرائهم بالمنهج العِلْمي ، ولكن كلامهم يدل على جَهلهم العميق . والجاهل قد يُلقي كلامًا بدون أساسٍ لِيَبدوَ صاحبَ عِلْمٍ ومعرفة ، ولكي يُقال عنه إنه عالِم ومُفكِّر ومُثقَّف . وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٠/ ٦) : ((قال العلماء : وقوله تعالى :﴿ فَأتوا حَرْثَكم أنَّى شِئْتُم ﴾ أي مَوْضِع الزَّرْع مِن المرأة ، وهو قُبُلها الذي يُزرَع فيه المَنِيُّ لابتغاء الولد ، ففيه إباحة وَطْئها في قُبُلها إن شاء مِن بين يديها ، وإن شاء مِن ورائها ، وإن شاء مَكبوبة . وأمَّا الدُّبُر فليس هو بحَرْث ، ولا موضع زَرْع . ومعنى قوله :﴿ أنَّى شِئْتُم ﴾ أي كيف شِئتم . واتَّفق العلماء الذين يُعْتَد بهم على تحريم وَطْء المرأة في دُبُرها ، حائضًا كانت أو طاهرًا ، لأحاديث كثيرة مشهورة)) اهـ .

---

١٩٤ متفق عليه.البخاري (٤/ ١٦٤٥) برقم (٤٢٥٤)،ومسلم (٢/ ١٠٥٨) برقم (١٤٣٥).

إن العِلمَ النافعَ ورفضَ الشَّريعة ضِدَّان لا يجتمعان . وعلماءُ اليهود مَهْمَا أُوتُوا مِن عِلْمٍ سَيَظَلُّون جَهَلة ، لأن قلوبهم فاسدة ، وعقولهم تعيش في الأوهام والأهواء والمنافع المادية .

وفي [لُوقَا ٧ : ٣٠]:((وأمَّا الفَرِّيسِيُّون وعُلماءُ الشَّريعة فقد رَفضوا قَصْدَ اللهِ مِن نَحْوِهم)).

إن علماء اليهود رَفضوا قَصْدَ اللهِ مِن نَحْوِهم ، وأعرَضوا عن أوامره ، وأهمَلوا شريعته ، اتِّبَاعًا لأهوائهم الذاتية ، وحِرْصًا على مصالحهم الشخصية ، وعِشْقًا لِحُطام الدنيا الفاني .

ولا بُد أن ينالوا عِقابَهم ، ويَدفعوا ثمنَ جرائمهم . وعلماءُ اليهود غارقون في الفساد والإثم والضلال ، وعِلْمُهم حُجَّة عليهم لا لهم . ولا فائدة مِن عِلْمٍ لا يُترجَم إلى عمل . والإنسانية فاشلةٌ تمامًا إن لم تُطَبِّق الشَّريعةَ السَّماويةَ الناسخةَ لكل ما قَبْلها ، وهي الشَّريعة المُحمَّدية الإسلامية .

وقد وصلت البشريةُ إلى أعلى درجات الرُّقي المادي والتقدم التكنولوجي ، وأسمى مراتب العِلْم ، وابتكرت التطبيقاتِ التقنية المُتقدِّمة في كل المجالات . ومع هذا، فإن مشكلات الإنسان والمجتمعات في ازدياد كارثي . وكُلُّ مظاهر التقدم المادي لم تَقْدر على تخليص الفرد من أزماته الحياتية ، وإنقاذه مِن أمراضه الروحية والمادية . مِمَّا يُشير إلى قُصور الإنسان في إيجاد حُلول لإنقاذ نفْسه ، وهذا عائدٌ إلى ابتعاده عن الشريعة السماوية ، واكتفائه بعقله القاصر . ولا يمكن للإنسان أن يرتاح في هذه الحياة إلا إذا التزم بأوامر خالقه تعالى . فاللهُ تعالى صانعُ الإنسان ، وأعْلم به منه . وهو الذي خَلَقَه ويَعرف نقاط قوته وكيفية تعزيزها ، ونقاط ضعفه وكيفية تجنُّبها .

وصَدَقَ القائل :

إذا لم يكن عَوْنٌ مِن الله للفتى   فأوَّلُ ما يَجْني عليه اجتهادُه

والكُتبُ السَّماوية المُقدَّسة جاءت للنهوض بالأفراد والجماعات والمجتمعات، وتحويل الواقع البائس للأمم والشعوب إلى واقع سعيد ، بلا قلق ولا عذاب . إنها جاءت لِتُنَفَّذَ نُصوصُها وتُطبَّق في الواقع المُعاش، بما تمتلكه مِن قُدرة على تلبية كافة الحاجات البشرية المعنوية والمادية . والكتبُ السماوية لا يُمكن حَصْرها في الخطاباتِ وحلقات الدراسة . إنها شاملة لكل نواحي الحياة بكل عناصرها ومُحتوياتها ، بدون استثناء . والعِلْمُ غَير النافع في غاية الخطورة . ومَثَلُه كَمَثَل كَنز يُنفَق في سبيل الشَّيطان . وطلبُ العِلْم ليس فضيلةً بحد ذاته ، لكن الفضيلةَ هي طَلَب العِلْمِ النافع ، والعمل به على أرض الواقع .

وفي [أعمال الرُّسل ٣ : ١٧] قال بُطرُس فاضحًا اليهود : ((إنِّي أَعلمُ أَيُّها الإِخوةُ أنَّكم ورؤساءكم عاملتمُ المسيحَ بجَهْل)) .

إن رؤساء اليهود وأتباعهم عاملوا المسيحَ بجَهْل ، ورفضوا دَعوته ، وكذَّبوه ، وعانَدوه . وفي هذا دَلالة واضحة على قَسوة قلوب اليهود ، وجهلهم بالشريعة ، ورفضهم لأوامر الله وأحكامه ، ومُحاربتهم لشريعته وأنبيائه.وهذه صفات مشهورة لليهود ومعروفة عنهم ، أخذوها مِن أسلافهم .

والسؤال الذي يَطرح نَفْسَه في هذا السياق : كيفَ يصف بُطرُس اليهودَ (أعداء المسيح) بالإخوة،معَ أنهم حَسَب العقيدة النصرانية الباطلة، صَلبوا المسيحَ(إله النصارى ومعبودهم)؟ [١٩٥].

إن كلمة " الإخوة " في هذا السياق ذات دَلالة خطيرة ، ويُمكن فَهمها ضِمْن مِحْوَرَيْن :

الأول : أن بُطرُس لم يَقُلْ هذه الكلمة ، وإنما قالها آخرون ونسَبوها إليه . والسؤال : مَن أصحاب المصلحة مِن هذا الأمر والمستفيدون مِنه ؟ . إنهم اليهود ! . قد يُثير هذا الجوابُ الاستغرابَ ، لكن سياق النص يدل على أن مِن مصلحة اليهود أن يُبعِدوا عنهم أيَّة مسؤولية متعلقة بإيذاء السيد المسيح ﷺ، ومن مصلحتهم الظُّهور في ثياب الحِمْلان الوديعة البريئة.وهذا يدل على اختراق اليهود للإنجيل،وتلاعبهم بنصوصه ، لتحسين صورتهم وتجميلها، وتبرئتهم مِن دم المسيح.

الثاني: أن بُطرُس قال هذا الكلام فِعْلًا ، وبالتالي فقد خضع لنفوذ اليهود وضغطهم ، وخان الأمانة ، وقَلَبَ الحقائق رأسًا على عَقِب ، مُقابل أن ينالَ رضا المُتنفذين من اليهود . ولن يتسامح معه التاريخُ مُطْلَقًا لو كان بُطرُس قال ذلك حقًّا . ووصفُ اليهود بالإخوة على لسان بُطرُس (أعظم تلاميذ المسيح) سيُعطيهم شرعيةً وبراءة ذِمَّة مِن كل الكوارث والجرائم التي ارتكبوها.وبذلك ، يكون بُطرُس قد خانَ المسيحَ ، وباعَ دَمَه لليهود مَجَّانًا، ونَسِيَ آلامَ المسيح ومُعاناته ، وقِيام اليهود بصَلْبه على خَشَبَة وقَتْله ، حَسَب عقيدة النصارى الباطلة .

واليهودُ قد اختاروا مُحاربةَ الله منهجًا حياتيًّا ثابتًا لا رَجْعة فيه. قال اللهُ تعالى: ﴿ وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِم وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَل يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة: ٦٤].

قال اليهودُ إن الله بخيل ، يُقتِّر على عباده في الرِّزق ، ويُضيِّق عليهم . واليدُ المَغلولة كِناية عن البُخل والشُّح ، واليد المبسوطة كِناية عن الكَرَم والجُود .

---

١٩٥ بيَّن القرآنُ أن المسيح لم يُقْتَلْ ، ولم يُصْلَبْ ، وهذه المسألة معلومةٌ من الدِّين بالضرورة، بحيث إن مُنكرها كافر . قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُم ﴾ [النِّساء : ١٥٧].

واليهودُ المَلْعُونون لا يَقصِدون أن لله يَدًا (جارحة) وهي مُقيَّدة أو مُوثَّقة ، وإنما يَقصِدون أن الله بخيل ، وخَيره مَمنوع عنهم ، وعطاؤه مَحبوس عن الاتِّساع عليهم ، وأن الله أمسكَ ما عِنده .

﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِم ﴾ . دُعاء عليهم بالبُخل والفقر والذُّل . وهذا واقع ملموس ، فإن اليهود مَشهورون بالبُخل والجُبْن والذُّل ، حتى لو امتلكوا الأموالَ والنُّفوذَ ووسائلَ القُوَّة .

﴿ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ . طَرَدَهم اللهُ مِن رحمته ، وأبعدهم عنها ، بسبب مقولتهم السَّيئة .

﴿ بَل يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ . إن الله جواد كريم ، يَرزق عبادَه في الليل والنهار ، ويَمنحهم النِّعَمَ الكثيرة، ويتفضَّل عليهم بالآلاء العظيمة. وهو سُبحانَه واسع الفضل، جزيل العطاء. واللهُ قَد يُضيِّق الرِّزقَ على بعض عباده بسبب معاصيهم وذُنوبهم ، وهذه عقوبة لهم ، وليس بسبب عَجْزه أو فَقْره أو نفاد خزائنه . ورِزقُ الله تابع لمشيئته العظيمة وحِكمته البليغة ، وليس تابعًا لكلام الناس وأحلامهم وأمانيهم . ومِن الناس مَن لا يُصلِحه إلا الغِنى ، ولو أفقره اللهُ لأفسدَ دِينه ودُنياه . ومِن الناس مَن لا يُصلِحه إلا الفقر ، ولو أغناه اللهُ لأفسدَ دِينه ودُنياه . وحِكمةُ الله عظيمة ، عَلِمَها مَن عَلِمَها ، وجَهِلَها مَن جَهِلَها . واللهُ حكيم يَضع الأمورَ في نِصابها الصحيح ، وهو سُبحانَه مُنَزَّه عن العبث واللعب والخطأ والفوضى .

وذِكْرُ اليَدَيْن معَ كَوْنهم لَم يَذْكُروا إلا اليد الواحدة ، مُبالَغة في الرَّد عليهم ، وبيان أن الله هو الكريم الأكرم ، ولا يُوجد أكرم مِنه . ونِسبةُ الكَرَم إلى اليَدَيْن أعظم مِن نِسبته إلى اليد الواحدة .

واللهُ مُنَزَّهٌ عن الجوارح والأعضاء والحواس. وينبغي نَفْي التَّشبيه عن الله سُبحانَه . وهو ليس بجسم، ولا شبيه له، ولا يُشبَّه ، ولا يُكيَّف ، ولا يَتحيَّز ، ولا تَحُلُّ فيه الحوادث ، سُبحانه وتعالى.

إن خيال اليهود المريض ، وجَهْلهم الفظيع ، صوَّرا لهم أن الله تعالى بخيلٌ . وجاء الردُّ الإلهيُّ حاسمًا في نفْس الآية الشَّريفة بما يتناسب مع حَجْم الجريمة التي اقترفها اليهودُ بحق أنفسهم . واللهُ لا يَضُرُّه هذا الكلام الساقط ، الذي يرتد على قائله وَبَالًا وعذابًا في الدنيا والآخرة .

واليهودُ أصحاب عقيدة باطلة ، فهُم يطعنون في الله تعالى ، ويحاولون إلصاق صفة البُخل به _ سُبحانَه _ وأنه لا يُنفِق ، ولا يُنعِم ، ولا يتفضَّل . وهذا مُضاد للحقيقة ، والواقعُ يُكذِّبه . إن الله لا تَنفد خزائنه ، وهو يَرزق مَخلوقاته مُنذ خَلَقَها ، ويَرزق المسلمين والكافرين على السَّواء ، ولم يُصَبْ بالإعياء أو الفقر ، ولم تَنفد خزائنه فيَحتاج إلى مُساعدة ، ولم يَقطع إحسانه عن خَلْقه رغم آثامهم وتقصيرهم وعدم القيام بحق عبادته . ومَن يَرزق المُؤمنَ ويَمنحه النِّعَمَ الجليلة ، ويَرزق الكافر على كُفره ويَجعله في سَعَة مِن العَيش ، مُحال أن يكون بخيلًا .

والبُخْلُ هو الإمساك عن الإنفاق خَشية الفقر أو الحاجة، وهذه الصفة مَنفيةٌ عن الله تعالى الغنيِّ عن كل شيء ، وكُلُّ شيء يحتاج إليه ـ سُبحانَه وتعالى ـ .

وقال الطبري في تفسيره (٤/ ٦٣٩) : ((وهذا خَبَر مِن الله تعالى ذِكْرُه عَن جُرأة اليهود على ربِّهم ، ووصفهم إيَّاه بما ليس مِن صفته ، توبيخًا لهم بذلك ، وتعريفًا مِنه نَبِيَّه ﷺ قديم جهلهم واغترارهم به، وإنكارهم جميع جميل أياديه عندهم، وكَثرة صَفْحه عنهم ، وعَفْوه عن عظيم إجرامهم ، واحتجاجًا لنَبِيِّه ﷺ بأنه له نبيٌّ مَبعوث ورسول مُرسَل : أن كانت هذه الأنباء التي أنبأهم بها كانت مِن خَفِيِّ عُلومهم ومَكنونها ، التي لا يَعلمها إلا أحبارهم وعلماؤهم دُون غَيرهم مِن اليهود ، فَضْلًا عن الأُمَّة الأُمِّية من العرب الذين لم يَقرأوا كتابًا ، ولا وَعُوا من علوم أهل الكتاب عِلْمًا ، فأطلعَ اللهُ على ذلك نَبِيَّه محمدًا ﷺ ، ليُقرِّر عِندهم صِدْقَه ، ويَقطع بذلك حُجَّتهم)) اهـ .

واللهُ تعالى حين يُعلِم النبيَّ ﷺ بأقوال الأمم الغابرة وعقائدهم وأحداثهم التاريخية ، فهذا دليلٌ باهر على صِدْق محمدﷺوصِحَّة نُبُوَّته ورسالته.وهذه الغَيْبِيَّات لا مَصدر لها إلا السماء. والنبيُّ ﷺ أُمِّيٌّ لا يَقرأ ولا يكتب ، أي إنه لم يطَّلع على كُتب السابقين فيعرف ما فيها ، ولم يُعرَف عنه أنه كان عَالِمًا بالعقائد الدينية ، أو مُؤرِّخًا مُطَّلِعًا على حياة الأمم والشعوب . وإنما كان راعيًا للغنم ، فَمِن أين جاء بكل هذه المعلومات الغَيْبِيَّة عن الأقوام السابقين وعقائدِ أهل الكتاب ؟ . الجوابُ الوحيد هو أنه نبيٌّ يُوحى إليه ، ويَأتيه خَبَر السماء .

أمَّا سبب نزول الآية ، فعن ابن عباس ـ رضي اللهُ عنهما ـ قال: ((قال رَجل من اليهود يُقال له النَّبَّاش بن قَيْس : إن ربك بخيل لا يُنفِق . فأنزلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾)) [١٩٦].

ومعَ أن القائل شخص واحد إلا أن هذه المقولة الشنيعة نُسِبت لليهود عامةً لأنهم رَضُوا بها ، ولم يُنكِروا على صاحبها . فصارت مقولةً لهم جميعًا . والراضي بالجريمة شريك فيها . وهنا تبرز خطورةُ العقل الجمعي ، حيث يصبح الفسادُ صفةً لازمة للجماعة ، وتعبيرًا عنهم .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣٩٢ و٣٩٣) : ((قَوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ . قال أبو صالح عن ابن عباس : نزلت في فِنْحَاص اليهوديّ وأصحابه ، قالوا: يد الله مغلولة ... وفي سبب قولهم هذا ثلاثة أقوال : أحدها أن الله تعالى كان قد بَسَطَ لهم الرزق ، فلمَّا

١٩٦ رواه الطبراني في الكبير (١٢/ ٦٧) . وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٨١) : ((ورجاله ثقات)) .

عَصَوا اللهَ تعالى في أمر محمد ﷺ ، وكفروا به كَفَّ عنهم بَعْضَ ما كان بَسط لهم ، فقالوا : يد الله مغلولة ، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبِه قال عِكرمة . والثاني أن الله تعالى استقرضَ مِنهم كما استقرضَ مِن هذه الأُمَّة ، فقالوا : إن الله بخيل ويده مغلولة ، فهو يستقرضنا ، قاله قتادة . والثالث أن النصارى لمَّا أعانوا بُخْتُنَصَّر المجوسي على تخريب بيت المقدس ، قالت اليهود : لَوْ كان اللهُ صحيحًا لَمَنَعَنَا مِنه ، فيده مغلولة ، ذكَره قَتادة أيضًا . والمَغلولة المُمْسِكة المُنْقَبِضة . وعن ماذا عَنَوْا أنها مُمْسِكة، فيه قَولان : أحدهما عن العطاء ، قاله ابن عباس وقَتادة والفرَّاء وابن قُتَيبة والزَّجاج . والثاني مُمْسِكة عن عذابنا ، فلا يُعذِّبنا إلا تَحِلَّة القَسَم بِقَدْر عبادتنا العِجْل ، قاله الحسن . وفي قَوله : ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِم ﴾ ثلاثة أقوال : أحدها غُلَّتْ في جهنم ، قاله الحسن . والثاني أُمْسِكَت عن الخَير ، قاله مقاتل. والثالث جُعِلوا بُخَلاء ، فهُم أبخل قَوم ، قاله الزَّجاج . قال ابن الأنباري : وهذا خَبَر ، أخبرَ اللهُ تعالى به الخَلْقَ أن هذا قد نزل بهم ، ومَوضعه نَصْب على معنى الحال ، تقديره : قالت اليهود هذا في حال حُكْم الله بغُل أيديهم ولَعْنته إيَّاهم. ويجوز أن يكون المعنى: فَغُلَّتْ أيديهم. ويجوز أن يكون دعاء معناه تعليم الله لنا كيف ندعو عليهم . وفي قَوله: ﴿ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ ثلاثة أقوال:أحدها أُبْعِدُوا مِن رحمة الله، والثاني عُذِّبوا في الدنيا بالجِزْية وفي الآخرة بالنار. والثالث مُسِخوا قِرَدة وخنازير. وروى ابن عباس عن النبيِّ ﷺ أنه قال: " مَن لَعَنَ شيئًا لم يكن للعنه أهْلًا، رَجَعَت اللعنةُ على اليهود بلعنة الله إيَّاهم ". قال الزَّجاج : وقد ذهب قوم إلى أن معنى يد الله نِعمته، وهذا خطأ يَنقضه: ﴿ بَل يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ فيكون المعنى على قَولهم : نِعمتاه، ونِعَمُ الله أكثر مِن أن تُحصَى. والمراد بقَوله : ﴿ بَل يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ أنه جواد يُنفِق كيف يَشاء، وإلى نحو هذا ذهب ابن الأنباري. قال ابن عباس: إن شاء وسَّع في الرزق، وإن شاء قتَّر)).

يجب الاعتقادُ بأن الخزائن الإلهية لا تَنفد ، وأن الله تعالى مَالِكُ لكل شيء ، وهو الغنيُّ المُستغني عن كُل شيء ، وكُلُّ شيء بحاجة إليه . لا يُصاب بالفقر ولا البُخل . ولا يَحتاج عِبادَه كَي يُساعدوه ، ولا يطلب النفقةَ مِن أحد . وهو _ سُبحانَه _ يُنفق كيف يشاء بلا عائق ، فيُعطي مَن يَشاء تَكَرُّمًا منه وتَفَضُّلًا، ويَمنع مَن يشاء لحكمةٍ يَعْلمها ، لا بُخْلًا أو خَوْفًا مِن الفقرِ والحاجةِ.

وعن أبي هريرة_ رضي اللهُ عنه _ عن النبيِّ ﷺ قال : ((إن يمين الله مَلأى ، لا يَغِيضها نفقة، سَحَّاءُ الليلَ والنهار، أرأيتُم ما أنفقَ مُنذ خَلَقَ السماواتِ والأرض،فإنه لم يَنقُصْ ما في يَمينه))[١٩٧] .

---

١٩٧ متفق عليه . البخاري (٢٦٩٩/٦) برقم (٦٩٨٣) ، ومسلم (٦٩٠/٢) برقم (٩٩٣) .

إن (يمين الله ملأى) كِناية عن خزائنه التي لا تَنفَد بالعطاء والبذل والإنفاق ، والله مُنَزَّهٌ عن الجوارح والأعضاء ، والإنسانُ هو الذي يحتاج إلى جوارح وأعضاء لتسهيل حركته ، وتيسير حياته، أمَّا اللهُ تعالى فهو غنيٌّ عن كُل شيء، ولا يحتاج شيئًا . (لا يَغِيضها نفقة) يعني : لا يُنقِصها نفقة، (سَحَّاءُ الليلَ والنهار) دائمة العطاء ، مِن السَّح ، وهو الصَّب والهَطْل .

هذا يُشير إلى عَظَمَة الله تعالى . والإنسانُ إذا أنفق مالًا نَقصت خزائنُه ، وقد يُشهَر إفلاسَه ويُصبح فقيرًا ، ومُحتاجًا إلى مُساعدة الآخرين . أمَّا اللهُ تعالى فخزائنه لا تَنفَد ، ولا تَنقُص مع كثرة الإنفاق ، والإنعامُ والنفقةُ دائمان ومُستمران في الليل والنهار . واللهُ يُنفِق مُنذ خَلَقَ السماواتِ والأرض، ولم يُصَبْ بالفقر أو نقص المال ، ولَم يطلب مساعدة أحد مِن عباده . مِمَّا يدل على أن الله تعالى هو الكريم الأكرم الذي يَرزق المؤمنين والكافرين ، ويُنعِم عليهم ، وهو الغنيُّ عنهم . والكَرَمُ صِفةٌ لله تعالى ، وصِفات الله قديمة قِدَم ذاته المُقدَّسة ، ولا يَطرأ عليها النقص أو التَّغيُّر .

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٦/ ١٣٣) : ((لأن ما عند الله لا يَدخله نقص، وإنما يَدخل النقصُ المَحدودَ الفاني ، وعطاءُ الله تعالى مِن رَحمته وكَرَمه ، وهُما صِفتان قديمتان لا يتطرَّق إليهما نقص)) اهـ .

واليهودُ أعداءُ الله ، حارَبوه ، وحرَّفوا كلامَه ، وطعنوا في صفاته المُقدَّسة ، وكذَّبوا أنبياءه . وهذه عادتهم المشهورة عنهم في كل زمان ومكان . وقد زَعَمَ اليهودُ أن لله وَلَدًا ، وتَبِعَهم النصارى (أتباع اليهود وتلاميذهم) ، وزعموا أن لله وَلَدًا . والطيور على أشكالها تقع .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِم يُضَاهِئونَ قَوْلَ الذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يؤفَكُون﴾ [التَّوبة : ٣٠] .

زَعَمَ اليهودُ أن عُزَير ابنُ الله ، وتَبِعَهم النصارى وزعموا أن المسيح ابن الله ، وأهلُ الكتاب ضَالُّون في أنفسهم ، مُضِلُّون لغَيرهم ، وهُم مُشركون . وكلامهم كَذِبٌ واضح ، ونابع مِن أهوائهم ومصالحهم ، بلا دليل نقلي ولا حُجَّة عقلية . إنه مُجرَّد كلام بالفم ، لا يقوم على دليل ، ولا بيان فيه ولا بُرهان . ومعناه خاطئ تمامًا . يُشابهون قَوْلَ الذين كفروا مِن قَبْلهم مِن الأمم التي ضَلَّتْ كما ضَلَّ اليهودُ والنصارى . وهذا يدل على أن أهل الكتاب تابعون للأسلاف في الكفر والضلال. لَعَنَهم اللهُ وأخزاهم . و﴿ قَاتَلَهُمُ اللهُ ﴾ دعاء عليهم بالهلاك ، ومَن قاتله اللهُ هَلَك لا مَحالة. كيفَ يَضِلُّون عن الحق وهو واضح ويَعتنقون الباطلَ؟. كيفَ يُصرَفون عن الحق بعد قيام الأدلة الواضحة عليه ويَجعلون لله تعالى وَلَدًا ؟ . وهذا تعجيب للنبيِّ ﷺ والمؤمنين .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٤٢٥) : ((وفي الذين كفروا هاهُنا ثلاثة أقوال : أحدها أنهم عَبَدَة الأوثان ، والمعنى أن أولئك قالوا : الملائكة بنات الله ، قاله ابن عباس . والثاني أنهم اليهود ، فالمعنى أن النصارى في قَوْلهم : ﴿ المَسِيحُ ابْنُ اللهِ ﴾ ، شَابَهُوا اليهود في قَولهم : ﴿ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ ﴾ ، قاله قَتادة والسُّدي . والثالث أنهم أسلافهم ، تَابَعُوهُم في أقوالهم تقليدًا ، قاله الزَّجاج وابن قُتَيبة)) اهـ .

ومَقولةُ اليهود خَرَجَتْ على العُموم ، ومعناه الخصوص ، لأنه لم يَقُلْ ذلك إلا بعض اليهود . أمَّا النصارى فقد زعموا أن المسيحَ ابن الله ، بسبب إحيائه للموتى ، وكَوْنه بلا أب . كما أنهم حَمَلُوا العبارات الواردة في الإنجيل مِثل : " ابن الله " ، أو " ابن الإنسان " على المعنى المَحسوس ، ولم يُدرِكوا أن ذلك لتشريف المسيح وتعظيمه، وإبراز مكانته الجليلة ، والإضافة للمِلْك والتشريف والتعظيم .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ أو كالذي مَرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنَّى يُحيي هذه اللهُ بعد مَوْتها فأماته اللهُ مِئةَ عام ثم بعثه ﴾ [البقرة : ٢٥٩] .

هذه القصةُ من آيات الله العظيمة ، إذ تتجلى فيها القُدرة الإلهية على الإماتة والإحياء . وهذا الرَّجل (عُزَيْر عليه السلام) الذي مَرَّ على قرية فوجدها ساقطةً سُقوفها وجُدرانها ، وخالية ليس فيها أحد ، استبعدَ إحياءها وهي في حالة المَوات تِلْك، معَ عِلْمه بأن الله تعالى على كل شيء قدير. فأراد اللهُ تعالى أن يُميته ثم يُحْيِيَه لإعطائه مَوعظة على أرض الواقع مُتجسِّدة في نفْسه . وصار عُزَيْرٌ بحد ذاته آيةً ربَّانية، وآيةً قرآنية خالدة . واليهودُ تزعم أن عُزَيْرًا (وهو رَجل صالح مُخْتَلَف في نُبُوَّته) هو ابن الله تعالى ، وهذا الغُلُوُّ دَيْدن أهل الكتاب في كل مراحل وجودهم ، إذْ إنهم يتطرَّفون في العقائد ، ويُغالون في تعظيم صالحيهم . وهذا مرجعه إلى انحرافهم عن الصراط المستقيم ، وتحكيمهم لأهوائهم وشهواتهم ، وخطوعهم لرغباتهم ومصالحهم . وهُم يسيرون في الظلام بلا بيِّنة ولا دليل ، وعلى غَير هُدى . كما أنهم يعتمدون على التأويل المُنحرف غير المبني على أسس سليمة، وهذا يؤدي إلى إخراج النصوص الدينية عن سياقها الصحيح ، وبالتالي الوقوع في عقائد باطلة ، ونشر الكفر والضلال بسبب تغيير مُراد الله تعالى ، والتلاعبِ بكلامه المُقدَّس .

وفي الدُّر المَنثور للسُّيوطي (٤/ ١٧١) أن ابن عباس _ رضي الله عنهما _ قال : ((أتى رسولَ الله ﷺ سلامُ بنُ مِشْكَم، ونُعمان بن أوفى، وأبو أنس، وشاس بن قَيس ، ومالك بن الصَّيف، فقالوا : كيف نتَّبعك وقد تركتَ قِبْلتنا وأنتَ لا تَزعُم أن عُزَيْرًا ابن الله ؟. وإنما قالوا : هو ابن الله

من أجل أن عُزَيْرًا كان في أهل الكتاب ، وكانت التوراة عندهم يعملون بها ما شاء الله تعالى أن يعملوا ، ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق، وكان التابوت فيهم، فلمَّا رأى اللهُ تعالى أنهم قد أضاعوا التوراة وعملوا بالأهواء ، رفع اللهُ عنهم التابوت ، وأنساهم التوراة ، ونسخها من صدورهم ، وأرسل عليهم مَرَضًا، فاستطلقتْ بطونهم منهم حتى جعل الرَّجلُ يمشي كبده ، حتى نسُوا التوراةَ ونُسخت من صدورهم ، وفيهم عُزَير كان من علمائهم ، فدعا عُزيرٌ اللهَ _ عَزَّ وَجَلَّ _ ، وابتهل إليه أن يرد إليه الذي نُسخ من صدره ، فبينما هو يُصلِّي مُبْتَهِلًا إلى الله تعالى ، نزل نورٌ من الله فدخل جَوْفَه ، فعاد إليه الذي كان ذهب من جَوفه من التوراة، فأذَّن في قَومه فقال: يا قَوْم قد آتاني الله التوراة ، رَدَّها إِلَيَّ فَعَلِقَ يُعلِّمهم ، فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا وهو يُعلِّمهم ، ثم إن التابوت نزل عليهم بعد ذلك وبعد ذهابه منهم ، فلمَّا رَأَوا التابوتَ عرضوا ما كانوا فيه على الذي كان عُزير يُعلِّمهم فوجدوه مِثْلَه ، فقالوا : والله ما أُوتِيَ عُزَير هذا إلا أنه ابن الله)) اهـ .

وكُل عقيدة باطلة لها سبب وأصل، ولم تجئْ تلقائيًّا أو تهبط من الهواء. ولا دُخان بدون نار . والنصارى الذين ألَّهوا المسيحَ ﷺ اعتمدوا على التأويل المنحرف للنصوص الدينية فوقعوا في المحظور ، وهنا تبرز خطورةُ عدم فهم دَلالات اللغة، وتحويلُ المَجَاز إلى واقع أو العكس ، وعدم التمييز بين المعنوي والمادي ، وكُل هذه القضايا سَتُؤَدِّي _ بلا شك _ إلى الانحراف العقائدي ، وإضاعة الشريعة . وكُلُّ دِين مبني على النصوص اللغوية . وإذا لم تُفهَم اللغةُ بالشكل الصحيح فإن الدِّين سيضيع لا مَحَالة . كما أنهم اعتمدوا على مُعجِزات خارقة للعادة جرت على يد السيد المسيح ﷺ مثل إحياء الموتى بإذن الله تعالى وغيرها، فاعتقدوا أن الذي يقوم بهذا العمل هو إلهٌ أو ابنٌ لله تعالى. وهذا انحراف عقائدي قبيح . فلو وُجد إلَهَان في الكون لاختلَّ النظام بسبب اختلاف الإلَهَيْن. ولا توجد دولة فيها رئيسان ، حتى إن الفاتيكان له بابا واحد لا اثنان . ولكنْ إذا غابت الهدايةُ الربانية فإن الإنسان قد يعتنق أي شيء بلا تمييز . واليهودُ الذين اعتقدوا بِبُنُوَّة عُزَير _ أي إنه ابن الله تعالى _ اعتمدوا على خوارق جرت على يديه ، فلم يقتنعوا بأن هذه الأمور تحصل مع الصالحين ، بل تطرَّفوا في هذه القضية ، ونسبوا لله تعالى الولدَ . وهذا أمرٌ ضد النقل والعقل . ولَوْ أن كل إنسان جرت على يديه خوارق للعادة تم اعتباره ابنًا لله تعالى لكان عددٌ كبير من الخلائق أبناء الله تعالى، وهذا لا يقول به عاقل . لذا ينبغي وضع الأمور في نِصابها الصحيح وتطهير العقائد من الأهواء المُفتقِدة إلى البُرهان. والجديرُ بالذِّكر أن اليهود في الوقت الحالي لا يَعتقدون بأن عُزَيْرًا ابن الله تعالى . فهذه العقيدةُ قديمةٌ وقد اختفت فيما بعد .

وقد كانت سائدة عند اليهود في أيام النبيِّ ﷺ ، بدليل أن اليهود لم يَتَبَرَّؤوا منها ، أو يَرُدُّوا عليها. ولو كانت كَذِبًا لقالَ اليهودُ إن القرآن يَفتري علينا . وهذا لم يحصل . إذن، فالقصةُ ثابتة عند اليهود ، وهذه عقيدتهم لم يَقْدِروا على التَّهَرُّب منها ، ولا إنكارها .

وفي فتح الباري (٣/ ٣٥٩) : ((قال ابن العربي في شرح الترمذي : تَبَرَّأت اليهودُ في هذه الأزمان من القَول بأن العُزَير ابن الله ، وهذا لا يمنع كَوْنه كان موجودًا في زمن النبيِّ ﷺ ، لأن ذلك نزل في زمنه واليهودُ معه بالمدينة وغيرها، فلم يُنقَل عن أحد منهم أنه رَدَّ ذلك ولا تعقَّبه ، والظاهر أن القائل بذلك طائفة منهم لا جميعهم)) اهـ .

وعن عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ قال : ((خَرج عُزَيْرٌ نبيُّ اللهِ من مدينته وهو رَجل شاب ، فمَرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها . قال : ﴿ أنَّى يُحيي هذه اللهُ بعد مَوْتها فأماته اللهُ مِئةَ عام ثم بعثه ﴾ ، فأوَّلُ ما خُلِق عَيْناه فجعل ينظر إلى عِظامه يَنضمُّ بعضها إلى بعض، ثم كُسِيَت لَحْمًا ، ونُفخ فيه الرُّوح وهو رَجل شاب ، فقِيل له : كم لَبِثْتَ ؟، قال : يَوْمًا أو بعض يوم ، قال: بل لَبِثْتَ مائة عام . فأتى بالمدينة وقد ترك جارًا له إسكافًا (صانعًا) شابًّا ، فجاء وهو شَيخ كبير)) [١٩٨].

وعُزَيْر غير مُتَّفق على كَوْنه نَبيًّا . وهذا الأمر فيه أخذ ورَد بين أهل العِلْم . وقال ابن حِمْيَر في كتابه تنزيه الأنبياء (ص ١٠٥) : ((جاء في الأثر أنه كان في بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام نبيٌّ ، وكان اسمه دانيال ، وإنما سُمِّيَ عُزَيْرًا لكثرة تعزير اليهود له ، وإعظامِهم لقَدْره عليه السلام ، ثم غَلُوا في تعظيمه حتى عبدوه، وسبب ذلك لأنه أماته الله مئة سنة ثم أحياه)) اهـ .

إن ظاهرة تقديس الأولياء وعبادة الصالحين منتشرة بكثرة . فكثيرٌ من الناس يَقعون في المُغالاة والتطرُّف ظنًّا منهم أن هذه هي الوسيلة الصحيحة لتمجيد الصالحين وتعظيمهم ، والحفاظ على ذِكْرهم . والكثيرون لا يَقْدِرون على تَحَمُّل رُؤية المُعْجِزات أو الكرامات، فتحدث لديهم صدمة تقودهم إلى الانحراف العَقَدي ، والسلوكِ الاجتماعي المُخالِف للشريعة. وأهل الكتاب يتسابقون إلى الكفر والضلال والكذب على الله تعالى . وكُل طائفة تُريد فَضْلًا ومجدًا وشرفًا خاصًّا بها، فتعتقد أن إضافة ولد إلى الله تعالى سيجعل منهم أصحاب السِّيادة والريادة في الدُّنيا والآخرة، فابتكرَ اليهودُ هذا الاختراع الأسطوريَّ ، ولحقهم النَّصارى ، وشابَهَ قولُهم قَوْل مَن سَبَقَهم . لعنهم اللهُ ، كيف يُصرَفون عن الحق؟. ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا ﴾ [الجن : ٣].

١٩٨ رواه الحاكم في المستدرَك (٣/ ٣١٠) برقم (٣١١٧) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

وهذه العقيدة الباطلة (نِسبة الولد إلى الله) قائمة على الكذب على الله والجُرأة عليه . كما تشير إلى تغلغل الأهواء الزائفة في قلوب أهل الكتاب وعقولهم وأنفسهم ، وهُم يتَّبعون الأهواء والظُّنون ، بلا دليل ولا بُرهان ولا يقين . وعقائدهم مبنية على الشُّكوك ، وسُوء تأويل النصوص ، وغياب منهجية الفهم الصحيح للمُعجِزات والكرامات . وهُم لا يملكون بُرهانًا على قَولهم ، ويَفتقدون إلى الحُجَّة الصحيحة ، وعقيدة " وجود ابن لله " باطلة ، ولا أساس لها من الصحة ، ولا دليل عليها من ناحية النقل أو العقل ، والبَيِّنةُ على مَن ادَّعى . وصَدَقَ القائل :

والدَّعاوى إنْ لم تُقيموا عليها بيِّناتٍ أبناؤُها أدعياءُ

وهناك عِدَّة أسباب جَعَلَت النصارى يَعتقدون أن المسيح ابن الله تعالى : ١ _ إن المسيح وُلد بدون أب. ٢_ إن المسيح كان يُحيي الموتى ويَشفي الأكْمَه (الأعمى) والأبرص بإذن الله تعالى. ٣_ هناك نصوص إنجيلية تذكر أن المسيح ابن الله ، وقد تَمَّ حَمْل هذه النصوص على البُنُوَّة المادية، معَ أن مَعناها يُفيد التشريف لأن الإضافة تفيد عُلُوَّ المكانة ، أو أن هذه نصوص مُحرَّفة قد تَمَّ اختراعها لترويج عقائد باطلة مِن قِبَل المُتلاعبين بالنصوص الدينية لتحقيق منافع شخصية .

وعلى سبيل المثال لا الحَصْر ، في [مَتَّى ٣ : ١٧] : ((وإذا صوت من السماوات يقول : هذا هو ابني الحبيب الذي به سررتُ كل سرور !)) . وفي [مَتَّى ٦ : ٤] : ((وأبوك السماوي الذي يرى في الخفاء هو يكافئك)) . وفي [مَتَّى ٦ : ٩] : ((أبانا الذي في السماوات)) .

وَلَوْ أردنا المُضِيَّ معَ النصارى في اعتقادهم لكانَ كُل الناس هُم أبناء الله تعالى ، وَفْق هذه النصوص الإنجيلية ، وليس المسيح وَحْدَه . إذن، هذه البُنُوَّة _ إذا ثَبَتت _ فإنها مَجَازية تُفيد الرحمة والمحبة والتشريف والتعظيم والتكريم ، ولَيست على وجه الحقيقة .

والخالقُ تعالى لا يحتاج إلى ابن ، وكُلُّ ما سِوى الله تعالى مخلوق ذليلٌ وعبد خاضع بإرادته ورغم أنفه لله تعالى. وشَرَفٌ للمسيح ﷺ ولكل الأنبياء أن يكونوا عِبَادًا لله خالقهم ، لا إلهَ غَيْرُه . تَنَزَّهَ عن الشريك والنِّد والصاحبة والولد .

وجهلُ اليهودِ ممزوجٌ بالعِناد والغرور والاستعلاء والتَّكَبُّر على الحق والمُجادَلةِ بالباطل ، وهُم جُهَّال ظاهريًّا وعُلماء باطنيًّا ، إذ إنهم يُدرِكون الحقائق ، ولكنهم يَحيدون عنها عَن سَبْق الإصرار والتصميم . وجَهْلُهم مبنيٌّ على عِلْم ومعرفة ومكر وخداع ، وهذا الجهلُ عقوبة لهم ، بسبب معرفتهم العِلْم اليقيني، ثم الانحراف عنه عَمْدًا، اتِّبَاعًا للأهواء والمصالح، وحِفاظًا على المناصب.

وعن أبي هريرة _رضي اللهُ عنه_قال : ((استبَّ رَجُلان ، رَجُلٌ مِن المسلمين ، ورَجُلٌ مِن اليهودِ. قال المُسْلم : والذي اصطفى مُحَمَّدًا على العَالَمين ، فقال اليهوديُّ : والذي اصطفى مُوسَى على العَالَمين)) [199]. سَبَّ أحد الرَّجُلَيْن الآخَرَ ، وتنازعا حَوْل مكانة النَّبِيَّيْن الكريمَيْن محمد ومُوسى _ عليهما الصلاة والسلام _ . ومعلومٌ أن محمدًا ﷺ أعظمُ مخلوقات اللهِ على الإطلاق . وهذا لا يُعارِض ما لِمُوسى ﷺ مِن فضلٍ ومكانةٍ لا يُنكِرها إلا كافرٌ . ولكنَّ اليهوديَّ أخذته العِزَّةُ بالإثم ، والتَّكَبُّر على الحق . ولَيْته فِعْلًا امتثل هُوَ وأسلافه أوامر النبيِّ مُوسى ﷺ الذي عانى مِن جَهل اليهود وعنادهم الشيء الكثير . والعِبرةُ بالاتِّباع ، وليس بالشعارات الرَّنانة . وأعمالُ اليهود السَّيئة تكشف كَذِبَهم . وهذا اليهوديُّ بنى دِينه على التَّعَصُّب والحَمِيَّة بعيدًا عن أحكام الشريعة . واليهودُ بائعو كلام ، ودِينهم قائم على أهوائهم ومصالحهم وآرائهم وأمزجتهم،وهُم يعيشون في جاهلية جَهْلاء، ويَسِيرون على غَير هُدى . وكما قيل : لا يذهب بعيدًا مَن لا يَعرف إلى أين هو ذاهب . والشخصيةُ اليهودية شديدة الاضطراب والقلق . إنها تغرق في الوساوس والأهواء والمصالح وعِشق حُطام الدنيا الفاني . لذلك ، كان المَكْرُ هو السلاح القاتل الذي يَستخدمه اليهودُ لإخفاء انهيارهم الداخلي . وفي صحيح مسلم (١/ ٢٤٦) : عن أنس بن مالك _ رضي الله عنه _ أنَّ اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لَم يُؤَاكلوها، ولَم يُجامعوهنَّ في البيوت، فسأل أصحابُ النبيِّ ﷺ النبيَّ ﷺ ، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿ ويسألونكَ عن المَحِيضِ قُل هو أذًى فاعتزِلوا النساءَ في المحيض ﴾ إلى آخر الآية . فقال رسول الله ﷺ : ((اصنعوا كُلَّ شَيْءٍ إلا النِّكاح)) ، فبلغ ذلك اليهود، فقالوا : ما يريد هذا الرَّجلُ أن يدع مِن أمرنا شيئًا إلا خَالَفَنا فيه .

ومعنى عدم جِماعهنَّ في البُيوت ، أي إنَّهم لَم يُخالطوهنَّ ، ولَم يُساكنوهنَّ في بَيتٍ واحد .

وقد اعتنقَ عربُ الجاهليةِ طريقةَ اليهود في التعامل مع المرأة الحائض ، فَتَجَنَّبوا مُؤاكلةَ الحائض ومُساكنتها . وهذا من باب التقليد الأعمى بلا دليلٍ دِينيٍّ ، ولا برهان عقليٍّ .

والقاعدةُ الفقهية في هذا السِّياق هي " اصنعوا كل شيء إلا النِّكاح " ، وهذا يعني جَواز مُباشرة الحائض فيما عدا الفَرْج . والإسلامُ يُؤَسِّس قواعدَه الخاصة دون تقليد لأحدٍ ، فهو نظامٌ متكامل قائم بذاته ، لا يعتمد على التقليد الأعمى ، وإنما يعتمد على الوَحْي السَّماوي المعصوم . وأيضًا، تتجلى سماحة الشريعة الإسلامية وسُهولتها ، ولُيونة النظام الاجتماعي في الإسلام ومُرونته.

١٩٩ متفق عليه . البخاري (٢/٤٨٩) برقم (٢٢٨٠) . ومسلم (٤/١٨٤٣) برقم (٢٣٧٣).

ومُخالفةُ اليهود لم تَجِئْ بدافع العصبية أو التَّكَبُّر، وإنما جاءت لترسيخ الحق ودحضِ الباطل ، ولو كان اليهودُ يَمْلكون دَليلًا شرعيًّا على تعاملهم مع الحائض لأقرَّهم الإسلامُ ، ولكنهم يَفتقدون إلى الحُجَّة والبُرهان ، لذلك دَحَضَ الإسلامُ باطلَهم ، وأرسى قواعدَ الحق ، فالحقُّ أحق أن يُتَّبع . والمشكلةُ أن اليهود يَنظرون إلى القضايا الدينية على أنها قضايا شخصية ، وصراعات فردية ، ونزاعات اجتماعية، لذلك نجدهم يصبغون القضايا الدينية بالتَّعَصُّب والأهواء والمصالح والأمزجة، وهُم غَير مَعْنِيِّين بالبحث عن الحق واعتناقه . وأحكامهم قائمة على الهوى لا الدليل .

وعدمُ جِماعِ الحائضِ أمرٌ واجبٌ ، أمَّا عدمُ الأكل معها ، أو إخراجُها من البيت، فليس من الشريعة المُحمَّدية الإسلامية الناسخة لِمَا قَبْلها.والمَنهج العَقَدي عند اليهود باطل ومُشوَّش، ومليء بالأمور الزائغة التي يعتقدونها دِينًا لازمًا.﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا ﴾[الأنعام: ١٤٤]. ﴿ ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِنَ العِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴾ [النَّجم : ٣٠]. والعقل اليهودي غارق في البُنية الأسطورية الخرافية . والعَالَمُ الذي يَخترعه الفكرُ اليهوديُّ المُنحرِف ، هو عَالَم هَوَسِي مُتخيَّل ، غير قادر على الإثبات والنَّفْي ، بسبب عدم امتلاكه للمنهج العِلمي المُتماسك . وفي [الرسالة إلى تِيطُس ١ : ١٤] قال بُولُس : ((لا يُديرون عُقولَهم إلى خُرافاتٍ يهوديةٍ ووصايا أُناسٍ تَحَوَّلوا عن الحق بعيدًا)) .

إن اليهود معروفون بالخرافات والأساطير والأكاذيب.وهُم أشخاص بَنَوْا دِينَهم على الخُرافات بلا دليل نقلي ولا حُجَّة عقلية ، ورَفضوا الحقَّ ، وحارَبوه ، للحفاظ على مصالحهم . وبسبب فَساد اليهود وغرقهم في الذنوب والآثام ، تَمَّ التَّشديد عليهم ، ووُضِعَت الأغلال (القيود) على بني إسرائيل ، عُقوبةً لهم . ومِنها ــ على سبيل المثال لا الحَصْر ــ وُجوب قتل بني إسرائيل لبعضهم بعضًا حتى يَنالوا التَّوبةَ بسبب عبادتهم للعِجْل . قالَ اللهُ تعالى : ﴿ فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ﴾ [البقرة : ٥٤]. فتوبوا إلى خالقكم مِن عبادة العِجْل وإشراككم بالله،وذلك بأن يَقوم البريءُ مِنكُم بقتل المُجرم . وهذا القَتلُ هو التَّوبة ، وهو الخِيار الوحيد ، ولا يُوجد حَل آخَر.

وفي تفسير القرطبي (١/ ٤٤٠) : ((قال سُفيان بن عُيَينة : التَّوبة نِعمة من الله أنعمَ اللهُ بها على هذه الأُمَّة دُون غَيرها مِن الأمم . وكانت تَوبة بني إسرائيل القَتل . وأجْمَعوا على أنه لَم يُؤمَر كُلُّ واحد مِن عَبَدة العِجْل بأن يَقتل نَفْسَه بيده . قال الزُّهري : لَمَّا قِيل لهم : ﴿ فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ﴾ ، قاموا صَفَّيْن ، وقَتل بعضُهم بعضًا ، حتى قِيل لهم : كُفُّوا . فكان ذلك شهادةً للمقتول ، وتَوبةً للحيِّ)) .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ مَثَلُ الذينَ حُمِّلُوا التَّوراةَ ثُمَّ لَم يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ القَوْمِ الذينَ كذَّبوا بآياتِ اللهِ واللهُ لا يَهْدي القَوْمَ الظالمين ﴾ [الجُمُعة : ٥] .

مَثَلُ اليهود الذين أُعْطُوا التَّوراة ، وكُلِّفُوا بفهم نصوصها ونشرها وتطبيقها ، وأُمِرُوا بالعمل بأحكامها وشرائعها ، ثُمَّ لم يَعملوا بها ، ولم يستفيدوا مِن أحكامها ، ولم ينتفعوا مِن إرشاداتها، مَثَلُهم كَمَثَل الحِمَار يَحمل الكُتبَ النافعة المُفيدة الكبيرة، ولا يَناله مِن حَمْلها إلا التعب والمَشَقَّة، وهذا مُنتهى الشقاء والتعاسة والألم . والآيةُ تذمُّ اليهودَ ، وتُوضِّح أنهم أسوأ حالًا مِن الحمير، لأن الحِمار لا فَهْم له ، أمَّا اليهود فلهُم عقول وفُهُوم ، ولَدَيهم عُلوم ومعارف .

واليهودُ عَالِمُون بالتَّوراة، مُطَّلِعُون على تفسير نصوصها ، مُدركون لأوامرها وأحكامها وشرائعها. ولكنهم لم ينتفعوا بآياتها ، ولم يستفيدوا مِن هَدْيها ونُورها ، حيث إنهم كفروا باللهِ ، وأنكروا نُبُوَّةَ محمد الثابتة في التَّوراة . وهُم يُشْبِهُون الحِمَارَ الذي يَحمل كُتبَ العِلْم والحِكمة النافعة ، ولكنه لا يَنتفع بها ، ولا يَستفيد منها ، وليس له مِن حَمْلها إلا التعب والمَشَقَّة والتعاسة .

وقال الطبري في تفسيره (١٢/ ٩٢) : ((يقول تعالى ذِكْرُه : مَثَل الذين أُوتُوا التَّوراة مِن اليهود والنصارى، فَحُمِّلُوا العملَ بها ، ﴿ ثُمَّ لَم يَحمِلُوها ﴾ . يقول : ثُمَّ لَم يَعْمَلوا بما فيها ، وكذَّبوا بمحمد ﷺ ، وقد أُمِرُوا بالإيمان به فيها واتِّباعه والتصديق به ، ﴿كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أسْفَارًا ﴾ . يقول : كَمَثَل الحِمار يَحْمِل على ظَهْره كُتُبًا مِن كُتب العِلْم ، لا ينتفع بها ، ولا يَعْقِل ما فيها ، فكذلك الذين أُوتُوا التوراة التي فيها بيان أمر محمد ﷺ ، مَثَلُهم إذا لم ينتفعوا بما فيها ، كَمَثَل الحِمار الذي يَحْمِل أسفارًا فيها عِلْم ، فهو لا يَعْقِلها، ولا ينتفع بها)) اهـ. وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٦٠):((قالَ تعالى: ﴿ مَثَلُ الذينَ حُمِّلُوا التَّوراةَ ﴾ أي: كُلِّفُوا العملَ بما فيها ﴿ ثُمَّ لَم يَحمِلُوها ﴾ أي: لَم يَعْملوا بموجبها، ولم يُؤدُّوا حَقَّها ﴿ كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أسْفَارًا ﴾ وهي جَمْع سِفْر،والسِّفْر الكتاب، فشبَّههم بالحِمار لا يَعْقِل ما يَحْمِل، إذْ لَم ينتفعوا بما في التوراة، وهي دالة على الإيمان بمحمد . وهذا المَثَل يَلحَق مَن لم يعمل بالقرآن، ولم يَفهَم مَعَانيه)) .

﴿ بِئْسَ مَثَلُ القَوْمِ الذينَ كذَّبوا بآياتِ اللهِ ﴾ . بِئْسَ مَثَلُ اليهود المُكَذِّبين بآياتِ الله الدَّالة على نُبُوَّة محمد ﷺ . ﴿ واللهُ لا يَهْدي القَوْمَ الظالمين ﴾ . واللهُ لا يُوفِّق القَوْمَ الذين ظَلموا أنفسهم بالكفر بالله وتكذيب الأنبياء. ومَن سَبَق في عِلْم الله أنه لا يؤمن ، لا يُرشِده اللهُ ، ولا يَهْديه .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٦٠) : ((ذَمَّ مَثَلَهُم . والمُراد ذَمُّهم . واليهود كذَّبوا بالقرآن وبالتوراة حِين لَم يؤمنوا بمحمد . ﴿ واللهُ لا يَهْدي القَوْمَ الظالمين ﴾ بتكذيب الأنبياء)) .

عاشرًا : شِدَّة الحِرْص على الدُّنيا

الالتصاقُ بالدُّنيا يجعل نظرَ الإنسانِ قاصرًا ، وقلبه مُسَلَّطًا على حُطامها الفاني ، فيكون عندئذ من الصعب الانطلاق إلى فضاء التَّضحية في سبيل الله تعالى . والصَّمْغُ الذي يُلصِق الإنسانَ بالدُّنيا قوي جِدًّا ، وكُلما مَرَّ الزمنُ ازداد الصَّمْغُ قوةً والتصاقًا . وهذا الصَّمْغ هو الهوى والشَّهوات والملذات والشُّبهات والمصالح الشخصية . وعِشْقُ الدنيا رأس كُل خطيئة . ولن تُبنى الحضارةُ إلا إذا قُطِعَت العلاقة بين الفرد والدُّنيا وَفْق مَنهجية متوازنة ، بلا إفراط ولا تفريط . والدُّنيا يجب أن تكون في اليد ، وليس في القلب . والتَّعَلُّقُ بالآخرةِ والحياةِ بعد الموت ، لا تقوى حِبالُه إلا بقطع الحِبال بين الفرد وحُطَام الدنيا الفاني . والدُّنيا جِسْر للعُبور لا مكان للإقامة .

ومَن أرادَ الخُلودَ ، يَجب عليه أن يُضَحِّيَ بالمَتَاع الزائل والحُطَام الفاني . والرُّوحُ لا تُحلِّق في فضاء السعادة إلا إذا تحرَّرت مِن سِجْنها . والعُصفور لا يتعلم الطيران إذا ظَلَّ تحت جَنَاحَي أُمِّه ، والوسيلةُ الوحيدة لتعلُّم الطيران هي الابتعاد عن أُمِّه والانفصال عنها. وأيضًا ، يجب على العُصفور مُغادرة القفص.ولَمَّا كانت الحياةُ الدُّنيا مَمَرًّا لا مَقَرًّا،اعتبرها الشَّارعُ سِجْنًا للمؤمن سُرعان ما يَخرج منه إلى جَنَّةٍ عَرْضها السَّماوات والأرض . أمَّا الكافرُ فحياته على الأرضِ مَبْلغُ عِلْمه ، وأكبر هَمِّه ، ومُنتهى أمله، وهو لا يرى أبعد منها ، وهي جَنَّةٌ مُؤقَّتةٌ سُرعان ما يُغادرها إلى جحيمٍ أبدي بلا نهاية.

واللهُ تعالى يُريد أن يُعْطِيَ الكافرَ الدنيا لِئلا يكون له حَظ في الآخرة . والدنيا يَأخذها مَن يَعمل لها ، سواءٌ كان مؤمنًا أم كافرًا . أمَّا الآخرةُ فلا يَأخذها إلا المؤمن . واللهُ يُعطي الدُّنيا لِمَن يُحِبُّ ، ومَن لا يُحِب . أمَّا الآخرة فلا يُعطيها اللهُ إلا لِمَن يُحِب . وفي هذا دَلالة واضحة على أن قانون الدنيا وقانون الآخرة مُختلفان تمامًا ، ولا يُمكن الربط بينهما ، ولا قِياس أحدهما على الآخَر .

وفي صحيح مسلم (٤/ ٢٢٧٢) عن أبي هريرة _ رضي اللهُ عنه _ قال: قال رسولُ الله ﷺ :
((الدُّنيا سِجْنُ المؤمنِ ، وجَنَّةُ الكافر)) .

لَفْظتا " السِّجْن والجَنَّة " هُما وَصْفٌ للحالة في الدنيا التي هي مَمَر لا دار مَقَر . والعِبْرة بالحالة بعد الموت، تلك هي الجنة (النعيم) أو السِّجْن (العذاب). والأمر بحاجة إلى تضحيات وشَحْذ للهمم . والعُظماءُ ما كانوا لَيَبْلُغوا مكانتهم الرفيعة ، لَوْلا تضحياتهم الجسيمة ، ولم نسمع ولن نسمع أن قائدًا مُنتصرًا أو عَالِمًا عبقريًّا أو شخصًا ناجحًا ، حقَّق أحلامه وآماله ، وهو نائم في بَيْته، أو يُضيِّع وقته في اللعب. ومَن كانت الدنيا بدايته ونهايته، فهو أعمى البصيرة ، ولا خَير فيه .

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٨ / ٩٣) : ((معناه أن كُل مؤمن مسجون مَمنوع في الدنيا مِن الشَّهوات المُحرَّمة والمكروهة ، مُكلَّف بفِعل الطاعات الشاقة ، فإذا مات استراح من هذا ، وانقلب إلى ما أعَدَّ اللهُ تعالى له مِن النعيم الدائم، والراحة الخالصة مِن النُّقصان، وأمَّا الكافر فإنما له مِن ذلك ما حصل في الدنيا مَعَ قِلَّته وتكديره بالمُنَغِّصات ، فإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد)) اهـ .

والتصاقُ اليهودِ بالدُّنيا وحِرْصهم الشديد عليها ، أمرٌ مشهور عنهم ، لا يَخفى على أحد . واليهودُ يُسيطرون على مُثلث الشَّهوات الفكرية والجسدية : المال والجِنس والإعلام .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُم أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُم لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ العَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُون ﴾ [البقرة : ٩٦] .

الخطابُ الإلهيُّ للنبيِّ ﷺ . واللامُ لام القَسَم . واللهِ لَتَجِدَنَّ اليهودَ أحرصَ الناس على حياة ، وأشَدَّهم كراهةً للمَوْت . وحِرصهم على الحياة لمعرفتهم بذنوبهم ، وأن الله أعدَّ لهم العذابَ .

وتنكيرُ ﴿ حَيَاةٍ ﴾ للتَّحقير . أي إنهم أحرص الناس على أحقر حياة وأقصرها ، فكيفَ بالحياة الجميلة الطويلة ؟ . وقال النسفي في تفسيره (١/ ٥٩) : ((التَّنكير يدل على أن المُراد حياة مَخصوصة ، وهي الحياة المُتطاولة)) اهـ .

واليهودُ أحرص على الحياة الدُّنيا مِن المُشركين، معَ أن اليهود أهل كتاب، والمشركين عُبَّاد أصنام وأوثان ، لا كتاب لهم . وذلك لأن اليهود يؤمنون بالبعث واليوم الآخِر ، ويَعْلَمون مصيرهم السَّيئ والعذاب الشديد الذي يَنتظرهم بعد الموت ، لذلك يحرصون على طُول العُمر . وهذا يدل على سُوء حالهم . أمَّا المشركون فلا يؤمنون بالبَعْث ولا اليوم الآخِر . وقال الطبري في تفسيره (١/ ٤٧٢) : ((وإنما وَصَفَ اللهُ جَلَّ ثناؤه اليهودَ بأنهم أحرص الناس على الحياة ، لِعِلْمهم بما قد أعدَّ لهم في الآخرة على كُفرهم ، بما لا يُقِرُّ به أهل الشِّرك ، فهُم للموت أكْرَه مِن أهل الشِّرْك الذين لا يؤمنون بالبَعْث ، لأنهم يؤمنون بالبعث ، ويَعْلَمون ما لهم هنالك من العذاب ، والمشركون لا يُصدِّقون بالبعث ولا العقاب ، فاليهود أحرص منهم على الحياة ، وأكره للموت)) اهـ .

يُحِبُّ اليهوديُّ ويُريد ويتمنَّى لَوْ يَعيش ألف سنة ، لأنه يَعلَم أن آخرته فاسدة وضائعة . وطُول عُمره لا يُنقِذه مِن عذاب النار ، ولا يُنجِّيه مِنها . فالنارُ مصيره ومُستقره ، عاجلًا أو آجِلًا .

واللهُ بصيرٌ بأقوال عباده وأفعالهم ، ويَعْلَم ما يَفعلونه مِن خير وشَر ، وسيُجازي المُحسِن بإحسانه ، والمُسيء بإساءته .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ١١٦ و١١٧) : ((قَوله تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُم ﴾ . اللام لام القَسَم ، والنُّون توكيد له . والمعنى : ولتجدنَّ اليهودَ في حال دُعائهم الى تمنِّي الموت ، ﴿ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾ ، وأحرص ﴿ مِنَ الذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ . وفي الذين أشركوا قَولان : أحدهما أنهم المَجُوس ، قاله ابن عباس وابن قُتَيبة والزَّجاج. والثاني مُشركو العرب، قاله مُقاتل . قَوله تعالى : ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُم ﴾ ، في الهاء والميم مِن ﴿ أَحَدُهُم ﴾ قَولان : أحدهما أنها تعود على الذين أشركوا ، قاله الفرَّاء . والثاني ترجع الى اليهود ، قاله مُقاتل . قال الزَّجاج : وإنما ذكر ألف سنة ، لأنها نهاية ما كانت المَجُوس تدعو بها لملوكها ، كان الملك يُحَيَّا ، بأن يُقال له : عِشْ ألف نَيْرُوز وألف مَهْرَجان . قَوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ ﴾ فيه قَولان ذكَرهما الزَّجاج: أحدهما أنه كِناية عن أحدهم الذي جرى ذِكْره ، تقديره: وما أحدهم بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ العَذَابِ تعميره . والثاني أن يكون هو كِناية عمَّا جرى مِن التعمير، فيكون المعنى : وما تعميره بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ العَذَابِ ، ثُمَّ جَعل ﴿ أَن يُعَمَّرَ ﴾ مُبَيِّنًا عنه ،كأنه قال: ذلك الشيء الدَّنيء ليس بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ العَذَابِ)) اهـ .

إن اليهود أشد الناس تَمَسُّكًا بالحياة ، وهُم يتشبَّثون بالحياة الدنيا بأسنانهم وأظافرهم . ويَكرهون الموتَ أشد الكراهة ، لعِلْمهم بما ينتظرهم مِن العذاب والخِزي والعار ، بسبب ذنوبهم وآثامهم وجرائمهم . وبالتالي يَتَمَنَّوْنَ ألا يموتوا ، أو أن يَعيشوا عددًا كبيرًا من السَّنواتِ ، وهذا لن يُنقذهم من العذاب العظيم الذي أعَدَّه اللهُ لهم بعد الموت .

وهُم لا يَكرهون الموتَ بحد ذاته ، وإنما يَكرهون لقاءَ اللهِ تعالى من أعماق قلوبهم القاسية، لعِلْمهم أن هناك بَعْثًا بعد الموت وحسابًا عسيرًا. وجَنَّةُ اليهود في الدنيا،ولا نصيب لهم في الآخرة.

إنهم قد خرَّبوا آخرتهم ، وعمَّروا دُنياهم ، فكرهوا أن ينتقلوا مِن العَمار إلى الخراب . وهُم يَعْلَمون عاقبتهم السيئة وعذابهم الشديد بعد الموت بسبب ذنوبهم ، ويُريدون أن يَطُول بهم العُمر إلى أقصى مدى . والدُّنيا جَنَّتُهم ومُنتهى عِلْمهم وأحلامهم . وفي الآخرة سيدفعون ثمنَ جرائمهم ، فيَخلُدون في عذاب النار الشديد . واليهودُ يَعرِفون ذنوبهم وآثامهم ، وأن لا خَير لهم عِند الله ، ولا كرامة لهم في الآخرة . لذلك يَحرِصون على الحياة بكل ما أُوتُوا مِن قُوَّة ، ويتمسَّكون بجمع حُطامها الفاني ومَتَاعها الزائل بكل الوسائل . والدُّنيا سِجْنُ المؤمن وجَنَّة الكافر .

وعن ابن عباس رضي اللهُ عنهما:ـ ﴿ ولتجدنَّهم أحرصَ الناس على حياة ﴾ ، قال:((اليهود))[٢٠٠].

---

٢٠٠ رواه الحاكم في المستدرَك (٢/ ٢٨٩) برقم (٣٠٤٣) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي.

إن اليهود يعشقون الحياة الدنيا ، ويَكرهون المَوْتَ بكل مشاعرهم . وعِشْقُ الدنيا أساس الذنوب والمعاصي . والنهايةُ حين تكون سوداء ، فإن المَرْء سوف يُقَاتِل للابتعاد عنها . وهذا ما يفعله اليهود في كُل العصور . إن تفكيرهم مُنْصَب على الدنيا ، لذلك هُم يُسيطرون على مثلث الشهوات الأرضي : المال والجِنس والإعلام . واليهودُ في عِشْقهم للدنيا وإسقاط الآخرة مِن حساباتهم يتشابهون مع العرب الوثنيين في الجاهلية الذين كانوا يُنكِرون البَعْث ، ولا يؤمنون بوجود الآخرة . وفي ذلك يقول شاعر اليهود :

تَمَتَّع مِن الدُّنيا فإنَّكَ فَـانٍ ... مِن النَّشواتِ والنِّساءِ الحِسَانِ

وهناك فرقٌ واضح بين تمنِّي المَوْتِ وحُبِّ لقاء الله تعالى. فالأول مَنْهِيٌّ عنه ، والثاني واجب . وعن سعد بن عُبَيْد رضي اللهُ عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : ((لا يتمنَّى أحدُكم المَوْتَ)) [٢٠١] .

إن الحياة نِعمة إلهية عظيمة ، ويجب على الإنسان احترامها وتقديرها وشُكر الله عليها ، فلا يتمنَّى المَوْتَ ، ولا يَرفض الحياةَ . وتمنِّي المَوْت يَحرم المؤمن مِن الطاعة والعبادة والتَّوبة .

وحُب لقاء الله أمرٌ عظيم ، ويدل على حُسْنِ إسلام المَرْء. وشيءٌ طبيعيٌّ أن يخافَ الإنسانُ من الموتِ الذي يُعَد نَقلةً بالغة الخصوصية ، ومَن مات قامت قيامتُه، فهو في النَّعيم أو العذاب. لكنَّ حُبَّ اللهِ يُنسِي المَرْءَ معنى الموتِ وشِدَّته . وليكنْ قَصْدُ الإنسانِ هو اللهَ وَحْدَه .

وعن عُبادة بن الصَّامت ــ رضي اللهُ عنه ــ عن النَّبيِّ ﷺ قال : ((مَن أحبَّ لِقاءَ اللهِ ، أحبَّ اللهُ لِقاءَه ، ومَن كَرِهَ لِقاءَ اللهِ ، كَرِهَ اللهُ لِقاءَه)) [٢٠٢] .

إن اليهود يَكرهون لِقاءَ اللهِ تعالى ، واللهُ يَكره لِقاءَهم . وقد أقامَ اللهُ عليهم الحُجَّةَ ، وقَطع أعذارهم ، وفنَّد دَعْواهم الواهية بأنهم أولياؤه ، وفضحهم ، وكَشَفَ حِرْصَهم على الحياة .

قالَ اللهُ تعالى:﴿ قُل يَا أَيُّهَا الذينَ هَادُوا إن زَعَمْتُم أَنَّكُم أَوْلِيَاءُ للهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا المَوْتَ إن كُنتُم صَادِقِين (٦) وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَت أَيْدِيهِم وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِين (٧) ﴾ [الجُمُعة] .

هذه الآية فَضحت اليهودَ،وكَشفت عن دواخلهم المُمتلئة بعِشق حُطام الدنيا الفاني وتقديسها، وكراهية الموت الشديدة. وإن كان اليهود أولياء لله، وجزاؤهم الجَنَّة في الآخرة، فَلْيَتَمَنَّوُا المَوْتَ، ومُلاقاةَ الله تعالى ، كَي يُكافِئَهم بالنعيم الأبديّ ، ويرتاحوا مِن عَناء الدنيا وتعبها ومشكلاتها .

---

٢٠١ متفق عليه . البخاري (٦/٢٦٤٤) برقم (٦٨٠٨) ومسلم (٤/٢٠٦٥) برقم (٢٦٨٢).

٢٠٢ متفق عليه . البخاري (٥/٢٣٨٦) برقم (٦١٤٢) ومسلم (٤/٢٠٦٥) برقم (٢٦٨٣).

إن اليهود يَعْلمون أن مصيرهم إلى العذاب، فَيَهْرُبون مِن الموت ـ حَسَب نظرتهم القاصرة ـ، ويتشبَّثون بالدنيا بأسنانهم وأظافرهم ، لعِلْمهم بما ينتظرهم بعد الموت من العقوبة الشديدة والعذاب الأليم . وإن كان اليهودُ صَادقين في دَعْواهم بأنهم أولياء لله تعالى ، فَلْيَتَمَنَّوُا الموتَ كَي يرتاحوا مِن تعب الحياة الدُّنيا ، وينتقلوا إلى نعيم الجَنَّة الأبديِّ . والمُتَيَقِّنُ أنه مِن أهل الجنة ، سيشتاق إليها ، وسَيَهرب مِن الدُّنيا بكل قُوَّته ، وفي أسرع وقت .

قُل يا محمد لليهود : إن كُنتم أولياء الله وأحبابه وأنصاره وصَفْوته مِن خَلْقه حقًّا كما تدَّعون ، فاطْلُبوا مِن الله أن يُميتكم ، كَي تَنتقلوا مِن تَعَب الدُّنيا إلى نعيم الجنة ، إن كُنتم صادقين في دَعْواكم . وقد كذَّبهم اللهُ وفضحهم وأخزاهم ، وبيَّن أن اليهود لا يَتَمَنَّوْنَ المَوْتَ ، بسبب كُفرهم بالله ، وتكذيبهم للنبيِّ ﷺ ، وكثرة ذُنوبهم وآثامهم ومعاصيهم وجرائمهم .

وهذا خَبرٌ قاطعٌ مِنَ اللهِ عن اليهود ، ونبأ يقينيٌّ لا يَحتمل الشكَّ . إنَّ اليهودَ لا يَتَمَنَّوْنَ المَوْتَ أبدًا ، بسبب كُفرهم وتحريفهم التَّوراة وقتلهم الأنبياء ، وعِلْمهم بأنَّ هناك عذابًا يَنتظرهم بعد المَوْت ، وهُم يُدرِكون أنَّهم كافرون لا نصيب لهم في الجنة . وهذا إخبارٌ بالغَيب المستقبليِّ ، وقد كانَ الأمرُ كما أخبرَ القُرآن ، إذ إنَّ اليهود لَم يَتَمَنَّوا الموتَ ، ولوْ تَمَنَّوْهُ لَنُقل ذلك عنهم ، وتداولته الأجيال ، واكتشفَ الناسُ عدمَ صِدْق القُرآن . وهذا لم يَحْدُث . لقد أخبرَ اللهُ أن اليهود لا يَتَمَنَّوْنَ المَوْتَ أبدًا، وهذا ما كان، مِمَّا يدل على صِدْقِ القُرآنِ ، وصِحَّة نُبُوَّة محمد ﷺ . وهذا الإخبارُ بالغَيب مِن وُجوه إعجاز القُرآن . وذِكْرُ " اليد " دون سائر الأعضاء ، لأنَّ أكثرَ الجرائم تَكون باليد ، فأُضيفت جرائم الإنسان إلى يده ، حتى لَوْ لَم تَكُن لها علاقة بالجريمة .

﴿ واللهُ عَليمٌ بالظالمين ﴾ . إنَّ الله يَعلم الكافرين الذين ظَلموا أنفسَهم بأن أوردوها المهالِك . وهذا تَهديدٌ لهم ، وإلصاق صِفة الظلم بِهِم ، لتظلَّ وصمة عار عليهم في الدُّنيا والآخرة .

واللهُ لم يقل : واللهُ عليم بهم . وإنما قال : ﴿ واللهُ عَليمٌ بالظالمين ﴾ . ووضعُ الظاهر مَوضع الضمير ، لذمِّهم ، وفضحهم ، وكشف باطلهم، والتَّسجيل عليهم بالظُّلْم. وعن ابن عباس ـ رضي اللهُ عنهما ـ قال : ((لَوْ أن اليهود تَمَنَّوُا المَوْتَ لماتوا ، وَرَأَوْا مَقاعدَهم في النار)) [٢٠٣].

---

٢٠٣ رواه أحمد في مسنده (١/ ٢٤٨) برقم (٢٢٢٥)، وأبو يعلى (٤/ ٤٧١) برقم (٢٦٠٤)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٤١٨) : ((رجال أبي يعلى رجال الصحيح)) ، ورواه الطبري في تفسيره (١/ ٤٦٨) ، وصحَّحه ابن حجر في العُجاب في بيان الأسباب (١/ ٢٨٧) .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٦١): ((قَوله تعالى: ﴿ إن زَعَمْتُم أَنَّكُم أَوْلِيَاءُ للهِ ﴾ وذلك أن اليهود قالوا : نحن ولد إسرائيل الله بن ذبيح الله بن خليل الله ، ونحن أَوْلَى بالله عَزَّ وَجَلَّ من سائر الناس، وإنما تكون النُّبُوَّة فِينا، فقالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّه عليه الصلاة والسلام : قُل لهم : إن كُنتم أولياء لله ، فَتَمَنَّوُا المَوْتَ ، لأن المَوْتَ خَير لأولياء الله مِن الدنيا)) اهـ .

وقال أبو السعود في تفسيره (٨/ ٢٤٨ و٢٤٩) : ((﴿ قُل يَا أَيُّهَا الذِينَ هَادُوا ﴾ أي : تَهَوَّدُوا ﴿ إن زَعَمْتُم أَنَّكُم أَوْلِيَاءُ للهِ مِن دُونِ النَّاسِ ﴾ .كانوا يقولون : نحن أبناءُ الله وأحباؤه ، ويدَّعون أن الدار الآخرة لهم عند الله خالصة، ويقولون : لَن يَدخل الجَنَّةَ إلا مَن كان هُودًا ، فأُمِرَ رسولُ الله ﷺ بأن يقول لهم إظهارًا لكذبهم : إن زعمتم ذلك ﴿ فَتَمَنَّوُا المَوْتَ ﴾ ، أي: فَتَمَنَّوْا مِن الله أن يُميتكم ويَنقلكم من دار البَلِيَّة الى دار الكرامة ﴿ إن كُنتُم صَادِقِين ﴾ جوابه محذوف، لدَلالة ما قَبْله عليه ، إن كنتم صادقين في زَعْمكم واثقين بأنه حق ، فَتَمَنَّوُا المَوْتَ، فإنَّ مَن أيقنَ بأنه مِن أهل الجنة أحبَّ أن يتخلص إليها من هذه الدار، التي هي قرارة الأكدار ، ﴿ وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا ﴾ ، إخبار بما سيكون مِنهُم ، والبِناء في قَوله تعالى : ﴿ بِمَا قَدَّمَت أَيْدِيهِم ﴾ مُتعلق بما يدل عليه النَّفْي، أي: يَأبَوْنَ التَّمَنِّي بسبب ما عملوا مِن الكفر والمعاصي المُوجبة لدخول النار. ولمَّا كانت اليد مِن بين جوارح الإنسان مَناط عامَّة أفاعيله ، عبَّر بها تارة عن النَّفْس،وأُخرى عن القُدرة ﴿ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِين ﴾ أي : بهم . وإيثار الإظهار على الإضمار ، لذمِّهم والتسجيل عليهم بأنهم ظالمون في كل ما يَأتون وما يَذَرُون مِن الأمور ، التي مِن جُملتها ادِّعاء ما هُم عنه بمَعْزِل. والجُملة تذييل لِمَا قَبْلها ، مُقرِّرة لمضمونه . أي : عليم بهم ، وبما صدر عنهم مِن فُنون الظُّلم والمعاصي المُفضِية إلى أفانين العذاب ، وبما سيكون منهم مِن الاحتراز عمَّا يؤدِّي إلى ذلك ، فوقع الأمر كما ذُكِرَ ، فلم يَتَمَنَّ مِنهم مَوْتَه أحد)) اهـ .

وفي [مَتَّى ١٥ : ٧و٨] قال المسيح عن اليهود : ((أَيُّها المُراؤون ! أَحسنَ إشَعياءُ إذ تنبَّأَ عَنكم فقال : هذا الشَّعبُ يُكرِمني بشَفَتَيه ، أمَّا قلبُه فبعيدٌ عَنِّي جِدًّا !)) .

إن الرِّياءَ ضَرْبٌ مِن عِشْقِ الدُّنيا ، والتَّمَسُّك بزُخرفها ومَتَاعها وحُطامها ، والحِرص على الشُّهرة والسُّمعة وانتشار الصِّيت ، ولَفْت الانتباه ، وتحقيق مصالح شخصية ، والحصول على مكاسب مادية . والقلب البعيدُ عن اللهِ تعالى ، بعيدٌ عن كُتبه وأنبيائه وأوليائه . وهذا القلبُ الفاسد غارق في الكُفر والضلال . وتفكيرُ اليهود محصور في الحياة الدُّنيا ، وعبادة المادة ، وتقديس الشهوات والملذات . وعِشْقُ الدُّنيا وشهواتها المعنوية والمادية ، هو سبب الكُفر والضلال والمعاصي .

والأخلاقُ السَّيئة مَصْدرها شِدَّةُ الحِرْص على الدُّنيا . والدُّنيا إذا سَيطرت على قلب الإنسان ، أعْمَتْ بصيرته ، وأوردته المهالك . والأشخاص الذي يَحرِصون على جَمع حُطام الدنيا الفاني ، لا يُريدون أن يَفقدوها ولا يَخسروها،لذلك يَسلكون كُل السُّبُل الشرعية وغير الشرعية للحفاظ عليها.

وفي صحيح البخاري (٢/ ٨٥١) : قال الأشعثُ : كان بيني وبينَ رَجُلٍ من اليهودِ أرضٌ فجحدني ، فقدَّمتُهُ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال لي رسولُ الله ﷺ : ((ألكَ بَيِّنةٌ ؟))، قُلتُ: لا. قال : فقال لليهوديِّ : ((احْلِفْ)). قال: قُلْتُ : يا رسولَ اللهِ إذًا يَحْلِفُ ويَذهبُ بمالي . فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿ إنَّ الذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِم ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ إلى آخر الآية [آل عِمران : ٧٧])) .

إن شِدَّة حِرص اليهوديِّ على حُطام الدُّنيا الفاني ، جَعله يعتدي على أرض غَيْرِه . ومِن أجل توفير الشَّرعية لهذه السَّرقة كان مُستعدًّا للحَلْف واليمين الكاذبِ . وقد يقول أحدهم إن هذا سلوك فردي ، لا يجوز تعميمه على جميع اليهود . وهذه رؤية قاصرة ، لأن هذا السلوك المُنحرِف منتشر بين اليهود، بحيث صار صفةً لازمةً مُلتصقةً بهم ، ومُميِّزة لهم . وقد سَرَقَ اليهودُ أراضي فلسطين بأكملها وهجَّروا شعبها ، في وضح النهار ، بمُبارَكة جميع اليهود . وَلَوْ وُجِدَ يهوديٌّ أو أكثر يُعارضون الكيانَ الصهيوني ويقفون ضِدَّه ، فهذا لا يُلغي التَّعميم ، لأن النادرَ لا حُكْمَ له .

وهذا اليهوديُّ فاسقٌ وفاجرٌ ، لا يُبالي بالحَلْف ، ولا يهتم باليمين ، ولا يَعبأ بما يَحلِف عليه ، ولا يَخشى شيئًا ، ولا يتورَّع مِن شَيء . وهو على أتم الاستعداد لاستخدام الحَلْف لسرقة الآخرين.

أمَّا المُسلم ، فهو يَخشى اللهَ ، ويُقدِّس عهدَ الله ، ولا يشتري به ثمنًا قليلًا ، ولا يَبيع دِينه بِعَرَض من الدنيا زائل . وهنا تبرز أيضًا ضرورة حفظ الأيمان ، وعدم إقحام اسم الله العظيم في سياق الخيانة أو الكذب . والحَلْفُ بالله لا يكون إلا في الأمور الجليلة المهمة لا التافهة الحقيرة.

وفي تحفة الأحوذي(٨/ ٢٧٦):((قال الطيبي: فإن قُلْت: كيف يُطابق نزول هذه الآية قَوله: "إذًا يَحلِف ويَذهب بمالي"؟.قلتُ:فيه وَجهان أحدهما كأنه قيل للأشعث ليس لك عليه إلا الحَلْف،فإن كَذِبَ فعليه وَباله.وثانيهما لعل الآية تَذكار لليهوديِّ بِمِثْلها في التَّوراة مِن الوعيد)) اهـ.

وفي صحيح مسلم (٤/ ١٧٦٦): عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ ـرضي الله عنهـ: أن رسولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ امرأةً من بني إسرائيل حَشَتْ خَاتَمَهَا مِسْكًا ، والمِسْكُ أطْيَبُ الطِّيب .

إن اليهوديات حريصات على الظُّهور في الوسط الاجتماعي بين سَيِّدات المجتمع المُخملي . وهذه الرؤية مُنتشرة بشكل صارخ بين اليهودياتِ ، حتى في زمننا الحاضرِ ، اللواتي ينتشرن في الأُسَر الثَّرية المُتنفذة ، وفي السِّينما العالمية والشَّركات العابرة للقارات والمَناصب العُليا،

والحفلات التي لا يَحضرها إلا عِلْيَةُ القَومِ ... إلخ . وهذا يدل على حِرص اليهود رجالًا ونساءً على الدنيا بكل تفاصيلها ، وتمسُّكهم بحُطامها الفاني ومَتَاعها الزائل ، وتقديسهم للمَظاهر الاجتماعية الخادعة ، وعِشْقهم للبُروز ، والشُّهرة ، والمديح ، والتفاخر ، والاستعراض أمام الناس.

وعن أبي هُرَيرة_رضي اللهُ عنه_قال: قال النَّبيُّ ﷺ: ((لَوْلا بَنُو إسرائيل لَمْ يَخْنِز اللحمُ

إن بني إسرائيل لمَّا أنزلَ اللهُ عليهم المَنَّ والسَّلوى ، نُهُوا عن ادِّخارهما ، فادَّخروا ، ففسدَ وأنتنَ، واستمر مِن ذلك الوقت.وهذا يدل على بُخلهم الشديد وشِدَّة حِرصهم على شهوات الدُّنيا.

وفي فَيض القدير (٥/ ٣٤٣) : ((فهو إشارة إلى أن خَنْز اللحم شَيء عُوقِب به بنو إسرائيل لكُفرانهم نِعمة ربهم،حيث ادَّخروا السَّلوى فَنَتَنَ،وقد نهاهم عن الادِّخار ولم يكن يُنْتِن قبل ذلك. وفي بعض الكتب الإلهية : لَوْلا أنِّي كتبتُ الفسادَ على الطعام لخزَّنه الأغنياء عن الفقراء)) اهـ .

إن حُب التَّمَلُّك والاستحاذ والسَّيطرة على الأشياء وامتلاكها والتحكُّم بها ، قادهم إلى ادِّخار ما نُهُوا عن ادِّخاره . ولو أنهم امتثلوا للأوامر ، وأخرَجوا حُبَّ الدُّنيا من قلوبهم لَمَا فَسَدَ اللحمُ حتى يَوْمنا الحالي.لكن الأنانيةَ مُسيطرة على قلوب اليهود وعقولهم وأنفسهم.وهذا الفِعل يُشير إلى منهجية الاحتكارِ عند اليهود،وانحصار تفكيرهم في السَّيطرة على الأشياء والشهوات والملذات .

واليهودُ مُولَعون بالتَّحايلِ واستخدام الأساليب غير الشَّرعية من أجل الإبقاء على مُكتسباتهم الدُّنيوية . فالرِّشوة _ كمثالٍ على النَّزعةِ المسعورة للمُحافظة على الدُّنيا التي في قلوبهم وأيديهم_ مُتفشيةٌ لَدَيهم مِن قِمَّةِ الهرمِ الاجتماعيِّ حتى القاعدة. وقد استخدموها _ وَفْق أهدافهم وتفكيرهم ومُخططاتهم ومؤامراتهم _ للتضييقِ على المسيح ، ومُحاصرة دَعوته ، وإفساد الرَّعيةِ وإغوائها بالشَّهوات، خصوصًا شَهوة المال . وفي [مَتَّى ٢٨ : ١٢] : ((فاجتمعَ رؤساءُ الكَهَنةِ والشُّيوخُ وتشاوروا في الأمر . ثُمَّ رَشَوُا الجنودَ بمالٍ كثير)) .

إن الرِّشوة سلاح اليهود في كُل العُصور ، فهُم يَملِكون الكثيرَ مِن الأموال ، ويستغلونها ، ويستخدمونها لتنفيذ خُططهم الشريرة ومؤامراتهم الدنيئة . والإنجيلُ يَرسم صُورةً دقيقة لأخلاق اليهود السَّيئة ، حيث إنهم يُوظِّفون قُدراتهم المالية لارتكاب الذنوب والآثام والجرائم . وقد جاؤوا إلى الجنودِ المَسحوقين الضائعين ، فزادوهم ضلالًا وضياعًا ، واستغلوا حاجتهم للمال ، فاشتَرَوْا ذِممهم الفاسدة بما في حَوْزتهم مِن مالٍ كثير ، وهذه لُعبة اليهود المشهورة عنهم والمُلتصقة بهم .

---

٢٠٤ متفق عليه.واللفظ للبخاري(٣/١٢١٢)برقم(٣١٥٢).ومسلم(٢/ ١٠٩٢)برقم (١٤٧٠).

واليهود يَعبدون حُطامَ الدنيا الفاني ، ويَحرِصون على شهواتها وملذاتها . وعِشْقُ الدنيا رأس كُل خطيئة ، وأساس كُل ذَنْب . وعِشْقُ الدنيا وعِشْق المال مُتلازمان ، يُوجدان معًا ، ويغيبان معًا ، ولا يُمكن الفصل بينهما بحال مِن الأحوال . وعِشْقُ المال وسيطرته على قلب الإنسان ، وتحكُّمه بمساره ومصيره ، يَجعل من الإنسان عبدًا لشهواته وملذاته ، ومُعتنقًا لمبدأ " الغاية تُبرِّر الوسيلة ". وعندئذ ، سيحرص الإنسانُ على جمع المال بكل وسيلة مُمكنة ، سواءٌ كانت حلالًا أم حرامًا ، شرعية أم غير شرعية . واليهودُ جمعوا أموالهم بالوسائل القذرة الدنيئة غير المشروعة ، كالرِّبا ، والرِّشوة ، وسرقة أموال الناس . وهذه الوسائل المُحرَّمة هي أركان إمبراطورية اليهود المالية .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ وأخْذِهِمُ الرِّبا وَقَد نُهُوا عَنهُ وأكْلِهِم أموالَ الناسِ بالباطلِ وأعْتَدْنا للكافرينَ مِنهُم عذابًا أليمًا ﴾ [النِّساء : ١٦١] .

اليهودُ مشهورون بتعاطي الرِّبا ، وقد حرَّمه اللهُ عليهم في التَّوراة . وهذا دليل على أن النَّهْي يُفيد التحريم . وهُم أيضًا يأكلون أموال الناس بالرِّشوة والوسائل المُحرَّمة غير المشروعة . وهذا يدل على عبادة اليهود للمال ، وتقديسهم لحُطام الدنيا الفاني ومَتَاعها الزائل . وهيَّأ اللهُ لِمَن كفر مِن هؤلاء اليهود، ولم يَتُبْ ولم يؤمن، عذابًا شديدًا مُوجِعًا في نار جهنم.وإنما قال اللهُ: ﴿ مِنهُم ﴾ لأنه عَلِمَ أن قَوْمًا مِن اليهود يتوبون ويؤمنون ، فيأمنون العذابَ ، ويَنْجُون من العقوبة .

وقال الطبري في تفسيره (٤/ ٣٦٢) : ((وقَوله : ﴿ وأخْذِهِمُ الرِّبا ﴾ وهو أخذهم ما أفضلوا على رؤوس أموالهم لفضل تأخير في الأجل بعد مَحِلِّها . ﴿ وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ ﴾ يعني : عن أخذ الرِّبا . وقَوله : ﴿ وأكْلِهِم أموالَ الناسِ بالباطلِ ﴾ يعني : ما كانوا يأخذون مِن الرِّشى على الحُكم كما وَصَفهم اللهُ به في قَوله : ﴿ وترى كثيرًا مِنهُم يُسارعونَ في الإثمِ والعُدوانِ وأكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ ما كانوا يَعْمَلُون ﴾ [المائدة : ٦٢] . وكان من أكلهم أموال الناس بالباطل ما كانوا يأخذون مِن أثمان الكُتب التي كانوا يَكتبونها بأيديهم ثُمَّ يقولون : ﴿ هذا مِن عِندِ الله ﴾ [البقرة : ٧٩] . وما أشبه ذلك من المآكل الخسيسة الخبيثة ، فعاقبهم الله على جميع ذلك ، بتحريمه ما حرَّم عليهم مِن الطَّيبات التي كانت لهم حلالًا قبل ذلك . وإنما وصفهم الله بأنهم أكلوا ما أكلوا من أموال الناس كذلك بالباطل ، لأنهم أكلوه بغير استحقاق ، وأخذوا أموالهم منهم بغير استيجاب . وقَوله : ﴿ وأعْتَدْنا للكافرينَ مِنهُم عذابًا أليمًا ﴾ . يعني : وجَعَلْنا للكافرين بالله ورسوله محمد ﷺ من هؤلاء اليهود العذاب الأليم ، وهو المُوجع من عذاب جهنم عِنده ، يَصْلَوْنها في الآخرة إذا وَردوا على ربِّهم فيُعاقبهم بها)) .

سَيْطَرَ عِشْقُ الدنيا على قلوب اليهود الفاسدة ، واستولى عليها . وهذا العِشْقُ الدُّنيويُّ القاتل يتجلى في المال والمظاهر الخارجية الخادعة. ومِن شِدَّة حِرص اليهود على الدنيا وعِشقهم للمال، قاموا بتحويل أماكن عبادتهم التي يُفْتَرَض أنها مُقدَّسة إلى أماكن للتجارة والبيع والشراء .

وفي [مَتَّى ٢١ : ١٢] : ((ثُمَّ دَخَلَ يَسوعُ الهَيكل ، وطَرَدَ من ساحته جميعَ الذين كانوا يبيعون ويشترون، وقَلَبَ موائدَ الصَّيارفة ومقاعدَ باعة الحَمَام)). وفي[يُوحَنَّا ٢ : ١٤و١٥] : ((فَوَجَدَ في الهَيكلِ باعةَ البقرِ والغنمِ والحَمَام ، والصَّيارفةَ جالسين إلى موائدهم ، فجَدَلَ سَوْطًا مِن حِبال، وطَرَدَهم جميعًا مِن الهَيكل، معَ الغَنَمِ والبقر، وبَعْثَرَ نُقودَ الصَّيارفة وقَلَبَ مناضدَهم)).

إن اليهود يَحتقرون أماكنَ عبادتهم ، ولا يَحترمونها ، ولا يُقدِّسونها ، وهُم يُتاجرون بها وفيها . فقد أدخلوا فيها الباعةَ والصَّيارفة والحيوانات، وحَوَّلوها إلى أسواقٍ للأنعام وغيرها ، تُباع فيها البقرُ والغنم والحَمَام . لا حُرْمة ولا قُدْسية_ عندهم _ لأماكن عبادتهم. فهم لا يحترمونها، فكيف تريد منهم أن يحترموا مُقدَّسات الآخرين ؟! . إنهم يَعتبرون أماكن عبادتهم مَجالًا مُناسبًا للبيع والشراء، وجمع الأموال وتكديسها. والدِّينُ عندهم مُجرَّد مشروع تجاري لجني المكاسب والمنافع والأرباح. وبعد كُل هذا ، يتباكى اليهود على " هَيكل سُلَيمان " ، ويَحرِصون على بنائه وتقديسه واحترامه ! .

ومِن شِدَّة حِرْص اليهود على المالِ زِينة الحياة الدُّنيا الفانية، أقاموا أسواقًا في داخل معابدهم وأماكن عبادتهم . وكُل شيء عِندهم قابلٌ للبيعِ والشِّراء ، ولا يُوجد عندهم أدنى احترام لدِينهم الذي يَزعُمون تقديسه والتمسُّك به. لذلك، مِن الطبيعي ألا يَحترموا أديانَ الآخرين. قالَ اللهُ تعالى: ﴿ أُوْلَئِكَ الذِينَ اشْتَرَوُا الحَيَاةَ الدُّنيا بِالآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنهُمُ العَذَابُ وَلا هُم يُنصَرُون ﴾[البقرة: ٨٦]. إن اليهود استحبُّوا حُطامَ الدنيا الفاني على نعيم الآخرة الباقي ، وباعوا الخُلودَ مُقابل عَرَض دُنيوي حقير وزائل ، فلا يُخفَّف عنهم العذاب الشديد المُؤلِم ساعةً واحدة ، وليس لهم ناصر يُنقذهم من العقوبة الدائمة ، ولا يُنجيِّهم من العذاب الأبديِّ في نار جهنم . وفي زاد المسير (١/ ١١٢): ((قال ابن عباس: هُم اليهود. وقال مُقاتل: باعوا الآخرة بما يُصيبونه من الدنيا)).

وجاء التَّشديدُ على حُرْمةِ البيع في المَسجد لأنه مكانُ عبادةٍ للهِ تعالى لا سُوقٌ للبيع والشراء. فعن أبي هُرَيرة_رضي اللهُ عنه_أن رسولَ الله ﷺ قال:((إذا رأيتُم مَن يبيعُ أو يبتاعُ في المَسجد ، فقولوا : لا أربحَ اللهُ تجارتَكَ ، وإذا رأيتُم مَنْ يَنْشُدُ ضَالَّةً فيه ، فقولوا : لا رَدَّ اللهُ عَلَيْكَ))[٢٠٥].

---

٢٠٥ رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٥) برقم (٢٣٣٩) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

الهدفُ مِن بناء المسجد هو عبادة الله وَحْدَه بكافة أشكالها . والمسجدُ سُوق الآخرة لجمع الحسنات ، وليس سُوقًا دُنيويًّا للبيع والشراء وجمع المال . لذلك ، لا تجوز التجارة في المسجد، ولا يجوز البحث عن الشيء الضائع (الضَّالَّة) في المسجد ، لأن المسجد لم يُبْنَ لهذا .

وشقيقةُ المالِ هي المظاهر الخارجية البَرَّاقة التي تنال إعجابَ الناس . وهذه المظاهرُ الخادعة تُبعِد الإنسانَ عن المعنى الحقيقيِّ والجوهر الداخليِّ العميق . وأغلبُ الناس مَشغولون بالمظاهر اللامعة والتفاخر فيما بينهم ، ولا يَهتمون بالجوهر . وهذا أمر خطير ، وليس كُل ما يَلْمَع ذَهَبًا .

وحتى دُورُ العبادة التي تُذَكِّر الناسَ بالزُّهد والموت والآخرة ، لَم تَسْلَمْ مِن الزَّخرفة والتَّزيين، وصارت مصبوغةً بالألوان والزَّخارف والتصاميم المُزَرْكَشَة ، وهذا كُلُّه مَنهيٌّ عنه ، لأنه يَنحرفُ بمكانِ العبادة عن الهدف من بنائه . والناسُ يَأتون إلى المساجد ليتركوا حُطَامَ الدنيا الفاني ومَتَاعها الزائل وبريقها الوهمي الخادع وراء ظُهورهم، ويُقبِلون على عبادة الله، والاستعداد للموت وما بعده، وليس مِن أجل الانبهار بالزخارف ، والألوان الفاقعة ، والتصاميم الهندسية التي تُحاكي تصاميم قُصور الأثرياء المُتْرَفِين البعيدين عن عبادة الله وطاعته ، وتذكُّرِ الموت ، والاستعدادِ لليوم الآخِر .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: ((ما أُمِرْتُ بتَشييدِ المَساجد))[٢٠٦].

لم يُؤْمَر النبيُّ ﷺ برفع بناء المساجد وتطويله ، لأن ذلك سَيكون وسيلةً للتزيين والزَّخرفة ، اللذَيْن هُما مِن فِعل اليهود والنصارى لا المُسْلِمين . والسُّنَّةُ هي الاعتدال في بناء المساجد ، وتحسينها بشكل مُتوازن ، لا إفراط فيه ، ولا تفريط . وقد قال رسول الله ﷺ : ((لعنةُ الله على اليهود والنصارى ، اتَّخَذوا قُبورَ أنبيائهم مساجد))[سَبَق تخريجه]. إن أهل الكتاب كان إذا مات فيهم رَجلٌ صالح جَعلوا قبره مسجدًا، وَصَوَّروا فيه التصاوير، وقاموا بزخرفته وتزيينه . وهذه المُغالاة في التعظيم مُجرَّد واجهة برَّاقة لا جوهر لها. فهم يَعتنون بالمظاهر الشكلية في حين أن جوهرهم عامر بالفساد. وهذا التناقض في حياتهم قادهم إلى اختراع العبادات والشرائع من بنات أفكارهم .

---

٢٠٦ رواه ابن حِبَّان في صحيحه(٤/ ٤٩٣)برقم (١٦١٥).وقال الشَّوكاني في نيل الأوطار(٢/ ١٥٦): ((رجاله رجال الصحيح)) اهـ . وفي فيض القدير (٥/ ٤٢٦) : ((وقد كان عُمَر مع كثرة الفُتوح في أيامه وسَعَة المال عنده لم يُغيِّر المسجد عمَّا كان عليه . وأوَّلُ مَن زَخْرَفَ المساجدَ الوليد بن عبد الملك ، وسكتَ كثير من السلف عنه خَوف الفِتنة ، لكن رَخَّص فيه أبو حنيفة إذا قُصِدَ فيه تعظيم المسجد إذا وقع الصرف فيه مِن غَير بيت المال)) .

وفي صحيح البخاري(١/ ١٧١) عن ابن عباس _ رضي الله عنهما_ أنه قال عن المساجد : ((لَتُزَخْرِفُنَّهَا كما زَخْرَفَت اليهودُ والنَّصارى)) [٢٠٧].

اخترعَ اليهودُ هذه البِدعةَ السَّيئة وهي زخرفة أماكن العبادة (تزيينها بالذهب وغَيره) كمَظهر دُنيوي بعيد عن مَعاني الآخرة . وهذا يشير إلى الاهتمام بالمظهر دُون الجوهر ، والحرص على الأشكال الخارجية دون الاهتمام بالقلب (مَحَل الإيمان أو الكفر) . واليهودُ والنصارى زَخْرفوا أماكنَ عبادتهم حِين حَرَّفوا كُتبهم ، وبَدَّلوها . فَحَلَّ المَظْهَرُ مَكَانَ الجَوْهَر .

وللأسف الشديد ، إن الأُمَّة الإسلامية صارت تُزَخْرِف المساجدَ ، وهذه بِدعة مَذمومة ، لم يَفعلها النبيُّ ﷺ ، وهي تقليد لأهل الكتاب ومُوافقة لهم .

وفي عُمدة القاري (٤/ ٢٠٥و٢٠٦) : ((قال الخطابي : وإنما زَخْرَفَت اليهودُ والنصارى كنائسَها وبِيَعَها ، حِين حرَّفت الكُتُبَ وبدَّلتها ، فضيَّعوا الدِّينَ ، وعَرَّجوا على الزخارف والتزيين . وقال مُحيي السُّنة : إنهم زَخرفوا المساجدَ عِندما بدَّلوا دِينَهم ، وأنتم تصيرون إلى مِثْل حالهم ، وسيصير أمركم إلى المُراءاة بالمساجد ، والمُباهاة بتزيينها)) .

وقد استغلَّ اليهودُ حاجةَ يَهُوذا الإسخريوطيِّ للمال ، ولعبوا على هذا الوتر الحسَّاس ، وقادوه إلى خيانه المسيح . وكان تلويحُ اليهود بالمال مِن أهم المُحفِّزات على هذه الخيانة النَّكراء .

في [مَرْقُس ١٤ : ١٠و١١] : ((ثُمَّ ذَهَبَ يَهوذا الإسخريوطيُّ ، أحدُ الاثنَي عَشر ، إلى رؤساءِ الكَهنةِ لِيُسَلِّمَ يَسوعَ إليهم. فلمَّا سمعوا بذلك فرحوا ووعدوه أن يُعطوه مالًا. فأخذَ يتحيَّن تسليمَه في فُرصةٍ مُناسبة)) اهـ . بسبب امتلاك اليهود للمال على مَر العصور ، فإن لديهم القدرة على شراء ذِمَم الآخرين وولائهم بالمال . والمالُ سلاح فتَّاك وفعَّال ومُؤثِّر في الأفراد والجماعات.

---

٢٠٧ زخرفة المساجد والتَّباهي بها من علامات السَّاعة الصُّغرى.روى ابن حِبَّان في صحيحه(٤/ ٤٩٣) عن أبي قِلابة عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : ((لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد)) . أي إن الناسَ يَنْشغلون بزخرفة المساجد وتزيينها والتفاخر بها ، دون إعمارها بالصلاةِ وقراءة القرآن وذِكر الله تعالى، وهذا ما نراه على أرض الواقع . وبالتالي ، فالحديثُ فيه مُعجزةٌ للنبيِّ ﷺ ، وذلك بالإخبار عن أمر غَيْبي سَيَحْصل مُسْتَقْبَلًا . وفي نَيْل الأوطار للشَّوكاني (٢/ ١٥٦) : ((قال ابن رسلان : ... فإن تزويق المساجد والْمُباهاة بزخرفتها كَثُرَ من الملوك والأمراء في هذا الزمان بالقاهرة والشام وبيت المقدس بأخذهم أموال الناس ظُلْمًا وعمارتهم بها المدارس على شكل بديع ، نسأل الله السلامة والعافية)) .

واليهودُ يُتقِنون استعمالَ هذا السّلاح ، ويَعرِفون كيف يُوظِّفونه في الزمان والمكان المُنَاسِبَيْن، لتحقيق أهدافهم ، وتنفيذ مُخطَّطاتهم ، وتطبيق مؤامراتهم على أرض الواقع . وإغراءُ المال يَجذب النُّفُوسَ ، ويُؤثِّر في القلوب ، ويَستقطب الناسَ والأتباع والمُوالين . وحُب المال غريزة إنسانية . وهذا الأمرُ يستغله اليهود بأبشع صورة ، لنشر الشر والفساد والذنوب والآثام والجرائم .

وفي[الرسالة إلى رُوما ٢ : ١٧ ـ ٢٤]: ((ولكن، إن كُنتَ تُدعَى يَهوديًّا، وتتَّكلُ على الشَّريعة، وتفتخرُ باللهِ ، وتُميِّزُ ما هو الأفضلُ بسببِ ما تَعَلَّمْتَهُ من الشَّريعة ، ولكَ ثقةٌ في نَفْسِكَ بأنكَ قائدٌ للعُميان، ونورٌ للذين في الظَّلام، ومُؤَدِّبٌ للجُهَّال، ومُعلِّمٌ للأطفال، ولكَ في الشَّريعة صورةُ المعرفةِ والحق ، فأنتَ إذن ، يا مَن تُعلِّمُ غَيركَ ، أمَا تُعلِّمُ نَفْسَكَ؟ أنتَ يا مَن تَعِظُ أن لا يُسرَق ، أتسرِق ؟ أنتَ يا مَن تنهى عن الزِّنى ، أتزني ؟ أنتَ يا من تستنكرُ الأصنام ، بالشريعة ، أتُهين اللهَ بمُخالفة الشريعة ؟ . فإنَّ ((اسمَ اللهِ يُجَدَّفُ عليه بين الأُمم بسببكم)) ، على حد ما قد كُتِب)).

هذا التناقضُ يَملأ حياةَ اليهود جُملةً وتفصيلًا . فهُم عَالِمُون بالكتب الدينية ، وقارئون لها ، ويُتقِنون تَنميق العِبارات الرَّنانة ، وإسداء النَّصائح ، وإعداد الخُطَب البَرَّاقة ذات الوَقْع الشديد في النُّفوس. لكنهم لا يَعْمَلون بما يَقولون. إذ إنهم يعتقدون أن التلاعب بالكلام ولَوْي أعناق النصوص الدينية مِن شأنه توفير الحماية لهم، وتجذير سَيطرتهم على الناس وخِداعهم دُون أن يُلاحِظ أحد . وهُم يَستخدمون الدِّينَ وسيلةً للهَيمنة على الأتباع ، والحصول على المكاسب والمناصب .

وكما قال الشاعر :

لا خَيْرَ في امرئٍ مُتَمَلِّـقٍ	حُلْوِ اللسانِ وقلبهُ يَتَلهَّـبُ
يَلقاكَ يَحْلِفُ أنه بِكَ واثـقٌ	وإذا توارى عَنكَ فهو العَقْرَبُ
يُعطيكَ مِن طَرَفِ اللسانِ حَلاوةً	ويَرُوغُ مِنكَ كَمَا يَرُوغُ الثعلبُ

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ أَتَأمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُم وَأَنتُم تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُون ﴾ [البقرة : ٤٤] .

هؤلاء يأمرون الناس بالخَير ويَنْسَوْنَ أنفسَهم . إي إن كلامهم يتعارض معَ واقع حالهم . وهذا الانفصام في الشخصية يؤدِّي إلى ضياع البُوصلة الإنسانية، وتحوُّل الفرد إلى كيان مُفرغ مِن المعنى ، وتُصبح الكلماتُ مُجرَّد شِعارات رنَّانة ، لا تنعكس على السلوك البشريِّ والحياةِ العامة .

وهذه الآفةُ موجودة في كل العُصور، وتكمن خطورتها في انشغال المجتمع بالكلام دون العمل ، واختفاء العِلْم في حِبر الكُتب دون القُدرة على الاستفادة منه على أرض الواقع .

والنهضةُ الاجتماعية في شتَّى المجالات لا تَحصل إلا بالعمل بالعِلْم النافع ، أي تحويل العِلْم إلى واقع ملموس ، وتحويل النظريات الفكرية إلى تطبيقات في الحياة المُعاشة ، تساهم في رفع مستوى الإنسان روحيًّا وماديًّا ، وجعل المجتمع أكثر إشراقًا وتقدُّمًا .

والعِلْمُ المُجَرَّدُ من العمل يقود إلى غياب الثقة بين الفرد ونفْسه ، وبين الفرد والجماعة ، فيتحول المجتمعُ إلى جُزر متباعدة بلا هُوية ولا رابط بينها ، مشغولة بالجِدال العقيم ، ومحرومة مِن العمل المُفيد . والمِحَكُّ الحقيقيُّ هو العمل ، لأن الكلام سَهْلٌ لا يحتاج إلى جهود جبَّارة وخُطط تنموية وبرامج إصلاح ومشاريع تطوير ، ولكن التطبيق العملي في غاية الصعوبة .

والاستفهامُ في الآية: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ ﴾ معناه التَّوبيخ والتقريع. والخطابُ الإلهيُّ لليهود.

كيفَ تأمرون الناسَ بالخَير والحق والطاعة والإيمان بمحمد ﷺ ، وأنتم ثابتون على الشر ، ومُتمسِّكون بالباطل، ومُلازِمون للمعصية ، ومُكذِّبون بمحمد ﷺ ، وتتركون أنفسَكم فلا تأمرونها بذلك ، وأنتم تقرؤون وتَدْرُسون التَّوراةَ وفيها صِفة محمد ﷺ ، وتعلمون ما فيها مِن الوعيد على مُخالَفة القَول الفِعل. أفلا تَعقِلون أنه حق فتتَّبعونه ؟! . وكُل طاعة لله تُسمَّى بِرًّا .

وقد كان الرَّجل من اليهود يقول لقريبه وحليفه من المسلمين إذا سأله عن أمر محمد ﷺ : اثبُت على دِينه ، فإن أمره حق ، وقَوله صِدق .

وفي الدُّر المَنثور للسُّيوطي (١/ ١٥٦) : وأخرج الثعلبي والواحدي عن ابن عباس قال : ((نزلت هذه الآية في يهود أهل المدينة ، كان الرَّجل منهم يقول لصِهْره ولذوي قرابته ولمن بَيْنه وبَيْنهم رَضاع من المسلمين : اثبت على الدِّين الذي أنتَ عليه ، وما يأمرك به هذا الرَّجل _ يَعنون به محمدًا _ ، فإن أمره حق ، وكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه)) .

وقال الطبري في تفسيره (١/ ٢٩٦) : ((عن ابن عباس : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُم وَأَنتُم تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُون ﴾ . أي : تَنْهَوْنَ الناسَ عن الكفر بما عِندكم مِن النُّبُوَّة والعُهدة من التوراة ، وتتركون أنفسكم . أي : وأنتم تكفرون بما فيها مِن عَهْدي إليكم في تصديق رسولي ، وتنقُضون مِيثاقي، وتَجْحَدون ما تَعْلَمُون مِن كتابي... . عن ابن عباس في قَوله: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ ﴾ . يقول : أتأمرون الناسَ بالدخول في دِين محمد ﷺ وغَير ذلك مِمَّا أُمِرْتُم به مِن إقام الصَّلاة ﴿ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُم ﴾ ... . _ وقال الطبري _: أتأمرون الناس بطاعة الله وتتركون أنفسكم

تعصيه ؟ ، فهلَّا تأمرونها بما تأمرون به الناس من طاعة ربكم ؟ مُعَيِّرهم بذلك ، ومُقَبِّحًا لهم قَبيح ما أَتَوْا به . ومعنى نسيانهم أنفسهم ... تركوا طاعة الله فتركهم اللهُ من ثوابه ... . يَعني بقَوله : ﴿ أَفَلا تَعْقِلُون ﴾ أفلا تَفقَهون وتَفهمون قُبْحَ ما تَأتون مِن معصيتكم ربكم التي تأمرون الناس بخِلافها ، وتَنْهَوْنَهم عن ركوبها ، وأنتم راكبوها ، وأنتم تعلمون أن الذي عليكم من حق الله وطاعته واتِّباع محمد والإيمان به وبما جاء به ، مِثل الذي على مَن تأمرونه باتِّباعه ؟ ... . عن ابن عباس : ﴿ أَفَلا تَعْقِلُون ﴾ يقول : أفلا تَفْهَمون ؟ . يَنهاهم عن هذا الخُلق القبيح . قال أبو جعفر _ الطبري _ : هذا يدل على صحة ما قُلنا من أمر أحبار يهود بني إسرائيل غيرهم باتِّباع محمد ﷺ ، وأنهم كانوا يقولون : هو مَبعوث إلى غَيْرنا)) اهـ . وكما قال الشاعر :

وَصَفْتَ التُّقى حتى كأنك ذو تُقى   وريحُ الخطايا مِن ثيابك تَسْطَعُ

وفي الحديث أن النبيَّ ﷺ قال : ((يُجَاءُ بالرَّجل يوم القيامة ، فيُلقَى في النار ، فَتَنْدَلِقُ أقتابُه _ أي أمعاؤه _ في النار ، فيدور كما يدور الحِمار برَحاه ، فيجتمع أهل النار عليه ، فيقولون : أي فُلان ، ما شَأنُك ؟ ، أليسَ كُنتَ تأمرُنا بالمعروف وتنهانا عن المُنكَر ؟ ، قال : كُنتُ آمُرُكُم بالمعروف ولا آتيه ، وأنهاكم عن المُنكَر وآتيه)) [٢٠٨] .

يُوضِّح الحديثُ خُطورة عدم تطابق القَول والفِعل . وهذا التناقض الصارخ يؤدي إلى عواقب وخيمة . ففي الدنيا يغدو الفردُ مُنفصِمَ الشخصية ، لا يشعر بحلاوة الإيمان وتطبيقاته العملية على أرض الواقع ، وهذا يجعل الفردَ ضائعًا في مَتاهة القلق والحَيْرة وعدم الاستمتاع بالحياة .

وفي الآخرة سوف يُلاقي جزاءَ سيِّئاته، فقد كان يُرشد الآخرين إلى المعروف، وهو يَغوص في المُنكَر . ومَثَلُه كَمَثَل إنسان يُرشِد الآخرين إلى الطريق الآمِن ، ويقع هو في الحُفرة .

والحديثُ يحمل وعيدًا شديدًا وتخويفًا رهيبًا لكل شخص يُخالِف قَوْلُه فِعْلَه.وعلى الإنسان أن لا يُكذِّب نَفْسَه بنفْسه،ولا يُكثِّر حُجَجَ الله عليه،ويجب أن يسعى جاهدًا لتطهير نفْسه من الذنوب والآثام . وفي نفْس الوقت ، يُرشِد الآخرين إلى طريق الإيمان والعبادات والطاعات . والمُسلم مِرْآة أخيه ، وهو قَويٌّ بإخوانه . وإذا ارتكبَ ذَنْبًا أو اقترفَ مُنْكَرًا ، فليرجع إلى الله بالتَّوبة الصادقة .

---

٢٠٨ متفق عليه. البخاري (٣/ ١١٩١) برقم (٣٠٩٤)، ومسلم (٤/ ٢٢٩٠)برقم (٢٩٨٩) .

إن اليهود يَستخدم الدِّينَ ضِد الدِّين ، وهُم يَعتبرون الدِّينَ وسيلةً للسيطرة على الأتباع ، وتحقيق مكاسب شخصية ، وجَنْي منافع مادية ، والوصول إلى المناصب ، ونَيْل الرئاسة والزعامة.

وهذه الأهدافُ الدُّنيوية الدنيئة القائمة على استغلال الدِّين والتلاعب به ، مُتماهية مع مبدأ " الغايةُ تُبرِّر الوسيلةَ " الذي وضعه ميكافيلِّي [٢٠٩]. وهذا المبدأ موجود في تصرُّفات اليهود على مَدار التاريخ ، حيث إنهم بَنَوْا حياتهم على الخِدَاع والكذب والمؤامرات للوصول إلى أهدافهم .

واتِّخاذُ ثنائية " الخِداع والكذب " منهجًا حياتيًّا ثابتًا وأساسيًّا ، إنما يكون مِن أجل تحقيق مُكتسبات لا يمكن تحقيقها بالسُّبُل المشروعة. والكارثةُ الحقيقيةُ تتجلَّى في اعتقاد الشخص أن بإمكانه خِداع الله والتَّحايل عليه . واللهُ لا يَخفى عليه شيء ، فهو مُطَّلع على السِّر والعلانية .

قالَ اللهُ تعالى:﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إلا أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُون﴾[البقرة: ٩].

إن هؤلاء المُنافقين الضَّالين يعتقدون أن بإمكانهم خِداعَ الله والمؤمنين . وهُم يؤسِّسون فلسفةَ أعمالهم على مبدأ الخِداع والتحايل ، ولكنهم في الحقيقة يَخدعون أنفسَهم ، ويَضحكون عليها . وقد أوردوها المهالك وما يَشعرون بذلك بسبب جَهْلهم وغرقهم في الوهم الوقتي الزائل .

وكُلُّ تصرُّفاتهم تنطلق من قلوب مريضة ، مُلوَّثة بالكفر والضلال والعِناد والخداع والكذب . وهذا هو المرضُ الحقيقيُّ الذي يَغفل عنه الكثيرون . وقد زادهم اللهُ مَرَضًا عُقوبةً لهم ، فهُم لم يَسْعَوْا إلى تنظيف قلوبهم من الكفر والضلال والنفاق ، فازدادوا غَرَقًا في شهواتهم الخبيثة، وأفعالهم القذرة وأفكارهم الدنيئة . ولم يقف الأمرُ عند هذا الحد ، بل ينتظرهم أيضًا عذاب النار الشديد يوم القيامة، بسبب خداعهم وكذبهم ، واتِّخاذهم التَّحايل وسيلةً لتنفيذ مُخطَّطاتهم السَّيئة.

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٧٦) : ((النِّفاق هو إظهار الخير وإسرار الشر ، وهو أنواع : اعتقادي، وهو الذي يُخلِّد صاحبه في النار ، وعملي وهو مِن أكبر الذنوب ... وهذا كما قال ابن جُرَيج : المنافق يُخالف قَوْلُه فِعْلَه ، وسِرُّه عَلانِيَتَه ، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه. وإنما نزلت

---

٢٠٩ نقولا ميكافيلِّي (١٤٦٩م ــ ١٥٢٧ م)، ركَّز تعاليمَه على مبدأ " الغاية تُبرِّر الوسيلةَ " وفيه ينصح الحكام والأمراء بأن يَلْجَؤُوا إلى أية وسيلة للحفاظ على سُلطتهم ، ولو كانت هذه الوسيلةُ مؤذية وغير محمودة . من أهم آثاره كتاب الأمير .

صِفات المنافقين في السُّوَر المدنية ، لأن مكة لَم يكن فيها نفاق ، بل كان خِلافه . مِن الناس مَن كان يُظهِر الكُفر مُسْتَكْرَهًا ، وهو في الباطن مؤمن ، فلمَّا هاجرَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينة ، وكان بها الأنصار مِن الأوس والخزرج،وكانوا في جاهليتهم يعبدون الأصنام على طريقة مُشركي العرب، وبها اليهود من أهل الكتاب على طريقة أسلافهم، وكانوا ثلاث قبائل: بنو قَيْنُقاع حُلفاء الخَزْرَج، وبنو النضير وبنو قُرَيظة حُلفاء الأوس ، فلمَّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ ، وأسلمَ مَن أسلمَ مِن الأنصار مِن قبيلتَي الأوس والخزرج ، وقَلَّ مَن أسلمَ مِن اليهود إلا عبد الله بن سلام رضي الله عنه، ولَم يكن إذ ذاك نفاق أيضًا ، لأنه لَم يكن للمسلمين بَعْد شَوكة تُخاف ، بَل قد كان عليه الصلاة والسلام وادعَ اليهودَ وقبائل كثيرة من أحياء العرب حَوَالَي المدينة ، فلمَّا كانت وقعة بَدْر، وأظهرَ اللهُ كلمته ، وأعزَّ الإسلامَ وأهلَه . قال عبد الله بن أُبَي بن سَلُول : وكان رأسًا في المدينة ، وهو مِن الخزرج ، وكان سَيِّد الطائفتين في الجاهلية ، وكانوا قد عزموا على أن يُمَلِّكوه عليهم ، فجاءهم الخير وأسلَموا ، واشتغلوا عنه ، فَبَقِيَ في نَفْسه مِن الإسلام وأهله ، فلمَّا كانت وقعة بَدْر ، قال : هذا أمر الله قد تَوَجَّه، فأظهرَ الدخول في الإسلام،ودخلَ معه طوائف مِمَّن هو على طريقته وَنِحْلته، وآخرون من أهل الكتاب ، فَمِن ثَمَّ وُجِد النفاق في أهل المدينة ومَن حَوْلها مِن الأعراب ، فأمَّا المهاجرون فلم يكن فيهم أحد نافقَ ، لأنه لَم يكن أحد يُهاجر مُكْرَهًا ، بَل يُهاجر فيترك مالَه وولده وأرضه رغبةً فيما عِند الله في الدار الآخرة)) اهـ .

أهداف اليهود الخبيثة تنطلق مِن نواياهم السَّيئة . وهُم يَستخدمون _ لتحقيقها وتنفيذها _ جميعَ الوسائل القذرة بلا استثناء . كما أنهم يحرصون على السيطرة على مراكز صنع القرار في كُل المجالات . وللأسف الشديد ، إن خُبث النوايا ودناءة الأهداف وقذارة الوسائل ، قد اخترقَ التعاليمَ الدينية اليهودية ، التي تنبعث مِن أفواه العلماء الفاسقين، الضالين في أنفسهم ، المُضِلِّين لغَيرهم ، والذين باعوا دِينَهم من أجل عَرَض دُنيوي حقير وزائل ، وتاجروا بالدِّين لتحقيق مكاسب شخصية ، واستغلال الشعب ، والحصول على الرئاسة ، والاستحواذ على أرفع المناصب .

وقد حذَّر المسيحُ تلاميذَه مِن تعاليم علماء اليهود الضَّالين وأفكارهم الباطلة وآرائهم المُنحرفة. وفي [مَتَّى ١٦ : ١٢] : ((عندئذٍ أدركَ التَّلاميذُ أَنَّهُ لم يكن يُحذِّرهم مِن خَميرِ الخُبز بل مِن تعليمِ الفَرِّيسيِّين والصَّدُّوقيِّين)) .

تتجلَّى الخطورةُ الحقيقيةُ في المجتمعات ، عندما يخترق الضلالُ منظومةَ التعاليم الدينية ، وتتم المُتاجرة بالدِّين لمُحاربة الدِّين ، وتحقيق أهداف دُنيوية دنيئة ، بعيدة كُل البُعد عن الدِّين .

وهكذا، يصير الدِّينُ أُلعوبةً بيد العُلماءِ الضالين ، الذين يَعْلَمون الحقَّ ثُم يَنحرفون عنه ، تحت ضغط أهوائهم ومصالحهم ومناصبهم . وفي طريق الانحراف عن رُوح الدِّين ونصوصه الحقيقية ، يضيع الجُهَّال والعوام والأتباع في متاهة الكُفر والضلال . وزَلَّةُ العَالِم غير المقصودة ، هي زَلَّة العَالَم . فما بالك إذا كان العلماء غارقين في الأخطاء والخطايا بشكل مقصود ومُتعمَّد ؟!.

وقد ذَكَرَ اللهُ الأحداثَ التي رافقت انحراف أحد أعظم عُلماء بني إسرائيل ، والمُلابَسَات التي أدَّت إلى نهايته السَّيئة، وخاتمته البشعة ، حيث خَذَلَه اللهُ ، وتركه ضائعًا في مَتاهة الكفر والضلال.

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيهِم نَبَأَ الذِي آتَينَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنهَا فَأَتبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِين (١٧٥) وَلَو شِئنَا لَرَفَعنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إن تَحْمِلْ عَلَيهِ يَلْهَثْ أو تَترُكْهُ يَلْهَث ذَلِكَ مَثَلُ القَوْمِ الذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُون (١٧٦) ﴾ [الأعراف] .

واتْلُ يا محمد على اليهود خَبَرَ وقِصَّة ذلك العَالِم ، الذي علَّمه اللهُ بَعْضَ كُتبه، وفهَّمه أدلةَ التَّوحيد، فانسلخَ مِن الآيات الإلهية ، كما تنسلخ الحَيَّة مِن جِلْدها ، بأن كفر بها ، وأعرضَ عنها ، فلحقه الشَّيطانُ، وسيطرَ عليه، حتى جعله مِن الكافرين الضالين بعدما كان مِن المؤمنين المهتدين.

والمقصودُ " بَلْعَام بن باعوراء " ، وهو عَالِم مِن عُلماء بني إسرائيل ، أعطاه اللهُ عِلْمَ بعض كُتب اللهِ ، لكنَّه كَفَرَ بِها ، وانحرفَ عن منهج الحق ، فَسَلَبَ اللهُ مِنه الكراماتِ ، وطَرَدَه ، وذَمَّه .

وعن عبد الله بن مسعود ــ رضي اللهُ عنه ــ : في قوله ــ عَزَّ وَجَلَّ ــ: ﴿ وَاتْلُ عَلَيهِم نَبَأَ الذِي آتَينَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنهَا ﴾ ، قال : ((هو بَلْعَام بن باعوراء)) [٢١٠].

وقال النسفي في تفسيره (٢/ ٤٦) : ((رُوِيَ أن قَومه طَلَبوا مِنه أن يَدْعُوَ على مُوسى ومَن معه ، فأبى ، فلم يزالوا به حتى فعل ، وكان عنده اسم الله الأعظم)) اهـ .

ولو شاءَ اللهُ لرفعه إلى منزلة العلماء المُخلِصين الصادقين بما أعطاه مِن الآيات الإلهية ، ومَنَحَه الجنة ، ولكن الله لم يَشأ ذلك ، بسبب إعراضه عن الآيات الإلهية ، ورفضه لها ، وتركه للعمل بها ، ومَيْله إلى الدنيا ، وسُكونه إليها ، وإيثاره حُطام الدنيا الزائل وشهواتها وملذاتها على نعيم الآخرة الباقي ، واتِّباعه ما تَهْواه نَفْسُه . ولمَّا انسلخَ مِن الآيات الإلهية ، وأعرضَ عنها ، انتكسَ ، وانحطَّ أسفل سافلين ، وصار مِثْلَ الكلب في الخِسَّة والدناءة ، إن طَرَدْتَه وزَجَرْتَه لَهَثَ ،

---

٢١٠ رواه الحاكم في المستدرَك (٢/ ٣٥٥) برقم (٣٢٥٨) ، وصحَّحه الذهبي .

وإن تركته لَهَثَ . وليس غَيره من الحيوان كذلك . وهذا تمثيل بليغ ودقيق . فالكلبُ يَلهَث في حَالَتي الراحة والتعب ، وكذلك مَن كذَّب بآيات الله ، إن وَعَظْتَه ضَل ، وإن تركته ضَل ، وهو في الحالتين ضال وضائع.وهذا المَثَل السَّيئ هو مَثَل لكل مَن كذَّب بآيات الله، ورفضها وأعرضَ عنها.

وفي الآية تعريض باليهود ، الذي درسوا التَّوراةَ ، وعرفوا صفة النبيِّ محمد ﷺ فيها ، وعندما جاءهم كفروا به ، وكذَّبوه ، وانسلخوا مِن حُكم التَّوراة ، ورفضوه ، وأعرَضوا عنه . واليهودُ كانوا ضالين قبل أن يأتيَهم النبيُّ محمد ﷺ بالرسالة الإلهية ، وبعدما جاءهم بقوا على ضلالتهم ، فلم يَنتفعوا بالهدى ، ولم يَستفيدوا مِن الحق . ومَثَلُهم كَمَثَل الكلب الذي يلهث في حَالَتَي الراحة والتعب . وهذا تصوير دقيق لنفسية اليهود ، الذين يَعبدون المالَ ، ويُقدِّسون حُطَامَ الدنيا الفاني .

فاقْصُص يا محمد على اليهود قَصَصَ المُكذِّبين بآيات الله تعالى ، لعلَّهم يتفكَّرون في ذلك ، ويتدبَّرونه ، فيتركون الكفرَ والضلال والباطل ، ويُقبِلون على الإيمان والهداية والحق .

وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٥١) : ((قَوله تعالى : ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أو تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ . اختلف المُفسِّرون في معناه ، فعلى سِياق ابن إسحاق عن سالم عن أبي النَّضْر أن بَلْعامًا اندلعَ لسانه على صدره ، فتشبيهه بالكلب في لهيثه في كِلْتَي حالتَيْه ، إن زُجِر وإن تُرِك ظاهر . وقِيل : معناه فصار مَثَله في ضلاله واستمراره فيه وعدم انتفاعه بالإيمان وعدم الدعاء، كالكلب في لهيثه في حالتَيْه ، إن حَمَلْتَ عليه ، وإن تركته ، هو يلهث في الحالَيْن، فكذلك هذا لا ينتفع بالموعظة والدعوة إلى الإيمان، ولا عدمه ... . يقول تعالى لِنَبِيِّه محمد ﷺ : ﴿ فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُون ﴾ ، أي: لعل بني إسرائيل العَالِمين بحال بَلْعام وما جرى له في إضلال الله إيَّاه ، وإبعاده من رحمته ، بسبب أنه استعمل نِعمةَ الله عليه في تعليمه الاسم الأعظم ، الذي إذا سُئل به أَعْطَى ، وإذا دُعِيَ به أجاب ، في غير طاعة ربِّه ، بل دَعا به على حِزب الرحمن وشَعْب الإيمان أتباع عبده ورسوله في ذلك الزمان كليم الله موسى بن عِمران عليه السلام ، ولهذا قال : ﴿ لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُون ﴾ أي : فيحذروا أن يكونوا مِثْلَه ، فإن الله قد أعطاهم عِلْمًا ، وميَّزهم على مَن عداهم مِن الأعراب ، وجَعل بأيديهم صِفة محمد ﷺ ، يعرفونها كما يعرفون أبناءهم ، فهُم أحق الناس وأولاهم باتِّباعه ومُناصرته ومُؤازرته، كما أخبرتهم أنبياؤهم بذلك وأمرتهم به ، ولهذا مَن خالَفَ مِنهم ما في كتابه وكَتَمه ، فلم يُعْلِمْ به العبادَ ، أحَلَّ اللهُ به ذُلًّا في الدنيا مَوصولًا بذُل الآخرة)) اهـ .

لقد بيَّن اللهُ تعالى مراحل فَساد العَالِم الذي هو فَساد العَالَم ، مِن أجل أخذ الحِيطة والحَذَر :

أ _ الانسلاخ من آيات الله تعالى ، وتركها ، ورفضها ، والإعراض عنها .

ب _ الضعف أمام الشيطان ، والانهيار أمامه ، ومَنْحه الفرصة للسيطرة والاستحواذ .

ج _ الإخلاد إلى الأرض، أي: الرُّكون إلى شهوات الدنيا وملذاتها ، والحِرص على حُطامها.

د _ اتِّباع الهوى وتزيينِ النَّفْس والمؤثراتِ السلبية .

إن اليهود بَنَوْا حياتهم على الخداع والكذب والمكر والتحايل ، وهذه المعاني السلبية مُسيطرة على المجتمع اليهوديّ بشكل كامل ، من الرأس حتى القاعدة . واليهودُ يؤمنون بهذه المعاني ، لأنهم يَعتبرونها سلاحًا فعَّالًا في أيديهم ، يَحرسهم ، ويَحمي وجودهم مِن كُل الأخطار .

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : ((قاتلَ اللهُ اليهودَ، إنَّ اللهَ لَمَّا حَرَّمَ شُحومَها _ أي شُحوم المَيْتة _ جَمَّلوه ، ثُمَّ باعوه ، فأكلوا ثمنَه)) [٢١١].

لَعَنَ اللهُ اليهودَ ، لأنهم قَوم فاسقون ضالُّون ، يتلاعبون بأحكام الدِّين ، ويتحايلون على الشريعة ، مِن أجل تحقيق المكاسب المادية ، والحصول على المال الحرام .

واللهُ حَرَّمَ عليهم شُحوم المَيْتة ، وبالتالي يَحرُم عليهم ثمنها . فما كان مِنهم إلا جمَّلوا الشَّحْم (أذابوه) ، ثُمَّ باعوه ، فأكلوا ثَمَنَه. وهذا يعني أنهم أكلوا المالَ الحرامَ ، وتحايلوا على الشريعة .

واليهودُ يُقدِّسون المالَ ، ويَعبدونه ، لذلك لَجَؤوا إلى الخِداع والغِش ، مِن أجل تحقيق الأرباح المادية ، والحصول على المال . وفي هذا دَلالة واضحة على أن الخداع هو أساس حياة اليهود .

وفي عَون المعبود (٩/ ٢٧٤) : ((قال الخطابي : أي أذابوها حتى تصير وَدَكًا (دَسَمًا) ، فيزول عنها اسم الشَّحْم ، تقول : جَمَّلْتُ الشَّحْمَ وأجملته ، إذا أذَبْتَه . وفي هذا بيان بُطلان كُل حِيلة يُحتال بها للتوصُّل إلى مُحرَّم ، فإنه لا يتغيَّر حُكمه بتغيُّر هَيئته وتبديل اسمه)) .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَاسْأَلْهُم عَنِ القَرْيَةِ التِي كَانَت حَاضِرَةَ البَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأتِيهِم حِيتَانُهُم يَوْمَ سَبْتِهِم شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِم كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُون ﴾ [الأعراف: ١٦٣] . واسأل يا محمد اليهودَ عن أخبار أسلافهم ، وأمرِ القرية التي كانت بقُرب البحر وعلى شاطئه، ماذا حدث لهم عندما خَالَفُوا أمرَ الله واصطادوا يوم السَّبْت وما مَسَخَ اللهُ مِنهم قِرَدة وخنازير؟. وهذا سؤال للتَّقرير والتَّوبيخ.وتعريفُ اليهود بأن محمدًا ﷺ يَعْلَم هذه القصة، معَ أنه أُمِّيٌّ لَم يقرأ الكتب ، ولم يُجالس العلماء ، دليل على أنه نبيٌّ صادق يَأتيه وَحْيُ السماء .

---

٢١١ متفق عليه . البخاري (٧٧٩/٢) برقم (٢١٢١) ، ومسلم (١٢٠٧/٣) برقم (١٥٨١).

كان اليهودُ يَظْلمون أنفسَهم في يوم السَّبْت ، ويَعصون اللهَ بصيد الحيتان. وقد نُهُوا عن هذا الفِعل ، ونُهُوا عن الاشتغال في يوم السَّبْت بغير العبادة . والسَّبْتُ _ في أصل اللغة _ القَطْع ، لأن الأشياء تمَّت فيه، وانقطعَ العمل. وكانت حيتانهم تأتيهم يوم السَّبت ظاهرةً على الماء، وكثيرة، ومُتتابعة . وفي سائر الأيام (غَير السَّبْت)، تختفي الحيتان ، ولا تأتي. وهذا اختبار إلهيٌّ لهم ، وبلاء شديد بسبب فِسقهم ، وذنوبهم ومعاصيهم . حيث إن الحيتان كانت تَظهر في يوم السَّبْت الذي يَحْرُم فيه صَيْدُها ، وتختفي في باقي الأيام التي يجوز فيها صَيْدُها. ولمَّا صادوا الحيتان ، صار أهلُ القِرية ثلاث فِرَق: فِرقة صادت ، وفِرقة نَهَتْ ، وفِرقة أمسكت عن الصَّيْدِ والنَّهْي .

وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٤٢) : ((يقول تعالى لِنَبِيِّه صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ وَاسْأَلْهُم ﴾ ، أي : واسأل هؤلاء اليهودَ الذين بحضرتك عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمرَ الله ، ففاجأتهم نِقمته على صنيعهم واعتدائهم واحتيالهم في المُخَالَفة ، وحَذِّرْ هؤلاء مِن كِتمان صِفتك التي يجدونها في كُتبهم ، لئلا يَحِلَّ بهم ما حَلَّ بإخوانهم وسَلَفهم . وهذه القرية هي أَيْلَة ، وهي على شاطى بحر القُلْزُم (البحر الأحمر) ... . وقَوله : ﴿ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ ﴾ أي : يَعتدون فيه، ويُخالِفون أمرَ الله فيه لهم بالوَصاة به إذ ذاك ﴿ إِذْ تَأْتِيهِم حِيتَانُهُم يَوْمَ سَبْتِهِم شُرَّعًا ﴾ قال الضَّحاك عن ابن عباس أي ظاهرة على الماء . وقال العَوفي عن ابن عباس: ظاهرة مِن كُل مكان . قال ابن جرير : وقَوله : ﴿ وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِم كَذَلِكَ نَبْلُوهُم ﴾ أي : نختبرهم بإظهار السَّمك لهم على ظهر الماء في اليوم المُحرَّم عليهم صَيْدُه ، وإخفائه عنهم في اليوم الحلال لهم صَيْدُه ، ﴿ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم ﴾ نختبرهم ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُون ﴾ . يقول : بفِسْقهم عن طاعة الله ، وخُروجهم عنها . وهؤلاء قوم احتالوا على انتهاك مَحارم الله بما تَعَاطَوْا من الأسباب الظاهرة التي معناها في الباطن تعاطي الحرام.وقد قال الفقيه الإمام أبو عبد الله بن بطة رحمه الله : حدَّثنا أحمد بن محمد بن مسلم حدَّثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني حدثنا يزيد ابن هارون حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهودُ ، فتستحِلُّوا مَحارمَ الله بأدنى الحِيَل " . وهذا إسناد جيِّد)) اهـ .

وقِصَّةُ أصحاب السَّبْت تُشير إلى تلاعب اليهود بالدِّين ، وتحايلهم على أحكام الشريعة ، ومَكْرهم بأنفسهم، كما تُشير إلى منهجهم الحياتي الثابت ، الذين يتمسَّكون به ، ولا يَحِيدون عنه، وهو الخِداع والكذب والتحايل والاستهزاء والسُّخرية واللف والدَّوران ، ولَوْي أعناق النصوص ، وتَوظيف الدِّين لتحقيق المصالح الشخصية ، وجَنْي المكاسب المادية .

وقال ابنُ كثير في تفسيره (١/ ١٥٠): ((فاشتهى بعضُهم السَّمكَ ، فجعلَ الرَّجلُ يحفر الحَفِيرة ، ويجعل لها نهرًا من البحرِ ، فإذا كان يوم السَّبْت ، فتحَ النهرَ ، فأقبل الموجُ بالحيتان يضربها حتى يُلقيَها في الحَفِيرة، فيُريد الحوتُ أن يخرج فلا يُطيق من أجل قِلَّة ماء النهر، فيمكث فيها، فإذا كان يوم الأحد جاء فأخذه فجعل الرجلُ يشوي السمك، فيجد جارُه روائحه فيسأله، فيُخبره فيصنع مثل ما صنع جارُه حتى فشا فيهم أكلُ السمك. فقال لهم عُلماؤهم : وَيْحَكم إنما تصطادون يوم السَّبت ، وهو لا يَحِلُّ لكم ، فقالوا : إنما صِدْناه يوم الأحد حين أخذناه)) اهـ .

والخِداعُ ضاربٌ جذوره في المجتمع اليهوديِّ مِن القِمَّة حتى القاع . وحياةُ اليهود قائمة على المكر والخيانة ، وظاهرها الصلاح والتقوى وتعظيم شعائر الله (ومِنها تعظيم يوم السَّبْت) ، وباطنها القذارة والغِش والتلاعب بنصوص الدِّين والتحايل على أحكام الشريعة .

والهوسُ بالمكر والخداع سيطرَ على قلوب اليهود ، وأوصلهم إلى الذُّل والخِسَّة والحضيض ، وقادهم إلى الهلاك والعذاب . والمجتمعُ اليهودي ضائعٌ بأكمله ، سَفينة تَغرقُ ولا رُبَّان يُوَجِّه الدَّفة نَحْو الاتجاه الصحيح.وفي هذا دَلالة واضحة على أن المجتمع اليهودي يَغرق في ضلاله وضياعه، بسبب ذُنوب اليهود ومعاصيهم ، وعبادتهم للمال ، وتقديسهم لمصالحهم وأرباحهم ومناصبهم .

وهذه الحادثة لنا معها وقفات :

أ _ اليهود يملكون عقولًا قادرة على الاكتشاف والاختراع والتخطيط والتنفيذ . لكنهم يَستخدمون قدراتهم العقلية الهائلة في المَكر السَّيئ ، وحَبْك المؤامرات ، والتحايل على الدِّين، وخِداع الناس.وهُم مؤمنون بأن الغاية تُبرِّر الوسيلةَ،لذلك لا يوجد نظام أخلاقي يَحْكمهم ويَرْدعهم.

ب _ الضَّالُّون لا يُشكِّلون خطرًا على أنفسهم فَحَسْب،بل أيضًا يُشكِّلون خطرًا على الآخرين، ويُهدِّدون المجتمعَ بأكمله ، وعَدوى الضلال تنتشر في المجتمع كانتشار النار في الهشيم . وعندما يَفسد إنسان ما في المجتمع ، فإن الكثيرين سيتأثرون به ، ويَغتَرُّون بأسلوب حياته المُنحرف، ويُحاولون تقليده والسَّيْر على خُطاه. وهكذا ينتشر وباء الانحراف في المجتمع كُلِّه .

ج _ دَور العلماء في الأمر بالمعروف والنَّهْي عن المُنكر ، لا يمكن تجاهله . وعلى المَرء أن يُقدِّم النصيحةَ سواءٌ أُخِذَ بها أَم لا،ويُؤدِّيَ واجبه في مُحاولة انتشال الآخرين مِن مستنقع الضلال ، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه. وعندما يقوم المَرء بالأمر بالمعروف والنَّهْي عن المُنكر يُبْرِئ ذِمَّته أمام الله.

وقالَ اللهُ تعالى: ﴿ ولقد عَلِمْتُمُ الذينَ اعْتَدَوْا مِنكُم في السَّبْتِ فقُلنا لَهُم كُونوا قِرَدَةً خَاسِئين ﴾ [البقرة : ٦٥] .

ولقد عرفتم يا مَعْشَرَ اليهودِ ، الذينَ عَصَوا اللهَ ، وجاوزوا حَدَّه ، وخالفوا أمرَه في يوم السَّبْت ، بصيد السَّمك (الحيتان) ، وقد نهاهم اللهُ عن ذلك . وبسبب رَفضهم لأمر الله ، عاقبهم وعذَّبهم بأن جَعلهم قِرَدةً مطرودين مُبعَدين . وهذا تحذير لليهود المعاصرين للنبيِّ ﷺ مِن معصية الله ، وتَكرار خطأ أسلافهم الغابرين ، لئلا يُلاقوا نَفْسَ مصيرهم الكارثي ، ويُعذَّبوا أشدَّ العذاب [٢١٢].

وقال البغوي في تفسيره (١/ ١٠٤) : ((وأصل السَّبْت : القَطْع . قِيل : سُمِّيَ يوم السَّبْت بذلك ، لأن الله تعالى قطع فيه الخَلْقَ . وقِيل : لأن اليهود أُمِرُوا فيه بقطع الأعمال)) اهـ .

وهؤلاء اليهود الذين اعْتَدَوْا في يوم السَّبْت ، فاصطادوا الحيتان فيه ، وهو مُحرَّم عليهم. ولَجَؤوا إلى الحِيلة ، فحَفروا الحُفَرَ وشَقُّوا الجداول ، فكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصيدونها يوم الأحد ، لَم ينتفعوا بهذه الحِيلة . فقد أصابهم العذاب الإلهيُّ بأن مسخهم اللهُ تعالى قِرَدةً أذلة صاغرين بسبب معصيتهم . والقِرَدةُ أشبه الحيوانات بالبشر .

وقال الطبري في تفسيره (١/ ٣٧٠) : ((وهذه الآية وآيات بعدها تَتلوها مِمَّا عدَّد جَلَّ ثناؤه فيها على بني إسرائيل ، الذين كانوا بين خِلال دُور الأنصار زمان النبيِّ ﷺ ، الذين ابتدأ بذِكْرهم في أول هذه السُّورة مِن نكث أسلافهم عَهْد الله وميثاقه ، ما كانوا يُبرِمون مِن العُقود ، وحذَّر المُخاطَبين بها أن يَحِلَّ بهم _ بإصرارهم على كُفرهم ومُقامهم على جُحود نُبُوَّة محمد ﷺ ، وتركهم اتِّباعه ، والتصديق بما جاءهم به من عند ربِّه _ مِثْل الذي حَلَّ بأوائلهم مِن المَسْخ والرجف والصعق، وما لا قِبَل لهم به من غضب الله وسخطه)) اهـ .

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ١٥٠): ((يقول تعالى : ﴿ ولقد عَلِمْتُمُ ﴾ يا مَعْشَرَ اليهود ما أحَلَّ من البأس بأهل القرية التي عصت أمر الله ، وخالفوا عهده وميثاقه فيما أخذه عليهم من تعظيم السَّبْت ، والقيام بأمره ، إذْ كان مشروعًا لهم ، فتحيَّلوا على اصطياد الحيتان في يوم السبت ... فلمَّا فعلوا ذلك مَسخهم الله إلى صورة القِرَدة وهي أشبه شيء بالأناسيِّ في الشكل الظاهر ،

---

٢١٢ قال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٩٤) : ((وفي صفة اعتدائهم في السَّبت قَولان : أحدهما أنهم أخذوا الحِيتانَ يوم السَّبْت، قاله الحسن ومقاتل . والثاني أنهم حبسوها يوم السَّبْت ، وأخذوها يوم الأحد، وذلك أن الرَّجل كان يَحفر الحفيرة ، ويجعل لها نَهرًا الى البحر ، فإذا كان يوم السبت فتح النهرَ ، وقد حَرَّمَ اللهُ عليه العملَ يوم السَّبْت ، فيُقبِل الموجُ بالحيتان حتى يُلقيَها في الحفيرة ، فيُريد الحوتُ الخروجَ فلا يُطيق، فيأخذها يوم الأحد ، قاله السُّدي)) .

وليست بإنسان حقيقة. فكذلك أعمال هؤلاء وحِيلتهم لمَّا كانت مُشابِهة للحق في الظاهر،ومُخالِفة له في الباطن،كان جزاؤهم مِن جِنس عملهم)) اهـ . وقد اختلف العلماء في المَمْسوخ هل يَنسُل (يتكاثر) أم لا . في تفسير القرطبي (١/ ٤٧٧) : ((قال الجمهور : المَمسوخ لا يَنسُل ، وإن القِرَدة والخنازير وغَيرهما كانت قبل ذلك ، والذين مَسخهم اللهُ قد هَلكوا ، ولم يَبْقَ لهم نَسْل ، لأنه قد أصابهم السخط والعذاب ، فلم يكن لهم قرار في الدنيا بعد ثلاثة أيام)) اهـ .

وفي صحيح مسلم (٤/ ٢٠٥٠) أن رَجُلًا قال : يا رسول الله ، القِرَدة والخنازير هي مِمَّا مُسِخ ؟ ، فقال النبيُّ ﷺ : ((إن الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لم يُهْلِكْ قَوْمًا أو يُعَذِّبْ قَوْمًا ، فيجعلَ لهم نَسْلًا ، وإن القِرَدة والخنازير كانوا قبل ذلك)) .

في هذا الحديث إشارةٌ واضحة إلى أن القِرَدة والخنازير التي تعيش في عَالَمنا لَيست مَمسوخة، بل حيوانات أصلية تتكاثر ، ولها نَسْل ، والمَمسوخُ لا نَسْل له .

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٦/ ٢١٤) : ((قَوله ﷺ : " وإن القِرَدة والخنازير كانوا قبل ذلك " . أي قَبل مَسْخ بني اسرائيل، فدلَّ على أنها لَيست مِن المَسْخ)) اهـ .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ إنما جُعل السَّبْتُ على الذين اختلفوا فيه ﴾[النَّحْل : ١٢٤] [٢١٣].

لم يكن تعظيمُ يوم السَّبْت ، وتَرك العمل فيه ، مِن دِين إبراهيم وشريعته ، وإنما جُعل تغليظًا على اليهود ، وتشديدًا عليهم ، لاختلافهم في الدِّين ، وإعراضهم عن أحكام الشريعة ، وعصيانهم أمر الله ، حيث نهاهم عن الاصطياد فيه فاصطادوا ، فمَسخهم قِرَدَةً وخنازير عُقوبةً لهم .

واللهُ تعالى فَرض تعظيم يوم السَّبْت على الذين اختلفوا فيه، ولم تتَّفق كلمتهم . فكان السَّبْتُ ـ بالنسبة إليهم ـ مَحَلًّا للنِّزاع والشِّقاق وتفرُّق الكلمة . وهذا يدل على اختلاف المرجعيات ، وتضارب الأهواء والأمزجة ، وعدم الاتفاق على مبدأ واحد . وفي هذا مؤشرٌ على تشتُّت قلوب اليهود ، وتعارُض عقولهم ، وتضارُب أهوائهم ، وكثرة ذنوبهم ومعاصيهم وجرائمهم .

---

٢١٣ قال ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٥٠٥) : ((وفي معنى اختلافهم فيه قولان : أحدهما أن موسى قال لهم : تفرَّغوا لله في كل سبعة أيام يَوْمًا ، فاعبدوه في يوم الجُمُعة ، ولا تعملوا فيه شيئًا مِن صَنيعكم ، فأبَوْا أن يَقبلوا ذلك ، وقالوا : لا نبتغي إلا اليوم الذي فرغ فيه مِن الخَلْق وهو يوم السَّبْت ، فجُعِل ذلك عليهم وشُدِّد عليهم فيه ، رواه أبو صالح عن ابن عباس ... والثاني أن بعضهم استحلَّه ، وبعضهم حرَّمه ، قاله قتادة)) .

وقال الطبري في تفسيره (٧/ ٦٦٢) : ((يقول تعالى ذِكْره : ما فَرَضَ اللهُ أيها الناس تعظيمَ يوم السبت إلا على الذين اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : هو أعظم الأيام ، لأن الله تعالى فرغ من خلق الأشياء يوم الجُمُعة ، ثُم سَبَتَ يوم السَّبْت . وقال آخرون : بل أعظم الأيام يوم الأحد ، لأنه اليوم الذي ابتدأ فيه خَلْق الأشياء ، فاختاروه ، وتركوا تعظيم يوم الجُمُعة الذي فَرض اللهُ عليهم تعظيمه، واستحلُّوه)) اهـ . وقال الحافظ في الفتح (٢/ ٣٥٥) : ((روى الطبري بإسناد صحيح عن مجاهد في قَوله تعالى : ﴿ إنما جُعل السَّبْتُ على الذين اختلفوا فيه ﴾ . قال : أرادوا الجُمُعة فأخطؤوا، وأخذوا السبت مكانه،ويُحتمل أن يُراد بالاختلاف اختلاف اليهود والنصارى في ذلك)).

واليهودُ قَوْمٌ مُعاندون ، لا يَنصاعون للحق ، بل يَتحايلون عليه بكل وسيلة . وهُم أصحاب قلوب قاسية ، ويَغرقون في أهوائهم المُتعارضة، وأفكارُهم قائمة على اللف، والدوران ، والتحايل ، وتبديل الألفاظ والمعاني، وخيانة العهود ، ورفض الشريعة ، وقتل الأنبياء . وهذا معروفٌ عنهم . وقد اختلفوا في يوم السبت، ولم يتَّفقوا،وهذا يدل على تضارُب أهوائهم ، وعدم خضوعهم للحق.

وعن أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ أنه سَمع رسول الله ﷺ يقول : ((نحن الآخِرُون السابقون يوم القيامة ، بَيْد أنهم أُوتوا الكتاب مِن قَبْلنا ، ثُمَّ هذا يَومهم الذي فُرض عليهم ، فاختلفوا فيه ـــ يعني يوم الجُمُعة ـــ ، فهدانا الله ، فالناس لنا فيه تَبَعٌ ، اليهود غدًا ، والنصارى بعد غد)) [٢١٤].

إن المسلمين هُم الآخِرون زمانًا (جاؤوا بعد اليهود والنصارى) ، ولكنهم السابقون يوم القيامة مَنْزلةً وشرفًا وفضلًا (أوَّل الأمم دُخولًا إلى الجنة) . وقد فَرَضَ اللهُ على اليهود والنصارى تعظيمَ يوم الجُمُعة ، فاختلفوا فيه وتفرَّقوا ، خُضوعًا لأهوائهم ومصالحهم ، وهدى اللهُ المسلمين إلى تعظيم يوم الجُمُعة، فأصابوا الحق . وعيدُ اليهود السَّبْت . وعيدُ النصارى الأحد . وعيد المسلمين الجُمُعة. وهكذا، تتجلَّى ريادة المسلمين وتقدُّمهم على أهل الكتاب ، وتفوُّقهم عليهم . إذ إن الجُمُعة (عيد المسلمين) تَسْبِق السبتَ والأحدَ (عِيدَي اليهود والنصارى) ، وأهلُ الكتاب تابعون للمسلمين ،كما أن الخادم تابع لسيِّده . والحديثُ يدل على وُجوب الجُمُعة ،كما يدل على أفضلية الأُمَّة المُحمَّدية الإسلامية على باقي الأمم . وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم (٦/ ١٤٢) : ((قال العلماء : معناه الآخِرون في الزمان والوجود ، السابقون بالفضل ودخول الجنة ، فتدخل هذه الأُمَّة الجنةَ قبل سائر الأمم)) .

٢١٤ متفق عليه . البخاري (١/ ٢٩٩) برقم (٨٣٦) ، ومسلم (٢/ ٥٨٥) برقم (٨٥٥) .

إن الخداع والكذب والتحايل مِن أبرز مُكوِّنات العقل اليهودي في كُل العصور . واليهودُ يَعتبرون هذه المعاني السيئة أسلحةً إستراتيجية في أيديهم ، لمواجهة الآخرين ، والتفوُّق عليهم ، والسيطرة على المجتمعات. ولا شَك أن اليهود يَعتبرون أنفسَهم سادة العالَم، والآخرين عبيدًا لهم.

في [لُوقَا ١١ : ٤٤] قال المسيحُ مُوَبِّخًا عُلماءَ اليهود : ((الوَيْلُ لكم فإنكم تُشبِهون القبورَ المَخفِيَّة ، يمشي الناسُ عليها وهُم لا يَعلمون !)) .

هذا النصُّ الإنجيليُّ يَكشف عقيدةَ اليهود القائمة على الخداع والمكر ، واعتمادهم على الخفاء والسِّرية في حياكة المؤامرات،مِن أجل تحقيق أهدافهم الخبيثة ، وتنفيذ مُخططاتهم السَّيئة.

وفي [لُوقَا ١١ : ٤٦] قال المسيح مُوَبِّخًا عُلماءَ اليهود : ((والوَيْلُ أيضًا لكم يا عُلماءَ الشَّريعة ، فإنكم تُحَمِّلون الناسَ أحمالًا مُرهِقَة ، وأنتم لا تَمَسُّونها بإصبع من أصابعكم !)) .

عُلماء اليهود يَستخدمون الدِّينَ ضِد الدِّين ، ويُتاجرون بِه مِن أجل تحقيق مصالحهم الشخصية ، ويُوظِّفونه للسيطرة على الجُهَّال والعوام والأتباع ، وهُم يُشدِّدون عليهم بالأوامر والأحكام الدينية ، لاستغلالهم وابتزازهم واضطهادهم وإخضاعهم وإذلالهم ، في حِين علماء اليهود لا يَعْمَلُون بنصوص الكتب الدينية ، ولا يُطَبِّقون تعاليمَ الدِّينَ ، ولا يُنفِّذون أحكامه وأوامره .

والانهيارُ العَقَدي ، والسُّقوط الديني ، والانتكاسةُ الأخلاقية ، وانحراف علماء الشريعة اليهود، ما كان ليَحصل لَوْ وُجِدَ عُلماء مُخلِصون يُصحِّحون مَسيرة المُنحرِفين . وإذا كان العلماءُ مُنحرِفين في المجتمع اليهودي ، فما بالك بالعوام والبُسطاء ؟! . والمُضحِك المُبكي أن عُلماء اليهود الغُلاة يُحمِّلون الناسَ أحمالًا دينية ثقيلة ، ويُشدِّدون عليهم في الأحكام والشرائع بلا رحمة ، ويُضيِّقون عليهم في الأوامر والتعاليم بلا شَفَقة ، ثُمَّ يُعرِضون عن أوامر الله ، ويَتركون أحكامَ الشريعة ، ولا يَعملون بنصوص التَّوراة وتعاليمها . وتناقضُ علماء اليهود يَفضح غُلُوَّهم وتشدُّدهم .

وعن ابن عباس ــ رضي اللهُ عنهما ــ أن رسول الله ﷺ قال : ((وإيَّاكم والغُلُوَّ في الدِّين ، فإنما هَلَكَ مَن كان قَبْلكم بالغُلُوِّ في الدِّين)) [٢١٥] .

هذا تحذيرٌ نبويٌّ مِن التَّشَدُّد في الدِّين ، ومُجاوزةِ الحد ، والتَّضييقِ على النَّفْس والآخرين . والشريعةُ الإلهيةُ جاءت لإنقاذ الناس ، والتَّيسير عليهم ، ورفع الحَرَج عنهم ، وليس لتعذيبهم .

---

٢١٥ رواه الحاكم في المستدرك(١/ ٦٣٧)برقم (١٧١١)وصحَّحه،وابن حِبَّان في صحيحه(٩/ ١٨٣) برقم (٣٨٧١) ، وابن خُزَيمة في صحيحه (٤/ ٢٧٤) برقم (٢٨٦٧) .

وقال المُناوي في فَيض القدير (٣/ ١٢٥ و١٢٦) : (((إيَّاكم والغُلُوَّ في الدِّين) أي التَّشديد فيه ومُجاوزة الحد ، والبحث عن غوامض الأشياء ، والكشف عن عِلَلها ، وغوامض مُتعبَّداتها (فإنما هَلَكَ مَن كان قَبْلكم) مِن الأمم (بالغُلُوِّ في الدين). والسَّعيد مَن اتَّعظ بغَيره... قال ابن تيمية : قَوله : (إيَّاكم والغُلُوَّ في الدِّين) عام في جميع أنواع الغُلُوِّ في الاعتقادات ، والأعمال . والغُلُوُّ مُجاوزة الحد ، بأن يُزاد في مدح الشيء أو ذَمِّه على ما يستحق، ونَحْو ذلك. والنصارى أكثر غُلُوًّا في الاعتقاد ، والعمل من سائر الطوائف ، وإيَّاهم نهى اللهُ عن الغُلُوِّ في القرآن بقوله تعالى : ﴿ لا تَغلُوا في دِينِكُم ﴾)) اهـ .

قالَ اللهُ تعالى: ﴿ قُل يا أهلَ الكتابِ لا تَغلُوا في دِينِكُم غَيْرَ الحقِّ ولا تَتَّبِعُوا أهواءَ قَوْمٍ قَد ضَلُّوا مِن قَبْلُ وأضلوا كَثيرًا وضَلُّوا عَن سَواءِ السَّبيل ﴾ [المائدة : ٧٧] .

الخطابُ الإلهيُّ للنبيِّ ﷺ . قُل يا محمد لأهل الكتاب: لا تتجاوزوا الحدَّ في دِينكم ، ولا تُفرِّطوا في أقوالكم وعقائدكم ، ولا تُعظِّموا المسيحَ إلى درجة اتِّخاذه إلَهًا أو ابن إله . وهذا هو غُلُوُّ النصارى ، أمَّا غُلُوُّ اليهود فيتَّضح في اعتبار المسيح ابن زنا ، ومريم زانية . إن المسيح عبد الله ورسوله ، وليس إلَهًا ولا ابن إله ، فاللهُ لَم يَلِدْ ولَم يُولَدْ ، واللهُ وَحْدَه هو الإله المعبود بحق .

إن الله يأمر أهلَ الكتاب بعدم الغُلُوِّ في الدِّين، أي عدم مُجاوزة الحد، والتطرف ، والانحراف عن الطريق المستقيم . فالغُلُوُّ طريقُ الضلال ، والابتعادُ عن جَادَّة الصواب، وله تأثيرات سلبية على الحياة والأفكار والإنسان والمجتمع .

وقد غَلا اليهودُ في السَّيد المسيح ﷺ حتى قذفوا أُمَّه السيدةَ مريم _ عليها السلام _ ، فَرَمَوْهَا بالزِّنا . قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَبِكُفْرِهِم وَقَوْلِهِم عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ [النِّساء : ١٥٦].

أمَّا النصارى فقد غرقوا في التطرف والغُلُوِّ عكس اتجاه اليهود ، فقد اعتبروا المسيح ﷺ إلَهًا وابن الله . وكِلا الأمْرَيْن تطرُّف وغُلُو مِن جهتَيْن متعاكستَيْن. والفضيلةُ هي المنْزلة الوسط بين خُلُقَيْن ذميمَيْن . وصدقَ القائل :

ولا تَغْلُ في شَيْءٍ مِن الأمرِ وَاقْتَصِدْ ... كِلا طَرَفَي قَصْدِ الأمورِ ذَمِيمُ

﴿ ولا تَتَّبِعُوا أهواءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ ﴾ . الأهواء جَمْع هَوى، وهو ما تَدعو إليه شَهوة النَّفْس، وسُمِّيَ هَوى لأنه يَهْوي بصاحبه في النار. لا تتَّبعوا آباءكم وأسلافكم وشُيوخكم وأئمتكم الذين كانوا ضَالِّين قبل بَعثة النبيِّ محمد ﷺ .

لا تسيروا على خُطى أئمة الكفر الماضين ورؤساء الضلالة السابقين مِن اليهود والنصارى . والخطابُ لأهل الكتاب (اليهود والنصارى) الذين كانوا في عصر النبيِّ محمد ﷺ . نهاهم اللهُ عن اتِّباع أسلافهم وساداتهم وزعمائهم فيما اخترعوه مِن العقائد الكُفرية الباطلة ، وفِيما ابتدعوه بأهوائهم دُون دليل نقلي ولا بُرهان عقلي . ﴿ وأضلوا كثيرًا ﴾ . وأضَلُّوا كثيرًا مِن الناس بأهوائهم وإغوائهم لهم ، وابتداع العقائد الباطلة التي ما أنزلَ اللهُ بها مِن سُلطان . ﴿ وضَلُّوا عَن سَواءِ السَّبيل ﴾ . وانحرفوا عن قَصْد السَّبيل (الإسلام) ، وخرجوا عن طريق الحق والاعتدال إلى طريق الباطل والتطرُّف .إنهم ضَالُّون في أنفسهم ، ومُضِلُّون لِغَيرهم . لقد ضَلُّوا وأَضَلُّوا مَن اتَّبعهم . وهذا مُنتهى الضلال والإضلال . وقِيل : الأول إشارة إلى ضلالهم عن مُقتضى العقل ، والثاني إشارة إلى ضلالهم عمَّا جاء بِه الشَّرْع . وقال القرطبي في تفسيره (٦/ ٢٣٦) : ((وتكرير ﴿ ضَلُّوا ﴾ على معنى أنهم ضَلُّوا مِن قَبْل، وضَلُّوا مِن بَعْد. والمراد الأسلاف الذي سَنُّوا الضلالةَ، وعملوا بها من رؤساء اليهود والنصارى)) اهـ . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٤٠٥): ((قَوله تعالى : ﴿ قُلْ يا أهلَ الكتابِ ﴾ ، قال مقاتل : هُم نصارى نَجْران ، والمعنى : ﴿ لا تَغلُوا في دِينِكُم ﴾ فتقولوا ﴿ غَيْرَ الحقِّ ﴾ في عيسى . قَوله تعالى : ﴿ ولا تَتَّبِعُوا أهواءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ ﴾ . قال أبو سليمان : مِن قَبْل أن تَضِلُّوا ، وفِيهم قَولان : أحدهما أنهم رُؤساء الضلالة من اليهود . والثاني : رُؤساء اليهود والنصارى. والآية خطاب للذين كانوا في عصر نَبِيِّنا ﷺ ، نُهُوا أن يتَّبعوا أسلافهم فِيما ابتدعوه بأهوائهم)) اهـ . إن الغُلُوَّ (مُجاوزة الحد) أدَّى إلى استعمال وسائل قذرة مِثل الخداع والكذب والتَّدليس والتَّلبيس على العوام . وهذه الوسائل مِن المُحركات الرئيسية لتحريف كلام الله تعالى. أي خداع الناس بتغيير الكلام الإلهيِّ ، والكذبِ على الله تعالى . والأساس الفكري لتحريف التوراة والإنجيل مِن قِبَل اليهود والنصارى ، هو تحقيق مكاسب شخصية لعِلْية القوم (الحُكَّام والعلماء) ، والحصول على المال والجاه والسُّلطة ، والمُحافظة على النفوذ والمناصب والرئاسة والزعامة ، وضمان استمرار السيطرة على الشعب، واستغلاله ، وسرقته باسم الله تعالى ، وابتزازه باسم الدِّين . قالَ اللهُ تعالى : ﴿ أَفَتَطمَعُونَ أَن يؤمِنُوا لَكُم وَقَد كَانَ فَرِيقٌ مِنهُم يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُم يَعْلَمُون﴾[البقرة:٧٥]. أفيطمعُ المؤمنون أن يُصدِّقهم اليهودُ ويُؤمنوا بالدَّعوة الإسلامية . وقد كانت طائفة من اليهود يَسمعون الكلامَ الإلهيَّ (التوراة) ثم يُحرِّفونه عَن عَمْدٍ وإصرار، كَوَصْفِ محمد ﷺ وآيةِ الرَّجْم ، ويُغيِّرون ما في التَّوراة مِنَ الأحكام.والمعنى:لا تَطمعوا أيها المؤمنون بإسلامهم،فلهم سابقة بالكفر.

قال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ١٠٣): ((في المُخَاطَبِين بهذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها أنَّه النبيُّ ﷺ خاصةً، قاله ابن عباس ومقاتل. والثاني أنَّه المؤمنون، تقديره أفتطمعون أن يُصَدِّقوا نَبِيَّكم، قاله أبو العالية وقَتادة.والثالث أنهم الأنصار، فإنهم لَمَّا أسلموا أحَبُّوا إسلامَ اليهود للرَّضاعة التي كانت بَيْنَهم ، ذَكَرَه النَّقاش. قال الزَّجاج: وألِفُ ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ ﴾ ألِف استخبار، كأنَّه آيَسَهم مِنَ الطمع في إيمانهم . وفي سماعهم لكلام اللهِ قَولان : أحدهما أنهم قَرؤوا التَّوراةَ فَحَرَّفوها، هذا قَول مجاهد والسُّدي، فيكون سماعُهم لكلام الله بِتَبليغ نَبِيِّهم، وتحريفُهم تغييرُ ما فيها . والثاني أنهم السَّبعون الذين اختارهم موسى ، فَسَمِعوا كلامَ اللهِ كِفاحًا (مُوَاجَهةً) عند الجبل، فلمَّا جاؤوا إلى قومهم ، قالوا : قال لنا كذا وكذا ، وقال في آخر قَوْله : إن لَم تستطيعوا ترك ما أنهاكم عنه ، فافعلوا ما تستطيعون ، هذا قَول مُقاتِل . والأول أصح)) اهـ .

فَهِمَ اليهودُ الخِطابَ التَّوراتيَّ، وأدْرَكوا المُرادَ الإلهيَّ، ثُمَّ عَارَضوا النصوصَ وخَالَفوها عَن عِلْمٍ ومَعرفةٍ وسُوءِ نِيَّة ، ولَيس بسبب النِّسيان أو الخطأ. وهُم يَعلمون أنَّ كلامَ اللهِ حَق، وأنهم كاذبون، ويُدْرِكون حَجْمَ خِيانتهم التي تتجلى في تحريف النصوص ، ويُدْرِكون _ كذلك _ العقوبةَ الإلهية التي تَنتظرهم بسبب تغيير كلام اللهِ. وهكذا ، يَكونون قد أقاموا الحُجَّةَ على أنفسهم . ولا تَحزنوا أيها المؤمنون بسبب كُفرهم وتكذيبهم للحق، فَهُم أهلُ الضلال والعِناد والجحود ، ولهم باع طويل في تحريف كلام اللهِ تعالى . وعلى الإنسان أن يَأخذ العِبرةَ ، ويَبتعد عَن طريقة أهل الزَّيْغ والضلال.

وقال القرطبي في تفسيره (٢/ ٥) : ((هذا استفهام فيه معنى الإنكار ، كأنه أَيْأَسَهم من إيمان هذه الفِرقة من اليهود ، أي إنْ كفروا فلهم سابقة في ذلك . والخطاب لأصحاب النبيِّ ﷺ، وذلك أن الأنصار كان لهم حرص على إسلام اليهود للحِلْف والجِوار الذي كان بَيْنَهم)) اهـ .

هؤلاء الذين كانوا يَسمعون كلامَ الله ثم يُحرِّفونه ، أي : يَتأوَّلونه على غَير تأويله ، هُم بالتأكيد مِن علماء الشَّريعة الذين ضَلُّوا وأضلُّوا ، لأن العلماء كانوا يحتكرون المنظومة الدينية ويتلاعبون بها كَي يُحافظوا على سُلطتهم ، ونفوذهم ، ومكاسبهم المادية ، ويُعمِّقوا وجودَهم الاحتكاري الطاغوتي على رقاب الشعب، الأمر الذي يُثبِّت مواقعَهم في السُّلطة الحاكمة ، ويَحفظ مكانتهم بين عامة الشَّعب . والشَّعب يتحمل جزءًا كبيرًا من المسؤولية لأنه استمرأ الذل والهوان والخضوع للباطل . وإذا كان العلماءُ يَتصرَّفون بهذا الشكل المُخزي، فما بَالُكَ بالعوام والجُهَّال ؟! .

وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٣٤٧) : ((ومعنى الآية أنَّ أحبارَ هؤلاء ومُقَدَّميهم كانوا على هذه الحالة،فما ظَنُّكَ بِسَفَلَتِهم وجُهَّالهم؟،وأنهم إنْ كَفروا وحَرَّفوا فلهم سابقة في ذلك)).

والكذبُ على اللهِ الخالقِ لَيس كالكذب على الإنسان المخلوق . وتحريفُ كلامِ اللهِ هو نتيجة لانكسار الرُّوح الإنسانية ، وانتكاسةِ الفرد في قاع الضلال، وتمردِ المخلوق على الخالق . وبعضُ العلماء يلجأ إلى اختراع الأكاذيب ، وإسنادها إلى الله تعالى من أجل تحقيق منافع شخصية وإشباع الغرور ، وذلك باتِّباع الهوى بالباطل ، وتضليلِ الآخرين عبر نقلهم من الحق إلى الضلال، وتثبيت سُلطة رجال الدِّين الضالين المُتحالفين مع الزُّعماء السياسيين الفاسدين من أجل استعباد الناس، وإخضاعهم عبر التلاعب بالنصوص الدينية، وتوجيهها لخدمة أغراض مادية مصلحية دنيئة.

وقالَ اللهُ تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ للذينَ يَكْتُبونَ الكِتابَ بأيدِيهم ثُمَّ يَقولونَ هذا مِن عِندِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثمنًا قَليلًا ﴾ [البقرة : ٧٩] .

هؤلاء صِنفٌ من اليهود حرَّفوا التوراةَ (وهُم أحبار اليهود) ، وغيَّروا كلامَ الله تعالى ، حيث أضافوا وحذفوا وَفْق أهوائهم ومصالحهم الشخصية ، ونسبوا هذه التحريفات إلى الله من أجل الحصول على بعض المكاسب الدُّنيوية الوضيعة . وقد توعَّدهم اللهُ بالعذاب الشديد جَزاءَ كَذِبهم على الله تعالى، وتحريفهم للكلام الإلهيِّ المُقدَّس، ولن يَنفعهم ما كَسبوه مِن مَتَاع الدنيا الزائل. فَوَيْلٌ لهم مِمَّا كَتبوا بأيديهم من الأكاذيب والخرافات ، والعذابُ عليهم بما كَسَبت أيديهم من الذنوب والآثام . والوَيْلُ الهلاك والدمار وشِدَّة الشَّر .

وقد ذَمَّهم اللهُ مِن ثلاثة وجوه : الأول _ تَحريفهم للتَّوراة . الثاني _ نِسبة هذا التَّحريف الباطل إلى اللهِ تعالى . الثالث_ أخْذ عَرَضٍ دُنيويٍّ مالًا أو رِئاسة نَظير ذلك التَّحريف .

إنهم أصحاب نظرة قاصرة ، فلم يَعرفوا المكانةَ الرفيعة للكلام الإلهيِّ ، لذلك تَاجَروا به ، واتَّخذوا من العقائد الدينية وسيلةً للثراء السريع ، والحصول على منافع شخصية . فكانت الدنيا هي الركيزة الأساسية في حياتهم ، فَضَحُّوا بالغالي والنفيس من أجلها دون النظر إلى ما وراء الزينة البرَّاقة الخادعة . لقد ضَحُّوا بالخلود من أجل العَدَم والفناء . وَلَوْ حصلوا على كُلِّ الدنيا لكانَ ثَمَنًا قليلًا ، لأنَّ التلاعب بكلام اللهِ يَقُود الإنسانَ إلى الخلود في نار جهنم . وهذه أعظمُ مصيبة على الإطلاق. لذلك_ مهما كان الثمن _ فهو ثمن قليل. إذْ إنَّ الإنسانَ الذي يُضحِّي بالحياة الآخِرة الباقية من أجل الدُّنيا الفانية ، قد حصل على ثمن قليل ، وكانت صفقته خاسرة. وكُلُّ ثمنٍ _مهما كان_ لا يَدوم ، وإنما هُوَ عَرَضٌ فانٍ ، والحرامُ لا بركة فِيه ، فهو قليلٌ مهما كان كثيرًا . والجديرُ بالذِّكر أنَّ الذين قاموا بِتَحريف كلامِ اللهِ هُم أحبارُ اليهود (عُلماؤهم) ، لأنهم يَملكون سُلطة احتكار النصوص الدينية وتفسيرها بما لَدَيهم مِن العِلْم والمعرفة والنفوذ والمكانة الاجتماعية

الرفيعة . أمَّا الشخصُ العاميُّ الجاهلُ ، فهو لا يَعرف شَيئًا عن التوراة ، ولَيس مَعْنِيًّا بأحكام التَّوراة وتعاليمها، لأنَّه يأخذ هذه الأحكام من أفواه الأحبار، ولَيس من النصوص، لجهله وعدم قُدرته على الاستنباط . لذلك تُصبح التَّوراة في أيدي الأحبار وسيلةً للرِّبح وأداةً للتجارة . وقد كانَ زُعماء أهل الكتابِ يَرفضون الإسلامَ خَوْفًا على مصالحهم ومناصبهم ، وحِفاظاً على الرِّئاسة والزَّعامة .

خَافَ أحبارُ اليهود على نفوذهم ومناصبهم وزعامتهم، وخافوا مِن تفرُّقِ الأتباع والعوام عنهم،لذلك غيَّروا التَّوراةَ، وبَدَّلوا صِفَةَ محمد ﷺ، مِن أجل تصوير النبيِّ محمدﷺ كشخص كاذب. وبالتالي يَمنعون الناس من الإيمان بِه، وهكذا يُحافظون على رئاستهم وأموالهم وسُلطتهم وأتباعهم.

وفي الدُّر المنثور (١/ ٢٠٢) : ((وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قَوْلِه : ﴿ فَوَيْلٌ للذينَ يَكْتُبونَ الكِتابَ ﴾ الآية . قال : هُم أحبار اليهود، وَجَدوا صِفَةَ النبيِّ ﷺ مكتوبة في التَّوراة : أكْحَل ، أعْيَن ، رَبْعَة ، جَعْد الشَّعْر ، حَسَن الوَجْه . فلمَّا وجدوه في التَّوراة مَحَوْهُ حَسَدًا وبَغْيًا ، فأتاهم نَفَرٌ مِن قُرَيش ، فقالوا : تَجدون في التوراة نَبِيًّا أُمِّيًّا ؟ ، فقالوا : نعم ، نَجِدُه طويلًا ، أزرق، سَبْطَ الشَّعْر ، فأنكرتْ قُرَيشٌ ، وقالوا : ليس هذا مِنَّا)) [٢١٦] .

وفي الآيةِ تَحذيرٌ شديدٌ مِنَ التلاعب بكلام اللهِ ، وتَرهيبٌ مِن تَغيير الأحكام الشرعية . وكُلُّ مَن زادَ في الشريعة ، أو أنقصَ مِنها ، أو جاءَ بِبِدْعةٍ مُخالِفة للدِّين ، فهو داخلٌ في هذا الوعيد الإلهيِّ ، ويتحمَّل إثمَه وإثمَ الذين أَضَلَّهم دون أن يَنقص مِن آثامهم شيء .

وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ _ رضي اللهُ عنه _ عن النبيِّ ﷺ قال : ((الوَيْلُ وَادٍ في جَهَنَّم ، يَهوي فيه الكافرُ أربعينَ خريفًا قَبْلَ أن يَبْلُغَ قَعْرَه)) [٢١٧] .

إنَّ الكافرَ ينتظره عذابٌ دائم لا يَزول بسبب رفضه الإيمان . وهذا الوادي في جهنم المُسمَّى بالوَيْل تبلغ المسافةُ بين بدايته وقَعره أربعين سنة ، وتَمَّ التعبير عن السَّنة بالخريف من أجل إظهار النهايةِ المأساوية للكافر، والعذابِ العظيم الذي يَنتظره ، والمصير الفظيع الذي قضى على آماله .

والوَيْلُ كلمة تُقال لكل مَن وَقَعَ في عذاب أو هَلَكَة .

---

٢١٦ الأكحل : الذي يَعلو جُفونَ عينيه سوادٌ مِثْل الكُحْل مِن غَير اكتحال . الأعْيَن : الذي يَكون سَوادُ عَيْنِه عَظيمًا في سَعَةٍ . الرَّبْعَة : مُتوسِّط الطُّول ليس بالطويل ولا بالقصير . جَعْد الشَّعْر : شَعْرُه مُجْتَمِع ومُنْقَبِض ، وهو صِفَةُ مَدْحٍ ، ضِدُّ السَّبْط ، لأنَّ السُّبُوطة أكثرُها في شُعور العَجَم .

٢١٧ رواه الحاكم في المستدرَك (٢/ ٥٥١) برقم (٣٨٧٣) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

وقال القرطبي في تفسيره (٢/ ١١) : ((قَوْلُه تعالى : ﴿ بأيدِيهِم ﴾ تأكيد . فإنَّه قد عُلم أنَّ الكتاب لا يكون إلا باليد ... وقِيل : فائدةُ ﴿ بأيدِيهِم ﴾ بيان لِجُرْمهم وإثبات لمُجاهَرتهم، فإنَّ مَن تَوَلَّى الفِعْلَ أشد مُواقَعة مِمَّن لَم يَتَوَلَّه ، وإن كان رَأيًا له . وقال ابن السَّراج : ﴿ بأيدِيهِم ﴾ كِناية عن أنهم مِن تلقائهم دون أن يَنْزِل عليهم)) اهـ .

والكتابةُ لا تَكون إلا باليد . وذِكْرُ ﴿ بأيدِيهِم ﴾ دليلٌ على أنهم بَاشَروا التحريفَ بأنفسهم . وفي هذا إشارةٌ إلى جريمتهم العظيمة ، وتَثبيتٌ لِفِعْلهم القَبيح ، وتَسجيلٌ عليهم .

وكلُّ مَن أمرَ بِفِعْلٍ ما، جازَ نِسبةُ ذلك الفِعْل إلَيه. فإذا أمرَ فُلان بالكتابة، جازَ أن نَقول عنه : كَتَبَ فُلان ، حتى لَوْ لَم يُباشِر الكتابة بنفْسه . أو حَبَسَ الحاكمُ فُلانًا ، إذا أمرَ بِحَبْسه ... إلخ .

وفي صحيح البخاري (٦/ ٢٦٧٩) أنَّ ابن عباس _ رضي اللهُ عنهما _ قال : ((كَيْفَ تسألون أهلَ الكتاب عن شيء وكتابُكم الذي أُنزل على رسول الله ﷺ أَحْدَث، تَقرؤونه مَحْضًا لَم يُشَبْ ، وقد حَدَّثكم أنَّ أهلَ الكتاب بدَّلوا كتابَ الله وغيَّروه ، وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا : هُوَ مِن عِندِ اللهِ ليشتروا به ثمنًا قليلًا ؟ ، ألا يَنهاكم ما جاءكم مِنَ العِلْم عن مسألتهم ؟ ، لا واللهِ ما رَأَينا مِنهم رَجُلًا يَسألكم عن الذي أُنزِل عَلَيكم)) .

كيف تسألون اليهود والنصارى عن الأمور الدينية والقرآنُ الكريم هو خاتَم الكتب السماوية ، وهو مَحْضٌ، أي خالص لا تَشُوبه شائبة فلم يتم تغييره أو التلاعب به . ولم يُشَبْ ، أي لم يُخلَط. والقرآنُ أخبرَ أن أهل الكتاب حرَّفوا التوراةَ والإنجيلَ وتلاعبوا بهما ، وذلك لتحقيق مكاسب مادية زائلة . فيُفتَرَض بأهل الكتاب أن يأتوا لسؤال المسلمين عن القرآن ، لأنَّ القرآن كتابٌ محفوظ مِن كل تغيير بِخِلاف التوراة والإنجيل. لكنَّ أهلَ الكتاب محشورون في غُرور اللحظة الراهنة ، ولا يُعمِلون عقولَهم في نقد النصوص التوراتية والإنجيلية التي تَمَّ التلاعبُ بها ، وتحريفها .

وقال الحافظ في الفتح (١٣/ ٤٩٩) : ((" جاءكم مِن العِلْم " إسناد المجيء إلى العِلْم كإسناد النَّهْي إلَيه . قَوْلُه : " فلا واللهِ ما رأينا رَجُلًا مِنهم يَسألكم " [رواية أخرى]، فيه تأكيد الخَبَر بالقَسَم ، وكأنه يقول : لا يسألونكم عن شيء مَعَ عِلْمِهم بأنَّ كتابكم لا تحريف فيه . فكيفَ تسألونهم وقد عَلِمْتُم أنَّ كِتابَهم مُحَرَّف ؟!)) اهـ .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنهم لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلسِنَتَهُم بالكِتابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الكِتابِ وما هُوَ مِنَ الكِتابِ ويَقولونَ هُوَ مِن عِندِ اللهِ وما هُوَ مِن عِندِ اللهِ ويَقولونَ على اللهِ الكَذِبَ وَهُم يَعْلَمُون ﴾ [آل عِمران : ٧٨] .

هناك فريقٌ من اليهود يتلاعبون بكلام اللهِ ، ويُحرِّفونه ، ويَخترعون تأويلاتٍ شاذة ، وذلك من أجل خِداع الجُهَّال والعوام، والسيطرة عليهم ، وإقناعهم بأن تحريفاتهم هي من كلام الله تعالى. وهُم يَنسُبون أكاذيبهم إلى اللهِ ، وهُم يَعْلمون أنهم كاذبون . وهذا يدل على أن انحرافهم عن سَبْق الإصرار والتَّعمد . وقد فَضَحَهم اللهُ ، وَوَصَمَهُم بالخزي والعار . وحقيقةُ الليِّ (الفَتْل) إنما هي في الثِّياب والحِبَال ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ هذا التعبير في الجِدال والخصومات [٢١٨] .

﴿ وَإِنَّ مِنهم لَفَرِيقًا يَلْوُونَ ألسِنَتَهُم بالكِتابِ ﴾. مِنَ اليهودِ فَريقٌ يُبَدِّلون كلامَ اللهِ، ويَتلاعبون بنصوص التَّوراة ، ويَفْتِلُون ألسنتهم بالقراءة ، ويُميلونها عَن الكلام الإلهيِّ المُنْزَل إلى الكلام البشري المُحَرَّف . وقد حَرَّفوا نَعْتَ النبيِّ ﷺ . وتحريفُهم قائمٌ على التلاعب بالألفاظ والمعاني ، والتأويلِ المصلحيِّ المُغرِض غَيْرِ المُنضبِط بأحكام الشَّريعةِ وقواعد اللغة . وقال النَّسفي في تفسيره (١٦٢/١):((﴿ وَإِنَّ مِنهم ﴾ مِن أهل الكتاب﴿ لَفَرِيقًا ﴾ هُم كعب بن الأشرف،ومالك بن الصَّيف، وحُيَي بن أخْطَب، وغَيْرُهم ﴿ يَلْوُونَ ألسِنَتَهُم بالكتاب ﴾ يَفتلونها بقراءته عن الصحيح إلى المُحَرَّف. واللَّيُّ الفَتْل، وهو الصَّرْف. والمراد تحريفهم، كآية الرَّجْم ونَعْت محمد ﷺ ونحو ذلك . والضمير في ﴿ لِتَحْسَبُوهُ ﴾ يَرجع إلى ما دَلَّ عليه ﴿ يَلْوُونَ ألسِنَتَهُم بالكتاب ﴾ ، وهو المُحَرَّف. ويجوز أن يُراد يَعْطِفُون ألسنتهم بِشَبَهِ الكتاب لِتَحسبوا ذلك الشَّبَه من الكتاب، أي التوراة)) اه .

﴿ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الكِتابِ وما هُوَ مِنَ الكِتابِ ﴾ . لِتَظنُّوا أيها المؤمنون أنَّ الذي يُحَرِّفونه هو كلامُ اللهِ . وما حَرَّفوه هُوَ أكاذيب نَسَبُوها إلى اللهِ لِيَخدعوا الناسَ ويُوهموهم أنها كلامُ اللهِ .

﴿ويَقولونَ هُوَ مِن عِندِ اللهِ وما هُوَ مِن عِندِ اللهِ ﴾. يَنسبون كلامَهم البشريَّ وأكاذيبَهم إلى اللهِ، لِيُضْفُوا على كلامهم القداسة والشرعية ، وكلامُهم مِن أفكارهم الدَّنيئة ولَيس مِن عِندِ اللهِ . ولَم يَكتفوا بالتلميح والتَّعريض، وإنما يُصَرِّحون بمِلْء أفواههم أنَّ تحريفاتِهم مِن عِندِ اللهِ . وهذا مُنتهى الوقاحة والكفر .

---

٢١٨ قال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤١١): ((اختلفوا فِيمَن الآية نزلت على قَوْلَين : أحدهما أنها نَزلت في اليهود،رواه عطية عن ابن عباس.والثاني:في اليهود والنصارى،رواه الضَّحاك عن ابن عباس)) اه . وقال ابن حجر في العُجاب (٢/ ٧٠٣) : ((نقل الثعلبي عن جُوَيْبِر عن الضَّحاك عن ابن عباس : نزلت في اليهود والنصارى ، حَرَّفوا التوراةَ والإنجيل ، وضَرَبوا كتابَ الله بَعْضَه ببعض ، وألحقوا به ما ليس مِنه،وأسقَطوا مِنه الدِّينَ الحنيفَ.وأخرجَ الطبري مِن طريق قَتادة: إنهم اليهود حَرَّفوا كِتابَ الله وابْتَدَعُوا)).

وقال البيضاوي في تفسيره(١/ ٥٦):((تأكيد في قَوْلِه: ﴿ وما هُوَ مِنَ الكِتابِ ﴾ وتَشنيع عليهم ، وبيان ، لأنهم يزعمون ذلك تَصريحًا لا تَعريضًا)) اهـ .

﴿ ويَقولونَ على اللهِ الكَذِبَ وَهُم يَعْلَمُون ﴾ . إنهم يَتعمَّدون الكذبَ على اللهِ ، والتلاعب بالنصوص الدِّينية طَلَبًا للزَّعامة والرِّئاسة، والمصالح المادية ، والمنافع الدُّنيوية ، وحِفاظًا على مناصبهم، وحِرْصًا على حُطام الدُّنيا الفاني . وهُم يَعلمون أنهم كاذبون . إذن ، فخيانتُهم عَن سَبْق الإصرار والتَّعمد ، ولَم تَجِئْ بسبب الخطأ أو النسيان . والآيةُ حُجَّةٌ عَلَيهم ، وتأكيد ، وتَسجيل عليهم بالكذبِ على اللهِ عَمْدًا . وهذا هو العارُ في الدُّنيا والآخرة ، لا يَزول ولا يُمْحَى .

وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ١٤٧) : ((فأخبرَ تعالى أنهم يُفسِّرونها ويَتأوَّلونها ، ويضعونها على غَير مَواضعها . وهذا ما لا خلاف فيه بين العلماء ، وهو أنهم يتصرفون في معانيها ويَحملونها على غَير المُراد ، كما بَدَّلوا حُكْمَ الرَّجْمِ بالجَلْدِ والتَّحميم معَ بقاء لفظ الرَّجْم فيها. وكما أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريفُ تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيفُ أقاموا عليه الحدَّ معَ أنهم مأمورون بإقامة الحد والقَطْع على الشريف والوضيع ، فأمَّا تبديلُ ألفاظها ، فقال قائلون بأنها جميعها بُدِّلَت ، وقال آخرون : لَم تُبَدَّلْ)) اهـ .

وفي [لُوقَا ١١ : ٤٣] قال المسيح مُوَبِّخًا عُلماءَ اليهود : ((الوَيلُ لكم أيها الفَرِّيسِيُّون فإنكم تُحِبُّون تَصَدُّر المقاعدِ الأولى في المجامع وتَلَقِّيَ التَّحيات في السَّاحات العامَّة !)) .

علماءُ اليهود يَستخدمون الدِّينَ لتحقيق مصالح شخصية ، وجَنْي أرباح مادية ، والحصول على الجاه والسُّلطة والنفوذ والرئاسة والزعامة ، وتجميع الأتباع والمُوالين والمُريدين والخدم . وهؤلاء العلماء الفاسدون يُحِبُّون الجلوسَ في الصف الأول، وتصدُّر المشهد ، وتلقِّيَ التحيات من الناس، ونَيل احترامهم وتعظيمهم وإجلالهم. وهذا دليل واضح على أنهم يَأكلون الدُّنيا بالدِّين ، ويُوظِّفون الدِّينَ ضِد الدِّين . والدِّينُ بالنسبة إليهم مُجرَّد مشروع تجاري استثماري للوصول إلى أهدافهم الخبيثة . وفي [لُوقَا ١١ : ٥٢] قال المسيح مُوَبِّخًا علماءَ اليهود : ((الوَيلُ لكم يا عُلماءَ الشَّريعة فإنكم خَطِفتُم مِفتاحَ المعرفة ، فلا أنتم دَخَلتُم ولا تركتم الدَّاخلين يَدخُلون !)) .

علماءُ اليهود لَيسوا جُهَّالًا أو أغبياء . إنهم عُلماء مُتبحِّرون في دراسة الكتب الدينية ، ولَدَيهم عُلوم ومعارف ، ولكنهم وظَّفوها لجمع حُطام الدنيا الفاني. لقد خطفوا مِفتاحَ المعرفة، فلم يَدخلوا إليها، ولم يَتركوا الناسَ يَدخُلون. وفي هذا دَلالة واضحة على أن علماء اليهود ضَالُّون في أنفسهم، ومُضِلُّون لغَيرهم . لقد رَفضوا الحقَّ ، لأنه يُجرِّدهم من مكتسباتهم المادية ومناصبهم وسُلطتهم .

لم يَكتفوا بالإعراض عن الحق ، بَل أيضًا مَنعوا الناسَ مِن اعتناقه ، وصَدُّوهم عن الهداية ، وكانوا عقبةً في طريقهم . وهذا يُشير إلى غرق اليهود في الكفر والضلال والعِناد ، وحِرصهم على مُحاربة الدِّين بكل الوسائل ، مِن أجل الإبقاء على مصالحهم ومكتسباتهم وأرباحهم ، والمُحافظة على رئاستهم وزعامتهم ، وضمان السيطرة على الأتباع والعوام ، واتّخاذهم عبيدًا ، واستغلالهم ، وسرقتهم باسم الله ، والتحايل عليهم باسم الشريعة . والإنسانُ قد يختار طريقَ الضلال وَفْق قناعاته الشخصية ، ويَترك الناس يَختارون ما يُريدون . أمَّا أن يَختار طريقَ الضلال ، ويُجبر الآخرين على اختياره ، ويَمنعهم من اعتناق الحق ، ويَحُول بينهم وبين الهداية ، فهذه هي الكارثة الكُبرى .

وفي [لُوقَا ١٢ : ١] قال المسيح لتلاميذه : ((احذروا لأنفسكم مِن خَميرِ الفَرِّيسِيِّين الذي هو الرِّياء !)) .

الإخلاصُ غائب تمامًا عن علماء اليهود ، لأن قلوبهم فاسدة ، ومُمتلئة بعِشق الدُّنيا ، وعبادة المال ، وتقديس المناصب والرئاسة والزعامة . والرِّياءُ فِعل الشَّيء لِنَيل رضا الناس وإعجابهم ومَديحهم ، وليس مِن أجل رضا الله تعالى. لقد وَقَعوا في مِصيدة الرِّياء الذي هو ضَرْبٌ من الخداعِ والكذب على النَّفس الفاسدة . وهذا الانكسار الأخلاقي انسحابي يجتاح كُلَّ مَجالات الحياة .

يتَّضح لنا مدى الضَّلال الذي يَرْتع فيه علماء اليهود. وإذا كان العلماءُ بهذا الفساد والضلال، فما هو حال العوام والجُهَّال في المجتمع اليهوديِّ ؟ . إن اليهود بَنَوْا حياتهم بكل تفاصيلها على الخداع والكذب ، واتَّخذوا الكفرَ والضلالَ والعِناد والاستكبار أسلحةً للمُحافظة على وجودهم ومصالحهم ومناصبهم . ومَثَلُهم كَمَثَل مَن يُريد ضَوْءًا في الليل ، فيذهب ويحرق بَيْته ، كي يَحصل على الضوء ! .

وفي [الرسالة إلى غلاطِيَّة ٢ : ١٣] قال بُولُس: ((وجاراه في رِيائه ـ أي في رياء بُطرُس ـ باقي الإخوة الذين من اليهود . حتى إن بَرنابا أيضًا انساق إلى ريائهم)) .

هذا النصُّ الإنجيليُّ ورد في سياق مُواجَهة بُولُس لبُطرُس في أنطاكية . ومِن الواضح أن هناك صراع أجنحة بين الآباء المُؤسِّسين للنصرانية (المسيحية) . وقد حاولَ بُولُس (اليهودي المُنافق) قِدِّيس النصارى ، الذي أفسدَ دِينَ المسيح القائم على التَّوحيد ، أن يُعْلِيَ قَدْرَه فوق قَدْر تلاميذ المسيح، ويُظهِر نَفْسَه أعظم مِنهم وأكثر طهارةً وإخلاصًا وتقوى. وبُولُس ليس مِن تلاميذ المسيح، وهذه العُقدة جَعلته يتَّهم بُطرُس وبَرنابا (كِلاهما مِن تلاميذ المسيح) بالرِّياء والخداع والتحايل . ووصفُ بُولُس لليهود بأنهم إخوة رغم كُل ما فَعلوه ضِد المسيح ، يُشير إلى فساد عقيدة بُولُس ،

وأنه يهوديٌّ تستَّر بالمسيحية لإفساد دِين المسيح ، كما يُشير إلى اختراق اليهود للإنجيل ، والنجاح في عملية صَهْينته بشكل منهجي مدروس. ومعَ هذا ، فالنص الإنجيلي يُوضِّح رِياءَ اليهود، واعتمادهم على الخداع والكذب والتحايل وارتداء أقنعة الإيمان والحق والطهارة والتقوى ، مِن أجل خداع الناس، ونَيل إعجابهم ، والتحايل عليهم ، والحصول على مصالح شخصية ، ومكاسب مادية . ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن بُطرُس وبَرنابا (كِلاهما مِن تلاميذ المسيح) شريكان لليهود في ريائهم _ باعتراف بُولُس ووَفْق كلامه _ . وهذا يدل على أن الآباء المُؤسِّسين للمسيحية مُخادِعون ومُحتالون ، وغارقون في الكذب والرياء . وكُل دِين يَحْمله المُخادِعون الكاذبون المُنافقون ، هو دِين باطل وفاسد. والحقُّ ما شَهِدَت به الأعداء . وهذه شهادةُ الإنجيل ، وشهادة بُولُس شخصيًّا . ومِن فمهم نُدينهم . والاعترافُ سيِّد الأدلة .

وقالَ اللهُ تعالى: ﴿ يا أيُّها الذينَ آمَنُوا إن تُطيعوا فَرِيقًا مِن الذينَ أُوتُوا الكتابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إيمانِكُم كافرين ﴾ [آل عِمران : ١٠٠] . يا أيها الذين أقررتم بِوَحدانية الله، وصدَّقتم بِنُبُوَّة محمد ﷺ ، إن تُطيعوا طائفةً مِن أهل الكتاب، الذين يَكرَهون المؤمنين ويَحسُدونهم ، يُخرِجوكم مِن الإسلام ، ويَجعلوكم كُفَّارًا بعد أن هداكم اللهُ للإيمان ، وأرشدكم إلى تَوحيده وعبادته وطاعته .

والآيةُ تُحذِّر المؤمنين من طاعة أهل الكتاب وتقليدهم والسَّير على خُطاهم ، لأن هذه الطاعة تُؤدِّي إلى خُروج المؤمنين مِن دِينهم (الإسلام)، والرجوعِ إلى الكفر والضلال والذنوب والمعاصي.

وقد خاطبَ اللهُ المؤمنين بنفْسه ، تعظيمًا لِقَدْرهم ، وتشريفًا لمكانتهم ، فهُم المستحقون لِنَيل شرف مُخاطبة الله لهم، وهُم أهْلٌ لذلك، والأحِقَّاء بأن يُكلِّمهم اللهُ تعالى. والخطاب في الآية للأوس والخزرج. وقد تضايقَ اليهودُ بسبب محبة المؤمنين (الأوس والخزرج) وأُلفتهم واجتماع كلمتهم ، وغاظهم ذلك ، فذَكَّرُوهم بما كان بينهم في الجاهلية مِن الفِتَن والحروب والعصبية والاقتتال، فتشاجروا ، وكادوا يَقتتلون . ولفظ الآية عام،والعِبرة بِعُموم اللفظ لا بخصوص السبب .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٣١):((سبب نزولها أن الأوس والخزرج كان بينهما حرب في الجاهلية، فلمَّا جاء النبيُّ ﷺ أطفأ تلك الحرب بالإسلام ، فبينما رَجلان أَوْسي وخَزْرجي يتحدَّثان ومعهما يهودي ، جَعل اليهودي يُذكِّرهما أيامهما والعداوة التي كانت بينهما حتى اقتتلا، فنادى كُل واحد منهما بِقَومه،فخرجوا بالسلاح، فجاء النبيُّ ﷺ، فأصلحَ بينهم، فَنَزلت هذه الآية، قاله مجاهد وعِكرمة والجماعة. قال المفسِّرون: والخطاب بهذه الآية للأوس والخزرج.قال زيد ابن أسلم:وعَنى بذلك الفريق شاس بن قيس اليهودي وأصحابه.قال الزَّجاج:معنى طاعتهم تقليدهم)).

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نارًا للحَرْبِ أطفأها اللهُ وَيَسْعَوْنَ في الأرضِ فَسَادًا واللهُ لا يُحِبُّ المُفسِدِين ﴾ [المائدة : ٦٤] .

كُلما أرادَ اليهودُ إشعالَ حرب على النبيِّ ﷺ والمؤمنين ، أطفأها الله ، وفرَّق كلمتهم ، وشتَّت جَمْعَهم ، وألقى الرُّعْبَ في قلوبهم ، فلا يَنتفعون بشيء ، ولا يُحقِّقون أيَّة فائدة . ولا يَزالون يُخطِّطون للحروب، ويُهيِّجونها، ويَجْمعون لها، واللهُ يُبطِل ذلك ، ويُجلِّلهم بالفشل والخِزي والعار .

واليهودُ يجتهدون في الكَيد للإسلام ومحاولة إبطاله ، ومُحاربة المسلمين ، وحياكة المؤامرات ضِدَّهم ، وهُم يَبذُلون الغالي والنفيس مِن أجل إثارة الفِتنة والبَلْبلة في المجتمع الإسلاميِّ . وعادةُ اليهود دائمًا السَّعْيُ للإفساد في الأرض . واللهُ لا يُحِبُّ المُفسِدين الذين يَرتكبون الذنوبَ والآثام ، ويَقترفون الجرائم ، وسوفَ يُعاقبهم أشدَّ العِقاب .

وعِشْقُ اليهود لإشعال الحروب ، ونشر الفِتَن ، وتمزيق المجتمعات ، يدل على خُبثهم ، وخِداعهم ، ومَكرهم ، وقُدرتهم على حياكة المؤامرات ، والتخطيط للمكائد والأزمات . وهُم يَتَّخذون هذه الوسائل القذرة منهجًا فكريًّا حياتيًّا ثابتًا ، لأنهم يَعتبرونها خَط الدفاع عن وجودهم ومكتسباتهم وسُلطتهم . واليهودُ تُجَّار الحروب بامتياز ، وسماسرة الكوارث والمصائب بلا مُنازِع.

وقد اعتمدَ اليهودُ في كُل مراحل وجودهم على مبدأ " فَرِّقْ تَسُدْ " ، وهو يعني تفريق قُوة الخصم الكبيرة إلى أجزاء مُبعثرة ومتفرقة ، يصعب اتِّحادها ، لتصبح مُنهارة وضعيفة ، يَسهل مُواجهتها ، وهزيمتها ، والسيطرة عليها . وهذا المبدأ الشَّيطاني نفَّذه اليهودُ مِن خلال نشر الفِتن ، والتحريض على العنصرية والكراهية ، وبث رُوح الانتقام والثأر بين الفِرَق والطوائف ، وإشعال حروب داخلية وخارجية تنتهي بإضعاف جميع الأطراف ، مِن أجل أن يظل اليهود القُوة العُظمى ، وأصحاب الكلمة العُليا ، ومالكي السيادة المُطْلَقة .

وعلى سبيل المثال لا الحَصْر ، كانت الحروب بين الأوس والخَزرج (وهُم أولاد عَم) في الجاهلية بتخطيط اليهود وتآمرهم . وكان لليهود دَور كبير في إشعال الحَرْبَيْن العالميتين ، وهذا سبب اضطهاد هتلر لهم، وقتلهم. ويُمكن مُراجعة الكتب المتخصصة القائمة على الأدلة والوثائق، التي تُثبِت دور اليهود في إشعال الحروب ، مِن أجل السيطرة على العالَم ، واستعباد الشعوب.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣٩٤) : ((قَوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نارًا للحَرْبِ أطفأها اللهُ ﴾ . ذِكْر إيقاد النار مَثَل ضُرب لاجتهادهم في المُحاربة . وقِيل: إن الأصل في استعارة اسم النار للحرب أن القبيلة من العرب كانت إذا أرادت حرب أخرى ، أوقدت النارَ على رؤوس

الجبال والمواضع المرتفعة ، ليُعلَم استعدادهم للحرب ، فيتأهَّب مَن يُريد إعانتهم . وقيل : كانوا إذا تحالفوا على الجِد في حَرْبهم ، أوقدوا نارا وتحالفوا . وفي معنى الآية قَولان : أحدهما كُلَّما جَمعوا لحرب النبيِّ ﷺ فرَّقهم اللهُ . والثاني كُلَّما مَكروا مَكْرًا رَدَّه اللهُ . قَوله تعالى : ﴿ وَيَسْعَوْنَ في الأرضِ فَسَادًا ﴾ . فيه أربعة أقوال : أحدها بالمعاصي ، قاله ابن عباس ومُقاتل. والثاني بمَحْو ذِكْر النبيِّ ﷺ مِن كُتبهم،ودَفْع الإسلام،قاله الزَّجاج.والثالث بالكفر،والرابع بالظُّلم،ذَكَرهما الماوردي)) .

إن اليهود مشهورون بالخداع والكذب والغدر والمكر والخيانة ، وحياكة المؤامرات ، والتَّخطيط للكوارث والأزمات . وهُم أصحاب أهواء مُتضاربة، وقلوب قاسية ، وعقائد فاسدة ، ومصالح مُتعارضة . وحياتهم قائمة على الكفر والضلال والعِناد والتكبُّر، لذلك شدَّد اللهُ عليهم عُقوبةً لهم ، وضيَّق عليهم جَزاءً على أعمالهم السَّيئة ، وخوَّفهم ، وهدَّدهم .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِم وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا البَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُم لا تَعْدُوا في السَّبْتِ وأخَذْنا مِنهُم مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [النِّساء : ١٥٤] .

رَفَعَ اللهُ فَوْقَ بني إسرائيل جبلَ الطُّور لمَّا رَفضوا العملَ بالتَّوراة ، وامتنعوا مِن قَبول شريعة النبيِّ مُوسى ﷺ ، فَقَبِلُوها ، وقال لهم والطورُ مُظِل عليهم : ادخُلوا بابَ بيت المقدس سُجودَ انحناء ، خُضوعًا لله ، فخالفوا الأمرَ الإلهيَّ ، ودخلوا يَزحفون على أَسْتَاهِهِم (أدبارهم) ، وهُم يقولون : حَبَّة في شَعْرة، سُخريةً واستهزاءً . وقال لهم : لا تَعتدوا باصطياد الحيتان في يوم السَّبت ، فاصطادوا وخالفوا الأمرَ الإلهيَّ ، وأخذَ اللهُ مِنهُم عَهْدًا مُؤَكَّدًا ، فنقضوه ، وخالفوه ، وأعرَضوا عنه.

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٧٦١) : ((﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِم ﴾ وذلك حين امتنعوا مِن الالتزام بأحكام التَّوراة ، وظَهر منهم إباء عمَّا جاءهم به موسى عليه السلام ، ورَفَعَ اللهُ على رؤوسهم جَبَلًا ، ثُمَّ أُلْزِموا ، فالتزموا ، وسجدوا ، وجعلوا ينظرون إلى فوق رؤوسهم خَشية أن يَسقط عليهم ، كما قالَ تعالى : ﴿ وإذْ نَتَقْنا الجبلَ فَوْقَهُم كأنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أنَّهُ واقعٌ بِهِم خُذُوا ما آتَيناكُم بِقُوَّة ﴾ الآية [الأعراف : ١٧١] . ﴿ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا البَابَ سُجَّدًا ﴾ أي : فخَالَفُوا ما أُمِرُوا به مِن القول والفِعل ، فإنهم أُمِرُوا أن يَدخلوا باب بيت القدس سُجَّدًا وهُم يقولون : حِطَّة ، أي : اللهُمَّ حُطَّ عنَّا ذنوبنا في تركنا الجهاد ، ونُكُولنا عنه ، حتى تُهْنا في التِّيه أربعين سنة ، فدخلوا يزحفون على أَسْتَاهِهِم ، وهُم يقولون : حِنطة في شَعْرة ﴿ وَقُلْنَا لَهُم لا تَعْدُوا في السَّبْتِ ﴾ أي : وَصَّيْناهم بحفظ السَّبْت ، والتزام ما حَرَّمَ اللهُ عليهم ما دَامَ مشروعًا لهم ، ﴿ وأخَذْنا مِنهُم مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ أي : شديدًا ، فَخَالَفُوا ، وعَصَوْا ، وتحيَّلوا على ارتكاب ما حرَّم اللهُ عز وجل)).

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُم وَكُفْرِهِم بآياتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الأنبياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِم قُلُوبُنا غُلْفٌ بَل طَبَعَ اللهُ عَلَيها بكُفْرِهِم فلا يؤمنونَ إلا قَلِيلًا ﴾ [النِّساء : ١٥٥] . بسبب نقض اليهود عَهْدَهم المُؤَكَّد ، لعنهم اللهُ ، وأذَلَّهم ، وأخزاهم ، وطردهم من رحمته ، وأبعدهم عنها ، وبإنكارهم للقُرآن العظيم وجُحودهم لآياته وأوامره وأحكامه ، وقتلهم الأنبياء بالباطل كيحيى وزكريا عليهما الصلاة والسلام ، وقَولهم للنبيِّ ﷺ : قُلوبنا في أغطية ، فلا نَفهم ما تقول يا محمد ، ولا نَستوعبه، ولا نَعرِف معناه.والمعنى:إن اليهود مُكْتَفُون بما في قلوبهم مِن عِلْم ومعرفة، ولا يَحتاجون إلى كلامك يا محمد ، ولا مواعظك ، والهدف مِن هذا إبطال حُجَّة الأنبياء . وهذا يدل على عناد اليهود وغرورهم وتكبُّرهم وقَسوة قلوبهم . وقد رَدَّ اللهُ عليهم قائلًا : ليس الأمر كما يَزعُم اليهود ، بَل خَتَمَ اللهُ على قلوبهم بسبب كفرهم وضلالهم وعنادهم واستكبارهم ومعاصيهم ، ومَنَعَ قلوبهم مِن تقبُّل الإيمان وتدبُّر الآيات وفهم المواعظ، فلا يؤمن مِنهم إلا القليل ، مِثل : عبد الله بن سلام وأصحابه . وقال الطبري في تفسيره (٤/ ٣٤٩) : ((يعني جَلَّ ثناؤه : فَبِنَقْضِ هؤلاء الذين وَصَفْتُ صِفتهم من أهل الكتاب ﴿ مِيثَاقَهُم ﴾ يعني : عُهودهم التي عاهدوا الله أن يَعملوا بما في التوراة ، ﴿ وَكُفْرِهِم ﴾ يَقول : وجُحودهم ﴿ بآياتِ اللهِ ﴾ يعني : بأعلام الله وأدلته التي احتج بها عليهم في صِدق أنبيائه ورُسله، وحقيقة ما جاؤوهم به مِن عِنده ﴿ وَقَتْلِهِمُ الأنبياءَ ﴾ يقول : وبقتلهم الأنبياء بعد قيام الحُجَّة عليهم بنُبُوَّتهم ﴿ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ يعني: بغير استحقاق منهم ذلك لكبيرة أَتَوْهَا ولا خطيئة استوجبوا القتل عليها ﴿ وَقَوْلِهِم ﴾ يعني:وبقولهم: ﴿ قُلُوبُنا غُلْفٌ ﴾ يعني : يقولون : عليها غِشاوة وأغطية عمَّا تدعونا إليه فلا نفقه ما تقول ولا نَعقِله ﴿ بَل طَبَعَ اللهُ عَلَيها بكُفْرِهِم ﴾ يقول جَلَّ ثناؤه: كَذَبوا في قولهم: ﴿ قُلُوبُنا غُلْفٌ ﴾ ما هي بغُلْف،ولا عليها أغطية، ولكن الله جَلَّ ثناؤه جَعل عليها طَابَعًا بكفرهم بالله ﴿فلا يؤمنونَ إلا قَلِيلًا ﴾ يقول:فلا يؤمن_ هؤلاء الذين وَصَفَ اللهُ صِفتهم لطَبْعه على قلوبهم فيُصدِّقوا بالله ورُسله وما جاءتهم به من عند الله _ إلا إيمانًا قليلًا،يعني: تصديقًا قليلًا.وإنما صار ﴿ قَلِيلًا ﴾ لأنهم لم يُصدِّقوا على ما أمرهم الله به ولكن صدَّقوا ببعض الأنبياء وببعض الكتب، وكذَّبوا ببعض،فكان تصديقهم بما صدَّقوا به قليلًا لأنهم وإن صدَّقوا به من وجه، فهُم به مُكذِّبون من وجه آخر،وذلك من وجه تكذيبهم مَن كذَّبوا به من الأنبياء وما جاؤوا به من كُتب الله ورُسل الله، يُصدِّق بعضُهم بعضًا.وبذلك أمرَ كُلُّ نبيٍّ أُمَّته ، وكذلك كُتب الله يُصدِّق بعضُها بعضًا، ويُحقِّق بعضُها بعضًا، فالمُكذِّب ببعضها مُكذِّب بجميعها من جهة جُحوده ما صدَّقه الكتاب الذي يُقِرُّ بصحته، فلذلك صار إيمانهم بما آمنوا مِن ذلك قليلًا)).

ثاني عشر : استعمال السِّحْر

إن الأشخاص العاجزين عن مُواجَهة خصومهم علانيةً ، ولا يَستطيعون مُقابَلتهم وَجْهًا لوجه ، ولا يَقْدرون على المُجابَهة ، وتقديم الأدلة ، ومُقارَعة الحُجَّة بالحُجَّة ، ولا يَملكون القُدراتِ على التصدي لهم بالوسائل الظاهرة المكشوفة ، قَد يَلْجؤون إلى العمليات السِّرية القذرة ، ويستخدمون الأساليب الخفية لتدميرهم وسَحقهم ، فَتَكون الوجوه مُبتسمةً ، والكلام مَعسولًا ، ولكنْ في الحقيقة هناك حربٌ شرسةٌ تدور في السِّر والخِفاء . ومَن يتحرَّك في السِّر أقْدَر على إنجاز عمله .

وقال الشَّوكاني في فتح القدير (١/ ١٨٦) : ((والسِّحْر : هو ما يَفعله الساحر مِن الحِيَل والتَّخييلات ، التي تحصل بسببها للمَسحور ما يحصل من الخواطر الفاسدة الشبيهة بما يقع لمن يرى السراب فيظنُّه ماء، وما يظنُّه راكب السفينة أو الدَّابة من أن الجبال تسير، وهو مُشتق مِن سَحَرْت الصبي إذا خدعته. وقِيل : أصله الخَفاء، فإن الساحر يفعله خُفية . وقِيل : أصله الصَّرْف لأن السِّحْر مصروف عن جهته . وقيل : أصله الاستمالة ، لأن مَن سَحَرَك فقد استمالك)) اهـ .

والسِّحْرُ ثابتٌ في القُرآن والسُّنَّة ، ومُجْمَعٌ عليه بين المسلمين ، بحيث إن مُنْكِرَه كافرٌ بالإجماع ، لأنه أنكرَ مَعلومًا من الدِّين بالضرورة ، وكَذَّبَ القرآنَ الكريم في أكثر من مَوْضع . قالَ اللهُ تعالى : ﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ [البقرة :١٠٢] . وقال تعالى : ﴿ وَجَاؤوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ١١٦]. وقال تعالى:﴿ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ﴾[يُونُس: ٨١].

واختلفَ أهلُ العِلْم حول موضوع حقيقة السِّحْر. فذهب أهلُ السُّنة إلى أن له حقيقةً ، وذهبَ عامةُ المعتزلة إلى أن لا حقيقة له ، وإنما هو تَمويه وتخييل وإيهام .

واليهودُ مُولَعون بالتخطيط للمؤامرات والمكائد . وفي كثير من الأحيان لا يَقْدِرون على المُواجَهة جِهَارًا نهارًا ، فيَعمَدون إلى العملِ في الخَفَاء . واليهودُ على مَدار التاريخ ، يتحركون كما لَو كانوا أعضاءً في مُنظَّمة سِرِّية كبيرة ، تُدار بحرفية عالية بعيدًا عن الأضواء . ولم يجد اليهودُ أفضلَ مِن السِّحْر لتدمير الآخرين والانتقام منهم بسبب خفائه وعدم ظُهوره وصعوبة معرفة مَصْدره.

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِن أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ المَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِن أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

أعرضَ اليهودُ عن التَّوراة (كتاب الله) ، واتَّبَعوا ما تَتلو الشياطين على عهد النبيِّ سُلَيمان ﷺ مِن السِّحْر. وكان اليهودُ يظنُّون أن سُلَيمان ساحر ، وأن السِّحْر هو عِلْمه، وأنه يُجيزه، ويَسمح به، فكذَّبهم اللهُ ، وبرَّأ سُلَيمان ، وردَّ عليهم ، في قَولهم إن محمدًا يَذكُر سُلَيمان في الأنبياء ، وما كان إلا ساحرًا : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ﴾ ، لم يَعمل السِّحْرَ لأنه كُفر . وسُلَيمان نبيٌّ معصوم . ولم يقل أحد بكُفر سُلَيمان ، ولكن لمَّا اعتبرته اليهودُ ساحرًا ، صارَ بمنزلة الكافر ، لأن السِّحْر يَستلزم ذلك . لذلك ، أثبتَ اللهُ كُفرَ الشياطين : ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾. أي : إن الشياطين كفروا بتعليمهم السِّحْر للناس. ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ ﴾ ، وما أُلْهِمَاه مِن السِّحْر . أي إنهم يَعْمَلُون الذي أُنزِل على المَلَكَيْن ، أي إلهامًا وعِلْمًا وتعليمًا . والإنزالُ بمعنى الإلهام . ﴿ بِبَابِلَ ﴾ بلد في العراق . ﴿ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾ . ساحران كانا يُعلِّمان السِّحْرَ ، أو مَلَكَان أُنزِلا لتعليم السِّحْر ابتلاءً مِن الله للناس. ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِن أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ ﴾. كانا يَنصحان الناسَ ، ويقولان لهم : إنما نحن امتحان واختبار من الله لعباده ، فَمَن تعلَّمَ السِّحْرَ كفر ، ومَن تركه فهو مؤمن ، واللهُ يَمتحن عباده بما شاء ، فلا تكفر بتعلُّم السِّحْر . وهذا دليل على أن تعلُّم السِّحْر كُفر . ومَن أبى إلا التعليم علَّماه . ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ المَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ بأن يَكره الزَّوجان بعضهما البعض ، وتَحدث الفُرقة بينهما . وهذا دليل على أن للسِّحْر تأثيرًا في القلوب بالحُب والكراهية . ﴿ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِن أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ ﴾ . اللهُ وَحْدَه هو النافع والضَّار . والسِّحْرُ له تأثير في نفْسه ، وحقيقة ثابتة ، ولكنه لا يَضُرُّ إلا بإرادة الله تعالى .

وعن ابن عباس _ رضي اللهُ عنهما _ قال : ((إن الشياطين كانوا يَسترِقون السَّمْعَ ، وكان أحدُهم يجيء بكلمة حق قد سمعها الناس ، فيَكذبُ مَعَها سَبعين كِذبة ، فيُشْرِبَها قُلوبَ الناس ، فأطلعَ اللهُ على ذلك سُلَيمانَ بنَ داود ، فأخذها فدفنها تحت الكُرسيِّ ، فلمَّا مات سُلَيمان ، قام شَيطانٌ بالطريق فقال : ألا أدُلُّكم على كَنْز سُلَيمان ، الذي لا كَنْزَ لأحدٍ مِثْلُ كَنْزه المُمْتَنع ؟ قالوا : نعم ، فأخرجوه ، فإذا هو سِحْر ، فتناسختها الأممُ ، فبقاياها مِمَّا يتحدَّث به أهلُ العراق ، فأنزلَ اللهُ عُذرَ سُلَيمان ، فقال : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾)) [٢١٩]. النبيُّ سُلَيمان ﷺ معصوم . أرشدَ الناسَ إلى الحق والخير، ولكن اليهود اتَّهموه بالسِّحْر ، فكذَّبهم اللهُ ، وبرَّأه ، وأعلى شَأنَه في الدنيا والآخرة.

٢١٩ رواه الحاكم في المستدرَك (٢/ ٢٩١) برقم (٣٠٥٠) ، وصحَّحه الذهبي .

وقال الطبري في تفسيره (١/ ٤٩١) : ((يعني بقوله : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ ﴾ الفريق من أحبار اليهود وعلمائها ، الذين وصفهم الله جَلَّ ثناؤه بأنهم نبذوا كتابه الذي أنزله على مُوسى وراء ظهورهم تجاهلًا منهم ، وكُفرًا بما هُم به عَالِمُون ، كأنهم لا يَعْلَمون ، فأخبرَ عنهم أنهم رفضوا كتابه الذي يعلمون أنه مُنزَل مِن عِنده على نَبِيِّه ﷺ ، ونقضوا عهده الذي أخذه عليهم في العمل بما فيه ، وآثروا السِّحْرَ الذي تلته الشياطين في مُلك سليمان بن داود ، فاتَّبعوه ، وذلك هو الخَسار والضلال المُبين)) اهـ .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ١٢٠ _ ١٢٦) : ((قَوله تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ ﴾ في سبب نزولها قَولان : أحدهما أن اليهود كانوا لا يَسألون النبيَّ عن شَيء من التَّوراة إلا أجابهم ، فسألوه عن السِّحْر ، وخاصموه به ، فنزلت هذه الآية، قاله أبو العالية. والثاني أنه لمَّا ذُكِرَ سُلَيمان في القُرآن ، قالت يهود المدينة : ألا تَعْجَبون لمحمد ، يَزعُم أن ابن داود كان نبيًّا ، والله ما كان إلا ساحرًا ، فنزلت هذه الآية ، قاله ابن إسحاق. و﴿ تَتْلُو ﴾ بمعنى تَلَتْ.و﴿ عَلَى ﴾ بمعنى " في " ، قاله المُبَرِّد. قال الزَّجاج: وقَوْله: ﴿ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ أي: على عهد سُلَيمان . وفي كيفية ما تَلَت الشياطين على مُلْك سُلَيمان ستة أقوال: أحدها أنه لمَّا خَرج سُلَيمان عن مُلكه، كَتبت الشياطينُ السِّحْرَ ، ودفنته في مُصَلَّاه ، فلمَّا تُوُفِّيَ استخرجوه ، وقالوا : بهذا كان يَملِك المُلْك ، ذَكَرَ هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس ، وهو قول مقاتل . والثاني أن آصَف كان يَكتب ما يأمر به سُلَيمان ، ويَدفنه تحت كُرسِيِّه ، فلمَّا مات سليمان استخرجته الشياطين ، فكتبوا بين كل سطرين سِحْرًا وكَذِبًا ، وأضافوه إلى سُلَيمان ، رواه سعيد بن جُبَير عن ابن عباس . والثالث أن الشياطين كَتبت السِّحْرَ بعد موت سُلَيمان ، ثم أضافته إليه ، قاله عِكْرمة . والرابع أن الشياطين ابتدعت السِّحْرَ ، فأخذه سُلَيمان فدفنه تحت كُرسيه ، لئلا يتعلَّمه الناسُ ، فلمَّا قُبِض استخرجته ، فعلَّمته الناس ، وقالوا هذا عِلْم سُلَيمان ، قاله قَتادة . والخامس أن سُلَيمان أخذ عُهُودَ الدَّواب فكانت الدَّابة إذا أصابت إنسانًا طلب إليها بذلك العهد ، فتُخلِّي عنه ، فزادَ السَّحَرَةُ السَّجْعَ والسِّحْر ، قاله ابو مِجْلَز . والسادس أن الشياطين كانت في عَهْد سُلَيمان ، تَسترِق السَّمْعَ ، فتسمع مِن كلام الملائكة ما يكون في الأرض مِن مَوت ، أو غَيث ، أو أمر ، فيأتون الكَهَنة فيُخبِرونهم ، فتُحدِّث الكَهَنَةُ الناسَ ، فيجدونه كما قالوا ، حتى إذا أَمِنَتْهُم الكَهَنَةُ كذبوا لهم ، وأدخلوا فيه غَيره ، فزادوا مع كُل كلمة سبعين كلمة ، فاكتتب الناس ذلك الحديث في الكُتب ، وفشا في بني اسرائيل أن الجِن تَعْلَم الغَيْبَ ، فَبَعَثَ سُلَيمانُ في الناس ، فجمع تلك الكتب في

صندوق ، ثم دفنها تحت كُرسيه ، ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يَدنوَ مِن الكرسي إلا احترق . وقال : لا أسمع أحَدًا يَذكُر أن الشياطين يَعْلَمون الغَيْبَ إلا ضَرَبْتُ عُنُقَه ، فلمَّا مات سُلَيمان ، جاء شَيطانٌ إلى نَفَر مِن بني إسرائيل ، فدلَّهم على تلك الكُتب، وقال: إنما كان سُلَيمان يَضبط أمرَ الخَلْق بهذا ، ففشا في الناس أن سُلَيمان كان ساحرًا ، واتَّخذ بنو إسرائيل تلك الكتب، فلمَّا جاء محمد ﷺ خَاصَمُوه بها ، هذا قَول السُّدي . وسُلَيمان اسم عِبراني ، وقد تكلَّمت به العرب في الجاهلية ... . وفي قَوله : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ﴾ دليل على كُفر السَّاحر ، لأنهم نُسِبُوا إلى السِّحْر لا إلى الكُفر ... . قَوله تعالى : ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ ﴾ . وفي ﴿ مَا ﴾ قَولان : أحدهما أنها مَعطوفة على ﴿ مَا ﴾ الأُولَى ، فتقديره : واتَّبَعُوا ما تتلو الشياطين ، وما أُنزِل على المَلَكَيْن . والثاني أنها معطوفة على السِّحْر ، فتقديره : يُعلِّمون الناسَ السِّحْرَ ، ويُعلِّمونهم ما أُنزِل على المَلَكَيْن ، فإن قِيل : إذا كان السِّحْرُ نزل على المَلَكَيْن ، فلماذا كُرِهَ ؟ فالجواب مِن وجهين ذكرهما ابن السَّري : أحدهما أنهما كانا يُعلِّمان الناسَ : ما السِّحْرُ ، ويأمران باجتنابه . وفي ذلك حِكمة ، لأن سائلًا لو قال : ما الزنى ؟ ، لوجب أن يُوقَف عليه ، ويَعْلَم أنه حرام. والثاني أنه مِن الجائز أن يكون الله تعالى امتحنَ الناس بالمَلَكَيْن ، فَمَن قَبِلَ التعلمَ كان كافرًا ، ومَن لم يَقْبَلْه فهو مؤمن ، كما امتحنَ بنهر طالوت . وفي الذي أُنزِل على المَلَكَيْن قَولان : أحدهما أنه السِّحْر ، رُوِيَ عن ابن مسعود والحسن وابن زيد. والثاني أنه التفرقة بين المَرء وزَوْجه لا السِّحْر، رُوِيَ عن مجاهد وقَتادة ، وعن ابن عباس كالقَوْلَيْن . قال الزَّجاج: وهذا من باب السِّحْر أيضًا . الإشارة إلى قصة المَلَكَيْن . ذَكَرَ العلماء أن المَلَكَيْن إنما أُنزِلا إلى الأرض لسبب، وهو أنه لمَّا كَثُرَتْ خطايا بني آدم دَعَتْ عليهم الملائكةُ ، فقال اللهُ تعالى : لو أنزلت الشَّهوة والشياطين مِنكم منزلتهما من بني آدم لفعلتُم مِثل ما فَعلوا ، فحدَّثوا أنفسهم أنهم إن ابْتُلُوا اعتصموا ، فأوحى اللهُ إليهم أن اختاروا من أفضلكم مَلَكَيْن، فاختاروا هاروت وماروت، وهذا مروي عن ابن مسعود وابن عباس . واختلف العلماء ماذا فعلا مِن المعصية على ثلاثة أقوال: أحدها أنهما زَنَيَا وقتلا وشَرِبا الخمرة ، قاله ابن عباس. والثاني أنهما جارا في الحُكم، قاله عُبَيد الله بن عُتبة. والثالث أنهما همَّا بالمعصية فقط ... فصل . اختلف الفقهاء في حُكم الساحر ، فمذهب إمامنا أحمد رضي الله عنه يَكْفُر بسِحْره ، قَتَلَ به أو لم يَقْتُلْ ، وهل تُقبَل توبته على روايتين . وقال الشافعي: لا يَكفُر بسِحْره ، فإن قَتَلَ بسِحْره ، وقال: سِحْري يَقتل مِثْلَه، وتعمَّدْتُ ذلك ، قُتِلَ قَوَدًا (قِصَاصًا) وإن قال: قَد يَقتل ، وقد يُخطِئ ، لم يُقْتَلْ وفيه الدِّيَة ، فأمَّا ساحر أهل الكتاب، فإنه لا يُقتَل عند أحمد إلا أن

يَضُرَّ بالمسلمين فيُقتَل لنقض العهد ، وسواءٌ في ذلك الرجل والمرأة. وقال أبو حنيفة: حُكم ساحر أهل الكتاب حُكم ساحر المسلمين في إيجاب القتل،فأمَّا المرأة الساحرة فقال:تُحبَس ولا تُقتَل)).

إن اليهود يعتمدون على السِّحْر ، ويَعتبرونه سلاحهم السِّري الفعَّال ضِد خُصومهم وأعدائهم ، وقد رَفضوا كتابَ الله ، وأعرَضوا عن تعاليم الأنبياء ، وتمسَّكوا بطُرق السِّحْر وطلاسمه وعوالمه .

وتَنبع خطورةُ السِّحْر مِن كُمونه واستتاره وخفائه . والشخصُ يكون أمام عدو خَفِي لا يدري وُجهته ، وأمام تأثير سلبي هائل لا يَعرِف مصدره . ويجب التحصُّن بالقُرآن والسُّنة والأذكار الشرعية في مُواجهة السِّحْر والسَّحَرَة . والسِّحْرُ في غاية الخطورة ، وتأثيره في بعض الأحيان يصل إلى القتل . وحتى لَو حافظَ الشخصُ على الأذكارِ الشَّرعية فهو ليس بمعصومٍ من الوقوعِ في السِّحْر ، فالنبيُّ محمد ﷺ عبدُ الله ورسوله المعصومُ ، وهو أعظم المخلوقات على الإطلاق ، وأقرب عباد الله إلى الله ، ولن يَبْلُغَ إنسيٌّ أو جِنِّيٌّ مَبْلَغَه مِن العِلْم النافع والعمل الصالح. ومعَ هذا سُحِرَ على أيدي اليهود . وكانَ اللهُ قادرًا أن يُدافع عنه ، ويَمنع تأثيرَ السِّحْر مِن الوصول إلَيه ، إلا أنه تعالى أرادَ تحذير العبادَ كي يأخذوا الحِيطة والحَذَر . ومشيئةُ الله نافذة في كل شيء، ويجب التَّحَلِّي بالصَّبر ومُقاومة السِّحْر بالوسائل الشَّرعية. ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقدورًا﴾[الأحزاب: ٣٨].

وعن السَّيدة عائشة _ رضي اللهُ عنها _ قالت: سَحَرَ رسولَ اللهِ ﷺ رَجُلٌ من بني زُرَيْق يُقال له لَبيد بن الأعْصَم ، حتى كان رسولُ الله ﷺ يُخَيَّلُ إليه أنه يفعل الشيءَ وما فعله ، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي، لَكِنَّه دعا ودعا، ثم قال:((يا عائشة، أشعرتِ أن الله أفتاني فيما استفتيتُه فيه ، أتاني رَجلان فقعد أحدهما عند رأسي ، والآخَر عند رِجْلي ، فقال أحدهما لصاحبه: ما وَجَعُ الرَّجل ؟، فقال: مَطْبُوب. قال: مَن طَبَّه ؟ ، قال : لَبِيد بن الأعصم، قال : في أي شَيء ؟، قال : في مُشط ومُشاطة وجُف طَلْع نخلة ذَكَر، قال : وأين هو ؟، قال : في بِئر ذَرْوَان)). فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه فجاء فقال: ((يا عائشة، كأن ماءها نُقَاعة الحِنَّاء ، أو كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين)) . قلتُ : يا رسول الله ، أفلا اسْتَخْرَجْتَه ؟ . قال : ((قد عافاني الله ، فكرهتُ أن أُثَوِّرَ على الناس فيه شَرًّا)) . فَأَمَرَ بِها ، فَدُفِنَت [٢٢٠] .

---

٢٢٠ متفق عليه.واللفظ للبخاري(٥/ ٢١٧٤)برقم(٥٤٣٠)،ومسلم(٤/ ١٧١٩)برقم (٢١٨٩) . [مَطْبُوب : مَسحور. والْمُشاطة : ما يخرج مِن الشَّعر إذا مُشِّطَ] . وفي الحديث دليل على أن ساحرَ أهل الذِّمة لا يُقْتَل ، لأن النَّبي لَم يَقتله . أمَّا إذا تَرَتَّب على سِحْره قَتل نَفْس ، فإنه يُقْتَل بها .

هذه العمليةُ الدنيئة التي قام بها اليهوديُ لَبيد بن الأعْصَم ، إنما كانت بتحريض اليهود وتخطيطهم ، وهي جُزء مِن مؤامرة كُبرى وخُطَّة شاملة لقتل النبيِّ ﷺ ، والتخلص مِنه ، وإنهاء الدَّعوة الإسلامية ، وتفريق المسلمين ، وتشتيت كلمتهم ، وهدم المجتمع الإسلاميِّ . وقد قَابَلَ النبيُّ ﷺ الإساءةَ بالصَّفحِ والتجاوز ، ولَم يَقتل هذا الساحرَ اليهودي . وهذه هي أخلاق النبيِّ ﷺ الحميدة في مُواجهة إرهاب اليهود ومؤامراتهم القذرة . وفي فتح الباري (١٠ / ٢٣٦) : ((قال ابن بطَّال : لا يُقتَل ساحر أهل الكتاب عند مالك والزُّهري ، إلا أن يَقتل بسِحْره فيُقتَل ، وهو قول أبي حنيفة والشافعي . وعن مالك : إن أدخلَ بسِحْره ضَرَرًا على مسلم، لم يعاهد عليه، نقض العهد بذلك فَيَحِل قَتله . وإنما لَم يَقتل النبيُّ ﷺ لَبيد بن الأعْصَم ، لأنه كان لا ينتقم لنفْسه ، ولأنه خَشِيَ إذا قَتله أن تثور بذلك فِتنة بين المسلمين وبين حلفائه مِن الأنصار ، وهو مِن نمط ما راعاه مِن ترك قتل المنافقين ، سواء كان لَبيد يهوديًّا أو مُنافقًا)) اهـ .

وجاء بعضُ المُستشرقين وأذنابهم وصبيانهم ، وشكَّكوا بالدَّعوة الإسلامية في ظِل أن النَّبيَّ ﷺ سُحِر ، ومدى تأثير السِّحْر على التعاليم الإسلامية . والنبيُّ ﷺ مُعرَّض ــ مِثل باقي الناس ــ للإعياء والمرض والتعب النَّفْسي والجسماني، وحتى إنه تَعَرَّضَ للسِّحْر ، لكن هذه العوامل لا سبيل لها إلى الدعوةِ والرِّسالة ، فالنَّبيُّ معصومٌ في التبليغ عن اللهِ الحافظ للرسالة ، وهذا لا يتنافى مع تعرُّض النبيِّ ﷺ لِمَا قد يتعرَّض له أي إنسان. والنبيُّ ﷺ هو القُدوة الأسمى والمَثَل الأعلى ، اختاره اللهُ إنسِيًّا للاقتداء بِه والتعلم مِنه والتعامل معه ، لذلك لَم يَجعله مَلَكًا ولا جِنِّيًّا .

وقال الحافظ في الفتح (١٠/ ٢٢٦ و٢٢٧) : ((بيَّن الواقدي السنة التي وقع فيها السِّحْر أخرجه عنه ابن سعد بسند له إلى عُمر بن الحَكَم مُرسَل، قال: لمَّا رَجع رسولُ الله ﷺ من الحُدَيبية في ذي الحِجَّة ، ودخل المُحرَّم من سنة سبع ، جاءت رؤساء اليهود إلى لَبيد بن الأعْصَم ، وكان حليفًا في بني زُرَيق ، وكان ساحرًا ، فقالوا له : يا أبا الأعْصَم ، أنتَ أسْحَرُنا ، وقد سَحَرْنا محمدًا ، فلم نصنع شيئًا،ونحن نجعل لك جَعْلًا على أن تسحره لنا سِحْرًا ينكؤه، فجعلوا له ثلاثة دنانير ... وقال السُّهَيلي : لم أقف في شيء من الأحاديث المشهورة على قَدْر المُدَّة التي مكث النبيُّ ﷺ فيها في السِّحْر ، حتى ظفرتُ به في جامع مَعمَر عن الزُّهري أنه لبث ستة أشهر، كذا قال. وقد وجدناه موصولًا بإسناد الصحيح ، فهو المُعتمَد ... قال المازري : أنكرَ بعضُ المُبتدِعة هذا الحديث ، وزعموا أنه يَحُطُّ منصب النُّبُوَّة ، ويُشكِّك فيها . قالوا : وكُل ما أدَّى إلى ذلك فهو باطل ، وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرَّعه من الشرائع ، إذْ يُحتمل على هذا أن يُخيَّل إليه

أنه يرى جبريل وليس هو ، ثُمَّ وأنه يُوحَى إليه بشيء ولم يُوحَ إليه بشيء . قال المازري : وهذا كُلُّه مردود ، لأن الدليل قد قام على صِدق النبيِّ ﷺ فيما يُبلِّغه عن الله تعالى ، وعلى عِصْمته في التبليغ . والمُعجِزات شاهدات بتصديقه ، فتجويز ما قام الدليل على خِلافه باطل . وأمَّا ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لَم يُبعَث لأجلها ، ولا كانت الرسالة مِن أجلها ، فهو في ذلك عُرضة لِمَا يعترض البشر كالأمراض ، فغير بعيد أن يُخيَّل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له معَ عِصْمته عن مثل ذلك في أمور الدِّين ... . قال عِياض : فظهر بهذا أن السِّحْر إنَّما تَسَلَّطَ على جسده وظواهر جوارحه ، لا على تمييزه ومُعْتَقَده . قلتُ : ووقع في مُرسَل عبد الرحمن بن كعب عند ابن سعد ، فقالت أُخت لَبيد بن الأعْصَم : إن يكن نبيًّا فسيُخبِر ، إلا فسيُذهِله هذا السِّحْر حتى يذهب عَقْلُه ، قلتُ : فوقع الشَّق الأول ، كما في هذا الحديث الصحيح. وقد قال بعضُ العلماء : لا يَلزَم مِن أنه كان يظن أنه فعل الشيء ولم يكن فعله أن يَجزم بفِعْله ذلك ، وإنما يكون ذلك مِن جِنس الخاطر يَخطُر ولا يَثبُت ، فلا يَبْقَى على هذا للمُلْحِد حُجَّة ... . وقال المُهَلَّب : صَوْنُ النبيِّ ﷺ من الشياطين لا يمنع إرادتهم كَيْدَه ، فقد مضى في الصحيح أن شَيطانًا أراد أن يُفسِد عليه صلاته ، فأمكنه اللهُ منه ، فكذلك السِّحْر . ما ناله مِن ضَرره ، ما يُدخِل نقصًا على ما يتعلق بالتبليغ ، بل هو مِن جِنس ما كان يناله مِن ضَرَر سائر الأمراض ، مِن ضَعْف عن الكلام أو عَجْز عن بعض الفِعل ، أو حُدوث تخيُّل لا يستمر ، بل يزول ، ويُبطِل اللهُ كَيْدَ الشياطين)) اهـ .

وفي صحيح البخاري (٥/ ٢٠٨١): ((وكان _ عبد الله بن الزُّبَير _ أولَ مولودٍ وُلِدَ في الإسلام ، ففرحوا به فَرَحًا شديدًا ، لأنهم قِيلَ لهم : إن اليهودَ قد سَحَرَتْكُم فلا يُولد لكم)) .

كان عبد الله بن الزُّبَير أوَّل مَن وُلِد في الإسلام بالمدينة بعد الهجرة من أولاد المُهاجرين ، وكان الفرح بقُدومه والسعادة بمجيئه لا يُوصَفان ، لأن المهاجرين أقاموا في المدينة ، ولم يُولَد لهم أيُّ مَولود ، وقد قِيل لهم إن اليهود سَحرتكم ، كي يَنقطع نَسْلُكم ، ولا يُولَد لكم .

وهذا يدل على أن هناك ثقافة مجتمعية عامَّة تربط اليهود بالسِّحْر. واليهودُ مَشهورون بالسِّحْر، والعربُ كانت ترى أن اليهود أعلم الناس بالسِّحْر على الإطلاق ، وهو منهجهم السِّري ، وسلاحهم الخَفِي ضِد أعدائهم وخُصومهم . ومِن الواضح أن المجتمع الإسلاميَّ كان يَشعر بالقلق وعدم الراحة بسبب الإرهاب اليهوديِّ ، وعداوة اليهود ، وتعاملهم بالسِّحْر ، وقُدرتهم على التخطيط للمؤامرات والأزمات بشكل سِرِّي وخَفِي . وخُطورةُ اليهود نابعة من امتلاكهم للقدرات العقلية القائمة على المَكر والخداع وصناعة المشكلات ، وكثرة أموالهم ، ونفوذهم الهائل .

والسِّحْرُ صناعة قائمة على خصائص الأمور الطبيعية وتركيب العناصر والأمور اليدوية ، واليهودُ يُتقِنون التعاملَ معَ هذه الأشياء، ويُجيدون استخدامها. في حِين أن العرب لا يَعرِفون هذه الأشياء، لأنهم لا يَملِكون الخِبرة في التعامل مع الأمور اليدوية. وتفوُّق العرب كان في الأمور الفكرية فقط.

وقال الحافظ في الفتح (٩ / ٥٨٩) : ((وقد أخرج ابن سعد في الطبقات مِن رواية أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن قال : لمَّا قَدِمَ المهاجرون المدينة ، أقاموا لا يُولَد لهم، فقالوا : سَحَرَتْنا يهود ، حتى كَثُرَت في ذلك القالة ، فكان أوَّل مَولود بعد الهجرة عبد الله بن الزُّبَير ، فكبَّر المسلمون تكبيرةً واحدة ، حتى ارتجَّت المدينة تكبيرًا)) اهـ .

والسِّحْرُ مَنهيٌّ عنه في التَّوراة ، وتعاطي اليهود للسِّحْر دليل على رفضهم للتَّوراة ، وإعراضهم عن نصوصها وتعاليمها. واليهودُ غَير مُلتزمين بكتابهم الذين يَزعُمون الإيمان به وتعظيمه وتقديسَه ، فكيفَ يلتزمون بالقُرآن الذي يَكفرون به ، ويُكذِّبون محمدًا ﷺ الذي جاء به ؟! .

وفي [خُروج ٢٢ : ١٨] : ((لا تَدَعْ ساحرةً تعيش)) .

هذا دليل تَوراتي على وجوب قتل الساحرة،وأن مَن تعاطى السِّحْرَ وتعاملَ معه، حُكمه الموت.

وفي [لاوِيِّين ١٩ : ٣١]: ((لا تَلتفتوا إلى الجانِّ ولا تطلُبوا التَّوابعَ فتتنجَّسوا بِهم)) .

هذا دليل تَوراتي على حُرمة التعامل مع الجانِّ (الجِن) والتَّوابع (القُرَناء) . وكُل مَن تعاملَ مع الجِن والشياطين ، فإنه يتنجَّس ، ويَقع في الإثم العظيم . وهذا دليل واضح على تحريم التعامل مع السِّحْر ، لأن السِّحْر قائم على التعامل مع الجِن والشياطين . وكُل ما أدَّى إلى حرام فهو حرام ، والغايةُ لا تُبرِّر الوسيلةَ . والغايةُ الشريفةُ يجب أن يكون الطريق إلَيها نظيفًا .

وفي [مَلاخِي ٣ : ٥] : ((وأكُونُ شاهدًا سريعًا على السَّحَرَةِ وعلى الفاسقين ...)) .

هذا دليل تَوراتي على حُرمة السِّحْر،وأنه مِن كبائر الذنوب،وأن السَّحَرَة مُجرِمون مُعرَّضون للعذاب الشديد . وقد وُضِعوا معَ الفاسقين في سياق واحد ، مِمَّا يدل على سُوء حالهم ، وقُبح أعمالهم .

وفي [مَتَّى ٤ : ٢٤] : ((فحَمَلَ إليه النَّاسُ مَرضاهم المُعانين منَ الأمراضِ والأوجاعِ على اختلافها ، والمسكونين بالشَّياطين ، والمَصروعين ، ...)) .

هذا النَّص الإنجيلي يُبيِّن أن هناك مَسكونين بالشَّياطين ومَصروعين . ويجب القَول إن المنطقة التي تجري فيها الأحداث يَسكنُها اليهودُ المَشهورون بالسِّحْر، والتعامل مع الجِن والشياطين . ومِن الواضح أن لهم دَوْرًا في ذلك. إذ إن هناك رابطة قوية بين السِّحْر والشياطين والصَّرَع ، وتُوجد علاقة بين الصَّرَع والجِن ، والجِنُّ في الغالب لا يُسَلَّط على الإنسان إلا بوجود سِحْر .

قال الحافظ في الفتح (١٠/ ١١٤) : ((وقد يكون الصَّرَعُ مِن الجِن ، ولا يقع إلا من النُّفوس الخبيثة منهم ، إمَّا لاستحسان بعض الصور الإنسية ، وإمَّا لإيقاع الأذية به)) اهـ .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ ﴾ [البقرة : ٢٧٥] . هذه حال المَصروع ، حيث إن الشيطان يخبطه ، ويَصرعه ، والجِنِّيُّ يمسُّه ، فيختلط عقله . وقال القرطبي في تفسيره (٣/ ٣٣٠) : ((في هذه الآية دليلٌ على فساد إنكار مَن أنكرَ الصَّرع من جهة الجِن ، وزعمَ أنه مِن فِعل الطبائع ، وأن الشَّيطان لا يَسلُك في الإنسان ، ولا يكون منه مَس)) اهـ .

وفي فتح الباري (٨/ ٢٠٣) : ((والمَسُّ الجنون ، والعرب تقول: مَمْسُوس، أي مجنون ... وقال أبو عُبَيدة : المَس اللمم مِن الجِن)) اهـ . وفي [مَرْقُس ١ : ٢٣] : ((وكان في مَجمَعهم هناك رَجُلٌ يسكنُه رُوحٌ نَجِس)) اهـ . هذا النصُّ الإنجيليُّ يُثبِت أن الجِنِّي أو الشَّيطان قد يَسكن الإنسانَ ، ويُسيطر عليه ، ويُدمِّره . والصَّرع له سببان : أخلاطٌ وأرواح. قال الحافظ في الفتح (١٠/ ١١٤): ((قال أبقراط لَمَّا ذَكَرَ علاج المَصروع: هذا إنما ينفعُ في الذي سببُه أخلاط، وأمَّا الذي يكون من الأرواح فلا)) اهـ . وفي [مَتَّى ٨ : ٣١ و٣٢] : ((فقالت الشَّياطين لِيَسوع : إن كُنتَ ستطردُنا فأرْسِلْنا إلى قطيع الخنازير . فقالَ لهم : اذهبوا !)) اهـ . هذا النصُّ الإنجيلي يتحدَّث عن رَجُلَيْن تسكنهما الشياطين لَقِيَا المسيحَ . مِمَّا يُثبِت إمكانية أن يَسكن الشَّيطانُ الإنسانَ. وهذا أمرٌ ثابتٌ ومشهور في كل الأمم والشعوب، ولا مجال لإنكاره . والحالاتُ التي تتعلَّق بالجن أو السِّحْر، لها تأثير سلبي على حياة الفرد والمجتمع. وعَالَمُ الإنس يختلف عن عَالَم الجِن ، وإذا حدث اختلاط بينهما، فإن اختلاف الخصائص الطبيعية لكل مِنهما سيُؤدِّي إلى نتائج كارثية . واليهودُ مشهورون بالتعامل مع الجِن والشَّياطين ، وتعاطي السِّحْر، لأنهم يعتقدون أنه سلاحهم السِّري الفعَّال والفتَّاك . ومَن يعمل في الظلام أقْدَر على إنجاز عَمَله . واليهودُ يتَّخذون مِن السِّحْر والتعامل معَ عَالَم الأرواح الشريرة وسيلةً للكسب المادي ، وتحقيق الأرباح ، وبسط سَيطرتهم على الآخرين كَي يَظَلُّوا تحت رحمتهم،خاضعين للاستغلال والابتزاز. ومِن أجل تحقيق هذا الهدف يرتكبون كُل أنواع الجرائم والآثام. وفي [أعمال الرُّسل ١٩ : ١٣]: ((وحاول بعضُ اليهود الجوَّالين الذين يحترفون طردَ الأرواح الشريرة ، أن يستغلوا اسمَ الرب يسوع ، قائلين : ((نطردك باسم يَسوعَ الذي يُبشِّر به بُولُس !)))) اهـ . هذا النصُّ الإنجيلي يُثبِت أن اليهود خُبَراء في السِّحْر ، ولَدَيهم باع طويل في التعامل مع الجن والشياطين . وهُم يَستغلون الدِّينَ واسمَ المسيح ، لتحقيق الأرباح والمكاسب وخداع الناس . وهذه تجارتهم القذرة المُحرَّمة .

ثالث عشر : الحَسَد

الحَسَدُ خَصْلَةٌ مَذمومةٌ ، وهو تمنّي زوال النِّعمة عن مُستحقِّها . أمَّا إذا تمنى الإنسانُ زوالَ النِّعمة عن غَير المُستحِق لها ، فلا يكون ذلك حَسَدًا .

والحسد من خِصال إبليس الرئيسية ، حيث حَسَدَ آدمَ ﷺ على ما أُعْطِيَ من الشرف والمكانة والكرامة ، وظَنَّ إبليسُ اللعين أن النارَ التي خُلِقَ منها أفضلُ مِن الطينِ الذي خُلِقَ منه آدمُ ﷺ.

وهذا يعني أن الحسد نابعٌ مِن قياسٍ خاطئ ومُقارنة غير صائبة . ولا يكون القياسُ صحيحًا إذا اختلفت العِلَّةُ ، لأن القياس الصحيح يتطلبُ ثبات العِلَّةِ وعدم اختلافها، كما أنه إذا سَقطت العِلَّةُ سَقط المَعْلُول ــ كما هو مُقَرَّرٌ في الأصول ــ .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِن أَهْلِ الكِتَابِ لَو يَرُدُّونَكُم مِن بَعْدِ إِيمَانِكُم كُفَّارًا حَسَدًا مِن عِندِ أَنفُسِهِم مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ ﴾ [البقرة : ١٠٩] [٢٢١].

هذا تحذيرٌ إلهيٌّ للمؤمنين مِن اليهود ، وبيان لعداوتهم ، وحسدهم للمؤمنين ، معَ عِلْمهم بأنهم على الحق ، وأن محمدًا نبيٌّ صادق ، ورسول مِن عند الله . والآيةُ تشتمل على توبيخ شديد لليهود ، فقد ظَهَرَ لهم الحقُّ ، وأُقِيمت عليهم الحُجَّة ، وانقطعَ عُذرُهم ، وعرفوا أن الإسلام حق ، وأن محمدًا عبد الله ورسوله . وبعد كُل هذا ، اختاروا الكفرَ على الإيمان عنادًا وحسدًا . ولم يَكتفوا بهذا، بل إن اليهود يَتَمَنَّوْنَ زوالَ نِعمة الإيمان عن المؤمنين . وهذا يدل على شِدَّة العداوة والحِقد والحسد والبغضاء. ومحبةُ اليهود لكُفر المؤمنين نابعة من شهوات أنفسهم وأهوائهم، لا أن اليهود يَملِكون الحق ، ويَحرِصون عليه . واليهودُ لم يكونوا جُهَّالًا أو ساذجين ، بَل كانوا على عِلْم ومعرفة ، وكُفْرُهم مبنيٌّ عَلى عِلْم لا جَهْل ، وهذا أسوأ أنواع الكُفر على الإطلاق .

فَإن كُنتَ لا تدري فَتِلْكَ مُصيبةٌ وإن كُنتَ تَدري فالمُصيبةُ أعظمُ

---

٢٢١ قال ابن الجوزي في زاد المسير(١/ ١٣١):((في سبب نزولها ثلاثة أقوال:أحدها أن حُيَي بن أخْطَب وأبا ياسر كانا جاهدَيْن في رد الناس عن الإسلام، فَنَزلت هذه الآية، قاله ابن عباس.والثاني أن كَعْب ابن الأشرف كان يَهجو النبيَّ ، ويُحَرِّض عليه كُفارَ قُرَيْش في شِعْره ، وكان المشركون واليهود من أهل المدينة يُؤذون رسولَ الله حِينَ قَدِمَها ، فأمرَ النبيُّ بالصَّفْح عنهم،فَنَزلت هذه الآية ، قاله عبد الله بن كعب ابن مالك،والثالث أن نَفَرًا من اليهود دَعَوْا حُذَيفةَ وعمَّارًا إلى دِينهم فأبَيَا ، فَنَزلت هذه الآية ، قاله مُقاتِل)).

تَمَنَّى اليهودُ لو يَرُدُّون المؤمنين إلى الكفر والضلال ، حسدًا نابعًا مِن أصل أنفسهم ، واتِّباعًا لأهوائهم ومصالحهم وشهواتهم ، وليس التزامًا بالدِّين ، أو بحثًا عن الحق واليقين، ولم يأمرهم اللهُ بذلك ، مِن بعد ما ظَهَرَ لليهود الحقُّ في التَّوراة ، التي تشتمل على صِفة محمد ﷺ ، وتُوضِّح أن الإسلام حَق ، ومحمدًا نبيٌّ صادق . والحسدُ مُتجذِّر في قلوب اليهود السَّوداء ، وقد تَمَنَّوْا أن يَرتد المؤمنون عن الإسلام، ويَعودوا إلى الكفر، وسَعَوْا في ذلك مُستخدمين كل الوسائل المُمكنة ، وخطَّطوا للمؤامرات والمكائد ، ولكنهم فشلوا . ثُمَّ بعد ذلك ، أعلنَ المؤمنون عليهم الجهادَ ، وانتصروا عليهم ، وخَسِرَ كثيرٌ مِن اليهود حياتهم ، وضاعت مُمتلكاتهم . وعلى الباغي تَدُور الدوائر . ومَن سَلَّ سَيْفَ البَغْي صُرِعَ بِه .

والحَسَدُ مِن أسوأ الصفات على الإطلاق ، وهو تمنِّي زوال النِّعمة عن المَحسود ، وإن لم يَصِرْ للحاسد مِثْلُها . أمَّا الغِبْطة فهي تمنِّي النِّعمة بدون حُب زوالها عن المَغبوط . وكُل شخص يُمكن أن يَرضى إلا الحاسد ، فإنه لا يَرضى إلا بزوال النِّعمة عَن غَيره . وقلبُ الحاسد مُحترق ، وعقله تائه ، وحُزنه دائم ، وتعاسته مُستمرة . والحاسدُ يَحرِق نَفْسَه بنفْسه ، ولا أحد يَشعر به .

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٢١٢) : ((يُحذِّر تعالى عبادَه المؤمنين عن سُلوك طريق الكُفار من أهل الكتاب ، ويُعْلِمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر ، وما هُم مُشتملون عليه مِن الحسد للمؤمنين معَ عِلْمهم بفضلهم وفضل نَبِيِّهم ... . عن ابن عباس قال : كان حُيَي بن أخْطَب وأبو ياسر بن أخْطَب مِن أشد يهود للعرب حسدًا ، إذْ خَصَّهم اللهُ برسوله ﷺ ، وكانا جَاهِدَيْن في رَد الناس عن الإسلام ما استطاعا ، فأنزلَ اللهُ فيهما : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِن أَهْلِ الكِتَابِ لَو يَرُدُّونَكُم ﴾ الآية ... . وقال الضَّحاك : عن ابن عباس : أن رَسولًا أُمِّيًّا يُخبِرهم بما في أيديهم مِن الكُتب والرُّسُل والآيات ، ثُمَّ يُصدِّق بذلك كُلِّه مِثل تصديقهم ، ولكنهم جَحدوا ذلك كُفْرًا وحسدًا وبَغْيًا. وكذلك قالَ اللهُ تعالى : ﴿ كُفَّارًا حَسَدًا مِن عِندِ أَنفُسِهِم مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ ﴾ . يقول : مِن بَعد ما أضاءَ لهم الحقُّ ، لم يَجهَلوا مِنه شيئًا ، ولكن الحسد حَمَلَهم على الجُحود ، فعيَّرهم ، ووبَّخهم ، ولامهم أشد المَلامة ، وشَرَعَ لِنَبِيِّه ﷺ وللمؤمنين ما هُم عليه مِن التصديق ، والإيمان ، والإقرار بما أنزلَ اللهُ عليهم ، وما أنزل مِن قَبْلهم ، بكرامته وثوابه الجزيل ومعونته لهم . وقال الربيع بن أنس : ﴿ مِن عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ مِن قِبَل أنفسهم . وقال أبو العالية: ﴿ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ ﴾ مِن بعد ما تَبَيَّنَ أن محمدًا رسول الله ، يَجدونه مَكتوبًا عندهم في التَّوراة والإنجيل ، فكفروا به حسدًا وبَغْيًا ، إذْ كان مِن غَيرهم ، وكذا قال قَتادة والربيع بن أنس)) اهـ .

إن صُدورَ اليهود تمتلئ بالحسد تجاه المؤمنين . وهُم مُتَلَبِّسون بالحسدِ بسبب قلوبهم المريضة وحُبِّها لِما هو قبيحٌ وكُرهها للحق. واليهودُ كانوا شديدي الحِرص على إرجاع المسلمين إلى عوالم الجاهلية والكفر . وهذا مرجعه إلى الحسد . فهم لا يريدون للآخرين أن يتمتعوا بِنِعمة الإيمان ، بل يَتَمَنَّوْنَ زوالَ هذه النِّعمة. وهذه الخَصْلَة الذميمة سببها كراهية الإنسان كإنسان، وتمنِّي زوال النِّعمة عنه ، وهذا اتجاه مُضاد للأُخُوَّة بين البشر بوصفهم من أصل واحد .

والحسد كسياسة منهجية هدفها تجريد الخصم من كل فضيلة ، والاستحواذ على النِّعم كاملةً لِيَسْهُل القضاء على الخصوم . وقد قادَ الحسدُ اليهودَ إلى الكفر بالنبيِّ محمد ﷺ ، بعد معرفتهم اليقينية بِصِدْقِه وصِحَّةِ نُبُوَّته [٢٢٢] . وروى الطبري في تفسيره (١/ ٤٥٤) عن ابن زَيد أنه قال : ((كانت يهود يَسْتَفْتِحُون على كُفار العرب يقولون : أمَا واللهِ لَوْ قد جاء النبيُّ _ الذي بشَّر به موسى وعيسى _ أحمدُ ، لكان لنا عليكم ! ، وكانوا يظنون أنه منهم ، والعرب حَوْلَهم ، وكانوا يستفتحون عليهم به، ويستنصرون به ، فلمَّا جاءهم ما عَرَفوا كَفروا به ، وحسدوه)) اهـ .

هذا يعكس خطورة اتِّباع الهوى المُضاد لاعتناق الحق، كما يدل على أن الحسد الذي يسيطر على اليهود في كل مراحل وجودهم يساهم بشكل فعَّال في صَرْفهم عن الحق . وهُم سعيدون بهذا طمعًا في تحقيق مصالح شخصية ، والحفاظ على مناصبهم . وهذا أبعدَهم عن البناء الحضاريِّ ، فاليهودُ لا يَمْلكون أيَّةَ حضارة ، وليس لهم أي دَور إيجابي في تاريخ البشرية . ومَن يُعارِض هذا الكلام عليه أن يُرِيَنا "آثار الحضارة اليهودية" كَي نَزورها ونستفيد منها!. واليهودُ يَسْتَوْلون على التراث الفلسطيني ومعالم الحضارة العربية الإسلامية ، ويُسَجِّلونها باسمهم في المنظمات الدولية لأنهم لا يَملكون حضارةً،لذلك يَخترعون حَضارةً وهمية لهم عَبر الاستيلاء على إنجازات الآخرين.

---

٢٢٢ الحسد نَوْعان : مذموم ومحمود. أمَّا المذموم فهو تمنِّي زوال النِّعمة عن المسلم . وهذا النَّوعُ حرامٌ بالإجماع . وقد ذمَّه اللهُ ووبَّخَ أصحابَه، فقال تعالى: ﴿ أم يَحْسُدون الناسَ على ما آتاهم اللهُ من فضله ﴾ [النساء : ٥٤]. والحسدُ المذموم اعتراض على إرادة الله تعالى ، وطعنٌ في حِكْمته ، واتِّهامٌ له سُبحانه بأنه يُعطي النِّعمة لغير المستحِق . أمَّا الحسدُ المحمود فهو الوارد في الحديث ، قال النبيُّ ﷺ : ((لا حَسَدَ إلا في اثنتَيْن : رَجلٌ آتاه اللهُ القرآنَ فهو يتلوه آناءَ الليل وآناء النهار ، ورَجلٌ آتاه اللهُ مالًا فهو يُنفقه آناءَ الليل وآناء النهار)) [متفق عليه . البخاري (٦/ ٢٧٣٧) ، ومسلم (١/ ٥٥٨)] . وهذا الحسدُ المحمود إنما هو الغِبْطة ، أي أن يتمنى المرءُ النِّعمةَ التي على غَيره ، مِن غَير زوالها عن صاحبها .

إن المشكلة الأساسية في عُقول اليهود ، هي اعتبار أنفسهم الأحق بالنُّبُوَّة من العرب ، وأنهم أَرْقى من العرب ، وأعلى منهم شأنًا . وتفكيرُ اليهود يتشابه إلى حد بعيد مع تفكير إبليس، حيث إن إبليس اعتبر نَفْسَه أفضل من آدم ﷺ ، وينبغي أن يَحصل على امتيازات خاصة متناسبة مع هذه الأفضلية المزعومة . واليهودُ اعتبروا أنفسهم أفضل من العرب، ويجب أن يَحصلوا على النُّبُوَّة ليتناسب ذلك مع مكانتهم الرفيعة المزعومة .

وبما أن الأمور قد تَمَّت ، وظَهرت النُّبوَّةُ في العرب بعد أن شَرَّف اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ بها ، لم يجد اليهود وزعماؤهم غير الحسد الذي يستلزم زوال النِّعمة عن الآخرين ، وحِياكة المؤامرات ، والتخطيط للمكائد ، وبذل الجُهود من أجل رَد الناس عن الإسلام . وقد صارت هذه الأفعال الدنيئة هي الغاية من وجود اليهود الذين أخذوا على عاتقهم محاربة الإسلام بكل الوسائل . وقد نصَّبوا أنفسهم أعوانًا للشيطان، وأعداءً للرحمن . وهذا يدل على الحقد الدفين الذي يَحرق قلوبَ اليهود ، ونار الحسد المُتأجِّجة في صدورهم . وقد صدق القائلُ :

كُلُّ العَداوةِ قد تُرْتجى إماتتُها ... إلا عَداوةَ مَن عَاداكَ مِن حَسَدِ

فإن في القلبِ مِنهَا عُقدةً عُقِدَتْ ... وليس يَفتحُها راقٍ إلى الأبـدِ

وقال الغزالي في الإحياء (٣/ ١٨٩) : ((اعلم أنه لا حسد إلا على نِعمة، فإذا أنعم اللهُ على أخيك بنِعمة فلك فيها حالتان : إحداهما أن تكره تلك النِّعمة وتحب زوالها ، وهذه الحالة تُسمَّى حسدًا . فالحسدُ حَدُّه كراهة النِّعمة وحُب زوالها عن المُنعَم عليه. الحالة الثانية : أن لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ، ولكن تشتهي لنفْسك مِثلها ، وهذه تُسَمَّى غِبْطة)) اهـ .

وقد قال أحد الحكماء: ما رأيتُ أعدل من الحسد، بدأ بصاحبه فقضى عليه .وصدقَ القائلُ :

اصْبِرْ على حَسَدِ الحسودِ ... فإنَّ صَبْرَكَ قَاتِـلُه

كالنارِ تأكلُ بَعْضَها ... إنْ لَم تَجِدْ ما تأكُلُه

وفي الحديث أن رسولَ الله ﷺ قال : ((إنَّ اليهودَ قَوْمٌ سَئِمُوا دِينَهُم ، وَهُم قَوْمٌ حُسَّد ، وَلَم يَحْسُدُوا المُسلمينَ على أفضلَ مِن ثلاث : رَدِّ السَّلام ، وإقامةِ الصُّفوف ، وقَوْلِهم خَلْفَ إمامهم في المَكتوبة : آمِين)) [٢٢٣] .

---

٢٢٣ رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٥/ ١٤٦) برقم (٤٩١٠) . وحسَّنه المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٩٤) . ووافقه الهيثمي في المجمع (٢/ ٢٨٨) .

إن اليهود مَلُّوا مِن دِينهم القائم على الأهواء والخُرافات والمصالح الشخصية والمنافع المادية، والحسد يحرق قلوبَهم ، ويُدمِّر حياتهم . وهُم يَحسُدون المسلمين على مظاهر وَحْدتهم وأُلْفتهم التي تتجلَّى في شعائر دِينهم وصلاتهم .

واليهودُ يَتَمَنَّوْنَ زوالَ النِّعمة عن المُسلمين ، لأنهم يَعلمون أن المسلمين على الحق ، لذلك يَحسُدونهم على رد السلام ، لأن فيه دَلالة واضحة على تماسك المجتمع الإسلاميِّ ، ومَتانة العلاقة بين المسلمين ، ووَحدة صَفِّهم . ويَحسُدونهم على إقامة الصُّفوف في الصلاة ، لأنه دليل الإيمان والانضباط والقُوَّة والوَحْدة والتماسك والتعاون . ويَحسُدونهم على قَولهم خلف الإمام في الصلاة المفروضة : آمِين ، لأن كلمة " آمِين " دُعاء خالص لله تعالى بالاستجابة بعد قراءة سُورة الفاتحة أعظم سُورة في القرآن ، والتي لم يَنْزِل مِثْلُها في كُلِّ الكُتب السماوية السابقة .

ورفضُ الدِّين هو المُحرِّك الأساسيُّ للحسد . وهذا يدل على أن اليهود يعيشون بلا وازع ديني ولا رادع أخلاقي . وحسدهم عام وشاملٌ إلا أنه يتمحور بشكل خاص حول ثلاثة أمور وضَّحها الحديثُ ، تُشكِّل ظواهرَ الوَحدة والتماسك والتكافل في المجتمع الإسلاميِّ المترابط . وهذا يُشير إلى حِرص اليهود على تفريق المسلمين وتشتيتهم وتمزيق مُجتمعهم،وَفْق قاعدة "فَرِّقْ تَسُدْ"، كي تَخْلُوَ لهم السَّاحة، ويعيثوا في الأرضِ فسادًا دون حساب أو عقاب ، حَسَب رؤيتهم القاصرة.

وعن عائشة : عن النبيِّ ﷺ قال : ((ما حسدتكم اليهودُ على شَيء ما حسدتكم على السلام والتأمين)) [٢٢٤] . هذا يدل على أن اليهود يَحسُدون المسلمين على شعائر دِينهم ، وخُصوصيات المسلمين ، كما يدل على أن اليهود يُدرِكون أن اليهودية ديانة أرضية بشرية باطلة ، وأن الإسلام هو الحق والدِّين السماويُّ الوحيد . والسلامُ تحية أهل الجَنَّة . والتأمينُ قَول " آمين " أي : اللهُمَّ اسْتَجِبْ. وقال الحافظ في الفتح (١١/ ٤):((وهو يدل على أنه شُرِعَ لهذه الأُمَّة دُونَهم)) اه .

وفي الحديث أن النبيَّ ﷺ قال عن اليهود : ((إنهم لا يَحسُدونا على شَيء ، كما يَحسُدونا على يوم الجُمُعة ، التي هدانا اللهُ لها وضَلُّوا عنها ، وعلى القِبْلة التي هدانا اللهُ لها ، وضَلُّوا عنها ، وعلى قَولنا خلف الإمام : آمِين)) [٢٢٥] .

---

٢٢٤ رواه ابن ماجة في سُننه (١/ ٢٧٨) ، وقال في الزوائد : ((هذا إسناد صحيح ، ورجاله ثقات)).

٢٢٥ رواه أحمد في مُسنده (٦/ ١٣٤) . وقال الْمُناوي في فَيض القدير (٥/ ٤٤١) : ((قال العراقي : هذا حديث صحيح)) .

إن اللهَ فَرَضَ على اليهود يوم الجُمُعة ، فاختلفوا فيه ، وتركوه ، واختاروا السَّبْت . وقد خَذلهم اللهُ ، وهدى المسلمين إلى يوم الجُمُعة ، الذي ضَلَّ عنه اليهود . وفَرَضَ الله على اليهود التَّوَجُّهَ إلى الكعبة ، فتركوها ، وضَلُّوا عنها، وهدى اللهُ المسلمين لها . واختصَّ اللهُ المسلمين (الأُمَّة المُحمَّدية) بقول : آمِين ، خلف الإمام ، ولَم يَمنح هذا الشرف لليهود المغضوب عليهم . واليهودُ يَحسُدون المسلمين على هذه الأُمور الثلاثة التي تُوحِّد المسلمين ، وتُعْلي شَأنَهم وقَدْرَهم.

إن الأُمَّة المُحمَّدية الإسلامية آخِر الأمم زمنيًّا ، لكنها الأُمَّة الأُولَى يوم القيامة ، وسابقة لجميع الأمم الماضية . وقد حازت قَصَبَ السَّبْق ، بأن حصلت على فضيلة يوم الجُمُعة السابق للسَّبْت (عيد اليهود) والأحد (عيد النصارى) . كما أنها سابقة إلى طاعة الله التي حُرِمَ منها اليهودُ والنصارى . وقد هَدى اللهُ الأُمَّة المُحمَّدية إلى يوم الجُمُعة مع تأخُّرها في الزمن ، في حِين أن اليهود والنصارى ضَلُّوا عنه ، معَ أنهم سابقون زمنيًّا . والطريقُ لِمَن صَدَقَ لا لِمَن سَبَق .

والأُمَّةُ المُحمَّدية حصلت على فضل التَّوَجُّه إلى الكعبة (القِبلة التي تُوحِّد المسلمين في المشارق والمغارب) ، في حِين أن اليهود والنصارى حُرِمُوا مِن هذا الفضل ، ولم يُمنَحوا هذا الشرف . والأُمَّة المُحمَّدية تقول خلف الإمام : آمِين (اللهم استجب) . وهذا الفضل حُرِمَ مِنه اليهود والنصارى . وفي هذا دَلالة واضحة على تفوُّق الأُمَّة المُحمَّدية على سائر الأُمم بلا استثناء. والأُمَّة المُحمَّدية حصلت على هذا الفضل العظيم والشرف الجليل ، لأنها قَبِلَتْ كلامَ الله ، بلا تحريف ولا تبديل ولا تغيير ولا تلاعب ، وسارعت إلى عبادة الله وَحْدَه بلا شريك ، وأقبلت على طاعة الله ، والتزمت أوامرَه ، واجتنبت نَوَاهيه ، فكافأها اللهُ ، وعظَّم قَدْرَها ، وشرَّف مكانتها ، وأعلى شأنها في الدُّنيا والآخرة ، وَطَرَدَ اليهودَ والنصارى مِن رحمته ، ولعنهم ، لأنهم حرَّفوا التَّوراةَ والإنجيلَ ، وأشرَكوا بالله تعالى ، واختاروا الكفرَ على الإيمان ، واعتنقوا الضلال ، ورفضوا الهداية.

وعن سَلَمة بن سلامة بن وَقْش _ وكان من أصحاب بَدْر _ قال : كان لنا جارٌ من يهود في بني عبد الأشْهَل ، قال : فخرجَ عَلينا يَوْمًا مِن بَيته قَبْلَ مَبْعَث النبيِّ ﷺ بيسير ، فوقفَ على مجلس عبد الأشهل ، قال سَلَمة : وأنا يومئذٍ أحدثُ مَن فيه سِنًّا عليَّ بُرْدة مُضْطَجِعًا فيها بِفِناء أهلي ، فَذَكَرَ البعثَ والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار ... فقال ذلك لِقَوْمٍ أهل شِرْك أصحاب أوثان ، لا يَرَوْنَ أن بَعْثًا كائن بعد الموت ، فقالوا له : وَيْحَكَ يا فُلان ، تَرى هذا كائنًا أن الناس يُبْعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يُجْزَوْنَ فيها بأعمالهم ؟، قال : نعم ، والذي يُحْلَف به ، لَوَدَّ أنَّ له بحَظِّه من تلك النار أعظمَ تَنُّور في الدنيا يُحمونه ثم يُدخلونه إيَّاه فَيُطْبَق به

عليه ، وأنْ يَنجوَ من تلك النار غدًا . قالوا له : وَيْحَك، وما آيةُ ذلك ؟، قال: نبيٌّ يُبعَث من نحْوِ هذه البلاد ، وأشارَ بيده نحو مكة واليمن ، قالوا : ومتى تراه ؟ ، قال : فنظرَ إِلَيَّ وأنا مِن أحْدَثِهم سِنًّا ، فقال : إنْ يَسْتَنْفِدْ هذا الغلامُ عُمُرَه يُدْرِكْه . قال سَلَمة : فوالله ما ذَهَبَ الليلُ والنهار حتى بَعَثَ اللهُ تعالى رسولَه ﷺ ، وهو حَيٌّ بين أظْهُرِنا ، فآمَنَّا بِه، وَكَفَرَ به بَغْيًا وحَسَدًا ، فَقُلْنا : وَيْلَكَ يا فُلان ، ألستَ بالذي قُلْتَ لنا فيه ما قُلْتَ ، قال : بلى ، ولَيْسَ بِه [٢٢٦] .

هذا يدل على أن اليهود كان لَدَيهم عِلْم ومعرفة بالنبيِّ محمد ﷺ قبل ظُهوره ، إذ إن صفته موجودة في كُتبهم الدينية ، وهُم على اطِّلاع عليها . ولكنهم كانوا يأملون أن يكون مِنهم ، وليس مِن غَيرهم ، فلمَّا ظَهَرَ مِن العرب كفروا بِه ، وجَحدوا نُبُوَّتَه ورسالته ، بَغْيًا وحَسَدًا . واليهودُ كانوا يَنظرون إلى العرب باعتبارهم جماعات بدوية مُتخلِّفة وبدائية وهمجية ، وكانوا يَعتبرون أنفسَهم شعب الله المُختار ، وصَفوة الله مِن خَلْقه ، والأحق بالنُّبُوَّة والرسالة وتلقِّي وَحْي السماء . لذلك ، أنكروا كُل فضيلة للعرب ، وكفروا بالنبيِّ محمد ﷺ لأنه عربيٌّ ، وليس مِن بني إسرائيل ، معَ عِلْمهم التام بصِدْقه وصِحَّة نُبُوَّته . وكُفْرُ اليهود قائم على العِلْم والمعرفة ، ولم يَكونوا جُهَّالًا أو ساذجين، ولكن الحسد حَمَلَهم على الكفر والضلال وتكذيب آيات الله ، وجَحْد نُبُوَّة محمد ﷺ .

((وروى يعقوب بن سُفيان بإسناد حسن عن عائشة ، قالت : كان يهوديٌّ قد سكن مكة ، فلمَّا كانت الليلةُ التي وُلِدَ فيها النبيُّ ﷺ قال : يا مَعْشَرَ قُرَيْش ، هل وُلِدَ فيكم الليلةَ مَوْلود ؟ ، قالوا : لا نَعْلَم ، قال : فإنه وُلِدَ في هذه الليلة نبيُّ هذه الأُمَّة ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلامة ، لا يَرضع ليلتَيْن لأنَّ عِفْريتًا مِنَ الجِنِّ وَضَعَ يده على فمه، فانصرَفوا فسألوا، فقِيل لهم : قد وُلد لعبد الله بن عبد المُطَّلب غُلامٌ ، فذهبَ اليهوديُّ معهم إلى أُمِّه فأخْرَجَتْهُ لهم ، فلمَّا رأى اليهوديُّ العَلامَةَ خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْه ، وقال : ذَهَبَت النُّبُوَّةُ مِن بني إسرائيل، يا مَعْشَرَ قُرَيْش ، أمَا واللهِ لَيَسْطُوَنَّ بكم سَطْوَةً يَخرج خَبَرُها مِن المَشرِق والمَغرِب)) [٢٢٧] .

كان اليهودُ على عِلْم ومعرفة بمَبعَث النبيِّ محمد ﷺ ، وكانوا يَنتظرون أن يَخرُج مِن بني إسرائيل، فلمَّا خَرَجَ مِن العرب، أُسْقِط في أيديهم، واحترقت قلوبُهم بالحِقد والحسد ، وهذا سبب كُفرهم . وإذا كان اليهودُ قَد قَتلوا كثيرًا مِن أنبياء بني إسرائيل ، فماذا سَيَفعلون معَ النبيِّ العربي؟.

---

٢٢٦ رواه أحمد في مسنده(٣/٤٦٧).قال الحافظ في الفتح(٦/٥٨٣):((صحَّحه ابن حِبَّان من طريقه)).

٢٢٧ أورده الحافظ في الفتح (٦/ ٥٨٣) .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ أَم يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ فَقَد آتَينا آلَ إبراهيمَ الكِتابَ والحِكمةَ وآتَيناهُم مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النِّساء : ٥٤] [228] .

حَسَدَ اليهودُ النبيَّ محمدًا ﷺ على النُّبُوَّة والرسالة وتلقِّي وَحْي السماء ، وحَسدوا أصحابَه على نِعمة الإيمان والهدى والمجد والعِزَّة والنَّصْر والتمكين في الأرض ، وحَسدوا العربَ لأن النُّبُوَّة ظَهَرَتْ فِيهم وخَرَجَتْ من بني إسرائيل . وقد شرَّف اللهُ محمدًا ﷺ بالنُّبُوَّة ، وأعلى قَدْرَه وشَأنَه ، وفضَّله على سائر المخلوقات، وشرَّف العربَ بأن اختارَ مِنهُم أعظمَ أنبيائه على الإطلاق ، ولم يَخْتَرْه مِن بني إسرائيل ، وهذا سبب حِقد اليهود وحسدهم للنبيِّ مُحمَّد ﷺ وللمؤمنين .

وقال ابنُ كثير (١/ ٦٨٣): ((يعني بذلك حَسَدَهم النبيَّ ﷺ على ما رزقه اللهُ مِن النُّبُوَّة العظيمة . ومَنَعَهُم من تصديقهم إيَّاه حسدُهم له، لكَوْنه من العرب، وليس من بني إسرائيل)) اهـ .

وقال الواحدي في الوجيز (١/ ٢٦٩) : ((حَسدت اليهودُ محمدًا عليه السلام على مَا آتاه مِن النُّبُوَّة ، وما أباحَ له مِن النِّساء ، وقالوا : لو كان نبيًّا لشغله أمرُ النُّبُوَّة عن النساء)) اهـ .

وعن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ : قَوْلُه : ﴿ أَم يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ ، قال ابن عباس : ((نَحْنُ الناس ، دُونَ الناس)) [229] .

والمقصود بالآية ﴿ أَم يَحْسُدُونَ النَّاسَ ﴾ هو النبيُّ محمد ﷺ ، وهذا مِن باب تسمية الخاص باسم العام ، إشارة إلى أن النبيَّ محمدًا ﷺ جُمِعَت فيه كَمَالات الأوَّلين والآخِرين وفضائلهم .

---

٢٢٨ قال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١٠٩و١١٠) : ((سبب نزولها أن أهل الكتاب قالوا : يَزْعُم محمد أنه أُوتِيَ ما أُوتِيَ في تواضع وله تِسْعُ نِسْوة ، فأيُّ مُلْكٍ أفضلُ من هذا ؟ ، فَنَزلت ، رواه العَوفي عن ابن عباس . وفي : ﴿ أَم ﴾ قَوْلان : أحدهما أنها بمعنى ألف الاستفهام ، قاله ابن قُتَيبة. والثاني بمعنى بَل ، قاله الزَّجاج ... والحاسدون هاهنا اليهود . وفي المراد بالناس هاهنا أربعة أقوال : أحدها النبيُّ ﷺ ، رواه عطية عن ابن عباس ، وبه قال عِكْرِمة ومجاهد والضَّحاك والسُّدي ومُقاتِل . والثاني : النبيُّ ﷺ وأبو بكر وعُمر ، رُوِيَ عن عليٍّ بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ. والثالث : العرب ، قاله قتادة . والرابع : النبيُّ والصَّحابة ، ذَكَره الماوَردي . وفي الذي ﴿ آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ ثلاثة أقوال : أحدها : إباحة الله تعالى لِنَبِيِّه أن يَنْكِحَ ما شاء من النساء مِن غَير عدد، رُوِيَ عن ابن عباس والضَّحاك والسُّدي . والثاني أنه النُّبُوَّة ، قاله ابن جُرَيج والزَّجاج ، والثالث : بِعْثة نبيٍّ مِنهم ، على قَوْل مَن قال : هُم العرب)) .

٢٢٩ رواه الطبراني(١١/ ١٤٦).وقال الهيثمي في المجمع(٧/٦٢):((وفيه يحيى الحِمَّاني وهو ضعيف)).

إن ظُهُورُ النبيِّ محمد ﷺ من العرب مَلأ صُدورَ اليهود غَيْظًا وحِقْدًا ، فَتَمَنَّوْا زوالَ نِعمة النُّبُوَّة عَن محمد ﷺ وقَومِه. وهذا الحسدُ دفعهم إلى تكذيب الدعوة الإسلامية ، وعدم تصديق القرآن ، واكتفائهم بالتوراة ومُوسى ﷺ_على حَد زَعْمهم_. مع أنهم في حقيقة الأمر يسيرون ضد موسى ﷺ والكتابِ الذي جاء به. والكفرُ بمحمد ﷺ هو كفرٌ بجميع الأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ . والنُّبُوَّةُ بِناءٌ مُتكامل أسَّسه اللهُ تعالى في الأرض لهداية الضائعين إلى الطريق المستقيم ، واللهُ تعالى يُساعد عِبادَه حُبًّا لهم ، وتفضُّلًا عليهم ، وإحسانًا إلَيهم ، وهو سُبحانَه غنيٌّ عنهم ، ولا يحتاجهم.

﴿ فَقَد آتَينا آلَ إبراهيمَ الكِتابَ والحِكمةَ وآتَيناهُم مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ . حَسَدُ اليهودِ غير منطقي ولا مُبَرَّر ، فاللهُ أعطى أسلافَ اليهود مِن ذُرِّية النبيِّ إبراهيم ﷺ النُّبُوَّةَ ، وأنزلَ عليهم الكُتبَ ، وجَعَلَ مِن بني إسرائيل أنبياء ومُلُوكًا ، وجَمَع النُّبُوَّةَ والمُلْكَ العظيم لداود وسُلَيمان _ عليهما الصلاة والسلام _ وكِلاهما مِن أنبياء بني إسرائيل . فلماذا يَخُصُّ اليهودُ محمدًا ﷺ بالحسد دُون غَيره مِمَّن أنعمَ اللهُ عليهم ؟ . والآيةُ توبيخٌ شديد لليهود بسبب الحسد ، ورَد عليهم ، وفضح لباطلهم ، وإلزام لهم بما عرفوه من فضل الله على آل إبراهيم وبني إسرائيل . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ١١١) : ((قَوله تعالى : ﴿ فَقَد آتَينا آلَ إبراهيمَ الكِتابَ ﴾ يعني التوراة والإنجيل والزَّبُور ، كُلُّه كان في آل إبراهيم ، وهذا النبيُّ مِن أولاد إبراهيم. وفي الحِكمة قَولان : أحدهما النُّبُوَّة ، قاله السُّدي ومُقاتل . والثاني الفِقه في الدِّين ، قاله أبو سليمان الدمشقي . وفي المُلْك العظيم خمسة أقوال : أحدها مُلْك سُلَيمان ، رواه عطية عن ابن عباس . والثاني مُلْك داود وسُلَيمان في النساء ، كان لداود مائة امرأة، ولسليمان سبعمائة امرأة وثلاثمائة سُرِّية ، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال السُّدي. والثالث النُّبُوَّة، قاله مجاهد. والرابع التأييد بالملائكة ، قاله ابن زيد في آخرين . والخامس الجَمْع بين سياسة الدنيا وشَرْع الدِّين، ذَكَرَه الماوردي)) .

إن اليهود يَحسُدون النبيَّ محمدًا ﷺ على النُّبُوَّة وكثرة نسائه ، وهذا أمرٌ غير منطقي ولا معقول ، فاللهُ اتَّخذَ إبراهيم خليلًا ، وأعطاه مُلْكًا عظيمًا ، وكَلَّم مُوسى تكليمًا ، وأنزلَ عليه التَّوراة، واختارَ عيسى ، وأنزلَ عليه الإنجيلَ ، وجَعله يُحيي الموتى ويُبرِئ الأعمى والأبرص بإذن الله ، وأعطى داود مُلْكًا عظيمًا ، وأنزلَ عليه الزَّبُور ، وألانَ له الحديد ، وسخَّر له الجبال ، وكان لديه مائة امرأة ، وأعطى سُلَيمان مُلْكًا عظيمًا لا ينبغي لأحدٍ مِن بَعْده ، وسخَّر له الجِن والإنس والشياطين والرياح، وكان لديه ألف امرأة ، واختصَّهم اللهُ جميعًا بالنُّبُوَّة والرسالة . ثُمَّ بعد كُل هذا، يَحسُد اليهودُ النبيَّ محمدًا ﷺ على النُّبُوَّة وتعدُّد الزَّوجات ! . هذا يدل على ضلال اليهود .

وفي تفسير القرطبي (٥/ ٢٤١) : ((فإذا كان في النظر والمَس نوع من قضاء الشهوة ، قَلَّ الجِمَاع ، والمُتَّقي لا ينظر ولا يَمَسُّ ، فتكون الشَّهوة مجتمعة في نفْسه ، فيكون أكثر جِماعًا . وقال أبو بكر الوراق : كُل شَهوة تُقسِّي القلبَ إلا الجِمَاع ، فإنه يُصفِّي القلبَ ، ولهذا كان الأنبياء يَفعلون ذلك)) .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ ما كانَ على النَّبِيِّ مِن حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ في الذينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وكانَ أمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقدُورًا ﴾ [الأحزاب : ٣٨] . لا إثْمٌ ولا عِتابٌ على النبيِّ ﷺ في قضية تعدُّد الزَّوجات. فقد أباحَ اللهُ له ذلك، وهذا لا يَطْعَن في النبيِّ ﷺ ولا يُسِيء إلَيه،فهو يُمارس حَقَّه الطبيعيَّ بالحلال. فلا يَعتدي على حُرُماتِ الله،ولا يُقيم علاقةً مع امرأةٍ بالحرام. لقد تَزَوَّجَ النبيُّ ﷺ النِّساءَ ، وكُلُّ امرأةٍ تزوَّجها لِحِكمة ، وكَوَّنَ عائلاتٍ صالحة ، وعاملَ المرأةَ باحترام ، وأقامَ العلاقاتِ الزَّوجية وَفْقَ أحكامِ الشريعة ، وكانت حياتُه قائمةً على الشَّرف والإخلاص والأخلاق الفاضلة . كما أنَّ قضية جِمَاع النِّساء لا تَطْعَن في النبيِّ ﷺ ، فهو إنسان لَدَيه طاقة جنسية ومشاعر وأحاسيس كأيِّ رَجل آخر ، وليس رَجلاً آليًّا ، ولا مَلَكًا . واليهودُ يُحاولون جاهدين الطعنَ في النبيِّ ﷺ بسبب تعدُّد زَوجاته ، وكثرةِ النِّكاح. وهذه مُحاولة بائسة لِتَشويه صُورة النبيِّ ﷺ ، وتقديمه كَرَجل شهوانيٍّ لا هَمَّ له إلا النِّساء . وقد كان اليهودُ يقولون : لو كان محمدًا نبيًّا ، لَشَغَله أمرَ النُّبُوَّة عن النساء . وهذا وَهْمٌ كبير وضلال بيِّن . لقد كانت حياةُ النبيِّ ﷺ شديدة الخشونة ، ولَم يَكن مَلِكًا عائشًا في القصور بن الخدَم والجواري. لقد قضى حياته في سبيل نشر الدَّعوة الإسلامية ، والجهادِ بالكلمة والسَّيف لإعلاء راية التَّوحيد . وهذا لا يَتعارض مَعَ كَوْنِه رَجُلًا مُكتمِل الرُّجولة ، وَزَوْجًا صَالِحًا وقَوِيًّا وقادرًا على إشباع زَوجاته عاطفيًّا وجسديًّا . فَلَم يَكن زَوْجًا عاجزًا جِنسِيًّا ، أو أبًا ضَعيفَ الشَّخصية . والقُدرة على الجِمَاع صِفة مَدْح لا صِفة ذَم ، وهي تدل على كمال رُجولة الزَّوْج وفُحولته . إن النبيَّ محمدًا ﷺ هو المَثَلُ الأعلى والقُدوة السَّامية في الرُّجولة والفُحولة ، واحترام المرأة، وتكوين العائلات الصالحة ، وتربية الأبناء بشكل سليم . والنبيُّ ﷺ لَم يَجِئ بشيء غريب ، ولَم يَكن حالةً شاذةً. فهذه سُنَّة اللهِ في الأنبياء السابقين ، حيث وَسَّعَ اللهُ عَلَيهم في قضية النِّكاح. والحَرَجُ منفيٌّ عن الأنبياء فِيما أباحَ اللهُ لهم. وكان أمرُ اللهِ قضاءً مَقْضِيًّا ، وحُكْمًا قَطْعِيًّا ، وواقعًا لا مَحالة ، فما شاءَ كان ، وما لَم يَشَأ لَم يَكُن .

وقال القرطبي في تفسيره (١٤/ ١٧٢): ((قَوْلُه تعالى: ﴿ سُنَّةَ اللهِ في الذينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ﴾ هذه مُخاطبة من الله تعالى لجميع الأُمَّة، أعْلَمَهم أنَّ هذا ونَحْوَه هو السُّنَن الأقدم في الأنبياء ، أن

يَنالوا ما أحَلَّه لهم، أي سَنَّ لمحمد ﷺ التَّوسعة عَلَيه في النِّكاح سُنَّةَ الأنبياء الماضية كداود وسُلَيمان)) اهـ . وهذان النَّبِيَّان العظيمان (داود وسُلَيمان) من أنبياء بني إسرائيل . فإذا كان اليهود يَطْعَنون في النبيِّ محمد ﷺ بسبب كثرة نِسائه ، مُحاولين التَّشكيك فِيه ، وهدم الدَّعوة الإسلامية. فَلْيَدْرُسوا حياةَ أنبياء بني إسرائيل ، الذين يَنْسُب اليهودُ أنفسَهم إلَيهم كَذِبًا وزُورًا .

والجديرُ بالذِّكر أن الحسدَ هو أوَّل ذَنْب عُصِيَ اللهُ بِه في السماء وفي الأرض . فأمَّا في السماء فقد حَسَدَ إبليسُ آدمَ ﷺ، ورفَضَ السُّجودَ له مُعْتَقِدًا أنه أفضل مِنه . وأمَّا في الأرض فقد قَتَلَ قابيلُ أخاه هابيلَ حَسَدًا له .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ ما مَنَعَكَ ألا تسجدَ إذ أمرتُكَ قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقتَه من طين ﴾ [الأعراف : ١٢] .

سَأَلَ اللهُ إبليسَ ــ وهو أعلم ــ عن سبب عدم سُجوده لآدم ﷺ، وعدم امتثاله لأمر الله تعالى ، فردَّ إبليسُ أقبحَ رَد ، إذ اعتقد أنه الفاضل (مخلوق ناريٌّ) وأن آدم ﷺ هو المفضول (مخلوق طِينيٌّ) ، وأنه ــ أي إبليس ــ هو الأعلى مكانة ، فلا يَسجد للأدنى مكانة (آدم ﷺ) وذلك حَسَبَ نظرته القاصرة ، وقياسه الباطل . حيث احتكم إلى عقله المحدود ، وقدَّمه على الأمر الإلهيِّ . وإبليسُ أوَّلُ مَن قاسَ ، ولكنَّ قِياسَه كان مَبْنِيًّا على الباطل لا الحق .

وقال ابنُ كثير في تفسيره (٢/ ٢٧٢) : ((فالشيطانُ أَبلسَ من الرحمة ، أي أَيِسَ من الرحمة، فأخطأ ــ قبَّحه اللهُ ــ في قِياسه ودَعْواه أن النار أشرف من الطين أيضًا ، فإن الطين من شأنه الرَّزانة والحِلْم والأناة والتثبُّت ، والطين محل النبات والنمو والزيادة والإصلاح، والنارُ من شأنها الإحراق والطَّيش والسرعة . ولهذا خانَ إبليسَ عُنْصُرُه. ونفعَ آدمَ عُنْصُرُه بالرجوع والإنابة والاستكانة والانقياد والاستسلام لأمر الله والاعتراف وطلب التَّوبة والمغفرة)) اهـ .

وأمَّا في الأرض ، فقد قَتَلَ قابيلُ أخاه هابيلَ حَسَدًا له . وقد صدقَ القائلُ :

ألا قُلْ لِمَن ظَلَّ لِي حَاسدًا ... أتدري على مَن أسأتَ الأدب
أسأتَ على الله في حُكْمِه ... إذا أنتَ لم تَرْضَ لي ما وَهَب

وعن أنسٍ ــ رضي اللهُ عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : ((الحسدُ يأكل الحَسناتِ ، كما تأكل النارُ الحطبَ)) [٢٣٠] .

---

٢٣٠ رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد(٢/ ٢٢٧).وحسَّنه العراقي في تخريج الإحياء(١/ ٣١).

إن الحسد يَقضي على الحسناتِ ويُبيدها ، فهو نارٌ مشتعلة تلتهم الأفعالَ الصالحة التي فعلها الإنسانُ . وحِين يوضع العَفَنُ في بيئة نظيفة ، فسوف يتمدَّد ويتكاثر حتى يُسيطر على تلك البيئة. وكذلك الحسد حين يستوطن في القلوب ، فإنه يأكل الحسناتِ ، كما تأكلُ النارُ الحطبَ، وتجعله أثرًا إثْر عَيْن. وروى ابن حِبَّان في صحيحه(١٠/ ٤٦٦): عن أبي هريرة _ رضي اللهُ عنه _ أن رسول الله ﷺ قال:((... ، ولا يَجتمعُ في جَوْفِ عبدٍ الإيمانُ والحسدُ)) . هذا يدل على أن الإيمان والحسد ضِدَّان لا يَجتمعان، ونقيضان لا يَلْتقيان، لأن الإيمان قائم على المحبة والأخلاق الحميدة ، أمَّا الحسد فقائم على الحِقد والكراهية . ومِن المُستحيل اجتماعهما في قلب العبد.

وفي [مَرْقُس ١٥ : ١٠] : ((لأنَّهُ عَلِمَ أنَّ رؤساءَ الكَهَنةِ كانوا قد سَلَّموه عن حَسَد)) .

وَفْق هذا النص الإنجيليِّ ، عَلِمَ بِيلاطُس أن علماء اليهود سلَّموا المسيحَ عَن حَسَد . لقد حسدوا المسيحَ ، وتَمَنَّوْا زَوالَ النِّعمة عنه ، وسَعَوْا جاهدين للتخلُّص مِنه ، بعد عَجْزهم عن مُواجَهته بالأدلة والبراهين ، وعدم قُدرتهم على الحوار معه وَفْق منهجية مُقارَعة الحُجَّة بالحُجَّة . والإنجيلُ يُثبِت صفة الحسد على اليهود ، مع الانتباه إلى أن اليهودَ لم يقبضوا على السيد المسيح ﷺ ، ولم يُسَلِّمُوه إلى أي جهة ، لأن اللهَ حَمَى المسيحَ مِن شَر اليهود ، وأنقذه مِنهُم .

والحسدُ صِفة ذميمة ، والحاسد مَذموم ، وقلبه مَهموم . وللحسد عواقب وخيمة ، وحِين يَضرب قلبَ الإنسان يُعميه ويُدمِّره ، وفي كثير من الأحيان يُؤدِّي الحسدُ إلى الخيانةِ والجريمة . وقد كان الحسدُ مِن أبرز أسباب خيانة يهوذا الإسخريوطيِّ للمسيح. ففي [مَتَّى ٢٦: ١٥و١٦]: ((وقالَ: كَم تُعطونني لأُسَلِّمه إلَيكم ؟ . فوَزَنوا له ثلاثينَ قِطعةً منَ الفِضَّة . ومن ذلك الوقتِ أخذَ يهوذا يتحيَّن الفُرصةَ لتسليمه)) اهـ . الحسدُ والطمعُ وجهان لعُملة واحدة ، ويَدفعان إلى ارتكاب الجرائم مُقابل عَرَض دُنيوي زائل . وكَم مِن خائن أقدمَ على الجريمة بسبب الحسد ، إذْ إنه يَرى نَفْسَه أهْلًا للمجد والأحق بالعَظَمَة ، ويرى الآخرين مُجرَّد أشخاص عاديين لا يستحقون الحياة .

وفي [مَتَّى ٢٦ : ٤٧] : ((وفِيما هو يتكلَّم ، إذا يَهُوذا ، أحدُ الاثنَي عَشَرَ ، قد وَصَلَ ومعه جَمْعٌ عظيمٌ يحمِلونَ السُّيوفَ والعِصِيَّ ، وقد أرسلَهم رُؤساءُ الكَهَنةِ وشيوخُ الشَّعب)) .

وَفْق هذا النص الإنجيليِّ ، بينما كان يتكلَّم المسيحُ ، وَصَلَ يَهُوذا الخائن ومعه عِصابة مِن المجرمين يحمِلون السُّيوفَ والعِصِيَّ ، وقد أرسلهم علماءُ اليهود للقبض على المسيح .

واللهُ تعالى حَمَى المسيحَ مِن غَدْر اليهود وحسدهم وإجرامهم ، ولم يَقْدِروا على إيذائه ، ولَم يقتلوه ، ولَم يَصلبوه . ورَفَعَ اللهُ المسيحَ إلى السماء حيًّا ، وصُلِبَ شبيهُ المسيح .

ومِن أبرز مظاهر حسد اليهود للعرب ، أنهم يَعتبرون الذبيح إسحاق لأنه أبو اليهود ، مَعَ عِلْمهم أن الذبيح إنما هو إسماعيل أبو العرب . وهذا ثابتٌ في القُرآن والتَّوراة معًا . وقَد حسدوا العربَ على هذه الفضيلة ، وجرَّدوهم مِنها ، ونسبوها إلى اليهود (بني إسرائيل) .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ فَبَشَّرْناها بإسحاقَ وَمِن وَراءِ إسحاقَ يَعقوبَ ﴾ [هُود : ٧١] .

هذا وعدٌ إلهيٌّ لا يتخلَّف ، وقد حَدَثَ على أرض الواقع . والقصة باختصار : عندما وُلِدَ لإبراهيم إسماعيل مِن هَاجَر، تمنَّت سارة أن يكون لها ابن، واستبعدت ذلك لِكِبَر سِنِّها ، فبشَّرها اللهُ بولد (إسحاق) يكون نبيًّا ، ويلد نبيًّا (يَعقوب) . وهذه بِشارة إلهية لها بأن ترى ابنَ ابنها.

وبعد هذه البِشارة الإلهية العظيمة ، لا يُعقَل ولا يَجوز أن يَأمر اللهُ إبراهيم بذبح ابنه إسحاق وهو صغير ، لأن الله وَعَدَ _ ووعده حق وصِدق _ بأن إسحاق سيعيش ، ويتزوَّج ، ويُنجِب ، ويَكون له نَسْل . فكيف يُمكن بعد هذا أن يُؤمَر بذبحه صغيرًا ؟! .

وفي تفسير الطبري (١٠ / ٥١٠) : ((عن محمد بن كَعْب القُرَظي أنه حدَّثهم أنه ذَكَرَ ذلك لعُمر بن عبد العزيز ، وهو خليفة إذْ كان معه بالشام ، فقال له عُمر : إن هذا لشيء ما كُنتُ أنظرُ فيه ، وإنِّي لأراه كما هُوَ ، ثُمَّ أرسلَ إلى رَجل كان عنده بالشام كان يهوديًّا فأسلم ، فَحَسُنَ إسلامه ، وكان يرى أنه من علماء يهود ، فسأله عُمر بن عبد العزيز عن ذلك ، فقال محمد ابن كعب : وأنا عند عُمر بن عبد العزيز ، فقال له عُمر : أيُّ ابْنَيْ إبراهيم أمر بذبحه ؟ فقال : إسماعيل ، واللهِ يا أمير المؤمنين ، وإن يهود لَتَعْلَم بذلك ، ولكنهم يَحسُدونكم مَعْشَر العرب على أن يكون أباكم الذي كان مَن أمرَ اللهُ فيه ، والفضل الذي ذَكَرَه اللهُ مِنه لصبره لمَّا أمر به ، فهُم يَجحَدون ذلك ، ويَزعُمون أنه إسحاق ، لأن إسحاق أبوهم)) اهـ .

هذا يدل على أن حسد اليهود للعرب مُتجذِّر ومُتأصِّل في نفوسهم ، وهذا ما جعلهم يَتلاعبون بالدِّين ، ويُطوِّعون نصوصه لمصلحتهم ، وإعلاء مكانتهم ، وإظهار فضلهم وشرفهم على العرب .

ويُروَى عن النبيِّ ﷺ : ((أنا ابنُ الذبيحَيْن)) . والحديثُ مشهور ، ولا أصل له ، لكن معناه صحيح . الذبيحُ الأول هو جَدُّه إسماعيل ﷺ ، والذبيحُ الثاني هو أبوه عبد الله ، وذلك أن عبد المُطَّلب نَذَرَ إن بَلَغَ بنوه عشرة أن يَذبح آخر ولده تقرُّبًا ، وكان عبد الله (والد النبيِّ محمد ﷺ) آخِرًا ، ففداه بمائة مِن الإبل .

ومِن الأدلة على أن الذبيح هو إسماعيل ﷺ أنه هو الذي كان في مكة . ومتى كان إسحاق ﷺ في مكة ؟! .

رابع عشر : وَهْم الاستعلاء والتفوُّق

إن الغرور والعِناد والتكبُّر والقراءة المُتطرِّفة للنصوص ، عوامل أساسية تَدفع الفرد إلى الاعتقاد أنه أفضل مِن الآخرين ، وأن الله هداه وَحْدَه دُون سائر الناس ، وأن الله اصطفاه عليهم .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُم عِندَ اللهِ أَتقَاكُم ﴾ [الحُجُرات : ١٣] .

هذه الآيةُ تُوضِّح مِعيارَ التفاضل بين الناس ، وأساس التمييز بينهم . واللهُ لم يقل : إن أكرمكم أتقاكم ، لأن كُل واحد سَيَزْعُم أنه الأتقى،وسَيَفْهم مِن خلال زَعْمه أنه الأكرم. لقد حدَّد اللهُ القضيةَ بأن الأكرمَ عِندَ اللهِ هو الأتقى.والإنسان لا يَعْلَم مكانته عند الله تعالى.وبالتالي،لا سبيلَ للإنسان أن يَطَّلع على مستواه ومنزلته.وهذا يَجعل الإنسان يتَّهم نفْسه بالتقصير والضعف والذنوب. والمفروضُ أن يَدفعه هذا الاتِّهام إلى الإخلاص وكثرة العبادات والطاعات،وتدارُك ما فات ، بعيدًا عن اليأس أو الغرور أو الإعجاب بنفْسه . ولا تبقى بعد هذا قدرةٌ للإنسان أن يَحكمَ بأنه تقيٌّ .

ومعنى التَّقوى يتجَّلى في التزام أوامر الله واجتنباب نَوَاهيه . ومَحَلُّها القلب ، وتَظهر آثارها على الجوارح . وفي صحيح مسلم (٤/ ١٩٨٦): أن النبيَّ ﷺ قال : ((التَّقْوى هَهُنا _ ويُشيرُ إلى صَدْره ثلاث مَرَّات _)) .

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم (١٦/ ١٢١) : ((الأعمال الظاهرة لا يَحصُل بها التقوى ، وإنما تَحصُل بما يقع في القلب مِن عَظَمَة الله تعالى ، وخَشيته ، ومُراقبته)) اهـ .

والمَرْءُ لا يَعرِف نهايته ولا خاتمته التي سيموت عليها ، واللهُ وَحَدْه يَعلَم ذلك . وهذا يعني أنه لا يُمكن الحُكم على المرء بالرشاد أو الضلال ، إلا مِن خلال أفعال ظاهرية مُعرَّضة للتبدُّل والتقلُّب والتغيُّر. والحَيُّ لا تُؤمَن عليه الفِتنة، والمرءُ لا يَعْلَم هل سيموت مُسْلِمًا ويُدخل الجنة ، أم سيموت كافرًا ويَدخل النار . والعِبرةُ بالخواتيم . ومَن يَضحك أخيرًا يَضحك كثيرًا . لذلك ، يجب عدم الحُكم على المرء بأنه مِن أهل الجنة أو أهل النار ، لأن هذا الأمر غَيبي ، لا يَعلَمه إلا الله .

أمَّا الحُكْم على الجماعةِ فجائزٌ ، فمثلًا تقول : المُسلمون في الجنة ، أو اليهود في النار ، أو النصارى في النار . أو تقول : لعنةُ الله على اليهود والنصارى ، أو لعنة الله على المنافقين . وهذه عباراتٌ سليمةٌ تمامًا صحيحة المَعنَى والمَبنَى . لكنَّ الحُكْمَ على الفَرد المُعيَّن بجنة أو نار أو لَعْنَه غير جائز البَتَّة ، إلا إذا وردَ دليلٌ شرعيٌّ يَقضي بذلك مِثل لَعْن إبليس ، حيث إن لَعْنَه من الأمور المعلومة من الدِّين بالضرورة (مَذكور في القرآن) ، بحيث إن مُنكِر لَعْنه كافرٌ .

إن بني إسرائيل فضَّلهم اللهُ على العَالَمِين ، إلا أنهم لَم يُقَدِّروا هذه النِّعمةَ ، وظَلموا أنفسهم بالذنوب والمعاصي ، فَسُحِبَ منهم هذا الشَّرفُ ، وأُعْطِيَ للأُمَّة المُحمَّدية الإسلامية ، وخَرجت النُّبُوَّةُ مِن بني إسرائيل ، وذَهبت إلى أُمَّة العرب ، فقد اختارَ اللهُ مِنهُم أعظمَ أنبيائه محمدًا ﷺ .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَلَقَد آتَينا بَنِي إِسْرَائِيلَ الكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُم عَلَى العَالَمِين (١٦) وَآتَينَاهُم بَيِّنَاتٍ مِن الأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إلا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُم إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُون (١٧) ﴾ [الجاثية] .

أعطى اللهُ بني إسرائيل التَّوراةَ والإنجيلَ، وفَهْمَ الكِتابِ وفِقْهَ السُّنن ، وفَصْلَ الخُصومات بين الناس ، وجَعل مِنهم أنبياء ورُسُلًا إلى الناس ، وجَعل فِيهُم النُّبُوَّةَ والمُلْك . وقد كَثُرَ في بني إسرائيل الأنبياء ما لم يَكثروا في غَيرهم . ورزقهم مِن المآكل الشَّهِيَّة والمشارب اللذيذة . وفضَّلهم على سائر الأمم في زمانهم . واللهُ يُذكِّرهم بنِعَمه العظيمة عليهم ، وإحسانه إليهم ، ورحمته بهم . فقد كانوا أعظمَ الناس في زمانهم ، وأشرف الأُمم في وقتهم . ولم يكن أحد مِن العَالَمِين في زمانهم أفضل مِنهم ، ولا أحسن حالًا ، ولا أكرم على الله ، ولا أحب إليه منهم . وقال الشَّوكاني في فتح القدير (٥ / ١١) : ((قوله : ﴿ وَلَقَد آتَينا بَنِي إِسْرَائِيلَ الكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾ . المُراد بالكِتاب التَّوراة ، وبالحُكْم الفَهْم والفِقه الذي يكون بهما الحُكم بين الناس وفَصْل خُصوماتهم ، وبالنُّبُوَّة مَن بَعثه اللهُ مِن الأنبياء فيهم ، ﴿ وَرَزَقْنَاهُم مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ أي: المُسْتَلَذَّات التي أحَلَّها اللهُ لهم ومِن ذلك المَن والسَّلوى ، ﴿ وَفَضَّلْنَاهُم عَلَى العَالَمِين ﴾ مِن أهل زمانهم ، حيث آتَيْناهم ما لَم نُؤتِ مَن عَداهم مِن فَلْق البَحْر ونَحْوه)) اهـ . وقال الصاوي في حاشيته على الجلالَيْن (٤ / ٦٥) : ((والمقصود مِن ذلك تَسليته ﷺ ، كأنه قال : لا تحزن يا محمد على كُفر قَومك ، فإنَّنا آتَيْنا بني إسرائيل الكتابَ والنِّعَمَ العظيمة، فلم يَشكروا، بَل أصَرُّوا على الكُفر ، فكذلك قَومك)) اهـ . بيَّن اللهُ لبني إسرائيل في التَّوراة أحكامَ الشريعةِ وأمرَ النبيِّ محمد ﷺ بكل وُضوح، دُون لَبْس ولا غُموض،فما اختلفوا في ذلك إلا بعد ظُهور الحُجَج أمامهم ، ووُضوح الأدلة والبراهين التي تُثبِت صِدْقَه وصِحَّة نُبُوَّته ، حسدًا وعِنادًا وطلبًا للرئاسة والزعامة والمناصب ، وحُبًّا للدنيا . وكُفْرُ اليهود قائم على العِلْم . والمفروضُ أن العِلْم يَقُود صاحبَه إلى الإيمان والسعادة والوئام ، ولكن عِلْم اليهود قادهم إلى الكفر والشقاء والاختلاف ، لأن اليهود طَلبوا العِلْم لجمع حُطام الدنيا ، والحصول على الرئاسة والزعامة ، وليس حُبًّا للإيمان أو حِرْصًا على الحق . وهذا يُفسِّر سبب عِنادهم بعد عِلْمهم. واللهُ يَفصِل بين عباده يوم القيامة فيما اختلفوا فيه مِن أمر الدِّين .

وقال ابن كثير في تفسيره (٤/ ١٩١) : ((﴿ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِن الأَمْرِ ﴾ أي : حُجَجًا وبراهين وأدلة قاطعات ، فقامت عليهم الحُجَج ، ثم اختلفوا بعد ذلك مِن بعد قيام الحُجَّة ، وإنما كان ذلك بَغْيًا منهم على بعضهم بعضًا ، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ ﴾ يا محمد ﴿ يَقْضِي بَيْنَهُم يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُون ﴾ أي : سَيَفْصِل بينهم بحُكْمه العَدْل . وهذا فيه تحذير لهذه الأُمَّة أن تسلك مَسلكهم ، وأن تقصد منهجهم)) اهـ . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٧ / ٣٥٩) : ((﴿ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِن الأَمْرِ ﴾ فيه قَولان : أحدهما بيان الحلال والحرام ، قاله السُّدي . والثاني العِلْم بمَبعَث النبيِّ ﷺ وشواهد نُبُوَّته ، ذَكَرَه الماوردي)) اهـ .

واللهُ تعالى يُؤتي مُلْكه مَن يَشاء،ويَنْزِعه مِمَّن يشاء.وهو المُتَصَرِّفُ في مُلْكِه كما يشاء ، وكلُّ شيء مُلْكه. وجاء تفضيلُ الأمة المُحمَّدية بعد أدائها المُمتاز في حمل الرِّسالة كاملةً غير مُجْتَزَأة . والأُمَّةُ المُحمَّديةُ أعظمُ الأُمم على الإطلاق . وليس هذا تَبَجُّحًا أو اتِّباعًا لخُرافة نقاء العِرْق أو استكبارًا في الأرض بغير الحق . فالأفضلية المُطْلقة لهذه الأُمَّة مَحكومة بشروط ينبغي توفرها حتى تنال صدارة الأمم . وهذه الشروط هي الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكَر والإيمان بالله تعالى . ولا يمكن الحصول على الريادة، وتصدُّر المشهد الأُممي العالمي إلا بتحقيق هذه الشروط، إذْ إن أفضلية الأُمَّة مترتبة على مدى الالتزام بها ، وتحقيقها واقعًا ملموسًا . ومَن أراد معرفة مكانة الأُمَّة المُحمَّدية فليتخيَّل العَالَمَ بدونها . عندئذ سيختفي الإيمانُ من الأرض ، ويزول التَّوحيد ، ويُسيطر الكفرُ على تفاصيل الحياة مِن أوَّلها إلى آخرها ، وتنهار النُّظم البشرية دون أيَّة فُرصة للنُّهوض .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿كُنتم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاسِ تأمُرُونَ بالمعروفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤمِنُونَ بالله﴾ [آل عِمران : ١١٠] [٢٣١] .

الأُمَّةُ المُحمَّدية الإسلامية هي خَير الناس، وأعظم الأُمم ، وهي أكثر الأمم استجابةً للإسلام . وقد أُخْرِجَت لمصلحة الناس ونفعهم وإرشادهم وهِدايتهم، وهذا ليس غرورًا ولا تكَبُّرًا. فالأُمَّة المُحمَّدية حَمَلَت الدعوةَ الإسلامية، وأخرجت الناسَ مِن ظُلمات الجهل والكفر إلى نُور العِلم والإيمان . وذلك بهدايتهم إلى الإسلام . والمقصودُ بالأُمَّة المُحمَّدية الصالحون مِنها والأتقياء والأولياء وأهل الفضل ، وهُم الشُّهداء على الناس يوم القيامة .

---

٢٣١ قال ابن عبد البَر في الاستيعاب (١/ ٤) : ((قال بعض أهل العِلم : ﴿كُنتم﴾ بمعنى أنتم ، والكاف صِلة . وقال آخرون : كنتم في اللوح المحفوظ ، وهو الذِّكر ، وأُم الكتاب)) .

وخَيْرِيَّةُ الأُمَّة المُحمَّدية وأفضليتها مُقيَّدة بثلاثة شروط : الشَّرْط الأول _ الأمر بالمعروف : الأمر بِتَوحيد اللهِ والتصديقِ بِنُبُوَّة محمد ﷺ والعمل بأحكام الشريعة الإسلامية وتعاليمها. الشرط الثاني_النَّهْي عن المُنكَر: النَّهْي عن الشِّرك باللهِ وتكذيبِ النبيِّ ﷺ. الشرط الثالث_ الإيمان بالله: التصديق باللهِ وعبادته وَحْدَه لا شريك له . والجديرُ بالذِّكر أنَّ الواو في الآية لا تقتضي الترتيب.

وقال الطبري في تفسيره (٣/ ٣٨٩) : ((وأصل المعروف : كُل ما كان معروفًا فِعْله ، جميلًا مُسْتَحْسَنًا غَير مُسْتَقْبَح في أهل الإيمان بالله ، وإنما سُمِّيت طاعة الله معروفًا ، لأنه مِمَّا يَعرفه أهلُ الإيمان ولا يَستنكرون فِعْلَه . وأصل المُنكَر : ما أنكره اللهُ ، ورَأَوْه قبيحًا فِعْله ، ولذلك سُمِّيَت معصية الله مُنكَرًا ، لأن أهل الإيمان بالله يَستنكرون فِعْلَها ، ويَستعظمون رُكوبَها)) اهـ .

وقال البَيضاوي في تفسيره (١/ ٧٨) : ((﴿ وَتُؤمِنُونَ باللهِ ﴾ يَتضمَّن الإيمان بكل ما يجب أن يُؤمَن به ، لأن الإيمان به إنما يحق ويُعتد به إذا حصل الإيمان بكل ما أَمَرَ أن يُؤمَن بِه ، وإنما أخَّره وحَقُّه أن يُقدَّم ، لأنه قصد بِذِكْره الدَّلالة على أنهم أُمِرُوا بالمعروف ، ونُهُوا عن المُنكر ، إيمانًا بالله وتصديقًا به ، وإظهارًا لِدِينه . واستدل بهذه الآية على أن الإجماع حُجَّة، لأنها تقتضي كَوْنهم آمِرين بكل معروف ، وناهين عن كل مُنكر ، إِذْ اللام فِيهما _ يعني المعروف والمُنكَر _ للاستغراق ، فلو أجمعوا على باطل ، كان أمرهم على خِلاف ذلك)) اهـ .

كانت الأُمَّةُ المُحمَّديةُ الإسلامية أعظمَ أُمَّة عند اللهِ في اللوح المحفوظ ، أخرجها اللهُ للناسِ لهدايتهم وإرشادهم ، ولا يُوجد أُمَّة أفضل مِنها ، وقد مدحها اللهُ تعالى ، لأنَّها تتحلى بالصفات الثلاث : الأمر بالمعروف، والنَّهْي عن المنكر، والإيمان بالله. وهذا المدحُ الإلهيُّ تشريفٌ للأُمَّة المحمدية ، وتثبيتٌ لها على منهج الحق ، ورفعٌ لمعنوياتها في سبيل نشر الدَّعوة الإسلامية .

و﴿كنتم ﴾ تُشير إلى تَحَقُّق الشيء في الزمن الماضي ، ولا تَنفي تَحَقُّقَه في الحاضر أو المُستقبَل. كما في قَول الله تعالى : ﴿ وكانَ اللهُ عَليمًا حَكيمًا ﴾ . فاللهُ كانَ عليمًا حكيمًا ، وما زالَ عليمًا حكيمًا ، ويَبقى عليمًا حكيمًا .

وأخرج ابن جرير عن قَتادة قال : قرأ عُمر بن الخطاب_ رضي الله عنه _: ﴿كنتم خيرَ أمة أُخرجت للناس ﴾ ، ثم قال : ((يا أيها الناس ، مَن سَرَّه أن يكون مِن تلك الأُمَّة ، فَلْيُؤدِّ شَرْطَ الله مِنها)) [٢٣٢] .

٢٣٢تفسير الطبري(٣/٣٨٩).وانظر تفسير ابن كثير(١/٥١٩)،والعُجاب في بيان الأسباب(٢/ ٧٣٤).

إن أفضلية الأُمَّة المُحمَّدية الإسلامية مُقيَّدة بتحقيق الشروط الإلهية ، فهي لا تملك صُكوكَ غُفران حتى تنام وتنتظر دخول الجنة. بل عليها العمل بالعِلْم النافع ، والمُثابَرة في تحقيق المُراد الإلهيّ ، حتى تنال شرفَ الصدارة بين الأمم ، والرِّفعة في الدارَيْن . وإذا لَم تُحقِّق شروطَ الرِّفعة فلا بُد أن تُلاقيَ نَفْسَ مصير الأُمَم الغابرة التي ذهبت إلى الهاوية معَ خَزْي الدنيا وعذاب الآخرة .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير(١/ ٤٤٠):((في قَوله تعالى: ﴿ تأمُرُونَ بالمعروفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ ﴾ قَولان : أحدهما أنه شَرْط في الخَيْرِيَّة ، وهذا المعنى مرويٌّ عن عُمر بن الخطاب ومجاهد والزَّجاج . والثاني أنه ثناء مِن الله عليهم ، قاله الربيع بن أنس. قال أبوالعالية: والمعروف التَّوحيد ، والمُنكَر الشِّرك)) اهـ .

وعن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ : في قَوْله ــ عَزَّ وَجَلَّ ــ : ﴿كنتم خيرَ أمة أُخرجت للناس ﴾، قال : ((هُم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة)) [٢٣٣].وعن بَهْز ابن حكيم عن أبيه عن جَدِّه : أنه سمع النبيَّ ﷺ في قَوْل الله ــ عَزَّ وَجَلَّ ــ : ﴿كنتم خيرَ أمة أُخرجت للناس ﴾ ، قال : ((أنتم تُتِمُّون سبعين أُمَّة ، أنتم خَيْرُها وأكرمُها على الله ــ عَزَّ وَجَلَّ ــ))[٢٣٤].

إنَّ الأُمَّة المُحمَّدية الإسلامية لها مكانة خاصة بين الأمم ، باعتبارها الأُمَّة الحاملة لميراث الأنبياء كُلِّهم ــ عليهم الصلاة والسلام ــ . لذلك كانت الشريعة المُحمَّدية ناسخةً وخاتمة . وبالتالي ، إنَّ الأُمَّة المُحمَّدية هي التي ستضطلع بمسؤولية المحافظة على الشريعة الإلهية حتى يوم القيامة . وهذا تشريفٌ عظيم ، وتكليفٌ عالي الشأن . وبدون هذه الأُمَّة فإن نور الله تعالى سيختفي مِن العَالَم ، وتتلاشى الشريعة السماوية ، ولن يُعبَد الله تعالى في الأرض . ومن هنا تنبع أهمية هذه الأُمَّة الخاتمة الحاملة لمسؤولية الأمانة السماوية إلى قيام الساعة . إنَّها الأُمَّة الوحيدة التي تعبد اللهَ وَحْدَه ، بلا شريك ولا نِد ولا صاحبة ولا ولد ، وتُؤمن بالأنبياء كُلِّهم بلا استثناء .

---

٢٣٣ رواه الحاكم في المستدرَك (٢/ ٣٢٣) برقم (٣١٦٠) وصَحَّحه ، ووافقه الذهبي . وقال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٢٥) : ((وعن أُبَي بن كَعْب قال: " لَم تكن أُمَّةٌ أكثر استجابة في الإسلام من هذه الأُمَّة " . أخرجه الطبري بإسناد حسن عنه . وهذا كله يقتضي حملها ــ أي حمل ﴿ كنتم خيرَ أمة أُخرجت للناس ﴾ ــ على عموم الأمَّة ، وبه جزم الفرَّاء ... وقال غَيْرُه : المراد بقوله : ﴿كنتم ﴾ في اللوح المحفوظ ، أو في عِلْم الله تعالى ، ورجَّح الطبري أيضًا حمل الآية على عُموم الأمَّة)) .

٢٣٤ رواه الحاكم في المستدرَك (٤/ ٩٤) برقم (٦٩٨٧) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

وفي صحيح مسلم (٣/ ١٣٨٣) أنَّ النبيَّ ﷺ قال يوم بَدْر : ((اللهُمَّ إن تَهْلِكْ هذه العُصابةُ من أهل الإسلام ، لا تُعْبَدْ في الأرض)) .

قال الحافظ في الفتح (٧/ ٢٨٩) : ((وإنما قال ذلك لأنه عَلِمَ أنه خاتَم النبيين ، فلو هلك هو ومن معه حينئذ ، لَم يُبعَث أحد مِمَّن يدعو إلى الإيمان ، ولاستمر المشركون يعبدون غَيْرَ الله ، فالمعنى لا يُعبَد في الأرض بهذه الشريعة)) اهـ .

والأُمَّةُ المُحمَّدية الإسلامية هي الوحيدة التي تعبد اللهَ وَحْدَه . واليهودُ والنصارى يَعبدون الشيطانَ والهوى ضِمن غلاف دِينيٍّ مَنسوب_كذبًا وزُورًا _ إلى الله تعالى . والإسلامُ وَحْدَه هو الدِّين السماويُّ ، وهو دِين محمد ومُوسى وعيسى ، وجميع الأنبياء بلا استثناء . أمَّا اليهودية والنصرانية فهُما ديانتان أرضيتان بشريتان . وَلَوْ هَلكت الأُمَّةُ المُحمَّدية ، فهذا يعني أن كوكب الأرض سيَخلو من الإسلام الدينِ الوحيد المقبول عند الله تعالى ، وعندئذ تفقد المفاهيم الشرعية معناها ، وتغيب الشريعة السماوية عن الأرض ، وتفقد ماهية الخِلافة وإعمار الأرض معناها، ويُصبح العَالَم _ بالكامل _كافرًا ، ومُسَيْطَرًا عليه مِن قِبَل الشيطان، ولا مكان فيه لِتوحيد الله تعالى . وهذا مُحَالٌ نقلًا وعقلًا . وفي مسند أحمد (١/ ٩٨): عن عليٍّ ابن أبي طالب_رضي الله عنه_قال : قال رسول الله ﷺ : ((وجُعِلَت أُمَّتي خَيْرَ الأمم)) [٢٣٥] .

هذا كُلُّه يَصُبُّ في مسار تفضيل الأُمَّة المُحمَّدية الإسلامية على باقي الأمم ، بفِعْل إنجازاتها الدعوية المهمة ، وأدائها الثابت في تطبيق الشريعة الإلهية كاملةً غير منقوصة ، والمحافظة على المنهج الإسلاميِّ الوسطي بدون إفراط أو تفريط ، والموازَنة الدقيقة بين حاجات الروح وغرائز الجسد ، والتأسيس المنهجي العِلْمي لمجتمع العدالة والفضيلة والأُخُوَّة والأخلاق الحميدة .

واليهودُ مُقتنعون بخُرافة الاستعلاء على الآخرين والتَّفَوُّق عليهم ، ويَعتبرون أنفسهم شعب الله المُختار، وصَفوة الله مِن خَلْقه . وهذه شعارات وهمية باطلة ، لأن اليهود أعداء الله وقَتَلَة الأنبياء.

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الجَنَّةَ إلا مَن كَانَ هُودًا أَو نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُم قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُم إن كُنتُم صَادِقِين ﴾ [البقرة : ١١١] .

قالت اليهود : لَن يَدخل الجنةَ إلا مَن كان يهوديًّا ، وقالت النصارى : لَن يَدخل الجنةَ إلا مَن كان نصرانيًّا . وتِلْك شهواتهم الباطلة يَتَمَنَّوْنَها على الله بغير حق ، ولا تَقوم على دليل .

---

٢٣٥ حسَّنه الحافظ في الفتح (٨/ ٢٢٥) .

قُل يا محمد لهم:هاتوا حُجَّتَكم على اختصاصكم بدخول الجنة إن كُنتم صادقين في دَعْواكم.

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٢١٤) : ((يُبيِّن تعالى اغترارَ اليهود والنصارى بما هُم فيه ، حيث ادَّعت كُل طائفة مِن اليهود والنصارى أنه لَن يَدخل الجنةَ إلا من كان على مِلَّتها ، كما أخبرَ اللهُ عنهم في سُورة المائدة أنهم قالوا : ﴿ نَحْنُ أَبنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [المائدة: ١٨] . فأكذبهم الله تعالى بما أخبرهم أنه مُعذِّبهم بذنوبهم ، ولو كانوا كما ادَّعَوْا لَما كان الأمر كذلك ، وكما تقدَّمَ مِن دَعْواهم أنه لن تَمَسَّهم النار إلا أيامًا مَعدودة ، ثم ينتقلون إلى الجنة ، ورَدَّ عليهم تعالى في ذلك ، وهكذا قال لهم في هذه الدَّعوى التي ادَّعَوْها بلا دليل ولا حُجَّة ولا بَيِّنة ، فقال : ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُم ﴾ . وقال أبو العالية : أماني تَمَنَّوْهَا على الله بغير حق ، وكذا قال قَتادة والربيع بن أنس ، ثُمَّ قال تعالى : ﴿ قُلْ ﴾ أي: يا محمد ﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُم ﴾ . قال أبو العالية ومجاهد والسُّدي والربيع بن أنس:حُجَّتَكم،وقال قَتادة: بَيِّنَتكم على ذلك ﴿ إِن كُنتُم صَادِقِين ﴾ أي:فيما تدَّعونه)).

إن أهل الكتاب يخترعون الأماني الكاذبة . وهُم يَخدعون أنفسهم فيعيشون في دنيا الخيال وعوالم الأحلام التي لا حقيقة لها . والأماني جَمْع أُمْنِيَّة ، وهي ما يُتَمَنَّى . وقد كذَّبهم اللهُ ، وأفحمهم ، وفَضح باطلهم ، وكشف شهواتهم الوهمية . وهذه الأماني الواهية لا أساس لها مِن الصِّحة ، كما أن أهل الكتاب لم يُقدِّموا دليلًا على كلامهم . وإن كانوا صادقين في زَعْمهم ودَعْواهم ، فليُحْضِروا البُرهان الساطع ، وليُقدِّموا الحُجَّةَ الباهرة ليكون موقفهم قويًّا ، لكن هذا لم يحدث ، ولن يحدث . واليهودُ والنصارى عائشون في عوالم الأحلام بلا دليل ولا حُجَّة . وهذه الأحلام سَتؤول إلى كوابيس . وكُل قَوْل لا دليل عليه ، باطل ومرفوض .

والبشرُ حين يَفتقدون إلى الأدلة والحُجَج والبراهين ، ولا يقومون بالأعمال الصالحة ، فإنهم يَلْجَؤون إلى الأحلام الواهية ، والأماني العريضة ، فتراهم يلهثون وراء أهوائهم ، ويَتَمَنَّوْنَ على الله الأماني . وهذا مِن تزيين أنفسهم والشيطان ، وتلاعبه بهم . وهُم واقعون في فَخ أهوائهم التي تُصَوِّر لهم الدنيا والآخرة كمزرعة خاصة بهم ، لا يُشاركهم فيها أحد .

واليهودُ والنصارى لم يُؤسِّسوا حياتهم على منهج الإيمان والحق . لذلك تمسَّكوا بالأماني بسبب شعورهم بالنقص . وما اعتمادهم على التَّمَنِّي والشعارات البرَّاقة، إلا وسيلة لإخفاء نقصهم وعَجْزهم وانهيارهم ، وتقديم أنفسهم كشعب الله المُختار ، وصَفْوته مِن خَلْقه . لذلك زَعموا أن الجَنَّة مِن نصيبهم وَحْدَهم ، دون تقديم أي دليل يَدعم كلامَهم ، ويُثبِت صِحَّته . وهذا دَيْدَن أهل الباطل في كُل العُصور مع اختلاف الأسماء والمُسَمَّيات .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ١٣٣) : ((قال ابن عباس : اختصمَ يهود المدينة ونصارى نَجْرَان عند النبيِّ ﷺ ، فقالت اليهود: ليست النصارى على شيء، ولا يَدخل الجنةَ إلا مَن كان يهوديًّا ، وكفروا بالإنجيل وعيسى . وقالت النصارى : ليست اليهود على شيء ، وكفروا بالتَّوراة وموسى ، فقالَ اللهُ تعالى : ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُم ﴾ . واعْلَمْ أن الكلام في هذه الآية مُجمَل ، ومعناه : قالت اليهود : لن يَدخل الجنةَ إلا مَن كان هُودًا ، وقالت النصارى : لن يَدخل الجنةَ إلا من كان نصرانيًّا . والهُود جَمْع هائد (وهو التائب الراجع إلى الحق) . ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُم ﴾ . أي ذاك شيء يَتَمَنَّوْنَه ، وظَن يَظنُّونه . هذا معنى قول ابن عباس ومُجاهد . قال : ﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُم ﴾ أي : حُجَّتَكم ﴿ إن كُنتُم صَادِقِين ﴾ بأن الجنة لا يَدخلها إلا مَن كان هُودًا أو نصارى)) اهـ .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ وقالوا كُونوا هُودًا أو نصارى تَهْتَدوا قُل بَل مِلَّةَ إبراهيمَ حَنيفًا وما كانَ مِنَ المُشركين ﴾ [البقرة : ١٣٥].

قالت اليهودُ للنبيِّ ﷺ وأصحابِه المؤمنين : كُونوا هُودًا تهتدوا . وقالت النصارى لهم : كُونوا نصارى تهتدوا . لقد دعا أهلُ الكتابِ النبيَّ ﷺ وأصحابَه المؤمنين إلى اعتناق اليهودية أو النصرانية. وكُل طائفة اعتبرت أنها على الهدى،وأنَّ مَن اعتنقَ ديانتها فقد أصابَ طريق الحق، وأفلحَ في دنُياه، وفازَ بآخرته . وهذا يُشير إلى غُرور أهل الكتاب ، واستكبارهم ، وعِنادهم ، وجَهلهم . فقد بَنَوا أفكارَهم وعقائدهم على أُسس واهية ، وتلاعبوا بنصوصهم الدينية في التَّوراة والإنجيل وحرَّفوها .

واليهود يعتقدون أنهم على الحق، وأن اليهودية هي الطريق المستقيم ، وكذلك النصارى يعتقدون أنهم على الحق ، وأن النصرانية هي الطريق المستقيم ، فَمَن وافقهم اهتدى ، وَمَن خالفهم ضَل . وهذه دعوى عريضة لا دليل عليها ولا بُرهان، وهي بمثابة أضغاث أحلام ، وكُلٌّ يُغنِّي على لَيْلاه .

والدَّعاوى إنْ لَم تُقيموا عليها بَيِّناتٍ أبناؤها أدعياءُ

والعاقلُ مَن حَاسَبَ نَفْسَه قبل أن يُحَاسَب يوم القيامة،وأخضعها لعبادة الله وَحْدَه لا شريك له، وعَمِلَ الطاعاتِ قبل أن يُداهمه الموت. والعاجزُ المُقصِّر في الأُمور مَن اتَّبَعَ الشهوات والشُّبهات والمُحرَّمات ، وتَمَنَّى على الله الأماني أن يَعْفُوَ عنه ، ويُدخِله الجنةَ .

وقد قَدَّمَ اللهُ الحُجَّةَ الباهرةَ الكاملةَ المُوجَزةَ التي تَدخض أهواءَ أهلِ الكتاب وباطلَهم ، وأرشدَ محمدًا ﷺ إلى الرد المُفْحِم البليغ الذي يَرُدُّ به على أهل الكتاب ، ويَفضح جهلهم ، ويُحطِّم غُرورَهم ، ويُزيل كَذِبَهم : ﴿ قُل بَل مِلَّةَ إبراهيمَ حَنيفًا وما كانَ مِنَ المُشركين ﴾ [٢٣٦].

قُل يا محمد لليهود والنصارى:بَل نَتَّبِع دِينَ إبراهيم حنيفًا مائلًا عن الأديان الباطلة إلى الإسلام. ودِينُ إبراهيم هو الحنيفية القائمة على عبادة الله وَحْدَه، بلا شريك، ولا نِد، ولا صاحبة، ولا ولد. وهذا هو الدِّين الحق الذي يجب الاجتماع عليه . وبما أن اليهود والنصارى يَعتبرون أنفسهم صَفوة الله مِن خَلْقه، ويدَّعون محبةَ الله، والتزام أوامره، واجتناب نَواهيه ، وينسُبون أنفسهم إلى إبراهيم ، ويَعتبرونه أباهم، فيجب أن يتَّبعوه، ويَلتزموا بمنهجه ، ويَعتنقوا عقيدته ، ويَدينوا بِدِينه الذي هو دِين اللهِ الذي اختاره لعباده، إن كانوا صادقين في حُبِّهم للهِ وتعظيمهم له، واعتبار إبراهيم مَرجعهم وقُدوتهم ، لأن الحُبَّ والتعظيمَ يَستلزمان الاتِّباع بصِدق وإخلاص . وصدقَ القائل :

تَعْصِي الإلهَ وأنتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هذا لَعَمْرِي في القِياسِ بَدِيعُ
لَوْ كانَ حُبُّكَ صَادِقًا لأَطَعْتَهُ ... إنَّ المُحِبَّ لِمَن يُحِبُّ مُطِيعُ

وقال الطبري في تفسيره (١/ ٦١٤) : ((احتجَّ اللهُ لِنَبِيِّه محمد ﷺ أبلغَ حُجَّة ، وأوْجَزها ، وأكملها،وعَلَّمها محمدًا نَبِيَّه ﷺ ، فقال : يا محمد ، قُل للقائلين لَكَ مِن اليهود والنصارى ولأصحابك: ﴿ كُونوا هُودًا أو نصارى تَهْتَدوا ﴾ : بل تَعَالَوْا نَتَّبِع مِلَّةَ إبراهيم التي يُجْمِع جميعُنا على الشهادة لها بأنها دِين الله، الذي ارتضاه واجتباه، وأمرَ به ، فإن دِينه كان الحنيفية المُسلِمة ، وندع سائر المِلَل التي نختلف فيها ، فَيُنكِرها بعضُنا ، ويُقِر بها بعضُنا ، فإن ذلك على اختلافه ، لا سبيل لنا على الاجتماع عليه ، كما لنا السبيل إلى الاجتماع على مِلَّة إبراهيم)) اه .

---

٢٣٦ قال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ١٥٠) : ((المعنى : بَل نَتَّبع مِلَّةَ إبراهيم في حال حنيفيته . وفي الحنيف قَولان : أحدهما أنه المائل إلى العبادة . قال الزَّجاج : الحنيف في اللغة المائل إلى الشيء . أُخِذَ مِن قولهم : رَجل أحْنَف وهو الذي تَميل قدماه كُل واحدة منهما إلى أختها بأصابعها . قالت أُم الأحنف تُرقِّصه : واللهِ لَوْلا حَنَف بِرِجْله ... ودِقَّة في ساقه مِن هَزْله ... ما كان في فِتيانكم مَن مِثْله . والثاني أنه المستقيم ، ومِنه قِيل للأعرج حَنيف نَظَرًا له إلى السلامة . هذا قول ابن قُتَيبة . وقد وصف المفسِّرون الحنيف بأوصاف ، فقال عطاء : هو الْمُخْلِص . وقال ابن سائب: هو الذي يَحُجُّ . وقال غيرهما : هو الذي يُوَحِّد ويَحُج ويُضحِّي ويَختِن ، ويستقبل الكعبة)) .

والنبيُّ إبراهيم ﷺ كانَ حنيفًا،مائلًا عن كُل الأديان الباطلة إلى الإسلام ، ثابتًا عليه ، ومُتَمَسِّكًا بِه .يَعبد اللهَ وَحْدَه ، لا شريك له ، بكل إخلاص واجتهاد . لقد كانَ إبراهيم يُوحِّد اللهَ، ويُخلِص له العبادةَ، ولا يَعبد الأصنامَ والأوثان ، ولَم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا ، بَل كانَ حنيفًا مُسْلِمًا .

وكُل الأنبياء قبل إبراهيم ﷺ كانوا حُنَفاء مُسلِمين ، ولكن تَمَّ تخصيص إبراهيم بالذِّكر والإشادة، لأنه كانَ الإمام والقائد ، والمرجعية العُليا ، والقُدوة السَّامية . كما أن إبراهيم مُعظَّم ومُعترَف بِه عِند جميع أتباع الدِّيانات (المسلمين واليهود والنصارى). وكُلُّهم يَعتبرون إبراهيم عظيمًا ومُقَدَّسًا ، وبذلك يكون شخصيةً دِينيةً عُظمى مُجْمَع عَلَيها ، ولا يختلف عليها اثنان .

وقال الطبري في تفسيره (١/٦١٤): ((فَإن قال قائل: أَوَمَا كان مَن كان مِن قَبْل إبراهيم ﷺ مِن الأنبياء وأتباعهم مُستقيمين على ما أُمِرُوا به مِن طاعة الله استقامة إبراهيم وأتباعه ؟ قيل : بلى. فإن قال : فكيف أُضِيف الحنيفية إلى إبراهيم وأتباعه على مِلَّته خاصة ، دُون سائر الأنبياء قَبْله وأتباعهم ؟ . قِيل : إن كُل مَن كان قبل إبراهيم مِن الأنبياء كان حنيفًا مُتَّبِعًا طاعةَ الله ، ولكن الله تعالى ذِكْرُه لَم يجعل أحَدًا مِنهم إمامًا لِمَن بعده مِن عباده إلى قيام الساعة ، كالذي فعل مِن ذلك بإبراهيم ، فجعله إمامًا فيما بَيَّنه مِن مناسك الحج والخِتان وغَير ذلك مِن شرائع الإسلام ، تَعَبُّدًا به أبَدًا إلى قيام الساعة ، وجعل ما سَنَّ مِن ذلك عَلَمًا مُمَيَّزًا بين مؤمني عباده وكفارهم، والمطيع مِنهم لله والعاصي.فَسُمِّيَ الحنيف مِن الناس"حنيفًا"باتِّباعه مِلَّته واستقامته على هَدْيه ومنهاجه. وسُمِّيَ الضَّال عَن مِلَّته بسائر أسماء المِلَل، فقيل: يهودي ونصراني ومجوسي وغير ذلك مِن صُنوف المِلَل)) اهـ .

رَدَّ اللهُ على اليهود والنصارى الذين زَعموا أنهم على طريق الحق ، وأن الهداية مقصورة عليهم، وأنهم صَفوة الله مِن خَلقه ، وفضحهم ، وكشفَ انحرافَهم ، وأزالَ باطلَهم .

والجديرُ بالذِّكر أنَّ الآية ﴿ وما كانَ مِنَ المُشركين ﴾ تَحمل تعريضًا باليهود والنصارى ، وتفضح كُفْرَهم ، وتكشف باطلَهم أمام الناس ، لأن اليهود زعموا أن عُزَيْرًا ابن الله ، والنصارى زعموا أن المسيح ابن الله ، وهذا شِرْك واضح ، وأهل الكتاب مُشْرِكون . أمَّا إبراهيم ﷺ فكانَ حنيفًا مُسْلِمًا مُوَحِّدًا مُخْلِصًا ، فكيفَ يَزعم أهلُ الكتاب أنَّهم على الحق، وأن إبراهيم كان يهوديًّا أو نصرانيًّا ؟ .

إنَّ أهل الكتاب يَزْعُمون أنهم يُحِبُّون إبراهيم ويُعظِّمونه ويتَّبعونه وهُم مُشركون ! . وهذا أمرٌ مُتناقض في حَد ذاته ، ويُشير إلى جهلهم وعنادهم وأهوائهم . وكلامُهم بلا منطق ولا دليل ، ويتصادم مع الحق والحقيقة ، والواقعُ يُكَذِّبه .

والهداية ليست مشروعًا عائليًّا أو طائفيًّا أو عِرقيًّا أو تجاريًّا احتكاريًّا . إنها مَكرُمة إلهية تهبط في القلوب النظيفة التي لَم تتلوَّث بشوائب الدنيا والعقائدِ الزائغة . وإذا درسنا عقائدَ اليهود والنصارى سنجدها بعيدةً عن الحق ، وتطعن في حقيقة الدِّين الإلهيِّ (الإسلام) . فهي خليطٌ غير متجانس من المعرفة والجهل، والإيمان والكفر، والحق والباطل . أمَّا الهدايةُ فهي حقيقة صافية ، لا مكان فيها لأية شائبة ، دينية أو اجتماعية أو سياسية أو أخلاقية ... إلخ .

وفي لُباب النقول للسُّيوطي (١/ ١٧) : ((عن ابن عباس قال : قال ابن صُورِيَا للنبيِّ ﷺ : ما الهُدى إلا ما نحن عليه ، فاتَّبِعْنا يا محمد تهتدِ ، وقالت النصارى مِثْلَ ذلك ، فأنزلَ اللهُ فيهم : ﴿ وقالوا كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا ﴾)) اهـ .

اليهودُ والنصارى عائشون في عالَم الأوهام ، فابن صُورِيَا _ وهو أحد كِبار أحبار اليهود_ يفتقد إلى المنهجية العِلمية،وعاجز عن تقديم البراهين والأدلة والحُجَج ، فهو يَزعُم أن قَومه (اليهود) على الهدى دون تقديم أدلة تدعم كلامَه ، فلم يُحاول _مَثَلًا _ مُناقشة النبيِّ ﷺ وإفحامه ، ومُقارَعة الحُجَّة بالحُجَّة، وإنما اكتفى بالقَول إن اليهود على الهدى،بلا بُرهان ولا دليل، وكذلك فعلت النصارى ، وهذا كلامٌ في الهواء لأنه لا يستند إلى عقلية عِلمية منهجية تحليلية ، بل يستند إلى الأهواء والأماني الكاذبة . وكُل قَول بلا دليل ، باطل ومرفوض .

وهذا غَير مُستغرَب ، إذْ إن عقائد أهل الكتاب (اليهود والنصارى) مبنية على الأحلام والشُّكوك والوساوس والأهواء والمصالح الشخصية ، دون وجود حصيلة عِلمية متماسكة. والأمرُ الطبيعي أن يُقدِّم المرءُ دليلًا على كلامه ، كي يكون موقفُه مُتماسكًا مُقْنِعًا للآخرين ، لكن أهل الكتاب غارقون في الأهواء الشخصية والمصالحِ الذاتية، وهذا يجعلهم بعيدين عن الاستخدام المنهجي للعقل ، وتكوين منظومة فكرية مُتضمِّنة للأدلة والبراهين . وعقائدُ أهل الكتاب مبنية على الظن لا اليقين، وهي عقائد واهية ضد الفِطْرة، تَنْفي نَفْسَها بِنَفْسِها، وتفتقد إلى المنطق والبُرهان . وكلامُ الليل يَمحوه النهار ، وما تأتي بِه الرياح تأخذه الزوابع .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُم قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَعدُودَاتٍ وَغَرَّهُم فِي دِينِهِم ما كَانُوا يَفْتَرُون ﴾ [آل عِمران : ٢٤] .

إن رفض اليهود للإيمان ، وإعراضهم عن الحق ، بسبب كذبهم على الله ، وزَعْمهم أنهم أبناء الأنبياء ، وأن النار لن تُصيبهم إلا مُدَّة يسيرة (عدد أيام عبادتهم للعِجْل) . وغرَّهم كذبُهم على الله ، وثبَّتهم على الباطل ما خَدعوا بِه أنفسَهم مِن الأكاذيب والافتراءات والأماني .

وكلام اليهود قائم على الغرور والاستعلاء والتكبُّر . وما ذلك إلا لجَهْلهم بالله تعالى ، ونظرتهم الدُّونية إلى كل مَن هُوَ ليس مِنهُم (الأغيار) . وبالطبع ، إن تقديسهم للشخصية اليهودية فاقَ كُلَّ الهَلْوَسات وجُنونَ العَظَمَة والنَّرجسية. والعُلُوُّ في الأرضِ بغير الحق والاستعلاء بحُطَام الدُّنيا الفاني، وتقديس خُرافة نقاء العِرْق وتفوُّقه ، والنظرة الدُّونية إلى باقي البشر، كُل هذه العناصر السلبية جُزء أساسي مِن الشخصية اليهودية المُتغطرسة .

وكلامُ اليهود يدل على وقاحتهم وجُرأتهم على الله تعالى ، واستخفافهم بعذاب النار، فهُم يُحدِّدون فترة عذابهم كما لو كانت النار مِلْكًا لهم ، يتحكمون فيها كَيْفما شاؤوا . فهُم يَرَوْنَ أنهم سيُعذَّبون أربعين يَوْمًا _ مُدَّة عبادتهم للعِجْل _ ثم يخرجون من النار . وهذ يدل على الجهل الممزوج بالجُرأة المذمومة والاغترار . والجنةُ والنار خاضعتان لله تعالى ، ووَحْدَه _سُبحانَه_ مَن يَملِك التَّصَرُّف فيهما، ويُحدِّد أصحابهما.والمخلوقُ الضعيف لا يملك من أمره شيئًا، وهو _أصلًا_ لا يعرف هل هو من أهل الجنة أو النار . والعجيبُ أن اليهود يؤمنون بأنهم مُستحقون للعذاب ، ومع هذا يُقدِّمون أنفسَهم على أنهم شعب الله المُختار ، وصَفْوته مِن خَلْقه ، وأتباع موسى ﷺ الحاملون لرسالته وتعاليمه ! . واختلف المُفسِّرون في توضيح كلام اليهود . فذهبت طائفة إلى أن اليهود يَعتقدون بأنهم سيُعذَّبون أربعين يَوْمًا _ مُدَّة عبادتهم للعِجْل _ ثم يَخرجون من النار . وذهبت الطائفةُ الأخرى إلى أن اليهود يعتقدون أنهم سَيُعَذَّبون سبعة أيام ، وذلك لأنهم يؤمنون أن الدنيا سبعة آلاف سنة ، وسوفَ يُعَذَّبون عن كل ألف سنة يَوْمًا . واليهودُ اخترعوا هذه الأكاذيب والافتراءات مِن تِلْقاء أنفسهم ، بلا دليل نقلي ، ولا حُجَّة عقلية . واللهُ تعالى لم يُحدِّد عددَ الأيام في الآية ، لأنها معروفة عند اليهود ، ومعلومة لَدَيهم ، ومُقتنعون بها .

[ومن طريق ابن إسحاق عن سَيف بن سُلَيمان عن مجاهد عن ابن عباس : ((أن اليهود كانوا يقولون : هذه الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنما نُعذَّب بكل ألف سنة يَوْمًا في النار ، وإنما هي سبعة أيام مَعدودات)) [٢٣٧]] [٢٣٨]. فأنزلَ اللهُ تعالى : ﴿ وقالوا لن تمسَّنا النارُ إلا أيامًا معدودة ﴾ [البقرة : ٨٠] . وقد اتَّضح سبب اعتقادهم بأنهم سَيُعَذَّبون سبعة أيام . ولكن السؤال الذي يطرح نفْسه:لماذا قدَّروا مُدَّةَ عذابهم بأربعين يَوْمًا _ حَسَب قَول طائفة واسعة من المُفسِّرين _ ؟ .

---

٢٣٧ رواه الطبراني في الكبير (١١/ ٩٦) برقم (١١١٦٠) .

٢٣٨ ذكَرَه الحافظ في الفتح (١٠/ ٢٤٦) ، وقال : ((وهذا سند حسن)) .

قال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ١٠٧) : ((فيه ثلاثة أقوال : أحدها أنهم قالوا : بين طَرَفَي جهنم مسيرة أربعين سنة، ونحن نقطع مسيرة كُل سنة في يوم ، ثم ينقضي العذاب ، وتَهلِك النار ، قاله ابن عباس . والثاني أنهم قالوا : عَتَبَ عَلَينا رَبُّنا في أمر ، فأقسمَ لَيُعَذِّبنا أربعين لَيلة ، ثُمَّ يُدخِلنا الجنة ، فلن تَمَسَّنا النارُ إلا أربعين يَوْمًا تَحِلَّة القَسَم ، وهذا قول الحسن وأبي العالية . والثالث أنها عدد الأيام التي عَبَدوا فيها العِجْل ، قاله مقاتل)) .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ ولقد جاءَكُم مُوسى بالبَيِّناتِ ثُمَّ اتَّخَذتُمُ العِجْلَ مِن بَعْدِهِ وأنتم ظالمون ﴾ [البقرة : ٩٢] [٢٣٩] . ولقد جاءكم يا يهود بني إسرائيل النبيُّ موسى ﷺ بالدلائلِ القاطعة ، والمُعجِزاتِ الواضحة الدَّالة على صِدْقِه، وصِحَّةِ نُبُوَّته، وتَوحيدِ الله تعالى. وقد سَمَّاها اللهُ بَيِّنات، لوضوحها أمام الناظرين إلَيها ، وعدم قُدرة بشر على المجيء بها إلا بإذن الله تعالى . ثُمَّ اتَّخذتم العِجْلَ مَعبودًا مِن دُون الله ، مِن بَعد ذهاب مُوسى إلى الطُّور لمُناجاة الله ، وأنتم ظالمون لأنفسكم بالشِّرْك بالله تعالى . والمقصودُ بالبَيِّنات الآيات التِّسْع . قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَلَقَد آتَينا مُوسى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ ﴾ [الإسراء : ١٠١] . وهي : العصا ، واليد ، والطُّوفان ، والجراد ، والقُمَّل ، والضفادع ، والدَّم ، والأخذ بالسنين ، ونقص الثمرات . وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ١٧٧) : ((والآيات البَيِّنات هي : الطوفان ، والجراد ، والقُمَّل ، والضفادع ، والدَّم ، والعصا ، واليد ، وفَرْق البحر ، وتظليلهم بالغمام ، والمَن ، والسَّلوى ، والحَجَر ، وغَير ذلك من الآيات التي شاهدوها)) اهـ . وبعد رؤية كُلِّ الآياتِ الرَّبانية الباهرة، ووضوح البراهين أمامهم، وقِيام الحُجَّة عليهم،وانقطاع أعذارهم ، اتَّخذوا العِجْلَ إلَهًا مَعبودًا مِن دون اللهِ، بعد أن فارقَهم النبيُّ موسى ﷺ، وذهبَ إلى الطُّور لِمُناجاة الله. وقد ظَلموا أنفسَهم بارتكابهم هذه الجريمة ، لأنَّهم عرَّضوها لغضبِ اللهِ وعذابِه الشديد . والشِّرْكُ أسوأُ أنواع الظلم ، لأن المُشرك اعتنقَ عِبادةَ المَخلوق ، ورفضَ تَوحيدَ الخالق . وعبادتهم للعِجْل دليلٌ على كَذِبهم حين زَعموا الإيمان بالتَّوراة . والآيةُ تَوبيخٌ لهم وفضحٌ لكفرهم ، وقد عَيَّرهم اللهُ باتِّخاذهم العِجْل إلَهًا .

---

٢٣٩ قال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ١١٥) : ((قَوْله تعالى : ﴿ ولقد جاءَكُم مُوسى بالبَيِّناتِ ﴾ فيها قَولان : أحدهما : ما في الألواح مِنَ الحلال والحرام ، قاله ابن عباس. والثاني: الآيات التِّسْع ، قاله مُقاتل . وفي هاء ﴿ بَعْدِهِ ﴾ قَولان : أحدهما أنها تعود إلى موسى ، فمعناه مِن بعد انطلاقه إلى الجبل ، قاله ابن عباس ومُقاتل . والثاني أنها تعود إلى المجيء ، لأنَّ ﴿ جاءَكُم ﴾ يدل على المجيء)) .

وقال القرطبي في تفسيره (٢/ ٣٢): ((قَوْلُه تعالى : ﴿ ثُمَّ اتَّخَذتُمُ العِجْلَ ﴾ تَوبيخ، و﴿ ثُمَّ ﴾ أبلغ مِن الواو في التقريع ، أي بعد النَّظَر في الآيات والإتيان بها ، اتَّخذتم ، وهذا يدل على أنهم إنما فعلوا ذلك بعد مُهلة مِن النظر في الآيات ، وذلك أعظم لِجُرْمهم)) اهـ . وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٣٦٢) : ((﴿ وأنتم ظالمون ﴾ حال بمعنى: اتَّخذتم العِجْلَ ظالمين بعبادته ، أو بالإخلال بآيات الله تعالى ، أو اعتراض بمعنى : وأنتم قوم عادتكم الظُّلْم . ومَساق الآية أيضًا لإبطال قَولهم : ﴿ نُؤمِنُ بما أُنزِلَ عَلَينا ﴾ [البقرة: ٩١]. والتنبيه على أن طريقتهم مع الرسول طريقة أسلافهم مع موسى عليهما الصلاة والسلام ، لا لتكرير القصة ، وكذا ما بَعْده)) اهـ .

إن الغُرور والغُلُوَّ وجهان لعُملة واحدة ، لأن الإنسان يَغلو في الدِّين ، ويُصبح مُتَطَرِّفًا ، لأنه يعتبر نَفْسَه العَالِم الكبير والشريف الطاهر التَّقِيَّ ، ويَعتبر الآخرين جُهَّالًا وفاسقين وعُصاةً . وبالتالي، فهو أفضل مِن الآخرين ، وأعظم إيمانًا وتقوى مِنهم . وهو وَحْدَه الذي هَداه الله ، ووَحْدَه العَالِم بالشريعة في المجتمع المُتخلِّف المُنهار ، وباقي الناس أغبياء وحَمْقى وفاسقون وضَالُّون . والاستعلاءُ على الناس ، واحتقارهم ، والنَّظَر إلَيهم بفَوقية ، يُؤَدِّي إلى الغُلُوِّ والتَّطَرُّف في الدِّين .

والإنجيلُ يُوضِّح استعلاء اليهود وغرورهم وتكبُّرهم وغَطْرستهم، واقتناعهم بأنهم سادة الناس ، والناس عبيد لهم . في [يُوحَنَّا ٨ : ٣٠ _ ٣٤]: وبينما يَسوعُ يتكلَّمُ بهذا، آمنَ بِهِ كثيرون. فقالَ لليهودِ الذين آمنوا به:((إن ثَبَتُّم في كَلِمتي كُنتم حقًّا تلاميذي. وتَعرِفون الحقَّ ، والحقُّ يُحرِّركم)) فردَّ اليهودُ: ((نحن أحفادُ إبراهيم ، ولم نكن قَطُّ عبيدًا لأحد! كيف تقول لنا : إنكم ستصيرون أحرارًا ؟)) أجابهم يسوع : ((الحقَّ الحقَّ أَقول لكم إنَّ مَن يرتكبُ الخطيئةَ يكون عبدًا لها)) .

إن اليهود أعداء الأنبياء وقَتَلتهم . واليهود حاربوا محمدًا وكذَّبوه لأنه مِن العرب ، وليس مِن بني إسرائيل . فلماذا يُحاربون المسيحَ ويُكذِّبونه وهُو مِن بني إسرائيل ؟ . هذا دليل على الكفر المُتأصِّل في قلوب اليهود ، وعنادهم وغرورهم وتكبُّرهم ، وعداوتهم للأنبياء جميعًا بلا استثناء .

رَد اليهودُ بوقاحة على السَّيد المسيح ، وقالوا له إنهم أحفاد إبراهيم . وهذه دَعوى كاذبة . لقد نسبوا أنفسَهم إلى النبيِّ إبراهيم ﷺ كذبًا وزُورًا ، وهو مِنهُم بريء ، لأنهم أعداؤه ، وأعداء الأنبياء وقَتلتهم. كما أن اليهود يَعتبرون أنفسهم زعماء الناس وسادة البشرية والأحرار ، والناس عبيدًا وخدمًا لهم . وقد وبَّخهم المسيحُ ، وأفحمهم ، وردَّ عليهم ، وبيَّن أن مَن يَرتكب الخطيئة يكون عبدًا لها . واليهودُ غارقون في الذنوب والآثام والخطايا ، ويتَّبعون أهواءهم وشهواتهم وشُبهاتهم . وهذا يعني أنهم خَدَم للشَّيطان ، وأعوان للباطل ، وأنصار للرذيلة ، وعبيد للخطيئة .

وأفضلُ رَد على اليهود في دَعْواهم الباطلة بالانتساب إلى النبيِّ إبراهيم ﷺ هو قَول الله تعالى:
﴿ إِنَّ أَوْلَـى النَّـاسِ بِـإِبرَاهِيمَ لَلَّـذِينَ اتَّبَعُـوهُ وَهَـذَا النَّبِـيُّ وَالـذِينَ آمَنُـوا واللهُ وَلِـيُّ المُـؤمِنِين ﴾ [آل عِمران : ٦٨] [٢٤٠] .

إن أحق الناس بالنبيِّ إبراهيم ﷺ ، ونُصرته ، ووَلايته ، هُم أتباعه في زمانه ، الذينَ ساروا في طريقه المستقيم ، وكانوا على منهجه الواضح ، وكانوا حُنفاء مُسلِمين، لا يُشرِكون بالله شيئًا ، والنبيُّ محمد ﷺ لمُوافقته له ، وأصحابه (المهاجرون والأنصار) والتابعون لهم مِن بَعْدهم . وهؤلاء الذين يَنبغي أن يقولوا : نَحْنُ على دِين إبراهيم ، وليس اليهود ولا النصارى . واللهُ حافظ المؤمنين وناصرهم على أعدائهم . والآيةُ تُوضِّح أن الوَلاية مبنيةٌ على الاتِّباع لا الأماني والشعارات.

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : ((إِنَّ لِكُلِّ نبيٍّ وُلاةً مِنَ النَّبيين ، وإنَّ وَلِيِّي مِنهم أبي وخَليلي إبراهيم)) ، ثم قرأ : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ﴾ ـ الآية ـ [٢٤١]**. لكل نبيٍّ أحِبَّاء وقُرَناء أَوْلَى بِه من غَيْرهم مِن الأنبياء ، وإن وَلِيَّ محمد مِن الأنبياء هو أبوه وخَليلُه إبراهيم . وإبراهيم هو أبو الأنبياء ، ـ عليهم الصلاة والسلام ـ .**

وقال الطبري في تفسيره (٣/ ٣٠٥): ((يعني جَلَّ ثناؤه بقوله: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبرَاهِيمَ ﴾ إن أحق الناس بإبراهيم ونُصرته ووَلايته ﴿ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ﴾ يعني : الذين سلكوا طريقه ومِنهاجه ، فوحَّدوا اللهَ مُخلِصين له الدِّين ، وسَنُّوا سُنَّته ، وشرعوا شرائعه ، وكانوا لله حُنفاء مُسلِمين غَير

---

٢٤٠ قال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٤٠٣) : ((في سبب نزولها قَوْلان : أحدهما أن رؤساء اليهود قالوا للنبيِّ ﷺ: لقد علمتَ أنَّا أَوْلَى بِدِين إبراهيم مِنك ، وأنه كان يهوديًّا ، وما بِكَ إلا الحسد، فَنَزلت هذه الآية . ومعناها : أحق الناس بدِين إبراهيم الذين اتَّبعوه على دِينه ، وهذا النبيُّ ﷺ على دِينه ، قاله ابن عباس . والثاني أن عمرو بن العاص أراد أن يُغضِب النجاشيَّ على أصحاب النبيِّ ﷺ ، فقال للنجاشيِّ : إنهم لَيَشْتُمون عِيسى ، فقال النجاشيُّ : ما يقول صاحبكم في عيسى ؟ ، فقالوا : يقول : إنه عَبْدُ الله ورُوحُه وكَلِمَتُه ألقاها إلى مريم ، فأخذَ النجاشي مِن سِواكه قَدْرَ ما يَقْذي العَيْنَ ، فقال : واللهِ ما زادَ على ما يقول صاحبُكم ما يَزِنُ هذا القذى ، ثم قال : أبْشِروا ، فلا دَهْوَرَةَ اليوم على حِزْب إبراهيم ـ يعني لا ضَيْعَةَ عليهم ـ. قال عمرو بن العاص: ومَن حِزْبُ إبراهيم ؟ ، قال: هؤلاء الرَّهْطُ وصاحِبُهم، فأنزل اللهُ يوم خُصومتهم على النبيِّ ﷺ هذه الآية ، هذا قَول عبد الرحمن بن غنم)) .

٢٤١ رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٢٠) برقم (٣١٥١) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

مُشركين به ، ﴿ وَهَـٰذَا النَّبِيُّ ﴾ يعني : محمدًا ﷺ ، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يعني : والذين صدَّقوا محمدًا وبما جاءهم به من عند الله ، ﴿ واللهُ وَلِيُّ المُؤمِنين ﴾ . يقول : والله ناصرُ المؤمنين بمحمد المُصدِّقين له في نُبُوَّته، وفيما جاءهم به من عنده، على مَن خَالفهم مِن أهل المِلَل والأديان)) .

وقد وضَّح الإنجيلُ غُرورَ اليهود وتكبُّرهم واحتقارهم للآخرين. في[أعمال الرُّسل ١٠: ٢٨] قال بُطرُس : ((أنتم تَعلَمون أنَّهُ مُحَرَّمٌ على اليهوديِّ أن يتعاملَ معَ الأجنبيِّ أو يَزورَه في بَيته)).

هذا يدل على غُرور اليهود وتكبُّرهم واستعلائهم على الآخرين (الأغيار / الأجانب) ، واحتقارهم ، والنظر إليهم نظرة دُونية ، باعتبار أن اليهود شعب الله المُختار ، وصَفْوته مِن خَلْقه ، وزعماء البشرية ، وسادة الناس ، الذين هُم مُجرَّد عبيد لليهود ، وخدم لهم .

مُحرَّم على اليهوديِّ أن يتعامل معَ غير اليهوديِّ ، ولا يَجوز أن يَزوره في بَيته ، لأن اليهوديَّ شخص طاهر ومُقدَّس ومُتفوِّق ومُتميِّز ، وغَير اليهودي شخص نَجِس ومُلَوَّث وتافه وحقير . هذا هو مُلَخَّص نظرة اليهود إلى غَير اليهود [٢٤٢].

---

٢٤٢ إن اليهود يُعادون النازيةَ ، ويعتبرونها أيديولوجية شمولية مُتوحِّشة ، تقوم على الإجرام والتراتب العِرقي، وتضع العِرق الآري الجرماني في قمة هرم البشرية، وتضع الغجر واليهود والروس في القاع . وفي عام ١٩٢٠، عَقد الحزبُ العُمَّالي الألماني أول مؤتمر له ، وأُسنِدت قيادته إلى هِتلر الذي أعلن برنامجًا من ٢٥ نقطة، جاء في إحداها " اليهود عِرقية مُوهنة للمجتمع، ومُعيقة لنقائه العِرقي، وبالتالي فإن اليهوديَّ لا يمكن أن يكون عُضوًا في الدولة الألمانية " . وقام النازيون بترحيل بعض اليهود إلى معسكرات الاعتقال ، ثم صدر قرار إبادتهم الذي عُرِفَ بالحل النهائي . والعجيبُ أن اليهود يعتبرون أنفسهم في قمة هرم البشرية، وباقي الناس في القاع ، فلماذا يَلومون النازية على أيديولوجيتها العِرقية المتطرفة ؟ . إن اليهودية والنازية وجهان لعُملة واحدة ، واليهود هُم الآباء الروحيون للنازيين ، وعقيدة التفوُّق العِرقي النازية مأخوذة مِن عقيدة التفوُّق العِرقي اليهودية.واليهودُ قاموا باغتصاب فلسطين، وقَتْل أهلها، وتشريد مَن بَقِيَ حيًّا منهم، فلماذا يلوم اليهودُ النازيين الذين قَتلوهم ، وطردوهم مِن بلادهم ؟ . إن ما قامَ به النازيون ضِد اليهود ، قام به اليهود ضِد الفلسطينيين ، والضَّحِيَّةُ تتقمَّص قاتلَها وتقوم بِدَوره ، وتُعيد إنتاجَ جرائمه . وقد قال الفيلسوف البريطاني برتراند راسل (١٨٧٢ ــ ١٩٧٠) : ((كثيرًا ما يُقال لنا إنه يجب علينا التعاطف مع إسرائيل لِمَا عاناه اليهود في أوروبا على أيدي النازيين ، إلا أن ما تقوم به إسرائيل اليوم لا يمكن السُّكوت عليه ، وإن استجلاب فظائع الماضي لتبرير فظائع الحاضر هو نِفاق فادح)) .

وينبغي المُقارنة بين موقف الشريعة اليهودية المُتطرِّفة التي تُحرِّم على اليهوديِّ أن يتعاملَ معَ الأجنبيِّ (غَير اليهوديِّ) أو يَزورَه في بَيته ، وبين موقف الشريعة الإسلامية المُتسامحة .

عن السيدة عائشة _ رضي اللهُ عنها _ : ((أن النَّبيَّ ﷺ اشترى من يَهوديٍّ طعامًا إلى أجل ، وَرَهَنَهُ دِرْعَه)) [٢٤٣].

كان بإمكان النبيِّ ﷺ أن يَستخدم نفوذَه وقُوَّته وسُلطته ، لأخذ الطعام من اليهوديِّ مَجَّانًا ، واستغلاله ، والاستحواذ على مُمتلكاته ، وطرد اليهوديِّ مِن بَيته وبلده . ولكنَّ النبيَّ ﷺ قُدوة البشرية وإمامها ، والمَثَل الأعلى للإنسانية . وهو النبيُّ الصادق الأمين الذي جاء لنشر الإيمان والفضيلة والأخلاق الحميدة ، وهو ﷺ يتعامل مع الناس (المسلمين وغير المسلمين) بأدب واحترام ، ولا يتطاول عليهم ، ولا يَستخدم سُلطته ، لاستغلالهم وسرقة أموالهم ، والاستحواذ على مُمتلكاتهم . والحديثُ يدل على جواز مُعاملة اليهودِ وغير المسلمين في البيع والشراء ، وجواز رَهْن السلاح عندهم . وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم (١١/ ٣٩) : ((وفيه بيان ما كان عليه النبيُّ ﷺ من التَّقَلُّل من الدنيا ، ومُلازَمة الفقر ، وفيه جَواز الرَّهْن ، وجواز رَهْن آلة الحرب عند أهل الذِّمة ، وجواز الرهن في الحَضَر ، وبه قال الشافعي ومالك وأبو حنيفة وأحمد والعلماء كافة إلا مُجاهدًا وداود فقالا : لا يجوز إلا في السَّفَر ... . وأمَّا اشتراء النبيِّ ﷺ الطعام من اليهوديِّ ، ورهنه عنده دُون الصحابة ، فَقِيل : فَعَلَه بيانًا لجَواز ذلك. وقِيل: لأنه لم يكن هناك طعام فاضل عن حاجة صاحبه إلا عنده . وقِيل : لأن الصحابة لا يأخذون رهنه ﷺ ، ولا يَقبِضون منه الثمن ، فَعَدَلَ إلى مُعاملة اليهوديِّ لئلا يُضيِّق على أحد من أصحابه . وقد أجمع المسلمون على جَواز مُعاملة أهل الذِّمة وغَيرهم من الكفار ، إذا لم يتحقق تحريم ما معه ، لكن لا يَجوز للمسلم أن يبيع أهل الحرب سلاحًا وآلة حرب ، ولا يستعينون به في إقامة دِينهم ، ولا بيع مُصحَف ، ولا العبد المسلم لكافر مُطْلَقًا ، والله أعلم)) اهـ .

والشريعةُ الإسلامية السَّمحة تُبيح تعامُل المسلم مع اليهوديِّ وزيارته في بَيته ، بعكس الشريعة اليهودية المُتطرِّفة التي بيَّنها بُطرُس (إمام النصارى) بقَوله : " أنتم تَعلَمون أنَّهُ مُحَرَّمٌ على اليهوديِّ أن يتعاملَ معَ الأجنبيِّ أو يَزورَه في بَيته " . وهكذا يتَّضح الفرقُ بين الشريعة الإسلامية السَّمحة والشريعة اليهودية المُتطرِّفة .

---

٢٤٣ متفق عليه.واللفظ للبخاري(٢/ ٨٨٧)برقم(٢٣٧٤).ومسلم(٣ / ١٢٢٦)برقم (١٦٠٣).

في صحيح البخاري (١/ ٤٥٥) : عن أنس _ رضي الله عنه _ قال : كان غلامٌ يهوديٌّ يَخدِمُ النَّبيَّ ﷺ ، فمَرِضَ ، فأتاه النَّبيُّ ﷺ يَعُودُه ، فقعدَ عند رأسه ، فقالَ له : ((أَسْلِمْ)) ، فنظرَ إلى أبيه وهو عِنده ، فقال له : أَطِعْ أبا القاسم ﷺ ، فأسلمَ ، فخَرَجَ النَّبيُّ ﷺ وهو يقول : ((الحمدُ للهِ الذي أنقذه مِنَ النَّار)) .

هذا يدل على تواضع النبيِّ ﷺ وإحسانه إلى الناس (المسلمين وغير المسلمين) ، وحُسن التعامل معهم ، والحِرص على إرشادهم وهدايتهم إلى الإيمان والحق ، لإنقاذهم مِن عذاب النار الشديد . والنبيُّ ﷺ يتعامل مع الناس بأدب واحترام ، ويُظهِر محاسنَ الإسلام وفضائله ، وهذا يَجذب الناسَ إلى اعتناق الإسلام ، ويُرغِّبهم فيه ، دون ضغط ، ولا إكراه ، ولا تهديد .

وقال الحافظ في الفتح (٣/ ٢٢١) : ((وفي الحديث جَواز استخدام المُشرك وعيادته إذا مَرِضَ ، وفيه حُسن العَهْد ، واستخدام الصغير ، وعَرْض الإسلام على الصبيّ ، ولَوْلا صِحَّته مِنه ما عَرَضَه عليه ، وفي قَوله : " أنقذه بي مِنَ النَّار " (رواية أبي داود) دَلالة على أنه صَحَّ إسلامه ، وعلى أن الصبيّ إذا عَقَلَ الكُفرَ ، ومات عليه ، أنه يُعذَّب)) .

وفي [يُوحَنَّا ٥ : ٤٦]قال المسيح لليهود: ((فَلَوْ كُنتم صَدَّقْتُم مُوسى لكُنتم صَدَّقتُموني)).

هذا النصُّ الإنجيليُّ يُوضِّح أن اليهود يَنسِبون أنفسَهم إلى النبيِّ مُوسى ﷺ كذبًا وزُورًا ، فهُم أعداء مُوسى ، وأعداء الأنبياء جميعًا . والإنجيلُ يُوضِّح أن اليهود كذَّبوا مُوسى وعيسى معًا ، ولو أنهم صدَّقوا مُوسى لقادهم هذا الأمر إلى تصديق عيسى . والأنبياء إخوةٌ ، دِينهم واحد ، وهو الإسلام ، يَسِيرون في طريق واحد . ولو صدَّق اليهودُ عيسى لصدَّقوا محمدًا . ولكن أمرَ الله كان مَفعولًا . وقد أضلَّ اللهُ اليهودَ ، وغضب عليهم ، ولعنهم ، بسبب ذنوبهم ومعاصيهم ، وعداوتهم للأنبياء ، وتكذيبهم ، وقتل الكثيرين مِنهم . والإيمانُ شَرَفٌ ، لا يَمنحه اللهُ إلا للمُستحقين .

إن اجتماع الصفات السيئة في اليهود جَعل الناسَ يَنفِرون مِنهُم على مدار التاريخ، ويُعادونهم، ويُحاولون التخلص منهم . فاليهودُ خَوَنة ، وطابور خامس ، ليس لهم عهد ولا أمان ، ولا يَعبدون إلا أموالهم ومصالحهم الشخصية . وضَرَبَ اللهُ عليهم الذِّلةَ والمسكنةَ والخِزي والعار . وكُل مَن يتقرَّب لليهود ، إنما يَفعل ذلك بسبب أموالهم وسُلطتهم ونفوذهم ، وليس حُبًّا فيهم ، ولا احترامًا لهم . والقضيةُ هي مجموعة مصالح مادية مشتركة . وهُم يُطبِّقون المبدأ الذي يقول : اليد التي تَقْدِر على قَطْعها قَبِّلْها . واليهودُ أفسَدوا المجتمعاتِ ، لذلك سَعى الحُكَّامُ إلى التخلُّص منهم .

في [أعمال الرُّسل ١٨ : ٢] : ((لأن القَيصَر كُلُودِيُوسَ أَمَرَ بطرد اليَهود مِن رُوما)) .

والناسُ يَكرَهون اليهودَ بسبب جرائمهم الوضيعة ، وأعمالهم القذرة ، ومؤامراتهم الكثيرة ، وخياناتهم المُتكررة . ولا يجوز لليهود أن يَلُوموا الناسَ على ذلك ، لأن اليهود يَعرِفون جرائمهم ، ويَكرَهون أنفسَهم ، ويُحارِب بعضُهم بعضًا ، رغم مظاهر الوَحدة الخادعة عندهم .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وألقَينا بينهم العداوةَ والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾[المائدة : ٦٤] .

ألْقَى اللهُ بين اليهود العَداوةَ والكراهيةَ والحِقدَ . كلمتهم مُختلفة ، وقلوبهم مُتفرِّقة ، ومصالحهم مُتعارضة . لا تجتمع قلوبهم ، ولا تلتقي أقوالهم . تحسبهم كُتلةً واحدة ، ولكنهم في الحقيقة أعداء مُتحاربون فيما بينهم ، وكُل فِرقة مِنهم تُخالف الأُخرى ، وتُعاديها ، ولا يزالون مُختلفين مُتباغضين حتى قيام الساعة . وَحْدتهم ظاهرية وشكلية قائمة على المنافع المادية الدنيئة، لا حقيقة لها ولا شرعية . ولا يوجد رابط فِعلي بينهم ، إذ إن العداوة تنخر صُفوفَهم ، وتُمزِّق شَمْلَهم ، وتجعلهم طوائف مُتناحرة ، وأحزابًا مُتحاربة ، وكُلٌّ يُغنِّي عَلى لَيْلاه .

وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٠٤) : ((يعني أنه لا تجتمع قلوبهم ، بل العداوة واقعة بين فِرَقهم بعضهم في بعض دائمًا ، لأنهم لا يجتمعون على حق)) اهـ .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣٩٤) : ((قَوله تعالى : ﴿ وألقَينا بينهم العداوةَ والبغضاء ﴾ فِيمَن عُنِيَ بهذا قَولان : أحدهما اليهود والنصارى ، قاله ابن عباس ومجاهد ومُقاتل . فإن قِيل : فأين ذِكْر النصارى ؟ ، فالجواب أنه قد تَقَدَّمَ في قَوله : ﴿ لا تتَّخذوا اليهودَ والنصارى أولياءَ ﴾ [المائدة : ٥١] . والثاني أنهم اليهود ، قاله قَتادة)) .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ يا أيها الذينَ آمَنوا لا تتَّخذوا اليهودَ والنصارى أولياءَ بَعْضُهُم أولياءُ بَعْضٍ ومَن يَتَوَلَّهُم مِنكم فإنَّهُ مِنهم ﴾ [المائدة : ٥١] .

هذا نهيٌّ إلهيٌّ عن مُوالاةِ اليهود والنصارى واتخاذهم أنصارًا. فَهُم أعداءُ اللهِ وأعداء المؤمنين. بعضُهم أولياء بعض ، وهُم مُتَّفقون على مُحاربة الإسلامِ وأهْلِه. فالكفرُ مِلَّةٌ واحدة . لذلك لا يَجوز الاعتماد عليهم ، ومعاملتهم مُعاملة الأحباب والأصفياء . ومَن والاهم فهو مِنهم ، مَنسوبٌ إليهم ، ومحسوبٌ عليهم . وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣٧٧) : ((في سبب نزولها ثلاثة أقوال : أحدها أنها نزلت في أبي لُبابة حِين قال لبني قُرَيْظة إذا رَضُوا بِحُكْم سعد إنه الذبح ، رواه أبو صالح عن ابن عباس وهو قول عِكْرمة . والثاني أن عُبادة بن الصامت قال : يا رسول الله إن لي مَوالِيَ من اليهود، وإني أبرأ إلى الله مِن وَلاية يهود ، فقال عبدالله بن أُبَي : إني رَجل أخاف الدوائر، ولا أبرأ إلى الله مِن وَلاية يهود ، فَنَزلت هذه الآية ، قاله عطية العَوفي . والثالث أنه لَمَّا

كانت وَقعة أُحُد خافت طائفة من الناس أن يُدال عليهم الكفار ، فقال رَجل لصاحبه : أمَّا أنا فألحق بفُلان اليهودي فآخذ منه أمانًا أو أتهوَّد معه، فَنَزلت هذه الآية، قاله السُّدي ومقاتل)) اهـ .

وعن عِياض الأشعري عن أبي موسى رضي اللهُ عنه ، أن عُمر رضي الله عنه أمَره أن يرفع إليه ما أَخذ وما أعطى في أديم واحد ، وكان لأبي موسى كاتب نصراني يَرفع إليه ذلك ، فَعَجِبَ عُمر رضي الله عنه ، وقال : إن هذا لحافظ . وقال : إن لنا كتابًا في المسجد ، وكان جاء من الشام فادْعُهُ فليقرأ . قال أبو موسى: إنه لا يستطيع أن يَدخل المسجد، فقال عُمر رضي اللهُ عنه : أجُنُبٌ هُوَ ؟ . قال: لا ، بل نصراني . قال : فانتهرَني ، وضربَ فَخِذي . وقال : أخْرِجْه . وقرأ : ﴿ يا أيها الذينَ آمَنوا لا تتَّخذوا اليهودَ والنصارى أولياءَ ﴾ الآية . قال أبو موسى : واللهِ ما تَوَلَّيْتُهُ ، إنما كان يَكتب . قال : أمَا وَجدتَ في أهل الإسلام مَن يَكتب لك ، لا تُدْنِهم إذ أقصاهم اللهُ ، ولا تأمنهم إذ خوَّنهم اللهُ ، ولا تُعِزَّهم بعد إذ أذَلَّهم اللهُ [٢٤٤].

ينبغي على المسلمين ألا يُسَلِّموا رِقابَهم وأمورَهم المالية والعسكرية للكفار ، خصوصًا اليهود والنصارى ، لأنهم بذلك يَطَّلعون على أسرار المسلمين ونقاط قُوَّتهم ونقاط ضَعْفهم ، وهذا بحد ذاته اختراقٌ أمني . وعلى المسلمين أن يَبحثوا عن أصحاب الكفاءات من أبناء دِينهم ، ويَنبغي ألا يُقرِّبوا الكفارَ، لأن اللهَ تعالى طَرَدهم وأبعدَهم، ولا يَأمنوهم ولا يَثقوا بهم، لأن اللهَ كشفَ خِيانتهم، ولا يُعِزُّوهم ، لأن اللهَ أذلَّهم بسبب كُفرهم وضلالهم وذنوبهم ومعاصيهم وصفاتهم السَّيئة .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [الصَّف : ٦] .

واذْكُرْ يا محمد هذه القصة لِقَومك ، حِينَ قال عيسى لبني إسرائيل : إنِّي رسول الله إلَيكم بالإنجيل، أُصدِّق التوراةَ ، ولا أُخالفها، ولا أطعن فِيها، وأُبشِّر برسول يأتي مِن بَعْدي اسمه أحمد ، والمقصود هو النبيُّ محمد ﷺ ، إذْ إنَّ له أسماء كثيرة ، مِن بينها : أحمد . فلمَّا جاءَهم عيسى بالآياتِ والعلامات ، كَفروا بِه ، وقالوا عنه : سِحْرٌ واضح . ووَصْفُه بالسِّحْر للمُبالَغة والإنكار الشديد .

---

٢٤٤ رواه البَيهقي في سُننه (١٠/ ١٢٧)برقم (٢٠١٩٦).وقال الْمُناوي في فَيض القدير (٦/ ٣٥٠): أخرجه البَيهقي بسند قال ابن حجر : حسن .

إنَّ وَصْفَ عيسى ﷺ ثابت في التَّوراة. وقد أرسلَه اللهُ بالإنجيل إلى بني إسرائيل . وقد خاطبَهم عيسى ﷺ بعبارة رقيقة تَحمل معنى اللين والأدب والتشريف والتكريم : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ .

نَسَبَهم إلى أبيهم إسرائيل (يعقوب ﷺ) كَي يُذكِّرهم بانتمائهم إلَيه ، وهو النبيُّ الطاهر ، فعليهم أن يقتفوا أثرَه ، ويسيروا على نهجه ، فهو أبوهم الصالح . وهذا التذكير من شأنه أن يُحفِّز هِمَّتهم ويَدفعهم للإيمان وعملِ الصالحات، كما تقول لشخص : يا ابن الشريف قُم بِعَملك . فهذه العبارة ستكون دافعًا له على العمل ، واقتفاء آثار مَن سَبَقوه ، وتذكيرًا له بأصله الكريم . والمعنى:يا بَنِي العبدِ الصالحِ والنبيِّ الكريمِ المُطيعِ لله ،كُونوا مِثْلَ أبيكم في الإيمان ، وعملِ الطاعات ، والتزامِ الحق . وقال أبو السعود في تفسيره (٨/ ٢٤٤) : ((يا بني إسرائيل ، ناداهم بذلك استمالةً لقلوبهم إلى تَصديقه)) اهـ .

قالَ عِيسى بن مريم : يا بني إسرائيل ، إنِّي أُرْسِلْتُ إلَيكم بالوصف المذكور في التَّوراة . ولَم يَقل : يا قَومي ، لأنهم ليسوا قَوْمَه ، وليس له فِيهم نَسَبٌ ، فهو ﷺ بِدُون أب . ولا شَكَّ أنَّ تَصديقهم للتَّوراة مِن أعظم الأسباب لِتَصديق عِيسى . فالتَّوراةُ هي الكتاب المُقدَّس لبني إسرائيل . ولو صدَّق اليهودُ بالتَّوراة حقيقةً ، لآمَنوا بالإنجيل والقُرآنِ . ولو صدَّقوا بموسى حقيقةً ، لآمَنوا بعيسى ومحمد _ عليهم الصلاة والسلام _ ، لأن طريق الأنبياء واحد ، وكُل نبيٍّ يُسلِّم رايةَ الحق للنبيِّ الذي بَعْدَه لإكمال المسيرة النبوية العالمية . وفي [يُوحَنَّا ٥ : ٤٦] قال المسيح لليهود : ((فَلَوْ كُنتم صَدَّقْتُم مُوسى لكُنتم صَدَّقتُموني)) .

وقال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٦١) : ((يعني التَّوراة قد بَشَّرت بِي ، وأنا مِصداق ما أَخبرتْ عنه ، وأنا مُبشِّر بِمَن بَعْدي ، وهو الرسول النبيُّ الأُمِّيُّ العربِيُّ المكيُّ أحمد . فعيسى _ عليه السلام _ هو خَاتَم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقامَ في ملأ بني إسرائيل مُبَشِّرًا بمحمد ، وهو أحمد خاتَم الأنبياء والمُرسَلين ، الذي لا رسالة بَعْدَه ولا نُبُوَّة)) اهـ .

وبما أنَّ وَصْفَ عيسى ﷺ ثابت في التَّوراة ، فلا دَاعي لتكذيبه ، ولا معنى للتَّشكيك فِيه . كما أنه جاءَ بِتَصديق أحكامِ التَّوراة، وتعظيمِ شَأنها، والإيمانِ بُكتبِ اللهِ وأنبيائه بلا استثناء ، ولَم يَجِئْ للطعن في التَّوراة ، ولَم يَأتِ بشيء يُخالِفها . وكُلُّ هذه الدلائل تُشير إلى ضرورة الإيمان بِه ، ولا معنى لتكذيبه ، ولا مُبرِّر للطعن في نُبُوَّته . فقد جاءهم بما يُوافِق النقلَ والعقلَ مَعًا . وجاءهم بالتَّصديق والتَّبشير مَعًا . قال القرطبي في تفسيره (١٨/ ٧٥) : ((﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾ لأنَّ في التَّوراة صِفتي ، وإنِّي لَم آتكم بشيء يُخالِف التوراةَ فتنفزعوا عَنِّي)) اهـ .

﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾. قال عِيسى: أُرْسِلْتُ إِلَيكم حالَ كَوْني مُصَدِّقًا لِمَا تقدَّمني مِن التَّوراة ، ومُبَشِّرًا بالرَّسول الذي سيأتي مِن بَعْدي. وهكذا يكون عيسى ﷺ بين التَّصديق والتَّبشير ، التصديق بما سَبَقَ ، والتَّبشير بِمَن سَيَأتي . وهذا يُشير إلى أمانته في تَبليغ الوَحْي كاملًا غَير مَنقوص . فلم يَسْعَ عِيسى إلى الطعن في التَّوراة لإعلاء شأن الإنجيل الذي جاءَ بِه، ولَم يَطعن في محمد لإعلاء شأن نَفْسِه. لقد كانَ عيسى ﷺ أمينًا وصادقًا وشريفًا ونزيهًا . لَم يَكتم شَيئًا مِن الوَحْي، بَل بَلَّغه كاملًا ، بلا زيادة ولا نُقصان . وهذا شأن جميع الأنبياء بلا استثناء . فَهُم مُنَزَّهون عن الكذب والخيانة والخداع .

وقال أبو السعود في تفسيره (٨/ ٢٤٤) : ((أي : أُرْسِلْتُ إِلَيكم حالَ كَوْني مُصَدِّقًا لِمَا تقدَّمني من التوراة ، ومُبَشِّرًا بِمَن يأتي مِن بَعْدي مِن رسول اسمه أحمد ، أي : محمد ﷺ . يُريد أن دِيني التصديق بِكُتب الله وأنبيائه جميعًا ، مِمَّن تقدَّم وتأخَّر)) اهـ .

وعن العِرْباض بن سَارية_ رضي اللهُ عنه_ صاحب رسول الله ﷺ قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقول : ((إنِّي عَبْدُ اللهِ وخَاتَمُ النَّبيين ، وأبي مُنْجَدِلٌ في طِينته ، وسأخبركم عَن ذلك، أنا دَعوةُ أبي إبراهيم ، وبِشارةُ عِيسى)) [٢٤٥] .

كَتب اللهُ نُبُوَّةَ مُحَمَّد ﷺ بعد خلق جسد آدم ﷺ وقبل نفخ الرُّوح فِيه . وكانَ آدم ﷺ صُورةً مِن طِين ، مَطروحةً على الأرض ، لَم تَجْرِ فِيه الرُّوح .

وقال ابن الأثير في النِّهاية في غريب الأثَر (١/ ٧٠٧) عن معنى" مُنْجَدِلٌ في طِينته": ((أي مُلْقَى على الجَدَالة، وهي الأرض)) اهـ.

و" دَعوة أبي إبراهيم " تتجلى في قَول اللهِ تعالى على لسان إبراهيم ﷺ : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِم رَسُولًا مِنهُم ﴾ .

أمَّا " بِشارة عِيسى " فتتجلى في قَوْلِ اللهِ تعالى على لسان عِيسى ﷺ : ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصَّف : ٦] .

وفي تفسير ابن كثير (٤/ ٤٦١) : ((قال ابن عباس : ما بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إلا أَخَذَ عَلَيه العهدَ لَئِن بُعِثَ محمد وهو حَيٌّ لَيَتْبَعَنَّهُ ، وأخذَ عليه أن يَأخذ على أُمَّته لَئِن بُعِثَ محمد وهم أحياء لَيَتْبِعُنَّهُ ويَنْصُرُنَّه)) اهـ .

---

٢٤٥ رواه الحاكم في المستدرَك (٢/ ٤٥٣) برقم (٣٥٦٦) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

وقصة الصحابة الذين ذهبوا إلى النجاشيِّ بأمر النبيِّ ﷺ مشهورة ، وفيها دَلالات عظيمة . فهي اعتراف مِن مَلِكٍ نصرانِيٍّ عَالِم ، وحَوْلَه رجال الدِّين النصارى المُتبحِّرون في دراسات التوراة والإنجيل ، بأنَّ محمدًا ﷺ كان معروفًا في كتب أهل الكتاب . والبعض يملك الجرأة ليعترف بذلك ، والبعض الآخر تغلبه شهواته ومصالحه الشخصية فتحجب عنه الإيمانَ بالرسالة المُحمَّدية الإسلامية ، وهذا يُعرِّضه لخسارة الدنيا والآخرة مَعًا . ويُمكننا أن نُوجِز القصة على النحو التالي :

((فقال النجاشيُّ لجعفر : ما يقول صاحبُك _ يعني النبيَّ ﷺ _ في ابن مريم ؟، قال: يقول فيه اللهُ : هو رُوحُ اللهِ وكَلِمَتُه ، أخرجه مِن البَتول العذراء لَم يَقْرَبْها بَشَرٌ ، قال _ الراوي _ : فتناولَ النجاشيُّ عُودًا من الأرض فرَفعه، فقال: يا مَعْشَرَ القِسِّيسين والرُّهبان ، ما يزيد هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يَزِنُ هذه . مرحبًا بكم وبِمَن جِئتم مِن عنده ، فأنا أشهد أنه رسول الله ، وأنه الذي بشَّر به عيسى بن مريم ، ولَوْلا ما أنا فيه من المُلْك لأتيتُه حتى أحمل نَعْلَيْه)) [٢٤٦] .

في هذه القصة إشارةٌ واضحة إلى أن أهل الكتاب لديهم علوم دينية ، ويُدركون أبعاد الحقيقة، ومعالم الحق. ومنهم مَن يمتلك الجرأة على التصدي للباطل، والجهر بدعوة الحق . وينبغي على المرء أن يطلب الحق مُخْلِصًا في ذلك دون وجود أهواء شخصية أو أغراض مادية نفعية آنِيَّة، ولَن يَذوق لذةَ معرفة الحقيقة سوى شخص صادق في بحثه وقَصْده . وموقفُ النجاشيِّ _ رضي الله عنه _ في إعلان الحقيقة مُدَوِّيةً أمام حاشيته واضح ومُشَرِّف ، ولم يَخْشَ انقلاب الناس عليه ، لأن الحق _ بالنسبة إليه _ أحق أن يُتَّبع . وهذا الموقف العظيم يعكس تَحَرُّرًا في التفكير البَنَّاء ، وبُعْد نظر ثاقبًا ، وإعمالًا لِمَلَكَات تحليل المواقف ، واستيعاب الخطاب الكلماتي بدقة بالغة ، وإيثار الآخرة على الدنيا.وقال ابن كثير في تفسيره(٤/٤٦١):((والمقصد أنَّ الأنبياء عليهم السلام لَم تزل تَنعته وتَحكيه في كُتبها على أُممها ، وتأمرهم باتِّباعه ، ونَصْره ، ومُؤازرته ، إذا بُعِث)) اهـ .

و"أحمد" من أسماء النبيِّ ﷺ ، وهو اسمٌ عَلَمٌ. وعن جُبَير بن مُطعِم _ رضي اللهُ عنه _ قال : سَمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ((إنَّ لي أسماءً ، أنا مُحمَّد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي ، الذي يَمحو اللهُ بِيَ الكفرَ ، وأنا الحاشرُ ، الذي يُحشَر الناسُ على قَدَمِي ، وأنا العَاقِب _ يعني الذي لا نبيَّ بَعْدَه _)) [٢٤٧] .

---

٢٤٦ رواه الحاكم في المستدرَك (٢/ ٣٣٨) برقم (٣٢٠٨) وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

٢٤٧ متفق عليه . البخاري (٤/ ١٨٥٨) برقم (٤٦١٤) ، ومسلم (٤/ ١٨٢٨) برقم (٢٣٥٤) .

ومعنى اسم "أحمد" أنه أكثرُ حَمْدًا للهِ مِن غَيره . وكُلُّ الأنبياء حَمَّادون للهِ تعالى ، وهو أكثرُهم حَمْدًا للهِ تعالى . أوْ أنه يُحمَد بصفاته الطَّيبة الموجودة فِيه أكثر مِمَّا يُحمَد غَيْرُه . وكُلُّ الأنبياء صِفاتهم طَيِّبة ، ويَحْمَدهم الناسُ ، ومحمد ﷺ أكثرُهم وأجمعُهم للفضائل والأخلاق الحميدة، لذلك يَحْمَده الناسُ أكثرَ مِن سائر الأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ .

وصَدَقَ حسَّان بن ثابت حِينَ قال :

صَلَّى الإلهُ وَمَن يَحُفُّ بِعَرْشِهِ والطيبونَ على المُبَارَكِ أحمد

وقال القرطبي في تفسيره (١٨/ ٧٥) : ((و " أحمد " اسم نَبِيِّنا ﷺ ، وهو اسمٌ عَلَمٌ منقول مِن صِفة لا مِن فِعل ، فتلك الصفة " أفعل " التي يُراد بها التفضيل . فمعنى " أحمد " أي أحمدُ الحامدين لِرَبِّه ، والأنبياءُ _ صلوات الله عليهم _ كُلُّهم حامدون الله، ونَبِيُّنا أحمدُ أكثرُهم حَمْدًا . وأمَّا " مُحَمَّد" فمنقول مِن صِفة أيضًا، وهي في معنى " محمود "، ولكن فيه معنى المُبالَغة والتَّكرار. فالمُحمَّد هو الذي حُمِّدَ مَرَّةً بعد مَرَّة ، كما أن المُكَرَّم من الكرم مَرَّة بعد مَرَّة ، وكذلك الممدوح ونحو ذلك. فاسمُ " مُحمَّد " مُطابق لمعناه ، واللهُ سُبحانه سَمَّاه قبل أن يُسَمِّيَ به نَفْسَه، فهذا عَلَمٌ من أعلام نُبُوَّته ، إذْ كان اسْمُه صادقًا عليه ، فهو محمود في الدنيا لِمَا هَدى إلَيه ، ونَفع بِه مِن العِلْم والحكمة ، وهو محمود في الآخرة بالشَّفاعة ، فقد تكرَّرَ معنى الحمد كما يقتضي اللفظ ، ثُمَّ إنه لَم يكن مُحَمَّدًا حتى كان أحمد ، حَمَّدَ رَبَّه ، فَنَبَّأه ، وشَرَّفه ، فلذلك تَقدَّم اسمُ " أحمد " على الاسم الذي هو " محمد " ، فَذَكَرَه عيسى _ عليه السلام _ فقال : ﴿ اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾)) اهـ .

وقال الأستاذ عبد الوهاب النجار في قَصص الأنبياء(ص ٤٧٣) في حوار دار بينه وبين الدكتور كارلو نَلِّينو [٢٤٨] :

---

٢٤٨ كارلو ألفونسو نَلِّينو (١٨٧٢_ ١٩٣٨). مستشرق إيطالي . وُلد في مدينة تورينو الإيطالية . لغوي فلكي مؤرخ جغرافي . له اهتمام واسع باللغة العربية ، وعِلم الفلك العربي ، وتاريخ اليمن القديم ولهجاته ، والمذاهب الدينية الإسلامية . طُبعت محاضراته عن " تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أُمَيَّة " بعد وفاته. ابنته هي المستشرقة ماريا نلينو . وأبرز تلاميذه الكاتب المصري طه حُسَين .

((ما معنى بيريكلتوس؟، فأجابني بِقَوله: إنَّ القُسُسَ يقولون إن هذه الكلمة معناها" المُعَزِّي "، فقلتُ : إني أسأل الدكتور (كارلو نلينو) الحاصل على الدكتوراة في آداب اللغة اليونانية القديمة، ولستُ أسأل قِسِّيسًا، فقال: إنَّ معناها (الذي له حمد كثير) ، فقلتُ : هل ذلك يُوافق أفعل التفضيل مِن حَمِدَ ؟. فقال : نعم، فقلتُ : إنَّ رسول الله ﷺ من أسمائه (أحمد)، فقال : يا أخي ، أنت تحفظ كثيرًا ، ثُمَّ افترقنا . وقد ازددتُ بذلك تثبُّتًا في معنى قَوله تعالى حِكايةً عن المسيح : ﴿ وَمُبَشِّرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾)) اهـ .

﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ . فلمَّا جاءهم عيسى ﷺ بالآياتِ الواضحة والمُعجِزات الباهرة مِثْل: إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص ، وسائر المعجِزات التي تَدل على صِدقه وصِحَّة نُبُوَّته، قالوا عن عِيسى: هذا ساحرٌ واضحٌ أمرُه ، وقد جاءنا بهذا السِّحر (يَقصدون المُعجِزات والآيات) . أو قَد يكونون قَد أطلقوا لفظ " سِحْر " على عيسى ﷺ للمُبالَغة [٢٤٩] .

وذهبَ بعضُ المفسِّرين إلى أنَّ المقصود هو محمد ﷺ . والمعنى: فلمَّا جاءهم أحمد بالآيات والمُعجِزات ، وهي الأدلة والحُجَج على نُبُوَّته ، اتَّهموه بأنه ساحر ، وما جاء بِه سِحْر . أو يَقصدون أنَّ محمدًا ﷺ هو السِّحْر للمُبالَغة . وقال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٦١) : ((وَقَوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ . قال ابن جُرَيج وابن جرير : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم ﴾ أحمد أي المُبشَّر به في الأعصار المُتقادِمة، المُنَوَّه بِذِكْره في القرون السالفة. لَمَّا ظَهر أمرُه وجاء بالبَيِّنات قال الكَفَرة والمخالِفون : ﴿هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾)) اهـ . وقال أبو السعود في تفسيره (٨/ ٢٤٤) : ((﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالبَيِّنَاتِ ﴾ أي : بالمُعجِزات الظاهرة ، ﴿ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ مُشيرين إلى ما جاء به ، أو إلَيه _ عليه الصلاة والسلام _ وتسميته سِحْرًا للمُبالَغة ، ويُؤَيِّده قراءة مَن قَرأ : هذا ساحر)) اهـ . وفي صَفوة التفاسير (١٨/ ٤٤) : ((قال المُفسِّرون : بَشَّرَ كُلُّ نبيٍّ قَوْمَه بِنَبِيِّنا محمد ﷺ ، وإنما أَفردَ اللهُ تعالى ذِكْرَ عِيسى بالبِشارة في هذا الموضع ، لأنه آخرُ نبيٍّ قبل نَبِيِّنا ﷺ ، فَبَيَّنَ تعالى أنَّ البِشارة به عَمَّت جميعَ الأنبياء ، واحدًا بعد واحد ، حتى انتهت إلى عيسى _ عليه السلام _ آخرِ أنبياء بني إسرائيل)) .

---

٢٤٩ قال الصابوني في صَفوة التفاسير(١٨/ ٤٤): ((هذا هو الظاهر أنَّ الضمير يعود على " عيسى" لأنه المحدَّث عنه . وقِيل : يعود على " أحمد " الذي بشَّروا به ، والأول اختيار البيضاوي والألوسي وصاحب البحر المحيط ، وهو الأظهر)) .

مهَّد عيسى (خَاتَم أنبياء بني إسرائيل) الطريقَ لمُحمَّد (خَاتَم الأنبياء والمُرسَلين) كَي يَقود المسيرةَ البشرية . لكنَّ بني إسرائيل _ كعادتهم _ قَوْمُ سَوْء وحَسَد وحِقد وعِناد ، يريدون احتكارَ الفضل الإلهيِّ لأنفسهم مَعَ أنهم غير مُلتزمين بشريعة الله تعالى . لذلك حاولوا بكل ما أُوتوا من قوة عبر الطرق غير المشروعة أن يمنعوا وصولَ النُّور المُحمَّديِّ إلى العالَم ، لكنهم عجزوا عن ذلك رغم سيطرتهم على مثلث الشهوات (المال _ الجنس _ الإعلام) . وقال ابن تيمية في الجواب الصحيح لِمَن بَدَّلَ دِينَ المسيح (٣/ ٥٠٤) : ((ثُمَّ لَمَّا بَعث اللهُ مُحمَّدًا بالدِّين الذي بَعث به المسيحَ وسائرَ الأنبياء قَبْلَه، وكان مُحمَّد مُصَدِّقًا لِمَا جاء به المسيح، وكان المسيحُ مُبَشِّرًا برسول يأتي مِن بَعْدِه اسمه أحمد، صارت أُمَّة محمد أتبع للمسيح _عليه السلام_ من النصارى الذين غيَّروا شريعته ، وكذَّبوه فيما بَشَّرَ به ، فجعل اللهُ أُمَّةَ محمد فوق النصارى إلى يوم القيامة)).

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ الذينَ يتَّبعونَ الرسولَ النبيَّ الأُمِّيَّ الذي يَجِدُونهُ مَكْتُوبًا عِندَهُم في التَّوراةِ والإنجيلِ يأمُرُهُم بالمَعروفِ ويَنهَاهُم عَنِ المُنكرِ ويُحِلُّ لهمُ الطَّيباتِ ويُحرِّمُ عَلَيهِمُ الخبائثَ ويضعُ عَنهُم إصْرَهُم والأغلالَ التي كانت عَلَيهِم فالذينَ آمنوا بِهِ وعزَّروهُ ونَصَرُوهُ واتَّبعوا النُّورَ الذي أُنزِلَ مَعَهُ أُولئكَ هُمُ المُفْلِحُون ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

إن الرحمة الإلهية الخاصة جَعَلَها اللهُ للذين يؤمنون بالنبيِّ محمد ﷺ ويتَّبعونه حقًّا وصِدْقًا ، الأُمِّيِّ الذي لا يَقرأ ولا يَكتب. وتسميته رسولًا بالإضافة إلى الله تعالى ، حيث اختاره اللهُ واصطفاه. وتسميته نبيًّا بالإضافة إلى العباد ، حيث أرسله اللهُ إلى الناس لتبليغهم وَحْي السماء .

واليهودُ والنصارى يَجِدُون صِفَةَ النبيِّ محمد ﷺ في التَّوراة والإنجيل ، ويَعرِفونها حقَّ المعرفة . قال ابن كثير في تفسيره(٢/ ٣٣٥): ((وهذه صِفَة محمد ﷺ في كُتب الأنبياء ، بشَّروا أُمَمهم بِبَعْثه ، وأمروهم بمُتابعته، ولم تزل صِفاته مَوجودة في كُتبهم ، يَعرِفها عُلماؤهم وأحبارهم)) اهـ .

وفي صحيح البخاري (٢/ ٧٤٧): عن عطاء بن يسار قال : لقيتُ عبد الله بن عمرو ابن العاص _رضي الله عنه _ قلتُ: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التَّوراة ، قال : ((أجل ، ... ، ليس بِفَظ، ولا غَليظ ، ولا سَخَّاب في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر)).

هذه الصفات عبارة عن ركائز أساسية في طريق تثبيت الفاعلية الذاتية للشخصية البشرية ، وانعكاسها على الأفراد من أجل كسب قلوبهم وإقناعهم بجدوى الإيمان والالتزام بمنهاج النُّبُوَّة واحترام المبعوثين مِن قِبَل الله تعالى . والفرد لا يمكن أن يحترم شخصًا مُنَفِّرًا ، أو يقتنع بكلامه ويأخذه على محمل الجِد . والسَّخابُ هو كثير الصِّياح .

وفي الحديث أن رَجُلًا من اليهود كان ناشرًا التَّوراة يَقْرَؤها ، يُعزِّي بها نَفْسَه على ابن له في الموت كأحسنِ الفِتيان وأجْمَلِه ، فقال رسول الله ﷺ : ((أنشُدُكَ بالذي أنزلَ التَّوراةَ ، هل تجد في كتابك ذا صِفَتي ومَخْرَجي ؟))، فقال برأسه هكذا ، أي : لا ، فقال ابنه : إي والذي أنزل التَّوراةَ، إنَّا لنجدُ في كتابنا صِفَتَكَ ومَخْرَجَكَ ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله [٢٥٠].

هذا دليل على ثُبوت صِفة النبيِّ محمد ﷺ ونَعْته ونُبُوَّته عند أهل الكتاب (اليهود والنصارى) وهُم يَعرِفونها ويَقْرَؤونها في التَّوراة والإنجيل ، ومُطَّلعون عليها . ولكن الحسد والحِقد والمصالح الشخصية وحُب الرئاسة والزعامة ، دَفَعهم إلى الكفر والضلال وتكذيب النبيِّ محمد ﷺ . ولكنَّ الشمس لا تُغطَّى بِغِرْبال .

﴿ يأمُرُهُم بالمَعروفِ وينَهاهُم عَنِ المُنكَرِ ﴾ . يأمرهم بكل شيء جميل وحَسَن،تَعرِفه قلوبهم، ولا تُنكِره . وينَهاهُم عن كُل شيء قبيح وسَيِّئ ، تُنكِره قلوبهم ، ولا تَعرِفه .

﴿ ويُحِلُّ لهمُ الطَّيباتِ ويُحرِّمُ عَلَيهِمُ الخبائثَ ﴾ . يُحِلُّ لهم ما حُرِّمَ عليهم مِن الأشياء الطَّيبة بسبب ذنوبهم ومعاصيهم ، ويُحرِّم عليهم الأشياءَ القَذِرة الخبيثة كالدَّم والمَيْتَة ولحم الخِنزير .

وفي تفسير ابن كثير (٢/ ٣٣٥): ((قال بعض العلماء : فكُل ما أحلَّ اللهُ تعالى مِن المآكل فهو طَيِّب نافع في البدن والدِّين ، وكُل ما حرَّمه فهو خبيث ضار في البدن والدِّين)) اهـ .

﴿ ويضعُ عَنهُم إصْرَهُم والأغلالَ التي كانت عَلَيهِم ﴾ . ويُسقِط عنهم ثِقْلَ العهد الذي أُخِذَ عليهم ، ويُخفِّف عنهم مِنَ التكاليف الشاقة الثقيلة المفروضة عليهم ، كقتل النَّفْس في التَّوبة ، وقَطْع الأعضاء الخاطئة ، وقَرْض النجاسة عن الثَّوب بالمِقْراض ، وتحريم أخذ الدِّيَة ، وترك العمل في السَّبْت ، وغَير ذلك من الأحكام الشاقة . والإصْرُ الثِّقْل . والأغلالُ مُستعارة للتكاليف الشاقة التي كُلِّفُوها . والشريعةُ المُحمَّدية الإسلامية قائمة على التَّيسير والسَّماحة والتَّسهيل على الناس ورفع الحَرَج . وفي صحيح البخاري (١/ ٢٣) : عن أبي هُريرة ــ رضي اللهُ عنه ــ عن النبيِّ ﷺ قال : ((إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ)) .

﴿ فالذينَ آمنوا بِهِ وعزَّروهُ ونَصَرُوهُ ﴾ . فالذينَ صدَّقوا بالنبيِّ محمد ﷺ ، واتَّبعوه ، وعظَّموه ، ووقَّروه ، ونصروه على الأعداء ، ونشروا دِينه وشريعته .

---

٢٥٠ رواه أحمد في مسنده (٥/ ٤١١) . وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٣٥) : ((هذا حديث جيِّد قوي ، له شاهد في الصحيح عن أنس)) .

﴿ واتَّبعوا النُّورَ الذي أُنزِلَ مَعَهُ ﴾ . واتَّبعوا القُرآنَ المُنير . وسمَّاه اللهُ نُورًا ، لأنه واضح وظاهر، ومُرشِد للناس ، وكاشف لحقائق الأشياء ، ومُظهِر لأحوال الدنيا والآخرة .

﴿ أُولئكَ هُمُ المُفْلِحُون ﴾ . أُولئك هُم الفائزون بسعادة الدنيا ونعيمِ الآخرة الأبديِّ .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٧٢ و٢٧٣) : ((وفي تَسميته بالأُمِّيِّ قَولان : أحدهما لا يكتب، والثاني لأنه مِن أُم القُرى . قَوله تعالى : ﴿ الذي يَجِدُونهُ مَكْتُوبًا عِندَهُم ﴾ أي: يَجِدون نَعْتَه ونُبُوَّتَه . قَوله تعالى : ﴿ يأمُرُهُم بالمَعروفِ ﴾ . قال الزَّجاج : يجوز أن يكون مُسْتَأنَفًا، ويجوز أن يكون: يَجِدونه مكتوبًا عندهم أنه يأمرهم بالمعروف. قال ابن عباس: المعروف مَكارم الأخلاق وصِلة الأرحام . والمُنكَر عِبادة الأوثان وقَطْع الأرحام . وقال مُقاتل : المعروف الإيمان ، والمُنكَر الشَّر . وقال غَيْرُه : المعروف الحق ، لأن العقول تعرف صِحَّته ، والمُنكَر الباطل ، لأن العقول تُنكِر صِحَّته. وفي الطَّيبات أربعة أقوال : أحدها أنها الحلال ، والمعنى: يُحِلُّ لهم الحلال. والثاني أنها ما كانت العرب تستطيبه . والثالث أنها الشُّحُوم المُحرَّمة على بني إسرائيل . والرابع ما كانت العرب تُحرِّمه مِنَ البَحِيرة والسَّائبة والوَصِيلة والحَام . وفي الخبائث ثلاثة أقوال : أحدها أنها الحرام ، والمعنى : ويُحرِّم عليهم الحرام . والثاني أنها ما كانت العرب تَستخبثه ولا تأكله كالحَيَّات والحشرات . والثالث ما كانوا يَسْتَحِلُّونه مِنَ المَيْتَة والدَّم ولحم الخِنزير. قَوله تعالى : ﴿ ويضعُ عَنهُم إصْرَهُم ﴾ . وفي هذا الإصْر قَولان : أحدهما أنه العَهْد الذي أخذَ اللهُ على بني إسرائيل أن يَعملوا بما في التَّوراة ، قاله ابن عباس . والثاني التَّشديد الذي كان عليهم مِن تحريم السَّبْت ، وأكلِ الشُّحُوم والعُرُوق وغَير ذلك مِن الأمور الشاقة ، قاله قَتادة . وقال مسروق : لقد كان الرجل من بني إسرائيل يُذنِب الذَّنْب ، فيُصبح وقد كُتِب على باب بَيته ، إن كفَّارته أن تَنزع عَينيك فينزعهما . قَوله تعالى : ﴿ والأغلالَ التي كانت عَلَيهِم ﴾ . قال الزَّجاج : ذِكْر الأغلال تمثيل ، ألا ترى أنك تقول : جَعَلْتُ هذا طَوْقًا في عُنقك ، وليس هناك طَوْق ، إنما جَعَلْتَ لُزومَه كالطَّوْق ، والأغلالُ أنه كان عليهم أن لا يُقبَل منهم في القتل دِيَة ، وأن لا يَعْمَلوا في السَّبْت ، وأن يَقْرِضُوا ما أصاب جُلودهم مِنَ البَوْل . قَوله تعالى : ﴿ فالذينَ آمنوا بِهِ ﴾ ، يعني بمحمد ﷺ ، ﴿ وعزَّروهُ ﴾ . وفي المعنى قَولان : أحدهما نصروه وأعانوه ، قاله مُقاتل . والثاني عظَّموه ، قاله ابن قُتَيبة . ﴿ النُّورَ الذي أُنزِلَ مَعَهُ ﴾ القُرآن . سمَّاه نُورًا ، لأن بيانه في القُلوب كبيان النُّور في العُيون . وفي قَوله : ﴿ مَعَهُ ﴾ قَولان : أحدهما أنها بمعنى عَلَيه . والثاني بمعنى أُنزِل في زمانه . قال قَتادة : أمَّا نَصْرُه فقد سُبِقْتُم إليه ، ولكنَّ خَيْرَكم مَن آمنَ به ، واتَّبَعَ النُّورَ الذي أُنزِل معه)) .

الفصل الثالث

دراسات منهجية في التَّوراة

تمهيد

إن الإيمان بالتَّوراة التي أنزلها اللهُ على النبيِّ مُوسى ﷺ رُكن مِن أركان الإيمان ، بحيث إن مُنكرها كافر . ولكن هذه التَّوراة مَفقودة ، ولا أحد يَعْلَم أينَ هِيَ . أمَّا الموجودُ اليوم فهي التَّوراة (العهد القديم) ، وهي كتابٌ بشريٌّ وَضْعي أُسطوري خُرافي ، وخليط فوضوي من الحكايات غير الثابتة تاريخيًّا ، والأحكام العبثية ، والتشريعات اللامنطقية ، والأفكار الشخصية ، والآراء الذاتية . والجديرُ بالذِّكر أن لغة التَّوراة الأصلية هي العِبرانية .

والتَّوراةُ الحالية (العهد القديم) عبارة عن أسفار متفرقة ومُتناقضة ومُتعارضة، لِكُتَّاب مُختلفين ومجهولين في أزمنة مُختلفة . وهُناك كتابات كثيرة في التَّوراة أُضِيفت بعد النبيِّ مُوسى ﷺ ، وهناك أكاذيب كثيرة نُسِبت إلى النبيِّ مُوسى ﷺ ، وهو مِنها بريء. كما أن عدد صفحات التَّوراة (العهد القديم) الذي لا يقل عن ٢٥٠٠ صفحة ، يُمثِّل كميةً هائلة ومَهُولة ، لا يُمكن أن تُكتَب كما أمرَ النبيُّ مُوسى ﷺ . وأينَ سيتمُّ حفظ مِثل هذه الكمية ؟، ومَن الذي سيحفظها ؟ .

ومِن الغريب أن تحتوي التَّوراة الحالية _ التي يَعتبرها أهلُ الكتاب كتابًا سماويًّا _ على الدَّعوة إلى القيم السلبية ، ونشر الأخلاق المذمومة ، وتعميم الصفات الدنيئة ، وبث الحقد والكراهية والقتل والإرهاب وإبادة الأجناس البشرية، والطعن في شرف الأنبياء ، وتَلويث سُمعتهم ، وتلطيخ صُورتهم بالضلال والخِزي والعار . ومِن غَير المعقول أن تكون هذه أوامر إلهية ، أو توجيهات ربَّانية ، أو إرشادات من النبيِّ مُوسى ﷺ . فاللهُ أنزلَ التَّوراةَ الأصلية على النبيِّ مُوسى ﷺ لهداية الناس ، وإرشادهم إلى طريق الحق والهدى والصواب ، ونشر الأخلاق الحميدة والحب والتسامح والسلام والوئام وقيم الفضيلة ومعاني الإيمان والتقوى . وليس لتدمير الفرد ، وتحطيم المجتمع ، وتفتيت الحضارة الإنسانية ، وحرق الأخضر واليابس .

وهذا العبثُ بالتَّوراة والتلاعب بِها مِن قِبَل أحبار اليهود ، مِن أجل تصوير اليهود كشعب الله المختار ، وبسط سُلطتهم وسيادتهم على العالَم ، والسيطرة على الأمم والشعوب ، والتحكم بثرواتها ومُقدَّراتها ، وتحقيق مصالح شخصية ، والحصول على مكتسبات رُوحية ومادية .

إن التَّوراة كتاب بشري قائم على الخيالات المَرَضِيَّة، والأساطير العبثية ، والخُرافات العدمية . وقد اعترفَ كثير من علماء الغرب بأن التَّوراة الحالية كتبها أحبارُ اليهود، ولا علاقة لِمُوسى بِها . وبذلك يكون قد شَهِدَ شاهدٌ مِن أهلها ، والحقُّ ما شَهِدَت به الأعداءُ .

أوَّلًا : التناقض في التَّوراة

١) ضاع من الكتب المُقدَّسة عند اليهود الكثيرُ ، مثل سِفْر الحروب : ((لذلك يُقال في كتاب حُرُوب الرَّب واهِبٌ في سُوفة وأوديةِ أَرنونَ)) [عَدَد ٢١: ١٤] ، وسِفْر ياشَر : ((أليسَ هذا مكتوبًا في سِفْر ياشَرَ)) [يشوع ١٠: ١٣]، وثلاثة كتب لسليمان: ((وتَكلَّمَ بثلاثة آلاف مَثَلٍ . وكانت نشائدُه أَلفًا وخَمسًا . وتَكلَّمَ عن الأشجار من الأَرْز الذي في لُبنان إلى الزُّوفا النابت في الحائط . وتَكلَّم عن البهائم وعن الطير وعن الدَّبيب وعن السَّمك)) [الملوك الأول ٤: ٣٢و٣٣]، وكتاب قوانين السلطنة لصَمُوئيل : ((فَكَلَّمَ صَمُوئيلُ الشعبَ بفضاء المملكة وكتبهُ في السِّفْر ووضعه أمام الرَّب))[صَمُوئيل الأول١٠: ٢٥] وتاريخ صموئيل وتاريخ ناثان وتاريخ جاد الرائي : ((هي مكتوبةٌ في سِفْر أخبار صموئيل الرائي وأخبار ناثان النبي وأخبار جاد الرائي))
[أخبار الأيام الأول ٢٩: ٢٩] ، وكتاب شمعيا وأَخِيَّا ورؤى يعدو الرائي : ((أمَا هي مكتوبةٌ في أخبار ناثان النبي وفي نُبُوَّة أَخِيَّا الشِّيلوني وفي رؤى يعدو الرائي))[أخبار الأيام الثاني ٩: ٢٩] ، وياهو بن حناني: ((هي مكتوبةٌ في أخبار ياهو بن حناني))[أخبار الأيام الثاني ٢٠: ٣٤]، وكتاب إِشَعْيَاء عن الملك عُزِّيَّا: ((وبقيةُ أُمور عُزِّيَّا الأولى والأخيرة كتبها إِشَعْيَاءُ بن آموص النبيُّ))
[أخبار الأيام الثاني ٢٦: ٢٢] ، ورؤيا إِشَعْيَاء عن حَزَقِيَّا : ((وبقيةُ أُمور حَزَقِيَّا ومراحمه ها هيَ مكتوبةٌ في رؤيا إشَعياء بن آموص النبيِّ في سِفْر ملوك يهوذا وإسرائيل)) [أخبار الأيام الثاني ٣٢: ٣٢]، ومرثية إِرْمِيَا لِ يُوشِيَّا : ((ورثى إِرْمِيَا يُوشِيَّا))[أخبار الأيام الثاني ٣٥: ٢٥] ، وكتاب أخبار الأيام:((وكان بنو لاوي رؤوسُ الآباء مكتوبين في سِفْر أخبار الأيام))[نَحَمْيَا١٢: ٢٣] .

إن ضياع هذه الكتب وفُقدانها يُثير الشُّكوك والشُّبهات ، ويُثبِت بشكل واضح خيانة اليهود، وتضييعهم لكُتبهم المُقدَّسة وأسفارهم الدينية. وأيضًا ، يدل على كثرة الأيدي التي تعبث بالنصوص الدينية إظهارًا وإخفاءً ، زيادةً ونُقصانًا . وعمليةُ الحذف والطمس والتغيير والتحريف والزيادة والنقصان التي قام بها علماء اليهود ، إنما تهدف إلى الحفاظ على سُلطتهم الدينية ، وبسط نفوذهم وهيمنتهم على الأفراد والجماعات، وتكريس زعامتهم ورئاستهم وسيادتهم على المجتمعات، وتحقيق منافع روحية ، والحصول على مكاسب مادية .

٢) بعض البِشارات عن النبيِّ محمد ﷺ توجد في الكتب القديمة، ولا توجد في الكتب الحالية . فلعلها كانت موجودة في هذه الكتب المفقودة .

٣) التَّوراة الحالية مُجرَّد قصص وروايات عشوائية.وهذه الحكاياتُ التاريخيةُ بلا سند تاريخي، لا يُعرَف كُتَّابها ، ولا تاريخ حُدوثها ، ولا مكان وقوعها . وهذا يدل على الفوضى العارمة في أنساق التَّوراة المتعارضة ، وأسفارها المضطربة ، ونصوصها المتناقضة .

٤) هناك كُتب الأبُوكرِيفَا : طوبيا ويهوديت والحكمة وابن سيراخ وتسبحة الثلاثة فتيان وقصة سُوسَنَّة وكتابا المكابيين الأول والثاني . ورغم أن هذه الأسفار كانت ضمن الترجمة السبعينية لِمَا يُسمَّى بالعهد القديم ، إلا أن علماء اليهود لَم يضعوها ضمن الكتب القانونية . مِمَّا يدل على أن اليهود يَحذفون ما لا يتوافق مع أهوائهم الذاتية ومصالحهم الشخصية ومكاسبهم المادية .

والجديرُ بالذِّكر أن " أَبُوكْرِيفَا " كلمة يونانية قديمة تعني " أشياء تَمَّ إخفاؤها " . وتُتَرْجَم إلى الكتب المنحولة أيضًا . وفي السِّياق الديني مُصطلح أبوكريفا **Apocrypha** يُسْتَعْمَل اليوم حصرًا للإشارة إلى نصوص دينية تُعْتَبَر غَير مُوثَّقة ولا مُعْتَرَف بِها مِن قِبَل الأكثرية الدينية، وتدريجيًّا اصطبغَ المصطلح بمعاني سلبية مُرادِفة للتَّحريف . وفي النصرانية تُطلَق أبوكريفا على أسفار مِن الكتاب المُقدَّس ، تَمَّ نبذها ، لأنه لَم يتم إقرارها والموافقة عليها مِن قِبَل مجامع كنسية مختلفة .

٥) لا يوجد سند مُتَّصل للتَّوراة والإنجيل. وهذان الكتابان البَشَرِيَّان مَقطوعا السَّند بالاتِّفاق، وغَير منقولَيْن بطريقة السَّند الصحيح المتواتر.لذلك، انتشرَ فيهما التناقض والتعارض والاضطراب.

٦) ينقطع تواتر التوراة قبل زمان يُوشِيَّا بن آمون . والنسخة التي وُجدت بعد ١٨ سنة من حُكمه لا اعتماد عليها . بل ضاعت في حادثة بُخْتُنَصَّر .

٧) قال الدكتور إسكندر كيدس _ أحد أبرز علماء النصرانية _: ((إن أسفار موسى الخمسة الموجودة الآن ليست من تصنيف مُوسى ، وإنها كُتبت في كنعان أو أورُشَلِيم، ونسبَ تأليفها إلى زمن سُلَيمان ، يعني قبل ميلاد المسيح بألف سنة ، وبعد وفاة موسى بخمسمائة سنة)) اهـ .

وأسفارُ موسى الخمسة هي التي كتبها مُوسى بنفْسه _ حَسَب عقيدة أهل الكتاب _ ، وهي أساس التَّوراة ، وشريعة العهد القديم ، وهي : التَّكوين ، والخُروج ، واللاويين ، والعَدَد، والتَّثنية .

٨)قال العالِم نورتن : ((لا يوجد فرقٌ يُعْتَدُّ بِه بين لُغة التَّوراة ولغة سائر كتب العهد القديم التي كُتبت زمن إطلاق بني إسرائيل مِن سَبْي بابل ، معَ أنه بين هذين الزمانين ٩٠٠ سنة)) .

إن اللغة تختلف باختلاف الزمان.فالعربيةُ مثلًا في العصر الجاهلي تختلف عن العصر الحالي، والإنجليزية في عصر شكسبير مثلًا تختلف عن الإنجليزية الحالية . وقِسْ على هذا باقي اللغات. وبسبب عدم وجود فرق بين لُغة الكتب المُقدَّسة ، تكون قد كُتِبت في زمن واحد .

٩)أثبتت الدراسات الحديثة التي قام بها الباحثون الغربيون على نصوص العهد القديم من حيث المفردات والأساليب أن العهد القديم الموجود حاليًا الذي تُشكِّل التَّوراة ثلاثة أرباعه لَم يُكتَب في عهد النبيِّ مُوسى ﷺ ، الذي عاشَ على الراجح في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وإنما ابتدأت كتابته بعد وفاته بخمسة قرون، أي في القرن التاسع قبل الميلاد، وانتهت بعده بعشرة قرون،أي في القرن الرابع قبل الميلاد،واستمرَّت كتابته حوالي خمسمائة عام تقريبًا،فهي إذن ليست التَّوراة التي أنزلها اللهُ على النبيِّ مُوسى ﷺ [علي عبد الواحد وافي، اليهودية واليهود، ص ١٤].

١٠) عندما انقرضت طبقةُ الكهنة المؤمنين ، تغيَّرت حال بني إسرائيل . فكانوا تارةً يَرتَدُّون وأخرى يعبدون الرب، فكانوا مؤمنين إلى أن حصلت الانقلابات فضاعت نسخة التوراة الأصلية.

١١) وردت قصةُ الخلق مَرَّتَيْن في الأصحاحَيْن الأول والثاني مِن سِفْر التكوين . في الأصحاح الأول ذكر أن الله تعالى خلق الإنسان ذكرًا وأنثى ، بينما الأصحاح الثاني يقول إن الله خلق آدم ثم خلق حوَّاء. وهذا تناقض، لأن الأصحاح الأول يقول إن الله خلق الذكر والأُنثى معًا،أمَّا الأصحاح الثاني فيقول إن اللهَ خلق آدمَ وَحْدَه،ولَم تكن هناك أُنثى،ثُمَّ خَلق حَوَّاء(الأنثى).

١٢) ورد في [تَكْوين ١ : ٣]: ((وقال اللهُ ليكن نورٌ فكان نورٌ)).وفي [تكوين ١ : ١٤]: ((وقال اللهُ لتكن أنوارٌ في جَلَد السماء)) . وهذا تناقض ، لأن النص الأول يتحدث عن النُّور بالمفرَد، أمَّا النَّص الثاني فيُورِد لفظة " أنوار " بالجمع.وأيضًا ، هناك اختلاف واضح في الكلمات.

١٣) في [تكوين ٢ : ٢] يقول إن الله استراح ، وفي [إِشَعْيَاء ٤٠ : ٢٨] يقول إن اللهَ لا يَكِلُّ ولا يَعيا . إن النَّص الأول ينسب صفة نقص إلى الله، حيث يَزعم أن الله استراحَ، والاستراحة إنما تكون بعد التعب والإرهاق . والمعنى إن اللهَ تعبَ وأُصيب بالإرهاق ثُمَّ أخذَ قِسْطًا مِن الراحة ، وزالَ تعبُه ، واستراحَ . وهذه إهانة لله ، وتطاوُل عليه ، وطَعْن في صفاته . فاللهُ هو الخالقُ العظيمُ، لا تطرأ عليه الحوادث ، وهو الإلهُ الكاملُ ، قُدرته مُطْلقة ، وإرادته نافذة في كُل شيء ، ومُنَزَّهٌ عن كُل نقص وعَيْب . وقد خَلَقَ السماواتِ والأرض ولَم يُصَبْ بالتعب ، ولَم يَشعر بالإرهاق . ولكنَّ اليهودَ مُولعون بوصف الله بصفات البشر ، لأنهم غارقون في عقائد التجسيم والتشبيه الباطلة. والنصُّ التَّوراتي الثاني يُبيِّن بوضوح أن الله لا يَكِلُّ ولا يَعيا ، أي إنه سُبحانَه لا يَتعب . والتناقضُ بين النَّصَّيْن يُوضِّح الفرق بين صفات الكمال وصفات النقص ، ويَفضح أكاذيب اليهود .

١٤) ورد في [تَكوين ٢ : ١٧] : ((وأمَّا شجرةُ معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنكَ يوم تأكل منها مَوْتًا تموت)) . وهذا خطأ ، لأن آدم أكل منها ولَم يَمُت . ولا يُمكن حمل النَّص

على معنى مَجازي . لأن القاعدة الأساسية في تفسير النصوص ، هي حَمْلها على مَعناها الظاهري الحقيقي، إلا إذا وَردت قرينة تَصرف المعنى مِن الحقيقة إلى المَجَاز . وهذه القرينةُ غير موجودة في هذا النص التَّوراتي ، ومِن المعلوم استحالةُ التَّرجيح بلا مُرجِّح . إذن ، فالموتُ في النص هو بمعناه الحقيقي (مُفارَقة الروح للبدن) . وهذا لَم يحصل للنبيِّ آدم ﷺ حين أكلَ مِن الشَّجرة .

١٥) ورد في [تكوين ٢ : ١٨] : ((وقالَ الرَّبُّ الإلهُ ليس جَيِّدًا أن يكون آدمُ وَحْدَه . فأَصنعَ له مُعينًا نظيرَه)) . وهذا يتناقض مع وصية بُولُس : ((أنتَ منفصلٌ عن امرأةٍ فلا تطلب امرأةً)) [الرسالة الأولى إلى كُورِنثُوس ٧: ٢٧] . إن بُولُس هو قائد أكبر حركة انقلابية في تاريخ الفكر الديني النصراني (المسيحي) . لقد ألغى أحكامَ التَّوراة والإنجيل بمزاجيته وطَيْشه، وأضلَّ النصارى ، وقادهم إلى الانحراف والضلال والضياع . وإني لأعجبُ أشدَّ العَجَب ، كيفَ سمح علماء النصارى لبُولُس أن يتلاعب بالعقائد، ويَجعل آراءه الشخصية دِينًا، وهو ليس من تلاميذ المسيح (الحواريين) ، ولا يَنتمي إلى الدائرة الضَّيِّقة المحيطة بِه . إن النص الأول (التَّوراتي) مِن كلام الله _ حَسَب التَّوراة _، ومعناه أن آدم لا يَنبغي أن يظل وحيدًا، فهو رَجل بحاجة إلى امرأة ، والرابطةُ الإنسانية قائمة على الزَّوجية (ذَكَر وأُنثى) ، لذلكَ خَلَقَ اللهُ له امرأةً تُناظره في الخَلْق ، وتكون له سَكَنًا ، وتُوفِّر له الحياة الهانئة السعيدة ، وتُعينه ، وتُساعده ، وتشترك معه في تكوين أُسرة صالحة ، ووضع أساس المجتمع الإنساني الفاضل . أمَّا النص الثاني (الإنجيلي) ، فقد وَرَدَ على لسان مُقدَّس النصارى وإمامهم وواضع عقائدهم وشرائعهم ، بُولُس . وقد قرَّر بُولُس ضرورة الابتعاد عن الزواج ، وعدم طلب امرأةٍ . ووَفْق رأيه ، إن الرَّجل كيان مستقل ومُنفصل عن المرأة ، فينبغي أن يظل وحيدًا ، مُنفصلًا عن المرأة ، لا يَطلبها ، ولا يَسعى للاقتران بها . وهذا انقلاب واضح على النَّص التَّوراتي ، وإلغاء له، وإبطال لِحُكمه.مَعَ أن المسيح شخصيًّا قال: ((لا تَظُنُّوا أني جئتُ لأُلغيَ الشريعةَ أو الأنبياء . ما جئتُ لأُلغي ، بل لأُكمِل)) [مَتَّى ٥: ١٧] . وهذا كلامٌ واضحٌ مِن المسيح ، يُفيد بأنه جاء لإكمال الشرائع والأحكام السابقة لا إلغائها . والمسيحُ لَم يُعْطِ لنفْسه حقَّ إلغاء الشريعةَ أو الأنبياء، وهو الذي يَعتبره النصارى إلَهًا لهم وابنًا لله، فكيفَ سمحوا لِبُولُس ، وهو شخص غامض وغريب الأطوار ، وليس مِنَ تلاميذ المسيح ، ولا مِن المُقرَّبين إليه ، أن يُلْغِيَ النصَّ التوراتي ، ويُبطِل كلامَ الله ، ويتجاوز كلامَ المسيح ؟! .

١٦) ورد في [تكوين ٣ : ٨] : ((فاختبأَ آدمُ وامرأتُه من وجه الرَّب الإلهِ)) . وهذا يتناقض مع قول النبيِّ داود:((أينَ أذهب من روحكَ ومن وجهكَ أينَ أَهربُ))[مزامير ١٣٩: ٧].

النَّصُّ الأول يَطعن في النبيِّ آدم وحوَّاء ، ويُقدِّمهما كشخصَيْن جاهلَيْن بصفات الله ، يُحاولان الاختباء مِن الله ، لِكَيْلا يَراهما . وهذا نَص قبيح للغاية ، وفيه إهانة لله تعالى ، وانتقاص مِن آدم وحوَّاء . والأنبياء هُم أعلم الخلق بالله تعالى ، وأفضل مَن عَبَدَه وعَظَّمَه وقدَّسه ، ويَعْلَمون أن الله لا يَخفى عليه خافية، ولا يُمكن الاختباء مِنه ، ولا الهروب مِنه ، فهو مُحيط بكل شيء ، ومُسيطر على كُل شيء . أمَّا محاولة التَّوراة رسم هذا المشهد البائس ، حيث الاختباء مِن الله ، ومُحاولة الاستتار عنه ، فهي محاولة مفضوحة ومرفوضة ، ومتناقضة معَ النص التوراتي الثاني الذي ورد على لسان النبيِّ داود ، والذي يُفيد باستحالة الهروب مِن الله بأيِّ شكل مِن الأشكال .

١٧) لَمَّا وَلدت حوَّاء قايين (قابيل) قالت:((اقتنيتُ رَجُلًا من عند الرَّب)) [تكوين ٤ : ١]. والرَّب هنا هو يَهْوَهْ في اللغة العِبرية . ولكن جاء في [خُروج ٦ : ٣] : ((وأَمَّا باسمي يَهْوَهْ فلم أُعرَف عندهم)) . وهذا تناقض . والجديرُ بالذِّكر أن يَهْوَهْ هو اسم الله المذكور في التَّوراة ، وفي العهد القديم في الكتاب المقدَّس . وهو في الأساس إله من العصر البرونزي تَمَّ توظيفه في الدِّيانة اليهودية. وبالرغم من كتابة الاسم في التوراة العِبرية إلا أنه يحرم على اليهود ذِكر لفظ هذه الكلمة، فيتمُّ استبدالها بـ أدوناي ، أو هاشِم بالعبرانية الحديثة . ويسمح لرئيس الكهنة بِنُطقها أثناء قراءته للتَّوراة في يوم الغُفران فقط ، وذلك أثناء تواجده في قُدس الأقداس . إن اختلاف الأسماء والتعابير والمصطلحات يدل على كثرة الأيادي العابثة بالتَّوراة ، وأن كثيرًا مِن الكتابات التَّوراتية تَمَّت على أيدي أشخاص (علماء) مجهولين وغامضين ، بلا أزمنة مُعيَّنة ، ولا أمكنة مُحدَّدة . مِمَّا يدل على أن تحريف التَّوراة قد تَمَّ على فترات زمنية مختلفة، وليس دفعة واحدة ، وبواسطة أشخاص كثيرين، تحقيقًا لمصالحهم الشخصية ، وليس بواسطة شخص واحد .

١٨) ورد في [تكوين ٤ : ٨] : ((وَكَلَّمَ قايينُ هابيلَ أخاه . وحدثَ إذ كانا في الحقل أن قايين قام على هابيل أخيه وقتله)).وفي الترجمة السامرية والسبعينية عبارة " تعال نخرج إلى الحقل". وهذا يدل على منهجية الزيادة والنُّقصان التي اعتمدها مُحَرِّفُو التَّوراة عبر كُل العصور .

١٩) ورد في [تكوين ٤ : ١٥]: ((فقال له الرَّبُّ لذلك كلُّ من قَتَلَ قايينَ فسبعة أضعافٍ يُنتقم منه.وجعل الربُّ لقايين علامةً لكي لا يقتله كلُّ من وجده)).وهذا يُناقِض [تكوين ٩ : ٦]: ((سَافِكُ دمِ الإنسان بالإنسان يُسفَك دَمُه)) .

إن الأحكام التَّوراتية فوضوية،والتشريعات التَّوراتية قائمة على العبث والتناقض والاضطراب. لقد قَتل قايين أخاه هابيل ، والقاتلُ يُقتَل ــ وَفْق النص الثاني ــ . لكن النَّص الأول يقول إن الرب

مَنع قتلَ قايين، وجَعل له علامةً مُميَّزة، مِن أجل عدم التَّعَرُّض له،ولا يَقتله كُل مَن وَجده . وهذان النَّصَّان مُتعارضان ومتناقضان ومُتصادمان ، ويُشيران إلى فوضى الأحكام التشريعية في التَّوراة .

٢٠) هناك تناقض بين [تكوين ٥: ٣٢] و [تكوين ١١ : ١٠] . ففي الأول : ((وكان نوحٌ ابنَ خَمْس مئة سنةٍ وولدَ نوحٌ سَامًا وحَامًا ويَافَثَ)) ، وفي الثاني: ((لَمَّا كان سامٌ ابنَ مئة سنةٍ وَلَدَ أَرْفَكْشَادَ بعد الطوفان بسنتين)) ، مَعَ أن الطوفان حصل إذ كان نوح ابن ٦٠٠ سنة ، حَسَب [تكوين ٧ : ١١] . وهذه الأرقام المتعارضة تكشف طبيعة التلاعب بالنصوص التَّوراتية.

٢١) ورد في [تكوين ٦ : ٣] : ((لِزَيَغَانِهِ هو بَشَرٌ وتكون أيامُه مئة وعشرين سنةً)) . وهذا خطأ، لأن أعمار الذين كانوا في سالف الزمان طويلة جدًّا . ومِن الواضح أن قضية العُمر في هذا النَّص التَّوراتي هي عقوبة لأنها مُترتِّبة على إثم(زَيَغَانه).والمنطقُ يقول أن تكون مُدَّة زمنية طويلة كي يُعَانِيَ فيها ويُكابد مشقَّات الحياة. لذلك ، فإن ١٢٠ رقم غير منطقي ، ويتناقض مع السياق.

٢٢) ورد في [تكوين ٦ : ٦] : ((فحزنَ الربُّ أنه عمل الإنسانَ في الأرضِ . وتأَسَّفَ في قلبه)). وورد في [مزامير ١٠٦ : ٤٥] : ((ونَدِمَ _ أي الله _ حَسَبَ كثرة رحمته)) . إن النص الأول يُثبِت صفة الحزن لله ، وهذه صفة نقص مرفوضة ، واللهُ أعلى وأجل مِن مُشابَهة مخلوقاته ، فهو الخالق العظيمُ الكامل المُنَزَّه عن صفات الناس المحدودة وعيوبهم ومشاعرهم كالحزن والأسف . والنصُّ الثاني يُثبِت صفة الندم لله ، وهذا مرفوض ، لأن اللهَ لا يَندم ولا يُشْبِه مخلوقًا ، ولا يُشبهه مخلوق . والحزنُ والأسف والندم صِفات بشرية ناقصة ومحدودة ، واللهُ الخالقُ مُنَزَّهٌ عن كُل عَيْبٍ ونقصٍ . واليهودُ غارقون في التَّجسيم والتَّشبيه لجهلهم بصفات الله المُقدَّسة ، وغرقهم في الكفر والضلال والأهواء الشخصية والمصالح المادية . وهُم يَخترعون صفاتٍ لله ما أنزلَ اللهُ بِها مِن سُلطان ، ويُؤَلِّفون شرائع وعقائد مِن بنات أفكارهم ، وذلك لتحقيق مصالح شخصية.وهذه الخرافاتُ التَّوراتيةُ تتناقض مع النَّص التَّوراتي[عَدَد ٢٣ : ١٩] : ((ليس اللهُ إنسانًا فيكذبَ . ولا ابنَ إنسانٍ فيندمَ)) . وهذا النَّص يَفضح أكاذيبَ التَّوراة ، ويُنَزِّهُ اللهُ عَن مُشابهةِ الإنسان وصفاتِه ، ويُبيِّن أن الله لا يَكذب ولا يَندم . وبالتالي ، يَظهر التَّناقض في التوراة .

٢٣) ورد في [تكوين ٧ : ٨و٩] : ((وَمِنَ البهائِمِ الطاهرةِ والبهائِمِ التي لَيْست بطاهرة وَمِنَ الطيورِ وكُلِّ ما يَدِبُّ على الأرض . دخل اثنانِ اثنانِ إلى نُوحٍ إلى الفُلْكِ ذَكَرًا وأُنثى . كما أمرَ اللهُ نُوحًا)) . ولكن في [تكوين ٧ : ٢] : ((مِن جَميعِ البهائمِ الطاهرة تأخذ مَعَكَ سبعةً سبعةً ذَكَرًا وأُنثى . وَمِنَ البهائم التي لَيْست بطاهرة اثنينِ ذَكَرًا وأُنثى)) .

هذا التناقضُ بين النَّصَّيْن يُوضِّح عدم مَوثوقية الأحداث في التَّوراة،وكثرة الأيدي التي تتلاعب بالتفاصيل، وتُحرِّكها لأهدافها الخاصة، ومشاريعها الشخصية، ومنافعها المادية . وتحريفُ القصص التاريخية في التَّوراة ، يُثبِت بوضوح أن علماء اليهود يَخترعون تاريخًا مُتَخَيَّلًا لا علاقة له بالواقع .

٢٤) ورد في [تكوين ٧: ١٧] : ((وكان الطوفانُ أربعين يَوْمًا على الأرض)) . وفي الترجمة السبعينية أربعين يَوْمًا وليلة . لقد زِيدت لفظة " ليلة " على الأصل . وهذا الأمرُ صارَ عاديًّا وطبيعيًّا ، لأن التَّحريف في التَّوراة هو لُعبة أحبار اليهود وعلمائهم . وعمليةُ الزيادة والنقصان والتَّحريف والتَّبديل والتغيير والحذف والإضافة منتشرة في التَّوراة بوضوح ، وبشكل مفضوح .

٢٥) ورد في [تكوين ٨: ٤و٥]: ((واستقرَّ الفُلْكُ في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال أراراط . وكانت المياه تنقص نقصًا متواليًا إلى الشهر العاشر . وفي العاشر في أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال)) . هذا تناقض واضح واختلاف ظاهر ، لأنه إذا ظَهرت رُؤوس الجبال في الشهر العاشر ، فكيف استقرَّ الفُلْكُ (سفينة نُوح ﷺ) في الشهر السابع على جبال أراراط ؟!. والجديرُ بالذِّكر أن جبل أراراط يُحاذي حدود إيران وتركيا وأرمينيا وأذربيجان. وله قِمَّتان : ماسيس الكبير (أعلى قمة في هضبة أرمينيا بارتفاع ٥١٣٧ م) ، وماسيس الصغير أقل ارتفاعًا (٣٨٩٦ م) . ويرتبط جبال أراراط بِعِدَّة ديانات . وَطِبْقًا لِسِفْر التَّكوين ، فقد استقرَّت سفينة نُوح على قمته ،كما يحظى بمكانة رفيعة لدى الأرمن ، حيث يرتبط بالقومية الأرمنية منذ عصور ما قبل الميلاد . وقد بيَّن القُرآنُ الكريم أن سفينة نُوح ﷺ استقرَّت على جبل الجُودِيِّ . قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلى الجُودِيِّ ﴾ [هُود : ٤٤] . والجوديُّ اسم جبل .

قال ابن الجوزي في زاد المسير (٤ / ١١١) : ((واختلفوا أين هذا الجبل على ثلاثة أقوال : أحدها أنه بالمَوْصِل ، رواه أبو صالح عن ابن عباس ، وبه قال الضَّحاك . والثاني بالجزيرة ، قاله مُجاهد وقَتادة. وقال مقاتل: هو بالجزيرة قريب من الموصل. والثالث أنه بناحية آمِد، قاله الزَّجاج. ــ وآمِد مدينة عتيقة تقع حيث موقع ديار بَكْر اليوم في أقصى ما بين النهرينــ . وفي عِلَّة استوائها عليه قَولان : أحدهما أنه لَم يغرق ، لأن الجبال تشامخت يومئذ وتطاولت ، وتواضع هُوَ فلم يَغرق فأرْسَتْ عليه،قاله مجاهد.والثاني لما قَلَّ الماء أرْسَتْ عليه فكان استواؤها عليه دَلالة على قِلَّة الماء)). وقال عبد الوهَّاب النَّجار في قَصَص الأنبياء (ص ٥٣) : ((جبل الجوديِّ في نواحي ديار بَكْر مِن بلاد الجزيرة ، وهو يتَّصل بجبال أرمينيا . قال في القاموس المحيط: "والجوديُّ جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نُوح عليه السلام، ويُسمَّى في التَّوراة (أراراط) ")).

٢٦) ورد في [تكوين ٩ : ٣] : ((كُلُّ دابةٍ حية تكون لكم طعامًا)) . مع أن الشريعة الموسوية حَرَّمت حيواناتٍ كثيرة ، منها الخِنْزير كما في لاوِيِّين ١١ وتَثْنية ١٤ . وهذا يدل على فَوضى التَّشريع في التَّوراة ، والتلاعب الواضح بمنظومة (الحلال والحرام) . والنَّصُّ في سِفْر التَّكوين يُحلِّل جميع الدواب الحيَّة بلا استثناء ، ويَعتبرها طعامًا شرعيًّا حلالًا ، لا إثم فيه ولا شُبهة، وهذا يتعارض بوضوح معَ تحريم الخِنْزير الثابت في التَّوراة.وهذا يدل على إقحام المصالح الشخصية في النصوص الدينية ، ومُحاولة توجيه الدِّين لخدمة أصحاب المصالح والنفوذ والسُّلطة، سواءٌ كانت سُلطة دينية أم سياسية .

٢٧) جاء في [تكوين ٩ : ٢٠ _ ٢٧] أن نُوحًا لَمَّا أراد أن يَلعن ابنه حام لَعَنَ حفيدَه كنعان بن حام وقال : ((ملعونٌ كنعان ! عَبْدَ العبيدِ يكونُ لإخوته)) [تكوين ٩ : ٢٥] .

إن منهج الأنبياء الكرام _ عليهم الصلاة والسلام_ قائم على الدَّعوة بأسلوب حَسَن وجميل وجذَّاب، أمَّا السَّب واللعن والشَّتم، فليس مِن منهج الأنبياء. والتَّوراةُ تَزعم أن نُوحًا أرادَ لعن ابنه ، فأخطأ في ذلك، ولعنَ حفيدَه.وهذا يتعارض مع عِصمة الأنبياء وأخلاقهم الرفيعة وصفاتهم الحسنة، والتَّوراةُ تَلعب لُعبةً مكشوفةً لتشويه صُورة النبيِّ نُوح ﷺ ، وتصويره كشخص جاهل وطائش ، لا يَعرِف ماذا يقول . وهذه الأكاذيبُ لا تُؤثِّر في صُورة النبيِّ نُوحٍ ﷺ ، فهو النبيُّ الكريمُ المعصوم ، ويتمتَّع بالبيان والبلاغة والفصاحة ، والأخلاق الحميدة ، والقُدرة على التعامل مع الآخرين بأدب وحِكمة وتوازن ، وليس بالسَّب واللعن والشتائم والطَّيش والجهل . وأيضًا ، لماذا يتحمل الابنُ وِزْرَ أبيه،مع أن [تَثْنِيَة ٢٤ : ١٦] تقول إن الابن لا يناله العقاب بسبب أبيه ؟ .

ومِن المعلوم في الشرائع السماوية والشرائع الأرضية أن كُل إنسان يتحمَّل مسؤولية أفعاله ، ولا يتحمَّل مسؤولية أفعال الآخرين . فما ذنبُ الابن البريء كي يتحمَّل مسؤولية أفعال والده ؟ . وهل توافق التَّوراةُ على أن الأخ يَستعبد أخاه ؟. إن عبارة : ((عَبْدَ العبيدِ يكونُ لإخوته)) تدل على تكريس استعباد الأخ لأخيه ، وهذا يَحمل معنى الإخضاع والإذلال والخِزي والعار . وفي هذا دليلٌ واضح على وَحشية التَّوراة البشرية وقَسوتها ، ونشرها لقيم الحقد والكراهية والاستكبار والعُنف والاستعباد . وهذا يُشير بوضوح إلى أن التَّوراة قائمة على مبدأ القهر والغَلَبَة والاضطهاد والازدراء والسيطرة والهيمنة والإذلال والإخضاع بالقوة ، واحتقار القيم الإنسانية ، وتدمير الروابط الأُسرية ، وتفتيت وَحدة المجتمعات . وهذا يُشكِّل خطرًا حقيقيًّا على الوجود البشري والحضارة الإنسانية ومُنجزات التاريخ الإنساني .

٢٨) ورد في [تكوين ١١ : ٥] : ((فنزلَ الربُّ لينظر المدينةَ والبرجَ اللذين كان بنو آدم يبنونهما)) . وتكرَّرت نفْس الفكرة في [تكوين ١٨: ٢١] . فكيف ينزل اللهُ ؟! . إن التَّوراة قائمة على التَّجسيم وتشبيه الله بمخلوقاته ، وتشبيه المخلوقات بالله تعالى . وهذا يدل على الجهل التام بصفات الله ، وعدم تقدير عَظَمَتها ، فاللهُ هو الخالقُ المُحِيط بكل شيء ، المُنَزَّه عن صفات الحوادث ومُشابهة مَخلوقاته . ولكنَّ عِشْق التجسيم والتشبيه مُتغلغل في قلوب اليهود . وهُم يَخترعون صفاتٍ لله مِن أفكارهم الشخصية ، اتِّباعًا لأهوائهم الذاتية ومصالحهم الشخصية .

٢٩) ورد في [تكوين ١١: ٢٦]: ((وعاش تَارَحُ سبعين سنةً وولد أبرامَ وناحُورَ وهَارَان)). وجاء في [تكوين ١١: ٣٢]:((وكانت أيام تارح مئتين وخمس سنين. ومات تارح في حاران)) . وجاء في [تكوين ١٢: ٤] : ((فذهب أبرامُ كما قال له الربُّ وذهب معه لوط . وكان أبرامُ ابنَ خمس وسبعين سنةً لَمَّا خرجَ من حَارَان)) . وجاء في [أعمال الرُّسل ٧: ٤] : ((فخرج حينئذ من أرض الكَلْدَانيين وسكنَ في حَارَان ، ومن هناك نقله بعد ما مات أبوه إلى هذه الأرض التي أنتم الآن ساكنون فيها)) . وهذه الآيات متناقضة ، لأنه إن كان تارح ابن ٧٠ سنة لَمَّا وَلَدَ إبراهيم (أبرام) ، ومات وعُمره ٢٠٥ سنة . فتكون سِن إبراهيم عند موت أبيه ١٣٥ سنة . وإن كان تركَ حاران عند موت أبيه فلا بد إذًا أن عمره كان ١٣٥ سنة عند وصوله إلى أرض الموعد . وهذا يُناقض ما جاء في [تكوين ١٢: ٤] أن عُمر إبراهيم كان ٧٥ سنة لَمَّا خرجَ من حاران . وهذا العبثُ والفَوضى والتناقض والتعارض ، يُشير إلى عدم دِقَّة التَّوراة في بيان الأحداث التاريخية، ووجود كثير من الأخطاء في الأرقام والأزمنة والأمكنة، وهذا دليل واضح على التَّحريف ، وكثرة الشُّكوك والشُّبهات حول نصوص التَّوراة ، فهي تُحطِّم نفْسها بنفْسها ، وتبتعد عن الصِّحة والدِّقة والصواب . والتَّوراةُ تخترع تاريخ الأحداث التاريخية بشكل أُسطوري خُرافي بعيد عن الواقع .

٣٠) جاء في [تكوين ١٢: ١_ ٥] أن الله دعا إبراهيم وهو في حاران، بينما يقول[أعمالُ الرُّسل ٧ : ٢ _ ٤] إن الله دعاه قبل أن يَجيء إلى حاران . وهذا تناقض واضح ، يدل على غياب تام للدِّقة في سَرْد الأحداث التاريخية المتعلقة بالأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ . مِمَّا يُثير شكوكًا وشُبهات حول النصوص التَّوراتية _ بشكل عام _ ، ويُفقِدها شرعيتها المزعومة ، وما طَرَأَهُ الاحتمال ، سَقط بِه الاستدلال . ولا يُمكن البناء المعرفي على قاعدة مهزوزة ، ولا يُمكن اعتماد نصوص متناقضة ومُتعارضة . وما بُنِيَ على باطل فهو باطل . والدِّينُ الحقُّ إنما يُبنَى على اليقين لا الشَّك ، ويقوم على الأدلة الواضحة لا التناقضات الصارخة .

٣١) جاء في [تكوين ١٢ : ٦] : ((وكانَ الكَنْعَانِيُّونَ حِينئذٍ في الأرض))، وكذلك ورد في [تكوين ١٣ : ٧] : ((وكانَ الكَنْعَانِيُّونَ وَالفَرِزِّيُّونَ حِينئذٍ سَاكنينَ في الأرض)) . فهاتان الآيتان لَيْستا مِن كلام مُوسى ، بَل هُما مُلْحَقَتَان ، لأنهما تُشيران على أن الكنعانيين لَم يكن لهم وُجود وقت كتابة هذه الفِقرة، بينما كان الكنعانيون في فلسطين مدة طويلة بعد عصر مُوسى ﷺ . قال الدكتور أحمد السقا في كتابه (نقد التَّوراة ص ٨٨ و٨٩) : ((قَوله : "وكانَ الكَنْعَانِيُّونَ حِينئذٍ في الأرض" يدل على أن الكاتب كتب التَّوراة بعد استيلاء بني إسرائيل على أرض كَنْعان ، وطرد الكنعانيين منها ، لأنه يحكي عن زمان مضى ، وهم لَم يستولوا عليها زمن موسى، وإنما تَمَّ الاستيلاء عليها زمن داود . وَكُرِّرت هذه العبارة أكثر مِن مَرَّة ، " وكانَ الكَنْعَانِيُّونَ وَالفَرِزِّيُّونَ حِينئذٍ سَاكنينَ في الأرض " (تكوين ١٣ : ٧) . وفي سِفْر صَمُوئيل الأوَّل ما يُثبِت الاستيلاء على أرض كنعان كان في عصر طالوت وداود)) اهـ . والجديرُ بالذِّكر أن " كَنْعان" هي منطقة تاريخية سَامِيَّة اللغة في الشرق الأدنى القديم ، تشمل اليوم فلسطين ولبنان والأجزاء الغربية مِن الأردن وسوريا . وكانت المنطقة مهمة سياسيًّا في العصر البرونزي المتأخر خلال حِقبة العمارنة ، كَوْن المنطقة كانت محل نزاع الإمبراطورية المصرية والآشوريين . وذُكِرَ الكنعانيون كجماعة إثنية كثيرًا في الانجيل العِبري . تَمَّ استبدال الاسم " كنعان " بـِ " سوريا " عقب سيطرة الإمبراطورية الرومانية على المنطقة.وخلال الفترة (القرن ٧ ق . م _ ٤ ق . م) أسَّسَ الكنعانيون مستعمرات كنعانية جديدة، امتدَّت مِن غرب البحر الأبيض المتوسط إلى حُدود السواحل الأطلسية . أمَّا الفَرِزِّيُّون فهُم من القبائل العربية التي استوطنت فلسطين ، وكانوا يسكنون القرى ، ويرى بعض المؤرخين أنهم فَرْع مِن الكنعانيين .

٣٢) جاء في [تكوين ١٣: ١٨ و٣٥: ٢٧ و٣٧: ١٤] لفظة " حَبْرُون" وهو اسم قرية كانت تُسمَّى قديمًا أرْبَع ، حَسَب [يَشُوع ١٤ : ١٥] : ((واسمُ حَبْرُونَ قَبْلًا قَريةُ أرْبَعَ الرَّجُلِ الأعظمِ في العَنَاقِيِّين))اهـ . وبنو إسرائيل بعدما فتحوا فلسطين في عهد يَشُوع غَيَّروا اسم " أرْبَع" إلى حَبْرُون [يَشُوع ١٤ : ١٥]. فيكون ما ورد في سِفْر التكوين كلام شخص عاش بعد هذا الفتح ، فهو إذًا ليس من كلام النبيِّ مُوسى ﷺ . وهذا دليل على التَّحريف وتلاعب العلماء المتأخِّرين بالتَّوراة . وينبغي القَول إن " عَنَاق " كلمة سَامِيَّة معناها " عُنُق " أو " قِلادة عُنُق ". وكانوا شعبًا أو قبيلة تسكن المنطقة الجبلية في فلسطين غربي الأردن، وبخاصة في حَبْرُون ، وما حَوْلها قبل دُخول بني إسرائيل إلى أرض كَنْعان. ودُعُوا " عَنَاقيين " نِسبةً إلى جَدِّهم الأكبر " عَنَاق

ابن أرْبَع " ، الذي تُنسَب إليه " قرية أرْبَع " . وسُمِّيت بعدها حَبْرُون لأحد سببين ، إمَّا نِسبة للمَلِك عِفْرُون الحِثِّي الكنعاني الذي باع المغارة لِـ إبراهيم ، حسب الرواية التَّوراتية . وإمَّا لِكَوْنها كلمة مُشتقة من كلمة " حافير " العِبرية أو الخليل بالعربية . وسُمِّيت فيما بعد بالخليل ، نِسبةً إلى خليل الرحمن، وهو النبيُّ إبراهيم ﷺ .

٣٣) جاء في [تكوين ١٤: ١٤] لفظة "دان " مع أنها اسم بلدة عُمِّرت في عهد القُضاة . فإنه بعد موت يَشُوع، فَتح بنو إسرائيل في عهد القُضاة مدينة لايِش ، وسَمَّوْهَا باسم " دان " ، [القُضاة ١٨ : ٢٩] : ((وَدَعَوا اسمَ المدينة دَانَ بِاسْمِ دَانَ أبيهم الذي وُلِدَ لإسرائيلَ . ولكنَّ اسمَ المدينة أوَّلًا لايِشُ)) . وهذا يدل على تحريف العلماء المتأخِّرين للتَّوراة وتلاعبهم بِها .

٣٤)ورد في [تَكْوين ١٤: ١٤] أن لُوطًا هو أخو إبراهيم، بينما جاء في [تكوين ١٤:١٢] أنه ابن أخيه . وهذا تناقض فاضح ومكشوف . ولُوط _ في اليهودية والنَّصرانية _ اسمه : لُوط ابن هَارَان بن تارَح ، وهو ابن أخ إبراهيم خليل الله ، وقد هاجر مع إبراهيم الخليل إلى حَارَان ، ثُمَّ إلى كَنْعان ، ثُمَّ ارتحلَ معه إلى مِصْر ، ثُمَّ عاد إلى كنعان .

٣٥) جاء في [تَكْوين ١٥: ١٣]: ((فقال _ الربُّ _ لأبرام : اعلم يقينًا أن نَسْلَكَ سيكون غريبًا في أرض لَيْست لهم ويُسْتَعْبَدُون لهم فَيُذِلُّونهم أربع مئة سنة)). وجاء في [خُروج ١٢ : ٤٠] : ((وأَمَّا إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر فكانت أربع مئة وثلاثين سنة)) . فبين الآيتين اختلاف، وتناقض واضح. فإمَّا سقط من الأولى ٣٠ سنة، أو زِيد في الثانية. وهذا يدل على انعدام الدِّقة،وانتشار الأخطاء الكثيرة في التَّوراة البشرية القائمة على التناقض والتعارض.

٣٦) جاء في [تكوين ١٧: ٨] : ((وأُعطي لكَ ولنسلكَ من بعدك أرض غُربتك ، كُلَّ أرض كنعان مُلكًا أبديًّا)).وهذا خطأ،لأن جميع أرض كنعان لَم تُعْطَ لإبراهيم قَط،وكذلك لَم تُعْطَ لنسله مُدَّة إلى الدهر،ولَم يقع في الأراضي الأخرى مِثل الانقلابات التي وقعت في هذه الأرض . وهذا التلاعبُ المكشوف في التَّوراة ، الذي يَرْمي إلى صناعة أمجاد وهمية لليهود ، وتقديم اليهود كشعب الله المختار ، يَقُودنا إلى قضية " الوعد الإلهيِّ " . ففي [يَشُوع ٢١ : ٤٣و٤٤و٤٥] : ((فأعطى الربُّ إسرائيلَ جميعَ الأرض التي أقسمَ أن يُعْطِيَها لآبائهم فامْتَلَكُوها وسكنوا بِها . فأراحهمُ الربُّ حَوَالَيْهِم حَسَبَ كُلِّ ما أقسمَ لآبائهم ولَم يَقِفْ قُدَّامهم رَجُلٌ مِن جميع أعدائهم بَلْ دَفَعَ الربُّ جَميعَ أعدائهم بأيديهم . لَم تَسْقُطْ كلمةٌ مِن جميع الكلامِ الصالح الذي كَلَّمَ بِهِ الربُّ بَيْتَ إسرائيلَ بَلِ الكُل صار)) .

وَفْقَ هذا النَّص التَّوراتي ، فإن الوعد الإلهيَّ قد تحقَّقَ على أرض الواقع ، وتَمَّ ، وانتهى . ووعدُ الله _ على فرض صُدوره _ يتحقق بإنجازه مَرَّةً واحدة . وبذلك ، يَظهر أكاذيب سُلطة الاحتلال الصهيوني بتمسُّكهم بوعد الله لهم بالأرض المُقدَّسة (فلسطين) ، استنادًا إلى ما في بعض الأسفار الأخرى.[راجع كتاب عقيدة المسلم وما يتَّصل بها، عبد الحميد السائح،ص ٢٤٢. وانظر كتاب (هذه فلسطين) للأستاذ التونسي حسين التريكي ، وما ذَكَرَه عن أسطورة العهد الإلهيِّ،وما نقله عن الأستاذ آرثر غليوم وغَيره،وهو أستاذ دراسات العهد القديم بجامعة لندن].

٣٧) جاء في [تكوين ١٧ : ٢٠] : ((وأَمَّا إسماعيلُ فقد سمعتُ لكَ فيه . ها أنا أُباركه وأُثْمِرُه وأُكثِّره كثيرًا جدًّا . اثْنَيْ عَشَرَ رئيسًا يَلِدُ وأجعله أُمَّةً كبيرة)). والواقعُ يُكذِّب هذا النص، لأن قَوله : " اثني عشر رئيسًا " إشارة إلى الاثني عشر إمامًا . وهذا خطأ ، لأنه لَم يظهر اثنا عشر إمامًا . ومعَ هذا ، إن النص يُعظِّم النبيَّ إسماعيل ﷺ ويُثبِت له فضيلةً عُظمى . وفي هذا رد باهر وواضح على اليهود الذين يُهينون إسماعيل (أبا العرب) ويَطعنون فيه باعتباره ابن الجارية(هَاجَر)، ويُقدِّمون عليه إسحاق (أبا اليهود) باعتباره ابن الحُرَّة (سَارَة) . وبذلك ، إن اليهود يُكذِّبون أنفسهم بأنفسهم،ويكشفون باطلهم،ويَفضحون خيانتهم،وتظهر أكاذيب اليهود وخُرافات تَوْراتهم.

٣٨) في [تكوين ١٨: ٢١] يقول الربُّ : ((أَنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حَسَبَ صُراخها الآتي إلَيَّ)) . هذا النصُّ يَطعن في صِفات الرَّب ، ويُثبِت عَجْزَه وَضَعْفه وعدم معرفته بالأشياء ، فكيف لا يَعْلم الرَّب إلا إذا نزل ؟! . إن الرَّب مُحيط بكل شيء ، وعِلْمه شامل لكل شيء ، وإرادته نافذة في كُل شيء ، ولا تخفى عليه خافية ، ولا يَغيب عنه أمر .

٣٩) تزوَّجَ الإخوةُ بالأخوات في عهد آدم . وسَارَة زَوجة إبراهيم كانت حَسَب [تكوين ٢٠: ١٢] : ((هي أُختي ابنةُ أبي غير أنها ليست ابنةَ أُمي فصارت لي زوجةً)) . وهو مُحَرَّمٌ كما في [لاوِيِّين ١٨: ٩ و٢٠: ١٧] ، و [تَثْنية ٢٧: ٢٢] . هذا التناقض الواضح يُشير إلى فوضى الأحكام التشريعية في التَّوراة . وقد يكون هناك نَسْخ أو اختلاف في أحكام الشَّرائع . ومهما يكن مِن أمر ، فإن تحريف نصوص التَّوراة والتلاعب بها ، يَجعلها غارقةً في الشُّكوك والشُّبهات والاحتمالات ، وما طَرَأه الاحتمال سقط به الاستدلال .

٤٠) ورد في [تَكْوين ٢٢ : ١] : ((وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحنَ إبراهيمَ)) . ولكن جاء في [رسالة يعقوب ١: ١٣] : ((لا يقل أحدٌ إذا جُرِّبَ إني أُجَرَّب من قِبَل الله)). هذا تناقض مكشوف . ومعلومٌ أن الدنيا دار امتحان واختبار ، واللهُ يَختبر عباده ويَمتحنهم لِيَعرف

صِدق إيمانهم وقُوَّة يقينهم ، وهَل يَثْبُتون في مواقف الفِتن والشدائد أم يَسْقُطون . والجزاءُ في الآخرة مُتَرَتِّب على الدنيا ، فالدنيا هي الامتحان ، والآخرة هي نتيجة الامتحان . والدنيا دار عمل ولا حساب ، والآخرة دار حساب ولا عمل . ولا بُدَّ مِن الاختبار والامتحان . وللأسف ، إن نصوص التَّوراة البشرية مُتعارضة ومُتناقضة ، وما تُثْبِته في موضع ، تنقضه في مَوْضع آخر .

٤١) ورد في [تكوين ٢٥ : ٢١ ـ ٢٣] وعدَ اللهُ يعقوبَ بالبركة . ويزعم [تكوين ٢٧] أن رِفْقة ويعقوب كَذَبا على إسحق . فهل يُحقِّق اللهُ بركته بالخداع والكذب ؟! . إن التَّوراة قائمة على الطعن في الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ، وتشويه صورتهم ، وإلصاق الصفات السَّيئة بهم ، وهذا يدل على كراهية ظُهور الحق ، والحِقد ، والحسد . وتحريفُ التَّوراة الذي قام به كثير من علماء اليهود على فترات زمنية مُتباعدة ، يعتمد على تلويث سُمعة الأنبياء والإساءة إليهم .

٤٢) ورد في [تكوين ٢٩ : ٢] عن يعقوب (أب الأسباط) : ((ونظرَ وإذا في الحقل بئر وهناك ثلاثة قطعان غنم رابضة عندها. لأنهم كانوا من تلك البئر يسقون القُطعان . والحجر على فم البِئر كان كبيرًا)) . وفي [تكوين ٢٩ : ٨] : ((فقالوا لا نَقْدِر حتى تجتمع جميع القُطعان ويُدَحرجوا الحجرَ عَن فَمِ البِئر)). في الآيتين، يُذْكَر كلمة " القُطعان "، والصحيح كلمة " الرُّعاة" كما في النسخة السامرية واليونانية . وهذا التَّحريفُ يدل على خلط النصوص بترجماتها .

٤٣) جَمَعَ يعقوبُ الأُختَيْن لَيْئة ورَاحِيل [تَكْوين ٢٩ : ٣٠] . مع أن هذا حرام حَسَب شريعة مُوسى في [لاويِّين ١٨ : ١٨] : ((ولا تأخذ امرأةً على أُختها للضِّر لِتَكشف عَوْرتها مَعَها في حياتها)) . والنَّصُّ الأول يتَّهم النبيَّ يَعقوب ﷺ بارتكاب فِعل مُحرَّم ، ومُخالفة شريعة النبيِّ مُوسى ﷺ ، وهو صاحب التَّوراة ، وأعظم أنبياء بني إسرائيل. أو : قد يَكون هناك نَسْخ ، وإبطال حُكم شرعي، وتأسيس حُكم آخر. والنَّصُّ اللاحقُ نَسَخَ السابقَ . وهل يُؤمن علماء اليهود بوجود النَّسْخ في التَّوراة ؟ أم أن الطعن في الأنبياء وعبث الأحكام التشريعية هو الثابت في التَّوراة ؟ . وَلَيْئة بنت لابَان هي الزَّوجة الأُولى للنَّبي يعقوب وابنة خاله لابان، وهي الأُخت الكبرى لزوجته الثانية رَاحِيل بنت لابَان.وكان ليعقوب(إسرائيل) اثنا عشر ولدًا ذَكَرًا(مِن بينهم يُوسُف) وابنة واحدة هي دِينَة.وهؤلاء الأبناء الاثنا عشر يُدْعَوْنَ بني إسرائيل. وَلَيْئة أنجبت ستة ذُكور بالإضافة إلى دِينَة. وتَزعُم التَّوراةُ الجنسيةُ أن دِينَة ابنة النبيِّ يعقوب تَمَّ اغتصابها !، كما في [تَكوين ٣٤: ١ـ ٥].

٤٤) قال يعقوبُ في [تَكْوين ٣٢: ٣٠] : ((لأني نظرتُ اللهَ وجهًا لوجه)) بينما يقول إنجيلُ [يُوحَنَّا ١: ١٨] : ((اللهُ لَم يره أحدٌ قَطُّ)) .

يُحاول اليهودُ تعظيمَ النبيِّ يَعقوب (إسرائيل) ، وذلك بالكذب عليه . ولا شَكَّ أن النبيَّ يعقوب عظيمٌ ، ولا يَحتاج إلى الكذب لتعظيمه وتمجيده ورفعه فوق مكانته . إن النص الأول يَزعم أن النبيَّ يعقوب قال إنه نظرَ اللهَ عِيانًا (وجهًا لوجه) . وهذا يتناقض مع الآية في إنجيل يُوحَنَّا التي تقول صراحةً إن الله لَم يَرَه أحد قَط . وهذا نَفْيٌ مُطْلَق للرُّؤية . ورؤية الله مُستحيلة في الحياة الدُّنيا . وقد طَلَبَها النبيُّ مُوسى ﷺ (أعظم أنبياء بني إسرائيل على الإطلاق ، والذي نزلت عليه التَّوراة): ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣]. ولَم يُحقِّق اللهُ لموسى هذا الطلبَ ، وهو كليم الله ، وأعلم أهل الأرض بالله في زمانه . فكيفَ يَرى النبيُّ يعقوب اللهَ وجهًا لوجه ، في حِين أن النبيَّ مُوسى مُنِعَ مِن ذلك ؟ . والنبيُّ مُوسى أعظم مِن النبيِّ يعقوب _ عليهما السلام _ .

٤٥) جاء في [تَكْوين ٣٥ : ١٦ _ ٢٠] أن رَاحِيل وَلدت بَنْيامين بن يعقوب في كنعان . ولكنه في نفس الأصحاح الآية ٢٦ ، ذكر أسماء أبناء يعقوب وقال إنهم وُلدوا في فَدَّان أرَام . وهذا تناقض واضح في تحديد مكان الولادة . مِمَّا يدل على كثرة الأيدي التي تتلاعب بالتَّوراة .

٤٦) ورد في [تَكْوين ٣٥ : ٢٢] : ((وحدث إذ كان إسرائيلُ ساكنًا في تلك الأرض أن رَأُوبَيْن ذهب واضطجع مع بِلْهَةَ سُرِّيَّةِ أبيه ، وَسَمِعَ إسرائيلُ)) . واليهود يُسَلِّمون أن شيئًا سقط من هذه الآية ، وهو رَدَّة فِعل يعقوب . والترجمة السَّبعينية تُكْمِها هكذا : وكان قبيحًا في نظره . إن التَّوراة قائمة على الفَوضى الجنسية ، والآيةُ في سِفر التَّكوين تقول إن رَأُوبَيْن ابن النبيِّ يعقوب، قد زنى بِسُرِّية أبيه يعقوب ، وقد عَلِمَ يَعقوب بالأمر ، ولَم يتَّخذ أيَّ قرار ، ولَم يتكلَّم بكلمة . وهذا يعني أن عِرْض النبيِّ يعقوب صارَ مُلَوَّثًا ، وضاعَ شرفه ، وتلطَّخت سُمعته بالخِزي والعار . وليس هذا فَحَسْب ، بَل رَضِيَ بالدِّياثة وزنا المحارم ، لأنه سكت عن هذه الجريمة الشنيعة ، والسُّكوت يدل على الرِّضا والإقرار . وطبعًا ، هذه مِن أكاذيب اليهود ، حيث يُحاولون جاهدين إهانة النبيِّ يعقوب ﷺ، وتَلويث سُمعته، وبث الإشاعات حَوْله. ويعقوب نبيٌّ كريم شريف معصوم، ومُنَزَّهٌ عَن هذه الخرافات الجنسية الفاضحة . ولكنَّ اليهود يَعشقون الفضائح الجنسية والقصص الفاضحة ، لذلك شَيَّدوا تَوْراتهم البشرية المُحرَّفة على الفوضى الجنسية والطعن في شرف الأنبياء وعِرْضهم . وقال الدكتور محمد بيومي في تاريخ الشرق الأدنى القديم،تاريخ اليهود ص ٢٩١و٢٩٢ : ((ولَم تُحدِّثنا التَّوراة ماذا فعل يعقوب وبنوه إزاء تلك الجريمة النَّكراء، حتى إنَّنا لا ندري سببًا لسكوتهما على ذلك، هل يتَّفق ذلك مع كَوْنها كتابًا من عند الله أم أن تلك سُنَّة الإسرائيليين ؟، حتى لو كان الأمر كذلك ، أتَصِلُ الدَّناءة والخِسَّة بِرَجل _ كائنًا مَن كان _ أن يرتكب جريمة الزنى مع زوجة

أبيه، وهي التي في مكان أُمِّه، ثم هي في نفْس الوقت أُم أَخَوَيْه، اللذين لَم تُحدِّثنا التوراة عن موقفهما إزاء ما فعله أخوهما بأمهما، إنني لا أستطيع أن أفهم ذلك، ولكن الذي أفهمه تمامًا ، ألَّا يكون ذلك وَحْيًا من الله جَل وعلا)) .

٤٧) جاء في [تَكْوين ٣٦ : ٢] أن عيسو تزوَّجَ أهوليبامة ابنة عَنَى الحِوِّيِّ، ولكنه يقول في [تَكْوين ٣٦: ٢٠] إن عَنَى حُوري . وهذا تحريفُ في الأسماء ، وتلاعب بِها ، وتغيير فيها .

٤٨) ورد في [تَكْوين ٣٦ : ٣١] : ((وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبلما مَلَكَ مَلِكٌ لبني إسرائيل)) . ولا يمكن أن تكون هذه الآية من كلام موسى ، لأنها تدل على أن كاتبها عاش في زمان قام فيه مَلِكٌ على بني إسرائيل . وأول ملوك بني إسرائيل هو شاوُل ، وكان بعد النبيِّ مُوسى ﷺ بمئات السنين . وشاوُل هو أول ملوك بني إسرائيل ، وأحد شخصيات العهد القديم ، حَكَمَ _ تقريبيًّا _ خلال الفترة (١٠٢٠ ق.م _ ١٠٠٠ ق.م) . وهو ذاته طالوت الذي ورد في القُرآن الكريم في سُورة البقرة . وقال آدم كلارك إن [تَكْوين ٣٦: ٣١_٣٩] مأخوذ من [أخبار الأيام الأول ١: ٤٣_ ٥٠] . وإنما كانت مكتوبة على الحاشية ، فظنَّ الناقل أنها جُزء من الأصل . وآدم كلارك (١٧٦٠ _ ١٨٣٢) عالِم مُتبحِّر في التَّوراة والإنجيل . اشتهر بتعليقه على " الكتاب المُقدَّس " ، استغرقت كتابته ٤٠ سنة ، وكان من أهم المصادر الدينية لِقَرْنَيْن ، وقد يكون أشمل تعليق على الكتاب المُقدَّس كتبه شخص بمفرده . بَلَغَ تعليقه ستة أجزاء ، كُل منها ألف صفحة تقريبًا .

٤٩) جاء في [تَكْوين ٣٧ : ٢٥] أن الذين اشْتَرَوْا يُوسُف كانوا إسماعيليين . ولكن في نفْس الأصحاح في آيتَي ٢٨ و٣٦ يقول إن الذين اشْتَرَوْهُ كانوا مِدْيانيين . وهذه التَّبديل في الأسماء يدل بوضوح على التَّحريف والتغيير والتلاعب ، واستحالة الثقة بنصوص التَّوراة البشرية.

٥٠) جاء في [تَكْوين ٤١: ٥٦و٥٧ و٤٢: ١_ ٥] أن الجوع كان شديدًا في مِصْر وفي كنعان . ولكننا نقرأ في [تَكْوين ٤٣: ١١و١٥] أن كنعان كان بها طعام أرسل منه يعقوب هديةً لِيُوسُف . وهذا تناقض واضح ، واضطراب بين إثبات الجوع ، وإثبات وُجود الطعام . والضِّدان لا يَجتمعان ، والمتناقضان لا يَلْتقيان .

٥١) [تَكْوين ٤٤ : ٥]: ((أَلَيْسَ هذا هُوَ الذي يَشرب سيِّدي فِيه . وهو يتفاءل بِه . أسأتم في ما صنعتم)). قال المفسِّر هارسلي في تفسيرها: يُزاد في أول هذه الآية: لِمَ سرقتم طاسي ؟اهـ. والنصُّ التَّوراتي معناه ناقص ، ويُشير إلى شيء مفقود في أوَّله كي يتَّضح المعنى ويتَّسق الكلام .

٥٢) جاء في [تَكْوين ٤٦: ٤] أن الله سيُصعِد يعقوبَ من مِصْر. لَكِنَّنا نقرأ في [تَكْوين ٤٩: ٣٣] أن يعقوب مات في مِصْر . وهذا تناقض واضح ، واضطراب بين الإصعاد والإماتة .

٥٣) جاء في [تَكْوين ٤٦: ١٥] : ((هؤلاء بنو لَيْئة الذين وَلَدَتْهُمْ ليعقوب في فَدَّان أَرَام مع دِينة ابنته . جميع نفوس بنيه وبناته ثلاثٌ وثلاثون)) . وهذا خطأ ، فلو عددنا الأسماء وأخذنا دِينة كان ٣٤ .

٥٤) جاء في [تَكْوين ٤٦: ٢٧] أن عدد نفوس بيت يعقوب التي جاءت مِصْرَ كان ٧٠ نَفْسًا . وهذا يُناقض ما جاء في [أعمال الرُّسل ٧: ١٤] مِن أن عددهم كان ٧٥ .

٥٥) جاء في[تَكْوين ٤٧: ٣١] أن يعقوب سجد على رأس السرير،ولكنْ جاء في [الرسالة إلى العِبرانيين ١١: ٢١] أنه سجد مُتَوَكِّئًا على رأس عصاه.وهذا تناقض في اسم موضع السجود.

٥٦)جاء في [تَكْوين ٥٠ : ١٣] عن يعقوب : ((حَمَلَه بنوه إلى أرض كنعان ودفنوه في مغارة حقل المَكْفِيلة التي اشتراها إبراهيمُ معَ الحقل مُلْكَ قبرٍ مِن عِفْرُونَ الحِثِّي أمامَ مَمْرَا)) . وجاء في [يَشُوع ٢٤: ٣٢]:((وعِظامُ يُوسُفَ التي أصعدها بنو إسرائيل مِن مِصْرَ دفنوها في شَكِيمَ في قطعة الحقل التي اشتراها يعقوبُ من بني حَمُور أبي شَكِيم بمئة قَسِيطة فصارت لبني يُوسُفَ مُلْكًا)).وجاء في[أعمال الرُّسل ٧: ١٥و١٦]: ((فنزلَ يعقوبُ إلى مِصْرَ ومات هو وآباؤنا ونُقلوا إلى شَكِيم ، ووُضعوا في القبر الذي اشتراه إبراهيم بثمن فضة من بني حَمُور أبي شَكِيم)) . وعند مُقارَنة هذه النصوص الثلاثة،تَظهر تناقضات واضحة بين أسماء الأشخاص، واختلافات ظاهرة في أسماء الأماكن. ولا يُمكن اجتماع التناقضات معًا في نفْس اللحظة .

٥٧) ورد في [تَكْوين ٥٠ : ٢٥] : ((فتُصعدون عظامي مِن هُنا)) . وفي بعض التراجم : اذهبوا بعظامي مِن هَهُنا معكم .

٥٨) ورد في[تَكْوين ٢٢: ١٤]: ((فدعا إبراهيمُ اسم ذلك الموضع يَهْوَهْ يِرْأَه حتى إنه يُقال اليومَ في جبل الربِّ يُرى)) . ولكنْ لَم يُطلَق على هذا الجبل جبل الله إلا بعد بناء هيكل سُلَيمان_حَسَب بعض المصادر_. و" يَهْوَهْ يِرْأَه" اسم عِبْري، معناه: يَهْوَهْ يرى ، أي : الرَّب يرى .

٥٩) ورد في [عَدَد ٢٣ : ١٩] : ((ليس اللهُ إنسانًا فيكذبَ . ولا ابنَ إنسانٍ فيندمَ)) . وعند [مَتَّى ١٠: ٢٣]:((لن تَفرغوا من مدن إسرائيل إلى أن يأتيَ ابنُ الإنسان)). إذًا ، المسيح هو ابن إنسان ، وبالتالي _ حَسَب سِفْر العَدَد _ فإن المسيح ليس هو الله ، وليس إِلَهًا ، ولا ابْنًا لله ، لأنه ابن إنسان _ حَسَب مَتَّى _ . وهذا يُبطِل أُلوهيةَ المسيح ، ويُثبِت تفرُّد الله بالأُلوهية .

ثانيًا : نُبُوَّة محمد ﷺ في التَّوراة (العهد القديم)

١) في [تَثْنية ١٨: ١٥]: ((يقيم لكَ الربُّ إلهُكَ نبيًّا من وسطك من إخوتك مِثلي)) . إن قَوله : " مِن إخوتك " يعني العرب ، لأن العرب مِن ولد إسماعيل ، وولدُ إسماعيل هُم إِخْوَة بني إسرائيل (يعقوب) . وفي [تَثْنية ١٨ : ١٨ ـ ٢٢] : ((أُقيم لهم نبيًّا مِن وَسَط إخوتهم مِثْلَكَ وأجعلُ كلامي في فمه فيُكلِّمهم بكل ما أُوصيه به . ويكونُ أن الإنسان الذي لا يَسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أُطالبه . وأمَّا النبيُّ الذي يُطْغي فيتكلم باسمي كلامًا لَم أُوصِهِ أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهةٍ أُخرى فيموتُ ذلك النبيُّ . وإِنْ قُلْتَ في قلبك كيفَ نعرف الكلامَ الذي لَم يتكلم به الرَّبُّ . فما تكلمَ به النبيُّ باسم الرَّب ولَم يحدث ولَم يَصِرْ فَهُوَ الكلامُ الذي لَم يتكلم به الرَّبُّ بَلْ بِطُغيان تكلمَ به النبيُّ فلا تخف مِنه)) اهـ . واليهودُ يقولون إن هذه البشارة خاصة بِ يُوشَع بن نون خليفة مُوسى. معَ أن اليهود كانوا ينتظرون في زمن المسيح نبيًّا آخر غَير المسيح. ففي [يُوحَنَّا ١ : ١٩ ـ ٢١] : ((وهذه شَهادة يُوحَنَّا حِينَ أرسلَ اليهودُ مِن أورُشَليمَ بعضَ الكهنة واللاويين يسألونه : ((مَن أنت ؟)) . فاعترفَ ولَم يُنكِر ، بَل أَكَّدَ قائلًا : ((لستُ أنا المسيح)) . فسألوه : ((ماذا إذن ؟ هل أنتَ إيلِيًّا ؟)) قال : ((لستُ إيَّاه !)) ، ((أَوَ أنتَ النبيُّ ؟)) فأجاب : ((لا !)))) . وفي [يُوحَنَّا ١ : ٢٥] : ((فعادوا يسألونه : ((إن لَم تكن أنتَ المسيح ، ولا إيلِيًّا ، ولا النَّبي ، فلماذا تُعمِّد إذن ؟)))) اهـ . إن أسئلة اليهود لِيُوحَنَّا المعمدان (يَحْيى) وأجوبته ، تدل بوضوح على التَّبشير بإيلِيًّا والمسيح ونبيٍّ لَم يأتِ حتى زمن المسيح . وأيضًا ، إن التَّوراة تقول في صفة النبيِّ إنه مِثْل مُوسى. وفي [تَثْنية ٣٤ : ١٠]: ((ولَم يَقُم بَعْدُ نبيٌّ في إسرائيلَ مِثْلُ مُوسى]. وهذا يدل بوضوح على أن النبيَّ محمد ﷺ هو المقصود ، فهو وَحْدَه مِثْل النبيِّ مُوسى ﷺ ، فكلاهما صاحب تشريع جديد ، ووُلِدَ مِن أبَوَيْن، وتزوَّجَ النساء ، وأنجبَ ، ومات ، ودُفِنَ في قبره . أمَّا المسيحُ فليس له أب ، ولَم يتزوَّج ، ولَم يَمُت ، وإنما رُفِعَ إلى السماء. والنَّصُّ التَّوراتي : ((وأمَّا النبيُّ الذي يُطْغي فيتكلم باسمي كلامًا لَم أُوصِهِ أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهةٍ أُخرى فيموتُ ذلك النبيُّ))اهـ . وهذا يدل على صِدق النبيِّ محمد ﷺ ، وأنه لَم يتكلمَ بكلام مِن عِنده، ولَم يَكذب على الله، وإنما تكلمَ بما أوحاه اللهُ إليه، فقد دعا النبيُّ محمدﷺإلى الله أكثر من عشرين سنة، وكان بين أعدائه المشركين واليهود،ولَم يمت،ولَم يُقتَل.وقد عصمه اللهُ مِن ذلك.ولو كان محمدًا كاذبًا،فلماذا لَم يُعاقبه الله أو يَفضحه أو يكشف باطله؟.

وأيضًا ، يُخبِرنا النَّصُّ التَّوراتي بعلامة صِدق النبيِّ : ((وإنْ قُلْتَ في قلبك كيفَ نعرف الكلامَ الذي لَم يتكلم به الرَّبُّ . فما تكلمَ به النبيُّ باسم الرَّب ولَم يحدث ولَم يَصِرْ فَهُوَ الكلامُ الذي لَم يتكلم به الرَّبُّ بَلْ بِطُغيان تكلمَ به النبيُّ فلا تخف مِنه)) اهـ . وهذا يعني أن الإخبار بالأمور الغَيْبِيَّة قبل وُقوعها ، يُشير إلى صِدق النبيِّ . وقد أخبرَ النبيُّ محمد ﷺ بأمور غَيْبِيَّة كثيرة ، ثُمَّ حدثت على أرض الواقع ، كما أخبرَ بالضَّبط . وهذا دليل على صِدق النبيِّ محمد وصِحَّة رسالته.

وفي صحيح البخاري (٢/ ٧٤٧): عن عطاء بن يسار قال : لقيتُ عبد الله بن عمرو ابن العاص ــرضي الله عنه ــ قلتُ: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التَّوراة ، قال : ((أجل ، ... ، ليس بِفَظ، ولا غَليظ ، ولا سَخَّاب في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر)).

هذه الصفات عبارة عن ركائز أساسية في طريق تثبيت الفاعلية الذاتية للشخصية البشرية ، وانعكاسها على الأفراد من أجل كسب قلوبهم وإقناعهم بجدوى الإيمان والالتزام بمنهاج النُّبوَّة واحترام المبعوثين مِن قِبَل الله تعالى . والفرد لا يمكن أن يحترم شخصًا مُنَفِّرًا ، أو يقتنع بكلامه ويأخذه على محمل الجِد . والسَّخابُ هو كثير الصِّياح .

٢) في [تَثْنية ٣٢ : ٢١] : ((هُم أغاروني بما ليس إلَهًا . أغاظوني بأباطيلهم . فأنا أُغِيرُهم بما ليس شَعْبًا. بأُمَّةٍ غَبِيَّةٍ أُغِيظُهم)) اهـ . إن الأُمَّة الغَبِيَّة هي أُمَّة العرب قبل الرسالة المُحمَّدية الإسلامية . وأُمَّةُ العرب هي التي أُرسِل منها النبيُّ محمد ﷺ ، ولا يمكن أن تكون أُمَّة اليونان التي أُرسِل إليها بُولُس وبقية رُسل المسيح ، لأن أُمَّة اليونان لَم تكن غَبِيَّة ، بل كانت أهل حِكمة وعِلم، كما أن اليهود وبني إسرائيل قد"أغاظوا" اللهَ بالأباطيل وعبادة آلهة صنعوها لأنفسهم، ومِن هنا فإن الله أراد أن يكسر غرورهم هذا ، ويُغيظهم كما " أغاظوه "، والله يعرف كيف تكون إغاظتهم مؤلمة ، فلم يكن مِن السَّهل على بني إسرائيل أن يملك عليهم ملك أجنبي ، ومِن هُنا كان ترتيب الله لإغاظتهم ، بأن يجعل عليهم أُمَّةً مُحْتَقَرَة في نظرهم ، ونبيًّا ليس منهم يملك عليهم . ومعروفٌ عن بني إسرائيل أنهم كانوا يُميِّزون اليهودَ عن غيرهم تمييزًا كبيرًا ، فكانوا يَحتقرون كُل الأُمم غير اليهودية، وحيث إن أُمَّة العرب هي مِن تلك الأمم التي يَحتقرها بني إسرائيل، إضافة إلى جهل العرب وأُمِّيتهم تَجعلهم هُم المَعْنِيِّين بِقَوله : أُمَّة غَبِيَّة . وعليه تكون هيمنة هذه الأمة الغَبِيَّة من خلال أن يبعث اللهُ منهم هذا النبيَّ كي يملك عليهم ، ويُهيمن على مملكتهم، حتى يُسبِّب لهم ذلك الغيظ والألم ، ومحمدٌ هو النبيُّ ، والعرب هُم الأُمَّة الغَبِيَّة . قال الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه إظهار الحق (٢/ ٢٠٨و ٢٠٩) : ((المراد بالشعب الجاهل

هم العرب لأنهم كانوا غاية الجهل والظلم ، ولَم يكن عندهم عِلم من العلوم ، وما كانوا يعرفون إلا عبادة الأوثان ، وكانوا مُحْتَقَرين في نظر اليهود ، لِكَوْنهم من أولاد هَاجَر (الجارية). فالمقصود من الآية أن بني إسرائيل أغاروني بعبادة المعبودات الباطلة ، فلذلك أُغِيرهم باصطفائي لِقَوم مُحْتَقَرِين وجاهلين عندهم . ولقد أوفى اللهُ بما وعد ، وبعث مِن العرب النبيَّ ﷺ فهداهم)) اهـ .

ويقول الدكتور السَّقا في كتابه نُبُوَّة محمد (ص ٥٧ _ ٥٩) : ((لا يوجد في الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى ﷺ أيَّة إشارة إلى أُمَّة غَبِيَّة مُحدَّدة البلاد والأوصاف ، يُمكن أن يُعرَف أنها المراد بهذه النُّبوَّة ، ولا يمكن أن يشتبه إلا في أُمَّة إسماعيل ، ولا يمكن أن تكون الأُمَّة الغَبِيَّة أُمَّة اليونان)) اهـ . وقال مؤلف كتاب يُوحَنَّا المعمدان (ص ١٠٥) : ((العرب لَم يكونوا شعبًا مُنَظَّمًا مُنذ الأزل وحتى رسالة محمد ﷺ ، وكانت أُمَّتهم في غاية الجهل والظلام)) .

٣) في [تَثْنية ٣٣ : ٢] : ((جاءَ الرَّبُّ مِن سِيناءَ وأَشرقَ لهم مِن سَعِيرَ وتلألأَ مِن جبل فَارَانَ وأتى مِن رِبْوَاتِ القُدْسِ وعن يمينه نارُ شريعةٍ لهم)) . اهـ . إن مجيئه مِن سِيناء إعطاؤه التَّوراة للنبيِّ مُوسى ﷺ ، وإشراقه من سعير إعطاؤه الإنجيل للنبيِّ عِيسى ﷺ ، وتلألؤه مِن فَارَان إعطاؤه القُرآن للنبيِّ محمد ﷺ،لأن فَارَان مِن جبال مكة، ومِنها أتت الشريعة المُحمَّدية الإسلامية.

وهذا النَّصُّ التَّوراتي شبيه بالآية القُرآنية : ﴿ والتِّينِ والزَّيتون (١) وَطُورِ سِينين (٢) وهذا البَلَدِ الأمين (٣) ﴾ [سُورة التِّين] . وفي تفسير ابن كثير (٤/ ٦٨٠) : ((وقال بعض الأئمة : هذه مَحَالٌّ ثلاثة بَعث اللهُ في كُل واحد منها نبيًّا مُرْسَلًا مِن أُولِي العَزْم أصحاب الشرائع الكبار. فالأول مَحَلَّة التِّين والزيتون ، وهي بيت المقدس ، التي بَعث اللهُ فيها عيسى بن مريم عليه السلام. والثاني طُور سِينين، وهو طُور سَيْناء الذي كَلَّمَ اللهُ عليه مُوسى بن عِمران . والثالث مكة ، وهو البلد الأمين ، الذي مَن دخله كان آمِنًا ، وهو الذي أَرْسَلَ فيه محمدًا ﷺ . قالوا : وفي آخر التَّوراة ذُكِرَ هذه الأماكن الثلاثة : جاءَ اللهُ مِن طُور سيناء، يعني الذي كَلَّمَ اللهُ عليه مُوسى بن عِمران، وأشرقَ مِن سَعِير ، يعني جبل بيت المقدس الذي بَعث اللهُ مِنه عيسى ، واستعلن من جبال فارَان ، يعني جبال مكة التي أَرسلَ اللهُ منها محمدًا ﷺ . فَذَكَرَهم مُخْبِرًا عنهم على الترتيب الوجودي ، بِحَسَب ترتيبهم في الزمان . ولهذا أقسمَ بالأشرف ، ثُمَّ الأشرف منه ، ثُمَّ بالأشرف منهما)) اهـ .

وقد ذَكرت التَّوراة أن إسماعيل ﷺ سَكَنَ في بَرِّية فَارَان [تَكْوين ٢١ : ٢١]. ومِن المعلوم تاريخيًّا أن النبيَّ إسماعيل ﷺ نشأ في مكة المُكرَّمة في الحِجاز . وقال رحمة الله الهندي في إظهار الحق (ص ٥١٧): ((استعلانه مِن جبل فاران ، تعني إنزاله القُرآن ، لأن فاران جبل من جبال مكة)).

٤) في [تَكْوين ١٧ : ٢٠] : ((وأمَّا إسماعيلُ فقد سمعتُ لكَ فيه . ها أنا أُباركه وأُثْمِره وأُكَثِّره كثيرًا جدًّا . اثْنَي عَشَرَ رئيسًا يلد وأجعله أُمَّةً كبيرة)) اهـ . هذه النُّبوءة تَجعل مِن وَلَد النبيِّ إسماعيل ﷺ مَن سَيَكون سيِّد شعب كبير. وهذا لَم يتحقق في ولد إسماعيل إلا للنبيِّ محمد ﷺ. وقال العلامة الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير (١/ ٤١٤) : ((ذَكَرَ عبد الحق الإسلامي السبتي الذي كان يهوديًّا فأسلمَ هو وأولاده وأهله في سَبْتة ، وكان موجودًا بها سنة ٧٣٦ هـ ، في كتاب له سَمَّاه الحسام المحدود في الرد على اليهود ، أن كلمة " كثيرًا جدًّا " أصلها في النص العِبراني " مادا مادا " وأنها رمز في التوراة لاسم محمد بحساب الجُمَّل ، لأن عدد حروف " مادا مادا " بحساب الجُمَّل عند اليهود تجمع عدد اثنين وتسعين ، وهو عدد حروف محمد. اهـ . وتبعه على هذا البقاعي في نظم الدُّرر)) اهـ . والجدير بالذِّكر أن حِسَاب الجُمَّل هي طريقة لتسجيل صور الأرقام والتواريخ باستخدام الحروف الأبجدية، إذ يُعطَى كُل حرف رَقْمًا مُعَيَّنًا يدل عليه . وكانوا مِن تشكيلة هذه الحروف ومجموعها يَصِلون إلى ما تَعْنيه من تاريخ مقصود . وأيضًا، كانوا يستخدمون الأرقام للوصول إلى النصوص . وهو حساب اسْتُخْدِم في اللغات السَّامِيَّة ، حيث نجده مُستعملًا في بلاد الهند قديمًا ، وعند اليهود .

٥) في [تكوين ٤٩ : ١٠]: ((لا يَزولُ قَضيبٌ (صَوْلجان) مِن يَهُوذا ومُشتَرِعٌ مِن بين رِجْلَيْه حتى يأتيَ شِيلونُ وله يكونُ خُضوعُ شُعوبٍ)) اهـ . إن " شِيلون " هو لقب للنبيِّ محمد ﷺ الذي أتى ، وخضعت له الشعوبُ ، ولَم تَخضع الشعوب إلا له . ويقول الدكتور أحمد حجازي السَّقا في تعليقه على كتاب (إظهار الحق) ص ٥١٨ و٥١٩ : ((إن أُمَّة بني إسرائيل كانت ظاهرة في الأرض بِمُلْك وسُلطان ، ولها كتاب موسى إمامًا ورحمة . وقد حدث لهذه الأُمَّة ما يحدث لسائر الأمم من الانتصارات والهزائم ، إلى أن جاء الإسلام، واستولى على ديارهم ومزَّقهم. ومِن زمن مُوسى إلى نبيِّ الإسلام ، كان كُل نبيٍّ أتى إلى العالَم كان يأتي على شريعة مُوسى إلى أن نُسِخَتْ شريعة موسى بشريعة محمد، ولا يمكن أن نقول بزوال المُلْك من اليهود على يد النصارى، لأن النصارى طائفة من اليهود ، ولا يمكن أن نقول بنسخ شريعة موسى على يد عيسى ، لأن عيسى كما حكى القرآن مُصَدِّقًا لِمَا بين يديه مِن التَّوراة ، غَير مُهَيْمِن عليها [٢٥١]. وإنما يُمكننا

[٢٥١] إنَّ عِيسى المسيح ﷺ نبيٌّ تابع للنبيِّ مُوسى ﷺ، ومُوسى هو أعظم أنبياء بني إسرائيل على الإطلاق، والتَّوراة أعظم مِن الإنجيل ، والإنجيلُ تابعٌ للتَّوراة. لذلك قال المسيح : ((لا تَظنُّوا أني جئتُ لأُلغيَ

أن نقول : ظَلَّ المُلْك مع اليهود ينتصرون مَرَّة ، وينهزمون أخرى ، والشريعة في أيديهم إلى أن جاء نبيُّ الإسلام (شِيلون) فتسلَّمَ المُلْك والشريعة مِن بني إسرائيل)) . ويقول الدكتور السَّقا أيضًا في كتاب " نُبُوَّة محمد في الكتاب المُقدَّس " ص ٤٣ _ ٤٦ : ((يظل المُلْك في نسل يَهُوذا ، وتظل الشريعة يعمل بها الناس في ظِل الملوك من أهل يهوذا ، حتى يأتيَ مِن غَير اليهود مَن يتسلَّمَ المُلْك منِهم والشريعة . والمراد : لا يَزول المُلْك مِن اليهود عامة ولا الشريعة حتى يأتي النبيُّ المُنتظَر ، وأن شيلون أو الذي له الحُكْم مِن غَير أنبياء يعقوب ، بَل مِن بني إسماعيل ، لأن الشريعة لَم تُنسَخ إلا على يد نبيِّ الإسلام ، وأن المُلْك لَم يَزُلْ إلا على يد نبيِّ الإسلام)) .

٦) في [مزامير ٤٥ : ٣] : ((تَقَلَّدْ سَيْفَكَ على فَخْذِكَ أيها الجبَّارُ جَلالَكَ وبهاءَكَ)) اهـ . هذا قول داود . ومعلومٌ أنه لَم يأتِ بعد داود نبيٌّ تقلَّدَ سَيْفًا وحاربَ وانتصرَ وهزمَ أعداءه وحَكَمَ سِوى النبيِّ محمد ﷺ . وهو نبيُّ البَيان والسَّيف . وهذا البشارة لا تنطبق على غَيره . وبالتأكيد ، لا تنطبق على المسيح ، لأن المسيح لَم يَحْمِل سَيْفًا ، ولَم يُحَارِب ، ولَم يَحْكم .

٧) في [مزامير ١٤٩ : ١] : ((غَنُّوا للرَّبِّ ترنيمةً جديدةً تَسْبِحَتَهُ في جماعة الأتقياء)) . وفي [مزامير ١٤٩ : ٥] : ((لِيَبتهجِ الأتقياءُ بِمَجْدٍ لِيُرَنِّمُوا على مضاجعهم)) . وفي [مزامير ١٤٩ : ٦و٧] : ((تَنويهاتُ الله في أفواههم وَسَيْفٌ ذُو حَدَّيْنِ في يَدِهم . لِيَصنعوا نِقمةً في الأمم وتأديباتٍ في الشُّعوب)) اهـ . هذه البِشارة لأُمَّة محمد ﷺ ، فهي أُمَّة الحمد والسَّيف معًا . لِيَفرح الأتقياءُ بالخالق ، ويُسبِّحونه على مضاجعهم ، ولِيُكبِّروا اللهَ بأصوات مرتفعة ، فقد اختارهم اللهُ ، وجعلَ النصر على أيديهم بسيوف ذوات شفرتين ، لِيَنتقم اللهُ بِهم مِن الأمم والشعوب الذين يَعْصُونه ولا يَعبدونه . إن الأُمَّة المُحمَّدية الإسلامية ترفع أصواتها بالأذان . كما أن السيوف العربية هي ذوات الشفرتين. وقد انتقمَ اللهُ بِهم مِن جُملة الأمم ، لأن دعوة النبيِّ محمد ﷺ عامة للناس ، وشاملة للعرب والعجم معًا . وقالَ اللهُ تعالى:﴿مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَينَهُم تَرَاهُم رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُم فِي وُجُوهِهِم مِن أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُم فِي التَّوْرَاةِ﴾ [الفَتْح: ٢٩]. ذلك وَصْفُ الصحابة في التَّوراة : الشِّدةُ على الكفار ،

الشريعةَ أو الأنبياء . ما جئتُ لأُلغي ، بل لأُكمِل)) [مَتَّى ٥: ١٧]. وهذا كلامٌ واضحٌ مِن المسيح ، يُفيد بأنه جاء لإكمال الشرائع والأحكام السابقة لا إلغائها . والمسيحُ لَم يُعْطِ لنفْسه حقَّ إلغاء الشريعة أو الأنبياء . لذلك لا يُمكن القول إن شريعة عيسى نَسَخَتْ شريعةَ مُوسى ، بأيَّة حال مِن الأحوال .

والرحمة فِيما بَيْنَهم ، وكثرة العِبادة.وقال الطبري في تفسيره (١١/ ٣٦٩):((هذه الصِّفة التي وُصِفَتْ لكم مِن صِفة أتباع محمد ﷺ الذين مَعَه ، صِفتهم في التَّوراة)) اهـ . وقال ابن القَيِّم في هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى عن نصوص التَّوراة التي سَبَقَ ذِكْرها (ص ٧٠ و٧١): ((وهذه الصفات إنما تنطبق على سيِّدنا محمد وأُمَّته ، فهم الذين يُكبِّرون الله بأصواتهم مرتفعة في أذانهم للصلوات الخمس ، وعلى الأماكن العالية . قال جابر : كُنَّا مع النبيِّ ﷺ إذا عَلَوْنا كَبَّرْنا ، وإذا هَبَطْنا سَبَّحْنا ، فَوُضِعَت الصلاة على ذلك ، وهُم يُكبِّرون الله بأصوات عالية مرتفعة في الأذان ، وفي عيد الفِطر وعيد النَّحْر وفي عَشْر ذِي الحِجَّة وعَقِيب الصلوات في أيام مِنى. وذكر البخاري عن عمر بن الخطاب أنه كان يُكبِّر بِمِنى ، فيسمعه أهل المسجد ، فَيُكبِّرون بتكبيره ، فيسمعهم أهل الأسواق ، فيُكبِّرون حتى ترتجَّ مِنى تكبيرًا . وكان أبو هريرة وابن عمر يخرجان إلى السوق أيام العَشْر فَيُكبِّران ويُكبِّر الناس بتكبيرهما ، ويُكبِّرون أيضًا على قرابينهم وضحاياهم ، وعند رَمْي الجِمار ، وعلى الصَّفا والمروة ، وعند مُحاذاة الحجر الأسود ، وفي أدبار الصلوات الخمس ، هذا لا لأحد من الأمم ، لا أهل الكتاب ولا غَيرهم سِواهم ، فإن اليهود يجمعون الناس بالبُوق ، والنصارى بالناقوس . وأمَّا تكبير الله بأصوات مرتفعة فشعار محمد بن عبد الله وأُمَّتِه . وقَوله : " بأيديهم سيوف ذات شفرتين "، فهي السيوف العربية التي فتح الصحابة بها البلاد، وهي إلى اليوم معروفة لهم . وقَوله : " يُسبِّحون على مضاجعهم " وهو نَعْت للمؤمنين الذين يَذْكرون الله قِيامًا وقُعودًا وعلى جُنوبهم . ومعلوم قطعًا أن هذه البشارة لا تنطبق على النصارى ولا تناسبهم فإنهم لا يُكبِّرون الله بأصوات مرتفعة ، ولا بأيديهم سيوف ذات شفرتين ينتقم الله بهم من الأمم . والنصارى تعيب مَن يُقاتل الكفار بالسَّيف،وفيهم مَن يجعل هذا من أسباب التنفير عن محمد ﷺ ، ولجهلهم وضلالهم لا يعلمون أن مُوسى قَاتل الكفارَ وبعده يُوشَع بن نُون، وبعده داود وسُلَيمان وغيرهم من الأنبياء ، وقَبْلهم إبراهيم الخليل _ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين _)) اهـ .

٨) في [إِشَعْياء ٤٢ : ١١]: ((لِتَرفعِ البَرِّيةُ ومُدُنُها صَوْتَها الدِّيَارُ التي سَكَنَها قِيدار)) . إنها نُبُوءة على يقظة الصحراء التي سكنها " قِيدار" ، وهو الابن الثاني للنبيِّ إسماعيل ﷺ . وهي تشير إلى الإسلام والنبيِّ محمد ﷺ في الحِجاز. وقِيدار هو جَد العدنانيين، وتُنسَب إليه مملكة قِيدار المذكورة في كتابات الآشوريين، وهو أخو نابت (أو نبايوت) جَد الأنباط . واسمُ " قِيدار " أعظم إشارة إلى النبيِّ محمد ﷺ ، لأن " قِيدار " أب لأشهر قبائل العرب ، وتُسمَّى بلادهم أيضًا قِيدار ، وهي مكة .

٩) في [إِشَعْياء ٥٤ : ١] : ((تَرَنَّمي أيتها العاقِرُ التي لَم تَلِدْ أشِيدي بالتَّرَنُّمِ أيتها التي لَم تَمْخَضْ لأن بَني المُسْتَوْحِشَةِ أكثرُ مِن بَني ذَاتِ البَعْلِ قالَ الرَّبُّ)) اهـ . المراد بالعاقر " مكة قبل نُبُوَّة محمد " لأنه لَم يقم فيها نبيٌّ بعد إسماعيل ، ولَم يَنْزل فيها وَحْي. وتعبير" بني المُسْتَوْحِشَة " إشارة إلى أولاد " هَاجَر " . لأن " هَاجَر " كانت مُسْتَوْحِشَة في البَر المُقْفِر ، فقد تركها زَوْجُها وابْنَهَا وَحِيدَيْن في وادٍ غَير ذِي زَرْع . وبَنُوها مِن نَسْل إسماعيل كانوا أُمَّة أكبر وأعظم مِن نَسْل إسحاق بن سَارَة المُعبَّر عنها بذات البَعْل (الزَّوْج) . وهذه الآيةُ تدل بوضوح على نُبُوَّة محمد ﷺ لأنه من ذُرِّيَّة إسماعيل ﷺ ، وأتباعه يزيدون عن أتباع أنبياء إسرائيل . ووصفُ مكة بالعاقر جاء في مُقارَنة بالقدس أو أورُشَليم التي أنجبت الأنبياء . وفي [إِشَعْياء ٥٤ : ١٦] : ((ها أنذا خلقتُ الحدَّادَ)) ، إشارة إلى النبيِّ محمد ﷺ ، حيث قاتلَ المشركين بِسَيفه .

١٠) في [إِشَعْياء ٦٥ : ١٥] : ((وَتُخْلِفُونَ اسْمَكُم لعنةً لِمُختارِيَّ فَيُميتُكَ السَّيدُ الرَّبُّ وَيُسمِّي عَبيدَه اسْمًا آخَر)) اهـ . هذه نُبوءة لاستبدال اليهود ، وطردهم ، واختيار المسلمين (الأُمَّة المُحمَّدية الإسلامية) مكانهم شعبًا لله تعالى .

١١) نُبوءة دانيال المزدوجة : صورة التمثال كِناية عن الشِّرك ، الذي يُمَثِّل أربع ممالك ، وفي زمن المملكة الرابعة ينقطع حجر من جبل ، بغير يد قطعته ، فيسحق التمثالَ والممالكَ الوثنية التي تحمله [٢ : ٣١ _ ٤٥] . وصورة ابن البشر الآتي على سحاب السماء لِيُنشِئ على الأرض ملكوتَ الله على أنقاض ممالك العالَم [٧: ١٣_ ٣٧] .

إن الحجر الذي يَضرب تمثالَ الشِّرك هو النبيُّ محمد ﷺ. فهو الذي حَطَّمَ الأصنامَ ، وَهَدَمَ عبادة الأوثان ، وألغى الوثنية ، وهَدَمَ الشِّركَ ، وانتصرَ على مُشركي العرب عَبَدَة الأصنام والأوثان، وألغى تاريخهم الوثنيَّ ، وأعلى رايةَ التَّوحيد، وأعلنَ وَحدانيةَ الله وتفرُّدَه بالأُلوهية والرُّبوبية ، فلا إله إلا الله . أي : لا معبود بحق إلا الله . وملكوت الله هو الدولة الإسلامية التي قامت على أنقاض الرُّوم والفُرس ، وكانتا أعظم دَولتين في العالَم .

وبشكل عام ، إن الكتاب المُقدَّس (التَّوراة / العهد القديم، والإنجيل / العهد الجديد) يُقدِّم صُورةً واضحةً للنبيِّ محمد ﷺ ، وهذه الصورة لها خمسة أبعاد : ١_ نبيٌّ ليس مِن بني إسرائيل . ٢ _ صاحب شريعة كاملة . ٣_ دوام دِينه إلى الأبد . ٤ _ يَهزم أعداءه ويَسحقهم . ٥_ دعوته عالمية وعامة لجميع الناس. وهذه الصفات الخمس لَم تجتمع في أحد إلا في النبيِّ محمد ﷺ . والواقعُ يُصدِّق هذا الأمر ، ويَشهد له .

ثالثًا : صفات الله

١ـ الاستراحة

إن التَّوراة البشرية المُحرَّفة غارقة في عقائد التجسيم والتشبيه ، فهي تُسنِد صفات الأجسام والحوادث إلى الله تعالى ، وتُشبِّه الخالق بالمخلوق ، والمخلوق بالخالق . وهذه الفوضى تدل على انهيار العقيدة ، واضطراب الفكر ، والجهل التام ، واتِّباع الأهواء الذاتية والآراء الشخصية .

وفي [تَكْوين ٢ : ٢] : ((وفرغَ اللهُ في اليوم السابع من عمله الذي عمل . فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل)) اهـ . هذا النصُّ التَّوراتي يزعم أن اللهَ تعب بعد عَمله ، وأُصيب بالإرهاق والإعياء بعد عملية الخَلْق ، فاستراحَ في نهاية الأسبوع ، كي يَستجمع قواه مِن جديد ، ويستعيد نشاطه . وفي [خُروج ٣١ : ١٧] : ((وفي اليوم السابع استراح وتنفَّس)) . وهذا يعني أن الله تعالى أخذَ قِسْطًا مِن الراحة بعد التعب ، وأخذ نَفَسًا عميقًا بعد شُعوره بالضيق والاختناق. وفي [مَلاخِي ٢ : ١٧] : ((لقد أَتْعَبْتُم الربَّ بكلامكم)) اهـ . لقد أكثروا الكلامَ ، وأزعجوا الرَّبَّ بحديثهم ، وأتعبوه وضايقوه بكلامهم القاسي ، لأن التعب لا يكون إلا مِن الكلام القاسي ، أمَّا الكلام الناعم فهو سبب الراحة والسعادة .

إن هذه النصوص التَّوراتية العبثية تَطعن في صفات الله ، وتُهينه ، فهي تصف الله بأنه يَتعب ويستريح بعد التعب، كما لو كان إنسانًا عاديًّا. وهذه البُنية العَقَدِيَّة الأسطورية مفضوحة ومكشوفة ، وتدل على تغلغل الخرافات في التَّوراة البشرية المُحرَّفة . إن الله هو الخالق العظيم ، خَلَقَ كُلَّ شَيء ، ويُسيطر على المخلوقات والكائنات . وهو سُبحانَه مُتَّصف بصفات الكمال ، ومُنَزَّه عن كُل عَيب ونقص . فلا يَتعب ، ولا يستريح ، ولا يُصاب بالإعياء والإرهاق. والتعبُ والاستراحةُ صفتان للبشر المخلوقين أصحاب القدرات المحدودة الناقصة . أمَّا اللهُ فهو الخالق العظيم ، قُدرته مُطْلَقة ، وإرادته نافذة في كل شيء. ولو كان اللهَ يَتعب ويستريح لحدثَ اضطراب واضح في السماوات والأرض والشمس والقمر والمجرات والنجوم . وبما أن الكَون سائر وَفْق نظام دقيق ، بلا فوضى ، ولا اضطراب ، ولا تناقض ، ولا تعارض ، فهذا يدل على عَظَمَة الخالق وإبداعه ، لأن المخلوق يدل على الخالق ، والمصنوع يدل على الصانع . وإتقانُ الصَّنعة يُشير إلى قُدرة الصانع وحِكمته وإبداعه في مخلوقاته . والقادرُ على كُل شيء ، لا يمكن أن يكون عاجزًا . والاستراحةُ صِفة عَجْز .

وقالَ اللهُ تعالى مُكَذِّبًا اليهود: ﴿ ولقد خَلَقْنا السَّماواتِ والأرضَ وما بَيْنَهما في سِتَّةِ أيَّامٍ وما مَسَّنا مِن لُغوب ﴾ [ق : ٣٨] . إن الله نَزَّهَ ذَاتَه العَلِيَّةَ عَن كُل عَيْب ، وقَدَّسَ نَفْسَه عَن كُل نقص. فقد خلق السماوات والأرض (الأجرام العظيمة) وما بينهما في ستة أيام ، ولَم يَمَسَّه تعب ولا إعياء ولا إرهاق . واللهُ لَم يقل : وما أصابنا مِن لُغوب . بَل قال : ﴿ وما مَسَّنا مِن لُغوب ﴾ ، والتعبير بالمَس يدل على انتفاء التعب جُملةً وتفصيلًا . ولا يوجد تعب نهائيًّا ، مهما كان قليلًا وبسيطًا . وانتفاءُ التعب عن الله لِتَنَزُّهِهِ عن صفات المخلوقين ، ولعدم المُمَاسَّة بينه وبين غَيره .

واليهودُ زعموا أن الله تعالى خَلق السماواتِ والأرضَ في ستة أيام ، أوَّلها يوم الأحد ، وآخرها الجُمُعة ، واستراحَ يوم السَّبت ، فجعلوه يوم راحة . وهذا يدل على أهوائهم وأكاذيبهم .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٨ / ٢٢) : ((ذَكَر المفسِّرون أن اليهود قالت: خَلَقَ اللهُ السمواتِ والأرض وما بينهما في ستة أيام ، آخرها يوم الجُمُعة ، واستراح يوم السَّبت ، فلذلك لا نعمل فيه شيئًا . فَنَزلت هذه الآية ، فأكْذَبَهم اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقَوله : ﴿ وما مَسَّنا مِن لُغوب ﴾ . قال الزَّجاج : واللغوب التعب والإعياء)) .

٢ _ الحزن

اليهود أصحاب عقول قاصرة ، وأهواء مُتضاربة ، وآراء فوضوية، وعقائد عبثية . ومعلومٌ بَداهةً أن الحزن صفة إنسانية، مُتعلِّقة بالبشر المخلوقين. فالمخلوقُ لديه مشاعر وأحاسيس ، ويتأثر بالأحداث الحياتية والمشاهد الواقعية والأحلام الخيالية. وفي أحيان كثيرة ، يَشعر بالألم والحزن . وهذه الصفةُ البشرية جعلها اليهودُ صِفةً لله تعالى . وهذا يدل على عقائدهم الباطلة ، وتَوراتهم المُحرَّفة ، واعتمادهم على منهجية تشبيه الخالق بالمخلوق . وهي منهجية مُنحرِفة ومرفوضة ، لأن الله لا يُشْبِه شيئًا ، ولا يُشْبِهُه شَيء . وصفاته قديمة قِدَم ذاته المُقدَّسة ، وهي صفات كاملة مُقدَّسة مُنَزَّهة عن كُل عَيْب ونقص . أمَّا صفات البشر فهي صفات مخلوقة حادثة ، لأن البشر حوادث ، أي إنهم لَم يَكونوا موجودين ، ثُمَّ وُجِدُوا . فاللهُ خَلَقَهم مِن العدم ، وأخرجهم إلى حيِّز الوجود مِن اللاشَيء . فلا يَجوز تشبيه الخالق بالمخلوق، ولا المخلوق بالخالق . لكنَّ التَّوراة المُحرَّفة كان لها منهج آخر،واليهود الذين يتلاعبون بنصوصهم الدينية كان لهم رأي آخر. ففي[تكْوين ٦:٦] : ((فحزنَ الربُّ أنه عمل الإنسانَ في الأرضِ . وتأَسَّفَ في قلبه)) اهـ .

هذا النصُّ التَّوراتي الباطل يقول إن الله حَزِنَ لأنه عملَ الإنسانَ في الأرض ، وهذا يشتمل على معنى النَّدم والطَّيْش وسُوء التَّصَرُّف وعدم تقدير عواقب الأمور . ولَم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تأسَّفَ اللهُ في قلبه . واليهودُ قد جَعلوا لله قَلْبًا ضِمن منهجيتهم القائمة على التجسيم والتشبيه، ومُحاولة إسناد الأعضاء والحواس والجوارح إلى الله تعالى . والإنسانُ المخلوق هو الذي يَحتاج إلى الأعضاء كي يَقْدِر على العَيش بسهولة. أمَّا اللهُ فهو غنيٌّ عن كل شيء ، لا يحتاج شيئًا، وكُل شيء يحتاجه .

والأسفُ يَحمل معنى المُبالَغة في الحزن والغضب ، كما أن الأسف حُرقة داخلية بعد ارتكاب ذنب أو خطأ . ووَفْق النَّص التَّوراتي الباطل ، إن اللهَ عَمل الإنسانَ في الأرض ، أي خَلَقه ، وجَعله في الأرض ، ولكن الله لَم يكن يُدرِك عاقبةَ هذا الأمر ، ولَم يكن يَعرِف نتيجته ، فحزنَ ، واحترقَ قَلْبُه بالأسف والندم . وهذه الأكاذيبُ التي اخترعها اليهود اتِّباعًا لأهوائهم وآرائهم ، تدل على كُفرهم وضلالهم وجهلهم التام بصفات الله. إن اللهَ هو الخالق الحكيم المُدبِّر، يَعلم ما كان ، وما هو كائن ، وما سيكون ، وما لَم يكن لو كان كيف يكون . والمُتأمِّلُ في مخلوقات الله وإبداعها وإعجازها ، وجمالها الباهر ، ونظامها الدقيق ، وصُنعها المُتقَن ، يُدرِك أن اللهَ هو الخالق العظيم الحكيم ، خَلَقَ المخلوقات العظيمة الهائلة، وهي تحت سَيطرته وهَيمنته ، فلا تُوجد في الكَون فوضى ولا عبث ولا اضطراب . العناصرُ في جِسم الإنسان متوازنة ضِمن نظام دقيق ، وعناصرُ الأرض مُنضبطة ، وأجرام السماء مُنظَّمة لا تتصادم . وهذا يدل بوضوح على أن الله مُتَّصف بصفات الكمال ، وقُدرته مُطْلَقة،وإرادته نافذة في كُل شيء، ولا شَيء يَعلو على مشيئته.فلا يُمكن أن يحزن أو يندم أو يتأسَّف.فهذه صفاتُ البشر المخلوقين العاجزين أصحاب القُدرات المحدودة أمَّا صفات الله فهي صفات قديمة كاملة مُطْلَقة ، لا عَيْب فيها ولا نَقْص . ومَن جَعل اللهَ كالإنسان مِن حيث الأعضاء والمشاعر والأحاسيس ، فهو كافرٌ لا مَحَالة ، وجاهلٌ بخالقه العظيم . والجاهلُ عدوُّ نفْسه ، والحُكم على الشَّيء فَرْع عن تصوُّره . وما بُنِيَ على تصوُّر باطل فهو باطل .

٣ _ النَّدَم

النَّدَمُ هو أن يُظهِر الشخصُ أَسَفَه ، وحُزْنَه ، وَتَحَسُّرَه على موضوع ما . والندمُ غالبًا يَشعر به الإنسانُ عند إحساسه بالحزن، والعار، والخجل، والإحباط ، والانزعاج ، أو الإحساس بالذَّنْب بعد قيامه بتصرُّف أو عِدَّة تصرُّفات ، يتمنَّى الإنسانُ أن لَم يَفعلها .

والندمُ صِفة إنسانية مُتعلِّقة بالطبيعة البشرية الناقصة المحدودة العاجزة . ولكنَّ اليهود نقلوا هذه الصفة البشرية _ التي تدل على ضعف الإنسان وعجزه وقِصَر نَظَره _ إلى صفات الله تعالى .

وفي [مزامير ١٠٦ : ٤٥] : ((ونَدِمَ _ أي الله _ حَسَبَ كثرة رحمته)) اهـ . وهذا يعني أن الله لَم يكن يعرف نتيجة أعماله ، ولَم يُدرِك عواقب أفعاله ، فندمَ حَسَب كثرة رحمته . وهذه إهانة لله تعالى ، وطعن في صِفاته المُقدَّسة . فاللهُ حكيمٌ في أقواله ، حكيمٌ في أفعاله ، يَضع كُل شيء في نِصابه الصحيح ، ولا يَندم ، ولا يُخطِئ ، لأنه الإله الكامل المُنَزَّه عن صفات النقص .

وفي [خُروج ٣٢ : ١٢] : ((واندمْ على الشر بشعبكَ)) اهـ . هذا النصُّ التَّوراتي الباطل نسبه اليهودُ إلى النبيِّ مُوسى ﷺ ، حيث خاطبَ اللهَ قائلًا : عَلَيْكَ أن تَشعر بالندم والحزن والأسف بسبب الشر الذي عملته بشعبكَ وأُمَّتك . وهذا كذبٌ واضحٌ على النبيِّ مُوسى ﷺ ، فالأنبياءُ الكرام معصومون ، وهُم أعلم الخلق بالله تعالى ، يَدْعُونه بأدب وتعظيم وتقديس ، ولا يُخاطبونه بوقاحة وكُفر وضلال . وهذا النصُّ التَّوراتي الخرافي يدل على كُفر اليهود وضلالهم وطَعْنهم في أنبيائهم . لقد طَعَنوا في أعظم أنبيائهم، وهُو النبيُّ مُوسى ﷺ (كليم الله) الذي نزلت عليه التَّوراة، فشيء طبيعي وعادي أن يَكفروا بالنبيِّ محمد ﷺ ، ويُكذِّبوه ، ويَطعنوا فيه ، ويَرفضوا القُرآنَ . لقد رَفضوا التَّوراةَ وحرَّفوها وتلاعبوا بنصوصها ، والمفروض أنها كتابهم المقدَّس ، فلا غرابة أن يَرفضوا القُرآنَ الكريم. وهذا النَّصُّ الأسطوريُّ الباطل المنسوب للنبيِّ مُوسى ﷺ:((واندمْ على الشر بشعبكَ)) ، يقوم على عِدَّة أركان : أ _ الطعنُ في النبيِّ مُوسى ﷺ ، ووصفه بالكفر والضلال والوقاحة، وجهله بأسلوب مُخاطبة الله تعالى ، والتطاوُل عليه ، وعدم التَّأدُّب معه . ب _ جَعْل الندم صِفة لله،مِن أجل انتقاصه والطعن في صفاته المقدَّسة وإزالة عَظَمَته وَهَيْبته مِن النفوس. ج _ نِسبة الشَّر إلى الله تعالى ، وأنه أساءَ إلى شعبه . وهذا يَعني _ بالضرورة _ أن أعمال الله لَيست مُقدَّسة ولا كاملة ولا عظيمة ، وإنما هي في موضع الذم والطعن ، لأن الشَّر لا يَصْدُر إلا عَن شِرِّير. وهذه الخرافاتُ التَّوراتية تدل على جهل اليهود بصفات الله وعدم تعظيمهم له سُبحانَه. وفي صحيح مسلم (١/ ٥٣٤) أن النبيَّ محمدًا ﷺ قال مُخَاطِبًا الله تعالى : ((والخيرُ كُلُّه في يَدَيْكَ، والشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ)) . هذا يدل على معرفة النبيِّ محمد ﷺ بصفات الله العظيمة الكاملة المقدَّسة، وتعظيمه لله ، وتقديسه له، والأدب في مُخاطبته ، وتَنْزيه الله عن الأعمال السَّيئة والصفات الناقصة المعيبة.وليس كما في وَرد في النص التَّوراتي الذي كَذَبَ على الله تعالى،وكَذَبَ على النبيِّ مُوسىﷺ. والأنبياءُ هُم أعظم البشر ، وأعْلَم الخلق بالله تعالى ، يُعظِّمونه ويُقدِّسونه

ويتأدَّبون معه. والنَّصُّ النبويُّ في صحيح مسلم يدل على أهمية الأدب مَعَ اللهِ تعالى، والثناء عَلَيه، وتَعظيمه، وتَمجيده، ومَدْحه بأن تُضاف إلَيه محاسن الأمور ، ولا تُضاف إلَيه الأمور السَّيئة ، تأدُّبًا مَعَ اللهِ تعالى وتَعظيمًا له .

وفي شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ٥٩): ((وأمَّا قَوْله : " والشر ليس إلَيك ". فَمِمَّا يجب تأويله لأن مذهب أهل الحق أنَّ كُل المُحْدَثات فِعل الله تعالى وخَلْقه سَواء خَيْرها وشَرها وحينئذ يجب تأويله ، وفيه خمسة أقوال : أحدها معناه لا يُتقرَّب بِه إلَيك ، قاله الخليل بن أحمد والنَّضْر بن شُمَيل وإسحق بن رَاهَوَيْه ويَحيى بن مَعين وأبو بكر بن خُزَيمة والأزهري وغَيرهم . والثاني حكاه الشيخ أبو حامد عن المُزني ، وقاله غَيره أيضًا ، معناه لا يُضاف إلَيك على انفراده ، لا يُقال : يا خالق القِرَدة والخنازير ، ويا رَبَّ الشَّر ، ونَحْو هذا ، وإن كان خالقَ كُلِّ شيء ، ورَبَّ كُلِّ شيء ، وحينئذ يدخل الشر في العموم. والثالث معناه : والشر لا يَصعد إلَيك إنما يَصعد الكَلِمُ الطَّيب والعمل الصالح. والرابع معناه : والشَّر ليس شَرًّا بالنِّسبة إلَيك ، فإنَّكَ خَلَقْته بِحِكمة بالغة، وإنما هو شَر بالنِّسبة إلى المخلوقين. والخامس حكاه الخطابي أنه كَقَولك : فُلان إلى بني فُلان، إذا كان عِداده فِيهم ، أو صَغْوه إلَيهم)) .

وفي [خُروج ٣٢ : ١٤] : ((فندمَ الربُّ على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه)) اهـ . هذا النصُّ التَّوراتي الخرافي يُقدِّم لنا صُورةً وهميةً أُسطورية.فبعد أن وبَّخ مُوسى رَبَّه ، وقال له : ((واندمْ على الشر بشعبكَ)) اهـ . يَبدو أن الله تعالى قد عرف خَطَأه ، وأدركَ ذَنْبَه ، وخضع لكلام مُوسى، وندمَ اللهُ على الأمور السَّيئة والشر الذي قال إنه يَفعله بشعبه المختار وأُمَّته المُصْطَفَاة . وهذا الكذبُ التَّوراتي صريح ومفضوح ، وهو قائم على إهانة الله والطعن في صفاته المقدَّسة ، وتَشويه صُورة أنبيائه ، وتقديمهم بشكل سيِّئ. مِمَّا يُشير إلى كُفر اليهود وضلالهم وعنادهم واتِّباعهم لأهوائهم الباطلة ، وأوهامهم الساقطة ، وآرائهم التافهة ، ومصالحهم الدنيئة .

وفي [قُضاة : ٢ : ١٨] : ((لأن الربَّ نَدِمَ من أجل أنينهم)) اهـ . وهذا يعني أن الله شعر بالأسى والأسف والحزن والندم بسبب أنينهم ومُعاناتهم وألمهم ، وكأن الله يُشاركهم مشاعر الحزن للتَّخفيف عنهم ومُواساتهم . وهذا النصُّ التَّوراتي الأسطوري يدل على عقلية اليهود البدائية في تشبيه الخالق بالمخلوق ، والمخلوق بالخالق.وفي [صَمُوئيل الأول ١٥ : ٣٥]:((والربُّ نَدِمَ لأنه مَلَّكَ شَاوُل على إسرائيل)) اهـ . هذا يدل أن الله لا يَعرِف عواقب الأمور ، ولا يُدرِك نتائجَ أفعاله ، فقد مَلَّكَ شاوُل على الشعب (بني إسرائيل) ، لأن شاوُل أهْلٌ لذلك ، ثُمَّ تَبيَّن العكس ،

فندمَ اللهُ ، وشعرَ بالحزن والأسف على سُوء اختياره ، وعَجْزه عن تقدير الموقف ، وعدم معرفته بنتائج الأمور . وهذه الأكاذيبُ التَّوراتية مكشوفة ومفضوحة ، وتُشير إلى مُعاداة اليهود لله تعالى ، وغرقهم في الكفر والضلال والعِناد ، والتطاوُل على الله ، واختراع صفات باطلة له .

٤_ النُّزول

إن الله مُنَزَّهٌ عن الحركة ، لأن الحركة انتقال من مكان إلى مكان ، ومن كان هكذا شأنه ، فهو حادث ، والله تعالى قديم . كما أنه تعالى مُنَزَّه عن المكان والزمان ، فكان الله ولا أين ، وهو الآن حيث كان ، وهو الآن كما كان. وأيضًا ، إن الله تعالى لا يَحُلُّ في الأشياء ، ولا تَحُلُّ الأشياء فيه ، فما كان مَحَل الحوادث فهو حادث ، وما خالطته الحوادث فهو حادث ، وكُل الحوادث مُفتقِرة إلى مُوجِد ، والله تعالى غنيٌّ عن كل شيء ، وهذا يَنفي صفة الحدوث عن ذاته العَلِيَّة . واللهُ مُنَزَّهٌ عن الجِسْمية والتَّحَيُّز،لذلك امتنع عليه النُّزول بمعنى الانتقال من مَوضع عالٍ إلى مَوضع مُنخفض.

وعلماءُ اليهود الذين حرَّفوا التَّوراةَ ، يعتقدون أن الله يَسكن في السماء ، ويَنْزِل لِيُتابع قضايا الناس ومجريات الأحداث ، ثُمَّ يَصعد إلى مكان سَكَنه . وهذه الفكرةُ الباطلةُ أخذوها مِن مُلوك البشر . فالملوكُ أصحاب القُصور العالية يَنْزِلون مِن أبراجهم العاجية لِيُتابعوا شُؤون الناس ، ويُعالجوا مُشكلات الرَّعِيَّة ، ثُمَّ يَعودون إلى قُصورهم المُشيَّدة ، وأماكنهم الشريفة المُنيفة .

وعقائدُ التَّوراةِ البشريةِ قائمة على التجسيم والتشبيه والطعن في صفات الله . وعلماءُ اليهود غارقون في الكفر والضلال والعناد والأهواء والمصالح ، لذلك لا يَعرِفون ما يَجوز في حق الله ، وما لا يَجوز . وفي [تَكْوين ١١ : ٥] : ((فنزلَ الربُّ لينظر المدينةَ والبرجَ اللذين كان بنو آدم يبنونهما)) اهـ . هذا النَّص التَّوراتي الخُرافي يَزعم أن الله لا يَعلم ماذا يَدُور في الأرض ، ولا يَعرِف ماذا يَعْمَل بنو آدم ، لذلك نَزَلَ مِن عَلْيائه ليعرف أفعال بني آدم في الأرض . وبالتالي ، يُدرِك حقائق الأمور . وهذه الأوهامُ التَّوراتية جعلها علماء اليهودُ دِينًا لازمًا وشريعةً مُتَّبَعَةً .

وفي [تَكْوين ١٨ : ٢١] ، يقول الربُّ : ((أَنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتي إِلَيَّ)) اهـ . هذا النصُّ التَّوراتي الأُسطوري يَزعم أن عِلْم اللهِ ناقصٌ وجُزئي ومحدود ، فاللهُ لا يَعلَم مجريات الأمور ووقائع الأحداث إلا إذا نزلَ ورأى الأمورَ والأحداثَ عن قُرب . عندئذٍ ، سَيَعْلَم حقيقةَ الأشياء . وهذا باطلٌ ، لأن عِلْم الله شامل لكل شيء ، لا يَغيب عن الله شَيء ، ولا تخفى عليه خافية.واللهُ مُنَزَّهٌ عن الضعف والعَجْز والنقص والعيب، وصفاتُه كاملةٌ ومُطْلَقَة ومُقدَّسة.

وفي [عَدَد ١٢ : ٥] : ((فنزلَ الربُّ في عمود سَحاب ووقف في باب الخيمة)) اهـ . لقد اخترعَ اليهود صفات الحوادث وأوصاف النقص ، ونسَبوها إلى الله تعالى . فقد نَزَلَ في عمود سحاب إلى الأرض ، وهذا يعني أن الله يتحرَّك ويتغيَّر. وكُل وجود طَرَأَ عليه عدم ، وكُل عدم طَرَأَ عليه وجود ، فهو مخلوق حادث . واللهُ هو الخالق القديم ، يُغيِّر ولا يَتَغَيَّر ، فالتَّغَيُّر مِن صفات الأجسام الحادثة المخلوقة ، واللهُ مُنَزَّهٌ عن ذلك . ولَم يَكتفِ اليهود بإنزال الله إلى الأرض، بل أيضًا وقف في باب الخيمة . وللأسف ، لَم يترك اليهودُ صِفة نقص إلا نسَبوها لله تعالى.وهذا يدل على فساد عقيدتهم، وهُم يتعاملون معَ الله باعتباره شبيهًا للإنسان ، يَنْزِل ويتحرَّك ويقف، وكُل هذا مِن أجل الحصول على المعلومات ، ومعرفة الأشياء ، وإدراك حقيقتها عن قُرب ، كَي يَحصل على المشاهد والأحداث والوقائع بِدِقَّة . وهذه الأساطيرُ التَّوراتية اليهودية تُشير إلى تحريف التَّوراة، والتلاعب بها ، وتحويلها إلى كتاب بشري أُسطوري غارق في الأوهام والأكاذيب والخيالات .

إن الله مُتَّصف بصفات الكمال . قُدرته مُطْلَقة ، وعِلْمه شامل ، وإرادته نافذة في كُل شيء ، وكُل شَيء خاضع لِمَشيئته ، لا يحتاج إلى شيء ، وكُل شيء يحتاجه . وهذا هو التَّنْزيه والتعظيم ، أمَّا الخرافاتُ التي زرعها علماء اليهود في تَوْراتهم البشرية المُحرَّفة ، فهي تَطعن في صفات الله ، ولا تُعظِّمه ، ولا تُقدِّسه ، وتَنْزِع عَظَمَته وهَيْبته مِن نفوس اليهود المؤمنين بالتَّوراة البشرية مَنبع الأساطير والخرافات والخزعبلات .

وفي [مزامير ١٤٤ : ٥] : ((يا رَبُّ طَأْطِئْ سماواتِكَ وانْزِل الْمِس الجبالَ فتُدخِّن)) اهـ . إن المشهد البصري في هذه النص التوراتي الباطل،يُصوِّر اللهَ وكأنه مخلوق يتحرَّك ويَثور ويغضب ، ويتصرَّف بِطَيْش وعصبية . والطلبُ مِن الله أن يُطَأْطِئ سماواته العالية ، ويُنْزِلها ويُخْفِضها ، كي تصبح على مسافة قريبة من الأرض، ثُمَّ يَنْزِل الله ويَلْمس الجبال . ما هي الفائدةُ مِن هذه العملية؟. وماذا يستفيد اليهودُ مِن هذا الإجراء في دِينهم ودُنياهم ؟. إن التَّوراة الأصلية كتاب دِيني سماوي، جاءَ لهداية اليهود وإرشادهم إلى طريق الحق في الدنيا ، وقيادتهم إلى النعيم في الآخرة . أمَّا التَّوراةُ الحالية فهي كتاب بشري أُسطوري مُشتمل على الخرافات،يقود اليهود إلى الخلود في عذاب النار.

٥_ الخوف

الخوفُ هو الشُّعور الناجم عن الخطر أو التَّهديد المُتَصَوَّر ، ويُؤدِّي في نهاية المطاف إلى تغيير في السلوك ، مِثل الهروب أو الاختباء ، وذلك طَلَبًا للأمن والأمان والحماية .

وهذه صِفة بشرية تدل على ضعف الإنسان وعَجْزه ، وقُدراته المحدودة ، وطاقته النسبية . وعلماءُ اليهود نسَبوا هذه الصفة البشرية (الخوف) إلى الله تعالى ، فشبَّهوه بالإنسان الكائن الضعيف . مِمَّا يُشير إلى فساد عقائدهم ، وتصوُّراتهم الباطلة عن الذات الإلهية المُقدَّسة .

في [تَكْوين ٣٥ : ٥] : ((وكان خوفُ الله على المدن التي حَوْلهم)) اهـ . أي إن الله قد شعر بالخوف والقلق ووجود تهديد حقيقي . واللهُ مُنَزَّهٌ عَن هذه الخزعبلات التي نشرها علماء اليهود في تَوْراتهم البشرية المُحرَّفة ، وأساؤوا إلى أنفسهم ، وظلموها أشدَّ الظلم بأن قادوها إلى الخلود في عذاب النار ، بسبب تحريفهم للتَّوراة ، ونِسبة الأكاذيب إلى صفات الله المقدَّسة . إن اللهَ هو مانح الأمن والأمان ، وهو الذي يَحْمي مَن يَشاء مِن عباده ، ولا أحد يَحْميه ، وهو يُجير ولا يُجار عليه . يتَّصف الإنسانُ بصفات النقص والعجز ، لأنه مخلوق ضعيف عاجز . أمَّا اللهُ فيتَّصف بصفات العَظَمَة والقوة والقُدرة والإرادة والمشيئة، لأنه الخالق العظيم المُدبِّر الذي لا يُعجِزه شَيء.

٦_ النِّسيان

النِّسيان هو عدم تذكُّر المعلومات والمهارات والخبرات التي مَرَّ بِها الفردُ ، وهو ظاهرة طبيعية تحدث لجميع البشر . والإنسانُ ينسى ويتذكَّر ، ويتذكَّر وينسى ، لأن قدراته محدودة ، وطاقته نِسبية محصورة في إطار مُعيَّن. وفي أحيان كثيرة ، يُحاول الإنسانُ استرجاع المعلومات مِن ذاكرته، وقد يَنجح في ذلك ، وقد لا يَنجح . والنِّسيان والتَذَكُّر صِفتان بشريتان ، تُشيران إلى ضعف الإنسان وعَجْزه . وهاتان الصِّفتان مَنْفِيَّتان عن الله تعالى ، لأن الله هو الخالق الكامل ، وصفاته مُطْلَقة وكاملة ومُقدَّسة ، لا عَيْب فيها ولا نقص. وفي [خُروج ٢ : ٢٤] : ((فتذكرَ اللهُ ميثاقَه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب)) اهـ . أثبتت التَّوراةُ البشرية المحرَّفة صِفة التَّذَكُّر لله تعالى ، ولا تَذَكُّر إلا بعد نِسيان . ومعنى هذا النص التَّوراتي الخرافي أن اللهَ كان ناسيًا لعهده وميثاقه معَ الأنبياء إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، ثُمَّ تَذَكَّرَ ذلك ، ولَم تعد هناك مُشكلة . وهذا طَعْنٌ واضح في صفات الله ، وإهانة لها ، ورَمْيٌ لها بالضعف والعجز والنقص والمحدودية . وهذا مرفوضٌ جُملةً وتفصيلاً، لأن الله هو الخالق العظيم المُنَزَّه عن كُل عَيب ونقص ، وصفاته كاملة ومعصومة ومُطْلَقة. واللهُ لا يَنسى ولا يَتذكَّر ، بَل هو سُبحانَه يَعلم كُلَّ شيء بِعِلْم أزلي شامل لكل شيء ، لا عَجْز فيه ولا ضعف ولا تغيير . والعِلْمُ صِفةٌ لله ، وصفات الله قديمة قِدَم ذاته المقدَّسة .

والفاء في " فتذكرَ " هي فاء العاطفة ، وتُفيد التعقيب وترتيب حصول معطوفها (ما بعد حرف العطف) بعد حصول المعطوف عليه (ما قبل حرف العطف) .

٧_ الحركة والوقوف

إن الله يُغيِّر ولا يَتغيَّر ، لأن التَّغيُّر مِن صفات الحوادث . وحُدُوثُ الشَّيء يَعني وُجوده بعد إذْ لَم يَكُن . واللهُ هو الخالقُ القديمُ ، ليس له بداية ، وليس له نهاية ، ولا تَطرأ عليه الحوادث ، ولا تُصيب التَّغيُّرات صِفاته المقدَّسة . وكُل وجود طَرَأَ عليه عَدَم ، وكُل عَدَم طرأ عليه وجود ، فهو مُتغيِّر وحادث ومخلوق . واللهُ هو خالقُ الأشياء ، وليس شيئًا مخلوقًا ولا مُتَغَيِّرًا . واللهُ ليس كَمِثْله شَيء ، لا يُشبِه شيئًا ، ولا يُشبِهه شَيء .

في [قُضَاة ٥ : ٤] : ((يا ربُّ بخروجكَ من سِعيرَ بصعودكَ من صحراء أَدُومَ الأرضُ ارتعدت)) اهـ . هذا النصُّ التَّوراتي الخرافي يَزعم أن الله خرج مِن منطقة سعير ، وصعد من صحراء أدُوم . وهذه الحركة الإلهيةُ الهائلة جَعلت الأرض ترتعد ، مِمَّا يدل على تأثير الحركة الكبير ، وأثرها البالغ في عناصر الطبيعة . وهذه الأوهامُ التَّوراتية بعيدة كُل البُعد عن تعظيم الله وتقديسه ، فهي تتعامل مع الله تعالى كمخلوق محصور في حيِّز الزمان والمكان ، يتحرَّك ويُحدِث جَلَبَةً وضجيجًا وتأثيرًا فيما حَوْله كتأثير الأجسام والمُكَوَّنات. مِمَّا يدل بوضوح على غرق علماء اليهود في عقائد التجسيم والتشبيه ، وإعادة كتابة التَّوراة بما يخدم مصالحهم وأهوائهم وآرائهم .

وفي [صَمُوئيل الأول ٣ : ١٠]: ((فجاءَ الربُّ ووقف)) اهـ . هذا إثباتٌ واضحٌ للحركة والوقوف. وهاتان الصِّفتان البشريتان مَنْفِيَّتان عن الله تعالى، لأن الله لا تُصيبه التغيُّرات ، ولا يتأثر بالتَّبدلات . فالخالقُ خالق ، والمخلوق مخلوق . ولا يجوز الخلط بين صفات الله وصفات عبيده.

٨_ الجلوس

الجلوسُ مِن صفات الأجسام الحادثة المخلوقة . فالإنسانُ يَجلس كَي يَرتاح ، وجُلوسه يعني أنه مَحصور في حيِّز مكاني ، ومُحَاصَر مِن كافة الجهات . واللهُ مُنَزَّهٌ عن الصفات البشرية المحدودة، ومُنَزَّه عن الجلوسِ والتَّحَيُّزِ والانحصار في المكان والزمان .

وفي [الملوك الأول ٢٢ : ١٩] : ((وقال فاسمعْ إذًا كلامَ الرَّب . قد رأيتُ الربَّ جالسًا على كُرسيِّه)) اهـ . اليهود يعتقدون أن الله يَجلس على عَرْشه (كُرْسِيِّه) ، كما يَجلس الإنسان

على الكرسي أو الأثاث . وهذا جهل تام بصفات الله ، وإساءة لها ، وعدم معرفة بعَظَمَة الله وقداسته . والتَّوراةُ البشرية المحرَّفة قائمة على تشبيه الخالق بالمخلوق ، والمخلوق بالخالق .

وفي [الملوك الثاني ١٩ : ١٥] : ((وصلى حَزَقِيًا أمام الرب وقال أيها الربُّ إلهُ إسرائيل الجالسُ فوق الكَرُوبيم)) اهـ . إن الكروبيم (حَمَلَة العرش) مخلوقات ملائكية تختصُّ بعبادة الله وتسبيحه ، وهذا وَفْق المفهوم الديني اليهودي . والنصُّ التَّوراتي يقول إن الله جالس على العرش الذي يحمله الكروبيم ، وبذلك يكون جالسًا فوقهم . وهذا يُشير إلى غرق اليهود في التجسيم والتشبيه،وتغلغل العقائد الباطلة في قلوبهم ، بحيث أسقطوا الصفات البشرية على الذات الإلهية .

وفي [مزامير ٩ : ٤] : ((جَلستَ على الكرسيِّ قاضيًا عادلًا)) اهـ . يُصوِّر اليهودُ اللهَ في تَوْراتهم البشرية المحرَّفة كالقاضي الجالس على الكرسي ليفصل بين الناس ، ويَحكم بينهم . واللهُ مُنَزَّهٌ عن المكان ، وأعظم مِن أن يُحصَر في جهة ضمن منطقة محدودة . فاللهُ أكبر من كل شيء ، وأعظم من السماوات والأرض، وقد خَلق العرشَ والسماوات لإبراز مظاهر قُدرته وقُوَّته وعَظَمَته وجبروته ، وليس للسكن في السماء أو الجلوس على العرش للاستراحة . والإنسانُ عندما يَتعب يَجلس ، ويأخذ قِسْطًا مِن الراحة. أمَّا اللهُ تعالى فلا يَتعَب ولا يرتاح ، فهو الكامل لا يُصيبه نقص، وهو القويُّ لا يُصيبه ضعف . كانَ اللهُ ولا شَيء ، وهو الآن كما كان ، يُغيِّر ولا يَتغيَّر ، وهو الآن حيث كان ، مُنَزَّهًا عن المكان والزمان ، لأن المكان والزمان مخلوقان ، أوجدهما اللهُ مِن العدم . وكُل ما سِوى الله مخلوق ، واللهُ وَحْدَه كان موجودًا ولا شَيء معه . وهو سُبحانَه الأول ، فليس قَبْله شيء ، وهو الآخِر فليس بعده شيء .

وفي [مزامير ٤٧ : ٨] : ((اللهُ جلس على كُرسيِّ قُدْسه)) اهـ . تُثبِت التَّوراةُ الباطلةُ صفة الجلوس لله تعالى ، وتَزعم أنه جلس على كُرسي قُدسه وعَرْش مَلَكوته . وهذا الوهمُ غير مُستغرَب على اليهود الذين يَزعمون أن الله تعب بعد خلق السماوات والأرض ، وارتاحَ بعد عملية الخَلْق ، وأخذَ قِسْطًا مِن الراحة . وهذه الخرافاتُ هي الأساس العَقَدي في التَّوراة البشرية الباطلة .

وفي [إشَعْياء ٤٠ : ٢٢] : ((الجالسُ على كرة الأرض وسُكَّانها كالجُندب الذي يَنشر السماواتِ كَسُرَادِق ويَبسطها كخيمة للسَّكن)) اهـ . هذا النصُّ التَّوراتي الأسطوري يُصوِّر اللهَ جالسًا على كرة الأرض وسُكَّانها ، ومُحِيطًا بِها ، ومُتَحَيِّزًا في المكان ، ومحصورًا في الزمان . ولَم تقف الخرافات التَّوراتية عند هذا الحد ، بَل تَمَّ تشبيه الله بالجُندب الذي يَنشر السماوات كسرادق (ما يُدار حول الخيمة بلا سقف) ، ويَبسطها كخيمة صالحة للسكن والعَيش فيها .

والجُندبُ حشرة، تستطيع القفز لمسافة تبلغ أضعاف طول جسمها لذلك تدعى بالقفازة . ولا أعلم ما الذي جاء بالجندب في هذا السياق التَّوراتي الجنوني.ولا معنى لوجود الجندب في النص.

إن وصف الله بأنه جالس، يعني انحصاره وتحيُّزه في المكان . وتشبيه الخالق العظيم بحشرة ، يدل على كفر علماء اليهود وضلالهم ، وسَعْيهم الدائم لإهانة الله ، والتطاوُل عليه ، والطعن في صفاته العظيمة . وهذه الخرافات تدل على تحريف التَّوراة والتلاعب بنصوصها ، فهل يوجد كتاب سماوي يُشبِّه الخالق العظيم بحشرة ضعيفة ؟ . وهل أنزلَ اللهُ التَّوراةَ على النبيِّ مُوسى ﷺ لتعظيم الله وإرشاد الناس إلى الحق وهدايتهم إلى الصواب أَم لإهانة الله ووصفه بالحشرة وإضلال الناس؟.

إن تحريف التَّوراة ، وتغيير نصوصها ، أمرٌ واضح كالشمس في رابعة النهار ، ولا يُحتاج إلى علماء وباحثين . وصدقَ القائل :

وَلَيْسَ يَصِحُّ في الأَذْهانِ شَيْءٌ ... إِذَا احتاجَ النَّهارُ إلى دَليلِ

والجديرُ بالذِّكر أن بعض الجُهَّال والعَوَّام يعتقد أن الله جالس على العرش ، والملائكة يحملون العرشَ الذي فوقه الله تعالى.وهذه العقيدة الباطلة قد نتجت من عقائد التشبيه والتجسيم. فالواجب اعتقاده أن الله تعالى مُسْتَوٍ على عَرْشه كما ذَكَر ، لا كما يخطر للبشر . وعلى المرء أن يُؤمن بلا تشبيه ، ويُصدِّق بلا تمثيل ، ويُمسِك عن الخوض فيما لا عِلم له به .

قال الإمام الغزَّالي في قواعد العقائد في التوحيد (ص ٩) : ((وأنه مُسْتَوٍ على العرش على الوجه الذي قاله ، وبالمعنى الذي أراده ، استواءً مُنَزَّهًا عن المُمَاسَّة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال . لا يَحْمله العرش ، بل العرش وحَمَلَته مَحمولون بِلُطف قُدرته، ومقهورون في قبضته. وهو فوق العرش والسماء، وفوق كُل شيء فَوقيةً لا تزيده قُرْبًا إلى العرش والسماء ، كما لا تزيده بُعْدًا عن الأرض والثرى)) اهـ .

إن الله مُنَزَّه عن الحلول في الأشياء ، فلا مكان يحتويه ، ولا زمان يَحُدُّه ، لأنه سُبحانَه خالق الزمان والمكان . وكان الله موجودًا قبل العرشِ والزمانِ والمكانِ وكُلِّ المخلوقات ، ولا شيء معه .

٩ _ التَّحَيُّز

إن الله هو الكبير الأكبرُ . وهو سُبحانَه أكبر مِن كُل شيء . والسماوات مِن مظاهر قُدرته المُطْلقة ، وصُنعه الباهر ، وإبداعه العظيم ، وليست السماوات بَيْتًا لله أو مكانًا يَسكن فيه .

في [مزامير ٢ : ٤]: ((الساكنُ في السماوات يَضحك)) اهـ. هذا وصفٌ باطل لله تعالى، فاللهُ مُنَزَّهٌ في الحلول في الأشياء ، لا يَسكن في السماوات ، وليست بَيْتًا له ، فهو أكبر مِنها ، وأعظم مِن كُل شَيء. وفي [مزامير ١١٣ : ٥]: ((مَن مِثل الرب إلهِنا الساكنِ في الأعالي)) .

إن فكرة سَكَن الله في السماوات أو في الأعالي مُسيطرة على عقول اليهود. فهم يعتقدون أن السماوات هي بَيْت الله ومَكان سَكَنه واستراحته وإقامته ، كما أن الأرض بَيت الإنسان ومكان إقامته . مِمَّا يُشير إلى اتِّباع اليهود لأهوائهم بغير عِلْم ، واختراعهم للعقائد حَسَب مصالحهم الشخصية وآرائهم الباطلة وتصوُّراتهم الوهمية .

وَلَوْ كان اللهُ في جهة أو في حيِّز، لكانَ محصورًا في مكان ، ومَقهورًا في حيِّز ، وخاضعًا لصفات الحوادث . واللهُ أكبر من كُل شيء. وهو سُبحانَه قديمٌ، كان قَبْل الجهاتِ وقبل كُل حيِّز . فهو موجود سُبحانه بلا مكان ، لأنه غنيٌّ عن كُل شيء، لا يَحتاج مكانًا يَحُلُّ فيه، ولا جهةً يتواجد فيها. واللهُ تعالى مُنَزَّه عن الحلول في الأشياء، فلا مكان يحتويه ولا زمان يَحُدُّه، لأنه سبحانه خالق الزمان والمكان . وكان الله موجودًا قبل العرشِ والزمانِ والمكانِ والجهاتِ وكلِّ المخلوقات ، ولا شيء معه . ﴿ لَيْسَ كَمِثْله شَيء ﴾ [الشُّورى : ١١] .

وفي تفسير القرطبي (١/ ٢٩١) : ((رُوِيَ عن مالك ـ رحمه الله ـ أن رَجُلًا سأله عن قَوله تعالى : ﴿ الرَّحْمنُ عَلى العَرْش استوى ﴾ [طه : ٥] ، قال مالك: الاستواءُ غير مجهول، والكَيْف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وأراك رَجل سَوء ! ، أخْرِجُوه)) اهـ .

إن الاستواءَ مَعلومٌ لأنه مذكور في القرآن ، والكَيْف غَير مَعقول. ولا نقول إن الكَيْف مجهول، فلا يُقال كَيْف ، لأن اللهَ لا كَيْف له . والإقرارُ بالاستواء إيمان لأنه تصديق بالقرآن ، وإنكاره كُفر لأنه تكذيب لكلام الله تعالى . وعلى اللهِ الرسالة ، وعلى رسوله البلاغ ، وعَلَيْنا التسليم . وهذه هي عقيدة المسلم الصافية . وفي فتح الباري (١٣/ ٤٠٦) : ((وأخرج البَيهقي بسند جيِّد عن عبد الله بن وَهْب ، قال : كُنَّا عند مالك ، فَدَخَلَ رَجل ، فقال : يا أبا عبد الله ، ﴿ الرَّحْمنُ عَلى العَرْش استوى ﴾ ، كيف استوى ؟ . فأطرقَ مالك ، فأخذته الرُّحَضاء (العَرَق الكثير) ، ثم رَفع رأسه ، فقال : الرحمن على العرش استوى كما وصف به نَفْسَه ، ولا يُقال كَيْف ، وَكَيْف عنه مرفوع ، وما أراك إلا صاحب بِدعة ، أَخْرِجوه)) اهـ .

إن اللهَ مُنَزَّهٌ عن الحَد والغاية والنهاية . فاللهُ أكبرُ من كُل شيء . ولو كان سُبحانَه له حَد أو غاية أو نهاية لكانَ جِسْمًا مقهورًا ومحصورًا في حَيِّز الزمان والمكانِ . واللهُ تعالى يقول : ﴿ لَيْسَ

كَمِثْله شَيء ﴾ . واللهُ هو الأوَّل فليسَ قَبْلَه شيء ، وهو الآخِر فليسَ بَعْدَه شيء ، لا بداية له ، ولا نهاية . ولو كان للهِ بداية أو نهاية لكانَ محصورًا في نطاق زمني ، ولكانَ خاضعًا لحركة الزمن . واللهُ أكبر مِن كُل شيء ، وهو خالق الزمان والمكان ، فلا يُعقَل أن يَخضع الخالقُ لمخلوقاته ، ولا يُقبَل أن تتحكَّم المصنوعات بصانعها .

إن الله تعالى مُنَزَّهٌ عن المكان . ولو كان للهِ مكان لكانَ محصورًا في هذا المكان ، ولكانَ المكانُ محتويًا على الله وأكبر من الله ، وَلَكانَ اللهُ تعالى يَحُلُّ في خَلْقه (المكان) . وهذا لا يقول به مؤمن ولا عاقل . فاللهُ أكبر مِن كُل شيء . واللهُ سُبحانَه كان موجودًا ولا شيء ، فلم يكن عرش ولا سماوات ولا مكان ولا زمان . وفي صحيح البخاري (٣/ ١١٦٦) أن النبيَّ ﷺ قال : ((كان اللهُ ولم يَكن شَيْءٌ غَيْرُه)). فأينَ كان اللهُ قبل خَلْق العرش ؟، وأينَ كان الله قبل خلق السماوات؟.وأينَ كان اللهُ قبل خلق المكان والزمان؟. كانَ اللهُ ولا شيء، وهو الآن كما كانَ (يُغيِّر ولا يَتغيَّر، لأن التغيُّر من صفات الحوادث المخلوقة)، وهو سُبحانه الآن حَيث كان (بلا مكان).

١٠ _ الخداع

تُثبِت التَّوراةُ البشرية المحرَّفة صِفةَ الخداع لله تعالى . ففي [مزامير ٣٣ : ١١] : ((أمَّا مؤامرةُ الرب فإلى الأبد تَثبت)) اهـ . هذا يعني أن الله يتآمر ، ويُدبِّر المؤامرات . وبالتأكيد ، ستكون مؤامرة الله مُوجَّهة ضِد البشر ، وثابتة إلى الأبد . وهذه البُنية الأسطورية التَّوراتية قائمة على إهانة صفات الله ، ورفض تعظيمه وتقديسه. فاللهُ مُنَزَّهٌ عن الخداع وحِياكة المؤامرات ، والشرُّ لا يَصْدِر إلا عَن شِرِّير، صاحب نفْس دنيئة وأخلاق سيِّئة . أمَّا اللهُ فهو الخالقُ العظيمُ ، بيده الخير، والشر ليس إلَيْه . الخيرُ مِن الله وَحْدَه ، والشر مِن النَّفْس البشرية والشَّيطان . وصفاتُ الله كاملة ومُقدَّسة ، لا عَيْب فيها ولا نقص ولا ضعف ولا عَجْز ولا شَر .

١١_ النَّوم

إن الله خَلَقَ المخلوقات ، وهو مُسيطِر عليها ، وهي خاضعة لأمره وحُكمه وإرادته ومشيئته . والإلهُ المُهَيْمِن على المخلوقات لا يمكن أن ينام أو يَسهوَ أو يَغفل . فالنَّومُ والسَّهو والغفلة كُلها صفات بشرية ، تدل على عجز الإنسان وضعفه وقُدراته المحدودة وطاقته النسبية القاصرة . أمَّا اللهُ فهو الخالق الكامل ، المُنَزَّه عن صفات النقص والعَجْز والضعف .

وفي [مزامير ٣٥ : ٢٣]: ((استيقظْ وانتبه إلى حُكمي يا إلهي وسَيِّدي إلى دَعْواي)) اهـ . إن الاستيقاظ لا يكون إلا بعد النَّوم أو الغفلة أو السَّهْو . واللهُ مُنَزَّهٌ عن ذلك كُلِّه . وهذا النصُّ التوراتي الباطل يشتمل على وقاحة في مُخاطبة الله، وعدم تعظيم له ، وعدم معرفة بصفاته المقدَّسة. وهذا كفرٌ واضح ، وضلال بيِّن . ومعنى النص: استيقِظْ يا الله مِن نَوْمك أو استيقظ مِن غفلتك،وانتبه كي تُركِّز في الحُكم والدَّعوى.وهذا معنى فاسد. واللهُ العظيم لا يُخَاطَب بهذا الأسلوب القائم على الكفر والضلال.يجب التأدُّب في مُخاطَبة الله ، وتعظيمه ، وتقديس صفاته الكاملة . وفي [مزامير ٤٤ : ٢٣] : ((استيقظْ . لماذا تتغافى يا ربُّ)) اهـ . الوقاحة في مُخاطَبة الله العظيم مُتجذِّرة في التَّوراة البشرية المحرَّفة . ومعنى النص : استيقِظ يا الله وانتبه وركِّزْ، لماذا تتصنَّع الغفلة ، وتعمل نفْسك غافيًا وأنتَ لَسْتَ كذلك ؟ . وهذه المعاني الباطلة التي وَردت في النص التَّوراتي تدل على تحريف التَّوراة وتغييرها . فلا يُمكن أن تكون هذه الخزعبلات في كتاب سماوي .

وفي [مزامير ٧٨ : ٦٥] : ((فاستيقظَ الربُّ كنائم كجبَّار مُعيِّط من الخمر)) اهـ . بعد أكثر مِن دعوة لله بالاستيقاظ والتَّنَبُّه والتركيز ، الآنَ ، استيقظَ اللهُ . ولكن كيفَ كانت حالته عند الاستيقاظ؟. لقد استيقظَ كنائم كجبَّار مُتأثِّر بِشِدَّة مِن شُرب الخمر . وهذه الأكاذيبُ واضحة ، وتدل على تحريف التَّوراة . فهل أنزلَ اللهُ التَّوراة على النبيِّ مُوسى ﷺ من أجل نشر الكفر والضلال وإهانة صفات الله ؟. لا يُوجد عاقل يقول بهذا . وهذه الخرافاتُ التَّوراتية تُشير إلى فساد عقائد اليهود والتلاعب بنصوص التَّوراة، بحيث صارت كتابًا بشريًّا فوضويًّا عبثيًّا يدعو إلى الكفر.

١٢_ الاختباء

إن الإنسان الذي يَشعر بالقلق أو الخوف ، قد يَلجأ إلى الاختباء والتَّواري عن الأنظار لحماية نفْسه من الأخطار . أمَّا اللهُ تعالى فهو الخالق العظيم يُجِير ولا يُجَار عليه. والمخلوقُ مَقهور وخاضع لله تعالى، واللهُ لا يَخضع لأحدٍ ، ولا يَخاف مِن أحد ، ولا يَختبئ مِن أحد . وكُل شَيء خاضع لله .

وفي [مزامير ٨٩ : ٤٦]: ((حتى متى يا ربُّ تختبئ كلَّ الاختباء)) اهـ . لماذا يَختبئ اللهُ؟. هل هو خائف مِن شَيء ؟ . هل هناك مخاطر على حياته ووجوده ؟ . إن النص التوراتي الباطل يقول إن الله مُستمر في عملية الاختباء ، فحتى متى يَختبئ كُل الاختباء ؟ .

هذه المعاني الفاسدة نَشَرت الكفرَ والضلال بين اليهود . إنهم يَتعاملون مع الله الخالق كما لو كان إنسانًا عاديًّا وواحدًا مِنهم . وهذه العقيدةُ الباطلة القائمة على التجسيم والتشبيه ، تدل على التلاعب بنصوص التَّوراة وتحريفها .

١٣ـ التَّشبيه والتَّجسيم (الأعضاء والحواس)

اليهوديةُ دِين بشري وَضْعي مِن اختراع علماء اليهود ، والتَّوراة الحالية كتاب بشري أُسطوري خُرافي. والنبيُّ مُوسى ﷺ كان مُسْلِمًا وجاءَ بالإسلام، وهو دِين كُل الأنبياء بلا استثناء، والإسلام وَحْدَه هو الدين السماوي ، واللهُ أنزلَ التَّوراة على النبيِّ مُوسى ﷺ لإخراج قَوْمه مِن الظلمات إلى النُّور ، ومِن الجهل إلى العِلْم ، ومِن الضلال إلى الهداية . ولكن علماء اليهود حرَّفوا التَّوراة ، وتلاعبوا بنصوصها ، حَذْفًا وإضافة ، وزرعوا العقائد الباطلة فيها ، والسلوكيات المنحرفة .

والتَّوراةُ البشرية المُحرَّفة قائمة على التَّجسيم والتَّشبيه ، أي : اعتبار الله جِسْمًا كالمخلوقات، وإضفاء صفات الأجسام عليه ، سُبحانَه وتعالى ، وتَشبيه الخالق بالمخلوق ، والمخلوق بالخالق .

في [تَكْوين ٣ : ٢٢] : ((وقال الربُّ الإله هُوَذا الإنسان قد صار كواحد مِنَّا عارفًا الخير والشر)) اهـ . صار الإنسان مِثْلَ الله ، عَارِفًا الخيرَ والشَّر . وقد تساوى المخلوق معَ الخالق في هذه المعرفة، والتمييز بين الخير والشَّر. وهذه الأوهامُ التَّوراتية هي مَصْدَر كفر اليهود وضلالهم. فلا يُعقَل أن يتساوى المخلوق الضعيف العاجز صاحب القدرات المحدودة ، معَ الخالق القوي العظيم المُتَّصِف بطلاقة القُدرة . ومِن غَير المنطقي أن يتعادل المصنوع مع الصانع . والعقائدُ التَّوراتية الباطلة نَزعت تعظيم الله مِن قُلوب اليهود ، وأزالت هَيْبته مِنها ، فقد صوَّرت اللهَ كإنسان ضعيف له حواس وجوارح وأعضاء. وهذا باطلٌ ، ويُشير بوضوح إلى تغيير التَّوراة وتبديلها.

وفي [خُروج ٧ : ١] : ((فقال الربُّ لموسى انظرْ . أنا جعلتكَ إلَهًا لفرعَوْن . وهارونُ أخوك يكون نبيَّكَ)) اهـ. هذا النصُّ الجنوني هو دليل واضح على بُطلان اليهودية وتحريفِ التَّوراة ، فاللهُ جَعَلَ مُوسى إلَهًا لفرعون وجعل هارون نبيًّا لموسى . وهذا باطل ، نَقْلًا وعقلًا . فاللهُ وَحْدَه هو الإله المستحق للعبادة ، وقد أرسلَ مُوسى وهارون إلى فرعون لهدايته إلى توحيد الله ، وعبادة الله وَحْدَه ، ومُوسى وهارون نَبيَّان كريمان ، واللهُ وَحْدَه هو الإله . وقيامُ علماء اليهود بتحريف التَّوراة ، وتأليه مُوسى ﷺ ، وهو نبيٌّ كريم ، ورسول عظيم ، يُشير إلى مُحاولتهم إعلاء مُوسى فوق مَنْزلته.

وهذا يُذكِّرنا بتأليه النصارى للمسيحﷺ. إن اليهود اعتبروا مَنْزلة النُّبوَّة لموسى مُتدنِّية ، فجعلوه إِلَهًا لفرعون ، والنصارى اعتبروا مَنْزلة النُّبوَّة لعيسى مُتدنِّية ، فجعلوه إِلَهًا لهم . وهذا يدل على انحراف أهل الكتاب ، وغُلُوِّهم في أنبيائهم ، وكذبهم على الله وأنبيائه ، وتلاعبهم بنصوصهم الدينية وكُتبهم المقدَّسة ، اتِّبَاعًا لأهوائهم ، ومِن أجل تحقيق مصالحهم الشخصية .

وفي [خُروج ١٥ : ٣] : ((الربُّ رَجلُ الحرب)) اهـ . إن تشبيه الله بأنه رَجل الحرب ، يدل على دموية التَّوراة وارتباطها الوثيق بالقتل والحرب.ولَم يَكتفِ اليهود بتشبيه الله بأنه رَجل، بَل أيضًا ، أضافوه إلى الحرب ، وذلك مِن أجل ربط صفات الله في ذهن المُتلقِّي بالحرب والدَّم والقتل والقَسوة والغِلظة . وهذا يدل على خُبث علماء اليهود ، واتِّباعهم لأهوائهم ومصالحهم .

وفي [إِشَعْياء ٤٢ : ١٣] : ((الربُّ كالجبَّار يَخرج . كَرَجُلِ حُروبٍ يُنهِض غَيْرَته)) اهـ . هذه التَّشبيهات لَيْسَت عفوية ولا بريئة، وإنما هي نابعة مِن نِيَّة خبيثة مُبيَّتة ، وهي تصوير الله تعالى كجبَّار ومُقاتِل ودموي ورَجل حُروب وقائد معارك، وذلك مِن أجل الطعن في صفات الله، وربطها بالقَسوة والقتل والذبح والحروب والمعارك والدماء . وهذا يُشير بوضوح إلى منهجية علماء اليهود الذين حرَّفوا التَّوراة ، وحوَّلوها إلى نصوص دموية قاسية ، وألصقوا هذه النصوص الباطلة بصفات الله المُقدَّسة ، مِن أجل شَرْعنتها ، وتقديمها كعقيدة دينية معصومة . وهُم بذلك يتَّبعون أهواءهم الباطلة ، ويُحقِّقون مكاسبهم القذرة ، على المستويَيْن الديني والدُّنيوي.وفي[خُروج ٣٣ : ١١]: ((ويُكلِّم الربُّ موسى وجهًا لوجه كما يُكلِّم الرَّجلُ صاحبَه)) . هذا وَهْمٌ تَوْراتي لإعلاء مُوسى فوق قَدْره.ولا شَكَّ أن النبيَّ مُوسىﷺرسول عظيم وهو كليم الله، ولكن رُؤية الله في الدنيا مُتعذِّرة ومَمنوعة ، ولَم يُعْطِها اللهُ لأحدٍ. وهذا النصُّ التَّوراتي المُزَيَّف يتناقض مَعَ [خُروج ٣٣ : ٢٠] : ((وقال لا تقدر أن ترى وجهي . لأن الإنسان لا يراني ويعيش)) اهـ . ووَفْق التَّوراة ، فإن هذا كلام الله لموسى ﷺ ، أي إن الله وضَّح لموسى عدم إمكانية رُؤيته.وهذا دليل على تناقض النصوص التَّوراتية وتحريفها والتلاعب بها. وفي [لاوِيِّين ٢٤ : ١٢] : ((لِيُعْلَن لهم عن فم الرب)) اهـ . عقائد التَّوراة قائمة على نِسبة الأعضاء والحواس والجوارح لله تعالى.والنصُّ التَّوراتي المُحرَّف يَزعم أن الله له فَم مِثل البشر المخلوقين. وهذا باطل ومرفوض،لأن اللهُ مُنَزَّه عن الأعضاء والحواس والجوارح . فالمخلوقُ العاجزُ هو الذي يَحتاج إلى الجوارح كاليد والقَدَم والحواس كحاسة السمع وحاسة البصر. وهذه الجوارحُ والحواس مُركَّبة مِن الأعصاب واللحم والخلايا . أمَّا اللهُ فهو الغنيُّ عن كُل شيء ، ولا يَحتاج شيئًا ، وكُلُّ شيء مُفْتَقِر إليه _ سُبحانَه _ . وَلَوْ كانَ اللهُ

مُرَكَّبًا من الأعضاء والجوارح لكانَ فقيرًا إليها،ومُحتاجًا إلَيها،ولصارَ مُشَابِهًا لمخلوقاته العاجزة.وهو سُبحانَه﴿ لَيْسَ كَمِثْله شَيء ﴾ [الشُّورى:١١]. فاللهُ لا يَحتاج عَيْنًا كَي يَرى بها ، ولا يَحتاج أُذنًا كَي يَسمع بها ، ولا يحتاج فَمًا كَي يَخرج الكلام مِنه، فهو سبحانه غنيٌّ عن كل شيء، مُنَزَّه عن الجوارح والأعضاء التي هي من خصائص المخلوقات العاجزة. والخالقُ الكاملُ لا يُشبِه المخلوقَ الناقص . وفي [عَدَد ١١ : ١] : ((وكان الشعبُ كأنهم يَشْتكون شرًّا في أُذُنَي الرب)) اهـ . تُصوِّر التَّوراةُ اللهَ تعالى كمخلوق له جوارح ، فهو يَملك أُذُنَيْن كَي يَسمع بِهما طلباتِ الشعب وشَكْواه . والجوارحُ مِن صفات المخلوق العاجز الضعيف لتسهيل حياته ، أمَّا اللهُ الخالق العظيم ، فلا يحتاجُ شيئًا ، وهو غنيٌّ عن كل شيء ، ومُنَزَّه عن الأعضاء .

وفي [عَدَد ١٢ : ٧ و ٨] : ((وأمَّا عبدي موسى فليس هكذا بل هو أمينٌ في كل بيتي . فَمًا إلى فَم وعِيانًا أتكلم معه لا بالألغاز . وشِبْهَ الرب يُعايِن)) اهـ . تغرق التَّوراةُ في أساطير التجسيم والتشبيه ووصف الله بالأعضاء والجوارح ، وهي تَنسب هذا الكلام إلى الله تعالى . والمرادُ مِنه إعلاء مكانة النبيِّ مُوسى ﷺ فوق قَدْره ، وإعطاؤه مَنْزلة ليست له . والنبيُّ موسى ﷺ عظيم ، ومَنْزلته عالية . وقد كَلَّمَ اللهُ دُون أن يَراه . وهذا ثابتٌ في النَّص [خُروج ٣٣ : ٢٠] : ((وقال لا تقدر أن ترى وجهي . لأن الإنسان لا يراني ويعيش)) اهـ . ووَفْق التَّوراة ، فإن هذا كلام الله لموسى ﷺ . وفيه نَفْي واضح للرؤية ، لا يَحتمل التأويل ولا التَّحوير .

واللهُ مُنَزَّهٌ عن الفم وكافة الجوارح والأعضاء ، فهو سُبحانَه لا يُشبِه مخلوقاته ، ولَم يتكلم معَ مخلوق وَجْهًا لوجه (عِيانًا). كما أن اللهَ لا شِبْه له ولا شَبيه.مُنَزَّهٌ عن مُشابهة مخلوقاته ، لا يُشبِه شيئًا ، ولا يُشبِهه شَيء ، ولا يُجانِس أحدًا . فالخالقُ خالق ، والمخلوق مخلوق، ولا يَجوز الخلط بينهما. واللهُ واحدٌ في ذاته ، وواحدٌ في صفاته ، مُتفرِّد بالأُلوهية والرُّبوبية .﴿ لَيْسَ كَمِثْله شَيء ﴾.

وفي [تَثْنية ٤ : ٢٤] : ((لأن الربَّ إلهَكَ هو نارٌ آكلة إلهٌ غَيور)) اهـ . تحرص التَّوراةُ البشريةُ المُحرَّفةُ على ربط صفات الله بالقسوة والحرب والعنف والعذاب . ووَصْفُ اللهِ بالنار الآكلة دليل على عِشق اليهود للقتل والقَسوة والإبادة ، وتحريفِ التَّوراة بحيث تَدعم دموية اليهود وعِشْقهم لسفك الدماء . وكأن النصَّ التَّوراتي المُزيَّف يقول إن الله سيحرق الأخضرَ واليابس ، وسيُدمِّر كُلَّ شَيء ، فهو نار تأكل ما تَجده أمامها وتلتهمه بلا رحمة ولا شفقة ، وهو إلهٌ غَيور . وهذا طَعْنٌ واضح في صفات الله المقدَّسة، وتنفير للناس مِن الله تعالى ، وإبعادٌ عنه ، وذلك بتصويره كإله يَقتل ويحرق ويُدمِّر ، مَدفوعًا بالغَيرة والمشاعر المُتأجِّجة .

واللهُ هو الخالق العظيم ، صفاته مُقدَّسة ، وهو أرحم بالناس مِن أمهاتهم ، وقد أنعمَ عليهم بالنِّعَم الكثيرة التي لا تُعَدُّ ولا تُحصَى ، فيجب تعظيمه وتقديسه ومعرفة فضله وإنعامه ، ووصفه بصفات الكمال التي تليق بجماله وجلاله .

وفي [صَمُوئيل الثاني ٢٢ : ٩] : ((صَعِدَ دُخانٌ من أنفه ونارٌ من فمه أَكلتْ)) اهـ . ووَفْق التَّوراة البشرية المحرَّفة ، فإن داود قد وَصف اللهَ بهذه العبارة .

وهذا كذب صريح على النبيِّ داود ﷺ . فالأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ هُم أعلم الخَلْق بالله ، وهُم يصفونه بعبارات التعظيم والتقديس والإجلال ، ولا يَصفونه بعبارات القسوة والعنف والدمار والحقد والكراهية والتجسيم والتشبيه . والأنفُ والفمُ مُخْتَصَّان بالإنسان الضعيف الذي يحتاج الأعضاءَ والحواس لتسهيل أمور حياته ، أمَّا اللهُ الخالقُ فلا يحتاج شيئًا ، لأنه خالق كُل شيء، والمُستغني عن كل شيء. ووصفُ الله بأن له أنفًا يَخرج منه الدُّخَان ، وأن له فَمًا تَخرج مِنه النار، يُشير إلى دموية التَّوراة وقَسوة اليهود وكذبهم على الله ، وتصويره كإلهٍ قاسٍ حاقد يَكره الناس والموجودات ، وسيحرق كُلَّ شيء أمامه بلا رحمة ولا شفقة . وهذه أكاذيب مكشوفة ومفضوحة.

وفي [الملوك الأول ٨ : ١٢]:((حينئذ تكلَّم سُليمان. قال الربُّ إنه يَسكن في الضباب)) .

هذا كذبٌ واضح على النبيِّ سُلَيمان ﷺ . فاللهُ ليس جِسْمًا كَي يَحُلَّ في الأجسام ، والخالقُ لا يَحَلُّ في مَخلوقاته . والتَّوراةُ حائرة بين وصف الله بأنه يَسكن في السماء ووصفه بأنه يسكن في الضباب. وهذه الفَوضى التَّوراتية تدل على التحريف والتلاعب بالنصوص الدينية ، وحِرص علماء اليهود على تصوير الله كإنسان له بيت ومكان سَكَن ، لئلا يظل بدون مكان يُؤويه . مِمَّا يدل على فساد عقائد اليهود ، وتحريفهم للتَّوراة التي حوَّلوها إلى كتاب للكفر والضلال والانحراف .

وفي [الملوك الثاني ١٩ : ١٦]:((أَمِلْ يا ربُّ أُذنكَ واسمعْ . افتحْ يا ربُّ عينيكَ وانظرْ)).

إن عقائد التَّوراة مبنية على التجسيم والتشبيه ، فهي تصف الله بأن له أُذنًا كَي يَسمع بها ، وعَيْنَيْن كي يَنظر بهما . ليس هذا فَحَسْب ، بَل إن التَّوراة البشرية المحرَّفة تطلب مِن الله أن يُمِيل أُذنه ليسمع بشكل جيِّد ، ويَفتح عَينيه لينظر بشكل جيِّد. وهذا يعني أن أُذن الله كانت بعيدة ، وكانت عَيناه مُغلَقَتَيْن كالنائم أو الحالم.وهذه البُنية الخرافية التي اخترعها علماء اليهود قادتهم إلى الكفر.

وفي [مزامير ٦٠ : ٨] : ((مُوآبُ مِرْحَضَتي . على أَدُومَ أطرحُ نَعْلي)) اهـ . إن اليهود قَوْمٌ مُتكبِّرون مَغرورون ، يَعتبرون أنفسهم شعب الله المختار ، وصَفوة خَلْقه . وقد حرَّفوا التَّوراةَ وتلاعبوا بنصوصها ، بحيث تَخدم هذا التَّوَجُّه الباطل ، وتُحقِّق مصالحهم الشخصية ، وتُعزِّز وجهة

نظرهم الوهمية . لقد حرَّفوا التَّوراةَ ووجَّهوها لاحتقار الآخرين ، وإعلاء شأن اليهود على الجميع. والتوراةُ البشريةُ المحرَّفة تَزعم أن الله قال : " مُوآب مِرْحَضتي " . ومُوآب هو الاسم التاريخي لسلسلة جبلية تقع في الأردن، وتمتد على الساحل الشرقي للبحر الميت، مِن شمال مدينة الكرك إلى مدينة الشوبك . والمِرْحَضةُ والمِرْحاضُ المُغْتَسَلُ ، والمِرْحاضُ مَوضع الخَلاءِ . لقد حاولَ اليهودُ إهانة منطقة مُوآب واحتقار شعبها . ومِن جهلهم وضلالهم ، أهانوا اللهَ بهذا الكلام الدنيء الذي لا يَصْدُر عن مُؤمِن يُعظِّم اللهَ ويُقدِّسه. لقد رَبطوا اسمَ اللهِ المقدَّسَ بالمِرْحَضة، وهي مَوْضع دنيء حقير . مِمَّا يُشير إلى كفر اليهود وضلالهم ووصفهم الله بأحقر الصفات ، وإلصاق أسوأ الأماكن بذاته المقدَّسة المُنَزَّهة عن كُل سُوء . وتستمر التَّوراةُ البشريةُ في هَلْوستها وضلالها ، فتزعم أن الله قال : " على أَدُومَ أطرحُ نَعْلي " . لقد أرادَ اليهودُ احتقارَ أدُوم وإهانتها ، فلم يجدوا وسيلةً لذلك غَير إهانة الله تعالى ، وتصويره بأن له حِذَاءً ألقاه على أدُوم ، إهانةً لها . والحذاءُ هو رمز الاحتقار والمهانة ، وللأسف فإن اليهود الذين حرَّفوا التَّوراةَ قد جَعلوه لله الخالق العظيم . وهذا أمر في غاية السُّوء، ويدل على كفر اليهود وضلالهم ، وإهانتهم لله العظيم المُتَّصف بالصفات الكاملة المقدَّسة. وأَدُوم اسم قديم للمنطقة الواقعة بين جنوب فلسطين وخليج العقبة ، سكنها الأدوميون أحفاد عيسو. والأدوميون قبائل بدوية كانت تقطن في جنوب الأردن، وتمتد في صحراء النقب في منطقة جنوب البحر الميت تحديدًا ، وقد أقاموا مملكةً عُرِفت باسم أدُوم عاصمتها بصيرا ترجع إلى القرن الـ ٢٠ ق.م، غير أن ازدهارها كان خلال الفترة (القرن ١٣ ق .م _ ١١ ق. م) . ووَفْقًا للمصادر اليهودية ، أدُوم هو عيسو بن إسحاق بن إبراهيم ، وشقيقه التَّوأم هو يعقوب . وفي [مزامير ٩٩ : ٥] : ((عَلُّوا الربَّ إلهَنا واسجدوا عند مَوطِئ قدميه)) اهـ . يَزعم هذا النصُّ التَّوراتي الخرافي أن الله له قَدَمان ، وأن تعظيمه إنما يكون بالسجود عند مَوطِئ قَدميه . وهذه الفكرةُ مأخوذة مِن بعض ملوك الدنيا . وقد أسقطت التوراةُ المحرَّفةُ صفات البشر على الله . وفي [إرْمِيَا ١ : ٩] : ((ومَدَّ الربُّ يدَه ولَمَسَ فمي)) اهـ . إن التَّوراة تُشبِّه اللهَ الخالقَ بالإنسان المخلوق ، فاللهُ في التَّوراة له يد (جارحة) ، وقادر على مَدِّها ، ولمس الأشياء بها ، تمامًا كالإنسان . وهذه الفكرةُ الباطلةُ مُسيطرة على عقول علماء اليهود الذين حرَّفوا التَّوراة ، فهُم لا يَعرِفون صفات الله المقدَّسة ، لذلك يُشبِّهونه بالإنسان ، اتِّباعًا لأهوائهم وعقولهم القاصرة العاشقة للتجسيم والتشبيه . إنهم يَرفضون عقيدة تَنْزيه الله عن مُشابَهة مخلوقاته ، والخالقُ في أفكارهم كالمخلوق، ويَتبادلان الأدوار والصفات. وهذا كفر واضح ، وضلال صريح .

وفي [إِرْمِيَا ٥٠ : ٤٠] : ((كقلبِ اللهِ سَدُومَ وعَمُورَةَ)) اهـ . أثبتت التوراةُ المحرَّفةُ للهِ الأعضاءَ والجوارحَ والحواس . وأثبتت له مَلِكَ الأعضاء وهو القلب . ووَفْق هذا النص التوراتي الباطل ، فإن لله قَلْبًا ليكون حاكمًا على أعضاء الله وجوارحه وحواسّه . ولَم يَكتفِ علماءُ اليهود الذين حرَّفوا التَّوراة بهذا الكفر والضلال، بَل جَعلوا السياقَ التَّوراتي يَربط بين قلب الله مِن جهة ، وبين سدوم وعمورة مِن جهة أخرى . وهذا أمرٌ في غاية الغرابة والعجب ، لأن سدوم وعمورة _ بِحَسَب ما جاء في التَّوراة (العهد القديم)_ مِن القُرى التي خسفها الله ، بسبب ما كان يقترفه أهلها من مفاسد . وسدوم وعمورة أكبر قَرْيتين مِن قُرى قوم النبيِّ لُوط ﷺ . وقَوْمُه كانوا كافرين يأتون الذُّكورَ، ويَتركون النساءَ. فما معنى ربط " قلب الله " بهاتين القريتين الهالكَتَيْن الغارقتَيْن في الكفر والضلال والسُّمعة السَّيئة ؟ . لقد جَمع علماءُ اليهود الذين حرَّفوا التَّوراة بين ضَلالَتَيْن في سياق واحد ، فقد جَعلوا اللهَ كالإنسان ، له قلب (مَلِك الأعضاء) ، وربطوا هذا القلب _ ضمن لغة التَّشبيه _ بسدوم وعمورة ، وهُما مكانان في غاية السُّوء . وهذا يدل كفر اليهود وضلالهم ، وتعمُّدهم لإهانة صفات الله ، ونزع هَيْبته وعَظَمَته مِن النفوس ، وربط اسم الله المقدَّس بالأشياء القبيحة ، والأماكن الغارقة في الكفر والضلال ، التي استحقَّت العقوبة والعذاب .

وفي [هُوشَع ١٣ : ٧] : ((فأكونُ لهم كأسد . أرصدُ على الطريق كَنَمِر)) اهـ . تَزعم التَّوراة أن هذا كلام الله ، وبذلك يكون اللهُ قد شبَّه نَفْسَه بالحيوانات المفترسة ، لإظهار قُدرته وقُوَّته وجبروته . أي إن الخالق شبَّه نَفْسَه بمخلوقاته لإظهار قُوَّته ، فالإلهُ قويٌّ كأسد ، ويرصد على الطريق كنمر ، وهذا يدل على القُوَّة والقُدرة والانتباه والحذر . وهذه الأكاذيبُ تدل على تحريف التَّوراة وتغييرها وتبديلها. فهل أنزلَ اللهُ التَّوراةَ على النبيِّ موسى ﷺ، كَي يُبيِّن اللهُ للناس فيها أنه قوي كأسد ونمر ؟ . هل تشبيه الله بالحيوانات المفترسة هو الهدف من رسالة مُوسى ؟ . وهل جاءت التَّوراةُ الأصلية (الكتاب السماوي) لنشر هذه الأكاذيب والضلالات الكفرية ؟ .

إن الجواب واضح ، ولا يحتاج إلى ذكاء وعبقرية واجتهاد . لقد حرَّف علماءُ اليهود تَوْراتهم ، وجعلوها كتابًا بائسًا غارقًا في الكفر والضلال والوقاحة ، والكذب على الله وأنبيائه ، ووصف الله بالأوصاف القبيحة والصفات السَّيئة ، والطعن في صفات الله ، والتَّشكيك بكلام أنبيائه ورُسله .

وفي [يُوئِيل ١ : ١٣] : ((ادخلوا بِيتوا بالمُسوح يا خُدَّام إلهي)) اهـ . قامت عقائدُ التَّوراة المحرَّفة على الخلط بين صفات الله الخالق وصفات البشر المخلوقين . والتوراةُ المحرَّفة تُصوِّر اللهَ مِثْل مُلوك الدنيا، أي إن له خَدَمًا يَقومون على خِدمته والإشراف على شُؤونه ، وقضاء حاجاته

ورغباته . إن الله هو الخالق القائم بذاته ، وهو قَيُّوم السماواتِ والأرض ، ومُدبِّر شُؤون خَلْقه ، لا يحتاج إلى شيء ، وكُل شيء يَحتاج إليه . واللهُ لا يَحتاج إلى خُدَّام ، لأنه قائمٌ بذاته ، وغنيٌّ عن مَخْلوقاته ، وكُل ما سِوى الله مَخلوق لله تعالى . وفي [يُوئيل ٣ : ١٦] : ((والرَّبُّ مِن صِهْيَوْنَ يُزَمْجِرُ)) اهـ . أهانت التَّوراةُ مُوآب وأدُوم في النَّص التَّوراتي : ((مُوآبُ مِرْحَضَتي . على أَدُومَ أطرحُ نَعْلي)) اهـ . وظَهر تكبُّر اليهود واستكبارهم وغرورهم وعَجْرفتهم وتعاليهم واحتقارهم للآخرين. وهذا يترافق مع تعظيم صِهْيَوْن وتقديسها وإعلاء شأنها ، وإبراز مكانتها ، وتعظيم قَدْرها. وَصِهْيَوْن كلمة عِبرية معناها الحِصن ، وهو واحد مِن التَّلَّيْن اللذَيْن كانت تقوم عليهما مدينة القدس القديمة ، حيث أسَّس داود عاصمته الملكية . والزَّمْجَرَةُ هي الصَّوت المرتفع وكَثرة الصِّياح والصَّخَب . والزَّمْجَرة أيضًا هي صَوت الأسد مِن الجَوْف فوق الزئير . وعلماء اليهود الذين حرَّفوا التَّوراةَ أرادوا تعظيم صِهْيَوْن ، وإعلاء شأن اليهود ، فاخترعوا هذا النص الباطل : ((والرَّبُّ مِن صِهْيَوْنَ يُزَمْجِرُ)) ، لِيُؤسِّسوا لعلاقة وثيقة بين الله وصِهْيَوْن، ولِيُبَيِّنوا أن الله مِن صِهْيَوْن يَصرخ بأعلى صَوْته وبكل قُوَّة كالأسد. والهدفُ مِن كُل هذه التَّشبيهات الباطلة تعظيم شأن اليهود وتقديس أماكنهم،وربطها بصفات الله، وهذا يدل على أن أحد أهداف تحريف التَّوراة ، هو تقديم اليهود كشعب الله المختار، وأن الله اصطفاهم واختارهم مِن بين الناس،وجَعل أماكنهم مُقدَّسة تستمدُّ قداستها من عَظَمَة الله وقَدَاسته وصفاته . واستمرارًا لأكاذيب التَّوراة والفَوضى العَقَدية ، فقد جَعل علماءُ اليهود صِهْيَوْنَ بَيْتًا لله ومكانًا يُقيم فيه ، ويَسكن فيه . ففي [يُوئيل ٣ : ٢١] : ((والربُّ يَسكن في صِهْيَوْن)) اهـ . وبذلك ، تتَّضح خُطة اليهود الخبيثة التي تَرْمي إلى تعظيم " صِهْيَوْن " وإعلاء قَدْرها على سائر الأمكنة، وربطها بصفات الله وأفعاله ، وتعظيم اليهود، وتقديمهم كشعب الله المختار . وفي [ناحُوم ١ : ٤] : ((الربُّ في الزوبعة وفي العاصف طريقُه والسحابُ غبارُ رِجْلَيْه)) اهـ . هذه التَّشبيهات الباطلة ، تدل على أن عقائد التجسيم والتشبيه متغلغلة في قلوب اليهود ، فهُم يُصوِّرون اللهَ كإنسان له أعضاء ، ويَحُل في مخلوقاته ، ويتحرَّك في عناصر الطبيعة. وفي [زَكَرِيَّا ٩ : ١]: ((لأن للرب عَيْنَ الإنسان)) اهـ . إن الله خَلَقَ الإنسانَ وأنعمَ عليه بالأعضاء والحواس لتسهيل حياته ، واللهُ غنيٌّ عن كُل شيء ، ومُنَزَّه عن الأعضاء والحواس ، لأنها دليل الضعف والعجز والحاجة. والنصُّ لَم يُثبِت عَيْنًا لله فَحَسْب ، وإنما أثبتَ له عَين الإنسان، وهذا مُنتهى الكفر والضلال والجهل بصفات الله المقدَّسة .

وفي [خُروج ١٥ : ٨]: ((وبريح أنفكَ تراكمت المياه)) اهـ .

والتَّوراةُ تزعم أن هذا كلام مُوسى عن الله تعالى . وهذا باطل واضح وكذب رخيص. وَالمُتَتَبِّع للنصوص التوراتية، يجد بوضوح أن اليهود حرَّفوا التوراة ، وغيَّروها، وتلاعبوا بنصوصها بحيث شبَّهت الخالق بالمخلوق ، والمخلوق بالخالق ، وأضفت صفات الأجسام على الله تعالى . فاللهُ في التَّوراة البشرية المحرَّفة كالإنسان له أعضاء وجوارح وحواس . إنه يرى بعينيه ، ويسمع بأذنيه ، ولديه قلب ، ويد ، وفم ، وأنف ، وقدمان ، ونَعْل ، ويَسكن في عِدَّة أماكن . وهذا دليل باهر على فساد عقائد اليهود ، وخُبث نواياهم ، وتحريف التَّوراة ، وتغيير نصوصها .

***

رابعًا : صورة الأنبياء

١ _ الاختباء من الله

يَقوم الأساسُ الفكري للتَّوراة البشرية المُحرَّفة على إهانة صفات الله وتَشويه صُورة أنبيائه، وتقديمهم كأشخاص غارقين في السُّوء والضلال والانحراف الديني والأخلاقي . وهذا دليل واضح على تَحْريف التَّوراة وتغييرها وتبديلها ، والتلاعب بنصوصها ، بحيث تَخدم أهواء علماء اليهود ، وتَحفظ لهم مكانتهم وزعامتهم وسُلطتهم وهَيْمنتهم على العوام والجهَّال والرَّعاع .

في [تَكْوين ٣ : ٨] : ((فاختبأ آدمُ وامرأتُه من وجه الرَّب الإلهِ)) اهـ . تُقدِّم التَّوراةُ البشريةُ المحرَّفةُ صورةً سيِّئةً عن النبيِّ آدم ﷺ، فهو لا يَعْرِف عَظَمَةَ الله، ولا يُقدِّس صفاتِ الكاملة، لذلك اختبأ هو وزوجته حوَّاء عليها السلام مِن الله تعالى ، في محاولة للهروب مِنه ، والابتعاد عنه ، لئلا يَراهما اللهُ ، ولا يَعرِف عنهما شيئًا . وهذه الخرافاتُ التَّوراتية مكشوفة ومفضوحة ، وهي دليل واضح على تحريف التَّوراة . والتَّوراةُ تشتمل على بِذرة انهيارها في داخلها،بسبب خُرافاتها وأكاذيبها وأساطيرها. والأنبياءُ الكرام _ عليهم الصلاة والسلام _ أعلم الناس بالخالق العظيم ، ويَعْلَمون أن الله لا يَغيب عنه شيء، ولا تخفى عليه خافية، وعِلْمه شامل لكل شيء ، ولا يُمكن الهروب مِنه، والخروج عن قُدرته،والاختباء مِنه،والاختفاء عنه.فاللهُ الخالقُ العظيم الذي أحاط بكل شيء عِلْمًا .

٢ _ الخيانة

تزعمُ التَّوراةُ البشريةُ المحرَّفةُ أن اللهَ وصف مُوسى وهارون _ عليهما الصلاة والسلام _ بأنهما خائنان . ففي [تَثْنية ٣٢ : ٥١] : ((لأنكما خُنتماني في وسط بني إسرائيل)) اهـ . هذا يعني أن مُوسى وهارون خانا الله بين اليهود ، وخالفا أوامره ، وتمرَّدا على حُكمه وإرادته ومشيئته ، لأن الخيانة تشتمل على هذه المعاني . وهذا باطلٌ واضح ، وكذب صريح . إن اللهَ يَعْلَم أيْنَ يضع رسالته ، فهو سُبحانَه يختار أنبياءه مِن العائلات الشريفة الراقية ، وجميع أنبيائه يَمتازون بِحُسن السيرة والسُّلوك، ويتمتَّعون بالأخلاق الحميدة ، ويتَّصفون بالصدق والأمانة والشرف والإخلاص. والأنبياءُ مُنَزَّهون عن كُل ما يَقْدَح في نُبُوَّتهم مُنذ الولادة حتى الموت ، قبل البَعثة وبعدها . وإذا كان النبيُّ خائنًا فهذا يعني بُطلان رسالته ، وتشكيك الناس بِه ، وإحاطته بالصفات القبيحة . وبالتالي ، لا معنى للنُّبُوَّة والرسالة والوَحْي . وهذا باطل بالضرورة ، ويدل على تحريف التَّوراة .

٣ ـ شُرب الخمر

تغرق التَّوراةُ البشريةُ المحرَّفةُ في الهَلْوسة ، مِمَّا يدل على انهيار نصوصها المحرَّفة وغرقها في الكفر والضلال ، فهي تتَّهم الأنبياءَ بشرب الخمر والسُّكْر ، من أجل تشويه صورتهم ، وإلغاء تعظيمهم مِن القلوب، وتحطيم هَيْبتهم في نُفوس الناس . وهذه الأكاذيبُ واضحة ، فالأنبياءُ عليهم الصلاة والسلام ، هُم أعظم البشر وسادة الناس . يَعبدون اللهَ بإخلاص وصِدق ، ويتعاملون مع الناس بشرف وأمانة . عقائدهم قائمة على تَوحيد الله بدون شائبة شِرك ، وسُلوكهم قائم على الأخلاق الحميدة ، وحياتهم مَنبع الإيمان والاستقامة والطهارة . وما ضَرَّ السحاب نباح الكلاب .

وفي [تَكْوين ٩ : ٢٠ و ٢١] : ((وابتدأ نوحٌ يكون فلاحًا وغرس كَرْمًا . وشرب من الخمر فَسَكِر وتعرَّى داخل خِبائه)) اهـ . ترسمُ التَّوراةُ البشريةُ المحرَّفةُ سياستها الدينية على الطعن المباشر بالأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام ــ . فالنبيُّ نُوح ﷺ كان حريصًا على الفلاحة والزراعة ، وغرسَ كَرْمًا للحصول على الخمر . كان هَمُّه مُنْصَبًّا على الخمر ، لذلك اشتغلَ بِغَرْس الكَرْم ورعايته ، وشربَ مِن الخمر وسَكِرَ وفقد قُواه العقلية ، وخلعَ ملابسه داخل خِبائه تحت تأثير الخمر التي سَلَبَتْ عَقْلَه. والخِباءُ هو الخيمة مِن الصوف.وهذه الكذبُ الصريح على النبيِّ نُوح ﷺ يدل على تَحْريف التَّوراة ، فهل يُوجد كتاب سماوي يصف نبيًّا بأنه سِكِّير ؟! .

لقد حَمَلَ الأنبياءُ وَحْيَ السماء ، وجاؤوا لإخراج الناس من الظلمات إلى النُّور بإذن الله ، والأنبياءُ هُم القُدوة العُليا والمثَل الأسمى، وهُم مَعصومون . وإذا كان النبيُّ سِكِّيرًا ، فكيفَ سيُرشِد الناسَ ويَهديهم ؟ . إن فاقد الشيء لا يُعطيه .

وقد يظنُّ أحدُهم أن اليهود يَسْعَوْنَ ــ في هذا السياق ــ للطعن في الأنبياء وتَشويه صورتهم وسُمعتهم، مِن أجل تعظيم أنبياء بني إسرائيل تحديدًا ، ورفع قَدْرهم ومكانتهم فوق جميع الأنبياء الآخرين، لإظهار اليهود كشعب الله المختار ، وتقديم أنبياء بني إسرائيل باعتبارهم أعظم الأنبياء .

وقد يَبدو هذا الكلام للوهلة الأولى صحيحًا،خصوصًا أن اليهود معروفون بالتكبر والاستكبار والغرور والعَجْرفة والتعالي على الآخرين. ولكن ينبغي أن نعرف أن أنبياء بني إسرائيل لَم يَسْلَموا مِن طعن اليهود وأكاذيبهم . وهذا أمرٌ في غاية الغرابة والعَجَب . فالمفروضُ أن يُعظِّم اليهودُ أنبياءهم ويَحترموهم . وبما أن اليهود يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار ، وصَفوة الله مِن خَلْقه ، فالمنطق ــ وَفْق هذه الرؤية ــ يقول إن أنبياء بني إسرائيل هُم أعظم الأنبياء وأفضلهم .

إن اليهود طَعنوا في أنبياء بني إسرائيل وأهانوهم . فالتَّوراةُ البشريةُ المحرَّفةُ تَزعم أن يعقوب أحضرَ لأبيه إسحاق خَمْرًا . ففي [تَكْوين ٢٧ : ٢٥] : ((وأحضر له خمرًا فشرب)) اهـ .

وهذا التَّشويه المتعمَّد لصورة الأنبياء ، ومحاولة تقديمهم كأشخاص خائنين مُخادِعين ، يَرتكبون الآثام والذنوب والخطايا ، يَهدف إلى إسقاط الدِّين ، وتحطيم الشريعة ، وتَشكيك الناس بالأنبياء، ونزع تعظيمهم ومهابتهم في النفوس . وهذا هو أقصر طريق للكفر والضلال والجحود والعِصيان والضياع .

وفي [إشَعْياء ٢٨ : ٧] : ((الكاهنُ والنبيُّ ترنَّحا بالمُسْكِر ابتلعتهما الخمرُ تاها من المُسكِر ضَلَّا في الرؤيا قَلِقا في الفضاء)) اهـ . لقد تَمَّ تقديم الكاهن على النبيِّ ، لأنه أكثر أهمية في المجتمع اليهودي، وهذا يدل على انحراف اليهود وكذبهم على الله وأنبيائه ، وتلاعبهم بالشريعة والنصوص الدينية . والكاهنُ والنبيُّ غَرِقَا في شُرب الخمر ، حتى سَلَبَتْ قُواهما العقلية بشكل كامل ، فتاها وضاعا، وأصابهما الضلال والقلق والانهيار الشامل. وهذا النصُّ الخرافي يدل على تَحْريف التَّوراة، وتحويلها إلى كتاب فاسد ، ينشر الكفرَ والضلالَ والأخلاقَ السَّيئة . والأكاذيبُ تُعرَف مِن حجمها وانعدام المنطق .

٤ـ الزنا

هناك خُطة تَوْرانية منهجية لتدمير صورة الأنبياء في نفوس الناس ، وإهانتهم ، وتصويرهم في أسوأ الحالات وأقبح الأوضاع. والأنبياءُ ـ وَفْق التوراة المحرَّفة ـ ارتكبوا الذنوب والآثام والخطايا ، وغرقوا في الكفر والضلال والكبائر والموبقات .

وفي [تَكْوين ١٩ : ٣٦] : ((فَحَبِلَت ابنتا لُوطٍ من أبيهما)) اهـ . لُوط ﷺ نبيٌّ كريم وشريف وطاهر ومَعصوم ، قضى حياته في الدَّعوة إلى الله ، والعمل جاهدًا لإخراج الناس مِن الظلمات إلى النُّور . ولكنَّ علماء اليهود الذين حرَّفوا التَّوراةَ كان لهم رأيٌ آخَر ، حيث إنهم شوَّهوا صُورته اللامعة ، وأهانوا اسْمَه العظيم ، ولوَّثوا سِيرته الطاهرة ، وقدَّموا كشخص فاسق زانٍ ، ولَم يَكتفوا بهذا ، بَل اتَّهموه بأنه زَنى بابنتيه (زِنا المحارم)، وحَبِلَت ابنتاه مِن أبيهما. وهذا كذبٌ مفضوح ، وهو دليل على تَحْريف التَّوراة ، وتحويلها إلى كتاب إباحي وجِنسي يَدعو إلى الكفر والضلال والفُسوق والعِصيان. وهذه الدناءة والخِسَّة والحقارة والوضاعة في نصوص التَّوراة لا تُؤثِّر على مكانة النبيِّ لُوط ﷺ العظيمة ، ومَنْزلته الرفيعة . فهو نبيٌّ كريم ، ورسولٌ عظيم ، اختاره اللهُ

لإخراج قَومه مِن الظلمات إلى النُّور . والكذبُ عليه بهذا الشكل الرخيص والمفضوح والمكشوف، يُشير إلى عَظَمَته التي حاولَ مُحَرِّفُو التَّوراة تحطيمها، ففشلوا في ذلك، وخاب سَعْيهم. ويَبدو أن الأنبياء _ في التوراة البشرية المحرَّفة _ متخصصون في شُرب الخمر والزنا وارتكاب كبائر الذنوب . وهذا يدل على صورة اليهود الحقيقية ، إذ إنهم يَسْعَوْنَ جاهدين لتحطيم سُمعة الأنبياء النَّقِيَّة وتَلْويث شرفهم الرفيع . والكفرُ والضلال واتِّباع الأهواء والغرق في الشهوات الباطلة ، كُل هذه الأشياء مِن صفات اليهود ، لذلك يُحاولون إسقاطها على الأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ ، لِشَرْعنة ضلال اليهود ، وتبرير أعمالهم القذرة ، وتَجميل ذنوبهم وآثامهم .

وفي [صَمُوئيل الثاني ، الأصحاح الحادي عشر] : تزعم التوراة أن داود رأى امرأةً جميلة تستحمُّ ، فأُعجِب بِها فأخذها ، وضاجعها ، فَحَبِلَت ، ثم أرسل زوجها إلى الحرب ليتخلص منه .

وبعد تفاصيل هذه الحادثة المُخْزِية المنسوبة كَذِبًا وزُورًا إلى النبيِّ داود ﷺ ، جاءَ حُكم التَّوراة المحرَّفة. ففي[صَمُوئيل الثاني ١١ : ٢٧]:((وأمَّا الأمر الذي فعله داود فَقَبُح في عَيْنَي الرَّب)).

أي إن اللهَ لَم يَرْضَ بما قام به داود مِن فِسْق وفُجور وزِنا وخِداع .وبذلك ، يكون اللهُ قد حَكَمَ بضلال داود وانحرافه الأخلاقي وسُوء سِيرته . وهذه الأكاذيبُ التَّوراتيةُ لا يُصدِّقها عاقل، فالنبيُّ داود ﷺ مَعصوم وشريف وطاهر، ويتمتَّع بالأخلاق الحميدة ، قضى حياته في الدَّعوة إلى الله وتَوحيده وعبادته وطاعته.وهذا النبيُّ الكريم حَمَلَ وَحْيَ السماء بأمانة وشرف ، ولا تضرُّه أكاذيب التَّوراة، ولا تَطعن فيه خُرافات اليهود . واليهودُ أهانوا أنفسهم باختراع هذه الأساطير ، واختلاق القصص الوهمية الطاعنة في إيمان الأنبياء وشرفهم وطهارتهم. والأنبياءُ مُنَزَّهُون عن هذا الضلال .

٥_ السُّجود لغَير الله

إن علماء اليهود الذين حرَّفوا التَّوراةَ اتِّباعًا لأهوائهم ، وتحقيقًا لمصالحهم ، وتثبيتًا لنفوذهم وسُلطتهم ورئاستهم وزعامتهم ، يَطعنون في الأنبياء ، ويصفونهم بأسوأ الصفات .

وفي [تَكْوين ٢٣ : ٧] : ((فقام إبراهيم وسجد لشعب الأرض لبني حِثَّ)) اهـ . حاولَ علماء اليهود الذين حرَّفوا التَّوراة تعظيم بني حِث ، ورفع شأنهم ، وإظهارهم كأصحاب مكانة جليلة ومَنْزلة رفيعة ، فلم يجدوا أفضل مِن كِذبة سجود إبراهيم لهم. أي إن النبيَّ إبراهيم ﷺ سجد لِغَير الله ، وذلك تعظيمًا لشعب الأرض لبني حِث . وهذه الخرافةُ مفضوحة ومكشوفة .

إن النبيَّ إبراهيم ﷺ معصوم، وهو صاحب المكانة الرفيعة ، ولا يَسجد إلا لله الخالق ، ولا يَسجد لمخلوق كائنًا مَن كان. والأنبياءُ هم أعظم البشر وسادة الناس ، وأعلم الخَلْق بالله تعالى . وقد اختارهم اللهُ لنشر الدَّعوة الإسلامية القائمة على تَوحيد الله وعبادته وَحْدَه ، بلا شريك ولا نِد.

٦ _ الخداع والكذب

في [تَكْوين ٢٥ : ٢١ _ ٢٣] : وعدَ اللهُ يعقوبَ بالبركة . وفي [تَكْوين ٢٧] أن رِفْقة ويعقوب كَذَبا على إسحق . فهل يُحقِّق اللهُ بركته بالخداع والكذب ؟! .

إن التَّوراة البشرية المحرَّفة تُقدِّم صورةً سيئة للأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ ، مِن أجل تشويه سُمعتهم، وتلويث سِيرتهم، والطعن فيهم، وتشكيك الناس بهم . وهي تُقدِّم النبيَّ يعقوب ﷺ كشخص كاذب مُخادع ، فقد اتَّفق معَ أُمِّه رِفْقة على الكذب على أبيه النبيِّ إسحاق ﷺ ، وهذا يعني أن هذه العائلة غارقة في الخداع والكذب والتحايل .

وَوَفْق التَّوراة البشرية المحرَّفة ، فإن رِفْقة كانت نَبِيَّة والأم الحاكمة الثانية مِن أربع أمهات للشعب اليهودي . فكانت زوجة إسحق ووالدة يعقوب وعيسو . وهذا يعني أن نَبِيَّة ونبيًّا قاما بالكذب على نبيٍّ ، وخداعه . فهل أنبياء بني إسرائيل جاؤوا لهداية الناس أم لإضلالهم ؟ .

إن تصوير الأنبياء كمخادعين وكاذبين مِن أُسس التَّوراة المحرَّفة . والأنبياءُ معصومون مِن كُل شيء يَقْدَح في نُبُوَّتهم ، والكذبُ ذنبٌ عظيم قادح في النُّبُوَّة ، لأن النبيَّ إذا كان كاذبًا ، فسوفَ يشكُّ الناسُ فيه ، ولن يُصدِّق أحدٌ دَعْوَتَه. وبالتالي ، لا معنى للوَحْي والرسالة والشريعة والدَّعوة، لأن النبيَّ الذي جاء بها كاذب ومُخادع، مِمَّا يُنفِّر الناس مِنه ، ويُبعدهم عنه ، فيتم نبذه واحتقاره، ورفض ما جاء بِه. لذلك ، جميع الأنبياء معصومون مِن الكذب قبل البَعثة وبعدها . فهُم صَفوة الله مِن خَلْقه، يمتازون بالصدق والأمانة والشرف والكرامة،وهُم مُنَزَّهون عن كُل سُوء وعَيْب ونقص.

وأيضًا ، لا تُوجد نَبِيَّات ، لأن النُّبوَّة محصورة في الرجال فقط . وهذا ثابتُ نَقْلًا وعَقْلًا ، والواقعُ يُصدِّقه . ولو كان هناك نَبِيَّات ، لكانت السَّيدة مريم نَبِيَّة ، وهي أعظم امرأة خَلَقَها اللهُ على الإطلاق . وهي صِدِّيقة وأُم نبيٍّ ، ولَيست نَبِيَّة . ولكن اليهود أرادوا إعلاء شأن رِفْقة فوق قَدْرها، وتعظيمها بشكل لا تستحقه،معَ أنهم يَطعنون في زوجها النبيِّ إسحاق وابنها النبيِّ يعقوب!.

وفي [تَكْوين ٢٧ : ١٩] : ((فقال يعقوب لأبيه أنا عيسو بِكْرُك)) اهـ .

وَفْق التَّوراة المحرَّفة ، إن النبيَّ يعقوب ﷺ يَحترف الكذبَ ، ويتَّخذه منهجًا في حياته، فقد كذب على أبيه النبيِّ إسحاق ﷺ ، ولا نَدْري هل صدَّقه إسحاق أَم لا ! . وهل كان إسحاق ساذجًا حتى يُصدِّق أكاذيب ابنه يعقوب ؟.والحقيقةُ تقول إن التَّوراة البشرية المحرَّفة كَذَبَتْ على إسحاق ويعقوب معًا، وقد ألصقت بهما العيوب والنقائص والخطايا والآثام ، وهُما نَبِيَّان كريمان عظيمان معصومان . وفي [تَكْوين ٣١ : ٢٠] : ((وَخَدَعَ يَعقوبُ قلبَ لابَانَ الأرَامِيِّ)) اهـ . الأمرُ في غاية الغرابة والعجب ، فالمفروض أن علماء اليهود حرَّفوا التَّوراةَ لتعظيم أنبياء بني إسرائيل ، وتصوير اليهود كشعب الله المختار . ولكنَّهم قاموا بالعكس ، لأن الله أعمى بصائرهم ، وسَلَبَهم الهداية والتوفيق. كان جديرًا باليهود أن يُعظِّموا يعقوب(إسرائيل) وهو أبوهم وسَيِّدهم وقائدهم ورأسهم، ولكنهم أهانوه وكذبوا عليه . وإذا كان هذا حال يعقوب (إسرائيل) الذي يَزعمون الانتساب إليه والإيمان به، والسَّير على خُطاه،فكيفَ سيكون حال محمد وعيسى_ عليهما الصلاة والسلام_. مِن الطبيعي أن يَكفروا بهما ، ويَطعنوا فيهما ، ويَكْذِبوا عليهما ، ويُكذِّبوهما .

وَفْقَ هذا النص التَّوراتي الباطل ، فإن يَعقوب خَدَعَ قلبَ لابان ، وكذب عليه . ولابان هو خال النبيِّ يعقوب (إسرائيل) ، وأبو زوجتيه لَيْئة ورَاحِيل .

والنبيُّ يعقوب ﷺ معصوم ، ومُنَزَّهٌ عن الخداع والكذب وكل العُيوب والنقائص . وجميع الأنبياء مِن عائلات شريفة ومحترمة ، وليست عائلات غارقة في الكذب والخداع والتَّحايل ، كما تُحاول التَّوراةُ تصويرها . لقد حاولَ علماءُ اليهود الذين حرَّفوا التَّوراةَ أن يُحطِّموا صورة الأنبياء في نفوس الناس ، لتحقيق أهدافهم الخبيثة ومصالحهم الدنيئة ، والحصول على مكاسب معنوية ومادية . وهذا هو الكفر الصريح ، والضلال الظاهر ، والخيانة الواضحة .

وفي [إِرْمِيا ٨ : ١٠] : ((لأنهم من الصغير إلى الكبير كلُّ واحد مُولعٌ بالرِّبْح مِن النبيِّ إلى الكاهن كلُّ واحد يَعمل بالكذب)) اهـ .

تُحاول التَّوراةُ البشريةُ المحرَّفةُ تحطيمَ القُدوة والمَثَل الأعلى المُتمثِّل في النبيِّ . وهذا النصُّ التوراتي الباطل يَزعم أن الجميع مُولعون بالربح ، ويُقدِّسون المكاسب المادية ، وغارقون في تحقيق شهواتهم وجشعهم وطمعهم ، مِن النبيِّ إلى الكاهن . أي إن الأنبياء فاسدون ، والكهنة فاسدون،والقيادات الدينية والروحية فاسدة ، وكُل واحد يَعمل بالكذب والمكر والخداع والتَّحايل.

وبما أن القيادات الدينية فاسدة ، فإن جميع أفراد الشعب فاسدون ، لأن العوام تَبَعٌ للأنبياء والعلماء . وإذا تَلَوَّثَ المنبع ، فإن النهر سيصبح مُلَوَّثًا . وإذا سقط الأصلُ ، فإن الفَرْع سيسقط .

وهذه النَّزعةُ المتطرفة في التَّوراة التي تطعن في صُورة النبيِّ وصفاته الحميدة،ودَوْره العظيم في إخراج الناس مِن الظلمات إلى النُّور بإذن الله تعالى، إنما هي نزعة تَرْمي إلى تفريغ القلوب مِن الإيمان،وتحويل الإنسان إلى وحش بلا عقيدة دينية ولا ضوابط أخلاقية ، ونشر الكفر والضلال والفساد والانحلال واتِّباع الأهواء وتحقيق المصالح الدنيئة والغرق في الشهوات المُحرَّمة .

٧_ المكر

في [تَكْوين ٢٧ : ٣٥] أن إسحاق قال لابنه عِيسُو : ((قد جاء أخوك _ يعني يعقوب_ بمكر وأخذ بركتك)) اهـ . مِن الواضح أن علماء اليهود الذين حرَّفوا التَّوراةَ ، كان لديهم خُطة منهجية لتدمير صُورة النبيِّ يعقوب (إسرائيل) ، وتشويه سُمعته ، وتَلْويث سِيرته ، حِقْدًا عليه ، وكراهيةً لظهور الحق على يَدَيْه . يُقدِّم هذا النصُّ التَّوراتي الباطل صُورةً سيِّئة للنبيِّ يعقوب ﷺ ، فهو ماكر ومُحتال وخبيث ومُخادع ، جاء بمكر وخيانة وأخذ بركةَ أخيه عِيسُو . ومَن الذي اتَّهَمَ يعقوب بهذه التُّهمة ؟ . إنه والده النبيُّ إسحاق . والأبُ أعرف الناس بابنه الذي أنجبه ! .

لقد وَصَفَ إسحاق ابنه يعقوب بالمكر والخيانة والخديعة وأخْذ بركة أخيه عِيسو ، مِمَّا يدل على فساد هذه العائلة، وغرقها في المشكلات والخداع والكذب والمكر، وهذا يُشكِّك الناس فيها، ويُبعدهم عنها ، لأن العائلة تصبح مَحَل الصفات الدنيئة والأوصاف السَّيئة . وهذا ما تسعى التَّوراةُ المحرَّفةُ إلى تحقيقه . إنها تُريد تحطيم صُورة الأنبياء ، ونزع عَظَمَتهم مِن النفوس ، وتشكيك الناس بِهم . والشَّكُّ بالأنبياء يعني بالضرورة الشَّك بِنُبُوَّتهم ورسالاتهم ، ورفض الوَحْي الذي جاؤوا به ، وعدم قَبول العقائد والشرائع والتعاليم التي يَحملونها لإخراج الناس مِن الظلمات إلى النُّور . وهذا الخطةُ الخبيثة هي التي دَفعت علماءَ اليهود للتلاعب بالنصوص الدينية وتغييرها .

وبالتأكيد ، إن الأنبياء معصومون ومُنَزَّهُون عن كُل سُوء وعَيْب ونَقْص . وكُل الخرافات والأكاذيب حَوْلهم ، إنما هي مِن مَنظور التَّوراة المحرَّفة ، ووَفْق عقائد اليهود الباطلة .

٨_ التطاول على الله

تُقدِّم التَّوراةُ البشريةُ المحرَّفةُ صُورةً سيِّئة للأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ . فهي تُصوِّرهم كأشخاص وقحين وكاذبين ومُخادعين وضالين ، يَتطاولون على الله خالقهم العظيم ، ومُرسِلهم لهداية الناس ، فهُم يُخاطبون الله بأسوأ العبارات ، بلا إيمان ولا تعظيم ولا أدب .

ولَم يَسْلَم النبيُّ مُوسى ﷺ (أعظم أنبياء بني إسرائيل وصاحب التَّوراة الأصلية) مِن أكاذيب اليهود وخرافات التَّوراة المحرَّفة. ففي [خُروج ٥ : ٢٢]: ((فرجع موسى إلى الرب وقال يا سَيِّد لماذا أسأتَ إلى هذا الشعب)) اهـ . إن النبيَّ مُوسى كليم الله يُخاطب اللهَ العظيم بوقاحة وسُوء أدب ، ويَصفه بأنه أساءَ إلى الشعب . وهذا كفرٌ واضحٌ ، وضلال ظاهر ، ووقاحة مكشوفة .

إنَّ اللهَ خَلَقَ الناسَ ، وأحسنَ إليهم ، ومنحهم النِّعَمَ التي لا تُعَدُّ ولا تُحصَى ، واللهُ مُنَزَّهٌ عن العيوب والنقائص ، لا يُسِيء إلى أحد ، لأنه الخالق العظيم الرحيم بعباده ، والناسُ يُسيئون إلى أنفسهم ، والله لا يَظْلِم أحدًا ، والناس يَظْلمون أنفسهم بالمعاصي والذنوب .

والنبيُّ مُوسى ﷺ معصومٌ ، ومُنَزَّهٌ عن الكفر والضلال والوقاحة وكُل الصفات السَّيئة . وهو كليمُ الله وأعْلَم الناس في وَقْته بالله تعالى ، ويُخاطبه بأدب وتعظيم واحترام وتقديس . وأكاذيبُ التَّوراة لا تُؤثِّر في سيرة النبيِّ مُوسى ﷺ وسُمعته . فهو النبيُّ المعصوم الشريف الطاهر المُطَهَّر .

وفي [عَدَد ١١ : ١١] : ((فقال موسى للرب لماذا أسأتَ إلى عبدكَ ولماذا لم أجد نعمةً في عينيكَ حتى إنكَ وضعتَ ثِقْلَ جميع هذا الشعب عليَّ)) اهـ . يَتطاول مُوسى على الله تعالى ، ويتَّهم الخالقَ بأنه أساءَ إلى عبده (مُوسى) . وأيضًا ، يعترف مُوسى بأنه لَم يجد نعمةً في عَيْنَي الله، أي إن الله أساءَ إلى مُوسى ولَم يُنعِم عليه ، وأغرقه في الأزمات والمشكلات ، لأن الله وضع ثِقْلَ جميع الشعب على مُوسى ، وحَمَّله فوق طاقته ، ولَم يرحمه ، وهذه إساءة واضحة مِن الله وسُوء تصرُّف . وفِعْلُ الله يَفتقر إلى الحكمة والرحمة ، وبذلك يكون اللهُ قد أساءَ إلى مُوسى بوضوح ، وباعتراف مُوسى شخصيًّا . وهذه المعاني الباطلة موجودة في النص التَّوراتي المحرَّف ، ويُحاول علماءُ اليهود تَسْويقها للعوام والجهَّال لإضلاهم، ونشر الفساد والكفر بينهم . وهذه الحِيلة لا تَنْطَلي إلا على الأغبياء والسُّذج .

إن الله اختارَ مُوسى نبيًّا ورسولًا ، وأنزلَ عليه التَّوراةَ (الأصلية) لهداية الناس وإخراجهم مِن الظلمات إلى النُّور . واللهُ هو الرحمن الرحيم ، لا يُسِيء إلى أحد . لقد أحسنَ اللهُ إلى عباده ، وأنعمَ عليهم ، ولَم يَخلقهم لِيُدمِّرهم ويُعذِّبهم ويَظْلمهم ، فاللهُ مُنَزَّهٌ عَن كُل العيوب والنقائص ، يَدعو الناسَ إلى جَنَّته ، وهو غنيٌّ عنهم ، لا يَحتاجهم ، وإنما هُم الذين يحتاجونه . واللهُ لا يُكلِّف نَفْسًا إلا وُسْعَها ، ولا يُحمِّلها فوق طاقتها .

لقد أوْحَى اللهُ إلى مُوسى ، وحَمَّلَه أمانةَ الوَحْي وتبليغه إلى الناس لهدايتهم وإرشادهم . واللهُ يَعْلَم أين يضع رسالته ، فهو الخالق العظيم الحكيم المُنَزَّه عن العبث والفوضى والطَّيش والظلم .

وقد حَمَلَ النبيُّ مُوسى ﷺ النُّبُوَّةَ والرسالةَ وَوَحْيَ السماء ، وبَلَّغَ الأمانةَ كاملةً بلا زيادة ولا نُقصان، وكان نبيًّا شريفًا ورسولًا عظيمًا، مُنَزَّهًا عن الكسل والجهل والصفات السَّيئة. والنبيُّ مُوسى كليم الله وأعلم الخَلْق في وقته بالله تعالى ، يُخاطبه بأدب واحترام وتعظيم وتقديس ، ولا يتطاول على خالقه ، فموسى عبد الله ورسوله ، وقد قامَ بأداء حق العبودية وحق الرسالة بكل نجاح .

وفي [يَشُوع ٢٤ : ٢٠] أن يَشُوع (النبيَّ يُوشَع بن نُون) قال للشعب : ((وإذا تركتُم الربَّ وعبدتُم آلهةً غريبة يرجع فيُسيء إليكم)) اهـ . تصرُّ التَّوراةُ البشريةُ المحرَّفةُ على الكذب على الأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ ، وتصرُّ أيضًا على وصف الله بأنه يُسيء للناس ، ويَظلمهم، ويعتدي عليهم . وهذا الكذبُ الصريحُ موضوع على لسان النبيِّ يُوشَع ﷺ لِشَرْعنته وإعطائه الغطاء الديني . واللهُ مُنَزَّهٌ عن الإساءة للناس وظُلمهم والاعتداء عليهم ، والنبيُّ يُوشَع مُنَزَّهٌ عن الكذب ووصف الله بما لا يَليق بِعَظَمَته. فالأنبياءُ أعلم الخَلْق بالله تعالى ، وأفضل مَن عَبَدَه وعَظَّمَه .

٩_ اتِّخاذ الآلهة

إن علماء اليهود الذين حرَّفوا التَّوراةَ يعتمدون على منهجية إهانة الأنبياء والكذب عليهم ، وتصويرهم كأشخاص كافرين مُنحرفين ضَالِّين مُضِلِّين ، بلا إيمان ولا شرف ولا أخلاق . وهذا دليل واضح على تَحْريف التَّوراة وتغييرها وتبديلها . فالأنبياءُ _ عليهم الصلاة والسلام _ أعظم الناس وأفضلهم وأقواهم إيمانًا ، وأحسنهم أخلاقًا ، وهُم سادة الناس وأشرافهم ، ومعصومون مِن كُل سُوء ، ومُنَزَّهون عن كل عَيْب ونَقْص .

وفي [خُروج ٣٢ : ٤] : ((وصوَّره بالإزميل وصنعه عِجلًا مَسْبوكًا)) اهـ . لقد اختارَ اللهُ مُوسى وهارون _ عليهما الصلاة والسلام _ ، وأوْحَى إليهما ، لهداية الناس وإرشادهم ، وإخراجهم مِن ظُلمات الجهل والكفر إلى نُور العِلم والإيمان . ولكنَّ هارون _ حَسَب هذا النَّص التَّوراتي المحرَّف _ قادَ قَوْمَه إلى الكفر والضلال حيث صَنَعَ لهم عِجْلًا مَسْبوكًا ، كَي يتَّخذوه إلَهًا مَعْبُودًا مِن دُون الله تعالى . صوَّره هارون بالإزميل وصنعه بإتقان ليصير إلَهًا لِقَوْمه . وبذلك ، يكون هارون قد أرشدَ قَوْمَه إلى الكفر والضلال والباطل بدلًا مِن إرشادهم إلى الإيمان والهداية والحق .

وهذا كذبٌ تَوْراتي واضح على النبيِّ هارون ﷺ ، فهو معصومٌ مِن الكفر والضلال والذنوب ، وأرشدَ قَومه إلى الإيمان بالله وتَوحيده وعبادته وطاعته ، ولَم يُرشِدهم إلى الكفر والضلال . والخرافاتُ التَّوراتية تُشير إلى حِقد اليهود على مُوسى وهارون _ عليهما الصلاة والسلام _ ، وهذا

الحقد الذي يَغلي في قلوب اليهود ، دفعهم إلى تغيير نصوص التَّوراة بحيث تَطعن في هذين الرَّسُولَيْن الكريمَيْن . كَذَبَ علماءُ اليهود الذين حرَّفوا التَّوراةَ ، على مُوسى وهارون ، لإهانتهما والطعن فيهما ، وتَلْويث سُمعتهما ، وتشويه سِيرتهما . وهذا يدل على حسد اليهود وحِقدهم واتِّباعهم لأهوائهم ، وحرصهم على مصالحهم المادية ومكاسبهم الدنيئة .

ولَم يَسْلَم مِن أكاذيبهم النبيُّ سُلَيمان ﷺ . ففي [الملوك الأول ١١ : ٤] : ((وكان في زمان شيخوخة سُليمان أن نساءه أَمَلْنَ قلبَه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبُه كاملًا مع الرب إلهِه كقلب داود أبيه)) اهـ . إن سُلَيمان عندما كَبُرَ في السِّن ، خضع لإملاءات نسائه ، وانصاعَ لرغباتهن ، ونَسِيَ الإيمانَ وعبادةَ الله ، حيث إن نِساءه أَمَلْنَ قلبه وراء آلهة مَعبودة مِن دُون الله ، وهكذا عَبَدَ سُلَيمانُ آلهةً مِن دُون الله، وكفرَ، وضَلَّ طريقَه، وصارَ مُنْحَرِفًا دينيًّا وأخلاقيًّا . ولَم يكن قلبه كاملًا مَعَ الله كقلب داود أبيه . وهذا يعني أن سليمان كان غارقًا في الشهوات والملذات مَعَ نسائه ، وعقله وقلبه معهنَّ ، وهُنَّ نساء كافرات فاسقات ، أَمَلْنَ قلبه وراء الآلهة المعبودة مِن دون الله . وكان قلبُ سليمان مُلَوَّثًا ، وفيه شوائب شِركية ، ولَم يكن قلبه كاملًا معَ الله كقلب داود أبيه. مَعَ أن التَّوراة المحرَّفة طَعنت في داود أبيه ، وصوَّرته في أسوأ صُورة . ففي [صَمُوئيل الثاني ، الأصحاح الحادي عشر] : تزعم التوراة أن داود رأى امرأةً جميلة تستحمُّ ، فأُعجِب بِها فأخذها، وضاجعها ، فحَبِلَت، ثم أرسل زوجها إلى الحرب ليتخلص منه . وإذا كان داود يتصرَّف بهذا الشكل المُخزِي ، فكيفَ يكون قلبه كاملًا مع الله ؟ ، وكيف يكون قُدوةً لابنه سُلَيمان ؟ .

إن هذه الأكاذيب المفضوحة هي دليل واضح على تحريف التَّوراة وتغييرها وتبديلها . إن داود وسُلَيمان نَبِيَّان كريمان شريفان معصومان من الكفر والضلال والذنوب . عَبَدَا اللهَ وَحْدَه، وأرشدا الناسَ إلى توحيد الله وعبادته وطاعته ، والتَّحَلِّي بالأخلاق الحميدة والصفات الحسنة.وقد صوَّرتهما التَّوراةُ المحرَّفةُ في أسوأ صُورة وأبشع حالة ، معَ أنهما مِن أنبياء بني إسرائيل. ولكنَّ الحقد اليهودي على الأنبياء جميعًا هو حِقد أعمى ، ونارٌ مُتأجِّجة في صُدور علماء اليهود الذين حرَّفوا التَّوراةَ وتلاعبوا بنصوصها . وداود وسُلَيمان _ عليهما الصلاة والسلام _ مُنَزَّهان عن خُرافات التَّوراة .

وفي [الملوك الأول ١١ : ٩] : ((فغضب الربُّ على سُليمان لأن قلبَه مال عن الرب إلهِ إسرائيل الذي تراءى له مرَّتَيْن)) اهـ . هذا النصُّ الخرافي الوهمي لا يُؤثِّر في النبيِّ سُلَيمان ﷺ وإيمانه العظيم ، وسيرته العطرة ، وسُلوكه الشريف . إن قلب سُلَيمان مَعَ الله جُملةً وتفصيلًا ،

وقُلوب الأنبياء لا تَميل عن الله الذي خلقهم واصطفاهم وكلَّفهم بأعباء النُّبوَّة والوَحْي ، وشرَّفهم بذلك.واللهُ يَغضب على أعدائه الذين حاربوه ، وحرَّفوا كلامه ، وبدَّلوا كتابه السماوي(التَّوراة)، ولا يَغضب على أنبيائه الكرام، فهُم صَفوة الله مِن خَلْقه ، يُحِبُّهم ويُحِبُّونه ، وقد عَصَمَهم مِن كُل سُوء، ونزَّههم عن كُل عَيب ، وطهَّرهم مِن كُل نقص . ولهم المكانة العظيمة في الدنيا والآخرة . ولأعدائهم الذين كَذَبوا عليهم نارُ جهنم ، خالدين فيها أبدًا . يَدخلونها ، ولا يَخرجون مِنها .

١٠ _ التظاهر بالجنون

في [صَمُوئيل الأول ٢١ : ١٣] : ((فغيَّر عقلَه في أعينهم وتظاهر بالجنون بين أيديهم وأخذ يُخَرْبِش على مصاريع الباب ويُسيل ريقَه على لِحيته)) اهـ . هذه التصرُّفات لو فعلها طفل صغير ، لَقِيل عنه إنه مجنون أو سفيه أو أبله أو جاهل ، وهي تصرُّفات سيِّئة لا تَليق بالأطفال المُؤدَّبين أبناء العائلات المحترمة ، وتُشير إلى عدم تربية الوالدَيْن لهذا الطِّفل الأحمق .

لكنَّ المفاجأة الصادمة أن هذا النص التَّوراتي المحرَّف يتحدَّث عن النبيِّ داود ﷺ . فالنبيُّ داود قامَ بهذه التصرفات الطائشة والسلوكيات المعيبة أمام الناس، وهُم يَنظرون إليه ، ويَضحكون عليه، باعتباره مجنونًا فاقدًا لقواه العقلية ، يقوم بحركات غريبة ومُضحِكة كالمُهرِّج في السِّيرك .

وهذه الأكاذيبُ التي ألصقتها التَّوراةُ المحرَّفةُ بصورة النبيِّ داود ﷺ ، لا تَنطلي على أحد ، لأن داود نبيٌّ كريم ، ورسولٌ عظيم ، يَمتاز بالذكاء والحِكمة والفِطنة وحُسن السيرة والسُّلوك ، ويتصرَّف بشكل عقلاني ومُتَّزِن ، وله مكانة عظيمة في المجتمع ، فهو القُدوة العُليا والمَثَل السَّامي . وقد حَمَلَ الوَحْيَ والنُّبُوَّةَ بأمانة واقتدار ، وجاء لإخراج الناس من الظلمات إلى النُّور بإذن الله تعالى .

والأنبياءُ جميعًا معصومون ، وطاهرون ، ومُطهَّرون ، ومُنَزَّهُون عن كل النقائص والعُيوب ، ويَمتازون بالصلابة الذهنية ، والذكاء الخارق ، والتفكير البَنَّاء ، والفصاحة ، والبلاغة ، وحُسن البيان ، والحِكمة ، والاتِّزان .

وَلَوْ تصرَّفَ نبيٌّ مِن الأنبياء بِطَيش وسَفَه ، لهربَ الناسُ مِنه ، واعتبروه شخصًا أحمق ، لا ينبغي الاستماع لكلامه ولا تصديقه . وبالتالي ، يَبطل معنى الوَحْي والنُّبُوَّة والرسالة ، وتنهار الدَّعوة الإسلامية الهادفة إلى عبادة الله وَحْدَه، وهي دَعوة جميع الأنبياء بلا استثناء .

والأنبياءُ كُلُّهم يَعتنقون دِينًا واحدًا ، وهو الإسلام (الدين السماوي الوحيد) الذي لا يَقبل اللهُ غَيْرَه ، لكن الشرائع مُتغيِّرة ومختلفة باختلاف الزمان والمكان وطبيعة الأقوام والأمم .

ومِن أجل نشر الإسلام دُون شُبهات ، وسَيْرِ الدَّعوة على أكمل وجه دون عوائق ، كان الأنبياءُ معصومين مِن كُل ما يَقْدَح في نُبُوَّتهم مِن مِيلادهم حتى مَوْتهم ، قبل البَعثة وبعدها ، لأن أيَّ قادح في النُّبُوَّة ، وأيَّ عَيْب في النبيِّ ، وأيَّ شُبهة في الرسالة والدَّعوة، سوف يُنفِّر الناسَ مِن النبيِّ، فيَبتعدون عنه ، ويَهْربون مِنه ، ويَشُكُّون فِيه ، فينهار معنى الوَحْي والنُّبُوَّة والرسالة والدَّعوة ، ولا تُصبح هناك أهمية للدِّين، ولا جَدْوَى مِن نَشْره . لذلك كان الأنبياء معصومين وطاهرين ، يَمتازون بالصفات الحميدة التي تَجذب الناس وتَستقطب الأتباع وتُحبِّبهم في الدِّين لعبادة الله وَحْدَه .

١١ _ الشَّتائم

في [صَمُوئيل الثاني ١٦ : ١٠] أن داود قال : ((دَعُوه يَسُبَّ لأن الربَّ قال له سُبَّ داود)). يأمرُ اللهُ بِسَبِّ نَبِيِّه داود وشَتْمه . وهذه أُكذوبة فاضحة اخترعها علماءُ اليهود الذين حرَّفوا التَّوراة. وهذا يدل على حِقدهم على النبيِّ داود ﷺ (مِن بني إسرائيل)، وحسدهم له، وكراهيتهم للحق الذي ظَهر على يَدَيْه . لذلك حاولوا تحطيم صورته ، وتَشويه سُمعته ، وتَلْويث سِيرته ، وذلك بِدَعوة الناس إلى سَبِّه وشَتْمه والطعن فيه والتطاوُل عليه . وإذا كانَ اللهُ يَأمر بسبِّ داود وشَتْمه ، فهذه دَعْوة للناس لِسَبِّه وشَتْم الأنبياء جميعًا ، لأن الطعن في نبيٍّ هو طَعْن في جميع الأنبياء، لأن مُرْسِلهم واحد،ودِينهم واحد، ومنهجهم واحد. وهل أرسلَ اللهُ أنبياءه لهداية الناس وإرشادهم إلى عبادة الله وَحْدَه أَم لِدَعوة الناس إلى سَبِّ الأنبياء وشَتْمهم ؟ . إن حِقْد اليهود على الأنبياء الذين أرسلهم اللهُ لإخراج الناس من الظلمات إلى النُّور ، يُعْتَبَر مِن أبرز أُسس تَحْريف التَّوراة . ولا شَكَّ أن سَبَّ نبيٍّ أو شَتْمه هو كفرٌ بَوَاح وضلال ظاهر . ووَفْق النص التوراتي المُحرَّف ، فإن اللهَ يَأمر الناس بالكفر والضلال ، لأنه أمرَ بسبِّ نَبِيِّه داود . وهذا كذبٌ تَوْراتي واضح .

وفي [أيوب ٣ : ١]: ((بعد هذا فتح أيوبُ فاهُ وسَبَّ يومَه)) اهـ . إن اللهَ اختارَ الأنبياءَ لأنهم أفضل الناس ، وأنقاهم قُلوبًا ، وأعظمهم نُفُوسًا ، وأحسنهم أخلاقًا . والأنبياءُ مَعْصُومون ، وشُرفاء ، وأطهار . يتميَّزون بالأخلاق الحميدة ، والقُدرات العقلية الفائقة ، والأدب ، والفصاحة، والبيان . وهُم مُنَزَّهُون عن السَّب والشتائم والتلفُّظ بالألفاظ السَّيئة .

سَبَّ أيوبُ يَوْمَه وشَتَمَه ، ساخطًا على قضاء الله وقَدَره ، غَير راضٍ بحياته . وشَتْمُ الأيام والسنين والزمن ، يدل على الضِّيق والطَّيْش ، والسخط على الله ، وعدم الرضا بأحكامه وقضائه.

وهذا كذبٌ واضح على النبيِّ أيوب ﷺ ، الذي يُضرَب بِه المَثَل في الإيمان والصبر وتحمُّل الشدائد والصعوبات ، والاستسلام لأمر الله وحُكمه وقضائه وقَدَره . وقد حاولَ علماءُ اليهود الذين حرَّفوا التَّوراة تحطيمَ صُورة النبيِّ أيوب ﷺ في أذهان الناس وعقولهم،وتَشويه سُمعته وسِيرته.

غاظهم أن يكون أيوب المَثَل الأعلى والقُدوة السَّامية في الصبر والرضا بقضاء الله وقَدَره، فاخترعوا نصًّا تَوْراتيًّا مِن أفكارهم الشخصية، يَخدم مصالحهم، ويُحقِّق رغباتهم، ويَدعم أهواءهم، واتَّهموه بأنه سَبَّ يَوْمَه ساخطًا على الله ، ورافضًا لقضاء وقَدَره . واليهودُ غارقون في الحقد على الأنبياء وحسدهم ورفض الحق الذي جاؤوا بِه . وهذه صفات اليهود التي يَشْتهرون بِها .

وفي [أيوب ١٠ : ١] أن أيوب قال : ((قد كرهتْ نَفْسي حياتي)) اهـ . هذا تشويه مُتعمَّد لصورة النبيِّ أيوب ﷺ ، ومحاولة يائسة لتقديمه كشخص فاسد بائس مُكتئب ساخط على قضاء الله وقَدَره. ووَفْق التَّوراة المُحرَّفة ، سَبَّ أيوب يَوْمَه ، وشَتَمَ زمانَه ، وكَرِهَ حَيَاته ، ومَلَّ مِن الوجود ، لأن نفْسيته مُتْعَبَة ، ومعنوياته مُنهارة ، ويُعاني مِن الألم والضياع والقلق والاكتئاب .

والأنبياءُ _ عليهم الصلاة والسلام _ مُنَزَّهُون عن هذه الأكاذيب والخرافات . لقد اختارهم اللهُ لأنهم أعظم البشر ، وحَمَّلَهم مسؤولية تَبليغ الوَحْي الإلهيِّ للناس ، بما يَمتلكونه مِن قُدرات عقلية كبيرة ، وطاقة رُوحية هائلة ، وبُنية جسمية قوية . وقلوبُ الأنبياء مُعلَّقة بالله تعالى ، واللهُ ناصرهم ومُؤيِّدهم ومُعينهم ، فلا يُصابون باليأس مِن رحمة الله تعالى ، ولا يَفقِدون الأملَ ، ولا يَنهارون أمام الأزمات والشدائد. إنهم واثقون بالله، وقَضَوْا حياتهم في الدعوة إلى عبادة الله وَحْدَه، بلا مَلَل ولا كسل ولا يأس ولا اكتئاب . والأنبياءُ جاؤوا لهداية الناس وإنقاذهم وإرشادهم ، وإخراجهم من الظلمات إلى النُّور ، وصناعة الأمل المشرق في الحاضر والمستقبل ، ولَم يَأتوا لتدمير حياة الناس، وتحطيم معنوياتهم ، ونشر السلبية والاكتئاب والقرف . إن الأنبياء هُم القُدوة والمَثَل. وفي [إرْمِيا ٢٠ : ١٤] : ((ملعونٌ اليومُ الذي وُلِدتُ فيه)) اهـ . وَفْق عقائد اليهود ، فإن إرْمِيا مِن أنبياء بني إسرائيل . وها هُوَ يَلعن اليومَ الذي وُلِدَ فِيه . فهل يُوجد نبيٌّ يأتيه وَحْي السماء يَلْعَنَ يَوْمَ مِيلاده . إن الأنبياء أعلم الخلق بالله تعالى ، يعبدونه وَحْدَه ، ويَحمدونه ، ويَشكرونه على نِعَمه التي لا تُعَدُّ ولا تُحصَى . وبدلًا مِن أن يَشكر إرْمِيا اللهَ على مَنحه الحياة والنُّبُوَّة ، يَلعن يَوْمَ مِيلاده . وإذا كان أحد أنبياء بني إسرائيل يقوم بهذا العمل المُخْزِي ، ويَسُبُّ

ويَشْتُم ويَلْعَن ، ولا يَشكر اللهَ على نِعمة الوجود والخَلْقِ في أحسن صُورة وأفضل شكل ، فماذا سيفعل عوام الناس مِن اليهود ؟ . وإذا كانت القُدوة مُنهارة بهذا الشكل البائس ، كيف سيكون موقف الأتباع والمؤمنين بهذا النبيِّ ؟ . إن أكاذيب التَّوراة تُشير بوضوح إلى تحريفها وتبديلها ، والطعنُ في الأنبياء والعلماء والصالحين ، يُعْتَبَر أحد أهم أركان فلسفة التلاعب بنصوص التَّوراة .

١٢ _ البُنُوَّة

في [مزامير ٢ : ٧] :((إني أُخبِر من جهة قضاء الرب. قال لي أنتَ ابني. أنا اليومَ وَلدتُكَ)). إن مصدر كُفر اليهود والنصارى واحد، فهذان الفريقان يُحاولان باستماتة الانتساب إلى الله تعالى. وأهلُ الكتاب (اليهود والنصارى) يُقدِّمون أنفسهم كأبناء لله وأحباب له ، وأنه أبوهم .

والعجيبُ أن علماء اليهود الذين حرَّفوا التَّوراةَ قد طَعنوا في النبيِّ داود ﷺ وأهانوه ، وحاولوا تَشْويه سُمعته وسِيرته بالكذب عليه ، واختراع نصوص تَوْراتية ضِده . وفي هذا النص التَّوراتي المُحرَّف، حاولَ علماء اليهود تعظيم داود (عَلى غَير العادة) وتقديسه وإعلاء شأنه وقَدْره ، ولكن بالكذب عليه ، وتَقْويله ما لَم يَقُل . لقد أهانوه بالافتراء عليه ، وعظَّموه بالكذب عليه . وفي كلا الحالتين ، ابتعدوا عن المنهج الوسطي المعتدل ، وكانوا غُلاةً ضَالِّين مُضِلِّين .

إن داود يُخبِر عن الله ، ومِن جهة قضاء الله . أي إنه لَم يَأتِ بكلامٍ مِن عِنده ، وإنما مِن عند الله الذي قال لداود : أنتَ ابني . أنا اليوم وَلَدتُكَ . وقد فُوجِئ داود بهذا الكلام لأنه لَم يكن يَعْلَم أنه ابن الله ولا أن الله وَلَدَه ، ولكن الله أخبره بهذه الحقيقة ، لِيَعرف داود أنه شخص مهم .

هذا الكذبُ الرخيص الذي اخترعه علماءُ اليهود ، يَهْدف إلى تعظيم داود . ولا شك أن النبيَّ داود ﷺ عظيم القَدْر ، ورَفيع الشأن، ولا يَحتاج إلى الكذب عليه والطعن في صفات الله مِن أجله. إن الله هو الخالقُ الذي لَم يَلِدْ ولَم يُولَد ، وهو مُنَزَّهٌ عن مُشابهة خَلْقه الذين يتزوَّجون ويَلِدُون ويتكاثرون . والابنُ يَحْمِل صفات أبيه، ويُجانِسه ، ويُشْبِهه . واللهُ لا يُشبِه شيئًا ، ولا يُشْبِهه شَيء ، ولا يُجانِسه أحد . واللهُ مُنَزَّهٌ عن صفات المخلوقين ، ومُشابهةِ الحوادث .

والجديرُ بالذِّكر أن النصارى يُؤمنون بالتَّوراة باعتبارها " العهد القديم " . ومِن الواضح أن فِكرة وجود ابن لله، وَلَدَه اللهُ ، قد أعجبتهم ، فنقلوها مِن داود إلى المسيح . ولا يَخفى أن اللاحق مُتأثِّر بالسابق. ووجودُ التَّوراة المُحرَّفة سابق على وجود الإنجيل المُحرَّف.لقد جَعل اليهودُ داود ابنًا لله ،

وَلَدَه اللهُ . وهذه الفكرةُ الوهميةُ الباطلةُ ، أخذها النصارى ، فجعلوا المسيح ابنًا لله ، وَلَدَه اللهُ . ولا يُوجد أحد أحسن مِن أحد ! .

وقد كَذَبَ اليهودُ والنصارى على الله الخالق العظيم الذي لَم يَلِدْ ولَم يُولَدْ ، وليس له شريك ، ولا شَبيه ولا نِد ولا وَلد ولا صاحبة . وكذبَ اليهود على داود، وكذب النصارى على المسيح. ولا شَكَّ أن المسيح وداود نَبِيَّان عظيمان ورسولان كريمان ، ولا يَحتاجان إلى الكفر والضلال والكذب لرفع شأنهما وتعظيم قَدْرهما .

ووَفْق التَّوراة البشرية المُحرَّفة ، لا تُوجد مَزِيَّة لداود باعتباره ابنًا لله ، ولا تُوجد مَزِيَّة للمسيح باعتباره ابنًا لله ، إذ إن كُل الناس أبناء الله وأولاد الله . ففي [تَكْوين ٦ : ٢] : ((أن أبناء الله رَأوا بناتِ الناس أنهنَّ حسنات)) . وفي [تَثْنية ١٤ : ١]: ((أنتم أولاد للرب إلهكم)) . وفي [مزامير ٢٩ : ١]: ((قَدِّموا للرب يا أبناءَ الله قَدِّموا للرب مَجدًا وعِزًّا)) اهـ . وبالتالي ، كُل الناس أبناء الله وأولاد للرب . وهذه صِفة عامَّة وشاملة للجميع بلا تمييز ولا طَبقية ولا فَوْقية .

ومِن الواضح أن هذه البُنُوَّة تَحْمل معنًى مجازيًّا ، ولا تعني أن اللهَ أنجبَ الناس ووَلَدَهم . والمعنى: إنكم أحباب الله وصَفوته مِن خَلْقه وشَعْبه المختار ، الذي اخْتَصَّكم بالعناية والرعاية والاصطفاء والاختيار والتفضيل على سائر الناس،ورَفْع شأنكم،وتعظيم قَدْركم،وتقديس مكانتكم.

والتَّوراةُ المُحرَّفةُ تُقدِّم اليهود كشعب الله المختار ، وأحسن البشر ، وأعظم الناس . وهذه العقيدةُ التَّوراتية باطلة ، لأنها دَعْوى عريضة بلا دليل ولا بُرهان . واليهودُ غارقون في الكفر والضلال والكذب على الله وأنبيائه ، وتحريف الكُتب الدينية ، والتلاعب بالنصوص الشرعية .

١٣_ الطَّيش

في [إرْمِيا ٢ : ٨] : ((والأنبياءُ تنبَّأوا بِبَعْل وذهبوا وراءَ ما لا يَنفع)) اهـ . تُقدِّم التَّوراةُ البشريةُ المُحرَّفةُ صورةً في غاية السُّوء والقُبح للأنبياء . فقد تنبَّأوا بِبَعْل ، وهو إلهٌ كان يُعبَد على جبال الكرمل في زمن مملكة إسرائيل ، واعْتُبِرَ لاحقًا مُوَازِيًا لإله دمشق وبَعْلَبَك . وذَهَبَ الأنبياءُ وراء ما لا يَنفع ولا يُفيد ، وهذا يدل على طَيْشهم ، وجَهْلهم ، وعجزهم عن تمييز الأمور ، وعدم معرفتهم بحقائق الأشياء . ولو كانوا أصحاب عقول لَمَا ذَهبوا وراء ما لا يَنفع ولا يُفيد . فإن العاقل وَحْدَه هو الذي يَعرِف ما يَنفعه وما يَضُرُّه ، ويَذهب وراء ما فيه المنفعة والمصلحة والفائدة.

لقد تَنَبَّأ الأنبياءُ بإلهٍ مَعبودٍ مِن دُون الله تعالى ، وتركوا عبادة الله ، وكفروا بِه ، وضَلُّوا طريقَهم ، وتاهوا في الحياة ، وذهبوا وراء أمور لا فائدة مِنها ، وأشياء غير نافعة ولا مُفيدة .

والأنبياءُ _ عليهم الصلاة والسلام _ مُنَزَّهُون عن هذه الخرافات والأكاذيب ، فهُم يَعبدون الله وَحْدَه ، ويمتازون بالذكاء والقدرات العقلية الفائقة ، ويُميِّزون الأمورَ ، ويُفرِّقون بين المنافع والمضار ، وكُل أعمالهم قائمة على طاعة الله لا معصيته ، وعلى تحقيق المنافع لا المضار .

١٤_ الخِزْي

في [إرْميا ٢ : ٢٦] : ((كَخِزْي السارق إذا وُجد هكذا خِزيُ بيت إسرائيل هُم وملوكُهم ورؤساؤُهم وكهنتُهم وأنبياؤهم)) اهـ . وَفْق هذا النص الباطل ، فإن الأنبياء مُجَلَّلُون بالخِزي والعار، وتَمَّ تشبيه خِزْيهم بِخِزْي السارق. أي إن الأنبياء مِثل اللصوص والسارقين . وهذا الكذبُ التَّوراتي لا يُمكن أن يكون كلامَ الله تعالى. فالأنبياءُ المعصومون هُم السادة والزعماء والأشراف، لهم المجد والمكانة الرفيعة في الدنيا والآخرة. وهذه الأكاذيب والخرافات دليل على تَحْريف التَّوراة.

***

خامسًا : القتل والإبادة

١_ قتل الأجنبي

القتل والإبادة مَبدآن أساسيَّان مِن مبادئ التوراة البشرية المُحرَّفة . وهذا يدل على وحشية النصوص الدينية اليهودية ودموية التوراة، باعتبارها كتابًا بشريًّا خرافيًّا غارقًا في معاني القتل والدماء.

وفي [عَدَد ٣ : ٣٨] : ((والأجنبي الذي يَقترب يُقتَل)) اهـ . والمقصود بالأجنبي هو أي شخص غير يهودي ، أو أي شخص لا ينتمي إلى بني إسرائيل . وهذا " الأجنبي " هو بشر مِن الدرجة الثانية أو الثالثة ، وقد تعتبره التوراةُ البشرية المُحرَّفة فاقدًا للبشرية والإنسانية ، أي إنه ليس بشرًا ولا إنسانًا مِن الأصل ، لأن اليهود وَحْدَهم _ وفق التصور التوراتي الأسطوري _ هُم شعب الله المختار ، وهذا يعني بالضرورة أن غير اليهود عبارة عن مخلوقات منبوذة حقيرة لا وزن لها . وبالتالي ، لا عِصمة لدمائهم . لذلك ، طالبَ النصُّ التوراتي الخرافي بقتل الأجنبي الذي يَقترب . واقترابُه يَجعله مهدور الدم ، فيتم قتله فورًا . وبعبارة أخرى ، مُجرَّد اقترابه يُفقِده حياته ، لأنه أجنبي وضيع حقير ، لا كرامة له ، ولا عِصمة لدمه ، ولا وزن لحياته ، ولا معنى لوجوده .

وهذا التطرفُ الفكري يدل على عقلية اليهود الذين يُقدِّسون العنصرَ اليهودي بالباطل ، ويَحتقرون غير اليهود ، ويعتبرونهم مُجرَّد كائنات حقيرة تستحق القتل والذبح . وكُل ذَنْبها أنها لا تنتمي إلى العنصر اليهودي المُتفوِّق على باقي العناصر . وهذا الأمرُ يكشف بوضوح عن الترابط بين خرافة نقاء العِرق وإهدار الدم. أي: كُل غريب يُقتَل. وكُل أجنبي يُقتَل.والذي لا يَنتمي إلى اليهود (شعب الله المُختار ، وصَفوته مِن خَلْقه) ، يجب إنهاء حياته والتخلص منه .

٢_ قتل الأطفال

في كل الحروب والنزاعات، ينبغي تحييد الأطفال وإبعادهم وعدم التعرض لهم ، لأنهم أبرياء ، لا ناقة لهم ولا جَمَل . وهُم لا يَملكون الوعي الكافي والقدرات العقلية الفائقة ، ولا ذَنْبَ لهم في حروب الكِبار وصراعاتهم ومؤامراتهم وغرقهم في القتل والقتل المُضاد . لكن التَّوراة المُحرَّفة كان لها رأي آخَر ، فقد اعتبرت الأطفال مجرمين لا ضحايا ، ومُذنبين لا أبرياء . لذلك يجب قتلهم ، والتخلص منهم ، ولن تشفع لهم براءة الأطفال ، ولا صِغر سِنِّهم ، ولا انخفاض مستوى وَعْيهم ، ولا عَجْزهم عن المشاركة في صناعة الأحداث . وهذا الإرهاب الفكري يُعارض جميع القيم الإنسانية ، والمواثيق الدولية ، والأديان الوضعية ، والشرائع السماوية .

وفي [عَدَد ٣١ : ١٧]: ((فالآن اقتلوا كل ذَكر من الأطفال)) اهـ. وفي[مزامير ١٣٧ : ٩]: ((طُوبى لمن يُمسِك أطفالَكِ ويَضرب بهم الصخرةَ)) اهـ . التوراةُ البشرية المُحرَّفة تدعو بصراحة إلى قتل الأطفال بلا استثناء ، ولا معنى لبراءتهم ولا انخفاض مستوى وَعْيهم . يجب قتلهم وإبادتهم بكل الوسائل المُتاحة ، والتخلص مِنهم بحيث لا يبقى منهم أحد . وبذلك ، تكون الخرافاتُ التوراتية قد عاملتهم مُعاملة القَتَلة المُحترفين ، والمُجرمين المُذنبين . والحَل هو قتل الأطفال، والتخلص منهم ، فلا أهمية لحياتهم ، ولا معنى لوجودهم ، ويجب تطهير الحياة مِنهم .

٣_ قتل الذُّكور بالسَّيف

لا مكان للرحمة ولا الشفقة ، ولا معنى لحقوق الإنسان ، ولا جدوى من الحب والتسامح بين البشر . أيَّة مدينة حاربتْ يجب قتل جميع ذُكورها بالسَّيف بدون استثناء .

وفي [تَثْنية ٢٠ : ١٣] : ((وإذا دفعها الربُّ إلهُكَ إلى يدكَ فاضرب جميع ذُكورها بحد السَّيف)) اهـ . لا تمييز بين المحاربين والمدنيين ، ولا تفرقة بين الأبرياء والمذنبين . يجب قتل جميع الذكور بلا تمييز ولا تفرقة ولا استثناء . يجب إبادة الذكور جميعًا بلا رحمة ولا شفقة . وبالتالي ، تفريغ المدينة بالكامل مِن الذكور ، وذلك بقتلهم عن بَكْرة أبيهم . ومِن المُلاحَظ أن التوراة البشرية المُحرَّفة لا تُفرِّق بين طفل ورَجل كبير ، بين قاتل وضحية ، بين بريء ومُذنِب ، بين مُحارِب ومدني . يجب أن يشمل القتلُ الجميعَ بلا استثناء ، وبدون رحمة ولا شفقة ولا محاكمة عادلة أو غير عادلة . تَمَّ إهدار دماء كل الذكور . وكُلهم يُقتَلون مِن أولهم إلى آخرهم . وهكذا ، تُؤسِّس التوراةُ المُحرَّفة للإبادة الجماعية والتطهير العِرقي ، والقتل بدون تفرقة بين ظالم ومظلوم .

٤_ التطهير العِرقي والإبادة الجماعية

تقوم فلسفةُ التوراةِ المُحرَّفةِ على احتقار الأغيار (غَير اليهود) وقتلهم وإبادتهم ، وهذا يُشير إلى عقلية الاستعلاء والغرور والإجرام والقتل العبثي (القتل لأجل شهوة القتل) ، دون تفريق بين مُحارِب ومدني ، مُذنب وبريء ، ظالم ومظلوم . وفي [تَثْنية ٢٠ : ١٦] : ((وأمَّا مُدُنُ هؤلاء الشعوب التي يُعطيك الربُّ إلَهُكَ نصيبًا فلا تَسْتَبْقِ منها نَسَمَةً ما)) اهـ . يجب مسح مُدن غير اليهود من الوجود ، وإزالتها من خارطة الحياة . ويجب قتل جميع سُكَّانها ، وعدم الإبقاء على أي

شخص . إن ذنبهم العظيم أنهم لَيسوا يهودًا (شعب الله المختار) ، ولا ينتمون إلى بني إسرائيل. وبالتالي هُم بشر من الدرجة الثانية أو الثالثة ، دماؤهم مُباحة ، وأعراضهم مُستباحة . يجب قتلهم عن بَكْرة أبيهم ، حتى يتكرَّس التطهير العِرقي ، وتنتشر الإبادة الجماعية ، بلا شفقة ولا رحمة . ينبغي إخلاء مدن هذه الشعوب من سُكَّانها ، وذلك بقتلهم وإبادتهم كُلهم جميعًا بلا استثناء ولا تفرقة ولا تمييز ولا محاكمة . وهذا الإرهاب العنيف يدل على وحشية التَّوراة ودموية اليهود .

وفي [صَمُوئيل الأول ١٥ : ٣] يقول ربُّ الجنود : ((فالآن اذهبْ واضربْ عَماليق وحَرِّموا كلَّ ما له ولا تَعْفُ عنهم بل اقتلْ رَجلًا وامرأة . طِفلًا ورضيعًا . بقرًا وغنمًا . جَملًا وحمارًا)) اهـ .

يجب أن يَعُمَّ القتلُ جميعَ المخلوقات بلا استثناء . يجب أن تنتشر إبادة الجنس البشري بلا تفرقة بين رَجل وامرأة ، أو طِفل ورضيع . كُل إنسان ينبغي أن يُقتَل مهما كان جِنسه وعُمره . والأمر لا يقف عند هذا الحد ، بل يجب أيضًا قتل الحيوانات ، معَ أنها كائنات غير عاقلة . وهذا مُؤشِّر واضح على إرهاب التوراة المُحرَّفة ودمويتها ووحشيتها . ومُحال أن تكون هذه التوراةُ الدموية كتابًا سماويًّا . هل أنزلَ اللهُ التوراةَ على النبيِّ مُوسى ﷺ لقتل الناس وإبادتهم ، وقتل الكائنات الحية ، وتدمير الحضارة ، ونشر الفوضى في الوجود ؟ . الجواب واضح . وهذا يدل على كذب اليهود الذين حرَّفوا التوراةَ لخدمة مصالحهم الشخصية ، وتحقيق مكاسبهم المادية الدنيئة . لقد جَعلوا التوراةَ كتابًا للتطهير العِرقي والإبادة الجماعية والقتل العبثي بلا هدف ولا غاية، وإنما مِن أجل تفريغ الحقد ، وإشباع شهوة القتل وإبادة الآخرين ، ومسحهم من التاريخ .

وفي [أخبار الأيام الثاني ١٥ : ١٣] : ((حتى إن كلَّ مَن لا يَطلب الربَّ إلهَ إسرائيل يُقتَل من الصغير إلى الكبير)) اهـ . إن التوراة البشرية المُحرَّفة باعتبارها كتابًا خُرافيًّا أسطوريًّا دمويًّا وحشيًّا، قد أسَّست منهجَ قتل الآخرين وإبادتهم دون تمييز ولا تفريق بين ذكر وأنثى، صغير وكبير، إنسان وحيوان ، مُذنِب وبريء ، قاتل وضحية ، ظالم ومظلوم . ما دام الشخص غير يهودي ولا ينتمي إلى بني إسرائيل ، فهو مهدور الدم ، وفاقد للإنسانية ، ولا عِصمة لدمه ، ولا كرامة لحياته . يجب قتله وإنهاء حياته بلا رحمة ولا شفقة ولا محاكمة ولا سؤال عن أعماله . وهذا يشير بوضوح إلى منهجية علماء اليهود الذين حرَّفوا التوراةَ . لقد حرَّفوها مِن أجل تحقيق مصالحهم الشخصية ، وإبراز تفوُّق العنصر اليهودي على باقي العناصر ، وتقديس اليهود باعتبارهم شعب الله المختار ، المستحق للحياة الكريمة في الدنيا والنعيم الأبدي في الآخرة. أمَّا الآخرون(الأغيار) فلا يستحقون الحياة ، ويجب قتلهم وإبادتهم بكل وحشية ودموية ، لأنهم لَيسوا بشرًا ، ولا يستحقون الشفقة .

٥ـ قتل الحيوانات

منهجية التَّوراة المُحرَّفة قائمة على قتل البشر وهدم الحجر . ولم يقف الأمرُ عند هذا الحد ، ولم تكتفِ التَّوراة المُحرَّفة بإبادة الجنس البشري ، بل وسَّعت إرهابها ليشمل الحيوانات . يجب قتل البشر والحيوانات وهدم الحجر وتدمير المدن . وهذه الهلوسةُ الجنونية تقوم على العنف الأعمى ، والإرهاب الدموي ، والقتل العبثي ، والتدمير المنهجي من أجل إشباع شهوة الانتقام .

في [يَشُوع ٦ : ٢١] : ((وحرَّموا كلَّ ما في المدينة من رَجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقرَ والغنمَ والحميرَ بحد السَّيف)) اهـ . تزعم التَّوراةُ المُحرَّفة أن يَشُوع (النبيَّ يُوشَع بن نون) كان معهم ، وهُم يُمارسون شَهوة القتل والإبادة والتدمير الشامل لكل شيء بلا استثناء . تحريمُ كُل شيء بحد السَّيف . قتل الرجال والنساء والأطفال والشيوخ والحيوانات بلا تفريق ولا تمييز . وهذا الإرهاب الدموي يرتكز إلى الحقد الأعمى على الطبيعة بكل مُكوِّناتها وعناصرها وأركانها .

وفي [قُضاة ٢٠ : ٤٨] : ((ورجعَ رجالُ بني إسرائيلَ إلى بني بَنْيَامِينَ وضربوهم بحد السيف من المدينة بأسرها حتى البهائمَ حتى كلَّ ما وُجد وأيضًا جميعُ المدن التي وُجدت أحرَقوها بالنار)) اهـ . في التوراة البشرية المُحرَّفة ، يتكرَّس القتلُ كثقافة مركزية ومنهج حياتي ثابت . يجب قتل جميع البشر وإبادتهم ، ولا ينبغي الاكتفاء بذلك ، بل يجب أيضًا قتل البهائم ، وكُل شيء موجود في المكان ، مع ضرورة حرق جميع المدن بالنار ، بلا رحمة ولا شفقة . والتوراةُ المُحرَّفة تدعو بصراحة إلى قتل الجميع وإبادتهم وحرق المدن ، وعدم التمييز بين إنسان وحيوان ، ورَجل وامرأة، وشيخ وطِفل، وبريء ومُذنِب. يجب أن ينتشر القتلُ في كل مكان ، ويَعُمَّ الخراب الشامل.

٦ـ حرق المدن

لا ينبغي الاكتفاء بالقتل والتطهير العِرقي والإبادة الجماعية . لا يكفي أن يتم قتل البشر والحيوانات وتدمير عناصر الطبيعة بكل وحشية ودموية . يجب أيضًا إحراق المدن لبث الخوف والرعب والهلع في نفوس الناس ، وإشاعة جَو مِن الرَّهبة والذُّعر ، ونشر الإرهاب في كل مكان.

وفي[يَشُوع ٦ : ٢٤]:((وأحرَقوا المدينةَ بالنار مع كل ما بها))اهـ.وفي[يَشُوع ٨:٨]:((ويكون عند أخذكم المدينةَ أنكم تُضرِمون المدينةَ بالنار)) اهـ . إن إحراق المدن سياسة تَوراتية إرهابية ، والهدف مِنها إشاعة الخوف والرُّعب ، وكسر معنويات الآخرين ، وإخضاعهم ، والهيمنة عليهم.

٧_ ربط سَفْك الدماء بالأنبياء

وَفْق التَّوراة البشرية المُحرَّفة ، فإن داود قال : ((فكان إليَّ كلامُ الرب قائلًا قد سفكتَ دمًا كثيرًا وعملتَ حروبًا عظيمة فلا تبنِ بيتًا لاسمي لأنكَ سفكتَ دماء كثيرة على الأرض أمامي))
[أخبار الأيام الأول ٢٢: ٨] .

تَحتقر التَّوراةُ المُحرَّفةُ أنبياءَ بني إسرائيل ، فكيفَ ستحترم الأنبياءَ الآخرين ؟ . تُصوِّر التوراةُ المُحرَّفةُ النبيَّ داود ﷺ كمجرم سفَّاح ، سَفَكَ الدم بكثرة وبلا رحمة ولا شفقة ، وعملَ حروبًا عبثية عظيمة وكثيرة ، بلا معنى ولا جَدوى. وبعد ارتكابه للجرائم وممارسته الوحشية للقتل وسفك الدماء وعمل الحروب العظيمة، غضبَ اللهُ عليه ، وكانت النتيجة أن الله مَنعه من بناء أيِّ بَيت لاسم الله ، لأن داود سفكَ دماءً كثيرةً على الأرض أمام الله . وبالتالي ، يجب على داود أن لا يُلوِّث بيوت الله بجرائمه وممارسته الوحشية للقتل وعمل الحروب، وينبغي إبعاد بيوت الله عن عالَم القتل والوحشية والحروب والإبادة . وداود ﷺ نبيٌّ كريم ومعصوم ، مُنَزَّهٌ عن العُيوب والنقائص . والأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ لم يأتوا لقتل الناس وإبادتهم وسفك الدماء وعمل الحروب ، وإنما جاؤوا لتبليغ الوَحْي الإلهيِّ إلى الناس، ودعوتهم إلى الحق والهدى والصواب ، بأسلوب لطيف وحسن وجذَّاب، وليس بالقتل وسفك الدماء والحروب والمعارك . واللهُ اختارَ أنبياءه وعصمهم ، وأنزلَ عليهم رضوانه ورحمته ومغفرته ، فلا يغضب عليهم أبدًا ، لأنهم صَفوة الله مِن خَلْقه ، وأكثر الناس معرفةً بالله ، وعبادةً له ، والتزامًا بأوامره ، واجتنابًا لنواهيه . وهذا يدل بوضوح على تحريف التوراة ، وتحويلها مِن كتاب سماوي بالأصل إلى كتاب يدعو إلى القتل والإرهاب والحروب وسفك الدماء، ويقوم على إهانة الأنبياء والكذب عليهم وتَشويه سيرتهم وتَلويث سُمعتهم ، والكذب على الله .

٨_ الرعب والإرهاب

في [أَسْتِير ٨ : ١٧]: ((وكثيرون من شعوب الأرض تهوَّدوا لأن رعب اليهود وقع عليهم)).

كثيرون من شعوب الأرض اعتنقوا اليهوديةَ ، ليس حُبًّا فيها ، ولا تصديقًا بها . إنهم يَرفضونها بقلوبهم، ولا تَقْبلها عقولهم . ولكنهم اعتنقوا اليهودية خَوْفًا مِن إرهاب اليهود ، إذ إن رُعب اليهود وقع عليهم، فاعتنقوا اليهوديةَ بلا رغبة داخلية ولا إيمان ولا تصديق . اعتنقوها بدافع الخوف والرَّهبة، وقلوبهم رافضة لها.وهذا يدل على أن اليهود نشروا ديانتهم بالتخويف والرعب والإرهاب.

٩_ القَسوة

تقوم التَّوراةُ المُحرَّفةُ على القَسوة والحِقد والكراهية تجاه غَير اليهود (الأغيار والأجانب) . فاليهودُ هُم شعب الله المختار ، وَفْق عقائد اليهود الباطلة . وهذا يعني بالضرورة أن غَير اليهود بشر من الدرجة الثانية أو الثالثة ، ويجب التخلص مِنهم بشتى الوسائل، فهُم لا يَستحقون الحياة ، ولَيسوا جديرين بالرحمة والشفقة . وكُل ذَنْبهم أنهم لَيسوا يهودًا ، ولا يَنتمون إلى بني إسرائيل .

وفي [تَثْنية ٧ : ٢] : ((لا تقطعْ لهم عهدًا ولا تُشفقْ عليهم)) اهـ . لا مكان للعهود والوعود والمواثيق . لا مجال للشفقة والرحمة والرأفة والتسامح . يجب الالتزام بتعاليم التوراة المُحرَّفة القائمة على القتل والإبادة والتدمير الشامل وإحراق المدن وعمل الحروب . لذلك ، تَنهى التَّوراةُ المُحرَّفةُ عن قطع أي عهد لغير اليهود ، فهؤلاء الأغيارُ الذين لا ينتمون إلى اليهود واليهودية، يجب قتلهم وإبادتهم ، وعدم التسامح معهم، فلا معنى لقطع أي عهد لهم ، ولا جَدوى من الإشفاق عليهم، لأن مصيرهم القتل والإبادة والتخلص منهم . وهكذا ، تُؤسِّس التوراةُ المُحرَّفةُ لمنهج القتل والإرهاب والترهيب ، وتُكرِّس الحقدَ والكراهية وعدم الشفقة على الآخرين ، ولا التسامح معهم . وهذا دليل واضح وباهر على أن التوراة تَمَّ تحريفها والتلاعب بنصوصها .

١٠_ استعباد الناس

إن علماء اليهود الذين حرَّفوا التوراةَ ، وتلاعبوها بنصوصها زيادةً ونُقصانًا ، قد جَعلوا التوراةَ كتابًا قائمًا على القتل والإبادة والذبح والحروب والدمار الشامل وإحراق المدن . ومَن بقي على قَيْد الحياة يجب استعباده وإهانته واحتقاره وامتهان كرامته ، واتَّخاذه للسُّخرية والاستعباد .

وفي[تَثْنية ٢٠ : ١٠و١١]:((حين تَقْرَبُ من مدينة لكي تُحاربها اسْتَدْعِها إلى الصُّلْح. فإن أجابتكَ إلى الصلح وفَتحتْ لكَ فكل الشعب الموجود فيها يكون لكَ للتسخير ويُسْتَعْبَدُ لكَ)).

تُحدِّد التوراةُ البشريةُ المُحرَّفةُ قواعدَ التعامل مع المدن في حالة الحرب . عِند الاقتراب من المدينة من أجل مُحاربتها ، يجب أوَّلًا استدعاؤها للصُّلح ، فإن وافقتْ على الصُّلح ، وقَبلتْ به ، وفَتحتْ أبوابها دون قتال ولا حرب ، فكل الشعب الموجود فيها يُصبحون خدمًا وعبيدًا ، وهذا هو جزاؤهم على الصُّلح ، وهذه هي مكافأتهم على عدم القتال . جميعُ الشعب يكون للتَّسخير والاستعباد ، وليس لهم شرف ولا كرامة ولا احترام . إنهم خدم للتَّسخير وعبيد خاضعون لليهود .

سادسًا : العلاقات الإنسانية والاجتماعية

١_ توارث الذَّنْب

إن الحق الذي لا شَك فيه ولا لَبْس ، هو أن يتحمَّل كل إنسان مسؤولية أعماله في الدنيا والآخرة، ولا يتحمَّل مسؤوليةَ أعمال غَيْره. وكُل إنسان مسؤول عن نفْسه ، ويُؤاخَذ بذنوبه ، وغير مسؤول عن الآخرين ، ولا يُؤاخَذ بذنوبهم . وهذا هو العدل المتوافق مع الشرائع الدينية والعقل والمنطق . لكن التوراة _ باعتبارها كتابًا بشريًّا أسطوريًّا يعتمد على المصالح الشخصية والأهواء المتضاربة _ كان لها رأي آخر . ففي [عَدَد ١٤ : ١٨] : ((بل يجعل ذَنْبَ الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع)) اهـ . أسَّست التوراةُ المُحرَّفة لعقيدة توارث الذَّنْب وانتقال الإثم من الآباء إلى الأبناء ، معَ أن الأبناء لا يتحمَّلون ذَنْبَ آبائهم ، وغير مسؤولين عن آثامهم . فكيفَ يتحمَّل البريء ذَنْبَ المُخطِئ ويصبح شريكًا له في الإثم ؟ . إن هذه الفكرة الباطلة ظالمة، ومرفوضة نقلًا وعقلًا . ومن الواضح أن هذه الفكرة (توارث الذَّنْب وانتقال الخطيئة من الآباء إلى الأبناء) قد أعجبت النصارى ، فأخذوها ، وتلاعبوا بها ، كي تخدم مصالحهم المادية ، وأهواءهم الشخصية ، وطبَّقوها على عقيدة الفداء والصلب النصرانية . ووَفْق عقيدة النصارى الباطلة ، إن آدم ارتكبَ الخطيئةَ بأكله من الشجرة ، وانتقلَ ذَنْبُه وخطيئته إلى أبنائه ، وحَمَلَته الأجيالُ جيلًا بعد جيل ، حتى أرسلَ اللهُ ابنَه المسيحَ وصَلَبَه للتكفير عن الذَّنْب ، وتطهير الناس من الخطيئة . وهذه الأوهامُ الباطلة تُمثِّل عقيدةَ النصارى الباطلة ، التي تقوم على الكذب والظُّلم . فلا أحد يتحمَّل ذنوب الآخرين وخطاياهم . كُل إنسان يتحمَّل ذنبه الشخصي فقط . فلماذا يتم صَلْب المسيح _ وَفْق عقيدة النصارى الوهمية _ وهو شخص بريء لم يرتكب ذنبًا ولم يقترف خطيئة؟ . لماذا يتم إعدام البريء وصلبه للتكفير عن خطايا الناس وهو لم يرتكب خطيئةً ؟ . هذا يُشير إلى بُطلان عقيدة النصارى ، وانهيار مبادئهم وقِيَمهم ، وانتكاس أخلاقهم وتفكيرهم، وغياب عقولهم .

لقد ضَلَّ اليهودُ طريقَهم ، وسارت النصارى على خُطاهم في الضلال والانهيار والانتكاسة . واليهودُ والنصارى وجهان لعُملة واحدة اسمها الكفر . وينبغي مقارنة عقائد أهل الكتاب في هذا السياق معَ عقائد المسلمين المتماسكة، والتي تقوم على الحق والعدل والصواب. قال الله تعالى : ﴿ ولا تَزِرُ وَازِرةٌ وِزْرَ أُخرى ﴾[الأنعام : ١٦٤]. لا أحد يَحمل ذَنْبَ غيره ، ولا يُؤاخَذ الفردُ بأفعال الآخرين . فكل امرئ بعمله رهينٌ ، ولا تفارقه حسناته ولا سيئاته . وهذا هو العدلُ الإلهيُّ المُقدَّس

المُنَزَّه عن الظلمِ ، وتحميلِ الناس فوق طاقاتهم ، وأخذِهم بآثام غيرهم. والنقلُ والعقلُ مُتَّفقان على أن الإنسان يُجازَى بما كَسبت يداه ، وليس عليه خطايا الآخرين مهما كانوا قريبين منه . وهذا لا يتنافى مع مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكَر، وإرشاد الآخرين ، وتقديم النُّصح لهم ، والأخذ بأيديهم إلى سُبل الخير والنجاة . وقال الطبري في تفسيره (٥/ ٤٢١) : ((ولا تأثم نفْس آثمة بإثم نفْس أخرى غَيرها ، ولكنها تأثم بإثمها ، وعليه تُعَاقَب دون إثم أخرى غَيرها)) .

٢_ التمييز ضد الأجانب

عقائدُ التَّوراة المُحرَّفة تعتمد على مبدأ مركزي وثابت ، وهو التمييز بين اليهودي وغير اليهودي ، والتفريق بين بني إسرائيل وبين الآخرين . فاليهودُ يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار، وصَفوته مِن خَلْقه ، أمَّا الآخرون فهُم أجانب وأغيار وبشر أصحاب منزلة وضيعة ومكانة حقيرة . ووَفْق هذا التمييز، تتَّضح طريقةُ التعامل . ففي [تَثْنية ٢٣ : ٢٠] : ((للأجنبي تُقرِض ربًا ولكنْ لأخيك لا تُقرِض ربًا)) اهـ . هذا النصُّ التَّوراتي اخترعه علماء اليهود من بنات أفكارهم ، لتحقيق مصالحهم الشخصية ، وتحويل أهوائهم الذاتية إلى عقيدة دينية . وقضيةُ " الحرام " في التوراة نسبية . يعني أن الحرام يكون حرامًا في حالة مُعيَّنة، ويكون حلالًا في حالة أخرى . وهذا من أجل تأكيد تفوُّق العنصر اليهودي على باقي العناصر . والرِّبا مِن كبائر الذنوب ، لأنه استغلال للآخرين، وله عواقب مُدمِّرة فرديًّا وجماعيًّا ،كما أنه يُؤدِّي إلى انهيار الاقتصاد (العمود الفِقري للمجتمع).

والرِّبا حلال وجائز حَسَب التَّوراة المُحرَّفة في حالة التعامل مع الأجنبي (غَير اليهودي) . فيتم إقراض الأجنبي ربًا ، لاستغلاله ، والسيطرة على مُمتلكاته ، والتحكم به ، والهيمنة عليه ، فهو أجنبي ، ليس يهوديًّا ، ولا يَنتمي إلى بني إسرائيل ، فلا قيمة له ولا وزن . ويجب استغلالُه واحتقاره واستعباده والسيطرة عليه بشتى الوسائل . وفي حالة التعامل بين اليهودي وأخيه اليهودي، فالربا حرام وإثم كبير ، ولا يجوز لليهودي أن يُقرِض أخاه ربًا . يجب أن يُساعد أخاه من أجل سيطرة اليهود على العَالَم ، والتحكُّم بثرواته . وعندئذٍ ، يصبح اليهودُ جماعةً واحدةً قوية ومتماسكة، ذات وزن اقتصادي كبير ، وثِقل سياسي عالمي ، ويَبسطون سيطرتهم على الشعوب والدول بامتلاكهم للمال ، وسيطرتهم على الموارد الطبيعية ، وهَيمنتهم على الثروات . واليهودُ هُم أسياد المال ، والمالُ لُعبتهم في كل مراحل وجودهم ، والرِّبا هو منهجهم الاقتصادي الذي لا مَحيد عنه . وهذا يَفضح عقلية الاستغلال اليهودية النابعة من التوراة البشرية المُحرَّفة .

٣_ احتقار المرأة

اليهودُ _ على مدار تاريخهم _ يحتقرون المرأةَ ، ويَنظرون إليها كوعاء ، ويُتاجرون بجسدها لتحقيق أرباح مادية ، ومكاسب شخصية . ونظرةُ اليهودِ الدونية للمرأة مُستمدة من التوراة البشرية المُحرَّفة . وفي [تَثْنية ٢٥ : ٩] : ((تتقدم امرأةُ أخيه إليه أمام أعين الشيوخ وتَخلع نعلَه من رِجله وتبصق في وجهه)) اهـ . هذه الصورةُ التَّوراتية تُقدِّم المرأة باعتبارها كائنًا وقحًا بلا شرف ولا أدب ولا أخلاق ولا احترام. حيث إنها تقوم بأعمال مُنافية لأنوثتها ، وتتصادم مع الحِشمة والوقار. وعمليةُ خلع النعل والبصق في الوجه تدل على احتقار المرأة وازدرائها وامتهانها ، وأنها بلا أدب ولا أنوثة ، وإذا زال الأدبُ والأنوثةُ انتهى وجود المرأة . كما أن الوقاحة صفة مُنافية لأنوثة المرأة.

وفي [تَثْنية ٢٥ : ١١و١٢] : ((إذا تخاصم رَجلان بعضُهما بعضًا رَجلٌ وأخوه وتقدمت امرأةُ أحدهما لكي تُخلِّص رَجلَها من يد ضاربه ومدَّت يدَها وأمسكت بعَورته فاقطع يدها ولا تُشفق عينُكَ)) اهـ . تُقدِّم التوراةُ البشريةُ المُحرَّفةُ المرأةَ ككائن شهواني شرس وآلة جنسية مهووسة . وهذا النصُّ التوراتي مُفكَّك وغير مترابط، ويتعارض مع العقل والمنطق ، لأنه يتحدَّث عن مُخاصمة رَجُلَيْن ، وتقدُّم امرأة أحدهما لتخليصه وإنقاذه ومُساعدته ، ثُمَّ ينتقل الحديثُ فجأةً وبلا مُقدِّمات إلى مَسْك المرأة لِعَوْرة الرَّجل ! . ولا يوجد ترابط بين هذين السِّيَاقَيْن . ولكنها محاولة تَوراتية خُرافية لتصوير المرأة كوحش جنسي مهووس،وتفكيرها محصور في عَوْرات الرجال وتحقيق الرغبة، وقضاء الشَّهوة ، والحصول على اللذة. وما هي النتيجة ؟ . النتيجةُ هي قطع يدها بلا شفقة ولا رحمة ، معَ أن اليهود هُم سماسرة الجنس عبر مراحل التاريخ المختلفة ، وهُم الذين حوَّلوا المرأةَ إلى وعاء وجسد وآلة جنسية،وتاجروا بها،من أجل الحصول على المال والنفوذ والهيمنة والسيطرة.

٤_ غَباوة الشعب

في [إشَعْياء ١ : ٣] : ((الثَّورُ يَعرف قانيَه والحمارُ مَعْلَفَ صاحبه . أمَّا إسرائيلُ فلا يَعرف . شعبي لا يَفهم)) اهـ . لقد قامت التوراةُ على تقديس الشعب اليهودي ، واعتباره شعب الله المختار، وصَفوة الله مِن خَلْقه . ولكن هذه النص يَكشف حقيقة مُفادها أن الشعب اليهودي يمتاز بالغباء وعدم الفهم وغياب المعرفة . وهذا يعني أن اليهود قَوم مُتخلِّفون ليس لديهم عقول ولا فهم.وهذا يَنسف خرافة " شعب الله المختار "، لأن الله لا يختار شَعْبَه من الأغبياء والفاشلين.

٥ـ احتقار النِّعَم

إن اليهود غارقون في نِعَم الله ، وقد تفضَّلَ اللهُ عليهم ، وأحسنَ إلَيهم ، ولكنهم لم يُقدِّروا النِّعَمَ الإلهية ، وأنكروا فضلَ الله ، ولم يعترفوا بنَعمه وعطاياه وآلائه وفضله وكرمه . وهذا يدل على غرورهم واستكبارهم وعنادهم واحتقارهم للنِّعَم الإلهية ، ورفض شُكر الله عليها . وإنكارُ النِّعَم يعني عدم الاعتراف بفضل المُنْعِم ، وهو الله سُبحانَه وتعالى .

وفي [حِزْقِيال ٤ : ١٢] : ((وتأكلُ كعكًا من الشَّعير . على الخُرْءِ الذي يَخرج من الإنسان تَخبِزه أمام عيونهم)) اهـ . يتجلى احتقارُ نِعَم الله وإهانتها وازدرائها وعدم الاعتراف بفضل الله تعالى. فالكعكُ مِن الشعير نِعمة إلهية ، وهو نوع من الطعام . وبدلًا مِن شُكر الله على هذه النعمة، فإن التَّوراة البشرية المُحرَّفة تقول بضرورة أن يتم خَبْز هذه الكعك على الخُرْء (فضلات الإنسان التي تَخْرج مِنه) . وينبغي أن تتم عملية الخَبْز بهذه الشكل القبيح المُقَزِّز أمام عيون الناس . وهذا مُنتهى كُفران النِّعمة وجحودها وإنكارها . وهذه العمليةُ السَّيئة تتعارض مع كافة الشرائع السماوية والأرضية ، وتدل على الخِسَّة والوقاحة والدناءة والخِزي والعار والضلال ، وتشتمل على إهانة نِعمة الله واحتقارها ، وإنكار فضل الله ، ورفضَ حَمْده وشُكره . وهذا النص التَّوراتي في غاية الوقاحة والسُّوء والقذارة . وهو يدل على تحريف التوراة بشكل واضح ، كما يدل على أخلاق اليهود الدنيئة ، وغرقهم في الوساخة والقذارة ، وابتعادهم التام عن الإيمان والنظافة والاحترام . وهذا النصُّ التَّوراتي الجنوني يكشف قذارةَ اليهود المعنوية والمادية ، وأنهم أنجاس غارقون في الكفر والضلال والدناءة والوقاحة وارتكاب كبائر الذنوب أمام أعين الناس . فهل يُعقَل أن كتابًا سماويًّا يقول بِخَبْز الكعك على الخُرْء (فضلات الإنسان التي تخرج منه) أمام عيون الناس ؟ .

هذا النص يُقدِّم صورةً حقيقيةً لليهود وعقائدهم وأخلاقهم وطريقة حياتهم . إنهم غارقون في الكفر والضلال ، وبعيدون عن النظافة والمظهر الجميل الجذَّاب ، ويَعشقون القذارةَ والوساخة والدناءة، ويَعْملون جاهدين لنشر الضلال والقذارة في كل المجتمعات ، وهذا يدل على نجاسة اليهود ، وأنهم قَوم بلا شرف ولا كرامة ولا أخلاق ولا قِيَم ولا مبادئ . وهذا ليس تَجَنِّيًا عليهم ، ولا كذبًا عليهم . ولكنه تفسير لنصوصهم الدينية التي يُقدِّسونها ، ويَعتبرونها وَحْيًا إلهيًّا، وهي عبارة عن نصوص قائمة على الكفر والضلال والقذارة واحتقار النِّعَم الإلهية . ونحنُ ندرس شخصية اليهود من خلال كتابهم المُقدَّس (التوراة المُحرَّفة) ونصوصهم الدينية المُعْتَمَدَة لَدَيهم .

سابعًا : الأوصاف الجنسية

١ـ ربط الجِنس بالأنبياء

تَزعم التوراةُ البشـريةُ المُحرَّفةُ أن العبيد اقترحوا على النبيِّ داودﷺ أن يُحضِروا له فتاةً كي يستمتع بها . ففي [الملوك الأول ١ : ٢] : ((فقال له عبيدُه لِيُفَتِّشوا لسيِّدنا المَلِك على فتاة عذراء فلتقفْ أمام المَلِك ولتكنْ له حاضنةً ولتضطجعْ في حِضنك فيدفأ سَيِّدُنا المَلِك)) اهـ .

التوراةُ كتاب جنسي غارق في الشهوات والنزوات واللذات . وتَمَّ إلصاق الهوس الجنسي بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام لتشويه سيرتهم العطرة ، وتلويث شرفهم وأخلاقهم الحميدة . تُقدِّم التوراةُ المُحرَّفةُ النبيَّ داود ﷺ كشخص شهواني وزِير نساء ، تفكيره محصور في النساء والاستمتاع بهنَّ عاطفيًّا وجنسيًّا ضمن الوسائل المُحرَّمة والمجالات غير الشرعية .

وَفْقَ النص التوراتي الخرافي ، إن العبيد يَعْلَمون أن داود زير نساء ، ويَعرِفون أنه غارق في الشهوات الجنسية المُحرَّمة ، لذلك اقترحوا عليه بكل وقاحة وقذارة أن يُفتِّشوا له عن فتاة عذراء، وتقف أمامه ، ولتكن له حاضنة ، تُحيطه بالحب والعِشق والحنان ، وتضطجع في حِضنه ، فيشعر داود بالدِّفء.وداود لم يُنكِر عليهم، ويَبدو_ مِن خلال النص _ أن الفكرة أعجبته ، ووافقَ عليها. وهذا طعنٌ واضح في النبيِّ داود ﷺ ، وإهانة له ، وكذب عليه ، وتلويث لسُمعته العطرة وشرفه الرفيع . إن الأنبياء _ بلا استثناء _ هُم القُدوة العُليا ، والمَثَل الأسمى . اختارهم اللهُ وعصمهم ، وكلَّفهم بحمل أمانة الوَحْي ، وشرَّفهم بذلك ، وقد قَضَوا حياتهم في الدعوة إلى توحيد الله ، بكل أمانة ونزاهة وشرف وأدب واحترام . وهُم مُنَزَّهون عن الأخلاق الدنيئة ، والصفات القبيحة ، ومعصومون مِن كُل شيء يَقْدَح في النُّبُوَّة مُنذ ميلادهم حتى وفاتهم . والنبيُّ داود ﷺ مِن أنبياء بني إسرائيل الكرام ، وهو رمز الشرف والأخلاق والمبادئ . وقد كذبَ اليهودُ عليه ، وكذبت التوراةُ المُحرَّفةُ عليه . والطعنُ في شرف الأنبياء وتصويرهم كأشخاص غارقين في الشهوات الجنسية المُحرَّفة ، واللذات الحِسِّية الدنيئة ، هو دليل واضح على تحريف التَّوراة وتغيير نصوصها . فهل أنزلَ اللهُ التوراةَ على النبيِّ مُوسى ﷺ لفضح الأنبياء ، والطعن في شرفهم ، وتلويث سُمعتهم ، وتصوير الواحد منهم كزير نساء ، لا هَمَّ له إلا الاستمتاع الجنسي المُحرَّم ؟ . وهل جاء الأنبياء لهداية البشرية إلى التوحيد والحق والخير أَم جاؤوا لنشر الرذيلة والقذارة والشهوات المُحرَّمة ؟ .

٢_ الثَّديان

يُعْتَبَر ثَدْيا المرأة منطقة حسَّاسة ، ولهما دور مركزي في العملية الجنسية بين الرَّجل والمرأة . والثديانُ مِن أبرز المناطق المثيرة للشهوة الجنسية في المرأة ، كما أنهما يُثيران شهوةَ الرَّجل ، ويُغذِّيان خياله الجنسي . لذلك ، ركَّزت التوراةُ المُحرَّفةُ عليهما ، في سَعْيها الدؤوب لتحويل الإباحية إلى دِين ، والجِنس إلى شريعة ، والشهوة الجنسية إلى فكرة عقائدية . والجنسُ ونشر الرذيلة والإباحية والدعارة والاستثمار القذر في جسد المرأة ، وتعريته ، والمتاجرة به ، كُلُّها ألاعيب يهودية على مدار التاريخ . واليهودُ أسوأ مَن حوَّل جسدَ المرأة إلى سِلعة ، وأعضاءها إلى بضاعة، من أجل تحقيق المكاسب المادية، وجَنْي الأرباح ، وبسط النفوذ والسيطرة على الشعوب.

في [نشيد الأنشاد ١ : ١٣] : ((بَيْنَ ثَديَّ يَبيت)) اهـ . تُقدِّم التوراةُ المُحرَّفةُ صورةً حِسِّية لصدر المرأة . فالرَّجل يَبيت بَيْنَ ثَدييها ، كي يَشعر بالسكون والأمان . وهنا ، تبرز مركزية الثَّديين كمكان لاستيعاب الرَّجل ، وتوفير الراحة له ، فهو لم يجد مكانًا أفضل مِن المبيت بين الثديين اللذين يُمثِّلان مركزية إغراء المرأة ، ومنطقة الإغواء الرئيسية ، ومنبع الشهوة الجنسية .

وفي تفاسير أهل الكتاب ، معنى ((بَيْنَ ثَديَّ يَبيت)): أي إن العريس ملتصق بها وموجود في حِضنها ، أي في وسطها ، ويُشير هذا الى الوجود الإلهيِّ وسط جماعة إسرائيل ! .

وفي هذا السياق تحضرني مقولتان : الأولى _ عُذر أقبح مِن ذَنْب ، والثانية _ جاء يُكحِّلها عَمَاها . إن علماء أهل الكتاب وقعوا في حرج شديد بسبب العبارات الجنسية الإباحية الشهوانية المكشوفة المفضوحة، فراحوا يخترعون التأويلات الجنونية البعيدة عن الحق والصواب والمنطق، لإزالة الحرج ، ومحاولة تحسين صورة كتبهم الدينية القائمة على الجنس والابتذال والفساد والانحلال الأخلاقي .

يعتقد علماء أهل الكتاب (أو بعضهم) أن قضية مَبيت الرَّجل بين ثَدْيَي المرأة _ كما ورد في النص التَّوراتي الجنسي _ تعني التصاق العريس بالمرأة وعِشقه لها وعدم قُدرته على الابتعاد عنها ، ولا التَّخلي عن الاستمتاع بها ، ولا التوقف عن اشتهاء جسدها . لذلك ، فالعريس ملتصق بجسد المرأة ومرتبط بها بشكل عُضوي ، وموجود في حِضنها (وسطها) . وما هو المعنى الرمزي لهذا الوضع الجنسي الشهواني المفضوح ؟ . يُشير هذا إلى الوجود الإلهيِّ وسط جماعة إسرائيل!. وهذه الهرطقة القائمة على الكفر والضلال والوقاحة والكذب ، تدل على انهيار عقائد اليهود

والنصارى ، وكذبهم على الله ، ومحاولتهم البائسة تحويل المعاني الجنسية الإباحية الشهوانية إلى رموز دينية إيمانية مليئة بالعبادة والطاعة والتقوى . وهذا أمرٌ في غاية الغرابة والعَجَب ، ولا يقول به عاقل.ولا يَعرِف المرء هل يضحك أَم يبكي من هذا التفسير الجنوني الذي يتعارض مع الشرائع، ويتصادم مع العقل والمنطق . ألا توجد رموز دينية في التَّوراة للدين والإيمان والتقوى أفضل من ثَدْيَي المرأة ، والمبيت بينهما ، والاستمتاع بهما ، والحصول على اللذة والدفء والشهوة ؟ . ومُنذ متى كان ثَدْيا المرأة مِن الرموز الدينية الإيمانية للعلاقة بين الخالق والناس ؟ . هذا أمرٌ مرفوض نقلًا وعقلًا، وضِد العقل السليم، ويتصادم مع دَلالات اللغة، ولا يتوافق مع معاني الإيمان.

وفي [نشيد الأنشاد ٤ : ٥] : ((ثَدياكِ كَخِشفَتَيْ ظَبْية تَوْأمَيْن يرعيان بين السُّوْسَن)) اهـ . تغرق التوراةُ المُحرَّفةُ في الأوصاف الجنسية الإباحية السَّيئة ، وتُصوِّر ثَدْيَي المرأة كخشفتي ظبية (غزالتَيْن صغيرتَيْن) تَوْأمين يرعيان بين السُّوْسَن ، وتتحرَّكان بكل حرية ، دُون تهديد ولا خطر . وهذا المعنى الجنسي الشهواني يُلْصِق بِثَدْيَي المرأة فكرةَ التحرر والحركة بأريحية وحرية ، بلا قيود ولا ضغوطات . وهذه دعوة صريحة إلى الفساد الأخلاقي ، والإباحية ، والأخلاق الدنيئة . والتوراةُ المُحرَّفةُ تدعو المرأةَ إلى التحرر من كل القيود ، والانفلات الأخلاقي ، وعدم الالتزام بالشرائع والأخلاق . وينبغي أن يكون الثديان في منتهى الحرية ، ولهما كامل الحق في الحركة والانطلاق. والثديانُ هُما مركز الشهوة الجنسية ، وهُما قلب المنطقة الحسَّاسة للمرأة . وهذه المنطقة تقوم على عُنْصُرَي الإغراء والإغواء. والتوراةُ المُحرَّفةُ تلعب بالشهوات الجنسية ، وتُتاجر بجسد المرأة، وتُحرِّر أعضاءها الحسَّاسة من كل القيود والمعاني الإنسانية . وهذا يستلزم بالضرورة تمرُّد المرأة على مجتمعها ، ورفض الشرائع والقيم والأخلاق والمبادئ ، بدعوى الحرية والتحرر والانطلاق وحقوق المرأة . والتركيزُ على الثديين وتصويرهما كغزالين ، يدل على سُرعة الحركة ، وسهولة الانطلاق ، وسلاسة التَّحرك ، بلا قَيْد أو شَرْط ، وبدون أي وازع ديني ، ولا رادع أخلاقي .

يقول علماء أهل الكتاب إن الثديين هُما رمز للتطور والنضوج والنمو ، وهُما هُنا رمز للنضوج والنمو الروحي ، وهُما أيضًا رمز التغذية ، أي تغذية الآخرين ونموهم . وتَمَّ تقديم العهدين القديم والجديد كثديين ترضع منهما الكنيسة وتتقوَّت بهما . فإن الكنيسة أيضًا صار لها العهدان كثديين يتقوَّت بهما أولادها ! .

هذا التفسيرُ الجنوني غارق في الكفر والضلال والجهل بالشرائع ودَلالات اللغة ومنطق العقل. إن علماء أهل الكتاب يعتبرون التوراة (العهد القديم) والإنجيل (العهد الجديد) كثديين

في صدر امرأة ، ترضع مِنهما الكنيسة ، وتتغذّى ، وتتقوّى ، وتَكْبر . وهذه الهرطقة مكشوفة ومفضوحة . فمن المستحيل تشبيه كتاب سماوي بثدي المرأة الذي هو رمز الشهوة والشَّبق والإغراء والإغواء واللذة والاستمتاع . لقد أنزلَ اللهُ الكتبَ السماوية على أنبيائه الكرام العِظام ، لهداية الناس إلى الحق والخير والصواب ، وليس لإضلالهم ونشرِ الانحلال الأخلاقي بينهم . والكتبُ السماوية منبع النور والهدى والأخلاق الحميدة ، ولا يمكن تشبيه كلام الله بثدي المرأة . هذا كفر بَواح ، وضلال واضح ، وكذب على الله وكُتبه وأنبيائه .

وفي [نشيد الأنشاد ٧ : ٧] : ((قامتُكِ هذه شبيهةٌ بالنخلة وثَدياكِ بالعناقيد)) اهـ . تمتاز النخلةُ بالقوة والصلابة والطول والاستقامة والامتداد، ولها جُذور قوية راسخة ، وضاربة في الأرض. إن قامة هذه المرأة شبيهة بالنخلة ، مِن حيث الامتداد والقوة والطول الفارع ، كما أن ثدييها كبيران وضخمان ، لذلك تَدَلَّيا _ بسبب ثِقلهما وامتلائهما_ كالعناقيد (جَمْع عُنْقُود) . تَدَلَّى ثَدْياها المكتنزان باللحم ، والمليئان بالحليب ، كالقُطوف المُمْتَلِئة المُثقَلة ، والتي تنتظر مَن يأخذها ويَقطفها . والعُنْقُودُ اسم لكل ما يُقطَف . وتشبيهُ التوراةِ الجنسية المُحرَّفة للثديين بالعناقيد يدل على أن الثديين كبيران ومُمتلئان ، ولا يوجد ما يُمسكهما ، لذلك تَدَلَّيا مِن الثِّقل والامتلاء . كما أنهما ينتظران رَجُلًا يأخذهما ويَقطفهما ، مِن أجل الاستمتاع بهما ، والحصول على اللذة والشَّهوة والغذاء الحِسِّي والمعنوي . وهذه أفكار شهوانية جنسية إباحية تُقدِّمها التوراةُ المُحرَّفة لإضلال الناس ، ونشر الفساد الأخلاقي ، وتعميم الابتذال والانحلال والقذارة والدناءة في كل تفاصيل المجتمع . وتحويلُ هذا الكلام الدنيء إلى نصوص دينية مُقدَّسة ، مِن أجل إضفاء الشرعية عليها ، ونيل المُبارَكة والقَبول ، بلا نكير ولا مُعارَضة . وهذا يُشير إلى الهدف القذر لعلماء اليهود الذين حرَّفوا التوراةَ . لقد حوَّلوها إلى كتاب جنسي لجني المكاسب المادية ، وتحقيق المنافع غير المشروعة ، ونشر الضلال والفساد والزنا والإباحية والدعارة والشهوات المُحرَّمة في المجتمع . وبذلك ، يَضمنون السيطرةَ على الفرد والجماعة ، ويَبسطون نفوذهم وهَيمنتهم على المجتمع ، عن طريق إغراقه في الإغواء والإغراء والشهوات المُحرَّمة والإباحية .

هل أنزلَ اللهُ التوراةَ على النبيِّ مُوسى ﷺ لنشر الكلام الإباحيِّ الشهوانيِّ ؟. هل يُعقَل أن يكون الكلام الشهواني الجنسي هو كلام الله والوَحْي السماوي المُقدَّس ؟ . والمشكلةُ أن علماء أهل الكتاب يقولون إن هذه الألفاظ الجنسية الشهوانية ذات دَلالات فكرية رمزية، وظاهرها غَير مُراد!. ألا يوجد تعبيرات أفضل من الثدي والثديين لإيصال المعنى وتقديمه للناس ؟ .

مِن المستحيل أن تكون هذه التعبيرات الجنسية الشهوانية الإباحية الفاضحة مِن كلام الله . إن الله مُنَزَّهٌ عن العيوب والنقائص . وهو سُبحانَه لا يأمر بالفحشاء . ولَم يُنزِل الكتبَ السماوية على الأنبياء لتهييج الناس جنسيًّا ، ونشر الدعارة والزنا ، وتعميم الشهوات الجنسية المُحرَّمة في المجتمعات . لقد أنزلَ اللهُ الكتبَ السماوية على الأنبياء الكرام لهداية الناس ، وإرشادهم إلى الحق والصواب ، وتوجيههم إلى سعادة الدنيا ونعيم الآخرة ، وليس لتحويلهم إلى حيوانات جنسية مُهيَّجة ، تفكيرها محصور في صُدور النساء وأجسادهن ، وكيفية الاستمتاع بالشهوات الجنسية المُحرَّمة والعبارات الإباحية .

يقول علماءُ أهل الكتاب:الثَّديان بهما يُطْعِمون الأطفال.والثديان يَرمزان للعهد القديم والجديد بهما تُشبع الكنيسةُ أولادها . والثديان هُنا مُشبَّهان بالعناقيد فهُما مَملوءان خَمْرًا رمز الفرح .

وهذا الانهيار الشامل في عقائد اليهود والنصارى ، يُشير إلى الكفر والضلال والكذب ، حيث يتم ربط الثديين (مركز الشهوة وبؤرة الإغراء) بالدين والإيمان ، وتُصبِح التوراةُ (العهد القديم) ثَدْيًا ، والإنجيل (العهد الجديد) ثَدْيًا . وهذا لا يقول به عاقل . فالتوراةُ والإنجيل كتابان سماويان (بالأصل) ، وهُما نورٌ واضح ، وهُدى ظاهر ، وحق باهر . ولا يمكن تشبيههما بأعضاء المرأة الحسَّاسة كالصدر والثديين . وعلماءُ أهل الكتاب حرَّفوا التوراةَ والإنجيلَ ، وكذبوا على الله ، وأهانوا كُتبه السماوية المُقدَّسة ، حيث شبَّهوا التوراةَ والإنجيلَ بمركز الشهوة الجنسية ، وبؤرة الإغراء والإغواء والإباحية المكشوفة والشهوانية المفضوحة . وهذه الهرطقة دليل واضح على تلاعب علماء أهل الكتاب بالنصوص الدينية ، وتحويلها إلى نصوص جنسية شهوانية لإضلال الناس ، وإغراقهم في الانحلال الأخلاقي . وتشبيهُ أيِّ كتاب سماوي بثدي المرأة هو كفر واضح ، وضلال مُبين ، وإهانة لكلام الله ، وتطاول على رُسله ، ورفض لِكُتبه . وهذا التَّشبيه مرفوض نقلًا وعقلًا ، ويتصادم مع الشرائع الدينية الصحيحة ، ويتعارض مع دَلالات اللغة وتراكيبها ، ويتعارض أيضًا معَ المنطق العقلي السليم . والنقلُ والعقلُ معًا يرفضان هذا التَّشبيه الجنسي الفَج .

في [نشيد الأنشاد ٨ : ٨] : ((لنا أُختٌ صغيرة ليس لها ثَدْيان . فماذا نصنعُ لأُختنا في يوم تُخطَب)) اهـ . إن اتِّساع صدر المرأة صِفة مرغوبة لدى الرِّجال ، والرَّجل حِينَ يَبحث عن زوجة ، فإنه يَحرص على صفاتها الجسمية ، ومِن أبرز هذه الصفات الجاذبة اتِّساع صدرها ، وامتلاء ثدييها . ويُعتبَر الثدي الكبير الممتلئ من أهم علامات الجَمَال التي تُعبِّر عن أنوثة المرأة وعنفوانها وإشراقها . والتمتعُ بثدي كبير وممتلئ وجذاب مِن أكثر الأمور التي تَحرص عليها

الفتيات. خصوصًا ، على أبواب مرحلة الخطوبة والزواج . والتَّوراةُ البشريةُ الجنسيةُ تلعب على هذا الوتر الحسَّاس . وهذه الفتاةُ الصغيرة ضامرة الصدر ، وليس لها ثَدْيان ، وهذا يدل على أنها نحيلة مهزولة . وضُمور الصدر وعدم بروز الثديين ، يعود إلى أسباب هرمونية ، أو التغذية السيئة التي تُؤدِّي إلى قِلة الوزن ، أو بسبب جينات وراثية ، أو بسبب وجود مشكلات نفسية في فترة بداية البلوغ وسِن المراهقة . وهذا الفتاةُ التي ليس لها ثَدْيان ، احتارَ أهلُها ماذا يَفعلون لها يوم تُخطَب. ولا بُد أن هذا الأمر سيُؤثِّر عليها سلبًا، ورُبما يُسبِّب لها الإحراج، وانهيار موضوع الخِطبة بالكامل.

يقول علماء أهل الكتاب في تفسير هذا النص الجنسي الشهواني : مَنْ لا ثديان لها رمز لغير المؤمنين . فالثديان يرمزان للتوراة (العهد القديم) والإنجيل (العهد الجديد). وطالما أن الأخت الصغرى بلا ثديين ، فعمل الكبرى أن تُقدِّم لها كلمة الله ، وهو ما ينقصها ! .

إن هذا التفسير الجنوني غارق في الكفر والضلال والفساد والانحلال الأخلاقي والتلاعب بالألفاظ والمعاني والرموز . لقد جَعل علماءُ أهل الكتاب ثَدْي المرأة الأيمن بمثابة التوراة ، وثَدْيها الأيسر بمثابة الإنجيل ، ولتبدأ التغذية الإيمانية العميقة ! . وعدم وجود ثديين للأخت الصغرى يعني أنها بلا دِين ولا إيمان ولا تقوى ، وعلى الأخت الكبرى التي لها ثَدْيان ، ولا تُعاني مِن أيَّة مشكلة اجتماعية ولا عُقدة نفسية أن تُقدِّم لأختها الصغرى كلمة الله ! . وبما أن الثديين يرمزان للتوراة والإنجيل ، فهذا يعني بالضرورة أن الثديين يُمثِّلان كلامَ الله . والمرأة التي تَملك ثديين كبيرين ، لا بُد أن إيمانها قوي وتمتاز بالتقوى والخشوع وتعرف كلمة الله ، وعليها أن تُقدِّم كلمة الله للمرأة التي ليس لها ثَدْيان ، لأن عدم وجود ثديين لها يعني أنها بلا إيمان ولا تقوى ، وذاهبة إلى الهلاك والعذاب . وهذا التفسيرُ يتعارض مع الشرائع الدينية الصحيحة ، ويتصادم مع العقل والمنطق. فلا يُمكن تشبيه كلام الله بثدي المرأة ، ولا يُمكن تشبيه أيِّ كتاب سماوي بثدي المرأة. ولكن علماء أهل الكتاب الذين حرَّفوا التوراةَ والإنجيلَ حوَّلوا المعاني الجنسية الشهوانية الإباحية إلى دَلالات دينية إيمانية مُتعلِّقة بالتقوى وتقديس كلمة الله . وهذا الكفر فريد مِن نوعه ، وهذا الضلال في منتهى الغرابة والعجب . وهذا دليل على تحريف أهل الكتاب لنصوصهم الدينية والكذب على الله وإهانته بتشبيه كلامه المُقدَّس بثدي المرأة ، مركز الشهوة والإغراء والإغواء .

في [نشيد الأنشاد ٨ : ١٠] : ((أنا سُورٌ وثَدْيايَ كَبُرْجَيْن)) اهـ . تُقدِّم المرأةُ نَفْسَها في هذا النص التوراتي الجنسي المفضوح كجسد متماسك وقوي، حيث إنها تَملك بُنية لحمية متراصة كالسُّور ، وهذا يعني أنها امرأة ممتلئة وتفيض بالأنوثة والعنفوان ، وهذه الصحةُ والعافيةُ انعكستا

على منظر صدرها . فهي تملك صدرًا بارزًا ومُمتلئًا ، وثَدْياها كبُرْجَيْن في الارتفاع والبروز والظهور الواضح ، لأن الأبراج تمتاز بالارتفاع والعُلُوِّ والظهور ، ويُمكن رؤيتها من مسافة بعيدة . وهذا يدل على أن التَّوراة البشرية المُحرَّفة كتاب غارق في الجنس والإباحية والشهوانية والشَّهوة والشَّبَق ، ويقوم على احتقار المرأة وامتهانها، وتصويرها كجسد شهواني، ووعاء للمُتعة،ومُجرَّد أعضاء جنسية حسَّاسة وجذَّابة ومُفعمة بالعنفوان والجَمَال ، وتمتاز بالوضوح والبروز ، بحيث لا يَخفى أمرها على أحد . وجسد المرأة في التوراة المُحرَّفة هو مركز الإغراء ، وصدرها هو بؤرة الشهوة الجنسية .

يقول علماء أهل الكتاب في تفسير هذا النص التوراتي الجنسي الفاضح، والمعنى المُراد مِنه : هناك سور بيني وبين أدناس وخطايا وشرور العالَم.وثَدْياي كبُرْجَيْن، أي: تعاظُم كلمة الله في حياتي، والبِشارة بكلمة الحق حتى تتعظَّم لدى الآخَر ، فينتشر كلامُ الله ، ويَعتز مِثل بُرج حصين .

إن علماء أهل الكتاب الذين حرَّفوا التوراةَ والإنجيلَ مُصِرُّون بشكل عجيب وغريب على تشبيه كلام الله بثدي المرأة ، وعلى تصوير الكتب السماوية بصدر المرأة . فحوَّلوا العبارات الجنسية الشهوانية الفاضحة المتعلقة بالثدي وكِبَر حجمه وبروزه الواضح ، إلى دَلالات إيمانية متعلقة بكلام الله وكُتبه المُقدَّسة . وهذه الهرطقة سيئة للغاية ، وتَحمل إهانةً لله وكلامه العظيم . ولكن الأمر يُعْتَبَر عاديًّا إذا أدركنا كُفْرَ أهل الكتاب وضلالهم وكذبهم على الله وكُتبه وأنبيائه .

وفي [حِزْقِيال ٢٣ : ٣] : ((هناكَ دُغدغت ثُدِيُّهما)) اهـ . يبدو أن هذا المسلسل الجنسي من وصف الثديين وحجمهما ودَغْدغتهما ، والاستمتاع بهما ، لا يُريد أن يَنتهيَ . وبشكل عام إن سِفر حِزقِيال ، الأصحاح الثالث والعشرون، قائم على وصف أثداء امرأتَيْن زانيتَيْن(أُهُولَة الكبيرة وأُهُولِيبة أختها) وكيفية الزنا بهما ومُضاجعتهما . وكُل هذه العبارات الجنسية الفاضحة تُشير بوضوح إلى تحريف التوراة والتلاعب بنصوصها وتغييرها وتبديلها . ولا يوجد عاقل يُمكن أن يتخيَّل أن يكون كلامُ الله ألفاظًا جنسية وقحة ومكشوفة ومفضوحة . والكتبُ السماويةُ هي كلام الله ، وهي مُنَزَّهة عن النقائص والعيوب والسُّوء . أمَّا التوراةُ المُحرَّفة ، فهي كتاب بشري جنسي ، لإضلال الناس ، ونشر الفساد والانحلال الأخلاقي بينهم ، من أجل تحقيق مصالح شخصية .

٣_ الفَخذان والسُّرة

في [نشيد الأنشاد ٧ : ١و٢] : ((دوائرُ فَخْذَيْكِ مثلُ الحَلِيِّ صَنعةِ يَدَيْ صَنَّاع . سُرَّتُكِ كأسٌ مُدوَّرة لا يُعْوِزها شرابٌ ممزوج)) اهـ .

ركّزت التوراةُ المُحرَّفةُ على النصف الأعلى للمرأة (الصدر والثديين) . والآن جاءَ الدَّور للتركيز على النصف الأسفل للمرأة (الفَخذين والسُّرة) . وتسليطُ الضوء على فَخذَي المرأة وسُرَّتها في غاية الخطورة ، وذو دَلالة رمزية صادمة ، لأن فَرْج المرأة واقع بين الفخذين والسُّرة . وبذلك، تكون التوراةُ المُحرَّفةُ قد حَصرتْ جَسَدَ المرأة في أعضائها الجنسية الشهوانية الحسَّاسة، وهذه الفكرة تدعم توجُّه علماء أهل الكتاب الذين حرَّفوا نصوصهم الدينية ، وحوَّلوها إلى نصوص جنسية إباحية شهوانية مفضوحة ، لجذب الأتباع ، وتحقيق مصالح شخصية ، وبسط النفوذ على الأفراد والجماعات ، والهيمنة على المجتمعات عبر إغراقها في الشهوات الجنسية المُحرَّمة .

يقول علماء النصارى في تفسير هذا النص الجنسي المكشوف: دوائر فَخذيك تعني مفاصل ، وترمز إلى جمال الكنيسة في ترابطها ووَحْدتها التي يَصنعها الرُّوح القُدُس (الصَّنَّاع) . وهذه الوَحدة في نظر الله كالحَلِيّ ، وتُتَرْجَم إلى سلاسل تربط بين الجميع . والرُّوح القُدُس يجمع بين أعضاء الجسد (الكنيسة) بالمحبة . والسُّرة تُقطَع من جسد الأم ، حيث كان الطفل يحصل على غذائه، وهذا رمز لِبَدء حياة جديدة . وبالتالي ، قطع السُّرة هُنا يشير إلى أن هذه العروس (المرأة) قَطعت علاقتها بالعالَم ، ولكنه يقول : السُّرة ، وليس الفم . فهي مازالت مرتبطة بالله ، وليست حُرَّة في مصادر فرحها . والرُّوح القُدُس يُقدِّس الأحشاء الداخلية كما الخارجية ، ليكون الإنسان بِكُلِّيته للرب . وهي مُستديرة بلا بداية ولا نهاية ، أي حَملتْ سِمات السماء، أي إن عطايا السماء لها بلا نهاية . ولا يُعْوِزها شراب ، أي : لا تُعْوزها أفراح العَالَم ! .

لقد ورَّط النصارى أنفسَهم بربط الإنجيل (العهد الجديد) معَ التوراة (العهد القديم) . إن التوراةَ كتاب جنسي إباحي شهواني ، يستخدم تعبيرات جنسية مكشوفة ، تقوم على الإغراء والإغواء وتهييج المشاعر وإثارة الشهوات ودَغْدغة العواطف . وبما أن النصارى ربطوا مصير الإنجيل المُحرَّف بالتوراة المُحرَّفة ، لم يتمكَّنوا من الهرب من هذه التعبيرات الجنسية الإباحية الفَجَّة . وهذا جَعل علماء النصارى يَخترعون تأويلات بعيدة جِدًّا ، مُضحِكة ومُبكِية ، وحوَّلوا الألفاظ الجنسية الخادشة للحياء إلى تعبيرات إيمانية ، قائمة على التقوى والخشوع ، وتتعلَّق بالارتباط بالله ، وذات علاقة بالمسيح والرُّوحِ القُدُس . ولا يوجد عاقل يُمكِن أن يُصدِّق هذه الأكاذيب ، لأن الألفاظ الجنسية الإباحية الشهوانية لا يُمكن أن تكون رمزًا لمعاني الإيمان والعبادة والطاعة والتقوى والإخلاص واليقين . والضِّدان لا يَجتمعان ، والعناصرُ المتنافرة لا تلتقي. وتفسيرات علماء أهل الكتاب هي كذب على الله وأنبيائه وكُتبه ، وهِيَ ضِد الشرائع الدينية

الصحيحة، وضِد منطق العقل ، وضِد دلالات اللغة ورموزها وتراكيبها وتشبيهاتها . ومُحال أن تكون الألفاظ الجنسية الفاضحة هي كلام الله ، ودليل الإيمان والتقوى والتصديق واليقين . إن الكتب السماوية المُقدَّسة هي كلام الله ، وكلامُ اللهِ مُنَزَّه عن النقائص والعيوب والفضائح والوقاحة والشهوانية والشَّبَق والإغراء والإغواء . واللهُ أنزلَ الكتبَ السماوية على أنبيائه الكِرام العِظام ، لهداية الناس إلى الحق والصواب والإيمان ، وليس لتهييجهم جنسيًّا ، ودَغْدغة مشاعرهم ، وإشعال شهواتهم ، ونشر الفساد والانحلال الأخلاقي بينهم . وهذا الأمر واضح لكل ذِي عَقل .

٤ــ القُبُلات

في [نشيد الأنشاد ٨ : ١] : ((لَيْتَكَ كأخٍ لي الراضعِ ثَدْيَيْ أُمِّي فأجدكَ في الخارج وأُقَبِّلَكَ ولا يُخْزونني)) اهـ . كُل هَم هذه الفتاة (أو المرأة) هو اللقاء مع حبيبها وتقبيله بدون مشكلات ولا إزعاج . وتفكيرُ هذه الفتاة مَحصور في نَيْل شَهوتها ، وإشباع رَغبتها ، وقضاء حاجتها الجنسية، وإطفاء حريق العِشق في قلبها، وإنهاء توتُّرها العاطفي، وتبريد جسدها الملتهب. ويكون ذلك بتقبيل حبيبها بكل هُدوء وسلام. والتوراةُ البشريةُ المُحرَّفة تدعو إلى الفساد والانحلال الأخلاقي . وهذه دَعوة صريحة للشباب والشابات إلى إقامة علاقات غرامية وجنسية خارج إطار الزواج . والتَّقبيلُ هو المدخل إلى تكوين علاقات جنسية كاملة خارج الزواج بين الشباب والشابات.وقد أضْفَت التوراةُ المُحرَّفةُ الشرعيةَ الدينيةَ على هذه العملية الجنسية الفاسدة.

يقول علماء النصارى : نشيد الأنشاد هو سِفر شِعري ، يُوضِّح علاقة الحب بين المسيح والنَّفْس البشرية، أو بين المسيح وكنيسته التي اقتناها بدمه . وفي هذه الآية ، تُنادي عروس النشيد متمنية أن يصير الرب أخًا لها. ويكون المعنى الرمزي لهذه الآية كالتالي : لَيْتَكَ (يا رب) كأخٍ لي (المسيح بِكر بين إخوة كثيرين) الراضع مِن ثَدْيَي أُمِّي (العذراء أم جميع الأحياء) ، فأجدكَ (يا رب) في الخارج (عند خروجي من ذاتي) وأُقَبِّلك (أبادل حُبَّكَ بِحُب) ، ولا يُخزونني !.

ويقول علماء النصارى : يُمكن أن نتصوَّر إنسان العهد القديم يُصلِّي بهذه الآية ، طالبًا ومُتَمَنِّيًا (لَيْتَكَ) أن يصير الرب أخًا له . أمَّا في حالتنا (يعني حالة النصارى) ، ينبغي أن نُصَلِّيَها ونحن نقول : نشكرك ونُباركك يا رب لأنكَ صِرْتَ أخًا لي ، فقد صارَ المسيح بالفِعل أخًا لنا ، كما أوضح القِدِّيس بُولُس ! .

هذه الهَرْطقة تُشير بوضوح إلى كفر أهل الكتاب وضلالهم وغرقهم في الفساد والانهيار الشامل، وتدل على تحريف التوراة والإنجيل ، والتلاعب الواضح بالنصوص الدينية ، وتحويل المعاني الجنسية الشهوانية الإباحية الفاضحة إلى أفكار دينية مُقدَّسة ، ورموز إيمانية عظيمة . وهذا مُنتهى الكفر والضلال والانحلال الأخلاقي . ويتَّضح كذبُ أهل الكتاب على الله وأنبيائه الكِرام وكُتبه المُقدَّسة . وليس بعد الكفر ذَنْب .

يقول الفيلسوف والمُؤرِّخ الأمريكي ويل ديورانت (١٨٨٥ _ ١٩٨١) في كتابه الشهير قصة الحضارة (٣/ ٣٨٨) : ((مهما يكن مِن أمر هذه الكتابات الغرامية ، فإن وجودها في العهد القديم سِر خفي ... . ولَسْنا ندري كيف غفل أو تغافلَ رجال الدين عمَّا في هذه الأغاني مِن عواطف شهوانية ، وأجازوا وضعها في الكتاب المُقدَّس)) اهـ .

ونحنُ نقول : وشَهِدَ شاهدٌ مِن أهلها . والحقُّ ما شَهِدَت به الأعداءُ .

٥_ التَّبَرُّج والإغراء

في [إشَعْياء ٣ : ١٦] : ((وقال الربُّ مِن أجل أن بناتِ صِهْيَوْن يتشامخنَ ويمشينَ ممدودات الأعناق وغامزاتٍ بعيونهنَّ وخاطراتٍ في مَشْيهنَّ ويُخَشْخِشْنَ بأرجلهنَّ)) اهـ .

إن اليهود غارقون في الفوضى الجنسية على مدار تاريخهم. والنساءُ اليهودياتُ غَير مُنضبطات أخلاقيًّا ، وهُنَّ معروفات بالتبرُّج، ومشهورات بالإغراء والإغواء في كل مراحل وجودهن . وهذا النصُّ التَّوراتي يُوضِّح أن بنات صِهْيَوْن شامخات، وفخورات بأنوثتهن ودلالهن ودلعن وإغرائهن، ويمشين بكل غرور وتكبُّر وشُموخ . ويَغمزنَ الرجال بعيونهن ، أي إنهن يَعرضنَ أجسادهن أمام الرجال ، ويُقدِّمن أنفسهن كبضاعة رخيصة وسِلَع تافهة ، مِن أجل جذب الرجال إليهن ، كما أن مَشْيهن بعيد عن الأدب والوقار . ومِن الواضح أنهن يضعنَ خلاخيل في أرجلهن ، أو يرتدين ملابس جديدة ، لأن الخَشْخَشَة هي صَوت الحُلِيِّ أو صَوت القُماش الجديد .

والنساءُ اليهوديات (نساء بني إسرائيل) يُقدِّمنَ أجسادهن للرجال كبضاعة ، ويَعرضنَ لحومهن أمام عيون الرجال ، بحثًا عن الشهوة الجنسية المُحرَّمة ، والغريزة الحيوانية الدنيئة . وهُنَّ يستخدمنَ الإغراء كسلاح فتَّاك لجذب الرجال ، والاستحواذ على اهتمامهم ، والسيطرة على قلوبهم ومشاعرهم . وهُنَّ النِّسوة الساقطات الرخيصات ، يَعرضنَ أنفسهن للرجال مِن أجل الاستمتاع بهن ، والحصول على اللذة المُحرَّمة ، والشَّهوة العابرة ، وإطفاء نار الغريزة الحيوانية .

٦_ نشر الزنا

في [حِزْقِيَال ٢٣ : ١٩ و٢٠ و٢١] : ((وأكثرتْ زِنَاها بِذِكْرِها أيامَ صِباها التي فيها زَنَتْ بأرضِ مِصْرَ . وعَشِقَتْ مَعشوقيهم الذين لحمُهم كلحم الحمير ومَنِيُّهم كَمَنِيِّ الخيْل . وافتقدتِ رذيلةَ صِباكِ بِزَغْزغةِ المِصْريينَ ترائبكِ لأجلِ ثَدْيِ صِباكِ)) اهـ .

هذه حفلة جنسية مكتملة الأركان ، تشتمل على وصف الأحداث المحيطة بالزنا ، والعِشق المُحرَّم ، ووصف السائل المنويِّ ، وذِكر الترائب (موضع القِلادة في الصدر) . وخِتامها مِسْك بِذِكر ثَدْي الصِّبا ! . والثَّدْيُ هو اللعبة الجنسية المُفضَّلة في التوراة البشرية المُحرَّفة .

أكثرتْ هذه المرأة مِن الزنا ، ولم ترتكب هذا الإثم العظيم مَرَّةً أو مَرَّتَيْن ، وإنما مارست الزنا بكثرة ، فصارَ عادةً لها. وترافقَ الزنا مع العِشق المُحرَّم للرجال الذين لحمهم كلحم الحمير ، وهذا يدل على خشونتهم وقَسوتهم. وأيضًا، الحمار يمتاز بطول قضيبه (عُضوه الذَّكري)، ومَنِيُّهم يُشْبِه مَنِيَّ الخَيْل ، وهذا يدل على كثرة كمية السائل المنوي وشِدَّة تدفُّقه . وهذا الفيلم التوراتي الجنسي الإباحي لا يكتمل إلا بنهاية تتعلق بِزَغْزغة صدر المرأة ومُلاعبته ومُداعبته ، مِن أجل ثَدْي الصِّبا ، الذي يتمتَّع بالشَّهوة العارمة ، والعُنفوان الواضح ، والإغراء الظاهر، والإغواء الفاضح .

وهذا الكلامُ الجنسي الإباحي الرخيص ، لا يُمكن أن يكون كلامَ الله . وهل هذه هي التَّوراةُ التي أنزلها اللهُ على النبيِّ مُوسى ﷺ لهداية الناس وإرشادهم إلى الحق والصواب وسعادة الدنيا ونعيم الآخرة ؟. الجواب واضح . ولعبةُ علماء اليهود في تحريف التوراة وتبديلها وتغييرها مكشوفة ومفضوحة . وهُم لَم يكتفوا بتحريف التوراة والتلاعب بنصوصها ، وإنما حوَّلوا التوراةَ إلى حكايات جنسية إباحية فاضحة ، يخجل الإنسانُ مِن ذِكْرِها أو التلفُّظ بها . وهذا منتهى الكفر والضلال .

وفي [هُوشَع ١ : ٢] : ((قال الربُّ لِهُوشَعَ اذهبْ خُذْ لنفسكَ امرأةَ زِنًى وأولادَ زنًى لأن الأرض قد زَنت زنًى تاركةً الرب)) اهـ . وَفْق عقائد أهل الكتاب ، إن هُوشَعَ أحد الأنبياء الاثني عشر الصغار الموجودين في العهد القديم في الكتاب المُقدَّس ، وهو كاتب سِفر هُوشَع. وقد تواجدَ في إسرائيل في القرن الثامن قبل الميلاد ، حيث تنبَّأ بسقوط مملكة إسرائيل الشمالية ، ومملكة يهوذا ، بسبب خطاياها وابتعادها عن الله .

ومملكة إسرائيل، اسم مملكة جاء ذِكْرها في التَّوراة كمملكة لعشرة أسباط من بني إسرائيل. وتُذكَر في التوراة أيضًا باسم مملكة إفرايم والسامرة ، وسمَّاها باحثو التوراة بمملكة إسرائيل

الشمالية للتفريق بينها وبين المملكة السابقة لها (مملكة إسرائيل المُوحَّدة) ، التي نتج عن تقسيمها كل مِن مملكة إسرائيل الشمالية ، ومملكة يهوذا . وهذه المَمْلَكات مذكورة في التوراة بدون تأكيد علمي بأنها فعلًا كانت موجودة . أمَّا مملكة يهوذا فهي اسم مملكة جاء ذِكْرها في التوراة كمملكة لاثنين مِن أسباط بني إسرائيل ، بعدما انقسمت مملكة إسرائيل المُوحَّدة .

ومملكة إسرائيل المُوحَّدة هي اسم مملكة جاء ذِكرها في التَّوراة كمملكة لجميع أسباط بني إسرائيل الاثني عشر . سمَّاها باحثو التوراة بمملكة إسرائيل المُوحَّدة للتفريق بينها وبين مملكة إسرائيل التي انفصلت عنها لاحقًا ، إضافةً إلى مملكة يهوذا . وهذه المملكة المُوحَّدة حكمها كل مِن شاؤل ، وداود ، وسُلَيمان . وكُل هذا حَسَب عقائد اليهود وما يَعتبرونه تاريخًا لهم .

النصُّ التوراتي الخُرافي يَزعم أن الرب أمرَ نَبِيَّه هُوشَع أن يأخذ لنفْسه امرأة زِنا ، أي إن الرب يَدعو نَبِيَّه إلى الزواج من امرأة زانية ، وأن يأخذ أيضًا أولادَ زِنا ، لأن الأرض قد زَنت بشكل كامل، وانتشرت الفاحشة ، وتركوا الرَّبَّ .

وهذا كذبٌ على الله تعالى . إن الله لا يأمر بالفحشاء ، ولا يَدعو إلى الزواج من الزانيات . والأنبياءُ _ عليهم الصلاة والسلام _ معصومون من الذنوب ، ومُنَزَّهُون عن الخطايا . والتوراةُ تَعتبر هُوشَع نَبِيًّا . وإذا انتشرَ الزنا في الأرض ، وتركَ الناسُ أمرَ الرب ، هل يكون الحَل هو دَعوة الله لأنبيائه للزواج من النساء الزانيات واتخاذ أولاد الزنا ؟ .

لقد كَذَبَت التوراةُ البشريةُ المُحرَّفةُ على الله وكُتبه وأنبيائه . والتوراةُ المُحرَّفةُ تنشر الزنا ، وتَدعو إلى الفساد والانحلال الأخلاقي ، وإقامة علاقات جنسية خارج إطار الزواج . وبدلًا مِن مُواجهة التوراة لانتشار الزنا في المجتمع اليهودي ، فإنها _ أي التَّوراة _ تَدعو الأنبياء إلى الزواج بالنساء الزانيات واتخاذ أولاد الزنا ، وتَجعل هذا الضلال والانهيار الأخلاقي أمْرًا إلهيًّا يجب تنفيذه على أرض الواقع .

والتَّوراةُ المُحرَّفة غَلَّفت الدعوةَ إلى الزنا بالأوامر الإلهية والتصرُّفات النبوية والقَبول الاجتماعي، وذلك مِن أجل شَرْعنة الزنا، وجعله مُباحًا، وأمرًا عاديًّا وسهلًا وبسيطًا ، بلا مُشكلات ولا عُقد ولا رَفض ولا انتقاد له . وصارَ الكذبُ على الله وكُتبه وأنبيائه وسيلةً رخيصةً لنشر الزنا في المجتمع ، وتعميم الفساد ، وشَرْعنة الانحلال الأخلاقي باسم الدِّين . وقد تلاعب علماء اليهود بكلام الله ، وجَعلوا كلامه دَعوةً للزنا والفُجور والدعارة والرذيلة والفاحشة . وهذا مُنتهى الكفر والضلال . واللهُ مُنَزَّهٌ عن كل نقص وعَيب ، وهو سُبحانَه يأمر بالفضيلة لا الرذيلة .

وفي [هُوشَع ٣ : ١] : ((وقال الربُّ لي اذهبْ أيضًا أَحْبِب امرأةً حبيبةَ صاحبٍ وزانيةً كمحبة الرب لبني إسرائيل وهم مُلتفتون إلى آلهة أخرى)) اهـ .

هذه دعوة ربَّانية إلى حُب امرأةٍ زانية ، وتَوجيه إلهيٌّ إلى الزنا والفساد والانحلال الأخلاقي . وهذا الكلامُ الفاسدُ المنسوب إلى الرب كذبٌ مكشوفٌ ومفضوح ، لأن الرب العظيم لا يأمر بالفحشاء،ولا يَدعو إلى الزنا وحُب الزانيات ، وإنما يدعو إلى الإيمان والحق والأخلاق الحميدة.

والأمرُ لم يتوقف عند هذا الحد ، بَل أيضًا تَمَّ تشبيه حُب امرأة حبيبة صاحب وزانية بمحبة الرب لبني إسرائيل ، وهُم يَعبدون غَيره . وهذا يُشير إلى قَسوة قلوب بني إسرائيل وكفرهم وضلالهم ، وانهيارهم العَقَدي وسُقوطهم الأخلاقي . وبالإضافة إلى فسادهم وإفسادهم وأخلاقهم الدنيئة ، وصفاتهم القذرة المتعلقة بعشق الزنا وحُب الزانيات ، فقد تركوا عبادة الرب ، والتفتوا إلى آلهةٍ أُخرى . وليس بعد الكفر ذَنْب .

ونختم هذا الحديث بمقتطفات للشيخ أحمد ديدات وبعض الكُتَّاب في المواقع الإلكترونية المتخصصة في الرد على اليهود والنصارى ، معَ بعض التصرُّف : هل الكلام الجنسي الإباحي الشهواني الفاضح هو كلام الله الذي أنزله على النبيِّ مُوسى ﷺ لهداية الناس إلى الصراط المستقيم وإرشادهم إلى الإيمان ؟ . هل هذا كتاب سماوي دِيني أَم فيلم إباحي وقصص فُحش ودعارة وإباحية وخلاعة ؟. إن السُّلطات في كثير من دول العالَم تحظر طبع ونشر بعض الكتب لورود الكلام الفاحش والخارج عن الذوق العام فيها ، وهو أقل فُحْشًا مِن مِثل هذا الكلام المطبوع المنشور على صفحات " الكتاب المُقدَّس ". والعجب أنهم يدَّعون أن هذا الكلام الإباحي الطافح بالنزوة والشهوة قد ورد في"الكتاب المُقدَّس" للعِظَة والاعتبار والتفكر والتذكر والإيمان والتقوى !.

إن الناس أغنى عن مِثل هذا الفُحش والإثارة الجنسية في هذه العِظَات . وهل من المعقول أن يقرأ مثل هذا الكلام الإباحي المثبت في" الكتاب المُقدَّس" فتيان وفتيات مراهقون ومراهقات ؟!. أليس مِن الأوفق إبعاد هذا "الكتاب المُقدَّس" عن أيدي البنين والبنات؟.أليسَ هذا تصويرًا مخجلًا خادشًا للحياء والذَّوق على صفحات " الكتاب المُقدَّس " ؟! . إن السؤال الأول الذي يخطر على فكر أي إنسان عند قراءة هذه الألفاظ هو : أيُّ أب أو أُم أو مُعلِّم مُهذَّب يُمكن له أن يقول إنه لا يَخجل من التَّفَوُّه بعارات كهذه أمام أطفاله وبناته أو إنه يسمح لأطفاله بالتفوُّه بها سرًّا أو علانية؟. بَل أيُّ مُعلِّم يسمح حتى لتلاميذه البالغين بالتَّفَوُّه بها؟!. ألم يجد كاتب هذا النصوص ألفاظًا أخرى يستعيض بها عن هذه الألفاظ التي لا يختلف اثنان على وقاحتها وإباحيتها وشهوانيتها ؟! .

الفصل الرابع

دراسات منهجية في الإنجيل

تمهيد

إن الإيمان بالإنجيل الذي أنزله اللهُ على النبيِّ عيسى ﷺ رُكن من أركان الإيمان . ولكن هذا الإنجيل مفقود، ولا يُعرَف مكانه . أمَّا الإنجيل الحالي (العهد الجديد) فهو عبارة عن أناجيل مُتعدِّدة ومُتناقضة مع مجموعة أسفار ورسائل . وكُلها بلا سند تاريخي ، ولا يُعرَف تاريخ كتابتها ، وهي لِكُتَّاب مجهولين في أزمنة مختلفة ، وهذا يَجعلها غارقةً في الشُّكوك والشُّبهات والتناقضات. والجديرُ بالذِّكر أن لغة الإنجيل الأصلية هي اليونانية .

وقد أجمعَ مُؤرِّخي النصرانية (المسيحية) على أنه كان في القُرون الميلادية الأُولَى أناجيل كثيرة ، وقد اختارت الكنيسة أربعة أناجيل ، واعترفت بها ، ورفضت الباقي . والأناجيلُ الأربعة المعتمدة عند الكنيسة هي : إنجيل مَتَّى ، وإنجيل مَرْقُس ، وإنجيل لُوقا ، وإنجيل يُوحَنَّا . وقد قال علماء النصارى أنفسهم إن عقائد الأناجيل هي رأي بُولُس تحديدًا ، دُون سائر الحواريين . وهذا أمرٌ في غاية الغرابة ، فقد تَمَّ تقديس رأي بُولُس واتِّخاذه دِينًا ، وإهمال تلاميذ المسيح المقرَّبين إليه ، وهُم الدائرة الضَّيقة المحيطة بِه . وبُولُس رأس الأفعى ، وهو فَيلسوف يهودي ماكر أدخلَ الفلسفة اليونانية والمفاهيم اليهودية في الإنجيل ، وتلاعبَ بنصوص الإنجيل ، وبدَّلها وغيَّرها ، وقادَ إلى انحراف الكثيرين عن رسالة المسيح الحقيقية .

والجديرُ بالذِّكر أن ظُهور إنجيل بَرنابا ، الذي لا تعترف به الكنيسة ، وتُحاول جاهدةً إخفاءه، يُثير كثيرًا من الأسئلة ، خصوصًا أنه يَحكم لصالح المسلمين في القضايا الثلاث الخلافية ، وهي : التوحيد ، وعدم صَلْب المسيح ، ونُبُوَّة محمد ﷺ .

وهذا الأمرُ يَقُودنا إلى السؤال عن سبب تمسُّك الكنيسة بالقيم الوثنية التي قامت عليها العقيدةُ النَّصرانية ، وإصرار الكنيسة على تثبيت عقيدة تعدُّد الآلهة ، التي كانت موجودةً عند الأمم الوثنية البدائية التي انتشرت فيها النصرانية . هل بناء النصرانية على قاعدة تعدُّد الآلهة هو مُجاملة للشعوب الوثنية البدائية ومُحاولة لاستقطابها وجذبها إلى اعتناق النصرانية ؟ ، أَم أن هذه العقيدة هي مشروع تجاري استثماري للتلاعب بعقول الناس ، من أجل السيطرة عليهم ، وتحقيق مكتسبات مادية وأرباح مالية ؟. الواقعُ يقول إن هذين الهدفين معًا رَسَمَا سياسة الكنيسة ودِينها.

ومهما يكن مِن أمر ، فسوفَ يظل هناك سؤالان لا يُمكن الهرب منهما : أينَ الإنجيل الذي أنزله اللهُ على النبيِّ عيسى ؟ . وكيفَ صارَ الإنجيلُ الواحدُ أناجيلَ كثيرة مُتعارضة ومُتناقضة ؟ .

تَوطِئة فكرية وتاريخية

بدأتُ دراساتي في الإنجيل مُنذ وقت بعيد. وقد اطَّلعتُ على الأناجيل والأسفار والرسائل بعين ثاقبة فاحصة ناقدة ، وليست عين القارئ العادي . وهذا ليس غرورًا ولا تكبُّرًا ولا تَبَجُّحًا . مِمَّا أتاح لي أن أَعرض نقدي للإنجيل (العهد الجديد)، مِن خلال توضيح الكثير من التناقضات الجَلِيَّة والخَفِيَّة ، التي لا تظهر إلا لباحثٍ يريد الوصول إلى الحقيقة ، والحقيقة فقط .

ولا يخفى أن المسلمين يؤمنون بالكتب السَّماوية كُلِّها ، ويؤمنون كذلك أنها حُرِّفَتْ طوال السنوات الغابرة سِوى القرآن الكريم المحفوظ بحفظ اللهِ تعالى ورعايته وحمايته. ولا يكون المسلمُ مسلمًا إلا إذا اعتقدَ ذلك دون تردُّد أو مُجامَلة أو مُحَابَاة . قال اللهُ تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحِجْر: ٩] .

وهناك الكثير مِن علماء النَّصارى الذي يعتقدون نَفْسَ العقيدة . ومِنهم مَن يملكُ الجرأة لِقَولها ومِن ثَمَّ اعتناق الإسلام ، ومِنهم مَن يخشى فُقدانَ مكانته الاجتماعية وسُلطته ومكاسبه المادية ومنافعه الشخصية ، فَيُصِر على الباطل ، مَعَ يقينه التام بحقيقة التحريف في الإنجيل . وهؤلاء ينطبق عليهم قَول الله تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاستَيقَنَتهَا أَنفُسُهُم ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُفسِدِين ﴾ [النَّمْل : ١٤] .

والبُنية الفكرية للتحريف تستند إلى محاولاتٍ حثيثة لإقصاء الحقيقة ، وزرع الخرافات في مكانها الذي يُعمَل على تفريغه من الصواب . نحن أمامَ فلسفةٍ ترتكز إلى منظور متصدع يقوم وَفْق مبدأ الترقيع ، وإلصاق النص في نصٍّ آخر من أجل الوصول إلى المصلحة المتشعبة في الذات الإنسانية الشيطانية التي قامت بالتحريف ، وتبريره باستخدام حُجَج واهية لا تَخدَع إلا الذين يرفضون إعمال عقولهم .

والتَّحريف في الإنجيل يقودنا إلى موضوع في غاية الأهمية والخطورة وهو المُكوِّنات الفلسفية في الأناجيل والأسفار والرسائل وتركيبها العَقَدي. وهذا البحثُ لا يتم إلا بنقد الأيديولوجية الإنجيلية كخطوة ابتدائية ضرورية لهدم النصوص الإنجيلية المُحرَّفة، وبيان بشريتها، والتلاعب بها.

لا بد أن نفضح الطريقة السوسيولوجية المُؤَدْلَجَة في استخدام النصوص الإنجيلية المُحرَّفة كسيفٍ مُسَلَّط على رقاب الأتباع والعوام والرَّعاع والدَّهماء ، مِن أجل استعبادهم والهيمنة عليهم ، والسيطرة على ممتلكاتهم ، واستغلالهم روحيًّا وماديًّا .

إن علماء أهل الكتاب يُسيطرون على الأتباع والعوام عن طريق أدلجة المصطلحات الفكرية ، وصبغها بألوان خادعة ، وأقنعة زائفة ، وارتداء ثياب الزُّهد . ولأن النصوص الإنجيلية تهدف إلى إقامة قطيعة حقيقية بين الإنسان وخالقه ، وذلك بإنشاء العقبات والغموض التفكيري في الأيديولوجيات المتضادة في النَّص الموروث دون سندٍ يُعَوَّل عليه ، فإننا ندعو إلى توليد منظومة نقدية أفقية وعمودية في الكَيْنونة الإنجيلية ، التي لا تملك مُقوِّمات مُواكبة الحياة الإنسانية الراقية.

إن البشرية في حركة اجتماعية مُتسارعة لا يتَّضح مسارُها إلا بعزلِ النصارى عن تراثهم الديني المتطرِّف والمُشوَّش،ومِن ثَمَّ إرشادهم إلى توحيد الله،وعبادته بلا شريك ولا نِد ولا صاحبة ولا ولد. ولا بُد من ترسيخ الحركة التنويرية الإسلامية ، وتعزيز الثورة الفكرية الشاملة على الصعيدَيْن الفردي والجماعي . ويجب تثوير المفردات ، وجَعْل الآخر يتَّجه نَحْو نُور الحق ، وبَرْد اليقين ، ومركزية الصواب . وهذا يتطلَّب بالضرورة رفض التقليد الأعمى ، ورفض المُسلَّمات الموروثة القائمة بِحُكم الأمر الواقع ، وليس بِحُكم الدليل والحُجَّة والبُرهان .

والاتِّباعُ الأعمى القائمُ على أُسس وهمية وباطلة داخل الأوساط الدينية النصرانية ، له عواقب وخيمة وكارثية على الفرد والجماعة . والدِّين النصراني الذي لم يُقَدِّم ولن يُقَدِّم أية منهجية لخلاصِ الإنسان (الكائن الحيِّ الرئيسي على هذه الأرض) ، يتعارض _ جُملةً وتفصيلًا ، شكلًا وموضوعًا _ مع المُنجزات الحضارية ، والتقدم البشري ، والازدهار الاجتماعي ، لأن الدين النصراني إسهامات بشرية أرضية منسوبة كذبًا وزورًا إلى السَّيد المسيح ﷺ ، وقد غَلَّفَ هذا الدينُ الوهميُّ العقولَ المُعطَّلة بعقيدة الخلاصِ المتناقضة الدائرة في أفلاك الغموض والظلام ، والتي تتعارض مع العقل والمنطق ، وتتصادم مع النقل الصحيح . وبالتالي ، فمن الطبيعي أن تَعجز النصرانيةُ _ التي تُسمَّى زُورًا بالمسيحية _ عن تقديم رؤية شمولية صحيحة للدنيا والآخرةِ .

واستغلال النصرانية للمؤمنين بها مِن العوام والبُسطاء مِن أهم أسباب الثورة على الكنيسة ، وإقامة قطيعة بين الدِّين والسياسة.والكنيسة لا تَعْدُو عن كَوْنها مُخَدِّرًا للبشرِ يستنزف كُلَّ طاقاتهم، وبالتالي يظلُّ الإنسانُ رهينةً لعقلية الرُّهبان والكرادلة التي تفتقد للأسلوب المنطقي في التحرير الإنساني. ولن يحصل تحريرٌ للمرجعية الأخلاقية البشرية إلا بنزع القداسة الوهمية عن النصرانية التي تُسمَّى زُورًا بالمسيحية. ولن يحصل تكريس للبُنية المنطقية الإنسانية إلا بنزع القداسة الوهمية عن الإنجيل (العهد الجديد) ، وهو كتاب بشري مُحرَّف مُتَصَهْيِن ، بسبب ارتباطه المصيري مع التوراة (العهد القديم) ، وهي كتاب بشري مُحرَّف ، يُمثِّل منبعَ التطرف والإرهاب والصهيونية .

لقد جعلت الكنيسةُ مِن الكَينونة البشرية مادةً مُذبذبة بلا عقيدة راسخة. وكُل القيم _ وَفْق رؤية الكنيسة _ خاضعةٌ للتشويش والاستبدال والتغير . حيث تنهار إرادةُ الفرد وكيانُه إلى أن يركع أمام رجال الدِّين الكَنَسِيِّ الذين تقوم حياتهم على الاستبداد والسيطرة والهيمنة وتحقيق مصالح شخصية وبسط النفوذ على الفرد والجماعة . وبسبب هذه العناصر القاسية ، يدخلُ الفردُ في صراع مرير بينه وبين نفْسه ، وبينه وبين مجتمعه ، ولن يرتاح الفردُ مِن هذا الصراع المرير إلا بالتخلُّص مِن أعباء النصرانية (المسيحية) الثقيلة ، والبحث عن طريق آخر .

والعقائدُ الكَنسية الإنجيلية ليست فِطريةً أصيلة ، وإنما صِيَغٌ مجتمعية مُنحرفة ، وواقعة تحت سَطوة المنافع الشخصية والمكاسب المادية والولاءات الضَّيقة ، وخاضعة لِتَدَخُّل السُّلطات السياسية والدينية مِن أجل الهيمنة والسيطرة وتحقيق منافع متبادلة . وفي كل الأحوال ، يكون العوام هُم الضحايا والمجرمين في آنٍ معًا ، فهُم ضَحايا للحُكام ورجال الدِّين ، وشُركاء لهم بجهلهم وخَوفهم وخضوعهم ، والجاهلُ عَدُّو نفْسه ، والساكت عن الجريمة شريك فيها .

وعقائدُ الإنجيل البشري المُحرَّف عبارة عن وعاء يتَّسع لكل التناقضات والأضداد والمصالح السياسية الاستغلالية والمكاسب الدينية المُحرَّمة . وهذه العقائدُ خاضعة لهيمنة المَوروث السَّلبي للمرجعية الكَنَسية الجامدة والبدائية والمتطرفة .

والمشكلةُ المركزية التي جَمَّدَت العقلَ الغربي هي أن الفلسفات والمواقف المتحيزة التي تَمَّت أدلجتُها حَلَّت محل العقيدة الدينية ، بحيث صارت المفاهيمُ تُحدَّد حسب الاستعداد الوظيفي للمصلحة الفردية الأنانية . وأضحت الفلسفةُ دينًا لازمًا لأتباعها ، تُعيد صياغة البُنى التركيبية في النص الذي يُعتَبَر عند النصارى مُقَدَّسًا، وهو في الحقيقة غير ذلك . وبعد كل هذا لا نتعجب إذا رأينا موقف الكنيسة الرافض للعلومِ والمعارف ، والذي يتجلى في إحراق كتب العلماء والفلاسفة وقتلهم بأبشع الصور أو حرقهم أحياءً . وما مأساة غاليليو وإحراق كتبه إلا نقطة في بحر دمويٍّ من الإرهاب الإنجيلي النَّصي الجامد . وما يُثير السُّخرية أنه بعد مرور مئات السنين على قتله ، قامت الكنيسة الكاثوليكية بإعلان براءته مِن التُّهم المنسوبة إليه، واكتشفوا أن الخطأ في الإنجيل وعقائد علماء الدين النصارى، وليس في آراء غاليليو، وكأن الأمر نزهة على الشاطئ في نهاية الأسبوع ! .

وهذه أحداث مأساة غاليليو من موقع ويكيبيديا العربية باختصار : خلال عصر النهضة ظَهر كُل مِن عالِم الفَلَك نيكولاس كوبرنيكوس، والذي كان راهبًا صاغَ نظرية مركزية الشمس ، وَكَوْن الأرض جُرْمًا يدور في فَلَكها ، وذلك سنة ١٥٤٣ م ، وغاليليو غاليلي الكاثوليكي المتدين ،

الذي نشر نظرية كوبرنيكوس ودافع عنها بقوة على أُسس فيزيائية ، فقام أوَّلًا بإثبات خطأ نظرية أرسطو حول الحركة ، وقام بذلك باستخدام المُلاحظة والتجربة عن طريق التكنولوجيا الجديدة للتلسكوب . بعد تأسيس الكنيسة ، اعتمدت في ذلك الوقت نظريات اليونان القديمة والتي وُضِعَتْ في مرحلة ما قبل " المسيحية " مِن قِبَل بطليموس وأرِسْطُو، وهي نموذج مركز الأرض . أكَّدَ غاليليو على أن الأرض في الواقع تدور حول الشمس، فوجدَ نَفْسَه قد طعن في المؤسسة الكنسية التي كانت تعيش في صراع سياسي متواصل يُقابله صعود البروتستانتية .

حكمت المحكمة على غاليليو بالهرطقة عام ١٦٣٢ م ، بعد سنوات مِن المُراقبة ، ومشاورات مع الباباوات ، ومناقشات شفهية وخطية مع علماء الفَلَك ورجال الدين . وانتهى الأمرُ بقتله . وفي ٣١ أكتوبر ١٩٩٢ م ، قدَّمت الهيئة العلمية تقريرها إلى البابا يوحنا بولس الثاني، الذي قام على أساسه بإلقاء خُطبة، قَدَّمَ فيها اعتذارًا مِن الفاتيكان على ما جرى لغاليليو أثناء محاكمته أمام الفاتيكان . وحاولَ البابا إزالة سُوء التفاهم المتبادل بين العِلم والكنيسة . اهـ .

إن العقل المُفكِّر يُشكِّل خطرًا على السُّلطة الكنسية القمعية واستبداد رجال الدِّين الذين صاروا إقطاعيين وسماسرة وتُجَّارًا ، هَمُّهم الوحيد تحقيق المكاسب المادية والأرباح القذرة وبسط النفوذ على العوام والأتباع والجُهَّال . وقد كانت الكنيسة تملك إقطاعيات شاسعة ، وممتلكات هائلة ، في حِين أن الناس يُعانون من الفقر والجوع والمرض والحرمان . وهذا أدَّى إلى الثورة على الكنيسة ، والفصل بين الدين والسياسة ، ضمن نظام عَلماني متطرف وحاد وقاطع وصادم . وهناك مقولة شهيرة لنابليون ذات مغزى دقيق ودَلالة عميقة:((أنا مُحاط بمجموعة كَهَنَة يُردِّدون باستمرار بأن الدنيا ليست دارهم ، ومع ذلك يَضعون أيديهم على كل شيء يستطيعون الوصول إليه !)) اهـ.

هذه المقولة في غاية الأهمية ، وهي تُلخِّص حالَ رجال الدين النصارى ، فهُم يَلْبسون ثياب الورع والتقوى والزُّهد،ويُقدِّمون أنفسَهم كخُدَّام للرب، ولا حاجة لهم بمتاع الدنيا الفاني ، لأن تركيزهم على العبادة ونعيم الآخرة، في حِين أنهم يَضعون أيديهم على كل شيء، ويَسرقون البُسطاء والفقراء ، ويستغلون العوام والجُهَّال ، ويَخْدعونهم ، ويزيدون ثرواتهم المادية على حساب الأتباع الغارقين في التقليد الأعمى ، ويَبْسطون نفوذهم وهَيْمنتهم على جميع مفاصل المجتمع . إنهم يَأكلون الدنيا بالدِّين ، ويُتاجرون بِه لتحقيق مصالحهم الشخصية ، ويُوظِّفون الإنجيلَ لجمع الأتباع والمؤمنين والجُهَّال واستغلالهم وابتزازهم . وكلامهم قائم على الزهد والتواضع والتفكير بما بعد الموت، والحياة الأُخْرَوِيَّة، في حِين أن أفعالهم قائمة على السرقة والاستغلال وجمع حُطام الدنيا .

إن منهج نقد الإنجيل ونقضه يُقدِّم رؤيةً شموليةً تنويرية واضحة المعالم ، وهذه الرؤية المركزية تُسلِّط الضوءَ على هذا النظام الكهنوتي الطاغوتي المُغلَق ، مِن أجل إزالته بشكل نهائي وفعَّال ، وتطهير الأنساق المجتمعية من أعباء الكهنوت،ومشكلاتِ الطاغوت (كُل ما عُبِدَ مِن دُون الله).

ويجب على المؤسسة الكنسية النصرانية رفضُ كُل المعطياتِ القَمعية المفروضة على النَّص الإنجيلي الدخيل بشكل كامل ، وانتزاع أوهام عقيدة التثليث مِن عقول الأتباع والعوام والجُهَّال ، إذا كان هناك إرادة جادَّة للبحث عن الحق وإيجاد الحقيقة ، والوصول إلى قراءة مُنصِفة للنصوص الدينية والأحداث الاجتماعية . والمشكلة الأساسية في هذا السياق هي تغلغل الأساطير المركزية في القيم الوهمية للنصوص الإنجيلية ، وهذا يَجعل الإنجيل كتابًا بشريًّا خُرافيًّا يتماهى مع انتكاسة النصرانية التي تتم تسميتها زُورًا وبُهتانًا بالمسيحية ، مِن أجل نَيل شَرعية وهمية . وهذا الأمرُ مرفوض شكلًا وموضوعًا، ويتعارض مع النقل الصحيح والعقل الصريح . والنصرانيةُ (المسيحية) هي ديانة أرضية بشرية تُنسَب بشكل خاطئ إلى السَّيد المسيح ﷺ ، والمسيح مِنها بريء . وليست النصرانية إلا إعادة تصنيع للبُؤر الفكرية الدينية في الانحراف الأيديولوجي الأسطوري .

والنصارى يَعتبرون المسيحَ ومريم أعظم شخصيتَيْن في تاريخ النصرانية(المسيحية). وقد عظَّمهما القُرآنُ، ومَدحهما، بدون غُلُوٍّ ولا تطرُّف ، وردَّ على النصارى الغُلاة المُتطرِّفين وأفحمهم. وهناك سُورة في القُرآن باسم " مريم " ، في حين أنه لا يُوجد سِفْر في الإنجيل باسم " مريم " .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ ما المسيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إلا رسولٌ قَدْ خَلَت مِن قَبلِهِ الرُّسُلُ وأُمُّهُ صِدِّيقةٌ كانا يأكلانِ الطعامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لهمُ الآياتِ ثُمَّ انظُرْ أنَّى يُؤفَكُون ﴾ [المائدة : ٧٥] .

هذا احتجاجٌ إلهيٌّ للنبيِّ محمد ﷺ على النصارى الذين ألَّهوا عِيسى،وجَعلوه إلَهًا وابْنًا لله تعالى. وقد كذَّبهم اللهُ وفضح كُفرهم وضَلالهم. إن عِيسى عبد الله ورسوله، كسائر الرُّسل الذين أرسلهم اللهُ قَبْله . وقد أجرى اللهُ على يَدَيه المُعجِزات تصديقًا لِنُبُوَّته ، وإقامةً للحُجَّة على الناس ، كما أجرى على أيدي مَن قَبله مِن الرُّسل مِن الآيات والمُعجِزات ، تصديقًا لهم ، وتأييدًا لهم بالحُجَّة . وهذا رَدٌّ إلهيٌّ بليغ على النصارى ، واحتجاج عليهم . وإذا كان عِيسى إلَهًا بسبب ظُهور المُعجِزات على يَدَيه،فهذا يَعني أن كُل رسول جاء بالمُعجِزات هو إلَه،وأن جميع الرُّسُل هُم آلهة!. وهذا أمرٌ باطلٌ ، ومرفوض نقلًا وعقلًا ، والنصارى أنفسهم لا يَقولون به .

إن إحياء عِيسى للموتى وإبراء الأكمه (الأعمى) والأبرص ، لَم يَكن مِن صُنع يديه ، ولَم يَقُم بهذه المُعجِزات بشكل مُستقل عن إرادة الله وقُدرته ، لأن عيسى عبدٌ لله ، وليس إلَهًا .

إن اللهَ أحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص على يد عيسى ، كما جعل عصا مُوسى (الجماد) حَيَّة تسعى . وأيضًا ، لقد خلق اللهُ عِيسى مِن غَير أب ، كما خلق آدم مِن غَير أب ولا أُم .

وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٣٥٤) : ((أي : ما هو إلا رسول كالرُّسُل قَبْله ، خَصَّه اللهُ سُبحانَه وتعالى بالآيات كما خَصَّهم بها ، فإن أحيا الموتى على يده ، فقد أحيا العصا وجعلها حَيَّةً تسعى على يَد موسى عليه السلام ، وهو أعجب . وإن خَلَقَه مِن غَير أب ، فقد خلق آدم مِن غَير أب وأُم ، وهو أغرب)) اهـ . وقال ابن الجوزي في زاد المسير(٢/٤٠٤):((قَوله تعالى:﴿ ما المسيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إلا رسولٌ ﴾ فيه رَد على اليهود في تكذيبهم رِسالته،وعلى النصارى في ادِّعائهم إلهيته.والمعنى أنه ليس بإله ، وإنما حُكمه حُكم مَن سَبَقه مِن الرُّسل)) اهـ .

﴿ وأُمُّهُ صِدِّيقةٌ ﴾ . وأُمُّه مريم وصلت إلى قِمَّة الصِّدق ، فقد كانت مُؤمنة بالله ، وعابدة له ، ومُصدِّقة له.وهذه أعلى درجة وصلت إلَيها. مِمَّا يدل بوضوح على أن مريم ليست نَبِيَّةً ولا إِلَهَةً ، ولا أُمًّا للإله . وسَمَّاها اللهُ صِدِّيقةً لكثرة تصديقها بآيات الله وأحكامه وأوامره. والصِّدِّيقةُ المُبالِغة في الصِّدق،وهذا رَد على اليهود الذين اتَّهموها بالزِّنا،وهي أشرف مِن الشَّرف وأطهر مِن الطهارة.

وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ١١١) : ((فَدَلَّ على أنها ليست بِنَبِيَّة كما زعمه ابن حزم وغَيره ، مِمَّن ذهب إلى نُبُوَّة سارة أُم إسحاق ونُبُوَّة أُم موسى ونُبُوَّة أُم عيسى ، استدلالًا مِنهم بخطاب الملائكة لسارة ومريم)) اهـ .

والذي عليه جمهور العُلماء أن اللهَ لَم يَبعث نَبِيًّا إلا مِن الرجال . قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وما أرْسَلْنا مِن قَبْلِكَ إلا رِجالًا نُوحِي إلَيْهِم ﴾[النَّحْل : ٤٣] . ((وقد حكى الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله الإجماع على ذلك)) [تفسير ابن كثير (٢/ ١١١)] .

وقال الشَّوكاني في فتح القدير (٢/ ٩٣) : ((﴿ وأُمُّهُ صِدِّيقةٌ ﴾ عطف على المسيح ، أي : وما أُمُّه إلا صِدِّيقة : أي صادقة فيما تقوله ، أو مُصدِّقة لِمَا جاء به ولدها مِن الرسالة ، وذلك لا يستلزم الإلهية لها ، بَل هي كسائر مَن يَتَّصف بهذا الوصف من النساء)) اهـ .

﴿كانا يأكلانِ الطعامَ ﴾ . عيسى ومريم عَبْدان مَخلوقان مِن لحم ودم ، مِثل باقي البشر . وهُما يَحتاجان إلى الطعام للبقاء على قَيد الحياة ، وهذا دليل ضعف وعَجْز ، ومَن كان مُحتاجًا إلى شَيء لا يَكون إلَهًا،لأن الإله الحق هو الغنيُّ عن كُل شَيء، ولا يَحتاج شَيئًا.وأيضًا مَن يَأكل الطعامَ يَحتاج إلى إخراجه ، فَكيفَ يَكون إلَهًا مَعبودًا مَن يَحتاج إلى إخراج الغائط والبَوْل للبقاء حَيًّا ؟!. إنهما مِن لحم ودم وعُروق وأعصاب. يأكلان ويَشربان ويَبُولان ويَتغوَّطان ، وهذه أوصاف

البشرية الناقصة الضعيفة العاجزة ، وليست أوصاف الأُلوهية الكاملة المُقدَّسة . وهذا يدل على أنهما جِسمان مَصنوعان،والمصنوعُ لا يَكون صانعًا،والمخلوق لا يَكون خالقًا، والعبد لا يَكون إِلَهًا. وقال القرطبي في تفسيره (٦/ ٢٣٥) : ((﴿كانا يأكلانِ الطعامَ﴾ أي إنه مولود مَربوب . وَمَن وَلَدَتْهُ النساء ، وكان يأكل الطعام ، مخلوق مُحْدَث كسائر المخلوقين ، ولَم يدفع هذا أحد منهم ، فمتى يصلح المربوب لأن يكون رَبًّا ؟ . وقولهم : كان يأكل بناسوته لا بلاهوته ، فهذا منهم مُصيِّر إلى الاختلاط ، ولا يُتصوَّر اختلاط إله بغير إله . ولو جاز اختلاط القديم بالمُحْدَث لجازَ أن يصير القديم مُحْدَثًا ، ولو صَحَّ هذا في حق عيسى لَصَحَّ في حق غَيره حتى يُقال : اللاهوت مُخالِط لكل مُحْدَث)) اهـ . ﴿ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لهمُ الآياتِ ﴾ . تَعجيبٌ مِن حال النصارى الغارقين في الكُفر والضَّلال . لقد وضَّح اللهُ الآياتِ والحُجَج والبراهين والأدلة على بُطلان أُلوهية عيسى ﷺ . وبَيَّنَ اللهُ أن عيسى هو عبد الله ورسوله ، وليس إِلَهًا ، ولا ابْنًا للإله . ﴿ ثُمَّ انظُرْ أنَّى يُؤفَكُون ﴾ . ثُمَّ انظُر يا محمد كيف يُصْرَفُون عن استماع الحق وتأمُّله بعد هذا البيان الإلهيِّ الواضح . وتَمَّ تكريرُ الأمر بالنظر للمُبالَغة في التعجيب مِن كُفرهم وضلالهم ورفضهم للحق الواضح الذي لا يَحتمل التأويل . وهذا يدل على شِدَّة كُفر النصارى وعنادهم وجهلهم .

وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٣٥٤) : ((و ﴿ ثُمَّ ﴾ لِتَفَاوُت ما بين العجيبَيْن ، أي : إن بياننا للآيات عَجَب ، وإعراضهم عنها أعجب)) اهـ .

وقال الطبري في تفسيره (٤/ ٦٥٤) : ((يقول تعالى ذِكْرُه لِنَبِيِّه محمد ﷺ : انظر يا محمد كيف نُبيِّن لهؤلاء الكَفَرة من اليهود والنصارى ﴿ الآياتِ ﴾ ، وهي الأدلة والأعلام والحُجَج على بُطُول (كَذِب) ما يقولون في أنبياء الله، وفي فِرْيَتهم على الله وادِّعائهم له وَلَدًا، وشهادتهم لبعض خَلْقه بأنه لهم رَب وإله، ثُمَّ لا يرتدعون عن كذبهم وباطل قِيلهم،ولا يَنْزجرون عن فِريتهم على رَبِّهم، وعظيم جهلهم مع وُرود الحُجَج القاطعة عُذرَهم عَليهم. يقول تعالى ذِكْرُه لِنَبِيِّه محمد ﷺ : ﴿ ثُمَّ انظُرْ ﴾ يا محمد ﴿ أنَّى يُؤفَكُون ﴾ . يقول: ثم انظر مَعَ تبييننا لهم آياتنا على بُطُول قَولهم أي وجه يُصْرَفون عن بياننا الذي نُبيِّنه لهم ؟وكيف عن الهدى الذي نهديهم إليه من الحق يَضِلُّون ؟)).

إن اليهودية قائمة على الشتائم والاحتقار ، وهي تعتبر المسيحَ ابنَ زنا وساحرًا وكاذبًا ، وأُمَّه مريم زانية . والنصرانيةُ قائمة على الغُلُوِّ والتعظيم بالباطل ، وهي تعتبر المسيحَ إِلَهًا ، وابنًا لله ، وأُمَّه مريم إِلَهَة أو أُمًّا للإله . واليهوديةُ والنصرانيةُ دِينان وَضْعِيَّان بشرِيَّان باطلان . والإسلامُ الدِّين الحق قائم على الاعتدال والوسطية ، حيث إنه يَعتبر المسيح عبد الله ورسوله ، وأُمَّه صِدِّيقة .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ إذْ قالَ اللهُ يا عيسى ابنَ مريمَ اذكُرْ نِعْمتي عَلَيْكَ وعلى والدتِكَ إذْ أيَّدتكَ بِرُوحِ القُدُسِ تُكَلِّمُ الناسَ في المَهْدِ وكَهْلًا وإذْ عَلَّمْتُكَ الكِتابَ والحِكمةَ والتَّوراةَ والإنجيلَ وإذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بإذني فتنفخُ فيها فتكونُ طَيْرًا بإذني وتُبْرِئُ الأكمهَ والأبرصَ بإذني وإذْ تُخْرِجُ المَوْتى بإذني وإذْ كَفَفْتُ بني إسرائيلَ عَنكَ إذْ جِئتَهُم بالبَيِّناتِ فقالَ الذينَ كَفروا مِنهُم إنْ هذا إلا سِحْرٌ مُبِين ﴾ [المائدة : ١١٠] .

يُذكِّر اللهُ المسيحَ بنِعمته عليه وعلى أُمِّه مريم ، مِن أجل شُكر النِّعمة الإلهية . وتخصيص النبيِّ عيسى ﷺ بالذِّكْر مِن بين الرُّسُل ، لاختلاف اليهود والنصارى فيه إفراطًا وتفريطًا ، فالنصارى جَعلوه إلَهًا ، واليهود جعلوه كاذبًا . وهذا التناقض الصارخ يدل على كفر اليهود والنصارى وضلالهم ، واتِّباعهم لأهوائهم ومصالحهم الشخصية ، دُون دليل نقلي ، ولا حُجَّة عقلية . والآيةُ تُعْلي قَدْرَ المسيح وأُمِّه ، وتُوضِّح كرامتهما عند الله ، وتُبيِّن منزلتهما العظيمة في الدنيا والآخرة ، كي يَعرِف الناسُ هذا الأمر ، وتطَّلع الأممُ والشعوبُ عليه ، ولتأكيد الحُجَّة على اليهود والنصارى ، وفَضْحهم، وكشف باطلهم . فالمسيحُ ومريم عَبْدان ذليلان لله تعالى ، كريمان عليه ، خاضعان لأمره وحُكمه، تفضَّلَ عليهما، وأحسنَ إليهما . وقد اختارَ اللهُ مريم على نِساء العَالَمِين وشرَّفها . وهذا تَوبيخ لليهود الطاعنين فيهما ، الشاتمين لهما ، وتوبيخ للنصارى الذين اتَّخذوهما إلَهَيْن . والجديرُ بالذِّكر أن اعتقاد النصارى بأُلوهية المسيح ، يَستلزم بالضرورة أن تكون مريم إلَهَة ، لأن أُم الإله لا تكون إلا إلَهَة . وهذا باطل ومرفوض ، ويتعارض مع النقل والعقل والمنطق .

وقد قوَّى اللهُ المسيحَ وأعانه بالرُّوح الطاهرة المُقدَّسة جِبريل _ عليه السلام _ .

يُكلِّم المسيحُ الناسَ في المهد طِفْلًا ، وفي الكُهولة نبيًّا . أي إنه يَدعوهم إلى الله ، صغيرًا وكبيرًا . وهذه مُعجِزة إلهية باهرة تُبيِّن المكانةَ العظيمة للمسيح ، إذ إن كلامه لا يتفاوُت في الحَالَتَيْن . أمَّا الناسُ فيتفاوت كلامهم فيهما بشكل واضح وظاهر . وهذا يدل على تميُّز المسيح عن الناس . وإلحاقُ مرحلة الطفولة بمرحلة الكُهولة دليل على كمال عقل المسيح وعِلْمه وفَهْمه ، وقُدرته الفائقة على التَّكلُّم والتعبير بفصاحة وبلاغة وبيان في المَرْحَلَتَيْن بلا فَرْق . واسْتُدِل به على أن المسيح سينزل من السماء، فإنه رُفِعَ قبل أن تكتمل كُهولته . وفي تفسير البغوي (١/ ١١٦): ((قال ابن عباس:أرسله الله وهو ابن ثلاثين سنة، فمكث في رسالته ثلاثين شهرًا ثم رفعه الله إليه)).

واذكُر نِعمةَ الله عَلَيك ، إذْ علَّمك اللهُ الكتابةَ والفَهْمَ والعِلْمَ النافع والتَّوراة والإنجيل . وقد كان المسيحُ عَالِمًا بالتَّوراة ، ويحتج بها على اليهود ، بالإضافة إلى إنزال الإنجيل عليه .

وتخصيصُ التَّوراة والإنجيل بالذِّكْر لبيان شرفهما وفضلهما . واذكُر أيضًا حِينَ كُنْتَ تُصوِّر الطِّينَ كصورة الطَّير ، بإرادة الله وأمْرِه وعَوْنه وتَيسيره ، فتنفخ في صورة الطَّير فتكون طَيْرًا حيًّا مُتحركًا كسائر الطيور، بإرادة الله وأمْرِه وعَوْنه وتيسيره ، وتَشْفي الأعمى الذي لا يُبصِر والأبرص بإرادة الله وأمره وعَوْنه وتيسيره، وتُحْيي المَوْتى مِن قُبورهم بإرادة الله وأمره وعَونه وتيسيره. وتَكرير ﴿ بإذني ﴾ لبيان أن المسيح عبد الله ورسوله ، ليس إلَهًا ولا ربًّا ، ولا يَملِك مِن أمره شيئًا ، وإنما يُنفِّذ أوامرَ الله ، ولبيان أن هذه مُعجِزات أظهرها اللهُ عَلى يد المسيح دليلًا على صِدقه ، وصِحَّةِ نُبُوَّته .

وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٥٧) : ((يَذكُر تعالى ما امتنَّ به على عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام ، مِمَّا أجراه على يَدَيه مِن المُعجِزات الباهرات وخوارق العادات ، فقال : ﴿ اذكُرْ نِعْمتي عَلَيْكَ ﴾ أي : في خَلْقي إيَّاك مِن أُم بلا ذَكَر ، وجَعْلي إيَّاك آيةً ، ودَلالةً قاطعة على كمال قُدرتي على الأشياء ، ﴿ وعلى والدتِكَ ﴾ حيث جَعَلْتُكَ لها بُرهانًا على براءتها مِمَّا نَسَبَه الظالمون والجاهلون إليها من الفاحشة ، ﴿ إذْ أيَّدتكَ بِرُوحِ القُدُسِ ﴾ وهو جِبريل عليه السلام ، وجعلتك نبيًّا داعيًا إلى الله في صِغَرك وكِبَرك ، فأنطقتك في المهد صغيرًا ، فشهدتَ ببراءة أُمِّك مِن كُل عَيب ، واعترفتَ لي بالعُبودية ، وأخبرتَ عن رسالتي إيَّاك ، ودَعَوْتَ إلى عبادتي ، ولهذا قال : ﴿ تُكَلِّمُ الناسَ في المَهْدِ وكَهْلًا ﴾ ، أي : تدعو إلى الله الناسَ في صِغَرك وكِبَرك ، وضِمن ﴿ تُكَلِّمُ ﴾ تدعو ، لأن كلامه الناس في كُهولته ليس بأمر عجيب)) اهـ .

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٨٥) : ((قال كثير من العلماء : بَعَثَ اللهُ كُلَّ نبيٍّ مِن الأنبياء بما يُناسب أهلَ زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السِّحْر وتعظيم السَّحَرَة، فبعثه اللهُ بمُعجزة بَهرت الأبصارَ ، وحيَّرت كُلَّ سحَّار ، فلمَّا استيقنوا أنها مِن عند العظيم الجَبَّار ، انقادوا للإسلام، وصاروا من عباد الله الأبرار. وأمَّا عيسى عليه السلام فبُعِثَ في زمن الأطباء وأصحاب عِلْم الطبيعة ، فجاءهم مِن الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مُؤيَّدًا من الذي شَرَعَ الشريعةَ ، فَمِن أين للطبيب قُدرة على إحياء الجماد ، أو على مُداواة الأكمه والأبرص ، وبَعْث مَن هو في قَبْره رهين إلى يوم التناد ؟ . وكذلك محمد ﷺ بُعِثَ في زمان الفُصَحاء والبُلَغاء ونحارير الشُّعراء ، فأتاهم بكتاب من الله عَزَّ وَجَلَّ ، لو اجتمعت الإنسُ والجِنُّ على أن يأتوا بمِثْله أو بعَشْر سُوَر مِن مِثْله ، أو بسُورة مِن مِثْله ، لم يستطيعوا أبدًا . ولو كان بعضُهم لبعض ظهيرًا ، وما ذاك إلا لأن كلام الرَّب عَزَّ وجَلَّ لا يُشبِه كلام الخَلْق أبدًا)) اهـ . وما أجملَ قَول الشاعر مُخَاطِبًا النبيَّ محمدًا ﷺ: أخُوكَ عِيسى دَعَا مَيْتًا فقامَ لَهُ وأَنتَ أحْيَيْتَ أَجيالًا مِنَ الرِّمَمِ

واذكُر نِعمةَ اللهِ عَلَيْكَ يا عيسى ، حِين مَنع اليهودَ مِن قَتلك عندما جِئتهم بالمُعجِزات . وهذا دليل واضح على أن اليهود حاولوا جاهدين قَتْلَ المسيح ، كما قَتلوا كثيرًا مِن الأنبياء قَبْله . فقالَ الكافرون الذين كذَّبوك ، وجَحدوا نُبُوَّتَك ، وأنكَروا رسالتك : ما هذه المُعجزات إلا سِحْر واضح.

وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٥٧) : ((أي : واذكُر نِعمتي عليك في كَفِّي إيَّاهم عَنك ، حين جِئتهم بالبراهين والحُجَج القاطعة على نُبُوَّتك ورسالتك مِن الله إلَيهم ، فكذَّبوك ، واتَّهموك بأنك ساحر ، وسَعَوْا في قتلك وصَلْبك ، فَنَجَّيْتُكَ مِنهم ، ورفعتك إليَّ ، وطهَّرتك مِن دَنَسهم ، وكَفَيْتُكَ شرَّهم . وهذا يدل على أن هذا الامتنان كان من الله إليه بعد رَفْعه إلى السماء الدنيا ، أو يكون هذا الامتنان واقعًا يوم القيامة ، وعبَّر عنه بصيغة الماضي دَلالة على وقوعه لا مَحَالة ، وهذا من أسرار الغُيوب التي أطلعَ اللهُ عليها نَبِيَّه محمدًا ﷺ)) .

قالَ اللهُ تعالى: ﴿ وإذْ أوْحَيْتُ إلى الحَوَارِيِّينَ أن آمِنُوا بي وبرسولي قالوا آمَنَّا واشْهَدْ بأنَّنا مُسْلِمُون ﴾ [المائدة : ١١١] .

هذا مِن الإنعام الإلهيِّ على المسيح ﷺ والامتنان عليه.واذكُرْ يا عيسى حِين أمرتُ أصحابك، وألهمتهم ، وقذفتُ في قلوبهم التَّصديقَ بي وبرسولي عيسى بن مريم . قال أصحاب عيسى : صَدَّقْنا يا رَب بما أمَرْتَنا، واشهد بأنَّنا مُخلِصون في التَّوحيد، ومُلتزمون بالإيمان، وخاضعون لأمرك .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/٤٥٥):((وفي الوَحْي الى الحواريين قَولان: أحدهما أنه بمعنى الإلهام، قاله الفرَّاء. وقال السُّدي: قذف في قلوبهم. والثاني أنه بمعنى الأمر،فتقديره: أَمَرْتُ الحواريين،و﴿ إلى ﴾ صِلَة، قاله أبو عُبَيدة.وفي قَوله : ﴿ واشْهَدْ ﴾ قَولان : أحدهما أنهم يَعْنُون اللهَ تعالى،والثاني عيسى عليه السلام.وقَوله: ﴿ بأنَّنا مُسْلِمُون ﴾ أي مُخلِصون للعبادة والتَّوحيد)) اهـ .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ إذْ قالَ الحوارِيُّونَ يا عيسى ابنَ مريمَ هَل يَستطيعُ رَبُّكَ أن يُنَزِّلَ عَلَينا مائدةً مِنَ السماءِ قال اتَّقُوا اللهَ إن كُنتم مؤمنين ﴾ [المائدة: ١١٢]. سَأَلَ أصحابُ المسيح ﷺ : هل يُنَزِّلُ اللهُ عَلَينا مائدةً مِن السماء أَم لا ؟ . وهذا السؤال قائم على الاستخبار والتثبُّت ، ولا علاقة له بالشَّك في قُدرة الله تعالى . والحوارِيُّون مؤمنون مُخلِصون. وهُم وُزراء المسيح وأصحابه وخواصُّه. وقد نهاهم المسيحُ عن اقتراح الآيات، وطلبِ المُعجِزات.وقال ابن كثير في تفسيره(٢/ ١٥٨) : ((هذه قصة المائدة وإليها تُنسَب السُّورة فيُقال سُورة المائدة، وهي مِمَّا امتنَّ اللهُ به على عبده ورسوله عِيسى لمَّا أجاب دُعاءه بنزولها،فأنزلَ اللهُ آيةً باهرة وحُجَّة قاطعة.وقد ذَكَرَ بعضُ الأئمة أن قصتها ليست مذكورة في الإنجيل ولا يعرفها النصارى إلا من المسلمين، فالله أعلم)) .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٤٥٦) : ((قال ابن الأنباري : ولا يجوز لأحد أن يتوهَّم أن الحواريين شَكُّوا في قُدرة الله ، وإنما هذا كما يقول الإنسان لصاحبه : هل تستطيع أن تقوم معي ؟ ، وهو يَعْلَم أنه مُستطيع ، ولكنه يُريد: هل يَسْهُل عَلَيك ؟. وقال أبو علي: المعنى هل يَفعل ذلك بمسألتك إيَّاه ؟ . وزعم بعضُهم أنهم قالوا ذلك قبل استحكام إيمانهم ومعرفتهم ، فردَّ عليهم عيسى بقَوله: اتَّقُوا اللهَ أن تنسُبوه إلى عَجْز،والأول أصح.فأمَّا المائدة، فقال اللغويون: المائدة كُل ما كان عليه مِن الأخْوِنة (جَمْع خِوان) طعام، فإذا لم يكن عليه طعام فليس بمائدة. والكأس كُل إناء فيه شراب، فإذا لم يكن فيه شراب ، فليس بكأس ، ذَكَرَه الزَّجاج ... قَوله تعالى: ﴿ اتَّقُوا اللهَ إن كُنتم مؤمنين ﴾ فيه ثلاثة أقوال : أحدها اتَّقوه أن تسألوه البَلاء ، لأنها إنْ نزلت وكذَّبتم عُذِّبْتُم ، قاله مقاتل . والثاني أن تسألوه ما لم تسأله الأُمم قَبْلكم ، ذَكَرَه أبو عُبَيد . والثالث أن تَشُكُّوا في قُدرته))اهـ.وقالَ اللهُ تعالى: ﴿ قالوا نُريدُ أن نأكُلَ مِنهَا وتطمئنَّ قلوبُنا ونَعْلَمَ أن قَد صَدَقْتَنا ونكونَ عَلَيها مِنَ الشَّاهدين ﴾ [المائدة : ١١٣] . قال الحوارِيُّون (أصحاب المسيح ﷺ): طَلَبْنا نُزولَ المائدة لنأكل مِنها، وترتاح أنفسُنا، وتسكُن قلوبُنا، ونزداد إيمانًا بِنُبُوَّتك ورسالتك،ونَشهد أنها الآية الدَّالة على وَحْدانية الله ، والمُعجِزة التي تُثبِت صِدْقَكَ وصِحَّةَ نُبُوَّتك .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير(٢/٤٥٧ و٤٥٨):((قَوله تعالى:﴿ قالوا نُريدُ أن نأكُلَ مِنهَا ﴾ هذا اعتذار منهم،بَيَّنُوا به سبب سؤالهم حين نُهُوا عنه.وفي إرادتهم للأكل مِنها ثلاثة أقوال:أحدها أنهم أرادوا ذلك للحاجة وشِدَّة الجوع، قاله ابن عباس . والثاني ليزدادوا إيمانًا،ذَكَرَه ابن الأنباري . والثالث للتَّبرُّك بها، ذَكَرَه الماوردي. وفي قوله : ﴿ وتطمئنَّ قلوبُنا ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها تطمئن إلى أن الله تعالى قد بَعَثَكَ إلَينا نبيًّا . والثاني إلى أن الله تعالى قد اختارنا أعوانًا لك.والثالث إلى أن الله تعالى قد أجابك.وقال ابن عباس:قال لهم عيسى: هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يومًا ثم لا تسألونه شيئًا إلا أعطاكم؟،فصاموا ثم سألوا المائدة فمعنى:﴿ ونَعْلَمَ أن قَد صَدَقْتَنا ﴾ في أنَّا إذا صُمْنا ثلاثين يومًا لم نسأل الله شيئًا إلا أعطانا.وفي هذا العِلْم قَولان:أحدهما أنه عِلْم يَحدُث لهم لم يكن،وهو قَول مَن قال:كان سؤالهم قبل استحكام معرفتهم.والثاني أنه زيادة عِلْم إلى عِلْم ، ويقين إلى يقين،وهو قول مَن قال: كان سؤالهم بعد معرفتهم. وفي قَوله: ﴿ مِنَ الشَّاهدين ﴾ أربعة أقوال : أحدها من الشاهدين لله بالقُدرة ولك بالنُّبُوَّة. والثاني عِند بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم وذلك أنهم كانوا مع عيسى في البَرِّية عند هذا السؤال. والثالث مِنَ الشاهدين عِند مَن يأتي مِن قَوْمنا بما شَاهَدْنا مِن الآيات الدالة على أنك نبيٌّ . والرابع مِنَ الشاهدين لك عند الله بأداء ما بُعِثْتَ به)) .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ قالَ عيسى ابنُ مريمَ اللهُمَّ رَبَّنا أنزِلْ عَلَينا مائدةً مِنَ السماءِ تكونُ لنا عِيدًا لأوَّلِنا وآخِرِنا وآيةً مِنكَ وارْزُقْنا وأنتَ خَيْرُ الرازقين ﴾ [المائدة : ١١٤] .

عَلِمَ المسيحُ أن سؤال الحواريين لزيادة العِلْم واليقين ، وليس عِنادًا وتَعَنُّتًا، فقرَّر أن يَدعوَ الله، ويَطلب مِنه إنزال المائدة ، لإقامة الحُجَّة عليهم ، وإلزامهم بها ، وقطع عُذرهم .

وقال أبو السعود في تفسيره (٣/ ٩٨) : ((رُوِيَ أنه اغتسلَ ، ولَبِسَ المِسْح (كِساء مِن شَعْر) ، وصلَّى ركعتين ، فطأطأ رأسه ، وغضَّ بَصَرَه ، ثُمَّ قال : ﴿ اللهُمَّ رَبَّنا ﴾ ناداه سُبحانَه وتعالى مَرَّتَيْن ، مَرَّة بوصف الألوهية الجامعة لجميع الكمالات ، ومَرَّة بوصف الرُّبوبية المُنبِئة عن التَّربية إظهارًا لغاية التَّضَرُّع ، ومُبالَغة في الاستدعاء)) اهـ .

قال المسيحُ : اللهُمَّ رَبَّنا أنزِلْ عَلَينا مائدةً مِن السماء ، يكون يوم نُزولها عيدًا ، أي : يوم فرح وسرور لنا ولِمَن بَعْدنا ، نُعظِّمه نَحْن ومَن بَعْدنا ، وآيةً دالة على وَحدانيتك وقُدرتك ، وحُجَّة على صِدق رسولك وصِحَّة رسالته ، وارْزُقْنا رِزْقًا نستعين به على عبادتك وطاعتك ، وأعْطِنا مِن فضلك، فإنَّكَ يا رَب خَير مَن يرزُق ، وأجْوَد مَن يُعْطي ، لأنَّك الغنيُّ الحميد ، تُعْطِي الرِّزْقَ بلا مُقابل .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٤٥٨) : ((والمعنى : يكون اليوم الذي نزلت فيه عيدًا لنا نُعظِّمه ، نَحْن ومَن بَعْدنا . قاله قَتادة والسُّدي وقال كعب : أُنزِلت عليهم يوم الأحد ، فاتَّخذوه عِيدًا . وقال ابن قُتَيبة : عِيدًا أي مَجْمَعًا . قال الخليل بن أحمد : العِيد كُل يوم يَجْمَع ، كأنهم عادوا إليه . وقال ابن الأنباري : سُمِّيَ عِيدًا للعَوْد مِن الترح إلى الفرح . قَوله تعالى: ﴿ وآيةً مِنكَ ﴾ أي : علامة مِنك ، تدل على تَوحيدك وصِحَّة نُبُوَّة نَبِيِّك . وفي قَوله : ﴿ وارْزُقْنا ﴾ قَولان : أحدهما ارْزُقْنا ذلك مِن عِندك . والثاني ارْزُقْنا الشُّكْرَ على ما أنعمتَ بِه مِن إجابتك لنا)) .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ قالَ اللهُ إنِّي مُنَزِّلُها عَلَيكُم فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُم فإنِّي أُعَذِّبُهُ عَذابًا لا أُعَذِّبُهُ أحدًا مِنَ العَالَمِين ﴾ [المائدة : ١١٥] .

استجابَ اللهُ دُعاءَ المسيح ﷺ ، فقالَ : إني سأُنزِّل عليكم هذه المائدة مِن السماء . فَمَن يُكذِّب بنزول هذه الآية العظيمة ، أو يُنكِر نُبُوَّة المسيح ، أو يَجحد وَحدانيةَ الله ، فسوفَ أُعذِّبه تعذيبًا شديدًا ، لا أُعذِّب مِثْلَ ذلك التَّعذيب أحدًا من البشر . وهذا وعيد شديد ، وتهديد رهيب .

وجَرَتْ عادةُ الله أن كُل مَن طَلَبَ آيةً وأُعْطِيَها ، ثُمَّ كفر ، فإنَّه يُعذَّب عذابًا شديدًا بلا مُهْلَة ولا فُرصة ثانية. وقد أنزلَ اللهُ المائدةَ على بني إسرائيل أيام عيسى بن مريم ، إجابةً مِن الله لدعائه ، وإكرامًا له ، وتصديقًا لنُبُوَّته ورسالته ، وتفضُّلًا على أصحابه .

وعن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ : ((أُنزِلت المائدةُ من السماء خُبْزًا ولَحْمًا ، وأُمِرُوا أن لا يَخُونوا،ولا يدَّخروا لغدٍ، فخانوا، وادَّخروا، ورفعوا لغدٍ، فمُسِخوا قِرَدَةً وخنازير))[٢٥٢].

خَالَفَ بعضُهم الأمرَ الإلهيَّ ، فعاقبهم اللهُ ، وعذَّبهم ، بأن غيَّر صُوَرَهم الإنسانية ، ونقلهم إلى حالة سيِّئة ، حيث مُسِخُوا قِرَدَةً وخنازير ، جزاء مَعصيتهم ، وإعراضهم عن طاعة الله تعالى .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٤٦٢) : ((وقد ذَكَرَ المُفسِّرون أن جماعةً مِن أصحاب المائدة مُسِخُوا . وفي سبب مَسْخهم ثلاثة أقوال : أحدها أنهم أُمِرُوا أن لا يَخُونوا ولا يدَّخروا ، فخانوا وادَّخروا ، فمُسِخُوا قِرَدَةً وخنازير ، رواه عمَّار بن ياسر عن النبيِّ ﷺ . والثاني أن عيسى خَصَّ بالمائدة الفقراءَ ، فتكلَّمَ الأغنياءُ بالقبيح مِن القَول ، وشكَّكوا الناسَ فيها وارتابوا ، فلمَّا أمسى المُرتابون بها ، وأخذوا مضاجعهم ، مَسَخَهم اللهُ خنازير ، قاله سلمان الفارسي . والثالث أن الذين شاهدوا المائدة ورجعوا إلى قومهم فأخبروهم، فضحك بهم مَن لم يشهد، وقالوا: إنما سَحَرَ أعينكم ، وأخذ بقلوبكم ، فمن أراد اللهُ به خَيْرًا ثبت على بصيرته، ومن أراد به فِتنةً ، رجع إلى كُفره ، فلعنهم عيسى ، فأصبحوا خنازير، فمكثوا ثلاثة أيام ثُمَّ هَلكوا ، قاله ابن عباس)).

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وإذْ قالَ اللهُ يا عيسى ابنَ مريمَ أأنتَ قُلْتَ للناسِ اتَّخِذُوني وأُمِّيَ إلَهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ قالَ سُبْحانَكَ ما يكونُ لي أنْ أقولَ ما لَيْسَ لي بحقٍّ إن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما في نفْسي ولا أعْلَمُ ما في نَفْسِكَ إنَّكَ أنتَ عَلَّامُ الغُيُوب ﴾ [المائدة : ١١٦] .

هذا القَول إنما يكون يوم القيامة ، حيث يُخاطب اللهُ عَبْدَه ورسوله عيسى بن مريم على رؤوس الأشهاد ، تَوبيخًا للكافرين (النصارى) ، وتَقريعًا لهم ، لِيَعْلَموا أنهم كانوا على الباطل ، قائلًا : يا عيسى بن مريم ، أأنتَ دَعَوْتَ الناسَ إلى عبادتك واتِّخاذك وأُمِّك إلَهَيْن مَعْبُودَيْن مِن دُون الله ؟ . وقد سأله اللهُ وهو أعْلَم ، مِن أجل تَوبيخ الكافرين ، وفضحهم ، وكشف باطلهم . والآيةُ تحمل تهديدًا شديدًا للنصارى . وقد أرادَ اللهُ أن يَعترف عيسى بعُبوديته لله ، ويُقِر بذلك بنفْسه ، لِيَسْمَع النصارى ، ويَظهر كذبهم وباطلهم ، ويتم فضحهم أمام الناس. وهذا مُنتهى الخِزي والعار . قال عيسى : أُنزِّهك يا رَب عن كُل ما لا يَليق بِك ، ما ينبغي أن أدَّعِيَ منزلةً ليست لي ، أو أقول قَوْلًا

---

٢٥٢ رواه الترمذي في سُننه (٥/ ٢٦٠) . وقال القرطبي في تفسيره (٦/ ٣٤١) : ((إن لم يَصِح مرفوعًا ، فصحَّ موقوفًا عن صحابي كبير ، والله أعلم . والمقطوع به أنها نزلت ، وكان عليها طعام يُؤكَل ، والله أعلم بتعيينه)) .

لا يحق لي أن أقوله . إن صَدَرَ مِنِّي هذا القَول فقد عَلِمْتَه ، وهذا اعتذار مِن عيسى وبراءة مِن ذلك القَول ، واعتراف منه بأنه عبد لله ، خاضع لأمره ، ومُستسلم لحُكمه ، وليس إلَهًا ولا ربًّا . والآيةُ تدل على أدب المسيح وأخلاقه الحميدة ، واعترافه بذُلِّه وانكساره وخُضوعه لله تعالى .

واللهُ يَعْلَم كُلَّ شيء ، ولا يَخفى عليه شيء . واللهُ يَعْلَم أن عيسى لم يَقُلْ هذا الكلام ، ولكن سأله توبيخًا للنصارى الذين اتَّخذوا عيسى إلَهًا ، وتقريعًا لهم . تَعْلَم ما أُخفيه ، ولا أعْلَم ما تُخْفِيه، إنَّكَ العَالِمُ بالخفايا والأسرار ، تَعْلَم ما هو كائن ، وما كان ، وما يكون ، وما لم يَكُن .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٤٦٣ و٤٦٤) : ((ولفظ الآية لفظ الاستفهام ومعناها التوبيخ لِمَن ادَّعى ذلك على عيسى . قال أبو عبيدة : وإنما قال : ﴿ إلَهَيْنِ ﴾ لأنهم إذ أشركوا فِعل ذَكَر مع فِعل أنثى غَلَبَ فِعل الذَّكر ، ذكَّروهما . فإن قِيل : فالنصارى لم يتَّخذوا مريم إلَهًا، فكيف قالَ اللهُ تعالى ذلك فيهم ؟ . فالجواب أنهم لمَّا قالوا لم تلد بشرًا ، وإنما وَلدت إلهًا، لزمهم أن يقولوا إنها من حيث البَعضية بمثابة مَن ولدته، فصاروا بمثابة مَن قاله. قَوله تعالى: ﴿ قالَ سُبْحانَكَ ﴾ أي بَراءة لك مِن السُّوء ، ﴿ ما يكونُ لي أنْ أقولَ ما لَيْسَ لي بحقٍّ ﴾ أي : لَسْتُ أستحق العبادة ، فأدعو الناس إلَيها ، وروى عطاء بن السائب عن مَيسرة قال : لمَّا قال اللهُ تعالى لعيسى : ﴿ أأنتَ قُلْتَ للناسِ اتَّخِذُوني وأُمِّيَ إلَهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ ﴾ رعد كل مَفصِل منه حتى وَقع مخافة أن يكون قد قاله ، وما قال : إنِّي لم أقل ، ولكنه قال : ﴿ إن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾ فإن قِيل : ما الحكمة في سؤال الله تعالى له عن ذلك وهو يَعْلَم أنه ما قاله ؟ ، فالجواب أنه تثبيت للحُجَّة على قَومه ، وإكذاب لهم في ادِّعائهم عَلَيه ، أنه أمرهم بذلك ، ولإنه إقرار من عيسى بالعَجْز في قَوله: ﴿ ولا أعْلَمُ ما في نَفْسِكَ ﴾ وبالعُبودية في قَوله : ﴿ أنِ اعبُدوا اللهَ رَبِّي ورَبَّكُم ﴾ . قَوله تعالى : ﴿ تَعْلَمُ ما في نفْسي ولا أعْلَمُ ما في نَفْسِكَ ﴾ . قال الزَّجاج : تَعْلَم ما أُضْمِره ، ولا أعلم ما عِندك عِلْمُه . والتأويل : تَعْلَم ما أعْلَم ، وأنا لا أعْلَم ما تَعْلَم)) اهـ .

وروى الترمذي في سُننه (٥/ ٢٦٠) وصحَّحه : عن أبي هريرة قال : تلقَّى عيسى حُجَّته ، ولَقَّاه اللهُ في قَوله : ﴿ وإذْ قالَ اللهُ يا عيسى ابنَ مريمَ أأنتَ قُلْتَ للناسِ اتَّخِذُوني وأُمِّيَ إلَهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ ﴾ . قال أبو هريرة عن النبيِّ ﷺ : ((فلقَّاه اللهُ ﴿ سُبْحانَكَ ما يكونُ لي أنْ أقولَ ما لَيْسَ لي بحقٍّ ﴾ ـ الآية كُلها ـ)) .

علَّم اللهُ عيسى حُجَّته القائمة على تنزيه الله عمَّا لا يليق به من الشريك وغَيره . وهذا تكذيب للنصارى الذين ألَّهوا عيسى ، ونسبوا إلَيه الأكاذيب والخرافات .

وقالَ اللهُ تعالى: ﴿ ما قُلْتُ لَهُم إلا ما أمَرْتَني بِهِ أنِ اعبُدوا اللهَ رَبِّي ورَبَّكُم وكُنتُ عَلَيهم شهيدًا ما دُمْتُ فِيهِم فلمَّا تَوَفَّيْتَني كُنتَ أنتَ الرقيبَ عَلَيهِم وأنتَ على كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٧].

قال عيسى بن مريم : ما قُلْتُ للناس إلا ما أمرتني بإبلاغه وإيصاله إلَيهم ، وهو : اعبدوا اللهَ وَحْدَه،خالقي وخالقكم، فأنا عبد الله ورسوله . وهذا اعترافٌ مِن عيسى بعُبوديته لله ، وخُضوعه له ، واستسلامه لأمره وحُكمه ، وأنه ليس إلَهًا ولا ربًّا . والجديرُ بالذِّكر أن عيسى وَضَعَ القَول مَوضع الأمر﴿ ما قُلْتُ لَهُم إلا ما أمَرْتَني بِهِ ﴾ ، تعظيمًا لله، وتأدُّبًا معه، لكيلا يَجعل نَفْسَه وربَّه آمِرَيْن معًا. وهذا يعني أن الأمر على الحقيقة لله وَحْدَه ، وأن دَور الأنبياء مَحصور في تنفيذ أوامر الله تعالى .

وكُنتُ أشهد على أعمالهم عندما كُنْتُ موجودًا بين أظْهُرهم ومُقيمًا فيهم ، فلمَّا رفعتني إلى السماء ،كُنتَ يا الله العَالِمَ بهم ، والحافظ لهم، والحفيظ لأعمالهم، والشاهد عليها ، وأنتَ عَالِم بكل شيء ، ومُطَّلع عَلَيه ، ومُرَاقِب له ، ولا يَخفى عليك شيء . وقال الطبري في تفسيره (٥/ ١٣٩) : ((وهذا خبر من الله تعالى ذِكْرُه عن قول عيسى . يقول : ما قُلْتُ لهم إلا الذي أمرتني به مِن القَول أن أقوله لهم ، وهو أن قُلْتُ لهم : ﴿ اعبُدوا اللهَ رَبِّي ورَبَّكُم وكُنتُ عَلَيهم شهيدًا ما دُمْتُ فِيهِم ﴾ . يقول : وكُنْتُ على ما يفعلونه وأنا بين أظْهُرهم شاهدًا عليهم ، وعلى أفعالهم وأقوالهم . ﴿ فلمَّا تَوَفَّيْتَني ﴾ يقول : فلمَّا قبضتني إلَيك ﴿ كُنتَ أنتَ الرقيبَ عَلَيهِم ﴾ يقول : كُنْتَ أنتَ الحفيظَ عليهم دُوني ، لأني إنما شَهِدْتُ مِن أعمالهم ما عملوه وأنا بين أظْهُرهم . وفي هذا تِبيان أن الله تعالى ذِكْرُه إنما عرَّفه أفعالَ القَوم ومقالتهم بعد ما قبضه إليه وتوفَّاه بقَوله: ﴿ أأنتَ قُلْتَ للناسِ اتَّخِذُوني وأُمِّيَ إلَهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ ﴾ . ﴿ وأنتَ على كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ . يقول : وأنتَ تشهد على كُل شيء ، لأنه لا يخفى عليك شيء ، وأمَّا أنا فإنما شَهِدْتُ بَعْضَ الأشياء ، وذلك ما عاينتُ وأنا مُقيم بين أظْهُر القَوم ، فإنما أنا أشهد على ذلك الذي عاينتُ ورأيتُ وشَهِدْتُ)) اهـ .

والقُرآنُ أبطلَ عقيدةَ تأليه المسيح ، وأبطلَ عقيدةَ التَّثليث التي تعتبر أن الله إله في ثلاثة أقانيم إلهية (الآب ، الابن ، الرُّوح القُدُس) . والأقانيم الثلاثة مُستقلة ، ولكنها واحدة في المادة والجوهر والطبيعة.وفي هذا دَلالة واضحة على بُطلان عقائد النصارى الغارقين في الكفر والضلال.

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ فآمِنوا باللهِ ورُسُلِهِ ولا تقولوا ثلاثةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُم إنَّما اللهُ إلَهٌ واحدٌ سُبحانَهُ أن يَكُونَ لَهُ ولدٌ لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ وكفى باللهِ وكيلًا ﴾[النِّساء : ١٧١].

يأمرُ اللهُ بالتَّصديق بوَحدانيته ، وعبادته وَحْده بلا شريك ، وتصديقِ رُسله الكرام الذين بلَّغوا دَعوة التوحيد ، وعدم التثليث في العقيدة لأنه ضِد النقل والعقل .

والتثليث اعتقادُ تعدُّد الآلهة ، وأن الآلهة ثلاثة (الله والمسيح ومريم) . أو القَول إن الله ثلاثة أقانيم (الآب والابن والرُّوح القُدُس) . وهُم يَقصِدون بالآب الذات ، والابن العِلْم ، والرُّوح القُدُس الحياة. إن اللهَ إلهٌ واحد، لا يتعدَّد . واحدٌ في ذاته ، وواحد في صفاته ، وواحد في أفعاله. وهو الخالق. وكُل ما سِواه مخلوق. ولا يُعقَل أن يكون الإلهُ مُرَكَّبًا ، أو تُضاف إليه التراكيب المخلوقة . فهو _ سُبحانَه _ قديمٌ ، وما سِواه حادث ، وُجِدَ بعد إذ لَم يكن . وأساسُ الدِّين هو العقيدة ، فإن سَقطت سَقط الدِّينُ كُلُّه. والنصارى لا يَملكون عقيدةً متماسكة، وهذا جعلهم طوائف مختلفة، ومتناقضة ، ومُتحاربة . انتهوا عن التثليث أيها النصارى ، وآمِنُوا بوَحدانية الله ، يكن ذلك خيرًا لكم . إن اللهَ إلهٌ واحد ، لا شريك له ، ولا نِد ، ولا صاحبة ، ولا ولد ، وليس ثالث ثلاثة كما تزعُمون . تعالى اللهُ أن يكون له ولد ، وتَنَزَّه عن ذلك . ولله ما في السماوات وما في الأرض،خَلْقًا ومِلْكًا وعبيدًا، لا يُشبِه شيئًا ، ولا يُشبِهه شيء، ولا يُماثله شيء حتى يتَّخذ ولدًا ، فاللهُ غنيٌّ عن كل شيء ، ولا يحتاج شيئًا. واللهُ وَحْدَه خالق الكَوْن ومُدبِّر شُؤون الخَلْق، فلا يحتاج إلى ولد يُعينه ويُساعده ، لأنه مالك كُل شيء . وكفى بالله قائمًا بتدبير الخَلْق ، غنيًّا عنهم .

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٧٨٤) : ((وقَوله : ﴿ فآمِنوا باللهِ ورُسُلِهِ ﴾ أي : فصَدِّقوا بأن الله واحد أحد ، لا ولد له ، ولا صاحبة ، واعلموا وتيقَّنوا بأن عيسى عبد الله ورسوله ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ولا تقولوا ثلاثةٌ ﴾ لا تجعلوا عيسى وأُمَّه مع الله شريكَيْن ، تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا ... . فالنصارى عليهم لعائن الله ، مِن جهلهم ليس لهم ضابط ولا لكفرهم حَد ، بل أقوالهم وضلالهم مُنتشر ، فمِنهم مَن يَعتقده _ أي المسيح _ إلَهًا ، ومِنهم مَن يعتقده شريكًا ، ومِنهم مَن يعتقده ولدًا . وهُم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة ، وأقوال غير مُؤتلفة ، ولقد أحسنَ بعضُ المتكلمين حيث قال: لو اجتمع عشرة من النصارى ، لافترقوا على أحد عشر قَوْلًا . ولقد ذَكَرَ بعض عُلمائهم المشاهير عندهم ،وهو سعيد بن بطريق بترك الإسكندرية ، في حدود سنة أربعمائة من الهجرة النبوية ، أنهم اجتمعوا المجمع الكبير الذي عَقدوا فيه الأمانة الكبيرة التي لهم ، وإنما هي الخيانة الحقيرة الصغيرة ، وذلك في أيام قُسْطَنْطِين باني المدينة المشهورة ، وأنهم اختلفوا عليه اختلافًا لا ينضبط ولا ينحصر ، فكانوا أزْيَد مِن ألفين أُسقفًا ، فكانوا أحزابًا كثيرة ، كُل خمسين مِنهم على مقالة ، وعِشرون على مقالة ، ومائة على مقالة ، وسبعون على مقالة ، وأزيد من ذلك وأنقص . فلمَّا رأى منهم عُصابة قد زادوا على الثلاثمائة بثمانية عشر نَفَر ، وقد توافقوا على مقالة ، فأخذها المَلِك ونصرها وأيَّدها ، وكان فيلسوفًا داهية ، ومَحَقَ ما عداها من الأقوال ،

وانتظم دست أولئك الثلاثمائة والثمانية عشر ، وبُنِيَت لهم الكنائس ، ووَضعوا لهم كُتبًا وقوانين، وأحدثوا فيها الأمانة التي يُلَقِّنُونها الوِلدان مِن الصِّغار ليعتقدوها ، ويُعمِّدونهم عليها ، وأتباع هؤلاء هم المَلْكانية ، ثم إنهم اجتمعوا مَجْمَعًا ثانيًا ، فحدث فيهم اليَعقوبية ، ثم مجمعًا ثالثًا فحدث فيهم النُّسطورية ، وكُل هذه الفِرَق تُثبِت الأقانيم الثلاثة في المسيح ، ويختلفون في كيفية ذلك ، وفي اللاهوت والناسوت على زعمهم هل اتَّحدا أو ما اتَّحدا ، أو امتزجا ، أو حَل فيه ، على ثلاث مقالات ، وكُل منهم يُكفِّر الفِرقةَ الأخرى ، ونحن نُكفِّر الثلاثة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ انتَهُوا خَيْرًا لَكُم ﴾ أي : يَكُنْ خَيْرًا لكم ، ﴿ إنَّما اللهُ إلَهٌ واحدٌ سُبحانَهُ أن يَكُونَ لَهُ ولدٌ ﴾ أي: تعالى وتَقَدَّسَ عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا ، ﴿ لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ وكفى باللهِ وكيلًا ﴾ أي: الجميع مِلْكه وخَلْقه ، وجميع ما فيها عبيده ، وهُم تحت تدبيره وتصريفه ، وهو وكيل على كُل شيء ، فكيف يكون له منهم صاحبة وولد ؟)) اهـ .

إن عقيدة النصارى شديدة الارتباك والاختلاط . وذلك لأن مدارها حول " أُلوهية المسيح ". وهذا الأمر مُضاد للنقل والعقل ، فلا يمكن أن يكون المسيحُ المخلوقُ إلَهًا . فالمسيحُ ﷺ يأكل ويشرب ، ويَذهب إلى الخَلاء . فكيف يمكن للإله أن يَبول ويتغوَّط ؟! .

والنصارى أرادوا تعظيمَ المسيح فَرَفعوه فوق قَدْره . ولا شك أن مكانته عظيمة ، فهو العبد الصالح ، والنبيُّ الطاهر ، والرسول الكريم ، يتشرَّف بعبادة الله تعالى ، ويتبرَّأ مِمَّن جَعلوه إلَهًا . ولكن النصارى لم يَكتفوا بِنُبُوَّته ، ولم يَقتنعوا بأنه عبد الله ورسوله ، فجعلوه إلَهًا وابْنًا لله ، وشريكًا له . وهذا غُلُوٌّ واضح ، وتطرُّف ظاهر ، وكُفر صارخ . كما أن النصارى يعتقدون أن المسيح قد صُلِبَ . فكيف يمكن لهذا " الإله المصلوب " الذي عَجز عن حماية نَفْسه أن يدافع عن المؤمنين به ؟! . وفي [مَتَّى ٢٧ : ٣٠ و٣١] : ((وبصقوا عليه وأخذوا القَصَبة منه وضربوه بها على رأسه . وبعدما أوسعوه سُخرية نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه وساقوه إلى الصَّلْب)) .
فما هذا الإله الذي يُبصَق عليه ، ويُضرَب ، ويُسخَر مِنه ، ويُساق إلى الصَّلْب والموت ؟! .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ لَن يَسْتَنكِفَ المسيحُ أن يَكُونَ عبدًا للهِ ولا الملائكةُ المُقَرَّبُونَ ومَن يَسْتَنكِفْ عَن عِبادتِهِ ويَستكبِرْ فَسَيَحْشُرُهُم إلَيْهِ جميعًا ﴾ [النِّساء : ١٧٢] .

لن يتكبَّر المسيحُ الذي جَعلته النصارى إلَهًا أن يَكون عبدًا ذليلًا لله ، وخاضعًا له . وهذا يُبطِل أُلوهيةَ المسيح المزعومة ، لأن الإله الحق لا يَكون عبدًا لأحد ، ولا خاضعًا لأحد . وأيضًا ، الملائكة الذين قرَّبهم اللهُ ، وشرَّفهم ، ورَفَعَ قَدْرَهم، لَن يَستنكفوا أن يكونوا عبيدًا لله تعالى .

وفي هذا دليل على وَحدانية الله ، وأنه وَحْدَه الإله الحق المُنفرِد بالأُلوهية والرُّبوبية ، بلا شريك . والآيةُ تردُّ على النصارى الذين اعتبروا المسيحَ إلَهًا ، وابنًا لله ، وعبدوه . وتردُّ على مُشركي العرب الذين اعتبروا الملائكة بنات الله ، وعبدوهم. ومَن يتكبَّر عن عبادة الله ، فسيبعثهم يوم القيامة ، ويَجمعهم للحساب والجزاء .

شرفٌ عظيم للمسيح والأنبياء والملائكة أن يكون عبيدًا لله ، وهذا مُنتهى العِز والمجد . والخِزْيُ والعارُ في عُبودية غَير الله تعالى.وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٢٦٢ و٢٦٣) : ((قَوله تعالى : ﴿ لَن يَسْتَنكِفَ المسيحُ أن يَكُونَ عبدًا لِله ﴾ . سبب نزولها أن وفد نَجْران وَفَدُوا على رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا محمد ، لِمَ تَذْكُرُ صاحبَنا ؟ ، قال : " ومَن صاحبُكم ؟ " ، قالوا : عيسى ، قال : " وأيُّ شَيء أقول له ؟، هُوَ عبد الله " . قالوا : بل هو الله ، فقال : " إنه ليس بعارٍ عليه أن يكون عبدًا لله "، قالوا : بلى. فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس.قال الزَّجاج معنى يستنكف يأنف. قَوله تعالى: ﴿ ولا الملائكةُ المُقَرَّبُونَ ﴾ قال ابن عباس: هُم حَمَلة العَرْش)) .

وعن أبي موسى ــ رضي اللهُ عنه ــ قال : أَمَرَنا رسولُ الله ﷺ أن ننطلق إلى أرض النجاشيِّ ، فبلغ ذلك قُرَيْشًا ، فبعثوا إلى عمرو بن العاص وعُمارة بن الوليد ، وجمعوا للنجاشيِّ هدايا ، فَقَدِمْنا ، وقَدِموا على النجاشيِّ ، فَأَتَوْهُ بهدية ، فقَبِلها ، وسجدوا له ، ثم قال عمرو بن العاص : إنَّ قَوْمًا مِنَّا رَغِبوا عَن دِيننا ، وهُم في أرضك . فقال لهم النجاشيُّ : في أرضي ؟ ، قال : نعم . قال : فَبَعَثَ إلَيْنا . فقال لنا جعفر : لا يتكلم مِنكم أحد ، أنا خطيبكم اليوم ، فانتَهَيْنا إلى النجاشيِّ ، وهو جالس في مجلسه ، وعمرو بن العاص عن يمينه ، وعُمارة عن يساره، والقِسِّيسُون مِن الرُّهبان جُلوسٌ سِمَاطَيْن ، فقال له عمرو وعُمارة : إنهم لا يَسجُدون لك ، فلمَّا انتَهَيْنا إليه ، زَبَرَنا مَن عِنده مِن القِسِّيسين والرُّهبان ، اسجُدوا للمَلِك . فقال جعفر : لا نَسْجُدُ إلا لله ، فقال له النجاشيُّ : وما ذاك ؟ ، قال : إن الله بَعَثَ فِينا رسوله ، وهو الرسول الذي بشَّر به عيسى برسول يأتي مِن بَعده اسمه أحمد ، فأَمَرَنا أن نعبدَ اللهَ ، ولا نُشرِكَ به شيئًا ، ونُقيمَ الصلاةَ ، ونُؤتِيَ الزكاة ، وأمَرَنا بالمعروف ، ونَهَانا عن المُنكر . قال : فأعجبَ الناسَ قَوْلُه ، فلمَّا رأى ذلك عمرو قال له : أصلحَ اللهُ المَلِكَ ، إنهم يُخالفونك في عيسى ابن مريم ، فقال النجاشيُّ لجعفر: ما يقول صاحبك في ابن مريم ؟ . قال : يَقول فيه اللهُ : هو رُوح الله وكلمته ، أخرجه مِن البَتُول العَذراء ، لم يَقْرَبْها بَشَر . قال : فتناولَ النجاشيُّ عُودًا من الأرض ، فرفعه ، فقال : يا مَعْشَرَ القِسِّيسين والرُّهبان ، ما يزيد هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذه ، مرحبًا بكم ، وبِمَن جِئتم مِن عِنده ، فأنا

أشهد أنه رسول الله ، وأنه الذي بشَّر به عيسى ابن مريم ، ولَوْلا ما أنا فيه مِن المُلْك ، لأتَيْتُهُ حتى أحْمِلَ نَعْلَيْه ، امْكُثوا في أرضي ما شِئتم . وأمرَ لهم بطعام وكِسْوة ، وقال : رُدُّوا على هَذَيْن هديتهم [٢٥٣] .

حاولت قُرَيش مُحاصرة الدَّعوة المُحمَّدية الإسلامية ، لمنع انتشارها ، فأرسلت اثنين مِن كُبار الدُّهاة معَ الهدايا التي تُرقِّق القلوبَ، وتجذب النُّفوس ، في مُحاولة لاستمالة النجاشيِّ ، ودفعه لتسليم المؤمنين . وقد سجدوا للنجاشيِّ ، وهُم مُعتادون على السُّجود للأصنام والأوثان ، باعتبارهم مُشركين وثنيين لا دِين لهم . وقد نَجَحَ جعفر بن أبي طالب _ رضي اللهُ عنه _ في عَرْض القضية بأسلوب جذَّاب ، وشرح العقائد الإسلامية بشكل واضح وجميل . وفي هذا دَلالة واضحة على أهمية الدُّعاة المُؤهَّلين عِلْميًّا وأخلاقيًّا للدفاع عن الإسلام والمسلمين .

ومِن الواضح أن علماء النصارى كانوا على عِلْم ومعرفة بالنبيِّ محمد ﷺ ، وأنه الذي بشَّر به النبيُّ عيسى ﷺ . ولا شَك أنهم كانوا يَقرؤون عن صِفة محمد في كُتبهم الدينية . والقِسِّيسون والرُّهبان لَدَيهم علوم دينية ، و معرفة باللغات ، ومُطَّلعون على الكتب والشرائع والتعاليم ، وليسوا أشخاصًا عاديين مِن عامَّة الشعب .

وموقف النجاشيِّ _ رضي اللهُ عنه _ كان رائعًا ومُشَرِّفًا . فقد أعلنَ الحقَّ بوضوح ، وأظهرَ الحقيقةَ مُدَوِيَّةً أمام رجال الدِّين وحاشيته ورَعِيَّته ، ولم يَخْشَ انقلابَ الناس عليه، أو فقدان عُرشه، أو خسارة مُلْكه، فهو ليس شخصًا عاديًّا مِن عامَّة الشعب، وإنما هو مَلِك (رأس النظام السياسي وقِمَّة الهرم الاجتماعي) . ولم يَخَفْ مِن اتِّهامه بالخروج على العقيدة والعادات والتقاليد والتراث ، لأن الحق _ بالنسبة إليه _ أحق أن يُتَّبَع . وهذا الموقف النبيل يدل على التَّحَرُّر مِن التقليد الأعمى وسَطْوةِ الجماهير ، كما يدل على الفِكر الخَلَّاق ، والتَّفكير البَنَّاء ، وبُعد النظر ، واتِّباع الأدلة والبراهين والحُجَج ، وتحليلها معَ الاستنتاج،والبحث عن الحق بإخلاص وتجرُّد ، وإيثار نعيم الآخرة الباقي على حُطام الدنيا الفاني .

---

٢٥٣ رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٣٨) برقم (٣٢٠٨) ، وقال : ((هذا حديث صحيح على شرط الشيخَيْن ، ولم يُخرجاه ، وإنما خرَّجته في هذا الموضع اقتداءً بشيخنا أبي يحي الخفاف ، فإنه خرَّجه في قَوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَن يَسْتَنكِفَ المسيحُ أن يَكُونَ عبدًا للهِ ﴾)) . وقال الذهبي في التلخيص : ((على شرط البُخاري ومُسلم)) .

وقالَ اللهُ تعالى: ﴿ لقد كَفَرَ الذينَ قالوا إنَّ اللهَ هُوَ المسيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُل فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيئًا إن أرادَ أن يُهْلِكَ المسيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وأُمَّهُ وَمَن في الأرضِ جميعًا ﴾[المائدة : ١٧] .

ذَمَّ اللهُ النصرانية والنصارى ، وكشفَ عقيدتهم الفاسدة، وفضح كُفرهم وباطلهم، وسُخف عقولهم. فقد زعموا أن الله حَلَّ في ذات عِيسى ، وأن عِيسى إلَه . والحقُّ أن عِيسى هو عبدُ الله ورسوله ، وخَلْقٌ مِن خَلْقه . فكيف يصيرُ المخلوقُ إلَهًا ؟! . وكيف يصير المصنوعُ صانعًا ؟! .

وقِيل إن اليعقوبية (فِرقة من النصارى) هُم الذين قالوا هذه المقولة الكُفرية الشنيعة . وقِيل : لَم يَقُل أحد من النصارى بذلك ، ولكن عقيدتهم الباطلة تستلزم ذلك، لأنهم يَعتقدون أن اللاهوت (الطبيعة الإلهية) حَلَّ في الناسوت (الطبيعة البشرية) ، يعني أن في عِيسى لاهُوتًا ، وأن الله تعالى قَد حَلَّ فيه. ووَفْق كلامهم الفاسد، فإن الله هو عيسى المسيح، لذلك نَسَبَ اللهُ إلَيهم لازم قَولهم ، وبَيَّنَ جهلهم ، وفضح كُفرهم ، وأظهرَ للناس عقيدتهم الباطلة [٢٥٤].

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٣١٧): ((قال ابن عباس : هؤلاء نصارى أهل نَجْران، وذلك أنهم اتَّخذوه إلَهًا)) اهـ .

قُل يا محمد لهؤلاء النصارى الغارقين في كُفرهم وضلالهم تكذيبًا لهم : فَمَن يَستطيع أن يَمنع اللهَ إن أرادَ إهلاكَ عِيسى وأُمِّه والناس كُلِّهم ؟ . مَن يَقْدِر على إيقاف أمرِ اللهِ إذا جاءَ بتعذيب عيسى وأُمِّه والناس كُلِّهم ؟ . مَن يَمنع مِن قُدرة الله ومشيئته شَيْئًا إن أراد إهلاكَ عِيسى وأُمِّه ومَن في الأرض جميعًا ؟ . لا أحد يَستطيع أن يَمنع اللهَ أو يُوقِف أمْرَه . وهذا يعني أن الله وَحْدَه هو الإله الحق، وأن عيسى مخلوق فانٍ وعبد مَقهور خاضع للهِ تعالى. والمخلوقُ الفاني المقهورُ لا يَكون إلَهًا . والاستفهامُ في الآية ﴿ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيئًا ﴾ للتوبيخ والتقريع .

وهذا دليل واضح على بُطلان أُلوهية عِيسى المزعومة . ولو كان عيسى إلَهًا لاستطاعَ تخليص نفْسه من الموت ، ودافعَ عن نَفْسه وأُمِّه إذا جاء أمرُ الله بإهلاكهما . وتَمَّ تخصيص عِيسى وأُمِّه

٢٥٤ قال أبو حيان في البحر المحيط(٣/ ٤٤٨): ((ذَكَرَ سُبحانه أنَّ مِن النصارى مَن قال : إن المسيح هو الله ، ومنهم مَن قال : هو ابن الله ، ومنهم مَن قال : هو ثالث ثلاثة . وَمِن بَعض اعتقاد النصارى استنبط مَن تَسَتَّرَ بالإسلام ظاهرًا وانتمى إلى الصُّوفية حُلول الله في الصور الجميلة ، وَمَن ذَهب مِن مَلاحدتهم إلى القَول بـ (الاتحاد والوَحدة) كالحلاج والصفَّار وابن اللبَّاج وأمثالهم ، وإنما ذَكَرْتُهُم نُصْحًا لِدِين الله ، وقد أولعَ جَهَلة مَن ينتمي إلى التصوف بتعظيم هؤلاء، وادِّعائهم أنهم صَفوة الله وأولياؤه)) .

بالذِّكر مع أنهما داخلان في عُموم مَن في الأرض، لأن الدفاع عنهما أَوْلَى وأهم.وإذا عَجِزَ الإنسانُ عن حماية نَفْسِه وأُمِّه والدفاع عنهما ، فهو أعجز مِن أن يُدافع عن الناس . والآيةُ ﴿ وَمَن في الأرضِ جميعًا ﴾ تُشير إلى قُدرة الله المُطْلقة ، وأنها عامَّة شاملة ، كُل شيء خاضع لها ، وأن إرادته سُبحانَه نافذة في كُل شيء. ولا مُعارِض لله في أمره، ولا مُشارِك في قضائه. ولا رَاد لإرادة الله وأمره وحُكمه في عِيسى ، ولا في غَيره . كما تدل الآية على أن عِيسى وأُمَّه مِن جِنس مَن في الأرض ، أي إنهما ينتميان إلى الناس ، ولا يَخرجان عن دائرة الإنس ، فهما مخلوقان فانيان ، ولَيْسَا إلَهَيْن . وقد ماتت مريم ، ولَم يَستطع عِيسى أن يَحميَها مِن الموت، ولا أن يُدافِع عنها. ولو كان إلَهًا لَمَنَعَ الموتَ مِن الوصول إلى أُمِّه ! . وقال الطبري في تفسيره (٤/ ٥٠٤) : ((وقَوله: ﴿ إنْ أرادَ أن يُهْلِكَ المسيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وأُمَّهُ وَمَن في الأرضِ جميعًا ﴾ يقول : مَن ذا الذي يَقْدِر أن يَرُدَّ مِن أمر الله شيئًا إن شاء أن يُهْلِك المسيحَ ابن مريم بإعدامه مِن الأرض ، وإعدام أُمِّه مريم ، وإعدام جميع مَن في الأرض مِن الخَلْق جميعًا ؟ . يقول جَلَّ ثناؤه لِنَبِيِّه محمد ﷺ: قُل لهؤلاء الجهَلة مِن النصارى : لو كان المسيح كما تزعمون _ أنه هو الله وليس كذلك _ لَقَدِرَ أن يَرُدَّ أمرَ الله إذا جاءه بإهلاكه وإهلاك أُمِّه . وقد أهلكَ أُمَّهُ فلم يَقْدِر على دفع أمره فيها إذ نزل ذلك ، ففي ذلك لكم مُعْتَبَر إن اعتبرتُم، وحُجَّة عليكم إن عقلتُم في أن المسيح بشر كسائر بني آدم،وأن الله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي لا يُغلَب،ولا يُقهَر ، ولا يُرَد له أمر، بل هو الحي الدائم القَيُّوم الذي يُحيي ويُميت ويُنشِئ ويُفنِي،وهو حَي لا يموت...يقول جَلَّ وَعَزَّ:كيف يكون إلَهًا يُعْبَد مَن كان عاجزًا عَن دَفْع ما أراد بِه غَيْرُه مِن السُّوء ، وغَير قادر على صَرْف ما نزل به من الهلاك ؟)) اهـ .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ وقالَ المسيحُ يا بني إسرائيلَ اعبدوا اللهَ ربِّي وَرَبَّكُم إنَّهُ مَن يُشْرِكْ باللهِ فقد حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجنَّةَ ومأواهُ النارُ ﴾ [المائدة : ٧٢] .

إن عيسى المسيح يَتشرَّف بعبوديته لله ، ويَعترف بِها ، وأنه عبدٌ خاضع لله ، وليس إلَهًا . لقد قال عِيسى لبني إسرائيل: أنا عَبْدٌ مِثْلُكم، فاعبدوا اللهَ خالقي وخالقكم ، إلهي وإلهكم ، مالكي ومالككم . اجعلوا العبادةَ للهِ وَحْدَه ، الذي خَضع له كُل موجود ، وذَلَّ له كُل شيء .

فكيفَ يَزعم النصارى الكُفَّارُ أن عِيسى إلَهٌ وهو يَعترف بنفْسه بأنه عَبْدٌ مِثْلُهم وليس إلَهًا ؟ .

وإذا كان عِيسى يَدعو اللهَ ، ويَخضع له ، ويُخاطبه : يا رَب ، ويا الله . فكيفَ يكون عِيسى إلَهًا ؟ . الإلهُ لا يَدعو أحَدًا ، ولا يَخضع لشيء ، ولا يَطلب مِن أحد . وهذا دليل واضح على بُطلان أُلوهية عِيسى المزعومة . فهو عَبْدٌ خاضعٌ للهِ ، ومُنصاعٌ لِحُكمه ، وذَليلٌ أمام أمره ونَهْيه .

وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ١١١) : ((وكان أول كلمة نطق بِها وهو صغير في المهد ، أن قال : إني عبد الله ، ولَم يَقُل : أنا الله ، ولا ابن الله . بَل قال : ﴿ إني عبدُ اللهِ آتانِيَ الكتابَ وجَعَلَني نَبِيًّا ﴾ [مريم : ٣٠])) اهـ .

﴿ إنَّهُ مَن يُشْرِكْ باللهِ فقد حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجنَّةَ ومأواهُ النارُ ﴾ . مَن جَعل لله شريكًا في عبادته أو في صِفاته ، ومات على ذلك ، فهو خالد مُخلَّد في النار ، ولا تُوجد فُرصة للنجاة مُطْلَقًا ، ولَن يرى الجنةَ أبَدًا ، لأنها دار المُوحِّدين . وهذا يدل على أن الشِّرك يُوجِب تحريم دخول الجنة .

وإظهارُ لفظ الجلالة في موضع الإضمار : ﴿ فقد حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجنَّةَ ﴾ ، ولَم يقل : فقد حَرَّمَ عليه الجنةَ ، وذلك تعظيمًا للهِ ، وتمجيدًا له ، وتَنبيهًا على خُطورة الأمر (الخلود في النار) .

وقال الطبري في تفسيره (٤/ ٦٥٢) : ((﴿ إنَّهُ مَن يُشْرِكْ باللهِ فقد حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجنَّةَ ﴾ أن يسكنها في الآخرة ﴿ ومأواهُ النارُ ﴾ . يقول : ومرجعه ومكانه _ الذي يأوي إليه ويصير في مَعاده مَن جَعل لله شريكًا في عبادته _ نار جهنم)) اهـ .

وفي الحديث أن النبيَّ ﷺ قال : ((إنه لا يَدخل الجَنَّةَ إلا نَفْسٌ مُسلِمة)) [٢٥٥] .

هذا نَص صريح وواضح في أنَّ مَن ماتَ على الكُفر أو الشِّرك، فهو خالدٌ مُخلَّد في نار جهنم، ولا يَدخل الجنةَ أبَدًا . وهذا النَّص عام وشامل بإجماع المسلمين . وهو عقيدة قَطعية مِن عقائد الإسلام في كُل زمان ومكان ، لا تَقبل التأويل ولا النَّسْخ ولا التبديل ولا التغيير .

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ لقد كَفَرَ الذينَ قالوا إنَّ اللهَ ثالثُ ثلاثةٍ وما مِن إلهٍ إلا إلهٌ واحدٌ وإن لم يَنتَهوا عمَّا يَقُولونَ لَيَمَسَّنَّ الذينَ كَفروا مِنهُم عذابٌ أليم ﴾[المائدة : ٧٣] .

لقد كَفَرَ الذين قالوا إن الله أحد ثلاثة آلهة . والحقُّ أنه ليس في الوُجود إلا إله واحد أحد ، فَرْد صَمَد . واحدٌ في ذاته ، وواحد في صِفاته ، وواحد في أفعاله . ليس له شريك ، ولا نِد ، ولا مثيل ، ولا نظير ، ولا صاحبة ، ولا ولد ، ولا والد . وإن لَم يَتركوا عقيدةَ التثليث ، ويَكُفُّوا عن الكذب والافتراء ، لَيَمَسَّنَّهُم عذاب مُؤلم وعُقوبة مُوجعة في الدنيا والآخرة .

إن التثليث عقيدة ثابتة في النصرانية (المسيحية) ، وهي تُشير إلى جهل النصارى وكُفرهم وضلالهم . فَهُم يُؤمنون بأن اللهَ واحدٌ ، لكن مِن منظور مُنحرفٍ مُضاد لمفهوم التَّوحيد عند المسلمين . فهم يزعمون أن اللهَ تعالى واحدٌ ذو ثلاثة أقانيم (الآب، الابن، الرُّوح القُدُس) .

---

٢٥٥ متفق عليه . البخاري (٣/ ١١١٤) برقم (٢٨٩٧) ، ومسلم (١/ ١٠٥) برقم (١١١) .

وهذا يعني أن الله ثالث ثلاثة آلهة . ويقولون : الإلهية مُشترَكة بين الله وعيسى ومريم ، وكُل واحد مِن هؤلاء إله، فهم ثلاثة آلهة. وهذا كُفر شنيع . وقد قرأتُ لعالِم نصراني كلامًا مضحكًا حول هذا الموضوع، فقد ضرب مَثَلًا لهذه العقيدة الفاسدة فَشَبَّهها بالشعاع الواحد الذي يَتَّخذ ثلاثة مسارات . وكأن التَّوحيدَ مسألة فيزياء مُتعلِّقة بانكسار الضوء ! .

وقال القرطبي في تفسيره (٦/ ٢٣٤) : ((وهذا قول فِرق النصارى من المَلْكية والنُّسطورية واليعقوبية ، لأنهم يقولون : أب وابن ورُوح القُدُس إله واحد ، ولا يقولون ثلاثة آلهة ، وهو معنى مذهبهم . وإنما يمتنعون من العبارة وهي لازمة لهم ، وما كان هكذا صَحَّ أن يُحكى بالعبارة اللازمة وذلك أنهم يقولون : إن الابن إله ، والأب إله ، وروح القدس إله)) اهـ .

وفي صفوة التفاسير (٣/ ٣٦) : ((قال السُّدي : نزلت في جَعْلهم المسيحَ وأُمَّه إلَهَيْن مع الله فجعلوا الله ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار . وقال في البحر : يقولون جوهر واحد وثلاثة أقانيم " أب وابن وروح قُدُس " وهذه الثلاثة إله واحد ،كما أن الشمس تتناول القُرص والشُّعاع والحرارة ، وزعموا أن الأب إله ، والابن إله ، والرُّوح إله ، والكل إله واحد ، وهذا معلوم البُطلان ببداهة العقل أن الثلاثة لا تكون واحدًا ، وأن الواحد لا يكون ثلاثة)) اهـ .

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٢/ ٤٠٢و٤٠٣) : ((قَوله تعالى : ﴿ لقد كَفَرَ الذينَ قالوا إنَّ اللهَ ثالثُ ثلاثةٍ ﴾ . قال مجاهد : هُم النصارى . قال وَهْب ابن مُنبِّه : لَمَّا وُلِدَ عيسى لَم يبق صنم إلا خَرَّ لوجهه ، فاجتمعت الشياطين إلى إبليس،فأخبروه فذهب فطاف أقطار الأرض، ثم رجع، فقال: هذا المولود الذي وُلِدَ مِن غَير ذَكَر، أردتُ أن أنظر إليه فوجدتُ الملائكة قد حَفَّت بأُمِّه ، فليتخلَّف عندي اثنان مِن مَرَدتكم ، فلمَّا أصبح خرج بهما في صورة الرجال، فأتَوْا مسجد بني إسرائيل وهم يتحدَّثون بأمر عيسى،ويقولون: مولود مِن غَير أب، فقال إبليس : ما هذا ببشر، ولكن الله أحبَّ أن يتمثل في امرأة ليختبر العباد، فقال أحد صاحبيه: ما أعظمَ ما قُلت ، ولكن الله أحبَّ أن يَتَّخذ وَلَدًا ، وقال الثالث: ما أعظم ما قُلت ، ولكن الله أراد أن يجعل إلَهًا في الأرض ، فألْقَوْا هذا الكلام على ألسنة الناس، ثُمَّ تفرَّقوا فتكلم به الناس . وقال محمد بن كعب: لَمَّا رُفِعَ عيسى اجتمع مئة مِن علماء بني إسرائيل وانتخبوا منهم أربعة، فقال أحدهما: عيسى هو الله ، كان في الأرض ما بدا له ثُمَّ صعد إلى السماء،لأنه لا يُحيي الموتى ولا يُبرِئ الأكمه والأبرص إلا الله . وقال الثاني : ليس كذلك ، لأنَّا قد عرفنا عيسى وعرفنا أُمَّه ، ولكنه ابن الله . وقال الثالث : لا أقول كما قُلتما ، ولكن جاءت به أُمُّه مِن عمل غير صالح. فقال الرابع: لقد قلتُم قبيحًا، ولكنه

عبد الله ورسوله وكلمته. فخرجوا فاتَّبع كُل رَجل مِنهم عُنُق (جماعة) من الناس. قال المفسرون: ومعنى الآية أن النصارى قالت: الإلهية مُشتركة بين الله وعيسى ومريم، وكُل واحد منهم إله. وفي الآية إضمار، فالمعنى: ثالث ثلاثة آلهة فَحُذِف ذِكْر الآلهة ، لأن المعنى مفهوم ، لأنه لا يَكفر مَن قال : هو ثالث ثلاثة ، وَلَم يُرِد الآلهة ، لأنه ما مِن اثنين إلا وهو ثالثهما . وقد دَلَّ على المحذوف قَوله : ﴿ وما مِن إلهٍ إلا إلهٌ واحدٌ ﴾)) اهـ .

لا يُمكن للوعي الديني أن يتكرَّس إلا بنقد النص الإنجيلي ونقضه وتقويضه وهدمه ، وهذا يعني ضرورة تفجير الإنجيل من الداخل ، باعتباره كتابًا بشريًّا أُسطوريًّا ، يقوم على مبادئ وهمية ، وعوامل خُرافية . والمطلوبُ هو إلغاء المَوروث الميثولوجي (الخُرافي) في تكوينات الأنساق الإنجيلية بشكل كامل ، حتى يتسنَّى للعقل البشري استعادة وظيفته في التلاحم مع ذاته ورفض ما يدَّعيه بعضُ البشرِ من صفات الألوهية للبشر . ويُعتبَر نقد نصوص الإنجيل خطوة أولية لا مفر منها ، مِن أجل الإجهاز على القيم السلبية في التصورات اللاهوتية الشاذة عن مسار المنهج العلمي . والإنجيلُ بوصفه كتابًا بشريًّا شاذًّا عن مسار الحضارة ، إنما يتحرَّك ضد العقل والمنطق ، ويتصادم ــ جُملةً وتفصيلًا ــ مع منجزات الحضارة البشرية . لذلك ، كان العِلمُ وإنجيلُ الكنيسة ضِدَّيْن لا يَجتمعان ، وعُنْصُرَيْن مُتناقضَيْن لا يَلتقيان . وهذا سبب القطيعة الشاملة بين الدين النصراني والحياة. وأيُّ شخص يعتنق عقيدة تعدُّد الآلهة، ويَجعل الإنسانَ الكائن الفاني(المسيح) إلهًا ، هو وصمة عار في تاريخ البشرية، ووجود عقله كعدمه، لأنه لم يستخدمه للبحث عن الحق ، ولم يُوظِّفه لمعرفة الحقيقة . ورفضُ عقيدة التَّوحيد هو منبع الشرور والآثام،وهو انتكاسة حقيقية للفرد والجماعة، وتدمير للعقل البشري ، وتحطيم للمُنجَزات الحضارية . والنصارى الذي يعتقدون بأُلوهية المسيح،وهو إنسان يَقضي حاجته وتخرج منه الأوساخ،هُم نقطة سوداء في تاريخ الحضارة، وأسوأ مثال على الكفر والضلال والعِناد ، وغياب العقل ، ومُصادَمة المنطق ، ورفض الحق والحقيقة . لذلك ، تكاثرت خُرافات النصارى ، وتشعَّبت أساطيرهم . ومِن أسوأ الخُرافات التي تُسيطر على أدمغة رجال الدين النصارى المغسولة بالوهم ، خُرافة مُفادها أن الرُّوح القُدُس اختار أربعة رجال (مَتَّى ، مَرْقُس ، لُوقَا ، يُوحَنَّا) وأوحى إليهم . والرُّوح القُدُس في النصرانية ، هو مِن أقانيم الله ، مع أُقْنُوم الله الآب وأقنوم الله الابن . وهذه العقيدة هي عقيدة الثالوث . ويؤمن النصارى أن الرُّوح القُدُس هو رُوح الله الذي يُرشِد البشر ويكون دليلًا لهم . وفي الإسلام ، رُوح القُدُس هو المَلَك جِبريل عليه السلام .

وعقيدة النصارى القائمة على اختيار أربعة رِجال مِن قِبَل الرُّوح القُدُس ، كي يُدوِّنوا الإنجيلَ، وهمية وباطلة ، لأن الرُّوح القُدُس لا يتناقض ، ولا يُخطِئ . وما بين أيدينا هو أناجيل متناقضة ومُتعارضة ومتعاكسة ، وتمتلئ بالأخطاء المكشوفة والتناقضات الواضحة . وهذه الأناجيل الخُرافية تُشكِّل صناعةً بشرية ثقافية مِخيالية ، لا علاقة لها بِوَحْي السماء ، ولا علاقة لها بالمسيح . وقد ظَهرت هذه الأناجيلُ الأربعة (إنجيل مَتَّى ، وإنجيل مَرقُس ، وإنجيل لُوقَا ، وإنجيل يُوحَنَّا) التي تعترف بها الكنيسة ، وغَيرها من الأناجيل الكثيرة التي لا تعترف بها الكنيسة، على شكل قصص وحكايات ونصوص لِكُتَّاب مجهولين لم يلتقوا بالسيد المسيح ﷺ . كما أنهم لا يعرفون بعضهم بعضًا . وقد ظهروا في مراحل متباعدة زمنيًّا ، مِمَّا يُلغي فرضية وجودهم في القرن الأول لميلاد السيد المسيح ﷺ . والسؤالُ الصادمُ : أينَ الإنجيلُ (الكتاب السماوي) الذي أنزله اللهُ على المسيح ﷺ؟.هناك إنجيل واحد أنزله اللهُ على المسيح، فلماذا صار هناك أناجيل كثيرة ومُتعارضة؟.

يجب القضاء على هالة القداسة الوهمية التي تُحيط بالإنجيل البشري المُحرَّف ، بكل ما فيه من أسفارٍ غامضة ورسائل مُشوَّشة وأناجيل مقطوعة السند . وهذه الهالةُ البَرَّاقةُ وهمية وخادعة ، وينبغي أن تنتهيَ ليتم التَّخَلُّص من التَّركة الثقيلة لسُلطة المَوروث النصراني الإنجيلي المتآكل .

وكُل المعاني الإنجيلية تَسير باتجاه المفهوم الصَّليبي الخَلاصي الأُسطوري . وهذا يستلزم اقتحام مفردات الإنجيل ومَعانيه لاكتشاف النصوص الدينية المُركَّبة بشكل هُلامي ، والمُسلَّطة على تفاصيل المعنى الإنجيلي الميثولوجي الذي يقوم على هدم الأفكار بشكل عشوائي مُضطرب.

ومركزيةُ النص الإنجيلي هي بؤرة للتطرف دينيًّا ، وهذا ينعكس بشكل سلبي على تفاصيل الحياة الاجتماعية . والتمركزُ الذهني الاستغلالي للميثولوجيا الإنجيلية هو الذي حوَّل الكنيسةَ إلى مؤسسة إقطاعية رِبحية، تقوم على جمع حُطام الدنيا ، عن طريق استغلال الفقراء والعوام والجُهَّال.

والبُنيةُ الإقطاعية في نصوص الإنجيل هي الأساس الفكري للإقطاعية في الحياة الاجتماعية ، لأن الواقع مُنعكس عن اللغة . وكُل لغة مُتطرِّفة سَتؤول بالضرورة إلى واقع مُوغل في العدمية والسَّوداوية . والإقطاعيةُ _ سواءٌ بمعناها اللغوي أم الاجتماعي _ هي مبدأ لتكريس سُلطة عِلية القَوم (السياسيين والأثرياء ورجال الدِّين) على الفقراء والبُسطاء والعوام والجُهَّال والرَّعاع والدَّهماء.

ولا يُمكن للعقل النصراني البدائي أن يتحرَّر من التراكيب الفلسفية اللاهوتية الصَّليبية ، إلا برفض هَيْمنة التراث الإنجيلي المُصَادِم للمنظور الإنساني الواعي . والإنجيلُ يتحرَّك ضد العقل والمنطق ، ويُعارِض الوَعْيَ الإنساني البنَّاء . والإنسانُ لا يُمكن أن يُفكِّر بشكل سليم إلا إذا امتلكَ

الحرية في طرح الأسئلة ، وتطبيق منظومة (النقد / النقض) . ومهما يكن مِن أمر ، فلا مفر مِن التفكير الحر غير المقموع ، فهو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى الحق والحقيقة . وكُل بُنية تفكيرية مُتحرِّرة من سَطوة الزمان وقَمع المكان وضَغط الناس ، لا تَقْبَل بإعادة النظر في الأنساق التراثية البدائية للدِّيانة النصرانية الصَّليبية فَحَسْب ، فلا بُد أيضًا مِن هدم البُنى الأسطورية الخُرافية في الإنجيل ، وتحرير الإنسان من الوهم ، وبناء الوعي الإنساني كمنظومة حُرَّة غير خاضعة لسُلطة الخُرافة وسُطوةِ الأسطورة . وهذا سَيُرْشِد الناسَ _ بالحُجَّة والمنطق والبُرهان _ إلى توحيد الله ، والتصديق بِوَحدانيته، بعيدًا عن خرافة التثليث، وأساطير النصارى المتعلِّقة بأُلوهية المسيح الباطلة. وسوف يترتَّب على ذلك تخليص الروح من أزمتها المعرفية ، وإنقاذ الجسد من مأزقه الوجودي . وبعبارة أخرى، سوفَ تتكرَّس عملية انتشال الكيانات الروحية والجسدية وتخليصها من مشكلاتها. وهذه أكبر عملية تحرير للبشرية جمعاء ، وإنها لَحَرْبٌ طاحنةٌ بين هُلامية النَّص الإنجيلي الصليبي المُتكلِّس في الأساطير والخرافات ، وبين العقل الثوري المُتحرِّر من أغلال الخديعة وأعباء الوهم .

ويجب عدم الاهتمام بالتراث الإنجيلي النصراني (المسيحي) إلا بِقَدْر ما يُفيد في محاصرته علميًّا ، وتفنيد حُجَجه الواهية ، واجتثاثه من جذوره بالدليل والبُرهان وَفْقَ منهج البحث العِلمي المُنصِف ، البعيد عن التعصب والتطرف والشتائم . وبذورُ انهيار الإنجيل كامنة فيه ، وعوامل هدم النصرانية مُتمركزة فيها . لذلك ، ليس غريبًا أن تتآكل النصرانية معنويًّا وماديًّا ، وليس عجيبًا أن يتناقض الإنجيل معَ نفْسه ، ويُحطِّم نَفْسَه بنفْسه .

والنصوصُ الإنجيلية البشرية المنفصلة عن مسار الوجود الإنساني ، شكل خالٍ من المعنى ، وشاذ عن المسار الحضاري ، ولَم تَجِئْ هذه النصوص الدينية الأسطورية كحاجة بشرية تاريخية مثلما تعتقد الذهنيةُ الماركسية الضَّحلة في " المادية الجدلية " ، لأن فلسفة نصوص الإنجيل الميثولوجية هي الارتماء في أحضان السُّلطة السياسية التي تفرض على الناس بقوة السَّيف التزامَ هذه النصوص واعتناقها جُملةً وتفصيلًا ، شكلًا وموضوعًا ، دون إعطاء أيَّة فرصة للتفكير أو طرح الأسئلة . لذلك ، كان شعارُ النصرانية (المسيحية) على مدار تاريخها هو آمِنْ ولا تُفَكِّرْ . وهذا يدل على تعمُّد إقصاء العقل ، والحرص على منع التفكير . لأن العقل السليم لا بُد أن يرفض النصرانيةَ القائمة على تأليه الأشخاص ، وإضفاء صفات الخالق على المخلوقين .

تقوم الديانات الأرضية الوضعية كاليهودية والنصرانية على قاعدة القمع والاستبداد واستغلال الناس باسم الدِّين . وكُل الديانات الأرضية هي أنماط وهمية ذهنية مُجرَّدة ، لا تملك حقيقةً على

أرض الواقع ، لأنها لا تعتمد على الأدلة والحُجَج والبراهين . وهي موجودة بِحُكم الأمر الواقع المفروض بمنطق القوة لا قوة المنطق . وهذا وجود وهمي غَير مُعْتَبَر نقلًا ولا عقلًا . والواقعُ سوف يُقاوِم أوهام الأديان الوضعية ويُحاربها ، لأنها ضِد الفِطرة ، وضِد منطق العقل السليم .

والتركيبةُ الفوضوية لحركة المعاني الخُرافية الصَّليبية في الإنجيل فاقدةٌ للهوية والصفة المميزة، لذلك تتماهى هذه التركيبة مع كل الإنتاجات الفاسدة للعقول المُتحجِّرة . والنصوص الإنجيلية لَيست بأكثر مِن حركة عبثية في مدار خيالي مُضاد للفِطرة السَّوِيَّة ، ومُعارِض للمنطق السليم . وهذا الانهيارُ الشامل يُفرِّغ النصوصَ الدينية مِن مركزية المعنى ودَلالةِ اللفظ ، مِمَّا يُؤدِّي إلى انهيار الروح الإنسانية ، وانتكاسة العقل المعرفي ، وعدم القدرة على استيعاب الأشواق الروحية والحاجات الجسدية . وإثباتُ نصوص الإنجيل غير معقول ، لأنها ضد العقل . ولكي نُثبِت العقلَ الحُر لا بُد مِن وأد الإنجيل البشري المُحرَّف ونَفْيه فكريًّا، وإقصائه عن السياق المعرفي الحقيقي.

إن انهيار الحضارة الإنسانية ، وانتكاسة الفِطرة البشرية، واضمحلال التفكير العقلي المتوازن ، وتخلُّف البُنية العَقَدِيَّة ، كُلها انعكاس لحالة الاحتضار التي تعيشها الكنيسة الغارقة في تأليه البشر، واختراع عقائد دينية لتحقيق مصالح مادية شخصية ، وبسط الهيمنة والنفوذ على العوام والجُهَّال.

ينبغي إقصاء النصوص الإنجيلية الكَنَسِيَّة المُنَاوِئة للعقلانية ، والمُضادة للمنطق ، والداعمة للتطرف والإرهاب ، واجتثاثها من نفوس المؤمنين بها ، من أجل صناعة واقع جديد قائم على المحبة والسلام والتسامح والمنطق والعقلانية . وهذه مهمة ليست سهلة ، بسبب تغلغل الأنساق الإنجيلية الوهمية في نفوس الناس على مدار تاريخ طويل من انهيار الوعي وانتحار المعنى . وهذا يترافق معَ التاريخ السَّوداوي للكنيسة (المؤسسة الإقطاعية الاستغلالية) ، ودورها السَّيئ في محاربة المنطق والعقلانية ، ومُقاومة العلوم والمعارف ، واضطهاد العلماء والمفكرين والفلاسفة .

وعلى الرغم مِن تزايد انتشار الثائرين ضِد النصرانية (المسيحية)، والرافضين للإنجيل البشري المُحرَّف ، والمُنادين بنفْي الدِّين مِن الحضارة الغربية المتآكلة ، إلا أن الجميع فشلوا في شطب الصليب من أعلام كثير من الدول الأوروبية . وهذا يُشير إلى تغلغل الخُرافة في أنساق الطبيعة النصرانية الشاذة عن مسار الحضارة . وكُلُّ ثورةٍ يخلو أساسها مِن مبدأ كسر الخرافة التي تصير دِينًا مُقَدَّسًا،هي ثورةٌ محكومة بالفشل ، ومقتولة في مهدها ، وليس لها جَدوى ولا قيمة ولا معنى . وكُلُّ حركةٍ فكرية واجتماعية لا تهدف إلى إلغاء الكَبت والعمى والاستغلال في النصوص الإنجيلية، هي ضياع للوقت والجُهد . وكُل فلسفة لا تقوم على أساس كسر الصليب لن تُعَمِّر طويلًا .

ينبغي توليد نقد مستمر للإنجيل كمرحلة أولية تنتهي إلى إلغاء الإنجيل من الوجود ، بوصفه كتابًا بشريًّا مُحَرَّفًا يدعو إلى التطرف والأساطير الخيالية . وفي نفْس الوقت ، ينبغي تعليم الإنسان الغربي طريقة الشك في الإنجيل ، تمهيدًا لهدمه وفضحه وكشف بُطلان نصوصه . وكُلما شَكَّ الإنسانُ الغربي في وجوده وعقائده الدينية وتقاليده الاجتماعية وتاريخه المعرفي ، اقتربَ مِن الحرية والتحرر . وتحقيق هذا الهدف صعب ، لكنه ليس مستحيلًا . ويحتاج إلى بذل جُهد عظيم ، لأن وسائل الإعلام المُؤَدْلَجَة تسيطر على مفاصل الحياة الدينية والاجتماعية في الغرب ، مِمَّا يُؤدِّي إلى إبعاد الإنسان عن الحق والحقيقة ، وإغلاق الطريق أمامه للوصول إلى معنى الأشياء . وهذا يكشف زَيف العَلمانية وكَوْنها شِعارًا برَّاقًا بلا مضمون حقيقي ، إذْ إن الدين النصراني (المسيحي) الصليبي مُتغلغل في كُل شيء ، في العقائد الدينية والمشاعر النفسية والسلوكيات الاجتماعية .

وفي ظل الأزمات الروحية المتكاثرة ، تبرز أهمية تَنوير الرُّؤى الفكرية لنقد النص الإنجيلي ونقضه، مِن أجل انتشال الإنسان الغربي من مِصْيَدة الدَّلالات الدينية السلبية.وهذه الغايةُ لا يمكن أن تتكرَّس كواقع ملموس إلا بعد عزل الإنسان الغربي عن تاريخه الأسود وحضارته العمياء ، ومواجهة الظواهر النصرانية المتطرفة مِثل : الانحرافات السلوكية للكنيسة ، والاعتداء الجنسي مِن قِبَل رجال الدين النصارى على النساء والأطفال ، ووجود الصُّلبان المرفوعة على أعلام الدول ، والموجودة على قُمصان الأندية الرياضية ، لأن أعلام الدول المحتوية على الصُّلبان هي رايات الحملات الصليبية . وهذا أمر مرفوض ، لأنه يُغذِّي الإرهابَ والتطرف ومُعاداة الآخرين ، والتمييز ضِدَّهم على أساس الدِّين والعقيدة ، مِمَّا يدفع باتجاه ممارسة الإرهاب بكافة أشكاله ضد الأبرياء .

واختلاطُ العقائد الدينية الأسطورية بالسلوكيات الاجتماعية المنحرفة ، ضمن تفكير خُرافي قاتل للأحاسيس ، وقامع للمعاني ، سوف يُؤدِّي بالضرورة إلى انكسار زوايا الرؤية ، مِمَّا يمنع مِن اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب . وهذه الفوضى العارمة هي التي ولَّدت أفكارًا نصرانية جنونية ، مِثل فكرة الخلاص عن طريق صُكوك الغُفران ، وشراء موقع في الجنة بالمال ، وهي التي ولَّدت جرائم محاكم التفتيش المُشَيَّدة بِمُباركة السُّلطة الكنسية البابوية، رأس الأفعى، ومنبع التطرف والإرهاب والإبادة الجماعية والتطهير العِرقي .

إن الدِّين الصحيح جاء لتحرير الإنسان من عبودية الإنسان . وهذا يعني بوضوح أن النصرانية (المسيحية) دِين باطل ، لأنه قائم على عبودية الإنسان للإنسان. وما دام للوهم المصبوغ بالدِّين دورٌ في حياة الفرد ، فلا يمكنه أن يتحرَّر . يجب عليه أوَّلًا رفض المعطيات الجاهزة التي تُسمِّيها

الكنيسة " مُسلَّمات " . وبعد عملية الرفض تأتي مرحلة إعمال العقل بصورة حُرَّة مستقلة ، مِن أجل أن يختار الفردُ طريقَه الذي سيمشي فيه بِمِلء إرادته دون هَيمنة السُّلطة الكَهَنوتية الإنجيلية الصَّليبية ، سواءٌ كانت دينية أم سياسية أم اجتماعية أم ثقافية أم اقتصادية ... إلخ .

يَلزم إعادة النظر في المُسلَّمات الإنجيلية المفروضة بالقوة الجبرية لا قوة المنطق ، وهدم المرجعيات الدينية الغربية التي تَعتبرها الكنيسةُ مُقدَّسةً ومعصومةً . وهذا لا يحصل إلا بتفجير النصوص الإنجيلية البشرية المُحرَّفة مِن الداخل ، فكريًّا ولغويًّا ومعرفيًّا ، وإبطال الاستدلال الأحادي على شَرعية النَّص الإنجيلي الوهمية . وهذا مِن شأنه أن يَمنع رجال الدين النصارى مِن اتخاذ الإنجيل البشري منطقةً هُلامية فضفاضة ، يتم تشكيلها لتحقيق مصالح عِلْية القَوم (الساسة والأثرياء ورجال الدين)، والحصول على منافع مادية شخصية ، وضمان بسط النفوذ والهَيمنة على الفقراء والعوام والجُهَّال .

وإخضاعُ الإنجيل البشري المُحرَّف للنقد والنقض والتَّقويض والهدم ، ليس خُطوةً تجميلية ، ولا تَكميلية ، وإنما عملية أساسية ضرورية لتحرير العقل الجمعي من الخرافات والأساطير . وهذا الفكرُ النقدي التراكمي سيصنع واقعًا جديدًا يكشف العناصرَ الإرهابية المُسيَّسة داخل نصوص الإنجيل الخُرافية . وهكذا نُقيم قطيعةً بين الإنسان النصراني ومَوروثه العَقَدي الصَّليبي الأسطوري . وعِندئذ ، سيتخلَّص العقلُ مِن الأحمال الثقيلة التي وضعتها السُّلطةُ الكنسية الجبرية ، مِن أجل تبرير مشروعها الاستغلالي الإقطاعي وأهدافها المصلحية الدنيئة ، وشَرْعنة اضطهادها للأتباع والعوام ، وابتزازهم ، وسرقتهم ، والسيطرة عليهم ، والهيمنة على مُمتلكاتهم .

والإشكاليةُ المركزية الصادمة في النسق الفكري الغربي،هي أن كُل المُسلَّمات الإنجيلية الدينية تسير وَفْقَ المنظور الصليبي في تكريس احتقار العقل وقمعه وتَغييبه ، لأن العقل الغربي إذا استيقظَ مِن سُباته ، فإنه سينقد الإنجيلَ البشري ويَرفضه ، لأن هذا الإنجيل الأسطوري لا يَمُتُّ للوَحْي بِصِلة ، وهو عبارة عن نصوص مُشوَّشة ومختلطة ومُضطربة ، جاءت مِن مصادر غامضة خارجة على القيم الفكرية والاجتماعية ، ليس لها سند تاريخي ، ولا تقوم على نقل صحيح ، ولا دَلالة عقلية منطقية . والتحرر من نصوص الإنجيل البشرية هو الخُطوة الأولى لتحرير الغرب مِن إفرازات الجاهلية الكنسية الإنجيلية . وهذا التحررُ سوف يُبطِل تفسير رجال الدين النصارى لنصوص الإنجيل البشري ، إذ إنهم يُفسِّرون النصوصَ الدينية حَسَب أهوائهم ورغباتهم ، مِن أجل تحقيق مصالحهم الشخصية ، والحصول على مكاسب مادية دنيئة ، وتطويع الدين لخدمة عِلْية القَوم .

وعمليةُ إسقاط تفسير رجال الدين النصارى على مسار النص الإنجيلي ، سوفَ تبوء بالفشل ، بسبب اعتماد تقديس النصوص على بُنية وهمية مُوغلة في الانكسار والتَّشظي الذاتي . وهذه عملية منكمشة على ذاتها ، ومُتَقَوْقِعَة على انهيارها . وهي لا تتناسب مع عصر العقلانية الثَّورية . وفي هذا السياق ، تبرز أهمية التفريق بين النص الثقافي الإنساني ، وبين المنحى الأسطوري الشعبي داخل الإنجيل ، بوصفه كتابًا بشريًّا قائمًا على أفكار فنتازية وقيم خُرافية أُسطورية .

لا مفر من نزع هالة القداسة عن الإسهامات البشرية . فعلى سبيل المثال ، بابا الفاتيكان هو إنسان يُخطِئ ويُصيب . ويَعلم المُتابِعون لشأن الفاتيكان أن البابا بندكت السادس عشر الذي كان بابا للفاتيكان في الفترة (٢٠٠٥ _ ٢٠١٣) ، قد استقالَ في ٢٨ فبراير ٢٠١٣ ، ليكون أول بابا يستقيل مُنذ ستة قرون . وهذا أمر ذو دَلالة رمزية خطيرة ، تهدم خُرافة قداسة البابا وعِصمته .

وأيضًا ، رجال الدين النصارى هُم بَشَرٌ غير معصومين . وقد تورَّطَ كثير منهم في التحرش الجنسي بالأطفال والنساء ، ولا يحق لرجال الكنيسة أن يَفرضوا وجهة نظرهم على مسارات النَّص الإنجيلي المختلط بالإسهامات البشرية المُسيَّسة . والفاتيكان أوَّلًا وأخيرًا مُنظَّمة متطرفة تستغل الدِّينَ لأهداف سياسية ونفعية شخصية ، كما أن اسم " الفاتيكان " مُلطَّخ بالقتل والإبادة والدم . لقد سكتت عن قتل المسلمين وإبادتهم في البوسنة والهرسك ، وسكتت عن قتل اليهود على أيدي النازيين . وهذه المنظمة الأيديولوجية (الفاتيكان) التي شَرْعَنَت الاستغلالَ ، ينبغي إلغاؤها ، وإيقاف رجال الدِّين عَن ممارسة الوصاية على العقلِ والتدخل في الحياة العامة . ولا يُوجد أيُّ ذِكر للفاتيكان في الإنجيل . فكيفَ يتم إنشاء دولة دينية قائمة على الصليب ولها بابا (رئيس دولة) معَ أن الفاتيكان لم يُذكَر في الإنجيل ، والمسيح لم يتحدَّث عن إنشاء دولة ؟ . إن وجود الفاتيكان مُخالف للإنجيل وضِد تعاليم السَّيد المسيح . ولا يوجد شيء اسمه الفاتيكان .

عندما تسقطُ الهيمنة التراثية داخل الكنيسة ، سوفَ يَسقط المدلول السلبي لنصوص الإنجيل البشري . وهذا يُمهِّد الطريق لهدم الإنجيل البشري مِن الداخل . وإذا انتهت الخرافةُ ستنتهي جميع الروابط الفكرية المحيطة بها. وبالتالي، تنتهي التعابير الفكرية المُشوَّشة، وتسقط المصطلحات المُضلِّلة . ومِن أسوأ المصطلحات المستخدمة على نطاق واسع ، مُصطلح " المسيحية ". وهذا المصطلح مُضلِّل بشكل واضح ، لأنه يُوحي بوجود صِلة بالسَّيد المسيح ﷺ، معَ أن " المسيحية " لا علاقة لها بالمسيح ، لا مِن قريب ولا مِن بعيد . لذلك ، يجب رفض استخدام هذا المصطلح جُملةً وتفصيلًا ، فلا وجود حقيقيًّا له ، ولا معنى له . والواجبُ استخدام

مصطلح " النصرانية " . وهناك كتاب للأديب الشهير جورج برنارد شو بعنوان " المسيح ليس مسيحيًّا " . وهذا عنوان عبقري ومنطقي ، وفي غاية الأهمية . إن " المسيحية " ديانة أرضية بشرية لها أتباع كثيرون ، منسوبة _ كما يتَّضح مِن اسمها _ إلى السَّيد المسيح ، وهذه النسبة باطلة . لكن السؤال الصادم : إذا كانت المسيحية ديانة منسوبة إلى المسيح ، فما هي ديانة المسيح ؟ لِمَن يُنسَب المسيح ؟ . قد يقول أحد النصارى إن المسيح إله معبود ، وبالتالي ليس له ديانة ، لأن الديانة للعبيد ، وليس للإله المعبود . وهذا مرفوض وباطل ، ويُعارض الإنجيلَ . والإنجيلُ يُثبِت أن المسيح عبدٌ لله ، وخاضع له ، ويَعبده ويُطيعه . وكُل عبد لا بُد أن يعتنق دِيانةً ويلتزمها . وفي[لُوقَا ٦: ١٢]:((وفي تلك الأيام خرجَ إلى الجبل ليُصلِّيَ وقضى الليلَ كُلَّه في الصلاة للهِ)). وفي [لُوقَا ٢٢ : ٤١] : ((وركع يُصلِّي)) . وهذان النَّصان يتحدَّثان عن السَّيد المسيح . لقد كان يُصلِّي لله تعالى، والعبدُ يُصلِّي لسيِّده وخالقه . ولا بُد أن يكون المسيحُ _ باعتباره عبدًا لله _ مُعْتَنِقًا لِدِين ، ومُلْتَزِمًا بِه . إن المسيح لم يكن مسيحيًّا ، وإنما كان مُسْلِمًا ، مُسْتَسْلِمًا لله ، ويَعبده بلا شريك ولا نِد ولا صاحبة ولا ولد.والإسلامُ (دِين التَّوحيد) وهو دِين جميع الأنبياء بلا استثناء. وشرائعُ الأنبياء مختلفة بسبب اختلاف الزمان والمكان وطبيعة الناس ، لكنهم دِينهم واحد ، وهو الإسلام ، أي : عبادة الله وَحْدَه ، وكلمتهم واحدة ، وهي " لا إله إلا الله " .

إن رفضَ المصطلحات المُوظَّفة لخدمة الكهنوت الإنجيلي الكنسي الاستبدادي ضروريٌّ لإحلال الثورةِ مكان ما تُسَمِّيه الكنيسةُ غَيْبًا وإيمانًا ، وهو في الحقيقة أنماط فوضوية تعتمد على مُخيِّلة الأساطير في قلب المُنتجات الدينية البشرية ، التي تَمَّ تكريسها بِحُكم الأمر الواقع ، ومنطق القوة لا قوة المنطق . وللأسف الشديد ، صارت العقيدةُ النصرانيةُ بُنية زمنية مُضمحلة ، وإسقاطات فكرية متناقضة على واقع هَش ، ومُهمَّش إلى حَد بعيد .

والبعضُ يعتقد أن محاكم التفتيش قد انتهت وزالت من الوجود ، وأنها ظاهرة محدودة في مرحلة زمنية مُعيَّنة مضت وانقضت . وهذا وهم قاتل ، وخطأ فظيع . إن محاكم التفتيش ستظل موجودةً ما دام الإنجيل البشري والكنيسة على قَيد الحياة . وجميعُ النصوص الإنجيلية الداعية للتطرف والعُنف هي محاكم تفتيش قائمة بذاتها . وتصنُّعُ الأخلاق السَّامية والقيم الراقية في نظام محاكم التفتيش المصبوغ بالهالة الكَنَسية ، والمُتَّحد مع مسار الإنجيل البشري، لا يُجدي نفعًا ، بسبب كَوْن نظام محاكم التفتيش كيانًا مكشوفًا ومفضوحًا ، يختزل النصرانيةَ في عقلية التكبُّر والاستعلاء واحتقار الآخر واحتلاله معنويًّا وماديًّا . والنصرانيةُ بالأساس تقوم على الاستعلاء

والفَوقية والنظر إلى الآخَر باحتقار وازدراء ، لأنها _ أي النصرانية _ تعتبر نَفْسَها مالكةً للحق المُطْلَق ، ومُحْتَكِرَة للحقيقة الكاملة مِن أوَّلها إلى آخرها . وهذا وهم مُخادِع وغرور خطير . فالنصرانيةُ ديانة أرضية بشرية،وهي إفرازات فكرية مُشوَّشة ومُضطربة، تعتمد على الإنجيل البشري، الذي هُوَ _في واقع الأمر _ أناجيل مُتعدِّدة ومُتناقضة ومُتعارضة جُملةً وتفصيلًا ، شكلًا ومضمونًا. وتَمَّت إضافة أسفار فوضوية ورسائل مُشوَّشة إلى الأناجيل المتناقضة . وبذلك ، انهارَ الإنجيلُ البشري بشكل كامل ، على الصعيدَيْن الجُزئي والكُلِّي . وطبيعةُ الإنجيل البشري المُحرَّف خيالية أسطورية ، تتستَّر بالنصوص الشعبوية للسيطرة على العوام والجُهَّال والأتباع وابتزازهم واستغلالهم . وهذه الطبيعةُ الإنجيلية الخُرافية تُؤسِّس البيئة الخصبة للتطرف ومُعاداة الآخَر ورفضه على أساس دِيني وعِرقي . والنصوصُ الإنجيلية البشرية هي حملات صليبية متواصلة ودائمة ، ومؤسسةُ الكنيسةِ تُغذِّيها بالأحقاد التاريخية والنصوص الدينية المتطرفة ، لضمان هَيمنة رجال الدين النصارى على الأتباع، والسلوكياتُ القائمةُ على فكرة الحروب الصليبية هي منهجية راسخة وثابتة ، ورافضة للحرية والتسامح والفضيلة . وكُل انحرافات الكنيسة على مدار تاريخها الطويل ، هي ارتدادات لنصوص إنجيلية بشرية مُتطرِّفة ترفض الآخرَ ، وتتَّهمه بالكفر والضلال والهَرطقة . وهكذا ، تضيع الأخلاقُ بشتَّى صُوَرها وأشكالها ، وتدور القيمُ الإنسانية في متاهة مُتشعِّبة ، وحَلْقة مُفرَغة ، وتدخل الطبيعةُ الإنسانية في نفق مُظلم ، لا ضَوء في آخره . ولَيست هذه الفوضى سِوى إرهاصات غير منطقية ، وتأسيس فلسفي لقمع التفكير الإنساني ، واضطهاد المعنى الوجودي ، في ظِل مُتتالية تكاثرية مُتطرفة تَنْفي وُجودَ الفرد بشكل مُطْلَق، وتتَّخذه رهينةً للمُساوَمة والابتزاز، وسلعةً في موضع البَيع والشراء ، وتَنْفي أيضًا مركزيةَ الجماعة ، وتعتبرها حقلَ تجارب ، ووسيلةً لجني المكاسب القذرة . وتعتمد فلسفةُ النص الإنجيلي البشري على مبدأ كنسي فوضوي وغير منطقي، وهو جَعْل الوهم المخيالي دِينًا مُقَدَّسًا واجب الاتِّباع ، ومُلْزِمًا للجميع . وجَعْل الأشياء الزائفة مُسَلَّمَاتٍ غير قابلة للنقاش ولا المُساءلة . وهذا مرجعه إلى الاستكبار والتعالي والفَوقية والتَّباهي بنصوص دينية بشرية تَمَّ التلاعب بها ، وتدور حَوْلها الشكوك والأوهام وعلامات الاستفهام . ورغم هذا ، يتم توظيف النصوص الدينية البشرية لامتصاص الجوانب الروحية لدى الفرد ثُمَّ نَفْيه أيديولوجيًّا لتسهل السيطرةُ عليه ، واستغلاله ، وإقحامُه في الخلاص الوهمي غير المُجْدِي . والنصرانيةُ لا تعترف بالإنسان خارج نطاق استغلالها ، ولا تُثبت للفرد وجودًا ذاتيًّا ، ولا تعترف بالحضارة خارج إطار هَيْمنتها. وهذا يُشير إلى أن النصرانية المنسوبة زُورًا إلى المسيح ،

هي أشكال أيديولوجية خيالية قائمة على عُقدة الشعور بالنقص بسبب اعتناق عقيدة"تعدُّد الآلهة " الباطلة . وهذا الشعورُ بالنقص هو الذي يُولِّد التيارات الفكرية الاستعلائية الفَوقية القائمة على الغرور والاستكبار والعناد . مِمَّا يُنتِج عقائد دينية مُوغلة في المفاهيم الغامضة وأسرار الكهنوت ، ويُكوِّن تركيبات إنسانية هشَّة ومُهشَّمة بسبب اعتمادها على الأبعاد الخُرافية لنصوص الإنجيل .

وظُهورُ النزعات الثورية في الداخل النصراني مِثل البروتستانتية وغَيرها ، يَعكس التناقضات الكارثية في العقل الإنجيلي المُسيَّس والمُؤَدْلَج ، لتحقيق مصلحة عِلية القوم على حساب العوام والأتباع ، وهذا الانهيار الشامل يستلزم بالضرورة قتل المعاني الإنسانية النبيلة في الوجود .

يُعْتَبَر الإنجيل الأسطوري إفرازًا ثقافيًّا ذا خلفية بشرية مُتماهية مع انهيار التاريخ السياسي والاجتماعي والعَقَدِي للغرب . وهذا الانهيارُ يتجذَّر في البيئة الاجتماعية الشاذة عن مسار الحضارة، على شكل مدلولات تراثية مُنقطعة عن معنى الوجود البشري ، وجَدوى الحياةِ الإنسانية. لذلك ، يَعجز الإنجيلُ البشري عن الإجابة عن الأسئلة الوجودية ، ويَفشل في بث روح الأمان الروحي في الناس ، ولا يَقْدِر على توفير الحياة الفُضلى لهم . وهذه الانتكاسةُ الحادة على جميع الأصعدة ، هي السبب الأساسي في تغليف الإنجيل البشري بالغُموض وأسرار الكهنوت ، واحتكار تأويل النصوص الدينية مِن قِبَل رجال الدين ، وإغلاق الإنجيل أمام الناس ، وجَعْله سِرًّا مُغْلَقًا ، وهذه السِّرية هي الضمانة الأكيدة لإيمان الناس الأعمى بلا دليل ، واتِّباعهم للكنيسة بلا بُرهان . والخطرُ الكبير الذي يُحاصر الإنسانَ من كل الجوانب ، يتجلى في قَبول العقل للعقائد الدينية بلا أدلة ولا حُجَج ولا براهين . وهذا يُؤدِّي إلى فوضى عارمة في النَّفْس البشرية ، وبناء العقائد الدينية على التقليد الأعمى ، والاتِّباع غير المنطقي ، واعتناق المُسلَّمات الوهمية الباطلة .

وتحريفُ الإنجيل هو الأساس الفلسفي لِهَيمنة رجال الدِّين على النصوص الدينية ، وشن الحروب باسم الرَّب ، والقتل والإبادة الجماعية باسم الصليب . وأبرز مثال على ذلك الحملات الصليبية ضد المسلمين في المشرق العربي الإسلامي ، وضد البروتستانت في شمال أوروبا ، وأيضًا محاكم التفتيش في كل أطوارها التاريخية .

لقد دَخَلَ الغربُ الميثولوجي الأيديولوجي في متاهة تحويل الدِّين إلى سلعة مُحْتَكَرَة ومشروع استثماريٍّ ، يُنفَّذ حَسَب عقلية احتكارية استغلالية للتراث الديني الصليبي . ولكن السؤال الذي تتهرَّب منه المؤسسةُ الدينية الكهنوتية هو:مَن يَملك حق احتكار تأويل نصوص الإنجيل البشري ؟. وهذا السؤال صادم وحسَّاس ، لذلك يتم إبعاده عن أذهان الناس بشتَّى الوسائل والسُّبُل .

لقد قامت مؤسسةُ الكنيسة على شريعة القتل ، واعتمدت على آية السَّيف في الإنجيل :

((لا تظنُّوا أني جئتُ لأُرسيَ سلامًا على الأرض.ما جئتُ لأُرسيَ سَلامًا بَل سَيفًا))[مَتَّى ١٠: ٣٤]. وطبَّقت الكنيسةُ هذا النص حرفيًّا ، حيث تمَّ قتل المسلمين في المشرق العربي والأندلس ، وقتل اليهود في الأندلس ، وقتل البروتستانت في الشمال الأوروبي .

وهذا القتلُ المنهجي القائمُ على الإنجيل البشري المُحرَّف ، يُؤسِّس لسياسة الأمر الواقع ، عن طريق اختراع شرعية وهمية لمؤسسة الكنيسة ، وتثبيت مشروعية باطلة للإنجيل البشري ، الذي تَمَّ خلط نصوصه بالمصالح المادية الضيقة ، والمكاسب الشخصية الدنيئة ، ونفوذ أهل السياسة والمال . ووفق هذه المُعادَلات المتشابكة ، يتَّضح سبب كَوْن رأس الهرم السياسي في بريطانيا _ على سبيل المثال لا الحصر _ هو ذاته رأس الكنيسة ! . وهذا يُبيِّن بوضوح أُكذوبة العَلمانية ، ويُظهِر أنها مُجرَّد شعار رنَّان ، وطَابَع بريد لا يُؤثِّر في طبيعة الرسالة .

والبُنى الاجتماعية البشرية للإنجيل المُحرَّف ، تنسحب بصورة مادية تُراثية مُتصدِّعة على كافة الرؤى السياسية للمَوروث الديني . والعجيب أن الإنجيل البشري الذي يفتقد القدرةَ على إثبات نفْسه أو تأسيس مشروعيته ، نراه يُؤسِّس بمساعدة المؤسسة السياسية الدينية الحاكمة إطارًا معرفيًّا جديدًا مُعَارِضًا للعقل البشري ، ومُصَادِمًا للمنطق الإنساني . وأيضًا ، يُؤسِّس مرجعيةً للكيانات المجتمعية الحائرة بين سُلطة الصَّليب على الإفرازات الاجتماعية ، وبين سُلطة الكنيسة على النصوص الدينية . وهذا يَكشف دورَ السَّيف والمال في تلميع النصوص الدينية وشَرْعَنتها ، كما يكشف العلاقة المصيرية بين السُّلطة السياسية والسُّلطة الدينية ، مِن أجل ضمان السيطرة على الأتباع والعوام والجُهَّال. وهؤلاء لَيسوا ضحايا ، وإنما مُجرِمون بسبب قَبولهم بالظلم والوهم.

إن السياسة هي لُعبة الأغنياء ، وتأويل نصوص الإنجيل البشري هو لُعبة رجال الدين . ووَفْق هذين المَبْدَأَيْن ، تتكرَّس العلاقة المصيرية المصلحية بين الساسة ورجال الدين ، للسيطرة على المجتمع بكل تفاصيله . والسيطرةُ المُطْلَقة هي فساد بحد ذاته ، والسُّلطة المُطْلَقة هي استغلال قائم بذاته . وهذه الهَيمنة الشمولية تتماهى مع تقديس نصوص الإنجيل البشري ، وتقديسها ، وتفسيرها بشكل مَصْلَحِي لتحقيق منافع شخصية . وثنائيةُ عِصمة النص الإنجيلي البشري واحتكار تفسيره ، تصبُّ في خانة تقديس رجال الدِّين ، وإحاطتهم بالعِصمة الوهمية والقداسة الباطلة .

وهذا الخداعُ المنهجي يُؤدِّي إلى توظيف الإنجيل البشري ضمن نطاق سُلطة التراث لابتزاز العوام ضمن منهجية دينية ركيكة ، لكنها مفروضة بِحُكم الأمر الواقع ، ومُقدَّسة بِحُكم منطق القوة

الذي يُولِّد المُسلَّمات الوهمية. وهنا تبرز أهمية إخراج العقل مِن تسلُّط الأجهزة السيادية للكنيسة، وضرورة إنهاء الأدلجة الفَوقية المُتعالية في بُنية الحروب التي يتم إعلانها باسم الصليب . وليس الصليب سوى خشبة مصيرها الكسر . وفي هذا السياق ، يبرز سؤال مركزي في غاية الأهمية : كيف يمكن خَلْخلة التراث الإنجيلي الصَّليبي القَمعي وإقصاؤه ونبذه باستخدام المنهجيات الفكرية العِلمية (أسلوب المنهج العِلمي)؟. الجواب عن هذا السؤال ذو شِقَّيْن : الأول _ الاعتراف بأن المرجعية الدينية الثقافية ضمن إطار الصليب وهمية ، وغير موجودة إلا في الأذهان البشرية القائمة على الأنماط المُتحجِّرة الحارسة للحاكمية الإنجيلية المُتَصَهْيِنَة المَبنية على مُشاهَدات أُسطورية مُغرِقة في الانكماش على ذاتها . والثاني _ إخضاع النص الإنجيلي البشري لِمُتطلبات التاريخ المُعاصِر . والهدف هو إلغاء البُنى الذهنية الدينية الرافضة للعقل بشكل حاسم ومُؤثِّر ، وليس إعادة إنتاجها . ولا فائدة مِن رش السُّكَّر على الموت . لا بُد مِن بتر الإنجيل البشري المُتطرِّف ، وإقامة قطيعة بينه وبين المجتمع ، مِن أجل الحفاظ على حياة المجتمع ومستقبله . وما طَرَأه الاحتمالُ سَقَطَ بِه الاستدلالُ . ونصوصُ الإنجيل البشري داخل العقلية البدائية فاقدةٌ للشرعية والقداسة في آنٍ معًا . وهذه النصوصُ الدينيةُ الأسطورية مُتماهية مع الألغاز والقصص الشعبية والحكايات الخُرافية . وهذه العناصرُ هي التي تُكوِّن القاعدةَ الفلسفية للكهنوت وعِلم اللاهوت . وإذا تَمَّ تكريس الوعي المنطقي بضرورة نقد الإنجيل ونقضه وتفجيره من الداخل لغويًّا ودينيًّا ، وحتميةِ تجاوز العقلية البدائية الاستغلالية لمؤسسة الكنيسة الإقطاعية ، سوف نكتشف أن الصليب مُجرَّد خشبة لا شرعية لها ولا قداسة ، وأن الإنجيل رواية بشرية لا علاقة لها بالسماء. إن الكنيسة مؤسسة إقطاعية وشركة مساهمة غير محدودة ، تعتمد على المتاجرة بالدِّين ، ومنح الشرعية لِعِلْية القَوم على حساب الطبقات الضعيفة والمُتَدَنِّية في المجتمع . والبُنية الدينية في الإنجيل البشري هي تكوينات شَعْبَوِيَّة نابعة مِن الخيال البشري المُوظَّف سياسيًّا وثقافيًّا واجتماعيًّا بشكل مُغرِض ومَصلحي . وينبغي الاستمرار في نقض هذه البُنية الدينية المرتبكة والرَّكيكة ، حتى سقوطها بشكل فِعلي لا شعاراتي . وسقوطها مسألة وقت ، لأنها _ أي البُنية _ تشتمل على عوامل إلغائها في داخلها ، لا سِيَّما وأن النص الإنجيلي البشري تَمَّت صَهْينته ، عن طريق تورُّط المؤسسة النصرانية العالمية في التراث اليهودي ، وربط الإنجيل (العهد الجديد) بالتوراة (العهد القديم) ، وتقسيم " الكتاب المُقدَّس " بين اليهود والنصارى ، كحل وسط ، ونَوع من اقتسام الغنائم ، وتوزيع الأرباح . وهذه ورطة فظيعة ، وخطيئة كارثية ، وخديعة رهيبة .

لقد غرقَ أهلُ الكتاب في الوهم الأيديولوجي ، الذي لا يقوم على الحُجَّة والبُرهان . وهذا أدَّى إلى تكريس متواليات صَهْينة الصَّليب التي تتكوَّن من عناصر خُرافية ، ومبادئ أسطورية . ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل أيضًا تمَّت صَهينة الإنجيل البشري ، وإعادة إنتاج نصوصه الدينية بشكل فَوضوي مُغرِض ، حيث اللغة تقتل نَفْسَها ، والمعنى الديني يجتث جُذوره بنفْسه ضمن متواليات تكاثرية مِن الفِعل ورد الفِعل . وهذا الانهيارُ الشامل انسحبَ إلى العناصر الدينية المركزية في التراث الغربي ، لذلك تَمَّت صَهينة الفاتيكان لصالح أصحاب النفوذ . وهناك صُوَر حقيقية انتشرت للبابا فرنسيس ، وهو يُقبِّل أيدي الصهاينة الناجين من الهولوكوست ، أو ما يُسمَّى بالمحرقة اليهودية. وهذا يدل على اختراع اليهود الصهاينة للفاتيكان ، والسيطرة عليه مِن الداخل، والتَّحَكُّم بكثير من قراراته ، بفعل قوة النفوذ اليهودي والقدرة على الضغط واتخاذ القرارات وفرض الإملاءات . والجديرُ بالذِّكر أن النصارى صهاينة بالضرورة ، وهذا أمرٌ لازم لهم ، لأن التوراة تَمَّت صَهينتها ، وبناؤها على أساس متطرف وعنصري ، وتكوين نصوصها بشكل يدعو إلى الحقد والكراهية والقتل والإبادة والإرهاب . والنصارى يُؤمنون بالتوراة الصهيونية باعتبارها العهد القديم ، وشَطْر " الكتاب المُقدَّس " . لذلك ، كُل النصارى صهاينة بالضرورة ، لأن التوراة الصهيونية جُزء لا يتجزَّأ من عقيدة النصارى ، وهي أساس الكتاب المُقدَّس باعتبارها العهد القديم ، الذي بُنِيَ الإنجيل عليه باعتباره العهد الجديد . وكُل جديد إنما يُبنَى على الأساس القديم والمادةِ الأولية . ولا يُوجد جديد إلا بوجود قديم ، وكُل ثانٍ له أوَّل بالضرورة الحتمية . وهذا يكشف حجم ورطة النصارى الذين جَعلوا التوراةَ الصهيونية شَطْر كتابهم المُقدَّس ، فضلُّوا وأضلُّوا .

والأيديولوجيةُ الصليبية النفعية النافية للقيم الحياتية هي تشكيلٌ فلسفي انتكاسي ، يضغط على المعاني الإنسانية في الحياة العامة . وهذه الحقيقةُ تُفسِّر عدم قدرة الخُرافة على مواكبة العصرِ . وانتشارُ الخُرافة إنما هو بسبب الجهات القوية التي تسندها وتدعمها . والأساطيرُ ذات الطابع الديني التي يؤمن بها الإنسان البسيط الساذج ذو الثقافة الضحلة ، هي إفرازات أُحادية لمجتمع يتعدَّد في الأوهام العَقَدِيَّة ، ويتشظى في احتكار المنظور الفكري الديني المنحرف .

واللاواقعية في مفهوم الإيمان في الديانة النصرانية المُؤسَّسة على تراث العُنف والتعصُّب والحقد التاريخي ، تُؤدِّي بالضرورة إلى اختزال ذهنيٍّ رافض لذهنية الانفتاح ومُضاد لأفكار التنوير. وبالتالي ، يكون الإيمانُ بالوهم ضد الإيمان ، وتقديسُ النص الإنجيلي البشري ضِد تعاليم السَّيد المسيح ﷺ . وأصحابُ الأناجيل هُم أشخاص بعيدون كُل البُعد عن المنهج العِلمي ، لأنهم

احتكروا الدِّينَ بشكل كامل ، وجعلوه مشروعًا إقطاعيًّا شخصيًّا للسيطرة على الأتباع والعوام ، كما أنهم احتكروا تفسيرَ النص الإنجيلي البشري ، وجعلوه سَيْفًا مُسَلَّطًا على رقاب العبيد والضعفاء . وهذا الانحرافُ قائم على تحويل النص البشري التاريخي إلى نص إلهيٍّ معصوم ، وهذه اللعبةُ مكشوفة ومفضوحة ، وتُبيِّن انكسارَ المجتمع اللاعقلاني ، الذي يعيش في عوالم الشَّعوذة والخُرافات والأساطير والغَيْبِيَّات القائمة على الخيال والوهم ، بلا دليل ولا حقيقة . وفي ظل هذا الانهيار الشامل ، يُؤسِّس الوهمُ لمرحلة تثبيت الرؤى الفلسفية المُضادة لحقيقة الزمان والمكان ، بما يتلاءم مع التَّصورات العَقَدِيَّة الوهمية المُسْبَقة، والمُسلَّمات الباطلة،والتأصيل المُشَوَّش المهتز.

وتكريسُ الخلايا الأُسطورية في بُنى الألفاظ والمعاني داخل ما يُسمَّى بالكتاب المُقدَّس ، إنما جاءَ لتغييب العقل والمنطق ، وتكريس المِخيال الغَيْبي الوهمي ، وهكذا تتم حماية المَوروث الصَّليبي الإنجيلي مِن الدراسة والنقد والنقض والتَّمحيص والغَرْبلة والرفض . والجديرُ بالذِّكر أن تشكيل العقائد الدينية في " الكتاب المُقدَّس " البشري الأسطوري ، جاءَ بسبب ضغط تصارع الأفكار ، وتجاذُب الخُرافات ، وتعاكُس المصالح . وتشكيلُ العقائد الأسطورية والشرائع الخُرافية في بُنية النص الإنجيلي الصليبي ، إنما هو انعكاس للفلسفات المنحرفة ، والأنساقِ اللغوية الوهمية، المُتخلِّفة عن رَكْب الحضارة ، والمُضَادَّة للوَعْي الفكري الحقيقي .

يُمكن تلخيص العقيدة النصرانية بأنها مُتواليات مُسيَّسة مِن العنف والعُقَد النفسية التاريخية، وأنساق مُضطربة ومُشوَّشة مِن الهدم والبناء ضِمن مَسَاق يتَّسم بالعشوائية المُفْرِطة في التأويلات غير المنطقية ، ويعتمد على توسيع مساحة الأساطير ، وتأطير بُنية التَّرميز الفَوضوي المَهووس .

ومِن الأمثلة البارزة على انهيار عقيدة النصارى الصَّليبية ، صُكوكُ الغُفران . وهذه الصُّكوك المُضحكة المُبكية تُمثِّل رمزًا لإشكالية الكَبْت الإنجيلي الأيديولوجي في النِّظام الاجتماعي المُفكَّك ضمن أنساق انهيار الوعي وتَغييب العقل . وصُكوك الغُفران إجراء ديني قريب إلى الكوميديا والمهزلة العقلية ، حيث يشتري الإنسانُ بأمواله أمتارًا في الجنة ، ويَحجز له مكانًا فيها . وهذه المهزلة مرتبطة بشكل وثيق بمهزلة التَّثليث في العقيدة النصرانية الباطلة ، وهي اعتبار أن الله هو إله واحد ، لكن في ثلاثة أشخاص أو أقانيم : الآب ، الابن (يَسُوع) ، الرُّوح القُدُس. أي إن الله واحد في ثلاثة أقانيم إلهية . الأقانيم الثلاثة مُستقلة ، ولكنها واحدة في المادة ، والجوهر والطبيعة . وهذه العقيدةُ الوهميةُ الباطلة تحمل تناقضًا واضحًا في داخلها ، فكيفَ تَعتبر اللهَ واحدًا ثُم تعتبره ثالث ثلاثة ؟ . وكيفَ يَكون الإلهُ واحدًا ضمن فَوضى تعدُّد الآلهة ؟ .

إن التثليث عقيدة فلسفية مُشوَّشة ومُضطربة ، ليس لها أساس صحيح ولا بُنية متماسكة . وهذه العقيدة إفراز لِهَلْوسة الإنجيل البشري وانكسارِ التأويل النَّصي المُخَادِع . والتَّثليثُ فوضى رمزية غير عقلانية ولا منطقية ، وهو يدل على العشوائية العَقَدِيَّة ، وانتكاسةِ الفِطرة السليمة القائمة على تَوحيد الله ، والتَّوَجُّه إلى إله واحد ، لا شريك له ، ولا نِد ، ولا صاحبة ، ولا ولد .

لقد تشظَّى الإنجيلُ البشريُّ إلى أناجيل متعارضة وأسفار مُتناقضة ورسائل مُتعاكسة . والإنجيلُ (الأناجيل) هو رمزٌ بشري للتصوُّر الأسطوري الزمكاني (الزماني _ المكاني) ، ويدل على الانفصال التام بين فِطرة الإنسان وسلوكياته الاجتماعية ، مِمَّا يُؤدِّي إلى انفصال الإنسان عن مُحيطه الخارجي بشكل كامل ، وتشظِّي الوجهُ الحضاري إلى أقنعة مُتعدِّدة ومُتناقضة ، وهكذا يَفقد الإنسانُ وظيفته وقيمته كخليفة الله في الأرض . والثقافةُ الغربية المُشوَّشة رَدَّة فِعل للإنجيل البشري ، لأن الثقافة ابنة الدِّين . وأيضًا ، الثقافة الغربية حالة من الانتكاس الصليبي المُتماهي معَ ضياع الهوية وتجذُّر الأوهام في النصوص الدينية والأنساق النفسية والسلوكيات الاجتماعية . وكُل ثقافة قائمة على بُنية الإنجيل البشري المُتطرِّف هي إسقاطاتٌ فكرية شاذة عن مسار الحضارة الإنسانية . وليس لهذه الثقافة الوهمية مستقبل سِوى التآكُل والاضمحلال . وفي هذا السياق ، تبرز أهميةُ تأسيس عالَم فكري صافٍ يحتضن الهويةَ الإنسانية ، ويُقيم مملكةَ الحق والعدل على أنقاض الفكرة الغربية الحاملة لسيف الإنجيل البشري . ولا مكان لنصوص الإنجيل البشري الداعي للعنف والتطرف غَير الأرشيف . ولن يتقدَّم الغربُ المادي إلا بتكوين نواة فكرية لمشروع حضاريٍّ قائم على إقصاء هَيْمنة الفكر الإنجيلي ، وتطهيرِ نفوس الناس مِن إفرازات النصرانية الصَّليبية ، وتنظيفِ السلوكيات الاجتماعية مِن أوهام الكنيسة الإقطاعية . وهذه العمليات المترابطة شديدة الأهمية ، وهي بمثابة أداء فلسفي منهجي استباقي ، يسبق التحولات العميقة الجَذرية في قلب المجتمع الغربي الهش . لقد جاءت الثوراتُ داخل الأيديولوجية النصرانية الصليبية كردَّة فِعل مُركَّزة ضِد الممارسات الاستغلالية الابتزازية للكنيسة ، باعتبارها مؤسسة إقطاعية تستغل الدينَ ، وتتاجر به ، وتُوظِّفه لضمان هَيمنة رجال الدين على السياسيين ، وهَيمنة السياسيين على العوام ، وهَيمنة الأغنياء على الفقراء، وهَيمنة الأقوياء على الضعفاء . والواجبُ صناعة قطيعة نهائية حاسمة بين نصوص الإنجيل البشري وانحرافات الكنيسة الإقطاعية من جهة ، وبين نصوص الإنجيل البشري والسلوكيات الاجتماعية في الحياة الإنسانية من جهة أخرى . ومِن أبرز الأمثلة على تلاعب الكنيسة بالحياة الاجتماعية شكلًا ومضمونًا ، وعدم احترام البُنية الشعورية

الإنسانية للفرد والجماعة، تحريمُ الطلاق. وقد اعتمدت الكنيسة_ لتحريم الطلاق _ على نصوص مشكوك في صِحَّتها،ويدور حَولها علامات استفهام كثيرة. وحتى لو كانت هذه النصوص صحيحة، فهي منسوخة ، وقد جاءت لفترة زمنية مُحدَّدة ، انقضت وانتهت . ولا يجوز العمل بها بعد ذلك .

والكنيسةُ الإقطاعية _ بتحريمها للطلاقِ _ تستند إلى اضطراب عقلي فوضوي يتماهى معَ تأويل نصوص الإنجيل البشري . وبذلك ، تكون الكنيسةُ قد أسَّست لمركزية الخيانة الزوجية في المجتمع ، وكرَّست مفهوم الانفلات الأخلاقي ، وهدمت المنظومةَ الإنسانية القائمة على ثنائية الرجل والمرأة ، وقوَّضت الفكرَ التربوي الإنساني . وبعد هذا الانهيار الشامل ، ليس غريبًا أن تنهار أُسُس المجتمع الغربي المادي الإباحي ، الذي شَرْعَنَ الدعارةَ والفجورَ والعلاقات الجنسية المُحرَّمة ، حتى صارت بيوتُ الدعارة وأندية البِغاء تملك ترخيصًا حكوميًّا ، ويُؤخَذ منها الضرائب مِثل أي مؤسسة مجتمعية ، وصارت للمومسات نقابة تدافع عن حقوقهن كما في فرنسا (أكبر دولة كاثوليكية في أوروبا). وصارت في مدارس الغرب أقسام مُخصَّصة للطالبات الحوامل سِفاحًا.

لقد قامَ الإنجيلُ البشري بالتضييق على الأفراد ، وشَرْعنة الانحراف الفكري والأخلاقي بطريقة غير مباشرة. ولن ينعم الغرب بحريته إلا إذا رفضَ هيمنةَ الكنيسة الإقطاعية على مكتسباته الحياتية وسلوكياته الاجتماعية ، ومساره ومصيره . وهذا الأمرُ لا يتأتى إلا بنبذ السُّلطة الصليبية الكهنوتية المُضادة للدِّينِ الصحيح ، والعقلِ الصريح ، والمنطقِ السديد ، والسلوكِ الاجتماعي القويم .

لقد اندلعت ثورات كثيرة ضِد الكنيسة والنصرانيةِ الصليبية . ومِن أهم هذه الثورات : الثورة الفرنسية (١٧٨٩ _ ١٧٩٩) التي حدثت في فرنسا (أكبر دولة كاثوليكية في أوروبا) ، وهذا الأمر ليس صُدفة، ولم يَجِئْ بشكل عبثي أو عشوائي. وكان مِن شعارات الثورة الفرنسية: " اشنقوا آخِرَ مَلِك بأمعاء آخِر قِسِّيس " . وهذا الشعارُ الخطيرُ لم يجئ صُدفةً أو بشكل تلقائي غير مقصود . كُل كلمة في هذا الشعار مقصودة وذات مغزى في غاية العُمق والرمزية والدَّلالة .

وهذا الشعار الصارخ يدل على التحالف المصيري الدَّنيء بين الحُكَّام (رجال السياسة) ورجال الدين، مِن أجل السيطرة على العوام، واستغلال الضعفاء ، وسرقة الفقراء ، وابتزاز الجُهَّال. ورجال الدين يحاولون جاهدين عَقْلنة تراث الاستغلال الكنسي ، وشَرْعنة الابتزاز الإنجيلي ، وهُم يُوفِّرون الغطاءَ الديني لممارسات الحُكَّام والسياسيين ذات الطبيعة الاستبدادية الاستغلالية .

ورجالُ الدين يعيشون في ترف وبذخ ، ويأكلون الخُبز بنصوص الإنجيل ، ويأكلون الدنيا بالدين ، ويُقدِّمون أنفسهم كزُهَّاد ومساكين ، وغَير مُهتمين بمتاع الدنيا الفاني ، وغير معنيين

بزخارف الدنيا الزائلة ، لأنهم مُتعلِّقون بالآخرة والنعيم الأبدي ، وسائرون على خُطى السَّيد المسيح في الزُّهد والتواضع والتَّقَشُّف . وهذه خُدعة مكشوفة ، وأقنعة يَرْتدونها ، كي يخدعوا العوام والبُسطاء الذين يَلْهثون وراء متطلبات الحياة اليومية القاسية .

وفوضى الدِّين النصراني (المسيحي) الصليبي تقوم على اختراع منظومة توافقية كهنوتية بين شريعة المُسدَّس وجدلية المُقدَّس . وليست العَلْمانية سوى مجرد طَابَع بريد ، لا يؤثر في طبيعة الرسالة . والعَلْمانية قناع لا علاقة له بالوَجْه الحقيقي الدَّموي للحُكَّام ورجال الدين الذين يَقتلون الناسَ باسم الله ، ويحتلون البلاد باسم الإنجيل ، ويشنُّون الحروب باسم الصليب . وهُم بذلك يكونون ضد رسالة المسيح ﷺ رسول السلام والتسامح والأخلاق الحميدة والقيم الفاضلة .

والعَلْمانيةُ الغربيةُ دَعوة عريضة بلا حقيقة ، وشعار برَّاق بلا وزن ، ولافتة كبيرة قائمة على الوهم والخداع والخديعة . ومِن أبرز الدلائل على ذلك : ١ـ رفض أوروبا لانضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي لأنها دولة مُسلمة، والاتحاد الأوروبي هو نادٍ للنصارى . ٢ـ وجود الصليب على أعلام الدول الغربية، وعلى شعارات الأندية الرياضية وقُمصانها كريال مدريد وبرشلونة وغَيرهما . ٣ـ منع الأذان . ٤ـ منع الحجاب في كثير من البلاد باعتباره رمزًا دينيًّا في حين يُسمَح للنصارى بوضع الصليب على صدورهم مع أنه رمز ديني . ٥ـ اعتبار رأس الهرم السياسي في بريطانيا (وهي دولة تزعم أنها عَلْمَانية) رأسًا للكنيسة . فأين الفصل بين الدِّين والدولة ؟ ، وأين حقوق الأقليات وممارسة الشعائر الدينية للآخرين التي يُزعَم أنها محفوظة في ظل نظام عَلْماني ديمقراطي يحترم الحرية الشخصية للأفراد ـ وَفْق الدعاية الغربية ـ ؟ . إن نصوص الإنجيل الصَّليبي البشري مُتغلغلة في كل مفاصل المجتمع الغربي ، وساكنة في مشاعر الأفراد والجماعات ، وسلوكيات الحُكَّام ، وتصرُّفات السياسيين ، وتحرُّكات رجال الدين ، وأعمال العوام والبُسطاء والأتباع .

يقوم الدِّينُ النصراني الصَّليبي على العناصر التراثية المُهمَّشة في الفوضى الاجتماعية والبيئة الإنجيلية. وهذا الاضطرابُ الصادمُ نتاج هَش مُوغل في العبثية والعدمية ، ليس له مرجعية سماوية، ولا سند مُتَّصل ، ولا تاريخ اجتماعي مَوثوق . ومشروعية النقد والنقض والتَّقويض والهدم ، تهدف بشكل أساسي إلى سحب البساط مِن تحت أقدام حُرَّاس الكهنوت وحُماةِ الخُرافة ، الذينَ تاجروا بالدين ، وحوَّلوا الإنجيلَ البشري إلى مشروع تجاري ، وجعلوا الكنيسةَ مؤسسة إقطاعية استثمارية، تقوم على تقديس النصوص الإنجيلية الباطلة ، مِن أجل تحقيق مكاسب شخصية ، والحصول على منافع مادية ، وتكريس شريعة الغاب ، حيث يأكل القويُّ الضعيفَ ، ويستغل الغنيُّ الفقيرَ ،

ويُهيمن الشريفُ على الوضيع . وهذا الضلالُ المنهجي مُخالف لنصوص الإنجيل الحقيقي (قبل التَّحريف) ، ومُضاد لروح تعاليم السَّيد المسيح القائمة على الإيمان والسلام والشرف والأخلاق .

والتراثُ الديني الإنجيلي الصليبي ليس له سيادة إلا على العقول الجامدة المُتمركزة في الماضي البدائي . وهذه العقولُ المُتخلِّفة تعتمد على تمجيد التراث غَير المنطقي ، وتقديس النصوص الإنجيلية البشرية ، واعتبارها مُسلَّمات فوق النقاش والمُساءلة . وهنا يبرز سُؤال حيوي : كيف سيتم مَحْو المعالم الفلسفية للنصوص الإنجيلية القائمة على مبدأ تكميم الأفواه ومُصادرة الآراء وتعطيل القُدرات العقلية ؟ . إن الجواب شديد الصعوبة ، ومُتشعِّب للغاية . ولكن الخطوة الأولى تتجلى في إقصاء الفكر الإنجيلي الشاذ عن مسار الحضارة ، وإلغاءِ هَيمنة رجال الدين على نصوص الإنجيل ، ومنعِ احتكار تأويلها بشكل مصلحي شخصي مادي . والمشكلةُ المركزية في طبيعة فهم النصوص الإنجيلية البشرية أن رجال الدين يَفرضون وجهة نظرهم وآراءهم الشخصية على الإنجيل البشري ، يستغلون مكانتهم الاجتماعية ، وعلاقاتهم ، ومناصبهم ، ونفوذهم،وقُوتهم المالية. ومع مرور الوقت، تُصبح آراءُ رجال الدين هي نصوص الإنجيل المُقدَّسة. وهذا الأمرُ صارَ واقعًا ملموسًا . والدليلُ عليه هو تناقض الأناجيل ، وتعارُض الأسفار ، واختلاف الرسائل ، وتضارُب النصوص . مِمَّا يدل بوضوح على تحريف الإنجيل ، وكثرة الأيدي البشرية التي تتلاعب بِه ، وتُوجِّه نصوصَه لمصلحة عِلْية القوم (الحُكَّام والسياسيين والأغنياء ورجال الدين) .

ومِن المشكلات المركزية في طبيعة الدين النصراني الوَضْعي ، اختلالُ البُنى الأيديولوجية في نصوص الإنجيل البشري ، وتكريسُ التعابير القمعية في مسار الفكر الصليبي الذي يغرق في الحِقدِ الأعمى ، ورفضِ الآخَر ، وكراهيةِ ظُهور الحق ، والعُقَدِ الطائفية التاريخية . ولا توجد حلول سِحرية لحل هذه المُعضلة ، ولكن ينبغي تعبئة المخزون الذهني في العقول المُفكِّرة الناقدة بمواد الثورة وقيمِ الرفض والغضب ، حتى الوصول إلى مرحلة الإقصاء التام لأحكامِ الإنجيل العبثية ، وتعاليمِ الصليب الوهمي ، الذي يُشكِّل عبئًا على الناس . وكُل تحرُّك تَوْعَوِي لا يهدف إلى كسر الصليب معنويًّا وماديًّا ، يظل تحرُّكًا في دائرة مُغلَقة لا مستقبل لها ، ولا فائدة مِن الدوران في حَلقة مُفرَغة . لقد سَقط الغربُ الصليبي في فَخ تسييس المناحي الدينية ، ووقعَ في مِصْيَدة إحلال الرؤى الفلسفية الجدلية في أُطُر القداسة والمرجعية السماوية المُتَخَيَّلَة . والنصرانيةُ الصهيونية ذات المرجعية الإنجيلية الصليبية هي دِين وضعي، ونسق فكري منحرف ، وفوضى فلسفية مُؤسَّسة على القراءة المُزْدَوَجَة لنصوص التراث الإنجيلي التي يتم تقديمها كَمُسَلَّمَات فوق النقد والنقض .

والهدف مِن هذه القراءة المُزْدَوَجَة هو اللعب على الحَبْلَيْن ، أي إن رجال الدين يُبرِّرون للحُكَّام أفعالَهم السَّيئة ، ويُوفِّرون لها الغطاءَ الديني الإنجيلي ، ويَمنحونها الشرعية والقداسة والعِصمة . وفي نفْس الوقت ، يَكسبون رِضا العوام ، ويحوزون على ثقتهم ، وذلك بتخديرهم ، ودَغْدغة مشاعرهم بالكلام المعسول ، والتلاعب بمسارهم ومصيرهم بارتداء الأقنعة البَرَّاقة ، والتَّغني بالشعارات الرَّنانة . وهكذا ، يَكسب رجالُ الدين على الجهتين ، ويستغلون عِلية القَوم والعوام في نَفْس الوقت . ولا أحد يستطيع تَحَدِّي رجالَ الدين كمظومة اجتماعية عامة ، لأنهم يُمثِّلون العقلَ الديني الجمعي القادر على منح الشرعية وسَلْبها ، والقادر على إدخال الناس الجنة وحرمانهم مِنها ، لا سِيَّما أن رجال الدين يحتكرون تأويلَ نصوص الإنجيل البشري ، ويستخدمونها كسلاح ضد خُصومهم ، ومِن أجل ضمان المصالح الشخصية ، والحفاظ على المكاسب المادية.

وتُعْتَبَر الكنيسةُ شركة مالية تستثمر في عبودية البشر للبشر ، مِن أجل جَنْي أكبر قَدْر مُمكن مِن الأرباح والمكاسب . والإنجيلُ البشريُّ هو فكرة اقتصادية تهدف إلى استغلال الناس باسم الدين ، والمُتاجرة بالعقائد الصليبية للسيطرة المعنوية والمادية على المجتمع بكل تفاصيله ومفاصله. لذلك ، ليس غريبًا أن يتكرَّس النظامُ الإقطاعي الاستغلالي في نصوص الإنجيل البشري، لأن مِن أهم أسباب تحريف الإنجيل، هو تجيير أحلام الفقراء والضعفاء والجُهَّال والعوام لمصلحة طبقة الحُكَّام والنُّبلاء والأغنياء ورجال الدِّين . والإنجيلُ المُحرَّف هو محاولة يائسة لإحلال مفهوم الطبقات المتصارعة والتمايز العِرقي في تفاصيل البنية الشعورية للأفراد والجماعات ، وهذه المحاولة الخبيثة فاسدة وباطلة ، ولا تصلُح حتى في المجتمعات الأولية البدائية المتخلفة ذات الثقافة الضحلة . وانهيارُ المجتمعاتِ الشاملُ إنما هو بسبب اعتمادها على الكنيسة المُنحرفة في فكرة الخلاص الوهمي ، التي صارت سَوْطًا على ظهور العبيد والعوام والجُهَّال ، من أجل تقديمهم للمَذبح كضحايا وقرابين وأكباش فِداء . وهؤلاء الرَّعاعُ يمشون إلى نهايتهم الحتمية وهاويتهم السحيقة ، ضاحكين ، فَرِحين بانكسارهم ، سُعداء بموتهم ، لأن الجاهل عدو نفْسه ، والحُكم على الشيء فَرْع عن تصوُّره .

وشريعةُ الإنجيل البشري المُتَصَهْيِن هي تكريس للاستغلال الطبقي الإقطاعي ، في سبيل إعادة بَلْورة صُكوك الغُفران في قوالب حداثية وجديدة . والنصُّ الديني الصليبي هو أنساق فلسفية مضطربة ومُشوَّشة ، تُؤرِّخ لأحداث غَير مَوثوق بها بشكل غير موثوق به ! . وهذه الفوضى العارمة تُعزِّز التطرفَ الفكري والإرهابَ السلوكي ، وتُغذِّي نزعةَ الفَوقية والاستعلاء واحتقار الآخرين .

ومِن أسوأ الأمثلة في هذا السياق، الحروبُ الصليبية . فهذه الحروبُ التي تَمَّ شَنُّها باسم الله ، كان يتزعَّمها البابوات الذين كانوا يُنادون بأعلى صَوتهم : يجب تحرير بيت المقدس من الكفار _ وهم يقصدون بهذه الكلمة المسلمين _ ، وهذا بحد ذاته إرهاب فكري مَقيت ضِد منهجية السَّيد المسيح رسول الإسلام والسلام إلى بني إسرائيل. والإسلامُ هو دين جميع الأنبياء .

لقد وَقَعَ الغربُ المادي في مُغالطات عقلية جَمَّة ، وكوارث فكرية مُتعددة ، بسبب اعتماد المرجعية الإنجيلية الصَّليبية في بُنية التراث الفكري والتاريخي . وهذه الانتكاسةُ الأيديولوجية تَرْجَمَت الواقعَ البشري البائس إلى مُعطيات فكرية شاذة ، ومُسلَّمات معرفية خُرافية . لذلك ، اندلعت الثوراتُ ضد الإنجيل البشري ، وحدث التمرد على الكنيسة بوصفها مؤسسة استغلالية إقطاعية . وكما أن السياسة لُعبة الأغنياء ، صارَ الدين لُعبة الكَهَنة . وهذا أدَّى إلى حُدوث انشقاق بين النظام الاجتماعي والنظام الكهنوتي ، تطوَّرَ إلى حروب طاحنة على كافة الأصعدة .

وفي ظل هذه المعطيات ، تبرز أهميةُ خَلْخلة أُسس الفكر الكَنَسي الإقصائي ، وتقويض طبيعة الإنجيل البشري ، وهدم التراث الصليبي المُتطرِّف ، ونقض البُنية الدينية الهُلامية الخُرافية التي تتغلغل في مشاعر البُسطاء والعوام والجُهَّال والأتباع ، الذين يعتبرون الدينَ تقليدًا أعمى للآباء ، وتغييبًا للعقل ، وتخديرًا للجسد، وتسليمًا بِسُلطة الأمر الواقع ، وخُضوعًا لمنطق القوة لا قوة المنطق . وطبيعةُ الأناجيل المتناقضة تعتمد على الوهم الفلسفي المضطرب ، وهي مُتسلسلات فوضوية ذات أنماط غير منطقية ، تتعارض مع الفكر التربوي السَّوِيِّ ، وتتصادم مع السلوك الاجتماعي المستقيم . والأناجيلُ البشريةُ متأثرة بالخيال المُسيَّس ، ومُتداخلة مع الأوهام الطبقية ، والخُرافات الاجتماعية ، والأساطير الأيديولوجية. والعلماءُ الذين قاموا بتحريف الإنجيل ، وتلاعبوا بمسار حركة النص الديني ، إنما فعلوا ذلك للحصول على مكاسب شخصية ، ونَيْل منافع مادية، ومِن أجل الحفاظ على مناصبهم وزعامتهم ورئاستهم ، وبسط نفوذهم على الخاصَّة والعامَّة .

وتُمثِّل العقيدةُ الإنجيلية الصليبية تيارًا فلسفيًّا مِن الفرضيات المُتعاكسة ، بسبب تأسيسها على منهج غَير عِلميٍّ ، يُعيد تشكيلَ الخُرافات والأساطير في أُطُر حداثية ، وقوالب جديدة . أي إن التراث النصراني الأيديولوجي الوهمي ، يُعاد بناؤه بشكل مُغرِض ، وتتم استعادته حَسَب الطلب ، ويُوظَّف لصالح عِلية القَوم في مشروعهم الاستثماري في دماء الضحايا وأحلام الأبرياء وذِكريات البُسطاء . وبشكل عام ، إن النصرانية تشكيلٌ ارتداديٌّ للتَّصورات الهَشَّة عن الخالق والمخلوق . والمشكلةُ الجذرية في بُنية النص الإنجيلي البشري هي عدم التفريق بين صفات الخالق وصفات

المخلوق ، لذلك حدث الخلط الرهيب بين اللاهوت (الطبيعة الإلهية) والناسوت (الطبيعة البشرية) ضمن فوضى عَقَدِيَّة عارمة وصادمة . وبعد هذا الانهيار الشامل ، جاءت عقيدةُ تأليه المسيح ، واعتباره ابنًا لله وإلَهًا مَعَ الله ، لتدل بوضوح على انكسار النصرانية ، وانهيار الإنجيل .

ولم يحصل الإنجيلُ البشري على شرعيته الوهمية استنادًا إلى الحق ، واعتمادًا على الحقيقة ، وإنما حصل عليها بسبب قوة السَّيف المُسلَّط على أنساق الإنجيل البشري ، واحتكار رجال الدين المتحالفين معَ أزلام السُّلطة السياسية ، لتأويل النصوص الدينية وتفسيرها وتوجيهها ، وإحاطتها بالسِّرية والغموض ، ضِمن دائرة الكَهَنوت المُغلَقة أمام الناس مِن أجل خداعهم وابتزازهم واستغلالهم ، المفتوحة لتحالف رجال الدين معَ الحُكَّام ، لضمان السيادة والنفوذ والهَيمنة .

حاولت العقائدُ النصرانيةُ الصَّليبيةُ نقل معركتها مِن نصوص الإنجيل البشري إلى مشاعر الناس وأحاسيسهم وحياتهم الخاصة تطبيقًا لمبدأ " فَرِّقْ تَسُدْ " ، وعملًا بالنص الإنجيلي المُتطرِّف : ((أتظنون أني جئتُ لأُرسيَ السلام على الأرض ؟ أقول لكم : لا ، بل بالأحرى الانقسام)) [لُوقَا ١٢: ٥١] . وهذا الانقسامُ يَرمي إلى تفتيت المجتمع ، وبث الصراعات فيه ، وإثارة الأحقاد ، ونشر النزاعات الطائفية المُتطرِّفة . وشيئًا فشيئًا ، يَتفكَّك المجتمعُ ، ويَسهل حُكمه مِن قِبَل السياسيين ورجال الدين ، ويتم التلاعبُ بطوائفه ومُكوِّناته ، ويُساق الناسُ إلى الذبح كالنعاج .

وتنبع الأفكارُ الإنجيلية المُتطرِّفة مِن مبدأ تَخَنْدُق النصوص الدينية حول المفهوم الأُسطوري للأيديولوجية المُستندة إلى جذور لاهوتية مُضطربة تُمزِّق بعضها بعضًا . وبالتالي ، صارَ الإنجيلُ البشري مصلوبًا على خُرافة الصليب ، وهذا يُشكِّل عِبئًا ثقيلًا على حركة التاريخ الإنساني بشكل عام . وينبغي تَثوير أنساق التاريخ كي يتمرَّد العبيدُ على السادة ، ويتم تأسيس مشروعية فكرية مستمدة مِن سَلْبِ شرعية الإنجيل البشري الوهمية ، وتعريةِ البُنى الفلسفية للأساطير الدينية .

ولا يُمكن تحرير العقل النصراني الهُلامي مِن إفرازات العقائد الدينية الفوضوية ، إلا بإحداث قطيعة بين النصوص البشرية التي تُصبَغ بهالة العِصمة والقداسة والدِّين ، وبين السلوك الاجتماعي للأفراد والجماعات . والمشكلةُ المركزية في طبيعة النسق النصراني الأيديولوجي هي أن نصوص الإنجيل البشري قد تحوَّلت _ بِفِعل منطق القوة وتصارع الأجنحة وتَغليب المصالح الشخصية _ إلى نَص أُسطوري واحد مُضَاد لطبيعة الفِطرة الإنسانية ، ومُصَادِم لمسار الفكر الاجتماعي الحضاري . وهذا النصُّ الأسطوري هو الأساس الفكري للحملات الصليبية الفكرية والعسكرية . وكُل بُنية ذهنية أو سُلوك واقعي ، لا بُد أن يستند إلى نص فكري تأسيسي وتأصيلي ، لأن الفكر

هو المُولِّد للأحاسيس والمشاعر والبُنى الذهنية والسلوكيات الاجتماعية على أرض الواقع . ولا فائدة مِن مُحاولة غَرْبلة الأنساق الإنجيلية البشرية أو تَنقيتها أو تمحيصها ، لأن هذه الأنساق غارقة في الأوهام الدينية والأساطير الصليبية والفوضى الأيديولوجية ، والكُل مُتعارض مع الجُزء ، والجُزء هادم للكل . وَلَوْ قُدِّرَ أن تُغَرْبَلَ بشكل تام وكاملٍ لتمَّ رفضُها بالكُلِّية ، لأنها محل شَك وشُبهة وتساؤل واحتمال . وما طَرَأه الاحتمال سَقَطَ بِه الاستدلال . والمَيْتُ يُدفَن ، ولا أحد يُفكِّر في إعادة إحيائه ، لأن ذلك خارج نطاق قدرتنا . والأنساقُ الإنجيلية البشرية مَيْتَة ، وينبغي دفنها ، وعدم التفكير في إحيائها أو إعادة بَعْثها ، لأن الماضي انقضى ، ولا يعود أبدًا .

والإنجيلُ الصَّليبي المُحرَّف هو بُنية عسكرية وفكرية في آنٍ معًا ، وهو إفراز للحضارة الغربية المادية المَيْتة ، وكُل ما يَصدر عن المَيْت فو مَيْت ، لأن فاقد الشيء لا يُعطيه ، والعنصرُ المُنطفِئ لا يَستطيع أن يُضيء نَفْسَه ، فكيفَ يُضيء ما حَوْلَه ؟! . والإنجيلُ المُحرَّف _ الذي تَشَعَّبَ وصارَ أناجيل مُتعدِّدة ومُتناقضة ومُتعارضة_ يُعْتَبَر مشكلةً بحد ذاته، ولا يُمكن أن يكون جُزءًا مِن الحَل . ونصوصُ الإنجيل البشري هي أفكارٌ تاريخية مُنْتَحَلَةٌ ، ليس لها سند تاريخي ، ولا شرعية دينية . ولم تنتشر هذه النصوص بسبب قُوَّتها الذاتية ، وإنما انتشرت بسبب الآلة الإعلامية الشَّرِسة المتفوِّقة ماديًّا ، والقادرة على تحويل الباطل إلى حق ، وقلب الليل إلى نهار .

ومِن أبرز التحديات في طبيعة النص الإنجيلي البشري ، تحوُّلُ العُقد النفسية إلى عقائد دينية، وتحوُّلُ العوائق الذهنية إلى أيديولوجيات صليبية ميثولوجية . وهذا التَّحَوُّل الثنائي شديد الخطورة ، لأنه يَجعل الإنجيلَ البشري ذا مفهوم هُلامي فضفاض ، يتم تشكيله والتلاعب بأبعاده ، لِشَرْعنة الوهم ، وإضفاء القداسة على الأنساق الخُرافية ، ومنح العِصمة للبُنى الدينية الأسطورية ، كما أنه يَجعل خشبةَ الصليب ذات منحى إقصائي مُضاد للنمو الطبيعي للمشاعر الإنسانية والطموحاتِ البشرية . وإذا أردنا الوصول إلى الماهية الحقيقية للنص الإنجيلي البشري، فينبغي زَلزلة المُسلَّمات الوهمية المصبوغة بهالة العِصمة والقداسة ، وخَلْخلة الأساس الشعوري للأفراد والجماعات ، لأن هذا الأساس تَمَّ ترسيخه بِفِعل منطق القوة لا قوة المنطق .

وبشكل عام ، إن العقائد النصرانية الصليبية تفتقر إلى التسلسل العقلاني المنطقي ، لأنها متواليات تكاثرية فوضوية مجهولة المصدر ، ومقطوعة السند ، ولا تُعرَف نُقطة بدايتها ، ولا نُقطة نهايتها . وهذا الرُّكام العَقَدِيُّ عبارة عن أوهام طبقية لسيطرة السادة على العبيد ، وهَيمنة الأغنياء على الفقراء ، وسرقة البلاد والعباد باسم الصليب . والنصرانيةُ هي تراكمات خُرافية قائمة على

تحقيق المصالح المادية الشخصية . وبعبارة أخرى ، إن النصرانية هي أكل الدنيا بالدِّين . ويجب توليد أنساق زمنية ومعرفية في قلب أوهام الإنجيل البشري ، مِن أجل إتاحة الفرصة للإنسان النصراني أن يَلتقيَ بإنسانيته ، بعيدًا عن الخجل ، والتشويش ، والأفكارِ المُلوَّثة بالعناصر المُؤدْلَجَة . والإشكالياتُ في طبيعة تحوُّلات الإنجيل الخُرافي نابعة من البرمجة الدينية المُخطَّط لها مُسْبَقًا لتكريس عبودية الإنسان للإنسان . وهذا المبدأ ثابت في النصرانية ، ويدل بوضوح على أنها ديانة أرضية وَضْعية باطلة ، لأن الدِّين الصحيح إنما جاءَ مِن أجل تحرير الإنسان من عبودية الإنسان ، والالتزام بعبادة الله وَحْدَه ، لأن الخالق هو المستحق للعبادة ، بلا شريك ولا نِد . وكيفَ يكون المخلوق شريكًا للخالق ونِدًّا له ؟! . لا يُمكن للمصنوع أن يَكون شريكًا للصانع .

والتشريعاتُ الكنسية الاستغلالية الابتزازية رسَّخت الاختناقَ في النَّفْس البشرية ، وكرَّست التناحرَ في المجتمع الإنساني . وهذه التشريعاتُ تعتمد على منهجية الاحتكار الفِئَوي لسُلطة تأويل النصوص الدينية . وقد تبدو هذه المنهجية _ للوَهْلة الأولى _ متماكسة وعميقة ، لكنها مُغرِقة في الضَّحالة ، والسطحية ، واستدعاء التاريخ الميثولوجي ، وتجذير الاستغلال الطبقي ، وتكريس العبث الأيديولوجي ، وشَرْعنة استبداد المعنى ، ضمن عملية إغراق مَاضَوِي عُنصري مُغرِض ، يقوم على العُقَد النفسية التاريخية ، وكراهية الآخَر ، ونشر فكرة المَظلومية والبَراءة .

والحضارةُ الغربية المادية لا تقوم على أساس عَلْماني ، وإنما تقوم على أساس إنجيلي صليبي حاقد ، والعَلْمانية مُجرَّد شكل لا يُؤثِّر في المضمون ، ومُجرَّد طَابَع بريد لا يُؤثِّر في طبيعة الرسالة. وأنساقُ هذه الحضارة الوَحْشية والمُتوحِّشة والمُوحشة محصورةٌ بين الأضداد والتناقضات والاحتمالات ، وما طَرَأه الاحتمال سقط به الاستدلال . وهذه الحضارةُ لا تملك القدرة على الإثبات ، لأنها مَنفية وشاذة عن المسار الإنساني القويم ، وفاقد الشيء لا يُعطيه .

والإنجيلُ البشري هو أساس الحضارة الغربية وفنونها وآدابها وثقافتها ، والفن ابن الدِّين . وتُمثِّل النصوصُ الإنجيلية المُحرَّفة النواةَ الفلسفية لتشكيل بؤر التطرف نفسيًّا واجتماعيًّا . وهذا التطرفُ المنتشر على جميع الأصعدة هو سبب اضطراب الدَّلالات الدينية ، وهو سبب انتحار الوَعي في الإنجيل البشري ، لذلك ، تتقاتل الدَّلالاتُ الدينية غير الواعية فيما بينها ، فتنكمش إلى حد التآكل والاضمحلال . وكل السياقات الإنجيلية الصليبية في فلسفة العقل الديني المهووس برفض الآخر وقتله وإبادته (محاكم التفتيش والحملات الصليبية للقتل والتنصير) ، هي سياقات مركزية مادية للاستثمار في سَفْك الدماء ، وتوظيفِ الدِّين لخدمة أغراض سياسية ، والقتلِ

باسم الله ، والإبادة باسم الإنجيل ، والذبح باسم الصليب . والنصرانيةُ (المسيحية) ديانة دموية بطبعها ، وهي قائمة على الدَّم والقتل والإبادة والذبح . والصليبُ في العقيدة النصرانية يدل على وحشية الإنجيل البشري ، وحُب النصرانية للموت والقتل وسَفك الدماء . والدَّمُ له مركزية دينية في النصرانية القائمة على سَفك الدماء وأكل لحوم البشر. وهذا النصُّ الإنجيلي الداعم للإرهاب يُبيِّن الصورةَ كاملةً : ((فأجابَهم يَسوع : ((الحقَّ الحقَّ أقولُ لكم : إذا لم تأكلوا جَسَدَ ابنِ الإنسان وتَشربوا دَمَه فلا حياة لكم في داخلكم . مَن يأكلْ جَسَدي ويشربْ دمي ، فله حياةٌ أبدية ، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير)))) [يُوحنَّا ٦: ٥٣و٥٤] .

هذا النص المكذوب على السَّيد المسيح ، يُمثِّل دَعوةً صريحة لأكل لحم الإنسان وشُرب دَمه . وعلماءُ النصارى يقولون إن هذا النص يَحمل دَلالةً دينية رمزية ، ولا يُحمَل على ظاهره . وهذا القول مرفوض جُملةً وتفصيلًا ، لأن الأمثال والتَّشبيهات الدينية الصحيحة تقوم على اللغة النظيفة ودلالاتها العميقة المُؤثِّرة ، وتأتي هذه الأمثال والتَّشبيهات لهداية الناس ، وتقريب فهم النصوص إلى أذهانهم ، ومِن أجل أخذ الدروس والعِبَر والعِظَة والاتِّعاظ. واللهُ يُبيِّن الأمثالَ للناس ، ويُوضِّح لهم التَّشبيهات ، كَي يتَّعظوا ويَعتَبِروا ، فيَبتعدوا عن المعاصي، ويَتمسَّكوا بالطاعاتِ .

واللهُ يُقرِّب المعاني لأذهان الناس كَي يَفهموا ويتذكَّروا ، ويُسهِّل عليهم إدراكَ الأمورِ والإلمامَ بها ، ويُوضِّح الأشياءَ لهم كَي تَقْدِر عقولُهم على استيعابها بدون تعقيد ولا عوائق ، ويُصوِّر لهم المعاني كي يَشعروا بها ، ويَعرفوا المقصود منها. ولا شَكَّ أن القضايا المعنوية عندما تتجلى في أشكال المحسوسات يَسْهُل فَهْمُها . والتَّشبيهُ بأكل لحوم البشر وشُرب الدم ، لا يُمكن أن يكون مِن كلام الله ولا كلام المسيح، لأن هذه التشبيه المُتوحِّش العنيف مرفوض ، ويَتعارض مع المعاني الدينية السليمة . وليس كُل تشبيه مَقبولًا . ولغةُ الوَحْي الإلهيِّ هي لغة شريفة طاهرة مُستقيمة ، لا تجد فيها تشبيهاتٍ مُبتذلة ، ولا تعبيرات وحشية ، ولا مُصطلحات دموية مُتطرِّفة ، ولا دعوة لأكل لحوم البشر وشُرب الدم ، والقتل ، والإبادة ، والإرهاب .

ألم يجد السَّيدُ المسيح تعبيراتٍ أفضل وتشبيهاتٍ أجمل مِن أكل لحمه وشُرب دمه للدَّلالة على المعاني الدينية والأخلاق الحميدة والأفكار الشريفة ؟ . إن هذا النص الدموي يدل على وحشية الإنجيل البشري ، ودَعوته الصريحة لأكل لحوم الناس وسفك دمائهم ، وهو نَص مكذوب على السَّيد المسيح ، ولا يُمكن أن يكون هذا الكلام وَحْيًا سماويًّا . لقد أنزلَ اللهُ الإنجيلَ على النبيِّ عيسى ﷺ لهداية الناس وإرشادهم وتَوجيههم إلى الحق والحقيقة والصواب والرَّشاد . ولغةُ

الإنجيل الحقيقي لغة شريفة وجميلة ومُؤثِّرة ، لأنها وَحْيٌ سماويٌّ إلهيٌّ ، ولا يُمكن أن تجد فيها كلمةً نابية ، أو تشبيهًا دمويًّا مُتَوَحِّشًا ، أو تعبيرًا يَدعو إلى القتل والإبادة ، أو صورةً مُقزِّزة ومُنفِّرة تقوم على أكل لحوم البشر وسفك دمائهم وشُربها . وهذه المعاني الوحشية في الإنجيل البشري دليل واضح على تحريف الإنجيل، والتلاعب بنصوصه، وتغيير الوَحْي الإلهيّ ، وتبديل كلام الله .

ونصوصُ الإنجيل البشري تُمثِّل التراثَ الصليبي العنيف ، الذي يرفض التسامح ، ويُعارض مبادئ التعايش والأُخُوَّة البشرية . وتركيبةُ النص الإنجيلي المُحرَّف هي متواليات تعتمد على إرهاصات اللاوَعْي، وتكريسِ المنظور الفلسفي الأيديولوجي الرافض لفكرة طرح الأسئلة المصيرية.

ويوجد خَلْط مُتعمَّد في العقائد النصرانية الصليبية ، وهذا مرجعه إلى المصطلحات الفَضْفاضة التي يتم التلاعب بها ، وتصميمها ، وتشكيلها ، حَسَب المصلحة والهدف . وهذه الهُلامية اللغوية الأيديولوجية مقصودة، ومُبَرْمَجَة ، ومُخطَّط لها مُسْبَقًا ، وتُعْتَبَر سلاحًا في يد رجال الدِّين ، لأنها تُعطيهم فرصة لَوْي أعناق النصوص ، والتلاعب بها ، وتَطْويعها لخدمة مصالحهم ومصالح عِلْية القَوم ، وتوظيفها في أي اتِّجاه يُريدونه . وهذا يدل على تغييب المنهجية العِلمية الواضحة ، وتَحييد العناصر الفكرية المركزية ، وتهميش الفروع والأصول ، مِن أجل اختراع نصوص أيديولوجية تكون بمثابة قوالب فكرية جاهزة ، يُعاد تشكيلها باستمرار حَسَب الزمان والمكان وطبيعة الناس .

والإشكاليةُ الجذريةُ في النَّسَق الإنجيلي الكَنَسي أن رجال الدين يتداولون مُصْطَلَحَي اللاهوت والناسوت بعبثية فَجَّة ، ومفضوحة على كافة المستويات الفكرية ، ومفتوحة على كل الفلسفات المنحرفة والجدليات الميثولوجية ، مُستندين إلى تصوُّرات فاسدة عن الله وصِفاته المُقدَّسة التي لا تُشْبِه شيئًا ، ولا يُشبهها شَيء . وهذا الانحراف هو السبب الكامن وراء الانهيارات الأيديولوجية المُتتابعة في طريقة تكوين البُنى الفلسفة الجدلية المادية في طبيعة نصوص الإنجيل المُحرَّف .

والنواةُ الفكريةُ الحاضنة لِسُلطة الكَهَنُوت المُصادِمة لحركة التحرير الفكري وفلسفةِ التنوير العقلاني ، هي نواة مركزية شديدة الاستقطاب ، تتمحور حول فرضيات الغرور والاستعلاء والتفوُّق العِرْقي وصَفاء النَّوْع ، وخُرافةِ " شعب الله المُختار " الذي اختاره للخلاص ، وخصَّه بنعيم الجنة الأبديّ ، بعدما أعدمَ اللهُ ابْنَه المسيح ، وصَلَبَه على خشبة الصَّليب ، ليكونَ كبشَ فِداء ، يُكفِّر عن خطيئة آدم (الأكل من الشجرة) . وهذه الخُرافةُ الدينية ، والأكذوبة الأيديولوجية ، والأسطورة العَقَدِيَّة ، هي نتاج فلسفي منحرف قائم على وراثة العقائد الوثنية التي كانت موجودةً في البلاد التي انتشرت فيها النصرانيةُ بحد السَّيف ، وانتهاج سياسة الترغيب والترهيب ، والتَّلويح

بالمال والعصا ، واستغلال حاجة الناس وجهلهم وفقرهم وبُؤسهم ومرضهم . وهذا هو منهج الحملات التَّنصيرية (التَّبشيرية) في كل زمان ومكان ، خصوصًا في قَارَّة أفريقيا الفقيرة الجاهلة .

لقد ثَبَتَ بالأدلة القطعية والبراهين اليقينية أن الإنجيل قد أصابه التَّحريف والتبديل والتَّغيير، على صَعِيدَي الألفاظ والمعاني معًا . وبذلك ، يكون الإنجيلُ البشري فاقدًا للشرعية والمِصداقية. معَ ضرورة الانتباه إلى أن التَّحريف الذي أصابَ الإنجيلَ تَمَّ بصورة تخدم مصالِحَ الطبقة الحاكمة دينيًّا وسياسيًّا . لذلك صار الفكر النصراني الصَّليبي _ الذي تمَّت صَهينتُه _ مجتمعًا طبقيًّا قمعيًّا مُغْلَقًا ضِمن متاهة الكَهَنُوت المُسيَّجة بالأبعاد الفلسفية لتحريف الإنجيل. وعمليةُ تَحريف الإنجيل مُتماهية معَ احتكار سُلطة تأويل النصوص الدينية ، والاحتكامِ إلى منطق القوة والعُنف في شَرْعنة النصوص الدينية معنويًّا وماديًّا . وهذا أدَّى إلى قتل المُخالفين في العقيدة ، والتَّنكيل بهم ، واختراع مُبرِّرات للقتل والإبادة والتَّطهير العِرقي ، وهذا واضح في منهجية الحملات الصليبية التي قادها البابوات (أعظم المرجعيات النصرانية في العالَم) باسم الله، وواضحٌ كذلك في منهجية محاكم التَّفتيش التي أُنشِئت بمُبارَكة البابوات، في الأندلس ضد المسلمين واليهود ، وفي غَير الأندلس ضِد الطوائف النصرانية المختلفة. والغريبُ أن الفاتيكان لم يستمتع بقتل المسلمين فَحَسْب ، وإنما استمتعَ أيضًا بقتل اليهود والبروتستانت وغَيرهم ، معَ أن الكفر مِلَّة واحدة .

لا فائدة مِن إضفاء القداسة والعِصمة على نصوص الإنجيل البشري ، لأن هذه العملية تُشبه رَش السُّكَّر على الموت ، والمطلوب هو الاعتراف بموت هذه النصوص ودفنها ، وليس إلباسها الأقنعة ومحاوله إحيائها . وعلى الرغم من بريق الأقنعة ، فهي خادعة ومُضلِّلة ، ولا تُغيِّر حقيقةَ الوجه القبيح ، لأن الجوهر ثابت ، والعَرَض زائل ، والعَرَضُ لا يدوم زَمَانَيْن . وصبغُ النصوص الإنجيلية البشرية بالألوان البَرَّاقة الجذَّابة ، لن يُؤدِّيَ إلا إلى مزيد من الوعي النقدي ، الذي يَدفع باتِّجاه هدم التراث النصراني الصليبي ، وإعلاء صوت العقل الرافض لتحريف الإنجيل ، لأن الإنجيل الأصلي هو كلام الله ، ووَحْي السماء ، وقد أنزله اللهُ على السَّيد المسيح لهداية الناس وإرشادهم ، وليس لإضلالهم وخداعهم . إن أحَدًا لا يريد أن ينظر في المرآة لئلا يرى قناعَه الدموي ، ويكتشف حقيقةَ الحقد الذي يُسيطر على قلبه . والمشكلةُ أن هذا الحقد ليس محصورًا في إطار المشاعر والأحاسيس . إنه عابر للحدود المعنوية والمادية . وقد تحوَّلَ هذا الحقد إلى شَطَط طبقي ، ونصوص عَقَدِيَّة خُرافية، وسلوكيات اجتماعية مُتطرِّفة، وبُنى دينية قائمة على عَسْكرة الألفاظ والمعاني في الإنجيل البشري، وإعلان الحروب باسم الله ، وسَفك الدماء باسم الإنجيل ،

والقتل على الهُوية باسم الصليب . ومِن أسوأ الكوارث الأيديولوجية التي سقطت فيها الكنيسةُ_باعتبارها مؤسسةً إقطاعية دموية_ محاولةُ تبرير القتل ، وشَرْعنة الإبادة ، وتَجميل التَّطهير العِرقي ، وكُل ذلك باستخدام نصوص الإنجيل البشري ، وتوظيفها لخدمة المشروع الصَّليبي القائم على قتل الآخَر معنويًّا وماديًّا ، وإلغاء حضارته وتاريخه ، جُملةً وتفصيلًا ، شكلًا وموضوعًا .

لقد قامت الكنيسةُ الإقطاعيةُ باحتلال ألفاظ الإنجيل البشري ، واحتكار تأويل مَعانيه ، وتفصيل مفاهيم جديدة مَصْلحية على مَقاس عِلْية القَوم مِن الحُكَّام والسياسيين والأغنياء والعلماء، مِن أجل تحويل الشَّك إلى يقين ، والوهم إلى حقيقة ، والأسطورة إلى أيديولوجية ، ونقل العقائد النصرانية مِن الخُرافة الذهنية إلى الإرهاب الواقعي ، وإحالة نصوص الإنجيل البشري إلى سيوف مُسلَّطة على الرقاب . وكُل هذه الانحرافات محمية مِن قِبَل بابا الفاتيكان ، ويتم تكريسها تحت مظلة هذه الدولة الكهنوتية الدينية المتطرفة (الفاتيكان) ، معَ العِلم أن " الفاتيكان " لَم يُذكَر في الإنجيل ، ولم يُذكَر في النصوص النصرانية الدينية ، وغير موجود في تعاليم السَّيد المسيح . والسَّيدُ المسيحُ شخصيًّا لم يُؤسِّس دَولةً ، ولم يَجِئْ لتأسيس دَولة ، ولم يُقدِّم نَفْسَه كرئيس دَولة وزعيم سياسي . إذن ، كيف تَمَّ اختراع " الفاتيكان " ؟ . ومِن أين جاء بابا الفاتيكان ؟ .

إن وجود الفاتيكان ليس له شرعية دينية ، وهو ضِد الإنجيل الذي جاء به المسيح . وهذه الدولةُ المارقةُ قفزت على مسرح السياسة الدولية لإيجاد حاضنة تَوحيدية للكاثوليك الذين يُسيطرون بشكل عام على النصرانية ، ويَحتكرون الإنجيلَ البشري ، ويتلاعبون بتعاليم المسيح ، مع إقصاء مُتعمَّد للبروتستانت والأرثوذكس والأنكليكان ، ورفض لهم ، يصل إلى حَد التكفير واتهامهم بالهَرْطقة وحِرمانهم مِن الجنة في كثير من الأحيان ، رغم أن المصالح الدينية والسياسية تلعب دورًا هامًّا في تَوحيدهم ظاهريًّا . ومهما تصافحت الأيدي ، تظل القلوب مُشتعلة بالنار ! .

ويُمثِّل اختراعُ منصب" بابا الفاتيكان " تكوينًا سياسيًّا تَسَلُّطِيًّا ، وتكريسًا لمبدأ التبعية والإذلال والسيطرة والهَيمنة . والجريمةُ الكبرى التي قام بها الفاتيكان على مدار تاريخه ، باعتباره المؤسسة الكنسية الكهنوتية الإقطاعية العُليا ، هي تفجير الإنجيل البشري من الداخل معنويًّا ، أي تحطيم نصوصه ، وزراعتها بالأيديولوجيات المتطرفة ، والقتل على الهوية ، وإبادة المسلمين والبروتستانت والأرثوذكس واليهود . ولم تقف الأمور عند القتل والإبادة ، وإنما أيضًا تَمَّ شَرْعنة القتل ، وإيجاد مُبرِّرات دينية وفلسفية له . ومِن أسوأ الأمثلة على ذلك : محاكم التفتيش ضد المسلمين واليهود وبعض الطوائف النصرانية ، وهذه المحاكم ظهرت وتكرَّرت في فترات زمنية مُتعدِّدة ، ولم تكن

خطأ عابرًا في مرحلة زمنية مُؤقَّتة. وهذا دليل باهر على أن محاكم التفتيش سياسة نصرانية أساسية، ومنهجية إنجيلية مُعْتَمَدَة . ولا يُمكن نسيان صمت الفاتيكان المُريب ، والذي يصل إلى حد التواطؤ والمؤامرة أمام قتل المسلمين في البوسنة والهرسك، وقتل اليهود على أيدي النازيين. وهناك عبارة رمزية للكاتب الفرنسي ألبير كامو : ((لَسْنا ننشُد عَالَمًا لا يُقتَل فيه أحد ، بَل عَالَمًا لا يُمكن فيه تبرير القتل)) اهـ . وللأسف الشديد ، إن الفاتيكان نَشَرَ القتلَ والإبادةَ والتطهير العِرقي ، ولم يكتفِ بهذا ، بَل أيضًا قامَ بتبرير القتل ، وشَرْعنة الإبادة ، وتَجميل التطهير العِرقي.

وتتجلى منهجيةُ المرجعية الكهنوتية الصَّليبية في المُتاجرة بالنصوص الدينية الخُرافية ، والاستثمار في العلاقات الاجتماعية المُزيَّفة ، والطاقاتِ الشهوانية المكبوتة ، والتلاعب بشهوات المجتمعات البدائية التي تدور حول الخبز والجِنس ، الخُبز لبقاء الحياة ، والجنس لبقاء النَّسْل .

وفي سبيل هاتَيْن الغايَتَيْن (الخُبز والجِنس) ، يُضطر الإنسان المسحوق إلى القَبول بالذل والخِزي والعار ، ويقع ضحيةً للخوف الذي يَشُل تفكيرَه ، ويُعطِّل عقلَه ، وهذا يَدفعه إلى تسليم عقله وتفكيره للحُكام ورجال الدين ، الذين يُفكِّرون بالنيابة عنه ، ويتَّخذون القرارات المصيرية باسمه ، وهو آخر مَن يَعْلَم . لقد تَمَّ تفصيل ألفاظ الإنجيل البشري ومَعَانيه على مقاس أيديولوجية الكنيسة ، باعتبارها المؤسسة الدينية الإقطاعية التي تَمنح الشرعيةَ للحُكَّام ، الذين يُسيطرون بدورهم على الناس . وتَمَّ تَوجيه الأسفار الدينية نحو صناعة الوعي الجديد الذي فصَّله وبَرْمَجه عَرَّابو التَّشريع النصراني الكَهَنوتي المُتَصَهْيِنُون ، لذلك صار الإنجيلُ البشري شبيهًا بدساتير الدُّوَل البوليسية ، وصارت العقيدةُ النصرانية المتآكلة شبيهة كأحكام الإعدام . وعلى الرغم من التقدُّم الحضاري والنهضة العِلمية المادية في الغرب، إلا أن المؤسسات النصرانية لا تزال تعيش في عقلية كنائس القرون الوُسطى المُظلمة . وما الفائدةُ مِن تغيير غلاف الإنجيل البشري وتَلميعه وتَزيينه إذا كان المضمون شديد السَّواد ؟ . وما الفائدةُ مِن الكتابة بماء الذَّهَب إذا كان الكلام يدعو إلى الظلام والدمار ؟ . لا بُدَّ مِن إقامة قطيعة دينية وفلسفية بين النص الإنجيلي البشري ومَعناه المُؤَدْلَج ، لأن هذه القطيعة مِن شأنها تعرية الإنجيل من العقائد النصرانية الصَّليبية ذات النزعة المادية الجدلية . وأيضًا ، فَضْح رجال الدين الذين وفَّروا الغطاءَ الشرعي لانحرافات الحُكَّام وفسادهم وسرقاتهم واستغلالهم للفقراء والبُسطاء والعوام والجُهَّال .

إن جُرثومة التطرف تحتل عقول حُرَّاس هياكل الوهم ، الذين يُبرِّرون حَمْل السَّيف في مواجهة العقل ، ويَجعلون خشبةَ الصَّليب شعارًا للحقد والكراهية والقتل والإبادة . والمفروضُ أن تُمثِّل

العقائدُ الدينيةُ مبادئَ الحُب والتسامح والأُخُوَّة والتعاون والسلام . ولكن العقائد الدينية في النصرانية الصَّليبية صارت رمزًا للعنف والتطرُّف والإرهاب والقتل ومَحْو الآخَر مِن الوجود معنويًّا وماديًّا ، وهذا مرجعه إلى عمليات الأدلجة المستمرة ، وحشد الجماهير ذات الطبيعة الغَوغائية مِن أجل تحقيق مصالح طبقة مُعيَّنة محدودة ذات طبيعة نُخبوية سُلْطَوِيَّة . والإشكالياتُ الدينية في الإنجيل البشري دائمة التَّفَجُّر ، ودائمة التَّشَظِّي. وكُل الانفجارات اللغوية والشظايا الأيديولوجية ، يتم تحويلها إلى تصوُّرات دينية أسطورية مُتلازمة معَ المِخيال الإنجيلي الوهمي ، الذي يتبعثر في العبث واللامعقول . وهاتان الصفتان السلبيتان تَعملان على تجذير الخُرافات والأوهام والأساطير في الإنجيل البشري ، وتُحاولان شَرْعنة المرجعية الدينية للإنجيل المُحرَّف ، وتصوير الإنجيل البشري المُحرَّف كَوَحْي إلهيٍّ فوق النقد والنقض والمُساءلة . وهذه الفَوقيةُ المعرفية المُخادعة تقوم على اختراع مُسلَّمات باطلة وتقديسها ، وحمايتها بمنطق القُوَّة ، وضمان انتشارها بانتهاج أساليب التخويف والترهيب ، بعيدًا عن الأدلة والبراهين والمنطق والقناعة والقَبول الذاتي . وهذا الأمرُ يُعْتَبَر شيئًا عاديًّا ، لأن النصرانية أصلًا انتشرت بالسَّيف . ومِن أهم التحديات في النصرانية الصليبية ، تحوُّلُ نصوص الإنجيل البشري إلى شظايا مُشتَّتة ومُبَعْثَرَة ، غَير صالحة للتطبيق على أرض الواقع . وتصدُّعُ النواة المركزية في الإنجيل البشري ينسحب على الألفاظ والمعاني والتوابع الفكرية . وإذا تَلَوَّثَ منبع النهر ، لا بُد أن تتلوَّث روافده. وما بُنِيَ على باطل فهو باطل .

والإشكاليةُ الجذرية في نصوص الإنجيل البشري أنها مبنية على الأضداد والتناقضات ، مِمَّا يُنتِج انهياراتٍ متكررة على صعيد الوعي والوعي المُضاد ، ويُولِّد انكساراتٍ في مستويات المعنى ، الذي يتم توظيفه لقتل الآخَر، وإبادة حضارته ، والحَجْر على العقل ، ومَنع التفكيرِ وطرحِ الأسئلة.

والنصرانيةُ (المسيحية) باعتبارها ديانةً أرضية، تعتمد على اختراع تطبيقات مُتطرِّفة للنصوص الشاذة عن المسار العقلاني التَّنويري ، لذلك تنهار المعاني ، وتفقد الألفاظُ دلالتها الرمزية ، ويتكرَّس القمعُ والاضطهادُ والاستبدادُ ، لأن العقل إذا غابَ أو غُيِّبَ عن أنساق الحياة الإنسانية ، فإن شهوة الانتقام المُتَشَظِّية سوفَ تُصبح دِينًا جديدًا ، له انعكاسات هائلة على الفرد والجماعة ، ويتجذَّر الشَّكُّ في تفاصيل الوجود البشري . ومَن اعتمدَ على السَّيف في نشر أفكاره ، وإجبار الآخرين على اعتناقها ، سيقع ضحيةً للتطرف والهلع والخوف ، ومَن سَلَّ سيفَ البَغْي صُرِعَ بِه . ومَن لا دِينَ له في هذه الحياة ، يُصبح الخوفُ دِينًا له . وخطورةُ الخوف تكمن في قُدرته على شَل التفكير ، ومنعَ الاستمتاع بالحياة . لذلك ، يكونُ الخائفُ شخصًا ميتًا رغم حركته في المجتمع .

ولا بُد مِن تأصيل التَّعرية المُستدامة لأصول النصرانية وفروعها ، وتفكيك الأنظمة القمعية السُّلطوية في الإنجيل البشري ، مِن أجل مُحاصرتها ، تمهيدًا لإلغائها وإزالتها ، وسحبِ الشرعية الوهمية مِنها . وللأسف ، لقد اختلطت المعاني الحقيقية بالمَجازية في الإنجيل البشري ، وهذا سبَّب إرباكًا في المنظومات الفلسفية المُحيطة بفقه المفاهيم وتأويلِ البُنى النَّصية ، وانتشرَ الخلطُ المُتعمَّد المُغرِض بين التعابير الحقيقية والمُصطلحات المَجازية . وهذه الفوضى العارمة في عناصر اللغة الدينية وتطبيقاتها الذهنية والواقعية ، سَتُؤدِّي إلى ثورة شاملة في فهم الإنجيل البشري الذي تَشَظَّى وتبعثرَ إلى أناجيل مُتناقضة وأسفار مُتعارضة ورسائل مُتضاربة . وهذا التَّشَظِّي الأيديولوجي مِن أبرز الأدلة على تحريف الإنجيل وتغييره وتبديله . وينبغي أن نتذكَّر دائمًا أن الله قد أنزلَ إنجيلًا واحدًا على السَّيد المسيح ﷺ . فأينَ هو إنجيل المسيح ؟ . كيف صارَ الإنجيلُ الواحدُ أناجيل كثيرة ورسائل متعددة وأسفارًا مُتنوعة ؟ . هذا السؤال الصادم قد يَغيب عن أذهان الكثيرين في زحمة الحشد الأيديولوجي والضجيج العَقَدي ، ولكنه يظل دليلًا واضحًا على تحريف الإنجيل .

وتحريفُ الإنجيل مُوثَّق بالأدلة والبراهين والحُجَج الدامغة، وليس عبارةً عابرةً تُلقَى هُنا وهُناك، وليس اتِّهامًا بدافع الحقد والكراهية والحسد والغَيرة . إن نصوص الإنجيل المتناقضة تدل بوضوح على تحريف الإنجيل وتغييره والتلاعب به . ومِن المستحيل اجتماع الأضداد وتلاقي التناقضات في نصوص الإنجيل البشري ، والضِّدان لا يَجتمعان ، والمُتناقضان لا يَلْتقيان .

ويجب على الإنسان (المُتَلَقِّي) أن يستقل بشكل فِعلي وعملي عَن هَيمنة الفَوضى النَّصية الإنجيلية ، لأن هذه الهَيمنة المُضادة للعقل والمنطق تُصادر حقَّ الإنسان في التفكير ، وتَمنعه مِن طرح الأسئلة على البُنى الدينية الصليبية . والقاعدةُ الثابتة في النصرانية هي : " اعْتَنِقْ ولا تُفكِّر ". وهذه القاعدة المركزية تُغيِّب العقلَ ، وتدفع باتجاه منع النقد والمُساءلة . والكنيسةُ الإقطاعيةُ تُريد قطيعًا مِن الخِرَاف المؤمنة بالخُرافات ، كي يَسهُل حُكمها والسيطرة عليها وذبحها عند الحاجة . وهنا تبرز أهمية توليد استقلالية إنسانية حقيقية عن أوهام الإنجيل البشري ، وينبغي أن تكون هذه الاستقلالية غير خاضعة للمُعطى السياسي القمعي السُّلْطوي . لقد قامَ رجال الدين النصارى بتفصيل الإنجيل البشري على مَقاس طُموحات السياسيين الذين وظَّفوا الدِّينَ من أجل تحقيق مكاسب مادية ، ومنافع شخصية ، وإنجازات انتخابية، وإيجاد شرعية للدُّوَل والحكومات القائمة على التلاعب بثنائية (المُقدَّس والمُسدَّس) . وهذا الأمرُ ليس غريبًا، لأن منطق القوة الاستغلالي الذي يُسيطر على الكنيسة الإقطاعية ، يُسيطر أيضًا على عالَم السياسة . وهذه سلسلة طويلة من

الانهيارات الدينية تشمل إقامة عقائد الإنجيل البشري بقوة السَّيف ، وفَرْض الأيديولوجيات الصليبية على الناس بالمكر والخديعة والتَّلويح بالعصا والجَزَرة.وعقول غالبية الناس مُغلَقة أمام مناهج البحث العِلمي، وقلوبهم خائفة مِن التَّشوير والتَّنوير . ولا بُد مِن الثورة على انحرافات الكنيسة الإقطاعية ، وأوهامِ الإنجيل الاستغلالي .

إن الغربَ المُتقدِّم ماديًّا ، المُتخلِّف عَقَدِيًّا ، يَغرق في شهواته وهَلْوساته بسبب غياب المنهج العِلمي الدقيق ، والانحراف عن الطريق المستقيم . وعلى الرغم مِن رَفع الغرب للصليب كشعار ، واعتماده على الإنجيل البشري كمصدر لثقافته وتُراثه ، إلا أنه _ أي الغرب _ غير مُقتنع بالنصرانية (المسيحية) رغم اعتناقه لها ظاهريًّا ، لذلك هَرَبَ الغربُ من النصرانية (الديانة الأرضية الوضعية) والإنجيلِ (الكتاب البشري المُحرَّف) إلى الفلسفة . وصارت الفلسفة دِينًا جديدًا في كثير مِن الأماكن ، وانتشرت الشُّكوك والشُّبهات والشَّهوات ، وغابَ اليقينُ ، وانتحرَ المعنى ، وفقدَ الإنسانُ إنسانيته ، وصارت الأوهام الدينية مُسلَّمات فوق مستوى النقد والأسئلة .

لقد كان الاستخرابُ (الذي يُسمَّى كذبًا وزُورًا بالاستعمار) ابنًا لعقيدة الصليب ، ونتاجًا طبيعيًّا لنصوص الإنجيل المُتطرِّفة . والاستخرابُ هو التطبيق الواقعي للعقيدة النصرانية الدَّموية ، وهو حلقة في سلسلة الحملات الصليبية المستمرة على الصعيدَيْن العسكري والمعنوي .

والكنيسةُ هي مؤسسة مالية وشركة استثمارية ، تستثمر في دماء الناس وأحلامهم وعقائدهم ، وتحتكر تأويل نصوص الإنجيل البشري ، كما يتم احتكار السِّلَع والبضائع ، وإخراجها في وقت مُحدَّد للحصول على أعلى قَدْر مِن الأرباح والمكاسب .

إن ثالوث الإبادة (السُّلطة ، المال ، الإعلام) سيطرَ على الإنجيل البشري المُحرَّف ، وتلاعبَ بنصوصه ، وامتلكَ حقوق تأويل هذه النصوص وتوجيهها معنويًّا وماديًّا ، ضمن مناخات استبدادية، وتصوُّرات لا إنسانية ، تَرْمي إلى إلغاء دور العقل ، وتهدف إلى اختراع مُسلَّمات باطلة، تُثير الفوضى في العلاقة بين عناصر الطبيعة وسيادة الإنسان عليها .

وهذه الفوضى لها صفة انسحابية ، أي إنها تنسحب على كافة مُكوِّنات العقيدة النصرانية الصليبية وانعكاساتِها على أرض الواقع . ومِن أسوأ الأمثلة على هذه الفوضى الأيديولوجية ، الحملاتُ الصليبية ، سواءٌ بمفهومها العسكري أم المعنوي .

وهذه الحملاتُ الصليبية المُتكرِّرة ، ذات الأشكال المُتنوِّعة ، تزعم أنها تُطبِّق نصوصَ الإنجيل ، وتُنفِّذ تعاليمَ المسيح على أرض الواقع . وهذا وهمٌ واضح ، وباطلٌ فاضح ، لأن

الحملات الصليبية قامت على القتل والإبادة والتدمير وسفك دماء الأبرياء ، ومِن المُستحيل أن تكون هذه المعاني السَّيئة وَحْيًا سماويًّا أو تعاليم دينية صحيحة ، لأن الدِّين السماوي جاءَ لنشر الحق والعدل والسلام والتسامح ، وتحقيق السعادة والهناء ، وليس لنشر القتل والدمار والكراهية والإبادة والتعاسة والشقاء ، وهذا يدل على أن النصرانية (المسيحية) ديانة أرضية وَضْعية ، وليست دِينًا سماويًّا . وقد تَمَّت نِسبتها إلى السَّيد المسيح لإيجاد شرعية لها ، وتبرير أعمالها . وهذه اللعبة الأيديولوجية مكشوفة ومفضوحة ، وغارقة في متاهات الدُّونية والخُرافة والأسطورة .

لقد تقمَّصت النصرانيةُ الصَّليبيةُ الحالةَ الفَيروسيةَ ، ولم يقتصر تأثيرُها الوبائي على ذاتها ، بَل تعدَّاها ليشمل المفتونين بها ، أي المفتونين بالنصرانية الصليبية الفَيروسية ، مِن أصحاب المصالح الشخصية ، والأهداف المادية ، والمكاسب الدنيئة ، وتُجَّار الحُرُوب ، ومُلوك الطوائف ، ورجال الدِّين، والمُتاجرين بالبشر والطبيعة والألفاظ والمعاني والنُّصوص. وهذا مرجعه إلى الانهيار الشامل شكلًا وموضوعًا ، والضَّحالة في التفكير ، والاستخفاف بالأشواق الروحية والنَّزعاتِ المادية .

والنصرانيةُ الصليبية قامت على فكر الآباء المُؤسِّسين (كهنة المعبد . حُرَّاس هياكل الوهم. لصوص النُّصوص) ، وهؤلاء الآباء المؤسِّسون تلاعبوا بالإنجيل ، وبدَّلوه ، وغيَّروه ، وحوَّلوه إلى كتاب بشري مادي مُتَّحد بالقيم السلبية ، ومُندمج مع الأوهام والخُرافات والأساطير .

وهذا الانهيارُ الأيديولوجي جَعَلَ مضامينَ الإنجيل البشري تُكرِّس المُعطياتِ التاريخية المتطرفة، وتُؤسِّس للتشريعات الإرهابية ، وصارت الحضارةُ الغربية المادية تَنْفي نَفْسَها كَي تُثبِت نَفْسَها ، وتُلغي رُوحَها كي تُكرِّس جَسَدَها . وهذه الفوضى الصادمة خدعة غَير معقولة ، مُتواطئة مع السُّلطة السياسية ، ومُتماهية معَ السُّلطة الدينية .

وهاتان السُّلطتان المركزيتان تُمثِّلان الأرضيةَ الصلبة التي تقوم عليها مملكةُ الخطيئة ذات التبعات الثقيلة ذهنيًّا وتاريخيًّا وعَقَدِيًّا . وهناك إشكالية أُخرى تتعلَّق بنصوص الإنجيل البشري التي تُفهَم بشكل فوضوي تخيُّلي أسطوري بهدف توليد الأيديولوجيات الابتزازية ، وإنشاء السياسات الاستغلالية . وبُنيةُ الأسطورة في النَّص الديني تسير باتجاه مُضاد للفِطرة الإنسانية ، ومُصادم للمنطق العقلاني التَّنويري . ولا يُمكن استئصال هذه البُنية إلا بطرح الأسئلة وفحص المُسلَّمات ، التي تَمَّ تكريسها بمنطق القوة لا قوة المنطق . وهذه المهمة شاقة ، وفي غاية الصعوبة ، لأن الإنجيل البشري غارق في أدلجة المصالح الشخصية ، والنصرانية الصليبية غارقة في تطبيقات الاستغلال والابتزاز.والعمى الأيديولوجي مُسيطر على الكنيسة(المؤسسة الإنجيلية الإقطاعية) وكافة

إفرازاتها الدينية والتاريخية والاجتماعية . كما أن التَّشويش هائل وعميق ومُتجذِّر بين العناصر الفلسفية المتطرفة، التي تُشكِّل النصوصَ الدينية الإنجيلية ، وتُكوِّن النزعاتِ الاجتماعية المادية الضاغطة على الإنسان ، خصوصًا المرأة ، باعتبارها الحلقة الأضعف . والنصرانيةُ (المسيحية) قائمة بالأساس وَفْق مبدأ اضطهاد المرأة ، واستغلالها وقمعها. وهذه العقليةُ المتطرفة في التعامل معَ المرأة تنبع مِن الخلفية الفكرية المنحرفة لرجال الدين الذين يستخدمون الإنجيلَ البشري كأداة ضغط على المرأة لتكريس اضطهادها وإذلالها وإخضاعها للسُّلطة الذُّكورية التي تستمد سَطْوتها وسُلطتها مِن السُّلْطَتَيْن : السياسية والدينية . والسُّلطةُ السياسية تَحْمي رجال الدين ، وتُطلق أيديهم وألسنتهم في المجتمع ، مقابل منحها الشرعية الدينية والأخلاقية ومُباركتها مِن قِبَل الكنيسة . والسُّلطة الدينية تُوفِّر الغطاءَ الشرعي لانحرافات الحُكَّام ، وتُبرِّر سرقاتهم وفسادهم ، وتُشَرْعِن استبدادهم واضطهادهم للناس ، مُقابل الاعتراف بالصليب كشعار للدولة ومرجعية لها ، يُوضَع على التيجان والأعلام وغَيرها . لقد جَعلت النصرانيةُ الصليبيةُ المرأةَ سلعةً رخيصةً ، وبضاعةً محصورةً في ثنائية العَرْض والطلب ، تتقلَّب بين أيدي القادرين على الدفع والشراء ، مِن سماسرة النصوص الإنجيلية ، وأُمراء الحروب ، وملوك الطوائف ، وتُجَّار الرقيق الأبيض .

والعقائدُ النصرانية المتعلقة بالمرأة ذات صِفة شَعْبَوِيَّة انتهازية ، وتُمثِّل إشكاليةَ كبت جنسي أيديولوجي ، أرْسَتْ ثقافةَ البُنى التَّجريدية للانهيار الإنجيلي الفلسفي ، وحَشَرَت المرأةَ في زاوية التَّسَلُّع ، واعتبرت الكيانَ الأنثوي أحدَ مُنتجات ثقافة الجسد المُؤَدْلَج ، حيث تصير الأنثى بضاعةً للبيع والشراء ، ودُميةً فاقدة لأنوثتها في مسرح للعرائس ، ويتم تحريكها والتلاعب بها ، لتحقيق أهداف شخصية ، ومنافع مادية ، ومكاسب أيديولوجية . وفي هذا السياق ، لا بُد مِن إعداد دراسات عَقَدِيَّة تربط بين خشبة الصليب وخشبة المذبح ، التي يُقتَل عليها الإنسان ، خصوصًا المرأة . وأيضًا، ينبغي إعداد بحوث تربط بين الصليب والكبت الجنسي، وتَدْرس فكرةَ " الصليب" باعتباره إشكالية كبت جنسي، وثقافة اضطهاد للمرأة . وهذا الأمرُ مرتبط بشكل وثيق مع تحريم الكنيسة للطلاق ، والاعتماد على الإنجيل البشري في قضية التحريم والمنع . والمذهبُ الكاثوليكي يُحرِّم الطلاقَ تحريمًا باتًّا ، حتى إنه لا يعتبر الخيانة الزوجية سببًا وجيهًا للطلاق ! ، وكُل ما يَحصل في حالة الخيانة الزوجية هو التفريق جسديًّا بين الزوجين مع اعتبار العلاقة الزوجية قائمة . أمَّا المذهبان الآخران البروتستانتي والأرثوذكسي فيُبيحان الطلاقَ في حالات مُحدَّدة ، مِنها الخيانة الزوجية ، لكنها يُحرِّمان على الرَّجل والمرأة كِلَيْهِما أن يتزوَّجا بعد ذلك ! .

يجب منح المرأة حقها في الطلاق ، وتمكينها مِن المُطالبة بكامل حقوقها ، خاصةً حقها في رفض العيش مع رَجُل لا تُريده . يجب تحرير المرأة بالإسلام الذي قدَّم رؤيةً معصومةً للخلاص البشري ، وحَفِظَ حقوقَ الأفراد في إطار الجماعة دون أن يَطغى طرفٌ على آخَر ، وأعطى المرأةَ حقَّ الخُلْع ، أي أن تخلع زوجها ، ولا تعيش مع رَجل ترفضه ، وأعطاها حَقَّ طلب الطلاق إذا كان هناك مصلحة مُعْتَبَرَة شرعًا . وهذه قمة الكرامة الإنسانية للمرأة ، وحفظ حقوقها ، واحترام مشاعرها ، والابتعاد عن اضطهادها وإهانتها واستغلال ضعفها . وعندما نُقارن موقف الإسلام معَ موقف النصرانية في قضية المرأة والطلاق ، سنرى فرقًا هائلًا بين احترام المرأة في الإسلام ، واحتقارها في النصرانية . والإسلامُ لا يُجبر المرأةَ على العَيش معَ رَجل تَكْرهه ، في حِين أن النصرانية تُجبر المرأةَ على العَيش معَ رَجل تَكْرهه باسم الإنجيل والصليب!. وهذا هو الظُّلم بِعَيْنه.

والسلوكياتُ الاجتماعية الشاذة للكنيسة القائمة على التلاعب بنصوص الإنجيل البشري واحتكار تأويلها ، تدفع المرأةَ دفعًا إلى الانحراف الأخلاقي ، حيث يتم قتلُ الحب والقيم النبيلة في داخلها بسبب احتقار المرأة وإهانتها وإهمالها وعدم تقدير مشاعرها ولا احترام أحاسيسها ، وتصنيفها كوعاء لتفريغ الشَّهوة الجنسية وآلة للتكاثر البيولوجي ، مُجرَّدة مِن إنسانيتها وكرامتها وحقوقها . والسؤال الذي يفرض نَفْسَه في هذا السياق : إلى متى سيظل رجالُ الدِّين يتحكمون بالتأويل الإنجيلي ، ويحتكرون تفسيرَ العلاقة بين الرَّجل والمرأة ؟! . آنَ الأوان لرفضِ القيم غير الإنسانية ، وإبعادها عن دائرة التحكم في حياة ملايين الناس الذين يُعانون ويضيعون بسبب تحريف نصوص الإنجيل البشري ، الذي لم يَعُدْ مُناسبًا لهذا العصر ، ولا مُلائِمًا لهذا الزمن ، خصوصًا أن الكنيسة _ المؤسسة الإقطاعية التي تُتاجر بالإنجيل البشري _ لا تزال محصورة في عقلية القرون الوُسطى ، التي أكلَ عليها الدهرُ وشربَ . والمشكلةُ في طبيعة الأنساق الفكرية النصرانية تتجلى في سيطرة رجال الدين على الإنجيل البشري ، وليس العكس ، وادِّعاء امتلاك الحقيقة المُطْلَقة والحق الكامل ، واحتكار تفسير النصوص الدينية ، التي يتم تقديسها بقوة السَّيف ومُمارسة الإرهاب الفكري والتَّرويع والتَّلويح بالعصا والجَزَرَة .

والإشكاليةُ لا يُمكن حصرها في احتكار الكنيسة لتأويل نصوص الإنجيل البشري . بل أيضًا يتم تَوجيه هذه النصوص ضِد الحضارة الإنسانية ، ومِن أجل الحَجْر على العقول ، ومنع التفكير ، ونشر المُسلَّمات الوهمية ، ومُقاومة الفكر التنويري العقلاني ، ومُعاداة النقد المنطقي البَنَّاء . وهذه الحرب الكنسية الشاملة على الحق والحقيقة ، هي الأساس الفلسفي لمُعاداة الحضارة

والمدنية شكلًا وموضوعًا ، ومُحاربة الألفاظ والمعاني مَظْهَرًا وجَوْهَرًا . وَلَوْ قُمنا باستعراض مُوجَز لأهم الأحداث في تاريخ النصرانية (المسيحية) المُظلم ، فسوفَ نحصل على رؤية شاملة لعناصر التراث الإنجيلي السلبي ، وكيفيةِ بناء الطبيعة الصليبية المُكوِّنة للتحالف المصلحي المصيري بين السُّلطات الرئيسية : الدينية والسياسية والاجتماعية ، التي ترتكز إلى ثنائية الطاغوت والكهنوت.

كانت حركةُ الانشقاق البروتستانتي أهم حدث على الإطلاق في تاريخ النصرانية . إذ إنها طَفرةٌ خطيرةٌ مُدوِّية في طريقة التعامل مع السُّلطة الكنسية البابوية الإقصائية ، وانتقالة نوعية في تحدِّي المَوروث الديني المُبَعْثَر في خيالات رجال الدِّين المريضة ودكتاتورية الحُكَّام السياسيين الذين يُنَسِّقون معَ المرجعية الكنسية ، مِن أجل تدجين الأتباع والعوام ، وإدخالهم إلى الحظيرة .

والبروتستانتيةُ جاءت كرَدَّة فِعل صاعقة وصادمة وفاضحة لنصوص الإنجيل البشري ، وسُلوكياتِ الكنيسة المنحرفة التي تاجرت بِخُرافات الإنجيل والصليب وصُكوك الغُفران ، وحوَّلت الناسَ (الجُهَّال والعوام والرَّعاع والفقراء والبُسَطاء) إلى قُطعان مِن الأغنام ، لِيَسهل قيادتها ، وذَبْحها بعد الانتهاء مِن حَلْبها . وعندما يَجِفُّ حليبُ الشَّاة ، يُصبح الذبح هو مصيرها الحتمي .

ومفهوم الانشقاق الديني في البُنى الإنجيلية المُعادية للعقل ، والمُصادمة للمنطق ، والمُناوئة للتَّنوير ، هو مفهوم اجتماعي مركزي نتج بِفِعل الثورة المعرفية الرافضة للاعتيادية والتقليد الأعمى . ومعَ أن البروتستانتية ثَورة دينية فلسفية اجتماعية ، خَلْخَلت القيمَ الإنجيلية الوهمية ذات السيادة الخُرافية ، إلا أنها _ أي البروتستانتية _ تظل محصورة في دائرة الأساطير ومتاهةِ الميثولوجيا ، شأنها شأن العقائد الإنجيلية التي تُمثِّل مركزيةَ الوهم ، وتُجسِّد نواةَ الخُرافة . ومِن المستحيل أن تَخرج ثورة طاهرة مِن بيئة فاسدة ورَحِم نَجِسة . والنصرانيةُ التي تُسمِّي نفْسها كذبًا وزورًا بالمسيحية ، هي ديانة أرضية وضعية ضِد رسالة السَّيد المسيح ﷺ . والنصرانيةُ (المسيحية) مهما تَمَّ تقديسها بقوة السَّيف والترهيب والتَّرويع والاضطهاد ، تظل ديانةً بشرية مصلحية نَفْعية ، مرفوضة جُملةً وتفصيلًا ، شكلًا وموضوعًا ، لقيامها على مبدأ التناقض ، واحتوائها على الأضداد، واشتمالها على المعارف المغلوطة والمعطيات الخُرافية .

جاءَ الانشقاقُ الديني الشرس في قلب النصرانية ، بعد إرهاصات عنيفة متمثلة في انتقاد السلوكيات الشاذة للكنيسة الكاثوليكية البابوية التي تُمثِّل محورَ المركزية الإقطاعية السُّلطوية . وأيضًا ، انتقاد تصرُّفات رجال الدِّين ، وعلى رأسهم البابا ، الذين حوَّلوا الكنيسة إلى شركة مالية استثمارية لنهب ثروات المجتمع بواسطة المُتاجرة بالدِّين ، وإخضاعه لمنطق السُّوق والعَرْض

والطلَب والربح والخسارة والتَّسلع والتسويق والبيع والشراء . وأسوأ مثال على ذلك صُكوك الغُفران ، وهذه السياسة الأيديولوجية المالية الاستغلالية ، لَيست حَدَثًا عابرًا ، ولا حالة فردية . إن صُكوك الغُفران تمَّت برعاية الكنيسة الكاثوليكية والبابا شخصيًّا، وبمُباركة كبار رجال الدِّين ، والكنيسة الكاثوليكية أعلى هيئة نصرانية في العالم ، والبابا أكبر مرجع للنصارى (الكاثوليك) في العالَم . وهذا يدل على أن أيديولوجية " صُكوك الغُفران " هي ابنة الإنجيل البشري ، وابنة عقيدة الصليب الأسطورية . كما يدل على أن النصرانية (المسيحية) لَيْست سِوى صفقة تجارية ، ومشروع مالي استثماري استغلالي انتهازي ، وسَيف مرفوع على الرِّقاب ، مِن أجل استنزاف الأتباع حتى الرَّمَق الأخير ، وامتصاص مُمتلكات البشر حتى القَطْرة الأخيرة .

وهذه الفوضى الدينية المجتمعية تعكس حجمَ المأزق في سياقات الإنجيل البشري ، وتكشف انكسارَ الوعي عند الفرد والجماعة ، مِمَّا أدى إلى تمزُّق شخصية الفرد ، وانهيار حُلم الجماعة ، وانكسار أملها في بناء مستقبل مشرق . وفي ظل هذه الانتكاسة الشاملة ، ليس غريبًا أن يتم تحويل الناس إلى دُمى في مسرح، تُحرَّك مِن وراء ستار، ويتم التلاعب بها، واستغلالها، وابتزازها. وكُل هذا مِن أجل تكريس التأويل الانتهازي للإنجيل البشري ، وتجذير التَّوظيف السياسي للتراث النصراني (المسيحي) الصَّليبي الشاذ عن مسار الحضارة والمدنية .

حصلَ شرخ هائل في الديانة النصرانية الصَّليبية الوَضْعية ، أدَّى إلى ظُهور كيان مُستقل ، ومَذهب مُنشق عن المسار الكنسي الاستغلالي التقليدي. وهذا المولود الجديد (البروتستانتية) وُلِد في الدُّوَيلات الألمانية على يد راهب اسمه مارتن لوثر (١٤٨٣ م _ ١٥٤٦ م) .

بدأ لوثر نشاطه الإصلاحي في تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٥١٧ م في عيد القِدِّيسين ، عندما علَّق على باب كنيسة قصر فيتنبرغ احتجاجه الشهير (وتَسمَّى على أساسه أتباعُه بالمُحتجين أو البروتستانت) الذي يضم ٩٥ مسألة دينية ضد صُكوك الغفران الصادرة عن المُرسَل البابوي الراهب الدومنيكي "يوهان تتزل " في عام ١٥١٦ م ، لسد الحاجات المالية الكبرى التي نشأت عن بناء كنيسة " القِدِّيس بُطرُس " في روما . وقد هاجمَ لوثر الانحرافاتِ المذهبية والثقافية للكنيسة، وعرض آراءه للمناقشة ، فتقاطرت عليه الردود بين إيجاب وسَلْب . وتدخَّل البابا ليو العاشر في النِّزاع ، فاستدعاه إلى روما لاستجوابه في أمر قضاياه تلك .

هاجمَ لوثر البابوية كنظام مسيحي ، وأكَّد هجومه على مذهب الكنيسة عام ١٥٢٠ م ، في خطابه عن " النبلاء المسيحيين في ألمانيا " ، و "الأسر البابلي للكنيسة" ، فاتَّهمه البابا ليو العاشر

بالهَرْطقة ، وأصدرَ بحقِّه عام ١٥٢١ م مَرسومًا بالحِرمان ، يحتوي على ٤١ قضية ، وأمرَ بإحراق مؤلفاته. فردَّ لوثر على ذلك بإحراق ما بِحَوْزته من براءات ووصايا بابوية عَلَنًا أمام حشد من علماء مدينة فيتنبرغ ، فدعاه الإمبراطور شارل الخامس (شارلكان) إلى حضور مجمع في مدينة فورمس عام ١٥٢١ م للتراجع عن قضاياه، لكن لوثر رفض، فأدانه المجمع، وأصدرَ الإمبراطور أمرًا بالقبض عليه، ونفْيه من سائر بلاد الإمبراطورية الألمانية، فلجأ إلى الدوق الكبير فريدريك الحكيم الذي أخفاه في قلعة فارتبورغ ، حيث قام بترجمة العهد الجديد إلى اللغة الألمانية، أتبعه لاحقًا بترجمة للعهد القديم، إلى أن اكتمل " الكتاب المُقدَّس" عام ١٥٣٤ م . فكانت أفضل ترجمة حتى اليوم ، وأدَّت دورًا مُهِمًّا في تكوين اللغة الألمانية ورُوح القومية الألمانية، وعُدَّت مِن روائع النثر الألماني . عادَ لوثر إلى مدينته فيتنبرغ عام ١٥٢٢ م بسبب اضطرابات عنيفة نجمت عن الآراء التي روَّج لها الغُلاة من تلاميذه،وآلت إلى فتنة محلية (حرب الفُرسان)، تلتها فتنة ثانية بسبب تمرد الفلاحين على النبلاء(حرب الفلاحين)، وقف فيها لوثر حليفًا للأمراء، وأعلن سخطه على الثائرين والطغاة .

تتلخص القضايا التي طرحها لوثر في مبادئ أساسية أهمها:سيادة الكتاب المُقدَّس وَحْدَه مَصْدَرًا للحقيقة الدينية وأصول العقيدة المسيحية، ورفض سُلطة البابا وصُكوك الغفران، وإدانة كل الممارسات والمعتقدات الدينية التي لَم يذكرها الكتاب المُقدَّس خاصة المراتب الكهنوتية والوساطة التي يقوم بها رجال الإكليروس في الكنيسة بين الله والإنسان، بدعوى أن كل مسيحي كاهن بذاته بفضل التعميد، وينال خلاصه بالإيمان وَحْدَه (التبرير بالإيمان) وبنعمة من الله مباشرة (مجانية النعمة الإلهية) ، فالتبرير ليس بالأعمال الجيدة أو مُمارسة الطقوس. فجوهر الدِّين هو الإيمان، والخلاص مجاني ينعم به المسيحي بالإيمان. لذلك رفض لوثر جميع الأسرار المقدَّسة عدا المعمودية والعشاء الربانِيِّ ، الذي رأى فيه أن المسيح حضره فِعلًا لا رَمْزًا .

تَمَكَّنَ لوثر من تحقيق عدد من " الإصلاحات الدينية" في تلك الآونة كإغلاق الأديرة ، وإلغاء الرَّهبنة، وإلغاء أعياد القِدِّيسين، وعبادة العذراء، وإزالة كثير من الشعائر والطقوس ، كالاعتراف، والقُدَّاس ، وما يُناقض الإنجيل ، لا سِيَّما نظرية التحول في سِر القُربان المقدَّس (المُناوَلة _ العَشَاء السِّري) ، وإلغاء الصَّوم ، وعدمِ زواج رَجل الدِّين ، وإلغاء الصُّوَر والأيقونات والرسوم .

لقد تَمَّ اختصار البروتستانتية وتَلْخيصها في شخص لوثر ، استنادًا إلى سُلطته الاعتبارية، ومكانته الدينية ، ومَنْزلته الرمزية . وصارت الذاتُ الشخصية الاعتبارية لأحد الرُّهبان (لوثر)

تجسيدًا للدِّين الجديد ، والمذهب الأيديولوجي المُتمرِّد ، والفكر الدِّيني الاجتماعي المُنشق . وصار المذهب الديني الجديد (البروتستانتية) مِلْكًا شخصيًّا غير شرعي ، يتوزَّع على وَرَثَة غَير شرعيين . وليس غريبًا أن يكون هذا المذهب غَير شَرعي ، إذ إنه انطلقَ مِن بيئة مُتحجِّرة غَير مُنفتحة على الإسهامات العقلية المعرفية التنويرية . وهذه البيئة الخرساء لا تُمثِّل إلا نَفْسَها ، ولا تُجسِّد إلا عُزلتها . وفاقدُ الشَّيء لا يُعطيه ، وإنَّكَ لن تجنيَ مِن الشَّوكِ العنبَ . ومُحال أن يَنطق هذا المذهبُ الديني الجديد بِاسْمِ الإنسانِ وعقائده وأحلامه وذِكرياته وآماله ومساره ومصيره وخلاصه ونجاته ، ويختار ويُقرِّر نِيابةً عن الإنسان . والبيئةُ الدينية الفاسدة سُمومٌ تتغلغل إلى خلايا ساكنها تدريجيًّا حتى تقضيَ عليه تمامًا ، وتُعطِّل مسيرة الإبداع ، وتُدمِّر بُنيةَ التفكير المنطقي .

والعناصرُ الإرهابية الظَّلامية تجد مرتعًا خصبًا في البيئة المُغلَقة أمام العقلانية ، المفتوحة على القمع والاضطهاد والاستبداد . ولا يمكن أن يَخرج إنسانٌ سَوِيٌّ ونظيف مِن البيئة القذرة المليئة بالأمراض والآفات . وإذا أدْرَكْنا هذا المبدأ الفلسفي ، فسوفَ نفهم طبيعة صراع لصوص النُّصوص على اقتسام الغنائم ، وتوزيع الأرباح ، وبسط السيطرة والنفوذ على الأتباع والعوام والجُهَّال .

وعلى الرغم مِن كَوْن هذا المَولود (البروتستانتية) قد وُلِدَ مَسْخًا ومُشَوَّهًا ، إلا أنه قد نجحَ في إسقاط هَيمنة الكنيسة ، وإنهاء احتكارها للحقيقة المزعومة . لقد وجَّه لوثر الضربةَ القاضيةَ للنصرانية (الكاثوليكية) ، وأهانها ، وحطَّم شُموخها الاصطناعي ، وأنزلها مِن غُرورها وفَوقيتها وعَلْيائها ، وجعلها مثارًا للسُّخرية والاستهزاء والشَّك والرِّيبة ، وفرضَ عليها الأسئلةَ المصيرية ، والنقد الجذري ، والنقض الصارم .

وهذا المشروع الديني الانشقاقي الانفصالي (البروتستانتية) يمتلك مرجعيات أيديولوجية مُغايرة للتراث النصراني (الكاثوليكي) التقليدي ، القائم على احتكار تأويل نصوص الإنجيل البشري ، وفق رُؤية مُصلحية نفعية مُحدَّدة مُسْبَقًا . والمرجعياتُ الأيديولوجية للبروتستانتية (حركة الرفض والاحتجاج) أعادت صياغة الفكر النهائي الحاسم ، واتَّخذت مِن الشَّك في طبيعة تأويل النصوص مسارًا لها ، لذلك حُورِبَت وقُمِعت بشتى الأساليب النَّاعمة والوَحْشية .

والصراعُ العَقَدي في الداخل النَّصراني الصَّليبي جاء كردَّة فِعل هجومية ، بسبب تهميش غالبية الطوائف النصرانية ، واحتقارها ، وتكفيرها ، واتِّهامها بالهَرْطقة ، مِن قِبَل الطائفة النصرانية الأكبر على وجه الأرض (الكاثوليكية). لقد تصدَّرت الكاثوليكيةُ المشهدَ النصراني ، واسْتَوْلَت على الصورة كاملةً، وجعلت الإنجيلَ مِلْكًا شخصيًّا ، تتلاعب بنصوصه كما تُريد . وتمَّ اختصار النصرانية

فـي الكاثوليكيـة فقـط لا غَيْـر . لـذلك ، قـرَّرت الطوائـفُ النصـرانيةُ المُهمَّشـةُ والمنبـوذة مِثـل البروتستانتية والأرثوذكسية وغَيرهما إيجادَ تأويل خصوصي للإنجيل البشري ، واختراع عقائد دينية جديدة ، مِن أجل التَّحَرُّر مِن الخضوع للكاثوليكية ، والتَّخَلُّص مِن استبداد البابا ، باعتباره الحَبْر الأعظم ، ومُمثِّل المسيح على الأرض . والعمليةُ كُلها قائمة على صراع أجنحة داخل النصرانية (المسيحية) من أجل اقتسام الغنائم والأرباح ، وتوزيع أماكن الهَيمنة والنفوذ والسيطرة.

قامت الكاثوليكية بفرض رُؤيتها الإنجيلية المُتطرِّفة على كافة الطوائف النصرانية المُهمَّشة، باعتبارها _ أي الكاثوليكية _ الأُم أو الأُخت الكُبرى ، وفُرِضَ على الطوائف النصرانية المُهمَّشة تأويل إنجيلي بعيد عن مصالحهم المادية ، ويُهدِّد مناطق نفوذهم وسيطرتهم . وهذا الأمر أشعلَ حركة التمرد والاحتجاج والرفض . وكُل إنسان لا بُد أن يَثُور ، إذا شعرَ أن حياته في خطر ، ومصالحه مُهدَّدة ، والعاقلُ لا يحشر القِطَّ في الزاوية ، لأنه عندئذ سيصبح وَحْشًا كاسرًا ، ويُقاتل حتى النهاية ، ضمن ثنائية " إمَّا قاتل أو مقتول " ، ومنظومة " مُكْرَه أخاك لا بَطَل " .

وَلَوْ كانت الكنيسة الكاثوليكية تُدرك مآلات هذا الانشقاق الديني وآثاره الكارثية الممتدة ، وتَعِي الانفجاراتِ المنبعثة من هذا الحدَث الكبير ، لَسَعَتْ بشتَّى الوسائل، وبكل أساليبها المُلتوية إلى عَقْد صفقة ما وَفْق صيغة " لا غالب ولا مغلوب " ، حيث يتم تقاسم مناطق النفوذ بينها وبين المُعارَضة الدينية ، كما فعلت بريطانيا وفرنسا في معاهدة سايكس بيكو سَيِّئة السُّمعة . ولكن غرور القُوَّة الوهمي أصابَ النصرانية في مَقْتَل ، وفجَّرها مِن الداخل . ولو اجتمعَ غَير النصارى في أنحاء العالَم على تمزيق النصرانية وتقسيمها، فلن يَنجحوا كما نجح النصارى أنفسهم في تقسيم ديانتهم، وتمزيقها بين طوائف مُتناحرة ، وفِرَق مُتصارعة . والجاهلُ عدو نفْسه . والسفينةُ لا تغرق مِن كثرة المياه في البحر العظيم ، ولكنها تَغرق إذا تَسَلَّلَ الماءُ إلى داخلها . وصدقَ القائل :

لن تَبْلُغَ الأعداءُ مِن جَاهِلٍ ما يَبْلُغُ الجاهلُ مِن نَفْسِهِ

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٧٨٤) : ((فالنصارى عليهم لعائن الله . مِن جهلهم ليس لهم ضابط ، ولا لكفرهم حَد ، بل أقوالهم وضلالهم منتشر، فمنهم من يعتقد المسيحَ إلَهًا، ومنهم من يعتقده شريكًا، ومنهم من يعتقده ولدًا ، وهم طوائف كثيرة ، لهم آراء مختلفة وأقوال غير مُؤتلفة . ولقد أحسنَ بعض المتكلمين حيث قال : لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا على أحد عشر قولًا)) اهـ .

والسؤالُ الحيوي في سياق التحولات الدراماتيكية في تأويل نصوص الإنجيل البشري ، والثورةِ على النصرانية مِن داخل النصرانية : لماذا ظَهرت حركة التحولات الدينية الجذرية والثورات الصليبية الاقتلاعية في الدُّوَيْلات الألمانية بالذات ؟ . والجوابُ اجتهاد شخصي مِنِّي دون العَودة إلى تفسير العلماء وتحليل المُؤرِّخين . إنني أُرْجِع ذلك إلى سبب جوهري مركزي خَفِيٍّ ، تدور في مَداره باقي الأسباب، وهو الصراع بين شمال أوروبا (ألمانيا والدول الإسكندنافية) المنبوذ الذي يَشعر بالإقصاء والتَّهميش والاضطهاد ، وبين جنوب أوروبا الكاثوليكي (فرنسا ، إيطاليا ، إسبانيا) النائم في أحضان المرجعية البابوية التي تُتاجر بالدِّين النصراني لتحقيق مصالح شخصية ، وجَنْي مكاسب مادية ، واقتسام الغنائم والأرباح وأماكن السيطرة والنفوذ ضِمن علاقة تُشبِه نظام التَّطَفُّل .

والشُّعور بالظُّلم أدَّى إلى قيام هذه الثورة الكاسحة والتدمير الشامل والانقلاب الرهيب (البروتستانتية) الذي فجَّر النصرانيةَ مِن الداخل ، وشقَّها بكل حِدَّة وبلا رحمة . والخاسرُ في مُعادلة تحطيم النصوص الدينية وهدمِ العقائد الأيديولوجية هو الذي لا يُكمِل ثَوْرَته حتى النهاية، لأن نِصف الثَّورة مَوْت وهلاك وانكسار شامل . إمَّا ثَورة كاملة أو لا ثَورة ، لا يُوجد حَل وسط.ومَن قامَ بنصف ثَورة فكأنما حَفَرَ قَبْرَه بِيَدَيْه. والأمرُ يزداد خطورةً عندما تتعلق الثورة بالدِّين .

وعمليةُ تبادُل المصالح والمنافع واقتسام الغنائم والمكاسب ، وَصلت إلى طريق مسدود ، وشَعَرَ كُل طَرَف أن تُراثه الديني التاريخي الذي يستمد منه شرعيته المزعومة مُهَدَّد ، وبالتالي لا مَفر مِن المُواجهة والصِّدام ، لأن المنظومة الأيديولوجية المُكوَّنة مِن التاريخ والعقيدة والمَصلحة الحياتية الدُّنيوية ، وَسَّعَتْ رُقعةَ القداسة عبر إضفائها على نتاجات بشرية عادية غارقة في الخطيئة، التي يتم تصويرها على أنها الخلاص النهائي الحاسم المُطْلَق . وطَرَفا المُعادلة في النِّزاع النصراني الصَّليبي يَقفان على جانبَيْن مُتقابلَيْن ، وكُل طرف يتمسَّك بمنظومته الأيديولوجية ، ظَنًّا مِنه أنه وَحْدَه على الطريق المستقيم الموصل إلى سعادة الدنيا ونعيمِ الآخرة. وهكذا، صارَ الخلاصُ أُلعوبةً إنجيلية مُسيَّسة،وتَحَوَّلَ الصَّليبُ مِن خَشَبَة بسيطة إلى عقيدة دينية أُسطورية،ورمز للفداء والخلاص والفَوز بالجنة . وهذه البُنية الخُرافية وليدة النسق الأسطوري المُهيمن على الإنجيل المُحرَّف .

ومِن أهم تعاليم لوثر : التركيز على ما يُسمَّى فكرة الخَلاص بالإيمان ، ومُهاجمة أكاذيب الكنيسة التي ادَّعت أن البابا يَملك سُلطةَ غُفران الذنوب ، عن طريق إصدار صُكوك الغُفران وبَيْعها للقادرين على الشراء . وهذه الأيديولوجيات الدينية (الأقنعة الخادعة) استخدمها لوثر كأسلحة وأدوات حَرب في نِزاعه مع الكنيسة ، من أجل تحقيق مصالح شخصية ونفوذ أوسع ،

وليس من أجل سَواد عُيون الإنسان النصراني العادي . وقد سَيَّسَ لوثرُ الدِّينَ في لُعبته الثَّورية الانقلابية . ومهما يكن مِن أمر ، فإن الكاثوليكية والبروتستانتية وَجْهان لِعُملة واحدة . وقد اشتركتا في حرب ضد المسار المنطقي للحياة . وقد صُبِغت هذه الحرب المصلحية النفعية بهالة العِصمة والقَدَاسة ، اعتمادًا على قَدَاسة الإنجيل البشري الوهمية .

إن انتقاد لوثر لانحرافات الكنيسة الإقطاعية وأعمالها الشريرة القائمة على احتكار تأويل نصوص الإنجيل البشري ، وشَن الهجوم على الكنيسة مِن خلال كتابة بيانه المشهور الذي انتقدَ فيه مُعتقدات الكنيسة ، قد جاءَ في عام ١٥١٧ م ، أي بعد أن أرسلَ البابا الرُّهبانَ لبيع صُكوك الغُفران لحاجة البابا للأموال لبناء كنيسة " القديس بُطرُس " في روما . وإذا عَلِمْنا أن لوثر دخل الدَّيْرَ راهبًا عام ١٥٠٥م ، فهذا يعني أن انتقاده للكنيسة جاء بعد اثني عشر عامًا . فماذا كان يفعل لوثر طيلة هذه الفترة الطويلة ؟ . لماذا لَم يأتِ انتقادُه في فترة مبكرة ؟ . لقد شعر لوثر أن مكانته مُهدَّدة ، ومصلحته في خطر ، ولا وسيلة لتحقيق نفوذ أكبر وسيطرة أوسع إلا بِشَق عَصَا الطاعة ، والخروج على البابا زعيم الكنيسة ، والمرجعية النصرانية العُليا . وهذا يدل على أن الكاثوليكية والبروتستانتية _ في حقيقة الأمر _ جماعة نصرانية واحدة رغم الحروب بينها ، إنهما رافدان لنهر واحد ذي منبع واحد . وهذه الجماعةُ النصرانيةُ المتطرفة تتغطَّى بالدِّين ليسهل اختراقُها للعَوَام والجُهَّال والبُسطاء الذين يُشكِّلون الغالبيةَ العُظمى في أي مجتمع بشري مُوجَّه عن بُعد ، ومُسيطَر عليه باستخدام الآلة الإعلامية الجبَّارة ، والتَّلويح بالسَّيف والمال .

وتلقَّفَ أفكارَ التمرُّدِ والانشقاق والانقلاب والتَّحَدِّي مُفَكِّرٌ يُدعَى " جُون كَالفِن " ، حيث استهواه ركوبَ المَوْجة ، فأسَّس في جنيف عام ١٥٤١م مجلسًا كنسيًّا للسيطرة على جميع مظاهر الحياة اليومية للناس ، وإحكام قبضته على البلاد والشعب، وتنفيذ مخططاته الاستعبادية في محاولة لإعادة سياسة الاستخراب (الاستعمار) في قالب جديد بعيد عن الصورة النمطية التقليدية . فانتشر المذهبُ الكالفني في هولندا وإسكتلندا بالتحايل والتدليس وتقديم الإغراءات التي تستنزف العَامَّةَ بطريقة سَلِسة بالغة النعومة . وقد وَضَعَ كالفن نظريته الأيديولوجية الخاصة ، ونشرها في كتابه " مبدأ الدِّين المسيحي" ، الذي جاء انعكاسًا لحالة الفوضى التأويلية المائعة التي يتم توجيهها نحو الأهداف المادية ، لتحقيق مكاسب استغلالية ترتدي ثوب الدِّين .

ومِن الواضح أن هناك أهدافًا سياسية عَقَدِيَّة إمبريالية من نوع خاص ، كانت وراء حركات التمرد على سُلطة البابا والانشقاق عنها ، لا كما يظن بعض السُّذَّج أن الإخلاص والتقوى والأمانة

العلمية جاءت فجأةً إلى لوثر وكالفِن . فأيُّ تقوى وأي إخلاص في عقائد الحملات الصليبية ؟! .
إن الصراع على اقتسام الغنائم والمنافع والمكاسب وتوزيع أماكن النفوذ والسيطرة ، هو السبب الأساسي في ثورة النصرانية على النصرانية، وانقلاب الصليب على الصليب، وانشقاق الخُرافة البروتستانتية عن الخُرافة الكاثوليكية . والكُفْرُ مِلَّةٌ واحدة. وهنا ينبغي التفريق بين الثورة في النصرانية، والثورة على النصرانية. وهاتان الثَّوْرتان بينهما نقاط تقاطع ، وعوامل مشتركة ، وتتحركان بشكل تزامني لاقتسام المصالح الشخصية الضَّيِّقة ، وبشكل تعاقبي للسيطرة على الأفراد والجماعات ، والهَيمنة عليهم باسم الدِّين والصليب. وجميعُ الأطراف تَزعم امتلاك الحق المُطْلَق ، وتدَّعي امتلاكها للتأويل الصحيح للإنجيل البشري . وهذا وهمٌ قاتل ومُخادع ، لأن ما بُنِيَ على باطل فهو باطل . والكاثوليكية والبروتستانتية كِلتاهما وُلِدَتا مِن رَحِم الحملات الصَّليبية ، وهذه الرَّحِم النجسة لا يُمكن أن يَخرج مِنها أبناء طاهرون أو بنات شريفات ! . لقد شَنُّوا الحروبَ ، ودفعوا الرجالَ (الفقراء والعوام والأتباع والجُهَّال) إلى نيرانها ، مِن أجل تحقيق مصالح الحكام ورجال الدِّين وتُجَّار الحروب وسماسرة الصليب ولصوص النُّصوص . وقد بَقِيَ الحكامُ ورجال الدِّين الذين يُمثِّلون عِلْيةَ القَوم في قُصورهم وقلاعهم وأديرتهم وكنائسهم مُختبئين ، وغارقين في شهواتهم وملذاتهم . وهُم يَجعلون الإيمانَ والإخلاصَ والتقوى في قتل المسلمين، الذين يُسَمُّونهم كفارًا وخوارج ، وتدمير بلادهم ، وسرقة ممتلكاتهم . وهذه الحربُ العمياء الشَّرسة يُعلنونها باسم الله ، وباسم المسيح ، ويَجعلون الصليب شعارًا لها ورمزًا لها . وهذه الأكاذيبُ مكشوفة ، وتَمَّ فضحها ، وكلامُ الليل يمحوه النهار ، وما تأتي به الرياح تأخذه الزوابع .

ورجالُ الدين المُنحرفون يَلبسون ثياب الحِمْلان ، ولكن نارًا تتأجَّج في صُدورهم ، وفي قلوبهم حِقد دفين على " الأغيار والأجانب " . والسؤال الذي يفرض نَفْسَه بقوة : أين انتقاد لوثر وكالفِن لسلسلة محاكم التفتيش (محاكم الاستجواب) التي قتَّلت المُخالفين عَقَدِيًّا ونكَّلت بهم بكل قسوة ووحشية ؟ . لماذا اكتفوا بالصمت المُخزي ، وأغمضوا عيونهم ، وأغلقوا أفواههم عن هذا الموضوع بكل خيانة وعار ؟ . هل تَنَاسَوْا محاكمَ التفتيش التي أنشأها البابا غريغوروس التاسع عام ١٢٣١م لمُكافحة الذين أعملوا عقولَهم ورفضوا النصرانية ، وهذا حقهم الإنساني الشرعي ، ومحاكم التفتيش الإسبانية التي أُنشِئت في إسبانيا بموافقة البابا سيكستس الرابع عام ١٤٧٨م لمطاردة المسلمين واليهود ، وديوان التفتيش الروماني الذي أنشأه البابا بولس الثالث عام ١٥٤٢م لمقاومة الحركة البروتستانتية بالقسوة والتَّفَنُّن بالتعذيب حتى الموت ؟ .

إن محاكم التفتيش الصَّليبية إرهاب أيديولوجي في غاية البشاعة والقذارة ، بزعامة طائفة من البابوات الذين خانوا رسالةَ المسيح ، ومارسوا القتلَ المنهجي والتَّطهير العِرْقي والإبادة الجماعية في مراحل زمنية مُتعدِّدة . وقد ارتكبوا جرائمهم باسم الله واسم المسيح ، وتحت شعار الإنجيل والصليب . وهذا هو جنون شَهوة القَتل بِعَيْنه . وصدق الإمام الشافعي حين قال :

وَدَعِ الذينَ إذا أتَوْكَ تَنَسَّكُوا وإذا خَلَوْا فَهُم ذِئابُ خِرَافِ

إن الكاثوليكية دِين وضعي أرضي مُتطرِّف ، لا علاقة له بِوَحْي السماء ولا برسالة المسيح . وكذلك البروتستانتية والأرثوذكسية . وقد كانَ مارتن لوثر مُحتالًا كبيرًا ، ومُجرمًا مُحترفًا ، ارتدى ثيابَ رجال الدِّين ، وارتدى أقنعةَ الإيمان والتقوى والشرف والإخلاص ، ومَثَّلَ دَوْرَ الكاهنَ التقي المُصلِح التَّنويري ، وتاجرَ بالإنجيل البشري وعقائد النصرانية لتحقيق مصالح شخصية ، والحصول على مكاسب مادية ، وتَوسيع دائرة نفوذه وسَيطرته وهَيمنته. وقد كانَ لوثر سِمسار الإنجيلِ والصليبِ ، وإرهابيًّا مُتَطَرِّفًا، وهذا يتجلى في مواقفه ضد الآخرين. وعلى سبيل المثال لا الحصر ، كان لوثر يعتبر الإسلامَ (الدِّين السماوي الوحيد) أداةً للشَّيطان . وفي السنوات الأخيرة من حياة لوثر ، تزامنًا مع مَرَضه وتدهور حالته الصحيّة، كتب لوثر ضد اليهود ، وطالب بالتضييق على حُرِّياتهم ، وحرق كُنسهم ومنازلهم ، ما دفع إلى اتِّهامه بِمُعاداة السَّامِيَّة . وقد كتب لوثر عن اليهود في جميع مراحل نشاطه، على الرغم من العدد القليل جدًّا من اليهود الذين تعامل معهم، لكن مواقفه كانت تعكس التقاليد اللاهوتية والثقافية في الغرب آنذاك ، والتي صنَّفت اليهود كشعب رفض قَبول المسيح ، ومِن ثَمَّ تَوَرَّطَ في قَتْله ، وعاش ضِمن مجتمعات منعزلة عن المُحيط العام في أوروبا . اعتبرَ لوثرُ اليهودَ غَير مُؤمنين لأنهم رفضوا الاعتراف برسالة المسيح . ومِن أهم أعمال لوثر عن اليهود كتاب " عن اليهود وأكاذيبهم " ، وكتاب " الاسم المُقدَّس ونَسَب المسيح " ، وكِلاهما نُشِرَا في عام ١٥٤٣ م . أي قَبْل ثلاث سنوات مِن وفاته . قال لوثر إن اليهود لم يَعُودوا شعب الله المختار ، وإنما " أُناس الشيطان " ، ودعا لإحراق الكُنس اليهودية وتدمير منازلهم ومنع الحاخامات من الوعظ والاستيلاء على أملاكهم، ووصفهم بأنهم " الدِّيدان السَّامَّة " التي يجب أن " تعمل أو تُطرَد إلى الأبد "، وبيَّن أنه " من الخطأ عدم قتلهم " .

أعمال لوثر، تركت تأثيرًا على أتباعه حتى بعد وفاته . وعلى الرغم مِن أن السُّلطات المدنية آنذاك رَفضتْ طَرْدَ اليهود بناءً على اقتراح لوثر، فإن أعمال شغب اندلعت خلال عقد ١٥٨٠ ،

تعرَّضَ خلالها اليهود لطرد جماعي من المُقاطعات الألمانية اللوثرية. وبِحَسَب عدد كبير من المُؤرِّخين ، فإن للوثر وشعبيته أثر بالغ في تطوير" مُعاداة السَّامِيَّة " في ألمانيا. وخلال الفترة الزمنية (١٩٣٠ _ ١٩٤٠) ، استخدم الحزب النازي كتابات لوثر ، لتكون " الدعامة المثالية " لمُعاداتهم لليهود ومحاولات القضاء عليهم . وبِحَسَب روبرت مايكل، فإن كل كتاب مطبوع خلال عهد الرايخ الثالث يَحْوي اقتباسات من لوثر . وفي ١٠ نوفمبر ١٩٣٨ ، تزامنًا مع عيد لوثر، أُحْرِقت العديد من الكُنس في ألمانيا، ووَفْقًا لجيري ديك وهو مُدرِّس تاريخ، فإن النازية حصلت على دعمها الشعبي والكَم الأكبر من أصواتها مِن المُقاطعات البروتستانتية في ألمانيا، خِلافًا للمُقاطعات الكاثوليكية . وقد قال المُؤرِّخ الكنسي اللوثري رولاند باينتون إنه يتمنَّى لو كان لوثر قد مات قبل أن يضع كتابه" عن اليهود وأكاذيبهم ". وهذا الكتاب عبارة عن رسالة بحجم كُتَيِّب مُعادية لليهود ، يصف فيها لوثرُ اليهودَ بأقذع الألفاظ ويدعو لاضطهادهم وملاحقتهم . ومِن أبرز ما كتبه عن اليهود في هذه المقالات هو وصفه لهم: "بشكل عام هم أبناء زنا ، لَيسوا شعب الله المختار ، وتباهيهم بأنهم مِن سُلالته ، وبالخِتان وبالقانون، يجب اعتبار كل ذلك قذارة " . وكتبَ لوثر بأن اليهود هم " بُراز الشيطان الذي تتمرَّغ فيه مِثل الخنازير " . وكتبَ بأن المعبد اليهودي هو " عاهرة الفاسد وعاهرة الشر الوقحة " . ودعا لحرق المعابد والمدارس اليهودية بالنار ، وتدمير كُتب صلاتهم، ومنع الحاخامات من التبشير وتدمير منازلهم، ومُصادرة ممتلكاتهم وأموالهم. وكتب لوثر " ينبغي أن لا تظهر لهم أي رحمة أو عطف " ، " لا تمنح لهم الحماية القانونية"، وكتبَ " إن هؤلاء اليهود (الدِّيدان السَّامَّة) ينبغي أن يُجبَروا على العمل القَسْري أو الطرد في كل الأوقات " . ودعا أيضًا إلى قتلهم ، فكتب " ونحن على خطأ إن لم نقتلهم " . تِبَاعًا خلال عَقْد ١٩٨٠ م تنكرَّت الكنائس اللوثرية لتصريحات مارتن لوثر حول اليهود ، وتنصَّلت مِنها،ورفضت استخدامها للتحريض ضد اليهود أو ضد اليهودية بأي شكل من الأشكال. وآخر خُطبة للوثر كانت في كنيسة أيسلبن مسقط رأسه في ١٥ فبراير ١٥٤٦، قبل ثلاثة أيام من وفاته . وقد خصَّصها بشكل كامل ضِد اليهود ، واقترح فيها الاستعجال بطردهم من ألمانيا إن لم يُصبحوا مسيحيين ، لتتخلص ألمانيا مِن الرِّبا والافتراء . وفي هذا دلالة واضحة على سيطرة اليهود على عالَم المال والأعمال والاقتصاد بالربا والطُّرُق المُحرَّمة والوسائل القذرة ، والأفعال الاستغلالية غير الشَّرعية . واليهودُ في كل مراحل وجودهم مَعروفون بالرِّبا وعبادة المال وتقديسه، وبالأخلاق الذَّميمة، والصفات القبيحة، والأوصاف السَّيئة . ومِن الآراء والمواقف

الجدلية البارزة التي عُرِفَ بها لوثر، علاقته بزواج فيليب الثاني مع احتفاظه بزوجته الأولى، أي رعايته تعدُّد الزوجات . وكان فيليب قد التمس موافقة لوثر وعدد مِن كبار اللاهوتيين حول تعدُّد الزوجات، مُستندًا إلى تعدُّد الزوجات الذي قام به عدد من الآباء الأوَّلين ، أمثال : إبراهيم وإسحاق ويعقوب ومُوسى . لم يكن لاهوتيو الكنيسة الناشئة، بمن فيهم لوثر نفْسه، قادرين على مواجهة الحاكم والنفوذ السياسي، لذلك فقد رخَّصوا له بالزواج الثاني شرط أن يكون سِرِّيًّا وغير مفضوح،ونتيجة هذا الترخيص تزوَّجَ فيليب الثاني في ٤ مارس ١٥٤٠ من مارغريت فون ديرسيل . ولاحقًا ، هدَّد فيليب الثاني بفضح لوثر، الذي قام بدوره بإنكار أي صِلة له بالزواج الثاني، أمَّا كاتب سيرة مارتن لوثر (مارتن بريخت) فيرى أن الموافقة الضمنية التي قدَّمها لوثر على زواج فيليب الثاني كانت " واحدة من أسوأ الأخطاء التي قام بها لوثر"، وأنه أخطأ في حساب الآثار السياسية المترتبة على عمل كهذا، ومن ثم فإن افتضاح هذه القضية تسببت بأضرار بالغة على سُمعة لوثر .[مَوقف مارتن لوثر من اليهود وتعدُّد الزَّوجات مَنقول مِن موسوعة ويكيبيديا] .

وقال الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه (المرأة في الإسلام) ص ١٥٧و١٥٨:((... ، والحقيقة كذلك أن نظام تعدُّد الزوجات لا يزال إلى الوقت الحاضر منتشرًا في عِدَّة شعوب لا تدين بالإسلام في أفريقيا والهند والصين واليابان ، فليس بصحيح إذن ما يزعمونه مِن أن هذا النظام مقصور في الوقت الحاضر على الأمم التي تدين بالإسلام . والحقيقة كذلك أنه لا علاقة للدِّين المسيحي في أصله بتحريم التعدُّد ، وذلك أنه لم يرد في الإنجيل نص صريح يدل على هذا التحريم . وإذا كان السابقون الأوَّلون إلى المسيحية من أهل أوروبا قد ساروا على نظام وَحْدة الزوجة، فما ذاك إلا لأن معظم الأمم الأوروبية الوثنية التي انتشرت فيها المسيحية في أول الأمر ، وهي شعوب اليونان والرومان ، كانت تقاليدها تُحرِّم تعددَ الزوجات المعقود عليهن... . فقد حدث في منتصف القرن السادس أن ديارميت ملك أيرلندا كانت له زوجتان شرعيتان ، وتزوَّجَ الملوك الميروفيون عِدَّة مرات بأكثر من زوجة . وكان لشارمان زوجتان وعِدَّة سُرِّيات ، ويُستفاد من أحد قوانينه أن تعدُّد الزوجات لم يكن مجهولًا حتى من القساوسة . وقد حدث بعد ذلك أن المَلِك هيس فيليب والملك فردريك وليم الثاني (القرن السادس عشر) البروسي تزوَّجا بأكثر من واحدة بموافقة القساوسة اللوثريين . وأقر لوثر نَفْسُه فِعْلَ الأول كما أقره ميلانشتون . وكل ما هنالك أن النُّظم الكنسية المُستحدَثة بعد ذلك استقرَّت على تحريم تعدُّد الزوجات،واعتبرت هذا التحريم مِن تعاليم الدِّين،على الرغم مِن أن أسفار الإنجيل نفْسها لم يرد فيها شيء يدل على هذا التحريم))اهـ.

وجاءت الضربةُ المُوجعة الثانية للكنيسة الكاثوليكية ومرجعية البابا ، بحدوث الانشقاق في الكنيسة الإنكليزية ، والذي شكَّل منعطفًا حرجًا ومرحلةً مَفصِليةً ألقتْ بظلالها القاتمة على كل معطيات الحياة اليومية في أوروبا الصليبية . وكان زعيم هذا الانشقاق ملك إنكلترا هنري الثامن (١٤٩١ م _ ١٥٤٧ م) الذي كان متزوجًا من الملكة كاترين قريبة الإمبراطور شارل الخامس ، فأراد هنري الثامن من البابا أن يُلغيَ زواجَه من كاترين ، إلا أن البابا رفضَ لأن كاترين قريبة الإمبراطور شارل الخامس حامي الكنيسة الكاثوليكية، فخشي البابا أن يُغضِب هذا الأمرُ حامي الكنيسة، وألبسَ البابا قرارَه غطاءً دينيًّا لكسب تعاطف الشعب . فما كان من هنري الثامن إلا أن أعلن الانفصالَ الدِّيني عن الكنيسة الكاثوليكية ، ووافق البرلمان الإنكليزي الشَّكلي على هذا ، وأصدر قانونًا يقضي بفصل كنيسة إنكلترا عن الكنيسة الكاثوليكية في رُوما ، وأعلن هنري الثامن نَفْسَه رئيسًا أعلى للكنيسة الإنكليزية التي سمحت للمَلِك بطلاق زوجته ، والزواج مِن آن بولين .

وهذا السبب المُضحك المتعلق بالطلاق والزواج ، جعل المذهبَ البروتستانتي ينتشر في إنكلترا بشكل واسع . وهكذا نرى أن مصالح شخصية ومنافع ذاتية كانت وراء انطلاق هذه المذاهب النصرانية (المسيحية) الوضعية الباطلة . وتَمَّ تتويجُ هذا الانكسار العَقَدي بقرار الملكة إليزابيث الأولى الجمع بين المذهبين البروتستانتي والكاثوليكي فيما عُرِفَ بالمذهب الأنجليكاني (أو الأنكليكاني) الذي أضحى خلطةً دينية وتجميعًا للمسائل الدينية الشاذة ، والعقائدِ الإنجيلية الباطلة ، والأيديولوجيات الكنسية المُنحرفة . وما بُنِيَ على باطل فهو باطل .

والجدير بالذِّكر أن الملكة إليزابيث الأولى (١٥٣٣ م _ ١٦٠٣ م) لم تتزوَّج ، وأوصت أن يُكتَب على شاهد قبرها "الملكة العذراء " . فقد أُصيبت بعُقدة نفسية تجاه الرجال والزواج ، لأن أباها المَلِك هنري الثامن (مُؤسِّس الأنكليكانية والرئيس الأعلى للكنيسة الإنكليزية) قَتَلَ أُمَّهَا آن بولين ، فقد اتَّهمها بخيانة الوطن ، وخمس قضايا زنا ، وقصية زنا مَحارم مع أخيها ، وذلك للتخلص منها ، وإباحة قتلها . وقد نُفِّذَ فيها حُكم الإعدام عام ١٥٣٦ م .

تُوِّجَت آن بولين ملكة لإنكلترا في أول يونيو ١٥٣٣ م . وفي ٧ سبتمبر ١٥٣٣ م وَلَدَت ابنتها إليزابيث التي حَكمت إنكلترا في وقت لاحق . استاءَ هنري من فشلها في ولادة وريث ذَكَر، وبعد أن تعرَّضت آن للإجهاض ثلاث مرات، وبحلول مارس ١٥٣٦ م ، بدأ هنري في التطلع إلى الزواج مِن جين سيمور . وفي أبريل ١٥٣٦ م ، أمرَ هنري الثامن بالتحقيق مع آن بتهمة الخيانة العُظمى . وفي ٢ مايو ١٥٣٦ م أُلْقِيَ القبض عليها ، وأُرْسِلَت إلى بُرج لندن ، حيث جرت

مُحاكمتها ، وأُدِينت في ١٥ مايو، وقُطِعَ رأسها في ١٩ مايو . ويرى المُؤرِّخون المُعاصرون أن التُّهم المُوجَّهة ضِدَّها _ والتي تضمَّنت الزِّنا وزِنا المحارم _ غير مُقنعة . وبعد تتويج ابنتها إليزابيث ملكة ، اعْتُبِرَت آن شهيدة وبطلة من أبطال الإصلاح الإنكليزي . وبعد قُرون، ما زالت آن بولين مُلهمة لكثير من الأعمال الفنية والثقافية. لذا، احتفظت آن بمكانة في الثقافة الشعبية، فهي تُعَدُّ " أكثر الملكات نفوذًا وأهمية في التاريخ الإنكليزي " ، وذلك نظرًا إلى أنها أوجدت السبب لهنري الثامن لطلاق كاثرين الأراغونية ، وإعلان الاستقلال الديني عن رُوما . والسؤال الخطير الذي يطرح نَفْسَه : أين كان البابا ورجال الدين النصارى عندما تزوَّجَ هنري الثامن سِت نساء على التوالي ؟ . هذا الأمرُ يتعارض معَ النصرانية التي تُحرِّم تعدُّدَ الزَّوجات ، ويتصادم مع قوانين الأحوال الشخصية في النصرانية الوَضْعية . وهذا الصمتُ المُخزي للبابا والكنيسة ، يدل على تواطؤ كامل بين السُّلطة الدينية والسُّلطة السياسية مِن أجل الحفاظ على المصالح المادية المشتركة ، واقتسام المنافع الشخصية الدنيئة . وكل هذا على حساب الطبقات المُتَدَنِّية في المجتمع ، التي ليس لها صَوت ، ولا تَقْدِر على الدفاع عن نفْسها . وهذه الطبقات المُتَدَنِّية تشمل الفقراء والجُهَّال والعوام والبُسطاء والرَّعاع والدَّهماء والأتباع الغارقين في التقليد الأعمى . وهؤلاء شُركاء في الجريمة ولَيسوا ضَحَايا ، لأنهم وظَّفوا جَهْلهم لِشَرْعنة الاستبداد باسم الدِّين ، وقبلوا أن يكونوا بشرًا درجة ثانية وثالثة، وخضعوا للفاسدين وانتخبوهم واختاروهم بشكل أو بآخر، ومَن أعانَ المجرمين بأيَّة وسيلة ، فهو مُجرم ، وليس بريئًا ولا ضَحِيَّة. وهناك عبارة مُؤثِّرة في هذا السياق للكاتب الإنكليزي جورج أورويل : ((الشعب الذي ينتخب الفاسدين والانتهازيين والمحتالين والناهبين والخَوَنة، لا يعتبر ضَحِيَّة، بل شريكًا في الجريمة)) اهـ . والجديرُ بالذِّكر أنَّ مَن بيده السُّلطة السياسية يسير مع الدِّين ظاهريًّا ما دام الدِّين يُحقِّق مَنفعته ويَحفظ مصلحته ، وإذا شَكَّلَ الدِّينُ خطرًا على الحاكم ، يتم إقصاء الدِّين ومُحاربته . وبعد هذه الأحداث السَّوْداوية المُضحكة المُبكية ، استيقظت الكنيسة الكاثوليكية ، وبدأت حملةً أسمتها حركةَ الإصلاح الكاثوليكي عبر لجانٍ كنسية تُبيح قتل المُخالفين، وإجراءات قمعية متمثلة بمحاكم التفتيش، وتَنصيرية (تَبشيرية) مُتمثِّلة بإقامة المدارس المَشبوهة والهيئات والمنظمات التي ترتدي قناعَ العمل الخيري الإنساني . لكن هذه الجهود ذهبت أدراج الرياح، إذ إنه بحلول عام ١٥٤٥م صار الشمال الأوروبي بروتستانتيًّا ، والجنوب كاثوليكيًّا، وقاد هذا إلى حروب دينية طاحنة أكلتْ أوروبا في الفترة (١٥٤٥م _ ١٦٤٨م) ، ذهب ضحيتها عشرات الملايين من البشر .

والأمورُ لم تقف عند هذا الحد.لقد قادَ الغربُ الصليبي حملةً شرسة ضِد الإسلام والمسلمين. وهذا يعكس الصورةَ الحقيقية للغرب القائم على الفاشية الدينية ، ويدل على مقدار كُرهه للحق والحقيقة اللتين جاء بهما الإسلام (الدِّين السماوي الوحيد) . قالَ اللهُ تعالى : ﴿ إنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإسْلامُ ﴾ [آل عِمران : ١٩].والنصارى المُتَصَهْيِنُون في الغرب _ رغم الاختلافات الشديدة بينهم والصراعات المُستحكمة والمذاهب المُتفرِّقة والأفكار المُتناحرة والعقائد المُتعارضة _ قد اجتمعوا على حرب الإسلام ، وتوحَّدوا على قتال المسلمين بكافة الأشكال . وهُم بذلك يُعلنون الحربَ على الله ورسوله محمد ﷺ (خاتَم الأنبياء وصاحب آخر الرسالات السماوية) . وقد قالَ اللهُ تعالى : ﴿ إنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم ﴾ [المُجَادِلَة : ٥] .

إن كوكبَ الأرضِ يَجْثُمُ على صدره أثقالٌ أسطوريةٌ من اختراع عرَّابي العقائد الدينية البشرية، ولصوصِ النُّصوص ، وسماسرةِ الأيديولوجيات الصهيوإنجيلية (الصهيونية_ الإنجيلية) . والإنسان لَن يَلتقيَ بإنسانيته إلا بإزالة العقبات الدينية من قلبه ورُوحه وجسده ، وتَطهير طريقه مِن الحواجز النفسية والموانع العقلية ، والحقُّ أحق أن يُتَّبع . واعرف الحقَّ تعرف رجالَه ، وليس العكس .

والعالمُ المادي المنهارُ يحتاج إلى جهود جبَّارة وعمل مُتواصل مِن أجل التَّطَهُّر مِن العقائد الفاسدة ، والأيديولوجيات المنحرفة . وهذا هو الطريق الوحيد للتَّحَرُّر مِن هَيمنة العناصر الدينية الشاذة عن المسار الحضاري . والغربُ باعَ دِينَه بِعَرَض مِن الدنيا قليل ، وصارت المادية الشَّهوانية دِينًا جديدًا له . وللأسف الشديد ، لم يقم المسلمون بواجبهم الشرعي في تحرير العالَم مِن الخرافات والأساطير ، وإرشاد الناس إلى الإسلام (الدِّين السماوي الوحيد) القائم على عبادة الله وَحْدَه ، بلا شريك ولا نِد . لقد وصل المسلمون إلى الحضيضِ بابتعادهم عن إسلامهم . وهُم يتحمَّلون المسؤولية كاملةً ، بسبب تقصيرهم وعدم التزامهم بالقرآن والسُّنة ، معَ الغرق في الشهوات والملذات وحُب الدُّنيا . والمسلمون _ باعتبارهم وَحْدَهم على الحق وأصحاب الدِّين الصحيح الوحيد_ يجب عليهم إرشاد الناس إلى الإسلام، وهدايتهم إلى القُرآن والسُّنة، وتوجيههم إلى توحيد الله (عبادة الله وَحْدَه) . وهذه مسؤولية المسلمين دُون غَيرهم ، لأن الإسلام وَحْدَه هو الدِّين السماوي . وكُل الأديان سِوى الإسلام أرضية وَضْعية باطلةٌ فاسدةٌ ومردودة غير مقبولة .

وحالةُ تغييب العقل المسلم تتم استنادًا إلى منهجية مُخطَّط لها مُسْبَقًا بعناية فائقة . والمادية العالمية الصهيوصليبية تضع خُطَطًا مُحَدَّدة الأهداف والرُّؤى ، وتُعمِّمها على الوكلاء والخونة والعُملاء وصهاينة العرب في المشارق والمغارب، مِن أجل تنفيذها دون اعتراض ولا مُساءلة .

والعبيدُ دائمًا يَخدمون أسيادَهم ، والمُوظَّفون يعملون كما يُريد صاحب العمل (حاميهم ودافع رواتبهم) . وهذه الخُطَط الجهنمية صَنعت مفهومًا جديدًا اسمه " الأعمام سام " ، وليس " العَم سام " ، فهو لم يعد عَمًّا واحدًا . إنهم يتكاثرون على جثث الضعفاء العاجزين عن حماية أنفسهم ، مُستغلين حاجتهم للخُبز والغذاء والموارد الطبيعية . وهذه المبدأ الاستغلالي الابتزازي الانتهازي هو الأساس الفكري للاستعمار غير المباشر .

لقد خرجَ الاستعمارُ مِن الباب ، وعادَ مِن الشُّباك ، وذلك بتعيين وكلاء له وموظفين عِنده ، يُنفِّذون إرادته وأوامره وتعليماته . وهؤلاء الوكلاء الخَوَنة ، والموظفون العُملاء ، يَحملون أسماء العرب والمسلمين ، ويتحدَّثون بألسنتهم ، ويَحملون نَفْسَ لون بشرتهم ، ولكنهم أعداء للإسلام والمسلمين . والقوى الاستعمارية في غاية المكر والخُبث والدهاء ، لأنها تُحرِّك مُوظَّفيها وعُملاءها وعبيدها مِن وراء الستار،كما يُحرِّك الشخصُ الدُّمى مِن وراء الستار في مسرح العرائس. ولم يعد المُحْتَلُّون يَحْملون أسماء : جُورج ، إدوارد ، إلخ. وإنما صاروا يَحْملون أسماء: عبد الله ، محمد ، إلخ . وهذا في الأمر في غاية الخطورة ، لأنه يُخفي هُوِيَّة العَدُوّ ، والمنافق أشد خطورةً من الكافر . لذلك كان المنافقون في الدَّرْك الأسفل مِن النار ، وحالهم أسوأ مِن حال الكافرين ، لأن عداوة الكافرين ظاهرة وواضحة ، وشخصياتهم معروفة ومكشوفة للجميع ، أمَّا المنافقون فعداوتهم مخفية ومُستترة ، ويَلبسون ثيابَ الإيمان والتقوى ، ويَحْملون أسماءَ المسلمين ، وهُم أشد أعداء الإسلام والمسلمين ، وهم يُحاولون جاهدين القضاء على الإسلام مِن الداخل . وهذا يجعلهم في منتهى الخطورة ، لذلك كان عذابهم أشد مِن الكافرين ، ووَضْعهم أسوأ مِنهم .

عندما يُقيم رَجل محترم علاقة مع امرأة ساقطة. هذه المرأةُ لا تخسر شيئًا ، لأن الثوب الأسود لا تُرى فيه البُقع الداكنة ، ولا تُشَاهَد فيه النقاط المُظلمة . أمَّا الرَّجل المحترم فهو الخاسر ، خسر اسمه وشرفه وسُمعته وكرامته ، والثوبُ الأبيضُ تَظهر فيه أصغر نقطة سوداء . وهذا هو الحاصل في عَالَمنا . إن الأنظمة السياسية الغربية حين تعتنقُ العَلْمانية كمنهج ، وتضع الفلسفة مكان الدِّين ، لن تخسر شيئًا ، لأنه ليس بعد الكفر ذَنْبٌ ، وقد كفرت منذ قُرون ، وسِجِلُّها حافلٌ بالكفر والضلال ومُعاداة الله وتحريف كُتبه ومُحاربة أنبيائه . والمسلمون عندما يُحاولون تقليدَ الغرب في اعتناق العَلْمانية والقوانين الوَضْعية الأرضية البشرية ، ورفض الشريعة السماوية الإلهية ، سوفَ يَخسرون الدنيا والآخرة معًا . وكأنهم بذلك يقولون لله تعالى : لا نريدُ طريقك المستقيم ، ولا شريعتك المعصومة المُقدَّسة الكاملة . وهكذا ، يكونون أسوأ حالًا من الغرب ، لأن الغرب رَبِحَ

الدنيا باعتناق العَلْمانية ، وحَقَّقَ تقدُّمًا باهرًا وإنجازات هائلة ونهضة كبيرة على الصعيد الصناعي المادي التكنولوجي ، وخسرَ الآخرة بسبب كُفره وضلاله وفساد رُوحه . والمسلمون عندما يعتنقون العَلْمانية يَخسرون الدنيا والآخرة معًا، لأنهم لَن يُجاروا الغربَ في نهضته المادية التكنولوجية.إن الغربَ لم يتقدَّم إلا بنبذ النصرانية (الدِّين الباطل) ورفض الإنجيل (الكتاب البشري)، واعتناق العَلْمانية . أمَّا المسلمون فلن يتقدَّموا إلا بالتمسُّك بالإسلام وتطبيق القُرآن على أرض الواقع .

والنظامُ الأرضي المفروض من الإنسانِ على الإنسانِ والبيئةِ ، تتكشَّفُ خيوطه في عواصم صنع القرار الدولي ، مِن أجل صياغة حضارة جديدة مُهجَّنة ولقيطة. وما يُسمَّى بالعَوْلمة تعبيرٌ رقيقٌ عن الاندفاع الهستيري للأخذ والسيطرة والهَيمنة والاستيلاء . وهذه المعاني المُتوحِّشة المُتأجِّجة مَخفية وراء الكلمة الناعمة . أيَّةُ حضارةٍ يريدون ؟. وأيَّةُ شُعوبٍ سَيُعيدون إنتاجها حَسَب مواصفات الرؤية الاحتلالية الاستعمارية الفَوقية التي يتمُّ نشرها والتبشير بها ؟. إنْ لَم ترفع سَيْفَكَ، فسيعتبرون أنَّكَ رَفَعْتَ يدك تأييدًا لقرارات السادة الجُدُد.ومَن ظَنَّ أن الحربَ قد تنتهي فهو مُخطِئ. فالصراعُ بين الأديان حَتْمي،والصدام بين أتباع الديانات مَوجود.والحربُ بين الهلال والصليب لا مفر مِنها . والصِّدامُ بين الإسلام (الدِّين السماوي الوحيد) والدِّيانات الأرضية الوَضْعية البشرية لا مَنَاص مِنه. وهذا أمرٌ إلهيٌّ لا يَملكُ أحدٌ أن يُعلِن خِلافَه . فالضِّدان لا يَجتمعان ، والنَّقيضان لا يَلتقيان . والحقُّ واحد لا يتعدَّد ، والظُّلمات مُتعدِّدة ومُتفرِّقة . والعَالَمُ لا تجتمع فيه شَمْسَان ، بَل هِيَ شَمْس واحدة ، ونُور الحق واحد لا ثاني له . والحَرْبُ بين الأديانِ والمذاهب مُعلنةٌ مُذ ذَهَبَت الفئاتُ الضَّالةُ المُنحرفةُ تخترع أديانًا مِن بنات أفكارها ، بلا دَليل نَقْلي ولا بُرهان عقلي ، وتُؤلِّف شعائر وقوانين وأنظمة جاهلية مُنقطعة عن السماء . ولسانُ حالهم يقول : لا نريد الإسلامَ الذي ارتضاه اللهُ لنا ، وإنما نريد اختراع أديان ومذاهب تتناسب معَ أهوائنا وآرائنا وأمزجتنا ، وتتوافق مع مصالحنا الشخصية ومنافعنا المادية . وهُم بذلك يَرفضون أوامر الله ، ولا يَعترفون بأُلوهيته ولا رُبوبيته ، لأن مَن رَفَضَ الإسلامَ ، دِينَ الله (الدِّين السماوي الوحيد) ، هو في الحقيقة يَرفض صفات الله وأوامره ، ويغرق في كُفره وضلاله وأهوائه ، ويخترع آلهةً شخصيةً اعتمادًا على عقله القاصر ، وأهوائه المُتضاربة ، ومصالحه الشخصية . والمُضحك المُبكي أن يأتي أشخاص مِن جِلْدتنا ، إمَّا أنهم جاهلون أو مُتجاهلون ، ويُردِّدون خُرافة " الأديان السَّماوية " . والحق أنه ليس هناك دِينٌ سماويٌّ إلا الإسلام (عبادة الله وَحْدَه). قال اللهُ تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عِمران : ١٩] . والإسلام هو دِين جميع الأنبياء بلا استثناء ، وهو دِين محمد وموسى

وعيسى ، عليهم الصلاة والسلام. والنبيُّ مُوسى ﷺ كان مُسْلِمًا لا يهوديًّا ، والنبيُّ عيسى ﷺ كان مُسْلِمًا لا نصرانيًّا . وشرائعُ الأنبياء مُختلفة بسبب اختلاف الزمان والمكان وطبيعة الناس . ولكنَّ دِينهم واحد ، وهو الإسلام ، وجوهر الإسلام هو التَّوحيد (عبادة الله وَحْدَه بلا شريك ولا نِد ولا صاحبة ولا ولد) . إذن ، هناك كُتب سماوية ، وشرائع سماوية ، ولكن لا تُوجد أديان سماوية . إن الدِّين السماوي الوحيد هو الإسلام. وجاء بعضُ المُتَحَذلِقِين قائلين : ((إن الصراع بين أتباع الأديان ، وليس بين الأديان)) . وهذه مَقولة مردودة ، لأن أتباع الدِّيانات يأخذون عقائدَهم مِن دِياناتهم ، ويحملونها معهم شكلًا وموضوعًا، رُوحًا ومادةً وسُلوكًا اجتماعيًّا. والصِّدامُ بين البشر هو صدامٌ بين العَقائد التي يَحْملونها، وهُم يُعبِّرون عنها بلسان الحال أو بلسان المَقَال. وما استقر في قلب المرء وعَقْله ، ينعكس على سُلوكه وجوارحه وواقعه اليومي . لذلك ، كان الصِّدام بين المسلمين والنصارى في الحروب الصليبية هو صِدَامًا بين الإسلام والنصرانية ، بين الحق المُطْلَق المُتمثِّل في الرُّؤية الإسلامية للوجود والحياة ، وبين الباطل المُطْلَق المُتمثِّل في الدِّيانات الأرضية الوَضْعية البشرية . والصِّدام بين المسلمين والهندوس صِدامٌ بين عقيدتين مُتعارضَتَيْن . والصدام بين النصارى واليهود صِدام بين عقيدتَيْن مُتناقضتَيْن . وَقِسْ على هذا باقي الحروب والنِّزاعات والصِّدامات . والعقائد تتحاربُ فيما بينها لتظل العقيدة الحقيقية والصواب الكامل والحق المُطْلَق وهو الإسلام. والكفارُ في كل مراحل وجودهم ينتهجون في سياساتهم منهج " أنا وأخي على ابن عمِّي ، وأنا وابن عمِّي على الغريب ". مع ملاحظة أنه حيثما كانت المصلحة كان الأخ . أي إن الأخ وابن العم والغريب مُصطلحات فَضفاضة تتغيَّر باستمرار ، وتلبس لكل جريمة قِناعَها الخاص بها ، ضِمن منظومة تقاطع المصالح ، والوصول إلى نقاط مُشتركة من أجل اقتسام الغنائم والمكاسب . والأخُ عندهم قد يصبح ابن عم ، ورُبَّما غريبًا إذا اقتضت المصلحة ذلك. وهذا المنهج مُضاد للشريعة الإسلامية، التي أسَّست مبدأ نُصرة الحق وَحْدَه بلا مُجاملة ولا مُحاباة ولا اعتبار لقرابة أو صداقة. وخُذ الحكمةَ ، لا يَضُرُّكَ مِن أي وعاء خرجت ، ودافع عن الحق ، ولا يَضُرُّكَ أينَ وقع . وعن أنس _ رضي اللهُ عنه_ قال : قال رسولُ الله ﷺ: ((انْصُرْ أخاكَ ظالمًا أو مظلومًا)) ، فقال رَجُلٌ : يا رسولَ الله ، أنصرُه إذا كان مظلومًا ، فرأيتَ إذا كان ظالمًا ، كيف أنصرُه ؟ ، قال : ((تَحْجُزُهُ أو تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْم ، فإنَّ ذَلِكَ نَصْرُه)) [256].

---

٢٥٦ رواه البخاري (٦ / ٢٥٥٠) برقم (٦٥٥٢) ، ومسلم (٤/ ١٩٩٨) برقم (٢٥٨٤) .

دُرْ مع الحق حيث دار ، واعرف الحقَّ تعرف رجالَه ، والرجالُ يُعرَفون بالحق، والحق يُعرَف بالرجال. كما أن الغايةَ لا تُبرِّر الوسيلة. وبسبب سَطْوة التيارات المادية الجدلية ظهرت المذاهب النفعية التي تُبرِّر استغلالَ الإنسان بِحُجَّة أن الهدف الأساسي يُذيب أيَّةَ وسيلة_ شريفة أو وضيعة_، وهكذا صار الإنسان مُجرَّد دُمية يُقضَى عليها من أجل المصالح المادية الضَّيقة .

ولم يكن ظهور ميكافيلِّي إلا حلقةً في سلسلة فكرية إرهابية ترسَّخت في الغرب المادي الجشع ، الذي حوَّل الإنسانَ والكائنات الحية وعناصر الطبيعة إلى مشاريع استثمارية مَشبوهة ، وغارقة في الغش والتحايل والتدليس ، ويُسَاق فيها البشر إلى الانتحار التدريجي كالأغنام .

إن ميكافيلِّي هو ابن الرأي العام ، ونتاج بيئة اجتماعية اقتنعت بحتمية الوصول إلى الهدف ، وإن مَرَّ الطريق على الجُثث والجماجم . وما ظُهورُ ميكافيلِّي إلا شكلٌ للبُنْية السياسية التي سادت في عَصره متمثلة في طواغيت حكموا البلاد عن طريق سرقتها وإفقار أهلها . وتناسَوْا أن الهدفَ النبيلَ يجب أن يكون الطريقُ إليه نبيلًا . وظهور مِثل هؤلاء المفكرين الاستغلاليين الانتهازيين هو صورة لانهيار الحياة السياسية في أوروبا ، وفساد الحياة الدينية فيها، وتحالف السُّلْطَتَيْن السياسية والدينية من أجل استغلال الشعب ، وذلك عن طريق تَسْييس النَّصرانية وصَهْينة الإنجيل البشري والمُتاجرة بالصليب الخُرافي ، بشكل يَخدم مصالح عِلْية القوم ، ويحفظ منافعها المادية غير الشرعية . وكُل هذه الانحرافات السياسية والدينية والاجتماعية تَرجع إلى أساس مركزي واحد ، وهو استخدام الدِّين أفيونًا ، تُحقَن به الشُّعوب ، وتُخَدَّر لِمَنعها من الثَّورة وتغييرِ الواقع ، ومِن أجل ذبحها كالخِراف في وقت الحاجة بلا اعتراض ، لذلك كانت خشبة الصليب هي خشبة المذبح .

والإسلامُ هو أكبر نظام انقلابي ، وأعظم ثورة على الجاهليات بِشَتَّى صُوَرِها وأشكالها . والإسلامُ يَرفض سياسةَ استعباد البشر ، ويُحرِّر الإنسانَ مِن عبودية الإنسان ، ويَمْنع الناسَ مِن التحوُّل إلى قطيع غنم يُساق إلى الذبح . لذلك ، كان الإسلامُ أكبر خطر على الطواغيت في كل زمان ومكان . وبالتالي ، مِن الطبيعي أن يُحارب الطواغيتُ الإسلامَ ، ويُحاولوا القضاءَ عليه ، لأن دِين الطواغيت قائم على سرقة ثروات البلاد ، وإفقار الناس ، وتحويلهم إلى خدم وعبيد خاضعين للنظام الطاغوتي الحاكم بكل خِزي وعار. أمَّا دِين الإسلام فيقوم على تَوحيد الله ، وإفراده بالعبادة، ومنع الظلمِ واستعبادِ الناس والسرقةِ والفسادِ بكل أشكاله . والإسلامُ يُعلِن بوضوح أن كُل الناس سواسية ، وكُلهم لآدم _ عليه الصلاة والسلام _ ، وآدم مِن تراب . ومِعيار المُفاضَلة الوحيد هو التقوى . وهذا ما يَرفضه الطغاةُ والطواغيتُ والحُكامُ الظالمون ، ولا يَقْبَلون بِه ، لأنهم يُريدون أن

يكونوا آلهةً على الناس ، والناس عبيدهم وخدمهم . وبالتالي ، لا مفر مِن حتمية الصِّدام بين الإسلام والطواغيت الذين يُحاولون إطفاء نُوره . وهذه المُحاولة الساذجة مُضحكة ومُبكية في آنٍ واحد ، لأن الذي يُحاول إطفاء نُور الإسلام ، كمن يَنفخ على الشمس لإطفائها . واللهُ غالبٌ على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يَعْلَمون .

والفكرةُ التي تغيب عن أذهان الكثيرين هي أن الإسلام وَحْدَه هو الدِّين المقبول عند الله ، والإسلام دِين قائم بذاته ، وقُوَّته ذاتية مُستمدة مِن قُوَّة الله تعالى ، وليس مِن قُوَّة المسلمين . والإسلامُ هو الدِّين الأسرع انتشارًا على الأرض ، لأنه دِين التَّوحيد المُوافق للفِطرة الإنسانية القائمة على عبادة الله وَحْدَه . وسواءٌ كان المسلمون مُتقدِّمين أَم مُتخلِّفين ، أقوياء أَم ضُعفاء ، أعِزَّة أَم أذِلَّة ، فإن الإسلام لا يتأثَّر ، وهو مُستمر في نشر النُّور ، واكتساح الظلمات ، لأنه _ أي الإسلام _ يَملك مُقوِّمات الاستمرارية الذاتية ، والدَّيمومة المُتواصلة إلى الأبد ، رغم ظهور علماء السَّلاطين ووُعَّاظ البلاط في بعض المواقع الحسَّاسة ، ورغم ظهور الحُكَّام الطُّغاة الخَوَنة العُملاء للغرب ، الذين يُحاربون الإسلامَ ، ويَقتلون المسلمين ، ويُدمِّرون بلادهم ، نِيابةً عن القُوى الاستعمارية الغربية ، وتنفيذًا لأوامرها ورغباتها . ومهما يكن مِن أمر ، فإن الحاكم العربي مُجرَّد مُوظَّف عِند القُوى الغربية ، ووكيل لها ، وخادم ذليل لأجندتها ، مقابل بقائه على الكرسي . والقوى الغربيةُ هي التي تمنح الكراسي للحُكَّام العرب مُقابل خدمتهم لها ، وهي التي تَسْلب مِنهم الكراسي إذا غضبتْ عليهم ، أو صاروا خطرًا عليها وعلى مصالحها .

وعبثًا حاولَ المُرْتَزِقَةُ _ سواءٌ كانوا حُكَّامًا أم محكومين _ أن يُطوِّعوا الإسلامَ ليصير أداةً لَيِّنة في أكف الحُكام وعلماء السُّوء ، يُوجِّهونه حيثما أرادوا ، ويُوظِّفونه لتحقيق مصالحهم الشخصية ومنافعهم المادية ، والحصول على المناصب والمزايا والمكاسب. والإسلامُ أعظم مِن أن يُمْتَطَى. وعلى سبيل المثال لا الحصر ، حاولت الدَّولتان الأُموية والعباسية تَسْييس الدِّين بشكل مُكثَّف في بعض الحالات ، ولكنْ اصطدمت جهودُهما بوجود عُلماء كِبار مُخلِصين، اختاروا الآخرة على الدنيا ، ودفعوا الثمنَ غاليًا . ولكنهم باعوا الدنيا الفانية مُقابل الحصول على الآخرة الباقية .

إن الصِّراعَ جوهرٌ ثابتٌ حقيقي كحقيقة وجود الإنسان وليس عَرَضًا مُؤقَّتًا. والصراع بين الخير والشر هو أساس الوجود البشري ونُواة المنظومة الإنسانية. قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ ﴾ [البقرة : ٢٥١] . أي : ولَوْلا أن الله تعالى يُسخِّر للقوي المُعتدي الظالمِ مَن هو أقوى مِنه ، لطغى في الأرض وتجبَّرَ وأهلكَ الحرثَ والنَّسْل ، وبالتالي يَعُمُّ

الدمارُ والهلاك والفساد . وقَدَرُنا أن نُولَد في الصراع ، ونموت في الصراع . والأشخاصُ الذين وُلِدوا في العاصفة لا يخافون مِن هُبوب الرياح . والحق والباطل لا يَجتمعان مُطْلَقًا ، والخيرُ والشر لا يَلْتقيان أبَدًا . والصِّراع بين الحق والباطل حَتمي ، والصِّدام بين الخير والشر دائم . ومَن يَضحك أخيرًا يَضحك كثيرًا ، والعاقبةُ بالخواتيم . والمُنْتَصِر _ لا مَحَالة _ هو الحق المُتَمَثِّل حصريًّا في الإسلام. ودَولةُ الباطل ساعة، ودَولة الحق إلى قِيام الساعة. والباطلُ مهما علا وسيطرَ ، فلا بُد له مِن نهاية ، لأن عوامل انهياره كامنة فيه ، وبِذرة ضَعفه مُتجسِّدة فيه . وعلى سبيل المثال لا الحصر ، فِرْعَوْن الكافر الذي ادَّعى الأُلوهية حَكَمَ مصر مئات السنين ، واستعبدَ شَعْبَها ، واللهُ أمهله ، وأعطاه الفُرصة تِلْو الفُرصة ، ولكنه لم يستغل هذه الفُرص ، ولم يَستفِد مِن هذه المُهَل ، وكانت نهاية حُكمه ومُلكه على يد النبيِّ مُوسى ﷺ . لقد زالت دولةُ الكفر والضلال ، وعلا الخيرُ على الشر، وانتصرَ الحقُّ على الباطل . ولا بُد من انتصار الخير والحق في نهاية المَطاف .

والدنيا دار اختبار وامتحان وتعب ومشقة وألم ، وليست دار سعادة وهناء ونعيم . ولحظاتُ السعادة في الدنيا قليلة إذا ما قِيست مع لحظات الشقاء. لذلك ، كانت الدنيا فانية زائلة ، والآخرة باقية دائمة . وفي الآخرة ، تَظهر نتيجة امتحان الدنيا . والنعيمُ المُطْلَق والسعادة الكاملة واللذة الأبدية والراحة الدائمة لا تُوجد إلا في جَنَّة الآخرة .

وقد وجدنا تحالفات ونزاعات كثيرة في المجتمع الإنساني الداخل في خِضَم الصِّراع ، معَ العِلم أن الصِّراع ليس بالضرورة أن يكون عسكريًّا. إذ إنه يتنقَّل بين النواحي المدنية والعسكرية ، بين عالَم القلم وعالَم السَّيف، بين الفكرة والرُّمح، بين الكتاب والقُنبلة ... إلخ. ولنستعرض أجزاء من جغرافيا الصِّراع على الخارطة الأرضية المُلتهبة. وعلينا الانتباه_بدايةً _ إلى أن هناك تحالفات كثيرة مختلفة عَقَدِيًّا تكوَّنت من أجل محاربة الإسلام . في حين أن الدَّولة الإسلامية لم تتحالف مع غير المسلمين في القتال. وهذا المنهج سَنَّه النَّبيُّ ﷺ الذي لم يستعن بغير المسلمين في القتال . وإنما استخدمهم في مجالات أخرى كإرسال عَيْن (جاسوس) أو دليل . والنبيُّ ﷺ أرسلَ بِشْر بن سُفيان عَيْنًا إلى قُرَيش لِيَأتِيَه بأخبارهم ، وقد كان يومها على الشِّرك . ولا يجوز في الوضع الطبيعي الاستعانة بالكفار في القتال بتاتًا ، ففي صحيح مسلم (٣/ ١٤٥٠) أن النبيَّ ﷺ قال : ((فلن أستعينَ بِمُشرك)) . والأمرُ ليس مُتَوَقِّفًا على المشركين ، بل ينسحب على غَير المسلمين سواءٌ كانوا كتابيين أم غير كتابيين، لأن الجهاد إنما يكون لإعلاء كلمة الله تعالى، وهذا لا يتأتى إلا بوجود عقيدة صحيحة ، والعقيدة الصحيحة لا توجد إلا عند المسلم ، لأن الإسلام وَحْدَه هو

الدِّين الحق والعقيدة الكاملة والشريعة المعصومة . والجديرُ بالذِّكر أن هناك تحالفًا مصيريًّا ظَهَرَ بين اليهود والمشركين من أجل هدم الدولة الإسلامية بقيادة النبيِّ محمد ﷺ في الجزيرة العربية . وهذا التحالف اليهوشِركي (اليهودي الشِّركي) بُنِيَ على أساس داخلي مُتمثِّل في العداوة القلبية ، وتأصيل نفْسي حاقد، وأفكار مُسبقة ضِد الإسلام والمسلمين، تُرْجِمَت فيما بعد إلى سلوك فِعلي ، وتطبيق عملي على أرض الواقع .

قالَ اللهُ تعالى:﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً للذينَ آمَنُوا اليَهُودَ وَالذينَ أَشرَكُوا﴾[المائدة: ٨٢] .

قُدِّمَ اليهودُ على المُشركين، لأن اليهود أهل كتاب لديهم عِلم ومعرفة ، وبالتالي هُم علماء بالوَحْي والشريعة لا جُهَّال كالعرب الوثنيين المُنقطعين عن السماء . واليهودُ يَعرِفون ماذا يَقولون، وهُم يخلطون مَكْرَهم وخُبْثَهم الفائقَيْن معَ انحرافهم الدِّيني المُتَعَمَّد عن المنهج السماويِّ، في حين أن العرب عَبَدَة أصنام وأوثان ، ليس لديهم كتاب دِيني يستندون إليه ، وإنما يستندون إلى أفكارهم الوثنية الجاهلية بلا دليل ، ويعتمدون على أهوائهم المُتضاربة بلا بُرهان . والعربُ الوثنيون لا يملكون دليلًا نقليًّا ولا حُجَّةً عقلية. كما أن العرب_ بعكس اليهود _ ليس لديهم حصيلة متفوقة في المَكْر والكذب والنفاق والخداع والغِش، على الرغم مِن كَوْنهم وثنيين. فأخلاقهم العربية المتمثلة في الكرم والشهامة والمروءة والقيم الرُّجولية والمعاني العشائرية القَبَلِيَّة ، تمنعهم مِن كثير من الخِصال السَّيئة والصفات القبيحة والسلوكيات الدنيئة . لذلك ، كان العربُ تَبَعًا لليهود في مُحاولاتهم العبثية لتقويض دعائم الإسلام والتشكيك فيه ، والطعن في نُبُوَّة محمد رسول الله ﷺ . واليهودُ هُم الآباء المُؤسِّسون للخداع والمكر ومحاولة قلب الحقائق وتزويق الكلام الذي ينطوي على أغراض خبيثة . ولأن التَّجَمُّع البشري العربي جزءٌ مِن الكَيْنونة البشرية، والمجتمعِ الجاهلي في آن معًا ، كان التيار الاجتماعي منبثقًا عن التوجهات البشرية والإنتاجات المعرفية للإنسان الجاهلي،وباتَ المجتمع انعكاسًا لحالة التخلف الإنساني في تلك المرحلة. وليس أدل على التعاون اليهوشِركي من الوقائع التي مهَّدت لغزوة الخندق . فقد ورد في السِّيرة أن عُظماء بني النَّضير أرسلوا جَمْعًا منهم إلى مكة وقابلوا رؤساء قُرَيش،وحرَّضوهم على حرب النبيِّﷺ وقتاله. وإذا انتقلنا إلى مرحلة زمنية أخرى ، وَجَدْنا الصراعَ بين الصليبيين والمُسلمين قد تجلَّى في الحروب الصليبية التي كانت تُشَنُّ باسم الرَّب (المسيح) والإنجيل ، وتُعلَن باسم الصليب . وكان البابوات هُم القادة الروحيين لها . وهنا صِراع مِن نوع مُختلف ، وهو الصِّراع بين اليهود والنصارى مِن أجل تصفية حسابات تاريخية . وكالعادة ، يبدأ الصراع بتنظير فكري . وقد وضَّح القرآنُ

الصراعَ الفكريَّ بين اليهود والنصارى . قالَ اللهُ تعالى: ﴿ وَقَالَتِ اليَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ اليَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ﴾[البقرة : ١١٣] . والتُّلمود اليهودي الصهيوني يأمر بقتل النصارى : ((باستطاعتك ، بل من واجبك أن تقتل أفضل المسيحيين)) [٢٥٧].

وأيضًا ، لَم يُقصِّر النصارى في قتل المُخالفين وإبادتهم ، فقد قَتلوا المسلمين واليهودَ بكل وحشية . وليس أدل على ذلك من محاكم التفتيش الإسبانية التي أُنشِئت بموافقة البابا سيكستس الرابع عام ١٤٧٨م لمطاردة المسلمين واليهود .

وبعد ذلك بعشرات السنين ، حصل صراع دموي وحرب طاحنة بين البروتستانتية والكاثوليكية دمَّر أوروبا خلال الفترة (١٥٤٥ م _ ١٦٤٨ م) . ثُمَّ حدث تقارب وتعاون حثيث بين الغرب الصَّليبي (بِشِقَّيْه النازي والفاشي) مِن أجل سرقة فلسطين (الوَقْف الإسلاميِّ المُقدَّس) ، وتَسليمها لليهود الصهاينة . وبذلك ، يَضرب الغربُ عُصفورَيْن بحجر واحد . يتخلَّص مِن اليهود، ويُطهِّر أوروبا مِن وجودهم القذر ، ويرتاح من خداعهم ومكرهم وخُبثهم وفسادهم وألاعيبهم وخُططهم الشِّريرة . وأيضًا ، يَجعل فلسطين قاعدة عسكرية تابعة للغرب ، وتحت السيطرة اليهودية الصهيونية ، قريبة مِن منابع النفط الخليجي، وتكون حاجزًا يَمنع التقاءَ آسيا العربية وأفريقيا العربية. وبالتالي يضمن الغربُ السيطرةَ على الوطن العربي باستخدام اليهود الصهاينة ، مُقابل مصالح مشتركة ، ومنافع مُتبادلة ، ومكاسب للطرفَيْن (الغرب الصليبي واليهود الصهاينة) .

ثم حدث الصراع والحرب الباردة بين المعسكرَيْن الرأسمالي(الأمريكي) والشُّيوعي(السوفيتي). وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي صار التعاون حثيثًا بين روسيا الأرثوذكسية وأوروبا الكاثوليكية وأمريكا البروتستانتية ، مِن أجل إبادة المسلمين والقضاء عليهم . وهذا يتَّضح في مأساة الشيشان والتَّغاضي عن الإرهاب الأرثوذكسي ضمن منظومة تواطؤ ذات أبعاد نصرانية صليبية خالصة .

وتمريرُ المجازر في الشيشان كانت مُقايضة من نوع رخيص ، لتمرير المَجازر في البُوسنة ضمن منظومة الإرهاب الأرثوذكسي ، على الجهتين (الشرقية والغربية) . حتى إن الهندوس عَبَدَة البقر أَبَوْا إلا أن يشاركوا في جرائم إبادة المسلمين ، والتَّنكيل بهم ، وقَتْلهم ، وتشريدهم ، وهدم مساجدهم ، وسرقة الأرض الإسلامية (كشمير) [٢٥٨] .

---

٢٥٧ نقلًا عن كتاب/ مؤامرة اليهود على المسيحية ، إميل حرب ، ص ٤ .

٢٥٨ انظر كتاب / فصول من مأساة كشمير . شُعَيب عبد الفتاح .

وهذا يدل على أن المؤامرة على الإسلام والمسلمين نظرية حقيقية واقعية ومُطبَّقة عمليًا ، وليست أحلامًا أو أوهامًا أو خيالات ، أو مُجرَّد حِبر على ورق . ولم يُقصِّر الاستخرابُ النَّصراني الصَّليبي المُعاصر ، والذي يُسمَّى ـ زُورًا ـ بالاستعمار، في قتل المسلمين ، وزرع الفِتَن والفُرقة بينهم ، وتثبيث الجهل والمرض والتخلف في مُجتمعاتهم لئلا تقوم لهم قائمة ، وتعيين حُكام عرب خَوَنة مُنافقين عُملاء ، يكونون مُوظَّفين ووكُلاء للاحتلال ، وخدمًا أذِلَّة يُطبِّقون أوامر أسيادهم الغربيين، مقابل الحفاظ على عروشهم وكراسيهم .

وعلى سبيل المثال ، قدَّمت بريطانيا وفرنسا (أكبر قُوَّتَيْن صَلِيبِيَّتَيْن في الاستعمار القديم) مشروعًا نصرانيًّا مُتطرِّفًا مُعاديًا للإسلام والمسلمين ، وقادتا حملةً صليبية جديدة ، تمثَّلت في اتفاقية سايكس بيكو [٢٥٩].

وينبغي أيضًا عدم نسيان الإرهاب الكاثوليكي الفرنسي في الجزائر، وتدميرها ، وقتل ملايين الجزائريين . ومع هذا رفضت فرنسا الاعتذارَ عن ماضيها الاستخرابي (الاستعماري !) أو إدانته . وتكرَّرت المأساة في البوسنة والهرسك لإبادة المسلمين وإنهاء وجودهم في أوروبا ضمن خطة صليبية نصرانية بابوية. ومجازرُ البوسنة راح ضحيتها ما يزيد على ٢٠٠ ألف مسلم ، عدا عن الجرحى والمُعاقين . وقد جرى قتل المسلمين وذبحهم علنًا أمام الكاميرات التلفزيونية وبتواطؤ مِن الأمم المتحدة. وفي الوقت نفْسه تمَّت أكبر عمليات الاغتصاب الجماعي للنساء ، إلى جانب طرد مليوني مسلم وتشريدهم بالقوة . ومِمَّا لا شك فيه أن الغرب لم يتدخل في البوسنة من أجل سواد عيون المسلمين ، ولكنه تدخَّل حين شعر بتهديد مصالحه ونُفوذه ، وتمرُّد الصِّرب على إرادته ، فَخَشِيَ أن تخرج الأمور عن السيطرة والخُطَّة المرسومة [٢٦٠].

---

٢٥٩ اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦ م ، كانت اتفاقًا وتفاهمًا سريًّا بين فرنسا والمملكة المتحدة بمصادقة مِن الإمبراطورية الروسية على اقتسام منطقة الهلال الخصيب بين بريطانيا وفرنسا، لتحديد مناطق النفوذ في غرب آسيا بعد تهاوي الدولة العثمانية، المسيطرة على هذه المنطقة، في الحرب العالمية الأولى . وتم الوصول إلى هذه الاتفاقية في الفترة (نوفمبر ١٩١٥ ـ مايو ١٩١٦) بمفاوضات سِرِّية بين الدبلوماسي البريطاني مارك سايكس والفرنسي فرانسوا جورج بيكو ، وكانت على صورة تبادل وثائق تفاهم بين وزارات خارجية فرنسا وبريطانيا وروسيا القيصرية آنذاك .

٢٦٠ انظر كتاب / مجزرة البوسنة وتخاذل الغرب ، ديفيد ريف .

أمَّا الحروبُ التي خاضها المسلمون فكانت للدفاع عن النَّفْس ، وفتح البلاد لا لزرع الموت فيها، بل لإحيائها عن طريق عَرْض الإسلام الذي حرَّر فارسَ من عبادة النار،وحرَّر الرُّومَ من تقديس خدعة الصليب، وحوَّل المغولَ والتتارَ والبربرَ من همجية التخلف والبدائية إلى حَمَلة رسالة بإنسانية وعقلانية، وحوَّل العربَ الذين كانوا وُحوشًا ضائعة في الصحاري ، وكان وجودهم كعدمه، إلى رجال أصحاب عقيدة يَحْملونها ويَعْرضونها بالإقناع والحُجَّة ويُدافعون عنها . وانظر ماذا تركت الحضارةُ العربية الإسلامية في الأندلس ، وماذا ترك الغربُ الصَّليبي الاستخرابي في بلادنا ! .

إذن، يَحِقُّ للمسلمين أن يقولوا بِمِلْءِ الفَم إن الفتوحات الإسلامية أحيت الموتى ، وحوَّلت الخرابَ إلى واحة للأمن والرخاء والازدهار . والشعبُ هو الضمير الحقيقي الذي يُعبِّر عن التطلعات الإنسانية . ولا يوجد شعب قاومَ الإسلامَ . وأتحدَّى الجامعات ومراكز البحوث والدراسات والمؤرخين والأدباء والمفكرين على سطح الكرة الأرضية أن يأتوا بمثال واحد على أن شعبًا قاومَ الإسلامَ . ولكنَّ الذين حاربوا الإسلامَ هُم مجموعة المتنفذين من الطواغيت وأعوانهم وجيوشهم الذين خافوا على عروشهم ومناصبهم ومُكتسباتهم الشخصية ، وخافوا أن ترفع الرَّعِيَّةُ رأسَها ، وأن تَعترض الضحيةُ على جَلَّادِها . لذلك كان لِزَامًا على المسلمين إزالة السُّور الحاجب للشمسِ، لترى البشريةُ شمسَ الله بدون طواغيت، يقومون بإغلاق أعين الناس، ثم يأمرونهم أن يتَّبعوهم وَفْقَ سياسة فِرْعَوْن:﴿ مَا أُرِيكُم إلا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُم إلا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [غافر: ٢٩].

نلحظُ من التقسيم السابق لخارطة الحروب الدينية في العالَم عِدَّة أمور . الأول: إن المسلمين كانوا الطرف المُعْتَدَى عليهم، والمؤامرات تُحاك ضِدَّهم. الثاني : إن المسلمين أصحاب رسالة ، وصَوْتهم أعلى من صوت سيوفهم ، وقائدهم محمد ﷺ نبيُّ الحق والقوة ، نبيُّ البيان والسَّيف ، نبيُّ السلام والحرب . سواءٌ كان بين ظَهْرانيهم أم لا . والعقيدةُ تُوجِّه السَّيفَ، والسَّيف يَحْمي العقيدةَ . ومنهجُ الإسلام واضح : السلامُ للمُسالمين ، والحرب للمُحاربين، والحوار للمُتحاورين ، والسَّيف للمُقاتِلين . والإسلامُ لَيْسَ سُلطةً كهنوتية ، ولا إلَهًا مصلوبًا على خشبة ، ولا دِيانة أسرار وأيقونات وتماثيل وطلاسم . كُلُّ شَيء مَكشوف في الإسلام للعَالِم والجاهل . وقد جاءَ الإسلامُ للفَيلسوف وراعي الغنم على السَّواء . ولا يُوجَد شَيء يَخجل مِنه المسلمون . والإسلامُ مَبنيٌّ على النَّقْلِ والعَقْلِ مَعًا، وقائمٌ على قُوَّة المنطق ومنطق القُوَّة مَعًا . فلا بُدَّ للعقيدة مِن قُوَّة تَحميها ، ولا بُدَّ للقُوَّة مِن عَقيدة تُوجِّهها . والإسلامُ مُصْحَفٌ وسَيْفٌ ، لا يُقبَل أحدهما دُون الآخَر . التسامحُ في مَوضِع التسامح ، والسَّيفُ في مَوضِع السَّيف .

والإسلامُ ليس دِينًا دمويًّا مُتعطِّشًا لِسَفْكِ دماء الناس. ولكنه دِينٌ واضح لا مكان فيه للتلاعب أو المُجامَلات أو أنصاف الحُلول . فالحق واضح ، والباطل واضح . والإسلامُ يحتوي على قواعد السلام والحرب معًا ، ويشتمل على البُنى الاجتماعية الخاصة بكل حالة. وهو يَضع السَّيفَ في مَوْضِع السَّيف ، ويضع النَّدى في مَوْضِع النَّدى . وهذا هو الحق الساطع . وإن أيَّ اختلال في هذه المنظومة ، سيؤدي إلى نتائج كارثية . وكما قال الشاعر :

وَوَضْعُ النَّدَى في مَوْضِعِ السَّيفِ بالعُلا مُضِر كَوَضْع السَّيفِ في موضع النَّدَى

الثالث : إن المسلمين لم يبحثوا عن عقيدة أخرى تُساندهم وتُعاونهم ، لأن عقيدتهم هي الحق الوحيد الكامل المتكامل ، فهل هناك عاقلٌ يكون معه اللهُ تعالى فيأبى ويبحثُ عن شيطانٍ يدعمه ؟! . وهل هناك عاقل يكون على الحق المُطْلَق والخير الشامل ، فيتركهما ويَبحث عن الباطل والشر ؟! . والعاقلُ قَد يَخدع الآخرين ، ولكن مِن الجنون أن يَخدع نَفْسَه . وإن أسوأ شخص على الإطلاق هو الذي تَرَكَ اليقينَ الذي عِنده ، مِن أجل الشَّك الذي عِند الآخرين .

ومِن المقولات المُضادة للحقيقة قَول بعض المُتَحَذلِقِين المُتَعَالِمِين : " الأديان جميعها تحضُّ على التسامح " . وهذه العبارةُ باطلة وعبثية ، ولا تقوم على دليل نقلي ولا أساس عقلي . إن جميع الأديان سِوى الإسلام ، تُعَدُّ أديانًا أرضية وَضْعية باطلة ، وهَرْطقة ذات صِبغة دينية بشرية .

فَمَثَلًا ، إن التُّلمود مِن أُسُس الديانة اليهودية الباطلة ، وهو مليء بالحقد والضغينة والكراهية والتطرُّف والإرهاب والخُرافات والأساطير . كما أن هناك كثيرًا مِن نُصوص التَّوراة البشرية تَدعو إلى العنف والإرهاب ، وتحثُّ على مُعاداة الآخَر واحتقاره واعتباره لا يَستحق الشَّفقة . كُل ذلك موجود في التَّوراة المُحرَّفة بشكل مُتطرِّف غير إنساني : ((لا تقطعْ لهم عهدًا ولا تُشفِقْ عليهم)) [تَثْنية ٧: ٢]. وتَكْريسُ الإبادة الجماعية في الحروب بشكل وحشي ، واستعباد الآخرين واعتبارهم في مستوى الحيوانات،ولا يستحقون الحياة، وكُل ذَنْبهم أنهم مِن الأغيار_غَير اليهود_: ((حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصُّلح . فإن أجابتك إلى الصلح وفتحتْ لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويُستعبَد لك))[تَثْنية ٢٠: ١٠و١١] . ((وأمَّا مُدن هؤلاء الشعوب التي يُعطيك الربُّ إلَهُكَ نصيبًا، فلا تَسْتَبْقِ منها نَسَمَةً ما))[تَثْنية ٢٠: ١٦].

والأمرُ الغريبُ العجيبُ ، المُضحك المُبكي ، أن النصارى يُؤمنون بهذه النصوص الداعية إلى الإرهاب ، ويَعتبرونها مُقَدَّسَةً ضِمن ما يُسَمُّونه العَهْد القديم (التَّوراة). والإنجيلُ ليس أحسن حالًا

من التوراة . فالإرهاب وقتل الآخرين مُتجذِّر في نصوص بشرية كثيرة منها النص الأكثر شراسةً وعنفًا المَنسوب _ كَذِبًا وزُورًا_ إلى السيد المسيح ﷺ : ((لا تظنُّوا أني جئتُ لأُرسيَ سلامًا على الأرض. ما جئتُ لأُرسيَ سلامًا بل سَيْفًا. فإني جئتُ لأجعل الإنسان على خِلاف مع أبيه والبنت مع أمها والكَنَّة مع حَمَاتها. وهكذا يصير أعداءَ الإنسان أهلُ بيته)) [متَّى ١٠: ٣٤و٣٥].

والتدمير مستمر ، وللأسف فإنه يُنسَب_ كَذِبًا وزُورًا _ إلى السيد المسيح ﷺ : ((جئتُ لأُلقيَ على الأرض نارًا فكم أُريد أن تكون قد اشتعلت ؟))[لُوقَا ١٢: ٤٩] .

والانقسام وخراب المجتمع أيضًا له نصيب في الإنجيل الذي يزعمون أنها يحثُّ على السلام واحترام الآخر : ((أتظنون أني جئتُ لأُرسيَ السلام على الأرض ؟ أقول لكم : لا ، بل بالأحرى الانقسام)) [لُوقَا ١٢: ٥١] .

وتدمير القيم النفسية والعائلية واحتقار الأبوين أيضًا له نصيب في هذه النصوص غير الإنسانية المُرعبة : ((إنْ جاء إليَّ أحد ولم يُبغض أباه وأُمَّه وزوجتَه وأولادَه وإخوتَه وأخواتِه بل نفسَه أيضًا فلا يمكنه أن يكون تلميذًا لي))[لُوقَا ١٤: ٢٦] .

كُل هذه النُّصوص الإنجيلية البشرية الخُرافية منسوبة _ كَذِبًا وزُورًا _ إلى السَّيد المسيح ﷺ، مِن أجل إيجاد شرعية دينية معصومة لهذا الكلام البشري ، وتبرير ارتكاب الجرائم باسم المسيح.

والنصارى يزعمون أن المسيح هو قائلها . وهذا كذبٌ صريح مكشوف ، فالمسيحُ هو نبيُّ المحبة والسلام والتسامح والأخلاق الحميدة ، ولم يَجِئْ مِن أجل القتل والإرهاب والتَّدمير وتحطيم الأسرة وتمزيق المجتمعات . وكُل الأنبياء أصحاب منهج واحد ، يقوم على تَوحيد الله ، والالتزام بالأخلاق الحميدة ، والصفات الحسنة ، والأوصاف الجميلة .

والجديرُ بالذِّكر أن البابا عظيم النصارى (الكاثوليك) وزعيمهم ، والقائد السياسي الروحي الأعلى للحملات الصليبية. فلماذا قاد الإبادةَ الجماعية بحق المسلمين باسم عقيدته ؟. قد يقول أحدهم إنه سلوك شخص فردي لا يُمثِّل النصرانية . أقول : إن هناك مَجْلِسًا في الفاتيكان من الكرادلة الكِبار ورجال الدين النصارى على مستوى عالٍ جِدًّا مِن العِلم والمعرفة والفكر والثقافة، برئاسة " البابا "، وهُم علماء النصارى وسادتهم ورُؤوسهم . وكُلُّهم مُتبحِّرون في دراسات الأناجيل والأسفار والرسائل وما يُسمَّى بالكتاب المُقدَّس الذي يشتمل على العهد القديم والعهد الجديد ، ولم يُقْدِمُوا على ارتكاب الجرائم وتبريرها وشَرْعنتها، إلا بالاستناد إلى كُتبهم الدينية التي يُقدِّسونها. فلم يظهر الأمر كنزوة ، وإنما جاء قرارًا جماعيًّا مِن كِبار علماء النصارى مُستندًا إلى عقيدتهم .

وما كان لَيَتِمَّ الإجماعُ على أمر لَوْلا وضوحه في عقيدتهم ، وبالتالي أَمَرَت النصرانيةُ أتباعها بتدمير بيت المقدس، وقتل المسلمين بلا شفقة أو رحمة، مُطبِّقين نصوصهم المُقدَّسة بكل إيمان وإخلاص وتسامح ! ، حيث غاصت خيولُ الصَّليبيين في دماء المسلمين إلى الرُّكب، وهكذا تحقَّقت محبة المسيح وحقوق الإنسان والديمقراطية ! . والذين يَخرجون علينا بمشاريع وصفقات حوار الأديانِ يُضيِّعون وقتهم . وهذه المشاريعُ عمليات تجميل لإقناع الناس بالوَحدة البشرية . إنها لا تَعْدو عن كَوْنها مادةً إعلامية للكاميرات والمُراسلين والصحافة . إن هذا العالَم يجب أن يَحْكمه الإسلام (الدِّين السماويُّ الوحيد) ، وهو الآن مُغَيَّبٌ عن هذا العَالَم ، وغير موجود فيه . وما فائدةُ الحوار في ظِل الاحتكام للقوة العسكرية واختلال الموازين والمفاهيم ؟ ، وهل هناك أُفُق للحوار ، والمسلمون واقعون في مِصْيَدة الاحتلال الغربي الصَّليبي بكل أشكاله : العسكرية والفكرية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية ؟. لا بُد مِن إعادة الأمور إلى نِصَابها الصحيح ووَضْعها الطبيعي تحت مظلة الإسلامِ ، ولا أحدٌ يُظلَم عِندئذ . وفي تلك المرحلة، لا يَلْزمنا حوارٌ أصلًا مع الآخر، لأنه يعيش تحت سيادة الإسلام بكل أمن وأمان وطُمأنينة ، ضِمن منظومة الحقوق والواجبات . والأَوْلَى أن نعملَ على إرجاع الحاكمية لله تعالى . أمَّا الحوار مع النصارى المُتَصَهْيِنين الذين يَشُنُّون الحروبَ الصليبية ، تحت إشراف سماسرة الكنيسة الغربية ، الذين يُحرِّكون الحُكَّامَ والسياسيين ، ويُوفِّرون لهم الغطاءَ الشَّرعي ، فهو مَضيعة للوقت . وهذا الحوار الشَّكلي احتلال مِن نوع جديد . والمُؤسِف أن الفاتيكان يرفضُ الاعتذار عن حملاته الصليبية وجرائمه بحق المسلمين إلى الآن. وحتى لو اعتذر ، فاعتذاره غير مقبول ، لأن دماء المسلمين لا تُمحَى بكلمات عاطفية . في حِين بَرَّأ الفاتيكانُ اليهودَ الحاليين مِن " دم المسيح ! " ضاربًا بالأناجيل عُرْضَ الحائط ، ورافضًا النَّصَّ الإنجيلي : ((ليكن دمُه علينا وعلى أولادنا !))[مَتَّى ٢٧ : ٢٥]. فأيُّ حوار أديان يَتشدَّق به أولئك العائشون في الوهم ؟ .

لا بُد مِن دراسة واقع المسلمين والبشرية ، وكيفية الخروج من المأزقِ الراهن . وينبغي التَّعَمُّق في استشراف المستقبل وتحدِّياته ، ومعرفة كيفية تجاوزها حقيقةً لا شعارًا . ويكون ذلك بتطبيق منهج البحث العِلمي الذي يَكشف الأعداءَ ، لأن معرفة العدو وأهدافه جزء مهم من معركة تحرير العَالَم مِن سَطوة الكفر وسُلطته . ومعرفةُ العدو هي الخطوة الأولى لهزيمته . إذن ، فلتكن حياتُنا حركةً إسلاميةً لتحرير العالَم الواقع تحت احتلال الشيطان ، معَ ضرورة وجود حَل إسلامي شامل مِن أجل أسْلَمَة المُكوِّنات الوُجودية للإنسان، تاريخًا وثقافةً وحضارةً ومجتمعًا، بالتي هي أحسن.

أوَّلًا : التناقض في الإنجيل

لقد ورَّط النصارى أنفسَهم بتحريف الإنجيل ، وتغييره ، وتبديله ، والتلاعب به ، وفضحوا أنفسَهم بأنفسهم . فقد صارَ الإنجيلُ كتابًا بشريًّا ، وكُل كتاب بشري هو بالضرورة مليء بالأخطاء والنقص والسَّهْو والتناقض ، وذلك لأن الإنسان كائن ناقص ، وذو قُدرات محدودة ، والكاملُ لا يَصْدُر عن الناقص ، إن الكامل يَصْدُر عن الكامل . لذلك امتلأ الإنجيلُ البشري بالأخطاء الفاضحة ، والتناقضات الواضحة ، والتعارضات المكشوفة . وقد ارتأيتُ ترقيم التناقضات التي استخلصتها ليعرفَ القارئ حجم التَّحريف الذي أصاب الإنجيل ، وكثرة الأخطاء التي سيطرت على نُصوص النصارى المُقدَّسة.معَ ضرورة الانتباه إلى وجود مئات أو آلاف التناقضات والأخطاء، غَير الموجودة في هذا الكتاب ، ولكنِّي حاولتُ قرع ناقوس الخطر ، وكشف أباطيل الإنجيل ، وذِكر أمثلة مِن الأخطاء والتناقضات، وهي بالطبع على سبيل المثال لا الحصر.والأمرُ مُتَّسِعٌ جِدًّا، وما قَدَّمْتُهُ غَيْض مِن فَيْض .

مِن الأخطاء الفظيعة عدمُ اتفاق النَّصارى على نَسَب السيد المسيح ﷺ . لذلك ، ظهر تناقض فاضح وواضح وصارخ في سلسلة النَّسَب . والعجيبُ في الأمر، كيف يَزعم النصارى أن المسيح هو إله وابن الله ، ثُمَّ ينسبونه إلى بشر . وحتى هذا النَّسَب مُتناقض . والجديرُ بالذِّكر أن إنجيلَيْن فقط ذَكَرَا نَسَبَ المسيح هُما إنجيل مَتَّى وإنجيل لُوقَا. والغريبُ أن أمْرًا بهذه الأهمية لَم يذكره إنجيلان هُما إنجيل مَرْقُس وإنجيل يُوحَنَّا ، مِمَّا يُثير أكثر من علامة استفهام ، فكيفَ يَختفي نَسَبُ المسيح مِن إنجيلَيْن يُفْتَرَض أنهما يُؤَرِّخان لتفاصيل حياة المسيح ودَعوته وتعاليمه . هذا يدل بوضوح على أن مَرْقُس ويُوحَنَّا لَم يَكُونا يَعْلَمان شيئًا عن نَسَب المسيح، وبالتالي آثَرَا إغفال ذِكره، لكي لا يُفتضَح أمرُهما . لا سِيَّما أنهما لم يلتقيا بالمسيح قَط . وأصحاب الأناجيل الأربعة (مَتَّى ، مَرْقُس ، لُوقَا ، يُوحَنَّا) لَيْسوا من تلاميذ المسيح بالاتِّفاق ، ولَم يُشاهدوه . وبين رَفْع المسيح إلى السماء وكتابة الأناجيل تاريخٌ طويلٌ جِدًّا يمتاز بالغموض وعدم الوضوح .

((هذا سِجِلُّ نَسَبِ يَسوعَ المسيحِ ابنِ داودَ ابنِ إبراهيم : إبراهيمُ أنجب إسحاق . وإسحاقُ أنجب يعقوب . ويعقوبُ أنجب يهوذا وإخوته)) [مَتَّى ١: ١و٢] .

((وكان ــ أي السَّيد المسيح ــ معروفًا أنَّهُ ابنُ يوسُف بنِ عالي بن مَتْثاتَ بن لاوي بن مَلْكي بن يَنَّا بن يُوسُف)) [لُوقَا ٣: ٢٣و٢٤] .

١) فرق واضح ومُذهل بين النَّسَبَيْن ، لا يحتاج إلى عالِم في الدراسات الإنجيلية. والتناقضات مُستمرة في سلسلة النَّسَب ، ولو رجعتَ إلى التَّكملة في إنجيل مَتَّى وإنجيل لُوقَا ، لرأيتَ العَجَبَ العُجاب . والغريبُ أن النصارى يَزعمون أن المسيح إله وابن الله تعالى ، فما فائدة هذا النَّسَب البشري ؟! . وكيف يكون ابن الإله ابنًا للبشر ؟! . هذا دليل على بُطلان النصرانية.

((ويُوحنَّا هذا هُوَ الذي قيلَ عنه بلسانِ النَّبي إشَعْياءَ القائل : صوتُ مُنادٍ في البَرِّيَّةِ : أعِدُّوا طريقَ الرَّبِّ ، واجعلوا سُبلَه مستقيمةً !)) [مَتَّى ٣: ٣] .

((ها أنا أُرسِلُ قُدَّامكَ رَسولي الذي يُعِدُّ لكَ الطَّريقَ ، صوتُ مُنادٍ في البَرِّيَّةِ : أعِدُّوا طريقَ الرَّبِّ ، واجعلوا سُبُلَهُ مستقيمةً !)) [مَرْقُس ١: ٢و٣] .

((كما كُتِبَ في كتابِ أقوالِ النَّبي إشَعْياءَ : صوتُ مُنادٍ في البَرِّيَّةِ : أعِدُّوا طريقَ الرَّبِّ واجعلوا سُبُلَهُ مستقيمةً)) [لُوقَا ٣: ٤] .

((فقال : أنا صوتُ مُنادٍ في البَرِّيَّةِ : اجعلوا الطريقَ مستقيمةً أمامَ الرَّبِّ ، كما قالَ النَّبيُّ إشَعْياءُ)) [يُوحَنَّا ١: ٢٣] .

٢) هناك اتفاق على أن إشَعْياء هو مصدر هذه الكلمات لدى الأناجيل الأربعة. لكن الصِّيَغ _ كما هو موجود أعلاه _ بالغة الاختلاف . والاختلاف الأبرز تلك العبارة الواردة عند يُوحَنَّا " اجعلوا الطريقَ مستقيمةً أمام الرَّبِّ " ، مع أن باقي الأناجيل اتَّفقت على عبارة " أعِدُّوا طريقَ الرَّبِّ واجعلوا سُبُلَه مستقيمة " . وهذا يعكسُ لنا حجم الاختلاف والتناقض الواضح في صياغة العبارات . حتى إن صياغة العبارات التي تتحدَّث عن هذه الحادثة الواحدة مختلفة ، وتتكرَّر الصِّيغ بحيث نستنتج أن هؤلاء الأشخاص الأربعة لم يكونوا مُعاصرين لبعضهم ، ولم يكونوا معاصرين للسَّيد المسيح ﷺ ، إذْ لو كانوا كذلك لانسجمت عباراتُهم بشكلٍ دقيقٍ . كما أن هذا التناقضَ وكل التناقضاتِ القادمة تدحض فرضية أن الرُّوحَ القُدُس قد أوحى لهؤلاء الأشخاص الأربعة . فالمَلَكُ جِبريل (رُوح القُدُس) عليه السلام ، لا يتناقض . فكيف يَنسُبون هذا التناقضَ وما سيأتي من اختلافات إليه ؟! .

((أنا أُعَمِّدُكم بالماءِ لأجلِ التَّوبةِ ، ولكنَّ الآتي بعدي هو أقدرُ مِنِّي ، وحذاءَه لا أستحقُّ أن أحمِل . هُوَ سَيُعَمِّدُكم بالرُّوحِ القُدُسِ وبالنَّارِ)) [مَتَّى ٣: ١١] .

((سيأتي بعدي من هو أقدرُ مِنِّي ، مَن لا أستحقُّ أن أنحنيَ لأَحِلَّ رِباطَ حذائه . أنا عَمَّدتُكم بالماء ، أمَّا هُوَ فسوفَ يُعَمِّدُكم بالرُّوحِ القُدُس)) [مَرْقُس ١: ٧و٨] .

((أنا أُعَمِّدُكم بالماءِ ، ولكن سيأتي مَن هُوَ أقدرُ مِنِّي ، مَن لا أستحقُّ أن أَحُلَّ رِباطَ حذائه : هو سَيُعَمِّدُكم بالرُّوحِ القُدُسِ وبالنَّار)) [لُوقَا ٣: ١٦] .

((أنا أُعمِّدُ بالماءِ ! ولكنَّ بينَكم مَن لا تعرفونَه ، وهُوَ الآتي بعدي ، وأنا لا أستحقُّ أن أَحُلَّ رِباطَ حذائه)) [يُوحَنَّا ١: ٢٦و٢٧] .

٣) اعتمد مَرْقُسُ على الفِعل الماضي " عمَّدتُكم " ، ولكنَّ مَتَّى ولُوقَا استخدما الفِعل المضارع " أُعمِّدكم " . في حين أن يُوحَنَّا استخدم " أُعمِّد " .

٤) اتَّفقَ الأشخاص الأربعة على أن التَّعميد بالماء مع الاختلاف في الصِّيغة .

٥) مَتَّى ذكرَ عِلَّةَ التعميد وسببه " لأجل التَّوبة " ، أمَّا الآخرون فلم يذكروه قَط .

٦) اتَّفَقَ الجميعُ على أن السَّيد المسيح ﷺ سيأتي بعد النبيِّ يحيى ﷺ (يُوحَنَّا المَعمدان) ، إلا أن يُوحَنَّا (صاحب الإنجيل) أضاف عبارةً غريبة جِدًّا يقصد بها السَّيدَ المسيح " ولكن بينَكم مَن لا تعرفونه " . فكيف يمكن أن يقول النبيُّ يحيى (يُوحَنَّا المَعمدان) أن السَّيد المسيح بينكم وأيضًا سَيَأتي مِن بَعْدي ؟! . إن العبارة مُتناقضة وغير مُنسجمة البَتَّة .

٧) خالف مَتَّى الأشخاصَ الثلاثةَ ، وذكرَ عبارة " وحذاءَه لا أستحقُّ أن أحمِل " ، والباقون يتحدَّثون عن عدم استحقاق أن يحل رباطَ الحذاء ، وليس عدم استحقاق حَمْله كما عند مَتَّى .

٨) العبارة التي تتحدَّث عن الحِذاء ، مُستحيل أن تكون صحيحة . وإنما هي مِن نَسْج الرُّواةِ وأصحاب الأناجيل لِيُعَظِّموا المسيح _ وهو بالتأكيد عظيمٌ وفي غِنًى عن التَّلفيق والأكاذيب _ . والسبب وجود التناقض في الصِّيَغ الكلامية واختلاف السِّياق.وأيضًا هذه الألفاظ المتعلقة بالأحذية ليست مِن مِستوى الأنبياء_ عليهم الصلاة والسلام _ ولا تليق بمكانتهم الاجتماعية ، وفصاحتهم ، وبلاغتهم ، وأسلوبهم التَّعبيري العظيم ، وألفاظهم المُتَّصفة بالعَظَمَة والجَلال .

٩) لَم يَذكر يُوحَنَّا هل كان التَّعميد بالرُّوح القُدُس والنَّار أَم بالرُّوح القُدُس فقط _ حَسَب اعتقاد أصحاب الأناجيل _. وأصحابُ الأناجيلُ اختلفوا في هذه المسألة ، ووقعوا في التناقض .

((وإذا صَوتٌ مِنَ السَّماوات يقول : هذا هُوَ ابْني الحبيبُ الَّذي بهِ سُرِرتُ كُلَّ سُرور!)) [مَتَّى ٣: ١٧] .

((وإذا صَوتٌ مِنَ السَّماواتِ يَقول : أنتَ ابْني الحبيبُ بِكَ سُرِرتُ كُلَّ سُرور !)) [مَرْقُس١: ١١] .

١٠) هناك فرق واضح بين العبارتَيْن ، وقد تغيَّرت الكلماتُ وتبدَّلت .

((ثُمَّ صَعِدَ الرُّوحُ بِيَسوعَ إلى البَرِّيَّةِ لِيُجَرَّبَ مِن قِبَل إبليس. وبعدما صامَ أربعين نهارًا وأربعين ليلةً جاعَ أخيرًا)) [مَتَّى ٤: ١و٢] .

((وفي الحالِ اقْتادَ الرُّوحُ يَسوعَ إلى البَرِّيَّةِ ، فقضى فيها أربعين يومًا وهو بين الوحوشِ والشَّيطانُ يُجَرِّبُه وكانت الملائكةُ تخدمُه)) [مَرْقُس ١: ١٢و١٣] .

((أمَّا يَسوع فعادَ منَ الأُردنِّ مُمتلئًا منَ الرُّوحِ القُدُس . فاقتادَهُ الرُّوحُ في البَرِّيَّةِ أربعين يومًا وإبليسُ يُجَرِّبُه ، ولم يأكلْ شيئًا طَوال تلكَ الأيَّام فلمَّا تَمَّت جاعَ)) [لُوقَا ٤: ١و٢] .

١١) هذه النُّصوصُ تدحض مزاعم النَّصارى حول أُلوهية المسيح ، إذْ لو كان إلَهًا فكيف يستطيع الشَّيطان أن يُجرِّبه ؟! وما هذا الإلهُ الذي يصوم ويجوع ؟! .

١٢) عند مَتَّى " صَعِدَ الرُّوحُ بِيَسوع " . والشَّخصان الآخَران (مَرقُس ولُوقَا) استخدما كلمَتَي " اقتاد " ، و "فاقتاده " . ويوجد فرقٌ لغويٌّ بين صَعِدَ واقتادَ . صَعِدَ : علا . اقتاد : قادَه مُسَيْطِرًا عليه . وإذا كان المسيحُ إلَهًا ، كيفَ يُمكن أن يكون خاضعًا للرُّوح ، وتحت سَيطرته ؟.

١٣) في إنجيل مَتَّى" صعدَ الرُّوحُ بِيَسوعَ إلى البَرِّيةِ " ، مِمَّا يعني أن البَرِّية في منطقة عالية ، وهذا المعنى غائبٌ تمامًا عن باقي الأناجيل .

١٤) مَتَّى ولُوقَا استخدما لفظة " إبليس " ، في حِينَ أن مَرقُس لم يَذكر لفظة " إبليس " ، بل استخدم لفظة " الشَّيطان " . وهذا تناقض .

١٥) ذَكَرَ مَتَّى " أربعين نهارًا وأربعين ليلة". وذَكَرَ مَرقُس " أربعين يومًا " . وذَكَرَ لُوقَا " أربعين يومًا " ، ولم يأتيا على ذِكر عدد الليالي . وهذا تناقض ، واختلاف في تفاصيل هذا الأمر المهم .

١٦) عِند مَرقُس" اقتادَ الرُّوحُ يَسوعَ إلى البَرِّية"، وعند لُوقَا " فاقتاده الرُّوحُ في البَرِّية ". وهذا تناقض ، لأن المعنى الأول أن الرُّوح قادَ يَسوعَ باتجاه البَرِّية ، وهذا يَلْزم أن يكونا خارج البَرِّية ، وغَير دَاخِلَيْن فيها . أمَّا المعنى الثاني فيقول إن عملية الاقتياد حصلت في البَرِّية (داخل البَرِّية).

١٧) عِند مَرقُس " وكانت الملائكةُ تخدمُه " . وهذه العبارةُ اخترعها مَرقُس لتعظيم المسيح وبيان رِفعة شأنه ، وتوضيح مكانته العُليا ، حيث إن الملائكة تَخدمه ، أي إن الملائكة خادمة للمسيح. ولا شَك أن المسيح عظيم ورفيع الشأن، ولا يَحتاج إلى الأكاذيب لبيان مكانته العظيمة. وهذه العبارةُ " وكانت الملائكةُ تخدمُه " تفرَّدَ بِها مَرقُس . وهي غَير موجودة عِند مَتَّى ولُوقَا . وبذلك ، يكون مَرقُس قد فضحَ نَفْسَه ، وكشَفَ كَذِبَه ، وبيَّن تناقضه . وبِمُقارنة النصوص بعضها معَ بعض ، اتَّضحَ التناقض ، وظَهَرَ الكذب .

((فتقدَّمَ إليهِ المُجَرِّبُ وقالَ له : إنْ كنتَ ابنَ اللهِ، فَقُلْ لهذه الحجارةِ أن تَتَحَوَّلَ إلى خُبْزٍ!)) [مَتَّى ٤ : ٣] .

((فقالَ له إبليسُ: إنْ كُنتَ ابنَ اللهِ ، فَقُلْ لهذا الحجرِ أن يَتَحَوَّلَ إلى خُبْز))[لُوقَا ٤ : ٣].

١٨) مَتَّى استعملَ لفظة " المُجرِّب " ، في حين أن لُوقَا استعمل لفظة " إبليس " .

١٩) مَتَّى استعمل صيغة الجمع " الحجارة "، ولُوقَا استعمل صيغة المُفرَد " الحجر " .

((فأجابَهُ قائلًا: قد كُتِب: ليسَ بالخبزِ وحدَه يحيا الإنسانُ بل بكلِّ كلمةٍ تخرجُ من فَمِ اللهِ!)) [مَتَّى ٤ : ٤] .

((فردَّ عليه يَسوعُ قائلًا: قد كُتِب: ليسَ بالخبزِ وحدَه يحيا الإنسانُ، بل بكلِّ كلمةٍ من اللهِ!)) [لُوقَا ٤ : ٤] .

٢٠) عِند مَتَّى عبارة مُنكَرَةٌ وهي" فم الله " ، حيث إن فيها تشبيهًا للخالق بمخلوقاته، وإسناد الأعضاء والجوارح إلى الله المُنَزَّه عنها. لذلك غابت هذه العبارة المَسمومة عن السِّياق الوارد عند لُوقَا بسبب قُبحها . وهذا تناقض واضح يدل على انتشار الكذب في الأناجيل .

((ثُمَّ أخذَه إبليسُ أيضًا إلى قِمَّةِ جَبَلٍ عالٍ جدًّا ، وأراهُ جَميعَ ممالكِ العالَم وعَظَمَتَها)) [مَتَّى ٤ : ٨] .

((ثُمَّ أصعدَه إبليسُ وأراه ممالكَ العالَم كُلَّها في لحظةٍ من الزَّمن)) [لُوقَا ٤ :٥].

٢١) الاختلاف بين كلمَتَي " أخذه " و " أصعده " . وبينهما فرق واضح يُغيِّر المعنى .

٢٢) عبارة " قمة جبلٍ عالٍ " موجودة عند مَتَّى ، وغير موجودة عند لُوقَا . وهذا اختلاف.

٢٣) زاد لُوقَا عبارة " في لحظة من الزَّمن " ، وهي غير موجودة عند مَتَّى. وهذا اختلاف.

((وقالَ له : إنْ كُنتَ ابنَ اللهِ ، فاطرَحْ نفسَكَ إلى أسفل لأنَّهُ قد كُتِب : يُوصي ملائكتَهُ بكَ فيحملونَكَ على أيديهم لكي لا تَصدمَ قَدَمَكَ بِحَجَر !))[مَتَّى ٤ : ٦] .

((وقالَ له : إنْ كُنتَ ابنَ اللهِ فاطرَحْ نفسَكَ من هُنا إلى الأسفل فإنَّهُ قد كُتِب: يُوصي ملائكتَهُ بِكَ لِكَي يحفظوك ، فعلى أيديهم يحملونَك لئلا تَصدمَ قَدَمَكَ بحجَرٍ))[لُوقَا ٤ : ٩و١٠و١١].

٢٤) زاد لُوقَا عبارة " من هُنا " التي لا توجد عند مَتَّى .

٢٥) زاد لُوقَا عبارة " لكي يحفظوك " .

٢٦) عِند مَتَّى " فيحملونك على أيديهم " ، وعِند لُوقَا " فعلى أيديهم يحملونك " . وهذا اختلاف واضح ، وتناقض ظاهر .

((فقالَ له يَسوعُ : وقد كُتِب أيضًا : لا تُجرِّب الرَّبَّ إلهَكَ !)) [مَتَّى ٤ : ٧].

((فردَّ عليه يَسوعُ قائلًا : قَد قِيل : لا تُجرِّب الرَّبَّ إلهَكَ !)) [لُوقَا ٤ : ١٢].

٢٧) عِند مَتَّى " فقال له يسوع " ، وعِند لُوقَا " فردَّ عليه يسوع قائلاً " . وهذا تناقض.

٢٨) عِند مَتَّى " وقد كُتِب " ، وعِند لُوقَا " قد قِيل " . وهذا تناقض .

((وقالَ له : أُعطيك هذه كلها إنْ جَثَوْتَ وَسَجَدْتَ لي !)) [مَتَّى ٤ : ٩] .

((وقالَ له : أُعطيكَ السُّلطةَ على هذه الممالكِ كلها وما فيها من عَظَمة ، فإنها قد سُلِّمَت إليَّ وأنا أُعطيها لمن أَشاء . فإنْ سجدتَ أمامي تصير كلها لك !)) [لُوقَا ٤ : ٦و٧] .

٢٩) زيادات كثيرة عند لُوقَا ، واضحة في النَّص .

٣٠) ذكر مَتَّى كلمةَ " جَثَوْتَ " ، وهي غير موجودة عند لُوقَا .

٣١) عِند مَتَّى " وسجدتَ لي " ، أمَّا عِند لُوقَا " سجدتَ أمامي " ، وبينهما فرقٌ واضح .

((فقالَ له يَسوعُ اذهَب يا شيطان ! فقد كُتِب : للرَّبِّ إلهِكَ تسجدُ ، وإيَّاه وحدَه تعبدُ !)) [مَتَّى ٤ : ١٠] .

((فردَّ عليه يَسوعُ قائلًا: قد كُتِب: للرَّبِّ إلهك تسجد، وإياه وحدَه تعبد !)) [لُوقَا ٤ : ٨].

٣٢) عِند مَتَّى " فقال له يسوع " ، وعِند لُوقَا " فردَّ عليه يسوعُ قائلًا " . وهذا تناقض .

٣٣) زاد مَتَّى عبارة " اذهب يا شيطان " التي لا توجد عند لُوقَا .

((فتركه إبليسُ، وإذا بعضُ الملائكةِ جاؤوا إليه، وأخذوا يخدمونه))[مَتَّى ٤ : ١١] .

((وبعدما أنجزَ إبليسُ كلَّ تجربةٍ انصرف عن يَسوعَ إلى أن يحينَ الوقتُ))[لُوقَا ٤ : ١٣] .

٣٤) ذكر مَتَّى لفظة " الملائكة "، وهي غَير الموجودة عند لُوقَا . مع اختلاف بين السِّيَاقَيْن.

((من ذلك الحينِ بدأ يَسوعُ يُبَشِّرُ قائلًا: تُوبوا،فقدِ اقتربَ مَلَكُوتُ السَّماوات))[مَتَّى٤ : ١٧].

((يُبَشِّرُ بإنجيلِ اللهِ قائلًا : قد اكتملَ الزَّمانُ واقترب ملكوتُ اللهِ فتوبوا وآمنوا بالإنجيل !)) [مَرْقُس ١ : ١٤و١٥] .

٣٥) عِند مَتَّى " ملكوت السَّماوات " ، وعند مَرْقُس " ملكوت الله " .

٣٦) عِند مَرقُس عبارة " يُبَشِّر بإنجيل الله " ، غير الموجودة عند مَتَّى .

٣٧) عِند مَرْقُس عبارة " وآمنوا بالإنجيل " ، وهي غير موجودة عند مَتَّى . ومِن المُلاحَظ أن الحديث عن إنجيل الله ، وهو إنجيل واحد ، وليس أربعة أناجيل . فأينَ هو إنجيل الله الذين أنزله على السَّيد المسيح ﷺ ؟. إنه إنجيل واحد ، فكيفَ صارَ أربعة أناجيل منسوبة لأشخاص عاديين؟.

((فترَكا القاربَ وأباهما وتبعاه حالًا)) [مَتَّى ٤: ٢٢] .

((فدَعاهما في الحال ليتبعاه فترَكا أباهما زَبَدي في القارب مع الأُجراء وتبعاه)) [مَرْقُس١: ٢٠] .

((وبعدما رَجَعوا بالقاربين إلى البَر ، تركوا كلَّ شيءٍ وتبعوا يَسوع)) [لُوقَا ٥: ١١] .

٣٨) عِند مَتَّى لفظة " القارب " بالمُفرَد، وعند لُوقَا بصيغة المُثنَّى " بالقاربَيْن". وهذا تناقض.

٣٩) مَرْقُس ذَكَرَ اسم أبيهما " زَبَدي " ، في حين أن مَتَّى ولُوقَا لَم يَذكراه .

٤٠) مَرْقُس قال إن في القارب أُجَراء ، وهذه المُلاحظة غائبة تمامًا عَن مَتَّى ولُوقَا .

((وذهبَ يَسوعُ إلى بيتِ بُطرُس فوجدَ حماتَهُ طريحةَ الفِراش تُعاني من الحمَّى))[مَتَّى ٨: ١٤].

((وكانت حَماةُ سِمعان طريحةَ الفِراش تُعاني من الحمَّى)) [مَرْقُس ١: ٣٠].

((وكانت حَماةُ سِمعان تُعاني حُمَّى شديدة فطلبوا إليه إعانتَها)) [لُوقَا ٤: ٣٨].

٤١) تَفَرَّدَ مَتَّى بِذِكْرِ اسم " بُطرُس" ، في حِين أن مَرْقُس ولُوقَا ذَكَرَا اسم " سِمعان " . وقد يقول أحدُهم إن سِمعان نفْس بُطرُس استنادًا إلى النَّص : ((سِمعان الذي دُعِيَ بُطْرُس)) [مَتَّى ١٠: ٢]. فأقولُ إننا نبحث عن الاسم بذاته الوارد في النَّص،وليس عن أسمائه الأخرى أو ألقابه .

٤٢) لم يَذكر لُوقَا عبارة " طريحة الفِراش " ، لأن مِثل هذه التفاصيل غائبة عنه ولا يَعْرفها.

((فلمسَ يدَها فذهبَتْ عنها الحمَّى ونَهَضَتْ وأخَذَتْ تخدمُه)) [مَتَّى ٨: ١٥] .

((فاقتربَ إليها وأمسك بيدِها وأنهضها فذَهَبَتْ عنها الحمَّى حالًا وقامت تخدمُهم)) [مَرْقُس ١: ٣١] .

((فوقفَ بجانب فِراشها ، وزجرَ الحمَّى فذهبَتْ عنها فوَقفتْ في الحال وأَخذت تخدمُهم)) [لُوقَا ٤: ٣٩] .

٤٣) عِند مَتَّى " تخدمُه"، وعند مَرْقُس ولُوقَا " تخدمهم ".وهذا اختلاف بين الفرد والجماعة.

٤٤) عِند مَتَّى " فلمسَ يدَها " ، وعند مَرْقُس " وأمسك بيدها " . واللمس غَير الإمساك .

٤٥) عِند لُوقَا " وزجرَ الحمَّى " ، وهذا المعنى غائبٌ عن مَتَّى ومَرْقُس .

٤٦) عِند مَتَّى " ونَهضتْ " أي مِن تلقاء نفْسها . وعند مَرْقُس " وأنهضها " أي بمساعدة السَّيد المسيح .

((وعندَ حُلولِ المساء أحضرَ إليه النَّاسُ كثيرين من المسكونين بالشَّياطين فكان يطردُ الشَّياطين بكلمةٍ منه وشَفى المرضى جميعًا)) [مَتَّى ٨: ١٦] .

((وعندَ حُلول المساء لَمَّا غَرَبت الشَّمسُ أحضرَ الناسُ إليه جميع من كانوا مرضى ومسكونين بالشياطين حتَّى احتشدَ أهلُ المدينةِ كلهم عند الباب . فشَفى كثيرين كانوا يُعانون من أمراض مختلفة وطردَ شياطين كثيرة ولكنَّه لم يَسْمَحْ للشَّياطين بأن يتكلموا لأنَّهم عرفوا مَن هُوَ)) [مَرْقُس ١: ٣٢و٣٣و٣٤] .

((ولَمَّا غَرَبت الشَّمسُ أخذَ جميعُ الذين كان عندَهم مرضى مُصابون بعِلَلٍ مُختلفة يُحضرونهم إليه فوضعَ يديه على كل واحدٍ مِنهم وشفاهم وخَرَجت أيضًا شياطين من كثيرين وهي تصرخ قائلةً: أنتَ ابنُ اللهِ ! . فكان يزجرُهم ولا يدعهم يتكلَّمون إذ عرفوا أنَّه المسيح)) [لُوقَا ٤: ٤٠و٤١].

٤٧) عِند لُوقَا " ولمَّا غَرَبت الشمس"، أمَّا الآخَرَان فاستخدما عبارة " وعند حُلول المساء ".

٤٨) عِند مَتَّى أنه كان يطرد الشياطين بكلمة منه ، وعند لُوقَا أنه كان يَشفي بوضع يديه على كل واحد منهم .

٤٩) عِند لُوقَا عبارة " أنتَ ابنُ اللهِ ! " لم يَذكرها مَتَّى ومَرْقُس . وهذا يدل على محاولة لُوقَا لتأليه المسيح ، وإقحام الكذب في سياق الكلام . كما أن هناك زيادات واختلافات وتناقضات بين النُّصوص ، تتَّضح لِمَن يَراها ويتأمَّلها .

((وإذا رَجُلٌ مُصابٌ بالبَرَص تَقَدَّم إليه وسجدَ له قائلًا : يا سَيِّد ، إن كُنتَ تُريد ، فأنتَ قادرٌ أن تُطَهِّرَني !)) [مَتَّى ٨: ٢] .

((وجاءَه رَجُلٌ مُصابٌ بالبَرَص يَتَوَسَّل إليه فارتمى على رُكبتيه أمامَه وقال : إن أردتَ فأنتَ تقدر أن تُطَهِّرَني !)) [مَرْقُس ١: ٤٠] .

((ما إن رأى يسوعَ حتى خَرَّ على وجهه وتَوَسَّل إليه قائلًا : يا سَيِّد ، إن شئتَ فأنتَ قادرٌ أن تُطَهِّرَني !)) [لُوقَا ٥: ١٢] .

٥٠) عِند مَتَّى عبارة " وسجدَ له "، أمَّا مَرْقُس فاستخدم عبارة " فارتمى على رُكبتيه أمامه ". وبينهما فرقٌ ، فالأولى تزعم أن المسيح قَبِلَ بالسُّجود له مع أنه هو القائل : ((فقد كُتِب : للرَّبِّ إلهِكَ تسجدُ، وإيَّاه وحدَه تعبدُ !)) [مَتَّى ٤: ١٠] . أمَّا الارتماء على الرُّكبتين أمام شخصٌ فلا يستلزِم بالضرورة أن يكون سجودًا له. ولُوقَا استخدم عبارة مختلفة متناقضة" خَرَّ على وجهه".

٥١) لم يستعمل مَتَّى عبارة تُفيد التَّوسُّل كما فعلَ مَرْقُس ولُوقَا . وهناك اختلافات كثيرة .

((وقال له يَسوع : انتبه ! لا تُخبِر أحدًا ، بل اذهَبْ واعرِضْ نفسَكَ على الكاهنِ، وَقَرِّب التَّقدمةَ التي أَمر بها موسى فيكون ذلك شَهادةً لهم !))[مَتَّى ٨: ٤].

((وفي الحال صرفَه يسوعُ بعدما أنذرَه بشدةٍ قائلًا : انتبه ! لا تُخبِر أحدًا بشيء ، بل اذهَبْ واعرضْ نفسكَ على الكاهن وقَدِّم لقاء تطهيرك ما أَمر به موسى فيكون ذلك شهادةً لهم !)) [مَرْقُس ١: ٤٣و٤٤] .

((فأوصاه : لا تُخبِرْ أحدًا ، بل اذهبْ واعرضْ نفسكَ على الكاهن وقدِّمْ لقاء تطهيرك ما أَمر به مُوسى فيكون ذلك شهادةً لهم !)) [لُوقَا ٥: ١٤] .

٥٢) تناقضات كثيرة ، واختلاف الكلمات والعبارات بصورة واضحة . وعِند مَتَّى " وقال له يَسوعُ " . وعِند مَرْقُس " صرفَه يسوعُ " . وعِند لُوقَا " فأوصاه " .

٥٣) عِند مَتَّى " انتبه ! " . وعِند مَرْقُس " أنذرَه ". وهاتان اللفظتان غابتا بالكُلِّية عن لُوقَا .

((فأسرعَ التَّلاميذُ إليه يوقظونه قائلين : يا سَيِّد نَجِّنا ! إنَّنا نهلِك !)) [متَّى ٨: ٢٥].

((فأيقظوه وقالوا له : يا مُعلِّم ، أما يَهُمُّكَ أننا نهلِك ؟)) [مَرْقُس ٤: ٣٨] .

((فتقدَّموا إليه وأيقظوه قائلين : يا سَيِّد، يا سَيِّد، إننا نَهلِك !))[لُوقَا ٨: ٢٤].

٥٤) عِند مَتَّى " يا سَيِّد " . وعند مَرْقُس " يا مُعلِّم " . وهذا تناقض واختلاف واضح .

٥٥) عِند لُوقَا تَمَّ تَكرار " يا سَيِّد " مَرَّتَيْن . وهذا يَختلف عن سياق مَتَّى ومَرْقُس .

٥٦) تفرَّد متَّى بزيادة لفظة " نَجِّنا " لإضفاء صفة الألوهية المزعومة على المسيح ﷺ، حيث رَسَمَ متَّى صورةً للتلاميذ يتوجَّهون إلى المسيح بطلب النَّجاة ، ولا يَتوجَّهون إلى الله تعالى .

٥٧) تفرَّدَ مَرْقُسُ بِذِكر عبارة " أما يَهُمُّكَ أننا نهلِك ؟ " وهي غَير مَوجودة عِند مَتَّى ولُوقَا .

((فقالَ لهم : لماذا أنتم خائفون يا قليلي الإيمان ؟ . ثُمَّ نهضَ وزَجَرَ الريحَ والبَحر فسادَ هدوءٌ تام)) [متَّى ٨: ٢٦] .

((فنهضَ وزجرَ الرِّيح وقال للبحرِ : اصمُتْ اخرَسْ !. فسكنت الريحُ وسادَ هدوءٌ تام . ثُمَّ قال لهم : لماذا أنتم خائفون هكذا ؟ كيف لا إيمان لكم ؟))[مَرْقُس ٤: ٣٩و٤٠] .

((فنهضَ وزجرَ الريحَ والماءَ الهائج فسكنا وساد الهدوء . ثُمَّ قال لهم : أين إيمانكم ؟)) [لُوقَا ٨: ٢٤و٢٥] .

٥٨) تناقضت الأناجيلُ ، واختلفتْ في صياغة العِبارة التي قالها المسيح لتلاميذه .

٥٩) تفرَّدَ مَرْقُس بالقَول إن المسيح قال للبحر: " اصمُتْ اخرَسْ ! ". وهي غير موجودة عِند مَتَّى ولُوقَا . وأصحابُ الأناجيل زُملاء في الكذب ، ولَيسوا مُعَاصِرِين لبعضهم البعض، ولَم يَعرفوا بَعْضَهم ، ولَم يَلتقوا وَجْهًا لوجه . والدليلُ على ذلك كثرة التناقضات والاختلافات فيما بينهم.

((فتعجَّبَ الناسُ وقالوا : تُرى، مَن هذا حتى إن الريحَ والبحر يُطيعانه ؟))[متَّى ٨: ٢٧] .

((فخافوا خَوْفًا شديدًا وقال بعضُهم لبعض : مَن هُوَ هذا ، حتى إن الريحَ والبحرَ يُطيعانه ؟)) [مَرْقُس ٤: ٤١] .

((وإذ خافوا ذُهلوا وقال أحدُهم للآخر:مَن هُوَ هذا إذن حتى إنه يأمر الرياحَ والماءَ فتُطيعه ؟)) [لوقا ٨: ٢٥] .

٦٠) اختلاف الصِّيَغ الثلاث بوضوح . فلفظة " البحر" عِند متَّى ومَرْقُس ، صارت " الماء " عِند لُوقَا . ولفظة " الريح " عند مَتَّى ومَرْقُس ، صارت " الرياح " عند لُوقَا .

((ولَمَّا وَصَلَ يَسوعُ إلى الضَّفَّة المقابلة ، في بلدة الجدَريِّين ، لاقاه رَجُلان تسكنهما الشَّياطين كانا خارِجَيْن من بين القبور ، وهما شرسان جدًّا حتى لم يكن أحدٌ يجرؤ على المرور من تلك الطريق)) [متَّى ٨: ٢٨] .

((ثُمَّ وَصَلوا إلى الضَّفَّة المقابلة من البحيرة ، إلى بلدة الجِراسيِّين . وحالما نَزَلَ من القارب لاقاه من بين القبور إنسانٌ يسكنه روحٌ نجس)) [مَرْقُس ٥: ١و٢] .

((ووصَلوا إلى بلدة الجراسيين وهي تقع مُقابل الجليل . فلمَّا نَزَلَ إلى البَر لاقاه رَجُلٌ من المدينة تسكنه الشياطين منذ مدة طويلة)) [لُوقَا ٨: ٢٦و٢٧] .

٦١) هناك تناقض واختلاف في اسم البلدة . هل هي بلدة الجدريين أم الجراسيين ؟! .

٦٢) تفرَّدَ مَرْقُس بِذِكر كلمة " البحيرة " ، وهي غير موجودة عِند مَتَّى ولُوقَا .

٦٣) تفرَّدَ لُوقَا بِذِكر معلومة أن البلدة تقع مقابل الجليل . وهذه المعلومة غائبة بالكُلِّية عَن مَتَّى ومَرْقُس .

٦٤) ذَكَرَ مَتَّى أن رَجُلَيْن تسكنهما الشياطين . وعِند مَرْقُس " إنسان " ، وعِند لُوقَا " رَجُل". وهذا يعني أنه شخص واحد لا اثنان _ كما قال مَتَّى _!. وهذا تناقض صارخ ، واختلاف واضح .

((فجاءَه بعضُهم يحملون مشلولًا مطروحًا على فِراش،فلمَّا رأى يَسوعُ إيمانَهم قال للمشلول: اطمئن يا بُنَيَّ ! قد غُفِرَت لكَ خطاياك)) [مَتَّى ٩: ٢] .

((وجاءَه بعضُهم بمشلولٍ يحملُه أربعة رجالٍ. ولكنهم لم يَقدروا أن يَقتربوا إليه بسبب الزِّحام. فَنَقَبوا السَّقفَ فوقَ المكان الذي كان يسوعُ فيه حتى كشفوه ثُمَّ دَلُّوا الفِراشَ الذي كان المشلولُ راقدًا عليه. فلمَّا رأى يَسوعُ إيمانَهم قال للمشلول: يا بُنَيَّ قد غُفِرت لكَ خطاياك!)) [مَرْقُس ٢: ٣و٤و٥] .

((وإذا بعضُهم يحملون على فِراشٍ إنسانًا مشلولًا حاولوا أن يَدخلوا به ويضعوه أمامَه . ولَمَّا لم يجدوا طريقًا لإدخاله بسبب الزِّحام ، صعدوا به إلى السَّطح ودَلَّوْه من بين اللَّبن على فِراشه إلى الوسط قُدَّام يسوع . فلمَّا رأى إيمانَهم ، قال: أَيُّها الإنسان قد غُفِرَت لك خطاياك !)) [لُوقَا ٥: ١٨و١٩و٢٠] .

٦٥) ذكرَ مَرْقُسُ أن عدد الرجال الذين كانوا يحملون المشلول أربعة ، وهذه المعلومة غائبةٌ تمامًا عن مَتَّى ولُوقَا .

٦٦) هناك تناقضات واختلافات بين العبارات . عِند مَتَّى " اطمئن يا بُنَيَّ " ، وعِند مَرْقُس " يا بُنَيَّ " . وعِند لُوقَا " أيها الإنسان " .

((فقال بعضُ الكَتَبَة في أنفسهم : إنَّهُ يُجَدِّفُ !)) [مَتَّى ٩: ٣] .

((فأخذوا يُفكِّرون في قلوبهم: لماذا يتكلَّم هذا الرَّجلُ هكذا ؟ إنَّه يُجدِّف !)) [مَرْقُس ٢: ٦و٧] .

((فأخذَ الكَتَبةُ والفَرِّيسيون يُفكِّرون قائلين : مَن هذا الذي ينطقُ بكلام التَّجديف ؟)) [لُوقَا ٥: ٢١] .

٦٧) هناك تناقضات واختلافات بين العبارات . عِند مَتَّى " إنه يُجدِّف " . وعِند مَرْقُس " لماذا يتكلَّم هذا الرجلُ هكذا ؟ " . وعِند لُوقَا " مَن هذا الذي ينطق بكلام التَّجديف ؟ " .

((وأدركَ يَسوعُ ما يُفكِّرون فيه فسألهم: لماذا تُفكِّرون بالشَّرِّ في قلوبكم ؟)) [مَتَّى ٩: ٤].

((وفي الحال أدركَ يَسوعُ بروحه ما يُفكِّرون فيه في قلوبهم فسألهم : لماذا تُفكِّرون بهذا الأمر في قلوبكم ؟)) [مَرْقُس ٢: ٨] .

((ولكنَّ يسوعَ أدركَ ما يُفكِّرون فيه فأجابهم قائلًا: فيمَ تُفكِّرون في قلوبكم؟))[لُوقَا ٥: ٢٢].

٦٨) اختلافات واضحة وتناقضات ظاهرة بين النصوص الثلاثة .

((ما هُوَ الأسهلُ: أن يُقال: قد غُفِرَتْ لكَ خطاياك أم أن يُقال: قُمْ وامْشِ ؟))[مَتَّى ٩: ٥] .

((أيُّ الأمرين أسهل _ أن يُقال للمشلول : قد غُفِرَتْ لك خطاياك أو أن يُقال له : قُم احملْ فِراشكَ وامشِ ؟)) [مَرْقُس ٢: ٩] .

((أيُّ الأمرين أسهل : أن أقول : قد غُفِرَتْ لك خطاياك ! أم أن أقولَ : قُم وامشِ ؟)) [لُوقَا ٥: ٢٣] .

٦٩) اختلافات واضحة وتناقضات ظاهرة بين النصوص الثلاثة .

((وفيما كان يَسوعُ مارًّا بالقُرب مِن مكتب جباية الضَّرائبِ رأى جابيًا اسمه مَتَّى جالسًا هناك)) [مَتَّى ٩: ٩] .

((وفيما هُوَ سائرٌ رأى لاوي بن حَلفى جالسًا في مكتب الجِباية))[مَرْقُس ٢: ١٤] .

((وخرجَ بعد ذلك فرأى جابي ضرائب اسمه لاوي جالسًا في مكتب الجِباية))[لُوقَا ٥: ٢٧].

٧٠) ذَكَرَ مَتَّى أن اسم الجابي هو " مَتَّى " ، في حِين أن مَرْقُس ولُوقَا ذكرا أن اسمه "لاوي". وهذا تناقض واضح . مَن هو جابي الضرائب " مَتَّى " أم " لاوي " ؟!.

((وعندما رأى الفَرِّيسيُّون ذلك ، قالوا لتلاميذه : لماذا يأكلُ مُعلِّمكم مع الجُباة والخاطئين)) [مَتَّى ٩: ١١] .

((فلمَّا رأى الكَتَبةُ والفَرِّيسيون يَسوعَ يأكلُ مع الجُباةِ والخاطئين قالوا لتلاميذِه: لماذا يأكل مع الجُباة والخاطئين)) [مَرْقُس ٢: ١٦] .

((فتذمَّرَ كَتَبةُ اليهود والفَرِّيسيون على تلاميذِه قائلين : لماذا تأكلون وتشربون مع جُباة وخاطئين ؟)) [لُوقَا ٥: ٣٠] .

٧١) عند لُوقَا أن تلاميذ المسيح كانوا يأكلون ويشربون مع الجُباة والخاطئين ، في حين أن مَتَّى ومَرْقُس نَسَبَا هذا الفِعل إلى المسيح نَفْسِه ، وليس تلاميذه .

٧٢) لَم يَذكر مَتَّى لفظة " الكَتَبة " التي أثبتها مَرْقُسُ ولُوقَا .

٧٣) تَفرَّد لُوقَا بِذِكر " اليهود"، في حين أن هذه الكلمة سقطت أو أُسْقِطَت من كلام مَتَّى ومَرْقُس . مِمَّا يَدُلُّنا على أيدٍ خَفِيَّة تتلاعب بالإنجيل ، ومِن مَصلحتها عدم توجيه التُّهم إلى اليهود.

((وإذ سمعَ يسوعُ كلامَهم قال : ليس الأصحَّاءُ همُ المحتاجين إلى الطبيب بل المرضى ! اذهبوا وتعلَّموا معنى القول : إني أطلب رحمةً لا ذَبيحة . فإني ما جئتُ لأدعوَ أبرارًا بل خاطئين)) [مَتَّى ٩: ١٢و١٣] .

((فسمعَ يسوعُ وأجاب : ليس الأصحاءُ هم المحتاجين إلى الطبيب بل المرضى. ما جئتُ لأدعوَ أبرارًا بل خاطئين !)) [مَرْقُس ٢: ١٧] .

((فردَّ عليهم يسوعُ قائلًا : ليس الأصحاءُ هم المحتاجين إلى الطبيب بل المرضى! ما جئتُ لأدعوَ إلى التَّوبة أبرارًا بل خاطئين)) [لُوقَا ٥: ٣١و٣٢] .

٧٤) زاد مَتَّى عبارة " إني أطلب رحمةً لا ذبيحة " ، وهي غَير مَوجودة عِند مَرْقُس ولُوقَا .

٧٥) زاد لُوقَا كلمة " التَّوبة " ، وهي غَير مَوجودة عِند مَتَّى ومَرْقُس .

((ثُمَّ تقدَّمَ تلاميذُ يُوحَنَّا إلى يَسوعَ يسألونه: لماذا نصوم نحن والفَرِّيسيُّون ولايصوم تلاميذُك؟)) [مَتَّى ٩: ١٤] .

((وكان تلاميذُ يُوحَنَّا والفَرِّيسيون صائمين فجاء بعضُهم إلى يسوع يسألونه : لماذا يصوم تلاميذُ يوحنا وتلاميذُ الفَرِّيسيين ، وأمَّا تلاميذك فلا يصومون ؟))[مَرْقُس ٢: ١٨] .

((وقالوا له : إنَّ تلاميذَ يوحنا يصومون كثيرًا ويرفعون الطَّلبات وكذلك يفعل أيضًا تلاميذُ الفَرِّيسيين وأما تلاميذك فيأكلون ويشربون !)) [لُوقَا ٥: ٣٣] .

٧٦) تناقض واضح واختلاف ظاهر بين النصوص الثلاثة ، خصوصًا النَّص الذي أورده لُوقَا .

((إذا رئيسٌ للمَجمَع قد تقدَّمَ وسَجَدَ له قائلًا : ابنتي الآن ماتت ولكن تعال والمسها بيدك فتحيا !)) [متَّى ٩: ١٨و١٩] .

((وإذا واحدٌ من رؤساء المَجمَع واسمه يايرُس قد جاءَ إليه . وما إن رآه حتى ارتمى عند قدميه، وتوسَّل إليه بإلحاح قائلًا : ابنتي الصغيرة مُشرفة على الموت. فتعال والمسها بيدكَ لتُشفى فتحيا !)) [مَرْقُس ٥: ٢٢و٢٣] .

((وإذا رَجُلٌ اسمه يايرُس وهو رئيس للمَجمَع قد جاء وانطرح عند قدمي يسوعَ وتوسَّل إليه أن يُرافقه إلى بيته لأن له ابنةً وحيدة عُمُرها حوالي اثنتي عشرة سنة وقد أشرفت على الموت))[لُوقَا ٨: ٤١و٤٢] .

٧٧) لَم يَذكر مَتَّى أن اسمَ الرَّجل هو يايرُس .

٧٨) تفرَّدَ مَتَّى بِذِكر عبارة " وسَجَدَ له " . وقد انكشف كذبُ مَتَّى من خلال مقارنة النصوص. إذ إن هناك فَرْقًا بين السُّجود لشخص، وبين الارتماء على قَدَميه أو الانطراح عليهما .

٧٩) ذَكَرَ مَتَّى أن البنتَ قد ماتت ، لكن مَرْقُس ولُوقَا قالا إنها مُشرفةٌ على الموتِ ، أي إنها لم تمت بَعْد . وهذا تناقض واضح .

((ولم يَدَعْ أحدًا يُرافقه إلا بُطرس ويعقوب ويوحنا أخا يعقوب)) [مَرْقُس ٥: ٣٧] .

((لم يَدَعْ أحدًا يدخل معه إلا بطرس ويوحنا ويعقوب وأبا الفتاة وأمها))[لُوقَا ٨: ٥١] .

٨٠) أضافَ لوقا عبارة " وأبا الفتاة وأمها " ، وهي عبارة تستند إلى معلومة غائبة عن مَرْقُس ، ولم يَذكرها متَّى .

((ثُمَّ دَعا إليه تلاميذَه الاثني عشر وأعطاهم سُلطةً على الأرواح النَّجسة ليطردوها ويَشفوا كلَّ مرض وعِلَّة)) [متَّى ١٠: ١] .

((ثُمَّ صعدَ إلى الجبلِ ودعا الذين أرادهم فأقبلوا إليه. فعيَّنَ اثني عشر ليلازموه ويُرسلهم ليُبشِّروا)) [مَرْقُس ٣: ١٣و١٤] .

((وفي تلك الأيام خرجَ إلى الجبل ليُصلِّيَ وقضى الليلَ كُلَّه في الصلاة للهِ . ولَمَّا طلعَ النَّهارُ استدعى تلاميذَه واختار منهم اثني عشر سمَّاهم أيضًا رُسُلًا)) [لُوقَا ٦: ١٢و١٣] .

٨١) لم يَذكر مَتَّى " الجبلَ " ، بِخِلاف مَرْقُس ولُوقَا .

٨٢) تفرَّدَ لُوقَا بِذِكر سبب الخروج إلى الجبل ، وهو الصَّلاة .

٨٣) تفرَّدَ مَتَّى بالقول إن المسيح أعطى تلاميذَه سُلطةً على الأرواح النجسة ليطردوها .

٨٤) تفرَّدَ لُوقَا بالقول إن المسيح سَمَّى تلاميذَه رُسُلًا .

٨٥) بالنسبة لأسماء " الرُّسُل " الاثني عشر . فهي عِند مَتَّى [١٠: ١_ ٤] معَ ذِكر تَدَّاوس. وهي عند مَرْقُس [٣: ١٦_ ١٩] مع ذِكر تَدَّاوس. وهي عند لُوقَا [٦: ١٤_ ١٦] بدون ذِكر تَدَّاوس ، وإنما ذُكِرَ شخصٌ آخر : يهوذا أخو يعقوب ! . وهذا تناقض واضح .

((فقد جاء يُوحنَّا لا يأكل ولا يَشرب)) [مَتَّى ١١: ١٨] .

((ويقتاتُ الجرادَ والعسلَ البَرِّيَّ)) [مَرْقُس ١: ٦] .

٨٦) قال مَتَّى إن النبيَّ يَحيى (يُوحَنَّا المَعمدان) لا يأكل ولا يشرب . أمَّا مَرْقُس فقال إنه يَقتات الجراد والعسلَ البري ، يعني أنه يَأكل ! . وهذا تناقض واضح .

((ولَمَّا رآهم الفَرِّيسيون قالوا له : ها إنَّ تلاميذَكَ يفعلون ما لا يَحِلُّ فعلُه في السَّبت !)) [مَتَّى ١٢: ٢] .

((فقالَ الفَرِّيسيون ليسوع : انظُرْ ! لماذا يفعل تلاميذُكَ ما لا يَحِلُّ فعلُه يومَ السَّبت ؟)) [مَرْقُس ٢: ٢٤] .

((ولكنَّ بعضَ الفَرِّيسيين قالوا لهم:لماذا تفعلون ما لا يَحِلُّ فِعلُه في السَّبت؟))[لُوقَا ٦: ٢].

٨٧) عِند لُوقَا أن بعضَ الفَرِّيسيين قالوا ذلك وليسوا كُلهم ، وهذا مُخَالِفٌ لِمَتَّى ومَرْقُس .

٨٨) مَتَّى لَم يُورِد الكلامَ في سِياق السؤال كما فَعَلَ مَرْقُس ولُوقَا .

٨٩) زاد مَرْقُس الفِعْلَ " انظر " غير الموجود عِند مَتَّى ولُوقَا .

((فأجابهم: أمَا قرأتُم ما فَعَلَه داودُ ومرافقوه عندما جاعوا ؟)) [مَتَّى ١٢: ٣].

((فأجابهم: أمَا قرأتُم ما فعله داودُ ومرافقوه عندما احتاجوا وجاعوا ؟)) [مَرْقُس ٢: ٢٥].

((فردَّ عليهم يسوعُ قائلًا:أمَا قرأتُم ما فعله داودُ حينما جاع مع مرافقيه ؟)) [لُوقَا ٦: ٣] .

٩٠) اختلاف النصوص الثلاثة بشكل واضح .

((أمَّا الفَرِّيسيون فلمَّا سمعوا بهذا قالوا: إنه لا يطرد الشَّياطين إلا ببَعلَزَبُولَ رئيسِ الشَّياطين!)) [مَتَّى ١٢: ٢٤] .

((وأمَّا الكَتَبَةُ الذين نزلوا من أُورُشَلِيم ، فقالوا : ((إنَّ بَعلَزَبُولَ يسكنُه وإنَّه برئيس الشَّياطين يطرد الشَّياطين !))))[مَرْقُس ٣: ٢٢] .

٩١) مَتَّى نَسَبَ القولَ إلى الفَرِّيسيين ، أمَّا مَرْقُس فَنَسَبه إلى الكَتَبَة .

٩٢) مَتَّى لَم يَذكر " أُورُشَلِيم " بِخِلاف مَرْقُس .

٩٣) اختلاف صِيغة الكلام المَنسوب إلى الفَرِّيسيين والكَتَبَة في النَّصَّيْن .

((مَن ليس معي فهو ضِدِّي)) [مَتَّى ١٢: ٣٠] .

((فإنَّ مَن ليس ضِدَّنا فهو معنا)) [مَرْقُس ٩: ٤٠] .

٩٤) تناقضٌ واضح بين النَّصَّيْن .

((فقالَ له واحدٌ من الحاضرين: ها إنَّ أُمَّكَ وإخوتَكَ واقفون خارجًا يطلبون أن يُكلِّموك !)) [مَتَّى ١٢: ٤٧] .

((فقالوا له : ها إنَّ أُمَّكَ وإخوتَكَ في الخارج يطلبونك !)) [مَرْقُس ٣: ٣٢] .

٩٥) عِند مَتَّى القائلُ شخصٌ واحدٌ " فقال له واحدٌ " ، لكن مَرْقُس نَسَبَ الكلام إلى مجموعة من الناس " فقالوا " .

٩٦) هناك اختلافات واضحة بين النَّصَّيْن .

((لأنَّ كلَّ من يعملُ بإرادةِ أبي الذي في السَّماوات هو أخي وأُختي وأُمِّي!))[مَتَّى ١٢: ٥٠].

((لأنَّ كلَّ من يعمل بإرادة الله هو أخي وأُختي وأُمِّي !)) [مَرْقُس ٣ : ٣٥] .

٩٧) عِند مَتَّى عبارة " بإرادة أبي الذي في السَّماوات ". وغابت هذه العبارةُ تمامًا عن النص الذي أورده مَرْقُس حيث يقول : ((بإرادة الله)) . وهذا تناقض واضح ، ويدل على كذب أصحاب الإنجيل ومُحاولتهم الحثيثة لإثبات أن المسيح هو ابن الله . وقد اتَّضَحَ كذبُ مَتَّى بمقارنة النَّص الذي أورده مَعَ نَصِّ مَرْقُس. وبمقارنة النصوص، يتَّضح التناقضُ ، وينكشف الكذبُ.

((فأثمرَ بعضُه مئة ضِعف وبعضه ستين وبعضه ثلاثين.مَن له أُذنان فليسمع!))[مَتَّى ١٣: ٨و٩].

((فأعطى بعضُه ثلاثين ضِعفًا وبعضه ستين وبعضه مئة. ثُمَّ قال:مَن له أُذنان للسمع فليسمع)) [مَرْقُس ٤: ٨و٩] .

((ولَمَّا نبتَ أنتجَ ثمرًا مئة ضِعف.قال هذا ونادى:مَن له أُذنان للسمع فليسمع!))[لُوقَا ٨: ٨].

٩٨) التقديم والتأخير في الألفاظ عند مَتَّى ومَرْقُس .

٩٩) لَم يَأتِ مَتَّى على ذِكر لفظة " للسمع " كما فَعَلَ مَرْقُس ولُوقَا .

١٠٠) اكتفى لُوقَا بِذِكر " مئة ضعف " ولم يَذكر الثلاثين والستين .

((فأجاب : لأنَّه قد أُعطيَ لكم أن تعرفوا أسرار ملكوتِ السَّماوات أمَّا أولئك فلم يُعطَ لهم ذلك)) [متَّى ١٣: ١١] .

((فقال لهم : قد أُعطيَ لكم أن تعرفوا سِرَّ ملكوت الله . أمَّا الذين من خارج فكل شيء يُقَدَّم لهم بالأمثال)) [مَرْقُس ٤: ١١] .

((فقال : لكم قد أُعطيَ أن تعرفوا أسرار ملكوت الله . أمَّا الآخرون فأُكلِّمهم بأمثال))[لُوقَا ٨: ١٠] .

١٠١) تناقض واضح بين النصوص الثلاثة .

((فإنَّ من عنده يُعطى المزيدَ فيفيض وأمَّا من ليس عنده فحتى الذي عنده يُنتَزع منه))[متَّى ١٣: ١٢] .

١٠٢) هذه العبارةُ الغامضةُ ، تفرَّدَ مَتَّى بِذِكرها ، وهي غير موجودة عِند مَرْقُس ولُوقَا .

((فهم يَنظرون دون أن يُبصروا ويسمعون دون أن يَسمعوا أو يَفهموا)) [متَّى ١٣: ١٣] .

((حتى إنَّهم : نظرًا يَنظرون ولا يُبصرون وسمعًا يَسمعون ولا يَفهمون لئلا يَتوبوا فتُغفَر لهم خطاياهم)) [مَرْقُس ٤: ١٢] .

((حتى إنَّهم : يَنظرون ولا يُبصرون ويَسمعون ولا يَفهمون)) [لُوقَا ٨: ١٠] .

١٠٣) هناك اختلافات كثيرة بين النصوص الثلاثة .

((ففيهم تَمَّت نُبوءةُ إشَعياءَ حيث يقول : سمعًا تَسمعون ولا تَفهمون ونظرًا تَنظرون ولا تُبصرون))[متَّى ١٣: ١٤] .

١٠٤) تفرَّدَ مَتَّى بِذِكر هذه النُّبوءة المنسوبة إلى إشَعياء ، وهي موجودة بالمعنى لا باللفظ عند مَرْقُس ، لكنها غير مَنسوبة إلى إشَعياء . ولم يَأتِ لُوقَا على ذِكرها . وهذا اختلاف واضح .

((فيُنتج الواحدُ مئة والآخر سِتِّين وغيره ثلاثين)) [متَّى ١٣: ٢٣] .

((فيُثمرون ، بعضهم ثلاثين ضِعفًا وبعضهم ستين وبعضهم مئة)) [مَرْقُس ٤: ٢٠] .

١٠٥) التقديم والتأخير في الكلمات عند متَّى ومَرْقُس .

١٠٦) لَم يَأتِ لُوقَا على ذِكر هذه التفصيلات الرَّقمية نهائيًّا .

((ولَمَّا عادَ إلى بلدته ، أخذَ يُعَلِّم اليهودَ في مجامعهم، حتى دُهشوا وتساءلوا : مِن أين له هذه الحكمة وهذه المعجزات ؟ أليس هُوَ ابنَ النَّجار ؟ أليست أمُّه تُدعى مَريم وإخوته يعقوب ويوسُف وسِمعان ويهوذا ؟ أوَليست أخواتُه جميعًا عِندنا ؟ فمن أين له هذه كُلُّها ؟)) [متَّى ١٣: ٥٤و٥٥و٥٦] .

((ولَمَّا حَلَّ السَّبتُ أخذ يُعَلِّم في المجمَع فدُهش كثيرون حين سمعوه وقالوا: مِن أين له هذا؟ وما هذه الحكمة الموهوبة له وهذه المعجزات الجارية على يديه ؟ أليس هذا هُوَ النَّجار ابن مَريم وأخا يعقوب ويُوسي ويَهوذا وسِمعان ؟ أوَليست أخواتُه عندنا هنا ؟)) [مَرْقُس ٦: ٢و٣] .

١٠٧) لَم يَأتِ مَتَّى على ذِكْرِ السَّبت ، بِخِلاف مَرْقُس .

١٠٨)تفرَّدَ مَرْقُس بالقَول:وما هذه الحكمة الموهوبة له وهذه المعجزات الجارية على يديه ؟.

١٠٩) عِند متَّى " أليس هو ابنَ النَّجار ؟ "، وعند مَرْقُس " أليس هذا هو النجار ابن مريم ".

١١٠) عِند متَّى " يوسُف " وهذا الاسم مفقودٌ عند مَرْقُس الذي وضع بدلًا منه اسمًا آخر وهو " يُوسي " .

١١١) يزعم النصارى أن المسيح ابنُ اللهِ تعالى ، وها هو متَّى يقول : ((أليس هو ابنَ النَّجار ؟)) اهـ . وهذا تناقض واضح . والحق أن المسيحَ عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، ورُوح مِنه . والمسيح ليس له أب .

((وأوصاهم أن لا يَحملوا للطريق شيئًا إلا عصا)) [مَرْقُس ٦: ٨] .

((لا تَحمِلوا للطريق شيئًا : لا عصا)) [لُوقَا ٩: ٣] .

١١٢) تناقض واضح بين النَّصَّيْن .

((لأنَّ يُوحنَّا كان يقول له : ليس حَلالًا لكَ أن تتزوَّجَ بها !))[متَّى ١٤: ٤] .

((فإنَّ يوحنا كان يَقول له : ليس حلالًا لكَ أن تتزوَّجَ بزوجةِ أخيك !)) [مَرْقُس ٦: ١٨].

١١٣) تفرَّدَ مَرْقُس بِذِكر عبارة " بزوجة أخيك " ، وهي غير موجودة عِند متَّى .

((وعندما حَلَّ المساءُ اقتربَ التلاميذُ إليه وقالوا : هذا المكانُ مُقفِرٌ وقد فاتَ الوقتُ . فاصْرِف الجموعَ ليذهبوا إلى القُرى ويشتروا طعامًا لأنفسهم)) [متَّى ١٤: ١٥] .

((ولَمَّا مضى جُزءٌ كبيرمِن النَّهار تقدَّمَ إليه تلاميذُه وقالوا:المكانُ مُقفرٌ والنهار كاد ينقضي. فاصْرِف الجمعَ ليذهبوا إلى القُرى والمزارع المجاورة ويشتروا لهم ما يأكلون)) [مَرْقُس ٦: ٣٥و٣٦] .

((ولَمَّا كادَ النهارُ ينقضي تقدَّمَ إليه الاثنا عشر وقالوا له : اصْرِف الجمعَ ليذهبوا إلى القُرى المجاورة وإلى المزارعِ فيبيتوا هناك ويجدوا طعامًا لأننا هنا في مكان مُقفر !)) [لُوقَا ٩: ١٢] .

١١٤) تناقضات كثيرة واختلافات واضحة بين النصوص الثلاثة .

((ولكنَّ يسوعَ قالَ لهم : لا حاجةَ لهم أن يَذهبوا. أعطوهم أنتم ليأكلوا))[متَّى ١٤: ١٦].

((فردَّ قائلًا : أعطوهم أنتم ليأكلوا !)) [مَرْقُس ٦: ٣٧] .

((فقال لهم : أعطوهم أنتم ليأكلوا !)) [لُوقَا ٩: ١٣] .

١١٥) اختلافات واضحة في النصوص الثلاثة التي تتحدَّث عن نفْس الحادثة .

((فقالوا : ليسَ عندنا هنا سوى خمسة أرغفة وسمكتين)) [متَّى ١٤: ١٧] .

((فقالوا له : هل نذهبُ ونشتري بمئتي دينار خُبزًا ونُعطيهم ليأكلوا ؟)) [مَرْقُس ٦: ٣٧] .

((أجابوا : ليس عندنا أكثرُ من خمسة أرغفة وسمكتين إلا إذا ذَهَبنا واشترينا طعامًا لهذا الشعب كُلِّه)) [لُوقَا ٩: ١٣] .

١١٦) تناقضات واضحة واختلافات كثيرة في النصوص الثلاثة .

((فأكلَ الجميعُ وشبعوا ثُمَّ رفع التلاميذُ اثنتي عشرة قُفَّةً ملأُوها بما فَضَلَ من الكِسَر)) [متَّى ١٤: ٢٠] .

((فأكلوا جميعًا وشَبعوا ثم رفعوا اثنتي عشرة قُفَّة مملوءة من كِسَر الخبز وبقايا السَّمك)) [مَرْقُس ٦: ٤٢و٤٣] .

((فأكلَ الجميعُ وشَبعوا، ثم رُفِع من الكِسَر الفاضلة عنهم اثنتا عشرة قُفَّة))[لُوقَا ٩: ١٧].

١١٧) تناقضات واضحة واختلافات كثيرة في النصوص الثلاثة .

((وكان عددُ الآكلين نحو خمسة آلاف رَجُل ما عدا النِّساءَ والأولاد)) [متَّى ١٤: ٢١] .

((وأمَّا الذين أكلوا من الخبز فكانوا خمسة آلاف رَجُل)) [مَرْقُس ٦: ٤٤] .

١١٨) تناقضات كثيرة بين النَّصَّيْن. مَرْقُس لم يَأتِ على ذِكر النساء والأولاد ، بِخِلاف مَتَّى. وَمَتَّى قرَّر أن الآكلين نحو خمسة آلاف رَجل، أي بشكل تقريبي، في حين أن مَرْقُس جَزَمَ بأنهم خمسة آلاف رَجل بالضبط .

((فجلسوا في حَلَقات تتألف كلٌّ مِنها مِن مِئة أو خمسين)) [مَرقُس ٦: ٤٠] .

((أجلِسوهم في جماعات تتألف كلٌّ مِنها مِن خمسين)) [لُوقَا ٩ : ١٤] .

١١٩) تناقضات واضحة بين النَّصَّيْن . ولُوقَا لم يَذكر كلمة " مئة " الموجودة عِند مَرْقُس.

((لماذا يُخالِف تلاميذُكَ تقاليدَ الشُّيوخ فلا يغسلون أيديَهم قبل أن يأكلوا ؟))[متَّى ١٥: ٢].

((لماذا لا يسلك تلاميذُك وَفقًا لتقليد الشيوخ،بل يتناولون الطعامَ بأيدٍ نجسة؟))[مَرْقُس ٧: ٥].

١٢٠) اختلافات واضحة بين النَّصَّيْن .

((فأجابهم:ولماذا تُخالِفون أنتم وصيةَ الله من أجل المحافظة على تقاليدكم؟))[متَّى ١٥: ٣].

((وقال لهم : حَقًّا أنكم رفضتم وصيةَ اللهِ لتحافظوا على تقليدكم أنتم !)) [مَرْقُس ٧: ٩] .

١٢١) اختلافات واضحة بين النَّصَّيْن .

((فقد أوصى اللهُ قائلًا : أكرِمْ أباك وأُمَّك . ومَن أهان أباه أو أُمَّه فليكن الموتُ عِقابًا له))
[متَّى ١٥: ٤] .

((فإنَّ موسى قال: أكرِمْ أباك وأُمَّك ! وأيضًا: مَن أهان أباه أو أُمَّه فليكن الموتُ عِقابًا له !))
[مَرْقُس ٧: ١٠] .

١٢٢) الكلام عند متَّى منسوبٌ إلى الله ، وعند مَرْقُس منسوب إلى مُوسى . وهذا تناقض.

((ليس ما يدخلُ الفمَ يُنَجِّس الإنسان ، بل ما يخرجُ مِنَ الفم هو الذي يُنَجِّس الإنسان))
[متَّى ١٥: ١١] .

((لا شيء من خارج الإنسان إذا دخله يُمكن أن يُنَجِّسه . أمَّا الأشياء الخارجةُ مِن الإنسان فهي التي تُنَجِّسه. مَن له أذنان للسمع فليسمع))[مَرْقُس ٧: ١٥و١٦].

١٢٣) اختلافات واضحة بين النَّصَّيْن . كما أن مَرْقُس زاد عبارة " من له أُذنان للسمع فليسمع " ، وهي غَير موجودة عند متَّى .

((وقال له بُطرُس : فسِّر لنا ذاك المثَل !)) [متَّى ١٥: ١٥] .

((استفسرَه التلاميذُ مَغزى المثَل)) [مَرْقُس ٧: ١٧] .

١٢٤) عِند متَّى أن بُطرُس (مُفرَد) طلب تفسير المثَل، أما عِند مَرْقُس فإن التلاميذ (جَمْع) استفسروا عن المثل . وهذا تناقض واضح ، وخَلْط بين الفرد والجماعة .

((مِمَّا يَجعلُ الأطعمةَ كُلَّها طاهرة)) [مَرْقُس ٧: ١٩] .

١٢٥) عبارة شاذة مرفوضة تُصادِم العقلَ أضافها مَرْقُسُ مِن عِنده وتفرَّدَ بها، وهي غَير موجودة عند متَّى . والجميعُ يَعْلَم أن الأطعمة لَيست كُلها طاهرة .

((فمن القلبِ تنبع الأفكارُ الشريرة، القتل، الزِّنى، الفِسق، السرقة، شهادة الزُّور، التجديف))
[متَّى ١٥: ١٩] .

((فإنَّه من الداخل ، من قلوب الناس ، تنبع الأفكارُ الشريرة ، الفِسق ، السرقة ، القتل ، الزنى ، الطمع ، الخُبث ، الخِداع ، العَهارة ، العَين الشريرة ، التجديف ، الكبرياء ، الحماقة)) [مَرْقُس ٧: ٢١و٢٢] .

١٢٦) زاد مَرْقُسُ كلماتٍ كثيرة غير موجودة عند متَّى ، فحصل التناقض والاختلاف .

((وأمَّا تناول الطَّعام بأيدٍ غير مغسولة فلا يُنَجِّس الإنسان !))[متَّى ١٥: ٢٠].

١٢٧) عبارة شاذةٌ اخترعها متَّى وتفرَّدَ بِذِكرها ، لذلك لَم يَذكرها مَرْقُس .

((ثم غادرَ يسوعُ تلك المنطقةَ وذهبَ إلى نواحي صُورَ وصَيدا)) [متَّى ١٥: ٢١] .

((ثم تركَ يسوعُ تلك المنطقةَ وذهبَ إلى نواحي صُور)) [مَرْقُس ٧: ٢٤] .

١٢٨) لَم يَأت مَرْقُسُ على ذِكر " صَيْدا " بِخِلاف مَتَّى .

((ولكنَّ المرأةَ اقتربت إليه وسَجدتْ له)) [متَّى ١٥: ٢٥] .

١٢٩) عبارة شاذةٌ تفرَّدَ بها متَّى ، وهي غير موجودة عن مَرْقُس . والسُّجود لا يكون إلا لله وَحْدَه ، كما قال المسيح .

((فأجابَ:ليسَ من الصواب أن يُؤخَذ خُبزُ البنين ويُطرَح لجِراء الكلاب!))[متَّى ١٥: ٢٦].

((ولكنه قالَ لها : دعي البنينَ أولًا يشبعون ! فليس من الصواب أن يُؤخَذ خُبزُ البنين ويُطرَح لجِراء الكلاب)) [مَرْقُس ٧: ٢٧] .

١٣٠)أوردَ مَرْقُسُ عبارةً تفرَّدَ بها"دعي البنين أولًا يشبعون!" وقد غابت تلك العبارة عن متَّى.

((فأجابها يسوعُ : أيتها المرأةُ ، عظيمٌ إيمانكِ ! فليكن لكِ ما تطلبين)) [متَّى ١٥: ٢٨] .

((فقال لها : لأجل هذه الكلمةِ اذهبي فقد خرجَ الشيطانُ من ابنتكِ !))[مَرْقُس ٧: ٢٩].

١٣١) تناقض واضح واختلاف ظاهر بين النَّصَّيْن .

((فسألهم: كَم رَغيفًا عندكم ؟. أجابوا: سبعةٌ وبعضُ سمكاتٍ صِغار !)) [متَّى ١٥: ٣٤].

((فسألهم : كَم رغيفًا عندكم ؟ . أجابوا : سبعةٌ !)) [مَرْقُس ٨: ٥] .

١٣٢) زاد متَّى مِن عِنده عبارة " وبعض سمكات صغار " ، والعبارةُ غير موجودة عِند مَرْقُس.

((ثم أخذَ الأرغفةَ السبعة والسمكات)) [مَتَّى ١٥: ٣٦] .

((ثم أخذَ الأرغفةَ السبعة)) [مَرْقُس ٨: ٦] .

١٣٣) لَم يَأتِ مَرْقُس على ذِكر السمكات ، بِخِلاف متَّى .

((وجاءَ إلى نواحي مَجَدان)) [متَّى ١٥: ٣٩] .

((وجاءَ إلى نواحي دَلْمانوثَّة)) [مَرْقُس ٨: ١٠] .

١٣٤) تناقضٌ واضح بين متَّى ومَرْقُس في تحديد اسم المكان .

((ولن يُعطَى آيةً إلا ما حدثَ للنَّبيِّ يُونان)) [متَّى ١٦: ٤] .

((لن يُعطَى هذا الجيلُ آيةً !)) [مَرْقُس ٨: ١٢] .

١٣٥) عِند متَّى يوجد استثناء ، لَم يَنتبه إليه مَرْقُسُ ، ولم يُورده قَط . وهذا تناقض .

((وقال لهم يسوعُ:انتبهوا ! خُذوا حِذركم من خَمير الفَرِّيسيين والصَّدُّوقيين)) [متَّى ١٦: ٦].

((وأوصاهم قائلًا:انتبهوا!خُذوا حِذركم من خَمير الفَرِّيسيين وخَمير هيرُودُس))[مَرْقُس ٨: ١٥].

١٣٦) تناقضَ الاثنان . متَّى أورد لفظةَ " الصَّدُّوقيين " ، ومَرْقُسُ أورد لفظةَ " هيرودس " ! .

((فقال لهم : يا قليلي الإيمان ، لماذا تُحاجُّون بعضكم بعضًا لأنكم لم تتزودوا خُبزًا ؟)) [متَّى ١٦: ٨] .

((وقال لهم : لماذا يُحاجُّ بعضُكم بعضًا لأنه ليس عندكم خُبز ؟)) [مَرْقُس ٨: ١٧] .

١٣٧) تناقض واضح واختلاف ظاهر بين النَّصَّيْن .

((يقول بعضُهم إنك يُوحَنَّا المَعمَدان وغيرهم إنك النَّبيُّ إيليًّا، وآخرون إنك إرْمِيا، أو واحدٌ من الأنبياء)) [متَّى ١٦: ١٤] .

((يقول بعضُهم إنك يوحنا المعمدان وغيرهم إنك إيليا وآخرون إنك واحدٌ من الأنبياء)) [مَرْقُس ٨: ٢٨] .

((يقول بعضُهم إنك يوحنا المعمدان وآخرون إنك إيليا وآخرون إنك واحدٌ من الأنبياء القُدامى وقد قام !)) [لُوقَا ٩: ١٩] .

١٣٨) زادَ متَّى عبارةَ " وآخرون إنك إرْمِيا " ، وهي غير موجودة عند مَرْقُس ولُوقَا .

١٣٩) زاد لُوقَا عبارةَ " وقد قام " ، وهي عبارة غريبة غير موجودة عند مَتَّى ومَرْقُس .

((فأجاب سِمعانُ بطرسُ قائلًا : أنتَ هو المسيحُ ابن اللهِ الحيِّ !)) [متَّى ١٦:١٦] .

((فأجابه بطرسُ : أنتَ المسيح !)) [مَرْقُس ٨: ٢٩] .

((فأجابه بطرسُ : أنتَ مسيحُ الله !)) [لُوقَا ٩: ٢٠] .

١٤٠) اختلاف فاضحٌ بين الصِّيَغ، مع تَعَمُّد متَّى إثبات خُرافة أن المسيح هو ابنُ الله .

((اغرُبْ مِن أمامي يا شيطان ! أنتَ عقبةٌ أمامي لأنكَ تُفكِّر لا بأمور الله بل بأمور الناس !)) [متَّى ١٦: ٢٣] .

((اغرُبْ مِن أمامي يا شيطان لأنك تُفكِّر لا بأمور الله بل بأمور الناس!)) [مَرْقُس ٨: ٣٣] .

١٤١) تفرَّدَ متَّى بِذِكر عبارة " أنتَ عقبة أمامي " .

((فبدأ بُطرُسُ يقول ليَسوع : يا رَبِّ)) [متَّى ١٧: ٤] .

((فبدأ بطرسُ يقول ليسوع : يا سَيِّد)) [مَرْقُس ٩: ٥] .

((قال بطرسُ ليسوع : يا مُعَلِّم)) [لُوقَا ٩: ٣٣] .

١٤٢) اختلاف واضح وتناقضٌ فاضح بين ثلاث كلمات " رَب " ، " سَيِّد " ، " مُعلِّم " .

((هذا هو ابني الحبيبُ الذي سُرِرْتُ به كلَّ سُرور . له اسمعوا !)) [متَّى ١٧: ٥] .

((هذا هو ابني الحبيبُ . له اسمعوا !)) [مَرْقُس ٩: ٧] .

((هذا هو ابني الذي اخترتُه . له اسمعوا !)) [لُوقَا ٩: ٣٥] .

١٤٣) اختلاف واضح بين النصوص الثلاثة .

((قد جاءَ إيليَّا ولم يَعرفوه بل فعلوا به كلَّ ما شاؤوا)) [متَّى ١٧: ١٢] .

((إنَّ إيليا قد أتى فعلًا وقد عَملوا به أيضًا كلَّ ما شاؤوا ، كما جاء عنه في الكتاب)) [مَرْقُس ٩: ١٣] .

١٤٤) اختلاف واضح بين النَّصَّيْن ، ومَرْقُس تفرَّدَ بِذِكر عبارة " كما جاء عنه في الكتاب " .

((وقال: يا سَيِّد، ارحم ابني لأنه مُصابٌ بالصَّرع وهو يتعذب عذابًا شديدًا. وكثيرًا ما يسقط في النار أو في الماء . وقد أحضرتُه إلى تلاميذك فلم يستطيعوا أن يَشفوه)) [متَّى ١٧: ١٥و١٦].

((فرَدَّ عليه واحدٌ من الجمع قائلًا : يا مُعلِّم أحضرتُ إليك ابني وبه روحٌ أخرس حيثما تملَّكه يَصرَعه فيُزبِد ويَصِرُّ بأسنانه ويتيبَّس وقد طلبتُ من تلاميذك أن يطردوه فلم يَقْدروا)) [مَرْقُس ٩: ١٧و١٨] .

((وإذا في الجمع رَجُلٌ نادى قائلًا : يا مُعلِّم أتوسَّل إليك أن تنظر إلى ابني فإنه ولدي الوحيد. وها إنَّ روحًا يتملَّكه فيصرخ فجأةً ويَخبطه الرُّوحُ فيُزبد ، وبالجَهد يُفارقه بعد أن يُرَضِّضه. وقد التمستُ مِن تلاميذك أن يطردوه فلم يَقْدروا)) [لُوقَا ٩: ٣٨و٣٩و٤٠] .

١٤٥) عند متَّى " يا سَيِّد " ، وعند مَرْقُس ولُوقَا : " يا مُعلِّم " .

١٤٦) عِند متَّى" ارحم ابني " ، وعند مَرْقُس " أحضرتُ إليك ابني " ، وعند لُوقَا " أتوسَّل إليك أن تنظر إلى ابني " .

١٤٧) الاختلاف في تحديد مرض الشخص وعِلّته . فعند متَّى " لأنه مصاب بالصرع " ، وعِند مَرْقُس " وبه روحٌ أخرس " ، وعند لُوقَا " روحًا يتملّكه " .

١٤٨) تفرَّدَ متَّى بِذِكر عبارة " وكثيرًا ما يسقط في النار أو في الماء " .

١٤٩) الاختلاف في تشخيص أعراض هذه الحالة . فعند مَرْقُس " حيثما تملّكه يصرعه فيُزبد ويَصِر بأسنانه ويتيبَّس "، وعند لُوقَا " إنَّ روحًا يتملّكه فيصرخ فجأة ويخبطه الروح فيُزبد ". وهذه التفاصيل غائبة عن متَّى تمامًا .

١٥٠) تناقضت الأقوال في النصوص الثلاثة . عند متَّى " وقد أحضرتُه إلى تلاميذك فلم يستطيعوا أن يَشفوه ". وعند مَرْقُس" وقد طلبتُ من تلاميذك أن يطردوه فلم يَقْدروا " . وعند لُوقَا " وقد التمستُ مِن تلاميذك أن يطردوه فلم يقدروا ".بالإضافة إلى اختلافات كثيرة في النصوص .

((فأجاب يَسوعُ قائلًا : أيها الجيلُ غير المؤمن والأعوج ، إلى متى أبقى معكم؟ إلى متى أحتملكم ؟ أحضروه إلَيَّ هنا !)) [متَّى ١٧: ١٧] .

((فأجابهم قائلًا : أيها الجيلُ غير المؤمن! إلى متى أبقى معكم ؟ إلى متى أحتملكم ؟ أحضروه إلَيَّ !)) [مَرْقُس ٩: ١٩] .

((فأجاب يَسوعُ قائلًا: أيها الجيل غير المؤمن والمنحرف! إلى متى أبقى معكم وأحتملكم ؟. وقال للرَّجل : أحضِر ابنكَ إلى هنا !)) [لُوقَا ٩: ٤١] .

١٥١) عند متَّى" أيها الجيلُ غير المؤمن والأعوج ". وعند مَرْقُس" أيها الجيلُ غير المؤمن ". وعند لُوقَا " أيها الجيل غير المؤمن والمنحرف " .

١٥٢) عِند مَتَّى " إلى متى أحتملكم ؟ " . وعند مَرْقُس " إلى متى أحتملكم ؟ " . وعند لوقا " إلى متى أبقى معكم وأحتملكم ؟ " . وهذا اختلاف واضح .

١٥٣) هناك تناقضات كثيرة. عِند متَّى " أحضروه إلَيَّ هُنا !". وعند مَرْقُس " أحضروه إلَيَّ!". أي إن الكلام مُوجَّه للتلاميذ . أمَّا عند لُوقَا فتم توجيه عبارة " أحضر ابنك إلى هنا " إلى الرَّجل ، وليس التلاميذ . وهذا اختلاف فاضح ، وتناقض صريح .

((وزجر يسوعُ الشيطانَ فخرج من الصَّبي وشُفيَ من تلك الساعة))[متَّى ١٧: ١٨] .

((زجرَ الرُّوحَ النجس قائلًا له : أيها الروح الأخرس الأصم إني آمرك فاخرج منه ولا تعد تدخله بعد ! . فصرخ الروحُ وصَرَعَ الصَّبِيَّ بشدة ثم خرج))[مَرْقُس ٩: ٢٥و٢٦] .

((فزجر يسوعُ الرُّوحَ النجس ، وشفى الولدَ وسلَّمه إلى أبيه)) [لُوقَا ٩: ٤٢] .

١٥٤) اختلافات كثيرة وتناقضات واضحة بين النصوص الثلاثة .

((ثم تقدَّم التلاميذُ إلى يسوعَ على انفراد وسألوه : لماذا عجزنا نحن أن نطرد الشياطين ؟)) [متَّى ١٧: ١٩] .

((وبعدما دخل يسوعُ البيت سأله تلاميذُه على انفراد : لماذا لم نقدر نحن أن نطرد الرُّوحَ ؟)) [مَرْقُس ٩: ٢٨] .

١٥٥) ذكر متَّى لفظةَ " الشياطين"، أمَّا مَرْقُسُ فَذَكَرَ " الرُّوح"، وهناك اختلافات بين النَّصَّيْن.

١٥٦) ذَكَرَ مَرْقُسُ أن المسيح وتلاميذه دخلوا البيت ، وهذه المعلومة غائبة عن متَّى.

((أجابهم: لِقِلَّة إيمانكم. فالحقَّ أقول لكم : لو كان لكم إيمان مِثل بِزرَة خَردَل لكنتم تقولون لهذا الجبل : انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ولا يستحيل عليكم شيء)) [متَّى ١٧: ٢٠] .

((فأجاب: هذا النوعُ لا يُطرَد بشيء إلا بالصلاة والصَّوم !))[مَرْقُس ٩: ٢٩].

١٥٧) اختلافات فاضحة وتناقضات كثيرة بين النَّصَّيْن .

((في تلك الساعة تقدَّم التلاميذُ إلى يسوع يسألونه : من هو الأعظم ، إذن ، في ملكوت السماوات ؟)) [متَّى ١٨: ١] .

((سأل تلاميذَه: فيم كنتم تتجادلون في الطريق . فسكتوا إذا كانوا في الطريق قد تَجادلوا في مَن هو الأعظم بينهم)) [مَرْقُس ٩: ٣٣و٣٤] .

((وحدث بينهم جِدالٌ في مَن هو الأعظم فيهم)) [لُوقَا ٩: ٤٦] .

١٥٨) عند متَّى أنهم أقدموا على سؤال المسيح، أمَّا عِند مَرْقُس ولُوقَا فلم يَرِدْ أنهم سألوا المسيح، وإنما كانوا يتجادلون فيما بينهم. وهذا تناقضٌ واضح. مع اختلافات كثيرة بين النصوص.

((فدعا إليه ولدًا صغيرًا وأوقفه وسطهم، وقال: الحقَّ أقول لكم : إن كنتم لا تتحوَّلون وتصيرون مثل الأولاد الصِّغار فلن تدخلوا ملكوتَ السماوات أبدًا)) [متَّى ١٨: ٢و٣] .

((ثم أخذَ ولدًا صغيرًا وأوقفه في وسطهم وضمَّه بذراعَيه وقال لهم : أيُّ مَن قَبِلَ باسمي واحدًا مِثل هذا مِن الأولاد الصِّغار فقد قَبِلني . ومَن قَبِلني فلا يقبلني أنا، بل ذاك الذي أرسلني)) [مَرْقُس ٩: ٣٦و٣٧] .

((أخذَ ولدًا صغيرًا وأوقفه بجانبه وقال لهم:أيُّ مَن قَبِل باسمي هذا الولدَ الصغير فقد قَبِلني ، ومَن قَبِلني يَقبل الذي أرسلني ، فإنَّ مَن كان الأصغرَ بينكم جميعًا فهو العظيم)) [لُوقَا ٩: ٤٧و٤٨] .

١٥٩) اختلافات كثيرة وتناقضات واضحة بين النصوص الثلاثة .

((فسألوه : هل يَحِلُّ للرَّجل أن يُطَلِّق زوجتَه لأي سبب ؟))[متَّى ١٩: ٣].

((وسألوه ليُجرِّبوه : هل يحل للرَّجل أن يُطَلِّق زوجتَه ؟)) [مَرْقُس ١٠: ٢].

١٦٠) اختلاف واضح بين النَّصَّيْن .

((فسألوه : فلماذا أوصى مُوسى بأن تُعطى الزَّوجةُ وثيقةَ طَلاقٍ فتُطَلَّق ؟))[متَّى ١٩: ٧] .

((فقالوا : سمحَ مُوسى بأن تُكتَب وثيقةُ طلاقٍ ثم تُطلَّق الزوجة)) [مَرْقُس ١٠: ٤] .

١٦١) تناقض فاضح . عند متَّى جاءت العبارةُ على شكل سؤال مِن الفَرِّيسيين ، وعند مَرْقُس جاءت على شكل جواب منهم ! .

((والذي يتزوج بمُطلَّقة يرتكب الزِّنى)) [متَّى ١٩: ٩] .

((وإن طلَّقت الزوجةُ زوجها وتزوَّجت من آخر ترتكب الزِّنى !))[مَرْقُس ١٠: ١٢] .

١٦٢) تناقض واضح . عند متَّى ذُكرت لفظة " مطلَّقة " بشكل عام ، وعند مَرْقُس تم التحديد والتخصيص في حالة الزوجة التي تُطلِّق زوجَها .

((دَعُوا الصِّغارَ يأتون إليَّ ولا تمنعوهم لأنَّ لِمِثل هؤلاء ملكوت السَّماوات!))[متَّى ١٩: ١٤].

((دَعُوا الصِّغارَ يأتون إليَّ ولا تمنعوهم لأنَّ لمثل هؤلاء ملكوتَ الله !))[مَرْقُس ١٠: ١٤].

١٦٣) عند متَّى " ملكوت السماوات ".وعند مَرْقُس" ملكوت الله " . وهذا اختلاف واضح.

((وإذا شابٌّ يتقدَّم إليه ويسأل : أيها المعلِّم الصالح ، أيَّ صلاحٍ أعمل لأحصل على الحياة الأبدية ؟)) [متَّى ١٩: ١٦] .

((وبينما كان خارجًا إلى الطريق أسرعَ إليه رَجُلٌ وجثا له يسأله : أيها المعلِّم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياةَ الأبدية ؟)) [مَرْقُس ١٠: ١٧] .

١٦٤) أورد متَّى لفظة " شاب " ، في حين أن مَرْقُس أورد لفظة " رَجُل " .

١٦٥) تفرَّدَ مَرْقُسُ بزيادة عبارة " وجثا له " ليُضفيَ هالة القداسة والأُلوهية على المسيح . والعبارة غير موجودة عند متَّى .كما أن هناك تناقضات عديدة واختلافات شديدة في السِّياقَيْن .

((فأجابه : لماذا تسألني عن الصالح ؟ واحدٌ هو الصالح))[متَّى ١٩: ١٧] .

((ولكن يَسوعَ قال له : لماذا تدعوني الصالح ؟ ليس أحدٌ صالحًا إلا واحدٌ وهو الله)) [مَرْقُس ١٠: ١٨] .

١٦٦) تناقضات واضحة واختلافات ظاهرة بين النَّصَّيْن .

((إنه من الصعب على الغنيِّ أن يدخل ملكوت السماوات)) [متَّى ١٩: ٢٣].

((ما أصعبَ دُخولَ الأغنياءِ إلى ملكوت الله !)) [مَرْقُس ١٠: ٢٣] .

١٦٧) أوردَ متَّى لفظةَ " الغنيِّ " بصيغة المُفرَد ، أمَّا مَرْقُس فأوردها بصيغة الجَمْع .

١٦٨) عند متَّى " ملكوت السماوات "، وعند مَرْقُس" ملكوت الله ". وهذا اختلاف واضح.

((ها نحن صاعدون إلى أُورُشَليم ، حيث يُسلَّم ابنُ الإنسان إلى رؤساء الكَهَنة والكَتَبة فيحكمون عليه بالموت، ويُسلِّمونه إلى أيدي الأمم فيسخرون منه ويجلدونه ويصلبونه)) [متَّى ٢٠: ١٨و١٩] .

((ها نحن صاعدون إلى أُورُشَليم وسوف يُسلَّم ابنُ الإنسان إلى رؤساء الكهنة وإلى الكتبة فيحكمون عليه بالموت ويُسلِّمونه إلى أيدي الأُمم فيسخرون منه ويَبصقون عليه ويجلدونه ويقتلونه)) [مَرْقُس ١٠: ٣٣و٣٤] .

((ها نحن صاعدون إلى أُورُشَليم وسوف تتم جميع الأمور التي كتبها الأنبياءُ عن ابن الإنسان: فإنه سيُسلَّم إلى أيدي الأُمم فيُستهزأ به ويُهان ويُبصَق عليه . وبعد أن يجلدوه يقتلونه)) [لُوقَا ١٨: ٣١و٣٢و٣٣] .

١٦٩) تناقضات كثيرة واختلافات واضحة بين النصوص الثلاثة . عند متَّى " فيسخرون منه ويجلدونه ويصلبونه " ، وعند مَرْقُس " فيسخرون منه ويَبصقون عليه ويجلدونه ويقتلونه " ، وعند لُوقَا " فيُستهزأ به ويُهان ويُبصَق عليه . وبعد أن يجلدوه يقتلونه " .

١٧٠) تفرَّدَ لُوقَا بزيادة عبارة غريبة شاذة " وسوف تتم جميع الأمور التي كتبها الأنبياء عن ابن الإنسان " ، وهي غير موجودة عند مَتَّى ومَرْقُس. بالإضافة إلى اختلافات كثيرة بين النصوص .

((فتقدَّمت إليه أمُّ ابنَي زَبَدي وهما معها وسَجَدَت له تطلب منه معروفًا . فقال لها: ماذا تريدين ؟ أجابت : قُل أن يجلس ابناي هذان : أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك في مملكتك)) [متَّى ٢٠: ٢٠و٢١] .

((عندئذ تقدَّم إليه يعقوبُ ويُوحَنَّا ابنا زَبَدي ، وقالا له : يا معلِّم نرغب في أن تفعل لنا كلَّ ما نطلب منك . فسألهما : ماذا ترغبان في أن أفعل لكما ؟ قالا له : هَبْنا أن نجلس في مجدك : واحد عن يمينك وواحدٌ عن يسارك !)) [مَرْقُس ١٠: ٣٥و٣٦و٣٧] .

١٧١) ذكرَ متَّى أن أمَّ ابنَي زَبَدي هي التي طلبت من المسيح . أمَّا مَرْقُس فذكرَ أن ابنَي زبدي هُما اللذان طلبا من المسيح . وهذا تناقض واضح .

١٧٢) تفرَّدَ متَّى بزيادة شاذة من عنده " وسجدت له " في محاولة منه لإضفاء الألوهية على المسيح، وهذه العبارة غائبة تمامًا عن مَرْقُس . بالإضافة إلى اختلاف كثيرة بين النَّصَّيْن .

((وفيما كان يَسوعُ وتلاميذُه يُغادرون أريحا تبعه جمعٌ كبير . وإذا أعميان كانا جالِسَين على جانب الطريق)) [متَّى ٢٠: ٢٩و٣٠] .

((وبينما كان خارجًا من أريحا ومعه تلاميذُه وجمعٌ كبير كان ابنُ تِيماوس ، بارتيماوسُ الأعمى جالسًا على جانب الطريق يستعطي)) [مَرْقُس ١٠: ٤٦] .

((ولَمَّا وصلَ إلى جوار أريحا كان أحدُ العُميان جالسًا على جانب الطريق يستعطي)) [لُوقَا ١٨: ٣٥] .

١٧٣) ذَكَرَ متَّى أنهما أعميان (مُثنَّى)، أمَّا مَرْقُس ولُوقَا فذكرا أنه أعمى واحد (مُفرَد) .

١٧٤)ذَكَرَ مَرْقُسُ أن اسم هذا الأعمى هو بارتيماوس في حين أن هذا الاسم غاب عن لُوقَا.

((صرخا : ارحمنا يا رب يا ابن داود !)) [متَّى ٢٠: ٣٠] .

((أخذ يصرخ قائلًا : يا يسوع ابنَ داود ارحمني !)) [مَرْقُس ١٠: ٤٧] .

((فنادى قائلًا : يا يسوعُ ابنَ داود ارحمني !)) [لُوقَا ١٨: ٣٨] .

١٧٥) عِند متَّى" صرخا " أي إنهما اثنان، وعند مَرْقُس" أخذ يصرخ "، وعند لوقا " فنادى"، يعني هناك شخص واحد فقط .

١٧٦) زاد متَّى عبارةً شاذة من عنده وتفرَّدَ بها ، وهي " يا رب " ، في محاولة منه لإضفاء الأُلوهية على المسيح . وهذه العبارةُ غير موجودة عند مَرْقُس ولُوقَا ، فظهرَ الكذب والزيادة .

١٧٧) عند متَّى " ارحمنا " ، وعند مَرْقُس ولُوقَا " ارحمني " .

((ووصلوا إلى قرية بيت فاجي عند جبل الزَّيتون)) [متَّى ٢١: ١] .

((وصلوا إلى قرية بيت فاجي وقرية بيت عَنيا عند جبل الزَّيتون))[مَرْقُس ١١: ١] .

((ولَمَّا اقترب من بيت فاجي وبيت عَنيا عند الجبل المعروف بجبل الزَّيتون))[لوقا ١٩: ٢٩].

١٧٨) لَم يَذكر متَّى " قرية بيت عَنيا " التي ذكرها مَرْقُس ولُوقَا . وهذا اختلاف فاضح .

١٧٩) استخدم متَّى ومَرْقُس الفِعل" وصلوا "، أمَّا لُوقَا فاستخدم الفعلَ " اقترب" وكما هو معلوم أن الوصول شيء ، والاقتراب شيء آخر . كما أن متَّى ومَرْقُس تحدَّثا عن جَمْع ، لأنهما استخدما " وصلوا " ، أمَّا لُوقَا فَتَحَدَّثَ عن مُفرَد بِدَلالة الفِعل " اقترب " .

((ادخلا القريةَ المقابلة لكما تجدا في الحال أتانًا مربوطة ومعها جَحْش)) [متَّى ٢١: ٢] .

((اذهبا إلى القرية المقابلة لكما وحالما تدخلان إليها تجدان جَحْشًا مربوطًا))[مَرْقُس ١١: ٢].

((اذهبا إلى القرية المقابلة لكما وعندما تدخلانها تجدان جحشًا مربوطًا))[لُوقَا ١٩: ٣٠].

١٨٠)ذَكَرَ متَّى أن هناك أتانًا(حمارة) ومعها جَحْش في حين أن مَرْقُس ولُوقَا لَم يَذكرا الأتان.

١٨١) ذَكَرَ متَّى أن الأتان هي المربوطة ، في حين أن مَرْقُس ولُوقَا ذَكَرَا أن الجحش هو المربوط . وهذا تناقض فاضح .

((أفما قرأتُم ما قيل لكم على لِسان الله)) [متَّى ٢٢: ٣١] .

((أفما قرأتُم في كتاب موسى، في الحديث عن العُلَّيقة))[مَرْقُس ١٢: ٢٦].

((فحتى موسى أشارَ إلى ذلك في الحديث عن العلَّيقة)) [لُوقَا ٢٠: ٣٧] .

١٨٢) تفرَّدَ متَّى بِذِكر عبارة شاذة " لسان الله " مُؤسِّسًا بذلك عقائد التشبيه والتجسيم ومُشابَهة الخالق للمخلوق . وهذه العبارة المُنكَرة لم تَرِدْ عند مَرْقُس ولُوقَا . بالإضافة إلى وجود اختلافات كثيرة بين النصوص الثلاثة .

((فأجابه : أحِبَّ الرَّبَّ إلهكَ بكل قلبكَ وكل نفسك وكل فكرك !)) [متَّى ٢٢: ٣٧] .

((فأجابه يسوع : أولى الوصايا جميعًا هي : اسمع يا إسرائيل ، الرَّبُّ إلهنا رَبٌّ واحدٌ_ فأحِبَّ الرَّبَّ إلهكَ بكل قلبك وبكل نفسك وبكل فكرك وبكل قُوَّتك)) [مَرْقُس ١٢: ٢٩و٣٠] .

١٨٣) لَم يَذكر متَّى عبارة " الرب إلهنا ربٌّ واحد"، لكن مَرْقُس ذَكَرَها . وهذا يدل على محاولة متَّى إغفالَ وَحدانية الله تعالى ، وطَمْسها ، والتَّعتيم عليها ، كَي يُحقق أهدافه في تأسيس عقائده الباطلة في التثليث وتعدُّد الآلهة . وقد فَضَحَه مَرْقُس ، وانكشفت الخيانة .

((فصَلُّوا لكي لا يكون هربُكم في شتاء أو في سبت)) [متَّى ٢٤: ٢٠] .

((فصلُّوا لكي لا يقع ذلك في شتاء)) [مَرْقُس ١٣: ١٨] .

١٨٤) زاد متَّى " أو في سبت"،وهذه العبارة غير موجودة عند مَرْقُس. وهذا اختلاف واضح.

((ولولا أنَّ تلك الأيام ستُختَصر)) [متَّى ٢٤: ٢٢] .

((ولولا أنَّ الرَّبَّ قد اختصر تلك الأيام)) [مَرْقُس ١٣: ٢٠] .

١٨٥) اختلاف واضح بين النَّصَّيْن .

((أجابهم : ادخلوا المدينةَ واذهبوا إلى فُلانٍ وقولوا له : المعلِّم يقول إن ساعتي قد اقتربت وعندكَ سأعمل الفِصحَ مع تلاميذي)) [متَّى ٢٦: ١٨] .

((فأرسل اثنين من تلاميذه قائلًا لهما : اذهبا إلى المدينة وسيلاقيكما هناك رَجُلٌ يحمل جَرَّة ماء فاتبَعاه . وحيث يدخل قولا لربِّ البيت : إن المعلِّم يقول : أين غرفتي التي فيها سآكل الفِصحَ مع تلاميذي ؟)) [مَرْقُس ١٤: ١٣و١٤] .

١٨٦) ذَكَرَ متَّى أن المسيح أرسل التلاميذ ، والدليل هو استخدام الأفعال" ادخلوا " و" اذهبوا " . لكن مَرْقُس يقول إن المسيح أرسل اثنين مِن تلاميذه فقط . وهذا تناقض واضح . بالإضافة إلى اختلافات كثيرة بين النَّصَّيْن .

((إنَّ واحدًا منكم سيُسلِّمني)) [متَّى ٢٦: ٢١] .

((إنَّ واحدًا منكم سيُسلِّمني وهو يأكل الآن معي)) [مَرْقُس ١٤: ١٨].

((ثم إنَّ يدَ الذي يُسلِّمني هي معي على المائدة)) [لُوقَا ٢٢: ٢١] .

١٨٧) اختلافات واضحة بين النصوص الثلاثة .

((وأخذَ كلٌّ منهم يسأله : هل أنا يا رب ؟)) [متَّى ٢٦: ٢٢] .

((وبدأوا يسألونه واحدًا بعد الآخر : هل أنا ؟)) [مَرْقُس ١٤: ١٩] .

١٨٨) زاد متَّى مِن عِنده عبارة " يا رب " لإضفاء الأُلوهية على المسيح . وهذه العبارة لم يَذكرها مَرْقُس . وبذلك ، انكشفَ كَذِبُ مَتَّى ، واتَّضحت زيادته الباطلة . والجديرُ بالذِّكر أن كلمة " رَب " تأتي بمعنى " سَيِّد " . لكن أصحاب الأناجيل خلطوا الحابل بالنَّابل .

((فقال لبُطرُس : أهكذا لم تقدروا أن تسهروا معي ساعةً واحدةً ؟))[متَّى ٢٦: ٤٠] .

((فقال لبُطرُس:هل أنت نائمٌ يا سِمعان؟ألم تقدر أن تسهر ساعةً واحدة؟))[مَرْقُس ١٤: ٣٧].

١٨٩) اختلاف واضح بين النَّصَّيْن .

((فتقدَّمت إليه خادمةٌ وقالت : وأنتَ كنتَ مع يَسوعَ الجليليِّ)) [متَّى ٢٦: ٦٩] .

((نظرت إليه وقالت: وأنتَ كنتَ مع يسوعَ الناصريِّ !))[مَرْقُس ١٤: ٦٧].

((فدقَّقت النظرَ فيه وقالت : وهذا كان معَه !)) [لُوقَا ٢٢: ٥٦] .

((فسألت الخادمةُ البوابةُ بُطرُس: ألستَ أنتَ أحدَ تلاميذ هذا الرَّجل ؟)) [يُوحَنَّا ١٨: ١٧].

١٩٠) تناقضات واضحة ، واختلافات ظاهرة بين النصوص الأربعة .

((بعد انتهاء السَّبت ذهبت مريمُ المَجْدَلِيَّةُ ومريمُ الأخرى تتفقَّدان القبر))[متَّى ٢٨: ١] .

((ولَمَّا انتهى السَّبت اشترت مريمُ المَجْدَلِيَّةُ ومريمُ أُمُّ يَعقوبَ وسَالُومَةُ طُيوبًا عِطرية لِيَأتِينَ ويَدهُنَّه. وفي اليوم الأول مِن الأسبوع،أتَينَ إلى القبر باكرًا جدًّا مع طلوع الشمس))[مَرْقُس ١٦: ١و٢] .

١٩١) عِند مَتَّى " مريم الأخرى " ، وعند مَرْقُس" مريم أم يعقوب " . وهذا اختلاف.

١٩٢) ذَكَرَ مَرْقُسُ أن سالومة حَضرتْ ، في حين أن متَّى لَم يَأتِ على ذِكرها قَط .

١٩٣) عِند مَرْقُس أن النساء اشْتَرَيْنَ طُيوبًا ليأتين ويدهنَّ القبرَ ، وهذه التفاصيل غائبة تمامًا عن مَتَّى . بالإضافة إلى اختلافات كثيرة بين النَّصَّيْن .

١٩٤) عند مَتَّى " تتفقدان القبر" ، وعِندَ مَرْقُس " أتَينَ إلى القبر " . وهذا اختلاف واضح .

((سَلِّموا على بِرسكا وأكيلا)) [الرسالة إلى روما ١٦: ٣] .

((سَلِّموا على أبينتوس)) [الرسالة إلى روما ١٦: ٥] .

((سَلِّموا على مريم)) [الرسالة إلى روما ١٦: ٦] .

١٩٥) هل أنزلَ اللهُ الإنجيلَ على المسيح ليبعث سلامات وتحيات إلى الناس ؟ . وهل سلسلة السلامات هي كلام الله ؟ . أين الإنجيل الذي أنزله اللهُ على المسيح ؟ . إنه إنجيل واحد ، وليس أربعة أناجيل . فمن أين جاءَ مَتَّى ومَرْقُس ولُوقَا ويُوحَنَّا ؟ . وكيفَ غطَّت أناجيلهم التي ألَّفوها على إنجيل المسيح ؟ . إن الله قد أنزلَ الإنجيل (الكتاب السماويَّ) على المسيح وَحْدَه . وهو إنجيل واحد لا ثاني له.وهذه الحقيقةُ يجب أن تكون حاضرة في الأذهان ، لأنها الحق والصواب.

***

ثانيًا: نُبُوَّة محمد ﷺ في الإنجيل (العَهد الجديد)

١) في [مَتَّى ٢ : ٢]: ((أين هو المولود مَلِكُ اليهود ؟)). وفي [مَتَّى ٤ : ١٧]: ((من ذلك الحين بدأ يسوعُ يُبَشِّر قائلًا : توبوا ، فقد اقترب ملكوتُ السماوات !)) اهـ . إن المسيح لم يُؤسِّس دولةً ، وهو مَعَ النبيِّ يَحيى (يُوحَنَّا المَعْمَدان) يُبشِّران بدولة الله في أرضه ، فملكوت السماوات هو الإسلام دولةً وشريعةً .

٢) في [مَتَّى ١٣: ٣١] : ((وضَرَبَ لهم مثلًا آخر ، قال : يُشَبَّه ملكوتُ السماوات بِبِزرَةِ خَرْدَلٍ أخذها إنسانٌ وزرعها في حقله)) اهـ . إن حَبَّة الخَرْدَل التي تصير شجرةً صُورة لملكوت السماوات ، الذي هو ملكوت الله . وهذه كِناية عن الإسلام والنَّجاة فيه .

٣) في [مَتَّى ٢٠: ١_ ١٦] مَثَل يُشبِّه ملكوت السماوات بإنسان خرج في الصباح الباكر ليستأجر عُمَّالًا لِكَرْمه ... إلخ . إن هذا المَثَل الإنجيلي نُبوءة عن الإسلام ، دِين الله في أرضه ، فهو يُبَشِّر بأن المسلمين آخِر مَن ظَهَرَ مِن أهل الكُتب المُنزلة سَيَكُونون أوَّلِين، والأوَّلُون (اليهود والنصارى) سيكونون آخِرين .

٤) في [مَتَّى ٢١: ٤٢و٤٣] : ((الحجرُ الذي رفضه البُناة هو نَفْسُهُ صار حجرَ الزاوية الأساسي... لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله سيُنزَع من أيديكم ويُسَلَّم إلى شعب يؤدي ثمرَه)) .

إن ملكوت الله الذي يُنزَع من أهل الكتاب، ويُعطَى لأُمَّة أخرى تُؤدِّي ثمارَه هو الإسلام . وإن الحجر رأس الزاوية فيه هو محمد . أو أن حجر الزاوية في البُنيان النبويِّ هو محمد ﷺ . والنَّصُّ الإنجيلي يُبشِّر بالنبيِّ محمد ﷺ . والجديرُ بالذِّكر أن اليهود رفضوا إسماعيل ثُمَّ رفضوا محمدًا ، عليهما الصلاة والسلام . وقد يكون الحجر المرفوض إسماعيل ﷺ ، لأن اليهود رفضوه وقالوا إنه ابن الجارية (هَاجَر)، وليس مِثل إسحاق ابن الحُرَّة (سارة) . وعن أبي هريرة _ رضي اللهُ عنه _ أنَّ رسول الله ﷺ قال : ((إنَّ مَثَلي ومَثَلَ الأنبياء مِن قَبلي كَمَثَلِ رَجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا مَوْضِعَ لَبِنةٍ مِن زاوية ، فَجَعل الناس يَطوفون به ، ويُعجَبون له، ويقولون : هَلَّا وَضعتَ هذه اللبنةَ ، فأنا اللبنةُ وأنا خاتَمُ النَّبيين)) [سبق تخريجه] . إن محمدًا ﷺ اللبنةُ الأخيرةُ، وبِه اكتملَ البناءُ النبويُّ، فصارَ كاملًا،وسيظلُّ كاملًا إلى يوم القيامة، ولَن يَأتِيَ أيُّ نبيٍّ لِيُضيف شَيئًا على هذا البناء لأنَّ محمدًا ﷺ هُوَ خاتَمُ النَّبيين ، ومِسْكُ الخِتام .

٥) في [رسالة يَهُوذا ١٤]:((انظروا ! إن الربَّ آتٍ بِصُحبةِ عشرات الأُلوف من قِدِّيسيه ، لِيَدِينَ جميعَ الناس)) اهـ . إن " الرب " هنا بمعنى السَّيد وهو محمد ، أما لفظة " قِدِّيسيه " فهي

إشارة إلى صحابته ، وقد كانوا بعشرات الأُلوف فِعْلًا . كما أن عبارة " ليدينَ جميعَ الناس " إشارة واضحة على عُموم رسالة محمدﷺ، فقد جاءَ لجميع الناس. أمَّا المسيح ﷺ فقد جاء لبني إسرائيل فقط . وهذه الصورةُ في النَّص الإنجيلي لا تنطبق إلا على محمد ﷺ وصحابته الكرام .

٦) في [الرُّؤيا ٢ : ٢٦_ ٢٩] : " الغالب الموعود " الذي وَحْدَه أُعْطِيَ سُلطانًا وسُلطةً على الأمم هو النبيُّ محمد ﷺ . ولا يُوجد مَخلوق أُعْطِيَ سُلطةً على جميع الأُمم سِوى محمد ﷺ.

٧) النُّبوءة بالفارقليط . في [يُوحَنَّا ١٤ : ١٦] : ((وسوف أطلب من الآب أن يُعطيَكم مُعينًا آخَرَ يبقى معكم إلى الأبد)) اهـ . وفي [يُوحَنَّا ١٥ : ٢٦] : ((وعندما يأتي المُعينُ ، الذي سأُرسله لكم من عند الآب، روحُ الحق الذي ينبثق مِن الآب، فهو يؤدِّي لي الشَّهادة)) اهـ . وفي [يُوحَنَّا ١٦ : ٧و٨] : ((ولكني أقول لكم الحق : مِنَ الأفضل لكم أن أذهب ، لأني إن كنتُ لا أذهب ، لا يأتيكمُ المُعين . ولكني إذا ذهبتُ أُرسله إليكم .وعندما يجيء يُقدِّمُ للعالَم البُرهانَ على الخطيئة وعلى البِرِّ وعلى الدَّينونة)) اهـ. وفي [يُوحَنَّا ١٦ : ١٣ و١٤] : ((ولكن، عندما يأتيكم روحُ الحق يُرشِدكم إلى الحق كُلِّه ، لأنه لا يقول شيئًا مِن عنده ، بل يُخبركم بما يَسمعه ، ويُطلعكم على ما سَوفَ يَحدُث . وهُوَ سَيُمَجِّدُني)) اهـ .

إن الفارقليط الموعود (المُعين) هو النبيُّ محمد ﷺ ، وهذه النصوص الإنجيلية لا تَنطبق إلا عليه. فهو باقٍ إلى الأبد ، أي إن دِينه نَسَخَ الأديانَ كُلَّها ، وهو باقٍ إلى يوم القيامة . والشريعةُ المُحمَّدية الإسلامية خالدة إلى الأبد . كما أن النبيَّ محمد ﷺ شَهِدَ للمسيح ﷺ بأداء الرسالة ، ومَدَحَه ، ومجَّده، وأظهرَ مكانته العظيمة ، ولم يطعن فيه ، ولم ينتقص مِن قَدْره . ولَم يَظهر نبيٌّ بعد المسيح غَير محمد، عليهما الصلاة والسلام. والنبيُّ محمد ﷺ وضَّح الحقَّ لاعتناقه ، وبيَّن الباطلَ لاجتنابه ، وأرشدَ إلى الحق والحقيقة ، ولم يقل شيئًا مِن عِنده ، لأنه يُبلِّغ الوَحْيَ الإلهيَّ كاملًا ، بلا زيادة ولا نُقصان .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصَّف : ٦] . وقد وصف المسيحُ هذا الفارقليطَ بأوصاف لا تنطبق إلا على النبيِّ محمد ﷺ ، فقال : إنه يُوبِّخ العالم على خطيئته ، وإنه يُعلِّمهم جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بكل ما يسمع . وهذا ما ورد في القرآن الكريم : ﴿ وما يَنطِقُ عَنِ الهوى (٣) إنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى (٤) ﴾ [سُورة النَّجْم] .

إنَّ النبيَّ محمدًا ﷺ لا يَنطق عَن هَواه ، أي بِهَواه وشَهوته ، ولا يتكلم بالباطل ، ولا يَأتي بشيء مِن تِلقاء نفْسه . إنَّ ما يَنْطِقُ بِهِ النبيُّ ﷺ وَحْيٌ مِنَ اللهِ، لا يُنقِص مِنهُ ولا يَزيد. وهذا الوَحْيُ هو القُرآنُ والسُّنَّة، ولا يُقبَل أحدُهما دُون الآخَر . وقد ورد في إنجيل بَرْنابا الذي أخفته الكنيسة، ورفضت الاعتراف به، ذِكْر اسم النبيِّ محمد صراحةً . قال عبد الوهاب النجار في قصص الأنبياء (ص ٤٧٣) في حوار دار بينه وبين الدكتور كارلو نِلِّينو : ((ما معنى بيريكلتوس ؟ ، فأجابني بقوله إن القُسُس يقولون إن هذه الكلمة معناها" المُعزِّي"، فقلتُ: إني أسأل الدكتور(كارلو نِلِّينو) الحاصل على الدكتوراة في آداب اللغة اليونانية القديمة ، ولستُ أسأل قِسِّيسًا ، فقال : إن معناها (الذي له حمد كثير)، فقلتُ: هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من حَمِدَ ؟. فقال: نعم، فقلتُ : إن رسول الله ﷺ من أسمائه(أحمد)،فقال:يا أخي، أنتَ تحفظ كثيرًا،ثم افترقنا.وقد ازددتُ بذلك تَثَبُّتًا في معنى قَوْله تعالى حكايةً عن المسيح: ﴿ ومُبَشِّرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾))اهـ. وعلماء أهل الكتاب (اليهود والنصارى) يعرفون الحق ، ويُدْرِكون أن محمدًا نبيٌّ صادق ، وأنه رسول مِن الله . ولكنهم يُفضِّلون المُرَاوَغة والتَّحايل والكذب والتَّدليس ، وممارسة التضليل الإعلامي ، وتَعميم التَّشويش في المجتمع ، وذلك للحفاظ على مصالحهم الشخصية ، ومنافعهم المادية ، والإبقاء على مناصبهم ورئاستهم وزعامتهم . وقد منعهم الحسدُ والبَغْيُ والغُرورُ والتَّكَبُّرُ مِن الإيمان بالنبيِّ محمد ﷺ والخضوع لشريعته الإلهية الخالدة ، والناسخة لِمَا قَبْلها مِن الشرائع . وهكذا نفهم عملية التحريف في التوراة والإنجيل، كمُمَارَسَة كهنوتية لتكريس الوهم في أوصال المجتمع، وتغييب الوَعْي بالأسئلة المصيرية التي تُواجه الإنسانَ في حياته . إن منهج علماء أهل الكتاب الذين يحاولون جاهدين شَرْعنة الاضطهاد عبر الربط بين السُّلطة السياسية والسُّلطة الدينية للحفاظ على مكاسب عِلْية القوم ، سوف يظل منهجًا وهميًّا باطلًا ، لا يَملك وجودًا حقيقيًّا على الأرض ، لأن الوَهْمَ سُرعان ما يذوب حين تطلع شمس الصباح. وعندئذ ينقلب السِّحر على الساحر . والوَعْيُ الديني التَّوراتي الإنجيلي هو وَعْي وهمي زائف ، إذ إن بشرية النصوص الدينية عند أهل الكتاب، تجعل منهم رَجْعَ صدى لانتكاسة القَومية الدينية . وعمليةُ الاعتماد على بُنية الأسطورة الأيديولوجية في محاولة تسويق النصوص الدينية المُشوَّشة ، لن يُكتب لها النجاح ، لأن ما بُنِيَ على باطل فهو باطل . كما أن انكماش الأسطورة الدينية النَّفعية المَصْلَحية كَشَفَ التناقضاتِ المُذهلة في التَّوراة والإنجيل، وصارت النصوص الدينية ضَرْبًا مِن بناء الأسطورة، ونَوْعًا مِن تشييد الخُرافة ، والتكريسِ الاجتماعي للخديعة استنادًا إلى هالة إعلامية مُفكَّكة ومَفضوحة .

ثالثًا : أدلة النصارى على أُلوهية المسيح

١ _ سُلطة غُفران الذُّنوب

إن الأدلة التي يعتمد عليها علماءُ النصارى في تأليه المسيح وهميةٌ وباطلة ، ولا تقوم على أساس صحيح ، وتفتقر إلى التماسك العِلمي ، وحُجَّةُ النصارى داحضة ، لأنها بلا سند نقلي ولا بُرهان عقلي . ومِن الأدلة النصرانية على تأليه المسيح ، إسناد سُلطة غُفران الذنوب إليه ، حيث إنهم جَعلوا المسيحَ إلَهًا قادرًا على منح المغفرة . معَ العِلم أن المسيح لم يَقْدِر أن يَغفر لنفْسه ، وحَمَلَ خطيئةَ آدم ، وصُلِبَ تكفيرًا عن هذه الخطيئة . وذلك حَسَب اعتقاد النصارى . فكيفَ يَغفر المسيحُ للآخرين وقد عَجِزَ أن يغفر لنفْسه ؟! . إن فاقد الشيء لا يُعطيه .

في [مَتَّى ٩ : ٦] : ((لكي تعلموا أن لابن الإنسان على الأرض سُلطة غُفران الخطايا)) .

إن المقصود بابن الإنسان هو المسيح . وهذا النَّص يُبيِّن أن المسيح هو ابن الإنسان ، وليس ابن الله . وبما أن المسيح مخلوق وإنسان وابن إنسان ، فهو بالتأكيد لا يَملك صفات الخالق . ولو كان المسيحُ يَملك سُلطة غُفران الخطايا لغفرَ لنفْسه ، وتخلَّصَ مِن ثِقْل خطيئة آدم ، ونَجا مِن الصَّلْب والإعدام ، وتقديم نفْسه كَفَّارَةً وفِدَاءً للبشرية مِن ذَنْبها المتواصل عبر الأجيال (أكل آدم مِن الشجرة وخُروجه من الجنة) . وهذا يدل على بُطلان عقيدة النصارى ، لأن الله وَحْدَه هو الذي يَملك سُلطة غُفران الخطايا والذُّنوب . ومهمةُ الأنبياء محصورة في إرشاد الناس وهدايتهم إلى تَوحيد الله والالتزام بأوامره واجتناب نَواهيه . وحسابُ العباد على رَب العباد . واللهُ يَغفر لِمَن يشاء ، ويُعذِّب مَن يشاء . ولا يُوجد مخلوق يُشارك الخالقَ في صِفاته وأفعاله . وجميعُ الناس يُدرِكون حقيقة أن الله وَحْدَه هو الخالق، وكُل ما سِوى الله مَخلوق . والمسيحُ مخلوق ، والمخلوق العاجز لا يَكون إلَهًا، لأن مِن صفات الإله الحق أن يكون قادرًا على كُل شيء.والمسيحُ _ حَسَب اعتقاد النصارى _ تَمَّ صَلْبُه ، ولم يَقْدِر على حماية نفْسه ، فكيفَ يَحْمي الآخرين ؟ . ولم يَقْدِر على منح الغُفران لنفْسه وإنقاذها من الصَّلْب ، فكيفَ يَغفر للآخرين ؟ . إن المخلوقَ العاجزَ لا يَملك القُدرة على غُفران الذنوب ولا إنقاذ الآخرين . ولو كان كذلك لَغَفَرَ لنفْسه وأنقذها . ومَن عَجِزَ عن إنقاذ نفْسه ، فهو أكثر عَجْزًا عن إنقاذ الآخرين . والقاعدةُ الأساسية في هذا السياق : فاقد الشَّيء لا يُعطيه . ولو كان قادرًا على إعطائه لأعطاه لنفْسه أوَّلًا قبل الآخرين .

٢ _ إرسال الملائكة

لقد رَسَمَ علماءُ النصارى هالةً أُسطوريةً وشخصيةً خُرافية للسَّيد المسيح ﷺ ، في محاولة مِنهم لإسناد صفات الأُلوهية للسَّيد المسيح ، معَ أن المسيح في الإنجيل يعترف بأنه عبد لله ، وليس ابْنًا لله، ولا إلَهًا معه.ولا يُوجد نَص في الإنجيل على لسان المسيح ، يقول : أنا إله أو أنا ابن الله، واعبدوني أيها الناس . ولا يُعقَل أن يكون الإلهُ متواضعًا ، ولا يأمر الناسَ بعبادته . وهذا يدل على كذب النصارى ، واتِّباعهم لأهوائهم الباطلة ، وأمانيهم الوهمية ، وحِرصهم على مصالحهم الشخصية، ومنافعهم المادية ، ومناصبهم ، ورئاستهم ، وزعامتهم .

وعلماءُ النصارى يَزعمون أن للمسيح ملائكة ، وهو يتحكَّم بهم ، ويُقرِّر هَل يُرسلهم أَم لا . ومَن كان مُسيطرًا على الملائكة ، فلا بُد أن يكون إلَهًا . في [مَتَّى ١٣ : ٤١] : ((يُرسل ابنُ الإنسانِ ملائكته)) اهـ . هذا النَّصُّ الخُرافي يَجعل المسيح المخلوق الذي لم يَقْدِر على حماية نفْسه من الصَّلْب والإعدام _ حَسَب اعتقاد النصارى _ ، مُسيطرًا على الملائكة ، ويتحكَّم بإرسالهم ، ويأمرهم فيُطيعونه . والسؤالُ الصادمُ في هذا السِّياق : لماذا لم يُرسل المسيحُ ملائكته لإنقاذه مِن الصَّلْب ما دَامَ يَملك سُلطةً على الملائكة ويتحكَّم بإرسالهم ؟ . إن المسيح مخلوق خاضع لخالقه ، والمخلوقُ ليس له ملائكة ، ولا سُلطة له عليهم . إن الله وَحْدَه هو الذي له ملائكة ويَتحكَّم بهم كَيْفما يشاء . والجديرُ بالذِّكر أن النَّص الإنجيلي يصف المسيح بِـ " ابن الإنسان " ، ولا يَصفه بابن الله أو ابن الإله. وابن الإنسان لا بُد أن يكون إنسانًا ، لأن الابن يَحمل صفات أبيه ويُجانسه . وهذا يفضح أكاذيب النصارى ، ويَكشف أساطيرهم وخُرافاتهم .

٣_ رُبوبية المسيح

لقد وَقَعَ علماءُ النصارى في الكفر والضلال ، فقد اعتبروا المسيحَ _ وهو مخلوق يأكل ويشرب ويَقضي حاجته وسَيَمُوت _ رَبًّا ، يتَّصف بالرُّبوبية التي هي صفة من صفات الله تعالى ، وهي مأخوذة من اسم " الرَّب " . والرَّبُّ _ لُغةً _ معناه : المالك والسَّيد المُطاع . يجب إفراد الله بالرُّبوبية ، فهو وَحْدَه الخالق الرازق المُدبِّر ، وسيِّد كُل شيء ومالكه . والمسيحُ لم يَخلق شيئًا، ولم يَرزق أحدًا . إنه مخلوق مربوب مرزوق خاضع لخالقه . وبالتالي ، لا يُمكن أن يكون المسيح ربًّا ، إذ إن أفعاله بشرية ومُختلفة عن أفعال الله . واللهُ وَحْدَه هو الرَّب .

وقد وَقَعَ علماءُ النصارى في التأويل المُنحرف للنُّصوص الإنجيلية . ومِن الواضح أن كثيرًا مِنهم قد قرأ وصف المسيح بأنه رَب في الإنجيل . وهذا جعلهم يَعتقدون بأنه مُتَّصف بالألُوهية والرُّبوبية . ولم ينتبهوا إلى أن كلمة " رَب " له عِدَّة معانٍ مِثل : سَيِّد أو مالك أو زعيم . معَ وُجود نِيَّة فاسدة مُسبقة ، وغرقهم في مُستنقع الكفر والضلال ، وسَعْيهم الحثيث لتأليه المسيح ، واعتباره إلَهًا وربًّا وابن الله. وهذه العقائدُ الكفريةُ مُسيطرة عليهم سواءٌ ظَهَرَ الحق لهم أَم لم يَظْهر.

في [مَرْقُس ٢ : ٢٨] : ((فابن الإنسان هو رب السبت أيضًا !)) اهـ . وفي [الرسالة الثانية إلى كُورِنْثُوس ١ : ٣]:((تبارَكَ الله ، أبو رَبِّنا يَسوعَ المسيح)) اهـ. وفي [رسالة يَهوذا :٤]: ((ويُنكِرون سَيِّدَنا وربَّنا الوحيدَ يَسوعَ المسيح)) اهـ . وهذا الكفرُ البَوَاح ، والضلال المُبين ، والهَرْطقة الواضحة ، تدل على انحراف النصارى عن الحق ، وغرقهم في مُستنقع الباطل . وإذا كان المسيح هو رَب النصارى الوحيد كما في رسالة يهوذا ، فهذا يعني أن الله ليس رَبًّا ! . وهنا يَظهر التناقضُ الصارخ بين نصوص الإنجيل البشري . إذ إن هناك نصوصًا تقول إن الله رَب ، والمسيح رَب ، وشريك لله في رُبوبيته . وحَسَب رسالة يَهوذا فالمسيح وَحْدَه هو الرَّب ، وهذا يَنفي صفة الرُّبوبية عَن الله . وبذلك يتَّضح كُفر النصارى ، وغرقهم في التناقض والضلال .

٤_ تَسَلُّم السُّلُطات

إن المشكلة الجذرية في العقل الديني النصراني هي عدم التفريق بين الخالق والمخلوق . لذلك، تَمَّ إسناد صفات الله إلى العبد . ومِن الخرافات المتجذرة في الإنجيل البشري ، مَنح الله سُلطاته للمسيح . وإذا كان اللهُ قد تنازلَ للمسيح عن صفاته وسُلطاته ، فمن الذي يُسيطر على هذا الكَون بعد صَلْب المسيح _ حَسَب اعتقاد النصارى _؟ . وهل يَستطيع الإلهُ المصلوبُ على خَشَبَة تافهة لا تُساوي شيئًا أن يُسيطر على السماوات والأرضين والشمس والقمر ، ويُدبِّر أمور الكَون وشُؤون الخَلْق ؟! . إن عقائد النصارى مُخالفة للحق ، ومُصادمة للعقل ، وضِد المنطق .

وفي [مَتَّى ٢٨ : ١٨] : ((فتقدَّمَ يَسوعُ وكلَّمهم قائلًا : ((قد سُلِّمْتُ كلَّ سُلطة في السماء وعلى الأرض)))) اهـ . يعكس هذا النص غُلُوَّ النصارى في المسيح ، فهُم لم يَقتنعوا بأنه نبيٌّ كريمٌ ورسولٌ عظيمٌ ، وإنما رَفعوه فوق قَدْره ، وجعلوه إلَهًا مالكًا لكل سُلطة في السماء وعلى الأرض.أي إن الله سَلَّمَ ابْنَه المسيحَ جَميعَ السُّلطات ، واعتزلَ تَدبيرَ الكَون ، وتَرَكَ شُؤونَ الخَلْق، لأن جميع السُّلطات في السماء وعلى الأرض صارت بيد ابنه المسيح .

هذه الخُرافة المكشوفة تدل على عقائد التَّشبيه التي يَغرق فيها النصارى ، إذ إنهم يُشبِّهون الخالق بالمخلوق . وهُم يتصوَّرون في عقولهم المريضة أن الله مَلِك له ابن (وَلِيُّ العَهْد) ، وقرَّر المَلِكُ أن يتنازل عن سُلطاته الدُّستورية لابنه ، ويَعتزل الحياةَ السياسية ، لسبب أو لآخَر ، كما يحدث في كثير مِن الدُّوَل والممالك . وهذه الأوهامُ نقلها النصارى مِن عَالَم المخلوقات إلى صفات الخالق ، فَضَلُّوا وأضَلُّوا . وإذا كان المسيحُ قد سُلِّمَ كُل سُلطة في السماء وعلى الأرض ، فكيفَ تَمَّ صَلْبه وإعدامه على خَشَبَة ؟ . لماذا لم يُدافع عن نفْسه ؟ . لقد كان عاجزًا عن حماية نفْسه (وهو صاحب السُّلطات السماوية والأرضية) ، فكيفَ سيُدافع عن الناس والأتباع والمؤمنين بِه ؟ . وبعد صَلْب المسيح _ وَفْقَ اعتقاد النصارى _ ، مَن الذي يُدبِّر الكَوْنَ ويتحكَّم بكل تفاصيله ؟ . إن عقائد النصارى خُرافية أُسطورية قائمة على أفكار وهمية مُتخيَّلة ، وكُل هذا بسبب غُلُوِّهم الشديد في أمر المسيح ، وإخراجه مِن النُّبُوَّة إلى الأُلوهية . وهل يُوجد إلهٌ يَصْلبه العبيدُ على خَشَبَة ؟ . وهل يُوجد إله خاضع للموت ؟ . إن الله وَحْدَه هو الإله الحق ، وهو واحد في ذاته ، وواحد في أسمائه وصفاته . وهو مالك جميع السُّلطات السماوية والأرضية . والجميعُ يَعْلَم أن لا خالق ولا رازق إلا الله . ولو كان المسيحُ خالقًا رازقًا لوَجَبَت عبادته . ولكنه مَخلوق يأكل ويَشرب ويَقضي حاجته ، ويَتَبَوَّل ويَتَغَوَّط مِثل كل الناس . والمسيحُ شخصيًّا لَم يَقُلْ في الإنجيل إنه يُسيطر على السماوات والأرضين، وإنه مُتحكم بالشمس والقمر والكواكب والفصول، وإنه مُهيمن على الكَون ، ويُدبِّر شُؤون الخَلْق ، ولم يَقُلْ إنه خالق ورازق ، ولم يَقُل إنه يَملك جميع السُّلطات السماوية والأرضية . وهذا يدل على أن الآخرين كذبوا عليه ، ووصفوه بما لم يَصِفْ به نفْسَه ، ورفعوه فوق قَدْره . والمسيحُ عبد الله ورسوله ، وهذا تكليفٌ وتشريفٌ له . والمسيحُ لم يَقُلْ في الإنجيل إنه إله أو ابن الله ، أو إن له طبيعَتَيْن إلهية (اللاهوت) وبشرية (الناسوت) . فكيفَ يتم وصف المسيح بما لم يصف به نَفْسَه ؟ . إن الأكاذيب التي أُحِيطت بالمسيح قد جاءت مِن بنات أفكار الآخَرين ، وتصوُّراتهم الباطلة ، وخيالاتهم المريضة . ولم تَرِدْ على لسان المسيح في الإنجيل . ومَن يُخالف هذا الكلام أو يُعارضه ، فَلْيُقَدِّمْ لنا نصوصًا مِن الإنجيل على لسان المسيح تقول إنه إله أو ابن الله ، وإنه يَدعو الناسَ إلى عبادته . لا يُوجد نَص في الإنجيل على لسان المسيح ، يقول إنني إله فاعبدوني مِن دُون الله أو اعبدوني مَعَ الله . بَل على العكس تمامًا . لقد دعا المسيحُ إلى عبادة الله وَحْدَه ، بلا شريك ولا نِد . ولو كان هناك إلَهان لَفَسَدَ نظام الكَوْن. والفاتيكانُ له بابا واحد فقط . ماذا سيحدث لو كان هناك أكثر مِن بابا؟.

في [لُوقَا ١٠ : ٢٢] : ((كلُّ شيء قد سُلِّمَ إليَّ من قِبَل أبي، ولا أحد يَعرف مَن هو الابن إلا الآب)) اهـ . إن اللهَ قد أعطى المسيحَ جميع السُّلطات ، وسلَّمه كُلَّ شيء ، واعتزلَ تدبيرَ الكَون ، وتركَ شؤون الخَلْق . وصار المسيحُ هو المسؤول عن تدبير الكَون بكل ما فيه . ولكن السؤال:مَن يُدبِّر أمرَ الكَون بعد صَلْب المسيح وإعدامه على خَشَبَة_ حَسَب اعتقاد النصارى_ ؟.

إن النصارى يُؤمنون أن المسيح إله صُلِبَ على خشبة . وبعد مَوْته ، لم يَحدث اختلال في حركة الكَون ، ولم تصطدم الكواكب ، ولم يضطرب النهار والليل والشمس والقمر . وبَقِيَت عناصرُ الكَون مُتحركة ضمن نظام دقيق مُحكَم . وحَسَب الإنجيل المُحرَّف ، إن المسيح مالك جميع السُّلطات ، وتَسَلَّمَ كُل شيء ، والمفروض أنه عندما يُصلَب أو يموت ، يختل نظام الكَون، وتتساقط السُّلطات ، وينهار كُل شيء . وهذا لم يحدث . مِمَّا يدل بوضوح على بُطلان عقائد النصارى، وأن الله وَحْدَه هو مالك كل شيء، وبيده جميع السُّلطات، وأن المسيح عبد الله ورسوله، بلَّغ الرسالة ، وأدَّى الأمانة ، ونصحَ بني إسرائيل . والمسيحُ ليس إلَهًا ولم يُصلَب ، بَل رَفعه اللهُ إليه ، وسينزل المسيح في نهاية الزمان ليكسر الصليبَ ، ويُنهيَ الخرافة ، ويُعيد ترتيبَ العَالَمَ . ولا يُوجد إله يُصلَب على خشبة ، ويَقتله عبيده . إن الإله الحق هو الله وَحْدَه ، ولا قُدرة لمخلوق مصنوع معَ قُدرة الخالق الصانع .

وفي [الرسالة الأولى إلى كُورِنْثُوس ١٥: ٢٧و٢٨] : ((ولكن ، في قوله إن كل شيء قد أُخضِع ، فمن الواضح أنه يستثني اللهَ الذي جعل كلَّ شيء خاضعًا للابن . وعندما يتمُّ إخضاعُ كل شيء للابن ، فإن الابن نفسَه سيَخضع لمن أخضع له كلَّ شيء)) اهـ . هذا النصُّ الخُرافي متاهة حقيقية ، فالمسيحُ يُسيطر على كل شيء ، وأُخضِع له كل شيء باستثناء الله . أي إن اللهَ ليس خاضعًا للمسيح . وقد جَعل اللهُ كُلَّ شيء خاضعًا لابنه المسيح الذي وَرِثَ سُلطات أبيه ، وصارَ مُتَحَكِّمًا بكل شيء بعد أن اعتزلَ اللهُ تدبيرَ شُؤون الكَون والخَلْق ، ومَنَحَ كافة صلاحيته وسُلطاته لابنه المسيح كَي يُدير أمورَ الكَون ، ويُدبِّر شُؤونَ الخَلْق . وكنتيجة لإخضاع كل شيء للابن ، فإن الابن نَفْسَه سيخضع لله الذي أخضعَ له كُلَّ شيء . وهذه اللعبةُ تبادلية ، وإخضاع مُتبادل ، قائم على صفقة بين الله (المَلِك) وابنه المسيح الوريث (وَلِي العَهْد) لإدارة مملكة العالَم ، كما يحدث في دول عديدة وممالك كثيرة. وهذه الأوهام الباطلة ، والعقائد الكُفرية ، والأفكار الضَّالة، نابعة مِن تشبيه الخالق بالمخلوق ، وتصوير الكَون كدَوَلة فيها مَلِك يتنازل عن سُلطاته وصلاحياته لابنه ولي العهد ووريث العرش . وهذا يكشف بوضوح كُفر النصارى وضلالهم وجهلهم .

وفي [الرِّسالة إلى العِبرانيِّين ٢: ٧] : ((جَعَلْتَه أدنى من الملائكة إلى حِين ، ثُمَّ كَلَّلْتَه بالمجد والكرامة ، وأعطَيْتَه السُّلطةَ على كُل ما صَنَعَتْه يَداك)) اهـ . إن اللهَ جعل ابنه المسيح أقل رُتبة وأدنى منزلة من الملائكة إلى حِين (يعني لفترة زمنية بسيطة) . والمفروضُ أن المسيح إله وابن الله، ومنزلته أعلى من الملائكة، والملائكة خادمة لها ، فكيفَ يُصبح أقل رُتبة من الملائكة؟. وكيف تتفوَّق الملائكة (العبيد) على المسيح الإله ابن الله ؟ . ثُمَّ بعد ذلك كَلَّلَ اللهُ المسيحَ بالمجد والكرامة،وأعطاه السُّلطة المُطْلقة على المخلوقات والمصنوعات (كُل ما صنعته يَد الله).

إن عقائد النصارى قائمة على الغُلُوِّ الأعمى في السَّيد المسيح ، ونصوصهم الإنجيلية البشرية مُفكَّكة ، بلا سند نقلي ، ولا دليل عقلي . ولو كان المسيحُ مالكًا لكل السُّلطات ، ومُسيطرًا على كل شيء ، لحمى نفْسه من الصَّلْب ، وأنقذ نفْسه مِن الموت على خشبة مُجَلَّلًا بالخِزي والعار، وَفْقَ عقائد النصارى الباطلة . كما أن المسيح في الإنجيل لم يَقُلْ إنه مُسيطر على السماوات والأرضين والشمس والقمر والكواكب ، ويُدير عناصرَ الكَون ، ويُدبِّر شُؤون الخَلْق . مِمَّا يدل على أن علماء النصارى كذبوا على المسيح ، ونسبوا إليه ما هو مِنه بريء ، وقد تبعهم العوام والجُهَّال الغارقون في التقليد الأعمى ، واتِّباع دِين الآباء بلا تفكير ولا تدقيق . والمسيحُ الآن غير موجود في عالمنا ، وكُل عناصر الكَون سائرة بدقة واتِّزان وتوازن ، وخاضعة لنظام دقيق ، بدون خلل ولا اضطراب.فمن الذي يُدير الكَون ويُدبِّر أمور الخلائق ؟ . إنه الله الخالق الرازق وَحْدَه لا شريك له.

وفي [يُوحَنَّا ٥: ٢٢]: ((والآبُ لا يُحاكِم أحدًا ، بل أعطى الابنَ سُلطةَ القضاءِ كُلَّها)) اهـ.

إن الله قد اعتزلَ الحُكمَ والقضاءَ ، فلم يعد يُحاكم أحدًا ، ولا يَقضي بين الناس ، والسبب أنه أعطى سُلطةَ القضاء كُلَّهَا لابنه المسيح (وريث العرش وولي العهد) . وهذه الهرطقة القائمة على الغُلُوِّ الجنوني مفضوحة ومكشوفة. وهي محاولة يائسة لتأليه المسيح ، وإعطائه سُلطات ليست له، ورَفْعه فَوق قَدْره. ولو كان هذا النص صحيحًا، لكانَ المسيحُ هو الذي يُحاسب الناسَ يوم القيامة، ويُرسل مَن يشاء إلى الجنة ، ويُرسل مَن يشاء إلى النار ، وليس الله . وهذه دعوى عريضة لم يقلها المسيحُ ، وحاشاه أن يقولها . فهو نبيٌّ عظيم ورسول كريم ، أرسله اللهُ لهداية بني إسرائيل إلى عبادة الله وَحْدَه ، وليس لإضلالهم ونشر الشِّرك والكفر والضلال والكذب على الله تعالى . الجميعُ يَعلم أن المسيح مخلوق حادث وُجِدَ بعد إذ لم يكن . وهذا الكَونُ كان موجودًا قبل ميلاد المسيح ، وهو الآن موجود بعد رَفْع المسيح إلى السماء (حَسَب اعتقاد المسلمين) . وهو الآن موجود بعد صَلْب المسيح ومَوته (حَسَب اعتقاد النصارى) . والكونُ سائر بنظام دقيق بلا

مشكلات ، مِمَّا يدل على أن المسيح ليس هو صاحب السُّلطات ، ولا مالك كل شيء ، وليس بيده سُلطة الأمر والحُكم والقضاء.إنه مخلوق خاضع لسُلطة الله الذي يُحاسب الناسَ ويُحاكمهم، ويقضي بينهم ، وَحْدَه ، بلا شريك ، ولا نِد ، ولا صاحبة ، ولا ولد .

وفي [يُوحَنَّا ٨ : ١٥] : ((أمَّا أنا فلا أَحكُم على أحد)) اهـ . هذا النص ورد على لسان المسيح . لقد قال بصراحة إنه لا يَحكُم على أحد . وهذا يعني أنه لا يَملك سُلطة الحُكم ولا القضاء . وهذا النصُّ يُكذِّب النصَّ : ((والآبُ لا يُحاكِم أحدًا ، بل أعطى الابنَ سُلطةَ القضاءِ كُلَّها)) اهـ ، ويكشف بُطلانه ، ويَفضح التناقض والتلاعب والتحريف في الإنجيل البشري .

لقد قال المسيح بنفْسه إنه لا يَحكُم على أحد . إذن ، مَن الذي سيحكم على الناس إذا كان المسيحُ لا يَحكم عليهم ؟ . إن الله وَحْدَه هو الحَكَم الحاكم ، والقاضي العادل ، والآمِر النَّاهي ، بيده جميع السُّلطات بلا استثناء . والمسيحُ لا يَملك مِن أمره شيئًا ، وهذا ما ذَكَرَه المسيحُ عن نفْسه . وهذا اعتراف شخصي من المسيح ، إن جاز التَّعبير ، والاعتراف سيِّد الأدلة .

لقد غلا النصارى في المسيح غُلُوًّا شنيعًا ، وأخرجوه مِن حيِّز النُّبُوَّة والرسالة إلى الأُلوهية ، وجعلوا إلَهًا وربًّا وابنًا لله ، وجعلوه حَالًّا في الله ، والله حَالًّا فيه . كما جعلوا اللهَ والمسيحَ واحدًا. وهذا منتهى الكفر والضلال ، لأن الخالق خالق ، والمخلوق مخلوق . وصفاتُ الخالق كاملة ومُطْلَقة ومَعصومة ، أمَّا صفات المخلوق فهي ناقصة ونسبية ومحدودة ، ويعتريها النقص .

وهناك نصوص كثيرة في الإنجيل البشري تَعتبر اللهَ والمسيح شيئًا واحدًا ، وتعتقد بِحُلول الخالق في المخلوق ، وحُلول المخلوق في الخالق ، مِنها : ((أنا والآبُ واحد !)) [يُوحَنَّا ١٠: ٣٠] . ((عندئذ تعرفون ويتأكد لكم أن الآب فِيَّ وأني أنا فيه)) [يُوحَنَّا ١٠: ٣٨] . ((وإنما الآب الحالُّ فِيَّ هو يعمل أعماله هذه)) [يُوحَنَّا ١٤: ١٠] . إن الله هو خالق كُل شيء ومالكه ، وكُل ما سِوى اللهِ مخلوقٌ ، فكيفَ يَكون هناك مَخلوق يُشْبِه اللهَ الخالقَ أو يُشارِكه أو يُجانسه أو يَحُلُّ فِيه ؟! . تعالى اللهُ وتَقَدَّسَ وتَنَزَّه عن العُيُوب والنقائص . واللهُ واحد أحد فَرْد صمد ، ليس له ولد ولا والد . إذن ، لا يُكافئه أحد ، ولا يُشبهه ، ولا يُماثله ، ولا يُجانسه . وهنا يتجلى الفرق بين الخالق والمخلوق . واللهُ هو الخالق ، لا يَحُلُّ في الأشياء المخلوقة ، ولا تَحُلُّ الأشياءُ المخلوقة فيه . وما كان مَحَل الحوادث فهو حادث ، وما خالطته الحوادث فهو حادث ، وكُل الحوادث مُفتقِرة إلى مُوجِد ، والله غنيٌّ عن كُل شيء ، وهذا يَنفي صفة الحُدُوث عن الله . والحُدُوثُ هو وُجود الشَّيء بعد إذْ لم يكن.فالمسيحُ مخلوق حادث، والله هو الخالق القديم .

في [مَتّى ١٦ : ٢٧] : ((فإنَّ ابنَ الإنسان سَوفَ يَعود في مجد أبيه معَ ملائكته ، فيُجازي كلَّ واحدٍ حَسَبَ أعماله)) اهـ . إن النصرانية (المسيحية) قائمة على الغُلُوِّ والتطرف والإرهاب، وسَلْب صفات الله وخصائص أُلوهيته ورُبوبيته ، وإعطائها للمسيح ، لتصوير المسيح إلَهًا قادرًا مُسيطرًا على عناصر الكَون ، ومُتَحَكِّمًا بمصائر الناس . ومَتّى يُقرِّر أن المسيح سوف يعود في مجد أبيه معَ ملائكته ، مِن أجل مُحاسبة الناس ، ومُجازاة المُحسِن بإحسانه ، ومنحه الجنة ، ومُجازاة المُسيء بإساءته وإرساله إلى النار . وهذا النَّصُّ الإنجيليُّ الخُرافي يشتمل على تناقضات وكوارث وعقائد كُفرية وضلالات واضحة . لقد اعترفَ مَتّى أن المسيح " ابن الإنسان " ، ولم يقل مَتّى إن المسيح " ابن الله " . ومعلومٌ أن ابنَ الإنسانِ إنسانٌ ، وليس إلَهًا ، لأن الابن يُجانِس أباه، ويَحمل صفاته وخصائصه . وبما أن المسيح هو ابن الإنسان ، فهذا يعني أن الله ليس أبًا للمسيح، والمسيح ليس ابنًا لله . وإذا كانت مهمة المسيح مُحاسبة الناس ومُجازاتهم حَسَب أعمالهم ، فماذا يَفعل اللهُ ؟ . لقد اخترعَ مَتّى مشهدًا أسطوريًّا ، وتَخَيَّلَ أن الله (الأب / المَلِك) أعطى المسيحَ (الابن / ولي العَهْد) سُلطةَ مُحاسبة الناس ومُجازاتهم على أعمالهم ، واعتزلَ اللهُ بعد أن سَلَّم سُلطاته وصلاحياته لابنه المسيح وريث العرش وولي العَهْد . وسوفَ يعود المسيحُ لمحاسبة الناس ، وهو الذي عجز عن مُحاسبة الأشخاص الذين صَلَبُوه وقتلوه ! ــ وَفْقَ عقيدة النصارى ــ .

إن النصارى جعلوا المخلوق شريكًا للخالق ، ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل أيضًا ، سلبوا صفات الله وخصائص أُلوهيته ورُبوبيته ، ومنحوها للمسيح باعتباره الابن الذي وَرِثَ أباه ، واستلمَ كافة السُّلطات بعد اعتزال أبيه . وهذا كذبٌ واضح على المسيح . والمسيحُ عبد الله ورسوله، جاء لتعظيم الله وتقديس صفاته ، وإرشاد الناس إلى عبادة الله وَحْدَه . ومهمةُ الأنبياء محصورة في الدَّعوة والإرشاد والتَّبليغ ، وحساب العباد على رب العباد . واللهُ وَحْدَه هو الذي يُحاسب الناس ، ويُجازيهم على أعمالهم ، وبيده وَحْدَه الجنة والنار . والمسيحُ عبدٌ مأمور ، لا يَملك مِن أمره شيئًا، ومحاولة تأليهه ، وتصويره بأنه يَملك سُلطة محاسبة الناس ومُجازاتهم ، محاولة بائسة ويائسة ، ولم ينسبها المسيحُ لنفْسه ، ولا ادَّعاها . لو خَلَقَ المسيحُ الناسَ لحاسبهم وجازاهم ، ولكنه مَخلوق مِثْلهم. واللهُ وَحْدَه هو الخالق، الذي يُحاسب خَلْقه الذين هُم عباد له، ويُجازي المُحسِن بإحسانه، والمُسيء بإساءته . والمسيحُ لا يَملك الجنةَ ولا النار . واللهُ وَحْدَه هو خالقهما ومالكهما .

يُقدِّم الإنجيلُ البشريُّ المُحرَّفُ صورةً للمسيح باعتباره مُحاميًا عن الناس ، ومُمَثِّلًا لهم في حضرة الله (القاضي) . وبالتأكيد ، إن مهمة المُحامي هي الدفاع عن الناس ، وتمثيلهم على أحسن وجه ، وعرض وُجهة نظرهم ، وتقديم حُجَجهم . وفي [الرِّسالة إلى العِبرانيِّين ٩: ٢٤] : ((حيثُ يَقوم الآن بتمثيلنا في حَضرة الله بالذات)) اهـ . المسيحُ هو المُتحدِّث الرسمي باسم الناس، ويقوم بتمثيلهم في حضرة الله ، والدفاع عنهم . والإنجيلُ البشري يُحاول طَمْأنة النصارى بأنهم لن يكونوا وَحْدَهم ، لأن المسيح هو قائدهم ومُمثِّلهم أمام الله ، والمُحامي عنهم ، فلا داعي لأن يَقلقوا على مصيرهم ، لأن مصيرهم محفوظ بفضل المسيح وكَرَمه ، ولا داعي أن يخافوا بعد الموت ، لأن المسيح مُخلِّصهم ومُنقذهم . وهذه اللعبةُ المكشوفةُ هي الأساس الفكري لفكرة " الدِّين أفيون الشعوب " . إن الإنجيل البشري يُخدِّر الناسَ باسم الدِّين ، ويُدَغْدِغ عواطفهم باسم الصليب ، ويتلاعب بمصيرهم باسم المسيح . والإنجيلُ البشري يَخدع الناسَ ، ويُخدِّرهم ، ويُجري لهم عملية شبيهة بالتَّنويم المغناطيسي ، فيقضون الحياةَ في الكفر والضلال والضياع ، ويَغرقون في الأوهام ، ويَضيعون في السَّراب . وهؤلاء نِيام ، فإذا ماتوا انتبهوا ، ووجدوا النارَ الأبدية أمامهم ، وهي مصيرهم الحتمي ، ولا مجال للهرب منها ، ولا الإفلات مِن عذابها . والقاعدةُ الأساسية في هذا السياق : مَن خوَّفك حتى تلقى الأمنَ ، أفضل مِمَّن أمَّنك حتى تلقى الخوف ! . وهكذا ، يتَّضح أن نصوص الإنجيل البشري المُحرَّف عبارة عن مُخدِّرات دينية ، وحُبوب هَلْوسة عقائدية . وكأن الإنجيل البشري يقول للناس : ناموا وارتاحوا ، فإن المسيح يقوم الآن بتمثيلكم في حضرة الله . وهذا الوهمُ قاتل ، وهذه الخدعة مُهْلِكة . وهذا الأمرُ مُتَوَقَّع إذا عَلِمْنا أن أبرز مُقوِّمات الفكر النصراني (المسيحي) اللاهوتي هي أن الحصول على الخَلاص أو غُفران الخطايا هو هدية مجانية ، ونِعمة الله من خلال الإيمان بِيَسوع المسيح مَخَلِّصًا، وبالتالي ليس من شروط نَيْل الغُفران القيام بأي عمل تكفيري أو صالح . وهذا ما قاله مارتن لوثر ، وصارَ شعارًا للنصارى كُلِّهم على اختلاف طوائفهم (الكاثوليكية ، والبروتستانتية ، والأرثوذكسية) . وهذه الفكرةُ هي التي علَّمت النصارى الكسلَ والتَّوَاكُل في الأمور الدينية الصَّليبية والقضايا المعنوية الإنجيلية. و"مجانية النِّعمة الإلهية " تتجلى في صَلْب المسيح للتكفير عن خطايا الناس ، الذين صاروا بعد ذلك أطهارًا وأنقياء ، وأعمالهم صفحة بَيضاء .

وهذه العقائد النصرانية الباطلة القائمة على التقليد الأعمى ، والتَّسليم الفَوضوي ، والكسل الشامل ، والاستسلام الوهمي ، والنَّوم في السراب المُخَادِع ، هي التي جعلت كثيرًا من مُفكِّري الغرب وفلاسفته يَرَوْنَ أن الدِّين (النصرانية " المسيحية " المُسيطرة على الغرب) هي أفيون الشعوب،حيث يُخدِّرهم، ويَجعلهم يعيشون في الأوهام والخيالات والأحلام حتى يَصعقهم الموت، ويأتي بعده العذاب الأبدي في نار جهنم . واللهُ يغفر الذُّنوب جميعًا سِوى الشِّرْك ، فمن مات مُشْرِكًا فهو خالد في جهنم ، وليس لَدَيْه أيَّة فرصة للنجاة . وأسوأ أنواع الشِّرك جعل المسيح المخلوق إلَهًا شريكًا لله الخالق ، وابنًا له . وهذا هو الكفر البَوَاح ، والضلال المُبين .

وإليكَ هذه الاقتباسات من موسوعة ويكيبيديا ، وقد قُمْتُ بترتيبها على شكل نقاط :

أ _ " الدِّين أفيون الشعوب " ، أو " الدِّين أفيون الشعب "، هي أحد أكثر أقوال الفيلسوف والاقتصادي الألماني كارل ماركس اقتباسًا . اعتقدَ ماركس أن للدِّين بعض الوظائف العملية في المجتمع تُشبِه وظيفة الأفيون بالنسبة للمريض أو المُصاب ، فهو يُقلِّل مِن مُعاناة الناس المباشرة ، ويُزوِّدهم بأوهام طَيِّبة ، ولكنه يُقلِّل أيضًا من طاقتهم واستعدادهم لمواجهة الحياة الجائرة، عديمة القلب والروح التي أجبرتهم الرأسمالية أن يعيشوها .

ب _ في عام ١٧٩٨ م ، كتب نوفاليس في حُبوب اللقاح : ((دِينهم المزعوم يعمل بكل بساطة مثل الأفيون ، يُنشِّط ، يُخدِّر ، يُسكِّن الألمَ بواسطة الضعف)) .

ج _ في عام ١٨٤٠ م ، هاينرش هاينه أيضًا استخدمَ نَفْسَ القياس ، في مقال له : مرحبًا بكم في الدِّين الذي يَصُبُّ في الكأس المُر من الأنواع البشرية بَعْضَ الحُلو، قطرات مِن الأفيون الروحي ، وبعض قطرات من الحب والأمل والإيمان .

د _ تشارلز كينجسلي،الإكليريكي في كنيسة إنجلترا ، كتب ما يلي بعد أربع سنوات من ماركس: ((لقد استخدمنا الكتابَ المُقَدَّسَ كما لو كان مُجرَّد دليل الشرطي الخاص، جُرعة الأفيون لإزاحة الوحوش من كاهل المريض المُثقَل بها، مُجرَّد كتاب للحفاظ على الفقراء مَلْجُومين)).

إن النصرانية (المسيحية) هي أفيون الشُّعوب حقًّا وصِدْقًا ، والمفكرون والفلاسفة كانوا يَقصدون بالدِّين الذي هو أفيون الشعوب ومُخدِّرها " المسيحية " لأنها الدِّيانة المُسيطرة على الغرب، والثقافة ابنة الدِّين،والمفكر أو الفَيلسوف هو ابن بيئته. وجميعُ فلاسفة الغرب_مهما كانت عقائدهم _ عاشوا في بيئة نصرانية (مسيحية) غارقة في خُرافة " الإله المصلوب على خشبة تكفيرًا عن خطايا الناس " . وهذه الفكرةُ الباطلة هي التي فتحت المجال لانتقاد المسيحية وهَدْمها .

إن الإنجيل البشري المُحرَّف قائم على التناقض والاضطراب والفَوضى . فتارةً يَزعم أن المسيح صُلِبَ على خشبة ، وتارةً يقول إنه صَعِدَ إلى السماء دون ذِكر عملية الصَّلْب . والحقُّ أن المسيح لم يُصلَب ، وإنما صُلِبَ شَبيه المسيح . وقد رَفَعَ اللهُ المسيحَ إلى السماء ، وهو الآن موجود في السماء ، وسوفَ ينزل في نهاية الزمان كي يَكسر الصليبَ ، ويُحرِّر العالَمَ مِن الخرافة.

في [يُوحَنَّا ٣ : ١٣] : ((وما صَعِدَ أحدٌ إلى السماء إلا الذي نَزَلَ مِن السماء ، وهُوَ ابنُ الإنسانِ الذي هُوَ في السماء !)) اهـ . هذا النصُّ يُبيِّن أن المسيح صَعِدَ إلى السماء بدون صَلْب، فلا يُوجد ذِكر للصليب ولا خُرافة " الإله المصلوب " . كما يُبيِّن أن المسيح هو ابن الإنسان ، وابن الإنسان هو إنسان بالضرورة ، لأن الابن يَحمل صفات أبيه ويُجانسه ، مِمَّا يدل على أن المسيح ليس إلَهًا ولا ابنًا لله . وبما أن الإنجيل البشري خليط مِن الحق والباطل ، والصِّدق والكذب ، كان لا بُد مِن الوقوع في التناقض والاضطراب ، لأن إنجيل النصارى (المسيحيين) كتاب بشري ، ولا يوجد عمل بشري كامل ومعصوم ، لأن البشر مُعرَّضون للخطأ والضعف والسَّهْو والتناقض والاضطراب ، وكذلك أعمالهم . والناقصُ لا يُمكن أن يُصْدِر عملًا كاملًا ، والعملُ الكامل لا يَصْدُر إلا عن الكامل . والنصُّ السابق يقول بصراحة إن المسيح وَحْدَه هو الذي صَعِدَ إلى السماء . وهذا يتناقض ويتعارض مع ما ورد في [المُلوك الثاني ٢ : ١] : ((وكان عِند إصعاد الرَّب إيليَّا في العاصفة إلى السماء)) اهـ . هذا النصُّ التَّوراتي يُبيِّن أن الله قد أصعدَ إيليَّا إلى السماء . أي إن إيليَّا صَعِدَ إلى السماء ، وليس المسيح فَقط كما ورد إنجيل يُوحَنَّا . وهذا يَكشف التعارض والتناقض بين التَّوراة البشرية (العهد القديم) والإنجيل البشري (العهد الجديد). وللأسف ، كِلاهما يُكوِّنان ما يُسمَّى بالكتاب المُقدَّس . ونُلاحظ أن هناك سباقًا محمومًا بين اليهود والنصارى (المسيحيين) ، وصراعًا مُحتدمًا ، وتنافسًا غير شريف ، وكُل طرف يُحاول جاهدًا إعلاء قَدْر نفْسه ، وتعظيم منزلته ، وبيان أنه شعب الله المختار حصريًّا . والنصُّ التَّوراتي يقول إن إيليَّا صَعِدَ إلى السماء ، والنص الإنجيلي يقول إن المسيح وَحْدَه صَعِدَ إلى السماء ، وهذا تناقض ، وتكذيبٌ واضح للتَّوراة . وما طَرَأه الاحتمال ، سقط به الاستدلال . وكأن المشهد الذي رسمه اليهودُ والنصارى كالتالي : إن المسيح مُمثِّل النصارى ، وإيليَّا مُمثِّل اليهود ، وبينهما صراع وتنافس حول الجدير بالصعود إلى السماء ، وكُل طرف يَدعم مُمثِّله ويدعم أحقيته بالصعود.

رابعًا : إبطال ألوهية المسيح

إن قضية " أُلوهية المسيح " محسومة عند النصارى ، وهي عقيدتهم المركزية الرئيسية . ولكن هناك أسئلة لا بُد مِن طَرْحها . فعلى سبيل المثال : كيف يكون المسيح إنسانًا يأكل ويشرب ويتبوَّل ويتغوَّط ثُمَّ تعبده النصارى ، وتقول عنه إنه إله وابن الله ؟ . هل ورد في الإنجيل على لسان المسيح أنه قال : أنا إله ، فاعبدوني ، أو أيَّة صيغة مُشابهة ؟ . وما هذا الإله الذي لا يأمر الناسَ بعبادته ؟ . وبالتأكيد ، لا يُوجد إله مُتواضع ! . وإذا كان المسيح إلَهًا ، فكيفَ تَمَّ صَلْبُه ؟ . لماذا لم يُدافع عن نفْسه ضِد عبيده ؟ . وإذا عَجِزَ عن الدفاع عن نفْسه وحمايتها ، كيف سيحمي عبيده والمؤمنين به ؟ . إن فاقد الشَّيء لا يُعطيه . وهل يُوجد إله خاضع لعبيده ؟ . وصدق القائلُ :

إذا صُلب الإلهُ بفِعْل عَبدٍ يهودي فما هذا الإلهُ ؟

وما أجمل قَول القائل :

عَجَبًا للمسيحِ بين النصارى وإلى أيِّ والدٍ نسبوه !
أسْلَموه إلى اليهود وقالوا إنهم بعد ضَرْبِه صَلَبوه
فإذا كان ما يقولون حقًّا وصحيحًا فأيْنَ كان أبوه ؟
حين خلَّى ابنه رَهينَ الأعادي أتراهُم أرْضَوْه أم أغضبوه ؟
فلئن كان راضيًا بأذاهم فاحمدوهم لأنهم عَذَّبوه
ولئن كان ساخطًا فاترُكُوه واعبدوهم لأنهم غَلَبوه

١ـ تجريب إبليس للمسيح

في [مَتَّى ٤ : ١و٢] : ((ثُمَّ صَعِدَ الرُّوحُ بيَسوعَ إلى البَرِّيَّةِ لِيُجَرَّبَ مِن قِبَل إبليس. وبعدما صامَ أربعين نهارًا وأربعين ليلةً جاعَ أخيرًا)) اهـ . الصفات المذكورة في هذا النَّص الإنجيلي الأسطوري ، هي صفات نقص ، ولا يُمكن أن تكون صفات إله ، ولا حتى صفات نبيٍّ . وهذا النصُّ المُحرَّف يُقدِّم المسيح (يَسوع) كشخص ضعيف ذليل أمام إبليس وخاضع له . أي إن إبليس يَملك سُلطةً على المسيح . وإبليس يُجرِّب المسيحَ ، ويَختبره ، ويَمتحنه . وهذه إهانة

بالغة للسَّيد المسيح عبد الله ورسوله ، المُؤيَّد بِوَحْي السماء ، والمحفوظ بأمر الله . واللهُ يَرعى أنبياءه ، ويَعتني بهم ، ويَحميهم ، ويَعصمهم ، ولا يَجعل للشَّيطان سُلطةً عليهم . والأنبياءُ الكرام خاضعون لله وَحْدَه ، فهو الذي يَختبرهم ويَمتحنهم ، ليرفع درجاتهم ، ويَمنحهم المراتب العُليا في الدنيا والآخرة . ولا سُلطة للشَّيطان على نبيٍّ . فكيفَ يَكون للشَّيطان سُلطة على إله ؟ . إن النص الإنجيلي السابق ينسف خُرافة " أُلوهية المسيح " ، لأنه يُقدِّم المسيحَ كشخص ضعيف وعاجز وخاضع لغيره . والإلهُ الحق لا يكون ضعيفًا ولا عاجزًا ولا خاضعًا لأحد . وهذه هي صفات المسيح حَسَب النص الإنجيلي : أ _ خضوعه للرُّوح . ب_ تجريبه مِن قِبَل إبليس . ج _ الصِّيام. د_ الجوع . ولا يُعقَل أن تكون هذه صفات إله معبود . وهذا يَفضح كِذبة " أُلوهية المسيح " .

في [مَرْقُس ١ : ١٢ و١٣] : ((وفي الحالِ اقْتادَ الرُّوحُ يَسوعَ إلى البَرِّيَّةِ ، فقضى فيها أربعين يومًا وهو بين الوحوشِ والشَّيطانُ يُجَرِّبُه وكانت الملائكةُ تخدمُه)) اهـ . هذه التفاصيلُ الخُرافيةُ الوهميةُ تَطعن في السَّيد المسيح ، وتُبطِل أُلوهيته المزعومة ، كما تُبطِل نُبُوَّته الصحيحة ، لأن الشَّيطان لا يُجرِّب الإلهَ ولا يُجرِّب النبيَّ ، ولا سُلطة على الأنبياء إلا سُلطة الله وَحْدَه ، فهو الذي أرسلهم لهداية الناس ، وعصمهم من كل سُوء ، وحفظهم مِن كُل شَر . وإذا كان المسيحُ خاضعًا للشَّيطان ، وذليلًا أمامه ، ومُستسلمًا لامتحانه واختباره ، فهو شخص عادي مِثل العُصاة والمُذنبين من العوام والجُهَّال والدَّهماء والرَّعاع . والمسيحُ نبيٌّ كريم ، ورسول عظيمٌ ، له مكانة عظيمة ، ومنزلة سامية . صحيحٌ أنه ليس إلَهًا ولا ابنًا لله ، ومعَ هذا ، يجب تعظيمه واحترامه ، ووضعه في مكانته اللائقة به ، باعتباره عبد الله ورسوله . وهذا مُنتهى الشرف البشري .

في [مَتَّى ٤ : ٣] : ((فتقدَّمَ إليهِ المُجَرِّبُ وقالَ له : إنْ كنتَ ابنَ اللهِ، فَقُلْ لهذه الحجارةِ أن تَتَحَوَّلَ إلى خُبْزٍ!)) اهـ . إن تقديم المسيح كشخص خاضع للمُجرِّب ، ومُنصاع ومُستسلم لامتحانه واختباره ، يَطعن في المسيح ، ويُكذِّبه ، ويُسيء إلى صورته العظيمة . وهذا يُبطِل أُلوهية المسيح ، لأن الإله الحق لا يَخضع لأحد ، وكيف يُجرِّب العبدُ إلَهَهُ ؟ . إن المسيح عبد الله ورسوله ، واللهُ لم يَجعل سُلطة لمخلوق على أنبيائه ، ولا سُلطان على الأنبياء إلا سُلطان الله الذي أرسلهم . ولو كانَ الإلهُ خاضعًا لامتحان عبده ، أو لو كان النبيُّ خاضعًا لتجارب الناس ، فهذا يعني انهيار معنى الأُلوهية ، وبُطلان معنى النُّبُوَّة والرسالة ، وسوفَ ينتشر الكفر والضلال والفساد والانحراف في أرجاء المعمورة . وعندئذٍ ، تفقد الحياةُ معناها ، ولا يُصبح هناك معنى ولا جَدوى مِن وجود الله وإنزال الكتب السماوية وإرسال الرُّسُل . وهذا لا يَقول به عاقل .

في [لُوقَا ٤ : ٣] : ((فقالَ له إبليسُ: إنْ كُنتَ ابنَ اللهِ ، فَقُلْ لهذا الحجرِ أن يَتَحَوَّلَ إلى خُبْز)) اهـ . وفي [مَتَّى ٤ : ٨] : ((ثُمَّ أخذَه إبليسُ أيضًا إلى قِمَّةِ جَبَلٍ عالٍ جدًّا ، وأراهُ جَميعَ ممالكِ العالَم وعَظَمَتَها)) اهـ . إن عقائد النصارى قائمة على الفوضى العَقَدِيَّة ، والاضطراب الديني . وهُم غارقون في متاهات الوهم والشك . والغريبُ أن النصارى يَعتبرون المسيحَ إلَهًا وابنًا لله ، وهذه عقيدتهم المركزية ، ومعَ هذا ، فهُم يُصوِّرون المسيحَ كشخص ضعيف أمام إبليس ، ومُستسلم له ، حتى إن إبليس يَمتحنه ويَختبره ، ويأخذه إلى قمة جبل لِيُرِيَه ممالكَ العالَم . وهذا يعني بالضرورة أن المسيح خاضع لإبليس ، ومُنصاع لأمره ، وواقع تحت سيطرته . ومن كان هذا شأنه ، لا يُمكن أن يكون إلَهًا ، ولا ابنًا لله ، ولا نبيًّا ، ولا رسولًا . وما يُثير العجب أن النصارى (المسيحيين) بَنَوْا دِينهم على الغُلُوِّ في أمر المسيح ، وجعله إلَهًا ، وهذا أمر لا ينبغي له ، ولا يستحقه ، لأن الإله الحق هو الله وَحْدَه . ومعَ كُل هذا الغُلُوِّ في شأن المسيح وتأليهه ، نجد كُتَّاب الإنجيل البشري المُحرَّف يَعتبرون المسيحَ شخصًا ضعيفًا خاضعًا أمام الشَّيطان ، ومُنصاعًا لامتحانه ، ومُستسلمًا لاختباره وتجربته ، ومُمتثلًا لأمره . وهذه الفوضى الدينية العارمة تدل على التَّحريف والتلاعب بنصوص الإنجيل البشري ، والخلط الرهيب بين تأليه المسيح وبشريته، والتناقض الصادم بين اللاهوت (الطبيعة الإلهية) والناسوت (الطبيعة البشرية). وهذا أمر مُتوقع ، لأن الإنجيل كتاب بشري مُحرَّف ، وأعمال البشر خاضعة لأهوائهم ومصالحهم وتناقضاتهم واختلافاتهم . وأعمال البشر مُعرَّضة للخطأ والنِّسيان والسَّهْو والضَّلال ، لأنهم غير كاملين ولا مَعصومين . وبما أن علماء النصارى الضَّالين هُم الذين ألَّفوا الإنجيلَ ، وكتبوه ، وخلطوا فيه الحقَّ مع الباطل ، والإيمانَ معَ الكفر ، واليقين معَ الشَّك ، فَمِن الطبيعي أن يكون الإنجيل مُتناقضًا ومُضطربًا ومليئًا بالأخطاء والخطايا . والإنسانُ الناقص تكون أعماله ناقصة .

٢_ الصيام والجوع

في [لُوقَا ٤ : ١و٢] : ((أمَّا يَسوع فعادَ منَ الأُردنِّ مُمتلئًا منَ الرُّوحِ القُدُس . فاقتادَهُ الرُّوحُ في البَرِّيَّةِ أربعين يومًا وإبليسُ يُجَرِّبُه، ولم يأكلْ شيئًا طَوال تلكَ الأيَّام فلمَّا تَمَّت جاعَ)) اهـ. وفي [مَتَّى ٤ : ٢] : ((وبعدما صام أربعين نهارًا وأربعين ليلة جاع أخيرًا)) اهـ . ينسُب الإنجيلُ البشريُّ المُحرَّفُ صفاتِ النقص للسَّيد المسيح ، معَ أن النصارى يعتبرونه إلَهًا . فهو يَصوم

ويَجوع ويأكل ويشرب ويَقضي حاجته ، كما أن الرُّوح اقتاده في البَرِّية ، أي إن المسيح واقع تحت سَيطرة الرُّوح وأوامره . وإبليس أيضًا يُجرِّب المسيحَ ، أي إن المسيح واقع تحت سيطرة إبليس وامتحانه واختباره . فهل هذه صفات الإله العظيم المُسيطر على كل شيء ، الذي يَخضع له الناس ، ولا يَخضع لأحد ؟ . وهل هذه صفات النبيِّ الكريم المعصوم المُؤيَّد بِوَحْي السماء والمحفوظ بحفظ الله ورعايته ؟ . لقد أهانَ كُتَّابُ الإنجيلِ المسيحَ مِن حَيث لا يَشعرون ، وقدَّموا صورةً سيئةً له، وطعنوا في صفاته الكريمة باعتباره عبد الله ورسوله. وقد فضحوا أنفسهم بأنفسهم.

٣_ الصلاة لله

تُبيِّن نصوص الإنجيل أن المسيح كان يُصلِّي لله ، ويُظهِر خُضوعه لله ، واستسلامه له . في [لُوقَا ٦ : ١٢] : ((وفي تلك الأيام خرجَ إلى الجبل ليُصلِّيَ وقضى الليلَ كُلَّه في الصلاة للهِ)). وفي [لُوقَا ٢٢ : ٤١] : ((وركع يُصلِّي)) اهـ . وهذا يدل بوضوح على أن المسيح ليس إلَهًا ، لأن الإله الحق لا يَركع لأحد ، ولا يُصلِّي له ، ولا يَخضع له . وهذا دليل على أن المسيح عبد الله ورسوله ، وليس إلَهًا مَعَ الله ، ولو كان المسيحُ إلَهًا لَنافَسَ اللهَ ، وتكبَّرَ عليه ، كما يَفعل ملوك الدنيا في صراعهم وبيان نفوذهم. وعقيدةُ النصارى قائمة على وجود طبيعتَيْن للمسيح: طبيعة إلهية (اللاهوت) باعتباره إلَهًا وابنًا لله ، وطبيعة بشرية (الناسوت) باعتباره ابنًا للإنسان . وطوائفُ النصارى مختلفة أشد الاختلاف حول قضية " طبيعة المسيح " . فالكاثوليك يَعتبرون أن للمسيح طبيعتَيْن ، وكذلك البروتستانت . أمَّا الأرثوذكس فيعتبرون أن للمسيح طبيعة واحدة . وهذا التناقض والاختلاف والاضطراب والفوضى العَقَدِيَّة يدل على غَبَش الرؤية ، وعدم وضوح العقيدة . ومِن غَير المعقول أن يكون المخلوق (المسيح) إلَهًا وإنسانًا ، فكيفَ تجتمع الأُلوهية والبشرية في شخص واحد ؟ . الضَّدان لا يَلتقيان ، والمُختلفان لا يَجتمعان . وصفاتُ الأُلوهية تختلف عن صفات البشرية ، فكيفَ تجتمعان معًا في شخص واحد ؟ . إن الإله الحق هو الذي كان موجودًا قبل وُجود المسيح (ميلاده)،وهو الذي بَقِيَ بعد صَلْب المسيح ومَوته (حَسَب اعتقاد النصارى). والإلهُ الحق هو الذي يَخلق ويَرزق ، ويُسيطر على السماوات والأرض ، ويتحكَّم بالشمس والقمر والكواكب، ويُسيِّر الكَوْنَ بلا خلل ولا اضطراب ، ويُدبِّر شُؤون الخَلْق بلا ضعف ولا عَجْز ، ويَرزق الناس ويُنفق عليهم ، ولا يُصاب بالفقر ولا الإفلاس . فهل المسيحُ فَعَلَ شيئًا مِن ذلك ؟ . لو كان المسيحُ هو خالقنا ورازقنا لكانَ إلَهًا مُسْتَحِقًّا للعبادة . ولكنه لَم يَخلقنا ولَم يرزقنا. فلماذا نعبده ؟.

إن الله وَحْدَه هو الخالق الرازق باعتراف الجميع . إذن ، هو الإله الحق المستحق للأُلوهية والعبادة ، وَحْدَه لا شريك له ، وهذه ما جاء به جميعُ الأنبياء جميعًا . والإسلامُ (دِين التَّوحيد) هو الدِّين السماوي الوحيد ، ولا يَقْبَل اللهُ غَيْرَه ، وهو دِين جميع الأنبياء ، وعلى رأسهم خَاتَم الأنبياء محمدﷺالذي دعا الناسَ إلى عبادة الله وَحْدَه،وليس إلى عبادة محمد ولا موسى ولا عيسى ولا جِبريل ، ولا أي مَخلوق . ومِن حَق النصارى أن يُكذِّبوا محمدًا ﷺ في حالة واحدة فقط . لو أنه دعا الناسَ إلى عبادته . فعندئذ ، سيبدو الأمرُ تنافسًا مَعَ المسيح . النصارى يَعتبرون المسيحَ إلَهًا ، ومحمد يَدعو الناسَ إلى جَعْله إلَهًا ، كي يتفوَّق على المسيح . ولكن هذا لم يحدث . ومَن عَبَدَ غَيْرَ الله فهو كافر ، سواءٌ كان محمدًا أم موسى أم عيسى . وهذا دليل على صدق النبيِّ محمد ﷺ ، حيث إن دعوته المُحمَّدية الإسلامية واضحة وغير مُعقَّدة : أيُّها الناسُ ، إن الله هو خالقكم ورازقكم ، فاعبدوه وَحْدَه ، بلا شريك . ولا تَعبدوا محمدًا ، ولا مخلوقًا آخر . وهذه دعوة عادلة ومُنصفة . وعلى الناس أن يعبدوا خالقهم وَحْدَه . ولو كان محمد خالقنا لعبدناه ، ولو كان المسيح خالقنا لعبدناه . ولكن الله هو الذي خَلَقَنَا ، فعبدناه وَحْدَه ، بلا شريك ولا نِد .

٤_ الحُكم على المسيح بالموت وإهانته

في [مَتَّى ٢٠ : ١٨ و١٩] : ((ها نحن صاعدون إلى أُورُشَلِيم حيث يُسلَّم ابنُ الإنسان إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت، ويُسلِّمونه إلى أيدي الأمم فيسخرون منه ويجلدونه ويصلبونه)) اهـ . هذه الصورة البائسة التي جاءت على شكل نُبوءة ، تدل على تحريف الإنجيل ، والتلاعب به، وتحويله إلى كتاب بشري قائم على الأحداث الدرامية مِن أجل التَّشويق ، ونَيل التعاطف ، وَدَغْدغة المشاعر والأحاسيس . بدايةً ، يَعترف النصُّ الإنجيلي بأن المسيح هو ابن الإنسان ، ويُقدِّمه كإنسان وليس إلَهًا ولا ابنًا لله ، لأن ابن الإنسان بالضرورة هو إنسان . وهذا يهدم أُلوهية المسيح مِن أساسها ، وينسفها بشكل كامل . كما أن الصفات التي قدَّمها مَتَّى في نَصِّه المُحرَّف تُصوِّر المسيحَ كإنسان ضعيف ذليل مُستكين ، ومُستحيل أن تكون هذه هي صفات الإله . إن المسيح هو ابن الإنسان ، وتمَّ تسليمه إلى الرُّؤساء والزُّعماء كما يُسلَّم المجرمون ، وحَكموا عليه بالموت ، كما يَحكم القُضاة على المجرمين بالإعدام . ويُسلَّم المسيح إلى أيدي الأمم والشعوب ، فيسخرون مِنه ، ويَستهزئون به ، ويَجلدونه ، ويَصلبونه . وهذا مُنتهى الذل والخِزي والعار . والرَّجل المحترم مِن عامَّة الشعب لا يَقبل على نفْسه هذا ، فكيفَ قَبِلَ المسيحُ

على نفْسه هذه المهانة ؟ وكيف ارتضى لنفْسه هذه المنزلة الحقيرة والمكانة والوضيعة وهو إله وابن الله ؟ . هل يَقْبَل اللهُ أن يكون ابنه (المسيح) ذليلًا وضيعًا حقيرًا مُجَلَّلًا بالخِزي والعار؟. إن الرَّجل الشريف لا يَقْبَل لابنه ولا أحد من أفراد عائلته هذا الذل والمهانة ، فكيفَ يَقْبَل اللهُ أن يكون ابنه الوحيد (المسيح) في هذه المكانة الوضيعة ؟ . وكيفَ يَقْبَل المسيحُ وهو إله وابن الله على نفْسه أن يتم إذلاله على أيدي ناس عاديين ، المفروض أنهم عبيده ؟ . لماذا لم يُدافع المسيحُ الإله عن نفْسه ؟ . وإذا عَجِزَ عن الدفاع عن نفْسه وهو الإله المعبود ، كيف سَيُدافع عن أتباعه والمؤمنين به الذي يتوجَّهون إليه ويَطْلبون مِنه قضاء حوائجهم باعتبار الإله وابن الله ؟ . إن فاقد الشَّيء لا يُعطيه . وهذه الأكاذيبُ الإنجيلية المكشوفة تَفضح خُرافة " أُلوهية المسيح " ، وتُبطلها . وهي إهانة بالغة للسَّيد المسيح عبد الله ورسوله ، الذي حَفِظَه الله وعَصَمَه وكرَّمه وَحَمَاه مِن كُل سُوء وشر . وما يُثير السُّخرية أن النصارى عملوا جاهدين لتأليه المسيح ، ورَفْعه فوق قَدْره، وإعطائه منزلة أعلى مِنه ، ولا يَستحقها ، ثُمَّ نراهم يَطعنون فيه ، ويُشوِّهون صُورته ، ويُقدِّمونه كشخص ذليل غارق في الخِزي والعار ، مِثل المُجرمين واللصوص وقُطَّاع الطُّرُق . ونَحْنُ نُنَزِّه السَّيِّدَ المسيحَ عبد الله ورسوله عن هذه الأساطير والخُرافات والأكاذيب .

في [مَرْقُس ١٠ : ٣٣ و٣٤] : ((ها نحن صاعدون إلى أُورُشَليم وسوف يُسلَّم ابنُ الإنسان إلى رؤساء الكهنة وإلى الكَتَبة فيحكمون عليه بالموت ويُسلِّمونه إلى أيدي الأُمم فيسخرون منه ويَبصقون عليه ويجلدونه ويقتلونه)) اهـ . يتسابق أصحابُ الأناجيل لاختراع تفاصيل حزينة، وتخيُّل أحداث مؤلمة للمسيح ، مِن أجل صناعة أحداث ذات جَو درامي ، ومناخ مأساوي، وطابع دراماتيكي ، للتَّشويق ، ونَيل التعاطف ، ودَغْدغة الأحاسيس ، ومُلامَسَة المشاعر . وكُل صاحب إنجيل يزيد من عنده ما يشاء من تفاصيل وأحداث . والتفاصيلُ مُتناقضة ، والأحداث مُتضاربة . وها هُوَ مَرْقُس يُدْلي بِدَلْوه في هذا الموضوع ، ويزيد مِن عنده تفاصيل خُرافية ، ويخترع أحداثًا دراماتيكية غير موجودة عند أصحاب الأناجيل الآخَرين . ووَفْق مَرْقُس ، فإن المسيح ابن الإنسان ، وليس ابن الله ، يُسلَّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة ، فيحكمون عليه بالموت والإعدام ، ولا يَكْتفون بهذا ، بل أيضًا يُسلِّمونه إلى أيدي الأمم ، وتبدأ الأحداث المُشوِّقة القائمة على استدرار العطف : أ _ السُّخرية من المسيح . ب _ البصق عليه . ج _ جَلْده . د_ قَتْله . وهذه التفاصيل الخُرافية تَطعن في صورة المسيح ، وتُهينه ، وتُسيء إليه أشد الإساءة . والإنسانُ المحترم لا يَقْبَل على نفْسه هذه الأشياء ، ولا يَقْبلها على أي فرد من أفراد أُسرته ، لِمَا فيها مِن

الإساءة والاحتقار والمهانة والذل والخِزي والعار . فكيفَ يَقْبَل اللهُ على ابنه الوحيد (المسيح) هذه الأشياء ؟ . والنصارى يَعتبرون المسيحَ إلَهًا وابن الله ، فلماذا لم يُدافع عن نفْسه ؟ . إن هذا النص الإنجيلي البشري المُحرَّف يُبطِل أُلوهية المسيح ، ويَكشف أنها مُجرَّد كذبة غير منطقية .

وفي [لُوقَا ١٨ : ٣١و٣٢ و٣٣] : ((ها نحن صاعدون إلى أُورُشَلِيم وسوف تتم جميع الأمور التي كتبها الأنبياءُ عن ابن الإنسان: فإنه سيُسلَّم إلى أيدي الأُمم فيُستهزأ به ويُهان ويُبصَق عليه . وبعد أن يجلدوه يقتلونه)) اهـ . تناقضات وزيادات عند لُوقَا ، وتفاصيل اخترعها ، وهي غير موجودة عند غَيْره . ووَفْق لُوقَا ، فإن الأنبياء هُم الذين كتبوا مصيرَ المسيح ابن الإنسان ، وهذا يعني أن المسيح (الإله ابن الإله) حَسَب الأساطير النصرانية،خاضع لسُلطة الأنبياء . ويبدأ تسلسل الأحداث الدراماتيكية من تسليم المسيح إلى أيدي الأمم . وبعد ذلك تحدث الأمور التالية بترتيب لُوقَا : أ _ الاستهزاء به . ب _ إهانته . ج _ البصق عليه . د_ جَلْده .هـ_قَتْله.

وفي [مَرْقُس ١٤ : ٦٥] : ((فبدأ بعضهم يبصقون عليه ويغطون وجهه ويلطمونه ويقولون له : تنبأ !)) اهـ . هذه تفاصيل جديدة اخترعها مَرْقُس للتشويق والإثارة ونَيل التعاطف ، وابتكار مناخ حزين وجَو مأساوي : أ _ البصق على المسيح . ب _ تغطية وَجْهه .ج_ لَطْمه. د_ السخرية مِنه والاستهزاء به .

وفي [مَتَّى ٢٧ : ٢٨ و٢٩] : ((فجرَّدوه من ثيابه ، وألبسوه رداءً قِرمِزيًّا ، وجَدَلوا إكليلًا من شَوْك وضعوه على رأسه)) اهـ . وهذه تفاصيل جديدة اخترعها مَتَّى من أفكاره الشخصية وأهوائه الذاتية لصياغة مناخ حزين ومُؤثِّر : أ _ تجريد المسيح من ثيابه (تعريته) . ب_ إلباسه رداءً قِرْمِزيًّا (أحمر) وهو لون ثياب الإعدام . ج _ وضع إكليل مِن الشَّوْك على رأسه .

وفي [مَتَّى ٢٧ : ٣٠و٣١] : ((وبصقوا عليه وأخذوا القصبة منه وضربوه بها على رأسه . وبعدما أوسعوه سخرية نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه وساقوه إلى الصَّلْب)) اهـ . وهذه تفاصيل جديدة اخترعها مَتَّى لاستدرار عطف الرأي العام : أ _ البصق على المسيح . ب_ ضربه بالقصبة على رأسه . ج _ السُّخرية منه . د_ نزع ردائه وإلباسه ثيابه . هـ _ اقتياده إلى الصَّلْب .

وفي [مَتَّى ٢٧ : ٣٥] : ((فصلبوه ، ثم تقاسموا ثيابَه في ما بينهم مُقترعين عليها)) اهـ . يَكشف مَتَّى عمَّا حدث بعد عملية الصَّلْب المزعومة ، حيث تقاسموا ثيابه ، وأجْرَوا القُرعة عليها.

وهذه التفاصيلُ المتناقضة ، والأحداث المتضاربة ، كُلها تكشف عملية تحريف الإنجيل ، كما أنها تُبطِل أُلوهية المسيح ، ولا يُمكن للإله الحق أن يتعرَّض لهذا الذل على أيدي عبيده .

٥_ عَجْزه عن حماية نفْسه

في [مَتَّى ٢٧ : ٤٠] قال المَارَّة مُخاطبين المسيح الإله المُعلَّق على خشبة الصليب : ((يا هادم الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام ، خَلِّصْ نفسَك ! إن كنتَ ابنَ الله فانزلْ عن الصليب !)) اهـ .

كلامُ المارَّة قائم على السُّخرية والاستهزاء ، ولكنه يَحمل وجهة نظر منطقية . إذا كان المسيحُ هادم الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام ، فكيفَ يَعجز عن تخليص نفْسه من خشبة الصَّليب ؟. وإذا كان المسيحُ إلَهًا وابنًا لله ، فكيف لا يَستطيع النُّزول عن الصَّليب ؟ . وما هذا الإله العاجز عن إنقاذ نفْسه وحمايتها ، كيفَ سيُنقِذ الآخرين ويَحْميهم ؟ . فاقد الشَّيء لا يُعطيه . ومَن كان عاجزًا عن إنقاذ نفْسه وحمايتها ، فهو أكثر عجزًا عن إنقاذ الناس وحمايتهم . وهذا دليل واضح ومنطقي ، يُبطِل أُلوهيةَ المسيح ، ويَكشف تحريفَ الإنجيل وتغييره وتبديله والتلاعب به .

٦_ دَفْنه في القبر

في [مَتَّى ٢٧ : ٦٠]:((ودفَنَه في قبره الجديد)) اهـ . لقد تَمَّ دفن المسيح الإله وابن الله في قبره ، وليس أي قبر . إنه قبر جديد ، تَمَّ إعداده خِصِّيصًا لدفن المسيح باعتباره الإله المصلوب على خشبة . والسؤال الذي يطرح نَفْسَه : مَن كان يُسيِّر أمورَ الكَون ويُدبِّر شُؤون الخَلْق عندما صُلِبَ المسيح الإله ودُفِنَ في قبره الجديد ؟ . هذا دليل على أن المسيح ليس هو الإله ، لأن الإله الحق لا يَموت ولا يُصلَب ولا يُدفَن . إن الله وَحْدَه هو الإله الحق ، خَلَقَ الموتَ ولا يموت . أمَّا المخلوقاتُ فهي محكومة بالموت ، وكُل الناس سائرون إلى قبورهم . واللهُ أنقذَ المسيحَ مِن الصَّلْب والقتل ، ورفعه إلى السماء ، فهو موجود الآن في السماء ، وسوفَ يعود في نهاية الزمان ليكسر الصليبَ ، ويُحرِّر العَالَمَ مِن الخرافات والأوهام والأساطير . وبعدها سيموت على الأرض ، كما مات جميعُ الأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ .

٧_ حاجة الرب إلى حمارة وجحش

في [مَتَّى ٢١ : ١و٢و٣] : ((أرسل يَسوعُ اثنين من تلاميذه ، قائلًا لهما : ادخلا القرية المقابلة لكما تجدا في الحال أتانًا مربوطة ومعها جحش فَحُلَّا رباطهما وأحضراهما إليَّ . فإن اعترضكما أحد ، فقولا : الرب بحاجة إليهما)) اهـ .

إن الإله الحق غنيٌّ عن كل شيء ، لا يحتاج شيئًا ، وكُل شيء يحتاجه . وما هذا الرب الذي يحتاج إلى أتان (حمارة) وجحش ؟ ، وما هذا الإلهُ الذي يحتاج إلى الحيوانات ؟ . هذا النص دليل على أن المسيح إنسان لا إله . ولو كان إلَهًا لَمَا احتاجَ إلى حمارة وجحش . لقد أساءَ أصحابُ الأناجيل إلى المسيح ، وأهانوه ، وكذبوا عليه ، وتلاعبوا بشخصيته ، فتارة هو إله ، وتارة ابن الله ، وتارة ابن الإنسان ، وتارة مصلوب ، وتارة مدفون ، وتارة هو الرب الذي يحتاج إلى حمارة وجحش ، وحياته ستتعطَّل بدونهما . وهذا التناقض الصارخ ، والاختلاف الواضح ، والفوضى العارمة ، يدل على تحريف الإنجيل ، والتلاعب به ، وتبديله ، وتغييره . وفِكر عُلماء النصارى قائم على سُوء النِّية ، وفساد القَصْد ، والتأويل المَصْلحي النَّفعي الباطل للنصوص . ومعلومٌ أن لفظة " الرب " تأتي بمعنى السَّيد ، ولكن علماء النصارى جعلوا معناها " الإله " من أجل تأليه المسيح. كما أن عبارة " ابن الله " أو " أبناء الله " تدل على الإضافة للتَّشريف والمِلْك، ولكن علماء النصارى حملوا المعنى على البُنُوَّة الحقيقية لا المجازية ، فَضَلُّوا وأضَلُّوا .

٨_ نَسَبُ المسيح

العجيبُ في أمر النصارى أنهم يعتبرون المسيحَ إله وابن الله ، ثُمَّ بعد ذلك يَنسبونه إلى بشر. وهذا النَّسَبُ البشري متناقض ومُتعارض ، وأصحابُ الأناجيل البشرية مختلفون عليه . وإذا كانت الأناجيل غير مُتَّفقة على نَسَب المسيح (إله النصارى وابن الله _ حَسَب عقيدتهم_) ، وهذه قضية مركزية في غاية الأهمية ، فعلى ماذا يتَّفقون ؟ . ولا يَخفى أن النَّسَب البشري للمسيح يدل على أنه إنسان وبشر لا إله ولا ابن الله .

في [مَتَّى ١ : ١و٢] : ((هذا سِجِلُّ نَسَبِ يَسوعَ المسيحِ ابنِ داودَ ابنِ إبراهيم : إبراهيمُ أنجب إسحاق . وإسحاقُ أنجب يعقوب . ويعقوبُ أنجب يهوذا وإخوته)) اهـ .

وفي [لُوقَا ٣ : ٢٣ و٢٤] : ((وكان _ أي السَّيد المسيح _ معروفًا أنَّهُ ابنُ يوسُف ابنِ عالي بن مَتْثات بن لاوي بن مَلْكي بن يَنَّا بن يوسُف)) اهـ .

مَتَّى ولُوقَا مُختلفان حول سلسلة نَسَب المسيح ، وهذا النَّسَب مُتناقض ومُتعارض ومَشكوك فيه، وما طَرَأه الاحتمال سقط به الاستدلال. ولو كان الرُّوحُ القُدُس قد اختارَ أصحاب الأناجيل ، لَمَا وقعوا في التناقض والاختلاف . ولو كان أصحاب الأناجيل يَعرفون المسيحَ لَمَا جَهلوا نَسَبَه . وهذا يدل على تحريف الإنجيل وتبديله والتلاعب بنصوصه .

وفي [الرسالة إلى العِبرانيِّين ٧ : ١٤] : ((إذ من الواضح تاريخيًّا أن رَبَّنا يَرجع بأصله البشري إلى يَهوذا)) اهـ . هذا النص مُتناقض في ذاته ، فكيف يكون للرَّب نَسَب إنساني وسلسلة بشرية ، المفروض أن الرَّب مِن سلالة آلهة تليق بمقامه ، وليس من سلالة بشر عاديين . وتناقضُ النصارى يَرجع إلى سُوء التأويل القائم على المصلحة الشخصية والمنفعة المادية . إذ إنهم اعتبروا لفظ " الرب " دليلًا على أُلوهية المسيح . في حِين أن كلمة " الرب " تكون بمعنى السَّيد. وهذا التأليه الفوضوي للمسيح ، وهو إنسان ، يأكل ويشرب ويقضي حاجته ، مُتَعَمَّدٌ ومَقصود ، وليس بريئًا ، وهو قائم على الأهواء والمصالح ، ولا يقوم على الحُجَج والأدلة والبراهين . وهكذا، يتَّضح غُلُوُّ النصارى في أمر المسيح ، وفوضى عقائدهم ، وخَلْطهم الرهيب بين الأُلوهية والبشرية.

وفي [مَتَّى ١ : ١٨] : ((أمَّا يَسوع المسيحُ فقد تَمَّت ولادته هكذا : كانت أمُّه مريم مخطوبةً لِيُوسُف ؛ وقبل أن يجتمعا معًا ، وُجدت حُبلى من الرُّوح القُدُس)) اهـ . هذا دليل على أن المسيح بشر وإنسان ، وهو ابن مريم التي حملت به بدون زَوْج ، وليس المسيحُ إلَهًا ولا ابنًا لله. وإذا كان النصارى استغلوا هذه المُعجِزة العجيبة والحادثة غَير المعهودة لجعلَ المسيح إلَهًا . فعليهم أن يَجعلوا آدم إلَهًا ، لأن آدم خُلِقَ بدون أب ولا أم ، وهذا أشد عجبًا مِن خَلْق المسيح الذي له أُم ، وليس له أب .

وبشكل عام ، لا معنى للنَّسَب البشري للمسيح عند المسلمين والنصارى معًا ، لأن المسلمين يَعتقدون أن المسيح عيسى بن مريم بلا أب ، والنصارى يعتقدون أنه ابن الله . إذن ، لا معنى للنَّسَب البشري للمسيح في الحالتين .

والجديرُ بالذِّكر أن المسيح يُنكِر نِسبته إلى داود : ((فإن كان داودُ يَدعوه ربَّه ، فكَيفَ يكون ابنَه ؟)) [متَّى ٢٢: ٤٥] . يعني أن داود يَعتبر المسيح ربًّا له ، فكيف يكون المسيحُ ابنًا لداود وربًّا له في آنٍ معًا ؟ . ومع هذا يَنسِب لُوقَا في إنجيله [لُوقَا ٣: ٣١] المسيحَ إلى داود . وهذا تناقض واضح ، وتكذيب للنص الإنجيلي عند متَّى . وفي [الرُّؤيا ٢٢ : ١٦] أن المسيح قال : ((أنا أصلُ داود ونَسلُه)) اهـ . هذا يعني أن المسيح هو أبو داود وابنه في آنٍ معًا . وهذا تناقض واضح ، فمن المُستحيل أن يَجتمع الضِّدان في نفْس اللحظة وفي نفْس الشخص . وهذا يتعارض مع إنكار المسيح لنِسبته إلى داود ، كما في نَص مَتَّى .

وهذه الفوضى العارمة ، سببها هو الغُلُوُّ في المسيح ، وإخراجه مِن النُّبُوَّة إلى الأُلوهية اتِّباعًا للأهواء الشخصية والمصالح المادية والمنافع الذاتية ، وبدون دليل نقلي ولا حُجَّة عقلية .

وفي [مَتَّى ١ : ٢١] : ((فستلد ابنًا وأنتَ تُسمِّيه يَسوع)) اهـ . أي إن مريم ستلد ابنًا ، وخطيبها يُوسُف هو الذي سَيُسمِّيه يَسوع . وفي [لُوقَا ١ : ٣١] : ((وها أنت ستحبلين وتلدين ابنًا وتُسمِّينه يَسوع)) اهـ. هذا تناقض صارخ، لأن النَّص الأول يتحدَّث أن يُوسُف (خطيب مريم) هو الذي سيُسمِّيه يَسوع ، والنص الثاني يتحدَّث أن مريم هي التي ستُسمِّيه يَسوع ! .

٩_ غسل أقدام التلاميذ

في [يُوحَنَّا ١٣ : ٥]: ((وبدأ يَغسل أقدامَ التلاميذ ويمسحها بالمِنشَفَة التي على وَسَطه)). اخترعَ علماء النصارى هذا المشهد ، من أجل تصوير المسيح كإنسان متواضع ، لا يَعرِف الحِقدَ ولا التَّكَبُّر ، فهو يَغسل أقدام التلاميذ ، ويَمسحها بالمِنشفة التي يَلَفُّ نَفْسَه بها ، وهو بذلك يقوم بدور الخادم المُخلص الأمين ! . وهذه فكرة خيالية ، لا أساس لها مِن الصِّحة . إن غسل أقدام الناس ومَسْحها بالمنشفة دليل الذل والخِزي والعار ، وليس له علاقة بالتواضع ولا الأخلاق الحميدة. ولا يُمكن لأي شخص محترم صاحب مكانة اجتماعية أن يقوم بهذا العمل الدَّنيء الوضيع . فكيفَ يقوم به المسيحُ وهو إله وابن الله _ حَسَب اعتقاد النصارى _ ؟ . وكيف يقوم به المسيح وهو عبد الله ورسوله _ حَسَب اعتقاد المسلمين _ ؟ . إن التَّواضع هو احترام الآخرين ، ومُعاملتهم بِلِين ورِفق وأدب وتسامح ، والابتعاد عن الغرور والعَجْرفة ، وعدم التكبُّر عليهم ، وليس مسح أحذيتهم ، أو غسل أقدامهم وتَنشيفها . هذا أمر وضيع لا يليق بالمسيح ، وهو إهانة له، وتَشويه لصورته ، وتلطيخ لسُمعته .

وحَسَب اعتقاد المسلمين ، إن الله أرسلَ المسيح (عبد الله ورسوله) لهداية بني إسرائيل ، وإرشادهم إلى تَوحيد الله ، وطاعته ، وعبادته ، وَحْدَه لا شريك له ، وليس لمسح أحذية الناس ، أو غسل أقدامهم وتنشيفها. هذا طَعْنٌ واضح في صُورة المسيح كنبيٍّ كريم ، ورسول عظيم . والأمرُ لا علاقة له بالأدب والتواضع . وغسلُ الأقدام وتنشيفها لا يَليق بالمسيح نبيِّ الله ورسوله .

وحَسَب اعتقاد النصارى ، إن الله أرسلَ المسيح (ابنه الوحيد) كَي يتم صَلْبه وإعدامه على خَشَبة ، تكفيرًا عن خطايا البشرية ، وفِداءً للإنسانية ، وليس لمسح أحذية الناس ، أو غسل أقدامهم وتنشيفها . هذا الأمرُ لا يليق بالمسيح الإله وابن الله . فلا يُعقَل أن الله يُرسِل ابنه الوحيد لغسل أقدام الناس وتنشيفها بِدَعوى الأدب والتواضع . إن الرَّجل المحترم لا يَقْبَل على نفْسه ولا أي فرد من عائلته هذه المهانة ، فكيفَ يَقبل اللهُ على ابنه هذه المهانة ؟ . وهذا النص الإنجيلي

الخُرافي دليل على بُطلان أُلوهية المسيح . وهو يَكشف أكاذيب أصحاب الأناجيل ، وخُرافاتهم ، وأساطيرهم . وهذا طَعْنٌ واضح في المسيح ، وإذلال له ، وإهانة له . والمسيحُ أعظم قَدْرًا ، وأرفع مكانةً مِن غسل أقدام تلاميذه وتنشيفها بالمِنشفة التي كان يَلُفُّها على وَسَطه ! .

١٠ _ التألم والتَّعَرُّض للتجارب

في [الرِّسالة إلى العِبرانيِّين ٢ : ١٨] : ((وبما أنه هو نَفْسَه ، قد تألم وتعرَّض للتجارب ، فهو قادرٌ أن يُعين الذين يتعرَّضون للتجارب)) اهـ . هذا النص متناقض وغير منطقي ، لأنه يقول إن المسيح شخصيًّا تألَّمَ وتعرَّضَ للتجارب ، وبالتالي فهو يَملك القُدرة على إعانة الأشخاص الذين تعرَّضوا للتجارب . وهذا كلام غير منطقي ، لأن المسيح _ وَفْق الميثولوجيا النصرانية _ تألَّمَ وعانى وتعرَّضَ للإهانة والضرب والصَّلْب والقتل . ولم يستطع أن يُدافع عن نفْسه ، ولم يَقْدِر على إعانة نفْسه، وإنقاذها مِن هذا الذُّل والخِزي والعار. فكيفَ يَقْدِر على إعانة الآخرين ومُساعدتهم؟. إن الشخص العاجز عن حماية نفْسه وإعانتها ، أكثر عَجْزًا عن حماية الآخرين وإعانتهم . وفاقدُ الشَّيء لا يُعطيه . وهذا دليل على أنه المسيح ليس إلَهًا ولا ابنًا لله . ولو كان كذلك ، لَمَا تجرَّأ عليه عبيده ، وضربوه ، وأهانوه ، وصلبوه ، وأعدموه ، وتقاسموا ثيابه ، حَسَب نصوص الإنجيل البشري المُحرَّف . إن الإله الحق مُنَزَّه عن هذه الخرافات ، وهو القوي العزيز الذي يَحمي عبيده من كل سُوء وشر ، ولا يكون عاجزًا ولا ضعيفًا ولا ذليلًا .

وكما أن فاقد الشَّيء لا يُعطيه ، فكذلك إنَّكَ لن تجنيَ مِن الشَّوْك العنبَ . وفي [مَتَّى ٢٧ : ٢٩] : ((وجَدَلوا إكليلًا من شَوْك وضعوه على رأسه)) اهـ . ما هذا الإلهُ الضعيف العاجز الذي وضع عبيدُه إكليلًا مِن شَوك على رأسه ؟. لقد عَجِزَ عن حماية نفْسه ، وبالتالي لن يَحميَ الآخرين، ولن يُعين المؤمنين بِه ، ولن يساعد أحدًا ، وهو العاجز عن مساعدة نفْسه . وهذا يُبطل أُلوهية المسيح ، ويَكشف أنها فكرة خيالية وهمية ، اخترعها علماء النصارى ، تحقيقًا لأهوائهم الشخصية ، ومصالحهم المادية ، ومنافعهم الذاتية . وهي فكرة باطلة نَقْلًا وعقلًا ، وتدل على خَلْط مُتعمَّد بين صفات الله (الإله) وصفات المسيح (المخلوق) . وهذا يُشير بوضوح إلى أن الإله الحق هو الله وَحْدَه ، لا شريك له ، ولا صاحبة ، ولا ولد . أينَ كان المسيحُ عندما خَلَقَ اللهُ السماوات والأرضين والشمس والقمر ، وخلق آدم (أبو البشرية) مِن تُراب ؟ . وهل يُوجد إله يُصلَب ويموت ويُدفَن في قبر جديد ؟ . إن الإله إله ، والمخلوق مخلوق . ويجب التفريق بينهما.

١١ـ شهادة المسيح لنفْسه

في [يُوحَنَّا ٥ : ٣١] أن المسيح قال : ((لو كُنتُ أُؤدِّي الشَّهادةَ لنفْسي ، لكانت شَهادتي غيرَ صادقة)) اهـ . وفي [يُوحَنَّا ٨ : ١٤] أن المسيح قال : ((معَ أني أَشهدُ لنفْسي فإنَّ شَهادتي صحيحة)) اهـ . هذا تناقض واضح ، واختلاف ظاهر . إن النص الأول يُبيِّن أن شهادة المسيح لنفْسه غير صادقة ولا صحيحة، ولا وزن لها . وهذا يعني أن المسيح خاضع لسُلطة عُليا، ولا يَملك السُّلطةَ للشَّهادة لنفْسه . وهذا يُبطِل أُلوهيةَ المسيح المزعومة ، لأن الإله لا يكون خاضعًا لأحد . وإذا كانت شهادة المسيح الإله وابن الله ـ حَسَب اعتقاد النصارى ـ لنفْسه غير صادقة ، فَمَن الذي يَشهد له ؟ . إن الله يَشهد له ، وهذا يدل على خُضوع المسيح لسُلطة الله وَحْدَه لا شريك له . وهذا دليل واضح على أن الإله الحق هو الله وَحْدَه ، أمَّا أُلوهية المسيح المزعومة فهي خُرافة وأُكذوبة . والنص الثاني يُبيِّن أن المسيح شَهِدَ لنفْسه ، وكان شهادته صحيحة وصادقة ! . وهذا تناقض في مُنتهى الوضوح ، ويُشير إلى كثرة الأيدي التي حرَّفت الإنجيلَ ، وغيَّرت نصوصه ، وبدَّلتها ، وتلاعبت بها . وقد صارَ الإنجيلُ إناجيلَ مُتعدِّدة ومُتناقضة ومُتعارضة، مِمَّا يُشير إلى أن إنجيل النصارى الذين بين أيديهم هو كتاب بشري مُحرَّف ، أمَّا الإنجيلُ الذي أنزله اللهُ على المسيح فهو كتاب سماوي مُنَزَّه عن الخطأ والتناقض والخُرافات . وهذا الإنجيلُ غير موجود في هذا العالَم .

***

خامسًا : وَحدانية الله

لا يوجد نص في الإنجيل على لسان المسيح يقول : إنني إله ، أو : اعبدوني . أو أيَّة صيغة مُشابهة.والمنطقُ يقول إن الإله يَأمر عبيده بعبادته وطاعته والخضوع لأمره ، ولا يُوجد إله مُتواضع، أو يُجامل الناسَ ويُحابيهم . وهذا دليل على أن المسيح ليس إلَهًا . واللهُ وَحْدَه هو الإله الحق .

١ _ عبادة الله وَحْدَه

هناك نصوص إنجيلية كثيرة تدعو إلى عبادة الله وَحْدَه ، باعتباره الإله الحق ، ولا إله غَيْرُه ، وهذا يُشير إلى أن المسيح عبد الله ورسوله ، أرسله اللهُ بالإسلام (دِين التَّوحيد) لهداية بني إسرائيل وإرشادهم ودَعوتهم إلى الحق . إذن ، كيف يَخترع علماءُ النصارى عقيدة التَّثليث ؟ ، وكيف جَعلوا المسيح إلَهًا مَعَ الله وابنًا له ؟ . هذا يُشير إلى خضوع عُلماء النصارى لأهوائهم وأمزجتهم ومصالحهم الشخصية .

في [يُوحَنَّا ١٧ : ٣] أن المسيح قال : ((والحياةُ الأبدية هي أن يَعرفوك أنتَ الإلهَ الحقَّ وَحدَك)) اهـ . إن المسيح يَدعو بصراحة إلى معرفة الله ، فهو الإله الحق وَحْدَه . وهذا اعتراف من المسيح بلسانه بأنه ليس إلَهًا ولا ابنًا لله ، لأن ابن الإله إله. وبما أن الله وَحْدَه هو الإله الحق، فهذا يعني أن المسيح ليس إلَهًا ولا ابن إله ، وأنه عبد الله ورسوله . وقد لخَّص المسيحُ الحياةَ الأبديةَ بأنها معرفة أن الله هو الإله الحق وَحْدَه . وهذه هي عقيدة التَّوحيد التي جاء بها الأنبياء جميعًا ، وجاءت بها الكتب السماوية (القُرآن ، التَّوراة ، الإنجيل) . وبما أن الله وَحْدَه هو الإله الحق ، إذن يجب عبادته وطاعته وَحْدَه ، بلا شريك ، ولا نِد ، ولا صاحبة ، ولا ولد . ووَحدانيةُ الله هي " لا إله إلا الله " ، أي : لا مَعبود بحق سِوى الله . وهذا الأمرُ ثابت في الإنجيل رغم تحريفه،والتلاعب بنصوصه . وينبغي تذكُّر أن الإنجيل _ بالأصل _ كتاب سماوي مُقدَّس مَعصوم، ومُنَزَّه عن الكفر والشِّرك والضلال والنقص والعُيوب والتناقض والتعارض والاختلاف . ولكنَّ التَّحريف طَرَأ عليه ، وحدث تلاعب بنصوصه ، وهذا جعله خليطًا من الإيمان والكفر ، والحق والباطل ، واليقين والشَّك ، والهدى والضلال . والقُرآن (باعتباره آخر الكتب السماوية والكتاب السماوي الوحيد المحفوظ مِن التغيير والتبديل) هو الحاكم على التَّوراة والإنجيل . وما وافقَ القُرآنَ كان حقًّا ، وما خالفَ القُرآن كان باطلًا . وما سَكَتَ عنه القُرآن يجب السُّكوت عنه .

وفي [مَتَّى ٦ : ٢٤] أن المسيح قال : ((لا يمكن أحدًا أن يكون عبدًا لِسَيِّدَيْن)) اهـ . هذا النص يُبطِل أُلوهيةَ المسيح ، ويُوضِّح استحالة أن يكون الشخص عبدًا لِسَيِّدَيْن ، وهذا يَعني أن الشخص إنما يكون عبدًا لسيِّد واحد . ووَفْقَ هذا النص الإنجيلي ، لا يُوجد إلَهَان ، لأن مِن المُستحيل أن يكون الشخصُ عبدًا لإلَهَيْن (سَيِّدَيْن) . ولا يُمكن أن يكون الشخص عبدًا لله والمسيح معًا . يجب أن يكون عبدًا لإله واحد وسيِّد واحد ، وقد اعترفَ المسيح بلسانه أنه ليس إلَهًا ، وأن الله وَحْدَه هو الإله الحق . وبالتالي ، يجب أن يكون الشخصُ عبدًا لله وَحْدَه ، فهو الإله الواحد ، والسَّيد الواحد . أمَّا المسيحُ فهو عبد الله ورسوله ، وليس إلَهًا .

لقد وضَّح الإنجيلُ استحالةَ وجود إلَهَيْن : الله والمسيح . بل هو إله واحد وسيِّد واحد . وقد قال المسيح : ((ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله)) [مَرْقُس ١٠ : ١٨] . وهذا معناه أنه ليس هناك أحد يَصْلُح لأن يُعبَد إلا الله وَحْدَه ، لا شريك له . وهذا بيان واضح من المسيح بأنه لا يَصْلُح لأن يُعبَد ، أي إنه ليس إلَهًا ، لأن الإله هو الذي يُعبَد ، وهو واحد لا شريك له ، وهو الله، كما بيَّن النَّص الإنجيلي . ووَحدانيةُ الله ثابتة في هذا النص ، ولم يَذكر المسيحُ " ثلاثة " ، وإنما قال : ((واحد)) . ولم يَذكر المسيحُ الآب والابن والرُّوح القُدُس ، وإنما قال : ((وهو الله)) . وهذه هي عقيدة التَّوحيد ، فلا إله إلا الله ، ولا مَعبود بحق إلا الله . وهذا يعني بالضرورة وجوب عبادة الله وَحْدَه ، وليس عبادة المسيح ولا غَيره مِن المخلوقات . والإلهُ الحق هو وَحْدَه المستحق لأن يُعبَد . ونصوص الإنجيل في هذا السياق في غاية الوضوح ، وهي اعتراف صريح بِوَحدانية الله، وعبادته وَحْدَه بلا شريك ، وهذا يُبطِل أُلوهيةَ المسيح المزعومة ، ويُبطِل عقيدة التَّثليث ، التي اخترعها علماءُ النصارى خاضعين لأهوائهم ومصالحهم الشخصية ، بدون دليل نقلي ، ولا حُجَّة عقلية.معَ العِلم أن هناك نصوصًا إنجيلية كثيرة تَدعو إلى وَحدانية الله ، وتُبيِّن أنه الإله الحق وَحْدَه.

وفي [مَرْقُس ١٢ : ٣٢]:((فإن الله واحد وليس آخَرُ سِواه)) اهـ . إن الله وَحْدَه هو الإله، واحد في ذاته ، وواحد في صفاته ، وواحد في أفعاله ، لا شريك له ولا نِد ولا صاحبة ولا ولد . وهذا النص يُبيِّن عقيدةَ وَحدانية الله، دون أي ذِكر لعقيدة التَّثليث ولا الأقانيم الثلاثة ، ولا الثالوث " الآب والابن والرُّوح القُدُس " . وبما أن الله وَحْدَه هو الإله الحق ، فتجب عبادته بلا شريك ، وليس عبادة غَيره . وفي [الرسالة إلى رُوما ١٠ : ١٢] : ((لأن للجميع ربًّا واحدًا)) اهـ . وفي [الرسالة الأولى إلى كُورِنثُوس ٨ : ٤] : ((وأنه لا وُجود إلا لإلهٍ واحد)) اهـ . وهذا يعني أن الله وَحْدَه هو الإله الحق ، والعقيدة الصحيحة هي تَوحيد الله ، وهذا يُبطِل أُلوهية المسيح والتثليث.

وفي [مَتَّى ٤ : ١٠]: ((فقالَ له يَسوعُ : ((اذهَب يا شيطان ! فقد كُتِب : للرَّبِّ إلهِكَ تسجدُ ، وإيَّاه وحدَه تعبدُ !)))) اهـ .

لقد وضَّح المسيحُ أن السجود إنما يكون لله الرَّب ، ووَحْدَه المُستحق للعبادة . وهذا يعني أن المسيح ليس إلَهًا ولا رَبًّا ، ولا يَجوز السُّجود له . ولو كان المسيحُ إلَهًا لقال بصراحة : أنا الإله فاسجدوا لي ، وأنا المُستحق للعبادة فاعبدوني . لكنه لم يقل هذا ، وحاشاه أن يقول هذا . فالمسيحُ عبد الله ورسوله ، وقد أدَّى أمانةَ تَبليغ الدَّعوة على أكمل وجه ، ونَصَحَ بني إسرائيل بصدق وإخلاص ، وبيَّن لهم طريقَ الحق والهدى وسعادة الدنيا ونعيم الآخرة . وقد وضَّح المسيحُ رسالته ودَعوته ، فهي تقوم على رُكنين : أ _ للرب إلهك تَسجد . ب_ إيَّاه وَحْدَه تَعبد .

أي : إن السُّجود لله وَحْدَه ، والعبادةُ لا تنبغي إلا لله وَحْدَه ، لأنه الإله الحق ، والمسيحُ ليس إلَهًا ، لذلك لا يجوز السُّجود له ، ولا عبادته . ومَن سَجَدَ للمسيح أو عَبَدَه أو قامَ بالأمْرَيْن معًا ، فقد عصى المسيحَ ، وخالفَ دَعوته ، ورفضَ أوامره . وعلى الرغم من وضوح هذا النص ، إلا أن النصارى عبدوا المسيحَ ، مُخالفين أوامره ، ورافضين دَعوته وإرشاداته وتعليماته . والجديرُ بالذِّكر أن عبادات النصارى في الكنائس لا يُوجد فيها سُجود لله ، فهُم يَجلسون على مقاعد . وهذه مُخالفة صريحة لأوامر المسيح ، ورفض لكلامه ، وعدم استجابة لأوامره وتعليماته وإرشاداته .

وفي [مَتَّى ٩ : ١٨ و١٩] : ((إذا رئيسٌ للمَجمَع قد تقدَّمَ وسَجَدَ له قائلًا : ابنتي الآن ماتت ولكن تعال والمسها بيدك فتحيا !)) اهـ . وفي [مَتَّى ١٥ : ٢٥] : ((ولكنَّ المرأةَ اقتربت إليه وسَجدتْ له)) اهـ . هذان النَّصَّان اخترعهما مَتَّى، وقام بتأليفهما، وهُما نَصَّان خُرَافِيَّان خَيَالِيَّان ، لا علاقة لهما بالواقع . وقد اخترعهما مَتَّى مِن أجل تصوير المسيح كإله يتمُّ تعظيمه والسُّجود له . ولا شَك أن المسيح نبيٌّ كريم ورسول عظيم ، وليس إلَهًا . وقد نهى المسيحُ عن السجود لِغَير الله : ((فقد كُتِب : للرَّبِّ إلهِكَ تسجدُ)) اهـ . وهذا يدل على أن الله وَحْدَه هو الإله المستحق للعبادة ، والذي ينبغي السُّجود له . وهذا يدل على كذب مَتَّى عندما قال إن رئيس المجمع سجد للمسيح ، والمرأةُ أيضًا سجدت له . وهذا الأمرُ ضِد تعاليم المسيح ، ويُخالف تَوجيهاته الواضحة بالسجود لله وَحْدَه ، وعدم السُّجود لأحدٍ غَيره . فكيفَ سمح المسيحُ بالسجود له ولَم يُنكِر على الناس ؟ . هذا الأمرُ يكشف تحريفَ الإنجيل والتلاعب بنصوصه . وقد ظهرت محاولات كثيرة ومكشوفة ومفضوحة لتأليه المسيح ، وتصويره كإله يَسجد الناسُ له . معَ أن هذا الأمر ضِد تعاليم المسيح ، ومُخالف لإرشاداته . وبالتالي ، اتَّضح كَذِبُ مُؤلِّفي الأناجيل ،

وظهـرت خيانـاتهم للنصـوص الدينيـة ، وانكشـفَ رفضـهم لأوامـر المسـيح ، مُتَّبِعـين أهـواءهم الشخصية، ومصالحهم الذاتية ، ومنافعهم المادية .

وفي [مَتَّى ٢ : ١و٢] : ((جاء إلى أورُشَلِيمَ بعض المجوس القادمين من الشرق يسألون : أين هو المولود مَلِك اليهود ؟ فقد رأينا نجمه طالعًا في الشرق فجئنا لنسجد له)) اهـ . وقال المَلِكُ هِيرُودُس : ((لأذهب أنا أيضًا وأسجد له)) [مَتَّى ٢: ٨] . إن المنهجية المعتمدة عند أصحاب الأناجيل هي تأليه المسيح بأي شكل ، وبأيَّة صُورة ، وذلك باختراع نصوص إنجيلية خُرافية . فقد زعم مَتَّى أن الناسَ يَسْعَوْنَ جاهدين للسُّجود للمسيح ، معَ أن هذا الأمر مُخالف لتوجيهات المسيح ومُعارض لكلامه : ((فقد كُتِب : للرب إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد !)) .

وفي [الرسالة إلى روما ١ : ٢٥]: ((إذ قَد استَبدلوا بحق الله ما هو باطل ، فاتَّقُوا المخلوقَ وعَبدوه بَدَلَ الخالق)) اهـ . هذه قاعدة ذهبية ، والحق ما شَهِدت به الأعداء . والنصارى قد فضحوا أنفسَهم بأنفسهم ، ومِن أفواههم نُدينهم . لقد عَبَدَ النصارى بَدَلَ الخالق ، وجعل المسيحَ إلَهًا معبودًا ، وأشركوه معَ الله ، معَ أن المسيح مخلوق مَرزوق ، لم يخلق شيئًا ، ولم يرزق أحدًا ، واللهُ وَحْدَه هو الخالق الرازق ، وهذا يعني أنه المستحق للعبادة ، بلا شريك. وحقُّ الله على العبيد أن يَعبدوه ، ولا يُشركوا بِه شيئًا . والخالقُ خالق ، والمخلوق مخلوق . ولا يُعقَل أن يَشترك المصنوع مع الصانع ، ولا يُقبَل أن يشترك الله الحَي الذي لا يموت معَ المسيح الذي صُلِب ومات ودُفن _ حَسَب اعتقاد النصارى _ . والنص الموجود في الرسالة إلى رُوما يَهدم عقائدَ النصارى ، ويَكشف كُفرهم وضَلالهم ، ويَفضحهم ، فقد استبدلوا بحق الله ما هو باطل ، فاتَّقوا المسيحَ (المخلوق) ، وعبدوه بَدَلَ الله الخالق . وهذا مُنتهى الكفر والضلال .

٢_ محبة الله الواحد

في [مَرْقُس ١٢ : ٢٩ و ٣٠] : ((فأجابه يَسوع : أُولى الوصايا جميعًا هي : اسمع يا إسرائيل ، الرَّبُّ إلهنا رَبٌّ واحدٌ_ فأحِبَّ الرَّبَّ إلهكَ بكل قلبك وبكل نفْسك وبكل فكرك وبكل قُوَّتك)) اهـ . هذه هي وصية المسيح القائمة على وَحدانية الله ، وبيان أن الرب إله الجميع رَب واحد ، وليس ثلاثة ، ولا ثلاثة في واحد . والمسيحُ يَعترف بأنه ليس إلَهًا ، وأن الله هو إلهه . وبما أن الله وَحْدَه هو الإله المستحق للعبادة ، فتجب محبته ، وطاعته ، وامتثال أوامره ، واجتناب نَواهيه، بلا شريك ولا نِد . وهذا النصُّ صريح في إثبات وَحدانية الله ، وإبطال عقيدة التَّثليث .

٣_ اللهُ وَحْدَه يَعلم الغَيب

في [مَرْقُس ١٣ : ٣٢] : ((وأمَّا ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفهما أحد ، لا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب)) اهـ . هذا النَّص يُثبِت أن الله وَحْدَه هو الإله الحق ، لأنه يَعلم الغَيب ، وعِلْمه شامل لكل شيء . ولا أحد غَير الله يَعلم الغَيب ، لا المسيح ولا الملائكة . وهذا دليل على إبطال أُلوهية المسيح . ولو كان المسيحُ إلَهًا لَعَلِمَ ذلك اليوم وتلك الساعة ، وأحاطَ بمعرفة الغَيب . إذ إن الإله الحق لا بُد أن يكون عِلْمُه كُلِّيًّا وشاملًا لكل شيء ، ولا يَغيب عنه شيء.وهذا دليل على أن الله وَحْدَه هو الإله الحق.وهكذا، تتجلَّى عقيدة التَّوحيد في الإنجيل.

٤_ الأمر لله وَحْدَه

في [يُوحَنَّا ٥ : ١٩] : فقال لهم يَسوع : ((الحقَّ الحق أقول لكم إن الابن لا يَقْدر أن يفعل شيئًا من تِلقاء نفْسه ، بل يفعل ما يرى الآبَ يفعله)) اهـ . هذا اعتراف صريح من المسيح بأنه عبد الله ورسوله ، لا يَفعل شيئًا مِن تلقاء نفْسه ، بَل يُنفِّذ أوامرَ الله الذي أرسله ، ويَفعل ما يُريده اللهُ . وهذا النص إقرار شخصي من المسيح بأن الله وَحْدَه هو الإله الحق ، وأن المسيح عبد ذليل لله ، خاضع له ، لا يتَّخذ قرارات مِن تِلقاء نفْسه ، وإنما يَفعل ما يُريده الله . وهذا يعني أن المسيح خاضع لسُلطة أعلى مِنه هي سُلطة الله ، ومَن كان خاضعًا لا يكون إلَهًا ، لأن الإله الحق لا يخضع لأحد . وهذا دليل باهر على وَحدانية الله ، وأنه الإله الحق بلا شريك ولا نِد ، وأن المسيح ليس إلَهًا ، وأن عقيدة التَّثليث باطلة . والعقيدة الصحيحة هي عبادة الله وَحْدَه بلا شريك.

٥_ الإرادة لله وَحْدَه

في [يُوحَنَّا ٥ : ٣٠] : ((لأني لا أسعى لتحقيق إرادتي بل إرادة الذي أرسلني)) اهـ . هذا النص يُوضِّح أن المسيح ليس له إرادة ذاتية ، ولا يتَّخذ قرارات مِن تِلقاء نفْسه ، وإنما هو خاضع لإرادة الله الذي أرسله . إذن ، المسيحُ عبد الله ورسوله ، يَمتثل أوامره ، ويجتنب نَواهيه . والإلهُ الحق لا يكون خاضعًا لأحد . مِمَّا يدل على أن الله وَحْدَه هو الإله الحق الذي اختارَ المسيحَ نبيًّا ورسولًا ، وأرسله إلى بني إسرائيل لهدايتهم إلى تَوحيد الله . ولو كان المسيحُ إلَهًا لكانت له إرادة ذاتية قائمة بنفْسه،ولا يَخضع لأحد. والنصُّ اعتراف من المسيح بأنه عبد الله ورسوله ، وليس إلَهًا.

٦_ الله الحكيم وَحْدَه

في [الرسالة إلى رُوما ١٦ : ٢٧] : ((المجدُ إلى الأبد لله ، الحكيمِ وَحدَه)) اهـ . هذا النص يُثبِت أن الله وَحْدَه هو الإله الحق ، له المجد إلى الأبد ، وهو الحكيم وَحدَه ، بلا شريك ولا نِد. وهذا يُثبِت عقيدةَ تَوحيد الله ، فهو واحد في ذاته ، وواحد في صفاته ، وواحد في أفعاله ، كما يُثبِت بُطلان أُلوهية المسيح ، لأنه الله الحكيم وَحْدَه ، والمسيح ليس شريكًا معَ الله في حِكمته، ولو كان المسيحُ إلَهًا لاشترك معَ الله في مجده وحِكمته وعِلْمه ، ولكنَّ الله تفرَّدَ بالمجد والحِكمة والعِلم،وهذا يعني أن الله وَحْدَه الإله الحق ، ولا إله غَيْرُه . والنص يرفض عقيدةَ التَّثليث.

٧_ الحُكم لله وَحْدَه

في [رسالة يعقوب ٤ : ١٢] : ((وليس للشريعة إلا قاضٍ واحد ، هو الله واضعُها ، وهو وَحدَه القادرُ أن يَحكم بالخلاص أو الهلاك . فمَن تكون أنتَ لتَحكم على الآخرين ؟)) اهـ .

هذا النص واضح وصريح في تقرير عقيدة التَّوحيد وإثباتها. فالشريعةُ ليس لها إلا قاضٍ واحد، وهو الله الذي وضعها ، وليس المسيح ولا الرُّوح القُدُس ، ولا غَيْرهما . وبما أن الله وَحْدَه هو القاضي وواضع الشريعة ، إذن هو الذي يُحاسب الناسَ ويَحكم عليهم بالخلاص (نعيم الجنة) أو الهلاك (عذاب النار) ، والمسيحُ لا يَحكم على أحد ، ولا يُحاسب أحدًا ، ولا يَملك مِن أمره شيئًا ، لأنه خاضع لإرادة الله ، يُنفِّذ أوامرَه ، ويَجتنب نَواهيه . فمن تكون أنتَ لتَحكم على الآخرين ؟ ، ومَن يكون المسيحُ (عبد الله ورسوله) ليَحكم على الآخرين ؟ . إن الله وَحْدَه هو القاضي ، وواضع الشريعة ، يُحاسب الناسَ ، ويَغفر لِمَن يشاء ، ويُعذِّب مَن يشاء ، يَحكم على مَن يشاء بالخلاص ، ويَحكم على مَن يشاء بالهلاك . والمسيحُ لا علاقة له بالأمر مِن قريب ولا بَعيد ، لأنه عبد الله ورسوله ، أرسله اللهُ ، ولم يُرسِل المسيحُ نَفْسَه ، ولم يتَّخذ قرارات مِن تِلقاء نفْسه ، وليس له إرادة مستقلة . وكل هذا باعتراف المسيح شخصيًّا . إذن ، فالمسيحُ ليس إلَهًا ، وعقيدةُ التَّثليث باطلة . إن الله وَحْدَه هو الإله الحق ، والعقيدةُ الصحيحة هي عقيدة التَّوحيد الصافية " لا إله إلا الله " ، التي جاء بها جميعُ الأنبياء _ عليهم الصلاة والسلام _ ، والمسيح واحد مِنهم . ودِين جميع الأنبياء هو الإسلام ، وهو الدِّين الوحيد المقبول عند الله تعالى ، ولا يَقبل اللهُ غَيْرَ الإسلام دِينًا . ومعنى الإسلام هو الاستسلام لله ، وعبادته وَحْدَه ، لا شريك له .

سادسًا : مفهوم البُنُوَّة

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ بَديعُ السماواتِ والأرضِ أنَّى يَكُونُ لهُ ولدٌ ولَم تَكُن لهُ صاحبةٌ وخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عليم ﴾ [الأنعام : ١٠١] [٢٦١] .

إنَّ اللهَ خالقُ السماواتِ والأرض ، ومُبْدِعُهما مِن غَير مثال سابق ، ومُوجِدهما مِن العدم . كيف يكون له ولد وليس له زوجة ؟! . والولدُ لا يَكون إلا مِن العلاقة بين الذكر والأنثى ، وهُما كائنان متناسبان ومُتجانسان . واللهُ تعالى لا يُجانِسه شَيء ، ولا يُشبهه شَيء مِن خَلْقه ، لأنه خالق كُل شيء . والخالقُ لا يُشبِه المخلوق . ومَن كان خالقًا لكل شَيء ، كان غَنِيًّا عن كُل شيء ، ولا يُمكن أن يتَّخذ وَلَدًا مِن مَخلوقاته. فاللهُ الخالقُ ليس له شريك ولا صاحبة ولا ولد. والولدُ لا يَكون إلا مِن زوجة . واللهُ مُنَزَّهٌ عَن هذه العلاقات البشرية ، لأنه خالقها ومُوجِدها . وهو سُبحانَه يَعلم كُل شيء ، سواءٌ كان مَخلوقًا أَم غير مخلوق ، ولا تخفى عليه مِن مخلوقاته خافية . إنَّ اللهَ مُنَزَّهٌ عن الشريك ، وليس له زوجة . ومِن المستحيل وجود ولد بدون زوجة . فَمِن أين يكون لله ولد ؟! . وكيف يكون له ولد مِن مَخلوقاته واللهُ خالق كُل شيء ؟! . ولا يُعقَل أن يكون المخلوق وَلَدًا للخالق، لأن الولد يكون مِن جِنس أبيه ، ويَحمل اسمه وخصائصه وجِيناته وصِفاته . واللهُ مُنَزَّهٌ عَن المُجانَسة والمُشابَهة . لا يُجانِسه شَيء ، ولا يُشبهه مخلوق.والآيةُ تعظيمٌ للهِ وتَنْزيهٌ له عن الشّريك والصاحبة والولد ، كما تُبيِّن بُطلان عقائد النصارى القائمة على اعتبار المسيح إله وابن الله .

وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٤٣٦) : ((وفي الآية استدلال على نَفْي الولد مِن وجوه : الأول أنه مِن مُبْدَعَاتِه السماوات والأرضون،وهي مع أنها مِن جِنس ما يُوصَف بالولادة ، مُبَرَّأة عنها، لاستمرارها وطُول مُدَّتها، فهو أَوْلَى بأن يتعالى عنها ، أو أن وَلَد الشيء نظيره ، ولا نظير له فلا ولد. والثاني أن المعقول مِن الولد ما يتولد مِن ذكر وأنثى متجانسَيْن، والله سُبحانَه وتعالى مُنَزَّه عن المُجانَسة. والثالث أن الولد كُفُؤ الوالد، ولا كُفُؤ له لوجهَيْن : الأول أن كُل ما عَداه مخلوقه فلا يُكافئه، والثاني أنه سُبحانَه وتعالى لذاته عالِم بكل المعلومات، ولا كذلك غَيره بالإجماع)) .

---

٢٦١ في التسهيل لعلوم التَّنْزيل (٢/ ١٨):((والغرض الردُّ على مَن نَسَبَ لله الولدَ مِن وجهين : أحدهما أن الولد لا يكون إلا مِن جنس والده ، والله تعالى مُتعالٍ عن الأجناس ، لأنه مُبدعها فلا يَصِحُّ أن يكون له ولد.والثاني أن الله خلق السماوات والأرض ، ومَن كان هكذا فهو غنيٌّ عَن الولد ، وعن كل شيء)).

وقال الحافظ في الفتح (٨/ ٧٤٠): ((ولَمَّا كان الرَّب سُبحانَه واجب الوجود لذاته قديمًا ، مَوجودًا قبل وجود الأشياء ، وكان كُل مولود مُحْدَثًا ، انتفت عنه الوالدية . ولَمَّا كان لا يُشبهه أحد مِن خَلْقه ولا يُجانسه حتى يكون له مِن جِنسه صاحبة فتتوالد ، انتفت عنه الوَلَدية . ومِن هذا قَوله تعالى : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَم تَكُن لَهُ صَاحِبَةٌ ﴾)) اهـ .

إن الله هو خالق كُل شيء ومالكه ، وكُل ما سِوى اللهِ مخلوقٌ ، فكيفَ يَكون هناك مَخلوق يُشْبِه اللهَ الخالقَ أو يُشارِكه أو يُجانسه ؟! . تعالى اللهُ وتَقَدَّسَ وتَنَزَّه عن العُيُوب والنقائص . واللهُ واحد أحد فَرْد صمد ، ليس له ولد ولا والد . إذن ، لا يُكافئه أحد ، ولا يُشبهه ، ولا يُماثله ، ولا يُجانسه . وهنا يتجلى الفرق بين الخالق والمخلوق . واللهُ مُنَزَّهٌ عَن الاتصال الجنسي والعلاقات البشرية ، لأنه خالقها ومُوجِدها . والإلهُ الذي يضع قوانين البشر ، ويُحدِّد علاقاتهم ، لا ينصاع لقوانينهم ، ولا يخضع لعلاقاتهم .

١ـ ابن النَّجَّار

يُبيِّن الإنجيلُ البشري المُحرَّف أن المسيح هو الابن الوحيد لله . فمن أين جاءت هذه العقيدةُ الباطلة ؟ . بنى النصارى عقيدتهم الفاسدة " المسيح ابن الله " على سُوء تأويل النصوص الدينية، وإخراج المعنى مِن المَجَاز إلى الحقيقة ، ومِن دلالة التَّعبير الذهنية إلى التطبيق على أرض الواقع.

في [مَتَّى ٣ : ١٧] : ((وإذا صَوتٌ مِنَ السَّماوات يقول : هذا هُوَ ابْني الحبيبُ الَّذي بِهِ سُرِرتُ كُلَّ سُرور!)) اهـ . اعتمدَ علماءُ النصارى على هذا النص الخُرافي لجعل المسيح ابنًا لله. وقد أغفلوا بشكل مُتعمَّد أن هناك معنى مجازيًّا للبُنُوَّة ، أي إن المسيح عبد الله الذي اختاره واصطفاه . وكما أن الأب يُحِبُّ ابنه ويرعاه ويَعتني به ويُحافظ عليه ، فكذلك يُحِب اللهُ أنبياءه ورُسله وأولياءه ، ويعتني بهم ويرعاهم ، ويَحفظهم من كل سُوء . ولله المَثَل الأعلى . ولكن علماء النصارى وقعوا في سُوء التأويل الذي يقوم على الأهواء الذاتية والمصالح الشخصية والمنافع المادية ، وجعلوا المسيحَ ابنًا لله بشكل فِعلي حقيقي . وهذا غير معقول ، لأن الله خالق ، والمسيح مخلوق ، والابنُ يُجانس أباه ويحمل صفاته وجيناته ، ويُشْبهه ، واللهُ لا يُشْبِه أحدًا ، ولا يُشْبِهه أحد ، والإنسانُ لا يُجانس الإله ولا يحمل صفاته . وصفات الإله تختلف عن صفات الإنسان، وخصائص الأُلوهية تختلف عن خصائص البشرية . وهذا يُبطِل عقيدة " المسيح ابن الله" ويكشف زَيْفَها وكذبها وتناقضها ، وأنها بلا دليل نقلي ولا حُجَّة عقلية .

لقد زَعَمَ النصارى أن المسيح ابن الله . ولكن الناس يَعْلَمون أن المسيح إنسان،وليس ابنًا لله، لذلك لم يَنسِبوه إلى الله . وفي [مَتَّى ١٣ : ٥٤ و٥٥و٥٦] : ((ولَمَّا عادَ إلى بلدته ، أخذَ يُعَلِّم اليهودَ في مجامعهم، حتى دُهشوا وتساءلوا : مِن أين له هذه الحكمة وهذه المعجزات ؟ أليس هُوَ ابنَ النَّجار ؟ أليست أمُّه تُدعى مَريم وإخوته يعقوب ويوسُف وسِمعان ويهوذا ؟ أوَليست أخواتُه جميعًا عِندنا ؟ فمن أين له هذه كُلُّها ؟)) اهـ . إن الناس يَعتبرون المسيح إنسانًا وليس إلَهًا، ويَعتبرونه ابن النَّجَّار ، وليس ابن الله . ومِن المُستحيل أن يكون الشخصُ ابنًا لله وابنًا للنَّجَّار ، ولا يُمكن المُساواة بين الله والنَّجَّار ، كما أن الناس مُتَّفقون على أن المسيح إنسان وكائن بشري ، لذلك نسبوه إلى النَّجَّار ، ولم يَنسِبوه إلى الله . والغريبُ في أمر الأناجيل البشرية المُحرَّفة أنها تنسب المسيح إلى الله تارةً ، وتنسبه إلى النَّجَّار تارةً أخرى ، معَ أن الجميع يَعرفون أن المسيح وُلِدَ بلا أب ، فهو عيسى بن مريم . وهذا الحقُّ الذي يَجب أن يَعتنقه الناسُ كُلُّهم بلا إفراط ولا تفريط . والمنهجُ الإسلاميُّ الوسطي هو الحق الواضح في أمر المسيح . واليهودُ يعتبرون المسيحَ ابن زِنا وأُمه زانية ، وهذا كُفر واضح وضلال مُبين ، وهو انتقاص مِن مَنزلة المسيح العظيمة ، وهذا هو التفريط ، أمَّا النصارى فيعتبرون المسيح إلهًا وابن الله ، وهذا كفر واضح وضلال مُبين ، وهو رفع للمسيح فوق المنزلة التي يَستحقها ، وهذا هو الغُلُوُّ والإفراط . أمَّا المسلمون فهُم وَحْدَهم على الحق ، وهُم يعتمدون الوسطية بلا إفراط ولا تفريط ، حيث إنهم يَعتبرون المسيح عبد الله ورسوله ، وُلِدَ بمعجزة إلهية (وجود أُم بلا أب) . ويجب تعظيمه واحترامه ، وعدم الغُلُوِّ فيه .

وفي [يُوحَنَّا ٣ : ١٦] : ((لأنه هكذا أحب اللهُ العالَمَ حتى بذل ابنه الوحيد)) اهـ . هذا النص الخُرافي يقول إن اللهَ أحبَّ العالَمَ لدرجة أنه ضحَّى بابنه الوحيد ، وأعدمه على خشبة الصليب ، وقتله . وذلك مِن أجل هذا العَالَم . لقد صَلَبَ اللهُ ابنَه الوحيدَ من أجل سعادة البشرية، والتكفير عن خطاياها ، ومن أجل أن تعيش بأمن وأمان وسلام وطُمأنينة . وهذا دليل على محبة الله للعالَم ! . ومَن الذي دَفَعَ الثمن ؟ . إن المسيحَ هو الذي دَفَعَ الثمن ، وخَسِرَ حياته ، من أجل خطيئة لم يرتكبها ، وذَنْب لم يَقترفه . إن آدم ارتكبَ الذَّنْب ، ووقعَ في المحظور . فماذا حصل بعد ذلك ؟. لقد أرسلَ اللهُ ابنَه الوحيدَ (المسيح) كي يَصلبه ويُعْدِمه ويَقتله تكفيرًا عن خطيئة آدم، وحُبًّا لهذا العالَم ! . والمسيحُ لا علاقة له بهذا الذَّنْب . لماذا يَدفع البريء ثَمَنَ الخطيئة ؟ . لماذا لم يُرسِل اللهُ آدمَ كيَ يَصلبه ويَقتله باعتبار أن آدم هو مرتكب الذَّنْب ومُقترف الخطيئة؟.وإذا كان اللهُ قد صَلَبَ المسيحَ،وقتلَ ابنَه الوحيدَ لأنه يُحِب العالَمَ فماذا سيحصل لَوْ كَرِهَ اللهُ العالَمَ ؟.

إن عقيدة الصَّليب " صَلْب المسيح الإله وابن الله " باطلة وفاسدة ، ولا يَقبلها عقل سليم ، ولا تقوم على أساس نقلي ولا حُجَّة عقلية . فالبريءُ يَدفع ثَمَنَ خطيئة غَيره ، وكيف للعبيد أن يَصلبوا الإلهَ ؟ . هذا أمرٌ مُثير للسُّخرية . والإلهُ العاجز عن حماية نفْسه ، لَن يَحْمِيَ الآخرين ، ولن يُنقذهم . والعاجزُ عن إنقاذ حياته ، سيكون أكثر عجزًا عن إنقاذ حياة غَيره .

٢ــ الناس أبناء الله

إذا كان النصارى يَعتبرون المسيحَ مُمَيَّزًا عن الناس باعتباره " ابن الله " ، فأصحابُ الأناجيل يُخبروننا أن الناس جميعًا أبناء الله . وبالتالي ، لا توجد مَزِيَّة للمسيح . ولا يُوجد أحد أحسن من أحد ! . في [مَتَّى ٦ : ٤] : ((وأبوك السماوي الذي يرى في الخفاء هو يُكافئك)) اهـ . هذا يعني أن كل إنسان هو ابن لله ، والله أبو الناس جميعًا . وهذا يعني أن المسيح ليس الابن الوحيد لله . وفي [مَتَّى ٦ : ٩] : ((أبانا الذي في السماوات)) اهـ . ولو أردنا المُضِيَّ معَ النصارى في اعتقادهم وجود ابن لله ، لكانَ كل الناس أبناء الله ، وليس المسيح وَحْدَه . وهذا يدل على أن البُنُـوَّة ذات معنى مَجَازي ، تُشير إلى رحمة الله بعباده ، ومحبته لهم ، فقد خَلَقَهم وكرَّمهم ، ورعاهم، واعتنى بهم، وأرشدهم إلى الطريق المستقيم، الذي يُوصل إلى سعادة الدنيا ونعيم الآخرة. وليست بُنُوَّة بالمعنى الحقيقي الفِعلي . إن الله وَحْدَه هو الإله الحق الذي لم يَلِدْ ولم يُولَد .

وفي [مَتَّى ٥ : ٩] : ((طوبى لصانعي السلام ، فإنهم سيُدعَون << أبناءَ الله >>)) اهـ . هذا دليل واضح على ما قُلناه . إن صانعي السلام بذلوا جهودًا لإنقاذ البشرية ، وعملوا على صناعة الحضارة الإنسانية ، ونشر التقدُّم والرخاء والسلام ، لذلك سَيُدعَوَن " أبناء الله " . والإضافةُ للمِلْك والتَّشريف . لقد امتثلوا أوامرَ الله ، واجتنبوا نَواهيه ، وعملوا بإرادته ، فاستحقوا الشرفَ الرفيع والمكانة العظيمة ، وصاروا مُنتسبين إلى الله ، بمعنى أنه خالقهم وسيِّدهم ومُعلِّمهم، وهُم أولياؤه الصادقون المُخلِصون ، وحاملو شريعته إلى الناس . وقد شرَّفهم اللهُ ورعاهم واعتنى بهم ، فصاروا بهذا المعنى " أبناء الله " ، وليس بمعنى أن الله أنجبهم ، أو أنهم أبناؤه على وجه الحقيقة . إن هذا مَجَاز لغوي لتقريب القضية إلى عقول الناس ، وتوضيح المسألة أمامهم . وكما أن الأب يعتني بأبنائه ويَرعاهم ويَحميهم،فاللهُ يعتني بأوليائه ويرعاهم ويَحميهم . وله المَثَل الأعلى.

والنصوص كثيرة في هذا السياق ، مِنها : ((ويمجِّدوا أباكم الذي في السماوات)) [مَتَّى ٥: ١٦] . ((فتكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات)) [مَتَّى ٥: ٤٥] . ((وهُم أبناء الله لكَوْنهم

أبناء القيامة)) [لُوقَا ٢٠: ٣٦]. إذن ، جميع الناس أبناء الله ، وليس المسيح الابن الوحيد لله . وحَسَب نصوص الإنجيل ، يُمكن القول إنني ابن الله ، والمسيح ابن الله ، فلا تُوجد للمسيح مَزِيَّة عليَّ في هذا السياق ! ، وكل الناس أبناء الله ، فلا تُوجد للنصارى مَزِيَّة على المسلمين واليهود ! . ولا يُوجد أحد أحسن مِن أحد . وهذا يُبطِل عقيدةَ " أُلوهية المسيح " باعتباره ابنًا لله . ولو كان " ابن الله " إلَهًا ، فهذا يعني أن كل إنسان هو إله ، باعتبار أن الناس جميعًا أبناء الله . وهذا باطل بالضرورة ، ويكشف الخطأ الكارثي الذي وقع فيه علماءُ النصارى ، حين نقلوا المعنى المَجَازي إلى المعنى الواقعي الفِعلي ، فَضَلُّوا وأضَلُّوا ، وقادوا أنفسهم إلى الهلاك والعذاب والضياع . وهُم لَيسوا أبرياء ، لأن سُوء تأويلهم للنصوص الإنجيلية نابع من أهوائهم الشخصية ومصالحهم الذاتية ومنافعهم المادية ، ولا يقوم على أساس نقلي أو بُرهان عقلي . وهُم غير حريصين على الحق ومعرفة الصواب، وإنما حريصون على اتِّباع أهوائهم ، والحفاظ على مناصبهم وزعامتهم ورئاستهم .

٣_ آدم ابن الله

في [لُوقَا ٣ : ٣٨] : ((آدم ابن الله)) اهـ . الإضافةُ للمِلْك والتَّشريف ، وبذلك انتسبَ آدم إلى الله وانتمى له . فاللهُ هو الذي خلق آدم _ عليه الصلاة والسلام _ ، وكرَّمه ، وشرَّفه ، ورعاه ، واعتنى به ، وأحسنَ إليه . وهذا يُبطِل عقيدةَ النصارى القائمة على اعتبار المسيح الابن الوحيد لله . إن الإنجيل يُثبِت أن آدم ابن الله . ومِن دلائل النصارى على أُلوهية المسيح وعبادته أنه ابن الله ، فنقول لهم : وَفْق كلامكم وعقيدتكم ، يجب تأليه آدم وعبادته ، لأن آدم أيضًا ابن الله ، وليس المسيح فقط . وإذا ألَّهتم المسيحَ وعبدتموه لأنه وُلِدَ بدون أب ، فيجب أن تُؤَلِّهوا آدمَ وتعبدوه ، لأنه خُلِقَ بدون أب ولا أم ، وهذا أعظم وأكبر من مُعجزة المسيح ، لأن المسيح له أُم ، أمَّا آدم فليس له أب ولا أُم . وهذا يدل على بُطلان عقائد النصارى ، وأنها لا تقوم على أساس صحيح . وإنما هي عقائد فاسدة تقوم على سُوء تأويل النصوص الدينية ، وهو أمر مقصود ومُتعمَّد، خاضع للأهواء المتضاربة والمصالح الشخصية . وعندما يصير العبدُ المخلوق المَرْبُوب الذي يأكل ويشرب ويقضي حاجته ، إلَهًا وربًّا ومعبودًا ، وهو لَم يَخلق ذُبابةً . فهذا يدل على انهيار العقيدة ، وانتكاس الفِطرة ، وإهانة العقل ، وسُقوط الإنسان في هاوية الكفر والضلال .

٤_ أولاد الله

في [يُوحَنَّا ١ : ١٢] : ((فقد منحهم الحقَّ في أن يصيروا أولادَ الله)) اهـ . هذا يعني أن المسيح ليس الوَلَد الوحيد لله ، فالناسُ كُلُّهم أولاد الله . وبالتالي ، لا مَزِيَّة للمسيح عليهم . وإذا

كان النصارى يعتقدون أن الله وَلَدَ المسيحَ ، فهذا النص الإنجيلي يُثبِت أن الله له أولاد كثيرون . ووَفْق مبدأ النصارى في تأويل النصوص الإنجيلية، إن الله وَلَدَ الناسَ جميعًا ، وليس المسيح فقط . فلماذا أَلَّهتم المسيحَ وعبدتموه ، وهو ليس له مَزِيَّة على الناس ما داموا كُلهم أولاد الله ؟ . إن اللهَ وَلَدَ الناسَ جميعًا ، فيجب اعتبارهم آلهة لأنهم أولاد الله ، وأولاد الإله يكونون آلهة. وهذا الأمرُ باطل بالضرورة. وحتى النصارى لا يَقبلونه ، معَ أن دِينهم الباطل قائم على تعدُّد الآلهة. مِمَّا يدل بوضوح على أن الله وَحْدَه هو الإله الحق ، لم يَلد ولم يُولَد . أمَّا النصوص التي تتحدَّث عن " أبناء الله " أو " أولاد الله " ، فهي نصوص ذات معنى مَجَازي ، والإضافة للمِلْك والتَّشريف والتكريم ، والمَجَاز يختلف عن الحقيقة.

٥_ أولاد إبليس

في [يُوحَنَّا ٨ : ٤٤] : ((إنكم أولادُ أبيكم إبليس)) اهـ . هذا النص يُثبِت وجودَ المَجَاز في الإنجيل . فهؤلاء عُصاة وفاسقون ، لذلك تَمَّ وصفهم بأنهم أولاد إبليس ، وأن إبليس أبوهم . وكُل عاقل يَعرف أن المعنى مَجَازي وليس حقيقيًّا . إنهم فَعلوا الشر ، وارتكبوا الذنوب ، واقترفوا الآثام ، فاستحقوا الخِزي والعار والانتساب إلى إبليس والانتماء له ، باعتبار أنه قائدهم ومُعلِّمهم وكبيرهم الذي أغواهم وأضَلَّهم . وبهذا المعنى صار إبليس أبًا لهم ، وهُم أولاد إبليس . وليس المعنى أن إبليس أنجبهم ووَلَدَهم حقيقةً . والمَجَازُ اللغوي إنما هو لتقريب المعاني إلى العقول ، وتقريب الصُّوَر إلى الأذهان . والخلطُ بين المجاز والواقع يُؤدِّي إلى الضلال والإضلال ، وهذا سبب انهيار عقائد النصارى (المسيحيين) .

وفي [أعمال الرُّسل ١٣ : ١٠] : ((أيها المُمْتَلِئ غِشًّا وخُبثًا ! يا ابنَ إبليس !)) اهـ . إن هذا الشخص الفاسق العاصي غارق في الغِش والخداع والخُبث والمعاصي والذنوب والآثام ، لذلك تَمَّ وَصفه بأنه " ابن إبليس " مَجَازًا. والإضافةُ للخِزي والعار والإذلال والفضيحة والاحتقار ، لأن إبليس رأس الشر وقائد العُصاة ، وليس المعنى أن إبليس أنجبه ووَلَدَه حقيقةً .

٦_ ذُرِّية الله

في [أعمال الرُّسل ١٧ : ٢٩] : ((فما دُمنا ذُرِّيةَ الله)) اهـ . الإضافةُ للمِلْك والتَّشريف ، أي إن الله خَلَقَهم وكرَّمهم واصطفاهم ورعاهم واعتنى بهم _ حَسَب معنى النص الإنجيلي _ ، وهذا معنى مَجَازي ، وليس المعنى إن الله أنجبهم ووَلَدَهم حقيقةً ، وتناسلوا مِنه ، كما يحدث في الاتصال الجنسي بين الرَّجل وزوجته ، ويأتي الأبناء والأحفاد والذُّرِّية . لا يُوجد عاقل يقول بهذا .

٧_ كل مؤمن ابن لله .

في [الرسالة إلى غَلاطِيَّة ٣ : ٢٦] : ((فإنكم جميعًا أبناءُ الله بالإيمان بالمسيح يَسوع)) . يُوضِّح هذا النص الإنجيلي أن كل شخص آمنَ بالمسيح وصدَّق به فهو ابن لله . وهكذا ، فإن الناس جميعًا أبناء الله ، إذا حقَّقوا شَرْطَ الإيمان بالمسيح يَسوع . والنصُّ الإنجيلي اشترطَ الإيمان بالمسيح يَسوع، ولم يَشترط الإيمان بأُلوهيته أو أنه ابن لله . وكُلُّ الذين آمنوا بالمسيح وصدَّقوا بِه (الإيمان برسالته) ، فهُم أبناء الله ، الذين انتسبوا إلى الله ، وانْتَمَوْا إليه ، واستجابوا لأمره . وإضافةُ الأبناء إلى الله لتشريفهم وتعظيمهم ، وبيان منزلتهم الرفيعة ، وإظهار مكانتهم العظيمة ، وليس المعنى أن الله أنجبهم ، ووَلَدَهم ، وتناسلوا مِنه كما يتناسل الأبناء مِن أبيهم بعد الاتصال الجنسي بين الزَّوجين . إن المعنى المَجَازي يُفهمَ في سياقه ، وهو مُختلف عن الحقيقة والواقع .

في [رسالة يُوحَنَّا الأُولى ٢ : ٢٩] : ((فاعلموا أن كُلَّ مَن يَفعل الصلاح ، يُظهِر أنه مَولودٌ من الله حقًّا)) اهـ . إن النصارى يَعتبرون المسيح ابنًا لله ، وهذه ليست مَزِيَّة للمسيح ، ولا تَجعله إلَهًا ، لأن هذا النص الإنجيلي يُبيِّن أن كُل مَن يَفعل الصلاح يُظهِر أنه مَولود مِن الله حقًّا ، أي إن الله وَلَدَه . وهذا يَعني أن الله وَلَدَ أشخاصًا كثيرين ، وليس المسيح فَقط . وبهذا يظهر تناقض الأناجيل ، وانهيار عقائد النصارى وبُطلانها ، وانكشاف أساسها الواهي القائم على الخلط بين المَجَاز والحقيقة . وفي [رسالة يُوحَنَّا الأُولى ٥ : ١] : ((كُلُّ مَن يؤمن حقًّا أن يَسوع هو المسيح ، فهو مَولودٌ من الله . ومن يُحِب الوالِد ، فلا بُدَّ أن يُحب المولودِين منه أيضًا)) اهـ . هذا يعني أن جميع المؤمنين بأن يَسوع هو المسيح هُم مولودون مِن الله ، والله هو والدهم ، ومن يُحِب اللهَ الوالدَ ، فلا بُد أن يُحِب المولودين مِن الله . أي : يجب أن يحب أبناء الله وأولاده . وهذا يعني أن الله وَلَدَ جميعَ الناس وليس المسيح فقط . واللهُ هو والد المؤمنين جميعًا . إذن ، يجب تأليه المؤمنين باعتبارهم أولاد الله!.وهذا يدل على بُطلانِ عقائد النصارى وتحريفِ الإنجيل، والخلطِ بين المَجَاز والحقيقة . إن اللهَ وَحْدَه هو الإله الحق ، الذي لَم يَلِدْ ، ولَم يُولَدْ .

***

سابعًا : الخطيئة والفداء والصَّلْب

إن عقيدة النصارى (المسيحيين) قائمة على الفكرة التالية : إن آدم ارتكبَ الخطيئة بأكله من الشجرة ، فأخرجه اللهُ من الجنة . وبالتالي ، غرقت البشرية في الإثم والخطيئة ، فكان لا بُد من التَّطهير مِن الإثم والتَّكفير عن الخطيئة ، فأرسلَ اللهُ المسيحَ (ابنَه الوحيدَ) وصَلَبَه وأعدمه وقَتَلَه على الخَشَبَة لتطهير البشرية من الإثم ، والتَّكفير عن ذَنْب آدم . وهذا بسبب حُب الله للعالَم ، حيث قَتَلَ المسيحَ (ابنَه الوحيدَ) على خشبة الصَّليب ، وضحَّى به مِن أجل خلاص البشرية ، وتطهير الإنسانية ! .

هذه فكرة عاطفية رُومانسية تراجيدية اخترعها علماءُ النصارى ، وطوَّروها . وهي فكرة باطلة، وقصة خُرافية ، فالمسيحُ لا ذَنْب له ، ولم يقترف إثمًا ، ولم يرتكب خطيئة ، فلماذا يُصلَب وتتم التَّضحية بِه ؟ . وَفْقَ هذا المبدأ ، كان المفروض أن يُصلَب آدم بسبب ارتكابه الخطيئة . لقد نجا آدم (المُذنِب) وتَمَّ صَلْب المسيح (البريء) . وهذا مُنتهى الظلم . وفيه دَلالة على أن الله ظالم وغير حكيم ، ويأخذ الناسَ بذنوب غَيرهم . وجميعُ الشرائع السماوية والأرضية تقول إن المُذنِب هو الذي يتحمَّل مسؤولية ذَنْبه ، وإن العقوبة تقع على مُرتكب الخطيئة فقط . أمَّا الأبرياء والأشخاص الذين لا ناقة لهم ولا جمل في الموضوع ، فلا حَرَجَ عليهم ولا لَوْم ولا إثم ولا عقوبة.

وهناك قضية أُخرى في غاية الخطورة : ما دَامَ اللهُ يُحب العالَمَ ، وقرَّر أن يُضَحِّيَ بالمسيح ابنه الوحيد لخلاص البشرية وتطهير الإنسانية ، فلماذا لم يُرْسِل اللهُ المسيحَ بعد قيام آدم بالذَّنْب مُباشرة ليحصل التَّطَهُّر والتَّطهير والتَّكفير عن الخطيئة والخلاص مِن الذَّنْب؟ . إن هناك مُدَّة زمنية طويلة بين آدم والمسيح ، وفي هذه المُدَّة ظَهرت أُمم وشعوب كثيرة ، عاشت وماتت قبل ولادة المسيح . فما هو وَضْعهم ؟ . لقد كانوا غارقين في الإثم والخطيئة ، ولم يَجِئْ أحد لتطهيرهم ، ولا التَّكفير عن الخطيئة . أليسَ مِن العدالة أن يُرسِل اللهُ المسيحَ مُبَكِّرًا وبعد ذَنْب آدم مباشرة للتكفير عن الخطيئة وإنقاذ البشرية ؟. لماذا انتظرَ اللهُ كُلَّ هذه المُدَّة حتى وَلَدَ المسيحَ المُخَلِّصَ وصَلَبَه على الخشبة تكفيرًا عن الخطيئة ؟ . لو كان اللهُ يحب العالَمَ لأعدمَ ابنَه الوحيدَ مُبَكِّرًا حتى لا تَغرق الأمم والشعوب في الإثم والذَّنْب والخطيئة . وما ذَنْب الأمم والشعوب حتى يتحمَّلوا خطيئة آدم وهُم لم يقترفوها ولم يرتكبوها ؟ . كُل إنسان يتحمَّل مسؤولية أعماله الشخصية ، وليس أعمال غَيره . كما أن العقوبة إنما تقع على المُذنِب .ومِن الظُّلم إيقاعها على البريء .

هذا يدل على بُطلان عقائد النصارى ، وغرقهم في فوضى دينية ضِد العقل والمنطق . كما يدل على أن عقائد النصارى مبنية على الأهواء الشخصية ، والأمزجة الذاتية ، والأفكار الوثنية ، والمصالح الشخصية ، والمنافع المادية ، وتحريف الإنجيل والتلاعب بنصوصه ، وسُوء تأويلها .

وفي [الرسالة الأولى إلى كُورِنثُوس ١١: ٢٦] : ((إذن ، كلما أكلتُم هذا الخبزَ وشربتُم هذه الكأسَ ، تُعلِنون مَوتَ الرَّب ، إلى أن يَرجع)) اهـ . هذا النصُّ الأُسطوري يقول إن المسيح هو الرَّب ، وقد ماتَ . ولو كان المسيحُ ربًّا حقيقيًّا لَمَا مات ، لأن الموت يجري على العبيد ، ولا يجري على الإله والرَّب . إن الإله الحق لا يَخضع لشيء ، ولا يَخضع للموت . وبما أن المسيح خضع للموت _ وَفْق النص الإنجيلي _ ، إذن ، لا يُمكن أن يكون المسيح إلَهًا ولا رَبًّا . إن الله وَحْدَه هو الإله الحق ، الذي خَلَقَ الموتَ ولا يَموت . وليس للموت سُلطة على الإله الحق . وهذا يُشير إلى انهيار عقائد النصارى ، وانتكاسة فِطرتهم ، وخَلْطهم بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي في سياقات الإنجيل . ومِن معاني كلمة " الرب " السَّيد. ولكن النصارى جعلوا معناها " الإله " من أجل تأليه المسيح وإثبات استحقاقه للعبادة . وبعد كُل هذا التأليه والغُلُوّ ، جعلوه مَصلوبًا على خشبة ! . وهل يُوجد إله يَصلبه عبيده ويَقتلونه ؟ . والإلهُ العاجزُ عن حماية نفْسه ، سيكون أكثر عجزًا عن حماية الآخرين،ولن يَحميَهم. وهذا يُبطِل أُلوهيةَ المسيح بشكل كامل وتام.

وفي [الرسالة الأُولى إلى كُورِنثُوس ١٥ : ٥٦] : ((وقوةُ الخطيئة إنما هي الشريعة)) اهـ . هذه الهَرطقة منتشرة _ للأسف _ في نصوص إنجيلية كثيرة . وهذه الأفكارُ الدينية الشَّاذة عبارة عن فلسفة مُنحرفة بلا دليل نقلي ولا بُرهان عقلي. يُقدِّم الإنجيلُ تعريفًا للشريعة بأنها قوة الخطيئة. وهذا الكلام لا يقوله إنسان عاقل . إن الشريعة الصحيحة هي قوة الإيمان والحق والصواب والمعرفة والمعاني الإنسانية الراقية ، وليس قُوَّة الخطيئة والذَّنْب والمعصية . ولماذا يتم تصوير الخطيئة كصاحبة قوة ؟ . إن الحق هو صاحب القُوَّة والمجد والسُّلطة والسيادة والرِّفعة . والخطيئةُ مَذمومة في كل الشرائع السماوية والأرضية ، وفي كل القوانين الإلهية والبشرية . وجَعْل الخطيئة ذات قُوَّة وسُلطة ومكانة، ثُمَّ حَصْر معنى " قُوَّة الخطيئة " في الشريعة ، وتعريف الشريعة بأنها قُوَّة الخطيئة . كُل هذه الأمور تدل على بُطلان عقائد النصارى (المسيحيين) ، وانتشار الفَوضى الدينية في حياتهم الفكرية والواقعية، وتحريف الإنجيل ، والتلاعب بنصوصه ، وتبديلها ، وتغييرها. وهل أرسلَ اللهُ المسيحَ إلى بني إسرائيل لِجَعْل قُوَّة الخطيئة هي الشريعة ؟ أَم لهداية بني إسرائيل وإرشادهم ، وبيان أن الشريعة الإلهية هي التَّوحيد والحق والهدى والأخلاق الحميدة ؟ .

١ــ رَفْع المسيح وعدم صَلْبه

تُشير النصوصُ الإنجيلية إلى أن المسيح رُفِعَ إلى السماء ولم يُصلَب. ففي [مَتَّى ٩ : ١٥]: ((ستأتي أيام يكون فيها العريسُ قد رُفِع مِن بَينهم)) اهـ . إن هذا النص يقول " رُفع "، ولم يقل : صُلب . مِمَّا يدل على أن المسيح لم يُصلَب ، لأن النص الإنجيلي لم يَذكر عملية الصَّلْب ، ولم يأتِ على ذِكرها إطلاقًا . لقد أنقذَ اللهُ المسيحَ مِن الصَّلْب ، ونجَّاه مِن غَدْر اليهود وحِقدهم وكُفرهم وضلالهم، وصُلِب شبيه المسيح . أمَّا المسيحُ فقد رَفَعَه اللهُ إلى السماء ، وهو الآن في السماء ، وسينزل إلى الأرض في نهاية الزمان ليكسر الصليبَ . ورَفْعُ المسيح ثابت في الإنجيل ، ولم يتفرَّد به مَتَّى . فأيضًا مَرْقُس أثبته في إنجيله بوضوح . ففي [مَرْقُس ٢ : ٢٠] : ((ولكن ستأتي أيام يكون العريس فيها قد رُفع من بينهم)) اهـ . وكلمة " رُفع " ثابتة في النص ، وليس كلمة " صُلب " . وهذا يدل بوضوح على رفع المسيح إلى السماء ، وعدم صَلْبه .

وبالإضافة إلى هذا، فإن الكتاب المُقدَّس(التَّوراة / العهد القديم، والإنجيل / العهد الجديد) يَهدم عقيدةَ الصليب ، ويجتثها مِن جُذورها ، ويُثبِت بُطلانها . ففي [تَثْنية ٢١ : ٢٣] : ((لأن المُعلَّق ملعونٌ من الله)) اهـ . هذا النَّص التَّوراتي يُثبِت أن المُعلَّق (المصلوب) مَلعون مِن الله . وبالتالي، لا يُمكن أن يكون المسيحُ مُعَلَّقًا ولا مَصلوبًا، لأن المسيح مُبَارَك مِن الله . وفي [الرسالة إلى غَلاطِيَّة ٣ : ١٣] : ((لأنه قد كُتب : ((ملعونٌ كلُّ مَن عُلِّق على خَشَبة)))) اهـ . إذن ، كُل مَن عُلِّق على خَشَبَة أو صُلِب عليها ، فهو مَلعون ، ومطرود من رحمة الله . وهذا يعني أن المسيح لم يُعلَّق على خَشَبَة، ولم يُعلَّق على الصَّليب، ولم يُصلَب ، لأن المسيح عبد الله ورسوله، وهو مُبَارَك مِن الله . والتعليقُ على خَشَبَة وعملية الصَّلْب للمَلْعُونين ، وليس للمُبَارَكين .

ويُبيِّن الإنجيلُ أن الصليب ذُل وخِزي وعار.ففي[الرسالة إلى العِبرانِيِّين ١٢ : ٢]: ((مُتَطَلِّعين دائمًا إلى يَسوع: رائدِ إيماننا ومُكَمِّله . فهو قد تَحمَّل الموتَ صَلْبًا، هازئًا بما في ذلك مِن عَار)).

هذا النصُّ الإنجيلي الخُرافي في غاية الغرابة والعَجَب . فهو يَعترف أن صَلْب المسيح ذُل وخِزي وعار ، وأن تَحَمُّل المسيح للموت صَلْبًا مُنتهى العار . وما يُثير الاستغراب حقًّا أن النصارى يَعتبرون المسيحَ إلَهًا وابنًا لله ، ثُمَّ بعد ذلك يُلْصِقون به الخِزي والعار ، ويَجعلون صَلْبَه وَصْمة عار لا تُمحَى، ونقطة سوداء في تاريخه. وهذا التناقضُ يدل على أساطير النصارى وخُرافاتهم وتحريفهم لنصوص الإنجيل . إن المسيح عبد الله ورسوله ، صاحب المكانة السامية ، والمنزلة الرفيعة ،

والقيمة العظيمة . وهو النبيُّ الكريم ، والرسول الأمين ، والإنسان النبيل الشريف . وهو مُنَزَّه عن الذُّل والخِزي والعار . والعارُ لأعداء المسيح الذين كذبوا عليه ، واخترعوا عقيدةَ الصليب بلا دليل نقلي ولا بُرهان عقلي. والعارُ لِمَن حرَّفوا إنجيل المسيح ، وجعلوه أناجيل كثيرة مُتناقضة ومتعارضة، ورسائل فوضوية ، وأسفارًا قائمة على الأهواء الشخصية والمصالح المادية . العارُ على النصارى الذين نسبوا العارَ للمسيح . إن المسيح له الكرامة والمجد والشرف والرِّفعة في الدنيا والآخرة .

وفي [الرسالة إلى العِبرانِيِّين ١٣ : ١٣] : ((فَلنَخْرُج إذن إلى خارج المَحَلَّة ، قاصِدين المسيحَ ونحنُ على استعداد لِتَحَمُّل العار معه !)) اهـ . إن الإنجيل البشري المُحرَّف يُقدِّم المسيحَ كشخص ذليل ، غارق في الخِزي والعار . ولا يَقْدِر أن يتحمَّل العارَ وَحْدَه ، فيجب مساعدته وإعانته ، وتحمُّل العار معه ، وبذلك يكون العبيد قد ساعدوا المسيحَ إلههم وربَّهم وابن الله ، وتحمَّلوا العارَ معه . وهذا كذب رخيص ، وإهانة واضحة للمسيح ، وإذلال له . إن المسيح هو النبيُّ العظيم، والرسول الكريم، له المجد والشرف والكرامة . أمَّا العارُ فهو لأعدائه الكاذبين.

والجديرُ بالذِّكر أن النصارى يُصوِّرون المسيحَ كفدائي ضحَّى بنفْسه ، وأقدمَ على الصَّلْب والموت والإعدام من أجل خلاص البشرية ، والتكفير عن الخطيئة المُتَوَارَثَة . وهذه فكرة رومانسية وعاطفية، لأن التَّضحية دائمًا تحمل معنًى وجدانيًّا عاطفيًّا مُؤثِّرًا ، يَجلب تعاطف الجماهير ، ويُدغدغ عواطفهم وأحاسيسهم، ويُسيطر على مشاعرهم . لكن المفاجأة غير السارة أن الإنجيل نَفْسَه يُقرِّر أن المسيحَ لم يُضَحِّ بنفْسه ، ولم يَختر الصَّلْبَ ، وأن الصليب ليس اختيارًا للفِداء والتَّكفير،وأن الأمر فُرِضَ على المسيح الذي حاولَ التَّخَلُّص مِنه،ولم يستطع ذلك ولم يَقْدِر عليه. وهذا يُبطِل صُورة الفدائي والمُضَحِّي التي ألصقها النصارى بالمسيح ، ضِمن عملية الصَّلْب المزعومة . إذ إن الفدائي عليه أن يكون مِقْدَامًا ، ويَهجم على الموت غير شاعر بالحُزن والحسرة والألم . والمسيحُ لم يُقْدِم على الموت ، ولم يُضَحِّ بنفْسه على خشبة الصليب .

في [مَتَّى ٢٦ : ٣٨ و٣٩] : ((فقال لهم : ((نفْسي حزينةٌ جِدًّا حتى الموت ! ابقَوْا هُنا واسهَروا معي !)) وابتعدَ عنهم قليلًا وارتمى على وجهه يُصلِّي ، قائلًا : ((يا أبي ، إن كان مُمكنًا، فَلتَعبُرْ عنِّي هذه الكأس ...)))) اهـ . هذا النص الإنجيلي الخُرافي يُوضِّح أن المسيح حاولَ التَّهَرُّبَ مِن عملية الصلب والإعدام ، ولم يُرِدْ أن يُضَحِّيَ بنفْسه لتطهير البشرية من الخطيئة المُتَوَارَثَة . لذلك ، أظهرَ المسيحُ حُزنه البالغ ، وطلب مِن أصحابه البقاء والسهر معه لمُواساته والتخفيف عنه ، فهو يخاف الموتَ ، ولا يُريد الصَّلْبَ ولا الإعدام على خَشَبة . كما أن المسيح

(باعتباره الابن الوحيد لله) سَألَ أباه ووالده أن يَعبُر عنه هذه الكأس . أي : أن يُبعِد اللهُ عنه الموتَ ، ويُنَجِّيَه من الصَّلْب . ولكن اللهَ رَفَضَ طَلَبَ المسيح ، وأجبره على الموت ، وفرضَ عليه الصَّلْبَ على الخشبة فَرْضًا . وهذا ضِد رغبة المسيح _ كما يتَّضح من سياق النص الإنجيلي الأسطوري _ . إذن ، لم يكن المسيحُ فدائيًّا ، ولم يُقْدِمْ على الموت لإنقاذ البشرية من ثِقْل الخطيئة المُتَوَارَثَه ، ولم يُحِب أن يُصلَب مِن أجل الآخرين ، ولم يُضَحِّ بنفْسه على الصليب من أجل خلاص البشرية والإنسانية . إن الأمر فُرِضَ عليه دون رغبة مِنه ، وقد أجبره اللهُ على الموت من أجل الآخرين . أي إن اللهَ أجبرَ المسيحَ (ابنه الوحيد) على الموت والصَّلْب والإعدام ، وضَحَّى به ، ورفضَ رغبته في الهروب مِن الموت وتخليصه مِن الصَّلْب ، من أجل تطهير البشرية وسعادة العالَم . فاللهُ يُحِبُّ العالَمَ ، لذلك أعدمَ ابنَه الوحيدَ للتَّكفير عن خطيئة لم يَرتكبها ولم يقترفها. لقد نجا آدم (مُرتكب الخطيئة) مِن الصَّلْب والإعدام ، وتَرَكَه اللهُ حُرًّا طليقًا بعد اقترافه لذنب الأكل من الشجرة . ومُقابل ذلك ، أعدمَ اللهُ المسيحَ ابنَه الوحيدَ ، وصَلَبَه ، وهو لم يرتكب الذَّنْب ، ولم يقترف الخطيئة . لقد نجا المُذنِب ، وعُوقِب البريء .

إن هذه العقائدُ الجنونية ، والأفكار الباطلة ، والوساوس الشَّيطانية ، تدل على بُطلان الديانة النصرانية (المسيحية) ، وقيامها على أُسس فوضوية ضِد العقل والمنطق . وهذا يَكشف عملية تحريف الإنجيل وتبديل نصوصه، وتغييرها ، والتلاعب بها ، خُضوعًا للأهواء والمصالح الشخصية.

وفي [مَرْقُس ١٥ : ٣٤] : ((وفي الساعة الثالثة ، صَرخ يَسوعُ بصوت عظيم : ((أَلُوِي أَلُوِي ، لِمَا شبقتني ؟)) أي : ((إلهي إلهي ، لماذا تركتني ؟)))) اهـ . لقد تَرَكَ اللهُ ابنَه الوحيدَ ، وأسلمه للموت ، وتخلَّى اللهُ عن ابنه المسيح الذي وَلَدَه ، وقتله ، وصلبه ، وأعدمه ، ولم يُنقذه ، ولم يُساعده . وأيضًا ، المسيحُ (باعتباره إلَهًا وربًّا وابنًا لله) عجز عن إنقاذ نفْسه ، ولم يَقْدِر على حمايتها من العبيد الذين صلبوه وقتلوا وأهانوه وأذَلُّوه . لقد تركَ اللهُ ابنه الوحيد للأعداء ، ولم يُرِد اللهُ إنقاذَ ابنه الوحيد ، والابنُ الوحيد (المسيح الإله) لم يُساعد نَفْسَه ، ولم يَستطع حمايتها . لقد أصابَ العجزُ والضعفُ اللهَ وابنَه المسيح ، وكِلاهما لَم يَقْدِر على المساعدة وتقديم العَون .

هذه العقائدُ النصرانية (المسيحية) الباطلةُ تُسيء إلى الله ، وتَطعن في المسيح . واللهُ أرسلَ أنبياءه ورُسله لهداية الناس، ولا يتركهم ، ولا يتخلَّى عنهم ، وإنما يُدافع عنهم ، ويُؤَيِّدهم ، ويَنصرهم في الدنيا والآخرة . والنصُّ الإنجيلي البشري المُحرَّف يُصوِّر المسيحَ كشخص وَقِح لا يَعرف كيفية مُخاطبة الله . فالعبارةُ " لماذا تركتَني ؟ " تُشير إلى وقاحة مِن المسيح وسُوء أدب مِنه

في مُخاطبة الله الخالق العظيم . وبالتأكيد ، هذه أكاذيب إنجيلية ، وخُرافات نصرانية (مسيحية) خيالية لصناعة جَو درامي ، ومناخ من المأساوية والسَّوداوية ، للتأثير في العوام والجُهَّال والأتباع ، ودَغْدغة عواطفهم وأحاسيسهم . إن المسيح عبد الله ورسوله . والرُّسُلُ أعلمُ الناس بالله ، ويُخاطبونه بأدب وتعظيم واحترام ، ويختارون ألفاظهم وتعبيراتهم بعناية فائقة . واللهُ أعلم حيث يَجعل رسالته . واللهُ اختارَ مِن البشر رُسُلًا ، وطَهَّرهم ، وحمَّلهم النُّبُوَّةَ والرسالةَ والوَحْيَ ، وهذا تكليف وتشريف لهم في آنٍ معًا . واللهُ يُؤَيِّدهم ويُساعدهم، ويُعينهم، ولا يتركهم ولا يتخلَّى عنهم. وهذا هو الحق والصواب.والإنجيل كتاب بشري مُحرَّف ، وهو منبع العقائد النصرانية (المسيحية) الباطلة ، ومصدر الخُرافات العَقَدِيَّة والأساطير الدينية . لذلك ، ليس غريبًا أن يَبنيَ النصارى عقائدهم على الوهم والكذب والخداع . والنصرانيةُ (المسيحية) ضِد الوَحْي الإلهيِّ وضِد العقل.

٢_ الكَفَّارة

في [الرسالة إلى رُوما ٣ : ٢٤ و٢٥] : ((فهم يُبرَّرون مجانًا ، بنعمته ، بواسطة الفِداء بالمسيح يَسوع الذي قَدَّمه اللهُ كفَّارةً ، عن طريق الإيمان ، وذلك بدمه)) اهـ . إن اللهَ قَدَّمَ المسيحَ ابنَه الوحيدَ فِدَاءً للبشرية والإنسانية ، وكفَّارةً عن خطيئتهم . وقد سَفَكَ اللهُ دَمَ ابنه المسيح حُبًّا للعالَم ، وإنقاذًا للبشرية ، وتكفيرًا عن خطيئتهم . واللهُ ضَحَّى بابنه الوحيد من أجل تطهير الإنسانية مِن إثمها ، ومِن أجل سعادة البشرية . وهذه الفكرةُ العاطفية الخُرافية الوهمية قائمة على مبدأ التضحية والبذل والعطاء ، وهذه المفاهيم تُثير العواطف ، وتُدغدغ الأحاسيس ، وتَجلب التعاطف . لكن هذه الفكرة النصرانية (المسيحية) باطلة ، فهل يُعقَل أن يَقتل اللهُ ابنَه الوحيدَ ويَصلبه على الخشبة لتطهير البشرية معَ أن المسيح لم يقترف إثمًا ولم يرتكب ذَنْبًا ؟ . المفروض أن يَقتل اللهُ ابنَه آدم ((آدم ابن الله)) [لُوقَا ٣ : ٣٨] ، ويَصلبه على الخشبة لأنه ارتكبَ الذَّنْبَ واقترف الخطيئة بأكله من الشجرة . إن مُعاقبة البريء (المسيح) وترك المُذنِب (آدم) هي مُنتهى الظُّلْم . والجميعُ يَعلم أن العدل هو مُعاقبة المُذنِب لا البريء . وإذا كان المسيحُ إلَهًا وابنًا لله ، فلماذا لم يُدافع عن نفْسه ؟ . إن الإلهَ الذي يَصْلبه عبيده ، ويَعجز عن حماية نفْسه ، سيكون أكثر عجزًا عن حماية المؤمنين به . وهذا يُبطِل أُلوهيته . وإذا كان اللهُ قد قَتَلَ ابنَه البريء وصَلَبَه وأعدمه ، فهذا يعني أن الله ظالم ولا يُوثَق بِه ، لأن الذي يَقتل ابنه البريء،

ويترك ابنه المُذنِب، قد يَقتل أيَّ شخص آخر بلا إثم ولا ذَنْب . والإلهُ الظالم لا يستحق العبادة . وهذا يدل على بُطلان عقائد النصارى وتحريفِ الإنجيل ، وتغيير نصوصه . إن الله وَحْدَه هو الإله الحق ، لم يلد ، ولم يُولَد ، وهو عادل في أقواله وأفعاله ، ومُنَزَّه عن الظُّلْم ، ولا يُعاقِب البريء ، ولا يَقْتل الناسَ ، ولا يَصْلبهم ، ولا يُعْدِمهم ، ولا يُعلِّقهم على خشبة الصليب ، مِن أجل نَيل المغفرة والرحمة. إن الله يَقْبل التَّوبةَ مِن عباده ، ويُبدِّل سيئاتهم حسنات ، والتَّوْبَةُ ماحية للذُّنوب ، والإسلامُ يَجُبُّ ما قَبْلَه ، دُون الحاجة إلى سفك الدماء ، والصَّلْب ، والقتل ، والإبادة .

إن النصرانية (المسيحية) متأثرة بالعقائد الوثنية ، وفكرة القرابين ، ومبدأ الأضاحي ، وقد جعلت المسيحَ شخصيًّا قُرْبَانًا وأُضحيةً لخلاص البشرية ، والتكفير عن خطيئتها المُتَوَارَثَة . وهذا يدل على أن النصرانية (المسيحية) دِين بشري باطل ، قائم على القتل والوحشية والدموية . إن الله يَقبل توبةَ الناس دون الحاجة إلى قَتل أنبيائه وصَلْبهم ، وهو سُبحانَه عادل لا يَظْلم أحدًا ، ولا يوجد شيء اسمه " خطيئة مُتَوَارَثَة " ، لأن كُل إنسان يتحمَّل مسؤولية أعماله الشخصية ، وليس أعمال غَيْره . وكُل إنسان يتحمَّل ذَنْبَه ، وليس ذُنوب الآخرين . لقد عصى آدمُ رَبَّه ، وأكلَ مِن الشجرة ، وارتكبَ ذَنْبًا ، وقد غَفَرَ اللهُ له ذلك ، وتجاوزَ عنه ، وأنزله مِن الجنة . وانتهت القضية. ولو أرادَ اللهُ أن يُزيل " الخطيئة المُتَوَارَثَة " بتقديم ابنه فِدَاءً وكفَّارةً ، لَصَلَبَ ابنَه آدم المُذنِب ، ولم يَصلب ابنَه المسيح البريء . إن المُذنِب فقط هو الذي يتحمَّل مسؤولية إثمه ، والبريء لا علاقة له بالأمر ، ولا شَيء عليه . وهذا يدل على الفوضى الدينية في إنجيل النصارى المُحرَّف .

وفي [الرسالة الثانية إلى كُورِنثُوس ٥: ١٨] : ((وكلُّ شيء هو من عند الله الذي صالَحَنا مع نفْسه بالمسيح ، ثم سَلَّمَنا خدمةَ هذه المصالحة)) اهـ .كانت العلاقةُ بين الله والناس سَيِّئة ومليئة بالمشكلات ، فقرَّر اللهُ أن يَعقِد مُصالحةً معَ الناس ، وأن يُصالحهم مع نفْسه . وما هي أفضل وسيلة للمُصالحة ؟ . لقد قَتَلَ اللهُ ابنَه الوحيدَ المسيح ، وصَلَبَه ، وأعدمه على الخشبة ليُصالح الناسَ . وفرح الناسُ بهذه المُصالحة ، وسلَّمهم اللهُ خِدمةَ هذه المُصالحة . وهكذا ، عَمَّ السلام والوئام والتصالح في المجتمع الإنساني ! . إن عقيدة النصارى (المسيحيين) عبارة عن فكرة عاطفية وجدانية وهمية وباطلة ، ومُتأثِّرة بالعقائد الوثنية القائمة على تقديم القرابين والأُضحيات للآلهة كي ترضى عن الناس ، وترحمهم . والنصرانية (المسيحية) انتشرت بادئ الأمر بين الشعوب الوثنية . لذلك ، تَمَّ اختراع الصليب والفداء والكفَّارة وصَلْب الإله ، وقتل الله لابنه الوحيد ، وتَمَّ تكريس فكرة القُربان والأُضحية وسفك الدماء وتعدُّد الآلهة . وهذا كُلُّه باطل .

وفي [الرسالة الثانية إلى كُورِنثُوس ٥: ٢١] : ((فإن الذي لم يَعرف خطيئة ، جعله اللهُ خطيئةً لأجلنا ، لنصير نحنُ بِرَّ اللهِ فيه)) اهـ . هذا النصُّ يَنسِب الظُّلْمَ والعبثَ والفوضى إلى الله ، ويقول إن الله ظالم وغير حكيم . فالمسيحُ لم يعرف خطيئة ، ولم يرتكب ذَنْبًا ، ولم يقترف إثمًا ، وهو بريء . فكيف تَمَّ التعامل معه ؟ وما هي مُكافأته على عدم ارتكابه لأيِّ خطيئة ؟ . لقد جَعَلَ اللهُ المسيحَ خطيئةً، وتجسَّدَ الذَّنْبُ والإثمُ في المسيح شخصيًّا ، مِن أجل الناس ، ليصيروا بِر الله فيه. وهذا جُنون رسمي ، وهَرْطقة واضحة ، وظُلم ظاهر ، وعبث مفضوح . هل هذا هو جزاء البريء ؟. إن آدم هو الذي ارتكبَ الذَّنْبَ واقترفَ الخطيئةَ ، ومعَ هذا لم يَجعل اللهُ آدمَ خطيئةً ، وإنما جَعل المسيحَ خطيئةً وهو البريء الذي لم يعرف خطيئة . وهذا مُنتهى الظُّلْم والعبث والفوضى الدينية، حيث يُكَافَأ المُذنِب ، ويُعَاقَب البريء . وهذا يكشف ضلال النصارى ، وانهيار عقيدتهم ، وتحريف الإنجيل ، وغرقهم في فوضى دينية أيديولوجية ، ضِد العقل والمنطق السليم .

٣ـ التصالح مع الله بموت ابنه

في [الرسالة إلى رُوما ٥: ١٠]:((فإن كُنا، ونحن أعداء، قد تصالحنا مع الله بموت ابنه)) . هناك عداوة بين الله والناس ، فكان لا بُد مِن عَقْد مُصالحة ، وإزالة العداوة ، والتخلص من المشكلات . ما هي أفضل وسيلة للمُصالحة ؟ . أفضلُ وسيلة للمُصالحة بين الله والناس أن يَقتل اللهُ ابنَه الوحيدَ ويَصلبه على الخشبة . وبذلك، تصالحَ الناسُ مع الله بموت ابنه الوحيد (المسيح) وصَلْبه وإعدامه . وهذه الفكرةُ الوثنية القائمة على تعدُّد الآلهة والصراع بينها ، وقتل الله لابنه الوحيد (قَتْل الإله للإله) هي أساس عقيدة النصارى (المسيحيين) الباطلة ، التي ليس لها أساس نقلي صحيح ، ولا تقوم على بُرهان عقلي ولا حُجَّة منطقية . تعالى اللهُ عُلُوًّا كبيرًا .

والإنجيلُ البشري المُحرَّف يُقدِّم مبدأ التَّوبة وطلب المغفرة والرحمة ، كحرب بين الله والناس، وعداوة بين الطَّرَفَيْن ، ولا بُد مِن تقديم تنازلات ، وتقديم القرابين والأُضحيات ، مِن أجل عقد المُصالحة الشاملة بين الله والناس ، وإنهاء العداوة . وهذا يتطلَّب أن يُضَحِّيَ اللهُ بالمسيح ابنه الوحيد ، ويَقتله دون شفقة ، ويَصْلبه على الخشبة بلا رحمة . وكل هذا بسبب حُب الله للعالَم ، وحِرصه على إتمام المصالحة بين الله والناس . وهذا وَهْمٌ خيالي ، وعقيدة باطلة . مَن عادَ إلى الله تائبًا ، قَبِلَ اللهُ تَوبته ، وتجاوزَ عنه ، وهكذا تتجلَّى الرحمة الإلهية ، بدون سَفْك دماء ، ولا قتل ، ولا إعدام على خشبة الصليب، ولا صَلْب الإله الأب للإله الابن ، وكأن هناك صراعًا على العرش والسُّلطة بين المَلِك وابنه ولي العهد ، كما يَحدث في العائلات الملكية والأُسَر الحاكمة .

٤ـ المَوْت عِوَضًا عن الجميع

في [الرسالة الثانية إلى كُورِنثُوس ٥: ١٤] : ((فإن محبة المسيح تُسيطر علينا ، وقد حَكَمْنا بهذا : ما دام واحدٌ قد مات عِوَضًا عن الجميع ، فمعنى ذلك أن الجميع ماتوا)) اهـ . إن النصرانية (المسيحية) دِين دموي قائم على الموت والقتل والصَّلْب والإعدام وسَفْك الدماء. وهذا النص الإنجيلي البشري المُحرَّف يقول إن المسيح ماتَ عِوَضًا عن الجميع،ونِيابةً عن الناس. وهذا يعني أن الجميع ماتوا . وهذا يكشف أن الديانة النصرانية (المسيحية) قائمة على مركزية الموت ، وهي ديانة مَوْت ، وليست ديانة حياة . ولا فائدةُ مِن ديانة تعتبر الإنسانَ (المسيح) إلَهًا مَيْتًا ، ماتَ عِوَضًا عن الجميع . وبالتالي ، صار الجميعُ أمواتًا . إن اللهَ أرسلَ المسيحَ بالإسلام (دِين التَّوحيد) وهو دِين أمل وحياة وإشراق. واللهُ وَحْدَه هو الإله الحق ، خَلَقَ المَوْتَ ولا يموت. وإذا كان الإلهُ ــ في النصرانية ــ يَموت ، فما هو موقف المؤمنين بِه ؟ . كيف يُدافع الإلهُ عنهم وقد عجز عن الدفاع عن نفْسه ؟ . وكيفَ يَحميهم وقد فشلَ في حماية نفْسه ؟ . إن فاقد الشيء لا يُعطيه ، وإنَّكَ لَن تجنيَ مِن الشَّوْكِ العنبَ . وهذا يدل على بُطلان النصرانية وتحريف الإنجيل.

وفي [الرسالة إلى غَلاطِيَّة ١: ٣و٤] : ((لتكنْ لكم النعمةُ والسلامُ من الله الآبِ وربِّنا يسوعَ المسيح ، الذي بذل نَفْسَه من أجل خطايانا لكي يُنقِذنا من العالَم الحاضر الشِّرير ، وَفقًا لمشيئة إلهنا وأبينا)) اه. تقوم النصرانيةُ على مبدأ تعدُّد الآلهة وتقديم القرابين والموت فِدَاءً عن الآخرين، وكفَّارةً عن خطيئتهم ، من أجل تطهيرهم وخلاصهم . وهذه أفكارُ وثنية انتشرت في الشعوب التي كانت تعبد آلهة كثيرة ، وتدور بين الآلهة صراعات ونزاعات . والإلهُ القويُّ يَقتل الإلهَ الضعيفَ ، للسيطرة على عناصر الكَون والطبيعة ، والهَيمنة على البشر . وقد تشرَّبت النصرانيةُ (المسيحية) هذه الأفكار الباطلة من البيئة الوثنية التي انتشرت فيها النصرانية . وتَمَّ اختراع عقائد نصرانية وهمية وباطلة تتمحور حول وُجود أكثر مِن إله ، فاللهُ إله ، وابنه الوحيد المسيح إله . وقد قَتَلَ اللهُ (الإله القوي) ابنَه المسكين (الإله الضعيف) وأعدمه على خشبة الصليب ، مِن أجل إنقاذ الناس مِن هذا العالَم الشِّرير ، وتكفيرًا عن خطايا البشر . وبِإمكان البشر الآن أن يعيش بأمن وأمان وسلام بعدما صَلَبَ اللهُ المسيحَ ابنه الوحيد والبريء الذي لم يرتكب ذَنْبًا ولا إثْمًا . لقد صَلَبَ اللهُ ابنَه المسيحَ البريء ، وتركَ ابنَه آدم المُذنِب . وهذا مُنتهى الظُّلْم والعبث وغياب الحِكمة . والنصرانيةُ (المسيحية) دِيانة باطلة مُنقطعة عن الوَحْي الإلهيِّ ، وضِد العقل والمنطق السليم .

في [الرسالة إلى العِبرانِيِّين ٢: ١٤و١٥و١٦] : ((... اشترك المسيحُ أيضًا في اللحم والدم باتخاذه جسمًا بشريًّا . وهكذا تمكَّنَ أن يَموت ، لِيَقضيَ على مَن له سُلطةُ الموت ، أي إبليس ، ويُحرِّر مَن كان الخوفُ من الموت يَستعبدهم طَوال حياتهم . نَعم ، كانت غايتُه أن يُنقِذ لا الملائكةَ بل نَسلَ إبراهيم)) اهـ .

هذا النص الإنجيلي الخُرافي يشتمل على أوهام كثيرة ومُغالطات فاضحة : أ _ هذا النص يُثبِت أن المسيح ليس إلَهًا، وإنما جِسم بشري ، بدليل تمكُّنه مِن المَوت . ولو كان إلَهًا لَمَا مات، لأن الموت يُصيب البشر ، ولا يُصيب الإلهَ . وهذا يَدحض خُرافات النصارى وأساطيرهم . والجديرُ بالذِّكر أن الله نجَّى المسيحَ مِن القتل والصَّلْب ، ورَفعه إلى السماء ، والمسيح حَي في السماء ، وسيعود في نهاية الزمان ليكسر الصليبَ ، ويَقضيَ على هذه الخُرافة المفضوحة . ب _ التناقض الصارخ في الإنجيل البشري المُحرَّف ، وهذا يتجلى في النص الخُرافي " وهكذا تمكَّنَ أن يَموت ، لِيَقضيَ على مَن له سُلطةُ الموت ، أي إبليس " . هذا أمر مرفوض نقلًا وعقلًا ، لأن الشخص الذي يموت خضعَ لسُلطة الموت ، ولم يَقْضِ عليها . أمَّا الذي لا يَموت فهو الذي قضى على سُلطة المَوت . وأيضًا ، إن سُلطة الموت بيد الله وَحْدَه ، وليس بيد إبليس . فاللهُ وَحْدَه هو الخالق ، خَلَقَ الموتَ ولا يَموت ، وهو المُتحكِّم بسُلطة المَوت ، يُحيي مَن يشاء ، ويُميت مَن يشاء. أمَّا إبليس فهو مخلوق خاضع لسُلطة المَوت ، وسَوْفَ يُميته اللهُ في الوقت الذي يُريده. ولا يُعقَل أن يَكون إبليس مَالِكًا لسُلطة الموت ، والمسيح تَمَكَّنَ مِن الموت ، لأن هذا يعني أن إبليس فَرَضَ الموتَ على المسيح " الإله وابن الله " ، وصارت لإبليس (الشَّيطان) سُلطة على المسيح (الإله) . وهذا هو الجنون بِعَيْنه . ج _ يقول النصُّ الإنجيلي البشري المُحرَّف إن المسيحَ مات لِيُحرِّر مَن كان الخوفُ من الموت يَستعبدهم طَوال حياتهم . وهذا باطلٌ ، لأن مَوت المسيح يعني أن المسيحَ ليس حُرًّا ، ولا يَملك قرار نفْسه ، وإنما هو خاضع لسُلطة الموت التي يَملكها إبليس _ حَسَب النص الإنجيلي _ . والخاضعُ لا يَكون حُرًّا ، ولا يَملك الحرية ، فكيفَ يُحرِّر الآخرين ؟ . فاقد الشيء لا يُعطيه ، والخاضع العاجز الذي لم يستطع إنقاذ نفْسه مِن الموت، لن يُنقِذ الآخرين مِن الموت . والشخصُ الضعيف الذي خضع لسُلطة الموت لا يَملك الحرية وليس حُرًّا ، وقد عَجِزَ عن حماية نفْسه . وبالتالي ، سيكون أكثر عجزًا عن حماية غَيره .

د _ يقول النص الإنجيلي إن غاية المسيح مِن مَوته هو إنقاذ نَسْل إبراهيم . وهذه العبارة غير منطقية ، ومُخالفة للعقل . إذ إن كُل إنسان يتحمَّل مسؤولية أعماله ، وكُل إنسان مسؤول عن ذُنوبه وآثامه ، ولا يُوجد تَوريث للخطايا ولا الذُّنوب . ونَسْلُ إبراهيم لا علاقة لهم بخطيئة آدم ، ولم يَقترفوها ، ولم يرتكبوها ، فلماذا يتحمَّلون ذَنْب آدم وهُم بريئون مِنه ؟ . والأمرُ الآخر : إذا جاءَ المسيحُ لإنقاذ نَسْل إبراهيم فَقَط ، فَمَن سيُنقِذ الأمم والشعوب التي كانت قبل إبراهيم ؟ . المفروضُ أنها توارثت خطيئةَ آدم _ حَسَب الاعتقاد النصراني _ ، وغرقت في الذَّنْب ، وتحتاج إلى تَطهير، والمسيحُ جاء لإنقاذ نَسْل إبراهيم فقط. ما حال الناس قبل إبراهيم ؟، ومَن سيُنقِذهم؟. لماذا لم يُنقِذهم المسيحُ واكتفى بإنقاذ نَسْل إبراهيم ؟ . أليست هذه أنانية وعُنصرية وتمييزًا ؟. ومَن سيُنقِذ الأشخاص الذين عاشوا وماتوا قبل المسيح ؟ . مَن سيُخلِّص الأممَ والشعوب التي توارثت خطيئةَ آدم مُنذ آدم حتى ميلاد المسيح ؟ . وهل هناك فِداء وكفَّارة بأثر رَجعي ؟ .

إن أوهام النصرانية (المسيحية) تُشير إلى تحريف الإنجيل ، وتغيير نصوصه ، وتبديلها ، والتلاعب بها . والأفكارُ النصرانية الأيديولوجية التي تتمحور حول القُربان، والأُضحية،والموت مِن أجل التكفير عن خطايا الأمم والشعوب، وتعدُّدِ الآلهة ، وقتل الإله الأب للإله الابن ، كُلها أفكار مُستقاة مِن الوثنية والعقل الجَمْعي البدائي للشعوب الهمجية المنقطعة عن وَحْي السماء . وقد تَمَّ تَغليف الأوهام الدينية بالإيمان والتقوى وتعاليم المسيح ، وتحريف نصوص الإنجيل ، مِن أجل زيادة شعبية النصرانية (المسيحية) في أوساط الأمم والشعوب الغارقة في الوثنية . وبذلك ، يتم جذب الأتباع والمؤمنين ، واستقطاب الناس . وقد تغلغلت الوثنية في تعالم الإنجيل المُحرَّف ، وانتشرت عقيدة تعدُّد الآلهة في الديانة النصرانية (المسيحية) . وتَمَّ تحريف الإنجيل ، ولَوْي أعناق النصوص ، وتحويل المَجَاز إلى واقع ، مِن أجل زيادة عدد مُعتنقي النصرانية ، وتحقيق أوسع انتشار لها . ويُمكن القَول ، لقد تَمَّ تفصيل النصرانية (المسيحية) حَسَب أهواء الناس ، وأمزجتهم ، ومصالحهم الشخصية ، ومنافعهم المادية ، وعقائدهم التاريخية المُتَوَارَثَة القائمة على التقليد الأعمى للآباء والأجداد . وهذا يدل بوضوح على بُطلان الديانة النصرانية (المسيحية) .

٦_ المسيح قُربان بدل الحيوانات

في [الرسالة إلى العِبرانِيِّين ١٠: ٦و٧] يقول المسيح مُخَاطِبًا الله : ((فالحيواناتُ التي كانت تُذبَح وتُحرَق أمامَكَ تكفيرًا عن الخطيئة ، لم تَرضَ بها. عندئذ قُلتُ لَك : ها أنا آتي لأعمل بإرادتِكَ ، يا الله . هذا هو المكتوبُ عني في صفحة الكتاب !)) اهـ .

يَغرق الإنجيلُ البشري المُحرَّف في الجنون الديني ، والهَلْوسة العَقَدِيَّة، والأساطير الشعبية. يقول هذا النصُّ الخُرافي إن الله لم يَقْبل الحيوانات كفِداء وقرابين ، ولم يَرْضَ بالحيوانات التي كانت تُذبَح وتُحرَق أمامه تكفيرًا عن الخطيئة. وما هو الحل إذن ؟ ، وكيفَ يتم تحقيق رِضا الله ؟.

لا يُريد اللهُ أن تُقدَّم الحيوانات كفِداء وقرابين ، ولكنه يُريد أن يُقدِّم المسيحَ ابنَه الوحيد فِداءً للبشرية ، وتكفيرًا عن الخطيئة ، وقُربانًا مِن أجل الإنسانية . وبالتالي ، يكون المسيح بدل الحيوانات . وهذا هو الجنونُ في أبشع أشكاله . والعجيبُ أن النصارى يَعتبرون المسيحَ إلَهًا وابنًا لله ، وهذا يَفرض عليهم تعظيمه وتقديسه وعبادته . وبعد كُل هذا الغُلُوِّ والتأليه ، يتم اعتبار المسيح قُربانًا بَدَل الحيوانات . والأسوأ مِن هذا ، هو اعتقاد أن الله قَدَّمَ ابنَه الوحيدَ قُربانًا تكفيرًا عن الخطيئة بدلًا مِن ذَبْح الحيوانات وحَرْقها والتضحية بها ، والتقرُّب بِها . وهذه الأوهامُ الدينية تُهين اللهَ ، وتُسيء إلى المسيح ، وتُقدِّمه كشخص ذليل ، وقُربان رخيص ، حَل مَحَل الحيوانات (الأضاحي) . وهذا دليل على بُطلان الديانة النصرانية (المسيحية) وتحريفِ الإنجيل. والنصارى يُهينون اللهَ ، ويَكذبون عليه بهذا الشكل الرخيص ، ويَزعمون أنه لم يَقبل بالحيوانات كقرابين وأضاحٍ ، ولكنه قَبِلَ بالمسيح ابنه الوحيد كقُربان وأُضحية . وما طبيعة هذه الديانة النصرانية (المسيحية) التي تعتبرها إلَهَها (المسيح) قُربانًا حَلَّ مكان الحيوانات ، وأخذ دورها . هل هكذا يتم تعظيم الإله ؟ ، وهل هذا هو احترام المسيح ومحبته ؟ . إن هذه الديانة الباطلة قائمة على القرابين ذات المَوروث الوثني ، وتعدُّد الآلهة ، وسَفْك الدماء ، والقتل ، والإعدام على خشبة الصليب . ولا يُمكن أن تكون هذه الديانة النصرانية (المسيحية) الدموية دِينًا صحيحًا .

إن اللهَ أرسلَ المسيحَ إلى بني إسرائيل بالإسلام (دِين التَّوحيد) القائم على عبادة الله وَحْدَه ، وذلك لهداية الناس وإرشادهم ، ودَعوتهم إلى التَّوبة . ومَن تابَ تابَ اللهُ عليه . ومَن رَجع إلى الله قَبِلَه اللهُ ، وأحسنَ إليه ، وغَفَرَ ذُنوبَه ، بدون سَفْك دماء ، ولا قرابين بشرية ، ولا إعدام على الصليب. واللهُ أرحم بالناس مِن أُمَّهاتهم.لم يَخلقهم ليُدمِّرهم ويَقتلهم ويَصْلبهم ويَذْبحهم،ويَجعلهم قرابين وأُضحيات . ولو كانَ لله ولد _ كما يَزعم النصارى _ لكانَ هذا الولد إلَهًا مَعبودًا عزيزًا قويًّا لا يَخضع لأحد ، وليس إلَهًا مَصْلُوبًا ضعيفًا ذليلًا خاضعًا لعبيده ، وعاجزًا عن حماية نفْسه ، ويتم تقديمه قُربانًا وأُضحية بَدَل الحيوانات والدَّواب.وهذا يكشف انهيار عقائد النصارى (المسيحيين) ويَفضح تفكيرهم الوثني البدائي ، ويكشف عملية التَّحريف في الإنجيل ، ويدل على بُطلان الديانة النصرانية (المسيحية) ، فهي ديانة أرضية بشرية وَضْعية خيالية خُرافية ، وليست ديانة سماوية .

إن الله عادل ، مُنَزَّه عَن الظُّلْم . وهو سُبحانَه جواد كريم يَقْبل تَوبة التَّائبين كَرَمًا مِنه ، وتفضُّلًا عليهم . وهو سُبحانَه غفور رحيم ، يَرحم الناسَ ، ويُقيل عثراتهم ، ويَتجاوز عن سيئاتهم إذا رَجعوا إلى الحق . والنبيُّ آدم _ عليه الصلاة والسلام _ ارتكبَ الذَّنْبَ بأكله مِن الشجرة ، واقترفَ الخطيئة بعصيان أمر الله، وقد نَدِمَ آدمُ أشد الندم ، وطلب مِن الله المُسامحة والمغفرة ، وأن يَتوب عليه،وقد أنزله اللهُ من الجنةَ.والجديرُ بالذِّكر أن الله قَبِلَ تَوبةَ آدم ، وغَفَرَ له ، وانتهى الموضوع.

والنصارى اخترعوا فِكرة تَوَارُث الخطيئة ، أي إن آدم ورَّث الخطيئة لأبنائه ، وانتقلت هذه الخطيئة إلى الأمم والشعوب ، إلى أن أرسلَ اللهُ ابنَه الوحيد (المسيح) وأعدمه على خشبة الصليب ، تكفيرًا عن هذه الخطيئة ، وفِدَاءً للبشرية والإنسانية . وهذه فكرةُ وثنية خُرافية مأخوذة مِن العقل الوثني البدائي الهمجي القائم على تعدُّد الآلهة والصراعات بينها ، وتقديم القرابين والأُضحيات ، وسفك الدماء . وهذا الأمرُ ليس غريبًا ، لأن النصرانية (المسيحية) ديانة بشرية وَضْعية دَموية ذات جُذور وثنية بدائية ، تَمَّ تغليفها باسم المسيح لنيل الشرعية والقَبول ، وخداع الرأي العام ، وجذب المؤمنين والأتباع والعوام والجُهَّال ، واستغلالهم ، وبَسط النفوذ والهيمنة عليهم ، وتحقيق مصالح شخصية ، وجَنْي منافع مادية ، وتكريس سُلطة عِلْية القَوم ، والحفاظ على الرئاسة والزعامة والمكانة الاجتماعية والنفوذ الشعبي ، وإنشاء تحالف مصيري بين الحُكَّام ورجال الدِّين ، لتبادل المكاسب والمنافع ، واستغلال طبقات الشعب المختلفة وابتزازها وسرقتها .

في [الرِّسالة إلى رُوما ٥: ١٢] : ((ولهذا ، فكما دَخَلَت الخطيئةُ إلى العالَم على يَدِ إنسانٍ واحد ، وبدُخولِ الخطيئة دَخَلَ الموت، هكذا جازَ الموتُ على جميع البَشَر ، لأنهم جميعًا أخطأوا)) اهـ . هذا النصُّ الإنجيلي الخُرافي ضد العقل والمنطق السليم ، ويشتمل على أخطاء فادحة . فهو يقول إن آدم ورَّث الخطيئة للناس ، وانتقلت خطيئة آدم إلى العالَم كُلِّه . وهذا غَير صحيح ، لأن كُل شخص يتحمَّل مسؤولية أعماله ، وكُل إنسان مسؤول عن ذَنْبه ، ولا أحد يَحمل ذَنْبَ أحد ، ولا أحد يُسْأل عن إثم أحد . لقد أخطأ آدمَ ، وارتكبَ ذَنْبًا ، وندم ، وطلب المغفرة مِن الله ، وقد غفر الله له كرمًا مِنه وفَضْلًا ، وانتهت القضية ، ونُقطة على السَّطْر . ولا تُوجد خطيئة مُتَوَارَثَة ، والعَالَمُ لا يتحمَّل مسؤوليةَ ذَنْب آدم . والبريءُ لا يُؤخَذ بإثم المُذنِب . هذه قاعدة شرعية ثابتة في كل زمان ومكان . ولا يُعقَل اتِّخاذ ذَنْب آدم شمَّاعة لنشر الكفر والضلال .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ ولا تَزرُ وَازِرةٌ وِزْرَ أُخرى ﴾[الأنعام : ١٦٤]. لا أحد يَحمل ذَنْبَ غَيره ، ولا يُؤاخَذ الفردُ بأفعال الآخرين . فكل امرئ بعمله رهينٌ ، ولا تفارقه حسناته ولا سيئاته . وهذا هو العدلُ الإلهيُّ المقدَّس المُنَزَّه عن الظلمِ ، وتحميلِ الناس فوق طاقاتهم ، وأخذِهم بآثام غيرهم.

والنقلُ والعقلُ مُتَّفقان على أن الإنسان يُجازَى بما كَسبت يداه ، وليس عليه خطايا الآخرين مهما كانوا قريبين منه . وهذا لا يتنافى مع مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكَر، وإرشاد الآخرين ، وتقديم النُّصح لهم ، والأخذ بأيديهم إلى سُبل الخير والنجاة .

وقال الطبري في تفسيره (٥/ ٤٢١) : ((ولا تأثم نفْس آثمة بإثم نفْس أخرى غَيرها ، ولكنها تأثم بإثمها ، وعليه تُعَاقَب دون إثم أخرى غَيرها)) اهـ .

والقُرآنُ لم يتفرَّد بهذا المبدأ العادل المنطقي ، فهو أيضًا ثابت في التَّوراة . ففي [حِزْقِيال ١٨ : ٢٠] : ((النَّفْسُ التي تُخطِئ هِيَ تموت . الابنُ لا يَحمِلُ مِن إثمِ الأبِ والأبُ لا يَحمِلُ مِن إثمِ الابنِ)) اهـ . كُل إنسان يتحمَّل مسؤولية أعماله الشخصية ، والإنسان مسؤول عن ذَنْبه ، وليس ذَنْب غَيره ، والآخرون لا يَحْمِلُون ذَنْبَه . والبريءُ لا يُؤخَذ بِذَنْب غَيْره . وهذا النصُّ التَّوراتي يهدم خُرافة " المسيح الإله المصلوب " ، ويَكشف بُطلانها . وهو يُقرِّر أن النَّفْس التي تُخطِئ هي تموت ، وآدم هو الذي أخطأ ، فكان يجب أن يموت _ حَسَب هذا النص _ ، أمَّا المسيحُ فهو بريء ، لذلك لا يجب أن يموت . ولو ماتَ المسيحُ بسبب ذَنْب آدم ، فهذا ظُلم من الله وعبث، واللهُ عادل وحكيم ومُنَزَّه عن الظُّلْم والعبث والفوضى. والنصُّ التَّوراتي يُقرِّر أيضًا أن الابن لا يَحمِل مِن إثمِ الأبِ . وهذا يعني بكل وضوح أن المسيح (الابن) لا يَحمِل مِن إثم آدم (الأب) . وبالتالي ، لا علاقة للمسيح بِذَنْب آدم ، فلماذا يُصلَب المسيح البريء نِيَابَةً عن آدم المُذنِب ؟ . وهذا يُبطِل عقيدةَ " الخطيئة المُتَوَارَثَة " التي تُمثِّل فلسفةَ النصرانية (المسيحية) الأسطورية .

وفي [تَثْنية ٢٤ : ١٦] : ((لا يُقتَل الآباءُ عن الأولاد ولا يُقتَل الأولادُ عن الآباء . كلُّ إنسان بخطيَّته يُقتَل)) اهـ . وفي [أخبار الأيام الثاني ٢٥: ٤] : ((بَل كلُّ واحد يَموت لأجل خَطيَّته)) اهـ . إذن ، وَفْق التَّوراة كان يَجب أن يُقتَل آدم بسبب ذَنْبه ، ولا يُقتَل الابن (المسيح) نيابةً عن أبيه (آدم) . فلماذا قُتِلَ المسيح وصُلِب وهو لم يَرتكب ذَنْبًا ولم يَقترف إثمًا ؟ . لماذا عُوقِب البريء وتُرِكَ المُذنِب ؟ . وبعد كُل هذا ، تأتي المفاجأة الصاعقة التي تجتث النصرانية (المسيحية) مِن جُذورها : ((ولم يَكُن آدمُ هوَ الذي انخدعَ بمَكر الشَّيطان ، بَلِ المرأةُ انخدعتْ ، فَوَقَعَتْ في المعصية)) [الرسالة الأُولى إلى تِيمُوثاوُس ٢: ١٤] .

هذا النصُّ في غاية الخطورة ، فهو يُبيِّن أن آدم بريء ، ولم يرتكب ذَنْبًا ، ولم يَقترف إثْمًا ، وإنما حَوَّاء هي التي ارتكبت الذَّنْبَ ، حيث إنها انخدعت بمكر الشَّيطان ، ووقعت في المعصية. وهذا يعني أن المسيحَ صُلِبَ بلا هدف ولا جَدْوى ، ولا تُوجَد خطيئة لآدم أصلًا كي يتم تَوريثها. إذ إن حَوَّاء هي صاحبة الذَّنْب . فهل ورَّثت حوَّاء خطيئتها للبشرية ؟ ، وهل صُلِبَ المسيح بسبب خطيئة حَوَّاء ؟ . وَفْقَ النص السابق ، إن آدم بريء لم ينخدع بمكر الشيطان ، ولم يرتكب ذَنْبًا . وهذا يَهدم خُرافة " تَوَارُث الخطيئة"، ويُوضِّح أن النصرانية ديانة باطلة قائمة على تحريف الإنجيل.

وقد تَمَّت تَبْرِئة آدم مِن الذَّنْب (مَعَ أنه هو المُذنِب) وتحميل الذَّنْب لحوَّاء فقط ، لتكريس مُعاداة المرأة واحتقارها ، وتصويرها بأنه خاضعة للشَّيطان والإثم والغِواية ، وأن النساء مصدر الآثام والذنوب والخطايا ، وحبائل الشَّيطان (مصايده) ، وأن الرِّجال أبرياء لا علاقة لهم بالذنوب . وهذا يكشف العمليةَ المُمَنْهَجَة لتحريف الإنجيل ، وتغيير نصوصه ، والتلاعب بها .

٨ـ تحوُّل المسيح إلى لَعْنة

في [الرسالة إلى غَلاطِيَّة ٣ : ١٣] يقول بُولُس : ((((إنَّ المسيحَ حَرَّرَنا بالفِداء مِن لَعنة الشريعة ، إذ صارَ لَعنةً عِوَضًا عَنَّا ـ لأنهُ قد كُتب : ((مَلعونٌ كُلُّ مَن عُلِّقَ على خَشَبَة)))) .

هذا النصُّ الإنجيلي الخُرافي يَعتبر الشريعةَ لَعْنةً ، ويَعتبر المسيحَ لَعْنةً ومَلْعُونًا في آنٍ واحد . وهذا لا يقول به عاقل . يقول النصُّ إن المسيح ـ بِمَوته وَصَلْبه وفِدائه ـ حرَّر الناسَ مِن لعنة الشريعة . والمفروضُ أن الشريعة جاءت لإنقاذ الناس وهدايتهم إلى الحق والنُّور ، فكيفَ صارت لعنةً ؟ . إن المسيحَ هو حامل الشريعة الإلهية للناس مِن أجل الالتزام بها ، وليس مِن أجل رَفْضها واعتبارها أمرًا سيئًا ، ينبغي التحرُّر مِنها ، والانفلات مِن أحكامها . وكيفَ يُصبِح المسيحُ شخصيًّا لعنةً عِوَضًا عن الناس . إن المسيح إله وابن لله ـ حَسَب عقيدة النصارى ـ ، وهو عبد الله ورسوله ـ حَسَب عقيدة المسلمين ـ . أي إنه صاحب مكانة رفيعة ومنزلة عظيمة ، ومُؤيَّد مِن الله ، فكيفَ يَصير المسيحُ لعنةً ؟ . ليس هذا فَحَسْب ، بل أيضًا إن المسيح صار مَلْعُونًا لأنه عُلِّقَ على خشبة ، وصُلِبَ عليها . وقد كُتب : ((مَلعونٌ كُلُّ مَن عُلِّقَ على خَشَبَة)) اهـ . وهذه الأكاذيب والشتائم واللعنات تدل بوضوح على بُطلان النصرانية (المسيحية)، وتحريفِ الإنجيل. إن المسيحَ عبد الله ورسوله، لم يُقتَل، ولم يُصلَب. وهو مُبارَك مِن الله ، ومُؤيَّد مِنه ، وهو يُمثِّل الخيرَ والبركة والكرامة والشرف والمجد . واللعنةُ على الكافرين به ، والكاذبين عليه . فهؤلاء هُم المَلْعُونون .

ثامنًا : إهانة الله وملائكته

١ـ رفض أُلوهية الله

في [مَتَّى ٢٢ : ٣٢] : ((وليس الله بإلهِ أموات ، بل هو إله أحياء)) اهـ . وفي [مَرْقُس ١٢ : ٢٧] : ((فإنه ليس بإله أموات بل هو إله أحياء)) اهـ . هذا النص الكُفري قبيح للغاية ، إذ إن الله إله كل شيء ، فكيف لا يكون إلَهًا للأموات ؟! . إن الله خالق كُل شيء، ورَب كُل شيء، وإله كُل شيء . وهو سُبحانَه إله الأحياء والأموات . وإذا لم يكن اللهُ إله الأموات ، فمن هو إله الأموات ؟ . هل الأمواتُ ليس لهم إله ولا رَب ؟ . وهل خَلقوا أنفسهم بأنفسهم دُون الحاجة إلى إله ؟ . وهذا يدل على أن الإنجيل البشري المُحرَّف هو أساس الكفر والضلال والإلحاد .

٢ـ الإشراك بالله وإهانته

في [الرسالة الأولى إلى كُورِنثُوس ١ : ٩] : ((فإن الله أمين ، وقد دعاكم إلى الشَّرِكَة مع ابنه يَسوع رَبِّنا)) اهـ . إن الله أمين ، لذلك دعا الناس إلى الشَّركة مع ابنه الوحيد المسيح الإله والرَّب. وبذلك ، يُصبح الناسُ شُركاء للمسيح في أُلوهيته ورُبوبيته ، ولا يُوجد أحد أفضل مِن أحد. وهذه الفكرة (اشتراك الناس معَ الآلهة والاندماج معهم وتوثيق العلاقة بين الطرفَيْن) هي فلسفة الوثنية التي انتشرت في المجتمعات البدائية الهمجية ، حيث تتكرَّس عقيدة " تعدُّد الآلهة " واشتراك الناس معها بشكل أو بآخر . والناس ـ بطبيعتهم ـ يُحِبُّون إقامةَ علاقات مع الزعماء والرؤساء والأغنياء وعِلْية القوم، وهُم يَتفاخرون بهذه العلاقات ، لأنها تدل على أهميتهم ومكانتهم الاجتماعية الراقية . وقد استغل مُؤلِّفو الإنجيل البشري هذا المبدأ الإنساني ، وجعلوا العلاقة مُتاحة ومَسموحة بين الناس والإله . حيث إن الله الإله الأب دعا الناسَ إلى الشَّركة مع ابنه الوحيد (الإله الابن) . وبذلك يُصبح العبدُ شريكًا معَ الإله ، ويُصبح المخلوق شريكًا معَ الخالق . وهكذا يحصل الاندماج ، ويتحقَّق الحُب والسلام والوئام . وهذه الفكرةُ الوثنية البدائية تدل على تحريف الإنجيل ، وبناء نصوصه على تعدُّد الآلهة والاشتراك معها . وبذلك ، يتحقَّق حُلم الناس في الوصول إلى آلهتهم ، وإقامة علاقات شراكة معهم . وهذا التفكيرُ البدائي يُشير إلى سيطرة الشِّرْك بالله على نصوص الإنجيل البشري . وأيضًا ، يدل على حِرص النصارى على إهانة الله ، واعتباره واحدًا مِن الآلهة (واحدًا مِن ثلاثة) . واللهُ وَحْدَه هو الإله الحق ، لا شريك له ولا نِد .

وفي [رسالة بُطْرُس الأولى ٥: ١٠] : ((فإن الله ، إلهَ كُلِّ نِعمة ، الذي دعاكم إلى الاشتراك في مَجده الأبدي عَبْر المسيح)) اهـ . إن الله إله كُل نِعمة ، ومِن أعظم هذه النِّعَم الإلهية أن الله دعا الناسَ إلى الاشتراك في مَجْد الله الأبديِّ عن طريق المسيح . وهكذا يُصبح اللهُ (الإله الأب) والمسيح (الإله الابن) والناس العبيد شُركاء في مجد الله الأبديِّ ، ولا يُوجد فرق بين الخالق والمخلوق، ولا يُوجد تمييز بين العبد والإله . وهكذا تتحقَّق الوَحدة والاشتراك والاندماج والتعاون.

وهذا يدل على انهيار عقول النصارى ، وانتكاس فِطرتهم ، وكفرهم ، وضلالهم ، وغرقهم في أهوائهم الشخصية ذات الخلفية الوثنية ، وإشراكهم بالله ، فهُم يَعتبرون الأُلوهية والرُّبوبية مِثل شركة تجارية مُساهمة قائمة على الأسهم ، وكُل شخص يأخذ سهمًا ، وتكون له حِصَّة مِن الأرباح والمكاسب . وهذا مُنتهى الكفر والضلال . إن الله وَحْدَه هو الإله الحق ، واحد في ذاته ، وواحد في صفاته وأفعاله ، لا شريك له ، ولا نِد ، ولا صاحبة ، ولا ولد . وهو وَحْدَه الخالق الرازق ، لا أحد يَشترك معه في صفاته ، ولا أحد يشترك معه في مجده الأبديِّ ، لأن مَجْد الله صِفة لله . وصِفاتُ الله كاملة ومُقدَّسة ومُطْلَقة وقديمة قِدَم ذاته العَلِيَّة . أمَّا صفاتُ الناس العبيد المخلوقين فهي صفات ناقصة ونسبية ومليئة بالعيوب وحادثة (موجودة بعد إذ لم تكن). ولم يكن للمخلوق أن يُشارك خالقه في أيِّ شَيء . والشِّركُ بالله هو أساس النصرانية (المسيحية) الباطلة .

وفي [رسالة بُطْرُس الثانية ١: ٤]: ((وتَشتركوا في الطبيعة الإلهية)) اهـ . يُصِرُّ النصارى على جَعْل الناس يشتركون في الطبيعة الإلهية . وبالتالي ، يصير المخلوقُ شريكًا للخالق ، ويصير العبد شريكًا للإله . وهذا مُنتهى الكفر والضلال . واللهُ وَحْدَه هو الإله الحق ، لا شريك له . ولو قُلنا لرئيس دولة : هل تَقبل أن يُشاركك الشعب في حُكمك ومُلكك وسُلطتك ؟ . ولو قُلنا لبابا الفاتيكان : هل تَقبل أن يُشاركك الناس في الكرسي البابوي ، ويشتركوا معك في حُكمك ومُلكك وسُلطتك ؟ . وهل يُوجد كُرسي خشبي يشترك معَ النَّجار الذي صنعه ؟ . وهل يُوجد باب حديدي يشترك مع الحدَّاد الذي صنعه؟. كُل الإجابات معروفة، لكن الكفر عناد. والنصرانية (المسيحية) قائمة على الأهواء الشخصية ، والمصالح الذاتية ، والمنافع المادية ، والأفكار الوثنية البدائية ، والإشراك بالله . ولم يكتفوا بجعل المسيح (المخلوق الذي يأكل ويشرب ويقضي حاجته) إلَهًا معَ الله وابنًا له ، بل أيضًا جعلوا الناسَ العاديين شُركاء لله والمسيحِ . وهذه هي الفوضى العَقَدِيَّة في أبشع صُوَرها . وهي تدل على كفر النصارى ، وضلالهم ، وتغيير نصوص الإنجيل ، واتِّباع الأهواء ، وتقليد الآباء بغير دليل .

وفي [الرسالة الأولى إلى كُورِنثُوس ١٠: ١٦] : ((أليست كأسُ البَرَكة التي نُباركها هي شَرِكة دَمِ المسيح ؟ أوَ ليسَ رغيفُ الخبز الذي نَكسره هو الاشتراكَ في جسد المسيح ؟)) اهـ . إن النصرانية (المسيحية) ديانة بشرية وَضْعية دموية ذات أُسس وثنية ، قائمة على الشِّرك بالله ، وتعدُّد الآلهة ، وهَيمنة عقائد القتل والإبادة والصليب والفِداء والقرابين والأُضحيات والتكفير عن الخطايا بالموت والإعدام . والدليلُ على ذلك هو التعامل معَ المسيح كإله وابن الله ، وجعله شريكًا لله ، وجعل الناس شُركاء للمسيح في دمه وجسده . وهكذا يُصبح المخلوقون والعبيد شُركاء لإلههم وربِّهم في دمه وجسده . ومركزيةُ " دم المسيح " تدل أن النصرانية (المسيحية) ديانة دموية قاسية . وقد صارت كأس البَرَكة هِيَ شَرِكة دم المسيح ، وصار رغيفُ الخُبز هو الاشتراك في جسد المسيح . وهذا يدل على قَسوة النصرانية ، وتحريف نصوص الإنجيل ، وتقديم المسيح كإله مِن دم ولحم ، والناسُ يَقتسمون دمه ولحمه ، ويشتركون في جَسده . وكأن النصارى يُشرِّحون جُثة المسيح إلههم المصلوب وابن الله ، الذي تخلَّى عن ابنه البريء وتركه للأعداء كي يُهينوه ويَصْلبوه على الخشبة . وهذا دليل على أن النصرانية (المسيحية) ديانة بشرية وَضْعية وثنية دموية ، قائمة على القتل والصَّلْب والتشريح وأكل الجثث واقتسام الدم واللحم ، والاشتراك في جسد الإله المصلوب الذي عجز عن حماية نفْسه . وبعد كُل هذه التفاصيل ، ليس غريبًا أن تنتشر النصرانية(المسيحية)بالسَّيف،لأن هذه الديانة الدموية لا يُمكن أن تنتشر إلا بالدم.

وفي [الرسالة الأولى إلى كُورِنثُوس ٦: ١٧] : ((وأمَّا مَن اقترن بالرَّب ، فقد صار معه رُوحًا واحدًا !)) اهـ . مَن اقترنَ بالله (الرب الأب) أو اقترنَ بالمسيح (الرب الابن) ، صارَ معه رُوحًا واحدًا . وهذا يعني أن الإله الرب والمَرْبوب المخلوق صارا شَريكَيْن ، وزَمِيلَيْن . وهكذا ، يتَّضح قيام النصرانية (المسيحية) على الشِّرك بالله ، وإهانته ، والخلط المُتعمَّد بين صفات الخالق وصفات المخلوق . وهذا الخلطُ هو مصدر عقائد التَّشبيه والتجسيم ، تشبيه الإله بالعبد والعبد بالإله ، واعتبار الإله الخالق الرازق جِسْمًا قابلًا للاشتراك معَ أجسام العبيد والمخلوقين . وهذا مُنتهى الكفر والضلال . وهل أرسلَ اللهُ المسيحَ إلى بني إسرائيل لهدايتهم وإرشادهم إلى تَوحيد الله والتزام أوامره واجتناب نَوَاهيه أَم لإضلالهم ودَعوتهم إلى الشِّرك والإشراك والاشتراك معَ الله والمسيح في الرُّوح والجسد ؟ .

ولم يكتفِ النصارى بِشَرْعنة الشِّرك بالله والاشتراك معه عن طريق المسيح ، وتكريس الكفر والضلال والشِّرك كعقائد دينية مركزية ، بل أيضًا أهانوا اللهَ ، وشتموه بأسوأ الألفاظ والعبارات .

في [الرسالة الأولى إلى كُورِنثُوس ١: ٢٥]:((ذلك لأن << جَهالة >> اللهِ أحكمُ من البشر ، و << ضَعفَ >> اللهِ أقوى من البشر)) اهـ . أرادَ علماءُ النصارى الذين ألَّفوا الإنجيلَ البشري أن يُعظِّموا اللهَ ، فأهانوه، وشتموه ، ووصفوه بأسوأ العبارات.وهذا دليل واضح على تحريف الإنجيل . ولو كان الإنجيلُ الحالي الموجود بين أيدي النصارى كتابًا سماويًّا محفوظًا لَمَا تضمَّنَ شتائم بحق الله ، سُبحانه وتعالى . يقول الإنجيلُ البشري المُحرَّف إن " جهالة " الله أحكم مِن البشر . وقد وضعوا كلمة " جهالة " بين قَوْسَيْن في النص الإنجيلي ، لأنهم يعلمون بشاعة هذه الكلمة ، والقَوْسان لَيْسا مِنّي . أرادوا أن يَمْدحوا اللهَ ويُعظِّموه ، فأهانوه ، وشتموه ، وقالوا إن الجهل والجهالة يَصْدُران عن الله، ولكن جهالة الله أحكم مِن البشر، لأنه الخالق ، والبشر مخلوقون . وأعادوا الكَرَّةَ مَرَّةً ثانية ، وعادوا إلى نفْس النغمة ، فبيَّنوا أن " ضعف" الله أقوى مِن البشر . والقَوسان ثابتان في النص الإنجيلي ، ولَيْسا مِنّي . والمعنى : إن الله يَضعُف ، وله لحظات ضَعْف. ومعَ هذا ، إن ضَعْف الله أقوى من كُل قُوَّة البشر . إنَّ مَدْحَ الله وتعظيمه وتقديسه يُعبَّر عنه بألفاظ سليمة ، وعبارات جميلة ، ومعانٍ راقية ، وليس بالطعن في صفات الله وإهانته ، ووصفه بالعُيوب . وهذا دليل واضح على تحريف الإنجيل ، وتبديل كلماته ، وتغيير عباراته . وهل أنزلَ اللهُ الإنجيلَ على المسيح ليشتم نَفْسَه ويُهينها ، ويصف نَفْسَه بالجهالة والضعف ؟ . الجواب واضح ومعروف.

لقد أهانَ النصارى اللهَ العظيمَ ، وشتموه ، بأن جعلوا له ابنًا مَصْلُوبًا شريكًا له في أُلوهيته ورُبوبيته ، ووصفوا اللهَ بأسوأ الألفاظ والعبارات والمعاني ، واتَّهموه بالجهالة والضعف .

وفي [الرسالة إلى العِبرَانِيِّين ٤: ١٠] : ((فالذي يَدخل تلك الراحة ، يَستريح هو أيضًا من أعماله ، كما استراح الله من أعماله)) اهـ . هذا اتِّهام جديد لله سُبحانه وتعالى ، وإهانة له .

لقد وَصَفَ الإنجيلُ البشريُّ اللهَ بأنه تَعِبَ ، واستراحَ مِن أعماله . والاستراحةُ لا تكون إلا بعد التعب . وهذا يدل على خُضوع الإنجيل للتَّوراة ، واختراق اليهود للإنجيل ، وتحويله إلى كتاب صهيوني . وبذلك ، تكون عملية صَهْينة الإنجيل البشري قد تمَّت واكتملت .

إن هذا طَعْن صريح في صفات الله ، وإهانة له . والله هو الخالق العظيم ، خلق كُلَّ شَيء ، ويُسيطر على المخلوقات والكائنات . وهو سُبحانَه مُتَّصف بصفات الكمال ، ومُنَزَّه عن كُل عَيب ونقص . فلا يَتعب ، ولا يستريح ، ولا يُصاب بالإعياء والإرهاق. والتعبُ والاستراحةُ صفتان للبشر المخلوقين أصحاب القدرات الناقصة المحدودة . أمَّا اللهُ فهو الخالق العظيم ، قُدرته مُطْلقة ، وإرادته نافذة في كل شيء .

٣ـ إدانة الملائكة وإهانتهم

في [الرسالة الأولى إلى كُورِنثُوس ٦: ٣]يقول بُولُس: ((أمَا تَعلمون أننا سنَدين الملائكةَ ؟)). هذه إهانة للملائكة الكرام ـ عليهم السلام ـ ، تدل على غُرور بُولُس وكذبه وعَجْرفته وكُفره وضلاله . إن اللهَ خَلَقَ الملائكة مِن نُور ، وعصمهم مِن الذنوب والخطايا ، وهُم يُطيعون اللهَ ولا يَعصونه أبدًا . لذلك ، لا معنى لإدانة الملائكة . ولو كان هناك إدانة للملائكة لأدانهم اللهُ خالقهم وليس بُولُس وجماعته وأتباعه . إن البشر لا يَملكون سُلطة على الملائكة . واللهُ وَحْدَه هو الذي يَملك السُّلطة على الملائكة وغَيرهم . ولكن بُولُس قَدَّمَ نَفْسَه كخليفة للمسيح ، وبالتالي صار يتحدَّث بالفم الملآن وبكل ثقة ، أنه هو والنصارى سيدينون الملائكة ، وهذا يعني أنهم يَملكون سُلطة على الملائكة ، والملائكة خاضعة لهم . وهذا كُفر واضح ، وضلال مُبين ، وإهانة للملائكة الكرام ، وتعدِّي على سُلطة الله . وغُرورُ بُولُس قاده إلى الكفر والضلال والهاوية السحيقة . وهذا النصُّ الإنجيلي الهستيري يدل على تحريف الإنجيل ، وكَوْنه كتابًا بشريًّا مليئًا بالضلالات .

وفي [رسالة بُطرُس الثانية ٢: ٤] : ((فإن الله لم يُشفِق على الملائكة الذين أخطأوا ، بل طَرَحهم في أعماق هاوية الظلام مُقيَّدين بالسلاسل)) اهـ . الملائكةُ عباد الله ، يُطيعونه ولا يَعصونه أبدًا . وهُم مَعصومون مِن ارتكاب الذنوب واقتراف الخطايا ، ومُنَزَّهون عن الخطأ . لذلك ، هذا النص الإنجيلي البشري المُحرَّف باطل ، لأنه يَعتبر أن هناك ملائكة أخطأوا ، وأن الله لم يَرحمهم، ولم يُشفِق عليهم ، بل أهانهم وعذَّبهم أشد العذاب . وهذا كذبٌ على الله ، وكَذبٌ على ملائكته الكرام الأبرار المعصومين . وفي واقع الأمر ، إن هذا النص الإنجيلي الخُرافي الذي يزعم أن الله لم يُشفِق على الملائكة الذين أخطأوا ، ولم يَرحمهم ، بل عذَّبهم أشد العذاب ، ليس غريبًا ولا عجيبًا إذا عَلِمْنا أن النصارى يعتقدون أن اللهَ صَلَبَ المسيحَ (ابنه الوحيد) البريء الذي لم يرتكب ذنبًا ولا إثمًا ، وأعدمه على خشبة الصليب بلا رحمة ولا شفقة ولا عدل . والإلهُ الذي يُعذِّب ابنَه الوحيد البريء ويَقتله على الصليب بكل وحشية ودموية ، ليس غريبًا أن يُعذِّب الملائكة الأطهار المعصومين ، ويُقيِّدهم بالسلاسل . وهذه الخُرافات تُشير إلى تحريف الإنجيل ، وكثرة الأيدي العابثة بنصوصه ، حذفًا وإضافةً وتبديلًا وتغييرًا . كما تُشير إلى فلسفة الدِّيانة النصرانية (المسيحية) القائمة على تعذيب الأبرياء والقتل والإبادة والصَّلْب وسَفك الدماء ، وإهانة الله وأنبيائه الكرام وملائكته الأبرار ، واعتماد الكذب على الله كمنهج دِيني ثابت .

تاسعًا : التشبيه والتجسيم

إن عقائد النصارى الباطلة تقوم على تشبيه الخالق بالمخلوق ، والمخلوق بالخالق ، وإسناد الأعضاء والجوارح والحواس إلى الله . واللهُ مُنَزَّه عن الأعضاء والجوارح والحواس . فالمخلوقُ العاجزُ هو الذي يَحتاج إلى الجوارح كاليد والقَدَم ، والحواس كحاسة السمع وحاسة البصر. وهذه الجوارحُ مُركَّبة من الأعصاب واللحم والخلايا . أمَّا اللهُ فهو الغنيُّ عن كُل شيء ، ولا يَحتاج شيئًا ، وكلُّ شيء مُفْتَقِر إليه _ سُبحانه _ .

وفي [مَتَّى ٤: ٤] : ((فأجابَهُ قائلًا : قد كُتِب: ليسَ بالخبزِ وحدَه يحيا الإنسانُ بل بكلِّ كلمةٍ تخرجُ من فَمِ اللهِ !)) اهـ . يُشبِّه مَتَّى اللهَ بالمخلوقين . وكما أن المخلوق له فم يَخرج مِنه الكلام ، فكذلك الله الخالق له فَم يَخرج مِنه الكلام . وهذا الكفر الواضح ، والضلال الظاهر ، والانحراف العَقَدِي ، يدل على اتِّباع النصارى لأهوائهم بغير عِلْم ، وتحريفهم لنصوص الإنجيل ، وفساد خيالاتهم المريضة ، حيث إنهم يَعتبرون اللهَ مِثل الإنسان ، له أعضاء وجوارج وحواس ، وله فَم يَخرج مِنه الكلام ، وبدون هذا الفم لا يَقْدِر اللهُ على الكلام . وهذا يُثبِت ضَعْفَ الله وعَجْزه وحاجته إلى الأعضاء، وافتقاره إليها . وهذا باطل ومرفوض نقلًا وعقلًا . إن الله هو الخالق العظيم، الغنيُّ عن كُل شيء ، ولا يحتاج شيئًا ، وكُل شيء فقير إلى الله . ومَن خلق السماواتِ والأرض وَحْدَه بلا شريك ولا مُساعد ، ولم يُصَبْ بالتعب ، ولم يَشعر بالإعياء ، لا يَحتاج إلى عُضْو أو جارحة . والإنسانُ الضعيف العاجز هو الذي يحتاج إلى أعضاء وجوارح ، لأن صِفاته نِسبية وناقصة ومحدودة وضعيفة وحادثة (موجودة بعد إذ لم تكن) . أمَّا اللهُ الخالقُ العظيم ، فصفاته كاملة ومُقدَّسة ومَعصومة ومُطْلَقة وقديمة قِدَم ذاته العَلِيَّة . لا يُشْبه شيئًا ، ولا يُشْبهه شيء .

وفي [مَتَّى ٢٢: ٣١] : ((أفما قرأتُم ما قِيل لكم على لِسان الله)) اهـ . يُثبِت مَتَّى اللسان لله . وهذا تشبيه للخالق بالمخلوق . فالمخلوقُ الضعيف له لسان مُكوَّن من أجزاء ، وبدون لسان تنهار حياةُ الإنسان الكائن الضعيف الذي يحتاج إلى الأعضاء والجوارح والحواس،لتسهيل حركته، وتيسير أموره . أمَّا اللهُ فهو الخالقُ القوي ، الغنيُّ عن كل شيء . ولو كان اللهُ محتاجًا إلى الأشياء، أو مُفْتَقِرًا إلى الأعضاء والجوارح ، لكان مِثْلَ البشر المخلوقين الضعفاء العاجزين . وهذا باطل ومرفوض . ومِن خصائص الأُلوهية الاستغناء عن كُل شيء ، وعدم الحاجة إلى أيِّ شيء . ومَن احتاجَ شيئًا فهو ضعيف وعاجز ، وليس إلَهًا . وهذا يُثبِت أُلوهيةَ الله ، ويُبطِل أُلوهيةَ المسيح .

وفي [مَرْقُس ١٢: ٣٦] : ((فإن داود نَفْسَه قال بالرُّوح القُدُس : قال الربُّ لِرَبِّي : اجلس عن يميني)) اهـ . تقوم الديانةُ النصرانية (المسيحية) على الفوضى العَقَدِيَّة والاضطراب الديني . وهي تعتبر الله الإله الأب (المَلِك الجالس على عرش السماء) ، وتعتبر المسيحَ الإله الابن (ولي العهد ووريث العَرْش والذراع اليُمنى لله ومُساعده الأمين) . وهذه الفكرة الباطلة مأخوذة مِن عالَم ملوك الدنيا ، حيث يكون المَلِك في الدنيا جالسًا على العرش ، وابنه هو ولي العهد ، ومُساعده . وهذا النصُّ الإنجيلي الخُرافي يُقدِّم المسيح شريكًا لله في رُبوبيته ، فاللهُ رَب ، والمسيح رَب مَعَ الله ، ولا يُوجد أحد أفضل من أحد . وتَمَّ تقديم الكلام على لسان داود ، لإظهار مكانة المسيح باعتباره ربًّا ، وبيان أن داود يَعترف بِرُبوبية المسيح ، وتَمَّ إشراك الرُّوح القُدُس في الموضوع لِشَرْعنة الأمر ، وجَعْله شرعيًّا ومَقبولًا عند العوام والجُهَّال والبُسَطاء . وجُلوسُ المسيح عن يمين الله ، يُشير إلى أن المسيح هو الذراع اليُمنى لله ومُساعده ، وشريكه في الأُلوهية والرُّبوبية والسُّلطة . تمامًا كما يَجلس المَلِك في الدنيا ، وعن يَمينه ولي العهد ووريث العَرْش . وهذا التصورات الخيالية المريضة ، نابعة مِن تَشبيه الخالق بالمخلوق ، وتصوُّر اللهِ مِثل مُلوك الدنيا (البشر العاجزين) . مِمَّا يدل على فساد عقائد النصارى وبُطلانها ، وتغيير نصوص الإنجيل .

وفي [مَرْقُس ١٦: ١٩] : ((ثُمَّ إنَّ الرَّب ، بعدما كلَّمهم ، رُفِعَ إلى السماء ، وجلس عن يمين الله)) اهـ . هذا دليل على رَفع المسيح إلى السماء ، بلا صَلْب ، والنصُّ لم يَذكر شيئًا عن الصليب ، وإنما أثبتَ رفع المسيح إلى السماء . والنصُّ يَرسم لنا صُورةً خُرافية لجلوس المسيح عن يمين الله ، باعتباره ابنه الوحيد . كما يَحدث بين المَلِك وولي العهد في في ممالك الدنيا . وهذا الفكرةُ الباطلة(جُلوس المسيح الإله الابن (ولي العهد) عن يمين الله الإله الأب (المَلِك)) مُهيمنة على نصوص الإنجيل البشري المُحرَّف . وقد ورد هذا الأمر بصراحة ووضوح صادم . ففي [الرسالة إلى كُولُوسِّي ٣: ١] : ((حيث المسيحُ جالسٌ عن يمين الله)) اهـ . وهذا على سبيل المثال لا الحصر . إذ إن النصوص الإنجيلية كثيرة ومُتناقضة ومُتعارضة ، ويَهدم بعضُها بعضًا .

وقد بنى النصارى عقيدتهم الباطلة على أن الله حَالٌّ في السماء ، ومحصور داخل المكان ، وأنه يشغل حَيِّزًا مثل باقي المواد والأجسام . وهذا باطل ، ومرفوض نقلًا وعقلًا ، لأن الله أكبر مِن كُل شيء ، وأعظم مِن كل شيء ، ولو كان اللهُ حالًّا في السماء ، لكانت السماء محتوية على الله، وأكبر مِنه ، وأعظم مِنه . أي إن السماء (المخلوقة) أكبر وأعظم مِن الله خالقها . وهذا لا يقوله عاقل .

إن الله وَحْدَه هو الخالق، وكُل ما سِوى الله مَخلوق. كان اللهُ ولا شيء . وهو الآن حيثُ كان، وهو الآن كما كان. مُنَزَّهٌ سُبحانه عن المكان والزمان، لأنه خالق الزمان والمكان . وقد كان اللهُ ، ولا مكان ، ولا زمان ، ولا سماء ، ولا عَرْش . واللهُ يُغيِّر ، ولا يَتغيَّر. لا يَحُلُّ في الأشياء، ولا تَحُلُّ الأشياءُ فيه . فالحمدُ لله الذي تَنَزَّهَ عن المكان، وتعالى أن يَحُدَّه زمان . لا يَحُلُّ الخالق في المخلوق ، ولا يَحُلُّ المخلوق في الخالق .

وفي [مَتَّى ٥: ٣٤و٣٥] قال المسيح : ((أمَّا أنا فأقول لكم : لا تحلفوا أبدًا ، لا بالسماء لأنها عرش الله ، ولا بالأرض لأنها مَوطِئ قَدَمَيْه)) اهـ . هذا النصُّ الخُرافي يَعتبر أن الله كالإنسان له قَدَمَان. والإنسانُ يحتاج إلى قَدَمَيْن ، لتيسير حركته بلا عوائق ولا مشكلات ، فهو كائن ضعيف ومُفتقر إلى الآلات والأدوات والجوارح والأعضاء والحواس . وهذا لا يَنطبق على الله تعالى ، لأن الله هو الخالق العظيم ، الغنيُّ عن كل شيء ، لا يَحتاج إلى شَيء ، وكُل شيء مُفْتَقِر إليه .

وفي [مَتَّى ٢٣: ٢٢] : ((ومَن أقسم بالسماء ، فقد أقسم بعرش الله وبالجالسِ عليه !)). يُقدِّم النصارى تصوُّرًا خياليًّا مريضًا عن الله ، حيث إنهم يُشبِّهونه بأحد مُلوك الدنيا في جُلوسه على العرش . هذا مرفوض وغير معقول ، لأن الإنسان محصور في الزمان والمكان ، ويَشغل حَيِّزًا ، ويَحُلُّ في الأشياء ، وتَحُلُّ الأشياء فيه . أمَّا اللهُ الخالقُ فلا يَحصره شَيء ، لأنه أكبر من كُل شيء، وأعظم مِن كُل شيء ، ولا يَحُلُّ في الحوادث ، ولا تَحُلُّ فيه الحوادث . ولو كان اللهُ غَيْرَ ذلك ، لكانَ مقهورًا خاضعًا، ومحصورًا في الزمان والمكان.وما قامت به الحوادث ، أو كان مَحَلًّا للحوادث، فهو حادث(موجود بعد إذ لم يكن). واللهُ هو الخالق القديم. كانَ اللهُ ، ولا شيء معه .

إن الله استوى على العرش . أي : علا على عَرْشه . وهذا العُلُوُّ عُلُوُّ المكانة لا المكان . فاللهُ تعالى مُنَزَّهٌ عن المكان. والاستواءُ لا يُمكن حَمْله على معنى الاستقرار والتمكن ، لأن الاستقرار والتمكن من صفات الأجسام . فالمُستقِرُّ لا يكون إلا جِسْمًا ، إمَّا مِثْل العَرش أو أكبر منه أو أصغر. وهذا مُحال في حَقِّ الله المُنَزَّه عن المكان والزمان ، فهو سُبحانَه لا يَحُلُّ في الأشياء ، ولا تَحُلُّ الأشياءُ فيه . وما أدَّى إلى مُحال فهو مُحال . والمُمَاسَّةُ والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال من صفات الأجسام المخلوقة،والمحصورة مكانيًّا وزمانيًّا. واللهُ مُنَزَّهٌ عن المكان والزمان. والعَرْشُ لا يَحمل اللهَ تعالى ، لأنه سُبحانَه غنيٌّ عن كُل شيء ، وليس بحاجة إلى أَي شيء . ولو كان العَرشُ يَحمل اللهَ تعالى ، لكانَ اللهُ عاجزًا مُفْتَقِرًا إلى غَيْره ، ومُحتاجًا إليه . وهذا مُحال ، وغَير مَعقول ، لأن الله هو الإله الخالق ، القائم بذاته ، المُسيطر على كل شيء .

وفي [الرسالة إلى أفَسُوس ٣ : ١٩] : ((فتمتلئوا حتى تَبلغوا مِلءَ اللهِ كُلّه)) اهـ . هذا النص الإنجيلي الخُرافي يُصوِّر اللهَ كجسم مُجوَّف كالخَزَّان ، وله أبعاد ، ومساحة ، وحجم ، ويُمكن مَلْؤُه بشكل كامل . وهذه المعاني الفاسدة تتَّضح في النص . مِمَّا يدل على أن النصارى يَعتبرون اللهَ يَملك جِسْمًا كأجسام المخلوقين ، ويَشغل حَيِّزًا ، وله تَجويف وأبعاد . وهذا مُنتهى الكفر والضلال ، ويُشير إلى الجهل التام بصفات الله المُقدَّسة ، وسَيطرة عقائد التَّشبيه والتَّجسيم على عقول علماء النصارى ، الذين يَقُودون العوام والجُهَّال مِن الضلال إلى الضلال .

وفي [الرسالة إلى أفَسُوس ٤: ١] قال بُولُس : ((إذن ، أنا السجينَ في الرَّب)) اهـ . يعتبر بُولُس نَفْسَه سَجِينًا في الرب . وهذا يُشير إلى جهل بُولُس بالرُّبوبية . فالإيمانُ يُحرِّر الناسَ ، ويُخرجهم مِن ضيق الدنيا إلى سَعَة الدنيا والآخرة ، ولا يَجعلهم سُجناء في الرب ، وإنما يُحرِّرهم مِن الأمور السَّيئة . ولكن بُولُس خاصة (والنصارى عُمومًا) يَفهمون النصرانيةَ (المسيحية) على أنها قَتل وصَلْب وسفك دماء وتقديم قرابين بشرية . لذلك ، من الطبيعي أن يعتبروا الدِّينَ عِبئًا ثقيلًا على أكتافهم ، وأنهم سُجناء في الرب ، وتائهون ، وضائعون ، ومقهورون ، ويتم التضييق عليهم . وللأسف ، صار الرب _ في الديانة النصرانية الباطلة _ سِجْنًا ، والناس تُسجَن فيه بلا رحمة . وهذا يدل على بُطلان الديانة النصرانية (المسيحية) الدموية ، وتحريف الإنجيل . واللهُ أنزلَ الإنجيلَ على المسيح لهداية بني إسرائيل ، وإرشادهم إلى الحق والهدى والنُّور ، وإخراجهم مِن ضِيق الدنيا إلى سَعَة الدنيا والآخرة ، وليس لِسَجنهم في الرب ، ومُحاصرتهم ، وتدميرهم .

وفي [الرسالة إلى كُولُوسِّي ٢: ٨و٩و١٠] : ((احذروا أن يُوقعَكم أحدٌ فريسةً بواسطة الفلسفة والغُرورِ الباطل ، عملًا بتقاليد الناس ومبادئ العالَم ؛ مِمَّا لا يوافق المسيح . فإنه فيه ، جسديًّا ، يَحُلُّ الله بكل مِلئه ، وأنتم مُكمَّلون فيه)) اهـ . هذا النصُّ الأُسطوري يقول إن الله يَحُلُّ بكل مِلئه في المسيح جسديًّا ، والناس مُكمَّلون فيه . وهذه الهَرْطقة المفضوحة تشتمل على كوارث عَقَدِيَّة . وَفْق النص ، إن الله الخالق القديم يَحُلُّ في المسيح المخلوق الحادث . وهذا باطل ، لأن مَن خالطَ الحوادث فهو حادث ، وما كان مَحَلًّا للحوادث فهو حادث . واللهُ قديم ، كان الله ، ولا شَيء معه . ولو كان اللهُ حادثًا ، لَبَطَلَت أُلوهيته ، وصارَ مخلوقًا مقهورًا خاضعًا للزمان والمكان . وهذا مرفوض نقلًا وعقلًا . وعبارةُ " بكل مِلئه " تعني أن الله جِسم له تجويف وأبعاد ومساحة وحجم، ويتمُّ مَلْؤُه. وهذا يعني أن الله مخلوق حادث مثل باقي الأجسام المخلوقة، وهذا باطل ، لأن الله الخالق لا يُشبه شيئًا ، ولا يُشبهه شيء .

وبعد كل هذا ، يصير الناسُ شُركاء لله والمسيحِ في هذه الفوضى العَقَدِيَّة . وهذا يدل على سيطرة الوثنية والشِّرك بالله على عقول علماء النصارى ، الذين حرَّفوا الإنجيلَ لِيُوافق أهواءهم.

وفي [الرسالة إلى العِبرانِيِّين ١٢: ٢٩] : ((مُتَذَكِّرين أن ((إِلَهَنا نارٌ آكِلة !)))) اهـ . هذا النص الإنجيلي يُعيد النصَّ التوراتيَّ [تَثْنية ٤: ٢٤]: ((لأن الربَّ إلهَكَ هو نارٌ آكلة إلهٌ غَيور))، ويعترف به، ويعتمده، ويُؤيِّده. وهذا يدل على الاختراق اليهودي للإنجيل والنصرانيةِ (المسيحية)، ويكشف عملية صَهْينة الإنجيل البشري المُحرَّف ، وإخضاعه للتوراة البشرية المُحرَّفة ، وتكوين الوهم الكبير الذي يُسمَّى الكتاب المُقدَّس (التَّوراة / العهد القديم والإنجيل / العهد الجديد) .

وهذا النصُّ يحرص على ربط صفات الله بالقسوة والحرب والعنف والعذاب والنار . ووَصْفُ اللهِ بالنار الآكلة دليل على عِشق أهل الكتاب (اليهود والنصارى) للقتل والقَسوة والإبادة . وتحريفُ النصوص الدينية يُكرِّس الدَّعوة لسفك الدماء . وكأن النصَّ المُزيَّف يقول إن الله سيحرق الأخضرَ واليابس ، وسيُدمِّر كُلَّ شَيء ، فهو نار تأكل ما تَجده أمامها وتلتهمه بلا رحمة ولا شفقة . وهذا طَعْنٌ واضح في صفات الله المقدَّسة، وتنفير للناس مِن الله تعالى ، وإبعادٌ عنه ، وذلك بتصويره كإله يَقتل ويحرق ويُدمِّر . واللهُ هو الخالق العظيم ، صفاته مُقدَّسة ، وهو أرحم بالناس مِن أمهاتهم ، وقد أنعمَ عليهم بالنِّعَم الكثيرة التي لا تُعَدُّ ولا تُحصَى ، فيجب تعظيمه وتقديسه ومعرفة فضله وإنعامه ، ووصفه بصفات الكمال التي تليق بجماله وجلاله .

وهذا النصُّ البشري المُحرَّف : ((إِلَهَنا نارٌ آكِلة !)) يتماهى مَعَ القول المَنسوب للمسيح كَذِبًا وزُورًا:((جئتُ لأُلقيَ على الأرض نارًا فكم أُريد أن تكون قد اشتعلت ؟))[لُوقَا ١٢: ٤٩]. وهذا يدل بوضوح على أن النصرانية (المسيحية) ديانة بشرية أرضية وَضْعية دموية قائمة على سَفْك الدماء والقتل والصَّلْب والقرابين الإنسانية وأكل لحوم البشر (دم المسيح وجسده) ، وحَرْق الأخضر واليابس ، ونشر الحرائق والنيران ، والحِرص على اشتعال الأرض بالكامل . وإذا كان اللهُ الإلهُ يتم وَصْفه بأنه نار آكِلة ، فهذا يعني أن الدِّين النصراني قائم على النار والحرائق.

وفي [الرسالة الأولى إلى كُورِنثُوس ٢ : ١٠ و١١] : ((فإن الرُّوحَ يتقصَّى كلَّ شيء ، حتى أعماقَ الله ... . وكذلك فإن ما في الله أيضًا لا يَعرفه أَحدٌ إلا رُوحُ الله)) اهـ . إن عقائد التَّشبيه والتجسيم الباطلة مُتغلغلة في عقول علماء النصارى . وقد شُبِّه الله بشخص له أعماق ، وينبغي الكشف عن هذه الأعماق ، وسَبْر غَوْرها . والرُّوح يتقصَّى كُلَّ شيء حتى أعماق الله . وأيضًا ، إن الله جِسم مُجوَّف له أبعاد ومساحة وحجم ، ورُوحُ الله فقط هو الذي يَعرِف ماذا يُوجد داخل الله .

عاشرًا : صُورة المسيح وطبيعة دَعوته

يُقدِّم الإنجيلُ البشريُّ المُحَرَّفُ صُورةً سيئة للسَّيد المسيح ، مَعَ إلصاق الصفات القبيحة به ، وتصويره كشخص بعيد عن الأخلاق الحميدة ، وأدب الحوار . وهذا دليل واضح على تحريف الإنجيل،وأن الديانة النصرانية (المسيحية) المنسوبة كَذِبًا وزُورًا إلى المسيح، مُجرَّد أفكار خُرافية.

١_ مَحَلِّية دَعوة المسيح وعدم عالميتها

إن اللهَ اختارَ المسيحَ (عيسى بن مريم) نبيًّا ورسولًا ، وأنزلَ عليه الإنجيلَ ، وأرسله إلى بني إسرائيل فقط ، لهدايتهم إلى الإسلام ، وعبادة الله وَحْدَه ، بلا شريك . وجميعُ الأنبياء بلا استثناء دِينهم واحد، وهو الإسلام، لكن الشرائع تختلف باختلاف الزمان والمكان وطبيعة الناس .

ودَعوة المسيح مَحَلِّية وغير عالمية ، إذ إنه أُرسِل إلى بني إسرائيل حصريًّا ، وهذا ثابت في الإنجيل . ولكن علماء النصارى اخترعوا فكرةَ التَّبشير (التَّنصير) ، وسخَّروا الجهودَ الجبَّارة لإضلال الناس ، وإجبارهم على اعتناقهم النصرانية (المسيحية) بالقُوَّة والسَّيف ، أو إغرائهم بالمال والمناصب ، أو استغلال فقرهم وحاجتهم ، وتقديم الطعام والشراب والمأوى لهم مُقابل الدخول في النصرانية (المسيحية) . والنصرانيةُ ديانة بشرية أرضية وَضْعية دموية قائمة على القتل والإبادة والصَّلْب والإعدام على خشبة الصليب ، للتَّكفير والتَّطهير والخلاص . وهذه هي فلسفة القرابين البشرية والأُضحيات الإنسانية . وهذه الديانةُ الفوضوية ضِد الفِطرة الإنسانية ، وضِد العقل والمنطق السليم . فالفِطرةُ الإنسانية مُتَوَجِّهة إلى الإله الخالق الذي لا شريك له ، ولا تَتَوَجَّه إلى ثلاثة آلهة (الآب ، والابن ، والرُّوح القُدُس) . كما أن فكرة " صَلْب الإله ابن الإله " ، وعجزه عن حماية نفْسه ، وخُضوعه لعبيده ، وتخلِّي الله عنه ، وتركه للأعداء ، فكرة جنونية مُضحكة .

في [الرسالة إلى أفَسُوس ٦: ١٥] : ((والاستعدادَ لنشر بِشارة السلام حِذاءً لأقدامكم)). لقد قام الإنجيلُ البشريُّ على الألفاظ السيئة والعبارات الدُّونية ، لذلك ليس غريبًا أن ينتشر لفظ " الحذاء" أو " الأحذية" في الإنجيل البشري ، ضِمن سياق لغوي ودِيني في غاية القُبح والبشاعة. وهذا النصُّ الإنجيلي البشري يُقدِّم بِشارة السلام حِذاءً لأقدام الناس . هل هذا كلام مُحترم موجود في كتاب سماويٍّ ؟ . إن بِشارة السلام لها احترام وتكريم وتعظيم ، فلماذا تُشبَّه بالحِذاء (رمز الدَّناءة والوَضَاعة) ؟ . مُستحيل أن يكون هذا كلام الله ، ومُستحيل أن يكون هذا الإنجيل كتابًا

سماويًّا . وهل يَقْبل المسيحُ أن تكون بِشارة السلام حِذاءً لأقدام الناس ؟ . وهل يَقْبل بابا الفاتيكان والكرادلة وعلماء النصارى والرُّهبان والكهنة والقساوسة بتشبيه بِشارة السلام بالحِذاء؟. هل هذا أُسلوب الدعوة النصرانية (المسيحية) لجذب الأتباع وإقناعهم ؟ . الجواب واضح .

اخترعَ علماءُ النصارى فِكرة التَّبشير (التَّنصير) لتقديم النصرانية (المسيحية) كديانة عالمية جاءت للناس جميعًا . وبذلك ، يضمن النصارى سيطرتهم على الأمم والشعوب ، ويُكرِّسون استغلالهم لها ، وقهرها ، وإخضاعها باسم الدِّين ، وسرقة ثرواتها باسم المسيح ، واستعبادها باسم الصليب والفِدَاء والكفَّارة . والنصرانيةُ (المسيحية) هي ديانة بشرية ، ومشروع تجاري مادي استثماري ، قائم على الأهواء الشخصية ، والمصالح المادية ، والمنافع الذاتية ، والحصول على المناصب والمزايا والمال والسُّلطة ، والحفاظ على الزعامة والرئاسة . لذلك ، ليس غريبًا أن يقترن الاستعمارُ (الاستخراب) بالتَّبشير (التَّنصير) . وليس غريبًا أن يَقترن الاستشراق بالتَّبشير . فالكفرُ مِلَّة واحدة . ودائمًا ، يتم تغليف الاستعمار (الاحتلال العسكري) بهالة الحُب والتسامح والتقدُّم والحضارة ونشر الدِّين الصحيح ، وتكريس الأخلاق الحميدة . وهذه الحِيلة المكشوفة المفضوحة لا تَنطلي إلا على الأغبياء والبُسَطاء والسُّذَّج .

وَدَعِ الذينَ إذا أتَوْكَ تَنَسَّكُوا وإذا خَلَوْا فَهُم ذِئابُ خِرَافِ

في [متَّى ١٢: ١٨] : ((فيُعلِن العدلَ للأُمم)) اهـ . اعتمدَ النصارى على هذا النص البشري لإثبات عالمية النصرانية (المسيحية) ، وضرورة التبشير . ووَفْق النص ، إن الله قال عن المسيح : ((فيُعلن العدلَ للأمم)) اهـ . أي إن المسيح جاء لجميع الأمم والشعوب.وهذا باطل ، لأن دعوة المسيح محصورة في بني إسرائيل ، ورسالته مُوجَّهة لليهود فقط ، وليس لغيرهم.

وفي [مَتَّى ١٢ : ٢١] : ((وعلى اسمه تُعلِّقُ الأُممُ رَجاءها !)) اهـ . يقول هذا النصُّ الوهمي : وعلى اسم المسيح تُعلِّق الأممُ رجاءها ، كي يُنقِذها ويُطهِّرها ويُخلِّصها . وهذا كلامٌ غير صحيح ، لأن الواقع يُكذِّبه ، فالأممُ لم تُعلِّق رجاءها على المسيح ، لأن دعوته كانت محصورة في بني إسرائيل (اليهود) ، ولم يَثبت أن المسيح قد دعا الأممَ والشعوبَ ، أو وجَّه رسائل لها ، أو خاطبَ ملوك الأمم والشعوب وحُكَّامها ، كما فعل النبيُّ محمد ﷺ . ورسائلُ النبيِّ محمد إلى مُلوك العالَم وحُكَّام الأمم والشعوب ثابتة وموجودة ، لأن رسالة محمد عالمية لكل الناس بلا استثناء،فأينَ هي رسائل المسيح إلى مُلوك العالم وحُكَّام الأمم والشعوب إذا كانت رسالته عالمية؟.

هذا دليل على أن دعوة المسيح محصورة في بني إسرائيل فقط لا غَيْر ، ولو كانت دعوة المسيح عالمية لخاطبَ ملوكَ الأرض وحُكَّام العالَم ، وأرسلَ لهم الرسائل باسمه لدعوتهم وإرشادهم . ولكن هذا لم يحدث . وهذا دليل واضح على مَحَلِّية دَعوة المسيح ، وبُطلان التَّبشير (التَّنصير) . والمسيحُ جاء لدعوة بني إسرائيل فقط . ومن حاولَ نشر النصرانية (المسيحية) في العالَم ، فهو مُخالف لدعوة المسيح ومُعارِض له ، ورافض لأمره ومنهجه ودعوته ورسالته .

وفي [مَتَّى ٢٨ : ١٨ و١٩] قال المسيح : ((قد سُلِّمْتُ كُلَّ سُلطة في السماء وعلى الأرض. فاذهبوا إذن ، وتَلمِذُوا جميعَ الأُمم ، وعمِّدوهم باسم الآب والابن والرُّوح القُدُس)) .

هذا النصُّ البشري المُحرَّف يكشف كثرةَ الأيدي التي تلاعبت بنصوص الإنجيل . وهذا الكذبُ على المسيح واضح ومفضوح ومكشوف . وَفْق النص ، يقول المسيح إنه سُلِّمَ كُل سُلطة في السماء وعلى الأرض . ومَن الذي سَلَّمَ المسيحَ هذه السُّلطات ؟ . لقد مَنَحَ اللهُ سُلطاته وصلاحياته للمسيح ، وتنازلَ عنها له ، كما يَفعل المَلِكُ في الدنيا ، حيث يتنازل عن سُلطاته الدستورية لابنه (ولي العهد ووريث العرش) ، ويُعطي صلاحياته لابنه (الذراع اليُمنى لأبيه) . وهذه الفكرةُ البشريةُ طبَّقها النصارى على العلاقة بين الله (الإله الأب) والمسيح (الإله الابن) ، وبما أن المسيح (الإله ابن الإله) جلس عن يمين الله. إذن ، فهو شريك لله في أُلوهيته ورُبوبيته، وولي العهد ، ووريث العَرْش . وهذه الخُرافات دليل على بُطلان النصرانية (المسيحية) ، وقيامها على مبدأ الكذب على الله ، والكذب على المسيح (عبد الله ورسوله) . والمُضحك في الأمر أن المسيح الذي سُلِّمَ جميعَ السُّلطات السماوية والأرضية ، قُتِلَ وصُلِبَ على الخشبة ، وعجز عن حماية نفْسه ، ولم يَستطع إنقاذ رُوحه ، وتعرَّضَ لكل أنواع الإهانات على أيدي عبيده . فما هو هذا الإله ابن الإله صاحب السُّلطات السماوية والأرضية الذي يُعدَم على خشبة الصليب ؟ . وماذا استفادَ مِن سُلطاته ؟ ، ولماذا لم يستخدمها لحماية نفْسه ؟ . والإلهُ المصلوبُ الضعيف العاجز عن حماية نفْسه ، سيكون أكثر عجزًا عن حماية الآخرين ، ولن يُنقِذ المؤمنين به . وهذا يكشف فساد عقائد النصارى ، وتحريفِ الإنجيل . وبعد كُل هذه الخُرافات ، يتم تصميم الدعوة النصرانية (المسيحية) بشكل عالمي ، مِن أجل إرشاد الأمم ، وهداية الشعوب ، وتعميدها باسم آلهة الثالوث : الأب ، والابن ، والرُّوح القُدُس (ثلاثة آلهة في واحد) . والنصُّ قائم على الكذب والخُرافة والأسطورة ، والواقعُ يُكذِّبه ، لأن المسيحَ لم يتوجَّه بدَعوته لخارج بني إسرائيل ، ولم يقم بإرشاد غَير اليهود ، ولا دَعوة الأمم والشعوب . وهذا ثابتٌ تاريخيًّا وإنجيليًّا . والواقعُ يَدْعمه .

إن رسالة المسيح خاصة ومحصورة في بني إسرائيل فقط ، ودَعوته مَحَلِّية مُوجَّهة لليهود ، وليست عالمية لكل الناس . وهذا ثابتٌ في الإنجيل ، وحياةُ المسيح تدل على هذا . ولو دعا المسيحُ الأممَ والشعوبَ ، ووجَّه الرسائلَ إلى ملوك العالَم وحُكَّام الأرض ، لقُلنا إن المسيح جاء لدعوة جميع الناس، ودَعوته عالمية. لكن هذا لم يَحدث. والمسيحُ حَصَرَ دعوته في بني إسرائيل.

في [مَتَّى ١ : ٢١] : ((لأنه هو الذي يُخلِّص شَعبَه مِن خطاياهم)) اهـ . هذا النصُّ واضحٌ في أن المسيح هو الذي يُخلِّص شَعبَه مِن خطاياهم. شَعْبه فقط، وليس الشعوب والأمم الأُخرى . لقد تَمَّ حَصْر عملية الخلاص والتَّخليص في" شَعبه " فقط ، أي في بني إسرائيل . والنصُّ لَم يَقل: يُخلِّص الشعوبَ والأمم من خطاياهم. وهذا واضحٌ في إثبات مَحَلِّية دعوة المسيح وعدم عالميتها.

وفي [متَّى ١٠: ٥و٦] : ((هؤلاء الاثنا عشر رَسولًا، أرسلَهم يسوعُ وقد أوصاهم قائلًا : ((لا تَسلكوا طريقًا إلى الأمم، ولا تَدخلوا مدينةً سامِريَّة. بل اذهبوا بالأحرى إلى الخِراف الضالة ، إلى بيت إسرائيل)) اهـ . لقد نهى المسيحُ رُسله (تلاميذه) عن الذهاب إلى الأُمم ، ومَنَعَهم مِن التَّوَجُّه إلى الشعوب ، وأوصاهم بذلك . وقد أمرهم بالذهاب إلى الخِراف الضَّالة حَصْرًا ، أي إلى بيت إسرائيل فقط . وهذا الأمرُ دليل واضح على مَحَلِّية دعوة المسيح وحَصْرها في بني إسرائيل، ومنع نشر دعوته بين الأمم والشعوب . مِمَّا يُشير إلى بُطلان فكرة التَّبشير (التَّنصير) ومُخالفتها لمنهج المسيح ، ومُعارضتها لِدَعوته ورسالته . وكُل ما خالفَ دَعوة المسيح فهو بِدعة ضلالة .

وفي [مَتَّى ١٥ : ٢٤] : ((فأجاب : ((ما أُرسلتُ إلا إلى الخِراف الضَّالة ، إلى بَيت إسرائيل !)))) اهـ . هذا تصريحٌ وإقرار مِن المسيح شخصيًّا بأنه لم يُرسَل إلا إلى الخِراف الضَّالة فقط ، إلى بيت إسرائيل حصريًّا . وكما يُقال : الاعتراف سيِّد الأدلة . وهذا دليل واضح على مَحَلِّية دَعوة المسيح ، وحَصْرها في بيت إسرائيل فقط . فقد جاء المسيحُ لدعوتهم وَحْدَهم ، ولا علاقة له بالأمم والشعوب الأُخرى . وهذا يُوضِّح أن التَّبشير (التَّنصير) بِدعة ضلالة ، اخترعها علماءُ النصارى للسيطرة على الشعوب ، واستغلالها ، ونهب ثرواتها وخَيراتها ، باسم الأب والابن والرُّوح القُدُس والصليب والفِداء والكفَّارة . والاستعمارُ (الاستخراب) والتَّبشير (التَّنصير) وَجْهان لعُملة واحدة ، وكُل الأدلة التاريخية الواقعية تُثبِت اقتران الاستعمار بالتَّبشير وترابطهما بشكل واقعي ومصيري ، رُوحِيًّا وماديًّا ، شكلًا وموضوعًا . وعقيدةُ التَّبشير (التَّنصير) مُخَالِفَة لمنهج المسيح ، وضِد تعليماته وتوجيهاته وإرشادته . ولو كانَ المسيحُ مَوجودًا لأبطلها بنفْسه ، لأنها مُعَارِضَة لرسالته ومنهج ودَعوته .

وفي [أعمال الرُّسل ١١: ١٩]: ((أمَّا المؤمنون الذين تشتَّتوا بسبب الاضطهاد الذي وقَعَ علَيهم بعد مَوت استِفانوس،فمرُّوا بِفينيقيَة وقُبرُص وأنطاكِيَة، وهُم لا يُبشِّرون بالكَلِمة إلا اليهود)).

إنهم يُبشِّرون بكلمة المسيح اليهودَ فقط لا غَيْر ، ولا يُبشِّرون الأممَ والشعوب الأُخرى . وهذا دليل على مَحَلِّية رسالة المسيح ، وعدم عالميتها ، وأنها جاءت لليهود فقط . ولو كانت رسالة المسيح عالمية لجميع الناس ، لَبَشَّرُوا اليهودَ وغَير اليهود . وتَوجيهُ التبشير بالكلمة لليهود فقط ، يُشير إلى أن المسيح رسول لبني إسرائيل وَحْدَهم ، ورسالته مُوجَّهة لليهود فقط ، والمسيحُ تابع لِمُوسى ، والإنجيل تابع للتَّوراة . والنبيُّ الرئيسي في بني إسرائيل هُو مُوسى ، والمسيح سائر على خُطاه ، عليهما الصلاة والسلام . وهذا معنى قَول المسيح : ((لا تظنُّوا أني جئتُ لأُلغيَ الشريعةَ أو الأنبياء . ما جئتُ لأُلغي ، بل لأُكمِل)) [مَتَّى ٥: ١٧] . إذن ، فالمسيحُ جاء لإكمال دَعوة النبيِّ مُوسى لبني إسرائيل، وليس لإلغاء الشريعة أو الأنبياء ، أو وضع شريعة جديدة . وهذا يَنسجم معَ مَحَلِّية رسالة المسيح ، وحَصْرها في بني إسرائيل (اليهود) وَحْدَهم دُون غَيرهم . وهذا يعني أن رسالة المسيح خاصة محدودة لا عالمية عامة . وهذا يُبطِل مبدأ " تبشير الأمم والشعوب " الذي يتبنَّاه علماءُ النصارى ، مِن أجل تحقيق مصالح شخصية ، وجَنْي منافع مادية ، واستغلال الشعوب باسم الله ، وسرقة ثرواتها وخيراتها باسم المسيح والصليب والفِداء والخلاص . والمسيحُ بريء مِن كُل هذه الأكاذيب والخُرافات . وكُل بِدعة ضِد منهج المسيح هي ضلال مرفوض .

والسؤالُ الذي يَطرح نَفْسَه في هذا السياق : مَن هو الشخص الذي اخترعَ خُرافة تبشير الأمم والشعوب ، المُخَالِفَة لمنهج المسيح والمُعَارِضَة لِدَعوته ورسالته ؟ .

إن بُولُس (الذي يتم تقديمه كرسول للمسيح) هو الذي انقلبَ على دَعوة المسيح ، واخترعَ عقائد من أفكاره الشخصية ، تَبَعًا لأهوائه ومصالحه الذاتية . يقول بُولُس : ((فَلِي ، أنا الأصغرَ من أصغر القِدِّيسين جميعًا ، وُهِبَت هذه النِّعمة : أن أُذيع بين الأمم بِشارةَ غِنى المسيح الذي لا يُحَد))[الرسالة إلى أفَسُوس ٣ : ٨]. يُقدِّم بُولُس نَفْسَه كشخص مُميَّز عن الآخرين ، فهو وَحْدَه وُهِبَت له نِعمة التبشير بالمسيح بين الأمم. وهذا يدل على كذب بُولُس وتلاعبه بنصوص الإنجيل. ودَعوةُ المسيح لو كانت عالمية لانتشرت عند جميع تلاميذه ورُسله وكُل القِدِّيسين، ولم يتم اختيار بُولُس فقط دُون غَيره . ولكن بُولُس أرادَ تمييز نَفْسه ، وإعلاء شأنه فوق غَيره ، والحصول على مكاسب مادية ، وتحقيق مصالح شخصية ، فادَّعى أنه وَحْدَه الذي وُهِبت له هذه النِّعمة . أين باقي التلاميذ والرُّسل والقِدِّيسين يا بُولُس ؟ . لماذا لم يَحملوا هذه النعمة الكُبرى ويسيروا على

خُطى المسيح ما دامت دعوته عالمية لجميع الأمم والشعوب ؟ . إن بُولُس هو الذي أضاف بِدعة "عالمية رسالة المسيح "، وضرورة نشرها ، والتبشير بها بين الأمم والشعوب ، لتقديم نفْسه كقائد من قادة النصرانية، وزعيم رُوحي ، والذراع اليُمنى للمسيح ، ومُساعده الشخصي ، ورسوله الأمين. وهذا الكذبُ مكشوف ومفضوح . وقد ذَكَرْنا النصوص الإنجيلية التي تُثبِت مَحَلِّية دعوة المسيح ، وحَصْرها في بني إسرائيل (اليهود) فقط لا غَيْر . ومَن خالفَ هذا ، فهو مُعَارِض لرسالة المسيح .

والجديرُ بالذِّكر أن مُؤلِّفي الأناجيل حاولوا جاهدين ، تثبيت خُرافة " عالمية رسالة المسيح " ، كما حاولوا تثبيت خُرافة " عدم نهاية مُلك المسيح " ، ولكن كذبهم اتَّضح ، وأمرهم افْتُضِح .

في [لُوقَا ١ : ٣٢ و٣٣] : ((ويمنحه الربُّ الإلهُ عرشَ داودَ أبيه ، فيَملِك على بيت يَعقوبَ إلى الأبد ، ولن يكون لِمُلكه نهاية)) اهـ .

هذا النصُّ الخُرافي تَمَّ اختراعه لتقديم المسيح باعتباره قائد البشرية ، وزعيم الإنسانية، الذي يظل مَلِكًا ومَالِكًا إلى الأبد ، وشريعته عالمية وعامة وشاملة لكل الأمم والشعوب. وهذا الغُلُوُّ غير المنطقي هو الذي دمَّر عقائدَ النصارى (المسيحيين) ، وجعلهم ضَالِّين ومُضِلِّين في آنٍ معًا .

والكذبُ في النص مكشوف ومفضوح ، والمُغالطات فيه كارثية . إن اللهَ لم يَمنح المسيحَ عرش داود ، ولم يَجلس المسيحُ على كُرسي داود . لقد مَنَحَ اللهُ عرشَ داود لابنه سُلَيمان ، وَوَرِثَ سُلَيمانُ داودَ، وجَلَسَ سُلَيمان على كُرسيِّ أبيه داود . وداودُ أبو سُلَيمان ، وليس أبا المسيح ، لأن المسيح خُلِقَ بلا أب. وأيضًا ، إن المسيح لم يَملِك على بَيت يَعقوب إلى الأبد ، وكان لِمُلكه نهاية ، ولم يَستمر مُلْكُه . معَ العِلم أن المسيح لم يَكُنْ مَلِكًا ، ولم يَجلس على عَرْش . فهو عبد الله ورسوله ، خَلَقَه اللهُ مِن أُم بلا أب . وهذه مُعجزة إلهية باهرة، وأرسله الله إلى بني إسرائيل فقط، لهدايتهم إلى توحيد الله ، وإرشادهم إلى الحق والهدى والنُّور . ثُمَّ نجَّاه اللهُ مِن الأعداء (اليهود) الذين حاولوا قَتله والتخلص منه ، وصُلِبَ شَبيه المسيح . أمَّا المسيحُ فقد رَفَعَه اللهُ إلى السماء ، وهو الآن موجود في السماء، وسيعود إلى الأرض في نهاية الزمان ليكسر الصليبَ، ويُظهِر الحقَّ . واليهودُ لهم تاريخ طويل في إيذاء الأنبياء ، والتطاوُل عليهم ، وقَتلهم بأبشع الأساليب . ومَن قَتَلَ نبيًّا ، فهو كافر وخالد في جهنم إلى الأبد ، ولا تُوجد أمامه أيَّة فُرصة للنَّجاة .

٢_ إخفاء شخصيته ومُعجزاته

إن الأنبياء شخصيات عامة ، يتحركون بين الناس ، ولا يَعملون في السِّر ولا تحت الأرض . ومُعجزاتهم ظاهرة وواضحة ، وأفعالهم ليست خَفِيَّة ، ولا يَقُودون تنظيمات سِرِّية .

والإنجيلُ البشريُّ يُقدِّم المسيحَ كشخصية سِرِّية ، تتحرَّك في الخفاء ، وتحرص على عدم الظُّهور.وهذا يتعارض تمامًا مع طبيعة شخصيات الأنبياء ، ومنهج دَعوتهم القائم على إرشاد الناس.

في [مَتَّى ١٢: ١٦]: ((وحذَّرهم مِن أن يُذيعوا أمرَه)) اهـ . وفي [مَتَّى ١٦: ٢٠] : ((ثُمَّ حذَّر تلاميذَه مِن أن يقولوا لأحدٍ إنه هو المسيح)) اهـ . لماذا يُحاول المسيحُ إخفاءَ شخصيته ؟ . لماذا حذَّر تلاميذه مِن كشف أمره ؟ . إن المسيح عبد الله ورسوله ، أرسله اللهُ لهداية بني إسرائيل وإرشادهم . وهذا يعني بالضرورة أنه شخصية عامة ظاهرة ، وأفعاله واضحة ومكشوفة . وهذا هو منهجُ النُّبُوَّة في كل زمان ومكان . ونصوصُ الإنجيل التي تُقدِّم المسيح كشخصية خَفِيَّة وسِرِّية ، هي دليل على تحريف الإنجيل وتغيير نصوصه. والإنجيلُ البشري الخُرافي يُقدِّم المسيحَ كشخصية سِرِّية ، يَقود تنظيمًا سِرِّيًّا ، ويتحرَّك بعيدًا عن أنظار الناس ، ويَحرص على أن لا يَعرفه أحد . ومَن كان هذا شأنه ، كيف يُمكن أن تكون رسالته عالمية وعامة لجميع الأمم والشعوب ؟ .

إن الأنبياء حريصون على الظُّهور ونشر دَعوتهم ورسالتهم ، ووصولها إلى الجميع ، لإقامة الحُجَّة عليهم ، وقَطْع أعذارهم . وكُل نبيٍّ حريص على وصول الحق والهدى إلى الأفراد والجماعات بلا استثناء ، لأن النُّبُوَّة منهج إلهيٌّ واضح وظاهر لإنقاذ الناس وهدايتهم وإرشادهم ، وليس تنظيمًا سِرِّيًّا يَعمل تحت الأرض بعيدًا عن الأنظار . فلا بُد مِن ظُهور النبيِّ وظُهور دَعوته .

وفي [مَتَّى ٩ : ٢٩ و٣٠] : ((فلمسَ أعينهما قائلًا : ((ليكن لكما بحسَب إيمانكما !)) فانفتحت أعينهما . وأنذرهما يَسوعُ بِشِدَّة قائلًا : ((انتبها ! لا تُخبرا أحدًا !)))) . هذا النصُّ الإنجيلي أثبتَ مُعجزةً إلهية جَرَتْ على يد المسيح. والمُعجِزة أمرٌ خارقٌ للعادةِ، يُؤَيِّد اللهُ النبيَّ بِها رَفْعًا لمكانته ، وتعظيمًا لِشَأنه ، وإظهارًا لِصِدْقه ، وتَصديقًا لِنُبُوَّته . والمُعجِزات مُنِحت للأنبياء ، كَي تَظهر وتنتشر وتشتهر ، وتكون دليل صِدْقهم ، وصِحَّة كلامهم ، وتأييدهم بالوَحْي الإلهيِّ.

إن إخفاء المُعجزة خِيانة ، ويُؤَثِّر سلبًا على الدَّعوة ، ويُشكِّك الناسَ في صِدْق النبيِّ وصِحَّة نُبُوَّته ورسالته . والأنبياءُ مُنَزَّهُون عن الخيانة وإخفاءِ المُعجزات الإلهية . وإخفاءُ المُعجزة هو إخفاء لأمر الله وطَمْس له ، ومُحاولة لإطفاء نُور الله . ومِن المستحيل أن يقوم نبيٌّ بهذا العمل السَّيئ ، لأن الأنبياء معصومون مِن الكفر والضلال . وهُم أعظم العارفين بالله ، وأفضل مَن حَمَلَ كلمةَ الله . وقد اختارهم اللهُ مِن بين الناس ، واصطفاهم ، وطَهَّرهم ، وعصمهم ، ورعاهم ، واعتنى بهم . واللهُ يَعْلَم مَن يَختار لحمل كلمته ، ويَعرف أين يضع رسالته . ولا يُمكن للمسيح أن يُخفيَ مُعجزاته أو يسترها ، لأن هذه أكبر خيانة . وهذا يدل على تحريف الإنجيل وتغيير نصوصه .

٣ _ عدم الحديث عن سنواته المُبكِّرة

مِن الأمور العجيبة الغريبة إغفال مُؤلِّفي الأناجيل للسنوات المُبكِّرة في حياة المسيح . ووَفْق العقيدة النصرانية ، إن المسيح إله وابن الله ، فكيفَ يتمُّ إغفال طفولته وسنواته المُبكِّرة ، والتَّعتيم الكامل عليها ؟ .

في [لُوقَا ٢ : ٤٢] : ((فلمَّا بلغ سِنَّ الثانيةَ عَشْرة)) اهـ . وفي [لُوقَا ٣: ٢٣]: ((ولَمَّا بَدأ يَسوعُ (خِدمته) ، كان في الثلاثين مِن العُمر تقريبًا)) اهـ . السؤال هو : ماذا كان يَفعل المسيحُ خلال الفترة (١٢ _ ٣٠) مِن عُمره ؟. لماذا تَمَّ إخفاء هذه المرحلة المهمة وطَمْسها ؟. وكُلُّنا يَعلم أن أصغر كاتب أو مفكر أو شخصية عامة تكون حياته كتابًا مفتوحًا ، وسيرته الذاتية مكشوفة لجميع القُرَّاء والباحثين . والنصارى يَعتبرون المسيحَ إلَهًا وابن الله ، وهذا يعني أن شخصية المسيح إلهية عالمية ، والمفروض أن تُعرَف تفاصيل حياته . خصوصًا أن النصارى يَعتقدون أن الرُّوح القُدُس شاء في القرن الأول للميلاد ، أن يُوحِيَ إلى أربعة رجال أن يُدوِّنوا الإنجيل ، وتولَّى كُل منهم التركيز على جانب مُعيَّن من جوانب حياة المسيح وشخصيته الفريدة. فكيفَ غابت تفاصيل حياة المسيح في سنواته المُبكِّرة عن هؤلاء الرجال الأربعة (مَتَّى ، ومَرْقُس، ولُوقَا ، ويُوحَنَّا) الذين دوَّنوا الإنجيلَ بإشراف الرُّوح القُدُس وتَوجيهه _ حَسَب الاعتقاد النصراني الميثولوجي _ ؟ . هذا يدل على تحريف الإنجيل ، وتغيير نصوصه ، وعدم معرفة مُؤلِّفي الأناجيل بالمسيح ولا تفاصيل حياته . وهؤلاء الرجال الأربعة ليسوا مِن الحواريين ولا تلاميذ المسيح ، ولم يَرَوْه ، ولم يَلتقوا به ، بإجماع علماء النصارى . وتَمَّت نِسبة الأكاذيب والخرافات إلى الرُّوح القُدُس لإيجاد شرعية دينية للإنجيل الذي صار عِدَّة أناجيل مُتناقضة ومُتعارضة ومُختلفة . ولكن تغيير نصوص الأناجيل كَشَفَ خُرافات النصرانية المنسوبة كَذِبًا وزُورًا إلى المسيح .

٤ _ خِدْمته

المسيحُ عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، ورُوح منه . وجميعُ الأنبياء والرُّسل بلا استثناء دِينهم الإسلام (عبادة الله وَحْدَه بلا شريك) ، وهُم خَدَم للإسلام . ولو كانَ المسيحُ إلَهًا لَمَا كانَ خادمًا ، لأن الخدمة تتنافى معَ خصائص الأُلوهية . واللهُ وَحْدَه هو الإلهُ الحق ، غنيٌّ عن كل شيء ، ولا يَحتاج شيئًا ، وكُل شيء يحتاج إليه . لا يَخدم أحدًا ، وكُل ما سِوى اللهِ عبدٌ له .

في [مَرْقُس ١٠ : ٤٥] : ((فحتى ابنُ الإنسان قد جاء لا لِيُخْدَم بل لِيَخدم)) اهـ . هذا النصُّ الإنجيلي يُبطِل أُلوهيةَ المسيح المزعومة ، لأنه يقول إن المسيح (ابن الإنسان) وليس ابن الله ، قد جاء لِيَخْدِم الآخرين ، لا لِيَخدموه . وهذا النص يصف المسيح بابن الإنسان ، ولا يَصفه بابن الله ، ومَن كان ابنًا للإنسان فهو إنسان ، لأن الابن يُجانس أباه ، ويَحمل صفاته وخصائصه. وأيضًا ، لو كان المسيحُ إلَهًا وابنًا لله ، لَمَا كانَ خادمًا للناس . وبالتأكيد ، ليس هذا تواضعًا ، لأن الإله الحق لا يَكون مُتواضعًا وذليلًا وخاضعًا لعبيده ، بَل يكون عبيده خاضعين له .

وهذا النصُّ الإنجيلي يتناقض مع ما ورد عند [مَرْقُس ١٥ : ٤١] : ((اللواتي كُنَّ يَتبَعنَه ويَخْدِمْنَه_ أي يخدمن المسيحَ _ عندما كان في الجليل)) اهـ . هذا يُثبِت أن المسيح لم يَخدم الناسَ ، وإنما كان الناس يَخدمونه ، فكيفَ قَبِلَ المسيحُ أن يَخدمه الآخرون وهو القائل : ((فحتى ابنُ الإنسان قد جاء لا لِيُخْدَم بل لِيَخدم)) _ حَسَب مَرْقُس _ ؟ . هذا تناقض واضح ، واضطراب في نصوص الإنجيل البشري ، الذي يُقدِّم المسيحَ كشخص مُتناقض في أقواله وأفعاله.

وفي [أعمال الرُّسل ٢٠: ١٩] قال بُولُس : ((فقد كنتُ أَخدم الربَّ بكل تواضع)) اهـ . هذا النص يتعارض مع كلام المسيح الذي بيَّن أنه جاء لِيَخْدِم لا لِيُخْدَم ، فلماذا قَبِلَ المسيحُ أن يَخدمه بُولُس ؟. وَفْق كلام المسيح ، كان عليه أن يَخْدَم بُولَسَ . وهذه التناقضات والاختلافات النَّصية والفكرية والعَقَدِيَّة تُشير إلى كثرة الأيدي التي تلاعبت بنصوص الإنجيل ، وقامت بتحريفه .

وفي [الرسالة الثانية إلى كُورِنثُوس ٦: ٤] : ((وإنما نتصرف في كل شيء بما يُبَيِّن أننا فِعلًا خُدَّامُ الله)) اهـ . مُصطلح " خُدَّام الله " اخترعه النصارى اتِّبَاعًا لأهوائهم ، وخُضوعًا لخيالاتهم المريضة الغارقة في عقائد التشبيه والتجسيم ، حيث إنهم يتخيَّلون اللهَ كَمَلِك مِن مُلوك الدنيا، لديه خدم وعبيد وحاشية ، وإذا احتاجَ شيئًا طلبَ مِن خُدَّامه وعبيده أن يُحضروه إليه . وهذه الفكرةُ غرق فيها النصارى وضاعوا . وفي التصوُّر الإنجيلي النصراني (المسيحي) الصَّليبي ، إن الله هو الإله الأب الجالس على العرش ، والمسيح هو الإله الابن ولي العهد ووريث العرش ، وبما أن الله هو المَلِك الجالس على عرش السماء ، فهو يَملك حاشيةً وخُدَّامًا يَسْهَرون على راحته ، ويُنفِّذون طلباته ، ويُطبِّقون أوامره ، ويُحضِرون كُلَّ شيء يحتاجه . وهذه الفكرةُ النصرانية باطلة ، وبُطلانها يُعني بُطلان مُصطلح " خُدَّام الله " ، لأن الله هو الإله الحق الغنيُّ عن كل شيء ، القائم بذاته ، ولا شَيء يَقوم إلا بالله . واللهُ لا يحتاج شيئًا، ولا يَحتاج خُدَّامًا، وكُل شيء يَحتاج إلى الله ، واللهُ إذا أراد شيئًا ، فإنما يقول له : كُن ، فيكون . وانتهى الأمر . ولا حاجة لخدم ومُساعدين.

٥_ الشتائم في الدَّعوة

إن دَعوة الأنبياء قائمة على الأسلوب الجميل ، والحُجَّة الواضحة ، والبيان الراقي ، وأدب الحوار ، والأخلاق الحميدة . ولكنَّ النصرانية (المسيحية) باعتبارها ديانة بشرية أرضية وضعية دموية ذات جُذور وثنية ، تتعلَّق بالقتل والصلب وسفك الدماء والقرابين البشرية ، تعتمد على الخشونة والقَسوة والشتائم . وهذا ليس غريبًا على هذه الديانة التي انتشرت بالسَّيف.((لا تظنوا أني جئتُ لأُرسيَ سلامًا على الأرض. ما جئتُ لأُرسيَ سَلامًا بَل سَيفًا)) [مَتَّى ١٠: ٣٤] .

ومُؤلِّفو الأناجيل وصفوا المسيحَ بأسوأ الألفاظ والعبارات ، وقدَّموه كشخصية قاسية ، تفتقر إلى الأدب والاحترام ، وتستخدم الخشونة والشتائم في الدَّعوة ونشر الرسالة .

في [مَتَّى ١٢ : ٣٤] قال المسيح مُخَاطِبًا الناس : ((يا أولاد الأفاعي)) اهـ . هل هذا هو أسلوب الدعوة الجذَّاب ؟ . وهل هذه هي لغة الأنبياء الراقية في دعوة الناس إلى عبادة الله ؟ . وما هو حال الناس الذين يُخَاطَبُون بالشتائم وبأسلوب وقح ومُنفِّر ؟. لا بُد أنهم سَيَهربون مِن دعوة المسيح ، ويُعادونه ، ويُقاومونه بشتَّى الوسائل ، باعتباره شخصًا ذا أخلاق سيئة ، وغير محترم . وبدلًا مِن جذب الأتباع ، واستقطابهم إلى الإيمان ، سيهربون مِن الدَّاعي ، ويَنفرون مِن الدَّعوة .

وهذا النص الإنجيلي المُحرَّف يُسيء إلى المسيح ، ويَطعن فيه، ويُصوِّره كشخص بلا أخلاق، ولا يَعرف الكلامَ الطَّيب ، ولا يُتقِن فن التعامل معَ الناس . وهذا باطل ، لأن الأنبياء هُم سادة الفصاحة والبلاغة والبيان، يَنشرون الدَّعوة بالأسلوب الطَّيب والكلام الجميل واللغة الراقية الأنيقة، ويُخاطبون الناسَ بأدب واحترام ، ويُناقشونهم بكل تواضع معَ اعتماد منهج الحوار البنَّاء القائم على الدليل ومُقارَعة الحُجَّة بالحُجَّة ، وليس بالشتائم والألفاظ السَّيئة والعبارات القبيحة . وهذا يدل على أن النصرانية (المسيحية) ديانة بشرية أرضية مقطوعة عن السماء ، والأساس الفكري للدعوة النصرانية هو السَّيف والقَسوة والغِلظة والشتائم وإهانة الناس واحتقارهم .

وفي [متَّى ١٦: ٢٣]:((فالتفت يَسوعُ إلى بُطرُس وقال له: اغْرُب من أمامي يا شَيطان !)).

هل هذا أسلوب تعامل المُعلِّم معَ التلميذ؟.وهل هذه دَعوة المسيح لهداية الناس وإرشادهم؟. والعجيبُ أن النصارى يَعتبرون بُطرُس قِدِّيسًا ، في حِين أن المسيح اعتبره شَيطانًا . وهذا حُكم مِن المسيح بإدانة بُطرُس ، واعتباره شخصًا سيئًا وفاسدًا وفاسقًا.وإذا كان القِدِّيس بُطرُس (أحد تلاميذ المسيح الاثني عشر) شَيطانًا، فهذا يَعني أن النصرانية (المسيحية) قامت على أكتاف الفاسدين.

وإذا كان المسيحُ يُعامل تلاميذه والناس بالشتائم والإهانات ، فإن يحيى (يُوحَنَّا المَعْمَدان) يُعامل الناسَ أيضًا بالشتائم والإهانات . وهذا حَسَب الإنجيل المُحرَّف ، ونحن نُنَزِّه المسيح ويحيى _ عليهما الصلاة والسلام _ عن الأكاذيب والشتائم وخُرافات النصرانية (المسيحية) .

في [متَّى ٣ : ٧]:((ولمَّا رأى يُوحَنَّا كثيرين من الفَرِّيسيين والصَّدُّوقيين يأتون إليه ليتعمَّدوا ، قال لهم : ((يا أولاد الأفاعي ...)))) اهـ . هذا أمرٌ في غاية الغرابة ، لأنهم جاؤوا ليتعمَّدوا ، والمفروض أن يُرحِّب بهم يُوحَنَّا المَعْمَدان ، ويُشجِّعهم ، ويَدعمهم ، لا أن يشتمهم ، ويُهينهم ، ويَصفهم بأولاد الأفاعي . أي إنهم منسوبون إلى الشر والمكر والخيانة والصفات السَّيئة . وهل هذا أسلوبُ الدَّعوة الصحيح لجذب الأتباع والمؤمنين ؟ . وهل هذا جزاء مَن يأتي ليتعمَّد ؟ .

إن الدَّعوة النصرانية (المسيحية) قائمة على الشتائم والإهانة واحتقار الناس ، والتكبُّر عليهم، ووصفهم بأسوأ الألفاظ ، ونَعْتهم بأقبح العبارات . ولا يوجد أسوأ من عبارة " أولاد الأفاعي " ، فهي ذات دلالة خطيرة ، وكأن الأفاعي هي عائلتهم وسُلالتهم وأصلهم ، والأفاعي رمز الخيانة والغدر والشر والفساد. والدَّعوةُ الدينيةُ الصحيحة إنما تكون بالكلام الطَّيب ، والأسلوب الجميل، والحوار الهادئ ، والدليل النقلي ، والحُجَّة العقلية ، وليس بالشتائم والإهانة والاحتقار . وهذا يدل على تحريف نصوص الإنجيل ، وتبديلها ، وتغييرها . وفي ظِل وجود هذه الشتائم والإهانات المنسوبة كذبًا وزُورًا إلى الأنبياء الكرام، فمن الطبيعي أن يَهرب الناسُ من النصرانية (المسيحية)، ويَكرهوا دُعاتها ورجالاتها، لأن النفوس مجبولة على حُب مَن أحسن إليها ، وكراهية مَن أساء إليها.

والشتائمُ والإهانات في الدعوة النصرانية (المسيحية) ثابتة في الإنجيل البشري المُحرَّف ، فهي منهج متكامل ، ومبدأ أساسي ، وليست نَزوة عابرة ، أو حالة مُؤقَّتة ، أو زَلَّة لسان .

في [الرسالة إلى غَلاطِيَّة ٣ : ١] : ((يا أهلَ غَلاطِيَّةَ الأغبياء !)) اهـ . هذا كلام بُولُس ، وهذا أُسلوبه السَّيئ في الدَّعوة إلى النصرانية (المسيحية) . إنه يعتمد على الشتائم وإهانة الآخرين واحتقارهم والتعالي عليهم . وهل وَصْف الناس بالأغبياء هو منهج المسيح ؟ . وهل شَتْم الناس وإهانتهم هو الأسلوب الراقي للتَّبشير بالنصرانية (المسيحية) ، ونشرها ، وجذب الأتباع والمؤمنين إليها ؟ . والعجيبُ أن النصارى يَعتبرون " بُولُس الرسول " قِدِّيسًا ، وأحد قادة الجيل النصراني الأول ، ويَنظر إليه البعض على أنه ثاني أهم شخصية في تاريخ النصرانية (المسيحية) بعد المسيح نفْسه . ويَعتبره النصارى رسول الأمم ، وأبرز مَن بشَّر بهذه الديانة في آسيا الصُّغرى وأوروبا ، وكان له الكثير من المُريدين والخُصوم على حد سواء .

وفي [رسالة يعقوب ٤ : ٤] : ((أيها الخوَنة ! ألستم تعلمون أن مُصادَقة العالَم هي مُعاداةٌ لله ؟)) اهـ . المفروضُ أن يعقوب يُوجِّه هذه الرسالة إلى نصارى من أصل يهودي . يُشجِّعهم على احتمال التجارب والمِحَن التي يتعرَّضون لها ، والتَّحلي بالفضائل العملية النابعة من الإيمان . ولكن يَعقوب يعتمد على الشتائم والإهانات ووصف الناس بـ " الخوَنة " . وليس هذا هو أسلوب الدعوة الصحيح . مِمَّا يدل على أن التَّبشير (التَّنصير) قام على الشتائم والإهانات والعنف اللفظي والعنف الجسدي، وانتشرَ بالسَّيف والقتل ، ومنطق القوة لا قوة المنطق . وهذا النصُّ الإنجيلي البشري يقول إن " مُصادَقة العالَم هي مُعاداة لله " . وهذه العبارةُ شديدة الخطورة ، لأنها ترفض مُصادَقة العالَم باعتبارها حربًا ضِد الله . وبالتالي ، يجب مُعاداة العالَم لنيل رضا الله ومحبته. وهذا المعنى الشاذ هو أساس التطرُّف والإرهاب والقتل والإبادة وكراهية الآخَر ورفض العالَم والحقد على الناس . وهذه المعاني _ للأسف الشديد _ ثابتة في نصوص الإنجيل البشري المُحرَّف ، وتُمثِّل جوهرَ النصرانية (المسيحية) . والإنجيلُ البشري المُحرَّف يريد أن يقول : لن تنالوا رضا الله ومحبته ، إلا بإعلان الحرب على العالَم ، ورفض مُصادقته ، وعدم القَبول به . وهذا يدل بوضوح على أن النصرانية (المسيحية) انتشرت بالسَّيف والقتل والإبادة والعنف والتهديد . وكُل ديانة غير عقلانية ولا منطقية ، لا يُمكن أن تنتشر بالحُب والتَّسامح . وإنما تنتشر بالقوة والإجبار والتَّرويع واستخدام العنف اللفظي (الشتائم والإهانات) والعنف الجسدي (القتل والقتال) . وفي هذا السياق تبرز مقولة المفكر ليو شتراوس : ((كزعيم ، ليس بالضرورة أن يُحبك الناس ، فالأهم هو أن يخافوك)) اهـ . ويُمكن الاستفادة من هذه العبارة في فهم أنساق الديانة النصرانية (المسيحية) . والعِبرةُ بالرمزية الفكرية للعبارة ، وإسقاطاتها وتطبيقاتها .

٦_ التمييز واحتقار الناس

في [متَّى ١٥: ٢١_ ٢٧] : ((ثُمَّ غادر يَسوعُ تلك المنطقة ، وذهبَ إلى نواحي صُور وصَيدا . فإذا امرأةٌ كنعانية من تلك النواحي ، قد تقدَّمت إليه صارخةً : ((ارحمني يا سَيِّد ، يا ابنَ داود ! ابنتي مُعذَّبة جِدًّا ، يَسكنها شيطان)) لكنه لم يُجبها بكلمة . فجاءَ تلاميذُه يُلِحُّون عليه قائلين : ((اقْضِ لها حاجتها . فهي تَصرخ في إثرِنا !)) فأجاب : ((ما أُرسلتُ إلا إلى الخِراف الضالة ، إلى بيت إسرائيل!)) ولكنَّ المرأةَ اقتربت إليه، وسجدت له،وقالت:((أعنِّي يا سَيِّد !)) ، فأجاب: ((لَيس من الصواب أن يُؤخذ خُبزُ البنين ويُطرَح لِجراء الكلاب !)) فقالت : ((صحيحٌ يا سَيِّد ، ولكنَّ جِراءَ الكلاب تأكل من الفُتات الذي يَسقط من موائد أصحابها !)))) اهـ .

هذا النصُّ الإنجيلي قائم على التمييز بين الناس ، والتفرقة العنصرية ، واحتقار الآخرين ، وازدرائهم ، والنظر إليهم باعتبارهم بشرًا درجة ثانية ، أو لَيسوا بشرًا . وهذا النصُّ الإنجيلي الخُرافي يشتمل على كوارث عَقَدِيَّة ، وسُلوكيات اجتماعية شاذة ، وأفكار عنصرية مُتطرفة .

أ) كلام المرأة الكنعانية : ((ارحمني يا سَيِّد ، يا ابنَ داود ! ابنتي مُعذَّبة جِدًّا ، يَسكنها شيطان)) اهـ . يدل على أن المسيح إنسان ، ينتمي إلى الجنس البشري ، وليس إلهًا ولا ابنًا لله. فهذه المرأةُ خاطبت المسيح قائلةً : ((يا سَيِّد)) ، ولم تقل له : يا إله أو يا رَب . كما أنها خاطبته : ((يا ابنَ داود)) ، ولم تُخاطبه : يا ابن الله . ومَن كان ابنًا لإنسان فهو إنسان لا إله ، لأن الابن يَحمل صفات أبيه وخصائصه ، ويُجانسه .

ب) ((لكنه لم يُجبها بكلمة)) اهـ. لقد أعرضَ عنها المسيحُ ولم يُجبها بكلمة، وبقي ساكتًا ، وهي التي استغاثت به ، وطلبت مُساعدته . ولكنه رفض مُساعدتها ، ولم يمد لها يَد العَون . وهذا يُسيء للمسيح ، ويَطعن في صفاته ، ويُقدِّم صُورةً قبيحة عنه ، حيث يَرفض مُساعدة الناس . وعندما يُخاطبونه يُعرض عنهم ، ويتكبَّر عليهم ، ويُهْمِلهم ، ولا يُغيثهم ولا يُعينهم . وهذا يتعارض معَ منهج الأنبياء ، فقد أرسلهم اللهُ لمساعدة الناس ، وإرشادهم ، وتَوجيههم ، وقيادتهم إلى بَر الأمان ، وليس التكبُّر عليهم واحتقارهم ، والترفُّع عن الكلام معهم ، ورفض مُساعدتهم . وهذا دليل على تحريف الإنجيل البشري ، وتغيير نصوصه . فالمسيحُ عبد الله ورسوله ، أنقذَ الناسَ ، وأرشدهم ، وهداهم إلى الحق، وكان مُتواضعًا معهم ، رحيمًا بهم ، عَطُوفًا عليهم . وقد ساعدهم ، وأعانهم ، وأغاثهم ، ومَد لهم يَد العَون ، ولم يتكبَّر عليهم ، ولم يَحتقرهم .

ج) فجاءَ تلاميذُه يُلِحُّون علَيه قائلين : ((اقْضِ لها حاجتها . فهي تَصرخ في إثرِنا !)). هذا النصُّ الإنجيلي الخُرافي يُصوِّر المسيحَ كإنسان قاسٍ ، لا يَعرف الرحمة ، وليس لَدَيه مشاعر ، ولا يَحُس بمشكلات الآخرين ومُعاناتهم . فقد كانت المرأةُ الكنعانية تصرخ مِن شِدَّة الألم والحسرة والحزن على ابنتها ، طالبةً مُساعدة المسيح . ولكنه أهملها واحتقرها وأعرضَ عنها ورفض مُساعدتها ، لدرجة أن تلاميذه جاؤوا يُلِحُّون عليه ، طالبين أن يَقْضِيَ حاجتها ، ويُفرِّج كُربتها . وهذا يعني أن تلاميذ المسيح كانوا أكثر رحمةً وإنسانيةً مِنه ، ولَدَيهم أخلاق فاضلة بعكس المسيح الذي أظهره النصُّ كإنسان ذي قلب قاسٍ لا يَعرف الشفقة ولا الرحمة ولا الأخلاق . وقد تأثَّرَ تلاميذُ المسيح بمُعاناة هذه المرأة ، وأشفقوا عليها ، وتعاملوا معها بمشاعر إنسانية رقيقة ، أمَّا المسيحُ فكان قاسيًا معها ، ولم يَرحمها ، وإنما احتقرها ، وأعرضَ عنها بلا شفقة ولا إنسانية .

وهذا كذبٌ واضح على المسيح ، فهو منبع الرحمة والشفقة والشرف والطهارة والأخلاق الحميدة ، وكان يتعامل مع الناس بأدب واحترام وحنان ، ويُحاورهم بأسلوب لطيف جذَّاب ، ويُساعدهم ، ويُعينهم ، ويُغيثهم ، ويُرشدهم ، ويُعلِّمهم ، ولا يَبخل عليهم بشيء . وهذا دليل على تغيير نصوص الإنجيل ، والتلاعب بها ، من أجل تشويه صورة المسيح ، وتَلطيخ سَمعته، وإهانته .

د) فأجاب : ((ما أُرسلتُ إلا إلى الخِراف الضالة ، إلى بيت إسرائيل !)) اهـ . هذا إقرارٌ من المسيح بأنه دعوته مَحَلِّية محصورة في بيت إسرائيل فقط ، وليست دعوةً عالمية لجميع الناس ، مِمَّا يُبطِل التَّبشير (التَّنصير) الذي تقوم به الكنيسة ، وتنسبه زُورًا وبُهتانًا إلى المسيح . لقد رَفَضَ المسيحُ مُساعدة المرأة الكنعانية ، لأنه جاء إلى الخِراف الضالة ، إلى بيت إسرائيل فقط لا غَير. وهذه المرأةُ الكنعانية لا تنتسب إلى اليهود ، ولا تنتمي إلى بيت إسرائيل . إذن ، فهي بشر درجة ثانية ، ومكانتها دُونية ، ولا تستحق الشفقة ولا الرحمة ولا الاحترام ولا المُساعدة . لذلك ، رفض المسيحُ مُساعدتها ، وأعرضَ عنها ، وأهملها . وهذا يدل على سياسة التمييز العنصري ، والتفرقة بين البشر على أساس عِرْقي. وهذه السياسةُ الباطلة نسبها مُؤلِّفو الأناجيل إلى المسيح كذبًا وزُورًا، مِن أجل إيجاد شرعية لها ، وتكريس كراهية البشر واحتقارهم والتمييز ضِدَّهم ، والتفرقة بينهم .

هـ) ولكنَّ المرأةَ اقتربت إليه ، وسجدت له ، وقالت : ((أعنِّي يا سَيِّد !)) اهـ . هذا النصُّ الإنجيلي الخُرافي يقول إن المرأة سجدت للمسيح ، وأن المسيح لم يعترض على سُجودها له . والنصُّ محاولة لتعظيم المسيح بالباطل والكذب عليه . ولا شَك أن المسيح عظيم، لكنه لا يَحتاج إلى الأكاذيب لبيان منزلته الرفيعة ومكانته السامية.((فقالَ له يَسوعُ اذهَب يا شيطان ! فقد كُتِب : للرَّبِّ إلهكَ تسجدُ ، وإيَّاه وحدَه تعبدُ !)) [مَتَّى ٤ : ١٠] . يُبيِّن المسيحُ ــ وَفْق هذا النص ــ أن السجود إنما يكون لله وَحْدَه ، وكذلك العبادة. ولا يَنبغي تَوجيه السجود والعبادة لأحد غَير الله، وهذا يُبطِل أُلوهية المسيح ، ويُثبِت أن الله وَحْدَه هو الإله الحق المستحق للعبادة بلا شريك . والمرأةُ قالت : ((أعنِّي يا سيِّد)) . ولم تقل : أعنِّي يا إلهي أو يا ربِّي . وهذا يُثبِت أن المسيح إنسان لا إله ، وأنه سيِّد كريم ، وعبد الله ورسوله ، وليس ربًّا ولا إلَهًا ولا ابنًا لله .

و) فأجاب : ((لَيس من الصواب أن يُؤخذ خُبزُ البنين ويُطرَح لِجِراء الكلاب !)) اهـ . هذا النصُّ الخُرافي يدل على تحريف الإنجيل وتغيير نصوصه ، وكثرة الأيدي العابثة بها . كما يدل على عملية صَهْينة الإنجيل، واختراق اليهود للإنجيل، والتلاعب به،مِن أجل تعظيم اليهود، وتقديم كشعب الله المُختار ، وسادة البشرية ، وزعماء الجِنس البشرية ، وغَيرهم حُثالة وعبيد ورَعَاع .

إن المقصود بالبنين بنو إسرائيل (اليهود) ، فهُم أحباب الله وأبناؤه ، وصَفوته مِن خَلْقه ، وشعبه المختار . أمَّا جِراء الكلاب فهُم الأغيار الذين لا ينتسبون إلى اليهود ، ولا يَنتمون إلى بني إسرائيل . وهذا النصُّ يُؤسِّس للتمييز العنصري على أساس طائفي وعِرْقي ، ويُكرِّس التفرقة بين البشر على أساس طبقي اجتماعي ، ويَدعم الحقدَ والكراهية والظُّلم بين الناس ، ويَدعو إلى عدم التسامح مع الآخرين . وللأسف الشديد ، لقد نَسَبَ الإنجيلُ البشريُّ المُحرَّفُ هذا النصَّ المتطرِّف إلى المسيح ، وهو بريء مِن هذه الهرطقة والكذب . والمسيحُ عبد الله ورسوله ، وصاحب الأخلاق الحميدة ، لا يُمكن أن يصف الناس بأنهم كلاب أو جِراء الكلاب لإرضاء اليهود ، واعتبارهم بشرًا درجة أُولى ومُميَّزة ، وغَيرهم كلاب وحيوانات وحُثالة ولَيسوا بشرًا ، ولا يَستحقون الرحمة ولا الشفقة ولا الحياة . لقد كَذَبَ مُؤلِّفو الأناجيل على المسيح، مُجاملةً لليهود، وتجميلًا لصورتهم ، وتعظيمًا لمكانتهم ، وإعلاءً لشأن بني إسرائيل على باقي الأمم والشعوب ، وتكريسًا لخُرافة نقاء العِرْق، وتجذيرًا لأُكذوبة " شعب الله المُختار " التي يصف اليهودُ أنفسهم بها . وهذا يدل على اختراق اليهود للإنجيل ، والتلاعب بنصوصه ، خدمةً لأهوائهم ومصالحهم وصورتهم . وقد أدَّى تحريفُ الإنجيل إلى " صَهْينة الإنجيل " ، وجَعْله كتابًا داعمًا لليهود بالباطل، وتابعًا للتَّوراة المُحرَّفة ضمن فوضى ما يُسمَّى بالكتاب المُقدَّس (العهد القديم والعهد الجديد).

ز) فقالت : ((صحيحٌ يا سَيِّد ، ولكنَّ جِراءَ الكلاب تأكل من الفُتات الذي يَسقط من موائد أصحابها !)) اهـ . هذا النصُّ الباطل يُريد تقديم صورة خبيثة ، وهي أن الناس يعترفون بأنهم كلاب أو جِراء الكلاب ، ويُسلِّمون بأن اليهود هُم السادة والقادة والزعماء وصَفْوة الله مِن خَلْقه ، وشعبه المُختار . والاعتراف سيِّد الأدلة ! . لقد اعترفت المرأةُ بصحة الكلام المنسوب للمسيح كذبًا وزُورًا ، مِن أجل تهيئة الرأي العام ، وتكوين مشهد عالمي ، يقوم على اعتبار اليهود سادة البشرية، وزعماء الإنسانية ، وقادة الناس ، وشعب الله المُختار ، وغَيرهم كلاب وحيوانات وحُثالة . وعلى الناس أن يُسلِّموا بهذه الحقيقة ، ويظلُّوا عبيدًا لليهود وخدمًا لهم ، ويَمُدُّوا لهم الأيدي ، طالبين المساعدة والإغاثة والمعونة . وكما أن جِراء الكلاب تأكل مِن الفُتات الذي يسقط مِن موائد أصحابها، فكذلك الأمم والشعوب (جِراء الكلاب) تأكل من خيرات اليهود، وفضلات طعامهم. فاليهودُ هُم السادة والقادة والزعماء ، والآخرون (الأغيار) الذي لا يَنتسبون إلى اليهود ، ولا يَنتمون إلى بني إسرائيل عبيد لليهود وخدم لهم . والنصُّ يُريد أن يقول باختصار : إن الأمم والشعوب كلاب،واليهود أصحاب هذه الكلاب وأسيادها. أي إن اليهود سادة، والناس عبيد لهم.

وهذا يدل على تحريف الإنجيل ، وتبديل نصوصه. ومِن أسباب هذا التحريف : تعظيم اليهود، وتقديس بني إسرائيل ، ورفعهم فوق مُستوى البشر ، فهُم السادة والزعماء وَحْدَهم ، والناس عبيد وخدم لهم . وهذا اختراق يهودي واضح للإنجيل الذي تمَّت صَهْينته لتحقيق مصالح شخصية .

وبعد كُل هذا الاحتقار والكراهية والحقد والتمييز العنصري والتفرقة الطائفية ، وازدراء الناس على أساس عِرْقي ، والكذب على المسيح ، وتشويه صُورته ، وتَلطيخ سُمعته ، وإهانته ، يأتي يَعقوب لِيقول في رسالته التي وجَّهها لنصارى (مسيحيين) من أصل يهودي : ((لا تُعامِلوا الناسَ بالانحياز والتمييز !)) [رسالة يعقوب ٢: ١] . وهذا مُنتهى التناقض المُضحِك المُبكي . ويدل على الفوضى العارمة في الإنجيل البشري ، واضطراب النصوص الدينية ، واختلاط الأفكار الأيديولوجية ، وتعارض العقائد ، وتصادم المناهج ، وبُطلان الديانة النصرانية (المسيحية) .

***

حادي عشر : صورة الأنبياء

١ـ إهانة الأنبياء

يُقدِّم مُؤلِّفو الأناجيل صورةً سيئة للمسيح ، ويَنسِبون إليه الكفرَ والضلالَ والوقاحة . ففي [مَتَّى ١١ : ١١] قال المسيح : ((إنه لم يظهر بين مَن ولدتهم النساء أعظم من يُوحَنَّا المَعمَدان . ولكن الأصغر في ملكوت السماوات أعظم منه !)) اهـ . هذا النص يحمل بذرة التناقض في داخله . فكيفَ يكون النبيُّ يحيى (يُوحَنَّا المَعمَدان) هو أعظم مَن ولدتهم النساء ، وفي نفْس الوقت ، يكون الأصغرُ في ملكوت السماوات أعظمَ مِن يحيى وأفضل مِنه . هذه إهانة للنبيِّ يحيى ، وإساءة صريحة له ، وإهانة له ، وانتقاص مِن قَدْره ، واحتقار لمكانته العظيمة ومنزلته الرفيعة ، وتقليل مِن شأنه . والنبيُّ يحيى عظيم في الأرض ، وعظيم في السماء . ولا يُمكن للمسيح أن ينتقص مِن قَدْر يحيى بهذا الشكل المُهين. وهذا النص المنسوب كذبًا وزُورًا للمسيح، يدل على تحريف الإنجيل ، وتغيير نصوصه ، وتبديلها ، والتلاعب بها .

وفي [مَتَّى ١١ : ٢٥] قال المسيح : ((أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنك حجبت هذه الأمور عن الحكماء والفُهَماء وكشفتها للأطفال !)) اهـ . هذا النص المنسوب كذبًا وزُورًا للمسيح يقول إن الله حَجَبَ هذه الأمور عن العلماء والحُكماء والفهماء وأخفاها عنهم ، ولم يُظهرها لهم ، ولكنه كشفها للأطفال . وهذه إهانة للعلماء الذين هُم وَرَثَة الأنبياء ، وتقليل مِن شأن العلماء والحكماء والفهماء ، وإهانة لهم ، واحتقار للعِلم والمعرفة . وما الفائدة من دراسة الكتب السماوية والعلوم الشرعية والمعارف الإنسانية إذا كان الأطفالُ أعلم من الحكماء والفهماء ؟! . وهل أولياء الله هُم العلماء الحاملون للشريعة الإلهية أَم الأطفال الصِّغار الذين لا يعرفون شيئًا ؟ .

إن الإنجيل البشري المُحرَّف يحتقر العلماءَ ، ويُهين الحكماء ، ويُسيء إلى الفهماء ، معَ أنهم صَفوة الناس ، وأصحاب العقول المُفكِّرة ، وحملة الدِّين والشريعة . وكُل الأُمم والشعوب تفتخر بعلمائها ومُفكِّريها وفلاسفتها وحُكمائها وعباقرتها ، إلا أن الإنجيل البشري كان لي رأي آخر، قائم على احتقار العِلم وإهانة العلماء . وتمَّت نِسبة هذا النص الخُرافي إلى المسيح ، وهو النبيُّ الكريم ، والعالِم الجليل ، والحكيم الفصيح . وفي هذا دلالة واضحة على تحريف الإنجيل، وبُطلان الديانة النصرانية (المسيحية) القائمة على الجهل واحتقار العلماء والإيمان الأعمى .

وفي [مَتَّى ٣ : ١١] قال يحيى (يُوحَنَّا المَعمَدان) : ((ولكن الآتي بعدي هو أقدر مِنِّي ، وحذاءه لا أستحق أن أحمل)) اهـ . وأيضًا قال يحيى : ((سيأتي بعدي مَن هو أقدرُ مِنِّي ، مَن لا أستحقُّ أن أنحنيَ لأَحِلَّ رِباطَ حذائه. أنا عَمَّدتُكم بالماء، أمَّا هُوَ فسوفَ يُعَمِّدُكم بالرُّوحِ القُدُس)) [مَرْقُس ١: ٧و٨] . أرادَ مُؤلِّفو الأناجيل إظهار عَظَمَة المسيح ، ومكانته العظيمة ، ومنزلته الجليلة ، فاخترعوا هذا الكلام ونسبوه كذبًا وزُورًا إلى يحيى (يُوحَنَّا المَعمَدان) . ولا شَك أن المسيح عظيم وكريم وجليل ، وهو لا يحتاج إلى الأكاذيب لبيان عَظَمَته ومَجْده ورِفعة شأنه .

واللغةُ المتعلقة بالحذاء ورِباط الحذاء في هذا السياق ، لُغة سُوقية دُونية ، لا تليق بكلام الأنبياء والعلماء والحكماء. والأنبياءُ هُم سادة البلاغة، وزُعماء البيان ، ولُغتهم مُنتقاة بعناية فائقة ، ومُنَزَّهون عن الألفاظ الشوارعية ، والمعاني القذرة ، والعبارات الدنيئة . وهذا يُشير إلى أن الكذب على الأنبياء منهج ثابت في الأناجيل البشرية المُحرَّفة . وهذا الكذبُ الرخيص المفضوح اخترعه مُؤلِّفو الأناجيل لبيان عَظَمَة المسيح ومكانته الجليلة ، ولكنهم طَعنوا في الأنبياء ، وأهانوهم ، ووضعوا على ألسنتهم عبارات سُوقية دُونية دنيئة . ومَن كذبَ على الأنبياء وأهانهم ، فقد كذبَ على المسيح وأهانه.ومَن طعنَ في نبيٍّ واحد، فقد طعنَ في جميع الأنبياء، لأن دِينهم واحد (الإسلام)، ومُرسلهم واحد ، وهو الله . ولا مَعبود بحق إلا الله .

٢_ قِلَّة إيمان الأنبياء

في [مَتَّى ١٣: ١٧] قال المسيح لتلاميذه : ((كَم تمنَّى أنبياء وأبرار كثيرون أن يَرَوا ما تُبصرون ولم يَرَوا ، وأن يَسمعوا ما تسمعون ولم يَسمعوا !)) اهـ .

هذا النصُّ الخُرافي اخترعه مُؤلِّفو الأناجيل ، لتعظيم شأن تلاميذ المسيح بشكل غير عقلاني ، وإعلاء قَدْرهم فوق ما يستحقون ، وجَعْلهم أفضل وأعظم مِن الأنبياء . وقد تمنَّى أنبياءُ كثيرون أن يصلوا إلى مستوى تلاميذ المسيح ، ولكنهم لم يصلوا . وهذا الغُلُوُّ الفاضح يَكشف حقيقةَ تحريف الإنجيل ، وتأليف النصوص الدينية ونِسبتها إلى المسيح كذبًا وزُورًا ، مِن أجل إيجاد شرعية لها ، وتَوفير عِصمة لها . والهدفُ من اختراع هذا النص الأسطوري هو إعلاء شأن تلاميذ المسيح فوق الأنبياء ، وبيان أن الأنبياء لا يصلون إلى مستوى تلاميذ المسيح . وهذا كذب فاضح، لأن الأنبياء أعظم بني البشر ، وتلاميذ المسيح لَيسوا أنبياء . ومنهجُ النصارى قائم على الغُلُوِّ . ومَن جَعَلَ المسيحَ إلَهًا بالباطل ، ليس غريبًا أن يَجعل تلاميذه أعظم من الأنبياء .

في [مَتَّى ١: ٦] : ((وداودُ أنجب سليمانَ من التي كانت زوجةً لأُورِيَّا)) اهـ . هذا النص الفاضح دليل على تحريف الإنجيل ، وتغيير نصوصه . ولا يُمكن أن يكون هذا النص الإنجيلي مِن كلام الله ، ولا يُمكن أن يكون الإنجيل الحالي كتابًا سماويًّا ، لأن هذا النص الهستيري يطعن في شرف الأنبياء ، ويُسيء لهم ، ويُهينهم ، ويَنسِب لهم كبائر الذنوب والآثام . وهذا مرفوض ، نقلًا وعقلًا، لأن الأنبياء معصومون ومُنَزَّهُون عن النقائص والعُيوب والذنوب، وهُم عباد الله المُخْلَصُون، ومنبع الشرف والكرامة والطهارة والأخلاق الحميدة . واللهُ أعلم حَيث يَجعل رسالته ونُبُوَّته ، وهو سُبحانَه يَعْلَم الأشخاصَ الذين يختارهم لحمل كلمته إلى الناس .

وإذا أرَدْنا فهم النص الإنجيلي السابق ، يجب أن نعود إلى التوراة البشرية المُحرَّفة . ففي [صَمُوئيل الثاني / الأصحاح الحادي عشر] أن النبيَّ داود تمشَّى على سطح بيته في المساء ، فرأى امرأة جميلة تستحم ، فأرسل وسأل عن المرأة فقيل له : بَثْشَبَع بِنت أَلِيعَام ، زوجة أُورِيَّا الحِثِّي . فأرسل داود رُسُلًا وأخذها وزنى بها ، وحَبِلت منه. ثم أرسلَ زوجَها إلى الحرب ليتخلص منه ، وعندما قُتِل . ندبت امرأةُ أورِيَّا بَعْلَها ، ولمَّا مضت المَنَاحة ، أرسلَ داود وضمَّها إلى بيته ، وصارت له امرأة وولدت له ابنًا .

هذه القصةُ التي اخترعها مُؤلِّفو التوراة البشرية المُحرَّفة في غاية القُبح والسُّوء ، فهي تَطعن في النبيِّ داود _ عليه الصلاة والسلام _ ، وتُشوِّه صُورته ، وتُلطِّخ سُمعته ، وتتَّهمه بالغدر والخيانة والشَّهوانية والزنا والفُجور . وهذه أكاذيب رخيصة ومكشوفة ومفضوحة ، لأن الأنبياء معصومون من ارتكاب الذنوب ، ومُنَزَّهون عن اقتراف الآثام والجرائم . وقد اختارهم اللهُ وعصمهم وأيَّدهم، وجعلهم سادة الناس ، وزعماء البشرية ، وقادة الإنسانية ، ورفع شأنهم في الدنيا والآخرة.

ولو كان النبيُّ يرتكب الذنوب والكبائر كالعُصاة والفاسقين ، لفقد الناسُ الثقةَ به ، وبَطَلَ معنى النُّبُوَّة والرسالة ، وفقدَ الوَحْيُ الإلهيُّ مَعناه ، وضاعَ الناسُ في الكفر والضلال والفِسْق والفُجور والآثام . وهذا باطل بالضرورة . والعجيبُ في الأمر ، أن اليهود كذبوا على النبيِّ داود ، وأهانوه، واتَّهموه كذبًا وزُورًا بالزنا وكبائر الذُّنوب ، معَ أنه مِن أعظم أنبياء بني إسرائيل ، وكان مَلِكًا عظيمًا مِن مُلوكهم . أينَ احترامه وتعظيمه ؟ . والكذبُ عليه بهذا الشكل الرخيص يُشير إلى تحريف التَّوراة والإنجيل معًا ، كما يُشير إلى خضوع الإنجيل للتوراة ، وتسليم مُؤلِّفي الإنجيل البشري

بالرواية التَّوراتية الباطلة . وهذا يعني أن هناك عملية منهجية لِصَهْينة الإنجيل ، تدل على اختراق اليهود للإنجيل . وبعبارة أُخرى ، إن هناك عوامل يهودية كثيرة ومُؤثِّرة في تحريف الإنجيل ، وإخضاعه للتوراة المُحرَّفة ، كي يظل النصارى تابعين لليهود ، ويظل الإنجيل ظِلًّا باهتًا للتَّوراة .

إن ما يُشاع عَن أنَّ النبيَّ داود ﷺ كان يُحِبُّ زَوْجةَ أُورِيًّا (أحد قادته العسكريين) ، فأرسلَه إلى المعركة كي يَموت، ثُمَّ يَتزوَّج أرْمَلَتَه مِن بَعْده ، كَذِبٌ رخيص ، وافتراء واضح ، وإهانة بالغة ، وطعنٌ بِمَقام النُّبُوَّة، وتطاولٌ وَقِحٌ على النبيِّ داود المعصوم والطاهر المُطَهَّر.والأنبياء سادةُ الناس ، وفَوْقَ كُلِّ الشُّبهات ، وهُم نَقَلة الوَحْيِ الإلهيِّ إلى الناس . والطعنُ في الأنبياء هَدْمٌ للإسلام والشرائع ، وإلغاء لمعنى الوَحْي ، وإبطال للرسالات ، وتدمير لِمُنجزات الحضارة البشرية . لذلك، كان الأنبياء مَعصومين مِن الذنوب والخطايا ، ومُنَزَّهين عَن كُلِّ العيوب والنقائص . والجديرُ بالذِّكر أن اليهود يَعتبرون داود مَلِكًا لا نَبِيًّا.والحقُّ أن داود نبيٌّ كريم ، ورسول عظيمٌ ، ومَلِك جليل [٢٦٢] .

٤_ إهانة موسى لتقديم المسيح عليه

إن النبيَّ مُوسى _ عليه الصلاة والسلام _ أعظم أنبياء بني إسرائيل على الإطلاق . والنبيُّ عيسى (المسيح) _ عليه الصلاة والسلام _ تابعٌ للنبيِّ مُوسى ، وسائر على خُطاه . وقد أقرَّ

---

٢٦٢ قال القرطبي في تفسيره (١٥/ ١٥٤) : ((وحكى السُّدي عن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لَوْ سَمعتُ رَجلًا يَذكر أن داود عليه السلام قارفَ مِن تلك المرأة مُحَرَّمًا لجَلَدْتُه سِتِّين ومائة لأن حَدَّ قاذف الناس ثمانون، وحَدُّ قاذف الأنبياء سِتون ومائة . ذَكَرَه الماوردي و الثعلبي أيضًا. قال الثعلبي: وقال الحارث الأعور عن عليٍّ: مَن حَدَّثَ بحديث داود ما ترويه القُصَّاص مُعتقِدًا جَلَدْتُه حَدَّيْن لِعِظَمِ ما ارْتَكَبَ بِرَمْيِ مَن قد رَفَعَ اللهُ مَحَلَّه، وارتضاه مِن خَلْقه رحمةً للعالَمين ، وحُجَّة للمُجتهدين . قال ابن العربي : وهذا مِمَّا لا يَصِحُّ عن عليٍّ ، فإن قِيل : فما حُكْمُه عِندَكم ؟ ، قلنا : أمَّا مَن قال إن نبيًّا زنى فإنه يُقْتَل ، وأمَّا مَن نَسَبَ إليه ما دُون ذلك من النظر والملامَسة ، فقد اختلف نقل الناس في ذلك، فإن صَمَّمَ أحدٌ على ذلك فِيه ونسَبه إليه قَتَلْتُه ... . فأمَّا قَوْلُهم : أنه وقع بصره على امرأة تغتسل عُريانة فلمَّا رَأَتْهُ أسْبَلَتْ شَعْرَها ، فَسَتَرَتْ جَسَدَها ، فهذا لا حرج عليه فيه بإجماع مِن الأمَّة ، لأن النظرة الأولى تكشف المنظور إليه ، ولا يأثم الناظر بها ، فأمَّا النظرة الثانية فلا أصل لها ، وأمَّا قولهم : إنه نوى إن مات زَوْجُها تزوَّجها ، فلا شيء فيه ، إذ لَم يُعَرِّضْه للموت ، وأمَّا قَوْلُهم: إنه خطب على خِطبة أوريًّا ، فباطل يَرُدُّه القرآنُ والآثارُ التفسيرية كُلُّها)) .

المسيحُ بهذه الحقيقة : ((لا تظنُّوا أني جئتُ لأُلغيَ الشريعةَ أو الأنبياء . ما جِئتُ لأُلغي ، بل لأُكمِل)) [مَتَّى ٥: ١٧] . والتَّوراةُ أعظم الكتب السماوية بعد القُرآن ، والإنجيل تابع للتَّوراة. وهذه الحقيقةُ لم يَقْبَل بها مُؤلِّفو الأناجيل ولا علماء النصارى ، لأن منهج النصرانية (المسيحية) قائم على الغُلُوِّ والتطرُّف وتأليه المخلوق (المسيح) وجَعْله إلَهًا وابنًا لله . فكيفَ يكون المسيحُ إلَهًا وتابعًا لمُوسى في نفْس الوقت ؟ . وكيفَ يَكون المسيحُ ابنًا لله وإنجيله تابع لتوراة مُوسى ؟. وهذا جَعل النصارى يَغرقون في التناقض والحَيرة والاضطراب ، فقرَّروا أن يُهينوا مُوسى ، ويُقلِّلوا مِن شأنه ، ويَنتقصوا مِن مكانته ، ليرفعوا المسيحَ فَوْقَه ، ويَجعلوه أعظم مِن مُوسى ، وأفضل مِنه . وهذا يكشف حِقد النصارى على مُوسى ، ورفضهم للحق ، واتِّباعهم لأهوائهم ومصالحهم الشخصية ، وغرقهم في الغُلُوِّ والتطرُّف ، وهذا أعمى أبصارهم عن الحق ، وأبعدهم عن الهدى .

وبشكل عام ، لقد اعتبرَ مُؤلِّفو الأناجيل وعلماء النصارى النبيَّ مُوسى عُقدةً وعقبةً في طريق تأليههم للمسيح والغُلُوِّ فيه . وكان الحل البائس من وجهة نظرهم هو تحطيم صُورة مُوسى وإهانته، كي يظل المسيحُ في واجهة الأحداث وحيدًا ويتصدَّر المشهدَ، بعد طَمْس فضائل مُوسى وإقصائه. وهذه الخطة الخبيثة تدل على تحريف الإنجيل ، والكذب على الأنبياء ، وتشويه صُورتهم وسُمعتهم ، خُضوعًا للأهواء الذاتية ، والمصالح الشخصية ، والمنافع المادية .

وفي [الرسالة الثانية إلى كُورِنثُوس ٣: ٧] : ((حتى إن بني إسرائيل لم يَقدروا أن يُثَبِّتوا أنظارَهم على وجه موسى ، بسبب مَجد وجهه ، ذلك المجدِ الذي قد أُزيل)) اهـ . هذا النصُّ البشري في غاية الخطورة ، وهو قائم على الخُبث والمكر . إذ تضمَّنَ مدحًا للنبيِّ مُوسى ، حيث إن بني إسرائيل قد عجزوا عن تثبيت أنظارهم على وجه مُوسى ، بسبب مجد وَجْهه ، وعَظَمَته ، وبهائه . وهذا يدل على منزلة مُوسى الرفيعة ، ومكانته الجليلة ، وشأنه العظيم . ثُمَّ ماذا حدث بعد ذلك ؟ . أُزِيل مجد وَجه مُوسى ، وذَهب البهاء ، وانتهت العَظَمَة ، وزالت المكانة الاجتماعية . وصارَ مُوسى شخصًا عاديًّا مُنْطَفِئًا ، بلا وزن ، ولا مكانة ، ولا قيمة ، ولا أهمية ، لأن زوال مجد وجه الإنسان ، يعني انتهاء الإنسان ، وتحوُّله إلى كيان مُنطفئ بلا أهمية ولا تقدير . والسؤال الذي يَطرح نفْسه : لماذا أهانَ مُؤلِّفو الأناجيل مُوسى بهذا الشكل ؟ ، ولماذا قام علماءُ النصارى بتشويه صوره مُوسى وتَلطيخ سُمعته ؟ . لقد اعتبروه عقبةً في طريق تأليه المسيح ، فيجب إطفاء نُور مُوسى ، والطعن فيه ، والتقليل مِن شأنه ، كي يَظل المسيحُ مسيطرًا على كل شيء ، وصاحب المجد والعَظَمَة واللمعان . ووَفْق تفكير النصارى القاصر ، يجب إطفاء مُوسى لتلميع المسيح .

وفي [الرسالة إلى العِبرانِيِّين ٣: ٥و٦]: ((إن موسى كان أمينًا في كُلِّ بَيْت الله ، ولكن بصفته خادمًا . وكان ذلك شهادةً لِما أعلنه الله في ما بعد . أمَّا المسيح ، فهو أمينٌ بصفته ابنًا يترأس على البَيْت)) اهـ . لقد كانَ مُوسى خادمًا ، أمَّا المسيحُ فهو السَّيد الرئيس ، وهذا يدل منهج علماء النصارى في إهانة مُوسى ، والتقليل من شأنه ، وإقصائه من المشهد ، كي يظل المسيحُ هو القائد الوحيد ، والزعيم الأوحد ، وصاحب العَظَمَة والمجد والبريق واللمعان . في حِين أن مُوسى خادم ذو رُتبة مُتدنِّية ، ومنزلة ضعيفة ، ومكانة بسيطة ، وليس له قيمة كبيرة ، لأن المسيح وَحْدَه صاحب القيمة الكبيرة ، والمكانة العظيمة ، والمنزلة الجليلة ، وهو السَّيد الرئيس . أمَّا مُوسى فهو مُجرَّد خادم بسيط . وهذا يَكشف سياسة الإنجيل البشري المُحرَّف القائمة على إهانة مُوسى ، وإقصائه ، وإبعاده إلى الصفوف الخلفية ، ووضع المسيح في الصف الأمامي وَحْدَه، باعتباره القائد المتبوع ، وباقي الأنبياء خدم وتابعون له . وهذا كذبٌ على مُوسى وعيسى معًا ، وإهانة لهما ، ومُتاجرة باسم المسيح . والأنبياءُ يَعرِفون قَدْرَ بعضهم البعض ، وهُم بناء واحد ، ومنهج مُتكامل .

وفي [الرسالة إلى العِبرانِيِّين ٩: ١٩] : ((فمعلومٌ أن موسى ، بعد تلاوة وصايا الشريعة كُلِّها على الشعب ، أخذ دَمَ العُجول والتُّيوس مع بعض الماء ، ورَشَّه على كتاب الشريعة)) اهـ . إن الأنبياء أعلم الناس بالله ، وهُم أفضل مَن عظَّم اللهَ وأوامره وشرائعه وأحكامه . وكُتبُ الشريعة الإلهية مُقدَّسة وذات مكانة عظيمة ومنزلة جليلة . والأنبياءُ يحترمونها ، ويُعظِّمونها . ومِن المُستحيل أن يُهينوها ويَحتقروها ، لأنها تشتمل على أوامر إلهية ، وأحكام سماوية ، وكلمات مُقدَّسة. لذلك ، لا يُمكن أن يقوم مُوسى برش دم العُجول والتُّيوس النَّجِس مع بعض الماء على كتاب الشريعة ، لأن هذا احتقار للشريعة ، وإهانة لها ، وازدراء لكتابها ، وإساءة إلى اسم الله المُقدَّس . والأنبياءُ أعلم الناس بالله وشريعته . وهذا النصُّ الإنجيلي الخُرافي الذي رَبَطَ دمَ العُجول والتُّيوس مع كتاب الشريعة ، ونَسَبَ الفِعل إلى مُوسى ، كذبٌ رخيصٌ ، ومُحاولة وقحة ومكشوفة ومفضوحة للطعن في النبيِّ مُوسى كليم الله ، وأعظم أنبياء بني إسرائيل ، وتصويره كشخص فاسد ، لا يُعظِّم اللهَ ، ولا يَعرف مكانة أوامره ، ولا يُدرِك قيمة كتاب الشريعة ، لذلك أهانه بأن رَشَّ عليه دَمَ الحيوانات النجس. وهذا دليلٌ باهر على تحريف الإنجيل ، وتغيير نصوصه. ومُستحيل أن يكون هذا الإنجيل البشري المُحرَّف كلام الله ، ولا يُمكن أن يكون كتابًا إلهيًّا سماويًّا . ولا يُعقَل أن يقوم نبيٌّ من الأنبياء بهذا الفعل الحقير الدَّنيء الذي يشتمل على إهانة الله وشريعته ، واحتقارها . والأنبياءُ معصومون من الذنوب والآثام ، ومُنَزَّهُون عن العيوب والنقائص.

وفي [الرسالة إلى العِبرانِيِّين ١٠: ١] : ((فقد كانت شريعةُ موسى تتضمن ظِلًّا واهيًا للخيرات التي سيأتي بها المسيح ، ولم تكن لِتُصَوِّر الحقيقةَ كما هِيَ)) اهـ . الهدفُ من هذا النص الأسطوري هو تقديم المسيح على مُوسى ، والتقليل من شأن مُوسى ، وإبعاده عن المشهد ، وإقصاؤه من الواجهة، كي يبقى المسيحُ هو قائد بني إسرائيل وزعيمهم الأوحد بلا مُنافس ولا مُنازِع . والمشكلةُ في عقول مُؤلِّفي الأناجيل أنهم يتصوَّرون أن هناك صراعًا بين الأنبياء ، وتنافسًا بينهم على المصالح المادية والمكاسب الدُّنيوية والغنائم الفانية . لذلك ، يتم التقليل من شأن مُوسى بشكل منهجي مُتعمَّد، لتصوير المسيح هو الأعظم والأفضل والزعيم الأوحد . وهذا باطل ، لأن الأنبياء الكرام يَعرفون قَدْرَ بعضهم البعض ، ولا يُوجد بينهم صِراع ولا صِدام ولا احتكاكات . دِينهم واحد ، وهو الإسلام (عبادة الله وَحْدَه لا شريك له) ، وشرائعهم مختلفة باختلاف المكان والزمان وطبيعة الناس . ومنهجهم متكامل ، لا تعارُض فيه ولا تَضَاد .

والنصُّ الإنجيلي السابق يُهين شريعة مُوسى ، ويُقلِّل مِن شأنها ، ويَحُط مِن قَدْرها ، حيث يقول إنها تتضمَّن ظلًّا واهيًا للخيرات التي سيأتي بها المسيح ، وهذا الظِّل عابر وبسيط ووهمي ، وليس حقيقيًّا ولا جوهريًّا . ووَفْق النص ، إن شريعة مُوسى لم تكن لتُصوِّر الحقيقة كما هِيَ . وهذا يعني أنها شريعة مُخادعة ووهمية ، ولم تُقدِّم الحقيقةَ للناس ، ولم تُرشدهم إلى الحق والهدى. وهذا يستلزم أن يكون مُوسى خائنًا ومُخادعًا ، لم يُرشد الناسَ إلى الخير ، ولم يكشف لهم الحقيقة ، لأن شريعته وهمية وخيالية ، وهي مُجرَّد شريعة تتضمَّن ظِلًّا واهيًا للخيرات التي سيأتي بها المسيح . وهذه هَرطقة مفضوحة ، وكذب مكشوف ، وإساءة بالغة إلى النبيِّ مُوسى (أعظم أنبياء بني إسرائيل على الإطلاق) . وشريعةُ مُوسى هي الشريعة الأساسية لبني إسرائيل ، وشريعة المسيح تابعة لشريعة مُوسى ، والمسيحُ سائر على خُطى مُوسى (رئيس أنبياء بني إسرائيل) ، كما أن إنجيل المسيح تابع لتوراة مُوسى . وهذا يعني أن مُوسى هو القائد في بني إسرائيل ، والمسيح تابعٌ للقائد . وهذا يعني أفضلية مُوسى على المسيح ، وأفضلية التَّوراة على الإنجيل .

وفي [مَتَّى ٥ : ١٧] قال المسيح : ((لا تظنُّوا أني جئتُ لأُلغيَ الشريعةَ أو الأنبياء . ما جئتُ لأُلغي ، بل لأُكمِل)) اهـ . لقد جاءَ المسيحُ مُكْمِلًا لَمَا سَبَق ، ومُتَمِّمًا للشرائع الماضية ، وهذا يعني أن المسيح تابع لمُوسى (النبيِّ الأساسي الرئيسي المُؤسِّس في بني إسرائيل) . ولو كان المسيحُ هو رئيس أنبياء بني إسرائيل ، لأَسَّسَ شريعةً مُستقلة ، ولم يكن تابعًا لَمَا سَبَق ، ولا مُكْمِلًا للشرائع الماضية . وهذا يكشف كذب مُؤلِّفي الأناجيل على مُوسى وعيسى معًا .

وفي [الرسالة إلى العِبرانِيِّين ١١: ٢٦] : ((فقد اعتَبَر أن تَلقِّيَ الإهانة من أجل المسيح الآتي ، هو ثَروةٌ أعظم من كنوز مِصْر)) اهـ . هذا النص كذبٌ صريح على النبيِّ مُوسى ، حيث يقول إن مُوسى اعتبرَ تلقِّي الإهانة والإساءة مِن أجل المسيح الآتي ، ثروة أعظم من كُنوز مِصْر، وأفضل منها . وهذه مُحاولة مفضوحة ومكشوفة لإعلاء قَدْر المسيح فوق مُوسى ، واعتبار المسيح هو القائد (الأصل) ، ومُوسى هو التابع (الفَرْع) . وهذا مرفوض عقلًا ونقلًا ، لأنه يُصوِّر أعمال مُوسى وإنجازاته وصَبْره في طريق الدَّعوة ، وحِرصه ومُثابرته على نشر التَّوحيد والحق والهدى ، وسَعْيه الدؤوب لهداية بني إسرائيل وإرشادهم ، وإخراجهم مِن الظُّلمات إلى النُّور ، وتحمُّله للصِّعاب والمَشَاق ، وصُموده أمام التحديات والأزمات والشدائد والمصائب ، لم تكن مِن أجل الله ، وإنما كانت من أجل المسيح . وهذا النصُّ الخُرافي في غاية الخطورة ، لأن يُقدِّم مُوسى نبيًّا خاضعًا للمسيح ، وعاملًا مِن أجله ، وكأن المسيح هو الله أو الإله ، وهو الذي أرسلَ مُوسى . وبالتالي ، فإن مُوسى هو رسول المسيح ، الذي يعمل مِن أجل المسيح ، وليس رسول الله الذي يعمل من أجل الله . وهذا الغُلُوُّ والتطرف والانهيار العَقَدِي إنما يَرمي إلى إثبات أُلوهية المسيح ، وأن مُوسى مُجرَّد خادم للمسيح وتابع له ، وكُل أعمال مُوسى إنما كانت من أجل المسيح ، وتلقِّي مُوسى للإهانات من أجل المسيح إنما هو أعظم مِن كُنوز مِصْر وخيراتها وثرواتها.

وهذا الكذبُ الرخيص المكشوف ، يُشير بوضوح إلى تحريف الإنجيل ، وبُطلان الديانة النصرانية (المسيحية) القائمة على صناعة الصراعات والصدامات بين الأنبياء ، لتحقيق مصالح شخصية ، واتِّباعًا للأهواء الذاتية والأمزجة الفاسدة والآراء الباطلة . وللأسف ، إن علماء النصارى لم يَجدوا وسيلةً لتعظيم المسيح وإبراز مكانته وإظهار منزلته وفضله ، سِوى الطعن في الأنبياء ، وإهانة مُوسى كليم الله ، واحتقار شريعة مُوسى . ولو كان علماءُ النصارى حريصين على الحق والحقيقة ، لَعَرَفوا أن تعظيم المسيح إنما يكون باتِّباعه والحرص على شريعته ، وعدم الكذب عليه، وعدم تحريف الإنجيل ، وتغيير نصوصه ، من أجل جمع حُطام الدنيا الفاني .

٥_ إهانة إسماعيل لتقديم إسحاق عليه

إن إسماعيل وإسحاق أخَوَان غير شَقِيقَيْن ، ونَبِيَّان كريمان ، وهُما ابنا النبيِّ إبراهيم _ عليهم جميعًا الصلاة والسلام _. وإسماعيل هو أبو العرب، وأُمُّه هَاجَر. وقد كانت أَمَةً لسارة أُم إسحاق،

مِن قِبَل جبَّار مِصْر الذي وهبها لها ، وقد وهبتها سارة لزوجها إبراهيم ، لمَّا يئست من الولد فأصبحت مِلْك يمينه ، فلمَّا ولدت منه إسماعيل ، غارت سارة منها، فأمرَ اللهُ إبراهيمَ أن يّذهب بإسماعيل وأُمِّه إلى مكان مكة المُكرَّمة . وإسماعيل نبيٌّ كريم ، ولكن اليهود والنصارى لا يَعترفون بِنُبُوَّته ، وإنما يَعتبرونه شخصية تاريخية وردت في التَّوراة (العهد القديم) .

بنى علماءُ النصارى عقيدتهم الباطلة على إحداث صراع وهمي مُتخيَّل بين الأنبياء ، خصوصًا بين إسماعيل وإسحاق ، لأن إسماعيل أبو العرب ، وإسحاق أبو اليهود . فكانَ لا بُد مِن إثبات تفوُّق اليهود على العرب ، وإثبات أن اليهود هُم السادة ، والعرب هُم العبيد . ولم يجد علماءُ النصارى أفضل مِن الطعن في أُم إسماعيل (هَاجَر)، وتقديمها كجارية وخادمة ذليلة وأمَة وضيعة ، وذلك من أجل صناعة مشهد ديني قائم على اعتبار اليهود (أبناء إسحاق) مِن ذُرِّية السَّيدة الحُرَّة الشريفة سارة ، واعتبار العرب (أبناء إسماعيل) مِن ذُرِّية الأمَة الجارية الوضيعة هَاجَر . وهذا يدل على اختراق اليهود للإنجيل ، وتكريس عملية " صَهْينة الإنجيل " ، بما يَخدم المصالح المادية الشخصية لليهود (المغضوب عليهم) والنصارى (الضَّالين) . وهذا يُثبِت تبعية الإنجيل المُحرَّف للتَّوراة المُحرَّفة ، وتبعية النصارى لليهود . وهذه التبعية تكرَّست في اعتبار التَّوراة (العهد القديم) هو أساس الكتاب المُقدَّس وأصله التاريخي ، واعتبار الإنجيل (العهد الجديد) تابعًا له، ويُمثِّل نِصْفَه الثاني .

في [الرسالة إلى غَلاطِيَّة ٤ : ٢٢ _ ٢٦] : ((فإنه قد كُتب أن إبراهيم كان له ابنان : أحدُهما من الجارية ، والآخرُ من المرأة الحُرَّة . أمَّا ابنُ الجارية ، فقد وُلد حَسَبَ الجسد . وأمَّا ابنُ الحرَّة ، فإتمامًا للوعد . وهذه الحقيقة لها معنى رمزي . فهاتان المرأتان تَرمُزان إلى عَهْدَيْن : الأول مَصدره جبل سِيناء ، يجعل المولودين تحته في حال العُبودية ، ورمزه هاجَر . ولفظةُ هاجر تُطلَق على جبل سِيناء ، في بلاد العرب ، وتُمثِّل أورُشَلِيمَ الحالية ، فإنها معَ بَنيها في العُبودية ، أمَّا الثاني ، فرمزُه الحُرَّةُ التي تُمثِّل أورُشَلِيمَ السماوية التي هِيَ أُمُّنا)) اهـ .

إن حِقد اليهود (وأذنابهم النصارى) على العرب تاريخي ومُتجذِّر ، وهذا يتجلَّى في رفض اليهودية والنصرانية (المسيحية) الاعتراف بِنُبُوَّة إسماعيل ، واعتباره شخصية تاريخية عابرة في التَّوراة لا أكثر . والهدفُ مِن رفض الاعتراف بِنُبُوَّة إسماعيل ، هو احتقار العرب ، وتصويرهم كأُمَّة بدائية مُتخلِّفة لا تملك أصلًا شريفًا ، ولا نَسَبًا رَفيعًا . إذ إن النبيَّ إسماعيل هو أبو العرب ، ومِن ذُرِّيته جاء النبيُّ محمد _ عليهما الصلاة والسلام _ . وهذا شرفٌ للعرب ، وتعظيم لشأنهم ،

وتمجيد لِقَدْرهم ، ورَفع لمنزلتهم ، وإبراز لقيمتهم العظيمة في التاريخ . وهذا أمرٌ مرفوض عند أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ، الذين يَكرهون العربَ ويَحتقرونهم ، ويعتبرونهم بدائيين ومُتخلِّفين . لذلك ، يجب تجريد العرب مِن كل شرف وفضيلة . وكان الحلُّ مِن وجهة نظر اليهود والنصارى هو رفض الاعتراف بِنُبُوَّة إسماعيل ، واعتباره شخصًا عاديًّا ، وشخصية تاريخية ، وهذا يعني أن العرب (ذُرِّية إسماعيل) ليس لهم أصل عظيم ، ولا نَسَب شريف ، ولا مكانة اجتماعية . فأبوهم إسماعيل شخص عادي ، وليس نبيًّا ، ولا رسولًا . وهذا يعني أن العرب أُمَّة عادية بسيطة ، بلا شرف ولا قيمة ولا وزن ولا كرامة ، ولا يتميَّزون بأي شيء . وهذا ما يُريد اليهودُ والنصارى أن يصلوا إليه . وأيضًا ، يتم اعتبار إسماعيل ابنًا للجارية (هَاجَر) ذات المنزلة الوضيعة ، مُقابل اعتبار إسحاق ابنًا للحُرَّة (سارة) ذات المكانة الرفيعة . وهذا يعني أن أُم العرب جارية ذليلة ، وأُم اليهود سيدة عزيزة ، وبذلك يتم إثبات تفوُّق اليهود على العرب ، واعتبار اليهود شعب الله المختار ، وسادة البشرية ، وزعماء الإنسانية ، واعتبار العرب أُمَّة ذليلة همجية بدائية مِن العبيد .

وتَمَّ اعتبار إسماعيل (ابن هَاجَر الجارية) مَولودًا حَسَب الجسد ، أي حَسَب العلاقة الجنسية بين الرَّجل وزوجته ، بلا قيمة فكرية ، ولا مكانة رفيعة . مُجرَّد تكاثر بيولوجي مِثل الناس العاديين . أمَّا إسحاق (ابن سارة الحُرَّة) فوُلِد إتمامًا للوعد . أي إن ولادته ذات دلالة دينية شريفة ، وتُمثِّل مكانةً عظيمة ، ومنزلة رفيعة ، وليست مُجرَّد تكاثُر كما حدث لإسماعيل . وهذا يدل على حِقد اليهود على إسماعيل وذُرِّيته (العرب) وإهانتهم ، مِن أجل رفع إسحاق واليهود فوقهم . وإسحاقُ بريء مِن اليهود الذين كفروا بإسماعيل ، وأهانوا الأنبياء ، لأن الأنبياء منهج واحد ومتكامل ، ومَن أسقطَ نبيًّا واحدًا ، فقد أسقطَ جميعَ الأنبياء بلا استثناء . واليهودُ والنصارى الذين أهانوا النبيَّ إسماعيل صاحب المكانة العظيمة ، وكفروا بِنُبُوَّته ، هُم في حقيقة الأمر ، كفروا بالنبيِّ إسحاق صاحب المكانة العظيمة. ويجبُ الإيمان بالأنبياء جميعًا بلا تفرقة ولا تمييز ، ولا اختراع صراعات وهمية مُتخيَّلة بينهم . وهذا يُشير إلى غرق اليهود والنصارى في أهوائهم الشخصية ومصالحهم المادية الضَّيِّقة . ويقول الإنجيلُ البشري المُحرَّف إن هاتَيْن المرأتين (هاجر وسارة) ترمُزان إلى عَهْدَيْن : الأول_ عَهْد هَاجَر.ويرمُز إلى الذُّل والعُبودية والمكانة الحقيرة، فهي أمَة وعَبدة ، وإسماعيل ابنها، والعرب (أولاده) عبيد . والثاني _ عَهْد سَارَة . ويرمُز إلى المجد والشرف والكرامة والسِّيادة ، فهي سيِّدة حُرَّة ، وإسحاق ابنها ، واليهود (أولاده) سادة . ورَمْزُ هذا العهد العظيم سارة السَّيدة الحُرَّة التي تُمثِّل أورُشَلِيمَ السماوية التي هِيَ أُمُّ اليهود زعماء البشرية وسادتها.

وفي [الرسالة إلى غَلاطِيَّة ٤: ٣٠و٣١] قال بُولُس : ((إنما ماذا يقول الكتاب ؟ ((اطرد الجاريةَ وابنَها ، لأن ابنَ الجارية لا يَرِثُ مع ابن الحُرَّة !)) إذن ، أيها الإخوة ، نحن لَسْنا أولادَ الجارية ، بل أولادُ الحُرَّة)) اهـ . هذا النصُّ الهستيري هو أساس خُرافة نِقاء العِرق التي أحرقت الغربَ ، وتسبَّبت بمقتل عشرات الملايين على مدار التاريخ . يُكرِّس النصُّ الإنجيليُّ العنصريةَ ، والحِقدَ ، والكراهية بين الشعوب ، والتمييزَ على أساس عِرقي وطائفي . وتَمَّ تغليف هذه المعاني السَّيئة بالدِّين ، وهذا دليل على أن الديانة النصرانية (المسيحية) قائمة على التطرف والكراهية .

يقول بُولُس مُتسائلًا : ((إنما ماذا يقول الكتاب ؟)) . وهذا نوع من التشويق الوهمي ، ومُحاولة مكشوفة ومفضوحة لتأسيس شرعية دينية لكلامه ، وذلك بنِسبة كلامه إلى الكتاب والشريعة . وماذا يقول الكتابُ _ حَسَب بُولُس _ ؟ . اطرد هَاجَر الجاريةَ الأمَةَ الوضيعة وابنَها إسماعيل ، لأنهما ينتميان إلى منزلة وضيعة ، ورُتبة مُتدنِّية ، وإسماعيل ابن هاجر الجارية لا يَرِثُ مَعَ إسحاق ابن سارة السَّيدة الشريفة العزيزة . وماذا يترتَّب على هذا الأمر ؟ . يترتَّب على هذا الأمر أن اليهود سادة البشرية وزُعماء الإنسانية (باعتبارهم أبناء سارة السَّيدة الحُرَّة الشريفة) ، والعرب عبيد وخدم ورَعَاع وحُثالة (باعتبارهم أبناء هاجَر الجارية الأمَة الوضيعة) . وهذا التمييز العنصري ، والحِقد الطبقي ، والكراهية ، والاحتقار ، والتفرقة على أساس عِرقي وطائفي ، يُمثِّل الأساسَ الفلسفي للإنجيل المُحرَّف . فهو كتاب بشري ألَّفه علماءُ النصارى الخاضعون للرواية اليهودية في التوراة المُحرَّفة. وتَمَّ تأليفه بشكل فَوضوي اتِّبَاعًا للأهواء الذاتية والمصالح الشخصية.

إن معاني الكرامة والشرف والمجد تتجلَّى في عبادة الله وَحْدَه بلا شريك ، وخَشيته وطاعته وتَقواه ، والتزام أوامره ، واجتناب نَوَاهيه ، والإيمانُ لَيست قضية نَسَب ، أو أُم سيِّدة وأُم جارية .

وإسماعيلُ وإسحاق أخَوَان عزيزان ، ونَبِيَّان كريمان ، ورسولان شريفان ، حَمَلا الوَحْيَ الإلهيَّ على أكمل وجه ، وأرشدا الناسَ إلى الحق والهدى ، بكل إخلاص وأدب واحترام . وللأسف ، إن ما يُسمَّى بالكتاب المُقدَّس (التوراة / العهد القديم ، والإنجيل / العهد الجديد) حريص على إهانة إسماعيل ، وتكريس الكُفر بِنُبُوَّته ، وعدم الاعتراف بها ، وكُل هذا لأنه أُمَّه هاجَر كانت أمَة ، ولم تكن حُرَّةً ، كما أن العرب مِن ذُرِّيته . وهذا تطرُّف مرفوض . وإذا كان الإنسانُ ابنَ الجارية ، فهذا لا يَطعن فيه ، ولا يُقلِّل مِن شأنه . فقد اختارَ اللهُ إسماعيلَ نبيًّا ورسولًا ، كما أن إسماعيل ابن النبيِّ إبراهيم خليل الله . وكُل الأنبياء أصحاب نَسَب رفيع ، ومكانة شريفة ، ومنزلة عظيمة . واللهُ أعلم حَيث يَجعل رسالته .

وفي [الرسالة إلى أَفَسُوس ٦: ٨] قال بُولُس : ((فأنتم تَعلَمون أنهُ مَهما عَمِلَ كلُّ واحدٍ مِن الخَير ، فسَوفَ ينالُ المكافأةَ مِن الرَّب ، سواءٌ أكان عبدًا أَم حُرًّا)) اهـ . هذا نص صريح مِن بُولُس بأن العِبرة في عمل الخير ، بغض النظر عن أصل الإنسان ونَسَبه ، وسواءٌ كان عبدًا أَم حُرًّا . وهذا اعتراف واضح بأن قيمة الإنسان تنبع من عمل الخير ، وليس أصله العائلي . والاعترافُ سيِّد الأدلة. وهذا النصُّ يَهدم النصَّ السابقَ ، مِمَّا يدل على التناقض في الإنجيل ورسائله وأسفاره، واختراقه مِن قِبَل اليهود ، وكثرة الأيدي النصرانية (المسيحية) المُتَصَهْيِنَة التي تتلاعب بنصوص الإنجيل . وهذا التحريفُ في الإنجيل ، جعل الإنجيلَ كتابًا بشريًّا خاضعًا لليهود بشكل أو بآخر ، وتمَّت عملية " صَهْيَنة الإنجيل " بشكل مُتعمَّد ومُخطَّط له مُسْبَقًا ، وليس بشكل عفوي أو بريء. وقد ورَّط النصارى أنفسَهم ، حِينَ ربطوا إنجيلهم المُحرَّف بالتَّوراة المُحرَّفة ضِمن مَهزلة " الكتاب المُقدَّس " ، لأن هذا يعني بالضرورة تبعية النصارى لليهود ، وخضوع النصوص الإنجيلية للرواية التَّوراتية المُتطرِّفة . وفي حقيقة الأمر ، إن هذا الكتاب هو الكتاب المُدَنَّس لا الكتاب المُقدَّس .

وقد اتَّبَعَ النصارى اليهودَ في فكرة إهانة إسماعيل لإعلاء إسحاق عليه ، وبالتالي ضمان تكريس عُلُوِّ اليهود (أبناء إسحاق) على باقي الأمم والشعوب ، وهكذا يتم تجذير خُرافة أن اليهود شعب الله المختار، وسادة البشرية ، وزُعماء الإنسانية ، وباقي الشعوب عبيد وخدم وحُثالة.

والنصوصُ التَّوراتية المتطرفة في هذا السياق تُمثِّل أساسَ الإنجيل وفلسفته ، لأن الإنجيل مبنيٌّ على التوراة ، وخاضع لها ، وتابع لنصوصها ، وعلماء النصارى تلاميذ علماء اليهود ، والكُفْرُ مِلَّة واحدة . والتَّوراةُ والإنجيلُ كتابان بشريان مُحرَّفان ، مَقطوعان عن السماء .

في [تَكْوين ٢١: ١٠] : ((فقالت لإبراهيم اطرد هذه الجارية وابنها)) اهـ . يُصوِّر هذا النصُّ التَّوراتي المُحرَّف السَّيدة سارة كامرأة قاسية وعنيفة وشرسة ووقحة ، حيث تَطلُب مِن زَوجها إبراهيم أن يَطرُد زوجته (هاجَر الجارية الذليلة الوضيعة) وابنها إسماعيل ، لأنه ابن جارية وأَمَة . وهذا كذبٌ رخيص على السَّيدة سارة، وهي الزَّوجة الصالحة ، والسَّيدة الكريمة ، والمرأة الفاضلة. وكيف يَطرد النبيُّ إبراهيم سُرِّيته هَاجَر الشريفة الكريمة وابنه إسماعيل الذي جاء مِن صُلْبه ؟ . هذه عائلةُ النبيِّ إبراهيم ، وهي القُدوة العُليا ، والمَثَل الأسمى . وهي عائلة كريمة شريفة عزيزة ، وبعيدة كُل البُعد عن المشكلات الاجتماعية، والتفككِ الأُسري ، والصراعات ، والصِّدامات . وهي عائلة عظيمة مجيدة ، مَحَل نظر الله ، وعنايته ورعايته . وإبراهيمُ ليس شخصًا عاديًّا ، إنه خليل الله ، وأبو الأنبياء ، وإسماعيل وإسحاق نبيَّان كريمان ، وأُمُّهما هَاجَر وسَارَة شريفتان فاضلتان .

وعلماءُ أهل الكتاب يُحاولون جاهدين تصوير هذه العائلة النبوية الكريمة ، كعائلة مُفكَّكة ، ومُنقسمة ، ومُتصادمة ، ومُتصارعة . كُل هذا مِن أجل إقصاء إسماعيل وأُمِّه ونبذهما واحتقارهما ، ليظل إسحاق وأُمُّه في واجهة الأحداث ، ويتصدَّران المشهد . وبالتالي ، يظل اليهود (أبناء إسحاق ابن السَّيدة الحُرَّة الشريفة) هُم السادة والقادة والزعماء ، ويظل العرب (أبناء إسماعيل ابن الجارية الأمَة الوضيعة) هُم العبيد والخدم والحُثالة . وهذا مُنتهى الكُفر والضلال والتطرُّف.

وفي [تَكْوين ٢١: ١٢] : ((في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها)) اهـ . هذا النصُّ التَّوراتي المُحرَّف كذبٌ واضح على الله . فالنصُّ يَزعُم أن الله أمرَ إبراهيم أن يَسمع لسارة في كُل ما تقوله ، ولا يُعارضها ، ولا يُخالفها . وهذه الطاعةُ العَمياء مرفوضة نقلًا وعقلًا . والهدفُ من هذا النص المكذوب على الله ، هو أن يقوم إبراهيم بطرد هاجر وابنها إسماعيل ، ويَخلو الجَو لسارة وابنها إسحاق . وهكذا ، تتكرَّس سيادة اليهود وزعامتهم ورئاستهم ، ويتكرَّس انحطاط العرب وذُلُّهم وعُبوديتهم وخِزْيهم . وهذه اللعبةُ مكشوفة ومفضوحة . وما ضَرَّ السَّحاب نُباح الكِلاب .

وتستمر حلقات المسلسل التوراتي الأسطوري . ففي [تَكوين ٢١ : ١٤]: ((فبكَّر إبراهيم صباحًا وأخذ خبزًا وقِربة ماء وأعطاهما لهاجر واضعًا إياهما على كتفها والولد وصرفها)) اهـ . هل يوجد رَجل محترم يَطرد زوجته وابنه بهذا الشكل المُخزي ؟ . هذا كذبٌ واضح على إبراهيم خليل الرحمن ، وأبو الأنبياء ، والرسول الكريم ، والزَّوج الصالح ، والأب الفاضل ، والمُعلِّم الشريف ، صاحب الأخلاق الحميدة ، والمبادئ الرفيعة . لا يُمكن لرَجل محترم أن يقوم بهذا العمل الدنيء (طرد ابنه وأُمِّه)، فكيفَ يقوم به النبيُّ إبراهيم _ عليه الصلاة والسلام _ ؟ . إن اللهَ اختارَ إبراهيم نبيًّا ورسولًا ، لهداية الناس إلى الحق والهدى ، وإرشادهم إلى الأخلاق الفاضلة ، وتَكوين أُسَر وعائلات قائمة على الإيمان بالله وطاعته والتزام أوامره واجتناب نَواهيه . وإذا كانَ إبراهيم قد طَرَدَ هاجَر وابنه إسماعيل بلا ذَنْب ولا إثم ولا جريمة، فهذا يعني أنه أب فاسد وظالم، وأُسرته مُفكَّكة ، وعائلته مُحطَّمة ، وهو عاجز عن إدارتها وعلاج مُشكلاتها . وهذا باطل ، ويُسيء إلى صورة النبيِّ إبراهيم المُشرقة . والمُضحك المُبكي أن اليهود حاولوا إهانة إسماعيل وأُمِّه ، والطعن فيهما ، فأهانوا النبيَّ إبراهيم وطَعنوا فيه ، وشوَّهوا صُورته في تَوراتهم ، وهُم الذين يَنسِبون أنفسهم إليه كذبًا وزُورًا . وهذا يُشير إلى غرق أهل الكتاب (اليهود والنصارى) في أهوائهم الذاتية ، ومصالحهم الشخصية ، ومنافعهم المادية . كما يُشير إلى تلاعبهم بنصوصهم الدينية ، وتحريفهم للتوراة والإنجيل ، وتحويل الديانَتَيْن اليهودية والنصرانية إلى أوهام وخُرافات وأكاذيب.

والطعنُ في النبيِّ إسماعيل صاحب المكانة الشريفة ، هو طعن في أخيه النبيِّ إسحاق صاحب المكانة الشريفة . ومَن أهانَ نبيًّا ، فقد أهانَ جميع الأنبياء بلا استثناء ، لأن مُرْسِلهم واحد ، ودِينهم واحد ، ويُمثِّلون منهجًا متكاملًا ، بلا تضاد ، ولا تعارُض ، ولا اضطراب .

والعجيبُ في الأمر أن إصرار اليهود والنصارى على إهانة إسماعيل (باعتباره ابن الجارية) يتعارض مع التَّوراة . ففي [تَكوين ١٧ : ٢٠] : ((وأمَّا إسماعيلُ فقد سَمعتُ لَكَ فيه . ها أنا أُباركه وأُثْمِره وأُكَثِّره كثيرًا جِدًّا)) اهـ. هذا النص التَّوراتي يقول إن الله قد أخبرَ إبراهيم بأنه سيُبارِك إسماعيل ، ويُثمِره ، ويُكثِّره كثيرًا جِدًّا . وهذا وَعْدٌ إلهيٌّ ، واللهُ لا يُخلِف وَعْدَه . ومعنى هذا أن إسماعيل مُبَارَك وفاضل وطاهر ، وصاحب مكانة عظيمة ، ومنزلة رفيعة ، ومُكرَّم مِن الله ، ومُؤيَّد مِن السماء . فلماذا يَطعن اليهودُ والنصارى فيه ويَغمزونه ويَنسِبونه إلى أُمِّه إهانةً له ؟ . إنهم يُعارضون التَّوراةَ ، ويُخالفونها ، ويتصادمون مع هذا النص التَّوراتي . وهذا دليل واضح على تحريف التوراة والإنجيل ، والتلاعب بنصوصهما ، بحيث انتشر فيهما الخلل والتناقض والتعارض.

واليهودُ يَعتبرون إسحاق هو الذبيح ، معَ أن الثابت في القُرآن والتَّوراة معًا أن الذبيح هو إسماعيل . وهذا لا يُقلِّل مِن مكانة إسحاق العظيمة ، ولكنه يُثبِت أفضلية إسماعيل على إسحاق. والأنبياءُ كُلُّهم شُرفاء وكِرام وعُظَماء ، ولكنهم يتفاوتون في الفضل والمكانة والمنزلة .

لقد قدَّمت التَّوراةُ إسحاق باعتباره الذبيح ، وتبعها الإنجيل في ذلك ، باعتبار أن النصارى تابعون لليهود وأذناب لهم، وباعتبار أن التوراة المُحرَّفة هي الأصل ، والإنجيل المُحرَّف هو الفَرْع.

في [الرسالة إلى العِبرانِيِّين ١١: ١٧] : ((وبالإيمان ، إبراهيمُ أيضًا ، لَمَّا امتحنه الله ، قرَّب إسحاقَ ابنَه الوحيد)) اهـ . هذا النص الإنجيلي المتناقض ، يحتوي على مُغالطَتَيْن : الأولى _ أنه يَعتبر إسحاق هو الذبيح ، والصواب أن إسماعيل هو الذبيح . والثانية _ أنه يَعتبر إسحاق الابن الوحيد لإبراهيم ، والصواب أن إسماعيل هو الابن البِكر والوحيد لإبراهيم قبل مجيء إسحاق . وسببُ التناقض في هذا النص الإنجيلي هو اتِّباعه للتوراة بشكل أعمى . مِمَّا يُشير بوضوح إلى أن التوراة المُحرَّفة هي أساس الإنجيل المُحرَّف ، وأن علماء النصارى مُجرَّد تابعين وتلاميذ صغار لعلماء اليهود . وهذا يُثبِت أن عملية " صَهْينة الإنجيل " حقيقة واقعية ملموسة ، وليست تُهمة عابرة بلا دليل . والإنجيلُ البشري المُحرَّف تَمَّ اختراقه والتلاعب بِه بواسطة الأيدي اليهودية ، أو بواسطة علماء النصارى المُوالين لليهود واليهودية ، والذين يَعتنقون الرواية اليهودية للأحداث ، باعتبار التوراة أساس الكتاب المُقدَّس،والعهد القديم الذي يُمثِّل مرجعية الإنجيل (العهد الجديد).

وقصة الذبيح وردت في التَّوراة (أساس الإنجيل ومصدر معلومات علماء النصارى) . ففي [تَكوين ٢٢ : ١ _ ١٣]:((وحدَث بعد هذه الأمور أن الله امتحَن إبراهيم، فقال له: يا إبراهيم، فقال: هأنذا . فقال: خُذ ابنك وحيدك، الذي تُحبه إسحاق، واذهب إلى أرض المُرِيَّا، وأصعِده هناك مُحرَقةً على أحد الجبال الذي أقول لك . فبكَّر إبراهيم صباحًا وشَدَّ على حماره، وأخذ اثنين من غِلمانه معه،وإسحاقَ ابنه،وشقَّق حطبًا لمُحرَقة،وقام وذهب إلى الموضِع الذي قال له الله . وفي اليوم الثالث رفَع إبراهيم عينَيه وأبصَر الموضع من بعيد . فقال إبراهيم لغُلامَيْه اجلِسا أنتما ههنا مع الحمار، وأمَّا أنا والغلام، فنذهب إلى هناك ونسجد، ثم نرجع إليكما . فأخذ إبراهيم حطَب المُحرَقة ووضَعه على إسحاق ابنه، وأخذ بيده النار والسِّكين، فذهبا كلاهما معًا . وكلَّم إسحاقُ إبراهيمَ أباه، وقال يا أبي ، فقال: هأنذا يا ابني . فقال: هُوَذَا النارُ والحطب، ولكن أين الخروف للمُحرَقة . فقال إبراهيم: الله يرى له الخروف للمُحرَقة يا ابني . فذهبا كِلاهما معًا . فلمَّا أتيا إلى المَوضِع الذي قال له الله، بنى هناك إبراهيم المذبح ورتَّب الحطب وربَط إسحاق ابنه ووضَعه على المَذبَح فوق الحطب . ثُمَّ مَدَّ إبراهيمُ يدَه وأخذ السكين ليَذبح ابنه . فناداه ملاك الرب من السماء، وقال إبراهيمُ إبراهيم، فقال هأنَذَا . فقال لا تَمُدَّ يدك إلى الغلام، ولا تفعل به شيئًا . لأني الآن علِمتُ أنك خائفُ اللهَ، فلم تُمسِك ابنك وحيدك عنِّي . فرفعَ إبراهيمُ عينَيه ونظَر وإذا كبش وراءه مُمْسَكًا في الغابة بِقَرْنَيْه، فذهب إبراهيمُ وأخذ الكبش وأصعَده مُحرَقةً عِوضًا عن ابنه)).

هذه القصة التَّوراتية الباطلة تقول إن إسحاق هو الذبيح ، وهذا كذبٌ واضح ، وتَحريف مكشوف . فالنصُّ التَّوراتي : ((خُذ ابنك وحيدك، الذي تُحبه إسحاق)) يقول إن إسحاق هو الابن البِكر والوحيد لإبراهيم . وهذا كذب مفضوح ، ويتعارض مع نصوص التوراة نفْسها ، لأن نصوص التَّوراة أثبتت أن إسماعيل وُلِد لإبراهيم قبل إسحاق . وبالتالي ، إن إسماعيل هو الابن البِكر والوحيد لإبراهيم حتى ولادة إسحاق . وفي [تَكوين ١٦ : ١٥ و١٦] : ((فَوَلَدت هَاجَرُ لأبرام ابنًا، ودعا أبرامُ اسمَ ابنه الذي ولَدته هاجرُ إسماعيلَ . كان أبرام ابن سِت وثمانين سنة لمَّا ولَدت هاجرُ إسماعيلَ لأبرام)) اهـ . هذا النصُّ التَّوراتي يُثبِت أن إسماعيل هو الابن البِكر لإبراهيم الذي كان يبلغ مِن العمر ٨٦ سنة عند ولادة إسماعيل . وفي [تَكوين ٢١ : ٥] : ((وكان إبراهيمُ ابنَ مِئة سنة حِين وُلِدَ له إسحاقُ ابنُه)) اهـ . هذا النصُّ التَّوراتي يُثبِت أن إسحاق هو الابن الثاني لإبراهيم الذي أنجبه وهو ابن ١٠٠ سنة . أي : إن إسماعيل كان في الرابعة عشرة مِن عُمره ، حِين وُلِد أخوه إسحاق. إذن، إن إسماعيل هو الابن البِكر لإبراهيم ، وليس إسحاق .

وهذا يُثبِت أن إسماعيل هو الذبيح . كما يُثبِت كذب اليهود وتلاعبهم بنصوص التَّوراة ، وتحريفهم لها، مِن أجل إظهار أن إسحاق هو الذبيح، وهو ابن السَّيدة الحُرَّة، ووالد اليهود (بني إسرائيل) . وبالتالي، إن اليهود هُم شعب الله المُختار، وأصحاب السيادة والزعامة والرئاسة والمجد والشرف . وإسماعيل ابن الجارية الأمَة (والد العرب) ليس له مكانة عظيمة ولا منزلة شريفة . وبالتالي ، تكون ذُرِّيته (العرب) مُجرَّد عبيد وخدم . لقد اتَّضح كذبُ التوراة المُحرَّفة وتناقضها ، وظهر تحريف اليهود لتوراتهم، لصناعة أمجاد وهمية لليهود ، واختراع شرف غير مُستحق لبني إسرائيل ، وذلك بالكذب على الله وأنبيائه . وقد بيَّنت التَّوراةُ أن الذبيح هو الابن البِكر لإبراهيم ، وبيَّنت في نصوص أُخرى أن الابن البِكر هو إسماعيل، وبذلك يكون إسماعيل هو الذبيح لا إسحاق. وهذا يُثبِت تفوُّق إسماعيل على إسحاق، وأفضليته على أخيه ، وكلاهما نبيٌّ كريم ، ورسول عظيم . كما يُثبِت إخلاص إبراهيم وتَقواه وقُوَّة إيمانه_عليهم جميعًا الصلاة والسلام _ .

٦_ إهانة يَحيى (يُوحَنَّا المَعمَدان) لتقديم المسيح عليه

في [مَتَّى ١١: ٢و٣] : ((ولَمَّا سَمِعَ يُوحَنَّا ، وهو في السِّجن ، بأعمال المسيح ، أَرسلَ إليه بعضَ تلاميذه ، يسأله : ((أأنتَ هُوَ الآتي ، أَم ننتظر غَيرَك ؟)))) اهـ . هذا النص الخُرافي يُقدِّم يحيى (يُوحَنَّا المَعمَدان) كشخص جاهل بلا عِلم ولا مَعرفة . يجهل الشريعةَ ، ولا يَعرِف شخصية المسيح . وإذا كان يحيى ، وهو النبيُّ الكريم ، والرسول العظيم ، والعالِم بالشريعة ، والمُؤيَّد بالوَحْي الإلهيِّ لا يَعرف المسيحَ ، فَمَن إذن سيعرف المسيحَ ؟ . إن النص يزعم أن يحيى كان يجهل هُويَّة المسيح ، ولا يعرفه ، حتى إنه اضْطُر أن يُرسِل إليه بعض تلاميذه يَسأله سؤالًا ساذجًا يدل على جهل بالشريعة ، وعدم معرفة بشخصية المسيح (عبد الله ورسوله) . وبالتأكيد، لا يُوجد نبيٌّ يَجهل هُوِيَّةَ نبيٍّ آخَر . وإذا كان الأنبياءُ المُؤيَّدون بالوَحْي الإلهيِّ يَجهلون بعضهم البعض ، فكيفَ للعوام أن يَعرِفوا الأنبياءَ ؟ . وإذا كان يحيى يَجهل هُوِيَّةَ المسيح ، ولا يُدرِك شأنه، ولا يَعرف أمرَه ، فكيفَ يُمكن لبني إسرائيل أن يَعرفوا المسيحَ ، ويتعرَّفوا على شخصيته ؟ . إن النص الإنجيلي المُحرَّف يَنسِب الجهلَ والسذاجة وعدم المعرفة إلى النبيِّ يحيى . وهذا مرفوض وباطل نقلًا وعقلًا . لقد اختارَ اللهُ الأنبياءَ ، وعلَّمهم ، فصاروا أعظم البشر ، وأعلم الناس بالوَحْي والشريعة ، وكُلُّهم مُنَزَّهون عن الجهل وعدم المعرفة .

وفي [مَتَّى ٣: ١٣و١٤] : ((ثُمَّ جاءَ يَسوعُ من منطقة الجليل إلى نهر الأردن ، وقَصَدَ إلى يُوحَنَّا لِيَتعمَّد على يَده . لكنَّ يُوحَنَّا أخذَ يُمانعه قائلًا : ((أنا المحتاجُ أن أتعمَّد على يَدِك ، وأنتَ تأتي إِلَيَّ !)))) اهـ. هذا يدل على أن يحيى (يُوحَنَّا) كان يَعرف المسيحَ ، ولا يَجهل أمرَه . وقد عَرَفَه قبل أن يُعمِّده ، مِمَّا يَنفي تُهمة الجهل والسذاجة عن يحيى (يُوحَنَّا) ، ويُثبِت أن يَحيى كان عَالِمًا بأمر المسيح ، ويَعرف هُوِيَّته وشخصيته ، ولا يَجهل شأنه.وفي [يُوحَنَّا ١: ٣٢و٣٣] : ثُمَّ شَهِدَ يُوحَنَّا فقال : ((رَأيتُ الرُّوحَ يَنْزِل من السماء بهيئة حمامة ويَستقرُّ عليه . ولم أكن أعرِفُه)).

هذا النصُّ الخُرافي يقول إن يحيى (يُوحَنَّا) كان يَجهل المسيحَ ، ولا يَعرف هُوِيَّته ، ولكنه عرفه بعد نزول الحمامة عليه . وهذا غير معقول ولا مقبول ، لأن الأنبياء مُؤيَّدون بِوَحْي السماء ، واللهُ يُعلِّمهم ، ويَمنحهم العلومَ والمعارفَ ، وهم أعلم الناس بالوَحْي والشريعة، ولا يُعقَل أن حمامة تعرف المسيحَ، وتنزل عليه، ويحيى لا يعرف المسيح. إن المسيح (عبد الله ورسوله) شخصية مركزية في غاية الأهمية ، ولا يُمكن أن يخفى أمرُه على نبيٍّ يُوحَى إليه كيحيى (يُوحَنَّا) . والأنبياءُ أعظم العلماء ، ومُنَزَّهُون عن الجهل وعدم المعرفة . والإنجيلُ البشري المُحرَّف حريص على تصوير يحيى (يُوحَنَّا) كجاهل وتابع ساذج ، وإهانته ، وذلك مِن أجل إظهار المسيح باعتباره القائد والزعيم. والمسيحُ لا يحتاج إلى أكاذيب الإنجيل وخُرافاته ، لإثبات مكانته وفضله وشرفه . وكل الأنبياء قادة وزعماء وأشراف وعُلماء وحُكماء ، معَ التفاوُت في فضلهم ومنازلهم وقَدْرهم .

٧_ إهانة إبراهيم لتقديم مَلْكِيصادَق عليه

في [الرسالة إلى العِبرانِيِّين ٧: ٧] : ((إذن ، لا خِلاف أن مَلْكِيصادَق أعظمُ من إبراهيم)) . إن مَلْكِيصادَق هو مَلِك مدينة القدس أو أورُشَلِيم . وهو شخصية غامضة ومُبْهَمَة ، فكيفَ يكون أعظم مِن إبراهيم خليل الرحمن وأبي الأنبياء ؟ . لا مُقارنة بينهما . وهذا النص الأسطوري يَحمل إهانةً للنبيِّ إبراهيم ، ويُقلِّل مِن شأنه . إن النبيَّ إبراهيم أعظم من جميع أنبياء بني إسرائيل ، فكيفَ يكون أحد الملوك أفضلَ منه ؟ . هذا دليل واضح على تحريف الإنجيل ، وخُضوعه للأهواء الشخصية ، والمصالح الضَّيِّقة ، والمنافع المادية .

٨_ ادعاء وجود نَبِيَّة

في [لُوقَا ٢ : ٣٦] : ((وكانت هناك نَبِيَّة)) اهـ . لا تُوجد نَبِيَّات ولا رسولات . والعلماءُ مُجمِعون على هذا ، والواقعُ يُؤيِّده . فالنبيُّ يجب أن يكون ذَكَرًا لا أُنثى ، كي يتحمَّل أعباءَ النُّبُوَّةِ الثقيلةَ . ولو كانت هناك نَبِيَّة لكانت مَرْيَم . وهذا النصُّ دليل على تحريف الإنجيل وتغييره .

ثاني عشر : صورة تلاميذ المسيح وأتباعهم

١_ قِلَّة الإيمان

في [مَتَّى ٨ : ٢٦] : ((فقالَ لهم : لماذا أنتم خائفون يا قليلي الإيمان ؟ . ثُمَّ نهضَ وزَجَرَ الريحَ والبَحر فسادَ هدوءٌ تام)) اهـ . وَفْق هذا النص الإنجيلي ، وصفَ المسيحُ تلاميذَه وأصحابَه (الدائرة الضَّيقة المُحيطة به) بأنهم قليلو الإيمان . وإذا كانَ تلاميذُ المسيح الذين علَّمهم وربَّاهم وهذَّبهم وأرشدهم قليلي الإيمان ، فهذا يعني أن المسيح مُعلِّم سيِّئ ، لا يُتقِن التربيةَ ولا التعليمَ . وإذا كان تلاميذُ المسيح وأصحابه قليلي الإيمان ، فهذا يعني أنهم جِيل فاشل وسيِّئ ، بلا إيمان ولا أخلاق ولا تربية ولا تعليم.وهؤلاء هُم صَفوة بني إسرائيل والجيل الذهبي للنصرانية(المسيحية) حَسَب اعتقاد النصارى ، فكيفَ سيكون حال الناس العاديين ؟ . إن هذا النص الإنجيلي يَطعن في المسيح ، ويُصوِّره كمُعلِّم سيِّئ ، فَشَلَ في تربية تلاميذه وأصحابه وتعليمهم وتهذيبهم وإرشادهم ، ولم يَعرف أن يختار تلاميذه مِن الناس . وهذا باطل ومرفوض . والنصُّ أيضًا يَطعن في تلاميذ المسيح (أقرب المُقرَّبين إليه والجيل الذهبي والدائرة الضيقة) ، ويُصوِّرهم بأنهم قليلو الإيمان. ومَن كان قليلَ الإيمان فهو بلا أخلاق، وليس له عهد ولا أمان . وهذا يَهدم النصرانية (المسيحية) ويُقدِّمها للناس كديانة باطلة ، حملها أشخاص قليلو الإيمان . والجديرُ بالذِّكر أن النصارى يعتبرون تلاميذ المسيح رُسُلًا إلى الأمم والشعوب ، والمسيح مُرسِلهم . وإذا كان الرُّسل قليلي الإيمان ، فهذا يعني أن الشعوب ضاعت ، والأُمم تاهت . وضاعَ الإيمان ، وفقدت الرسالةُ معناها .

وفي [متَّى ١٦: ٨] : ((فقال لهم : يا قليلي الإيمان ، لماذا تُحاجُّون بعضكم بعضًا لأنكم لم تتزودوا خُبزًا ؟)) اهـ . وَفْق هذا النص الإنجيلي ، وصفَ المسيحُ تلاميذه وأصحابه بأنهم قليلو الإيمان . ما السبب في ذلك ؟ . السبب أنهم كانوا يُحَاجُّون بعضهم البعض مِن أجل أنهم لم يتزوَّدوا خُبْزًا . وهذا يدل على جهلهم، وغرقهم في الاستهلاكية ، وانحصار تفكيرهم في بطونهم ، دون التفكير في قضايا الإيمان ومعرفة الله ، والتزام أوامره ، واجتناب نَوَاهيه . وهذا يدل على فسادهم ، وقِلَّة إيمانهم ، وضعف يقينهم . وإذا كانَ تلاميذ المسيح (رُسله إلى الأمم والشعوب) بهذه الصورة السَّيئة ، والأخلاق الدنيئة ، والمستوى الهابط . فماذا كان يَفعل المسيحُ مِن أجل تربيتهم وتعليمهم وإرشادهم ؟ . وكيفَ سيكون حال الناس العاديين ؟ . ولا شَك أن الرأس إذا كان فاسدًا، فإن الجسم سينهار . وإذا كانت القُدوة مُحطَّمة ، فلا أمل في صلاح الناس ولا إصلاحهم.

وفي [مَتَّى ١٧: ١٩و٢٠] : ((ثُمَّ تقدَّم التلاميذُ إلى يَسوع على انفراد وسألوه: ((لماذا عَجَزْنا نحنُ أن نطرد الشيطان؟)) أجابهم : ((لقِلة إيمانكم)))) اهـ . إن تلاميذ المسيح وأصحابه (رُسله إلى الأمم والشعوب) عجزوا عن طرد الشياطين . وقد بيَّن المسيحُ سببَ ذلك ، وهو قِلَّة إيمانهم . وإذا كان هذا الجيل الذهبي للنصرانية (المسيحية) كما يعتقد النصارى ، قليل الإيمان ، وضعيف اليقين ، وعاجزًا عن طرد الشياطين . كيفَ سيُرشِد الآخرين ويُبشِّرهم برسالة المسيح ؟ . هل هذا الجيل (قليل الإيمان) هو الذي حَمَلَ رسالةَ المسيح إلى العالَم لهدايته وإرشاده ؟ . إن فاقد الشَّيء لا يُعطيه . وهل أضاعَ المسيحُ وَقْتَه مع تلاميذه وأصحابه ، ولم ينجح في تقوية إيمانهم ويقينهم ؟ . إن الطعنَ في التلاميذ كُلِّهم ووصفهم بِقِلَّة الإيمان هو طَعْن في مُعلِّمهم بالدرجة الأُولى ، لأنه الرأس والقُدوة والمُوجِّه والمُعلِّم والمُرشِد . وإذا كان التلاميذُ كُلُّهم قليلي الإيمان ، فهذا يعني أن المسيح قليل الإيمان ، وعاجز عن بناء تلاميذه وأصحابه . والمفروضُ أنهم رُسله إلى الأمم والشعوب ، والجيل الذهبي ، والآباء المُؤسِّسون للنصرانية (المسيحية) ، وحَمَلة رسالة المسيح إلى العالَم . وإذا كان تلاميذُ المسيح قليلي الإيمان وهُم أساس النصرانية (المسيحية) حَسَب اعتقاد النصارى ، فهذا يعني أن هذه الديانة باطلة وفاسدة ، لأن رِجالًا قليلي الإيمان والأخلاق ، بلا مبادئ ولا شرف ولا كرامة ، قد حَمَلوها ونشروها .

وفي [لُوقَا ١٧ : ٥و٦]: ((وقال الرُّسلُ للرَّب ((زِدنا إيمانًا !)) ولكنَّ الرَّبَّ قال : ((لَو كان عِندكم إيمانٌ مِثلُ بِزرة الخردل ، لكُنتم تقولون لشجرة التُّوت هذه : انقلعي وانغرسي في البَحر ! فتُطيعكم !)))) اهـ . كلمة " الرب " تعني السَّيد ، ولكن النصارى وصفوا المسيحَ بها ، ليجعلوه ربًّا وإلَهًا ، وهذا باطل . قال المسيحُ لتلاميذه وأصحابه : ((لَو كان عِندكم إيمانٌ مِثلُ بِزرة الخردل ...)) اهـ . هذا يعني أنهم ليس عندهم إيمان ، ولا يَقين . ومَن كان بلا إيمان ولا يقين ، كانَ بلا شرف ولا أخلاق ولا كرامة . وتلاميذ المسيح الذي وصفهم بأنهم لا يَملكون إيمانًا مِثل بِزرة الخردل ، وهو مُعلِّمهم ومُرشِدهم ومُوجِّههم ، المفروض أنهم صَفوة بني إسرائيل ، والجيل الذهبي ، ورُسل المسيح إلى أنحاء الأرض ، وحَمَلة النصرانية (المسيحية) إلى العالَم . وإذا كانوا بهذا السُّوء والقُبح ، بلا إيمان ولا يقين ولا أخلاق (لأن فاقد الإيمان هو فاقد للأخلاق بالضرورة)، فهذا يعني أن النصرانية (المسيحية) ديانة فاسدة وسيِّئة حَمَلَها رجال خَوَنة، ليس لديهم إيمان ولا يقين ولا شرف ولا كرامة ولا أخلاق. حتى إنهم لا يَملكون إيمانًا مِثل بِزرة الخردل المتناهية في الصِّغَر . وهُم أيضًا حَمَلة الإنجيل . وهذا دليل على بُطلان الإنجيل والنصرانية معًا .

٢_ وصف بُطرُس بالشَّيطان

وَفْق عقائد النصارى ، إن بُطرُس أحد تلاميذ المسيح الاثْنَي عشر ، وله مكانة بارزة في الأناجيل . ويحتوي الإنجيلُ (العهد الجديد) على رسالتَيْن منسوبتَيْن لِ " القِدِّيس بُطْرُس " إلا أن أغلب العلماء المُعاصرين يستنتجون أن بُطرُس ليس هو مؤلفهما ، وأنهما كُتِبَتا مِن قِبَل مُؤلفين مختلفين . والنصارى يَنظرون إلى بُطرُس نظرةَ تعظيم وتكريم وتقديس ، ويُعتبَر أول باباوات الكنيسة الكاثوليكية . والجديرُ بالذِّكر أن بُطرُس اسم عِبري يعني الصخرة أو الحَجَر .

في [متّى ١٦: ٢٣] : ((اغرُبْ مِن أمامي يا شَيطان ! أنتَ عقبةٌ أمامي لأنكَ تُفكِّر لا بأمور الله بل بأمور الناس !)) اهـ . هذا كلام المسيح لبُطرُس الذي تُقدِّسه النصارى ، ويَعتبرون قِدِّيسًا . لقد وصفه المسيحُ بأنه شَيطان، وعقبة أمام المسيح ، لأنه يُفكِّر بأمور الناس ، ولا يُفكِّر بأمور الله. ووَفْق هذا النص ، هذه إدانة مِن المسيح لبُطرُس ، وإهانة له . وهذا يعني أن بُطرُس شخص فاسد وسيِّئ وشَيطان بعيد عن الله ، ومطرود من رحمته ، لأنه لا يُفكِّر بأمور الله ، وإنما تفكيره محصور في أمور الناس ، وهذا يعني أن بُطرُس شخص غارق في الفساد والفُجور والفِسق والمعاصي . فكيفَ جعلته النصارى قِدِّيسًا والمسيحُ وصفه بأنه شَيطان ؟! . وكيف اعتبرته الكنيسة الكاثوليكية أول بابواتها وهو شَيطان لا يُفكِّر بأمور الله وإنما يُفكِّر بأوامر الناس _ حَسَب كلام المسيح _ ؟ . إن هذه الفوضى النصرانية المُتذبذبة بين الشَّيْطنة والتَّقديس ، بين المُقدَّس والمُدنَّس ، تُشير إلى تحريف الإنجيل وتغيير نصوصه ، وقيام الديانة النصرانية (المسيحية) على الفوضى والاضطراب.

٣_ وصف بُطرُس بِقِلَّة الإيمان والشَّك

في [مَتَّى ١٤ : ٣١] قال المسيحُ لبُطرُس : ((يا قليلَ الإيمان ، لماذا شَككت ؟)) اهـ. إن المسيح وصف بُطرُس بقِلَّة الإيمان والشَّك وغياب اليقين . وهذه إدانة صريحة لبُطرُس . وإذا كان " القِدِّيس بُطرُس " بهذا الفساد والسُّوء ، فكيفَ سيكون حال العوام والناس العاديين ؟ .

وَفْق الإنجيل ، إن بُطرُس شخص فاسد وسيِّئ ، ويجب طرده وعدم تقديسه ، وقد أهانه المسيحُ ، وفضحه ، ووصفه بأوصاف شديدة: أ _ شَيطان . ب _ عقبة أمام المسيح . ج _ يُفكِّر لا بأمور الله بل بأمور الناس . د _ قليل الإيمان . هـ _ شَكَّاك . وهذا يعني أن بُطْرُس في غاية الكُفر والفُسوق والفُجور . وهو مطرود من رحمة الله وبعيد عنه ، ولا يجوز اعتباره قِدِّيسًا .

٤_ بُطرُس يُوبِّخ المسيح

في [مَتَّى ١٦ : ٢٢] : ((فانتحى بهِ بُطرس جانبًا ، وأخذَ يُوبِّخه)) اهـ . هذا النصُّ الإنجيلي يفضح بُطرُس ، ويَجعل كافرًا فاسقًا فاسدًا عاصيًا . لقد أخذَ بُطرُس يُوبِّخ المسيحَ ، ويُهينه ، ويَلُومه بِشِدَّة وحِدَّة . وتَوبيخُ الشَّخْص هو لَوْمه على خطأ أو تصرُّف بُغية رَدْعه وإصلاحه. والمسيحُ _ حَسَب اعتقاد النصارى _ إله ، فكيفَ يقوم بُطرُس بتوبيخ المسيح مُعلِّمه وإلهه . هذا يعني أن بُطرُس كافر بلا شَك ، ولا فُرصة في نجاته . وكيفَ يتجرَّأ العبدُ على توبيخ إلهه ولَوْمه ؟ . وبعد كل هذه الكوارث ، كيف اعتبر النصارى بُطرُس قِدِّيسًا والذراع اليُمنى للمسيح ؟ . هذه فضيحة لا ينبغي السكوت عنها ، وهي تدل على تحريف الإنجيل ، والتلاعب بنصوصه . وبعد كُل هذه الأدلة الإنجيلية على إدانة بُطرُس ووَصْمه بالكفر وإهانة المسيح ولَوْمه ، كيف يُمكن اعتباره قِدِّيسًا ؟ . يجب طَرْده وتجريده من كل ألقاب القداسة ، والإنجيلُ أدانه وفضحه وكشفَ أمرَه .

٥_ التناقض في أسماء التلاميذ الاثنَي عَشَر

مِن أبرز الغرائب وأسوأ العجائب في الإنجيل البشري المُحرَّف ، التناقض والاضطراب والاختلاف حول أسماء تلاميذ المسيح الاثنَي عشر (رُسل المسيح إلى العالَم _ حَسَب اعتقاد النصارى _) . وهذا الأمرُ مُحيِّر للغاية ، لأن النصارى يعتقدون أن الرُّوح القُدُس شاء في القرن الأول للميلاد ، أن يُوحِيَ إلى أربعة رجال أن يُدوِّنوا الإنجيل . والرُّوحُ القُدُس لا يتناقض ، فلماذا تناقضت الأناجيل واختلفَ أصحابها ما داموا أنهم معصومون ، ويتحرَّكون تحت رعاية وتوجيه الرُّوح القُدُس ؟ . هذا يَكشف أكاذيب الإنجيل البشري ، ويَفضح خُرافات النصارى بالدليل والحُجَّة والبُرهان ، وليس بالشتائم أو إلقاء التُّهم في الهواء .

في [مَتَّى ١٠: ٢و٣و٤] : ((وهذه أسماء الاثنَي عشر رسولًا : أولًا ، سِمعان الذي دُعِيَ بُطرُس ، وأندَراوس أخوه، ويعقوب بن زَبَدي، ويُوحَنَّا أخوه ، فيلبُّس، وبَرثُلماوُس، تُوما، ومَتَّى جابي الضرائب، يعقوب بن حَلفى ، وتَدَّاوس، سِمعان القانَوِي، ويَهوذا الإسخَريُوطِيُّ الذي خانه)) اهـ .

وقد ذَكَرَ بَرْنابا أسماءَ التلاميذ في الفصل الرابع عشر من إنجيله مع حذف اسمَيْ تُوما وسِمعان القانَوِي ، ووضعَ اسْمَه واسم تَدَّاوس : [أندَراوس ، وبُطرُس الصياد(سِمعان)، وبَرنابا، ومَتَّى جابي الضرائب، ويُوحَنَّا بن زَبَدي ، ويعقوب بن زَبَدي ، وتَدَّاوس ، ويَهوذا ، وبَرثُلماوُس ،

وفيلبُّس ، ويعقوب بن حَلفى ، ويَهوذا الإسخَرْيوطِي] . وهناك ملاحظة بالنسبة لأسماء تلاميذ المسيح الاثنَي عشر (الرُّسُل الاثنَي عشر) . فهي عِند مَتَّى [١٠: ١_ ٤] مع ذِكْر تَدَّاوس. وهي عند مَرْقُس [٣: ١٦_ ١٩] معَ ذِكر تَدَّاوس. وهي عند لُوقَا [٦: ١٤_ ١٦] بدون ذِكر تَدَّاوس ، وإنما ذُكر شخصٌ آخر : يهوذا أخو يعقوب ! .

إن موضوع تلاميذ المسيح الاثنَي عشر (رُسل المسيح إلى العالَم _حَسَب اعتقاد النصارى_) في غاية الأهمية ، وهو موضوع مركزي في صُلب العقيدة النصرانية (المسيحية) ، وليس هامشيًّا، ولا عابرًا ، ومعَ هذا فقد اختلفَ فيه أصحابُ الأناجيل ، وحدث الاضطراب والتناقض في ذِكر الأسماء ، وهذا يُشير إلى تأثير الأهواء الشخصية والمصالح الضَّيقة والمنافع الذاتية في تحريف الإنجيل ، وتغيير نصوصه والتلاعبُ بها ، وتبديل الأسماء ، والحذف والإضافة .

وفي [متَّى ١٩: ٢٨] : ((تجلِسون أنتم الذين تبعتموني على اثنَي عَشَرَ عَرشًا لتَدينوا أسباطَ إسرائيل الاثنَي عَشَرَ)) اهـ . وَفْق هذا النص الإنجيلي الخُرافي ، فإن المسيحَ خاطبَ تلاميذه ، وبيَّن لهم أنهم سَيَدينون الأسباطَ (القبائل من ذُرِّية يعقوب " إسرائيل ") . وهذا كذبٌ واضحٌ على المسيح ، لأن الأسباط لهم مكانة إيمانية عظيمة ، ومنزلة أخلاقية رفيعة . ولكن علماء النصارى الذين اخترعوا هذا النَّصَّ ، ونسبوه _ كذبًا وزُورًا _ إلى المسيح ، أرادوا إعلاءَ قَدْر أصحاب المسيح وتلاميذه، وهذا يعني بالضرورة إثبات عُلُوِّ النصارى على اليهود ، مِمَّا يدل على أن هناك صراعًا خَفِيًّا بين أهل الكتاب أنفسهم (اليهود والنصارى) على الريادة والصدارة والزعامة والرئاسة. وبما أن تلاميذ المسيح سيجلسون على اثنَي عَشَرَ عَرشًا ، فهذا يعني أنهم كالمُلوك أصحاب السُّلطة والهيمنة والسيادة ، لأن العَرْش إنما يكون للمَلِك . وبعد جُلوسهم سَيَدينون أسباطَ إسرائيل الاثنَي عَشَر ، الذين يتم تقديمهم كعبيد وخدم خاضعين لسُلطة تلاميذ المسيح وسَيطرتهم ونفوذهم . وهذا يعني بالضرورة أن النصارى أسياد على اليهود ، وزعماء عليهم ، وقادة لهم . وفي هذا دلالة واضحة على حرب المصالح بين اليهود والنصارى ، والتنافس في الباطل بينهم . وكُل طرف يُريد صناعة مجد وهمي له عن طريق تحريف النصوص الدينية ، والتلاعب بها ، وتبديلها ، والكذب على الله وأنبيائه . وبشكل عام، إن تحريف التوراة والإنجيل كان بسبب الأهواء الذاتية ، والمصالح الشخصية ، والمنافع المادية ، والمكتسبات الوَقتية الزائلة . واليهودُ والنصارى فريقان مُتضادَّان مُتصارعان مُتحاربان ، بينهما مذابح ومجازر ودماء . وهذان الفريقان لا يَجتمعان إلا على حرب الإسلام ، ولا يتَّفقان إلا على قتل المسلمين .

وهناك قضية مهمة وفي غاية الخطورة ، وتدل على تحريف الإنجيل . فقد أثبتَ مَتَّى في إنجيله أن يهوذا الإسخريوطي كان مِن ضِمن الاثنَي عشر رسولًا. والمسيحُ قال _ حَسَب إنجيل مَتَّى _:((تجلِسون أنتم الذين تبعتموني على اثنَي عَشَرَ عَرشًا لتَدينوا أسباطَ إسرائيل الاثني عَشَرَ)).

هذا يعني أن يهوذا الإسخريوطي (الذي خانَ المسيح) سيجلس على عَرْشه مع باقي تلاميذ المسيح (رُسله) ليَدينوا أسباطَ إسرائيل الاثنَي عشر . اثنا عشر عَرْشًا لاثنَي عشر رسولًا . واثنا عشر رسولًا يَدِينون اثنَي عشر سِبْطًا . ١٢ مُقابل ١٢ . هذا يُثبِت أن يهوذا الإسخريوطي موجود بينهم . وهذا غير معقول ولا مقبول ، لأن يهوذا الإسخريوطي خانَ المسيح ، والمفروض أن يهوذا مطرود ومنبوذ،ولا يتم إثبات وجوده ضمن الاثنَي عشر رسولًا، لأن هذا تكريم للخائن، وإشادة بِه ، ورفع لشأنه،وتعظيم لِقَدْره.ولا يُوجد عاقل يقول بهذا.وفي هذا دَلالة واضحة على تحريف الإنجيل.

٦_ هروب التلاميذ

في [متَّى ٢٦: ٥٦] : ((عندئذٍ تَرَكَه التلاميذُ كُلُّهم وهَرَبوا !)) اهـ . جميعُ تلاميذ المسيح تركوه وحيدًا وهَرَبوا . هل هؤلاء هُم صَفوة بني إسرائيل والجيل الذهبي ورُسل المسيح إلى العالَم؟. لو كان لديهم إيمان ويقين وأخلاق لَثَبَتوا معَ مُعلِّمهم المسيح ، وساعدوه ، وأعانوه ، وأحاطوه بالحماية والرعاية ، ولكنهم تركوه وحيدًا وهربوا ، وابتعدوا عنه . مِمَّا يدل على انهيار إيمانهم ، وغياب يقينهم ، وسُوء أخلاقهم . وإذا كان تلاميذ المسيح كُلُّهم بهذا السُّوء والفساد ، فهذا يعني أن المسيح مُعلِّم سيِّئ وفاسد وأخفقَ في تعليم تلاميذه وتربيتهم وتهذيبهم وتَوجيههم وزرع الإيمان واليقين في قلوبهم وحياتهم . وإذا كان تلاميذُ المسيح (الجيل الذهبي المُؤسِّس) بهذا السُّوء والفساد ، فكيفَ سيكون حال عامة الناس ؟ . إن الإنجيل البشري المُحرَّف يُشوِّه صُورة المسيح، ويُقدِّمه كمُعلِّم ضعيف وفاسد ، وبلا شخصية ، ولا يثق بنفْسه ، لم يستطع توجيه تلاميذه إلى الإيمان والحق ، ولم يَقْدِر على بنائهم وتنشئتهم بشكل صحيح وسليم . كما يُقدِّم صُورةً في غاية السُّوء عن تلاميذ المسيح (المفروض أنهم الجيل الذهبي ورُسله إلى العالَم) ، ويَجعلهم بلا إيمان ولا يقين ولا أخلاق ولا مبادئ . وهذا دليل واضح على تحريف الإنجيل ، وعدم وجود أساس صحيح للديانة النصرانية (المسيحية) . وما بُنِيَ على باطل فهو باطل . وإذا كان الرأسُ فاسدًا ، فالجسدُ سيكون فاسدًا . وإذا تَلَوَّثَ منبعُ النهر ، فَسَوْفَ تتلوَّث روافده ، لأن الفَرْع تابع للأصل، والطرف تابع للمركز . وهذا دليل واضح على بُطلان الديانة النصرانية (المسيحية) وفسادها .

٧_ عدم السلام على أحد

في [لُوقَا ١٠: ٤] : ((ولا تُسلِّموا في الطريق على أَحد)) اهـ . وَفْق هذا النص الإنجيلي الخُرافي ، يُوصِي المسيحُ تلاميذه (رُسله) بأن لا يُسلِّموا في الطريق على أحد . هل هذه هي الطريقة الصحيحة لتبشير الأُمم بالنصرانية (المسيحية) ؟ . هل هذا هو الأسلوب الجميل لنشر دعوة المسيح بين الناس ؟ . إن النفوس مجبولة على حُب مَن أحسنَ إليها ، وتعاملَ معها بأدب وتواضع ولُطف . وعدم السلام على الناس دليل على التكبُّر والترفُّع والغرور واحتقار الآخرين وازدرائهم . وهذا يُؤثِّر سلبًا على الدعوة والتَّبشير (التَّنصير) . والداعيةُ الحقيقيُّ يجب أن يكون سهلًا لَيِّنًا مُتواضعًا مُؤدَّبًا ، يُلقي السلامَ على الناس ، ويُعاملهم بأحسن الأخلاق ، لجذبهم إلى الدِّين ، واستقطابهم ، وإعطاء صورة مُشرقة عن الشريعة . وهذه الخُشونة التي وصَّى بها المسيحُ تلاميذَه_ حَسَب النص الإنجيلي _ ، تُعطي فكرةً سيئة عن المسيح ، وتُقدِّمه كمُعلِّم فاسد، وقاسٍ، ولا يَعرف أسلوبَ الدَّعوة الصحيح القائم على اللطف والسهولة واللين والأدب . كما تُعطي فكرةً سيئة عن تلاميذ المسيح ، وتُصوِّرهم كأشخاص مغرورين ومُتكبِّرين وأصحاب قلوب قاسية ، وأخلاق سيئة . وبالتالي ، سَوْفَ يَهرب الناسُ مِنهم ، ويَرفضون الدِّينَ ، ولن ينجذبوا إليه . وبشكل عام ، إن النصرانية (المسيحية) قائمة على الخُشونة والقَسوة والشِّدة وسَفك الدماء ، والقرابين والأُضحيات البشرية ، والإله المصلوب على الخشبة . والتَّبشير (التَّنصير) ارتبطَ بالاستعمار العسكري (الاستخراب) . وهذا دليل على انتشار النصرانية (المسيحية) بالسَّيف والعُنف ومنطق القوة لا قوة المنطق ، معَ استغلال حاجة الناس وجهلهم وفقرهم وجُوعهم ، خُصوصًا في قارَّة أفريقيا ، والنصارى يَلعبون على هذا الوتر الحسَّاس ، لنشر النصرانية (المسيحية) الباطلة .

٨_ اختراع مُعجزات لبُطرُس

بُطرُس الذي وصفه المسيحُ بأنه شيطان وقليل الإيمان وشَكَّاك ، اخترعَ له النصارى مُعجزات (أمورًا خارقة للعادة) . وفي هذا دَلالة على تلاعب النصارى بعقائدهم ونصوصهم الدينية ، خُضوعًا للأهواء الشخصية ، والمصالح المادية الضَّيقة . ففي [أعمال الرُّسل ٩ : ٣٤] أن بُطرُس شفى مشلولًا وأعاد الحركة إليه . وفي [أعمال الرُّسل ٩ : ٤٠] أن بُطرُس يُحيي الموتى . وهذا كذبٌ فاضحٌ ومكشوف . وقد قال للمسيح لبُطرُس : ((اغرُبْ مِن أمامي يا شَيطان ! أنتَ عقبةٌ أمامي لأنكَ تُفكِّر لا بأمور الله بل بأمور الناس !)) اهـ. وفي نَص آخر ، قال المسيح لبُطرُس:

((يا قليلَ الإيمان ، لماذا شَككت ؟)) اهـ . وبعد هذه الإدانة الصريحة من المسيح لبُطرُس ، ظَهرتْ بشكل مُفاجئ مُعجزات وكرامات وأمور خارقة للعادة على يد بُطرُس الشَّيطان قليل الإيمان الغارق في الشَّك ! . هذا يدل على تحريف الإنجيل ، والتلاعب بالعقائد النصرانية (المسيحية).

وفي [أعمال الرُّسل ١٠: ٩_ ١٥] : ((وفي اليوم التالي ، بينما كان الرجالُ الثلاثة يقتربون من مدينة يافا ، صَعِدَ بُطرس نَحوَ الظُّهر إلى السَّطح لِيُصلِّيَ . وأحسَّ جُوعًا شديدًا ، فاشتهى أن يأكل . وبينما الطعامُ يُعَدُّ له ، وَقَعَت عليه غَيبوبة ، فرأى رُؤيا : السماءُ مفتوحة ، ووعاءٌ يُشبِه قِطعةً كبيرة من القُماش مربوطة بأطرافها الأربعة يتدلى إلى الأرض ، وهو مليءٌ بأنواع الحيوانات الدَّابَّة على الأرض والوحوشِ والزواحفِ وطُيورِ السماء جميعًا . وناداه صَوتٌ : ((يا بُطرُس ، قُم اذبَحْ وكُلْ !)) ولكنَّ بُطرُس أجاب : ((كَلا يا رَب ، فأنا لم آكُل قَطُّ شيئًا مُحَرَّمًا أو نَجِسًا)) . فقال له الصوتُ أيضًا : ((ما طهَّره الله لا تَحسَبْهُ أنتَ نَجِسًا !)) .

الكذبُ واضحٌ ومكشوف في هذا الكلام . وقد تَمَّ التلاعب بنصوص الإنجيل لاختراع مكانة وهمية لبُطرُس الشَّيطان ، وتصويره بأنه مِن الأتقياء الصالحين ، أصحاب الشرف والمجد والعَظَمَة والفضل والمعجزات والكرامات . لقد نادى بُطرُسَ صَوْتٌ ، ومِن الواضح حَسَب سِياق النص أنه صوت الرب : ((يا بُطرُس ، قُم اذبَحْ وكُلْ !)) اهـ . وهذا يعني أن الرب يأمر بُطرُس بأن يَذبح مِن الحيوانات والوحوش والزواحف وطُيور السماء . ولا شَك أن فيها حيوانات مُحرَّمة ونجسة ، فكيفَ يأمرُ الربُّ بأكل الحيوانات النَّجِسة المُحرَّمة ؟ . وقد أجابَ بُطرُس : ((كَلا يا رَب ، فأنا لم آكُل قَطُّ شيئًا مُحَرَّمًا أو نَجِسًا)) اهـ . هذا يعني أن بُطرُس أعلم بالشريعة من الرب ، فالربُّ يأمره بأكل الحيوانات (ولا شَك أن فيها حيوانات مُحرَّمة أو نَجِسة) ، ولكن بُطرُس رفض ذلك ، بسبب إيمانه وتَقواه وحِرصه على الشريعة !. وهذا يعني أن بُطرُس الشَّيطانَ يَعرف الشريعةَ أكثر مِن الرَّب ، وبُطرُس حريص على اجتناب الحرام ، في حِين أن الرب أمره بأكل الحرام والنَّجس . ويأتي التبريرُ غير المنطقي : ((ما طهَّره الله لا تَحسَبْهُ أنتَ نَجِسًا !)) اهـ . هذا نَص إنجيلي باطل ، وفي غاية الخطورة ، لأن يُحلِّل جميعَ أنواع الحيوانات ، ويَجعلها طاهرةً ، ويَنسِب هذا التحليلَ إلى الله ، وهو كذبٌ صريح على الله . لأن هناك حيوانات نجسة ومُحرَّمة . وعلماءُ النصارى اخترعوا مِثل هذه النصوص الإنجيلية من أجل تحليل أكل لِحم الخِنزير ، خُضوعًا لأهواء كثير من الناس ، واستجابة لرغباتهم ، مِن أجل جذبهم إلى النصرانية (المسيحية) . مَعَ أن الخِنزير مُحرَّم ونَجِس في التَّوراة:((والخِنْزيرُ لأنهُ يَشُقُّ الظِّلْفَ لكنه لا يَجْتَرُّ فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ))[تثنية ١٤: ٨].

٩ــ إقحام الرُّوح القُدُس لِنَيْل الشَّرعية

في [أعمال الرُّسل ١٥: ٢٨] : ((فقد رأى الرُّوحُ القُدُسُ ونَحن ، أن لا نُحمِّلَكم أيَّ عِبءٍ فَوق ما يتوجَّب علَيكم)) اهـ . إن لُوقَا صاحب إنجيل لُوقَا ، هو الذي دوَّن سِفر أعمال الرُّسل . ووَفْق هذا النص الباطل ، لقد اجتمعَ الرُّوح القُدُس ولُوقَا معًا ، وقرَّرا عدم تَحميل الناس أي عِبء فوق ما يتوجَّب عليهم ، يعني عدم تحميلهم أي شيء فوق طاقتهم . ومِن المُلاحظ أن " الرُّوح القُدُس " تَمَّ إقحامه في السياق ، وإدخاله في النص ، لإضفاء هالة القداسة والعِصمة على القرار المُتَّخَذ . وكأن هناك اجتماعًا قد عُقِد ، وتَمَّ اتخاذ القرار المصيري . وهذه ألاعيب مكشوفة ، وأكاذيب مفضوحة ، ولا يُوجد دليل على صِدْقها وصِحَّتها ، والإنجيلُ لا يَملِك السُّلطة على إثبات الوقائع والأحداث ، لأن الإنجيل بحاجة إلى إثبات ، ولا إثبات . إذ إن الإنجيل كتاب بشري ، وخليط من الحق والباطل ، والإيمان والكفر ، واليقين والشَّك . والإنجيلُ مُتناقض وغارق في تعارُض النصوص وتصادُمها . ومصدرُ الشُّكوك والشُّبهات ، لا يُمكن أن يكون مصدرًا للحق واليقين ، لأن فاقد الشيء لا يُعطيه ، وإنَّكَ لن تَجنيَ مِن الشَّوكِ العنبَ .

١٠ ــ الرأي الشخصي صار وَحْيًا إلهيًّا

في [الرسالة الأُولى إلى كُورِنثُوس ٧: ٤٠] قال بُولُس : ((ولكنها ، برأيي ، تكونُ أسعَدَ إذا بَقِيَتْ على حالها)) اهـ . لقد جَعَلَ النصارى رأي بُولُس الشخصي وَحْيًا إلهيًّا ، وشريعةً سماويةً ، وجعلوا كلامه البشري ورأيه الشخصي في الإنجيل ، واعتبروا الإنجيلَ كلامَ الله وَوَحْيَ السماء . وهذا دليل واضح على تحريف الإنجيل ، وتغيير نصوصه ، والتلاعب بها . وبُولُس لم يقل : لقد أوحى اللهُ إليَّ ، أو أوحى المسيحُ إليَّ ، أو أوحى الرُّوحُ القُدُس إليَّ . وإنما قدَّم رَأيَه الشخصي ، واعتبرَ النصارى هذا الرَّأيَ الشخصي وَحْيًا وشريعةً ودِينًا ، وجعلوه مِن كلام الله في الإنجيل . وهذا مُنتهى الكفر والضلال والانحراف ، ويُشير إلى أن الديانة النصرانية (المسيحية) قائمة على إسهامات بشرية مقطوعة عن السماء ، وهذا يعني بُطلان هذه الديانة وفسادها ، خصوصًا أنها تقوم على الإنجيل البشري المُحرَّف .

وفي [الرسالة الأُولى إلى كُورِنثُوس ٧: ٢٥] قال بُولُس : ((وأمَّا العُزَّاب ، فليسَ عِندي لهم وَصيةٌ خاصةٌ من الرَّب ، ولكني أُعطي رأيًا باعتباري نِلتُ رَحمةً من الرَّب لأكونَ جَديرًا بالثِّقة)).

هذا الأمرُ في غاية الخطورة . لقد اعترفَ بُولُس _ والاعتراف سيِّد الأدلة _ أنه لا يَملِك وصيةً خاصةً مِن الرَّب ، ولكنه يُعطي رأيًا ، مُجرَّد رأي . وقد صارَ هذا الرأيُ الشخصي وَحْيًا إلهيًّا مُقدَّسًا ، وشريعةً مَتبوعة ، ودِينًا لازمًا . المفروضُ _ حَسَب عقائد النصارى _ أن كلام بُولُس خاضع لوصايا الرب ، وتعاليم المسيح ، وإرشاد الرُّوح القُدُس . ولكن بُولُس اعترفَ بأن رأيه مُجرَّد اقتراح شخصي ، بدون وجود وصية الرب . والمفروضُ أن بُولُس رسول المسيح ، والرسول إنما يكون خاضعًا لِمُرْسِله ، ويعمل بإرادته ، ويُنفِّذ أوامره وتعاليمه وتوجيهاته . وما على الرسول إلا البلاغ . ولكن ، للأسف ، صارَ رأي بُولُس الشخصي واقتراحه الذاتي نصًّا مُقَدَّسًا في الإنجيل ، ويتم التعامل معه كما لو كان كلام الله أو كلام المسيح . وفي هذا دلالة واضحة على أن الإنجيل كتاب بشري وَضْعي مُحرَّف ، وأن الديانة النصرانية (المسيحية) أفكار بشرية شخصية .

وما ذَكَرَه بُولُس في النَّص الإنجيلي السابق يتعارض ويتناقض معَ كلام بُولُس نفْسه : ((فليُدرِكْ أنَّ ما أكتبُهُ إلَيكم إنما هُوَ وَصيَّةُ الرَّب)) [الرسالة الأُولى إلى كُورِنثُوس ١٤: ٣٧] . في هذا النص ، يقول بُولُس إن ما يَكتبه إلى الناس إنما هو وصية الرب ، وهذا يعني أنه لا يقول شيئًا مِن عِنده ، وإنما يُطبِّق وصيةَ الرب قَوْلًا وفِعْلًا ، وليس لبُولُس أيُّ رأي شخصي ولا اقتراح ذاتي ، لأن ما يكتبه إلى الناس إنما هو وصية الرب، لا وصية بُولُس . وبهذا يتناقض بُولُس مع نفْسه ، ويُكذِّب نَفْسَه بنفْسه. فقد قال بُولُس:((وأمَّا العُزَّاب ، فليسَ عِندي لهم وَصيةٌ خاصةٌ من الرَّب)).

وفي [الرسالة الأُولى إلى كُورِنثُوس ٧ : ٤٠] قال بُولُس : ((وأَظنُّ أنَّ عِندي ، أنا أيضًا ، رُوحَ الله !)) اهـ . المفروضُ أن بُولُس رسول المسيح إلى أهل كُورِنثُوس ، وأنه يتحرَّك وَفْق تعاليم المسيح وإرشاداته ، فكيفَ يقول بُولُس : ((وأَظنُّ)) ؟ . إن الدِّين الصحيح يُبنَى على اليقين والعقائد القَطعية ، ولا يُبنَى على الظن والشَّك والاحتمالية . والظنُّ لا يُغني مِن الحق شيئًا . فكيفَ صار ظَنُّ بُولُس وَحْيًا إلهيًّا وشريعةً سماوية ودِينًا صحيحًا ونَصًّا مُقَدَّسًا في الإنجيل ؟ . ولماذا يُعَامَل ظَن بُولُس كما يُعَامَل كلام الله ؟ . المفروضُ أن بُولُس رسول المسيح ، والمُتحدِّث باسم المسيح ، وهذا يستلزم بالضرورة أن يكون كلام بُولُس نابعًا من الإيمان الجازم واليقين التام والعقائد القَطعية ، وليس الظنون والشُّكوك والاحتمالات والأهواء الشخصية والآراء الذاتية والمصالح المادية الضيقة . ولكن كثرة الأيدي التي تلاعبت بنصوص الإنجيل أدَّت إلى هذا الانهيار الشامل في عقائد النصارى (المسيحيين) . وقد تَمَّت مُجاملة بُولُس واختراع مكانة عُظمى له ، وتصميم منزلة سامية له ، معَ أنه ليس مِن تلاميذ المسيح الاثنَي عشر ، لأنه _ أي

بُولُس _ كان يهوديًّا ، وقد تستَّر بالنصرانية (المسيحية) لإفسادها ، والانقلاب على تعاليم المسيح. وهذا يدل على أن الإنجيل تَمَّت صَهينته ، واختراقه مِن قِبَل اليهود ، لهدم نصوص الإنجيل، وتلميع صورة اليهود . وقد اعترفَ بُولُس بنفْسه ، ودُون ضغط مِن أحد أنه يتحدَّث برأيه الشخصي ، ولا يَملِك وصيةً مِن الرب . كما أن كلامه قائم على الظن والاحتمالية لا اليقين والقَطْع ، وما طَرَأه الاحتمال سقطَ به الاستدلال . وهذا يُبطِل عقائدَ بُولُس الفاسدة ، ويَفضح تلاعباته وتحريفاته وتناقضاته ، خصوصًا في مواضيع الطلاق والخِتان وأكل لحم الخِنزير .

وبشكل عام ، لقد استخدمَ بُولُس أهواءه الشخصية وآراءه الذاتية ومصالحه الضَّيِّقة من أجل الانقلاب على تعاليم المسيح ، وإفساد عقائد النصارى (المسيحيين) ، وتبديل نصوص الإنجيل. وينبغي معرفة أن بُولُس يهودي تستَّر بالنصرانية (المسيحية) ، وهذا الأمر يَجعله شخصًا مشبوهًا، مشكوكًا فيه على الدوام ، وتحريفاتُ بُولُس تدل على سُوء نِيَّته وفساد عقيدته ورفضه لتعاليم المسيح. وبالتأكيد ، لقد أفسدَ بُولُسُ تعاليمَ المسيح الأصلية بِخُبث ، وعن قَصْد وتخطيط مُسبق، مِن خلال إدخال عناصر دخيلة على دِين المسيح مِثل : الوثنية ، وتحويل المسيحية إلى لاهوت الصليب ، وإدخال الخطيئة الأصلية والحاجة إلى الفِداء .

لقد دَفَعَ اليهودُ بُولُسَ إلى تضليل النصارى (المسيحيين) الأوائل عَمْدًا ، بإدخال عقائد مرفوضة في دِين المسيح ، مِثل عقيدة التَّثليث الغريبة والدخيلة . كما قام بُولُس بتحريف رسالة المسيح ، والتلاعب بنصوص الإنجيل ، وإدخال الشِّرك في دِين المسيح القائم على التَّوحيد (عبادة الله وَحْدَه بلا شريك) . وقد نَجَحَ بُولُس اليهودي في مَسْعاه الخبيث ، حيث تستَّر بالنصرانية (المسيحية) ، وادَّعى اعتناقها ، من أجل تحريف رسالة المسيح ، والانقلاب على تعاليمه ، وتحريف نصوص الإنجيل . وهذا يُثبِت أن اليهود قد اخترقوا الإنجيل والمسيحية معًا ، لتحقيق مصالح شخصية ، ومنافع مادية ، ومكتسبات دنيئة ، تتعلَّق بالزعامة والرئاسة والهَيمنة .

١١_ خِداع بُولُس

في [الرسالة الأُولى إلى كُورِنثُوس ٩: ١٩_ ٢١] قال بُولُس : ((فمعَ أني حُرٌّ من الجميع ، جعلتُ نفْسي عبدًا للجميع ، لأكسِبَ أكبرَ عددٍ مُمكن منهم . فصِرتُ لليهود كأني يهوديٌّ ، حتى أكسِبَ اليهود ، وللخاضعين للشريعة كأني خاضعٌ لها _ معَ أني لستُ خاضِعًا لها _ حتى أكسِبَ الخاضعين لها ، وللذين بِلا شَريعة كأني بِلا شريعة _ معَ أني لَستُ بِلا ناموسٍ عِند الله بل أنا خاضِعٌ لناموس مِن نَحو المسيح _ حتى أكسِبَ الذين هُم بِلا شريعة)) اهـ .

الاعترافُ سيِّد الأدلة . وقد اعترفَ بُولُس بنفْسه أنه مُخادع وكاذب ودجَّال وانتهازي ، وأنه استخدمَ الحِيلة والمكر والكذب والتَّقِيَّة في دَعوته الباطلة . وهذا دليل واضح على أن التَّنصير (التَّبشير) قائم على الكذب والخداع والحِيلة والنفاق واستغلال مشاعر الآخرين ، ولا يقوم على الحق والعِلم والمعرفة واليقين والدليل والحُجَّة والبُرهان .

يقول بُولُس إنه شخص حُر ، ولكنه جعل نَفْسَه عبدًا للجميع لاستقطاب الناس ، وتجميعهم ، وكسب أكبر عدد مُمكن مِنهم . وتعاملَ مع اليهود كأنه يهودي من أجل كَسْب اليهود ، وتعاملَ مع الخاضعين للشريعة كأنه خاضع لها ، معَ أنه ليس خاضعًا لها ، وذلك مِن أجل استقطاب الخاضعين لها . وبُولُس يعترف أنه ليس خاضعًا للشريعة ، ويَفتخر بذلك ، وهذا مُنتهى الكفر والضلال ، وتعاملَ مع الذين بلا شريعة كأنه بلا شريعة ، حتى يَكسِب الذين هُم بلا شريعة .

وهذه اعترافات خطيرة وجريئة ، وتدل على أن بُولُس شخص دجَّال ومحتال وكاذب ومُنافق ، يُظهِر عَكْسَ ما يُبطِن ، من أجل استقطاب الناس ، وجذبهم ، وكَسْبهم ، وذلك عن طريق ارتداء القناع المناسب لكل حالة ، واستخدام التَّقِيَّة ، ودَغْدغة أحاسيس الناس ، واللعب على وَتَر مشاعرهم ، واستغلالهم ، وابتزازهم . وهذا يعني أن بُولُس يعتنق مبدأ " الغاية تُبرِّر الوسيلةَ " . وهذا المبدأ يتعارض مع تعاليم المسيح القائمة على الصدق والشرف والأمانة والأخلاق الحميدة، وكُل غاية نبيلة يجب أن يكون الطريقُ إليها نظيفًا وواضحًا . وكُل هدف شريف يجب أن تكون الوسيلة إليه شريفة . مِمَّا يُشير إلى انقلاب بُولُس على تعاليم المسيح ، وتحريفها ، وتغييرها ، وصناعة ديانة نصرانية منسوبة كذبًا وزُورًا إلى المسيح ، تقوم على النفاق والخداع والكذب وارتداء الأقنعة حَسَب الأوضاع الاجتماعية ، وطبيعة الناس. وهذا الخداعُ هو أساس التَّبشير (التَّنصير).

١٢_ اختفاء إنجيل بُولُس

في [الرسالة إلى غَلاطِيَّة ١: ١١] : ((وأُعلِمكم ، أيها الإخوة ، أنَّ الإنجيلَ الذي بَشَّرْتُكم بهِ ليسَ إنجيلًا بَشَرِيًّا))اهـ. هذا يعني أن بُولُس له إنجيل خاص بشَّر بِه. أينَ اختفى إنجيلُ بُولُس ؟. هذا دليلٌ على وجود أناجيل كثيرة غَير الأناجيل الأربعة ، وقد ضاعت وتفرَّقت ، ورفضت الكنيسةُ اعتمادَها والاعترافَ بها. وقد اعتمدت الكنيسةُ الأناجيلَ الأربعة حصريًّا واعترفت بها، لأنها تُؤيِّد مذهبَ الكنيسة ، وتَدعم وُجهة نظرها . ولكن وجود أناجيل كثيرة مُتفرِّقة ومُبَعْثَرَة يُشير إلى كثرة التلاعب بنصوص الإنجيل وتبديله، وغرقه في الاحتمالية. وما طَرَأه الاحتمال، سَقَطَ به الاستدلال.

١٣_ إعطاء بُطرُس صلاحيات إلهية

في [مَتّى ١٦ : ١٩] قال المسيحُ لبُطرُس : ((فكلُّ ما تربِطُه على الأرض ، يَكون قد رُبط في السماء ، وما تَحُلُّه على الأرض ، يكون قد حُلَّ في السماء !)) اهـ . وَفْق الإنجيل ، لقد وَصَفَ المسيحُ بُطرُسَ بأنه شيطان وعقبة أمام المسيح ، ويُفكِّر لا بأمور الله ، بل بأمور الناس ، وقليل الإيمان ، وشَكَّاك . وهذه إدانة صريحة مِن المسيح لبُطرُس ، وفضح له ، وطَرْد له من رحمة الله . وفجأة ، مُنح بُطرُس_ رغم كل كوارثه ومصائبه_ صلاحيات إلهية، وقرَّر المسيحُ _ حَسَب الإنجيل _ أن كل ما يَربِطه بُطرُس على الأرض يكون قد رُبط في السماء ، وما يَحُلُّه على الأرض، يكون قد حُلَّ في السماء . وهذا يعني أن المسيحَ مَنَحَ بُطرُسَ سُلطة التشريع ، وصارت كلمة بُطرُس مسموعةً وثابتةً وراسخةً في الأرض والسماء ، ولا أحد يُعارضها ، ولا يُخالفها . وصار ما يَحُلُّه بُطرُس وما يَربِطه دِينًا لازمًا ، وشريعةً متبوعة ، وَوَحْيًا مُقَدَّسًا ، وأمرًا حتميًّا واقعًا في الأرض والسماء . وفي هذا دلالة على تحريف الإنجيل ، وتغيير نصوصه من أجل منح صلاحيات إلهية لبُطرُس ، وإعطائه سُلطة مِن المسيح على الرَّبط والحَل ، اللذين يُعْتَمَدَان في الأرض والسماء . مِمَّا يدل على أن سبب تحريف الإنجيل هو تحقيق مكاسب شخصية ، ومنافع مادية ، والحصول على امتيازات ومناصب ، والحفاظ على الرئاسة والزعامة ، وتكريس الهيمنة على العوام والأتباع .

ووَفْق الإنجيل ، لقد أدانَ المسيحُ بُطرُسَ ، وفضحه . وأيضًا ، لقد أدانه بُولُس وفضحه . ففي [الرسالة إلى غَلاطِيَّة ٢: ١١] قال بُولُس : ((ولكنْ لَمَّا جاءَ بُطرُسُ إلى مدينة أنطاكِيَة ، قاوَمْتُهُ وَجهًا لِوَجهٍ لأنهُ كانَ يَستحقُّ أن يُلام)) اهـ . هذا يعني أن بُطرُس غارق في الذنوب والآثام والمعاصي والانحرافات الدينية والأخلاقية ، لذلك قاومه بُولُس وجهًا لوجه ، لأن بُطرُس كان مُسْتَحِقًّا للعتاب واللوم والتَّوبيخ . وهذا يدل على حجم التناقض والاختلاف في الإنجيل البشري المُحرَّف ، كما يدل على كراهية بُولُس لبُطرُس ، ومحاولة تهميشه وإلغائه ، ومُقاومته ومُواجهته . وهكذا ، يتجلَّى صراع المصالح وتصفية الحسابات ، وتتَّضح مُحاولة بُولُس لإعلاء شأنه ومكانته وقَدْره باستخدام أُسلوب مُهاجمة بُطرُس، والانتقاص مِنه، وإدانته، وفَضْحه ، وكشف أعماله السَّيِّئة.

لقد انقلبَ بُولُس على تعاليم المسيح ، وهدمها ، وشوَّهها ، ونشرَ الكفر والشِّرك والضلال بين الناس باسم المسيح ، وباسم الإنجيل . أي إنه هَدَمَ الإنجيلَ بالإنجيل ، وفجَّر النصرانية (المسيحية) مِن الداخل، ثُمَّ انقلبَ على بُطرُس (أكبر تلاميذ المسيح).وبذلك، نجح بُولُس في خُطَّته الخبيثة، وهي تحطيم صُورة المسيح وتلاميذه، وتحريف الإنجيل، وتغيير شريعة المسيح .

في [الرسالة الثانية إلى كُورِنثُوس ١٠: ١٧] قال بُولُس : ((وإنما ((مَن افتخر ، فليفتخرْ بالرب !)))) اهـ . هذا النصُّ يدل ظاهريًّا على إيمان بُولُس وتَقواه ، وحِرصه على الافتخار بالرب، ومَدْحه ، وتعظيمه . ولكن ، هل التزمَ بُولُس بهذا الكلام أَم أنه كذَّب نَفْسَه بنفْسه ؟ .

في [الرسالة الثانية إلى كُورِنثُوس ١١: ٣٠] قال بُولُس : ((إن كان لا بُدَّ من الافتخار ، فإني سأفتخرُ بأمور ضَعْفي)) اهـ . لماذا لم يَفتخر بُولُس بالرب ؟. لماذا تناقضَ بُولُس، وتعارضَ كلامُه، وقدَّم نصيحةً لم يَعمل بها، وكذَّب نفْسه بنفْسه ؟.إن بُولُس يفتخر بأمور ضَعْفه ، ولا يَفتخر بالرب. وهذا مُنتهى الكفر والضلال والكذب . وهل يُوجد عاقل يفتخر بأمور ضَعْفه ؟ . إن العاقل يُحاول إخفاء أمور ضَعْفه ، والافتخار بأمور قُوَّته ، كي يُقدِّم مَثَلًا ساميًا للناس ، ويكون قُدوة عُليا لهم . والمفروضُ أن بُولُس داعية لنشر النصرانية (المسيحية) ، وينبغي أن يكون قُدوة عُليا لا سُفلى .

إن بُولُس ليس شخصًا عاديًّا أو عابرًا في تاريخ الديانة النصرانية . فهو يُعرَف عند النصارى (المسيحيين) بأنه بُولُس الرسول أو القِدِّيس بُولُس. وهو أحد قادة الجيل النصراني (المسيحي) الأول . ويَعتبره البعض ثاني أهم شخصية في تاريخ المسيحية بعد يسوع نفْسه. ويُعرَف عند النصارى برسول الأمم ، حيث يَعتبرونه مِن أبرز مَن بشَّر بهذه الديانة في آسيا الصُّغرى وأوروبا .

وفي [الرسالة الثانية إلى كُورِنثُوس ١١: ١] يقول بُولُس مُخَاطِبًا الناس : ((لَيتكم تحتملون مِنِّي بعضَ الغَباوة)) اهـ . وفي [الرسالة الثانية إلى كُورِنثُوس ١٢ : ١١] يقول بُولُس أيضًا : ((ها قَد صِرتُ غَبِيًّا !)) اهـ . لقد اعترفَ بُولُس بنفْسه ، وبكامل قواه العقلية ، ودون ضغط ولا إكراه ، بأنه غبي . وبعد هذا الاعتراف الخطير ، هل مِن المعقول أن يكون بُولُس الغبي رسولًا أو قِدِّيسًا ؟ . والمصيبةُ أن البعض يَعتبره ثاني أهم شخصية عند النصارى بعد المسيح ! .

إن بُطرُس الشَّيطان وبُولُس الغبي _ حَسَب نصوص الإنجيل _ قِدِّيسان ورسولان ، ومِن أبرز قادة النصرانية (المسيحية) في التاريخ . وكلاهما مِن أعمدة هذه الديانة البشرية الوَضْعية . وهذا يدل على أن الديانة النصرانية (المسيحية) باطلة ، وقائمة على الشَّيْطنة والجهل والغباء .

لقد وَصَفَ المسيحُ بُطرُسَ بأنه شَيطان ، وبُولُس وصفَ نَفْسَه بأنه غبي . فهل يُعقَل أن يَكون الشَّيطانُ والغبيُّ رَسُولَي المسيح إلى الأمم والشعوب ؟ . ألم يجد المسيحُ أفضل مِن الشيطان والغبيِّ لتمثيل الدِّين والشريعة ونشرهما ؟ . هذا دليل واضح على بُطلان النصرانية (المسيحية).

ثالث عشر : القتل والإبادة

إن الإنجيل البشري المُحرَّف غارق في التناقض والتعارض والاختلاف ، ونصوصُ الإنجيل يُكذِّب بعضُها بعضًا ، ويَهدم بَعْضُها بعضًا . وفي [لُوقَا ٦ : ٢٧ _ ٣٠] قال المسيح: ((أحِبُّوا أعداءكم ، أحسنوا مُعاملة الذين يُبغضونكم ، باركوا لاعنيكم ، صَلُّوا لأجل الذين يُسيئون إليكم ، ومَن ضَرَبَكَ على خَدِّكَ ، فاعرِض له الخَدَّ الآخَرَ أيضًا . ومَن انتزعَ رِداءك ، فلا تمنع عنه ثَوْبَكَ أيضًا . أيُّ مَن طَلَبَ مِنكَ شيئًا ، فأعطِه ، ومَن اغتصبَ مَالَك ، فلا تُطالِبْه)) اهـ .

هذا النص المنسوب للمسيح ، يدل على التواضع والصفاء والنقاء والمحبة والسلام والوئام ، وعدم الحقد ، وضرورة الابتعاد عن المشكلات بكل أشكالها. فهل التزمَ النصارى (المسيحيون) بهذا الكلام ؟ . هل طبَّقوه على أرض الواقع ؟ . وهل نَشَرَ الإنجيلُ البشريُّ المُحَرَّفُ رسالةَ الحُب والسلام والأخلاق الحميدة ؟ .

١_ آية السَّيف

في [مَتَّى ١٠ : ٣٤] قال المسيح : ((لا تظنُّوا أني جئتُ لأُرسيَ سلامًا على الأرض. ما جئتُ لأُرسيَ سَلامًا بَل سَيفًا)) اهـ . هذا النص الإنجيلي كذبٌ صريحٌ على المسيح ، فالمسيحُ رسول المحبة والسلام والخير والرحمة والعدل . أمَّا الإنجيلُ المُحرَّف فهو مصدر التطرف والإرهاب والقتل والإبادة . يقول هذا النصُّ الإنجيلي الباطل إن المسيح لم يَجِئْ لإرساء السلام على الأرض ، ولم يَأتِ لنشر المحبة والوئام بين الناس . ما جاءَ لإرساء سلام بَل سَيف . وكلمة " السَّيف " تدل على القتل والذبح والإبادة وسفك الدماء ، وغياب المحبة والتسامح والرأفة . وقد طبَّق النصارى هذا النَّصَّ الإنجيلي على أرض الواقع ، ونشروا النصرانية (المسيحية) بالسَّيف وقتل الناس ، وذبحهم ، وإبادتهم ، وارتكاب المجازر . والتاريخُ خَير شاهد على ذلك . وأحداثُ التاريخ واضحة ، لا تحتاج إلى دليل ، لأنها أحداث مكشوفة ومعروفة للناس جميعًا ، وليست أسرارًا ، ولا أُمورًا خَفِيَّة . فعلى سبيل المثال لا الحصر : الحروب (الحملات) الصليبية الكثيرة ضد المسلمين ومُقدَّساتهم ، والحروب الدينية الطاحنة بين الطوائف النصرانية ، ومحاكم التفتيش ضد المسلمين واليهود ، والاستعمار (الاستخراب) المُندمج مع التَّنصير (التَّبشير) ... إلخ .

وَلَيْسَ يَصِحُّ في الأَذْهانِ شَيْءٌ   إذَا احتاجَ النَّهارُ إلى دَليلِ

والتَّوظيفُ الأيديولوجي المُسيَّس للعقائد الدينية ، يتنافى مع الأُخُوَّة البشرية ، والسلامِ العالمي الشامل. والبعض يقوم بتوظيف منهجي لنصوص دينية ميثولوجية أُسطورية لتغذية الصراع العالمي، وتحقيقِ مصالح ذاتية مُعادية لحوار الحضارات ، ورافضة للحوار بين أتباع الأديان . وهذه سياسة مُمَنْهَجَة قائمة على إقصاء الآخَر ضمن متواليات تكاثرية ، هي بالأساس تيار أيديولوجي نفعي مصلحي قائم على التطرُّف والإرهاب والكراهية .

وفي [مَتَّى ٢٦ : ٥٢] : فقال يَسوع له : ((رُدَّ سَيفكَ إلى غِمده ! فإنَّ الذين يلجأون إلى السَّيف ، بالسَّيفِ يَهلِكون !)) اهـ . هذا يعني أن المسيح رَفَضَ استخدامَ السَّيف ، واعتمدَ على قُوَّة المنطق لا منطق القوة . وهذا يتناقض مع نصوص إنجيلية كثيرة ، ويتعارض معها ، ومِن تلك النصوص ما وَرَدَ في [لُوقَا ٢٢ : ٣٦] قال المسيح : ((فَليبِعِ رِداءه ويَشترِ سَيفًا)) اهـ . وَحَسَب هذا النص ، فقد أمرَ المسيحُ أن يَبيع الشخصُ ثيابَه ، ويَشتريَ سَيْفًا ، مِمَّا يدل على استخدام العُنف . والسَّيْفُ هو رمز القتل والقتال والقُوَّة العسكرية ، البعيدة عن معاني الحُب والسلام. وفي هذا دَلالة واضحة على تحريف الإنجيل ، والتلاعب بنصوصه ، وتبديلها ، وتغييرها. والمسيحُ هو رسول المحبة والسلام والوئام والفِكر والعقلانية وقُوَّة المنطق لا منطق القُوَّة ، ولكن الإنجيل المُحرَّف تَمَّت عَسْكَرته بَعد صَهْينته ، وتكريس " السَّيف " كمنهج ديني إنجيلي . وهذا مُتوقَّع ، وليس غريبًا ولا عجيبًا ، لأن النصرانية (المسيحية) انتشرت بالسَّيف والقتل والمجازر .

٢_ سياسة الأرض المحروقة

في [لُوقَا ١٢ : ٤٩] قال المسيح : ((جِئتُ لأُلقيَ على الأرض نارًا ، فكم أُريد أن تكون قد اشتعلت ؟)) اهـ . هذا النص الإنجيلي المكذوب على المسيح ، يقول بوضوح إن المسيح ليس رسول المحبة والسلام والوئام ، وإنما رسول الدمار والقتل والإبادة ، وقد جاء لإلقاء النار على الأرض ، وإحراقها ، وتدميرها ، وحرق الأخضر واليابس ، ونشر سياسة الأرض المحروقة . وكَم يُريد المسيحُ أن تكون الأرض قد اشتعلت واحترقت ؟ . وهذا كذبٌ واضح على المسيح . مِمَّا يدل على تحريف الإنجيل ، وتغيير نصوصه ، ونِسبتها بالباطل إلى المسيح ، لِنَيل الشرعية والمشروعية ، والحصول على القداسة والعِصمة . والإنجيلُ المُحرَّف يُؤَسِّس للقتل والتطرُّف والإرهاب ، وينشر سياسة الأرض المحروقة ، ويعمل على تغذية الصراعات ، وإثارة النعرات ، وبث الكراهية والحقد بين الناس ، وحرق الأخضر واليابس ، بلا رحمة ولا شفقة ولا رأفة .

٣_ بَث رُوح الفُرقة والانقسام

في [لُوقَا ١٢ : ٥١] قال المسيح : ((أتظنُّون أني جئتُ لأُرسيَ السلام على الأرض ؟ أقول لكم : لا ، بل بالأحرى الانقسام)) اهـ . هذا النص الإنجيلي المكذوب على المسيح ، يقول إن المسيح لم يجئ لإرساء السلام على الأرض ، ولا نشر المحبة والوئام والتسامح ، وإنما جاء لنشر الفُرقة والانقسام والكراهية . وفي هذا دَلالة واضحة على أن الإنجيل المُحرَّف قد أسَّسَ مبدأ " فَرِّقْ تَسُدْ " ، من أجل السيطرة على الناس ، واستغلالهم ، وابتزازهم ، والهيمنة عليهم . والوَحْدَةُ والاجتماعُ دليلان على القوة . والفُرقةُ والانقسام دليلان على الضَّعْف . وهدفُ الإنجيل المُحرَّف مِن بَث رُوح الفُرقة والانقسام في المجتمعات، هو إضعافها وإنهاكها ، تمهيدًا للانقضاض عليها وافتراسها . وهذا بالضبط منهج القوى الاستعمارية (الاستخرابية) القائم على الاحتلال العسكري والثقافي والاجتماعي والاقتصادي. مِمَّا يُشير إلى الارتباط المصيري الوثيق بين الاحتلال الغربي (الاستعمار) والإنجيل المُحرَّف . وبدلًا مِن أن يكون الإنجيلُ مصدرًا للمحبة والسلام والنهضة والحضارة ، صارَ مصدرًا للقتل والقتال والكراهية والحِقد والفُرقة والانقسام . وهذا دليل على أن الإنجيل تَمَّ تحريفه ، وتغيير نصوصه ، زيادةً ونُقصانًا .

٤_ أكل لحوم البشر

النصرانيةُ (المسيحية) ديانة أرضية وَضْعية بشرية باطلة ، ذات جُذور وثنية بدائية ، وهي مُتأثرة بعقائد الأمم الوثنية القائمة على القرابين البشرية ، كما أنها مُتأثرة بعقائد الشعوب البدائية التي كانت تعيش في الكهوف والغابات،وتأكل لحوم البشر.وفي[يُوحَنَّا ٦: ٥٣و٥٤]:((فأجابَهم يَسوع: ((الحقَّ الحقَّ أقولُ لكم : إذا لم تأكلوا جَسَدَ ابنِ الإنسان وتَشربوا دَمَه فلا حياة لكم في داخلكم . مَن يأكلْ جَسَدي ويشربْ دمي ، فله حياةٌ أبدية ، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير)))) اهـ .

هذه الخُرافات لا يُمكن أن تكون كلام الله ولا كلام المسيح،ولا يَصِحُّ أن تكون دليلًا للإيمان، لأن الصورة مُقزِّزة ومُقرِفة ومُنفِّرة ، قائمة على أكل جسد المسيح وشُرب دمه . ولا يمكن اعتبار النص مَجَازِيًّا، لأن المَجَاز له قواعد مُتعلِّقة بالذات والواقع . والإنجيلُ المُحرَّف رَسَمَ صُورةً دموية مُتوحِّشة دخيلة على الدِّين الصحيح والشريعة المستقيمة ، وهذه مُجاملة للقبائل البدائية والأمم الوثنية لاستدراجها إلى النصرانية . وكلامُ الله الحقيقيُّ ، يَهْدي الناسَ ويُرشدهم بأجمل الألفاظ وأرقى المعاني . وليس بأكل لحوم البشر وشُرب الدماء . لذلك استغربَ التلاميذ.((فلمَّا سَمِعَهُ كثيرون مِن تلاميذه قالوا : ((ما أصعبَ هذا الكلام ! مَن يُطيقُ سَماعَه ؟))))[يُوحَنَّا ٦: ٦٠] .

وفي هذا السياق يقول المُؤرِّخ والفيلسوف الأمريكي ويل ديورانت في كتابه الموسوعي " قصة الحضارة " (١/ ٢٠ و٢١) : ((وأمَّا في جزيرة بريطانيا الجديدة ، فقد كان اللحمُ البشري يُباع في دكاكين ، كما يبيع القصَّابون اللحم الحيواني اليوم ، وكذلك في بعض جُزر سُلَيمان، كانوا يُسمِّنون مَن يقع في أيديهم من الضحايا البشرية _ خصوصًا النساء _ ، ليُولموا بلحومهم الولائم كأنهم الخنازير . وكان الفويجيون يُنزِلون النساءَ منزلة أعلى من الكلاب ، لأن " الكلاب كان مذاقها رديئًا " كما كانوا يقولون . ولمَّا مرَّ " بيير لوتي " بجزيرة تاهيتي ، أخذ رئيس كهل من رؤساء البولينزيين يشرح له طعامه ، فقال : " إن مذاق الرَّجل الأبيض إذا ما أُحسِن شواؤه كمذاق الموز الناضج " ... . فما أصل هذه العادة ؟ . ليس هنالك ما يُثبِت قطعًا أنها نشأت _ كما ظَنَّ الناس مِن قَبْل _ بسبب قِلَّة في أنواع الطعام الأخرى . ولو كان ذلك كذلك ، إذن فقد بقي التلذذ بمذاق اللحم البشري بعد زوال القحط في مواد الطعام الأخرى ، لأن العادة قد تكوَّنت وأصبحت مِمَّا يستميل الأكل . وها هي ذي الطبيعة ، أرسل فيها تَرَ الدم البشري طعامًا شهيًّا ، لا يُقدِم عليه اللاعق في جزع قَط ، حتى النباتيون البدائيون كانوا سُرعان ما يعتادونه بشغف عظيم ، ولطالما شرب أهلُ القبائل دمَ الإنسان،معَ أنهم يكونون في غير هذا الظَّرْف رقيقي القلوب ، كرام النفوس، يشربونه تارةً باعتباره دواء ، وطَوْرًا باعتباره شعيرة دينية ، أو وفاء بعهد ، ويشربونه عادةً على عقيدة منهم أنه سيُضيف إلى الشاب القوة الحيوية التي كانت للمأكول . ولم يكن أحد ليشعر بشيء من الخجل في إيثاره اللحم البشري . والظاهر أن البدائيين لم يكونوا يُفرِّقون في حُكمهم الأخلاقي بين أكل الإنسان وأكل الحيوان ، بل إنه لمدعاة للفخار في ميلانيزيا أن يَدعوَ الرئيسُ أصدقاءه إلى أكلة يُقدَّم فيها إنسان مشوي . وفي ذلك قال رئيس برازيلي فيلسوف : " ما دمتُ قد قتلتُ عدوي ، فلا شَك أنه من الخير أن آكله بدل أن أتركه فيضيع خسارةً لا يفيد منه أحد ... . ليس أسوأ الحالات أن يُؤكَل الإنسان ، لكن أسوأها أن يموت ، فإذا ما قُتلتُ فسواءٌ لديَّ أأكلني عدو القبيلة أم تركني ، على أنني لا أجد بين صنوف الصيد جميعًا ما هو ألذ مذاقًا مِن طَعْم الإنسان . والحق أنكم أيها البِيض قد بلغتم الغاية في حُسن المذاق " . ومِمَّا لا ريب فيه أن هذه العادة قد كان لها حسنات اجتماعية مُعيَّنة ، فقد سبقت إلى الوجود الخُطَّة التي اقترحها " سوفت " في شأن الانتفاع بالأطفال الزائدين عن الحاجة ، ثم أفسحت أمام الكهول مجالًا ، وهو أن يموتوا مَوْتًا فيه نفع للآخرين ، أضف إلى ذلك وجهة النظر التي لا ترى في الجنائز إلا إسرافًا ، لا تدعو إليه ضرورة)) اهـ .

رابع عشر : العلاقات الأسرية والاجتماعية

١_ احتقار المرأة والأم

في [الرسالة الأولى إلى كُورنثُوس ٧: ٢٧] قال بُولُس : ((أنتَ منفصلٌ عن امرأةٍ فلا تطلب امرأةً)) اهـ . لقد جَعَلَ بُولُس رَأيَه الشخصي دِينًا لازمًا وشريعةً واجبة الاتِّباع ، وقرَّر ضرورة الابتعاد عن المرأة ، وعدم الارتباط بها ، ورفض الزواج منها ، بِحُجَّة أن الرَّجل مُنفصل عن المرأة، فيجب أن يظل مُنْفَصِلًا عنها ، ولا يَطلب امرأة . وهذا انقلاب واضحٌ على شريعة التَّوراة: ((وقالَ الرَّبُّ الإلهُ ليس جَيِّدًا أن يكون آدمُ وَحْدَه . فأَصنعَ له مُعينًا نظيرَه)) [تَكوين ٢ : ١٨] . وحَسَب التَّوراة ، إن الإله أرادَ صناعة امرأة لآدم لكي لا يَكون وَحْدَه ، فهذه الوَحدة غير جيِّدة . وبذلك ، يكون بُولُس قد عارضَ كلام الله في التَّوراة ، واخترعَ شريعةً خاضعة لأهوائه الذاتية ، ومصالحه الشخصية ، ومُكتسباته المادية الضَّيقة . وهذا يدل على رفض المرأة واحتقارها ، وضرورة الابتعاد عنها ، وعدم الاقتراب منها ، ولا الارتباط بها ، ولا الزواج منها . وهذا يدل على حِقد دفين على المرأة ، ولا أستبعد أن يكون بُولُس مُتَأثِّرًا بفكرة أن المرأة (حوَّاء) سبب خُروج الرَّجل (آدم) من الجنة ، لذلك يجب نبذ المرأة ورفضها ، باعتبارها منبع الخطيئة ، ومصدر الإثم ، وسبب الغِواية والإغراء . وهذه الفكرة مُتجذِّرة في النصرانية (المسيحية) ، خصوصًا في البروتستانتية. لذلك ، يكثر الشُّذوذ الجنسي في دول شمال أوروبا، وتقل نِسبة الزواج ، وذلك بسبب سيطرة البروتستانتية على شمال أوروبا ، والبروتستانتية تُحمِّل المرأةَ مسؤولية الخروج من الجنة ، وتَجْعل المرأة رمزًا للإثم والخطيئة والضلال ، لذلك يبتعدون عنها ، ويخافون منها .

وفي [مَتَّى ١٢: ٤٧و٤٨] : ((فقال له واحد من الحاضرين : ها إن أُمَّكَ وإخوتك واقفون خارجًا يطلبون أن يُكلِّموك ! فأجاب قائلًا للذي أخبره : مَن هي أُمِّي ؟ ومَن هُم إخوتي ؟)) اهـ .

لقد أخبرَ أحدُ الحاضرين المسيحَ أن أُمَّه وإخوته واقفون في الخارج ، يَطلبون أن يُكلِّموه ، فما كان من المسيح_ وَفْق هذا النص الإنجيلي المُحرَّف _ إلا أن رَدَّ بوقاحة وفظاظة وسُوء أدب، وقال : ((مَن هي أُمِّي ؟ ومَن هُم إخوتي ؟)) . هل يتعامل المسيحُ مَع أُمِّه مريم بهذا الأسلوب السَّيِّئ ؟ . إن الابن البارَّ يتعامل معَ أُمِّه بأدب واحترام وتقدير ، بلا تطاوُل ولا وقاحة ولا غِلْظة ولا قَسوة . وهذا يدل على انهيار العلاقات الأسرية والاجتماعية في الإنجيل المُحرَّف ، وسقوط القيم الإنسانية النبيلة . والنصُّ الإنجيل كذبٌ واضح على المسيح ، النبيِّ العظيم ، والرسول الكريم ،

والابن البارّ بأُمّه الصِّديقة الشريفة الطاهرة المُطهَّرة مريم البَتُول . والمسيحُ هو مَصْدر الإيمان والتقوى والأدب والاحترام ، يتعامل مع أُمّه السَّيدة مريم بأدب ومحبة وتقدير ، ولا يتطاوُل عليها، ولا يَجرح مشاعرها ، ولا يُسيء إليها بأي شكل من الأشكال . وللأسف الشديد ، إن أصحاب الأناجيل الذين ألَّفوها، يُقدِّمون صُورةً سيئة للمسيح ، ويُصوِّرونه كابن عاق وَقِح ، يتطاوُل على أُمِّه، ولا يحترمها ، ولا يُقدِّرها ، ولا يَسعى لنيل رضاها . وهذا ضلال واضح ، وتشويه لسُمعة المسيح العطرة ، وتلطيخ لصورته المشرقة ، وإساءة له بشكل مقصود ، قائم على الكذب والتَّحريف .

ومِن الواضح أن فكرة الإساءة للمسيح ، وتصويره كابن عاق لأُمِّه ، قد استهوت أصحاب الأناجيل ، لذلك نشروها في نصوص الإنجيل البشري المُحرَّف الذي قاموا بتأليفه واختراعه ، اتِّبَاعًا لأهوائهم ، وتحقيقًا لمصالحهم الشخصية ، وحِفاظًا على مكتسباتهم المادية .

في [مَرْقُس ٣: ٣٢و٣٣] : ((وكان قد جلس حَوله جمعٌ كبير ، فقالوا له : ((ها إن أُمَّك وإخوتك في الخارج يطلبونك !)) فأجابهم : ((مَن أُمِّي وإخوتي ؟)))) اهـ . لقد أنكرَ المسيحُ أُمَّه وإخوته ، وتركهم في الخارج يَنتظرون ، ورفضَ مُقابلتهم ، وتكبَّرَ عليهم ، وأهانَ أُمَّه وإخوته ، بقوله : ((مَن أُمِّي وإخوتي ؟)) اهـ . وبالتأكيد، هذا كذبٌ مكشوف على المسيح الابن البارّ بأُمِّه، الذي يتعامل معها بأدب واحترام وتقدير . ولكن أصحاب الأناجيل مُصِرُّون على تدمير القيم الأسرية ، وتحطيم العلاقات الاجتماعية ، ولم يَجِدوا وسيلةً أفضل مِن نِسبة الكذب والوقاحة وعدم الاحترام إلى المسيح ، وذلك لنيل الشرعية ، وتحقيق المشروعية ، وضمان العِصمة والقداسة للسلوكيات الاجتماعية المنحرفة ، والتصرُّفات الشاذة . والابنُ البارُّ يُلبِّي طلبات أُمِّه ، ولا يَتركها في الخارج تنتظر . والمسيحُ ليس ابنًا عاديًّا ، ومريم ليست أُمًّا عادية . إن المسيح ابن مريم عبد الله ورسوله ، والسَّيدة مريم صِدِّيقة . والعلاقة بينهما قائمة على التقدير والاحترام المتبادل. ولا يُمكن أن يُهين المسيحُ أُمَّه ، أو يتطاول عليها ، أو يتركها في الخارج تنتظر ، ويَرفض مُقابلتها . هذا العُقوق لا يَليق بنبيٍّ كريم ورسول عظيم كالمسيح بن مريم .

وفي [يُوحَنَّا ٢: ١_ ٤] : ((وفي اليوم الثالث كان عُرسٌ في قانا بِمنطقة الجليل ، وكانت هناك أُم يَسوع . ودُعِيَ إلى العُرس أيضًا يَسوعُ وتلاميذُه . فلمَّا نَفِدَتِ الخمر ، قالت أُمُّ يَسوعَ له : ((لم يبق عندهم خمر !)) فأجابها : ((ما شأنُكِ بي يا امرأة ؟ ساعتي لم تَأتِ بَعْد !)))) اهـ .

هذا النص الإنجيلي البشري المُحرَّف في غاية الخطورة ، وقد تَمَّ اختراعه وتصميمه ، لِتحليل الخمر ، وجَعْل شُرْبها مُباحًا وحلالًا ومشروعًا ، ولا إثم في ذلك ولا حَرَج ولا ذَنْب .

ويُقدِّم هذا النصُّ الإنجيليُّ المُحَرَّفُ صورةً للسَّيدة مريم في غاية القُبح والسُّوء ، حيث إنه يُقدِّمها كامرأة حريصة على الخمر ، وتَشعر بالقلق بسبب نفاد الخمر في هذا العُرس ، ولا يَهُمُّها إلا توفير كمية كافية من الخمر لجميع الحاضرين والمَدْعُوِّين في هذا العُرس . وهذا كذب رخيص على السَّيدة مريم الصِّديقة الشريفة العَالِمَة العابدة ، التي كرَّست حياتها لعبادة الله وخدمة شريعته. لا يُمكن أن يكون تفكيرُ السَّيدة مريم محصورًا في الخمر . هذه إهانة لمريم البَتُول (المرأة التي اصطفاها الله وفضَّلها على نساء العَالَمِين) ، وتَشويه لسُمعتها ، وتلطيخ لصورتها .

إن تفكير السَّيدة مريم محصور في عبادة الله وَحْدَه ، وتعظيمه ، وتقديسه ، والتزام أوامره ، واجتناب نَوَاهيه ، وليس محصورًا في حُضور الأعراس ، وتأمين كمية الخمر اللازمة للحاضرين ، والقلق مِن نفادها . للأسف ، لقد جعل الإنجيلُ المُحرَّف مريم الصِّديقة امرأةً فاسقة وتافهة .

والمصيبة الثانية تتجلَّى في رد المسيح على أُمِّه مريم : ((ما شأنُكِ بي يا امرأة ؟)) اهـ . هل هذا هو الأسلوب الصحيح المحترم لمُخاطبة الابن أُمَّه ؟ . إن هذا النص الإنجيلي الباطل يُصوِّر المسيح كابن عاق، يحتقر أُمَّه التي أنجبته وربَّته ، ويتطاول عليها، ويُخاطبها بقسوة وغِلظة ووقاحة، بلا أدب ولا احترام ولا تقدير . وفي هذا دَلالة واضحة على تحريف الإنجيل ، وتغيير نصوصه ، واختراق اليهود للإنجيل ، وصَهْينته بشكل مُتعمَّد ومُمَنْهَج ومقصود ، لأن إهانة المسيح وأُمِّه باستخدام الكذب وتحريف نصوص الإنجيل ، لا يُمكن أن يَصْدَر إلا عن اليهود أو النصارى المُوالين لليهود قلبًا وقالبًا ، فاليهودُ يُعادون المسيحَ وأُمَّه ، ويصفونهما بأسوأ الألفاظ . وإذا أردتَ معرفة مُرتكب جريمة تحريف نصوص الإنجيل، وتشويه صورة المسيح وأُمِّه ، فابحث عن المستفيد مِن هذه الجريمة . إن اليهود هُم المستفيدون من إهانة المسيح وأُمِّه ، وتلويث سُمعتهما ، وتَلطيخ صورتهما ، ومِن مصلحة اليهود وأذنابهم النصارى المُتَصَهْيِنين أن يُهينوا المسيح وأُمَّه ، ويُحطِّموا صورتهما في نفوس الناس ، وذلك لتحقيق مصالح شخصية ، والحفاظ على الرئاسة والزعامة .

٢_ كراهية النَّفْس والعائلة

في [لُوقَا ١٤ : ٢٦] قال المسيح : ((إنْ جاء إليَّ أحد ولم يُبغض أباه وأُمَّه وزوجتَه وأولادَه وإخوتَه وأخواتِه بل نَفْسَه أيضًا فلا يُمكنه أن يكون تلميذًا لي)) اهـ . لقد وَضَعَ المسيحُ _ حَسَب هذا النص الإنجيلي الباطل _ شرطًا لِمَن يُريد أن يكون تلميذًا له ؟ . وشرفٌ عظيم أن يكون الشخصُ تلميذًا للمسيح ، ولكن يجب عليه قبل ذلك أن يَكره أباه الذي أعطاه اسمه ، وأُمَّه التي

حملت به وأنجبته وأرضعته وربَّتْه ، وزوجته التي عاش معها وخدمته ورافقته في الحياة ، وأولاده الذين أنجبهم ليكونوا ذُرِّية صالحة، وإخوته الذكور الذين عاش معهم ، وأكل معهم ، وشرب معهم، وأخواته البنات اللواتي عَامَلْنَهُ بحُب ولُطف وحنان . يجب أن يَكرههم جميعًا ، ويُبغضهم ، ويَحقد عليهم ، ويَرفضهم . وليس هذا فَحَسْب ، بل يجب عليه أيضًا أن يُبغِض نَفْسَه ويَكْرهها . وعندئذ، يستحق شرف أن يكون تلميذًا للمسيح ! . والسؤال الذي يطرح نَفْسَه في هذا السياق : هل المسيح رسول المحبة والسلام والوئام أَم رسول الكراهية والبغضاء والعنف ؟ . إن هذا النص الإنجيلي المكذوب على المسيح ، يُوضِّح حقيقةَ الديانة النصرانية المنسوبة زُورًا وبُهتانًا للمسيح ، فهي ديانة قائمة على الكراهية والبغضاء والحِقد ، واحتقار النَّفْس الإنسانية ، وتمزيق الروابط الأُسرية ، وتحطيم العلاقات الاجتماعية ، وتفتيت الوشائج الإنسانية . وهذا مِن شأنه ، تدمير المجتمع ، وإضعاف الجبهة الداخلية ، وإسقاط القيم الإنسانية النبيلة . وهذا دليل واضح على أن الإنجيل تَمَّ تحريفه ، وتغيير نصوصه . فهل أرسلَ اللهُ المسيحَ لهداية الناس وتقوية المجتمع وإنشاء الأُسَر الصالحة أم لإضلال الناس وإضعاف المجتمع وتدمير مؤسسة الأسرة ، وتمزيق العائلات ، وتحطيم الروابط والعلاقات الاجتماعية ؟. وهذا النص الإنجيلي يتناقض ويتعارض مع كلام المسيح في [مَتَّى ١٥ : ٤] : ((فقد أوصى اللهُ قائلًا : أكرِمْ أباكَ وأُمَّك . ومَن أهان أباه أو أُمَّه ، فليكن الموتُ عِقابًا له)) اهـ . هذه وَصِيَّة الله للناس . يجب على كل شخص أن يُكرِم أباه وأُمَّه ، ويُحِبَّهما ، ويحترمهما، ويُقدِّرهما. ومَن أهانَ أباه أو أُمَّه بأي قَول أو فِعل، فإن عقوبته هو المَوت . مِمَّا يُشير إلى وجوب احترام الوالدَيْن ، وتقديرهما ، والتعامل معهما بأدب واحترام وتواضع ، بعيدًا عن الإهانة والإساءة . وعِند مُقارنة النصوص الإنجيلية في هذا السياق ، يتَّضح التناقضُ في الإنجيل البشري المُحرَّف ، ويَبرز التعارض بوضوح ، وتتجلَّى الاختلافات المكشوفة ، وتَظهر الأكاذيب المفضوحة. وهذا يُشير إلى كثرة الأيدي التي تلاعبت بنصوص الإنجيل. مِمَّا جعلَ الإنجيلَ كتابًا بشريًّا وَضْعيًّا باطلًا مليئًا بالأكاذيب،يَهدم نَفْسَه بنفْسه ، ونُصوصه يُلغي بعضُها بعضًا.

٣_ تدمير القيم العائلية وتفتيت المجتمع

في [مَتَّى ١٠: ٣٥ و٣٦] قال المسيح : ((فإني جئتُ لأجعل الإنسان على خلافٍ مع أبيه والبنت مع أُمِّها والكَنَّةَ مع حماتها. وهكذا يصير أعداءَ الإنسان أهلُ بيته)) اهـ . هذا كذبٌ على المسيح ، لأن المسيح رسول المحبة والسلام ، جاء لهداية الناس ، وبناء العائلات الصالحة ، وتقوية الروابط الاجتماعية، وليس لتدمير المجتمع، ونشر الفُرقة والعداوة بين الأفراد والجماعات .

خامس عشر : السُّلطة الكهنوتية والأحكام التشريعية

١ـ الكاهن والكَهَنُوت والشريعة

" سِر الكَهَنُوت هو أحد الأسرار السبعة المُقدَّسة في المسيحية [٢٦٣]. يتم بوضع اليد على رأس المُرشَّح، وهو التقليد المتوارث منذ أيام العهد الجديد .لقد نصَّت التوراة صراحة على نظام كهنوتي دقيق، غير أن المسيح وَفْق العقائد المسيحية قد ألغاه، وكما ينصُّ العهد الجديد فإن المسيح قد غدا "الكاهن الوحيد" أي الوسيط الوحيد بين الله والبشر، فكانَ بذلك تمام الكهنوت. بكل الأحوال، فقد أقام المسيح اثني عشر" مساعدًا له" وأوصاهم أعمال التدبير ـ الإدارة ـ والتقديس ـ إقامة الأسرار العماد، الأفخارستيا ... إلخ . والتعليم ـ الوعظ ـ غير أن هذه الإقامة ليست بقوتهم الشخصية بل بتفويض المسيح، وهو أساس سِر الكَهَنُوت إلى اليوم، وواجبات الكهنة " (نقلًا عن موسوعة ويكيبيديا) .

---

٢٦٣ في النصرانية (المسيحية) ، يُقصَد بالأسرار المقدَّسة مجموعات من الطقوس ، الغاية منها وبحسَب الاعتقاد النصراني هي " نوال نعمة سِرِّية (غير منظورة) بواسطة مادة منظورة " . وذلك وبحسَب الاعتقاد النصراني بِفِعل رُوح الله القُدُّوس الذي حَلَّ بمواهبه في يوم الخمسين على تلاميذ ورُسل المسيح. وبحسَب ما أسَّسه المسيح نفْسه ، وسلَّمه للرُّسل ، وهُم بدورهم سلَّموه للكَهَنة بوضع اليد الرسولية [الرسالة الأُولى إلى كُورِنثُوس ١١ : ٢٣] . **١**ـ سِر المعمودية : يُستخدم الماء كمادة منظورة للمعمودية لنعمة غير منظورة هي الميلاد الثاني [أعمال الرُّسل ٢٢ : ١٦] . **٢**ـ زَيت الميرون : يحتوي على أنواع أطياب مختلفة إشارة إلى مواهب الرُّوح القُدُس الْمُتنوِّعة، وقد استخدمه الرُّسل كمسحة مُقدَّسة [رسالة يُوحَنَّا الأُولى ٢ : ٢٠ و٢٧] . **٣** ـ القُربان المقدَّس (أو سِر الشُّكر " الأفخارستيا ") : تناول جسد الرب ودمه والمصنوع من دقيق الحِنطة ليتحوَّل إلى غذاء سمائي وخبز سمائي هو جسد الرب [يُوحَنَّا ٦: ٥١]. وخمر عصير العنب كدمه [الرسالة الأُولى إلى كُورنثُوس ١١ : ٢٥] . **٤**ـ سِر التَّوبة (أو سِر الاعتراف): يُوضَع الصليب على الرأس،وهو المادة المنظورة لغُفران الخطايا[يُوحَنَّا ٢٠ : ٢٣].**٥**ـ سِر مسحة المرضى: يُستخدم القِنديل (زَيت وفتيل)[مَرقُس ٦ : ١٣] . **٦**ـ سِر الزيجة (أو سِر الزواج) : يكون الإكليل المقدَّس على رأس العريس والعروس إشارة إلى إكليل العِفَّة والتقديس [نشيد الأنشاد ٣ : ١١] . **٧**ـ سِر الكَهَنُوت:المادة المنظورة هي اليد الأسقفية أو الكَهَنوت لمنح الموهبة والسِّر[أعمال الرُّسل٦: ٦].

في [الرسالة إلى العِبرَانِيِّين ٥: ١] : ((فإن الكاهن الأعلى كان يُؤخَذ من بين الناس ، ويُعيَّن للقيام بمهمته نِيابةً عنهم في ما يَخصُّ علاقتهم بالله)) اهـ . إن علماء النصارى أسَّسوا السُّلطةَ الكهنوتية بمنطق القوة والترهيب والتخويف والتهديد ، واحتكروا تأويلَ الإنجيل البشري المُحرَّف، وأبعدوا العَوَامَّ عن الله ، وجعلوا أنفسهم الواسطةَ بين الخالق والمخلوق ، ولا يُمكن الوصول إلى الله إلا عن طريقهم وبواسطتهم وبإشرافهم وتوجيههم . والهدفُ مِن تأسيس السُّلطة الكهنوتية على رقاب الناس ، وتكريسها في نفوسهم ، وتجذيرها في المجتمع ، هو استغلال العَوَام والجُهَّال والأتباع ، وابتزازهم باسم الدِّين ، وسرقتهم باسم الله ، والسيطرة عليهم باسم المسيح ، والاستحواذ على ممتلكاتهم باسم الإنجيل ، وتخديرهم بالأوهام والخرافات باسم الصليب . والمستفيدُ مِن هذه العملية القذرة عِلْية القوم (الحُكَّام ورجال السياسة ورجال الدِّين) . وهكذا، يتكرَّس التحالفُ المصيري بين السُّلطة السياسية والسُّلطة الدينية ، للسيطرة الكاملة على الناس. وبشكل عام ، إن السُّلطة الكهنوتية القائمة على احتكار رجال الدِّين النصارى للعلاقة معَ الله ، تهدف إلى أكل الدنيا بالدِّين ، وتوظيف الدِّين للحصول على مصالح شخصية ومكاسب مادية .

وفي [الرسالة إلى العِبرَانِيِّين ٥: ١١]: ((بخصوص هذا الكاهن الأعلى ، عِندي كلامٌ كثير ــ ولكنه صعب التفسير ! إذ يبدو أنكم تُعانون بَلادةً في الفَهم)) اهـ . مِن مصلحة رجال الدين النصارى أن يظل الكهنوت سِرًّا غامضًا وخفيًّا ، ولا يتم تفسيره للعوام والأتباع ، وذلك مِن أجل ضمان سيطرة رجال الدين على الناس ، وسرقة ثرواتهم ، والاستحواذ على أموالهم ومُمتلكاتهم بالباطل ، وتكريس زعامتهم ورئاستهم وسيادتهم في المجتمع . والمنطق يقول إن شعائر الدِّين ينبغي تفسيرها وتوضيحها للناس من أجل اعتناقها عن عِلم ومعرفة وبصيرة ، ولكن الإنجيل المُحرَّف يقول إن ذلك صعب التفسير، مِن أجل ضمان الهيمنة على الناس واستغلالهم وابتزازهم ، ولكي تظل الديانة النصرانية (المسيحية) قائمة على الإيمان الأعمى ، والتَّسليم بلا وَعْي ، لأن العقل المُفكِّر يُشكِّل خطرًا على الكنيسة ورجال الكهنوت . وإذا فكَّر الإنسانُ ، فإنه سيطرح الأسئلةَ، ويعتمد على منهج النقد والنقض، وهذا خطر على الأنظمة الطاغوتية والأنظمة الكهنوتية ، لذلك يجب أن يظل الشعبُ قطيعًا من الأغنام بلا عقل ولا تفكير ، ويُساق إلى الذبح بلا اعتراض في الموعد الذي يُحدِّده عِلْية القوم (رجال السياسة ورجال الدين) . والأمرُ الآخَر : هل اتِّهام الناس بأنهم أغبياء وشَتْمهم ومُخاطبتهم بهذا الشكل " إذ يبدو أنكم تُعانون بَلادةً في الفَهم " هو الأسلوب الصحيح والمناسب للدَّعوة والتَّنصير (التَّبشير) ؟ .

حَسَب الإنجيل المُحرَّف ، إن الرسالة إلى العِبرانِيِّين مُوجَّهة إلى يهود قد اهتَدَوا إلى الإيمان بالمسيح ، ثُمَّ تعرَّضوا للاضطهاد بهدف حملهم على الارتداد عن الإيمان . والمفروضُ أن تتم مخاطبتهم بأدب واحترام وتقدير ، من أجل هدايتهم إلى الحق ، وتثبيتهم عليه ، وإرشادهم إلى الهدى ، ودفعهم للتمسُّك به . وما حصل هو العكس تمامًا ، حيث تمَّت مُخاطبتهم بقسوة وغِلظة واحتقار وازدراء وفَوقية ، وتَمَّ شَتْمهم ، وإهانتهم ، واعتبارهم أغبياء ، ويُعانون مِن البَلادة وعدم الفهم . وهذا يدل على تحريف نصوص الإنجيل ، ورفض تعاليم المسيح القائمة على الدَّعوة بأسلوب جميل ومُؤدَّب ومُؤثِّر ، بلا شتائم ولا إهانات ولا تطاوُل ولا احتقار . وهذا يُشير إلى أن التَّنصير (التَّبشير) قائم على العُنف والقَسوة والشتائم والاحتقار والإهانة ، وغير قائم على الأدب والحوار والتواضع والمنطق والاحترام والدليل .

وفي [الرسالة إلى العِبرَانِيِّين ٥: ٦] أن الله خاطبَ المسيحَ قائلًا : ((قَد اخترتُكَ كاهنًا إلى الأبد على رُتبة مَلْكِيصادَق !)) اهـ . هذا النصُّ الخُرافي يُهين المسيحَ ، لأن مَلْكِيصادَق هو مَلِك مدينة القدس أو أورُشَلِيم . أمَّا المسيحُ فهو إله وابن الله _ حَسَب اعتقاد النصارى _. فكيفَ يختار اللهُ المسيحَ كاهنًا على رُتبة مَلْكِيصادَق؟.لا مُقارنة بين المسيح ومَلْكِصَادَق(شخصية غامضة ومُبْهَمَة) . وكيف يكون الأعلى على رُتبة الأدنى ؟ . هل يُمكن للإله أن يكون على رُتبة العبد ؟ . هل يُمكن لابن الله أن يكون على رُتبة شخص عادي مِن أبناء الناس ؟ . هذا يدل على تحريف نصوص الإنجيل، وتبديلها، وتغييرها. والعجيبُ في الأمر أن الديانة النصرانية (المسيحية) قائمة على الغُلُوِّ في المسيح وجَعْله إلَهًا وابنًا لله ، ثُمَّ بعد ذلك يتمُّ إهانة المسيح وإنزال رُتبته لتصبح على رُتبة شخص مجهول مِثل مَلْكِيصادَق. وفي هذا دَلالة على بُطلان هذه الديانة البشرية.

وفي [الرسالة إلى غَلاطِيَّة ٣: ١٩] قال بُولُس : ((فلماذا الشريعةُ إذن ؟ إنها فقط أُضيفت إظهارًا للمعاصي)) اهـ . هذه إهانة صريحة للشريعة مِن بُولُس ، مِمَّا يُشير إلى تلاعبه بالدِّين ، وانقلابه على تعاليم المسيح ، ورفضه لها . لقد قرَّر بُولُس أن الهدف من وجود الشريعة مُتعلِّق بإبراز الذنوب وإظهار الآثام . إن الشريعة فقط أُضيفت إظهارًا للمعاصي . وهذه هَرطقة واضحة ، إذ إن الهدف من الشريعة هو هداية الناس ، وإرشادهم ، وتعليمهم ، وتَوجيههم إلى الحق والخير والهدى والصواب ، وإبعادهم عن الذنوب والآثام والمعاصي . وللأسف الشديد ، لقد اعتبر بُولُس (قِدِّيس النصارى) أن الشريعة فقط أُضيفت إظهارًا للمعاصي . وهذه إساءة واضحة للدِّين ، وإهانة للشريعة ، واحتقار لها . وهذا يدل على أن بُولُس مُندس لإفساد شريعة المسيح وتعاليمه .

وفي [الرسالة الأولى إلى تِيمُوثاوُس ١ : ٩] قال بُولُس : ((إذ نُدرك أن الشريعة لا تُطبَّق على مَن كان بَارًّا ، بل على الأشرار والمتمردين)) اهـ . إن بُولُس يتلاعب بالشريعة ، ويَخلط بين الشريعة والعقوبة . لقد جاءت الشريعة لتكون دُستورًا كاملًا ، وقانونًا عامًّا يُطبَّق على الجميع بلا استثناء ، والكُل يخضع لها بلا تمييز . ويجب تطبيق الشريعة على الأبرار والفُجَّار ، لأن الجميع أمام تعاليم الشريعة سَواء . أمَّا العقوبةُ التي تُقرِّرها الشريعة ، فيتم تطبيقها على الأشرار والمُتمردين الذين ارتكبوا الذنوبَ والآثامَ والمعاصي ، ولا تُطبَّق على الأبرار والصالحين غَير المُسيئين . والخلطُ بين الشريعة والعقوبة يدل على انقلاب بُولُس على شريعة المسيح وتعاليمه ، كما يدل على حِرص بُولُس على إهانة الشريعة ، والتلاعب بها ، وتصويرها كعقوبة ، واختراع شريعة جديدة ، تتوافق معَ أهواء بُولُس الذاتية ، ومصالحه الشخصية ، ومكتسباته المادية ، التي تُكرِّس زعامته .

٢ـ لَحم الخِنزير

إن لَحم الخِنزير مُحرَّم في الشرائع السماوية(شريعة محمد ، وشريعة مُوسى ، وشريعة عيسى). وهو مُحرَّم في القرآن والتَّوراة ، لكنَّه حَلال ومُباح في الإنجيل . هذا يدل على أن الثَّغرة في الإنجيل، وأن تحريم لَحم الخِنزير تَمَّت إزالته من الإنجيل لتحقيق أهداف شخصية ومصالح مادية.

وَفْق التَّوراة ، لقد حرَّمت الشريعةُ الموسوية حيواناتٍ كثيرة، منها الخِنْزير كما في [لاوِيِّين ١١ : ١ ـ ٨]: ((... والخِنزير. لأنه يَشُقُّ ظِلْفًا ويَقْسِمُه ظِلْفَيْن لكنه لا يَجْتَرُّ . فهو نَجِسٌ لكم . مِن لحمها لا تأكلوا وجُثَثَها لا تَلْمِسُوا . إنها نجسة لكم)) اهـ . وفي [تَثْنية ١٤ : ٨] : ((والخِنْزيرُ لأنهُ يَشُقُّ الظِّلْفَ لكنه لا يَجْتَرُّ فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ)) اهـ . هذا يدل على أن الخِنزير نَجِس ومُحرَّم أكله في التَّوراة ، والنَّهْيُ واضحٌ في ذلك . والنَّهْيُ يُفيد التحريم .

لكنَّ النصارى اتَّبعوا بُولُس الذي رَفض التَّوراةَ ، وانقلبَ على شريعة المسيح ، وأحلَّ أكلَ الخِنزير ، معَ أنه مُحرَّم في التَّوراة. مِمَّا يدل على إقحام المصالح الشخصية في النصوص الدينية ، ومُحاولة توجيه الدِّين لخدمة أصحاب المصالح والنفوذ والسُّلطة، سواءٌ كانت سُلطة دينية أم سياسية . وسببُ تغييرِ نصوص الإنجيل ، هو اتِّباع الأهواء الذاتية والمصالح الشخصية ، والسَّعْي وراء المنافع المادية الزائلة ، والحصول على الرئاسة والزعامة والسُّلطة ، وضمان السيطرة على العوام والجُهَّال والأتباع . وقد أعطى بُولُس لنفْسه سُلطة التَّحليل والتَّحريم ، دون دليل ولا بُرهان. وهي سُلطة لا يستحقها . وقد أدخلَ اليهودُ بُولَسَ بين النصارى لإفساد شريعة المسيح وإبطالها .

وفي [مَتَّى ١٥ : ١١] : ((ليس ما يدخلُ الفمَ يُنَجِّس الإنسان ، بل ما يخرجُ مِنَ الفم هو الذي يُنَجِّس الإنسان)) اهـ . هذا يعني أن جميع الحيوانات طاهرة ، وكُل شيء يَدخل الفَمَ طاهرٌ، وليس نَجِسًا . وهذا انقلابٌ واضح على التَّوراة ، ورَفض لشريعة مُوسى . وهذا النصُّ الإنجيلي المُحرَّف يتعارض مع النقل والعقل معًا ، ويتصادم معهما ، لأن الجميع يَعرف أن هناك أشياء في الحياة نجسة ومُحرَّمة . وحصرُ النَّجاسة والحُرمة بما يَخرج مِن الفم فقط ، هو رفض لنصوص التَّوراة (العهد القديم) وأساس " الكتاب المُقدَّس " .

وفي [مَرْقُس ٧ : ١٩] قال المسيح : ((مِمَّا يجعل الأطعمةَ كُلَّها طاهرة)) اهـ . هذا النصُّ مكذوب على المسيح ، لأنه انقلاب صريح على التوراة ، ورفض لها ، ورفض لشريعة مُوسى ، التي تُؤكِّد على وجود حيوانات نجسة ومُحرَّمة ، مِمَّا يستلزم بالضرورة وجود أطعمة نجسة ومُحرَّمة . والهدفُ من الكذب على المسيح ، هو شَرْعنة جميع الأطعمة ، وجَعلها طاهرةً ومُباحةً وحلالًا ، ومِنها لحم الخِنزير . وفي هذا دَلالة واضحة على تبديل نصوص الإنجيل لتحقيق مصالح شخصية، والحصول على مكاسب مادية .

وتحريم الخِنزير ثابت في التوراة ، والمسيحُ تابع لموسى ، والإنجيل (العهد الجديد) تابع للتوراة (العهد القديم) ، والمفروض أن هذين العَهْدَيْن يُشكِّلان الكتاب المُقدَّس بلا تعارُض ولا تناقض ولا اختلاف ولا تضارُب . لكن الواقع يدل على غَير ذلك . والمفروض أن يتم تثبيت تحريم الخنزير في الإنجيل . فالخِنزيرُ مُحرَّم في القرآن والتَّوراة ، وحلال في الإنجيل ، إذن الثغرة في الإنجيل . وتَمَّ إلغاء حُكم التوراة ، وهذا مخالف لَمَا قاله المسيح: ((لا تظنُّوا أني جئتُ لأُلغيَ الشريعةَ أو الأنبياء . ما جئتُ لأُلغي ، بل لأُكمِل)) [مَتَّى ٥: ١٧] . إذن ، المسيح لم يجئ لإلغاء الشريعة أو الأنبياء . وإنما جاء لإكمالها وإتمامها . لكن النصارى انقلبوا على الشريعة الموسوية ، وخانوا شريعةَ المسيح ، وتلاعبوا بها ، وغيَّروا أحكامها ، وحرَّفوا الإنجيل ، اتِّبَاعًا لأهوائهم الذاتية ، ومصالحهم الشخصية . والنصارى في هذا السياق اتَّبعوا بُولُس بغَير بصيرة ، ولا هُدى ، ولا دليل . ومعروفٌ أن بُولُس يهودي تستَّرَ بالنصرانية (المسيحية) لإبطال شريعة المسيح ، وإلغائها ، وتحريفها ، لتحقيق أهداف اليهود (أعداء المسيح ومريم) ، والذين صلبوا المسيح ، حَسَب عقيدة النصارى الباطلة .

وفي [الرسالة إلى رُوما ١٤: ١٤] قال بُولُس : ((فأنا عالِمٌ ، بل مقتنع من الرب يَسوع ، أنه لا شيء نجسٌ بحد ذاته . أمَّا إن اعتبر أحدٌ شيئًا ما نجسًا ، فهو نجسٌ في نظره)) اهـ .

هذا يُشير إلى تلاعب بُولُس بنصوص الإنجيل ، وانقلابه على شريعة المسيح ، ورفضه لأحكام مُوسى في التَّوراة . وكلامُ بُولُس يعني أن كُل شيء طاهر ، وكُل شيء حلال . وبالتالي ، لحم الخِنزير طاهر وحلال . وهذا رفض واضح لشريعة مُوسى ، وإعراض عن شريعة المسيح الذي جاء لإكمال شريعة مُوسى وإتمامها ، وليس لإلغائها ، ولا الانقلاب عليها . وللأسف الشديد ، لقد تركَ النصارى مُوسى وعيسى ، واتَّبعوا قِدِّيسهم بُولُس (اليهودي المُتستِّر بالنصرانية) . وفي هذا دَلالة واضحة على اتِّباع الهوى بغير دليل ، والحرص على تحقيق مصالح شخصية . وقد أكلَ علماءُ النصارى الدنيا بالدِّين، وحرَّفوا الإنجيلَ للحصول على مَتاع الدنيا الفاني، والاستحواذ على حُطامها الزائل . لذلك، ليس غريبًا أن يَظهر التناقض في التَّوراة والإنجيل، وليس عجيبًا أن يَبرز التعارضُ بين التَّوراة والإنجيل . وقد نَجَحَ المُندس بُولُس في تغيير شريعة المسيح والتلاعب بالإنجيل .

٣_ الخِتان

الخِتان : هي عملية خَتن قُلْفَة الذَّكَر (أي إزالته) . وهذا الأمرُ مُنتشر بين كثير من الأجناس والشعوب ، ومنهم الفراعنة واليهود ، وبعض الطوائف النصرانية (المسيحية) ، والعرب قبل الإسلام . وفي العهد القديم ، أمرَ إبراهيمُ بالخِتان ، وخَتَنَ أبناءه وأوصاهم به . والإسلامُ وصَّى بالخِتان ، وعلى ذلك سارَ المسلمون .

والخِتانُ ثابت في التَّوراة . ففي [تَكْوين ١٧ : ١٣ و١٤] : ((يُخْتَنُ خِتانًا وَليدُ بَيتك والمُبتاع بِفِضَّتك . فيكونُ عَهْدي في لحمكم عهدًا أبديًّا . وأمَّا الذَّكَر الأغلفُ الذي لا يُختَن في لحم غُرْلته فتُقطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِن شَعبها . إنه قد نَكَثَ عَهْدي)) اهـ .

الغريبُ في الأمر أن شريعة الخِتان تَمَّ إلغاؤها في الإنجيل (العهد الجديد) ، وأغلبُ الكنائس لا تُلزِم أتباعَها بها ، ولا تَمنعهم . مِمَّا يدل على انحراف النصارى وغرقهم في الأهواء الذاتية والمصالح الشخصية ، واتِّباعهم لِقِدِّيسهم بُولُس بشكل أعمى ، وتقديمهم بُولُس على مُوسى وعيسى معًا . وفي هذا دَلالة واضحة على اختراق اليهود للإنجيل ، وتلاعبهم به ، وتكريس عملية " صَهْينة الإنجيل " بشكل مُمَنْهَج ومقصود ، ومُخطَّط له مُسْبَقًا ، خصوصًا إذا عَرَفْنا أن بُولُس اليهودي قد تستَّر بالنصرانية (المسيحية) ، وادَّعى أنه رسول المسيح ، وحريص على نشر شريعته وتعاليمه، ولكنه انقلبَ على تعاليم المسيح ، وأفسدَ العقائدَ الصحيحة ، وكرَّس الانحرافات الدينية والاجتماعية والأخلاقية. والنصارى ساروا على خُطى بُولُس الذي هَدَمَ الإنجيلَ مِن الداخل.

في [يُوحَنَّا ٧ : ٢٢] : ((إن موسى أوصاكم بالخِتان)) اهـ . هذا يدل على أن الخِتان ثابت في شريعة مُوسى . والمسيحُ تابعٌ لمُوسى ، وشريعة المسيح مُكمِّلة ومُتمِّمة لشريعة مُوسى . فقد قالَ المسيحُ: ((لا تظنُّوا أني جئتُ لأُلغيَ الشريعةَ أو الأنبياء . ما جئتُ لأُلغي ، بل لأُكمِل)) [مَتَّى ٥: ١٧] . لذلك ، إلغاء الخِتان في الإنجيل (العهد الجديد) يُمثِّل رفضًا لشريعة مُوسى وعيسى معًا ، وهذه هي لُعبة بُولُس اليهودي الذي لعبها بمكر وخُبث ، وأضلَّ النصارى ، وبدَّل شريعة المسيح وأفسدها .

وفي [لُوقَا ٢ : ٢١] : ((وَلَمَّا تَمَّت ثمانيةُ أيامٍ لِيُختنَ الطِّفلُ، سُمِّيَ يَسوع)) اهـ . لقد خُتِنَ المسيح ، وهو طِفل . وهذا يدل على ثبوت الخِتان في الشريعة الإلهية ، لأن السَّيدة مريم (أُم المسيح) عَالِمة بالشريعة وعابدة لله ، وتمتاز بالعِلم والإيمان والتقوى . وما كانت لتُقدِم على خِتان طِفلها ، لَولا ثُبوت الخِتان في الشريعة الإلهية والتعاليم الدينية الصحيحة .

ومعَ كُل هذه الأدلة ، نجد أن الخِتان قد أُلْغِيَ بمزاجية طائشة مِن قِدِّيس النصارى بُولُس اليهودي الذي تستَّرَ بالنصرانية (المسيحية) . وهذه المزاجية خبيثة ومقصودة ومُغرِضة ، والهدف منها إفساد شريعة المسيح ، وإضلال النصارى ، وتحقيق مصالح شخصية ومكاسب مادية دنيئة تتعلَّق بالسيطرة والسُّلطة والنفوذ والزعامة والرئاسة .

وفي [الرسالة الأُولى إلى كُورِنثُوس ٧ : ١٩] قال بُولُس : ((إنَّ الخِتانَ لَيسَ شيئًا)) اهـ . هذا ضلال واضح، ورفض لنصوص التَّوراة والإنجيل. وبُولُس _ مهما كانت منزلته عند النصارى_ لا يَملك السُّلطة لتبديل شريعة مُوسى وعيسى ، ولن يكون أعظم من موسى وعيسى _ عليهما الصلاة والسلام _ . وللأسف الشديد ، لقد تركَ النصارى مُوسى وعيسى معًا ، واتَّبعوا بُولُس اليهودي الذي ألغى أحكامَ التَّوراة والإنجيل بمكر وخُبث ، وبشكل مقصود ومُتعمَّد ، وذلك لتحريف الدِّين ، وتبديل الشرائع ، وإضلال النصارى ، وقيادتهم إلى الهاوية السحيقة . وقد نجح في ذلك ، لأن النصارى ساروا على خُطاه ، خاضعين لأهوائهم الذاتية ومصالحهم الشخصية .

٤_ الطلاق

إن الإسلامَ أباحَ الطلاق ، واليهودية أباحت الطلاق ، والنصرانيةُ (المسيحية) حرَّمت الطلاق ومَنعته . وهذا يُشير بوضوح إلى أن الثغرة موجودة في النصرانية ، التي شَذَّت عن القاعدة ، وانحرفت عن المنهج الديني .

والجديرُ بالذِّكر أن المذهب الكاثوليكي يُحرِّم الطلاق تحريمًا باتًّا ، ولا يُبيح الطلاق حتى في حالة الخيانة الزوجية . وفي هذه الحالة يتم التفرقة الجسمية بين الزوجين ، مع اعتبار العلاقة الزوجية قائمة بينهما من الناحية الدينية والشرعية . ودليلهم على ذلك : ((فيصير الاثنان جسدًا واحدًا . فلا يكونان بَعدُ اثنين بل جسدًا واحدًا . إذن ، لا يُفرِّقَنَّ الإنسانُ ما قد قَرَنَه الله)) [مَرْقُس ١٠ : ٨ و٩] .

أمَّا المذهبان الأرثوذكسي والبروتستانتي ، فيُبيحان الطلاق في حالات مُحدَّدة ، من أبرزها الخيانة الزوجية، ولكنهما يُحرِّمان على الرَّجل والمرأة أن يتزوَّجا بعد ذلك. ودليلُ هذين المذهبين ما ورد على لسان المسيح : ((كُل مَن طلَّق زوجته لغير عِلَّة الزنى ، فهو يجعلها ترتكب الزنى)) [مَتَّى ٥ : ٣٢] .

وتعتمد المذاهب النصرانية (المسيحية) في تحريم زواج المُطلَّق والمُطلَّقة على ما ورد على لسان المسيح : ((كُل مَن طلَّق زوجته لغير عِلَّة الزنى ، فهو يجعلها ترتكب الزنى . ومَن تزوَّج بمُطلَّقة ، فهو يرتكب الزنى)) [مَتَّى ٥ : ٣٢] . وأيضًا ، ما ورد على لسان المسيح : ((أيُّ مَن طلَّق زوجته وتزوَّجَ بأخرى ، يرتكب معها الزنى . وإن طَلَّقت الزوجةُ زوجَها وتزوَّجت مِن آخَر ، ترتكب الزنى !)) [مَرْقُس ١٠ : ١١ و١٢] .

لقد علَّل الإنجيلُ تحريمَ الطلاق بأن ما جَمَعَه اللهُ لا يُفرِّقه الإنسان : ((فلا يُفرِّقَنَّ الإنسانُ ما قد قَرَنه الله !)) [مَتَّى ١٩: ٦] . وهذه كلمة حَق يُراد بها باطل . صحيحٌ أن ما قَرَنَه اللهُ وجَمَعَه لا يُفرِّقه الإنسان، ولكنَّ الطلاق سُلوك بشري، والزَّوجان يختاران بعضهما البعض بمحض إرادتهما. واللهُ أعطى الإنسانَ حُرِّيةَ الاختيار ، ولم يُجبِره على أمر مُعيَّن . ومعَ هذا ، فكل شيء خاضع لمشيئة الله العُليا وإرادته المُقدَّسة . وقد شَرَعَ اللهُ الطلاقَ لأسباب مُعيَّنة وفي حالات مُحدَّدة . وكما أن جَمْع الزَّوجين بمشيئة الله وإرادته ، فكذلك الطلاق والتفريق بين الزَّوجين ، فلا شيء يَخرج عن مشيئة الله وإرادته . ووَفْق نصوص الإنجيل ، إن الله فرَّق بين الزوجين بسبب الزنى ، وهذا يعني إمكانية التفريق بين الزوجين لسبب آخر . واللهُ هو الذي يَجْمَع بين الزَّوجين أو يُفرِّق بينهما ، وكُل شيء خاضع لإرادته ومشيئته . والإنسانُ حُر في اختياره ، ومسؤول عن أعماله .

وهذا التَّشدُّد في تحريم الطلاق ، أدَّى إلى تمرُّد النصارى على دِينهم ، ورفض أحكامه ، والإعراض عن شرائعه . ولجأ الكثيرون إلى التَّحايل على الزواج ، أو إقامة علاقات جنسية خارج إطار الزواج. بل إن بعض النصارى اعتنقَ الإسلامَ ، كَي يتم السماح له بالطلاق أو الزواج مَرَّة ثانية.

والعجيبُ أن الأُمم النصرانية كفرت بقوانين الأحوال الشخصية في إنجيلها المُحرَّف ، واخترعت قوانين مدنية لتسهيل الطلاق والزواج . ((وهذه الظاهرة وهي السير في الأحوال الشخصية وَفْق قانون مدني ، يختلف عن تعاليم الدين ، لا تكاد توجد في غير شعوب الغرب المسيحي ، فجميع أهل المِلَل والنِّحَل الأخرى ، حتى البرهميون والبوذيون والوثنيون والمجوس ، يسيرون في أحوالهم الشخصية وَفْق تعاليم دياناتهم . وقد نجد مِن بينهم مَن استحدث في الأحوال العينية قوانين مدنية تختلف عن تعاليم دينه . ولكننا لا نجد مِن بينهم مَن استحدث قوانين مدنية في الأحوال الشخصية _ أي في شؤون الزواج والطلاق وما إلى ذلك _ . وأمكنَ لهذه المِلَل والنِّحَل أن تساير الحياة العملية ، وتُجاري طبيعة البشر في هذه الشؤون . والمسيحيون وحدهم هم الذين كفروا بدينهم من الناحية العملية في الأحوال الشخصية على العموم ، وفي شؤون الطلاق على الخصوص ، لأنهم هم أنفسهم قد وجدوا أن تعاليمه في هذا الصدد تُنكر الواقع ، وتتجاهل طبيعة الإنسان ، ولا تصلح للتطبيق في الحياة)) [٢٦٤] .

وبشكل عام ، إذا صَحَّ أن الإنجيل الأصلي (الذي لم يُحرَّف) قد حرَّم الطلاقَ ، فهذا علاج مُؤقَّت ، وحَل وقتي غير دائم ، لأن المسيح إنما جاء لكبح جِماح اليهود ، والحد من إسرافهم وتطرُّفهم ، وشريعةُ المسيح خاصة ببني إسرائيل وَحْدَهم ، فهي شريعة مخصوصة ومحدودة زمنيًّا ومكانيًّا ، ومُوجَّهة لأُمَّة مُعيَّنة ، وليست شريعة خالدة عامة للناس كُلِّهم . وهي بالتأكيد ، غير صالحة لكل زمان ومكان . وفي [مَرْقُس ١٠ : ٢ _ ٥] : ((وتقدَّمَ إليه بعضُ الفَرِّيسيين وسألوه ليُجرِّبوه : ((هل يَحِلُّ للرَّجل أن يُطلِّق زوجته ؟)). فردَّ عليهم سائلًا: ((بماذا أوصاكم مُوسى؟)) فقالوا : ((سَمَحَ مُوسى بأن تُكتَب وثيقةُ طَلاق ثُمَّ تُطلَّق الزَّوجة .)) فأجابهم يَسوع : ((بسبب قَساوة قلوبكم كَتَبَ لكم مُوسى هذه الوَصِيَّة)))) اهـ. إن المسيحَ أرادَ مُعاقبة اليهود الذين أسرفوا في الطلاق وتجاوزوا الحدَّ ، وأساؤوا في تطبيق وَصِيَّة مُوسى ، فحرَّم المسيحُ على اليهود الطلاقَ عُقوبةً لهم ، وهذه العقوبة وقتية وغير دائمة ، لأن شريعة المسيح وقتية وغير دائمة . وتحريمُ الطلاق كان علاجًا مُؤقَّتًا ، ومِن المستحيل أن يكون شريعةً أبدية ، لأن هذا تدمير للمجتمع ، وتحطيم للأُسرة ، وتكريس للعداوة بين الأزواج. لذلك ، سَمحت الشريعة المُحمَّدية الإسلامية بالطلاق،وهي الشريعة الأبدية، الصالحة لكل زمان ومكان، والتي جاءت لجميع الناس بلا استثناء.

---

٢٦٤ حقوق الإنسان في الإسلام . الدكتور علي عبد الواحد وافي ، ص ٨٨ .

في [يُوحَنَّا ٨ : ٣و٤و٥] : ((وأحضرَ إليه مُعلِّمو الشريعة والفَرِّيسيُّون امرأةً ضُبطت تَزني ، وأوقفوها في الوَسَط ، وقالوا له : ((يا مُعلِّم ، هذه المرأةُ ضُبطت بالجُرم المشهود وهِيَ تزني . وقد أوصانا موسى في شريعته بإعدام أمثالها رَجمًا بالحِجارة ، فما قولُكَ أنت ؟)))) اهـ .

هذا دليل على أن رَجْم الزاني ثابت في التَّوراة (العهد القديم) التي تُمثِّل أساس ما يُسمَّى بالكتاب المُقدَّس . وهذا يردُّ على الذين يتَّهمون الإسلامَ بالتخلف والرجعية والبدائية ، لأن فيه قطع يد السارق ، ورَجْم الزاني المُحصَن ، وجَلْد شارب الخمر ... إلخ . ويَعتبرون أن هذه عقوبات وحشية وبدائية ، ولا تُناسب عصرَ الحضارة والتقدُّم .

إن رَجْم الزاني ثابت في التَّوراة ، ولكنَّ علماء النصارى قاموا بإلغائه وحذفه من الإنجيل ، اتِّبَاعًا لأهوائهم ، وتحقيقًا لمصالحهم الشخصية ، ومِن أجل الحصول على مكتسبات مادية ، وتكريس زعامتهم ورئاستهم .

وهذه المرأةُ الزانيةُ عفا عنها المسيحُ ، وقال لها _ حَسَب الإنجيل المُحرَّف_ : ((وأنا لا أَحكم عَلَيكِ . اذهبي ولا تَعودي تُخطئين !)) [يُوحنَّا ٨ : ١١] . هذا النص مكذوب على المسيح . وقد قام علماء النصارى بتأليفه ، لإباحة الزنا ، وجَعْله أمرًا عاديًّا مشروعًا بلا حَرَج ، ولا عقوبة على مُرتكبه . وهذا تسهيل للزنا ، وفتح الطريق إليه بكل سهولة وسلالة ، وبلا حواجز ولا عوائق . ومَن أمِنَ العقوبةَ أساءَ الأدبَ . وبدون عقوبات رادعة ، سوف يَغرق الشعبُ في الذنوب والآثام والفجور بكل أريحية.وهذا يدل على أن علماء النصارى الذين كذبوا على المسيح، وأبطلوا أحكامَ التَّوراة المُتضمِّنة لشريعة موسى ، وغيَّروا نصوصَ الإنجيل ، إنما فَعلوا ذلك لجذب العوام والجُهَّال والأتباع ، وفتح المجال أمامهم لارتكاب الذنوب والخطايا والمُوبقات ، دُون مشكلات ولا عقوبات . وهذا مُحفِّز للجُهَّال على اعتناق النصرانية (المسيحية) التي سهَّلت الزنا ، وأباحت شُرب الخمر ، وألغت أحكامَ التَّوراة ، وحرَّفت الإنجيل ... إلخ . معَ أن المسيح شخصيًّا قال:((لا تظنُّوا أني جئتُ لأُلغيَ الشريعةَ أو الأنبياء. ما جئتُ لأُلغي، بل لأُكمِل))[مَتَّى ٥: ١٧]. إن المسيح لم يجئ لإلغاء الشريعة أو الأنبياء . لم يجئ لإلغاء حُكم رَجْم الزاني الثابت في شريعة مُوسى . وإنما جاء المسيح كَي يُكمِل ويُتمِّم . مِمَّا يُشير بوضوح إلى كثرة الأيدي التي تلاعبت بنصوص الإنجيل ، اتِّبَاعًا للأهواء الذاتية ، وتحقيقًا للمصالح الشخصية الضَّيقة .

٦_ الحُكم على الآخرين

في [يُوحَنَّا ٨ : ١٥] قال المسيح : ((أمَّا أنا فلا أَحكُم على أحد)) اهـ . وَفْق هذا النص الإنجيلي ، إن المسيح لا يَملك سُلطة الحُكم على أحد ، ولا سُلطة القضاء بين الناس . فالحاكمُ والقاضي هُما اللذان يَحكمان على الآخرين . وهذا يدل على أن المسيح ليس حاكمًا ولا قاضيًا .

ولكنَّ هذا النص الإنجيلي يتناقض ويتعارض مع ما ورد على لسان المسيح : ((والآبُ لا يُحاكِم أحدًا ، بل أعطى الابنَ سُلطةَ القضاء كُلَّها)) [يُوحَنَّا ٥: ٢٢] . وَفْق هذا النص ، إن الله لا يُحاكم أحدًا ، بَل تنازلَ عن سُلطاته لابنه المسيح ، وأعطى المسيحَ سُلطة القضاء كُلَّها ، بشكل كامل . وهذا يعني أن المسيح هو الحاكم والقاضي ، وبالتالي يُحاكم الناس ، ويَحكم عليهم ، ويَقضي بينهم . فلماذا لم يَحكم المسيحُ على المرأة الزانية ، وقال لها : ((وأنا لا أَحكم عَلَيكِ . اذهبي ولا تَعودي تُخطئين !)) [يُوحنَّا ٨ : ١١] ؟ . في هذا دَلالة واضحة على التناقض في نصوص الإنجيل ، والإنجيلُ يَهدم نَفْسَه بنفْسه ، بسبب كثرة الأيدي التي تلاعبت به وغيَّرته .

٧_ قِيام المسيحية على الشَّك لا اليقين

إن العقيدة يجب أن تُبنَى على اليقين التام والقَطْعيات الكاملة والمُسلَّمات الأكيدة ، التي لا يتسلَّل إليها شَك ولا شُبهة ولا احتمال . وما طَرَأه الاحتمال ، سَقط به الاستدلال . والعقيدةُ النصرانية (المسيحية) قائمة على الشَّك لا اليقين ، لذلك هي عقيدة باطلة مُليئة بالشُّكوك والشُّبهات والاحتمالات.وهذا سبب فساد الديانة النصرانية (المسيحية) ومُعارضتها للنقل الصحيح والعقل الصريح . والمفاجأة الصادمة للنصارى أن القُرآن والإنجيل معًا أثبتا أن النصرانية (المسيحية) قائمة على الشَّك لا اليقين . وهذا يَهدم الديانة النصرانية الباطلة من أساسها .

في [مَرْقُس ١٤ : ٢٧] قال المسيحُ لتلاميذه : ((كُلُّكم ستَشُكُّون ، لأنه قد كُتِب : سأضربُ الراعي ، فتَتَشَتَّتُ الخِراف)) اهـ . وَفْق هذا النص ، إن تلاميذ المسيح كُلَّهم سَيَشُكُّون، ويقعون في الشَّك، ويبتعدون عن اليقين. وتلاميذُ المسيح (الجيل الذهبي) الذي حَمَل النصرانية (المسيحية) ورُسل المسيح إلى العالَم ، حَسَب اعتقاد النصارى . وكُل تلاميذ المسيح (الآباء المُؤسِّسين) للديانة المسيحية سَيَشُكُّون . فما بالُكَ بالأشخاص العاديين ؟ وما بالُكَ بالناس الذين سيأتون بعد المسيح بفترة طويلة؟.كيف سيكون حالُهم إذا كان تلاميذ المسيح وقعوا في الشَّك ؟.

وقالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَقَولِهِم إنَّا قَتَلْنَا المَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُم وَإِنَّ الَّذِينَ اختَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنهُ مَا لَهُم بِهِ مِن عِلْمٍ إلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَفَعَهُ اللهُ إِلَيهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) ﴾ [سُورة النِّساء] .

لقد بيَّن القُرآن والإنجيل معًا أن النصارى غارقون في الشَّك ، وأن دِينهم قائم على الشَّك والظَّن والاحتمال . والدِّينُ الصحيحُ يجب أن يكون مبنيًّا على اليقين التام والقطعيات الكاملة . وهذا يدل بوضوح على بُطلان الديانة المسيحية وفسادها ، لأنها مبنية على الشَّك لا اليقين .

٨_ قيام الدَّعوة المسيحية على الغباء

إن الدَّعوة الدينية الصحيحة تقوم على العِلم والذكاء والفِطنة والأخلاق الحميدة ، والقُدرة على التعامل معَ الناس، بشكل عقلاني مُتوازن ، وذلك من أجل جذبهم واستقطابهم ، وإقناعهم بأهمية هذه الدعوة وفائدتها وجَدواها الروحية والمادية . ولكنَّ الدَّعوة النصرانية (المسيحية) تقوم على الجهل والغباء . ولم يتوقف الأمرُ عند هذا الحد ، بل أيضًا الافتخار بالجهل والغباء ، وهذا دليل باهر على بُطلان هذه الدعوة الدينية المُحرَّفة وفسادها وانحرافها عن منهج المسيح .

والنصارى يَعتبرون " بُولُس الرسول " قِدِّيسًا ، وأحد قادة الجيل النصراني الأول ، ويَنظر إليه البعض على أنه ثاني أهم شخصية في تاريخ النصرانية (المسيحية) بعد المسيح نفْسه . ويَعتبره النصارى رسول الأمم ، وأبرز مَن بشَّر بهذه الديانة في آسيا الصُّغرى وأوروبا .

وهذه هي اعترافات بُولُس وكلامه عن نفْسه بلا ضغط ولا إكراه: ((لَيتكم تحتمِلون مِنِّي بَعضَ الغباوة ، بَل إنكم في الواقع تَحتمِلونني)) [الرسالة الثانية إلى كُورِنثُوس ١١: ١] . ((لا يَظُنَّ أحدٌ أني غَبِيٌّ . وإلا ، فاقبلوني ولو كغبيٍّ ، كي أفتخرَ أنا أيضًا قليلًا !)) [الرسالة الثانية إلى كُورِنثُوس ١١: ١٦] . ((ها قَد صِرتُ غَبِيًّا !)) [الرسالة الثانية إلى كُورِنثُوس ١٢: ١١] .

إن الاعتراف سيِّد الأدلة ، وقد اعترفَ بُولُس بنفْسه أنه جاهل وغبي ، ويَفتخر بالغباء . وهذا يعني أن الدَّعوة النصرانية (المسيحية) قامت على أكتاف شخص غبي ، يفتخر بغبائه . وفي هذا دَلالة واضحة على بُطلان الديانة النصرانية (المسيحية) ، لأنها مُؤسَّسة على الجهل والغباء ، وحَمَلَها شخص (بُولُس) لديه مشكلات عقلية وفكرية وأخلاقية . ولا يُوجد عاقل يَفتخر بالغباء . وما بُنِيَ على باطل فهو باطل . وكُل دَعوة دينية يَحملها شخص غبي ، هي دَعوة باطلة وفاسدة .

٩_ التَّمييز العُنصري

نَجَحَ بُولُس في صَهْينة الإنجيل ، وإخضاعه لليهودية ، وجَعْل النصارى تابعين لليهود وخاضعين لهم . وهذا ليس غريبًا ، لأن بُولُس يهودي تستَّرَ بالنصرانية (المسيحية) لإفساد شريعة المسيح ، وتحريفها ، والتلاعب بها ، وقد نجح في ذلك بمساعدة بعض علماء النصارى ، وذلك من أجل تحقيق مصالح مشتركة ، والحصول على مكتسبات مادية وسُلطوية .

في [الرسالة إلى رُوما ١ : ١٦] قال بُولُس : ((فأنا لا أستَحيِي بالإنجيل ، لأنهُ قُدرةُ اللهِ للخَلاص، لكُلِّ مَن يُؤمِن ، لليَهوديِّ أوَّلًا ثُمَّ لليُونانيِّ على السَّواء)) اهـ. أينَ باقي الأمم والشعوب ؟ لماذا لم يتم ذِكرهم ؟ . هذا دليل واضح على أن رسالة المسيح مَحَلِّية وليست عالمية ، وقد اعترفَ بُولُس بذلك ، وأقرَّ بهذه الحقيقة . وعبارةُ " لليهودي أوَّلًا " تدل على أن رسالة المسيح محصورة في بني إسرائيل، ومُخصَّصة لليهود. واستخدام لُبُولُس للعبارة " لليَهوديِّ أوَّلًا ثُمَّ لليُونانيِّ على السَّواء " تدل على أن اليهودي أرقى وأعلى مِن الآخرين ، وأن العنصر اليهودي أسمى وأعظم من كل العناصر الأخرى . وفي هذا دَلالة واضحة على تكريس خُرافة " شعب الله المختار " ، وربطها باليهود حصريًّا . وكُل هذه الأفكار تُشير إلى حِرص بُولُس على تعظيم العُنصر اليهودي ، وتقديس اليهود ، وتقديمهم كسادة البشرية وزعماء الإنسانية ، واحتلالهم للصَّدارة بين الأمم والشعوب . وهذا يكشف المهمة الخبيثة لبُولُس اليهودي المُتستِّر بالنصرانية (المسيحية) .

١٠_ الخمر

الخمرُ هُو كل شراب خامرَ العقلَ وغطَّاه وستره ، وهي أُم الخبائث ، ومنبع الشرور والآثام. وللخمر آثار صحية مُدمِّرة للفرد والجماعة، وآثار اجتماعية تُفتِّت المجتمع، وتقضي على مُنجزاته. فهي _أي الخمر _ تُؤثِّر على العقل، وتُفقد الإنسانَ القُدرةَ على التحكم بالأمور واتخاذ القرارات، وتجعله عاجزًا عن التركيز ، وعن الكلام المنطقي . كما أنها تُسبِّب ارتفاع ضغط الدم ، واضطراب نبضات القلب ، وتشمُّع الكبد . وهي سبب أساسي للإصابة بالسرطان . وكثرةُ شُرب الخمر قد يُؤدِّي إلى الموت المفاجئ . أمَّا آثارُ الخمر الاجتماعية ، فتزيد مِن حوادث القتل والانتحار ، وتُؤدِّي إلى السلوك العنيف للأفراد ، والإصابة بالأمراض التي تحتاج أموالًا كثيرة للعلاج،وهذا يزيد من الإنفاق على الرعاية الصحية . وهذه التكلفة الباهظة يتحمَّلها الفرد والدولة.

وما يُسمَّى بالكتاب المُقدَّس (التوراة / العهد القديم والإنجيل / العهد الجديد) قد أسَّس للانحراف الأخلاقي ، والفساد الاجتماعي ، ودعمَ الانهيار القِيَمي ، وعزَّز المظاهر الشاذة في المجتمع ، وجعل شُرب الخمر رائعًا وجميلًا ومُباحًا ، وأمرَ بذلك . وهذا إفساد للفرد ، وتدمير للمجتمع، واتِّباع للأهواء الذاتية، وتحقيق للمصالح الشخصية،ومحاولة لجذب الجُهَّال والعوام والرَّعاع واستقطابهم ، عن طريق إباحة الحرام ، والسماح بارتكاب المعاصي والآثام والذنوب . وهذا ما تهواه نفوس كثير من الناس .

والنصرانيةُ (المسيحية) لا تُحرِّم أيَّ نوع من الطعام أو الشراب . وفيما يخص الخمر، نرى أن المسيح نفْسه وتلاميذه قد شربوا الخمر . وكانت أُولَى العجائب التي قام بها المسيح حَسَب الأناجيل، أنه قد حوَّل الماء إلى الخمر عندما نَفِدَ في عُرس قانا الجليل . وفي اليوم الأخير من حياته الأرضية ، أخذ كأس الخمر وقدَّمها للتلاميذ قائلًا، هذا هو دمي . وهذا أساس القُدَّاس الإلهيِّ الذي لا يزال النصارى (المسيحيون) يُقيمونه إلى يومنا هذا . وفِيما يخصُّ رجال الدِّين، فقد حرَّمت الكنيسة الأرثوذكسية على رجال الدِّين شُرب الخمر ، استنادًا إلى نظرة العهد القديم (التسمية النصرانية للتَّوراة اليهودية) حول الموضوع، بينما يسمح الكاثوليك وأغلب البروتستانت بذلك، استنادًا إلى توصيات الأناجيل فيما يخصُّ الرُّعاة والكَهَنة، إذ يُطلَب مِن الراعي أن لا يكون مُدْمِنًا للخمر ، وليس غير شارب لها ، غَير أن بعض الكنائس الراديكالية البروتستانتية في أمريكا ، تُحرِّم الخمرَ ، أو تدعو للابتعاد عنه . وقد اختلفَ رجال الكنائس وتناقضوا في موضوع الخمر ، وهذا التناقض إنما هو بسبب تناقض الإنجيل البشري المُحرَّف في موضوع الخمر .

لماذا لم يُحرِّم الإنجيلُ المُحرَّف شُربَ الخمر التي تُمثِّل مصدر الأمراض والشرور وفقدان القوى العقلية؟. وفي التوراة البشرية المُحرَّفة ، قام بعضُ الأنبياء بشرب الخمر ، وقاموا بأفعال سيِّئة وتصرفات قذرة ، فلماذا لم يتم تحريم الخمر من أجل طهارة المجتمع وصلاح الفرد ؟ . هل جاءَ المسيحُ لهداية الناس إلى الإيمان والحق والهدى والفضيلة ومكارم الأخلاق أَم جاء لتعليمهم شُرب الخمر، وتغييب عقولهم ونشر الفساد الاجتماعي والانحلال الأخلاقي ؟ . هل كانت مهمة تلاميذ المسيح إرشاد الناس وتعليمهم رسالة المسيح أَم كانت مهمتهم شُرب الخمر وتعليم الناس كيفية شُربها ؟. لقد حرَّف علماءُ النصارى الإنجيلَ، فصارَ الإنجيل أناجيل كثيرة ومُتناقضة ومختلفة ومتعارضة. وهذا التناقضُ الكُلِّي في الأناجيل والرسائل والأسفار ، انعكسَ على موضوع الخمر ، واختلفَ النصارى وتناقضوا بين تحليل شُرب الخمر وتحريمه .

وللأسف الشديد، إن الإنجيل البشري المُحرَّف القائم على الانحراف الاجتماعي ، والانحلال الأخلاقي،قد دعا إلى شرب الخمر،وعظَّم شأنها.وهذه دعوة واضحة إلى الذنوب والآثام والفُجور.

والديانة النصرانية (المسيحية) الباطلة أباحت الخمرَ ، ودَعَت الناسَ إلى شُربها ، لإفساد عقولهم، وتحطيم الفرد ، وتدمير المجتمع ، وتفتيت الحضارة الإنسانية . وهي تعتمد على ما يلي:

أ _ تحويل المسيح الماء إلى خمر في عُرس قانا الجليل [يُوحَنَّا ٢ : ٩ _ ١١] . وقد اعتبرَ النصارى أن هذه مُعجزة إلهية جرت على يد المسيح . وهذا ضلال واضح ، لأن المُعجزة يُجريها اللهُ على يد النبيِّ لإثبات صِدقه وصِحَّة رسالته ، وليس لتحويل الماء إلى خمر ، وإفساد عقول الناس ، وإضلالهم . والعقلُ مَناط التَّكليف . وإذا زالَ العقلُ ، بَطَلت أحكامُ الشريعة . والخمرُ تُزيلَ العقلَ ، وتُحطِّمه ، وتُلغي دَوره . والعقلُ هو أهم مُكوِّنات الإنسان ، وما يُميِّزه عن الحيوانات والدواب . وهذا يُشير إلى أن الديانة النصرانية الباطلة قائمة على تغييب العقل وإلغائه . والمُضحك المُبكي أن علماء النصارى يَعتبرون الماء المُتحوِّل إلى خمر إنما يرمز للامتلاء بالرُّوح القُدُس . وهذا ضلال واضح، وانحراف عن المنهج الصحيح ، لأن شعائر الدين الصحيح لا ترتبط بالأشياء الفاسدة ، ولا تُشبَّه بالأمور الباطلة . والخمرُ رِجْس مِن عمل الشَّيطان ، وتُفسِد العقلَ ، فكيفَ تُصبح رمزًا للامتلاء بالرُّوح القُدُس ؟ . هل انتهت الرموز الدينية حتى يتم التشبيه بالخمر ؟.

ب _ هناك قاعدة إنجيلية اخترعها بُولُس اليهودي ، وهي " قليل من الخمر يُصلح المعدة " . وقليلُ الخمر يجرُّ إلى كثيرها . وفي الحلال ما يُغني عن الحرام ، وما أسكرَ كثيرُه ، فقليله حرام . وينبغي سَد الذرائع المُوصلة إلى الحرام والذنوب والآثام والمفاسد . ومصدرُ هذه القاعدة البُولُسِيَّة هو النص الإنجيلي في[الرسالة الأولى إلى تِيمُوثاوُس ٥ : ٢٣] حيث يقول بُولُس : ((لا تشرب الماءَ فقط بعد الآن. وإنما خُذ قليلًا من الخمر مُداويًا مَعِدَتَكَ وأمراضَكَ التي تُعاودكَ كثيرًا)) اهـ .

إن بُولُس اليهودي ساهمَ في تحليل الخمر ، وتشريع شُربها . وهذا غير مُستغرب على بُولُس ، الذي اعتبرَ نَفْسَه صاحب الحق في التشريع ، ووضعَ أحكامًا ، واخترعَ شرائع ، وابتكرَ عقائد ، لتحقيق مصالح شخصية ، وضمان تثبيت سُلطته ورئاسته وزعامته على الناس من أجل استغلالهم .

والخمرُ داء لا دواء . والداءُ لا يُمكن أن يكون دواءً بحال مِن الأحوال . وهذا يُذكِّرنا بقول أبي نُوَاس (أبرز شعراء الخمر في الأدب العربي) الذي قضى حياته فاسقًا ماجنًا شاربًا للخمر :

دَعْ عَنكَ لَوْمي فإنَّ اللومَ إغراءُ   وَدَاوِني بالتي كانتْ هِيَ الدَّاءُ

إن الشاعر يُوجِّه هذا البَيْت إلى مَن لامه على شرب الخمر ، فيقول به : ابتعد عن لَوْمي ، ولا تُعاتبني ، فإن لَوْمَكَ لي لا يَنفع ، وعِتابك لي لا يُفيد . ولَوْمُك الشديد يزيدني عِشْقًا للخمر ، ورغبةً فيها ، وحِرْصًا عليها . وكُلما عاتبتني على شُرب الخمر ، أقبلتُ عليها ، وشربتُها أكثر . فالخمرُ دائي ودَوائي ، ومرضي وعلاجي ، لأن الشاعر يعتبرها طاردةً للهموم ، ومُزيلة للأحزان ، وباعثة للفرح والسرور . وكُل هذا مصدره أنها تُزيل العقلَ ، وإذا زالَ العقلُ سَبَحَ الإنسانُ في الخيال والأحلام والهواجس ، وهربَ مِن واقعه ، وابتعد عن حياته الحقيقية . وهذا الوهمُ قاتل .

والخمرُ داء ، ولا يُمكن أن تكون دواءً . وهي مرض ، ولا يُمكن أن تكون علاجًا للأمراض . ولا يجوز التداوي بالخمر حتى عند الضرورة . فهي داء لا دواء . وقد قال النبيُّ محمد ﷺ عن الخمر:((إنه ليس بدواء ، ولكنه داء))[٢٦٥]. وكُل شيء حرَّمه اللهُ ، فلا شفاء فيه ولا صلاح . وكُل مريض يتصوَّر أن الخمر هي دواؤه وعلاجه ، فهو واهم ، ويغرق في الخيالات المَرَضِيَّة . والأدويةُ كثيرة ومُتنوِّعة (معنوية ومادية). والجديرُ بالذِّكر أن الشَّافي مِن المرض هو الله ، وليس الدواء .

ج ـ إن الكنيسة تستخدم الخمرَ في التناول . وهذا دليل على أن النصرانية (المسيحية) تُبيح شُرب الخمر .

إن اختلاف أهل الكتاب (اليهود والنصارى) وتناقضهم في قضية " شرب الخمر " هو انعكاس لتحريف التَّوراة والإنجيل ، وتناقض نصوصهما ، واختلافهما ، وتضاربهما .

في [أمثال ٢٣ : ٢٠]: ((لا تكن بين شِرِّيبي الخمر بين المُتلفين أجسادَهم)) اهـ . هذا النص التوراتي يُثبِت أن شرب الخمر يُتلف جسدَ الإنسان ، ويضرُّه ، ويُؤذيه . وما أضرَّ الإنسانَ فهو مُحرَّم . وفي [لُوقَا ١ : ١٥] : ((وسَوفَ يكون عظيمًا أمامَ الرَّب ، ولا يَشرب خَمرًا ولا مُسكِرًا)) اهـ . المقصود بهذا النص هو النبيُّ يحيى (يُوحَنَّا المَعمَدان) . سَوْفَ يكون عظيمًا وشريفًا وصاحب مكانة جليلة ومنزلة رفيعة ، ولا يَشرب خمرًا ولا مُسكِرًا . وهذا يدل على أن شُرب الخمر مُحرَّم ومَذموم، وشاربها سيِّئ ومذموم. ومَن شربَ الخمرَ لن يكون عظيمًا أمام الرب ، وهذا يدل على حُرمة شُرب الخمر (مُجرَّد شُربها) ، فما بالك بالوصول إلى حالة السُّكْر ؟! .

---

٢٦٥ رواه مسلم(٣/ ١٥٧٣) برقم(١٩٨٤).وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم(١٣/ ١٥٣): ((هذا دليل لتحريم اتخاذ الخمر وتخليلها . وفيه التصريح بأنها ليست بدواء ، فيحرم التداوي بها ، لأنها ليست بدواء ، فكأنه يتناولها بلا سبب)) .

ولكن في [نشيد الأنشاد ٥ : ١] : ((كُلُوا أيها الأصحابُ اشْرَبُوا واسكَرُوا أيها الأحِبَّاء)). هذا النص التوراتي يدعو إلى شُرب الخمر والسُّكْر ، ولا يُمكن أن يكون هذا النص التوراتي كلام الله ، ولا كلام مُوسى الذي نزلت عليه التَّوراة . إن الله أرسلَ مُوسى وعيسى إلى بني إسرائيل لهدايتهم إلى توحيد الله ، ومعرفة الحق والصواب ، وليس لإضلالهم ، وتغييب عقولهم بالخمر والمُسكِر. وهكذا ، يتَّضح التعارض والتناقض والاختلاف والتضارُب في نصوص التوراة والإنجيل، مِمَّا يدل على تحريفهما، والتلاعب بنصوصهما، والكذب على مُوسى وعيسى _ عليهما السلام_.

١١_ طبيعة السُّلطة السياسية

في [مَرْقُس ١٢ : ١٧] : ((أَعطوا ما للقَيصر للقيصر ، وما لله لله !)) اهـ . هذا النص الإنجيلي اعتمدَ عليها العَلمانيون لتحليل العَلمانية وشَرْعنتها، وتكريس الفصل بين الدِّين والدَّولة ، والإعراض عن تطبيق الشريعة على أرض الواقع ، والهروب من الحياة ، وترك الدنيا للحُكَّام ، والتركيز في ملكوت السماوات ، باعتبار أن مملكة المسيح في السماء ، وليس في الأرض . والحقُّ الذي لا شَك فيه أن الأمرَ كُلَّه لله ، واللهُ مالك الدنيا والآخرة معًا . ولا يُمكن أن يَدعوَ المسيحُ لفصل الدِّين عن السياسة ، أو فصل الشريعة عن الحياة الدنيا ، لأن كُل شيء خاضع لأحكام الشريعة الإلهية . وهذا النص الإنجيلي المنسوب للمسيح ، يعني أن القيصر شريك لله ونِد له في مُلْكه ، وتَمَّ تقسيم العالَم إلى قِسْمَيْن : واحد للقيصر ، والثاني لله . وعلى الإنسان أن يَقسِم أعماله بين القيصر والله . وهذا باطلٌ ومرفوض ، ويدل على تحريف الإنجيل ، وتغيير نصوصه بحيث تُؤيِّد القَيصر ، وتَمنحه سُلطات إلهية ، وتجعله شريكًا لله في مُلكه وملكوته وكَوْنه. مِمَّا يدل على أن أحد أسباب تحريف الإنجيل هو تعظيم الحُكَّام والطغاة ، والخضوع لهم ، وشَرْعنة أفعالهم باستخدام الدِّين . وهذا هو النفاق وأكل الدنيا بالدين في أبشع أشكاله وصُوَره .

وفي [الرسالة إلى رُوما ١٣ : ١و٢] قال بُولُس : ((على كُلِّ نفْس أن تَخضع للسُّلطات الحاكِمة . فلا سُلطة إلا من عِند الله ، والسُّلطاتُ القائمةُ مُرتَّبة مِن قِبَل الله . حتى إنَّ مَن يُقاوِم السُّلطةَ ، يُقاوِم ترتيبَ الله)) اهـ . هذه هي الفلسفة الجَبْرية في المنظور الإنجيلي ، التي ترى أن إرادة الإنسان العاقلة عاجزة عن توجيه مَجرى الحوادث،وغير قادرة على تغيير الواقع ، ولا تستطيع تبديل الظروف ، وأن كل ما يحدث للإنسان قد قُدِّرَ عليه في الأزل ، فهو مُسيَّر لا مُخيَّر ، وهو ريشة في مهب الريح ، بلا إرادة ولا مشيئة ولا قُدرة على التغيير والتبديل .

والهدفُ مِن الفلسفة الجَبْرية هو شَرْعنة الاستبداد السياسي ، وتكريس سُلطة الحُكَّام باعتبارها سُلطة إلهية ممنوحة لهم مِن قِبَل الله ، فلا يَجوز مُنازعتهم فيها ، لأن الله هو الذي وضع الحُكَّامَ ، ونصَّبهم على الناس ، ومَن قاومَ الحُكَّامَ ، فقد رَفَضَ أمرَ الله ، وقاومَ الشريعةَ الإلهية . وهذا ترسيخ للذُّل والخضوع والاستسلام . والسُّلطة السياسية بحاجة إلى شرعية دينية ، لذلك وَجَدَ الحُكَّامُ والطغاة والسياسيون ضَالَّتهم في رجال الدِّين الفاسدين ، الذين باعوا دِينَهم مِن أجل حُطام الدنيا الفاني ، وتلاعبوا بالنصوص الدينية مِن أجل إثبات أن الحاكم قد وَصَلَ إلى سُدَّة الحُكم بأمر الله وإرادته ومشيئته ، ومَن رَفَضَ أمرَ الحاكم ، فقد رَفَضَ أمرَ الله . وهذه القداسة الدينية الوهمية يتم استخدامها كسلاح لحماية الحكام والطغاة ، وتكريس حُكمهم وظُلمهم وفسادهم ، وشَرْعنة استغلالهم للناس ، وسرقة ثروات البلاد . وشيئًا فشيئًا ، يُصبح الحُكم السياسي شريعةً سماوية ، ولا يَجوز مُقاومته ، ولا نقده ، ولا مُساءلته ، ولا مُحاسبته . وبُولُس اليهودي قد نافقَ السُّلطات، وتلاعبَ بالنصوص الدينية لإرضاء الحُكَّام والطغاة . وهذا انحراف واضح عن منهج المسيح .

وبما أن الإنجيل كتاب بشري متناقض ، يَهدم نَفْسَه بنفْسه ، وما يُثبته في نَص ، يَنفيه في نَص آخر ، كان لا بُد من ظُهور الاختلاف والتعارض والتناقض . وفي [الرسالة إلى أفَسُوس ٦: ١٢] قال بُولُس : ((فإن حَربَنا لَيست ضِدَّ ذوي اللحم والدم ، بل ضِدُّ الرئاسات ، ضِدُّ السُّلطات ، ضِدُّ أسيادِ العالَم حُكامِ هذا الظلام ، ضِدُّ قِوى الشر الروحية في الأماكن السماوية)) اهـ .

هذا النص الإنجيلي الثَّوري، يتحدَّى الظلم، ويَصطدم بالحُكَّام ، ويُكرِّس الصراعَ مع السُّلطات السياسية . وقد بيَّن بُولُس أن الحرب ليست ضِد الناس ذوي اللحم والدم ، بَل ضِد الرئاسات والزعامات والسُّلطات وأسياد العالَم حُكَّام الظلام، والطغاة، والمُستبدين ، والفاسدين وقوى الشر.

لقد غيَّر بُولُس كلامَه ومواقفه ، وانقلبَ على نفْسه بشكل كامل . وهذا التناقض في الإنجيل ، يدل على تحريف نصوصه، كما يدل على أن بُولُس شخص مُنافق ، ومُتلوِّن ، ومُخادع . يَلبس لكل حالة قناعَها، ويُغيِّر جِلْدَه باستمرار، ويُبدِّل مُعتقداته وأفكاره حَسَب مصالحه الشخصية. وهذا ليس غريبًا على بُولُس اليهودي المُنافق الذي يقول في [الرسالة الأُولى إلى كُورنثُوس ٩: ١٩_ ٢١]: ((فمعَ أني حُرٌّ من الجميع، جعلتُ نفْسي عبدًا للجميع، لأكسِبَ أكبرَ عددٍ مُمكن منهم . فصِرتُ لليهود كأني يهوديٌّ، حتى أكسِبَ اليهود ، وللخاضعين للشريعة كأني خاضعٌ لها _ معَ أني لستُ خاضِعًا لها_حتى أكسِبَ الخاضعين لها ، وللذين بِلا شَريعة كأني بِلا شريعة _ معَ أني لَستُ بِلا ناموسٍ عِند الله بل أنا خاضِعٌ لناموس مِن نَحو المسيح _ حتى أكسِبَ الذين هُم بِلا شريعة)).

توماس بين ونقد المسيحية [٢٦٦]

كان الفيلسوف والمُنظِّر السياسي الأمريكي توماس بين (١٧٣٧ م _ ١٨٠٩ م) مُعْجَبًا بالمسيح كرجل فاضل ودود ، وكان مُقتنعًا أن الأخلاق والقيم اللتين بشَّر بهما وطبَّقهما كانتا خَيِّرتين إلى أقصى حَد، لكن حكاية كَونه " ابن الله " لَيست سِوى خرافة مشتقة من خرافة شائعة بين الوثنيين . إذ يكاد كل الرجال المميَّزين الذين عاشوا في ظل الميثولوجيا الوثنية قد كرَّروا الزعم بأنهم أبناء الآلهة. لقد كان اتصال الأرباب (الآلهة) اتصالًا جنسيًّا بالنساء رأيًا شائعًا بين الناس . فالرب جوبيتر _ في زعمهم _ قد تعايش مع كثيرات عيشة الأزواج ، وعلى هذا فحكاية أن المسيح ابن الله ليست جديدة ولا غريبة ولا مُدهشة ولا فاحشة ، وإنما هي مُجرَّد فكرة كانت موجودة بالفِعل ومُريحة ومُتماشية مع آراء وعقول غير اليهود،ولأنها كانت منتشرة بينهم فهم وَحْدَهم الذين آمنوا بها . أمَّا اليهود الذين احتفظوا بالإيمان بإله واحد لا شريك له ، فكانوا يرفضون دائمًا الميثولوجيا الوثنية ، ولَم يُوافقوا على حكاية أن المسيح هو ابن الله . وعلى هذا ، فالميثولوجيا المسيحية ليست سوى الميثولوجيا الوثنية في شكل جديد . إنها لا تعدو كَونها تَكْرارًا للميثولوجيا الوثنية . وفكرةُ التثليث أو وجود أرباب (أقانيم) ثلاثة التي ظهرت بعد ذلك ليست سوى تخفيض أو تنقيص للتعددية السابقة التي كانت تقول بوجود نحو عشرين ألف أوثلاثين ألف رَب. وقد حَلَّ تمثال مريم العذراء محل تمثال ديانا الإفسوسية ، وحَلَّ تطويب القِدِّيسين (التَّطويب: ضَم شخص إلى قائمة القديسين) محل تأليه أو تعظيم الأبطال . فالمؤمنون بالأساطير (الميثولوجيون) لديهم آلهة (أرباب) لكل شيء ، والمسيحيون المؤمنون بالأساطير عندهم قِدِّيسون لكل شيء ، وأصبحت الكنيسة مزدحمة بهم كما كان البانثيون مُزْدَحِمًا بالآلهة. والبانثيون مبنى كبير في رُوما ،كان يُمثِّل معبد كُل الآلهة . والعقيدةُ المسيحية لا تختلف إلا قليلًا عن وثنية الميثولوجيين القدماء بعد تحويرها (أي العقيدة المسيحية) لتخدم أغراض السُّلطة والدَّخل (الاقتصاد). وإن الميثولوجيا المسيحية قد أضفت على الشيطان شرفًا كبيرًا. إنها تفترض أن الشيطان أجبرَ اللهَ على إرساله ابنه المسيح لِيُصْلَب ، ويُحرِّر الناس من الخطيئة . وبَقِيَ على العقل والفلسفة أن يُبطلا هذا الدَّجل المُبْهَم .(هذه هي الرؤية الدينية العامة لبين وتفاصيل عقيدته).

---

٢٦٦ من كتاب/حياة الأدباء والفلاسفة العالميين، إبراهيم أبو عواد، ص ٢١٦. دار الأيام للنشر والتوزيع.

الاختلافات بين الطوائف المسيحية الكُبرى

مِن موقع الأنبا تَكلا هيمانوت (تراث الكنيسة القبطية الأرثوذكسية)

بعد مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ ، حدث أن آمن بعض المسيحيين بأمور جديدة لم تكن من ضمن الإيمان القديم السابق ، فانشقُّوا قِسْمَيْن : الأرثوذكس (التقليديون)، وهُم مَن استمروا على السابق، وحافظوا على نفْس التقليد القديم، والإيمان الأول . والكاثوليك، وهم مَن آمنوا بما هو جديد. أمَّا البروتستانت، فقد انشقوا عن الكاثوليك في القرن السادس عشر، ويُعتبرون مسيحيين في الإجمال ، لأنهم يؤمنون بالعقائد الأساسية ، ولكنهم لا يؤمنون بالعديد من الأسرار الكنسية، والطقوس، والصلوات المُرتَّبة من الكنيسة، والمعمودية، والتقليد المُقدَّس ، ورفضوا بعض أسفار الكتاب المُقدَّس، والعديد من العقائد ، مع أخطاء في صُلب العقيدة المسيحية مثل بِدعة الطبيعتين والمشيئتين، وقَضَوا على الصِّيام والرَّهبنة والشفاعة وإكرام القِدِّيسين.وتركيزهم على موضوع الإيمان، وتجاهل الأعمال ، ... إلخ ، وأصبحوا بروتستانت ، أي : مُعترضون .

١_ المَعمودية

أ _ الأرثوذكس : سِر يحصل به المُعمَّد على نِعمة الميلاد الجديد . وهو باب كُل الأسرار ، ويتم بالتَّغطيس للصغار والكبار ، ومادة السر الماء .

ب_ الكاثوليك : يجوز العماد بالرش أو السَّكب .

ج _ البروتستانت : ليس سِرًّا مُقدَّسًا ، بل علامة يجوز ممارستها بالرش أو التغطيس . والمعمودية التي يَعترفون بها هي معمودية الرُّوح القُدُس بدون ماء .

٢_ الميرون (طِيب مُقدَّس)

أ_ الأرثوذكس : سر الميرون ينال به المُعمَّد نِعمة الرُّوح القُدُس ، ومادة السر الزيت ، ويُرشَم به أعضاء الجسم ٣٦ رشمة .

ب_ الكاثوليك : مِثل الأرثوذكس ، إلا أن ممارسته تكون في السن بين ٧ _ ١٢ سنة .

ج _ البروتستانت : لا تؤمن به ، إلا بعض طوائفها ، ولا يتم بالزيت ، بل بوضع اليد .

٣_ الاعتراف

أ_ الأرثوذكس : سِر ينال به المُعترف الحل من خطاياه إذا تاب عنها ، واعترفَ بها .

ب_ الكاثوليك : كانت هناك صُكوك غُفران ، تُباع وتُشترَى عن الخطايا السابقة والحالية في العصور الوُسطى ، ويتم السر وراء الستار .

ج _البروتستانت:لا اعتراف إلا أمام مَن أخطأ المؤمن له،أو أمام الكنيسة كُلها أو أمام الله مُباشرة.

٤_ التناول

أ_ الأرثوذكس : جسد ودم حقيقيان للسيد المسيح بعد حُلول الرُّوح القُدُس على الخُبز والخمر . ولا يجوز استخدام فطير مختمر ولا يجوز إقامة أكثر من قُدَّاس على مذبح واحد ، إلا بعد مرور تسع ساعات . ويُشترط الصوم الانقطاعي قبل التناول .

ب_ الكاثوليك: مُنذ القرن الحادي عشر، بدؤوا استخدام الفطير ، ويُمنع الشعب من تناول الدم، ويُمكن عمل أكثر من قُدَّاس على مذبح واحد ، ولا يشترط الصوم قبل السر .

ج _ البروتستانت: السِّر للذِّكرى فقط، وليس هو تحوُّل من الخبز والخمر إلى جسد الرب ودمه.

٥_ الشفاعة

أ_ الأرثوذكس: تؤمن بشفاعة المسيح الكَفَّارية عنهم لدى الآب. وتؤمن بشفاعة القِدِّيسين عنهم لدى ربهم يَسوع المسيح . ويُكرمونهم من خلال الأيقونات وحفظ أجسادهم وعمل التماجيد لهم.

ب_ الكاثوليك : مثل الأرثوذكس ، إلا أنهم يُكرمون القِدِّيسين من خلال تماثيل بالإضافة إلى الأيقونات .

ج _ البروتستانت : يؤمنون بشفاعة المسيح الكَفَّارية فقط، ويُنكرون شفاعة العذراء والقِدِّيسين .

٦_ الرُّوح القُدُس

أ_ الأرثوذكس : مُنبثق من الآب .

ب_ الكاثوليك : مُنبثق مِن الآب والابن .

ج _ البروتستانت : منبثق من الآب والابن .

٧ _ طبيعة المسيح

أ_ الأرثوذكس : طبيعة واحدة لله ، الكلمة المُتجسِّد .

ب_ الكاثوليك : طبيعتان للمسيح .

ج _ البروتستانت : طبيعتان للمسيح .

٨_ التقليد

أ_ الأرثوذكس : تُؤمن بالتقليد .

ب_ الكاثوليك : تؤمن بالتقليد الكنسي ، ولكنها تُضيف قوانين نَسَبَتْها إلى الرُّسل وآباء الكنيسة الغربية والمجامع المحلية .

ج _ البروتستانت : لا تؤمن بالتقليد الكنسي .

٩_ المجيء الثاني

أ_ الأرثوذكس : مجيء ثانٍ علني في الدَّينونة .

ب_ الكاثوليك : مِثل الأرثوذكس .

ج_ البروتستانت : المجيء الثاني على دفعات ، منها مجيء المسيح ليملك ألف سنة على الأرض ، ثُم الدَّينونة .

١٠_ الدَّينونة

أ_ الأرثوذكس : أبدية للأبرار في الملكوت ، وأبدية للأشرار غير التائبين في الجحيم .

ب_ الكاثوليك : يعترفون بالمَطهَر ، يتعذَّب فيه المؤمن على قَدْر خطاياه ، ثُم يدخل الملكوت.

ج _ البروتستانت : مِثل الأرثوذكس .

١١_ مريم العذراء

أ_ الأرثوذكس : وارثة لَخَطِيَّة آدم مثل سائر البشر ، وتحتاج لخلاص المسيح ، ولكنها وَلَدَتْهُ ، ولها كرامة عظيمة .

ب_ الكاثوليك : مَولودة دون أن تَرِث الخَطِيَّة الأصلية ، ولا تحتاج لخلاص المسيح ، ويَكادون يَعبدونها .

ج _ البروتستانت : يُنكرون لقب والدة الإله ، وشفاعة العذراء ، ويُنكرون دوام بُتوليتها .

***

مقاطع مُختارة من كتاب / قصص الأنبياء

(للأستاذ / عبد الوَهَّاب النجار)

١_ عيسى عليه السلام ، هو عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، ورُوح مِنه . وهو آخر أنبياء الله ورُسله من بني إسرائيل ، كما أن آخر الأنبياء والرُّسل من بني الإنسان جميعًا محمد رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

٢_ ذُكِرَ اسمه في القرآن بلفظ المسيح تارة ، وهو لقب له ، وبلفظ عيسى ، وهو اسمه العلمي ، وهو بالعِبرية (يَشوع) أي : المُخلِّص ، إشارة إلى أنه سبب لتخليص كثيرين من آثامهم وضلالهم، وبكُنيته (ابن مريم) تارة أخرى .

٣_ إن النصارى إذا ذَكروا نَسَبَ المسيح ، فإنما يَذكرون نسب يُوسُف النجار بناءً على أن المسيح كان يُدعَى يَسُوع بن يُوسُف النجار . أمَّا يُوسُف النجار فهو شاب صالح من شُبَّان اليهود من قوم مريم . وكانت مريم مخطوبة ليُوسُف قبل أن تحمل بالمسيح . ولَمَّا وُجِدت حاملًا أسرَّ في نفْسه أن يتركها ، ولا يُشهِّر بها ، لأنه كان بارًّا ، فأُمِر في منامه بإمساكها لأنها بريئة من الدَّنَس . [هذه التفاصيل حَسَب رواية الإنجيل] .

٤_ اختلفَ المسيحيون في نَسَب المسيح ، الذي هو نسَب يُوسُف النجار اختلافًا ظاهرًا لا مفر للمُطَّلع عليه من الحُكم بتناقض كُل مِن مَتَّى ولُوقَا في ذلك النَّسَب ، وهُما المنفردان بذِكره من بين سائر مَن كتبوا الأناجيل .

٥_ أخبرَ المَلَكُ جِبريل (رُوح القُدُس) مريمَ أن ابنها يُسمَّى المسيح عيسى بن مريم ، وأنه يكون وجيهًا في الدنيا والآخرة ، وأنه يكون من المُقرَّبين ، وأنه يُكلِّم الناس في المهد وكهلًا ، للإشارة إلى أنه يُكلِّمهم في المهد بكلام إنما يَصدر مِثْلُه مِمَّن كان كَهْلًا ، وأن الله سيُعلِّمه الكتابَ والحكمة والتوراة ، ويُعطيه الإنجيل أي البشارة ، وأنه سيكون آية للناس على قدرة الله تعالى ، ورحمة منه لعباده ، إذْ نَصَبَ لهم به سبيلَ الخلاص مِمَّا هُم فيه من أحوال يتركسون فيها ، إذْ كان اليهود قد صاروا إلى المادية ، وتجاوزوا حدودَ الله ، ولم يُراعوا كتابه ، فأحَلُّوا حَرَامَه ، وحرَّموا حَلالَه ، فجاء لهدايتهم وردِّهم عن ضلالهم .

٦_ المسيح في العِبرية يُطلَق بالاشتراك على النبيِّ والمَلِك ، وليس المراد أن سيصير مَلِكًا على بني إسرائيل ، بل هو اسم ، كما تُسمِّي ولدك " سُلطان " أو " أمير" . وقد يكون المراد أنه يأتيهم

بمملكة الأخلاق والفضائل والرحمة ، وأنه يكون في هذه الفضائل رأسًا . وقد يكون المراد بِكَوْنه مسيحًا أنه يكون نبيًّا .

٧_ لم يتكلَّم من أصحاب الأناجيل عن الحمل بالمسيح سوى مَتَّى ولُوقَا .

٨_ لا يُمكنني أن أفهم أن حادث حمل مريم يمر بين اليهود دون أخذ ورد ، وطلب محاكمة ، ولا يُعقَل أنهم صدَّقوها في دَعواها أن ذلك حصل بفِعل الله دون أن يكون لإنسان دخل فيه بمُجرَّد قولها . وقد سكتت الأناجيل عن ذلك ، وإنما ذكره القُرآن فقط . والظاهرُ من عبارة القُرآن أنهم رَمَوْها بالزنا ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَبِكُفْرِهِم وَقَوْلِهِم عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ .

٩_ في شريعة اليهود أن الطفل يُختَن بعد ثمانية أيام من ولادته ، كما أمرَ اللهُ إبراهيمَ بذلك ، وقد خُتِن المسيح لَمَّا تمَّ له ثمانية أيام . وخِتانه لم يُذكَر في القرآن الكريم ، وإنما ذُكِرَ في إنجيل لُوقَا.

١٠_ حكاية المجوس ويَسوع انفردَ بها مَتَّى مِن بين الأربعة ، وذكَرَها بَرنابا في إنجيله . ويَظهر لي أنه مصنوعة . فما شأن المجوس بالمسيح ؟ . وكيفَ يسير النجمُ أمامهم يهديهم ؟ وَلِمَ جاء بهم إلى أورُشَليم ، ولم يذهب بهم إلى بيت لحم ؟ . وهذه الحكاية لها نظائر في كتب أهل الأوثان .

١١_ سكتت الأناجيل عن المسيح من عهد أن كانت سِنُّه اثنتي عشرة سنة إلى أن بلغ تسعًا وعشرين . فأينَ كان يَسوع في هذه المدة وهي سبع عشرة سنة ؟ .

١٢_ أين يوجد اليوم إنجيل المسيح الذي ذَكَرَه القُرآن الكريم ؟ . إن الإنجيل الذي أتى به المسيح ، وسلَّمه إلى تلاميذه ، وأمرهم أن يُبشِّروا به ، لا يوجد الآن ، وإنما توجد قصص ألَّفها التلاميذ وغير التلاميذ ، لم تَسْلَمْ من المسخ والتحريف بالزيادة والحذف .

١٣_ إن المسيح جاء إلى أصحابه بكتاب هو الإنجيل ، ولكن الناس على مَر الزمان تركوا ذلك الإنجيل . وترتَّبَ على ذلك ضياعه واستمساكهم بكتب ألَّف بعضَها تلاميذُ المسيح ، وبعضها ألَّفها تلاميذ تلاميذه ، أو مَن بعدهم . وقد كثرت الأناجيل كثرة فاحشة حتى أربت على المائة .

١٤_ معلوم أن الكنيسة رفضت ما يُخالف رغبتها ، وأقرَّت الأناجيل الأربعة المعروفة اليوم على ما هي عليه من انقطاع السند ، وعدم العِلم التام بالمؤلف الحقيقي أو المترجم ، ومبلغ أمانته على الدِّين ، وحِرصه على الصدق ، وعلى ما بينها من الاختلاف الحقيقي المُفضي إلى أن أحد الأقوال صادق ، وما عداه كاذب .

١٥_ جاء المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام لمهمة سامية ، ذلك أن بني إسرائيل قد طال عليهم الأمد ، فقست قلوبهم ، وحرَّفوا شريعة الله التي جاءهم بها موسى عليه الصلاة

والسلام ، وانحرفوا عن الطريق الواضح ، وما أقامهم عليه الأنبياء من السبيل السَّوِيِّ ، وخرجوا إلى الإفراط والتفريط . فمن إفراطهم في مُراعاة التوراة وإخراجها عن روحها المُراد لله تعالى ، أنهم كانوا يتحرَّجون من عمل الخير في السبت باعتباره يوم عُطلة لا يجوز العمل فيه ، ففوَّتوا طاعات كثيرة تُوجب الزُّلفى إلى الله بتلك الحُجَّة ، والله إنما يُريد الكف عن الأعمال الدُّنيوية . وأمَّا فِعل الخير فإنه لا حرج فيه ، وليس من الأفعال المنهي عنها ، لذلك جاء المسيحُ ليرد اليهود عن ذلك التَّنَطُّع المُفضي إلى تعطيل الخير في ذلك اليوم . ومِن تفريطهم تهالكهم على المادة ، واستغراق حب المال تفكيرهم ، فكانوا يُحرِّضون الفقراء والمحتاجين على النذر للهيكل ليحتووا على ذلك المال. والناذرون والباذلون في أشد الحاجة إلى بعض ما يَبذلون ، يصرفونه على أنفسهم وعيالهم وآبائهم وأمهاتهم ، فأرادَ المسيحُ أن يُخفِّف من هذه الأنانية في الكهنة ورجال الدين.

١٦_ مِن الأغراض السامية التي جاء بها المسيح لتقريرها وإذاعتها بين اليهود وغيرهم : البشارة باقتراب ملكوت السماوات . والمراد بذلك الشريعة الإلهية التي يُرسل اللهُ بها النبيَّ الأُمِّيَّ ، محمد عليه الصلاة والسلام .

١٧_ إذا نظرنا إلى ما جاء به المسيح ، لم نجده سوى عظات ونصائح وحِكَم وأمثال ، يريد بذلك توجيه نظر الجماهير من اليهود إلى إخلاص العبادة لله تعالى ، والتخفيف من مادياتهم التي غرقوا فيها إلى آذانهم ، وترك الرياء والنفاق ، وأن يلتبسوا بروح الدين الذي ورثوه عن موسى كما جاءهم، وأن يُطْلقهم من إسار الكهنة الذين يُعوِّجون الشريعة ، ويتَّخذونها مُسْتَغَلًّا لإشباع جشعهم، ويُحرِّفونها عن مواضعها إرضاءً لشهواتهم ، ويُبشِّرهم باقتراب ملكوت السماوات ، أي الشريعة الإلهية الدائمة ، وبمجيء محمد ﷺ .

١٨_ لم يُلِم الإنجيلُ بشيء من الأحكام إلا في القليل النادر ، كوجوب الاقتصار على زوجة واحدة ، وعدم تزوُّج مَن طلَّق امرأة بامرأة سواها ، وعدم تزوُّج المُطَلَّقة بآخَر ، وعدم جواز الطلاق إلا بِعِلَّة الزنا . وأمرَ بالعِفَّة ، وبالغَ في ذلك ، ونهى عن الأخلاق الرديئة كالمكر والخداع ، وأكل الأموال بغير حق ، والرياء والنفاق ، وشدَّد النكير على المُتَّصفين بالأخلاق الرديئة من اليهود والكَتَبة، وأفاض في ذلك إفاضة عظيمة.ولو أن إنجيل المسيح وصل إلى الناس كما كتبه (وهو ﷺ لا يكتب إلا ما نزل إليه) لكان ذلك الكتاب من أهم الكنوز وأغلاها قيمة .

١٩_ لم يُكتَب شيء من الأناجيل في زمان المسيح ، ولكن بعد انتهاء أمر المسيح بالخاتمة التي انتهى بها ، قام بعض التلاميذ وتلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم وكتبوا قصصًا كثيرة . وكل واحد يُسمِّي

ما كتبه إنجيلًا ، حتى لقد قيل إن الأناجيل بلغت نَيِّفًا ومائة إنجيل . بعد أن أفاق المسيحيون من الاضطهادات التي كانت تتوالى عليهم ، نظروا في تلك القصص ، واختارت الكنيسة من بينها القصص التي لا تتعارض مع نزعتها ، وسلَّمت بها ، وجعلتها قانونية ، ولم تكترث لما بين مضامينها من التخالف والتناقض ما دام ذلك لا يُخالف المنزع العام الذي قصدته الكنيسة .
والأناجيل جميعها منقطعة السند ، ولا توجد نسخة إنجيل بخط تلميذ من تلاميذ ذلك المؤلف .

٢٠_ هاكم بعض ما كتبه الفاضل المرحوم رحمة الله الهندي وغيره عن الأناجيل الأربعة _ جاء في صفحة ١٦١ ج أول وما بعدها ، من كتاب إظهار الحق ، ما يأتي : الإنجيل الذي يُنسَب إلى مَتَّى الآن ، وهو أول الأناجيل وأقدمها عندهم ، ليس من تصنيفه يقينًا . بل ضيَّعوه بعدما حرَّفوه، لأن قدماء المسيحية كافة ، وغير المحصورين من المتأخرين ، على أن إنجيل مَتَّى كان باللسان العِبراني ، وهو ضاع وفُقِد ، بسبب تحريف بعض الفِرَق المسيحية . والإنجيل الموجود الآن ترجمته، ولا يوجد عندهم إسناد هذه الترجمة ، حتى لا يُعلَم اسم المترجم أيضًا باليقين إلى هذا الحين ، كما اعترف به جيروم من أفاضل قدمائهم ، فضلًا عن عِلم أحوال المترجم .

٢١_ قال بُطرُس قرماج في كتابه (مروج الأخبار في تراجم الأخيار) المطبوع في بيروت سنة ١٨١٠ ، ما مُلخَّصه أن مَرْقُس هذا كان يهوديًّا لاويًّا ، وهو تلميذ لبُطرُس . صنَّف إنجيله بطلب من أهل رومية ، وكان يُنكر إلهية المسيح ، ولم يَذكر في إنجيله مدح المسيح لبُطرُس ، ومات مقتولًا في سجن الإسكندرية سنة ٦٨ ميلادية . قتله الوثنيون . وقد اختلفت النصرانية في تاريخ تأليف إنجيله .

٢٢_ لا يقل اختلاف النصارى في إنجيل لُوقَا عن اختلافهم في إنجيل مَتَّى . وقد كان لُوقَا طبيبًا من أهل أنطاكية ، ولم يَرَ المسيحَ أصلًا . وقد لُقِّنَ النصرانية عن بُولُس . وبُولُس هذا كان يهوديًّا متعصبًا على المسيحية ، ولم يَرَ المسيحَ في حياته ، وكان يُسيء إلى النصارى إساءات مُتَّصلة . ولَمَّا رأى أن اضطهاده للنصرانية لا يُجدي ، عَمَدَ من طريق الحيلة إلى الدخول فيها ، وأظهرَ الاعتقادَ بالمسيح ، وادَّعى أنه صُرِع ، وفي حال صَرْعه لمسه المسيحُ ، وزجره عن الإساءة إلى مُتَّبعيه . ومن ذلك الوقت ، آمنَ وأرسله المسيحُ ليُبشِّر بإنجيله ، وانطلت حيلته على الكنيسة ، وهو الذي جعل النصارى يمرقون من واجبات الناموس ، الذي ما جاء المسيحُ لإبطال أحكامه ، ولكن جاء لتأييدها ، فأباحَ لهم أكل المَيْتَة ، وشُرب الخمر ، وعلَّم بأن الإيمان وَحْدَه كافٍ في النجاة بدون عمل ... إلخ .

٢٣_ يَذهب كثير من المسيحيين إلى أن يُوحَنَّا الإنجيلي ، هو يُوحَنَّا أحد تلاميذ المسيح الاثني عشر ، وأبوه زَبَدي الصَّياد . وُلد في بيت صَيدا من الجليل ، وأنه هو الذي كان يُحبه عيسى جِدًّا. وكثير من علماء النصرانية أنكروا أن يكون هذا الإنجيل من تأليف يُوحَنَّا التلميذ . فمن ذلك ما كتبه إستادلن ، ونقله عنه صاحب كاتلك هرالد في صفحة (٢٠٥) من المجلد السابع المطبوع سنة ١٨٤٤ ونصُّه (إن كافة إنجيل يُوحَنَّا تصنيف طالب من طلبة المدرسة الإسكندرية) .

٢٤_ إنجيل بَرنابا واحد من الأناجيل التي أُلِّفت في قصة المسيح ، وإن كان يمتاز عن سائرها بالبلاغة ، ودِقَّة التعبير . ويُصرِّح بأمور لعلَّها هي التي زهَّدت الكنيسة فيه ، حتى حرَّمه البابا جلاسيوس . ومن ذلك التصريح باسم " محمد " في كثير من المواضع .

٢٥_ الحَوَارِيُّون هُم أصحاب المسيح عيسى بن مريم ، صلوات الله وسلامه عليه ، وخاصته ، الذين اختارهم ليكونوا تلاميذه ، وبادروا إلى الإيمان ، وتتلمذوا له ، وتعلَّموا منه ، وكانوا اثني عشر رَجُلًا _ وهذا اللفظ (الحواريون) لم أعرفه عِبرانيًّا .

٢٦_ لم يُوجد عند اليهود أثارة من عِلم تدل على أن رَجُلًا جاء باسم المسيح في زمن كذا ، وصُلب ، وقُتل ، ولا يوجد في تاريخهم الديني شيء من ذلك أصلًا ، وهذا هو الذي حدا بملاحدة أوروبا على إنكار وجود المسيح ، واعتباره إنسانًا فرضيًّا ، كالأشخاص الذين يُفرَض وجودهم في الروايات ، ولا وجود لهم في الحقيقة .

٢٧_ إذا تكلَّمَ اليهودُ عن المسيح وقتله ، فليس ذلك لأنه مُثبت في تواريخهم المأثورة عن الآباء والمشايخ ، ولكن لأنهم يَسمعون ما يقوله المسيحيون من أن المسيح جاء ، وقتله اليهود ، وإلا فكتبهم خالية من ذلك . ولقد أخبرني الدكتور إسرائيل ولفنسون أن مسألة " قتل المسيح " كانت موجودة في التُّلمود ، ولكن اليهود أخرجوها منه ، حتى لا يعثر عليها أحد من الأمم التي يُقيم بينها اليهود ، فيكون ذلك مصدر قلاقل ، وأخبرني أيضًا أن المسيح كان من حزب مُضاد للسيطرة الرومانية على فلسطين ، فأغرى الحكامُ الرومانيون اليهودَ ليشتكوا عليه ، ففعلوا ، وأمرَ الحاكمُ الروماني بقتله _ هكذا يقول اليهود .

٢٨_ عقيدة الصَّلْب والفِداء وثنية . بين يَدَيَّ الآن كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، تأليف محمد طاهر التنير البيروتي أفندي ، وقد جَمع فيه الشيء الكثير مِمَّا يشترك فيه النصارى مع الوثنيين المُختلفي النِّحَل والأمكنة من العقائد، ولو أردتُ أن أتتبع ما فيه لطالَ بنا القول وامتد. ولكني أقتصر على ما نقله السيد رشيد رضا في تفسير المنار ج ٦ ص ٣٢ . ويكفي من القِلادة

ما أحاط بالعُنُق . قال (دوان) في كتابه خُرافات التَّوراة وما يُقابلها من الديانات الأخرى (ص ١٨١ و١٨٢) ما ترجمته بالتلخيص : إن تصوُّر الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة نفْسه ذبيحة فِداء عن الخطيئة قديم العهد جِدًّا عند الهنود والوثنيين وغيرهم ، وذكر الشواهد على ذلك. منها قوله : ((يعتقد الهنود أن كرشنا المولود البِكر الذي هو نفْس الإله فشنوا الذي لا ابتداء له ، ولا انتهاء على رأيهم ، تحرَّكَ حُنُوًّا كي يُخلِّص الأرضَ مِن ثِقل حِمْلها ، فأتاها ، وخلَّص الإنسان بتقديم نفْسه ذبيحة عنه)) . وذكر أن (مستر موي) قد صوَّر كرشنا مصلوبًا كما هو مُصوَّر في كتاب الهنود مثقوب اليدين والرِّجلين ، وعلى قميصه صورة قلب الإنسان مُعَلَّقًا . ووُجدت له صورة مصلوبًا ، وعلى رأسه إكليل من الذهب . والنصارى تقول إن يَسُوع صُلِب وعلى رأسه إكليل من الشَّوك . وقال (هورينوليمس) في ص ٣٦ من كتابه (الهنود) : يعتقد الهنود الوثنيون بالخَطِيَّة الأصلية ، ومِمَّا يدل على ذلك ما جاء في مُناجاتهم وتوسُّلاتهم ، التي يتوسَّلون بها بعد " الكياتري " وهو (إني مُذنب ومُرتكب الخطيئة ، وطبيعتي شريرة ، وحملتني أُمِّي بالإثم ، فخلِّصني يا ذا العين الحندقوقية ، يا مُخلِّص الخاطئين من الآثام والذنوب ... اهـ . هذا _ وأمَّا ما يُروَى عن البوذيين في (بوذا) فهو أكثر انطباقًا على ما يَرويه النصارى عن المسيح من جميع الوجوه،حتى إنهم يُسَمُّونه المسيح ، والمولود الوحيد ، ومُخلِّص العالَم . ويقولون إنه إنسان كامل، وإله كامل ، تجسَّد بالناسوت ، وأنه قدَّم نفْسه ذبيحة ليُكفِّر ذنوبَ البشر ، ويُخلِّصهم من ذنوبهم، فلا يُعاقبوا عليها ، ويَجعلهم وارثين لملكوت السماوات . بيَّن ذلك كثير من علماء الغرب ، مِنهم (بيلي) في كتابه (تاريخ بوذا) ، و (هوك) في رحلته ، و (مولر) في كتابه (تاريخ الآداب السنسكريتية) وغيرهم . ومَن أرادَ المقابلة بين إله النصارى وآلهة الوثنيين الأولين في الشرق والغرب ، فعليه أن يقرأ كتاب/ العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، لمحمد طاهر أفندي التنير البيروتي ، ففيه بلاغ ومُقنع .

٢٩_ لم تختلف الأناجيل الأربعة في مسألة من المسائل كاختلافها في تفصيل مسألة صَلْب المسيح وقتله ، فلا تكاد جُزئية من الجزئيات في أحدها تتَّحد مع الجُزئية نفْسها في إنجيل آخر. ولمَّا كانت هذه الأناجيل من تأليف قوم ، يدَّعي المسيحيون لهم الإلهام ، ويعتقدون خُلُوَّها من الخطأ ،كان ينبغي أن تكون كتابتهم في هذه الحادثة المهمة التي هي مَناط النجاة ، ودعامة الإيمان في نظرهم ، متطابقة متوافقة ، بحيث لا يكون فيها اختلاف أصلًا . وإذا لم يكن الراوي أمينًا كل الأمانة ،كانت الثقة بروايته ضعيفة ، والتصديق بها غير سائغ .

٣٠_ يتمسَّك المسيحيون بأن المسيح إله وابن إله ، بألفاظ وردت في بعض الأناجيل ، التي صنعوها مِثل إطلاق لفظ (ابن الله) عليه . وهو دليل واهٍ واهن ، لأن هذا الإطلاق مُعَارَض بإطلاقه (ابن الإنسان) على نفْسه ، وبإطلاق (ابن داود) على نفْسه أيضًا ، فلا بُد من حمل هذا الإطلاق على معنى لا يتنافى مع ما ثبت من جلال الله ، وتنزُّهه عمَّا لا يليق به . معلومٌ أن لفظ (الابن) بمعناه الحقيقي ، باتفاق لغات العالَم ، أنه المُتولِّد مِن نُطفة الأب المُلقِّحة لبيضة الأم . وذلك مُحال على الله أن تكون له صاحبة ، أو يوجد له ولد يتولَّد مِن نُطفته ، تعالى عمَّا يقولون .فلا بُد من الحمل على معنى مجازي ، يُناسب شأنَ المسيح عيسى بن مريم ، بحيث لا يَحُطُّ مِن قَدْر الله ، ولا يَرفع المسيحَ فوق قَدْر نفْسه .

٣١_ الثالوث : كلمة تُطلَق عند النصارى على وجود ثلاثة أقانيم معًا في اللاهوت ، تُعرَف بالآب والابن والرُّوح القُدُس . وهذا التعليم هو من تعاليم الكنيسة الكاثوليكية والشرقية وعموم البروتستانت ، إلا ما ندر . والذين يتمسَّكون بهذا التعليم يذهبون إلى أنه مُطابق لنصوص" الكتاب المُقدَّس " . وقد أضافَ اللاهوتيون إليه شروحًا وإيضاحات ، اتَّخذوها من تعاليم المجامع القديمة وكتابات آباء الكنيسة العِظَام. وهي تبحث عن طريقة ولادة الأُقنوم الثاني ، وانبثاق الأُقنوم الثالث، وما بين الأقانيم الثلاثة من النسبة وصفاتهم المُميِّزة وألقابهم . ومعَ أن لفظة " ثالوث " لا توجد في " الكتاب المُقدَّس " ، ولا يُمكن أن يُؤتى بآية من العهد القديم تُصرِّح بتعليم الثالوث . وقد اقتبسَ المؤلفون المسيحيون القدماء آيات كثيرة تُشير إلى وجود صورة جمعية في اللاهوت . ولكن إذا كانت تلك الآيات قابلة لتفاسير مختلفة ،كانت لا يُؤتى بها كبرهان قاطع على تعليم الثالوث .

***

مقاطع مختارة من كتاب / حياة محمد
(للأستاذ / محمد حُسَين هَيكل)

١_ إن ما خسره الإسلامُ في الأندلس من غرب أوروبا ، كان له عنه العِوَض حين فتح العثمانيون القُسطنطينية ، ومكَّنوا دِينَ محمد فيها . هنالك امتدَّت كلمته إلى البلقان كلها . وانبلجَ نُورُه في روسيا ، وفي بولونيا ، وخفقت أعلامه على أضعاف ما كانت تخفق عليه من أرض إسبانيا . ومن يوم انتشرَ الإسلامُ في صَولته الأولى إلى يومنا ، لم يتغلَّب عليه من الأديان مُتغلِّب . وإن تغلَّبَ على أُممه من شدائد الظلم وألوان التحكم ما جعلها أشدَّ بالله إيمانًا ، ولحُكمه إسلامًا ، وفي رحمته وفي غُفرانه أملًا ورجاءً .

٢_ هذه القوة التي انتشر الإسلامُ بها ، سُرعان ما وقَّفته وجهًا لوجه أمام المسيحية وقفة نضال مُستميت . لقد تغلَّبَ النبيُّ محمد ﷺ على الوثنية ، ومحا من بلاد العرب ، كما محا خلفاؤه الأولون من بلاد الفُرس والأفغان وطائفة كبيرة من بلاد الهند ، أثَرَهَا . ولقد تغلَّبَ خُلفاء النبيِّ محمد ﷺ على المسيحية في الحِيرة واليمن والشام ومصر إلى مهد المسيحية مدينة قُسطنطين .

٣_أفَقُدِّرَ على المسيحية ما قُدِّرَ على الوثنية من اضمحلال؟.وهل قُدِّر لهؤلاء العرب،عرب البادية الزاحفين مِن شِبه الجزيرة الصحراوية القاحلة،أن يضعوا أيديهم على حدائق الأندلس وبيزنطة وسائر البلاد المسيحية؟.الموت ولا هذا!.واستمر القتال بين أتباع عيسى وأتباع محمد قرونًا متتالية. ولم يقف القتال عند حرب الأسِنَّة والمدافع ، بل تعدَّاها إلى ميادين الجدل والنضال الكلامي .

٤_ إن الإسلام حال بين المسلمين وبين الحط من مقام عيسى ، إنه عبد الله آتاه الكتاب ، وجعله نبيًّا ، وجعله مُبَارَكًا أينما كان ، وأوصاه بالصلاة والزكاة ما دام حيًّا ، وبَرًّا بوالدته ، ولم يجعله جبارًا شقيًّا . فسلامٌ عليه يوم وُلد ، ويوم يموت ، ويوم يُبعث حيًّا . أمَّا المسيحيون فقد جعل الكثيرون منهم يُعرِّضون بمحمد ، ويَنعتونه بأوصاف يبرأ منها المُهذَّب من الرجال ، شِفاءً لِما في نفوسهم مِن غِل ، واستفزازًا وحفزًا لشهوات الناس الدنيا . وعلى رغم ما يُقال من أن الحروب الصليبية وضعت أوزارها مُنذ مئات السنين ، ظَلَّ تعصُّب الكنيسة المسيحية على محمد على أشدِّه إلى عصور قريبة . ولعلَّه كذلك ما يزال إن لم يَكُ أشد ، وإن كان خفيًّا يعمل في ظلمات التبشير بالدُّون من الوسائل . ولم يقف الأمر عند الكنيسة ، بل تعدَّاها إلى كُتَّاب وفلاسفة في أوروبا ، وفي أمريكا ، لم تكُ تصلهم بالكنيسة صِلة تُذكَر .

٥_ لقد يَعجب الإنسان أن يظل تعصُّب المسيحية على الإسلام بهذه الشِّدة في عصر يَزعمون أنه عصر النُّور والعِلم ، وأنه لذلك عصر التسامح وسَعَة الأفق . ويزداد الإنسانُ عجبًا إذْ يَذكر المسلمين الأوَّلين ، وكيفَ كان اغتباطهم بانتصار المسيحية على المجوسية عظيمًا حين ظفرت جيوش هِرَقْل بأعلام فارس ، وكسرتْ عسكرَ كِسرى .

٦_ كان اغتباطُ المسلمين يومئذ بانتصار هِرَقْل والنصارى عظيمًا ، وظلَّت صِلة الإخاء بين الذين اتَّبعوا محمدًا والذين آمنوا بعيسى عظيمة طوال حياة النبيِّ ﷺ ، وإن تكرَّرَ بين الفريقين ما كان من مُجادلة ، على خِلاف ما كان بين المسلمين واليهود من تهادُن أوَّل الأمر ، ثم عداوة استمرَّت . وكان لها من الآثار والنتائج الدامية ما أجلى اليهود عن شِبه جزيرة العرب جمعاء .

٧_ إنَّكَ لتجد في القرآن مِن ذِكر عيسى ومريم ، وإكرام الله لهما وتقديمه إيَّاهما ما تشعر معه حق الشعور بهذا الإخاء ، وما يَجعلك تساءل : ما بال المسلمين والنصارى إذًا ظلُّوا على القرون خصومًا مُتقاتلين ؟ . والجواب عن سؤالك أن بين الإسلام والنصرانية خِلافًا على مسائل أساسية ، كانت موضع جدل شديد في عهد النبيِّ ﷺ ، وإن لم يتعدَّ الأمرُ الجدلَ إلى العداوة والبغضاء . فالنصرانيةُ لا تُقِرُّ بِنُبُوَّة محمد ، كما يُقِرُّ الإسلامُ بِنُبُوَّة عيسى ، والنصرانيةُ تقول بالتَّثليث ، والإسلامُ يُنكِر كل ما سِوى التَّوحيد أشد الإنكار . والنصارى يُؤلِّهون عيسى ، ويتلمَّسون الدليلَ على أُلوهيته في أنه تكلَّمَ في المهد ، وأُوتِيَ المُعجزات ما لم يُؤتَه غَيْرُه ، مِمَّا هو من عمل الخالق جَلَّ شأنه . وهم كانوا أيَّام الإسلام الأُولى يُحَاجُّون المسلمين في ذلك بالقرآن ... . فالقرآن قد ذَكَرَ إذًا أنه يُحيي الموتى ، ويُبرئ الأكمه والأبرص ، ويَخلق من الطين طَيْرًا ، ويُخبِر بالغَيب ، وكل هذه خصائص إلهية . هذا رأي نصارى عهد النبيِّ ﷺ الذين كانوا يُحاجُّونه ويُجادلونه ، ويَذهبون إلى أن عيسى إله مع الله . ولقد ذهبت طائفة منهم إلى تأليه مريم أن ألقى اللهُ إليها بكلمته . وكان أصحابُ هذا الرأي من نصارى ذلك العهد يعتبرون مريم ثالث الثلاثة: الأب والابن والرُّوح القُدُس. ولم يكن أصحاب هذا القول بألوهية عيسى وأُمِّه إلا طائفة من طوائف النصرانية الكثيرة المُتفرِّقة يومئذ شِيَعًا وأحزابًا .

٨_ كان نصارى شِبه الجزيرة يُجادلون محمدًا على اختلاف نِحَلهم على أساس مذاهبهم . فكانوا يقولون إن المسيح هو الله ، ويقولون : هو ولد الله ، ويقولون : هو ثالث ثلاثة . وكان القائلون بأُلوهيته يحتجون بما سبق بيانه . ويحتجُّ القائلون بأنه ولد الله بأنه لم يكن له أب يُعلَم ، وأنه تكلَّمَ في المهد صبيًّا مِمَّا لم يقع لأحد من بني آدم . ويحتجُّ القائلون إنه ثالث ثلاثة بأن الله يقول :

أمَرْنا وخَلَقْنا وقَضَيْنا ، ولو كان واحدًا لقال : أمرتُ وخلقتُ وقضيتُ . وكان محمد يستمع لهم جميعًا ويُجادلهم بالتي هي أحسن . وهو لم يكن في جِدالهم يشتدُّ شِدَّته في جِدال المشركين وعُبَّاد الأصنام ، بل كان يُحَاجُهم بالوَحْي من طريق المنطق ، ومِن كُتبهم وما جاء فيها .

٩_ تقول المسيحية بالتَّثليث وبأن عيسى ابن الله . والإسلام يُنكر إنكارًا صريحًا باتًّا أن يكون لله ولد . والإسلامُ دِين تَوحيد في أشد معاني التوحيد صفاءً وقوة ، وفي أشد معاني التَّوحيد بساطةً ووضوحًا . وكل ما يُمكن أن يُلقيَ ظِلًّا على فكرة التَّوحيد أو صورته يُنكره الإسلام ، ويراه كُفرًا .

١٠_ مهما يكن للصورة المسيحية في التَّثليث من صِلة تاريخية ببعض الأديان القديمة ، فهي ليست من الحق عند محمد في شيء. إنما الحق هو الله وَحْدَه ، لا شريك له ، لم يلد ، ولم يُولد، ولم يكن له كُفُوًا أحد . فلا عجب إذًا أن تكون بين محمد ونصارى عهده تلك المُجادَلة بالتي هي أحسن ، وأن يُؤيِّد الوَحْيُ محمدًا بالآيات .

١١_ مسألة أخرى يختلف فيها الإسلامُ والنصرانية ، وكانت مثار جدل بينهما في عهد النبيِّ ﷺ: تلك مسألة صَلْب عيسى ليَفتديَ بدمه خطايا الخَلْق . فالقُرآن صريح في نَفْي أن اليهود قتلوا المسيحَ أو صلبوه. ولئن كانت فكرةُ افتداء المسيح بدمه خطايا إخوته من بني آدم جميلةً لا رَيْب، ويستحق ما كُتب فيها دراسةً من نواحيه الشِّعرية والخُلقية والنفسية ، لقد كان المبدأ الذي قرَّره الإسلامُ مِن أنه لا تَزِرُ وازرة وِزْرَ أُخرى ، وإن كُل امرئ يوم القيامة مجزيٌّ بأعماله ، إن خَيْرًا فخير، وإن شرًّا فَشَرٌّ ، يجعل التقريب المنطقي بين العقيدتين غير ممكن ، ويجعل منطق الإسلام من الدِّقة بحيث لا تُجدي معه محاولات التوفيق ، مع التناقض الواضح بين فكرة الافتداء وفِكرة الجزاء الذاتي .

١٢_ هل فكَّر أحد من نصارى يومئذ في هذا الدِّين الجديد ، وفي إمكان التوفيق بين فكرة التوحيد وبين ما جاء به عيسى ؟. نعم ، وآمنَ به منهم كثيرون. ولكن الرُّوم الذين اغتبطَ المسلمون بنصرهم واعتبروه نصرًا للأديان الكتابية ، لم يُكلِّف سادتُهم أنفسَهم مؤونة البحث في الدِّين الجديد ، ولم يلبثوا أن نظروا إلى الأمر من ناحيته السياسية ، وفكَّروا فيما يُصيب مُلْكَهم إذا تَمَّ للدِّين الجديد الغَلَب . لذلك بدؤوا يأتمرون به وبأهله .

١٣_ وقف المسلمون والنصارى موقف خصومة سياسية حالفَ النصر فيها المسلمين قرونًا متتالية امتدَّت إمبراطوريتهم في أثنائها إلى الأندلس غربًا ، وإلى الهند والصين شرقًا . وآمنت أكثرُ أجزاء هذه الإمبراطورية بالدين الجديد ، واستقرَّت فيها لُغته العربية . فلمَّا آنَ لدورة التاريخ أن تدور ،

طَرد النصارى المسلمين من الأندلس ، وحاربوهم الحروب الصليبية ، وأخذوا يَطعنون في دِينهم ونَبيِّهم طعنًا ، كُله فُحش وكذب وافتراء ، ونَسُوا في فُحشهم ما بلَّغ محمد عليه السلام في أحاديثه ، وما بلَّغ القُرآنُ في الوَحْي الذي نزل عليه ، مِن رَفع مَقام عيسى عليه السلام إلى المستوى الذي رفعه اللهُ إليه .

١٤ـ جاء في موسوعة لارُوس الفرنسية خلال العَرْض لآراء كُتَّاب المسيحية إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، مِمَّن نالوا من محمد شَرَّ نَيْل ما يأتي : ((بَقِيَ محمد مع ذلك ساحرًا مُمعنًا في فساد الخُلُق ، لص نِياق ، كردينالًا لم ينجح في الوصول إلى كرسي البابوية ، فاخترعَ دِينًا جديدًا لينتقم من زملائه . واستولى القصص الخيالي والخليع على سيرته. وسيرة باهوميه (محمد) تكاد تُقيم أدبًا من هذا النوع . وقصة محمد التي نشرها رينو وفرانسيسك ميشيل سنة ١٨٣١ ، تُصوِّر لنا الفكرة التي كانت لدى أهل العصور الوُسطى عنه . وفي القرن السابع عشر نظرَ بِيل في تاريخ القُرآن نظرةً تاريخية . معَ ذلك ظلَّت مُقرَّرات ظالمة ثابتة في نفْسه عنه . على أنه يَعترف مع ذلك بأن النظام الخُلقي والاجتماعي الذي أقامه لا يَختلف عن النظام المسيحي لَولا القِصاص وتعدُّد الزَّوجات)) .

١٥ـ إن واحدًا من المستشرقين الذين عرضوا لحياة محمد بشيء من الإنصاف ـ ذلك هو الكاتب الفرنسي إميل دِرْمِنْجِم ـ لَيَذكر بعض هذا الذي كتب إخوانه في الدين فيقول [٢٦٧]: ((لمَّا نَشِبت الحرب بين الإسلام والمسيحية اتَّسعت هُوَّة الخِلاف وسُوء الفهم بطبيعة الحال ، وازدادت حِدَّة . ويجب أن يعترف الإنسانُ بأن الغربيين كانوا السابقين إلى أشد الخِلاف . فَمِن البيزنطيين مَن أوقروا الإسلامَ احتقارًا من غير أن يُكلِّفوا أنفسهم ـ فيما خلا جان داماسيين ـ مؤونة دراسته. ولم يُحارب الكُتَّابُ والنَّظامون مُسلمي الأندلس إلا بأسخف المثالب . فقد زعموا أن محمدًا لِص نِياق ، وزعموه مُتهالكًا على اللهو ، وزعموه ساحرًا ، وزعموه رئيس عِصابة من قُطَّاع الطُّرق ، بل زعموه قَسًّا رومانيًّا مغيظًا مُحْنَقًا أن لم يُنتخَب لكرسي البابوية ... . وحسبه بعضهم إلهًا زائفًا يُقرِّب له عباده الضحايا البشرية ، وإن جيبِر دِنُوجَن نفْسه وهو رَجل جِد ، لَيَذكر أن محمدًا مات في نَوبة سُكْر بَيِّن ، وأن جسده وُجد مُلقًى على كَوم من الرَّوْث وقد أكلت منه الخنازير . وذلك لِيُفسِّر السبب الذي مِن أجله حُرِّم الخمر ، وحُرِّم لحم ذلك الحيوان . وذهبت الأغنيات إلى حد

٢٦٧ راجع كتاب دِرْمِنْجِم (حياة محمد) ص ١٣٥ ، وما بعدها .

أن جعلت محمدًا صنمًا من ذهب ، وجعلت المساجد الإسلامية ملأى بالتماثيل والصُّوَر ! ... . وقد ظَلَّت حياة الأحقاد والخرافات قوية مُتشبثة بالحياة . فمنذ رُودُلف دُلُوهَيْم إلى وقتنا الحاضر قام نِيكُو لادِكِيز ، وفِيفِش وَمَرَاتْشي ، وهُو تِّنْجَر وبلْياندر ، وبريدو ، وغَيرهم ، فوصفوا محمدًا بأنه دجَّال ، والإسلامُ بأنه مجموعة الهرطقات كُلها ، وأنه من عمل الشَّيطان ، والمسلمون بأنهم وحوش ، والقُرآن بأنه نسيج من السخافات ... . ومعَ ذلك ، فإن بيير (فنرابل) مؤلف أول رسالة غربية ضِد الإسلام ، قد ترجمَ القرآن في القرن الثاني عشر إلى اللاتينية . وفي القرن الرابع عشر كان بيير باسْكال من الذين توسَّعوا في الدراسات الإسلامية . وقد وصف إنّوسان الثامن محمدًا يومًا بأنه عدو المسيح . أمَّا القرون الوُسطى فلم تكن تحسَب محمدًا إلا هرطيقًا . وكان لريمون ليون في القرن الثامن عشر ، ولغليوم يَسْتِل في القرن السادس عشر ، ولرولان وجانبيه في القرن الثامن عشر ، وللقِسِّيس دبْرُجْلي ولرينان في القرن التاسع عشر آراء وأحكام مختلفة . على أن الكونت بُولَنْفِلييه وشُولْ وكُوستان دبرْسفال ودوزي وسبرنجر وبارْتلمي سانتيلير وكاسْتري وكارلَيْل وغيرهم يُظهرون على وجه الإجمال إنصافًا للإسلام ونَبِيِّه ، ويُشيدون في بعض الأحيان بهما . ومع ذلك فإن دْرُوتي يتحدَّث في سنة ١٨٧٦ عن محمد قائلًا : ((هذا الأعرابي المنافق القذر)) . كما طعن عليه فوسْترمِن قبل ذلك سنة١٨٢٢.وما يزال للإسلام حتى اليوم محاربون مُتحمِّسون)).

١٦_ أرأيتَ الحضيض الذي هوت إليه هذه الطائفة مِن كُتَّاب الغرب ؟ . أرأيتَ إصرارهم ، مع توالي القرون ، على الضلال ، وعلى إثارة العداوة والبغضاء بين أبناء الإنسانية ؟! . ومِن هؤلاء مَن جاؤوا في العصور التي يسمُّونها عصور العِلم والبحث والتفكير الحر ، وتقرير الإخاء بين الإنسان والإنسان . قد يُخفِّف من أثر هذا الضلال قيام أُولئك المُنصفين إلى حد ما ، مِمَّن أشارَ إليهم دِرْمِنْجِم ، ومنهم مَن يُقِرُّ بصدق إيمان محمد للرسالة التي عَهِدَ اللهُ إليه تبليغها من طريق الوَحْي، ومنهم مَن يُشيد بعَظَمَة محمد الروحية ، وبِسُمُوِّ خُلقه ، ورِفعة نفْسه ، وجَمِّ فضائله ، ومَن يُصوِّر ذلك في أقوى أسلوب وأتَمِّه رَوعة . وإن بقي الغرب مع ذلك ينال من الإسلام ونَبِيِّه أشدَّ النَّيل ، ثم تبلغ منه الجُرأة حتى يبث المُبشِّرين في أنحاء البلاد الإسلامية ، يُذيعون مثالبهم الوضيعة ، ويُحاولون صرف المسلمين عن دينهم إلى المسيحية .

١٧_ يجب لذلك أن نبحث عن السبب الذي ترجع إليه هذه الخصومة الهوجاء ، وهذه الحروب العنيفة التي تُثيرها المسيحية على الإسلام.وعِندنا أن جهل الغرب بحقيقة الإسلام وبسيرة النبيِّ ﷺ في مُقدمة ما يدعو إلى هذه الخصومة . والجهل ولا رَيْب من أعقد أسباب الجمود والتعصُّب

وأشدها استعصاء . ولقد تراكمَ هذا الجهل على مَر القرون ، وقامت له في نفوس الأجيال تماثيل وأوثان يحتاج تحطيمها إلى قوة روحية كبرى ، كقوة الإسلام أوَّل ظُهوره . على أنَّا نحسَب أن ثمة سببًا غير الجهل ، هو الذي دفع أهل الغرب إلى هذا التعصُّب ، وإلى إثارة الحرب الضَّروس الشَّعواء التي أثاروها ويُثيرونها على الإسلام وعلى المسلمين آنًا بعد آن . وليس ينصرف ذهننا إلى ما قد يدور بالخاطر من صُروف السياسة وحُب الظَّفَر بالشعوب لاستغلالها ، فتلك في اعتقادنا نتيجة لا سبب لهذا التعصُّب المُستعصي حتى على العِلم وعلى بحوثه .

١٨_ أمَّا السبب في رأينا فيرجع إلى أن المسيحية ، وما تدعو إليه من الزهد في الحياة ، واعتزال العالَم ، ومن العفو والمغفرة ، ومن المعاني النَّفسانية السامية ، ليست مِمَّا يُلائم طبيعة الغرب الذي عاش ألوف السنين على دين تعدُّد الآلهة ، والذي يدعوه مركزه الجغرافي إلى حياة الكفاح لمغالبة الزَّمهرير والضَّنْك وسُوء الحال . فإذا قضت الظروف التاريخية عليه بأن يدين بالمسيحية فلا مفرَّ له من أن يُسبغ عليها ثوب الكفاح ، وأن يُخرجها بذلك عن طبيعتها السمحة الجميلة ، وأن يُفسد فيها هذا التناسق الروحي ، الذي يَجعل منها حَلْقة في سلسلة الوَحدة التي أتَمَّها الإسلام : هذه الوَحدة التي تُؤاخي بين الروح والجسد ، وتُزاوج بين العاطفة والعقل ، وتسلك الفردَ والإنسانية جميعًا في نظام الكَون ... . هذا في رأينا هو مرجع السبب في تعصُّب الغرب في موقفه من الإسلام موقفًا تجافت الحبشة المسيحية عنه حين احتمى المسلمون بها أوَّل ما دعا النبيُّ ﷺ إلى دين الله .

١٩_ إلى هذا السبب في رأيي ، يرجع إغراق الغربيين وغُلُوّهم في التديُّن وفي الإلحاد جميعًا ، إغراق تعصُّب وكفاح لا يعرف هوادة ، ولا يعرف التسامح . وإذا كان التاريخ قد عرف منهم قِدِّيسين احتذَوْا في حياتهم مثال السَّيد المسيح والحواريين ، فإن التاريخ قد عرفَ كذلك أن حياة أُمم الغرب كانت دائمًا حياة نضال وكفاح وحروب دامية باسم السياسة أو باسم الدين ، وعرف أن بابوات الكنيسة وأرباب السُّلطة الزمنية كانوا في نزاع دائم يُغالب بعضُهم بعضًا ، فيتغلَّب هذا يومًا، ويتغلَّب ذاك يومًا آخر . ولمَّا كان الفوز في القرن التاسع عشر قد تَمَّ للسُّلطة الزمنية ، حاولت هذه السُّلطة أن تقضي على الحياة الروحية باسم العِلم ، وأن تزعم أن العِلم سيحلُّ من الحياة الإنسانية محل الإيمان من الحياة الروحية . وها هي ذي عَرفت اليوم ، بعد جهاد طويل ، سُوءَ رأيها ، وأن ما قصدت إليه مستحيل تحقيقه . والصيحة تعلو اليوم من جوانب الغرب المختلفة ، يُريد أهلُه حياةً روحية أضاعوها .

٢٠_ قد عاونَ الاستعمارُ الغربي أهلَه ، على الاستمرار في الحملة التي أثاروها على الإسلام وعلى محمد ، ودعاهم ليقولوا ما قال أهلُ مكة ، حين أرادوا أن يُحمِّلوا النصرانية عار هزيمة هِرَقْل والرُّوم أمام فارس . فقد قالوا ولا يزال الكثيرون منهم يقولون إن الإسلام هو السبب في انحطاط الشعوب الآخذة به ، وفي خضوعهم لغيرهم . وهذه فِرْية يكفي لإدحاضها أن يذكر قائلها أن الشعوب الإسلامية ظلَّت صاحبة الحضارة الغالبة ، وصاحبة السيادة على العالَم المعروف كُلِّه قُرونًا متوالية ، وأنها كانت محط رجال العِلم والعلماء ، ومَوئل الحرية التي لم يعرفها الغربُ إلا من أمد قريب . فإذا أمكن أن يُنسَب انحطاط طائفة من الشعوب إلى الدين الذي تُؤمن به ، فلا يكون هذا الدينُ الإسلامَ ، وهو الذي حفَّز بَدْوَ شِبه جزيرة العرب ، وأثارهم ، ومكَّن لهم مِن حُكم العالَم .

٢١_ إن نشاط رجال الكنيسة المسيحية لا يفتُر في الطعن على الإسلام وعلى محمد طعنًا لا يقل عمَّا تلوثُ مِنه فيما سبقت الإشارة إليه . والاستعمار الغربي يُؤيِّد بقُوَّته أصحاب هذه المطاعن باسم حُرِّية الرأي ، معَ أن أصحاب هذه المطاعن قد أُجْلُوا عن بلادهم ، وحِيل بينهم وبين ما يُسَمُّونه تثبيت الإيمان في نفوس إخوانهم في الدين . وهذا الاستعمار يُؤيِّد كذلك دُعاة الجمود من المسلمين . وكذلك تضافرَ عمل الاستعمار على تأييد ما دُسَّ على الإسلام مِمَّا يبرأ الإسلامُ منه ، وعلى سيرة الرسول من خرافات لا يُسيغها العقل ، ولا يَقبلها الذَّوْق ، وعلى تأييد الطاعنين على الإسلام وعلى محمد بما دُسَّ على الإسلام وعلى سيرة الرسول .

٢٢_ وأنت إذا طرحتَ جانبًا أولئك المُتعصبين الحمقى ، الذين جعلوا النَّيل من محمد دَأبَهم كالمُبشِّرين (المُنصِّرين) وأشباههم ، فإنك واجد هذا الإجلال للعَظَمَة والإيمان بقُوَّتها في كتب العلماء المستشرقين واضحَيْن جَلِيَّيْن . عقدَ كارْليل في كتابه " الأبطال " فصلًا عن محمد ، صَوَّر فيه الجَذوة الإلهية المُقدَّسة التي أوْحَت إلى محمد ما أوحت . فصوَّر العَظَمَة في جلال قُوَّتها . ومْوِير، وإرْفِنج ، وسْبِرِنْجَر وفَيل ، وغيرهم من المستشرقين العلماء . قد صوَّر كل واحد منهم عَظَمَة محمد تصويرًا قويًّا ، وإن وقفَ هذا أو ذاك منهم عند مسائل اعتبرها مآخذ على صاحب الرسالة الإسلامية ، لغير شيء إلا أنه لم يمتحنها ، ولم يُمحِّصها التمحيص العِلمي الدقيق ، ولأنه اعتمد فيها على ما ورد في بعض كتب السيرة ، أو كتب التفسير من الروايات المُضطربة ، مُتناسيًا أن أول كتب السيرة إنما كُتب بعد قرنين من عصر محمد ، دُسَّت أثناءهما في سيرته ، وفي تعاليمه ، إسرائيليات كثيرة ، ووُضِعت أثناءهما ألوف الأحاديث المكذوبة . ومعَ أن المستشرقين يُقرِّرون هذه الحقيقة ، تراهم لا يأبَوْن مع ذلك تناسيها ، ليُقرِّروا أمورًا يعتبرونها

صحيحة ، مع أن أقل التمحيص ينفيها مِن ذلك مسألة الغرانيق ، ومسألة زَيد وزَينب ، ومسألة أزواج النبيِّ ﷺ .

٢٣_ إذا كانت نصرانية الغرب تستكبر أن تجد النُّورَ الجديد في الإسلام ورسوله ، وتَشيم (تنتظر) هذا النور في ثيوزوفية الهند [٢٦٨]، وفي مختلف مذاهب الشرق الأقصى ، فإن رجال هذا الشرق من المسلمين واليهود والنصارى جميعًا خليقون أن يقوموا بهذه البحوث الجليلة بالنزاهة والإنصاف اللذين يكفلان وحدهما الوصول إلى الحق .

***

٢٦٨ الثيوزوفية : مذهب استنبطته مدام بلافاتسكي الأمريكية من أديان الهند ، ومن البوذية والبرهمية منها بنوع خاص ، ودعته دِين الحكمة . وقد تأسَّست لهذا المذهب جمعية في أمريكا كانت مدام بلافاتسكي رئيستها ، وتأسَّست فروع لهذه الجمعية في بلاد أوروبا المختلفة . على أن مدام بلافاتسكي ما كادت تموت حتى انقسمت الجمعية الثيوزوفية إلى ثلاث شُعب . ومذهب هذه الجمعية يقوم على وَحدة الحياة ، ويدعو إلى نوع من الرياضة الصوفية لبلوغ مرتبة (النرفانا) البوذية . وهذه المرتبة يبلغها صاحبها حين يصل من رياضته إلى الفصل التام بين الروح والتأثر بماديات الحياة ، وحين تسمو الروح بذلك إلى مكان من القُدسية والطُّهر ، تتَّصل فيه الأرواح العليا . ومذهب الثيوزوفية يدعو كذلك إلى إخاء الإنسانية إخاءً عامًّا ، تزول معه فوارق الجنس واللغة ، وكُل ما يعتبره الناس عوائق دون هذا الإخاء .

اليهودية والنصرانية(المسيحية) دِيانتان أرضيتان لا سماويتان ، أسَّسهما فرزٌ تاريخي هُلامي. إذْ إن الإسلام وَحْدَه الدِّين السماويُّ.قالَ اللهُ تعالى:﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلامُ﴾[آل عِمران:١٩].

وهكذا يتبين لنا أن هاتين الديانتين الوضعيتين مُجرَّد أضغاث أحلام مُتبخِّرة . والنصارى مستمرون في تسمية ديانتهم الباطلة بالمسيحية ، أي إسنادها إلى السَّيد المسيح ﷺ ليكتسبوا الشرعية والمصداقية ، إلا أن هذه الحيلة لم تنطلِ إلا على السُّذج . وها هم يعملون جاهدين على ترويج هذه الخرافة في كل المحافل . لكنهم كلما سَعَوا أكثر نُكِسُوا على رؤوسهم ، لأنه في واقع الأمر لا يوجد شيء اسمه المسيحية.إذْ إنه لا يجوز أن ننسب عقائد كفرية إلى السَّيد المسيح ﷺ. ومن هنا نعلم خطورة هذه اللفظة الكفرية، وعلينا ألا نخضع للآلة الإعلامية الإنجيلية التالفة . وعلى الرغم من أن عقيدة الصليب التي يحملها النصارى غير مبنية على أسس سليمة، إلا أنها ما زالت المُلهِمة لبعض الناس . وقِسْ عليها العقائد المضادة للتوحيد في التوراة المحرَّفة .

والتجمع الجاهلي بحُكم كَونه غارقًا في البدائية والتخلف والوثنية ، تأثرَ جزء منه في فترة من الفترات بالأطروحات اليهودية والنصرانية . فالجماعات البشرية التي كانت تُنَصِّب إلهًا مِن تمر وتأكله إذا جاعت ، أو تقيم إلهًا من حَجَر لا يستطيع الدفاع عن نفْسه ، وَجدتْ كثيرًا مِن التشابه بينها وبين العقائد الوثنية عند أهل الكتاب ، فمالت إلى اعتناقها. فمثلًا عقيدة الإله المُتجسِّد في صورة إنسان لقيت هوى في نفوس عبدة الأصنام . فالنصراني يعبد إلَهًا من لحم ودم ذا طبيعة إنسانية ، والجاهلي يعبد إلهًا مِن حَجر أو غَيره مُتَجَسِّدًا ماثلًا للعِيان . وهكذا نجد عاملًا مُشتركًا بين العقيدتين النصرانية والوثنية. فثنائية الإله الإنسان (اللاهوت والناسوت) التكاملية _ حَسَبَ التصور الوثني النصراني _ أسستْ لمرحلة الهذيان الأيديولوجي التي تتوافق مع بدائية الوثنيين في الجزيرة العربية ، وانحصارِ تفكيرهم في إله مادي ملموس. كما أن ضعف الإله الذي يخضع لأهواء عبيده عقيدة راسخة في عقول الجاهليين . وهكذا لا نستغرب اقترابهم من المفهوم النصراني للإله الذي يُحكَم عليه بالموت ، ويُسلَّم إلى الناس ، ويُسخَر منه ، ويُبصَق عليه، ويُجلَد، ويُقتَل . وهذا هو المطلوب بالنسبة للإنسان العربي المنسي في الصحاري ، والذي يتحرك باتجاه مضاد للحضارة الإنسانية ، ولا يعرف _ أصلًا _ أي شيء عن الحضارة . والمفهوم البدائي المتخلف للإله هو أنه كيان مادي ملموس وماثل للعِيان ، يجري عليه ما يجري على الناس ، وتُؤثِّر

فيه عوامل الحَت والتَّعرية إن كان حَجَرًا ، أمَّا إن كان إنسانًا _ كما في النصرانية _ فيتأثر بالجوع والعطش والحزن، وهو مُعرَّض للموت في أية لحظة . وهذا المفهوم الشاذ استساغه الإنسان البدائي المنبوذ في رمال الصحاري ، والذي لا يعرف من الحياة سوى شَهْوَتَي البطن والفَرْج .

وإليك بعض النصوص الإنجيلية التي تُوضِّح ما ذهبنا إليه : ((فابن الإنسان هو رب السبت أيضًا !)) [مَرْقُس ٢: ٢٨] . يعني أن الإنسان صار إلَهًا يَخضع له الزمانُ والمكان . فهو المُتحكِّم بالوقت يتصرف فيه كيفما يشاء . ((لكي تعلموا أن لابن الإنسان على الأرض سُلطة غُفران الخطايا)) [مَتَّى ٩: ٦]. ووَفْق هذا المنظور النصراني صار ابنُ الإنسان (الكائن البشري) يمتلك سُلطة غفران ذنوب البشر ، والتجاوز عن سيئاتهم ، وإرسالُ الناس إلى الجنة أو النار وَفْق رؤيته الشخصية.وهذا النَّصُّ المتطرف يعني أن الإنسان صار هو الإله المُتحكِّم في مصائر العباد ، وكأن الله تعالى تنازل عن سُلطاته وقدرته لصالح أحد عبيده . وهذا الفهمُ البدائي في الميثولوجيا النصرانية يدل على وجود ترابط بين الوثنية النصرانية والوثنية الجاهلية . ((يُرسل ابنُ الإنسانِ ملائكتَه)) [متى ١٣: ٤١] . فابنُ الإنسان صار حاكمًا على الملائكة يُرسلهم إلى الوُجهة التي يريدها ، ولا يملكون إلا إطاعته، لأنهم مِلْكٌ له _ حَسَب الرؤية النصرانية _. ((ها نحن صاعدون إلى أُورُشَليم ، وسوف يُسلَّم ابنُ الإنسان إلى رؤساء الكَهَنة وإلى الكَتَبة ، فيحكمون عليه بالموت، ويُسلِّمونه إلى أيدي الأُمم ، فَيَسخرون مِنه ، ويَبصقون عليه ، ويَجلدونه ، ويَقتلونه)) [مَرْقُس ١٠: ٣٣و٣٤] . والمسيحُ الذي أَلَّهه النصارى ، قد جاء موعدُ نهايته_حَسَب النَّص الإنجيلي _ فَسَيَخضع للموت وتلقِّي السخرية والإهانة من أجل فداء البشر من الخطيئة . فهذا الإلهُ _ وَفْق العقيدة النصرانية _ لا يَقْدِر أن يُدافع عن نفْسه، فكيف سيُدافع عن عبيده ؟! . وهذه الرؤية الوثنية تتماهى تمامًا مع فلسفة عبادة الأصنام عند مُشركي العرب في الجاهلية.فالأصنامُ عاجزة عن الدفاع عن نفْسها لأنها حجارة صَمَّاء لا حول لها ولا قوة ، فكيف ستُدافِع عن المؤمنين بها ؟! .

والنصارى يُشبِّهون المخلوق بالخالق _ كما اتَّضح لك من النصوص السابقة وهي غَيض مِن فَيض _ . واليهود يُشبِّهون الخالق بالمخلوق . وإليك بعض النصوص من التوراة . في [تَكْوين ٦:٦] : ((فحزنَ الربُّ أنه عمل الإنسانَ في الأرضِ. وتأَسَّفَ في قلبه)) . فالربُّ _ وَفْق التصور الأسطوري التوراتي _ قد حزن لأنه عمل الإنسانَ في الأرض، واعتراه الأسف الذي أحرقَ قلبَه. وهذا الصورة المتخلفة تشير إلى بدائية العقل اليهوديِّ في التعامل مع الشرائع الدينية . فهم يَعتبرون أن الإله مثل الإنسان الضعيف خاضع للمشاعر والأحاسيس. فيُصاب بالحزن، ويَخضع

للأسف. وفي [مَزامير ١٠٦ : ٤٥] : ((ونَدِمَ _ أي الله _ حَسَبَ كثرة رحمته)) اهـ .ولم تقف الأمور عند الحزن والأسف، بل إن الله تعالى _ حَسَبَ المنهج التوراتي _ قد ندم . وبالطبع لا يكون الندم إلا بعد إصدار قرار يتبيَّن عدم صوابه فيما بعد. فاللهُ تعالى _ حَسَبَ العقلية اليهودية السطحية _ لم يكن يَعرف أبعادَ القضايا التي قَرَّرها ، لذلك ندم على سوء تقديره _ حاشاه _ . لكنه كَفَّر عن خطئه بإعلانه الندم والحزن على ما فات ! . إذن ، تتَّضح لنا عقائد أهل الكتاب التالفة ، والتي لاقت صدى في بعض التجمعات العربية الجاهلية الوثنية ، بسبب وجود نقاط تشابه بين عَبَدَة الصليب (النصارى) وعبدة الأهواء (اليهود) وعبدة الأصنام (عرب الجاهلية) . وكما يُقال : الطيور على أشكالها تقع .

ما سبق كان توضيحًا لعقلية أولئك الذين اعتنقوا عقائد أهل الكتاب،وهم _في كل الأحوال_ محدودون ، وعددهم قليل. وبالتالي كانت عقائد أهل الكتاب محدودة التأثير في الأوساط العربية الجاهلية . والذين رفضوها _ وهم الغالبية الساحقة _ كانوا يُدركون أنها عقائد مُتخلِّفة لا تُلبِّي طموحاتِ الإنسان الجاهلي الطامح إلى الانعتاق والتحرر مِن ثِقْل الهواجس والشكوك والشُّبهات .

والتخلف اليهودي_ النصراني يظهر جَلِيًّا في إضافة ابن إلى الله إضافة بُنُوَّة حقيقية لا مَجازية. قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابْنُ اللهِ ﴾ [التَّوبة: ٣٠]. والأناجيل تزعم أن المسيح ابن الله تعالى . وإليك النص التالي على سبيل المثال لا الحصر : ((فأجاب سِمعانُ بطرسُ قائلًا : أنتَ هو المسيحُ ابن اللهِ الحيِّ !)) [متَّى ١٦: ١٦] . ويبدو أن هذه اللوثة قد وصلت إلى أهل الجاهلية . فاليهود والنصارى جعلوا المخلوق ابنًا لله تعالى ، أمَّا أهلُ الجاهلية فجعلوا المخلوقات بناتٍ لله تعالى ! . وهذه الانتكاسة المُريعة تعكس التخلفَ العَقَدي عند أهل الكتاب وأهل الجاهلية، وأوْجه التشابه بينهم . قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ للهِ البَنَاتِ سُبْحَانَهُ ﴾ [النَّحْل : ٥٧]. إن أهل الجاهلية جعلوا الملائكة بناتٍ وأَلحقوهنَّ بالله تعالى . وهذا الفهمُ القاصر يدل على الانهيار الفكري في منظومة العقائد الجاهلية في ظل غياب الهداية الربانية . وقال القرطبي في تفسيره (١٠/ ١٠٣): ((نزلت في خُزاعة وكِنانة ، فإنهم زعموا أن الملائكةَ بناتُ الله)) اهـ .

إن اليهودية والنصرانية تُحمِّلان الإنسانَ مسؤولية الخطيئة التي عَمَّت المخلوقات _ حَسَبَ التصور الديني عند أهل الكتاب_، وهكذا يصبح كل إنسان مُذنبًا منذ ولادته وحتى مماته. وتصبح الإنسانيةُ بحد ذاتها ذَنْبًا كبيرًا يحمله المؤمن بهذه الخرافات (العقائد التَّوراتية الإنجيلية) على

كاهله ، ولا يدري كيف يتخلص منه . وهكذا صار الدِّينُ مشكلةً في حياة اليهود والنصارى، وليس حَلًّا . وفي صحيح البخاري (٣/ ١٣٩١) : عن ابن عُمر : أن زيد بن عمرو بن نُفَيْل خرج إلى الشأم ، يَسأل عن الدِّين ويتبعه ، فلقيَ عالِمًا من اليهود ، فسأله عن دِينهم ، فقال : إني لعلِّي أن أدين دِينكم فأخبرني ، فقال : لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله ، قال زيد : ما أَفِرُّ إلا من غضب الله ، ولا أَحمل من غضب الله شيئًا أبدًا ، وأنَّى أستطيعه ؟ ، فهل تَدُلُّني على غَيره ؟ ، قال : ما أعلمه إلا أن يكون حَنِيفًا ، قال زَيد : وما الحَنِيف ؟ ، قال : دِين إبراهيم ، لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا، ولا يعبد إلا الله . فخرج زيد فلقيَ عالِمًا من النصارى، فذكر مِثْلَه، فقال : لن تكون على دِيننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله ، قال : ما أفِرُّ إلا من لعنة الله ، ولا أحْمِل من لعنة الله ولا من غضبه شيئًا أبدًا ، وأنَّى أستطيع ؟ ، فهل تَدُلُّني على غَيره ؟، قال : ما أعْلَمُه إلا أن يكون حنيفًا، قال : وما الحنيف ؟ ، قال : دِين إبراهيم ، لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا ، ولا يَعبد إلا الله. فلمَّا رأى زيد قَوْلهم في إبراهيم ــ عليه السلام ــ خرج ، فلمَّا برزَ رفعَ يَدَيه فقال : اللهُمَّ إنِّي أَشْهَدُ أنِّي على دِين إبراهيم)) .

إن اليهودية والنصرانية حَوَّلتا النصوصَ الدينية إلى كوابيس تطارد أصحابَها ، وأحالت الإنسانيةَ إلى لعنة وعِبء ثقيل في هذا الوجود . وما تفشِّي التعقيد وغياب الطمأنينة في فكر أهل الكتاب إلا انعكاس لتحريف الكلام الإلهيِّ . مِمَّا أدَّى إلى تحوُّل اليهودية والنصرانية إلى حِمْل ثقيل وكُتل أسمنتية تضغط على أكتاف حامليها ، وتُحيل أيامهم إلى كَوْمة أضداد ، ومنظومةِ تناقضات شرسة ، لا مكان للراحة النفسية فيها . أضف إلى هذا أن اليهودية والنصرانية ديانتان كهنوتيتان مغلقتان، تسيران ضد المنطق وفِطرةِ الفرد وطبيعةِ الأشياء، وتحثان على الإرهاب المُنظَّم . إضافة إلى أنهما تمتلئان بالأسرار والطلاسم والعقائد اللامنطقية وغير المفهومة . وكل هذه العقائد التالفة تصير ألعوبة بأيدي رجال الدِّين المسيطرين على أماكن العبادة التي تُعتبَر مُساندةً للقمع الفكري والاجتماعي ومُناوئة للعقل. وتصبح المتاجرة بهذه العقائد وسيلة لتحقيقِ الربح السريع، واستغلالِ الأتباع وابتزازهم ، وإخضاعهم لسُلطةِ الكنيس والكنيسة ، والحصولِ على مكاسب مادية لقاء التلاعب بالكلام الإلهيِّ، وتأويله بحيث يدعم عِلْيةَ القوم على حساب أصحاب المكانة الاجتماعية المُتَدَنِّية . قالَ اللهُ تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ ﴾ [التَّوبة : ٣٤] . الكثير من الأحبار (علماء اليهود) والرُّهبان (عُبَّاد النصارى) ، يأكلون أموال الناس بالحرام، وذلك باسم البِيَع والكنائس ، وفرض الضرائب

على الأتباع ، وخداعهم بأن يقولوا لهم إن هذه الأموال قُربة إلى الله تعالى، وتُستعمَل للإنفاق على دور العبادة ودعمِ المؤمنين . وهذه الحِيَل موجودة في كل زمان ومكان . وقال الطبري في تفسيره (٦/ ٣٥٧) : ((يا أيها الذين صَدَّقوا اللهَ ورسوله وأقرُّوا بوَحدانية ربهم ، إن كثيرًا من العلماء والقُرَّاء من بني إسرائيل من اليهود والنصارى ... يأخذون الرِّشى في أحكامهم ، ويُحرِّفون كتاب الله ، ويكتبون بأيديهم ثم يقولون : (هذه من عند الله) ، ويأخذون بها ثمنًا قليلًا مِن سَفَلتهم ... ويمنعون من أراد الدخول في الإسلام الدخول فيه بنَهْيِهم إيَّاهم عنه)) اهـ .

ولا تزال " صُكوكُ الغُفران " عالقةً في الأذهان، وهي مثال واضح على أكل أموال الناس بالوسائل المحرَّمة ، واستعمالِ الكذب والخداع وطرق الاستغلال . فهم يأكلون الدنيا بالدِّين مستغلين مناصبهم وسُلطاتهم ومكانتهم الاجتماعية.وقال ابن كثير في تفسيره(٢/ ٤٦١):((وذلك أنهم يأكلون الدنيا بالدِّين ومناصبهم ورياستهم في الناس يأكلون أموالهم بذلك ، كما كان لأحبار اليهود على أهل الجاهلية شرف ولهم عندهم خَرْج وهدايا وضرائب تجيء إليهم ، فلمَّا بعث اللهُ رسولَه ﷺ استمروا على ضلالهم وكفرهم وعنادهم طمعًا منهم أن تبقى لهم تلك الرياسات ، فأطفأها اللهُ بنور النُّبُوَّة، وسلبهم إياها وعَوَّضهم الذُّلَّ والصَّغار، وباؤوا بغضب من الله تعالى)) اهـ .

واليهودية ليست أحسن حالًا من (النصرانية) في الانهيار الذاتي. فعشق الوثنية متغلغل في نفوس اليهود ، وهذا العِشق انعكس على تَوراتهم التي حُرِّفت وبُدِّلت . فالطامحون إلى الوثنية الصنمية وصلوا إلى عبادة العِجْل ، حيث إنهم كانوا يَسْعَوْنَ إلى إله مادي مُتجسِّد يَرَوْنَه أمامهم .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ البَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لهم قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لنَا إِلَهًا كَمَا لَهُم آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُم قَوْمٌ تَجْهَلُون ﴾[الأعراف : ١٣٨].

بعد كُل الحُجَج البَيِّنات التي عاينوها بأبصارهم، وإنقاذهم من الطاغية فِرْعَوْن ، ما زال عشق التجسيم والوثنية يمتلكهم ، ويُبعدهم عن معرفة الخالق تعالى . وما زال الجهلُ مُتغلغلًا في نفوسهم، وهذا ينعكس على سلوكهم ذي الطابع الوثنيِّ ، جَرَّاء تأثرهم بأفكار مُنحرِفة متجذرة في قلوبهم المتهاوية . ومن الواضح أنهم استحسنوا اتخاذ صنمٍ للتقرُّب إلى الله تعالى . ومن المُستبعَد أنهم طَلبوا من موسى ﷺ اتخاذ صنم لإفراده بالعبادة. وقال الثعالبي في تفسيره (٢/ ٥٠) : ((وقَوْله سُبحانه : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ البَحْرَ ﴾ بحر القُلْزُم _عند خليج السويس _، ﴿ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ ﴾، قيل : هُم الكنعانيون ، وقيل : هم من لَخْم وجُذَام ، والقوم في كلام العرب هم الرجال خاصة . ﴿ يَعْكُفُونَ ﴾ العُكُوفُ المُلازَمة على أصنام لهم)) اهـ .

وفي الدُّر المَنثور (٣/ ٥٣٣) : ((عن ابن أبي جُرَيْج في قَوْله : ﴿ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لهم ﴾، قال: تماثيل بقر من نحاس، فَلَمَّا كان عِجْل السامري شُبِّه لهم أنه من تلك البقر ، فذلك كان أوَّل شأن العِجْل لتكون لله عليهم حُجَّةٌ ، فينتقم منهم بعد ذلك)) اهـ .

وقال اللهُ تعالى : ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ العِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُم ظَالِمُون ﴾ [البقرة : ٥١] . لقد أنقذهم اللهُ تعالى من فِرْعَوْن ، ونجَّاهم من البحر . ومعَ هذا ، فقد اتخذوا العِجْلَ إلهًا مِن بعد موسى ﷺ . وهذ الشِّرك هو منتهى الظُّلم ، ظُلْم الإنسان لنفْسه ، وذلك بوَضْعه العبادة في غير مَوْضعها ، والتوجهِ إلى إلهٍ وهميٍّ ، ونسيانِ الله الذي لا إلهَ غَيْرُه .

وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٣٢٣) : ((لَمَّا عادوا إلى مِصْر بعد هلاك فِرْعَوْن ، وَعَدَ اللهُ موسى أن يُعطيَه التوراة ، وضربَ له مِيقاتًا ذا القِعْدة وعَشْر ذي الحِجَّة ، وعَبَّر عنها بالليالي ، لأنها غُرَر الشُّهور)) اهـ .

إن أهل الكتاب غاطسون في جاهليتهم الخاصة التي تتماهى مع الجاهلية العربية . وهاتان الجاهليتان تدوران حول الوثن باعتباره إلهًا مُقَدَّسًا ، وتنبعان من مركز تشريع واحد وهو الحَجَر الذي لا يَنْفع ولا يَضُر . ومِن القصص التي تدل على تأثير ديانة أهل الكتاب في الحياة العامة ، تلك القصة التي حدثت مع النبيِّ ﷺ وزوجته السيدة خديجة _ عليها السلام _ من جهة، ووَرَقة ابن نَوْفَل ابن عَم خديجة من جهة ثانية . وإليكَ مُلخَّص القصة : ((ثم انطلقت به خديجة _ أي بالنبيِّ ﷺ _ حتى أتتْ به وَرَقَة بن نَوْفَل بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَي ، وهو ابن عم خديجة أخي أبيها ، وكان امرأ تنصَّرَ في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربي، فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب)) [٢٦٩].

إن وَرَقَة بن نَوْفَل قد أُصيب بلَوْثة النصرانية ، وتصرَّف وَفْق دِيانته الجديدة . فقد خرج من الوثنية العربية ودخل في الوثنية النصرانية . وهذا يدل على أن النصرانية كان لها وجود مُؤثِّر في بعض الأوساط لا كُلها . فالنصرانيةُ في التجمع الجاهلي العربي كانت محدودة التأثير ، لعدم تلبيتها لطموحات الإنسان وأشواقه الروحية وتفاصيل حياته المادية . وكيف سَتُلَبِّي النصرانيةُ الأشواقَ الروحية للفرد وهي قاتلةٌ للروح ونافيةٌ للجسد ومؤسِّسةٌ للوثنية ؟! . وما يهمنا في هذا السياق معرفة الجهود الجبارة التي يبذلها رجالُ الكنيسة والمُنصِّرون في سبيل ترويج تلك البضاعة

٢٦٩ متفق عليه، واللفظ للبخاري (٦/٢٥٦١) برقم (٦٥٨١). ومسلم (١/ ١٣٩) برقم(١٦٠).

الكاسدة المُسَمَّاة بالنصرانية (المسيحية) . ومِن الخطأ تسمية المُنصِّرين بالمُبشِّرين . فهم لا يَملكون شيئًا يُبشِّرون به سوى الخلود في جهنم ، إن كانت هذه بُشرى ! . والدعوةُ إلى النصرانية و"التبشير" بها من أُسس الدِّيانة النصرانية ، ومن أركان الإنجيل المُحرَّف. ورِجالُ الدِّين النصارى يستندون في عملهم التنصيري إلى عِدَّة نصوص إنجيلية . نكتفي بذِكْر واحد منها وهو : ((وفيما أنتم ذاهبون بَشِّروا قائلين : قد اقترب ملكوتُ السماوات)) [متَّى ١٠: ٧] .

هذا النص الذي استخدمه علماء النصارى لترويج عقائد التثليث والدعوة إليها ، تم إخراجه من سياقه ، وذلك بأن وُظِّف كغطاء سياسي لإرهاب البشر والجماعات الإنسانية واضطهادها ، كما حدث في محاكم التفتيش المترامية الأطراف ، والتي انتشرت في أماكن كثيرة من العالَم. ومن الضروري أن نعرف أن هناك محاكم تفتيش في العصر الجاهلي ، لكنها من نوع مختلف .

ولتوضيح هذه الفكرة التي قد يراها البعض غريبة ، نقول : إن محاكم التفتيش هي لُب النصرانية (المسيحية) التي انتشرت بالسَّيف. فهي تمارس الإرهاب الفكري الموجَّه ضد الفِطْرة الإنسانية على كافة الأصعدة ، وفي كل المحافل . والمؤسسة الدينية اليهودية ليست أحسن حالًا من المؤسسة النصرانية الكهنوتية ، فالتوظيف السياسي لعقائد التوراة والإنجيل المصابة بالتحريف والانحراف ، قد أدى إلى بعث حالة من القمع الفكري الموجَّه ضد الحقيقة أوَّلًا وأخيرًا . والأحبار والرُّهبان مارسوا دورهم التعتيمي النابذ للتنوير بكل حرفية ومكر ، ساعين إلى ابتزاز السُّذج والمغفلين كي تزداد أرباحهم المادية المتمثلة في الذهب والفضة ، وأرباحهم المعنوية المتمثلة في تحقيق مكاسب شخصية ، والحصول على مزايا ومناصب وزعامة ورئاسة ومراكز نفوذ . وهكذا يتضح أننا أمام مؤسسة رهيبة موغلة في رسم الخطط الهادفة إلى تسويق العقائد الزائفة، من أجل الحفاظ على المكتسبات غير الشرعية ، وتفعيلها ، وزيادتها ، وحراستها من الثائرين على الباطل .

والجدير بالذِّكر أن النصرانية أصبحت مُنظَّمة، لها في (نَجْران) أُسْقُفها وكنيستها، وهي مُتَّصلة بالكنيسة الشرقية اليونانية ، واليهودية تنمو في الحِجاز ، في يَثْرِب _ المدينة _ وخَيْبر وغيرهما . وهكذا نجد أن الإرهاب اليهونصراني [٢٧٠] ، راح يُنظِّم قواعده وأماكن نفوذه . وقد تأثرَ بعض الشعراء الجاهليين الوثنيين بعقائد أهل الكتاب ، فنجد_ مثلًا _ زُهَير بن أبي سُلمى يقول :

٢٧٠ هي العلاقة العبثية بين اليهودية والنصرانية واتفاقهما _ رغم التناقضات الحادة بينهما والعداوة المتفشية _ على معاداة الحق المطْلق الوحيد والمتمثل في الإسلام . ومن التناقضات الصارخة بينهما =

فلا تَكتمنَّ اللهَ ما في نفوسكم ليَخفى ومهما يُكتَم اللهُ يَعلمِ [271]

يُؤخَّر فيُوضع في كتاب فيُدَّخَر ليوم الحساب أو يُعَجَّل فيُنقَمِ [272]

=وأسباب العداوة المستحكِمة أن اليهود اتهموا السيدة العذراء مريم ــ عليه السلام ــ بالزِّنا. قال اللهُ تعالى: ﴿ وَبِكُفْرِهِم وَقَوْلِهِم عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾[النِّساء:١٥٦].قال ابن كثير في تفسيره(١/ ٧٦٢): ((قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني أنهم رَمَوْها بالزنا ، وكذلك قال السُّدي وجويبر ومحمد ابن إسحاق وغير واحد، وهو ظاهر من الآية أنهم رَمَوْها وابنها بالعظائم وجعلوها زانية وقد حملت بولدها من ذلك زاد بعضهم وهي حائض، فعليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة)) اهـ. كما أن اليهود يتبجَّحون ويزعمون أنهم قتلوا السَّيد المسيح ﷺ . قال اللهُ تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِم إِنَّا قَتَلْنَا المِسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُم وَإِنَّ الذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنهُ مَا لَهُم بِهِ مِن عِلْمٍ إلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا(١٥٧) بَل رفَعَهُ اللهُ إِلَيهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) ﴾ [النِّساء] . وينبغي تذكُّر قول اليهود الذي يدل على الوقاحة : ((ليكن دمُه علينا وعلى أولادنا !)) [متَّى ٢٧: ٢٥] .

٢٧١ هذا البيتُ يشتمل على موعظة دينية وأخلاقية في آنٍ معًا . والشاعرُ يُطالِب بعدم إضمار الغدر ونقض العهد ، وتبييتِ نية الخيانة . وهذا الإضمارُ ــ إن حَصَلَ ــ فإن الله يَعْلمه، لأنه عالِم بالسرائر ، وكاشف لضمائر العباد. والشاعرُ يُثبِت صِفة العِلْم لله تعالى. ولا شكَّ أنه وصل إلى هذه العقيدة عن طريق اختلاطه بأهل الكتاب. ففي الجاهلية ذات الصبغة الوثنية لم يكن الناسُ معنيين بمعرفة الصفات الإلهية، ولم يهتموا ــ بالأساس ــ بهذه المباحث.وهي بالتأكيد كانت ضمن عقائد أهل الكتاب التي اطَّلع عليها الشاعرُ،واعتنقها،وبثَّها في شِعره.[انظرْ فلسفة المعلَّقات العشر، إبراهيم أبو عواد ، ص ١٣و١٤].

٢٧٢ لم يكتفِ زهير بإثبات صفة العِلم لله ، بل أيضًا نراه يتحدث عن عقائد مرتبطة باليوم الآخِر الذي يُعتبَر الإيمانُ به ناسفًا للعقائد الوثنية في البيئة العربية . فالعربُ يَعتبرون الموتَ هو النهاية التي لا شيء بعدها ، لذلك لا يؤمنون باليوم الآخر والبعث والنشور والحساب . وشعارُهم في هذه القضية " أرحامٌ تَدفع وأرضٌ تَبلع " ، وانتهى الموضوعُ . أمَّا زُهير بن أبي سُلمى ــ وهو ابن البيئة الجاهلية الوثنية ــ فقد خالفَ إفرازاتِ العقلية العربية ، وخرجَ عن المسار الوثني بشكل كامل ، مخالِفًا تقاليد الآباء المتوارَثة . فهو يؤمن بأن الله يُؤخِّر العِقابَ ويُؤجِّله ، فهو يُمهِل ولا يُهمِل . والأعمالُ تُوضَع في كتاب ، وتُسجَّل فيه بكل دقة. ويُدَّخر ليوم الحساب ، أو يتم تعجيل العقوبة في الدنيا ، فَيُنْتَقَم مِن الْمُسيء . وهذا معناه أن العقوبة قادمة لا محالة ــ آجِلًا أو عاجلًا ــ ولا مهرب منها.وهذا اعترافٌ واضح من الشاعر بوجود الله =

والعجيب أننا نجد زُهَير بن أبي سُلمى ــ وهو الشاعر العربي الوثني الجاهلي ــ يتحدث عن عِلْم الله المُطْلَق الذي أحاط بالسِّر والعَلَن . كما يتحدث عن اليوم الآخِر يوم الحساب الذي تتم فيه محاسبة العباد . وهذه العقيدة إنما وصلته من عقائد أهل الكتاب في اليوم الآخر والبعث بعد الموت . وهكذا يتَّضح التأثيرُ الدِّيني الذي أحدثته اليهوديةُ والنصرانية في البيئة العربية الجاهلية ، ويتبين لنا أن الأحبار والرُّهبان لم يكونوا نائمين في أماكن عبادتهم ، بل كانوا يَسْعَوْنَ بكل ما أُوتوا من طاقة إلى توظيف النصوص المُحرَّفة بشكل سياسي ، كَي ينالوا شرعيةً خالية من المعارِضين ، وسُلطةً أكثر إرهابًا للمُخالِفين ، وقَمْعًا للحُريات الشخصية والعامة، واضطهادًا للمُناوئين الرافضين لخرافات التوراة والإنجيل المُضادةِ للعقل الجمعي . وهذا يدل ــ بشكل واضح ــ على أن رِجال الدِّين كانوا يُسيطرون على العقول والأجسام مُستخدِمين سُلطةً وهمية باسم الرَّب ، يقومون من خلالها بزرع الأوهام في البشرِ السُّذج ، والبيئةِ البدائية ، والأنساقِ الثقافية الضَّحلة .

=وعِلْمه بالجزئيات والكُلِّيات . وأيضًا ، الإيمان باليوم الآخر ، والبعث ، والحساب ، وكتابة أعمال العِباد في الصُّحف . إن زُهَيرًا يَكشف عقيدته المضادة لتاريخ قَوْمه ، والمخالِفة للتراث الوثني المنتشر في البيئة العربية التي نشأ فيها، وعاشَ فيها . ولا يَخفى أنه شاعرٌ جاهلي ماتَ قبل البعثة المحمَّدية الإسلامية. فمن أينَ استقى هذه العقائد الغَيْبِيَّة التي كانت بعيدةً كُلَّ البُعد عن الذهن العربي ؟. لقد استقاها ــ حتمًا ــ من أهل الكتاب المؤمنين بالله واليوم الآخِر والبعث والحساب. وهذا يشير إلى مخالطته لأهل الكتاب ، والاستماع إليهم، والاطلاع على عقائدهم . كما يدل على حُب زهير للمعرفة والاطلاع وبحثه عن الحقيقة، وعدم أخذ عقائد قَوْمه الوثنيين كمُسلَّمات. فهو دائمُ البحث للوصول إلى الحق لكي يَحصل على الطمأنينة ، ويَتخلص من القلق الرهيب الذي كان يتلاعب به ضمن النسق الجاهلي . فعدمُ الاطمئنان إلى عقائد آبائه وقَوْمه العائشين في بيئته جعله قَلِقًا ، كثيرَ التفكير . وهذا أدى إلى بحثه عن عقيدة جديدة تُشعره بالأمان الروحي ، والسَّكينة العاطفية ، والراحة الجسدية. وبالتأكيد، لم يَجد أفضلَ من أهل الكتاب الذين يُقدِّمون أنفسهم كحاملين للإرث النبويِّ ، إرث موسى وعيسى ــ عليهما الصلاة والسلام ــ، وكأصحاب رسالة سماوية تتجلى في التوراة والإنجيل ، وليس رسالة أرضية وضعية. وبالتأكيد ، لقد نَظر زهير إلى أهل الكتاب باعتبارهم المَثَل الأعلى ، والقُدوة السامية ، وحاملي الوَحْي الإلهيِّ . وهذا جعله ينضم إليهم روحيًّا وعَقديًّا على الرغم من بقاء جسمه مع أبناء جِلْدته في بيئته العربية الجاهلية الوثنية . [فلسفة المعلَّقات العشر ، إبراهيم أبو عواد ، ص ١٤و١٥] .

والتأثير الأيديولوجي اليهونصراني يتم تركيزه على الجوانب الاجتماعية والدينية في حياة الفرد الجاهلي . وجاهليةُ التوراة والإنجيل قريبة من جاهلية العرب في أرض الجزيرة. إذ إن التشابه يتركز بشكل أساسي حول القيم البدائية والتفكير الضحل . وبما أن الجاهلية ظاهرة اجتماعية مرحلية تحيط بتفاصيل الحياة التي يعيشها الأفراد ذوو الأفكار الوضعية والتقاليد المتوارَثة بشكل أعمى ، فإن وجودها _ أي الجاهلية _ لا يقتصر على الواقع المادي الملموس ، بل يتعداه إلى الأذهان وطريقة التفكير والتحليل. فالنواة الجاهلية تُجسّد مركزيةَ التعامل مع العناصر المحيطة . وهذه العناصر تتمثل في اليهودية والنصرانية اللتين كانتا على تماس مباشر مع حياة الجاهلي ، مما جعلهما منبعًا للأفكار الخاطئة ، والعقائدِ الباطلة، واختلاطِ القيم السلبية ، ضمن دائرة فوضوية من التأثر والتأثير . وهذه العلاقة الجدلية تُوظَّف لصالح طبقة رجال الدِّين عند أهل الكتاب ، وعِلْيَةِ القوم من العرب الوثنيين الذين لا يدركون جدلية هذه العلاقة ومتطلباتها الوثنية وخطورتها .

إن طَبْع صورة الدولة الجاهلية المُشتَّتة في أذهان العوام ، يُهيمن على طبيعة التحليل الفكري الذي يغدو لامنطقيًّا ، بسبب التشبث بمقاليد الحُكم الاستبدادي . والتمسك بدفة القيادة اللاواعية أو ذات اللاوعي المُصطنَع، يُكرِّس عناصرَ الواقع المتخيَّل لخدمة طبقةٍ قليلة، وفئةٍ مُتحكِّمة في رقاب الكثيرين . وهذه الطبقة تصير جزءًا من قانون بوليسي عُرفي تُؤخذ مواده من التوراة والإنجيل ، وتنعكس حيثياته على حياة بعض الجاهليين الذين وجدوا في اعتناق اليهودية أو النصرانية مُتَنَفَّسًا ، ولكنهم سرعان ما اكتشفوا أن ذلك الاعتناق إنما هو مهزلة حقيقية لا تشفي غليلًا ، لأن اليهودية والنصرانية مُنْتَجَان هُلاميان أنتجتهما ظروف تاريخية انقرضت . حتى العقائد الصحيحة كالبعث واليوم الآخِر ، يتم صهرهما في قالب من العشوائيات والهذيان والعقائد الوثنية في كل من اليهودية والنصرانية . وليس أدل على كلامي من قول الشاعر زُهَير بن أبي سُلمى :

رأيتُ المنايا خَبطَ عَشواءَ مَن تُصِبْ تُمِتْهُ وَمَنْ تُخطِئْ يُعَمَّر فيهرَمِ [٢٧٣]

---

٢٧٣ يُمَثِّل الموتُ صدمةً فكرية في المجتمع الجاهلي الوثني . والكثيرون لا يَقدرون على تحمُّل هذه الصدمة الشديدة، وهذا قادهم إلى اعتبار الموت مجرَّد عملية عبثية ، ولعبة صبيانية، لا طائل من ورائها. وهذه نظرةٌ نابعة من صميم العقيدة الوثنية التي لا تؤمن بالحياة بعد الموت . وأصحابُ هذه العقيدة الفاسدة يَضعون وجودَهم تحت شعار" أرحامٌ تَدفع وأرضٌ تَبلع ". فالموتُ _ عندهم _ هو نهاية المطاف ولا شيء بعده.=

ها هُوَ يُقرِّر أن الموت يُصيب الناسَ بشكل فوضوي عبثي ، وهذه عقيدة تُعارض العقيدةَ الصحيحة وهي أن الله تعالى يقبض أرواحَ الأشخاص الذين انتهت أعمارُهم . وهذه الرِّدة في التفكير نابعة من عَجْز اليهوديةِ والنصرانيةِ عن تقديم الطمأنينة والسُّمو الروحي الإيماني .

ولا يمكن أن يتأتى تحليل المدلولات الفكرية للحقبة الجاهلية بدون المرور على التأثيرات المركزية للمؤسسة الدينية اليهونصرانية ، وما خلَّفته من عقائد زائغة ومفاهيم شابها الكثير من التناقض والاضطراب. فهاتان الدِّيانتان عاجزتان عن تقديم الإجابات الشافية عن الأسئلة الوجودية الحتمية التي تختمر في ذهن الفرد ، وتنعكس ـــ شاء أم أبى ـــ على حياته الذهنية والواقعية . كما أن التوظيف التعبيري لطريقة سياسة الناس متأثر بالتناقضات الفلسفية التي دخلت في عقائد أهل الكتاب . وبالتأكيد، إن العقلية الوهمية المتفشية في سياقات التوراة والإنجيل ، ما هي إلا انعكاس للحتمية الضبابية في مستويات العقيدة المُضادة للطموح البشري في التحرر والتحرير .

=والشاعرُ يَعتبر الموتَ مُقامرةً غير محسوبة ، متأرجحةً بين النجاح والفشل . والموتُ ـــ في نظر الشاعر ـــ سهمٌ قد يُصيب الهدفَ ، وقد يُخطئه . وهو بذلك لا يَرى أيةَ قوة محرِّكة للموت ومُسيطِرة عليه . وإنما يَنظر إليه باعتباره فِعلًا ميكانيكيًّا غامضًا ونابعًا مِن ذاته ، ومُتذبذبًا بين إصابة الهدف وعدم إصابته . والموتُ في هذا المنظور كالقطار الذي قد يَلتزم بالسِّكة فيصل إلى وجهته، وقد يَنحرف عنها فلا يصل إلى المحطة المقصودة . والشاعرُ عاشَ لمدة طويلة ، وامتدَّت به الحياة حتى قاربَ المئة أو كاد. وقد سَئِمَ من حياته الطويلة ، واشتاقَ إلى الموت لأنه اعتبره راحةً من الملل والسآمة والروتين . ولم يَجد تفسيرًا لطول عُمره وبلوغه مرحلة الهرم إلا اعتقاد أن الموتَ أخطأه ، وأن سهمَه طاشَ هذه المرة . وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مقدار القرف الذي وصلَ إليه الشاعرُ ، وجعله يستعجل الموتَ ، ويتمنى قدومَه بأسرع وقت. ولا شك أن زُهَيْرًا ـــ بسبب طول عُمره ـــ قد رأى الكثيرين من الأقارب والأصدقاء والأعداء قد ماتوا. إنهم يَتساقطون واحدًا تِلْوَ الآخَر على مَرأى منه ومَسْمَع. لذلك عندما يقول:((رَأيتُ المنايا))، فهذا يدل على خبرة تراكمية . ولكنَّ هذه الخبرة لم تزده إلا انحرافًا وضلالًا وسآمةً . فهو يَعتبر أن المنايا تصيب الناسَ على غير نسق وترتيب وبصيرة كما أن الناقة تطأ على غير بصيرة. والعَشواءُ هي الناقة التي لا تُبصِر ليلًا. ثم قال : مَن أصابته المنايا أَهْلَكَتْهُ وَمَن أخطأته أبقته فبلغ الهرم . إذن ، فالموت ـــ وَفق هذه الرؤية ـــ نسقٌ عابث ، وعملية عشوائية تفتقد إلى البصيرة، ولا تتمتع بدقة الإصابة. ولا قُوَّةٌ مسيطرة على الموت، ولا منطقٌ يَحْكمه . والعمليةُ برُمَّتها تُشبه لعبة القِمار ، قد يفوز فيها الشخصُ ، وقد يَخسر .

وهكذا تصبح العلاقةُ الفَوضوية بين التوراة والإنجيل أساسًا فلسفيًّا لتحريفِ الألفاظِ والمعاني، وأساسًا معرفيًّا للتناقض الاجتماعي ، وأساسًا روحيًّا للعقائد الوهمية المهزوزة ، وأساسًا اجتماعيًّا للتطبيقات الإنسانية العبثية ، وأساسًا حياتيًّا لاختلال النظام الفكري المُوزَّع بين الذهن والواقع . وهذا يؤدي إلى خلق نظام فَوْضوي [٢٧٤]، يقوم على التداعيات النفسية الواقعة على الجماعة البشرية ، والانسحاباتِ المُؤدْلَجَة ذات القِيَم السلوكية العبثية .

إن الاتجاهات الفكرية للأنظمة الفوضوية ذات مدلولات إرهاصية ، تتعلق _ بشكل أو بآخَر_ بالنواحي الدينية والاجتماعية داخل المحيط الإنساني الذي يُكوِّن فلسفته الخاصة القائمة على الانتقائية الفَجَّة ، من أجل السيطرة على عقول العوام ، وتوجيهها نحو خدمة أصحاب النفوذ والسَّطوة . وهنا ، تبرز أهمية الانتباه إلى أنواع الصراعات المُستفحِلة داخل الأوساط الدينية في المؤسسة اليهونصرانية . فهناك صراع رجال الدِّين مع النَّص الذي يظنونه مقدَّسًا ، وصراع رجال الدِّين مع السُّلطة الدِّينية العليا (الكنيس أو الكنيسة) . وصراع الأصوليين مع المُجدِّدين ، والصراع على احتكار النص ، وتأويله بما يَخدم مصلحة الطبقات المُتنفِّذة في المجتمع .

وهذه السياسات الدينية المتطرفة ، إنما تسير وَفْق منظومة استبدادية تحتكر ما تعتقده حقًّا مُطْلَقًا . وإذا فهمنا هذه النقطة نستطيع فهم سبب مُقاومة اليهود والنصارى للرسالة المُحمَّدية الإسلامية. إذ إنهم كانوا يعتقدون أنهم على الحق المُطْلق ، وغَيرهم على الباطل المُطْلق [٢٧٥]،

---

٢٧٤ النظام الفَوْضوي : تشكيل ذهني منعكس عن واقع يعتمد على الفوضى التامة في الحياة ، وهذه الفوضى تصير بحد ذاتها نظامًا ، إذْ تُصبح الوسيلةَ والهدف . ومن أبرز الأمثلة على الأنظمة الفوضوية : التوراة والإنجيل الواقعان في دائرة التحريف والاحتلال . وينتج عن هذا الأمر تناقض وظائف الإنسان الروحية والمادية، واختلال علاقته بمحيطه الذي يصبح منفيًّا ضمن أفلاك من الفوضى المنظَّمة التي تؤدي إلى تعميق الفجوة بين الإنسان وذاته .

٢٧٥ المسلمون وَحْدَهم على الحق المطْلق ، وغيرهم على الباطل المطْلق . وهذا ليس تَعَنُّتًا أو استكبارًا بغير الحق . إن المسلمين يستندون إلى الدِّين السماويِّ الوحيد (الإسلام) ، والكتاب السماويِّ الوحيد المحفوظ مِن التحريف والتغيير (القُرآن). وبالتالي فَهُم _ وَحْدَهم _ المُرتبطون بالسماء ، وما عداهم ما زالوا يرزحون تحت وطأة الديانات الأرضية الشيطانية التي أسَّسها الشيطان لعباده . قالَ اللهُ تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دِينًا فَلَن يُقبَلَ مِنهُ وَهُوَ في الآخِرَةِ مِنَ الخاسِرِين ﴾ [آل عِمران : ٨٥] .

وهذا غُرور واستكبار وعناد ، وإرهاب فكري مارسه أهل الكتاب الذين حَرَّفوا كتبهم ، وشَوَّهوا تعاليم أنبيائهم _ عليهم الصلاة والسلام _ . إنهم حرَّفوا التعاليمَ السماوية من أجل المحافظة على نفوذهم ومكانتهم الاجتماعية ، مُؤثِرين حُطام الدنيا الفاني على نعيم الآخرة الباقي ، وهذا سوء نظر في الأمور ، واستدلال ممتلئ بالأخطاء والأفكار الواهية التي لا تُسمِن ولا تُغني مِن جُوع .

وتأثير أهل الكتاب في عرب الجاهلية كان وَبالًا عليهم جميعًا . وهذا التأثير مرجعه إلى خضوع أهل الجاهلية لمُراوَغة أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ، وقدرتهم على التلاعب بالنصوص الدينية التي لديهم ، وتأويلها بما يضمن استمرارَ نفوذهم . كما أن أهل الجاهلية كانوا ينظرون إلى اليهود والنصارى على أنهم أصحاب مكانة سامية متقدمة على الجاهلية الدونية بسبب وجود التوراة والإنجيل بين أيديهم . وهذه النقطةُ استغلها أهلُ الكتاب من أجل تحقيق أرباح شخصية على حساب جهل المشركين ، وتوسيعِ نفوذهم ، والحصولِ على مكانة اجتماعية عُليا . وهكذا تتجلى فلسفة أهل الكتاب في المتاجرة بنصوصهم الدِّينية التي يُقدِّسونها ظاهريًّا ، ويَتلاعبون بِها باطنيًّا . قالَ اللهُ تعالى : ﴿ أَلَم تَرَ إِلَى الذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الكِتَابِ يُؤمِنُونَ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ [النِّساء : ٥١] .

الاستفهامُ للتعجيب . والمقصود هُم اليهود الذين دَرَسُوا التَّوراةَ ، وعَلِمُوا ما فيها مِن أحكام وشرائع ، ومعَ هذا يؤمنون بالأصنام والأوثان وكُل ما عُبِدَ مِن دُون الله تعالى . إنهم لم يَنتفعوا بالعلوم الدينية التي حصلوا عليها ، لأن مصالحهم المادية طَغَتْ على شرف العِلْم ، وطَمَسَت الإخلاصَ في طَلَبه ونَشْره . ويقول اليهود لكُفَّار قُرَيش : أنتُم أهدى مِن محمد وأصحابه ، وأقْوَم دِينًا ، وأحسن طريقةً.لقد فضَّل اليهودُ (وهُم أهل كِتاب) مُشركي قُرَيش الوثنيين عَبَدَةَ الأصنامِ على المُسلمين المُوحِّدين . وفي هذا دَلالة واضحة على أن كُفر اليهود قائم على العِلْم والمعرفة والعِناد والاستكبار والحسد والغرور واتِّباعِ الأهواء ، والحرصِ على المصالحِ الشخصية والمنافعِ المادية ، وعِشْق الدُّنيا ، والتَّمَسُّك بالمناصب والرئاسة والزعامة .

أمَّا سبب نُزول الآية ، فعن ابن عباس _ رضي اللهُ عنهما _ قال : لَمَّا قَدِمَ كَعْب بن الأشرف مكة أَتَوْه، فقالوا : نَحْنُ أهلُ السِّقاية والسِّدانة ، وأنت سَيِّد أهل يَثْرِب ، فنحن خَيْرٌ أم هذا الصُّنَيْبير المُنْبَتِر من قَوْمه _ يَقصدون النبيَّ ﷺ _ ، يَزعم أنه خَيْرٌ مِنَّا ، فقال : أنتم خَير مِنه [٢٧٦].

---

٢٧٦ رواه ابن حِبَّان في صحيحه(١٤/ ٥٣٤).وفي تفسير ابن كثير(٤/ ٥٦٠):رواه البَزَّار بسند صحيح.

جاء كُفَّارُ مكة (عَبَدَة الأصنام والأوثان) ، وقالوا لكعب بن الأشرف الذي كان زعيمًا يهوديًّا معروفًا : نَحْنُ الذين نَسْقِي الحَجِيج ، ونَخدِم الكعبة ، وأنتَ سيِّد يَثرب وزعيمها _ ويَثرِب الاسم القديم للمدينة المُنوَّرة _ . فَمَن أفضل نَحْن أم محمد ؟ . وقد وَصَفُوا النبيَّ ﷺ بأنه صُنَيْبير ، أي: أبتر لا عَقِبَ له (لا أبناء له) ولا أخ ، فإذا مات انقطعَ ذِكْرُه ، وبأنه مُنْبَتِر (مَقطوع، لا وَلَد له). فقال لهم كعب بن الأشرف _ لعنه اللهُ _ : أنتم أفضل مِن محمد ، وأقْوَم دِينًا ، وأحسن طريقةً .

إن كعب بن الأشرف الذي كان من زعماء اليهود استغل مكانته وعِلْمه بوصفه من أهل الكتاب للتدليس والتلبيس على أهل الجاهلية الوثنيين ، فكانت النتيجة أن قام بهذه الخيانة الشنيعة مُفَضِّلًا عَبَدَةَ الأصنام والأوثان على إمام المُوحِّدين الأنقياء محمد رسولِ الله ﷺ . وهذا يدل على عناد اليهود واستكبارهم وقَسوة قلوبهم ، واتِّبَاعهم لأهوائهم ومصالحهم ، وحِرصهم على الزعامة .

وتفضيلُ الباطل على الحق مرجعه إلى نَيْل رضا عِلْية القوم المُتنفذين بُغية تحقيق مكاسب ذاتية تشتمل على توسيع دائرة النفوذ والهيمنة في مجتمع المنحرفين عن الصراط المستقيم، وإبعادِ الناس عن الحق الذي يفتح العيونَ على الإيجابيات والسلبيات، وهذا لا يريده المُتنفذون، لأنه يُهدِّد مصالحهم وسيطرتهم ، ويُقوِّض سُلطتهم ، ويُشكِّل خطرًا على مناصبهم ومكتسباتهم المادية.

إن الكفر مشروع استثماري مادي لتكريس سيطرة السادة على العبيد ، والحفاظِ على مصالح أصحاب القرار ، والحَيلولةِ دُون نقد الأوضاع السيئة . فمن مصلحة الطغاة في كل العصور أن يظل الناسُ بدون عقول مُفكِّرة ، لأن العقلَ المُفكِّر يقود إلى النقد والنقض ، وهذا يُشكِّل خطرًا كبيرًا على نفوذ عِلْية القوم في المجتمعات القائمة على تجذير الباطل وحراسته . وبالتالي ، إن الأنظمة الطاغوتية المنتشرة في العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية تخشى من رياح التغيير. ومِن مصلحتها أن يظل الوضعُ ثابتًا ، بلا تغيير ، وأن يظل الماء راكدًا آسِنًا كَي تَقْدِر على مواصلة العَيش في المستنقعات . وبما أن الإسلام قد قام بتثوير المجتمع وزرعِ القِيَم الانقلابية ، حيث انقلاب العدل على الظلم ، وأحدثَ حركةَ تصحيح للمسار والمفاهيم والسلوكيات ، فسوف يُحارَب بكل شراسة لأنه تهديد حقيقي لنفوذ الفاسدين وحُرَّاسِ الخُرافات .

وبسبب عداوة كَعْب بن الأشرف الشديدة للنبيِّ ﷺ،وإعلانه الحرب على الإسلام والمسلمين، فقد هُدر دمُه بسبب خيانته العُظمى ، وأرسلَ النبيُّ ﷺ مَن اغتاله . معَ العِلْم أن الإسلام لا يُحارِب الناسَ بسبب عقائدهم . فهُم أحرارٌ في اعتناق ما يَرَوْنه مُنَاسِبًا. ولكنْ إذا تعرَّض الإسلامُ لهجوم وحرب مُستعِرة ، فعندئذٍ سَيُدافع المسلمون عن دِينهم ووجودهم . وعلى الطرف الآخر تحمُّل

المسؤولية كاملةً . والكافرُ المُحَارِبُ مَهدور الدم في كُل زمان ومكان . وهذا الكلامُ ليس غريبًا . فكلُّ دول العالَم تضع قوانين لحماية وجودها ومواطنيها، وتَعتقل أو تَقتل كُلَّ الذين يُهدِّدون مصالحها.والمنهجُ الإسلاميُّ واضح في عدم الاعتداء على أحد، ولكنه يُميِّز بين المُسَالِمِين والمُحَارِبين . وكُلُّ عقيدة لا بُدَّ لها مِن قُوَّة تَحميها ، وكُلُّ قوةٍ لا بُد لها مِن عقيدة تُوَجِّهها .

وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٢٠٢) : ((﴿ أَلَم تَرَ إِلَى الذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الكِتَابِ يُؤمِنُونَ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ . نزلت في اليهود كانوا يقولون : إن عبادة الأصنام أرضى عِند الله مِمَّا يَدعوهم إليه محمد . وقِيل : في حُيَي بن أخْطَب وكَعْب بن الأشرف في جَمْع مِن اليهود خرجوا إلى مكة يُحَالِفُون قُرَيْشًا على مُحاربة رسول الله ﷺ ، فقالوا : أنتم أهل كتاب، وأنتم أقرب إلى مُحمَّد مِنكُم إلَينا ، فلا نأمَن مَكْرَكم ، فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ، ففعلوا . والجِبْتُ في الأصل اسم صنم ، فاسْتُعْمِل في كل ما عُبِدَ مِن دُون الله ... . والطاغوت يُطلَق لكل باطل مِن مَعبود أو غَيره ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ لأجلهم وفِيهم: ﴿ هَؤُلاءِ ﴾ إشارة إليهم ﴿ أَهْدَى مِنَ الذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ أقْوَم دِينًا ، وأرْشَد طريقًا)) اهـ .

والبيئة الجاهلية المُتشظية إلى مناخات وثنية: عربية ويهودية ونصرانية، تؤسس احتكارَ ما يُعتقَد أنه حق . وتعميقًا لهذه الفكرة السائدة في الأوساط الصنمية ، تقوم القوى المؤثرة داخل العقيدة الجاهلية بإضفاء صفة العِصمة على الممارسات البشرية الدُّونية التي تتَّخذ شكلَ العِباداتِ الدينية ، والطقوسِ الفكرية، والشعائرِ التَّعبدية، والسُّلوكياتِ الاجتماعية، والهواجسِ الذهنية، والطموحاتِ المستقبلية . وكلُّ هذه العناصر تؤدي إلى بناء منظومة انتحار تدريجي للمعاني والقِيَم . وللأسف ، فإن القيم الميْتة تُصبَغ بهالة القداسة والكمال والعِصمة.ولا شَكَّ أن اليهودية والنصرانية غارقتان في الأُطر الوثنية. وهاتان الدِّيانتان قائمتان على تشبيه الخالق بالمخلوق،والمخلوق بالخالق. وأيضاً،قائمتان على التجسيم (اعتقاد أن اللهَ جِسْم) . والمُجَسِّمُ يَعبد صنمًا ماثلًا في فِكْره المريض . وللأسف ، إن مُؤسِّسي التجسيم هُم أهل الكتاب (اليهود والنصارى). وسبب ذلك هو عِشْقهم لإله مادي مُتجسِّد يُماثلهم في الصفات والأفعال والخصائص. وينتج عن مِثل هذا التفكير صراع حاد بين مُكوِّنات البيئة البدائية التوراتية والإنجيلية ، ويتكرس الصراعُ كنمطٍ مصبوغ بالعدمية والعبثية ، ثُمَّ يُنظَر إليه كَدِينٍ مُقدَّس في الثقافة الوثنية ذات الأجهزة البوليسية .

وإذا أنعمنا النظر في خُرافة " صَلْب المسيح " التي اخترعها أصحابُ الأناجيل وعلماءُ النصارى ، نجدها نتيجة طبيعية لاحتكار رجال الدِّين لتأويل النص الديني الوثني، واستيلائهم على

الألفاظ والمعاني ومدلولاتها ، مِمَّا مَكَّنهم من فرض سيطرتهم على الموروث الديني العابث، وتوجيهه نحو تعزيز القيم الرافضة للآخَر، وتفعيلِ الأدوار غير الأخلاقية ، وبناءِ منظومات بعيدة كل البعد عن احترام إنسانية الإنسان . وبنائيةُ الأفعال الذهنية الشاذة عن المسار الحضاري الفاعل تُنتج حركاتٍ نفسية واجتماعية انتكاسية تنحت أخاديد مرفوضة منطقيًّا في سلسلة اللاوعي الانسحابي. ويظل التناحرُ داخل النسق التحطيمي الباعثَ على احتقار كَينونة الفرد ، وهضمِ حقوقه في قلب بيئة رافضة للتقدم ، ونابذة لكل فكر خلاق ، لأن الفكر الخلاق _ من وجهة نظر العلاقات المبنية على الوثنية _ يهدد نظامَ الحُكم سواءٌ كان فكريًّا أم واقعيًّا ، فرديًّا أم جماعيًّا . ولَيْست الحرية في هذا الصراع المتفشي سوى تفريغ للشهوة الممزوجة بالجموح المسعور ، الذي يتمُّ توجيهه إلى أنساق بشرية مُعقَّدة ، لا تَعرف طُرُقَ التعامل مع ثنائية الشهوة وتفريغها .

والأجهزةُ المُسيطِرة على بُنى التحركات الفلسفية في سياق الوثنية ، تعمل ليلًا نهارًا لإنتاج إنسان مُنفصل عن السماء ، ومقطوع عن الوَحْي الإلهيِّ . وللأسف ، إن اليهونصرانية تساعد على ذلك ، أي إنها تعمل لسلخ الإنسان عن خضوعه لله تعالى، بسبب كَونها قاصرةً عن توفير المتعة والأمان الروحِيَّيْن . ولنضرب مثالًا على فشل اليهودية في قيادة الحيارى إلى اليقين والخلاص ، عِلْمًا بأن النصرانية غارقة في الفشل كما اليهودية . فنقول إن أرِسْطُو (الفَيلسوف الشهير) [٢٧٧]، قد ظَهَرَ بعد النبيِّ موسى ، وقبل النبي عيسى _عليهما الصلاة والسلام_، لكن العقائد الزائغة التي وصلته من اليهودية المنسوبة _ كَذِبًا وزُورًا _ إلى النبيِّ موسى ﷺ ، كانت مُشوَّشة وعدمية . وليس أدل على ذلك من عقيدة أرسطو المُتعلقة بالإله . إذ إنه يعتقد أن الإله لا عمل له ولا إرادة ، وسبب هذا الزعم هو اعتقاده بأن العمل طلب لشيء ، والله غنيٌّ عن كل طلب ، وقد كانت الإرادة اختيارًا بين أمْرَيْن ، والله قد اجتمع عنده الأصلح الأفضل من كل كمال، فلا حاجة به إلى الاختيار بين صالح وغير صالح ، ولا بين فاضل ومفضول . هذه هي شُبَه أرِسْطُو . وقد مَزَجَ الحقَّ بالباطل، وخَلَطَ الحابلَ بالنابل .

---

٢٧٧ أرِسْطُو طاليس (٣٨٤ ق.م. _ ٣٢٢ ق.م.) . فيلسوف وثني عُنصري ، يُجسِّد الجاهلية اليونانية بكل طغيانها وجهلها . كانت المجتمعات اليونانية في عصره تتكون من طبقتين هما : السادة والعبيد . ويكفيه عنصريةً أنه كان يرى أن مهمة العبيد هي العمل البدني وخدمة السادة فقط ، وأنهم لَيسوا مُؤهَّلين لممارسة الفضائل واكتسابها .

وللرد على هذا العُقم الفلسفي العشوائي العدمي، نقول إن الله تعالى فَعَّالٌ لِمَا يريد ، يعمل ما يشاء . وأعمال الإنسان هي طلب لشيء لكَون الإنسان داخلًا في عِداد الأجسام، لكن أفعال اللهِ الإلهِ العظيم وأعماله ، ليست طَلَبًا لشيء ، إذ إنه ليس كمِثْله شيء ولا هو مِثْل شيء ، وهو _سُبحانَه وتعالى _ مُخالف للحوادث والأجسام والأعراض والجواهر .

وأعمال الله تعالى إنما هي بعِلْم قديم أزليٍّ ، لم يَزَلْ مَوصوفًا به في أزل الآزال ، لا بعِلْم مُتجدِّد حاصل في ذاته بالحُلول والانتقال . أمَّا الإرادة فهي صفة قديمة زائدة على الذات ، قائمة بها ، تُخصِّص المُمكنَ ببعض ما يجوز عليه على وَفْق العِلْم ، وهي واحدة . ولَو لم تَجِبْ له الإرادة لكان مُكْرَهًا ، ولو كان مُكْرَهًا لَمَا وُجِدَ شيء مِن هذا العالَم ، ولكن العالَم موجود ، فثبتَ كَونه سُبحانَه مُتَّصِفًا بالإرادة .

أمَّا ما ذهب إليه أرِسْطُو إلى أن الإرادة اختيار بين أمْرَيْن ، وأن الله تعالى لا حاجة به إلى الاختيار بين صالح وغير صالح ، لأنه اجتمع عنده الأصلح ، فنقول إن عبارة " غير صالح " تكون نِسْبية حين يستخدمها الإنسان، فقد يظن المرءُ أن أمرًا ما غَير صالح، لكنه في الحقيقة قد يكون صالحًا له ، لأن عِلْم الإنسان مَحدود وقاصر . لذلك ، نقول : إن هناك الصلاح والأصلح ، ومن الجائز في حقِّه تعالى فِعْل الصلاح والأصلح ، وليس من الواجب [٢٧٨]. ولَو كان واجبًا لَمَا وَقعت مِحنة دنيا ولا أخرى ، ولَمَا وقع تكليف بأمر ولا نَهْي . وهكذا تتساقط مزاعم أرسطو بالكُلِّية .

إن التجارب الأيديولوجية الجاهلية تؤثِّر على روابط المحيط الاجتماعي ، وأفعالِ الكائن البدائي. لذلك فإننا نجزم أن الفوضوية التوراتية الإنجيلية ، قد أثرت على بعض مساحات التفكير داخل الجماعة في أرض الجزيرة العربية، لكن هذا التأثير كان مختلطًا بغبش واضح وضبابية لم تُجِب عن أسئلة الفرد ، ولم تُشبع رغباته وشهواته وميوله وتطلعاته . وما الأجزاءُ العدمية المهيمنة إلا صورة طبق الأصل للمشروع الذهني والواقعي، ونتيجة نوعية لارتباك السُّلطة المحلية وعبثها المتواصل في جوف التحديات المستقبلية . وتعيينُ المواقع الجيوسياسية في أنوية المحيط الأولي نابع _ بالأساس _ من المصالح الشكلية النفعية المبنية على أرضية غير ثابتة، يتم تأطيرها ضمن الإرهاب اليهونصراني ، وقمعِ التوراة والإنجيل لكل فكر خلاق مُبدِع. وقد استشرى القمع بصورة

---

٢٧٨ قالت المعتزلة بوجوب الصلاح والأصلح على الله تعالى ، وهذا سُوء أدب. ويبدو أنهم قد أُصيبوا بلَوْثة الفلسفة ، خصوصًا فلسفة أرسطو .

هستيرية في المحيطات الفلسفية الغارقة في التخلف والتبعية العمياء . وهذه التَّحليلاتُ الفكرية للمؤسَّسة الفوضوية القائمة على قتل المعنى وبناءِ نزيف الفكرة، لا تَعْدو عن كَونها إضاءةً في ليل بهيم لا يُعرَف أوله من آخره ، ومحاولةً لتشخيص الحالات التي تُبرِز المأزقَ الوجودي في التجمع البشري الأولي . والانتقالاتُ المضطربة في التأسيسات المعنوية هي نَص دِيني مُنحرف داخل أنساق التوراة والإنجيل . وهذا أدى إلى تغيرات في أشكال المعنى وأبنيةِ اللفظ المُسيَّس .

ومحاولةُ بناء النُّظم الاجتماعية الاستبدادية ، كانت الباعثَ على تكريس مركز السُّلطة ومركزيةِ الموروث المتداعي ضمن قواعد عامة تتضمن الفروع المتساقطة والأصول المتداعية . إننا أمام حالة عقيمة من التوترات النفسية المتولدة من عُقْم النص الديني عند أهل الكتاب . والعُقمُ النَّصي المُتَوَارَث في اليهونصرانية هو المُحرِّك الأساسي للفكر الهدَّام في بُنية النُّظم الاجتماعية. وبما أن التوراة والإنجيل نتاج بشري مُؤدلَج ، كان من الطبيعي أن تستند النصوص الدينية إلى الإسهامات البشرية ، والأساطيرِ التاريخية ، والطقوسِ الخيالية . ولأنَّ أهل الكتاب كانوا على صلة وثيقة بالحياة الجاهلية، وجدنا أن دورهم كان يتعاظم شيئًا فشيئًا، ليس بسبب جَودة البضاعة ، وإنما بسبب نشاط المُتاجرين بالنص الديني الوهميّ ، والمُؤسَّسِ على قاعدة الخرافة ، والمُسْتَنِدِ إلى خلفية الوهم العابث ذي التشظيات الفلسفية المُغرِقة في العدم .

وأديانُ العرب في الجاهلية كانت مختلفةً . وهذا الاختلاف يعتمد على إفرازات البيئة الاجتماعية ، فالإنسانُ ابنُ بيئته . وأيضًا، يعتمد الاختلافُ الديني على الاستعداد النَّفْسي والعقلي لأفراد القبائل . وبالتأكيد ، إن كُلَّ قبيلة كانت تُشكِّل وَحدةً مجتمعيةً خاصة من حيث العقائد الدينية ، والمَوروث الثقافي ، والقدرات المادية ، والتاريخ ، والخصائص الاجتماعية .

وقال الأبشيهي في المُسْتَطْرَف (٢/ ١٧٤) : ((كانت النصرانيةُ في رَبيعة وغَسَّان وبعض قُضاعة . وكانت اليهوديةُ في نُمَيْر وبني كِنانة وبني الحَرث بن كعب وكِندة . وكانت المجوسيةُ في بني تميم ... . ومنهم الأقرع بن حابس كان مجوسيًّا . وكانت الزَّندقةُ في قُرَيْش ، أخذوها من الجزيرة)) .

***

النشأة الأسطورية للعقائد الدينية

إن الأداء الصوري للعقائد الدينية في اليهودية والنصرانية _ اللتين تُمثِّلان بؤرة فوضى الديانات الأرضية الوضعية البشرية _ ينبثق من هالة الانكسار الديني الاجتماعي ، سواءٌ ضمن المُكوِّنات الإرهابية في التوراة والإنجيل ، أم ضمن هاجس اللاوعي النسبي في مأزق العقل اللاهوتي المُتماهي مع الأدلجة السياسية . والتعتيمُ الذي تفرضه الأنساق المحورية الجدلية حول مركزية استقطاب البؤر الدينية ، إنما يهدف إلى إتاحة المجال لفلسفة الخرافة المصلحية كي تغدو نصوصًا مُقدَّسة ، مِن أجل توزيع الأدوار النَّصية على انكسارات المجتمع الشهواني السِّلعي ، حيث يصير هوسُ الاستهلاك تيارًا فلسفيًّا رسميًّا ، ويصبح الفردُ آلةً شَيْئِيَّة تعيش لنفْسها مِن أجل نفْسها ضمن جدليات المنفعة الشخصية البَحْتة . وكُل الأوصاف الجدلية المفروضة على النظام الاستهلاكي المجتمعي ، هي سِمات بشرية فوضوية ، تستمد مُكوِّناتها مِن غبش التأويل التَّوراتي الإنجيلي ، والأوهامِ الطبقية الدينية التي يتمُّ دمجها بأنساق الفوضى الخلاقة في التوراة والإنجيل . وهذا الانهيارُ الديني الشامل أصابَ عقائدَ أهل الكتاب في مَقتَل ، كما أنه أدَّى إلى انهيار المنظومة الأخلاقية بالكامل ، لذلك تكرَّسَ الكبتُ الجنسي في " الكتاب المُقدَّس " ، وانتشرت فضائح رجال الدِّين اليهود والنصارى الذين يتحرَّشون جنسيًّا بالنساء والأطفال ، وأدَّى هذا إلى تحطيم صورة الفاتيكان الذي وَجَدَ نَفْسَه غارقًا في الفضائح الجنسية التي كشفتها وسائل الإعلام.

إن النصرانية (المسيحية) تقوم على أُسس مُضطربة ، ويتم تقديس الفَوضى وتقديها كنظام ديني شامل ومتكامل . وهذا الوهمُ قاتل ، وذو تأثير سلبي على العقائد الدينية والأخلاق. فَمَثَلًا ، خشبة الصليب التي هي إحدى أشكال المواد في الطبيعة ، أُحِيلت إلى عقيدة دينية رئيسية في الميثولوجيا النصرانية (المسيحية) ، وأضحت تيارًا أيديولوجيًّا أساسيًّا، على الرغم مِن أن الصَّليب شكل من أشكال النازية الدينية ، لكنَّ التكثيف الأُسطوري المُسلَّط على إشكاليات الإفرازات الإنجيلية حوَّل المواد الطبيعية كالخشب ، إلى عقائد متطرفة داعمة للإرهاب العابر للقارات.

والمشاركون في الحملات الصليبية في كل الأطوار التاريخية_ تخطيطًا وتنفيذًا_ اتَّخذوا مِن الصليب شعارًا لهم ، وهذا دليل باهر على الأبعاد العسكرية الإرهابية لعقيدة الصليب الوهمية . خُصوصًا في ظَل التَّكثيف الميثولوجي (الخُرافي) الذي يخلط_ عمدًا_ بين المُقدَّس والمُدنَّس ، من أجل تثبيت الافتراضات الهُلامية على أرض الواقع، ووضع العَرَبَة أمام الحصان ، لإقناع العوام

بقداسة المُدنَّس ومركزيته الدينية والأخلاقية . وهذا يضمن توسيع دائرة القداسة الافتراضية ليدخل فيها كل من ترضى عنه الكنيسة . وتتجذر كافةُ الإفرازات الكنسية البشرية كمُسلَّمات إلهية مُحاطة بالقداسة ، وذلك من أجل تحصين أفعال رجال الدِّين ، واختراع قداسة وعِصمة لهم ضِد النقد .

إن الكنيسة بوصفها فعل الاغتصاب الأيديولوجي ، لها تاريخ حافل في الإرهاب النَّصي وتطبيقاته على أرض الواقع ، واختراع العِصمة المُقدَّسة ، وإسقاطها على الإفرازات العابثة ، مِن أجل ابتزاز العوام والجُهَّال والأتباع واستغلالهم ، والسيطرة عليهم عن طريق صناعة وعود لا منطقية قائمة على إشكاليات الخلاص والغُفران والحياة الأبدية ، التي تمر عبر التأطير الأسطوري للعقائد الدينية المُتضاربة ، التي تصنع جَنَّةً افتراضية في الأذهان ، لتبيعها للجُهَّال ضمن صفقات صُكوك الغُفران . وكُل انهيار ديني يترافق مع سقوط أخلاقي ، لذلك تَمَّ تكثيف أبعاد الصليب كحالة كبت جِنسي ، وصار الصليبُ عَقيدةَ كَبْتٍ جِنسي متماهية مع الفوضى الجنسية في التَّوراة ، باعتبارها العهد القديم ، وأساس العهد الجديد (الإنجيل) . ولا شَكَّ أن النصارى تابعون لليهود ، كما أن الإنجيل تابع للتَّوراة.وكُل جديد تابع للقديم ، لذلك كان العهدُ الجديد تابعًا للعهد القديم.

وسببُ تقديس إشكالية الصليب الخُرافية الاعتقاد الخاطئ بأن المسيح صُلِبَ عليه لِيَفْدِيَ البشرية ، ويَمنحها الخلاصَ . لكن خشبة الصليب جماد ، والكائن الحَي أفضل مِن الجماد عند كل العُقلاء. ومن خلال هذا المَنظور كان الجَحْش أو الحمارة أفضل من الصليب وأحق بالتقديس عند النصارى، لأن المسيح ركب عليهما حَسَب إنجيل مَتَّى[٢١: ٥و٦و٧]: ((بشِّروا ابنةَ صِهْيَون : ها هو مَلِكُكِ قادمٌ إليكِ وديعًا يَركب على أتان (حمارة) وجحشٍ ابن أتان !)) فذهب التلميذان وفعلا ما أمرهما به يَسوع، فأحضرا الأتان والجحش، ووضعا عليهما ثيابهما ، فرَكِب .

ومع انحدار المستوى الأخلاقيِّ في النصوص الدينية المتطرفة في اليهودية والنصرانية ، بدأ التيارُ الجدلي النَّصي يتجذر في بؤرية الأنوثة المُتوحشة . فالتَّوراة التي يؤمن بها اليهود والنصارى على السَّواء تتضمَّن أوصافًا جنسية إباحية تُفسِد الأخلاقَ ، وتُشكِّل خطرًا على الجيل الذي يؤمن بما يُسمَّى الكتاب المُقدَّس كمرجعية دينية عبثية . ففي سِفْر حِزْقِيَال في التَّوراة _ على سبيل المثال لا الحصر _ ، الأصحاح الثالث والعشرون نجد أوصافًا جِنسية صريحة ومكشوفة: ((هناك دُغْدغت ثُدِيُّهما)) ، ((وهناك تزغزغت ترائب عِذرتهما)) ، ((لأنهم ضاجعوها في صِباها وزغزغوا ترائب عِذرتها وسكبوا عليها زناهم))،((وعشقتْ معشوقيهم الذين لحمهم كلحم الحمير وَمَنِيُّهم كمنيِّ الخَيل)) ، ((بزغزغة المصريين ترائبك لأجل ثَدْيِ صِباك)) .

وهذه الفوضى الجنسية الإباحية في الإطار الديني ، يؤمن بها اليهود والنصارى ، ويَعتبرونها جُزءًا لا يتجزَّأ مِن " الكتاب المُقدَّس " . وهذا يدل على أن عقائد أهل الكتاب قائمة على الانحلال الأخلاقي ، والمُتاجرة بجسد المرأة ، وتحويله إلى سلعة ضِمن ثنائية العَرْض والطَّلَب ، وهذا السُّقوط المُدَوِّي نتيجة حتمية لفساد عقائد اليهود والنصارى ، الذين قاموا بأدلجة " الكتاب المُقدَّس"، وحوَّلوه إلى أفكار جنسية إباحية شهوانية،مِن أجل تحويل دُور العبادة إلى سُوق نِخاسة، وأمكنة لمُمارسة تجارة الرقيق الأبيض ، والتَّحرش الجنسي بالنساء والأطفال . والكنيسُ / الكنيسة صورتان للكبت الجنسي في جدلية الأنساق التوراتية الإنجيلية الأسطورية .

ولا يَخفَى أن اليهود أفضل مَن تاجرَ بجسد المرأة وسلَّعها، وأدخلها في التأطير الاقتصادي ، فصار جسد المرأة مشروعًا استثماريًّا يُدِرُّ أرباحًا كبيرة، بسبب اعتماده على اللذة والمُتعة الآثِمَتَيْن. لذلك ، يُعتبَر الكيان الصهيوني مزرعة للدعارة على المستوى العالمي ، ومن أهم المناطق في العالَم لتجارة الرقيق الأبيض ، والاستثمار الاقتصادي في أجساد المُومسات ، خاصة وأن المجتمع اليهودي الصهيوني يعيش شططًا طبقيًّا عنيفًا، وتفاوُتًا في كُل شيء بين يهود الشرق ويهود الغرب. أو بين يهود درجة أولى ، ويهود درجة ثانية . وفلسفةُ الفوضى الجنسية هي إشكالية الكبت الاصطناعي في أنطفة التَّدَيُّن الصابوني، أي تحوُّل الدِّين إلى فُقاعة صابون هُلامية تتَّسع لكل الإفرازات التي تُؤطِّرها المؤسسة الدينية لتثبيت وجودها، وضمان استمراريته ، مُستغلةً جهل العوام وإيمانهم بالخلاص الوهمي الذي تُروِّجه المؤسسة الكهنوتية على الصعيدَيْن التوراتي والإنجيلي . ولا شَك أن " الكتاب المُقدَّس " هو الأساس الفكري للنازية والفاشية والحركات المتطرفة التي انتشرت في أوروبا . وقد اتَّخذ النازيون من الصليب المَعقوف شعارًا لهم ، وهذا يكشف العلاقة الجدلية بين الصليب والنازية بوصفهما عِلَّةً ومَعلولًا (سببًا ونتيجةً) في آن معًا ضِمن ثنائية تبادلية إفرازية ، ويُعطي فكرةً محورية حول البناء الداخلي في الطبقات السياسية القمعية ، حيث يكون " الكتاب المُقدَّس" (التوراة والإنجيل) هو المُلْهِم للحركات الإرهابية ضمن أُطُر التنظير الفلسفي والتطبيقات العملية على أرض الواقع كالإبادة الجماعية ، والتطهير العِرْقي . وكُل العقائد الدينية الزائغة إنما تكرَّست ميثولوجيًّا لشَرْعنة الحرية اللامسؤولة لِشَهْوَتَي البطن والفَرْج . والتَّوراةُ والإنجيلُ النازيَّان ، هُما تكوينات لفظية فوضوية ومُشوَّشة ، ومُتماهية مع فساد العقائد وسقوطِ الأخلاق في المجتمعات المُنهارة . وهكذا ، يجب تدقيق مراحل فلسفة الكنيسة أثناء الحربَيْن العالميتين ، وقبلهما ، وبعدهما ، مِن أجل تحديد دور " الكتاب المُقدَّس " في القتل العبثي والإبادة الجماعية.

إن المجتمع الغربي عمومًا، والأوروبي خاصةً ، انهار عَقَدِيًّا ، وانكمش أخلاقيًّا ، وانزاح باتجاه الفوضى العابثة ، مِمَّا دَفع الفردَ إلى الحياة لنفْسه فقط ، بحثًا عن خلاص ذاتي وهمي كامن في المصالح الشخصية الأُحادية ، والنزواتِ الفردية ، والشهوات الذاتية .

وقد عبَّر تي إس إليوت[٢٧٩] عن هذه المعاني في قصيدته الشهيرة "الأرض اليباب"(١٩٢٢م)، التي جاءت كردة فعل على انهيار أوروبا، وانتحار الحُلم، وانكسار الإنسانية واستسلامها للتوحش، والاحتكام إلى لغة السلاح بعيدًا عن الحوار . وتُوضِّح القصيدةُ خَيبة الأمل لدى الأوروبيين بعد مآسي الحرب العالمية الأولى (١٩١٤_ ١٩١٨) ، وتُصوِّر عَالَمًا مليئًا بالشكوك والمخاوف والشهوات التافهة ، عَالَمًا ينتظر طَوْقَ النجاةِ والخلاص .

وأوروبا الصليبية كَسَرَتْ صليبَها، وأدارت ظهرها له لأنها اكتشفت أنه مركزية الخُرافة وعاجز عن الإثبات أو النَّفْي ، ومع هذا احتفظت بالصليب على أعلامها ضمن جدلية التخبط بين الدينية الصليبية المَصلحية ، والعَلْمانيةِ المُتصهينة في مجتمع موحش ومتوحش . وصار صليبُ الإنجيلِ المُحرَّفِ هو الصَّليب المعقوف للنازية ، وهذا ليس مُستغربًا ، لأن النازية مُستمدة مِن الإنجيل المُحَرَّفِ . ومن خلال التَّخَبُّط الشامل ، الذي تغرق فيه السُّلطويةُ الدينية القمعية ، تتحدَّد أركان النازية الفكرية الجديدة داخل أنساق التوراة والإنجيل . والسياسةُ التجزيئية في التداخلات المعنوية الصادمة ، إنما هي إشكاليات اجتماعية تُحَوِّل مفهومَ الأحكام البشرية الاستباقية إلى تمايز ديني مصبوغ بالقداسة الافتراضية لتثبيت الأوهام الأيديولوجية كمُسلَّمات غير قابلة للنقاش .

وبما أن الوقائع المعرفية داخل تاريخ الأبعاد الوجدانية الدينية ، تستلزم انتقال عدوى التوراة إلى الإنجيل (عملية صَهْينة الإنجيل) ، فإن تيارًا مرحليًّا هُلاميًّا سينشأ في الإنجيل النازي مُحِيلًا كافة أنساق الأسطورة إلى معرفة تثبيتية مِخيالية ، تُعَرْقِل المسيرةَ المنطقية لنقد الأنساق الدينية ونقضها . ومع قوة التكثيف الإعلامي الحارس لخُرافة الإنجيل ، فإن مجال التحولات الوهمية في

---

٢٧٩ توماس ستيرنز إليوت (١٨٨٨م _ ١٩٦٥م) ، شاعر وناقد إنجليزي من أصل أمريكي ، درس في هارفارد وأكسفورد والسوربون. حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٤٨م. يمتاز بمستوى أدبي ضعيف بسبب فقر خياله ، وضِيق أُفقه ، وعداوته للحداثة والتجديد، وإخفاقه في دراسة الفلسفة ، وتعصُّبه الشديد،واعتماده على المرجعية الصليبية الإنجيلية الرجعية في تكويناته الفكرية والشعرية وحياته الاجتماعية. وقد صرَّح بأنه كلاسيكي في الأدب ، كاثوليكي أنجليكاني في المذهب ، مَلَكي في السياسة .

التَّوراة بوصفها الخلفية العَقَدية للإنجيل والإرهابِ الاجتماعيِّ ، سيؤول إلى إيقاع من الفوضى الخلاقة . وفي زحمة التكثيف الصِّدامي بين التوراة والإنجيل ، فإن المُتَكَاثِفَات [٢٨٠] الدينية المَبنية على فلسفة اللغة سوف تتشظَّى على شكل صِيَغ تُمزِّق المَنحى الانكساري للتَّوراة والإنجيل .

وفي زحمة هذا التَّمَزُّق العنيف في إشكاليات الإنجيل الصهيوني في المَسار التوراتي المتطرف، ستفقد الأنساقُ اللغوية سيطرتها الافتراضية على بُنية الأساطير في عملية صَهْينة الإنجيل ، الذي يُمثِّل محور الشر المُستند إلى عُنف التَّوراة ، التي تقوم على اللغة الدينية المصلحية الشهوانية .

والمؤسسةُ الدينية التي اخترعت زواجًا عُرفيًّا بين التوراة والإنجيل لتحقيق مصالح شخصية ، هي نفْسها تَمَّ اختراعها لتأطير شَرعية المنفعة الذاتية لعِلْية القَوم في سياق ديني مهووس أيديولوجيًّا. والإنجيلُ عبارة عن شركة تجارية استثمارية ابتزازية ، تهدف إلى مَأسَسَة العمل الاحتكاري ، حيث يتم احتكار العقل التفسيري لأسطورية الكتاب المُقدَّس . وهذا العملية إنَّما ترمي إلى تثبيت الوهم كمُسلَّمة جديرة بالاحترام ، وتوفير الغطاء الشرعي لسيطرة السُّلطة السياسية على الشعب ، وتأسيس التُّفَوُّق الذكوري القَمْعي في مجتمع يُتاجر بجسد المرأة بواسطة اختراع النصوص الدينية البشرية ، وإضفاء القداسة والعِصمة عليها ، وابتكار تأويلات مُغرِضة تتناسب مع كل حالة عن طريق تَمييع الدِّين ، وجَعْله إفرازًا طبقيًّا لتخدير الشعب ، تمهيدًا لذبحه أو تقديمه قرابين في سبيل تثبيت السُّلطتين السياسية والدينية ، كمَرجعية قَمعية مُوحَّدة مُتحالفة، لتحقيق مصالح مُتبادلة .

واستنادًا إلى فلسفة المرجعية الاستغلالية ، نجد أن صورة التجاذبات النسقية اللاهوتية مُتخبطة إلى حد بعيد ، إذْ إن جدلية البؤرية المركزية في قلب النص الديني تبني نفْسها، ثم تهدم نواتها الأساسية تلقائيًّا، بسبب قوة الشظايا غير المُسَيْطَر عليها ، وتَشَتُّتِ الروافدِ الفلسفية في القالب الديني البشريِّ ، وانعدامِ القُدرة على ضبط الانبعاثات المعنوية والمادية والفصلِ بينهما .

والتَّوراةُ المُحرَّفة اختراع بشري بدائي جاء كحاجة بشرية للاستنجاد بالأساطير لتثبيت واقع افتراضي . والإنجيلُ ليس أحسن حالًا ، فهو الآخَر اختراع بشري سِلَعي للمُوَاءمة بين الانهيار

---

٢٨٠ الْمُتَكَاثِفَات هي الصِّيَغ الفكرية المبنية على أساس التركيب العمودي بشكل مُكثَّف ، وتهدف إلى تجميع الدَّلالات الفلسفية بشكل اختزالي نموذجي للحصول على نماذج بؤرية شديدة التكثيف والاختصار تعكس الحالة العامة للمجتمع الفكري. وبعبارة أشد اختصارًا ، إن المتكاثفات هي عَيِّنة مركزية مُركَّزة شديدة الاستقطاب، تدل على مسار الأداء الفكري الاجتماعي العمومي، ومصيرِ البُنى الدينية الْمُؤَدْلَجَة.

البشري الصارم ، والخرافةِ المعرفية التي تتكرس بفِعل قوة السُّلطة ، التي تبني مجتمع الحِقد والكراهية والمادية المُوغلة في العُنف والتطرُّف . وهذا يدفع باتجاه البحث بشكل جِدِّي في فلسفة عَسْكرة النص الديني ، التي تنتهجها المؤسسة الدينية وإفرازاتها ، خُصوصًا بعد التأسيس المنهجي لعملية صَهْينة الفاتيكان ، وتحوُّل البابوات مِن رؤوس الكنيسة الكاثوليكية إلى رُؤوس الحركة الصهيونية . وهذا يدل على نجاح اليهود في اختراق الفاتيكان ، وتحويله من مؤسسة نصرانية إلى مؤسسة يهودية مُتَسَتِّرة بالنصرانية (المسيحية) .

وتاريخ المؤسسة الدينية النصرانية قائم على القتل والإرهاب ، وهو يتضمَّن قتلَ المسلمين في الحُروب الصليبية ، وإنشاءَ مَحاكم التفتيش في الأندلس ، والإبادةَ الجماعية في البُوسنة ، وقتل اليهود في الأندلس ، وإبادةِ البروتستانت في الشمال الأوروبي ، ... إلخ .

وهذه الأمثلةُ السريعة التي هي غَيْض مِن فَيْض ، تعكس _ بدون أدنى شك _ العمليةَ المنهجية لعَسكرة النص الدينيِّ الإرهابيِّ، وتوظيفه في مجال قتل الآخرين ، والتنكيل بهم . ولن تتخلى أوروبا عن إرهابها وجرائمها إلا بإلغاء الفاتيكان نهائيًّا ، وفتح أرشيفه السِّري ، الذي يَكشف جرائم بابوات الفاتيكان ، ويُوضِّح دورَ الفاتيكان في الإبادة الجماعية والتطهير العِرْقي .

إن انزياح العقائد الدينية مِن العقل اللاهوتي الانتكاسي ، إلى الصيغة العسكرية للإرهاب الإنجيلي ، لم يَأتِ بفِعل الاجتياح التَّوراتي للعقيدة النصرانية فَحَسْب ، بل أيضًا بفِعل التوظيف الجيوسياسي للعقل الاحتلالي باسم الصليب الهُلامي . والنصرانيةُ قائمة على تراكيب الانهيار الأخلاقي المُختلط بنازية المواقف الدينية . فمثلًا ، بابا الفاتيكان بندكتوس السادس عشر (اسمه الحقيقي جوزيف راتزنجر) معروف بماضيه النازي . وعندما كان في الرابعة عشرة من عُمره عام ١٩٤١ ، انضمَّ إلى جيش " شباب هتلر " . وقد قام الفاتيكان بتطويب البابا بيوس الثاني عشر (اسمه الحقيقي جيوفاني باتشيلي) قِدِّيسًا ، معَ أنه كان مُتواطئًا مع النظام النازي في ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية ، ووافقَ على قتل اليهود ضمنيًّا ، وأبدى سياسة ناعمة ومُتساهلة تجاه دول المِحْوَر (ألمانيا النازية بقيادة هتلر ، وإيطاليا الفاشية بقيادة موسوليني ، واليابان بقيادة هيروهيتو). ولم يقم بيوس الثاني عشر بدعم قتل اليهود فَحَسْب ، بل أيضًا شهدت الكنيسة في عهده ، وتحت إشرافه ، اضطهادًا شديدًا ، وترحيلًا جماعيًّا لرجال الدين الكاثوليك المُتواجدين في الكُتلة الشرقية (مُصطلح أُطْلِق خلال الحرب الباردة على الاتحاد السوفييتي والبلدان التي كانت تحت سيطرته ، أو كانت مُتحالفة معه في أوروبا الشرقية والوُسطى) .

وهذا يدل بوضوح على أن الفاتيكان كان نازيًّا وفاشيًّا ، ثُمَّ نجح اليهود في اختراقه ، فصار صهيونيًّا . والفاتيكان يتحرَّك ضِمن مسارات دينية مُتطرفة ، كما أن حجم الاختراق للفاتيكان ، يُثير القلق لدى أطراف كثيرة . وتحوُّلُ الفاتيكان الهستيري مِن مركزية الإرهاب الكاثوليكي إلى مَأسَسَة الإرهاب الصهيوني ، واختراعِ الشرعية الدولية له في كل المحافل ، يُشير إلى وجود صفقة يهودية نصرانية لتقاسم مراكز النفوذ والسيطرة ، واقتسام المنافع المادية ، وتوزيع الغنائم بين الصليبيين والصهاينة . وكأن كُل جهة تحاول اختراع صليبها الخاص بها ، والذي يُمثِّل الفِداءَ والخَلاصَ وَفْق إرهاصات الخُرافة الدينية المفروضة على الناس بحد السيف .

إن اليهود أنتجوا المحرقةَ وصنعوا الهولوكوست.صحيحٌ أن بعض اليهود قُتِلُ على أيدي النازيين، ولكن الهولوكوست خُلِطَت بالمُبالغات والأكاذيب والخيالات . وحَرِصَ اليهودُ على تحويلها إلى ثقافة عامة ، وشركة تجارية ، مِن أجل تحقيق مصالح شخصية ، وجَنْي الأرباح المادية ، ونَيْل تعاطف الأمم والشعوب ، وسحبهم إلى صَف اليهود الذين تقوم أعمالهم على القتل والإبادة ، والضحايا يتقمَّصون قاتلهم ، ويَحْمِلون صُورته وسِيرته ، ويَلعبون دَوْرَه . ولا أحد يتعلَّم من التاريخ .

اخترعَ اليهودُ أكذوبةَ الهولوكوست ليحصلوا على شرعية لاحتلالهم ، ومشروعيةٍ لأفكارهم المُتطرِّفة . وصارت " المحرقة / الهولوكوست " هي صليبَ اليهود الذي يُقدَّم على أنه الخلاص لشعب الله المختار، والفِداء الإنساني العالمي ، والتضحية من أجل السلام الكَوْني وخير البشرية . وبالطبع ، إن اليهود يعرفون كيف يلعبون هذه اللعبة بما يملكونه مِن نُفوذ وأموال ووسائل إعلام .

أمَّا النصارى فاخترعوا صليبهم من وَحْي خيالهم لِيُثْبِتُوا أنهم أهلٌ للخَلاص والفِداء الذي قدَّمه المسيح على خشبة الصليب الأسطورية ، وكيف أن إلههم المزعوم تعرَّض للإهانة تِلْو الإهانة في سبيل خلاص البشرية . لذلك كان الصليب نتيجة مُتوقَّعة لانتحارِ المنطق ، وغيابِ المعنى . ففي ظل التنافس المُحْتَدِم بين اليهود والنصارى ، والصراعِ على الشرعية والمشروعية ، بدأت كُل طائفة تخترع عقائد جنونية ، كَي تُثبِت أنها الأحق بنَيْل رضا الله تعالى ، والأجدر بأن تكون شعب الله المختار . وهذه الفلسفة المهووسة مِن أهم أسباب تحريف التوراة والإنجيل . وعلى سبيل المثال ، صليب النصارى الأسطوري قابلته محرقة اليهود الخُرافية . وعبارة " أبناء الله " التي أطلقها النصارى ، قابلتها عبارة " شعب الله المختار " عند اليهود . وهكذا يحتدم الصراع على الشرعية الدينية ، وتتصارع القوى الدينية لتسييس الميثولوجيا الأيديولوجية في سياقات إرهاب " الكتاب المُقدَّس".واليهودُ والنصارى يَزعُمون جميعًا أنهم أبناء الله وأحِبَّاؤه ، ولا يوجد أحد أفضل من أحد.

ومعَ تزايد سيطرة رجال الدِّين على النصوص الدينية ، واحتكار تأويلها وتوجيهها ، تكرَّسَ الصليبُ كإفراز خُرافي أُسطوري ، يتم توظيفه في أنساق المجتمع المُنهارة . والصليبُ هو امتدادُ الوهم في شَهوة السُّلطة ، وتأطيرُ المركزية المَسمومة في بُنية النص الدينيِّ . وفي ظل هذه الفوضى العارمة ، تحوَّلت خشبةُ الصليب من مادة طبيعية إلى قيمة روحية وهمية داخل كهنوت الغموض الديني ، الذي يُؤسِّس لتفسيرات أيديولوجية مُتطرفة ، قائمة على العُنف والإرهاب .

إن النصوص الدينية عند أهل الكتاب تُحطِّم نَفْسَها بنفْسها ، وتتشعَّب في هياكل الوهم المُحيطة بالعقل اللاهوتي الانتكاسي . وكُلُّ انهيار في العقيدة يُرافقه انهيار في الأخلاق . لذلك ، قامت التَّوراةُ بتأسيس التَّوظيف الأيديولوجي لجسد المرأة المُسيَّس شهوانيًّا ، من أجل انتزاع جسد المرأة من الإطار الطبيعي للمجتمع الإنساني ، وزرعه في محيطات اصطناعية شهوانية تختزل المرأةَ في الشَّهوة ، وتحصر أعضاءها في الاستهلاك الشهواني العابر . وهكذا صارت المرأةُ مُجرَّد جسد وسلعة رخيصة وبضاعة معروضة للقادرين على الدفع. ومن خلال هذا المنطلق ، تتَّضح القيم التجزيئية في المجتمع المحكوم بالإعدام المعرفي ، والغارقِ في الإسقاطات الأيديولوجية المُسلَّطة على وظيفة النص الديني المُعبَّأ بالأساطير . وينبغي القول إن التَّوراة والإنجيل كتابان بَشَرِيَّان ، قائمان على الأوهام المُؤدْلَجَة ، والأساطيرِ المُسيَّسة . وهذا الأمر يدفع باتجاه سَلْب الشرعية الوهمية المهووسة عن توراةِ العِجْل المُقدَّس ، وإنجيلِ الصليبِ المكسور .

وخُطورةُ الإسقاطات لا تكمن في أنساقها الفلسفية البحتة القاتلة لروح النَّص الديني فَحَسْب ، بل أيضًا تكمن في الطبيعة المخيالية للميثولوجيا الأيديولوجية التي تتفشَّى في " الكتاب المُقدَّس". والعلاقةُ بين التوراة والإنجيل هي علاقة تَطَفُّل مِن النَّوع المادي المصلحي ، وهذه العلاقة تتشظَّى بين صورة النَّص الديني في ميثولوجيا الواقع الافتراضي التطبيقي ، وصورةِ تفسير النَّص في منظومة التأويل العنيف لإرهاب " الكتاب المُقدَّس " .

إن الانفصال الحاد بين لغة الذات ولغةِ المضمون ، أدَّى إلى تفجُّر البؤرة المركزية في النص الديني المُحاط بهالة القداسة والعِصمة . وبالتالي ، تحوَّلَ " الكتاب المُقدَّس " إلى مجاميع سياسية مصلحية مُدنَّسة ، ذات معالم فلسفية انتهازية ، وأهداف استغلالية دنيئة . وتحوَّلت اليهوديةُ والنصرانيةُ إلى مُقايَضات فكرية محصورة بين الدال والمدلول ، أي بين تكريس عبادة العِجْل كثقافة دينية مركزية شديدة الاستقطاب ، وتكريسِ صناعة الصليب كمنهجية حياتية لنَيل الخَلاص. وهاتان المشكلتان أغرقتا النصَّ الديني في التوظيف الاستغلالي والاستخدام المصلحي.

لقد اخترعَ اليهودُ والنصارى التوراةَ والإنجيلَ ، من أجل تحويل النصوص البشرية الأسطورية إلى سياسة دينية ودُنيوية.وهذه السياسةُ القائمة على المُتاجرة بالعقائد وأكل الدنيا بالدِّين، يعتمد وجودُها على قوة الإسناد الخارجي ، وليس القوة الذاتية المنطقية .

وإذا حَلَّلْنا المفاهيمَ المُتَشَظِّية للصليب، سنجده غير محصور في الذات الأسطورية لخصائص الفوضى العَقَدية النصرانية . فاليهودُ لديهم صليبهم الخاص الذي تتماهى فلسفته مع فلسفة العِجْل المُقدَّس . وهذا يعني أن العلاقة بين اليهود والنصارى تقوم على تبادل الأدوار ، وتوزيعِ العقائد ، واقتسامِ الغنائم ، وأدلجةِ النُّصوص . مِمَّا يُؤدِّي إلى الانفصام التام بين الشكل والمضمون .

لقد نَجَحَ اليهودُ في اختراق المؤسسة الكنسية النصرانية ، كما نجحوا في صَهْينة الإنجيل ، وتفتيتِ السلوكِ الاجتماعي ، وإحالةِ شظاياه إلى مواد معرفية جدلية بلا معنى حقيقي . ولغةُ الإنجيل هي انتكاسة لغة التوراة ، ولغةُ التوراة هي الخَلفية الاستثمارية لغياب مشروعية الإنجيل . وهذا التناحر البعيد عَن وَحدة المعنى المتماسك ، يُؤدِّي إلى انتحار العقائد وسُقوطِ الأخلاق .

والإشكاليةُ الصادمة في تطبيق القضايا الدينية على أرض الواقع ، هي أن الشعب الافتراضي الذي أنتجته التوراةُ والإنجيلُ يَخترع أصنامًا ، ويَعبدها ، ويُحيطها بالقداسة المَعصومة . والأصنامُ المبنية على انتحار شرعية المُقدَّس الافتراضي ، هي ذوات بشرية (رجال الدِّين) وذوات فكرية (النصوص الدينية).وهذا يعكس خطورة المَنحى الفلسفي الذي يُثبِت نَفْسَه عن طريق نَفْي المعنى.

وعلى سبيل المثال لا الحصر ، إن سجن غوانتانامو الأمريكي الذي يُعَامَل فيه السجناء داخل الأقفاص كالحيوانات ، هو إفرازٌ طبيعي ومُتوقَّع للإنجيل ، الذي صار محكمةَ تفتيش كبيرة ، وسياسةً للكنيسة التي ابتلعت الدولةَ ، عن طريق المُحافظين الجُدد (السياسيين النصارى المُتَصَهْيِنين الذين يؤمنون بضرورة تجميع اليهود في فلسطين من أجل عَودة المسيح إلى الأرض).

وقد صار النظامُ السياسي في أحضان النظام الديني ضِمن منظومة الفوضى الخلاقة . وهذا الأمر يَعكس خُطورةَ إسقاط تطبيقات الإنجيل الصهيوني على الواقع البشري المُعاش . ومشكلةُ الإنجيل الصهيوني مُتشعبة ، وغَير محصورة في البناء الكلاسيكي الأسطوري لعقائد أهل الكتاب . والمشكلةُ الأساسية الجذرية هي أن " الكتاب المُقدَّس " اختراع بشري مَصلحي مُتآكل . ولا بُد من مواجهة منبع المشكلة لا روافدها.ولا فائدة مِن الالتفاف حول المشكلة أو الهروب إلى الأمام.

والمجتمعُ الغارق في النَّزعة المادية الاستهلاكية والشَّطَطِ الطبقي ، يخترع عقائده الدينية بشكل تجاري ، لتحقيق مصالح شخصية ، وجَنْي أرباح مادية ، والحصولِ على المناصب . وهذه

الماديةُ العمياء المُتسترة بالدِّين تُؤسِّس عمليةَ تأويل النصوص على قاعدة المعنى الوهمي والألفاظِ البهلوانية . وهذا يُدخِل المجتمعَ في التناحر والفُرقة والاختلاف.ومعَ تزايد عمليات نَفْيِ المُثْبَتِ وإثباتِ المَنْفِيِّ ، تَغدو الحاجة مُلِحَّة أكثر من أي وقت مضى ، لتوضيح بشرية الكتاب المُقدَّس الذي هو كتاب وَضْعي لا سماويٌّ . ولا شَك أن انقطاع " الكتاب المُقدَّس " عن السماء ، كَشَفَ طبيعةَ الصِّدام بين العناصر الدينية الميثولوجية ، وإشكالياتِ السياسة النفعية لليهود والنصارى .

ونَحْنُ إذْ نُحدِّد معالمَ انهيار المعنى في الفكرة الوظيفية للدِّين البشري الوَضْعي ، فإنَّنا نكشف عن الجُذور الخُرافية الاستغلالية للتَّوراة ، ونكشف أيضًا عن عملية صَهينة الإنجيل ، وكيفيةِ إخضاعه للتوراة ضمن منظومة تبادُل الأدوار والأوهامِ ، وتقاسُم المصالح ، واقتسام الغنائم .

والجديرُ بالذِّكْر أن نقد المُكوِّنات المادية في الإنجيل ، يُمثِّل نقدًا حاسمًا للأساس الفكري للتَّوراة . وإذا تكرَّسَ نقدُ التوراةِ والإنجيلِ كسياسة اجتماعية ثقافية ، فإن الزواج العُرفي (العلاقة غير الشرعية) بين العهد القديم والعهد الجديد ، سينكشف وينهار . وبانهياره ، ستنهار العلاقاتُ الحاكمة على السياق الأسطوري للدين اليهونصراني (اليهودية النصرانية أو صهيونية الصَّليب) .

وكُلُّ شرعية أيديولوجية وهمية ستسقط حتمًا، لأنها قائمة على انتكاسة المنحى السوسيولوجي. وجهلُ الناس هو منبع الخرافات والأيديولوجيات الوهمية . والأنظمةُ الحاكمة (تحالف رجال السياسة ورجال الدِّين) في المجتمعات المتخلفة، تعمل على تغييب الوَعْي ، ونشر حالة الغَيبوبة بين الناس ، لضمان ولائهم وخُضوعهم واستغلالهم . وهذا الاستعبادُ يتمُّ تكريسه كأيديولوجية دينية مدعومة بنصوص " الكتاب المُقدَّس "، من أجل شَرْعنته _ أي الاستعباد _ ، وإيجاد مشروعية اجتماعية له على أرض الواقع . والتاريخُ الحقيقي للنصرانية (المسيحية) هو تاريخ محاكم التفتيش التي تكاثرت ، واتَّخذت أشكالًا فكرية واجتماعية وثقافية . و " الكتاب المُقدَّس " الذي هو في حقيقة الأمر كتاب مُدنَّس ، هو دُستورُ محاكم التفتيش ، وشرعيةُ الوهم لصُكوك الغُفران .

وبما أن الانهيار الأخلاقي ناتج عن الانهيار الديني ، كان مِن الطبيعي أن تتجذَّر الفوضى الجنسية في المبادئ الإنجيلية المُستمدة من انكسار التوراة.وهذه الفوضى لَيست سُلوكًا اجتماعيًّا فَحَسْب ، بل هي أيضًا فوضى فكرية ذات تطبيقات مُضادة لحقوق الإنسان عُمومًا ، وحقوقِ المرأة خُصوصًا . لذلك ليس غريبًا ، أن تنتشر الفوضى الجنسية في الكنائس والأديرة ، التي هي امتداد وتطبيق عملي للنصوص الدينية البشرية ، التي مَنحت الشرعيةَ _ بشكل غير مُباشر _ للتحرش الجنسي بالراهبات واغتصابهن ، والسَّاديةِ الجنسية في التعامل مع النساء والأطفال .

وهذه الانتكاسةُ الشاملة تدل على سَادِيَّة الإنجيل الذي رَبَطَه النصارى بالتوراة ، ضِمن علاقة تطفُّل مقصودة ومُغرِضة . وهكذا، تَحَوَّلَ انكسارُ المعنى إلى لغة الخطاب الديني المهووس جنسيًّا، في الشكل والمضمون ، حيث يتم قتل الإنسان باسم الدِّين ، واستغلال البشرية باسم الخُرافات .

وفي هذا المناخ المَوبوء ، ماتت الروح ، وانكسرَ الحُلْم ، وضاعت العقائد ، وتحطَّمت الأخلاق ، مِمَّا سبَّب مَزيدًا من المتاعب للطبقات الضعيفة (النساء والأطفال) في المجتمع الإنجيلي الذكوري المُتطرِّف . وإذا أردنا تشريحَ الأنساق الاجتماعية المُتماهية معَ انهيار حقوق الإنسان ، لا بُد مِن شرح طبيعةَ انتحار معنى اللاهوت الصليبي ، لأن الصليب تجسيد لفساد العقائد وسُقوطِ الأخلاق . والصليبُ رمز جنسي ، وهو أيضًا إشكالية كَبت جِنسي . وكثير مِن الزُّناة والزانيات في الأفلام الإباحية يضعون الصُّلبانَ في أعناقهم أثناء مُمارسة الجِنس ، كما أن كثيرًا من لاعبات التنس الأرضي العاريات ، يَضعنَ الصُّلبانَ في أعناقهن أثناء لعب التنس .

والمُضحِك المُبكي أن النصرانية (المسيحية) تتظاهر بأنها ديانة شرف وعِفَّة وروحانية ، رافضة للجنس ، وداعمة للبَتُولية . ولكن الواقع عَكس ذلك تمامًا . وَوَفْق عقائد النصارى الباطلة ، لقد صُلِبَ المسيحُ على الصليب ، وهو رمز قضيب ذُكوري . والصليبُ موجود قبل النصرانية ، وهو رمز وثني جِنسي ، يُشير إلى قضيب الذَّكر . وقد كانت عبادة الجِنس وإله الجِنس مُنتشرة في المجتمعات الوثنية ، وهناك إله للجِنس والخُصوبة ، وهو مانح اللذة الجنسية .

وقد توارثت الكنيسةُ اتِّخاذَ القضيب الذُّكوريِّ رمزًا لها ، مِن العقائد الوثنية ، ومِن القصة المنسوبة إلى يَعقوب في [تكوين ٢٨ : ١٨ و١٩] : ((وبكَّر يَعقوبُ في الصباح وأخذَ الحَجَرَ الذي وضعه تحت رَأسِهِ وأقامه عَمُودًا وصبَّ زَيْتًا على رأسه . ودعا اسمَ ذلك المكانِ بَيْتَ إيل)).

وَفْق التَّوراة المُحرَّفة ، اتَّخذ يَعقوب عَمُودًا (قضيبًا) رمزًا لبيت الله . و " إيل " اسم الله تعالى في العِبرانية . وبما أن الإنجيل (العهد الجديد) تابع للتوراة (العهد القديم) ، وبما أن النصارى تابعون وتلاميذ لليهود، اتَّخذت الكنيسةُ القضيبَ رمزًا لها في مُعظَم الكنائس، والتي تُعتبَر بيوت الله . وقد تحوَّلَ الصليبُ إلى أهم رموز الكنيسة ، بعد أن انتشرت الوثنية في جُذور المسيحية .

والمبادئُ الفلسفية الوثنية في القَومية الدينية النصرانية (المسيحية) مُشوَّشة ومُضطربة . وهذا أدَّى إلى انكسار أنوية النَّص في تحوُّلات اللغة الدينية الشكلانية . واعتمادًا على هذه الرؤية ، انزاحت الطبيعة السياسية الاستغلالية المُترافقة مع أُسطورية النَّص ، إلى أفعال اجتماعية واقعية، وتكرَّسَ العُنفُ الجِنسي ضِد النساء والأطفال ، وهذا كَشَفَ بشرية التَّوراة والإنجيل معًا .

إن المجتمع الإنجيلي قائم على الطبقات الاجتماعية المريضة نفسيًّا ، بسبب تأثُّرها بنتائج العقلية اللاهوتية المُتَشَظِّية . وهذا كرَّس الغَيبوبةَ الجماعية المُندمجة مع سياسة احتكار تأويل النَّص الديني ، التي جَعلت كلامَ رجال الدِّين مُقَدَّسًا ومَعصومًا ، وغير قابل للنقاش والنقدِ . مِمَّا مهَّد الطريقَ لإحلال الإنجيل (الكلام البشريّ) مكان كلام الله تعالى ، وصارت أوهامُ رجال الدِّين وَحْيًا إلهيًّا ، وصارَ تفسيرُ النَّصِّ الديني نصًّا دينيًّا مُقَدَّسًا قائمًا بحد ذاته ، ومرجعًا أصيلًا يمتاز بالعِصمة . وبعد هذا الانهيار الشامل ، ليس غريبًا أن يُصبح بابا الفاتيكان خليفةً للمسيح ، ويُصبح الفاتيكان مافيا دينية ومُنظمةً إرهابية ، تُقدِّم نَفْسَها على أنها المُتَحَدِّث الرسمي الوحيد باسم الله.

لا يُمكن أن تنتشر الخُرافة في الأنساق الاجتماعية ، إلا في ظل وجود لُغة أيديولوجية بدائية ، تُدغدغ المشاعرَ والأحاسيسَ ، وتَلعب على وتر العواطف ، بلا دليل نقلي ، ولا حُجَّة عقلية . وهذه اللغةُ الخادعة تُنتج كيانات فكرية مُتناحرة ، تُكرِّس مجتمعَ الحقدِ والكراهيةِ والبحثِ عن الخلاص الفردي . وشيئًا فشيئًا ، ينشأ مبدأ عَسكرة النَّص الديني ، لضمان استمراريته في منظومة التَّسَلُّع . والإنجيلُ هو سِلعة سياسية وبضاعة أيديولوجية مبنية على إشكاليات إعادة إنتاج الأسطورة وَفْق أقنعة ظاهرية غير جوهرية ، وإعادةِ تكوين الظواهر اللاأخلاقية في بؤرة اللغة المُسيطرة على العقل اللاهوتي المِخيالي . وهاتان العمليتان تدمجان النصوصَ الدينيةَ المكشوفةَ معَ النصوص الدينية المُستترة الكامنة بين السُّطور. وبعبارة أخرى ، تدمجان المنطوقَ مع المفهوم . وهذا الخلط يتجذَّر كنظام ميكانيكي يُحطِّم بناءَ الألفاظِ ، ويَقتل رُوحَ المعنى ، ويَفصل التوراةَ اللامنطقية عن الإنجيل الافتراضي، فتنهار العلاقةُ الماديةُ المصلحية بين العهدَيْن القديم والجديد، اللذين يتحركان ضِد المدنيةِ والحضارةِ والمعنى الإنساني .

وكُل الأديان البشرية الوضعية _ كاليهودية والنصرانية _ ، تَحمل بِذرةَ انهيارها في داخلها ، لأنها أديان موجودة بحُكم الأمر الواقع ، والإسنادِ الخارجي ، وليس بسبب القوة المنطقية الذاتية. واليهودُ والنصارى يُدرِكون هذه الحقيقة ، لذلك سَعَوْا إلى إيجاد صِيَغ دينية تكاثرية لتخفيف الضغط على المركز الأيديولوجي، وهذا سبب وجود تُلمود إلى جانب التَّوراة ، بل إن التُّلمود غطَّى على التَّوراة ، ووجود أناجيل مُتعدِّدة ، وليس إنجيلًا واحدًا . وهذه الفوضى العارمة في اليهودية والنصرانية ، تُبرِز حالاتِ التناقض الحاد في مركزية الخُرافة الدينية وأطرافها ولُغتها المِخيالية .

والكتابُ المُقدَّس افتراضيًّا ، المُدنَّس حقيقةً ، يتحرَّك ضِدَّ ذاته ، ويبني قداسته الوهمية على مواد أولية بدائية ، تُزاوِج بين شظايا الشروط الاجتماعية الجدلية ، وإفرازات السُّلطة الحاكمة ،

التي تتكوَّن من تحالُف رجال السياسة ورجال الدِّين ، من أجل استغلال الناس والسيطرة عليهم . لذلك ، صارت اليهوديةُ والنصرانيةُ شركةً تجارية استغلالية ، وتيارًا سياسيًّا قائمًا على التمييز العنصري وتكريسِ الشَّطَط الطبقي في مجتمع ينتحر ، بسبب اعتماده على الحقد والكراهية .

ومعَ مُرور الوقت ، تنشأ هالة افتراضية للعقل الديني المُؤدْلَج ، تُؤطِّر مركزيةَ الوهم اللغوي في قوالب العقائد والسلوكيات ، وتنشأ بُنى أُسطورية جديدة تستمد معناها من تحويل الثنائيات المُتضادة معرفيًّا إلى تعاليم أيديولوجية مُقدَّسة ومعصومة ، بفِعل قوة الإسناد المادي لا الروحي . وكأن روُح النَّص تكتسب معناها مِن مادية " الكتاب المُقدَّس " الميكانيكية . وهذا التناقض القائم على الصراع بين رُوح النَّص وماديته ، يُؤدِّي إلى وجود صراع على " الكتاب المُقدَّس " ، ووجود صراع في " الكتاب المُقدَّس " . الصراع الأول قائم على مبدأ احتكار تأويل النصوص الدينية ، والصراع الثاني قائم على مُحاولة السيطرة على فوضى النصوص الدينية وتنظيمها .

وكُل الانكسارات المركزية في الإرهاصات اللاهوتية ، تندفع نَحْو تكوين أطوار تشظِّي المعنى، مِن أجل توليد لغة دينية شمولية . وهذا الأمر ليس سهلًا ، لأن العقل الكلماتي الحاكم على ألفاظ النصوص ومعانيها ، ليس له وُجود مُستقل بذاته ، بل يستمد وُجوده مِن اعتماده على وظيفة النَّص الديني في مجتمع الخرافات . والمعنى الديني التَّوراتي الإنجيلي مِثل شخص مشلول ارتمى على سطح قطار سريع للوصول إلى بَيته . وهذا التَّشبيه يدل على أن " الكتاب المُقدَّس " خُرافة .

إن الصدامَ بين النصوص الدينية ، والصراعَ على شَرعنة الصليب (الرمز الجنسي الوثني الذي يُمثِّل القضيبَ)، يَستخدمان الأُسطورةَ لتثبيت المعنى ، ويَخترعان الوهمَ لإثبات النَّفْي . وفي الحالتين ، يُصار إلى اختراع تطبيقات لغوية مُتطرفة ذات تماس مُباشر معَ مركزية الدِّين الوَضْعي وتأثيره الاجتماعي . واللغةُ الدينية (النَّواة البدائية الأوَّلِيَّة) تمَّت أدلجتها ، بُغية السيطرة على شظايا الفوضى الخلاقة في النَّص. وهذا يُشير إلى كيفية تحوُّل الأنساق الفوضوية إلى مجالات نظامية، مُتماسكة ظاهريًّا، ومُفكَّكة باطنيًّا . والنظامُ الديني اليهودي النصراني مُجرَّد وسيلة للسيطرة على الفوضى . وقيمةُ البُنى الأيديولوجية لا تتحدَّد اعتمادًا على الفِعل الاجتماعي ، لأن مجتمع الإنجيل هو أُسطورة التوراة ، ومجتمع التوراة هو خُرافة الإنجيل . وهذا التقاطع العبثي بين طبقات النَّص الديني الوَضْعي ، يَكشف أقنعةَ رجال الدين باعتبارهم لُصوص النُّصوص ، كما يَكشف عملية تدمير النصوص لذاتها ، من أجل إعادة بناء العناصر الاجتماعية أثناء غِياب العقل اللاهوتي وغَيبوبةِ المعنى الأخلاقي . وهذه الثنائية (الغِياب / الغَيبوبة) هي النواة الأيديولوجية المُتآكلة .

والانتكاسةُ الدينية لها آثار انسحابية وتأثيرات جانبية . أي إن انهيار اليهودية والنصرانيةِ ينسحب على كافة العناصر المجتمعية . وبانهيار الدِّين ، تنهار السلوكيات الأخلاقية والقيم الاقتصادية والبُنى الثقافية.ولا شَك أن تأثير انهيار جبل الجليد واسع ومُمتد ، ولا يقف عند نفْسه.

والتطرُّف يَحمل قِيَمًا انسحابية تجتاح الكلامَ الديني ، وتُحاصره مِن كُل الجهات ، اعتمادًا على مبدأ تفتيت المركز المتآكل ، وُصولًا إلى الأطراف العاجزة عن احتواء حجم الانفجارات المعرفية في لغة الخطاب الديني البشري الوَضْعي المصلحي .

إن الأفكار الوثنية المنتشرة في التَّوراة والإنجيل، أفرزت الصليبَ كأيديولوجية وثقافة مجتمعية. ومعَ توالي انكسارات الحُلْم الدينيِّ ، وانهيارات فلسفة الأخلاق ، تكرَّست الذاكرةُ اللغوية لطقوس " الكتاب المُقدَّس " ، كإجراء ميكانيكي إرهابي ، يعتمد على عَسكرة التَّدَيُّن الشَّكلي ، وتسليحِ النَّص الديني بالخطاب الأيديولوجي الوظيفي المُغرِض . وفي زحمة هذا التَّشَظِّي الفوضوي ، صار المحمول الاجتماعي أكثر خطورةً مِن الحامل الديني . وهذا الأمر له علاقة مُباشرة مع العناصر الإرهابية في " الكتاب المُقدَّس " التي تتشظَّى في بؤرة لُغة الخطاب الدينيِّ الوَضْعي العنيف .

وإشكاليةُ الحامل والمحمول تتجلَّى خُطورتها في الأنوية الأيديولوجية المُتكاثرة كالفِطر السَّام، ويتَّضح تأثيرُها في طبيعة النص الديني اليهونصراني الذي يُعَسْكِر الصليبَ الوثني في السياقات العسكرية . لذلك ، ليس غريبًا أن يضع جنودُ الحملات الصليبية الصليبَ على صدورهم ، وليس غريبًا أيضًا أن يتَّخذ النازيون مِن الصليب المعقوف شعارًا لهم . وفي هذا دَلالة واضحة على الفكر الإرهابي العسكري للصليب الوثني. وعقيدةُ الصليب هي خُرافة مُوظَّفة سياسيًّا ، ومُتمركزة في قلب الحُطام اللغوي ، وهذا يعني أن الأطراف ستقوم بدور المركز ، الذي يُشكِّل المنبعَ الحقيقي لروافد الفكر المُتطرِّف . ولغةُ الخطاب الديني الجدلي ، سوف تنزاح إلى الأدلجة المصلحية ، بسبب احتكار بؤرة التفسير الوجداني لانتحار المعنى . وبما أن قوة الآلة الإعلامية العسكرية التي تدعم الأنساقَ الدينية_ سواءٌ على مستوى المؤسسات مثل الفاتيكان المُتطرِّف أم على مستوى الفكر الوَضْعي _ تُواصل تجذيرَ إرهابها كحالة اجتماعية جبرية ، فإن رَدَّة فِعل عنيفة ستنشأ ضد إسناد الدَّبابة للإنجيل ، وضد إسناد المدفع للتوراة . واليهوديةُ والنصرانيةُ اللتان اندمجتا في فَوضى العهدَيْن القديم والجديد ، صارتا مرجعيةً دينية واحدةً على الورق بفِعل القوة المادية التي تسندها . وهذه المرجعية المُتماسكة ظاهريًّا ، المُنهارة حقيقةً، ستسقط فورًا إذا انتقلت إلى الواقع التطبيقي على الأرض تحت الشمس ، لأن الشمس تَحرق كُلَّ الشُّموس الوهمية تحتها .

وفي ظِل اختلاط المرجعيات الدينية الحاضنة للإقطاعيات الدينية السياسية ، معَ الذاكرة الجمعية للوهم الأيديولوجي ، تنشأ اتجاهات تفسيرية أكثر جُرأة على نقد " الكتاب المُقدَّس" ، تمهيدًا لتفجيره من الداخل ، وتحويله إلى أرشيف لغوي منزوع السيادة والقداسة والعِصمة .

والمشكلةُ التي تعترض طريقَ التفسير الحداثي للنَّص ، هي انقسام عناصر النَّص بين الترميز اللغوي والعقلية اللاهوتية الكابوسية . وكُل صيغة دينية أرشيفية _ سَواءٌ كانت تهدف إلى اختراع مُسلَّمات سياسية أم ابتكار مُعطيات جديدة " للكتاب المُقدَّس " الاصطناعي _ ينبغي توجيهها نحو تحطيم هالة القداسة الافتراضية ، وتفجيرِ الطاقة الرمزية في التَّوراة والإنجيل ، تمهيدًا لكشف أسباب تحوُّلهما إلى سلعة دينية وبضاعة أيديولوجية . وهذه الثنائية (التحطيم / التفجير) تُمثِّل الخُطوةَ الأساسية لإلغاء سيطرة النص الديني المُحرَّف على أنساق المجتمع الإنساني.وإذا طُبِّقت هذه الثنائية بنجاح وفاعلية وواقعية ، فإن أيديولوجيات اليهود والنصارى ، ستنهار وتتلاشى .

ولا بُد مِن مُحاصرة التكثيف المركزي لأبجدية الوهم العَقَدِيّ جُزئيًّا وكُلِّيًّا . وهذه الخطوة ضرورية لإنهاء هيمنة وسائل الإعلام على الفكر الديني ، والتحكم بمساره ومصيره وتأثيره . ومعَ تزايُد التشققات في ذهنية ميكانيكا النَّص ، ستؤول الثقافةُ اليهونصرانية إلى نزعة صهيونية مُتطرفة، في محاولة منها للتغطية على ضعفها وانكماشها. وعلى الرغم مِن انتشار النظام الفوضوي للفاعلية الأيديولوجية ، إلا أن الحاضنة الشعبية ستتخلَّى عنه، عندما تُدرِك أن " الكتاب المُقدَّس " هو منبع الإرهاب ، والعنصرية ، والخُرافات ، والشَّطَط الطبقي ، والتمييز المُضاد للإنسانية روحيًّا وماديًّا .

لقد خَرجت عملياتُ أدلجة النَّص من الحتمية إلى الاحتمالية ، وكُلُّ الحواجز الذهنية في مصدرية النص تتساقط تِبَاعًا . وهذا يعني أن النَّص يأكل نَفْسَه ، ويُفجِّر النصوصَ المُحيطة به ، مِمَّا يُؤدِّي إلى تفتيت إشكالية تفسير ما بين السطور ، التي تعتمد على ما تحمله السطور ذاتها .

والحاملُ الفكري لمشكلات " الكتاب المُقدَّس "، لَيس أداةً لنقل الأفكار المُسيَّسة فَحَسْب، بل هو أيضًا صورة الانتكاسة الرسمية في غياب تاريخية الكتابة المنطقية للنَّص . وهذه الصورة المُتآكلة ليس لها مُحتوى حقيقي ولا مضمون فِعلي . واليهوديةُ والنصرانيةُ لم تضعا نضامًا دينيًّا مُتماسكًا حول الدنيا والآخرة، أو عالَم الغَيبِ وعَالَم الشَّهادةِ. ولم تُقدِّما إطارًا منطقيًّا للماورائيات (الغَيْبِيَّات) . وهاتان الديانتان البشريتان الأرضيتان الوَضْعيتان ، عاجزتان عن تقديم إجابات شافية للأسئلة المصيرية مِثل : مَن نَحْن ؟. مِن أين جِئْنا ؟. أين سَنَذهب بعد الموت ؟ . ما هي العلاقة بين المخلوق والخالق ؟. ما هو الأساس المُعتمَد للخَلاص ونَيْل الحياة الأبدية ؟ ... إلخ .

وغيابُ القدرة على الإجابة عن الأسئلة المصيرية ، جَعَلَ الفلسفةَ الغربية تقوم مَقام الدِّين ، وجَعَلَ الفكرَ البشري يَحُلُّ مَحَلَّ الوَحْي الإلهيِّ . وصارَ فلاسفةُ الغرب يَنقدون " الكتاب المُقدَّس"، ويكشفون أخطاءه عن طريق تعريضه لمناهج البحث والتحليل الحديثة.وقد سَقطتْ خُرافة" الكتاب المُقدَّس " في الصراع بين التوراة (العهد القديم) والإنجيل (العهد الجديد) ، وظَهَرَ التناقض بين الفكر اليهودي الصهيوني الذي يرى في اليهودية مَركز الخلاص الحاسم والنهائي ، وبين الفكر النصراني المُتَصَهْيِن الذي يَعتبر ميثولوجيا الصَّليب والفِداء لِنَيل الخلاص والحياة الأبدية ، هي مركز الحق الذي لا شَكَّ فيه .

إن النص الديني يتشظَّى رُوحًا ومادةً ، وهذا يُفسِّر التحولاتِ العميقة في اتجاهات انكسار الألفاظِ وتَحَطُّمِ المعاني . والمعنى واللفظُ المُؤدْلَجَان هُمَا تياران ضائعان في جدلية الاستقطاب ، ووجودهما مُتزامن مع غياب الصورة المعرفية، وانهيارِ العقل اللاهوتي غير المنطقي . وهذا التَّخَبُّط يعكس المأزقَ الوجودي للأنظمة الدينية الفوضوية ، التي تتحوَّل _ مع مرور الوقت _ إلى عقل لاهوتي انتكاسي . وهكذا ينفصل اللفظ عن المعنى ، وينفصل المعنى عن المجتمع . ويتصادم اللفظُ والمعنى من أجل تحديد المُدْخَلات والمُخْرَجَات. وهذا الصِّدام نتيجة مُتوقَّعة لانفصال الزمان اللغوي للمُعطَى الديني الهَوَسي عن المكان الميثولوجي للظواهر الأيديولوجية المُسيَّسة .

ولا يتوقف هذا الانفصال عند حدود البناء الوهمي لإشكاليات لغة الدِّين ، بل إن تداعياته العنيفة تنسحب على عناصر المعنى اللاهوتي الفوضوي ، وتعمل على فسخ عَقْد الزواج العُرفي بين التَّوراة والإنجيل ، مِمَّا يؤدِّي في نهاية المطاف إلى إنتاج عقل نقدي ، يَفضح مُمارسات الأنظمة اللغوية ذات القداسة الأيديولوجية والعِصمةِ المخيالية . وهذا يُحطِّم ثنائيةَ الطاغوت واللاهوت .

والخيالُ الديني اللاهوتي المُسيَّس _ الذي اعتمد على الخلط بين صليبية الإنجيل وصُهيونية التَّوراة _ إنما أخذ طابعَ القداسة والعِصمة مِن الإسناد الخارجي ، والتماهي مع السُّلطة الحاكمة . ووجودُ "الكتاب المُقدَّس " الخُرافي محميٌّ بالسَّيف الحاضن للوَعْي الأُسطوري المُؤَدْلَج، وهذا ليس غريبًا ، لأن اليهودية والنصرانية (المسيحية) انتشرتا بالسَّيف ومنطق القوة لا قوة المنطق . ولا يوجد أي أساس عقلاني للتَّوراةِ والإنجيل . وانتشارُ العقائد اللاهوتية في المجتمعات ، ناتج عن قوة وسائل الإعلام القادرة على قلب الحق إلى باطل ، والباطل إلى حق . كما أن منطق القوة فَرَضَ الدِّينَ على الأفراد والجماعات والمجتمعات باستخدام الترهيب والتهديد،ولم يترك أيَّةَ فرصة لأسئلة العقل . وهذا الإرهابُ حَطَّمَ جُغرافيةَ الحُلْم البشريِّ ، وقَتَلَ أداءَ النَّص الديني الأسطوري .

إن الفوضى الدينية في التَّوراة، أنتجت الفوضى الدينيةَ في الإنجيل، وهذا مكَّن العقائدَ الباطلة والسلوكيات المُنحرفة والظواهر السلبية من الانتشار ونَيل الشرعية الوهمية . ومِن أسوأ الظواهر النصرانية وجودُ الفاتيكان . ووجودُ دولة اسمها الفاتيكان ضِد الإنجيل ، وضِد تعاليم المسيح ، فالمسيحُ لم يُكوِّن دَولةً ، حيث إن مملكته ليست في هذا العَالَم . ويحيى (يُوحَنَّا المَعمَدان) لم يُكوِّن دولةً ، وتلاميذ المسيح لم يُكوِّنوا دولةً . فكيفَ قام النصارى بتكوين دَولة الفاتيكان غير المَذكورة في الأناجيل والأسفار والرسائل الدينية ؟ . لقد قاموا بشَرْعنة شيء غير شرعي ، وحوَّلوا المُصطلحات الدينية إلى مشاريع مادية تجارية قائمة على استغلال الناس وابتزازهم وسرقتهم . ومِن أبرز هذه المشاريع التجارية صُكوكُ الغُفران ، التي أظهرت بوضوح أن الكنيسة شركة تجارية ، ومشروع استثماري لاستغلال الفقراء وسرقتهم واستعبادهم وإخضاعهم للسُّلطة الحاكمة التي تتكوَّن مِن رجال السياسة ورجال الدِّين . وفلسفةُ الإنجيل هي سرقة الفقراء لصالح الأغنياء ، وقد تجلَّت هذه الفلسفةُ المُنحرفة في صُكوك الغُفران التي جَعلتْ دُخولَ الجنةَ حِكْرًا على الأغنياء والقادرين على الدفع . والجديرُ بالذِّكر أن صُكوك الغُفران كانت بإشراف البابا ورجال الدِّين النصارى ، ولم ينتقدها الكاثوليك . وهذا يعني أنها لم تكن عملًا فرديًّا ، أو خطأً شخصيًّا عابرًا . إن صُكوك الغُفران مُؤسَّسة على الإنجيلِ التجاري والصليبِ الاستثماري وإجماعِ رجال الدِّين .

والعجيبُ أن البابا ورجال الدِّين لم يلتزموا بالنصوص الإنجيلية التي تُهاجم الأغنياءَ . ففي [مَرْقُس ١٠ : ٢٥]:((فأسهلُ أن يَدخل الجَمَلُ في ثَقب إبرَة ، مِن أن يَدخل الغنيُّ إلى مَلَكُوتِ الله)) اهـ. وفي [رسالة يَعقوب ٢ : ٦و٧]: ((ألا تَعرِفون أن الأغنياء همُ الذين يتسلَّطون عليكم ويَجُرُّونكم إلى المحاكم ، وهُم الذين يَستهزئون بالمسيح الذي تَحملون اسمَه الجميل ؟)) .

والمُضحك المُبكي أن الحركات الاشتراكية قد أسَّست فِكْرَها المُعادي للأغنياء على هذه النصوص الإنجيلية . وفي هذا دَلالة على أن الماركسية منبعها الإنجيل المُتطرِّف ، وأن ماركس تأثَّر بالمبدأ الإنجيلي الشهير : ((الأغنياء لا يَدخلون ملكوت الله)) . وهناك صورة شهيرة تجمع ماركس معَ زوجته الأرستقراطية جيني فون ويستفالين وهي تضع صليبًا ضخمًا في عُنقها . والغريبُ أن ماركس نشر الإلحادَ في أنحاء العَالَم ، وكان يرى أن الدِّين أفيون الشُّعوب ، فهل فَشَلَ في إقناع زوجته بأفكاره ؟ . هذا يدل على أن " الكتاب المُقدَّس " المُدنَّس هو أساس الماركسية المُلحِدة ، وأن الصليب الوثني هو أساس الإلحاد، وأن اليهودية والنصرانية (المسيحية) هُما أفيون الشُّعوب ، لأن ماركس أخذَ قناعاته الدينية من عائلته وبيئته ومُحيطه . وقد كان والده من

عائلة يهودية ، واضْطُر إلى اعتناق البروتستانتية عام ١٨١٦ م ، مِن أجل التمكن من ممارسة مهنة المُحاماة ، بعد صدور قوانين تمنع اليهودَ مِن تسلُّم الوظائف العمومية في ألمانيا ، وحوَّل اسمه من " هرشل " إلى " هاينريش" . أمَّا والدة كارل ماركس فتنحدر من عائلة يهودية هولندية ، وقد بقيت على يهوديتها حتى وفاة والدها الحاخام ، ثُمَّ اعتنقت المذهبَ اللوثري عام ١٨٢٥ م .

إن الماركسية ابنة البيئة اليهونصرانية ، وناتجة عن التوراة والإنجيل . وعلى الرغم مِن تخلُّف الماركسية وقُصورها ، إلا أن كثيرًا مِن أفكارها تنطبق تمامًا على المجتمعات الأوروبية . وهذه الأيديولوجية موضوعة أصلًا لمناقشة انهيار الحضارة الغربية (اليهونصرانية)، بسبب عجز التوراة والإنجيل عَن إرشاد الناس إلى بَر الأمان . وكارل ماركس ليس مُفَكِّرًا حُرًّا ، بل هو غارق في التناقضات الصارخة . أمَّا سبب انتشار أفكاره في التجمعات البشرية المُتخلِّفة ، فيعود إلى تحريف التوراةِ والإنجيلِ، وقيام الكنيسة ورجالها باستغلال الناس واستعبادهم وسرقتهم . وقد فشل ماركس في تقديم نظرية متكاملة عن المجتمع والثقافة، إضافة إلى إغراقه في التأمل التاريخي ، وطرح التنبؤات غير الواقعية عن مستقبل المجتمعات . ويظل ماركس شاهدًا على إفلاس الغرب. والجديرُ بالذِّكر أن كثيرًا مِن الأفكار المركزية عند ماركس مسروقة، وليست أصيلةً . فقد أخذَ ماركس مفهوم الجدلية من هيغل ، وأخذَ مفهوم المادية من فيورباخ ، وأخذَ الاقتصاد السياسي مِن آدم سميث .

وبشكل عام ، لن يتقدَّم الغربُ إلا بإلغاء الفاتيكان ، لأن تأسيس دولة دينية كهنوتية تحتكر التحدُّث باسم الله ، وتدعم الإرهاب وتمزيق الشعوب باسم العقائد ، عقبة في طريق السلام . والعجيبُ أن النصارى يقولون إن للفاتيكان بابا واحدًا ، وكُل نظام سياسي له رأس واحد ، ثُمَّ بعد ذلك يقولون : إن الكَون له إلَهان ، وإن المسيح إله معَ الله . وهذا هو الجنون بِعَيْنه .

ومِن الأمور الضرورية التي تُساهم في نهضة الغرب : إنهاء التفسير الذُّكوري المتطرف للتوراة والإنجيل ، وتنقية نصوص التوراة والإنجيل من الإرهاب والإبادة الجماعية والتطهير العِرقي والعنصرية والتمييز على أساس الدِّين والعِرق واللون ، وفصل الإنجيل عن التَّوراة ، وإنهاء العلاقة بين العهد الجديد والعهد القديم . والعجيبُ أن اليهود لا يؤمنون بالإنجيل ، ولا يَعترفون بالمسيح ومريم ، في حين أن النصارى يؤمنون بالتوراة (العهد القديم) ، ويعتبرونها أساس الإنجيل (العهد الجديد) . ولا بُد من إلغاء الصليب باعتباره رمزًا وثنيًّا جنسيًّا ، ووجوده على صدور النساء يُحيل معناه إلى إشكالية كبت جنسي ، وإلغاء مبدأ الاغتصاب الموجود في العقائد الدينية لليهود والنصارى ، في حين أن المسلمين لم يَعتدوا على أيَّة امرأة أثناء فتوحاتهم في الشرق والغرب .

تحليل مُكوِّنات الشخصية اليهودية

إن الحديث عن مُكوِّنات الشخصية اليهودية ، يُعتبَر مَنحى تجسيديًّا لهالة العنف والانكسار والتطرف والإرهاب والسُّلطة . وكُلُّ هذه المفاهيم المختلطة في الإطار النسقي اليهودي ، تكشف حجمَ المأزق الوجودي الذي تَرتع فيه الكيانات اليهودية المبنية على التطرُّف والتَّسييس الفوضوي.

واعتمادًا على تشظِّي المسارات المعرفية للفكر المُنحرف ، تتكرَّس استقطاباتُ الشخصية اليهودية بوصفها إطارًا شاذًّا عن التيار الإنساني الكَوْني . واليهوديُّ هو انكسارات الوهم المُتجسِّد في الخرافات والعُقَد النفسية ، التي تنبع مِن أدلجة الدِّين اليهوديِّ في قوالب القَومية الصهيونية .

ولأن الاختلاط بين الدِّين اليهودي الوَضْعي ، والقَوميةِ العَقَدية المُتطرفة ضمن إشكالية الإرهاب اليهودي ، هو الحصيلة النسقية لغياب الأفق الإنساني السَّوي عن الشخصية اليهودية المُضطربة ، كان لزامًا كشف ألاعيب الذاكرة البنائية لهواجس انكسار الحُلْم المعرفي . وهذا الأمرُ ضروري لتحليل هواجس اضطراب الشخصية اليهودية، وتفكيكِ إفرازات البؤر الفلسفية المُتوحِّشة، وتفتيتِ تراكيب الكيان اليهودي الغارق في وحشية الصُّهيونية السياسية،وصَهينةِ اليهودية المُتطرفة.

واستنادًا إلى سياقات التوظيف الانتكاسي للتفاعل الإنساني المُرتبك ، تتجذَّر وحشيةُ الأنساق البشرية في قوالب فكرية أشد تطرُّفًا وحِقْدًا وتأصيلًا للكراهية ، في أُطُر أدلجة ميثولوجيا تعريفات شعب الله المُختار ، ونَقاءِ العِرْق ، وأرضِ الميعاد . وهذا المفاهيم المركزية في العقيدة اليهودية الفاسدة ، يُراد مِنها تفتيت القيم الإنسانية الراقية ، وإحلال الوهم المدعوم بمنطق القوة مكان المسار الإنساني العالمي .

واليهوديُّ هو الذات الوهمية لهالة الشذوذ التكريسي ، في نطاق الميثولوجيا التوراتية ، التي هي بالأساس جدلية تغييب الوَعْي الحالم ، وحضور الإرهاب اليهودي النازي في تكوينات الأنسنة التي تخترعها آلة الإعلام الصهيونية الشرسة الهادفة إلى تلميع الجريمة اليهودية ، وتقديسِ مُجرمي الحرب الصهاينة، وتقديمهم لنيل جائزة نوبل للسلام، وظهورهم على شاشات التلفاز كدُعاة حق وعدالة وسلام وحياة فُضلى ، في هذا العَالَم المحصور في قبضة الأكذوبة المستندة إلى الآلة العسكرية العمياء . ولا شَك أن انحسار مفهوم الهوية الشخصانية اليهودية في قَومية التَّدَيُّن الهامشي ، يُؤَدِّي إلى استحداث قَومية صهيونية جديدة داخل أُطُر العنصرية اليهودية الفاشية ، أي إن صِيَغ الهُوِيَّة تُحال إلى إيقاع فلسفي مُتطرِّف ، وتائه في الأداء السياسي المصلحي النفعي .

ومِن أجل تعميم الانكسار البؤري العَقَدي على الهالة العسكرية المُسيَّسة ، اندفعت الآلةُ الإعلامية الصهيونية لإعادة ترميم إشكاليات الوهم ، خُصوصًا في قلب تجذير الميثولوجيا اليهودية التوراتية . فمثلًا أكذوبة الهولوكوست تمَّت صناعتها كهالة ابتزازية لتحصيل أكبر قَدْر مُمكن مِن التعاطف العالمي ، وذلك عن طريق إبراز اليهود في إطار الضحايا الأبرياء الذين قدَّموا حياتهم في سبيل رِفعة البشرية ونهضة الإنسانية . وهذا بالطبع لا أساس له مِن الصِّحة . وكما أن النصارى يعتقدون أن المسيح صُلِبَ ، وضحَّى بنفْسه ، لِيفْدِيَ البشريةَ ، ويَمنحها الخلاصَ . كذلك الصهاينة، يَعتقدون أن اليهود ضَحُّوا بحياتهم في سُجون النازيين ومُعسكراتهم وأفرانهم ، مِن أجل خلاص البشرية . وهذا الوهمُ اليهونصراني يدل على أن اليهود والنصارى يتبادلون الأدوار ، ويَلعبون نَفْسَ اللعبة، مِن أجل نَيل تعاطف الناس ، والسيطرة على أحاسيسهم ، وسرقة ممتلكاتهم، باستخدام مصطلحات التضحية والفِداء والكَفَّارة والخلاص .

واليهودُ شعبُ الشيطان المُختار ، لا يملكون تاريخًا مُشرقًا ، ولم يُكوِّنوا أيَّة حضارة عبر كُل مراحل وجودهم على هذه الأرض . لذلك لا توجد آثار يهودية تدل عليهم كقصر الحمراء في الأندلس ، أو البتراء في الأردن ، أو الأهرامات في مصر ، أو بُرج إيفل في فرنسا . وإذا كان المسلمون لَدَيهم المسجد الأقصى المُبَارَك، والنصارى لديهم كنيسة القيامة . فماذا لدى اليهود؟!.

إن اليهود طابور خامس ، ونُقطة سَوداء في تاريخ البشرية ، وعالة على الحضارة الإنسانية . واليهودُ مجموعات خائنة ، سيطرت على مُثلَّث (المال ، الجِنس ، الإعلام) من أجل استغلال العَالَم وابتزازه . وهذه هي عقيدة التَّثليث الخاصة باليهود . ومن خلال مُثلَّث الإبادة هذا ، استطاع اليهودُ السيطرةَ على الأمم والشعوب، وابتزاز السياسيين واستغلالهم في شَتَّى أنحاء العَالَم . يقول الروائي الروسي الشهير دوستويفسكي عام ١٨٨٠: ((فاليهوديُّ ومصرفه هُما الآن سيِّدا الجميع ، وهُما اللذان يُديران أوروبا ، والتعليم ، والتمدُّن ، وبالأخص الاشتراكية ، إذْ إن اليهودي يعتقد أنه بالاشتراكية يقتلع أصول المسيحية ، ويُلاشي تمدُّنها)) [مؤامرة اليهود على المسيحية، ص٤٣].

والمُضحِك المُبكي أن الجميع يَعرِفون اليهودَ على حقيقتهم، لكنَّ المادية الاستهلاكية تَدفع البَشر إلى تَقبيل الأيدي المَنقوعة في خواتم الذَّهَب، أي الانحناء لِمَن يَملك مفاتيح المُتعة المادية الدُّنيوية . وقوة اليهود نابعة من امتلاكهم للذهب ، واليد التي لا تَقْدِر على قَطْعها قَبِّلْها ! .

والمجتمعُ العالمي تشكيل إنساني مُوحِش ومُتوحِّش ومَشبوه ومنافق ، ينحني لصاحب القوة المادية ظنًّا منه أنه بذلك يَحمي وجوده ومصالحه ، ويُحقِّق مكاسب شخصية على صعيد الأفراد

والجماعات . وهذه هي فلسفة الانتهازيين والمُتسلقين على جراح الإنسانية ، الذين ينظرون إلى الإنسان على أنه سِلعة مادية يتمُّ عرضها للحصول على أعلى سِعْر.وبالتالي، يصبح الإنسانُ والوطنُ برسم البيع ، وتغدو القيمُ الأخلاقية ستارًا مُخادِعًا لتمرير مكاسب شخصية مُغلَّفة بالدِّين تارةً ، وبالشعارات الوطنية تارةً أخرى . ومن خلال صُوَر التماهي السياسي الديني مع شظايا الشخصية الإنسانية ، يُصار إلى فهم جديد لأبعاد الانتكاسة الفكرية المنتشرة على مستويات الوهم في طبقات بناء الذات الفاعلة . والصيغةُ اليهودية المادية هي انسحاب كَيْنوني يُقدَّم على أنه إشكالية التوازي بين الروح والمادة . وهذا مرجعه إلى حجم المأزق الوجودي لقوة الشخصانية اليهودية المُتمثلة في رأس المال المُسيطر على مفاصل الاقتصاد العالمي . وهذا الوضع الغريب يُفرِز تياراتٍ تكريسية لإشكالية البؤر الفلسفية المجتمعية . وليست البُنية الاجتماعية للجماعات الصهيونية الأُحادية إلا جَمْعنة سياسية مادية ابتزازية لتقاطعات النسق الأيديولوجي . وتقاطعاتُ القَومية مع التَّدَيُّن الانسحابي تفشل بصورة فاضحة في التوفيق بين أضداد اللغة الداخلية.وهكذا ، تتكسَّر العلاقات بين بؤرة التيار النَّفْسي الداخلي ، والتيارِ الاجتماعي الخارجي . الأمر الذي يؤدِّي إلى اختزال الدِّين في إطار القَومية المصلحية الوظيفية المُسيَّسة .

إن علاقات الاستغلال المالي تَثْبُت كإجراء ميكانيكي في هالة العناصر الوظيفية ، واستهلاكيةِ البؤر الزمنية التي تظهر على أقنعة الشخصية كبُقَع مكانية ، ليست في واقع الأمر سوى أنظمة من الغبش السياسي المُعبَّأ بالمُقارَبات الاجتماعية ، التي تهدف إلى إحلال الذات المادية الاستغلالية في قلب فلسفة الذوات الإنسانية. وضِمن هذا التَّأرجُح في تشكيلات التوظيف المجتمعي للابتزاز الشخصاني،تغدو الوظائفُ الاجتماعية انعكاسًا باهتًا لهواجس شخصية الحُلْم المكسور. واليهوديةُ المُتَصَهْيِنَةُ في إطارها الثقافي ، هي مدلول انكسار الصِّلات بين تراكيب الاستعمال المُؤدْلَج للدِّين المُفرَّغ مِن مَحتواه الأخلاقي . وكُلما ابتعدَ التكريسُ الوظيفي عن أحاسيس الذات الفَرْدانية (التَّمَوْضُع حول فَرْدية الذات وأُحاديتها الداخلية كخطوة أولى لدمجها في المجتمع الكلي الخارجي)، ابتعدتْ تقاطعاتُ المجتمع عن أنسنة المشاعر التداخلية الحاملة للفكر الإنساني .

إن الحَامِلَ (الرافعة الفلسفية لصيغ التوافق الفكري بين الأنا الداخلية والخارجية وبين الآخَر الداخلي والخارجي)، والمَحْمُولَ (كُتَل الانسجام المركزي الحاضنة لوَحدات التفكير) ، يُشكِّلان ثنائيةً دقيقة في فهم طبيعة الإرهاصات المحيطة بالفكر اليهودي الحاملِ لصَهينة القَومية المُسيَّسة لتحقيق أهداف توسُّعية ، والمَحمولِ على أكتاف الآلة الإعلامية المُتَصَهْيِنة ، سَواءٌ في

الإطار العربي أم الغربي . لكن الثنائيات الفكرية والمنظومات المعرفية بحاجة إلى نظام أساسي لفهم تطبيقات أنسنة التَّوَحُّش، وهذه التطبيقات قد تؤول إلى خدعة بصرية إذا لم يُسَيْطَر عليها .

ولا يُمكن تطبيق نظرية الحامل والمحمول في مجال الفكر اليهودي الصهيوني ، إلا في ضوء نفوذ الطبقات العُليا في المجتمع . وهذه الطبقاتُ العُليا بمثابة المؤسسة الحاضنة لعَسكرة جُنون القُوَّة ، وهي لا تعيش إلا في بيئة مَوبوءة تحتوي على إفرازات الأحلام الرامية إلى السَّيطرة على العَالَم بكل وسيلة مُمكنة ، دون النظر إلى شرعيتها أو أخلاقيتها .

يقوم المشروع اليهودي الصهيوني على تقديم البشر قرابين لتحقيق أهداف شخصية بحتة ، والحصول على منافع مادية ، ومكاسب معنوية . لذلك ، يجب أن تظل فكرة المحرقة مستمرة ومُتواصلة ،كي يتم استثمارها في تحقيق الأهداف الخبيثة ، والمُتاجرةِ بحقوق الإنسان والشعاراتِ الوطنية والأحلامِ الإنسانية. لكن المشكلة المركزية في المشروع اليهودي الصهيوني هي اشتماله على بذرةِ الضعف، وعناصرِ الصِّدام الداخلي ، مِمَّا يؤدِّي إلى إنتاج أنظمة فكرية ميكانيكية تُفرِّغ الإنسانيةَ مِن محتواها ، وتَعمل على تحويل الإنسان إلى شَيء محصور ضمن ثنائية العَرْض والطَّلَب كالسِّلَع والبضائع.وهذا التَّوَحُّشُ سينتهي إلى صناعة مَحتوى كَيْنوني إنساني ظاهريًّا،وحيواني باطنيًّا.

وكُلَّما تداخلَ المَوروث الشخصاني اليهودي مع كلاسيكية المنظور التوراتي الميثولوجي ، انتشرتْ هالةُ الفاعلية الوهمية للخرافة الدينية في أنساق المجتمع . وهذا يعني أن الدِّين اليهودي يتقمَّص أشكالًا اجتماعية مصلحية ، ويتحوَّل مِن أضداد الفِكر المَحمول على بُنية الأساطير ، إلى مركزية الصراع على احتكار تأويل تناقضات النصوص الدينية. والتأويلاتُ الدينية المُتضادة ما زالت محتفظة بهالة التذبذب الأيديولوجي بين أضداد المعنى اليهودي للكابوس التوراتي . وهذا يستلزم بالضرورة أدلجة المعنى دينيًّا على شكل تَوراتي ، وأدلجة المعنى قَوميًّا على شكل تُلمودي . وهذا الصراعُ الديني القَومي الذي يتجلَّى في تَوراةِ الوَهْمِ وتُلمود الخديعة ، يتكرَّس كعلاقة اجتماعية شائكة ، تُعيد صياغةَ الصراعات في المجتمع اليهودي ، المتماسك ظاهريًّا ، والمُفكَّك باطنيًّا .

والصراعاتُ المحصورةُ في إشكاليات الإرهاب اليهوديِّ ، تتمحور حول ثلاثة أُسُس مركزية :

الأول_ تَمَوْضُع التَّوراة الدينية الأسطورية في زاوية غَبَش البُعد القَومي المُسَيَّس . وهذا الأمر كفيل بإحالة الأبعاد الأيديولوجية إلى مشروع استخرابي (استعماري) يهدف إلى السيطرة على الأرض باسم الدِّين ، ومُمارسة الإبادة الجماعية والتَّطهير العِرْقي بحق الفلسطينيين (أصحاب فلسطين الأصليين) ، استنادًا إلى أوهام " الوعد الإلهيِّ " لليهود بسرقة أرض فلسطين ، والنظرِ

إلى الشعوب على أنها أغيار ورَعاع ، اعتمادًا على ميثولوجيا شعب الله المُختار . وقد قام اليهودُ بارتكاب جرائم القتل باسم الله ، وسرقوا الأرضَ باسم التَّوراة ، وتقمَّصوا دَور الجلاد باعتبار أنهم ضحايا للنازيين ، كما أنهم قاموا بتجذير سياسة الأرض المحروقة ، وحَرْق الأخضر واليابس ، مُستغلين أكذوبة الهولوكوست ، لإشاعة جَو مِن التعاطف مع الإرهاب اليهوديِّ ، والمشروعِ الصهيوني العُنصري . وهذه التشكيلات الوهمية إنما تهدف إلى تكوين تيار إرهابي استباقي لتوفير الشرعية ، وصناعة غطاء شرعي للممارسات اليهودية الصهيونية المُعادية للإنسانية . والقاتلُ يَدرس الظروف البيئية المُحيطة ، ويحاول دَفْعها إلى رؤيته الشخصية ومصالحه الذاتية ، لتعزيز موقفه قبل اقترافه للجريمة ، بُغية تكوين تيار داعم له ، يُعفيه مِن المسؤولية الأخلاقية ، ويُوفِّر له غطاء الشرعية اللازمة لإتمام جريمته باسم مكافحة الإرهاب ، أو التصدي لحملات مُعاداة السَّامية ، أو نشر السلام في العَالَم الحُر ، أو دعم حقوق الإنسان ، إلى آخر هذه الشعارات المُضلِّلة .

الثاني _ تواصُل الزَّخْم المصلحي الذي يقوم بإحالة النصوص الدينية التَّوراتية المُشوَّشة إلى إرهاصات تَوَسُّعية حاقدة، باستخدام التأويل الميكانيكي للنص، الذي يقوم على تقديس المصلحة، ومُحاربة رُوح المعنى. وهذه الثنائية القائمة على تفريغ النص من الرُّوح ، وإحلال المصلحة مكانها، تُحيل النصَّ إلى بؤرة مسمومة في التمركز المعرفي ، الذي يقوم على العُرْيِ السياسي ، والانكشافِ الأخلاقي . وهنا ، تبرز الأوهام المتعلقة بقاعدة الثبات الديني في البُنى الاجتماعية . وهذا الثبات الظاهري هو دَيمومة البناء الوهمي على العناصر السلبية ، لأن الدينامية الدينية في الأُطُر التوراتية ، ما هي إلا تَهَيُّؤات مرتبطة بهالة الغبش الاجتماعي ، في ظِل مجتمع يَتفكَّك إلى شَظايا مادية خالية من المعنى الروحيِّ . ولأن الطبيعة ترفض الفراغ ، والفارغ يسعى إلى الامتلاء ، للتحرُّر مِن عُقدة الشُّعور بالنقص ، اتَّخذت اتجاهاتُ بناء الشخصية اليهودية المُرتبكة مَنْحًى أُسطوريًّا ، يقوم على تعبئة النصوص الدينية بالتأويلات المُتطرفة ، التي ترتبط بالمصالح الشخصية ، والحالةِ المزاجية لليهودي العاطل عن اليهودية ، أي الفرد اليهودي المُتَقَوْقِع حَوْل مِحور الشخصانية ، والباحث عن الخلاص الفردي ، والرافض للبيئة الحاضنة له رُوحيًّا وماديًّا ، معَ العِلْم أن اليهودية مشروع استثماري ابتزازي استغلالي ، يدور في فَلَك الصَّفقات التجارية ، وليس له علاقة بالعقيدة الدينية الصحيحة المحتوية على الخلاص في الدنيا والآخرةِ .

الثالث _ تأطير الحِس القَومي الصهيوني في الإفرازات الرُّوحية الهُلامية ، وإقحام الفهم الإنساني المُغرِض في سياق النصوص الدينية ، لتحويل الفوضى الأيديولوجية إلى إطار شرعي

للتلاعب بنصوص التَّوراة البشرية، التي تُصنَّف كمركزية القداسة، ومصدرِ الوعود الإلهية المعصومة. وفي ظِل انكماش عناصر القداسة الظاهرية في بؤر النصوص الدينية ، تكرَّست الإفرازات السياسية كدِين جديد حَلَّ مكان اليهودية ، واتَّخذ الإرهابُ اليهودي مسارًا ميكانيكيًّا ذا صِبغة توحُّدية معَ التوراة ، التي تُمثِّل إفرازًا بشريًّا وضعيًّا مُتطرِّفًا ، وليس لها أيَّة علاقة بوَحْي السماء .

إن اليهودية الصهيونية هي الأساس الفلسفي للنازية ، ويُمكن اعتبار النازيين تلاميذ لليهود . والشعبُ الألماني كان ضَحِيَّةً لليهود . وهذه الأفكارُ مُرتبطة بالبروتستانتية (العقيدة الدينية الألمانية الأساسية) ، لأن البروتستانت يَعتبرون التوراة (كتاب اليهود) كلمةَ الله ، والمرجع الأعلى للاعتقاد والسلوك . وفي ألمانيا ، اعتقدَ هتلر وكثير من الألمان أن اليهود هُم سبب خسارة الألمان في الحرب العالمية الأُولى ، وأنهم مِن خلال نفوذهم المالي والصناعي والإعلامي ومُشاركتهم في الحركات الثورية قد امتصُّوا دماءَ الألمان ، وسبَّبوا لهم المصائب والكوارث .

وهذا يعني أن اليهودية والنازية وجهان لعُملة واحدة . والاستغلالُ المُتبادل الاستقطابي جَعل البُنيةَ اليهودية للإرهاب العسكري المَدعوم توراتيًّا تستمد قيمَ التطرف من النازية ، ثُمَّ تَصهر هذه القيمَ في بَوتقة مُعاداة الإنسانية ، لتحقيق أهداف صهيونية توسُّعية مصبوغة بهالة استباقية وقائية ترفع شعار " معاداة السامية " من أجل استخدامه كسيف على الرقاب ، وسلاح ضد أي نقد للمشروع اليهودي الإرهابي . وشعار " مُعاداة السامية " أشبه ما يكون بحصانة دبلوماسية تُحيط باليهود ، وتَحمي جرائمهم ، وتُتيح لهم أن يُمارسوا إرهابَهم كما يُريدون بدون اعتراض . والمُضحك المُبكي أن كُل مَن يتجرَّأ على نقد الإرهاب اليهودي ، وفضح جرائم اليهود ، يُرمَى بتهمة " مُعاداة السامية " التي صارت لُعبةً في أيدي اليهود ، وورقةً محروقة ومكشوفة ومفضوحة .

والتوراةُ كتاب بشري فنتازي أسطوري ، يُثبِت نَفْيَه عن طريق تكريس الأوهام البشرية كقوالب أيديولوجية غير منطقية. وطبيعةُ التوراة المُضطربة تُكرِّس مبدأ تمييع النصوص الدينية المُقدَّسة ، مِن أجل لَوْي أعناق النصوص ، وتوجيهها إلى الهدف المنشود ، لتحقيق مصالح شخصية ، وتجذير المعنى السياسي المُسبق على أرض الواقع . والمشكلةُ المركزيةُ في هاجس الحُلْم التوراتي المُنكسر ، ذات علاقة مصيرية بسيطرة الأوهام على بُنية العقل الديني ، الأمر الذي يَنقل العقليةَ اليهودية إلى هُلامية التفكير المُسبق الذي يتخندق في عقلية القلعة .

والكيانُ الصهيوني باعتباره التجسيد القومي السياسي النازي للإرهاب التوراتي التلمودي ، يحتوي على بذور انهياره في داخله ، وهو بذلك يُجسِّد بؤرةَ التوسُّع السرطاني ، الذي أرْسَتْ

فلسفته الكتبُ الدينية المُتطرفة كالتوراة والتلمود ، مِن أجل تأسيس صيغ واقعية لتطبيقات النصوص الدينية على قاعدة المشاريع السياسية . واعتمادًا على البؤر الفلسفية الدينية المُؤَدْلَجَة على أرض الواقع ، يبدأ العقلُ اليهوديُّ في تكوين أفكار مخيالية لتوفير الشرعية لأنسنة الجريمة ، وقَوْلبتها في أُطَر الفاعلية المجتمعية . وهكذا ، يتحوَّل القاتلُ إلى ضحية ، وتتحوَّل الضحيةُ إلى قاتل ، ويتقمَّص القاتلُ مُعاناةَ الضحية ، لنيل التعاطف والشفقة . وهذه اللعبةُ القائمة على تكوين المشاعر الصناعية ، وتوجيهها نحو تبرير الجرائم ، وتأطيرها أخلاقيًّا ، إنما تَرْمي إلى إنقاذ الجلاد مِن عملية تحمُّل المسؤولية .

والعجيبُ في الأمر أن العَالَم الذي يُسمِّي نَفْسَه حُرًّا ، ويدَّعي الحُرية والحضارة والتَّمَدُّن ، يُشارك في هذه المؤامرة بشكل مقصود ، من أجل تحقيق مصالح شخصية ، ومنافع ذاتية . وهكذا أصبحت حقوقُ الإنسان مُجرَّد صفقة تجارية بين العَرْض والطَّلَب ، لتحقيق أكبر ربح ممكن .

والشخصيةُ المتطرفة في سُلوكها ، مَهما تمادت في ارتكاب الجرائم ، ونَجحت في تغطيتها أخلاقيًّا ، وتحويلها إلى قَوس نصر بدلًا مِن وصمة عار ، لا بد أن تقع في أَسْر الانهيار الذاتي الخَفِيِّ . واليهودُ في كل مراحل وجودهم ، كانوا يَملكون عقولًا خارقة ، وأموالًا طائلة ، وقدرات هائلة على التخطيط وحياكة المؤامرات. ومعَ هذا ، لم يَستطيعوا حمايةَ أنفسهم من القتل والإبادة والتهجير،ووقعوا في شَر أعمالهم.ولا يَحيق المكرُ السَّيئ إلا بأهله. ومَن سَلَّ سَيْفَ البَغْي صُرِعَ به.

إن الأوهام التَّوراتية تعمل جاهدةً على تكريس الحُطام الإنساني ، مِمَّا يُؤَدِّي إلى تحويل الإنسان إلى ظاهرة اجتماعية مُنهارة ومُسْتَنْزَفَة . وهكذا ، يُدمِّر الإنسانُ نَفْسَه دون أن يشعر . والأُسس الكيانية للفرد اليهودي ليست بأكثر من إشكاليات مُتراصة وَفْق أنماط الخديعة التوراتية . وكُل نقد للتوراة (الكتاب البشري الأسطوري) يستلزم بالضرورة نقد الكيانات البشرية الحاملة لِعِبء الأساطير الدينية . وهذا الترابطُ المعرفي يكشف عن طبيعة بناء الشخصية اليهودية المُضطربة بفِعل انكماش الذاكرة بين الدِّين والقَومية . واليهودُ الذين فشلوا طيلة وجودهم في بناء حضارة إنسانية ، ستقودهم عُقدةُ الشعور بالنقص إلى تدمير إنجازات الآخرين ، ومُحاولة إلغاء القيم الحضارية والمدنية. والمجرمُ يتمنى لو كان كُل الناس مجرمين ، حتى لا يَشعر أنه عنصر شاذ عن مسار الإنسانية . والطالبُ الفاشلُ في المدرسة ، لا يُطيق أن يرى طلابَ المدرسة ناجحين ، لأنه هذا الأمر يُشعره بالنقص والخِزي والعار ، وهو يتمنى لو كان جميعُ الطلاب فاشلين ، كَي يرتاح من تأنيب الضمير ، وتصنيفه كعنصر شاذ وغريب . وهذا بالضبط ما يقوم به اليهوديُّ باعتباره

عنصرًا شاذًّا عن البُنية الحضارية العالمية . ومن هنا تنبع فلسفة التدمير والفوضى والإفساد والعبثية ضمن الأُطر التي يسعى اليهودُ إلى تعميمها لتسهل سيطرتهم على العَالَم . وبالتالي ، يُصبحون قادة الإنسانية وزُعماء البشرية، وسادة المجتمعات. وهذا وهم قاتل مَدعوم بسُلطة رأس المال اليهودي.

والتَّوراةُ بوَصْفها إشكالية التَّمَوْضُع حول نشأة الخرافة ، تصنع تيارًا بشريًّا مكسورًا، يبدأ من أدلجة الظواهر الاجتماعية في إطارها المُتطرِّف ، وُصولًا إلى تأطير المعاني الدينية السلبية في أطوار الانتكاسة المُنظَّمة . وهذا يعني تكريس الفوضى كنظام مِن العلاقات الأيديولوجية القائمة على ثنائية العِلَّة والمَعلول (سبب الفوضى الدينية والنتيجة المُتَرَتِّبة عليها) .

والنماذجُ المعرفية الفوضوية في الشخصية اليهودية الحاملة للإرث التوراتي المُشوَّش ، تُمثِّل إشكاليةً ذات ارتباط وثيق بالمُستحيل اللغوي(التَّصادم الهَدَّام بين أنساق الطبيعة اللغوية للتوراة). وكُل النتائج النابعة من التأطير العَقَدِيِّ لاستبداد لغة التوراة البشرية، هي بالأساس إفرازات للفوضى الخلاقة المُسيطرة على مسار العقل الديني ومصيره .

واليهوديُّ هو صيغة الوَهْم التراتبي لطبقات التوراة البشرية . وهذا التعريف يَقُود إلى فكرة التماهي بين اللغة الفردية المتمثلة في الكيان الإنساني ، واللغةِ الشمولية المتمثلة في الأساس الفكري للتوراة البشرية . والإنسانُ ابنُ اللغة، وابنُ بيئته ، في آنٍ معًا . وهذا يُوضِّح حتميةَ سيطرة الخلفية التوراتية على سُلوك اليهود ، مهما كانت عقائدهم . لذلك ، تَجَذَّرَ الفكرُ الأسطوريُّ ذاتًا وموضوعًا ومُحتوى. وكُل المُقارَبات في النص التوراتي الهُلامي تؤدِّي بالضرورة إلى تأطير الانكسار في الفَرْدانية اليهودية (حالة الفرد اليهوديِّ المُتكوِّن مِن مجموعة أفراد مُنكسرين) .

إن مركزية القطيعة بين مستويات استبداد الفكر التوراتي ، تُحوِّل النصوصَ البشرية الحاضنة لسلوكيات الوقائع الاجتماعية المُتصادمة ، إلى نصوص دينية توراتية تَحمل صِفةَ القداسة المخيالية والعِصمة الأيديولوجية . وبعبارة أخرى ، إن الإنسانَ يُؤَلِّف كتابًا حَسَب أهوائه وآرائه ومصالحه ، ثُمَّ يَجعله كتابًا مُقَدَّسًا مُتَّصِلًا بِوَحْي السماء،والهدفُ من هذه عملية هو أكل الدنيا بالدِّين.وهذه الفوضى المتشعبة سوفَ تقضي على المدلول الديني الإيجابي ، وتُحيله إلى بُنية اجتماعية مُتخبطة، وغارقة في العقلية اليهودية المصلحية المعزولة عن المسار الطبيعي للحضارة البشرية . وقد عَزَلَ اليهودُ أنفسَهم بأنفسهم ، لأنهم يُقدِّسون الوهمَ التوراتي ، ويَعتبرون أنفسهم شعب الله المُختار.

وكُلما اقترنَ الأداءُ العَقَدي بالتوجهات الرسمية للعقلية البشرية المحصورة في أنطقة رد الفِعل الجُزئي ، اشتبكَ الفِعلُ الكُلِّي مع هالة الانكسار المعرفي ، ضمن أُطُر توظيف الانعزال السياسي

والخرافةِ الدينية . وبالتالي ، يَغدو اليهوديُّ ذاتًا مكسورةً ، وظلًّا باهتًا للانكماش الديني في إطاره السوسيولوجي (الاجتماعي) . وكُل اتجاهات التصور اللاعقلاني لحالة الاستبداد التوراتي ، التي تتجسَّد في أفكار بشرية ذات فاعلية متخبطة منزوعة السيادة على أنساقها ، هي في الواقع اتجاهاتٌ لشرعنة الاستبداد الديني ، وتكريسِ استخدام النصوص الدينية لتحقيق مصالح شخصية.

والمجتمعُ المركزي في العقلية اليهودية المادية ، ليس بأكثر من نموذج للأيديولوجية الخادعة التي يتم تأطيرها وَفْق أُسُس عقلانية ظاهريًّا، لضمان سيطرة السادة على العبيد ، واستغلالِ الأغنياء للفقراء، وتحويلِ الكُل لخدمة البعض ، ودمجِ الوطن بالوطنية ، والدِّينِ بالقَومية . وهكذا ، يتحوَّل المجتمعُ إلى بقرة حلوب مُسخَّرة لخدمة عِلْية القَوم . الأمر الذي يُكرِّس سُلطة الفساد ، ويَحمي الفاسدين ، ويُحصِّنهم ضِد النقد والمُساءلة والمُحاسبة . والشعاراتُ الوهمية المُخادعة الناتجة عن إفرازات الأيديولوجية المصلحية المُسيَّسة ، مِثل: الانتماء إلى المشروع الصهيوني ، والإخلاص لحُلْم الدولة اليهودية ، والالتزام بتعاليم التوراة والتُّلمود ، وتحقُّق وعد الرب في أرض الميعاد . كُل هذه الشعارات وما يتفرَّع عنها مُجرَّد محاولة مَكشوفة لذَر الرماد في العُيون ، وتوظيف الشعارات التي تُدغدغ عواطفَ الناس ، مِن أجل تجميعهم كقطيع ، والسيطرة عليهم ، وسرقتهم باسم الله ، واستغلالهم باسم الدِّين . والدِّينُ اليهودي مُجرَّد مشروع تجاري استثماري ، يَرمي إلى تحقيق مكتسبات مادية لا علاقة لها بوَحْي السماء . وهذا الاستخدام الدُّنيوي للدِّين ، يعني بالضرورة تحوُّل " الوطن " المُحَاصَر بالصِّيغ المُتطرفة للأنظمة البوليسية ، إلى بقرة حلوب في حَظيرة عِلْية القَوم . و" الشعب " دائمًا هو مَن يَدفع الثمن.إنه يدفع الثمن مُضَاعَفًا مِن عُمره وأعصابه وقُوت يَومه ومستقبل أجياله.لكنَّ" الشعب" الذي صارَ قطيعَ غنم يُساق إلى الذبح ، قد تساوت عنده الأضداد ، ووصلَ إلى مرحلة البلادة ، ولم يعد يَشعر بشيء ، لأن حياته ومَوته شيء واحد في " وطن " قاتل مقتول ، كما أن الجُرح لا يُؤلِم الشخصَ المَيْتَ . والجديرُ بالذِّكر أن الوطنَ والشعبَ مُصطلحان افتراضيان ، ليس لهما وجود حقيقي شرعي.وهذا ساهمَ في تكوين الإقطاع عقيدةً وسُلوكًا (تحوُّل العقائد إلى إقطاعيات ، وتحوُّل السلوك البشري إلى شظايا ، وتحوُّل الذات الإنسانية الروحية إلى مشروع استثماري مالي). وشيئًا فشيئًا ، تبرز الإرهاصاتُ القاتلة للرُّوح ، وتفرض نَفْسَها على التاريخِ وعناصرِ الذاكرة الاجتماعية لانكسار الحُلْم المجتمعي.

وهذه الإرهاصات ذات تماس مُباشر مع تاريخية النص التوراتي ، وتاريخِ الهوية اليهودية المتشظية ، المحمولة على الدَّبابة لا الأنساق الثقافية الحضارية . ومِن هنا تنبثق أنظمةُ الفوضى

الاجتماعية ، لِتُحيل عُزلةَ الرُّوح إلى سُلوكيات اجتماعية مُتطرفة، تَؤول _ معَ مرور الوقت _ إلى عقائد دينية بشرية مُسيَّسة، مُتعلقة بطبيعة المأزق الوجودي للشخصية الإنسانية المكسورة ، التي تُساهم في عزل النص الديني عن حاضنته الاجتماعية ، وقاعدته الجماهيرية .

وعلى الرغم من الاختلاط بين الإلهيِّ والبشريِّ في التوراة ، إلا أن الحَتمية التَّعْرَوِيَّة التي تَرمي إلى تعرية الأنساق التوراتية مِن الأساطير ، قادرة على إحداث عملية فصل مُتوالية في داخل النصوص التَّوراتية ، مِمَّا يُساهم في كشف الحقيقة ، وإبعاد الوَحْي الإلهيِّ عن المؤثِّرات البشرية .

وكُلما تجذَّرَ إقصاءُ العناصر المُتطرفة في بناء النَّص الديني ، عقيدةً وثقافةً وسُلوكًا ، اتَّجه الفكرُ الإنساني نَحْو إقصاء التَّوراة البشرية مِن السياق الحضاري للمدنية ، تمهيدًا لإقصاء اليهودية الصهيونية من سياق الوجود الإنساني الراقي . وهنا تبرز مشكلة أساسية ، وهي انتقال المركز المعرفي من هُلامية التوراة وتُراثِها المحمول على النماذج المتطرفة ، إلى عملية الصَّهينة المتواصلة التي تتجسَّد في دكتاتورية التاريخ المُصْطَنَع واستبداد الجُغرافيا المُتَخَيَّلَة . ولا يُمكن إيجاد حَل لهذه المشكلة وغَيرها مِن المشكلات، إلا بكشف روابط التاريخ المشترك بين خريطة الذاكرة الدينية المشوَّشة ، والوقائعِ الافتراضية الخيالية مِثل المَحرقة (الهولوكوست) .

وعلى الرغم مِن كَوْن " الهولوكوست " مُجرَّد صناعة خيالية، وكِذبة سينمائية تاريخية ، تأسَّست بفِعل منطق قُوَّة الآلة الإعلامية ، لا قُوَّة المنطق العقلاني الواقعي، إلا أن الكثيرين يُردِّدونها على أنها حقيقة تاريخية مُقدَّسة وثابتة ، ومُسلَّمة لا تَقبل النقاش . وهذا خطأ كارثي يُخالف حقيقةَ الأحداث التاريخية . إن النازيين قَتلوا آلافَ اليهود والغجر والمتخلفين عقليًّا والمُعاقين ، وقَتلوا ملايين الأوروبيين والروس، عندما احتلوا نصفَ أوروبا ، ووصلوا إلى أبواب موسكو . فلماذا التركيز على عِدَّة آلاف من اليهود ؟ .

إن الهدف من أكذوبة الهولوكوست هو إيجاد شرعية دينية وأخلاقية لإنشاء الكيان الصهيوني في فلسطين ، واستقطاب تعاطف الناس ، والسيطرة على مشاعرهم وأحاسيسهم ، وتوجيهها نَحْو دعم اليهود معنويًّا وماديًّا . والهولوكوست مشروع تجاري لابتزاز الدول الأوروبية ، والحصول على الأموال والتأييد السياسي . وأُكذوبةُ المحرقة (الهولوكوست) خدعة كَوْنية كبيرة لم تحدث على أرض الواقع إطلاقًا . وهي انعكاس واضح لنفوذ سُلطة صُنَّاع الميثولوجيا التوراتية ، وقُدرتهم على صياغة الخيالات على أنها حقيقة واقعية ، وتكوينِ الكوابيس الذهنية وَفْق قوالب جاهزة . والهدفُ هو اختراع تاريخ أسطوري لأكذوبة المحرقة ، والاستفادةِ من فكرة القرابين الدينية (ضحايا

المحرقة) ، للحصول على شرعية احتلال فلسطين ، وكسب الرأي العام ، ونَيل عطف الناس ، وجذبهم نحو تأييد المشروع اليهودي الإحلالي الاحتلالي .

والتوظيفُ السياسي لخدعة الهولوكوست في أنطقة الأدلجة ، بكافة مستوياتها المُوزَّعة بين البُنية التحتية للذاكرة اليهودية الشَّعبية، والبنيةِ الفوقية للتكريس الثقافي المُؤَدْلَج أُسطوريًّا ، يظل توظيفًا صناعيًّا مُعلَّقًا بحبال الهواء ، لأن صناعة الهولوكوست تنبثق من الإطار الفلسفي للخديعة ، ثم تنتقل إلى تكوين التجريد الفلسفي ، الذي يُحاول جاهدًا تأطيرَ المُحيطات المِخيالية في نسق واقعي حقيقي ، لإظهار الميثولوجيا المُسيَّسة على شكل مُسلَّمة لا جِدال فيها .

وهذه الأدلجة المركزية ما كانت لتحدث لولا الدعم الإعلامي الهائل الذي يسند الخُرافةَ الدينية السياسية لِكَيْلا تتهاوى. والقوةُ الظاهرية لأيَّة خرافة هي قوة وهمية نابعة من جدلية الاستمرارية والإسناد الخارجي ، وسياسة الأمر الواقع. ولا توجد خرافة تمتلك قوة ذاتية للصمود والدَّيمومة ، لأن الأنساق الهُلامية الأسطورية عاجزة عن تقديم الحُجَج المنطقية والبراهين العقلية في محيطات النَّفي والإثبات .

إن التوظيف السياسي للهولوكوست هو توظيف خارجي مُسلَّط على عناصر الميثولوجيا التوراتية الداخلية. واستنادًا إلى مِخيال المأساة وسينمائيةِ الضحايا ، تسعى المؤسسة الصهيونية لتقديم فكرة "القُربان اليهودي" إلى الرأي العام ، لتمليع صورة اليهود ، وتصويرهم كشهداء الحق ، وضحايا الإنسانية ، الذين قدَّموا حياتهم في سبيل الحضارة والمدنية وخلاص البشرية . وكما أن النصارى اخترعوا الصليبَ لجعله خلاصًا للبشرية ، فكذلك اليهود اخترعوا الهولوكوست (صليب اليهود) لجعله خلاصًا للبشرية . وكما أن النصارى جَعلوا المسيحَ مَصلوبًا على الخشبة كذبًا وزُورًا، لتطهير البشرية من الخطيئة ومنحها الخلاص ، فكذلك اليهود جَعلوا أنفسَهم قتلى في معسكرات الاعتقال وغرفِ الغاز كذبًا وزُورًا ، لتطهير البشرية من الخطيئة ومنحها الخلاص . والهدفُ من أكاذيب اليهود والنصارى تقديمهم كشعب الله المُختار ، وأصحاب فضل على البشرية والحضارة .

لقد تَمَّ التعامل مع ميثولوجيا الهولوكوست ، كنظام أيديولوجي تاريخي واقعي ، هدفه استجداء تعاطف الدول والشعوب من أجل نقل صورة اليهود من خانة المكر والجريمة والإرهاب والشذوذ عن السياق الإنساني ، إلى إطار الحرية والتضحية والفِداء وتكوينِ العَالَم الحُر ، وتأسيس المجتمع الدولي الديمقراطي. وهذا الخداع يَرْمي إلى تكوين برواز أخلاقي حاضن لليهود بوصفهم أبطالًا مِن أجل الحرية، ضَحُّوا بحياتهم في محرقة القرابين اليهودية ، من أجل خَير البشرية وتقدُّمِ الإنسانية .

وهذه الدعاية الوهمية المكشوفة ، لا تنطلي إلا على ضحايا ثقافة السذاجة ، وأصحابِ المصالح . وللأسف ، لقد نجحت الآلةُ الإعلامية الصهيونية في رسم السياسة التوراتية على أرض الواقع، لتجذير التاريخ اليهودي الإرهابي كتيار فكري أخلاقي، ومبدأ معرفي نبيل ، ومنهج إنساني.

والتاريخُ اليهودي المُفتقِد للقيمة والمعنى والألقِ الإنساني الحاسم، عبارة عن تكتُّلات مَوبوءة، وإشكاليات اجتماعية مهووسة . وهذا التاريخ المكسور تَمَّ تأطيره في قوالب جاهزة مُسَيْطَر عليها مُسْبَقًا ، لإعادة أدلجة مركزية الخُرافة وَفْق أشكال تاريخية مبنية على الذات التَّوراتية الهُلامية . والهدف مِن هذه الحملة تثبيت الإشكاليات الوهمية كقيم حقيقية مُتَّحدة مع الواقع لفظًا ومعنى .

واليهودُ يَعلمون أنهم لا يَملكون حضارةً إنسانية ، وليس لَدَيهم تاريخ حافل بالإنجازات ، ويُدركون أن اليهود_طيلة تاريخهم_ كانوا هامشيين منبوذين، بسبب مكرهم وخياناتهم ومؤامراتهم. والشخصيةُ اليهودية لا ترتاح إلا إذا زَرعت الدَّمارَ في أنحاء العَالَم ، وبثَّت الفُرقةَ والانقسامَ في المجتمعات مِن أجل السيطرة عليها. وهي شخصية مُتطرفة مضطربة عائشة كالطُّفيليات دون وجود ذاتي حقيقي . والجديرُ بالذِّكر أن الغرب لم يقم بزراعة الورم السرطاني الصهيوني في فلسطين ، حُبًّا في اليهود ومِن أجل سَواد عيونهم . بل مِن أجل التخلص من يهود أوروبا الخَوَنة (الطابور الخامس) ، وهكذا يرتاح الأوروبيون مِن فساد اليهود وإفسادهم وخياناتهم ومؤامراتهم ، وذلك بتسليطهم على العرب والمسلمين. وأيضًا ، حَرِصَ الغربُ على زراعة اليهود في فلسطين ، لتحويل فلسطين إلى كيان صهيوني ، يكون بمثابة قاعدة عسكرية مُتقدِّمة للغرب ، وحارسة لمصالحه .

إن التوراة الفوضوية هي الجدلية المحورية التي تتكاثر حولها أجزاء الشخصية اليهودية المريضة . وما اضطراب التقاطعات الشخصية الذاتية في المسار الميثولوجي اليهودي ، إلا تأسيس لفظي ومعنوي للهاجس الانتكاسي ، الذي يحياه اليهوديُّ في حياته المَيْتة ، باعتباره عنصرًا شاذًّا عن المسار الحضاري الحقيقي . وكُلما تركَّزت دَيمومةُ الانتكاسة اليهودية حول نصوص التوراة البشرية ، نَتَجَتْ إشكاليات جديدة تُعرِّي الحالةَ اليهودية العمومية ضمن انتشارها الأيديولوجي، الذي يُزاوِج بين اضطراب الشخصية اليهودية والأداءِ السوسيولوجي للإرهاب العسكري .

والشخصيةُ اليهودية ضمن أبعادها المُؤَدْلَجَة،هي خليط من العقائد الدينية الباطلة والسلوكيات الاجتماعية المُنحرفة . ليس هذا فَحَسْب ، بل أيضًا إن القيمة المعنوية للشخصية اليهودية دائمة الانقسام والتَّشظي ، وتُحال باستمرار إلى دلالات مكسورة ، وإشكاليات حاملة للمَوروث الأيديولوجي السام .

والمشكلةُ الأيديولوجية في أنساق التوراة ، تتجلى في إحالة العُنصر البشري إلى أُلعوبة خاضعة للفلسفة اليهودية التي تقوم على الأساطير المُؤسِّسة للسياسة الصهيونية ، مِثل : شعب الله المُختار ، وأرض الميعاد ، ونقاء العِرق اليهودي . وهذه الأساطيرُ لها مدلول إستراتيجي احتلالي ، يدل على انكسار الطبيعة اليهودية ، وتحوُّلاتِ الشخصية اليهودية في أُطُر المصلحة المادية .

والجديرُ بالذِّكر أن أنساق صَهينة التَّوراة ، قد تمَّت السيطرة عليها بالنزعة التُّلمودية المتطرفة، مِمَّا جَعل التوراةَ فاقدةً للشرعية الإنسانية ، والمشروعيةِ الحضارية . وهذا دَفع باتجاه تحطيم الحُلْم اليهودي المصبوغ _ كذبًا وزُورًا _ بالإنسانية والحضارة والمدنية . وبشكل عام ، إن الشخصية اليهودية أداء هُلامي يعتمد على التلاعب بالفوضى ، ومُحاولةِ ترتيب العناصر الشاذة وَفْق نظام مُتماسك ظاهريًّا . وهذه العمليةُ المُسيَّسة سَوْفَ تُفعِّل انكسارَ الحُلْم في شظايا العقل الجمعي. ومِن هنا يظهر مبدأ التَّشَظِّي كحالة انتكاسية في محيطات فكرية مُضطربة ومُشوَّشة ، تفتقد إلى العِلم النافع والمعرفةِ الصحيحة . وكُل الانهيارات في الشخصية اليهودية ، تُمثِّل إفرازًا للنصوص المُشتبكة معَ ميثولوجيا التَّوراة، التي تتمركز في تفاصيل بُنية الأساطير الدينية المصبوغة بهالة العِصمة والقداسة. واختراعُ النصوص الدينية وتَسييسها في إطار القداسة والتقديس ، واستغلالُ هذه القداسة المزعومة في بناء جدلية الانسحاب الطبقي ، بَدْءًا مِن أُسطورية التوراة وُصولًا إلى الذاكرة البشرية لتكوين الشخصية العدوانية ، وتحويلُ تفاصيل الشخصية العدوانية إلى عقائد دينية شرعية وسلوكيات اجتماعية عُرفية، وإحالةُ البُنى الدينية المُؤَدْلَجَة إلى تيارات سياسية إرهابية . كُلُّ هذه التفاصيل تُساهم في اختراع تعريفات جديدة للصراع في التوراة البشرية ، والصراعِ عليها . وهذا الصراعُ المُزْدَوَجُ مرتبط بشكل وثيق معَ الصراع بين الشَّخصية اليهودية (البُنية الأساسية للوجود الوهمي) والشَّخصانية الصهيونية ذات القُوَّة الاعتبارية (أدلجة القومية اليهودية في اتجاهات دينية احتلالية) .

ومنطقُ هذه التعريفات الجديدة هو انتهاج سياسة اللامنطق ، والذي يَغدو منطقًا جبريًّا بفِعل قوة الآلة العسكرية ، حيث البندقية تَحُلُّ مكانَ الكلمة ، ويصير الدستورُ الأخلاقي هو جنازير الدَّبابة . وهذه العَسكرة المُتواصلة أيديولوجيًّا ، والمُستمرة اجتماعيًّا ، والمُتوالية اقتصاديًّا ، والمُتتابعة ثقافيًّا، تجعل من الهُوِيَّة اليهودية مُجرَّد مِخيال موجود بفِعل الإسناد الخارجي ، بلا منطق ولا تاريخ ولا جُغرافيا ولا حضارة ولا مدنية ولا قوة ذاتية . لذلك ، ليس غريبًا أن يكون الكيان الصهيوني الذي يحتل فلسطين عائشًا على المعونات الخارجية،والإمداداتِ غير النابعة من الذات.

وهذا يعني أن الكيان الصهيوني موجود على أرض الواقع ، بمنطق القوة لا قوة المنطق . وقوةُ هذه الورم السرطاني اليهودي ليست ذاتيةً ، بل هي مُستمدة مِن الخارج ، تمامًا كالورم السرطاني في جسم الإنسان المريض ، حيث يُواصل نشاطه بفِعل انتشاره والتهامه لِمَا حَوْله، وليس بفِعل قوته الذاتية ومنطقه الإقناعي وحُجَّته الساطعة . وهذا الأمرُ يُكرِّس شريعةَ الغاب ومبدأ الصراع على أساس القوة وفرضِ الأمر الواقع . وبالتالي ، تُصبح هناك قناعة ثابتة في ذهن الإنسان، وهي أن كُل إنسان يأخذ حقَّه بيده ، في ظل مجتمع عالمي غارق في الشطط الطبقي والظلم الاجتماعي والعنصرية والفقر والبطالة والتمييز على أساس الدِّين والعِرْق واللون . وللأسف ، صارت الأرضُ غابةً خطرة ، ومكانًا قاتلًا للصيغة الحياتية ، وبُقعةً غير مُمتعة للعيش فيها .

ومِن أجل تثبيت انكسارات الوَعْي كسُلطة اجتماعية اعتبارية ، قام الأداءُ السوسيولوجي اليهودي بصناعة وقائع مِخيالية ، تُتيح للتَّوراة المُسيَّسة مجالًا أوسع للمُناورة الأيديولوجية القائمة على ابتزاز الناس ، واستغلالهم ، وسرقةِ الموارد والثروات . وهذه المُناورة مرتبطة بصناعة الأساطير اليهودية المُسيَّسة ، مِثل : شعب الله المُختار ، ونقاء العِرْق ، والمَحرقة (الهولوكوست) . ومعَ مرور الوقت ، تغدو الأساطيرُ تيارًا حيويًّا مُنْدَمِجًا بالكامل مع أدلجة التَّوراة الصهيونية في مُحيطها السياسي الاحتلالي ، وتتلاقى المنظومات الفكرية الإرهابية بسبب القواسم المشتركة بينها . وهذه الرؤيةُ تُفسِّر طبيعةَ تحالفِ النازية مع اليهودية بسبب النواة المشتركة بينهما ، كما تُفسِّر المُكوِّنات العَقَدِيَّة المشتركة بين هاتَيْن الأيديولوجيتَيْن المُتطرفتَيْن . والفكرُ اليهودي قائم على استقطاب الفوضى ، من أجل تنظيمها ، واستخدامها كسلاح ضد الآخرين . وهذه العملية " استقطاب العقلية الفوضوية" تُشير _ بشكل غير مباشر_ إلى فلسفة الزواج الميكانيكي المصلحي بين اليهودية والنازية ، الذي نتج عنه طفلة مُشوَّهة اسمها الصهيونية .

إن الإطار القومي للفاعلية الاجتماعية المنكوسة ، لا يعتمد على التوراة كسُلطة متطرفة فَحَسْب ، بل يعتمد أيضًا على البؤر المُتمركزة في جدليات إنتاجية النَّص الديني التوراتي الصهيوني المُسيَّس . وشرعيةُ اليهوديةِ الخُرافيةُ مُستمدة مِن استغلال مركزية النص الديني المُتَشَظِّي ، وهذا يترافق مع إعادة إنتاج القومية اليهودية النازية ، وتعميقِ انكسار ذاكرة المعنى ، لكي تَسْهُل السيطرة على المُكوِّنات العَقَدِيَّةِ في المجتمع الكُلِّي ، والتراكيبِ الثقافية في العقل الجمعي .

والإشكاليةُ الثقافية في الروابط الوجودية اليهودية ، تكمن في عملية القتل المنهجية للأنسنة المجتمعية . وهذا جَعل المجتمعَ اليهودي الصهيوني مُوحِشًا ومُتَوَحِّشًا في آنٍ معًا . وما زاد الطينَ

بِلَّةً أن المجتمع اليهودي الصهيوني خليط غير مُتجانس ، وهو عبارة عن جماعات يهودية مُشتَّتة ومُتفرِّقة ، تعود أصولُها إلى قبائل رعوية ، كانت تنتقل في البلاد كالبَدْو الرُّحَّل ، وليس لها مسكن أصلي ولا موطن ثابت . وهذه الجماعاتُ اليهودية ذات المصالح المختلفة ، والطِّباع المتناقضة ، والآراء المُتضاربة والعقائد المُتضادة ، يُطلَق عليها _ مَجَازًا _ اسم " المجتمع اليهودي ".

والمجتمعُ اليهودي المَجَازي يُمثِّل ذاكرةً مشروخة لحُطام نصوص التوراة البشرية ، التي تعتمد على متواليات صَهينة التراكيب الفكرية التراثية ، وكسرِ الوعي الإنساني ، مِن أجل السيطرة على الأمم والشعوب . والخطورةُ لا تكمن في عملية صَهينة المُكوِّنات الثقافية فَحَسْب ، بل أيضًا تكمن في عملية صَهينة الخلفية الداعمة لأيديولوجية الإرهاب اليهوديّ . والكيانُ الصهيوني معنويًّا وماديًّا ، لا يستمد وجوده من شرعية ذاتية ، وإنما يستمد شرعيته الافتراضية من الجهات الداعمة له ، والواقفة خَلْفه . والدعمُ الأخلاقي والإسنادُ اللوجستي والإمدادُ العسكري لفُقاعة الصابون المُسمَّاة " إسرائيل " ، ناتجٌ عن أيديولوجيات صَهينة الإنجيل النابعة مِن نجاح اللوبي اليهودي في صَهينة الفاتيكان ضمن تطبيقات زواج المصلحة بين التوراة (العهد القديم) والإنجيل (العهد الجديد) . وهذا الزواجُ تجسيد لانكسار المعنى في مجتمع تَحكمه الخُرافة باسم الدِّين ، ويُكرِّس القتلَ باسم الله . ومِن خلال المنظومة الفكرية العابثة المُستندة إلى تَوراة السَّيف ، تظهر الشخصيةُ اليهودية المُضطربة كأزمة وجودية ، تتمحور حول بؤرةِ التمركز الميثولوجي في المجتمع المادي ، وانطفاءِ الذاكرة الحالمة ، مِمَّا يؤدِّي بالضرورة إلى انكسار الشظايا الدينية في العقلية اليهودية المؤامراتية . وكُلما انكمشت مراكز القوى في ميثولوجيا نصوص التوراة البشرية ، انتقلت هالةُ الشخصانية الأُحادية مِن المنظومة القِيَمِيَّة الفَرْدانية(الإطار الفردي الأناني للأخلاق الاستهلاكية المُؤطَّرة ماديًّا) إلى مُتواليات المُعطى السياسي الإحلالي الاحتلالي . وهذا يستلزم بالضرورة انتقالَ الصِّيَغ السياسية مِن الإيقاع المصلحي لتوراة الإبادة ، إلى تطبيقات الواقعية المعرفية المكسورة ، التي تتغيَّر بصورة طبقية انسحابية مُعقَّدة،بسبب التعقيد في بُنية الثقافة الصهيونية المُتشظية إلى كَيْنونات سياسية مُخادعة ، تَهدف إلى تثبيت الفكر السياسي كمُعطَى ديني ، وتكريسِ البناء الاحتلالي على الأساطير الدينية التي يعتنقها اليهودُ مِثل : مَرجعية التَّوراة والتُّلمود ، ومَركزية الحاخامات الواهمة . ومِن خلال بُنية الإيقاعات الدينية المصلحية ، تتجذَّر المُعطيات الفردية والجماعية ضمن الأنظمة اليهودية الحاكمة في الميثولوجيا التَّوراتية، والحاكمةِ عليها.والتَّوراةُ_ رغم أُسطوريتها البشرية_ لا تزال مرجعًا دينيًّا مهمًّا لدى اليهود والنصارى (خُصوصًا البروتستانت)،

وهذا يُشير _ بالدرجة الأُولى _ إلى تغلغل شخصية التوراة الاعتبارية في المجتمع اليهودي المُضمحل ، لأسباب مصلحية ونفعية . وما يُثير العجب أن كثيرًا من الآباء المُؤسِّسين للصهيونية كانوا ملاحدة . ومعَ هذا ، استخدموا الشعاراتِ الدينية لحشد الناس وتجميعهم ، واعتمدوا مركزيةَ التوراة لجذب الأتباع ، وإيجادِ حاضنة لليهود ، وتأطيرهم وَفْق نظام واحد ومتماسك .

وفي هذا السياق تبرز العلاقة المصيرية الحتمية بين البروتستانت واليهود . وينبغي القَول إن اليهود _ في واقع الأمر _ لا يُسيطرون على العَالَم ، وهُم أضعف مِن أن يُسيطروا على العَالَم . وعددُ اليهود على كوكب الأرض أقل من عدد سُكَّان القاهرة (العاصمة المصرية) . ومِن أجل تفسير قُوة اليهود العالمية وسَطوتهم المالية وسُلطتهم الإعلامية ، ينبغي معرفة الحقيقة التالية : إن البروتستانت هُم الذين يُسيطرون على العَالَم ماليًّا وعسكريًّا وإعلاميًّا ، وهُم الذين يَحتضنون اليهود لأسباب دينية ودُنيوية . لذلك ، يَظهر اليهود (الأقلية البسيطة) كزعماء للعَالَم وسادة للبشرية .

والتَّوراةُ كتابٌ بشري أسطوري يشتمل على جدليات معرفية مُسيَّسة فوضويًّا ، مِن أجل تثبيت قِيَم النَّفي كحقائق ومُسلَّمات . والتوراةُ سوفَ تسقط تلقائيًّا بسبب اعتمادها على تفشِّي مبادئ الفلسفة الدينية المتشظية ، وانتشارِ انكسارات الميثولوجيا المصلحية . وبسقوط التوراة ، سيسقط الإنجيلُ المُتشظِّي إلى أناجيل وأسفار ورسائل ، تفتقر إلى المنطق ، ولا تقوم على دليل نقلي ، ولا حُجَّة عقلية ، ولا بُرهان تاريخي . وإذا سَقطت العِلَّةُ (السبب الميثولوجي لانتكاسة التوراة) سَقط المَعلولُ (النتيجة التوظيفية السياسية لأوهام الإنجيل) . ومِن أبرز المشكلات الجذرية في التوراة البشرية ، أن نصوص التوراة المُحرَّفة تصل إلى النتائج بلا منطق ، وذلك بالقفز على الأسباب ، وإثباتِ القيم المنفية ، وإنتاج أساليب مُضادة للتدرُّج العقلاني . وهذه الفوضى الأيديولوجية المحصورة في النطاق الديني النظامي المُشوَّش ، ساهمت في تكوين ميثولوجيا الدِّين اليهودي، وتكريسِ الاضطراب النَّفْسي في الشخصية اليهودية. إن المُقدِّمات المنطقية لنقد التوراة ونقضها ، تُجسِّد عُمْقَ الدَّلالة الفلسفية المتماسكة ، التي تكشف منظومةَ الانهيار في النص الديني الأسطوري، وتُبيِّن الجدليةَ المتذبذبة في بؤرة النص المتآكلة، ضِمن مستويات احتضان الخُرافات ، واستبعادِ المعاني ، ونَفْي الألفاظ . وهذا الحراك الفكري يَقُود الأنساقَ الثقافية إلى الكشف عن جدليات أُسطورية الإنجيل الصهيوني،لأن التوراةَ المُحرَّفة هي الأساس الفلسفي للإنجيل المُحرَّف.

والمُضحِك المُبكي في المجتمع اليهودي المُنقسم على ذاته، والمُتشظِّي عَقَدِيًّا وسياسيًّا ، أن القيمة الدينية تختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية،فيهوديةُ الفرد تختلف عن يهودية الجماعة،

ويهودية اليهود الشرقيين تختلف عن يهودية اليهود الغربيين ، ويهودية المُتدينين تختلف عن يهودية العَلمانيين، ويهودية المؤسسة العسكرية في الكيان الصهيوني تختلف عن يهودية المؤسسة المدنية ظاهريًّا ، معَ العِلم أن التجمع الاجتماعي الصهيوني هو ذاتية عسكرية بَحْتة ، ولا يُوجد مدنيون في الكيان الصهيوني الذي يحتل فلسطين ، إلا الأطفال .

إن انكسار الأحكام المنطقية في جدلية أناجيل التوراة المُتضاربة، يَكشف عن الانهيار الصادم في بؤرة المراكز العَقَدِيَّة ، التي تُصبح معالم في العلاقة بين اليهود والنصارى ، أي: العلاقة بين التوراة والإنجيل (الأناجيل). والقيمةُ الأسطورية للمُمارسة الجبرية الداعمة لإرهاب التوراة اليهودي، هي ذات القيمة الميثولوجية الداعمة لإرهاب الإنجيل النصراني ، ولكن الفرق أن اليهود اخترعوا المحرقةَ لتكون صليبَهم الخَلاصي ، المُكفِّر عن خطاياهم ، وليكونوا شعبَ الله المُختار ، في حين أن النصارى اخترعوا فكرةَ " قتل المسيح على الخشبة " لتكون صليبَهم الخَلاصي ، المُكفِّر عن خطاياهم ، وليكونوا شعب الله المختار . وهكذا ، صارت عقائدُ أهل الكتاب ضِمن مزاد علني ، وموضع تنافس وصراع بين اليهود والنصارى على الأسبقية والأفضلية والريادة والزعامة .

وكُلٌّ يدَّعي وَصْلًا للَيْلى وليلى لا تُقِرُّ لهم بذاكا

وعقائدُ أهل الكتاب تتمحور حول المواقف السياسية المُغرِضة ، التي تقوم على الأهواء الذاتية والمصالح الشخصية . وكُل الأساطير التَّوراتية الإنجيلية تتوالد لتصنع مَدلولًا مكسورًا ، وتتكاثر لتُكوِّن قواعدَ البناء الديني على أوهام معنى الذاكرة الاحتلالية .

وعمليةُ التَّشييد الأيديولوجي على إرهاصات صَهينة الصليب ، كانت بفِعل الاختراق اليهودي للفاتيكان . أي تحول بابوات الفاتيكان مِن حُرَّاس للميثولوجيا الصليبية المُؤطَّرة سياسيًّا في الجدليات الكنسية ، إلى مُروِّجين للمشروع الصهيوني وخدم لأصحابه ، الذين يَملِكون المالَ والسُّلطة والإعلام . وهذه خيانة واضحة للمسيح ، وخُضوع لأعدائه اليهود الذين حاولوا قَتْلَه . وهكذا ، يُحقِّق الإرهابُ اليهوديُّ انتصارًا سَوْداويًّا على المُسْتَوَيَيْن الديني والسياسي .

والصِّيَغُ الدينية الجدلية في السياق التوراتي ، لا تُنتج شخصيةً يهودية بالمعنى الأنثربولوجي ، وإنما تُعيد إنتاجَ الطبقات اليهودية المُوحشة بشكل مُتوحِّش ، يتصادم معَ أدلجة السُّلطوية الدينية التي تُنفِّذ مُخططاتٍ توسُّعية إحلالية على الأرض ، ضِمن المشروع اليهودي النازي (صُهيونية المُتَمَركِزات المعرفية الوجودية في مساحة شظايا المجتمع غَير المُتجانس) . وهكذا أضحت القَوميةُ اليهودية في انكسار المعنى هالةً دينية وجودية تُعيد تشكيلَ الأساطير، وتسييسَ الخُرافات.

والكياناتُ الاجتماعية اليهودية مُوحِشة معنويًّا ، ومُتوحِّشة لفظيًّا ، وهي تتوالد ذاتيًّا ، وتقوم بعملية فرز ذاتي لأنساقها على أساس العِرْق والمصدرية الاجتماعية الطبقية ، بُغية تأسيس العنصرية بشكل شرعي ومشروع، لتثبيت سيادة طبقة على طبقة ضمن صراع المصالح المادية الشخصية .

ويُوضِّح الصراعُ بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين _ بما لا يدع مجالًا للشك _ طبيعةَ الجدلية المعرفية للهوية اليهودية المُشوَّشة ، وطبيعةَ الشخصية اليهودية المُضطربة ، اللتين تعتمدان على الفكر الجُزئي الاستغلالي ، الذي يدور في فلك التوراة البشرية العاجزة عن احتضان صِيَغ الطبقات الاجتماعية في بَوتقة إنسانية راقية . وعَجْزُ التوراة المَتبوعة يُذكِّرنا بعجز الإنجيل التابع ، لأن الأصل إذا سَقَطَ ، سَقَطَت الفُروعُ . وإذا جفَّ منبعُ النهر ، جفَّت الروافد .

إن الإنجيل هو التطبيق الواقعي لصورة الإرهاب التَّوراتي . لذلك ليس غريبًا أن يغرق تاريخُ النصارى في محاكمِ التفتيش ، والحروبِ الصليبية ، وكنائسِ الإبادة ، وقتلِ العلماء والمُخالِفين في القُرون الوسطى وباقي الأطوار التاريخية . وكُل هذه الأشياء ليست حوادث تاريخية فَحَسْب ، بل هي أيضًا عقائد دينية مُؤَدْلَجَة ، خَرجتْ مِن رَحِم الصِّيَغ الفلسفية الإرهابية في الإنجيل البشري .

والربطُ المصلحي بين التوراة والإنجيل ضمن أسطورة الكتاب المُقدَّس ، ورَّط النصارى وأضاعهم ، وجعلهم تلاميذ لليهود وعبيدًا لهم ، وجَعل اليهودَ هُم الزعماء والرؤساء والسادة ، وأتاح لهم أن يَصُولوا ويَجُولوا في انكسارات واقعية التطبيق الإنجيلي . وهكذا ، صار البابوات مُجرَّد أطفال في الحضانة اليهودية . وقد نجح اليهودُ في السيطرة على الفاتيكان ، والانتقام مِن البابوات وإذلالهم ، بعد تأييد الفاتيكان الصامت لهتلر في عملية قتل اليهود . وكما أن بُولُس اليهودي تَسَتَّرَ بالمسيحية ، ونجح في اختراقها ، وتغيير عقائد المسيح ، كذلك اليهود نجحوا في اختراق الفاتيكان ، والسيطرة على البابوات ورجال الدين ، وإخضاعهم ، وإذلالهم . وبالتالي ، صار النصارى خدمًا لليهود وعبيدًا لهم . والمفروضُ أن هناك عداوة مُستحكمة بين اليهود والنصارى ، لأن اليهود صلبوا المسيحَ _ إلهَ النصارى _ (حَسَب العقيدة النصرانية الباطلة) . فكيفَ صار النصارى تلاميذ لليهود وتابعين لهم وأحبابًا لهم ؟ . هذا الأمرُ الغريبُ يعكس حجمَ الاختراق اليهودي للفاتيكان والنصرانيةِ والإنجيل البشري ، كما يَعكس حجمَ الضغوطات التي يتعرَّض لها البابا ورجال الدين ، مِمَّا يَجعلهم خاضعين لتأثير اللوبي اليهودي ، الذي جَعل الرؤيةَ الصهيونية للأحداث التاريخية إنجيلًا جديدًا . والاعتذاراتُ المُتواصلة مِن البابا شخصيًّا لليهود وللنساء والأطفال (ضحايا التحرُّش الجنسي مِن قِبَل رجال الدين النصارى) تنسف خرافة قداسته

وعِصمته ، وتجعل مِنه مُجرَّد بُوق إعلامي يُردِّد ما يُملَى عليه مِن الجِهات المُتنفِّذة خلف الستار . وهذا يدل على أن الفاتيكان مُجرَّد شركة تجارية استغلالية تستثمر الخُرافاتِ في أسواق النخاسة لجمع العبيد والسبايا،حيث يصير البابا سَيِّدًا مَعصومًا،والنصارى عبيدًا لا يَمْلِكون إلا تقبيل يَدَيه .

لقد فَقدت المؤسسةُ الكاثوليكية البابوية احترامَها لذاتها ، وخَسِرَتْ ثقةَ الآخرين بها . وهذا أدَّى إلى تراجع أعداد الكاثوليك الذين يتعمَّدون سنويًّا بشكل كبير . وكُل ذلك عائد إلى الفضائح السياسية والفكرية والجنسية التي صَبغت مُؤسسةَ الفاتيكان ، وأضعفتها ، وجعلتها فريسةً سهلة لليهود الذين نجحوا في الانقضاض على الفاتيكان، والقيام بصهينته ، بعدما قاموا بصَهينة الإنجيل. وصارت عمليةُ صَهينة الفاتيكان حقيقةً واقعيةً ملموسة ، وليس تُهمةً في الهواء بلا دليل .

ومِن خلال الفِعل التوراتي الأسطوري ، ورَدِّ الفِعل المُوغل في أدلجة السياسة المستمدة من وحشة الذاكرة الجمعية للمجتمع اليهودي المنقسم ، ستظهر تعريفات جديدة لإرهاب الأنساق اللغوية في التوراة والإنجيل على السَّواء . والترابطُ بين التوراة (الأصل) والإنجيل (الفَرْع) ذو تماس مُباشر مع اضطراب الشخصية اليهونصرانية في مسارها المُوحِش ومصيرها المُتَوَحِّش . وأيضًا ، إن التوراة تُمثِّل الخلفيةَ الأيديولوجية المُتطرفة لأنساق الإفراز الديني الإنجيلي الصليبي .

والصليبُ المُتوحِّش هو عقيدة الوَهْم الطبقي الرأسمالي ، ومركز تمدُّد الأسطورة في بُنية الاستغلال الكنسي للدِّين . و" نجمة داود " هي الإيقاع الأسطوري للوهم الصهيوني ، الذي يتمدَّد في التطرف الديني والابتزاز السياسي . ولا شَك أن توراة الأساطير وإنجيل الأوهام يُشكِّلان مسارَ العقائد الدينية المنتشرة بالسَّيف ، كما أن العهد القديم والعهد الجديد يَلعبان لُعبةَ تبادل الأدوار من أجل تأسيس وقائع التاريخ الافتراضي من منظور استغلالي ، يستند إلى رأسمالية صُكوك الغُفران ، ومنح الجنة للقادرين على الدفع . وهذا الإفرازُ الديني الاستقطابي يعتمد على قوة الخرافات الدموية ، وهذا هو السبب الرئيسي لانتشار اليهودية والنصرانية بالسَّيف ومنطق القوة .

والغايةُ من الإفرازات الدينية اليهونصرانية هي زيادة الأغنياء غِنى ، وزيادة الفقراء فقرًا ، وتكريس سُلطة الحُكَّام ورجال الدين على العوام والأتباع ، واستغلالهم واستعبادهم وسرقتهم . وهنا يبرز الزواجُ المصلحي الثلاثي بين السُّلطات السياسية والدينية والمالية . وهذه هي عقيدة التثليث في اليهودية ، التي تتشابه معَ عقيدة التثليث في النصرانية (المسيحية) . وهذا الزواج النفعي هو المُحرِّك الأساسي لانكسار الشخصية اليهونصرانية بين ماضَوِيَّة التاريخ الديني للوهم ، وحاضرِ انكسار الحُلْم في تخبُّط"الكتاب المُقدَّس". وأيضًا، إن هذا الزواج الثلاثي هو الذي أفرزَ

الإنتاجاتِ البشرية ذات الصبغة الحاملة لمِخيال القداسة ، وهو الذي اخترعَ التوراةَ والإنجيلَ بوصفهما كتابَيْن مِن صُنع الإنسان، لتلبيةِ حاجاته النفسية والعاطفية ، وتحقيقِ مصالحه الشخصية، وإشباعِ غروره المُعبَّأ بالبُنى الدينية الوضعية المُنقطعة عن وَحْي السماء . واليهودُ والنصارى ــ عبر تاريخهم الطويل ــ اخترعوا كثيرًا من الآلهة الأُسطورية ، وألَّفوا نصوصًا كثيرة في التوراة والإنجيل . وهُم يَعتقدون أن اختراع الأساطير سيقودهم إلى السلام الداخلي، والراحة النفسية ، والإشباع العاطفي ، والطمأنينة التي تحميهم من المجهول . وهذا وَهْم قاتل ، لأن بُنية الأساطير الماورائية تَقتل الأبعادَ الروحية الفردية والجماعية ، وعندها سوف تتهاوى ميثولوجيا اجتماعيات الدِّين مِثل التَّوراة والإنجيل ، وما يتفرَّع عنهما من تطبيقات سياسية احتلالية، مِثل : مركزية الصليب كإجراء رأسمالي تكرَّسَ وحَلَّ مكانَ فلسفة صُكوك الغُفران ، ومركزية أساطير التوراة المِخيالية الداعمة لاحتلال فلسطين . إن اليهودية والنصرانية (المسيحية) دِينان بَشَرِيَّان وَضْعِيَّان ، لذلك ليس غريبًا أن تكون الشخصية اليهونصرانية هي مركزية شظايا لُغة " الكتاب المُقدَّس " رُوحًا ونَصًّا . ومع مرور الوقت ، يُصبح النصُّ الديني شخصيةً اعتبارية قائمة بذاتها ، تُزاوِج بين أوهام العنصرية الذهنية الخالية من منطق قوة الذاكرة الفعَّالة ، وبين تاريخية المُعطيات الدينية الجاهزة التي توضع في قوالب مُجهَّزة مُسْبَقًا ، بُغية استخدامها في حالات انهيار المعنى النَّفْسي ، وانكماشِ القيم الاجتماعية الإيجابية . والفردُ اليهوديُّ الذي يستند إلى التوراة البشرية ، لإيجاد شرعية معنوية لوجوده وأحلامه ، يعتقد أن التوراة هي أساس الشظايا الاجتماعية ، الذي يَمنح الفردَ القُدرةَ على الخروج من جاذبية الأطراف إلى مغناطيسية المركز ، أي الخروج من اعتيادية اللامعنى إلى الثِّقْل النَّفْسي لوجود الفرد. وفي هذا السياق ، تبرز مشكلة صادمة ، وهي اصطدام الفرد بالعائق التوراتي الذي يجبر كافةَ الأنساق الاجتماعية اليهودية على التمركز في خانة التجسيد الخرافي. وهذه الفلسفة ذات الخلفية المُسيَّسة جدليًّا تُساهم في صناعة التذبذب بين معطيات الشخصية اليهودية العاجزة عن دخول المُعْتَرَك الحضاري العالمي ، والمؤمنة بانكسار نواتها الجوَّانية ، والمرفوضة داخليًّا وخارجيًّا . وفي ظِل غياب الفاعلية المنطقية للمؤسسة التوراتية المنبثقة عن توظيف الوهم لصالح أدلجة الأسطورة،تنشأ فاعلية جديدة بفِعل الانكسار الطبقي في البنية الاجتماعية اليهودية ، على الصعيدَيْن : الذاتي المُتَشَظِّي والجماعي المُنهار . واليهوديُّ ــ بوَصْفه عُنصرًا شاذًّا عن البناء الحضاري الكَوْني ــ سَوْفَ يُؤَدْلِج نَفْسَه بسبب ضغط الإفرازات البيئية المحيطة به . والإشكاليةُ تكمن في اعتقاد اليهوديِّ أن خروجه من الذاتية المُفرِطة إلى الجَمْعنة السياسية لاجتماعيات الكُتل

اليهودية (شظايا التجمعات اليهودية المُسيَّسة توراتيًّا التي تعتمد على استثمار ميكانيكا التوراة البشرية لمصالح شخصية) سيُوفِّر له مجالًا أكثر رحابة لمُمارسة حضوره في المجتمع العالمي الرافض له . وسببُ هذا الوهم يعود إلى بُنية الطبيعة اليهودية المحصورة في خريطة انكسار الحُلْم الإنساني، وانكماشِ الذاكرة الوجودية. والتكتلاتُ التوراتية الجدلية تعمل على المُوَاءمة بين تغيُّرات ميكانيكا الأساطير ، وإسهاماتِ العقل اليهودي المصلحي النفعي . وهذه المُواءمة عبارة عن اتجاه فكري تكريسي لفوضى النصوص الدينية المُسيَّسة ، في الأُطر ذات القداسة الافتراضية ، التي تستند إلى إسهامات بشرية استغلالية ، حوَّلت التَّوراةَ مِن كتاب ديني متصادم مع ذاته، إلى تأسيس ذهني تجريدي ذي خصائص ذاتية مصلحية نفعية .

وماديةُ النصوص الدينية المُقدَّسة عند اليهود ، هي جدليات فوضى البناء الزماني المُشوَّش على المكان الافتراضي. وهذا يعني أن العلاقة بين شخصية الذات الفردية وخَلْفِيَّتها الدينية المُضطربة ، ستظلُّ نقطةً حرجة في طبقات المستوى الإنساني اليهودي المُتذبذب بين أنسنة التَّوَحُّش وتَوَحُّشِ الأنسنة. والجديرُ بالذِّكر أن جميع شظايا الشخصية اليهودية تسعى إلى الاستعانة بالأساطير والميثولوجيا التَّوراتية التُّلمودية ، لشَرْعنة وُجود الإرهاب اليهوديّ في كل زمان ومكان .

وخصائصُ التجربة الوجدانية اليهودية مُتماهية مع العدم، الذي يُجذِّر العناصرَ السلبية المنفية في قلب المجتمع. فمثلًا، ميثولوجيا المحرقة (الهولوكوست) عبارة عن اتجاه أُسطوري ميكانيكي يعتنقه اليهود . واليهودُ لم يستخدموا هذا الاتجاه الجدلي الشاذ عن مسار الحضارة ، إلا لتثبيت واقع مِخيالي مُتصوَّر على أرض الواقع ، من أجل انتزاع تعاطف الأمم والشعوب ، وتسوُّلِ مشاعرهم وأحاسيسهم . وهكذا ، يتم تأسيس شرعية للإرهاب الصهيوني ، ويُصبح القاتلُ ضحيةً .

إن الطبيعة التوراتية التحليلية للوقائع السياسية لَيْست تيارًا سياسيًّا منطقيًّا، بل إجراءً فوضويًّا بعيد المدى لتجذير الخرافات الافتراضية كحقائق ومُسلَّمات على الأرض ، اعتمادًا على منطق القوة ، وفلسفةِ الرصاصة ، وشرعيةِ الدبابة . واليهودُ كانوا على مدار التاريخ جَماعات مُفكَّكة مَنبوذة مَشبوهة مَعزولة مُتقوقعة على نفْسها ، ولا رابط بينها غير المَنفعة الذاتية . وهذه الجماعاتُ أقرب إلى البَدْو الرُّحَّل ، بلا وطن ولا أصل ولا بُنية اجتماعية تراتبية مُتجانسة. لكن أدلجة صهيونية التوراة نقلت المعنى البشري اليهودي مِن عُزلة الفردية الموغلة في شُذوذها ، إلى قَومية الاحتلال التي صارت هُويَّةً جديدة لليهود ، كي يشعروا بالانتماء إلى أرض الميعاد _ حسب تصوُّرهم الأسطوري _ . وهذا الالتصاق بفلسطين الرافضة للاحتلال اليهودي يُمثِّل تيارًا تَوراتيًّا أُسطوريًّا ،

حيث يتم اختراع أُحادية الوَهْم مِن أجل رسم شَرنقة المعنى حول كُتَل الخرافة العَقَدِيَّة ، التي تقوم على المنهج اليهودي النازي ، الذي تنعكس تطبيقاته الأيديولوجية على أرض الواقع الافتراضي . وقد حاولَ اليهودُ الذين قَضَوْا حياتهم مُشرَّدين ومنبوذين ، بسبب خياناتهم ومؤامراتهم ، أن يخترعوا وطنًا يَجمعهم كَي يَشعروا بمعنى الولاء والانتماء . وبالتالي ، يَخرج اليهوديُّ _ حَسَبَ تصوُّره _ من خانة اللامُنتمي إلى المُنتمي ، وتنتقل الفلسفةُ الصهيونية إلى تطبيقات مبدأ (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض) . وهذا المَبدأ الخُرافي يُجسِّد قيمةً اجتماعية لمراحل انكسار النظام الفوضوي لسياسة التَّوراة ، ويُكرِّس انتحارَ المعنى في العلاقة الجدلية بين الدِّين والقَومية .

والقوةُ الوظيفية الناجمة عن بيروقراطية التوراة ، ما هي إلا قوةٌ ظاهرية مُعتمدة على فاعلية الأداء العسكري لتثبيت الفكرة . واليهوديةُ _ التي انتشرت بالسَّيف لتحقيق معنى القَومية ضمن الإطار الديني المُؤَدْلَج _ صَنَعَتْ من عقلية القلعة العسكرية خلفيةً لها ، وامتدادًا للأنشطة الدينية المتطرفة سياسيًّا . واليهوديةُ تَمَّ تثبيتها بواسطة الدَّبابة ، تمامًا كالنصرانية التي تم تثبيتها بواسطة محاكم التفتيش. وكُل الأديان البشرية الوضعية الأرضية التي انتشرت بالسَّيف كاليهودية والنصرانية، لم تستمر بفعل قوة مَنطقها الذاتي أو حُجَّتها الساطعة ، وإنما بفِعل قُوَّة الخلفية العسكرية الحارسة لها ، وتقديمِ التنازلات تِلْو التنازلات في العقائد الدينية والسلوكيات الاجتماعية ، لتَكون هذه التنازلات إغراءاتٍ تَجذب الناسَ ، فيتكاثر عددُ الأتباع والمُؤيِّدين . وهذا الانهيار على المُستَوَيَيْن الديني والأخلاقي ، يدل بشكل قاطع على عَشوائية المُقدَّس والمُدنَّس ، واضطرابِ العلاقة بينهما . وعلى سبيل المثال لا الحصر ، تكون الكنيسةُ في أيَّام الآحاد ، وكأنها أشبه بعرض أزياء ، حيث النساء مُتعطرات ، ويَضعن المكياجَ ومُستحضرات التجميل ، ويرتدين ثيابًا مكشوفة ، ضِمن اختلاط عابث بين الجِنْسَيْن . والسَّيدةُ مريم _ عليها السلام _ كانت رمزًا للشرف ومِثالًا للاحتشام . وكانت ثيابُها ساترة لجسمها ، وتُغطِّي شَعْرَها . ولم تعتمد على الإثارة وارتداء الثياب المُثيرة لجذب أنظار الناس . فهل النصرانيات الذاهبات إلى الكنيسة يَتَشَبَّهْنَ بالسيدة مريم أَم بالمُمَثِّلات وعارضات الأزياء ؟ . وإذا كانت مريم قُدوة النصرانيات ، فيجب عليهنَّ أن يَعْبُدْنَ الله وَحْدَه ، ويحتشمن في ثيابهن . والعجيب أن الكنيسة في الماضي كانت تمنع النساءَ من الدخول إليها بالبنطال أو بدون غطاء الرأس . أمَّا الآن فصار في الكنائس حفلات موسيقية صاخبة ، وملابس نسائية مكشوفة ومُغرية ، ولقاءات بين الرجال والنساء دون ضوابط . وهذا التنازلات تمَّ تكريسها لجذب النصارى إلى الكنائس الخاوية على عروشها ، والتي تُعاني من قِلَّة عدد الحضور .

إن معتقدات اليهود الدينية القَومية تقوم على الأركان التالية: ١_ اليهود هُم شعب الله الخاصُّ. ٢_ الرب أعطاهم أرضَ الميعاد . ٣_ الرب وعدهم بملكوت العَالَم . ٤_ نعمة السماء لا تَحُلُّ على الأرض إلا بعد أن يعود بنو إسرائيل إلى أرض الميعاد ، وتخضع لهم جميع الأمم . ٥_ المسيح المنتظر ، الذي تتم على يده النُّبوءات ، ويُحقِّق عهدَ الرب ، بمُلْك نسل إبراهيم على العَالَم لم يأتِ بعد . ٦_ قاعدة هذا المُلْك هي أرض الميعاد ، ولن تتم النبوءات إلا بعد أن يستتب الأمرُ لليهود على هذه الأرض. ٧_ الله سلَّط عليهم أعداءهم مُؤقَّتًا ، تكفيرًا عن ذنوبهم . ٨_ إنهم كفَّروا في منفاهم عن جميع ذنوبهم . ٩_ أعداؤهم هُم بالوقت ذاته أعداء الرب . ١٠_ الله وضع يدهم على أعدائهم (أعدائه) . ١١_ الصهيونية هي خُلاصة هذه المُعتقدات .

إن الصراع بين المسلمين واليهود صراع وجود لا صراع حدود . والحرب قائمة على العقيدة . وفلسطين وَقْف عربي إسلامي من البحر إلى النهر ، وقضيتها لا تسقط بالتقادم . وإذا فشلت الأجيال الماضية والحالية في تحريرها، فإن جيل التحرير والنصر قادم لا مَحَالة ، ولله أَوْسٌ آخرون وخَزْرَجُ . والصراعُ مع اليهود مستمر ، وعداوتهم دائمة . وقد ساقهم اللهُ إلى حتفهم ، وجَمَعَ اللهُ أعداءه اليهودَ في فلسطين ليتم ذبحهم في نهاية الزمان . ولَوْ ظَلُّوا مُتفرِّقين في أنحاء العَالَم ، فلا يمكن ذَبْحهم والقضاء عليهم . وقد عاشَ اليهودُ كقبائل رعوية ، وتحرَّكوا مثل البَدْو الرُّحَّل ، ولم يعرفوا الاستقرار في مكان . واليهودُ ليسوا سُكَّانًا أصليين لفلسطين ، بل كانوا دائمًا مِن المُهاجرين إليها بشكل مُؤقَّت . وسُكَّانُ فلسطين الأصليون هُم الكنعانيون .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ لا يُقاتِلُونَكُم جَمِيعًا إلا في قُرًى مُحَصَّنَةٍ أو مِن وَراءِ جُدُرٍ بأسُهُم بَيْنَهُم شَدِيدٌ تَحْسَبُهُم جَمِيعًا وقُلُوبُهُم شَتَّى ذَلِكَ بأنَّهُم قَوْمٌ لا يَعْقِلُون ﴾ [الحَشْر : ١٤] .

اليهودُ جُبناء وخائفون ومَذعورون، لذلك لا يَقْدِرُون على مُواجهة جيش المسلمين وجهًا لوجه، بالمُبارزة والقتال ، لذلك يَلْجَؤون إلى الاختباء في الحُصون والقِلاع ، أو وراء الحيطان ، ظنًّا مِنهُم أنها تَحميهم مِن المسلمين . وقال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٣٦) : ((يعني أنهم مِن جُبنهم وهَلَعهم ، لا يَقْدِرون على مواجهة جيش الإسلام بالمُبارزة والمُقاتلة ، بل إمَّا في حُصون ، أو مِن وراء جُدُر ، مُحَاصَرين ، فيُقاتِلون للدفع عنهم ضرورةً)) اهـ . إن اليهود لا يَقْدِرُون على قتال المُسلمين مُجتمعين مُتَّفقين، إلا إذا كانوا في قُرى مُحصَّنة بالأسوار والخنادق، أو في الدُّور ، أو إذا كانوا مِن وراء الحِيطان ليتستَّروا بها مِن شِدَّة خوفهم وجُبنهم . عداوتهم فيما بينهم شديدة ، تراهم مُجتمعين ومُتَّحدين على أمر ورأي ، وهم مختلفون أشدَّ الاختلاف ، لأن آراءهم مختلفة ،

ونيَّاتهم مُتباينة ، وقلوبهم مُتفرقة، بسبب مُعاداة بعضهم بعضًا ، واللهُ ناصر أوليائه ، وهازم أعدائه .

وفي تفسير القرطبي (١٨/ ٣٣): ((وقال قَتادة: ﴿ تَحْسَبُهُم جَمِيعًا ﴾ أي : مُجتمعين على أمر ورأي ، ﴿ وقُلُوبُهُم شَتَّى ﴾ مُتفرِّقة ، فأهل الباطل مُختلفة آراؤهم ، مُختلفة شهادتهم ، مُختلفة أهواؤهم، وهُم مُجتمعون في عداوة أهل الحق)) اهـ . وذلك التفرُّق والتشتُّت بسبب عدم وجود عَقل لهم يَعقِلون به أمرَ الله تعالى . ولو كان لهم عقل لعبدوا اللهَ وَحْدَه ، وأطاعوه ، وصدَّقوا بِنُبُوَّة محمد ﷺ ، واتَّبعوه.وقال البيضاوي في تفسيره (١/ ٣٢٢) : ((﴿ بأسُهُم بَيْنَهُم شَدِيدٌ ﴾ أي : وليس ذلك لضعفهم وجُبنهم ، فإنه يشتدُّ بأسهم إذا حاربَ بعضُهم بعضًا ، بل لقَذف اللهِ الرُّعْبَ في قلوبهم ، ولأن الشجاع يَجبُن والعزيز يَذِلُّ ، إذا حاربَ اللهَ ورسولَه ، ﴿ تَحْسَبُهُم جَمِيعًا ﴾ مُجتمعين متَّفقين، ﴿ وقُلُوبُهُم شَتَّى ﴾ مُتفرِّقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ﴿ ذَلِكَ بأنَّهُم قَوْمٌ لا يَعْقِلُون ﴾ ما فيه صلاحهم ، وإن تشتُّت القلوب يُوهِن قُواهم)) اهـ .

وفي صحيح مسلم (٤/ ٢٢٣٩) : عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ((لا تقومُ الساعةُ حتى يُقاتل المسلمون اليهودَ ، فيَقتلهم المسلمون ، حتى يختبئ اليهودُ مِن وراء الحَجَر والشَّجَر، فيقول الحَجَرُ أو الشَّجَر : يا مُسلم ، يا عبد الله ، هذا يهوديٌّ خَلْفي ، فتعالَ فاقتله ، إلا الغَرْقَد ، فإنه مِن شجر اليهود)) .

واليهود يعرفون هذه الحقيقة لذلك يواصلون زراعة شجر الغرقد بكثافة . وهذا دليل على أن اليهود يَعرِفون أن محمدًا نبيٌّ صادق ، وهُم يُصدِّقون بكلامه . والغَرْقَدُ نَوع مِن شَجَر الشَّوك معروف ببلاد بيت المَقدِس .

وقال الحافظ في الفتح (٦/ ٦١٠) عن رواية البخاري : ((فالمُراد بقتال اليهود وُقوع ذلك إذا خَرج الدَّجال، ونزلَ عيسى ، وكما وقع صريحًا في حديث أبي أُمَامة في قصة خُروج الدَّجال ونزول عيسى. وفيه وراء الدجال سبعون ألف يهودي ، كُلُّهم ذو سَيف مُحَلَّى ، فيُدركه عيسى عند باب لُد ، فيَقتله ، وينهزم اليهود، فلا يَبقى شيء مِمَّا يتوارى به يهوديٌّ إلا أنطقَ اللهُ ذلك الشَّيء ، فقال : يا عبد الله، للمسلم ، هذا يهوديٌّ فتعالَ فاقتله ، إلا الغَرْقَد ، فإنها مِن شَجرهم ، أخرجه ابن ماجة مُطَوَّلًا . وأصله عند أبي داود ونَحْوه في حديث سَمُرة عند أحمد بإسناد حسن ، وأخرجه ابن مَنْدَة في كتاب الإيمان مِن حديث حُذَيفة بإسناد صحيح . وفي الحديث ظُهور الآيات قُرْب قيام الساعة مِن كلام الجماد مِن شجرة وحَجَر ، وظاهره أن ذلك يَنطق حقيقةً ، ويُحتمل المَجاز بأن يكون المراد أنهم لا يُفيدهم الاختباء، والأول أولى، وفيه أن الإسلام يبقى إلى يوم القيامة)) .

صدر للمؤلف

الدراسات الدينية :

١_ حقيقة القرآن

٢_ أركان الإسلام

٣_ النبيُّ محمد

٤_ دراسات منهجية في القرآن والسُّنة

٥_ دراسات منهجية في القُرآن والتوراة والإنجيل

٦_ الإنسان والعلاقات الاجتماعية

٧_ بحوث في الفكر الإسلامي

٨_ منهج الكافرين في القرآن

٩_ التناقض في التوراة والإنجيل

١٠_ صورة اليهود في القرآن والسُّنة والإنجيل

١١_ عقائد العرب في الجاهلية

الأدب والثقافة والفكر :

١٢_ فلسفة المعلقات العشر

١٣_ النظام الاجتماعي في القصيدة

(المأزق الاجتماعي للثقافة . كلام في فلسفة الشِّعر)

١٤_ صرخة الأزمنة (سِفر الاعتراف)

١٥_ مشكلات الحضارة الأمريكية

١٦_ حياة الأدباء والفلاسفة العالميين

الشِّعر :

١٧_ الأعمال الشعرية الكاملة (مجلد واحد)

الرواية :

١٨_ أشباح الميناء المهجور

١٩_ جبل النظيف

فِهْرِس

مقدمة..5

الفصل الأول : أهل الكتاب (اليهود والنصارى) [9]

تمهيد [10] أوَّلًا : أهل الكتاب [11] ١_ إقامة التوراة والإنجيل [11] ٢_العلاقة معهم [15] ٣_ وجود المؤمنين بينهم [49] ٤_ وجوب التساهل مع غير المُحَارِبين منهم[56] ٥_ عدم رضاهم عمَّن لم يتَّبع مِلَّتَهم [57] ٦ _ حُجَجهم الواهية [60]

الفصل الثاني : صورة اليهود في القرآن والسُّنة والإنجيل [65]

تمهيد [66] كلمة لا بُد منها [68] الإنسان أمام الله [110]أوَّلًا : التخطيط لارتكاب الجرائم[161] ثانيًا: اضطهاد الأنبياء وقتلهم [193] ثالثًا: تاريخ أسْوَد [225] رابعًا: قيادات فاشلة [242] خامسًا : كراهية ظهور الحق [273]سادسًا : مُمارسة الإرهاب والترويع [303] سابعًا :الاستهزاء والسُّخرية [316] ثامنًا : قلوب قاسية [325] تاسعًا: الجَهْل بالشريعة [341] عاشرًا : شِدَّة الحِرْص على الدُّنيا [368] حادي عشر: الخِداع والكذب [383] ثاني عشر: استعمال السِّحْر[407] ثالث عشر: الحسد[416] رابع عشر: وَهْم الاستعلاء والتفوُّق [429]

الفصل الثالث : دراسات منهجية في التَّوراة [457]

تمهيد [458] أولًا : التناقض في التوراة [459] ثانيًا : نُبُوَّة محمد في التوراة (العهد القديم) [475]ثالثًا : صفات الله [482]١_ الاستراحة[482] ٢_ الحزن [483] ٣_ الندم [484] ٤_ النُّزول [487] ٥_ الخوف [488] ٦_ النسيان [489] ٧_ الحركة والوقوف [490] ٨_ الجلوس [490] ٩ _ التَّحَيُّز [492] ١٠ _ الخداع [494] ١١_ النَّوم [494] ١٢_ الاختباء [495] ١٣_ التشبيه والتجسيم (الأعضاء والحواس) [496] رابعًا : صورة

الأنبياء [504] ١_ الاختباء من الله [504] ٢_ الخيانة [504] ٣_ شُرب الخمر [505] ٤_ الزنا [506] ٥_ السُّجود لغَير الله[507] ٦_الخداع والكذب [508] ٧_ المكر [510] ٨_ التطاول على الله [510] ٩_ اتِّخاذ الآلهة [512] ١٠_ التظاهر بالجنون [514] ١١_ الشتائم [515] ١٢_ البُنُوَّة [517] ١٣_ الطَّيش [518] ١٤_ الخِزْي [519] خامسًا : القتل والإبادة [520] ١_ قتل الأجنبي [520] ٢_ قتل الأطفال [520] ٣_ قتل الذكور بالسَّيف [521] ٤_ التطهير العِرْقي والإبادة الجماعية [521] ٥_ قتل الحيوانات [523] ٦_ حرق المدن [523] ٧_ ربط سفك الدماء بالأنبياء [524] ٨_ الرُّعب والإرهاب [524] ٩_ القَسوة [525] ١٠_ استعباد الناس [525] سادسًا: العلاقات الإنسانية والاجتماعية [526] ١_ توارث الذَّنْب [526] ٢_ التمييز ضد الأجانب [527] ٣_ احتقار المرأة [528] ٤_ غَباوة الشعب [528] ٥_ احتقار النِّعَم [529] سابعًا : الأوصاف الجنسية [530] ١_ ربط الجنس بالأنبياء [530] ٢_ الثديان [531] ٣_ الفَخذان والسُّرة [536] ٤_ القُبُلات [538] ٥_ التَّبَرُّج والإغراء [539] ٦_ نشر الزنا [540]

الفصل الرابع : دراسات منهجية في الإنجيل [543]

تمهيد [544] تَوطِئة فكرية وتاريخية [545] أوَّلًا : التناقض في الإنجيل [629] ثانيًا : نُبُوَّة محمد في الإنجيل (العَهْد الجديد) [659] ثالثًا : أدلة النصارى على أُلوهية المسيح [662] ١_ سُلطة غُفران الذنوب [662] ٢_ إرسال الملائكة [663] ٣_ رُبوبية المسيح [663] ٤_ تسلُّم السُّلطات [664] ٥_ حساب الناس ومُجازاتهم [669] ٦_ تمثيل الناس أمام الله [670] ٧_ الصعود إلى السماء [672] رابعًا : إبطال أُلوهية المسيح [673] ١_ تجريب إبليس للمسيح [673] ٢_ الصيام والجوع [675] ٣_ الصلاة لله [676] ٤_ الحُكم على المسيح بالموت وإهانته [677] ٥_ عَجْزه عن حماية نفْسه [680] ٦_ دَفْنه في القبر[680] ٧_ حاجة الرب إلى حمارة وجحش [680] ٨_ نَسَب المسيح [681] ٩_ غسل أقدام التلاميذ [683] ١٠_ التألُّم والتعرُّض للتجارب [684] ١١_ شهادة المسيح لنفْسه[685] خامسًا : وَحدانية الله [686] ١_ عبادة الله وَحْدَه [686] ٢_ محبة الله الواحد [689] ٣_ الله وَحْدَه يَعلَم الغَيب [690] ٤_ الأمر لله وَحْدَه [690] ٥_ الإرادة لله وَحْدَه [690]

٦_ الله الحكيم وَحْدَه [691] ٧_ الحُكم لله وَحْدَه [691] سادسًا : مفهوم البُنُوَّة [692]
١_ ابن النَّجَّار [693] ٢_ الناس أبناء الله [695] ٣_ آدم ابن الله [696] ٤_ أولاد الله
[696] ٥_ أولاد إبليس [697] ٦_ ذُرِّية الله [697] ٧_ كُل مؤمن ابن لله [698] سابعًا:
الخطيئة والفِداء والصَّلْب [699] ١_ رفع المسيح وعدم صَلْبه [701] ٢_ الكَفَّارة [704]
٣_ التصالح مع الله بموت ابنه [706] ٤_ الموت عِوَضًا عن الجميع [707] ٥_ إنقاذ نَسْل
إبراهيم [708] ٦_ المسيح قُربان بدل الحيوانات [709] ٧_ توارُث الخطيئة [711]
٨_ تحوُّل المسيح إلى لعنة [713] ثامنًا : إهانة الله وملائكته [714] ١_ رفض أُلوهية الله
[714] ٢_ الإشراك بالله وإهانته [714] ٣_ إهانة الملائكة وإدانتهم [718] تاسعًا : التشبيه
والتجسيم [719] عاشرًا : صورة المسيح وطبيعة دَعوته [724] ١_ مَحَلِّية دَعوة المسيح وعدم
عالميتها [724] ٢_ إخفاء شخصيته ومُعجِزاته [729] ٣_ عدم الحديث عن سنواته المُبكِّرة
[731] ٤_ خِدمته [731] ٥_ الشتائم في الدَّعوة [733] ٦_ التمييز واحتقار الناس[735]
حادي عشر : صورة الأنبياء [740] ١_ إهانة الأنبياء [740] ٢_ قِلَّة إيمان الأنبياء [741]
٣_ الطعن في شرف الأنبياء [742] ٤_ إهانة مُوسى لتقديم المسيح عليه [743] ٥_ إهانة
إسماعيل لتقديم إسحاق عليه [747] ٦_ إهانة يَحيى (يُوحَنَّا المَعمَدان) لتقديم المسيح عليه
[755] ٧_ إهانة إبراهيم لتقديم مَلْكِيصادَق عليه [756] ٨_ ادعاء وجود نَبِيَّة[756] ثاني
عشر: صورة تلاميذ المسيح وأتباعهم [757] ١_ قِلَّة الإيمان [757] ٢_ وصف بُطرُس
بالشَّيطان [759] ٣_ وصف بُطرُس بِقِلَّة الإيمان والشَّك [759] ٤_ بُطرُس يُوبِّخ المسيح
[760] ٥_ التناقض في أسماء التلاميذ الاثنَي عَشَر [760] ٦_ هروب التلاميذ [762]
٧_ عدم السلام على أحد [763] ٨_ اختراع مُعجزات لبُطرُس [763] ٩_ إقحام الرُّوح
القُدُس لِنَيْل الشَّرعية [765] ١٠ _ الرأي الشخصي صار وَحْيًا إلهيًّا [765] ١١_ خِداع بُولُس
[767] ١٢_ اختفاء إنجيل بُولُس [768] ١٣_ إعطاء بُطرُس صلاحيات إلهية [769]
١٤_ الجهل والغباء [770] ثالث عشر : القتل والإبادة [771] ١_ آية السَّيف [771]
٢_ سياسة الأرض المحروقة [772] ٣_ بَث رُوح الفُرقة والانقسام [773] ٤_ أكل لحوم
البشر[773] رابع عشر: العلاقات الأُسرية والاجتماعية [775] ١_ احتقار المرأة والأم[775]
٢_ كراهية النَّفْس والعائلة [777] ٣_ تدمير القيم العائلية وتفتيت المجتمع [778] خامس
عشر: السُّلطة الكهنوتية والأحكام التشريعية [779] ١_ الكاهن والكَهَنُوت والشريعة [779]

٢_ لَحم الخِنزير [782] ٣_ الخِتان [784] ٤_ الطلاق [785] ٥_ الزِّنا والرَّجْم[788] ٦_ الحُكم على الآخرين [789] ٧_ قِيام المسيحية على الشَّك لا اليقين [789] ٨_ قيام الدَّعوة المسيحية على الغباء [790] ٩_ التَّمييز العُنصري [791] ١٠_ الخمر [791] ١١_ طبيعة السُّلطة السياسية [795]

توماس بين ونقد المسيحية..797

الاختلافات بين الطوائف المسيحية الكُبرى 798

مقاطع مُختارة من كتاب / قصص الأنبياء......................................801

مقاطع مُختارة من كتاب / حياة مُحمَّد..808

تأثُّر مُشركي العرب في الجاهلية باليهودية والنصرانية............................816

النشأة الأسطورية للعقائد الدينية...834

تحليل مُكوِّنات الشخصية اليهودية..852

صدر للمؤلف...876

فِهْرِس..877

تَمَّ الكِتَابُ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالى